

تاسو ځاړ - اُفلو ځاړين

تَسْوَعَاتُ أَفْلُوْطِيْن

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ عَنِ الْأَصْلِ الْيُونَانِي
الدكتور فريد جابر

مُراجَعَة
الدكتور جيار جهازي الدكتور سميح دغيم

مَكْتَبَةُ لِبْنَانِ نَاشِرُونَ

مَكْتَبَةُ لِبْنَاتِ تَائِيْمُونِ شَرْه

زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١

بَـيروت - لِبْنَان

وُكلاء وُمُورِعُون في جَمِيعِ اَلْخَاءِ اَلْعَالَمِ

© اَلْمُتَعَوِقِ اَلْكَامِلَةِ اَلْمَحْفُوْطَةِ

اَلْمَكْتَبَةُ لِبْنَاتِ تَائِيْمُونِ شَرْه

اَلطَبِيعَةُ اَلْأَوَّلُ ١٩٩٧

رَقْمُ اَلْكِتَابِ 01R160167

طُبِعَ في لِبْنَانِ

كَلِمَة شُكْرٍ وَتَقْدِيرٍ

عِشْرُونَ عَامًا أَمْضَيْتُهَا فِي تَرْجُمَةِ «تَاسُوعَاتِ أَفْلُوطِينَ» مَصْحُوبًا فِي عَمَلِي بِأَعَزِّ الْأَصْدِقَاءِ وَالزُّمَلَاءِ .

وَلَا بَدَّ لِي مِنَ التَّنْوِيهِ بِنَوْعِ خَاصٍّ بِعَمَلِ الزُّمِيلِ الْجَلِيلِ الشُّيْخِ صَبْحِي الصَّالِحِ ، رَحِمَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، إِكْبَارًا وَتَقْدِيرًا لِلْمَسَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي أَنْحَفَ بِهَا نَصْرُ أَفْلُوطِينَ الْمُعَرَّبِ .

كَذَلِكَ أَقْدَمْتُ شُكْرِي لِلْأَخِ فَنْسَانَ حَلَّوْنَ ، أَسْكَنَهُ اللَّهُ فُسَيْحَ جَنَاتِهِ ، الَّذِي أَسْهَمَ بِدَوْرِهِ وَعَلَى طَرِيقَتِهِ فِي إِخْرَاجِ هَذَا الْعَمَلِ عَلَى آلَتِهِ الْكَاتِبَةِ .

وَأَخِيرًا كَلِمَةً عَرَفَانِ بِالْجَمِيلِ لِلْأُسْتَاذِينَ جِيرَارِ جِهَامِي وَسَمِيحِ دَغِيمِ اللَّذِينَ أَمْضَيْتُ السَّاعَاتِ الطُّوَالَ فِي مُرَاجَعَةِ تَرْجُمَةِ التَّاسُوعَاتِ هَذِهِ وَتَنْقِيحِهَا .

فهرس المحتويات

ط	• سيرة أفلوطين
١	• كتاب فرفوريس في حياة أفلوطين وتصنيف مؤلفاته
٤٩	• التاسوع الأول
١١٣	• التاسوع الثاني
١٨٩	• التاسوع الثالث
٢٩٩	• التاسوع الرابع
٤٢٣	• التاسوع الخامس
٥٠٧	• التاسوع السادس

سيرة أفلوطين

وُلِدَ أفلوطين على وجه التقريب بين عامي ٢٠٢ - ٢٠٤م في مدينة ليكوبوليس في مصر. وعندما بلغ الثامنة والعشرين من العمر عكف على دراسة الفلسفة في الإسكندرية حيث خاب أمله من هذه الدراسة.

وفي الفترة الواقعة ما بين ٢٣١ - ٢٤٢ تابع أفلوطين مع أحد أصدقائه دراسة الفلسفة مع الأستاذ أمونيوس مدة ١١ عامًا، حيث كان زميلًا لهزنيوس وأوريجين الوثني الذي ذكره فرفورIOS مرّات عديدة في كتابه «فرفورIOS تلميذ أفلوطين». غير أنّه علينا أن نُميّز بين أوريجين الوثني هُذا وأوريجين المسيحيّ أحد آباء الكنيسة آنذاك والذي كان تلميذًا لأمونيوس. هُذا الأخير يتقدّم في العمر ما يقارب العشرين عامًا على أفلوطين. وهو، وإن زامله في الدّراسة على يد أمونيوس، إلّا أنّه كان قد ترك الإسكندرية إلى قيصريّة في العام ٢٣١. وهُذا ما يُرجّح بأنّه لم يكن مُطلّعًا على آراء أفلوطين. وفي عام ٢٣٢ - ٢٣٣ على وجه التقريب وُلِدَ فرفورIOS تلميذ أفلوطين. أمّا اتّصال أفلوطين بالجيش الرومانيّ فكان في عام ٢٤٢، حيث التحق بالإمبراطور «غوردين» في بلاد ما بين النّهرين أثناء حملته العسكريّة عليها. وبقي هناك أملًا في أن يتعرّف بذاته على حكماء الفرس والهند. وعندما اغتيل الامبراطور على يد عسكره في العام نفسه واغتصب السّلطة فيليب العربيّ، تمكن أفلوطين من الهرب إلى إنطاكية. وفي عام ٢٤٤ وبعد مُغامرته في بلاد ما بين النّهرين، عاد أفلوطين إلى روما حيث بدأ يعطي دروسًا لمجموعة صغيرة من التلاميذ دون أن يدوّن أيّ شيء. وفي عام ٢٤٦ أصبح أمليوس تلميذًا لأفلوطين وأخذ يدوّن ملاحظات من الدّروس المعطاة. وفي السّنة الأولى من عهد مملكة غاليان عام ٢٥٣ بدأ أفلوطين بوضع بعض المؤلّفات. أما عام ٢٦٣ فكان انتقال فرفورIOS من أثينا إلى روما. وفي عطلة الصّيف التقى أفلوطين بفرفورIOS الذي لم يُقبَل في المدرسة مُباشرة. وبعد طول نقاش مع أمليوس حول بعض النّقاط في تعاليم أفلوطين الصّعبة، قُبِلَ فرفورIOS وسلّمت إليه مؤلّفات أفلوطين بأكملها. وكان الشّيخ سانبلIOS

قنصلًا في العام (٢٦٦)، ومستمعًا لأفلوطين، وصديقًا للإمبراطور غاليان الذي كانت زوجته سالونين تكن احترامًا قويًا لأفلوطين.

وكان أفلوطين يُفكر في إعادة إعمار مدينة مدرّة في كمبانيا لإشادة جمهوريّة أفلاطون عليها. لكن هذا المشروع أحبطه بعض من مستشاري الإمبراطور. وفي عام ٢٦٨ أُصيب فرفوروس بإنهيار إلى حدّ الانتحار ونصحه أفلوطين بالسفر، فانتقل إلى صقلية وأقام في مدينة ليليه بصحبة رَجُل اسمه بربوس. وفي صيف ٢٦٨ اغتيل الإمبراطور غاليان وبدأ حكم كلود الثاني؛ حينها ظهرَ مَرَضُ أفلوطين الأخير. وفي عام ٢٦٨ - ٢٦٩ غادرَ أمليوس روما مع أفلوطين للقاء لونجين في بلاط زونويا في تدمر. وفي العام التالي انتقل إلى أباما في سوريا. وفي العام نفسه غادرها إلى روما وانسحب إلى مزار زينوس في كمبانيا حيث كانت وفاته عام ٢٧٠م.

- في عام ٣٠٠ بدأ فرفوروس بكتابة حياة أفلوطين وتاسوعات وكان له من العمر ٦٨ عامًا.

تحليلات المراجع

كيف نقرأ أفلوطين؟

١- قراءة جزئية

أ- أقل ما يمكن يجب أن يُقرأ في المقالات I - ٦ (في الحُسن) وفي VI - ٩ (في الخير).

ب- دراسة مخصّصة للتصوف واللاهوت الأفلوطيني، نجد المهم في VI - ٧ (في المثل والخير) وVI - ٨ (في ارادة الواحد).

ج- في الغنوصيّة وهي العنصر الأساسي لفهم الأفلوطينيّة، نقرأ المقالات III - ٨ (في التأمل) - المقالة VII - ٨ (في الحسن الروحي). المقالة VII - ٥ (في أن الروحانيات ليست خارجة عن الروح). المقالة II - ٩ (ضدّ الأغنسطيين).

٢- قراءة كاملة ومعقّدة تتطلب ترتيبًا تاريخيًا.

في طبعه لمقالات أستاذه، إتبع فرفوروس نسقًا تنظيميًا حرًا دون الأخذ بعين الاعتبار التدرّج التاريخي الذي وُضعت فيه هذه المقالات، فجاءت بطريقة اعتباطيّة. كان يريد أن يحصل على ٥٤ مقالة، وهذا يعني مجموع ضرب الأعداد ٦ × ٩. التاسوعات هي إذًا ٦

مجموعاتٍ لتسع مقالات. كلُّ مجموعة بالنسبة إلى فرفورْيوس مُؤلَّفة من مقالات تنتمي إلى موضوعات مشتركة.

التاسع الأول يتضمَّن موضوعات في الأخلاق. الثاني موضوعات في الطبيعيات. والثالث موضوعات تتناول العالم الكلِّي. والرابع يختصُّ بالنفس. والخامس بالروح الإلهيِّ. والسادس بالخير والواحد (حياة أفلوطين ٢٤، ١٦). كلُّ هذا يبيِّن لنا نوايا فرفورْيوس الخاصَّة. هذا الترتيب النسقي، والذي أدخله إصطناعياً أفلوطين ضمن نظام يقسمها حسب التدرُّج الفلسفيِّ الذي يُميِّز ثلاث مراحل في الارتقاء الروحيِّ. الأخلاق أو الأخلاقيَّات وُضعت في البداية للتأكيد على التَّطهُّر الجذريِّ للنفس في عمليَّة الارتقاء. الطبيعيات تأتي فيما بعد لتتوجَّ التَّطهُّر الذي يطال المحسوسات. وبعد ذلك تأتي الميتافيزيقا الألوزيَّة التي تتيح للنفس المطهَّرة كلَّ التجليات الالهية الفاتقة. هذا التقسيم للفلسفة اتَّبعه «بلوتارك»، و«ثيون السميري»، و«كليمانس الاسكندريِّ»، و«أوريجين»، وقد لعب هذا العلم دوراً مؤثراً في التَّصوِّف المسيحيِّ.

هذا التنظيم الذي أدخله فرفورْيوس إنّما هو تعسفيٌّ، ذلك أنّ أفلوطين كان يُعالج كلَّ الموضوعات بعضها مع بعض من الأخلاقيَّات والطبيعيات إلى الميتافيزيقا، ولا يتَّبع بذلك التنظيمات المدرسيَّة. إنّها كتابات ظرفيَّة تتناسب مع الموضوعات المطروحة والمناسبة، كما يقول فرفورْيوس ذاته. ولحسن الحظِّ فإنَّ فرفورْيوس حَفِظَ، في حياة أفلوطين، لائحةٌ تتَّبع التدرُّج التاريخيِّ لمقالات المؤلِّف وتعطينا فكرةً مناسبة عنها، بحيث نستطيع عبر هذا التدرُّج أن نقارنه مع التدرُّج التعسفيِّ الذي قام به فرفورْيوس.

٤ I ٤٦	٨ VI ٣٩	٨ III ٣٠	٤ VI ٢٢	٢ V ١١	٦ I ١
٢ III ٤٧	١ II ٤	٨ V ٣١	٥ VI ٢٣	٤ II ١٢	٧ IV ٢
٣ III ٤٨	٦ IV ٤١	٥ V ٣٢	٦ V ٢٤	٩ III ١٣	١ III ٣
٣ V ٤٩	١ VI ٤٢	٩ II ٣٣	٥ II ٢٥	٢ II ١٤	٢ IV ٤
٥ III ٥	٢ VI ٣٤	٦ VI ٣٤	٦ III ٢٦	٤ III ١٥	٩ V ٥
٨ I ٥١	٣ VI ٤٤	٨ II ٣٥	٣ IV ٢٧	٩ I ١٦	٨ IV ٦
٣ II ٥٢	٧ III ٤٥	٥ I ٣٦	٤ IV ٢٨	٦ II ١٧	٤ V ٧
١ I ٥٣		٧ II ٣٧	٥ IV ٢٩	٨ V ١٨	٩ IV ٨
٧ I ٥٤		٧ VI ٣٨		٢ I ١٩	٩ VI ٩
				٣ I ٢٠	١ V ١٠
				١ IV ٢١	

عندما نقرأ مقالات أفلوطين بهذا الترتيب لا نفع على تطوّر في تفكيره الفلسفيّ، بل نجد أنّه بقي أميئاً مع ذاته حتّى في تعبيره عن ذاته. ولكنّا نرى أيضاً بوضوح مختلف الموضوعات التي شغلته في مختلف مراحل حياته، وكيف أنّ مجموعة المقالات تستجيب لموضوع مُحدّد ودقيق. وسنعرض للقرّاء عدداً من هذه المجموعة.

- المرحلة الأولى من النشاط الأدبيّ لأفلوطين (مقالة ١ - ٢١)

١- نجد مجموعة أبحاث تتناول النفس، وخلودها، وماهيتها، وحضورها في الجسد. هذه الأبحاث تنابع من مقالة إلى أخرى، وهي تُناقش بعض نصوص أفلاطون وتُستعيد الحجج الكلاسيكيّة للأفلاطونيّة الرافضة لمادّيّة الرواقيّين. وهذا ما يظهر في المقالات: ٢ (IV ٧)، ٤ (IV ٢)، ٦ (IV ٨)، ٨ (IV ٩)، ١٤ (II ٢). وفي الحركة الدائريّة التي تُعالج الحركة التفسّية ٢١ (IV ١).

٢- بعض الموضوعات التي طرحتها نظريّة المثل عند أفلاطون ونظريّة العقل عند أرسطو نجدها في ٥ (V ٩) و ١٨ (IV ٧).

٣- بعد هذه المرحلة أخذ أفلوطين يتفحص مُطوّلاً مسائل ما وراء الفكر أي تلك المتعلقة بالواحد وبمسألة الصعود (يجب الذهاب إلى ما وراء الفعل الإلهيّ الأرسطيّ) ولمسألة الإنحراف (كيف ينحدر ما هو بعد الأوّل من الأوّل): ٧ (V ٤)، ٩ (VI ٩)، ١٠ (VI ١١)، ١١ (V ٢).

٤- مقالة مهمّة تتناول المادّة ولكنها معزولة في هذه المرحلة ١٢ (II ٤).

٥- بعض المقالات التي تتناول مسألة التطهّر بالفضيلة ومكانة الحكم في ترتيب الكائنات: هل هو إله، هل هو جِنّ. هذه المقالات هي ١ (I ٦) و ١٥ (III ٤) و ١٦ (I ٩) و ١٩ (I ٢) و ٢٠ (I ٣).

٦- يبقى أخيراً بعض الكتابات والتي يصعب غالباً أن نقول أنّها لا تُشكّل جزءاً من مجموعة أكبر: ٣ (III ١) أصليّة ١٣ (III ٤). مجموعة ملاحظات ١٧ (II ٦).

- المرحلة الثّانية من النشاط الأدبيّ لأفلوطين (مقالات ٢٢ - ٤٥).

١- مسألة حضور الروحانيّ في المحسوس: مقالات ٢٢ - ٢٣ (VI ٤ - ٥).

٢- مسائل تتعلّق بالنفس: مقالات ٢٧ - ٢٩ (IV ٣ - ٥) حيث تُضيف أيضاً ٢٦ (III ٦) و ٤١ (IV ٦) وهي تتعلّق بمسألة سلوكيّة النفس.

٣- مناقشة الأغنسطيّة. ومجموعة هذه المقالات تؤلّف كتاباً واحداً ضدّ الأغنسطيّة

مخصصة لإظهار أنّ العالم الجسّي ليس هو المراد، والمعقول مناجي، ولكنه هو أثر للعالم الروحي والذي يحتوي بذاته سبب كونه: ٣٠ (III ٨) و ٣١ (V ٨) و ٣٢ (V ٥) و ٣٣ (II ٩).

٤- قد تكون أيضاً المقالات ٣٨، ٣٩ (VI ٧ و VI ٨) تنتمي إلى المجموعة التي هي ضد الأغسطية. هذه المقالات تتناول معلومة العالم الروحي الذي يكمن في ذاته سبب كونه، ويُركّز على فكرة الخير والحرية المطلقة.

٥- إنّ التفكير بهندسة العالم الروحاني وخصائصه ترتدّ إلى المقالات التالية: ٣٤ (VI ٦) - ٤٢ - ٤٤ (VI ١ - ٢ - ٣)، ٤٥ (III ٧) وهي تدرس العدد الروحاني والأجناس الأولى والخلود.

٦- يبقى بعض المقالات القصيرة. وهي كما في المرحلة الأولى مقتطفات مُنتقاة تُعسّفيًا وتُردّ إلى المقالات: ٢٥ (II ٥)، ٣٥ (II ٨)، ٣٦ (II ٥) و ٤٠ (II ١).

- المرحلة الثالثة من النشاط الأدبي لأفلوطين (٤٦ - ٥٤).

١- يهتم أفلوطين هنا بالمسألة المتعلقة بأصل الشرّ. ما هي علّة الشرور، هل يُمكن أن ننسبها إلى العناية أو إلى النفس أو الكواكب أو المادّة. المقالات: ٤٧ - ٤٨ (III ٢ - ٣)، ٥١ (I ٨)، ٥٢ (II ٣).

٢- وتربط مسألة الشرّ مع مسألة السعادة. كيف نتحمّل الألم ونبقى سعداء. الحكيم سعيد لأنّه يعرف كيف يميّز بين نفسه في صفاتها الروحي، وبين مُركّب النفس والجسد حيث الشعور بالألم: ٤٦ (I ٤)، ٥٣ (I ١)، ٥٤ (I ٧).

٣- مقالة معزولة ومُكرّسة لثلاثيّة الأصول الإلهيّة، وهي تندرج ضمن المقالات ٧ - ٩ - ١٠ - ١١ - ٣٨. إنّها المقالة ٤٩ (٣٧).

٤- وأخيراً المقالة ٥٠ (III ٥٠) والتي تتناول شرحاً لأمثولة بوروس وبانيا من وليمة أفلاطون. وهي تُؤلف ظاهرة معزولة من مجموعة مؤلّفات أفلوطين.

- القراءات التي يمكن مطالعتها حول أفلوطين.

١- فيما يختصّ بالفرنسيّة تبقى كتابات إميل برهيه هي الأسهل. كلّ مقالة يتقدّمها ملخص صغير يُورد فيها التّصميم ويضعه في سياق تاريخه الفلسفي. المقدّمة العامّة (م ١ - ص ١ - ٣٩) وهي تتناول الأسلوب الأدبي والانشائي. لكنّ النّص اليوناني والترجمة يترّكان أشياء كثيرة ويُطلّب منهما أكثر. أما الأمر المُزعج فهو أنّ المقالات عُرِضَتْ ضمن نظام وترتيب تُعسّفي من قِبَل فرفوروس.

٢- يَسْتَطِيعُ الْهَلَنْسْتِيُونُ أَنْ يَعُودُوا إِلَى الطَّبْعَةِ الْكَبِيرَةِ وَالْأَسَاسِيَّةِ (I) وَالَّتِي أُنْجِزَتْ الْآنَ (الآثَارُ الْأَفْلُوطِينِيَّةُ - طَبْعَةُ ب - هِنْرِي . وَه - ر - شَفِيْتِزِر - ٣ مجلدات - بَارِيْس - بَرُوكْسِل ١٩٥١ - ١٩٧٣ : Plotini opera) وَلِأَسْبَابٍ فِيلُولُوجِيَّةٍ ، تَعْرُضُ لَنَا هَذِهِ الطَّبْعَةُ الْكِتَابَاتِ ضَمِنْ تَرْتِيبِ نِظَامِيٍّ لِتَأْسُوعَاتِ الْفِرْفُورْسِيُونِ . ثُمَّ إِنَّ الْمُجْلَدَ الثَّانِيَّ يَحْتَوِي عَلَى التَّرْجُمَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ لِأَفْلُوطِينِ الْعَرَبِيِّ أَيْ لِأَنُتُولُوجِيَا أَرِسْطُو الَّتِي تَحْتَوِي كَثِيرًا مِنْ الْاسْتِشْهَادَاتِ وَالْمَقَاطِعِ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ أَفْلُوطِينِ . فِي الْمَجْلَدِ الثَّلَاثِ ، نَقَعَ عَلَى مُلَاحَظَاتٍ مِنْ ص ٣٣٢ إِلَى ٤٠١ حَوْلِ الْحَالَةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْهَا مُؤَلَّفَاتُ أَفْلُوطِينِ . وَظَهَرَ ، فِي السَّنَوَاتِ الْآخِرَةِ ، فَهْرَسْتُ يُونَانِيٍّ عَامٍّ كَمَجْلَدٍ رَابِعٍ .

٣- هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنْ أَدَوَاتِ الْعَمَلِ الدَّقِيقَةِ مَوْضُوعَةٌ بِتَصَرُّفٍ قُرَاءَ أَفْلُوطِينِ . [٢] - كِتَابَاتُ أَفْلُوطِينِ لِ: ر - هِرُور ، ر - بِيْتْلَر ، ف - تِيلَر ، هِمْبُورْغ ، مِيْتِز ، ١٩٥٦ - ١٩٧٧ . هَذِهِ الطَّبْعَةُ (٦ مجلدات حَيْثُ الْخَمْسُ الْأَوَّلُ ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مُقَسَّمَةٌ إِلَى مِلْزَمَاتٍ) . التَّصَنُّ الْيُونَانِيُّ جَيِّدٌ وَالتَّرْجُمَةُ الْأَلْمَانِيَّةُ مِمْتَازَةٌ : Plotinschriften .

إِنَّ مُؤَلَّفَاتِ أَفْلُوطِينِ عُرِضَتْ ضَمِنْ تَرْتِيبٍ تَارِيخِيٍّ . مِلْزَمَةُ (٧ ٢) الْوَارِدَةُ عِنْدَ ر - هَارْدِرِ فِيهَا نَصٌّ وَتَرْجُمَةُ حَيَاةِ أَفْلُوطِينِ لِفِرْفُورِيُوسِ . الْمَجْلَدُ VI يَحْتَوِي عَلَى جَدَاوِلٍ عَدِيدَةٍ ص ١٠٣ - ١٧٥ وَعَلَى نَظَرَةٍ إِلَى فِلْسَفَةِ أَفْلُوطِينِ .

أَمَّا مُؤَلَّفُ ف - تِيلَرِ مَعَ مَقَالَةٍ ه - ر - شَفِيْتِزِرِ فَكَانَ مِنْ كُلِّ التَّقْدِيمَاتِ لِلْفِكْرِ الْأَفْلُوطِينِيِّ هُوَ الْأَصَحُّ وَالْأَكْمَلُ وَالْأَعْمَقُ . لِذَا لَا يُمْكِنُ تَجَاهُلُهُ فِي دِرَاسَتِنَا لِأَفْلُوطِينِ .

[٣] - أَمَّا النِّصُّ الْإِنْكِلِيزِيُّ عَنْ أَفْلُوطِينِ لِأ - ه - أَرْمُسْتِرُونْغ ، لُوبِ كِلَاسِيكَالِ لِيْبِرَارِي رَقْم ٤٤٠ - ٤٤٢ - لَنْدُنْ ، هَابْنَمَانْ ، ١٩٦٦ - ١٩٦٧ ، ظَهَرَ فَقَطْ مِنْهُ الْمَجْلَدَاتُ I - III ضَمِنْ الطَّبْعَةِ الْمُرْتَبَةِ فِي تَنْظِيمِ مُنْسَقٍ وَهِيَ ذَاتُ أَهْمِيَّةٍ بِالْغَةِ : Plotinus .

[٤] - أَمَّا فِي التَّرْجُمَةِ الْإِيطَالِيَّةِ وَهِيَ مِنْ شَرْحٍ وَنَقْدٍ ف - جِيلِينُو مَعَ مَصَادِرِ ب - مَارِيَانْ ، هُنَاكَ ٣ مجلدات ، بَارْلِي ، لَاتِرْزَا ١٩٤٧ - ١٩٤٩ . هَذَا الْمُوَلَّفُ هُوَ نَافِعُ الْيَوْمِ . فَالْمُوَلَّفُ وَاصِلٌ كِتَابَاتِهِ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْمَقَالَاتِ وَالطَّبْعَاتِ الْمُجْزَأَةِ ، فَجَاءَ بِأَشْيَاءَ جَدِيدَةٍ تَتَنَاوَلُ دِرَاسَةَ أَفْلُوطِينِ : Plotino Enneadi .

[٥] - Plotino, Paideia antignostica. Ricostruzione d'un unico scritto da

Enneadi III 8, V 8, V 5 II q.

مَقْدَمَةٌ ، نَصٌّ يُونَانِيٌّ مَعَ شَرْحٍ مِنْ قِبَلِ ف - جِيلِنْتُو فِرْنَزْ ، وَف - لُومَانِيَه ١٩٧١ . [٦] - Plotin aber Ewigkeit und Zeit (Ennead III 7) أَفْلُوطِينِ ، حَوْلَ الْآبَدِيَّةِ وَالزَّمَنِ . التَّأْسُوعَاتُ (V III) . التَّرْجُمَةُ الْأَلْمَانِيَّةُ فِي نَصِّ هِنْرِي شَفِيْتِزِرِ مَعَ تَقْدِيمٍ وَتَفْسِيرٍ مِنْ ف

- بيرفلتس، فرنكفورت في ألمين، كلوستشرمان، ١٩٦٧. هذه الدراسة عن مقالة أفلوطين المخصصة لمسألة الأبدية والزمن هي مهمة بقدر ما كان صاحبها مهتمًا بدراسة الفلسفة الأفلاطونية الحديثة. (بروكلوس - فرنكفورت ١٩٦٦)، وتحليله مدى تأثير هذه الفلسفة في الفكر الحديث.

ماذا نقرأ عن أفلوطين؟

يجد القارئ مصادر كاملة حتى عام ١٩٤٩ في الكتاب رقم IV المذكور في المقطع السابق. وبعض المصادر المتفرقة مذكورة في المقطع السابق أيضًا تحت رقم [١]، [٣]، [٦]، [١٢]، [١٣]، [١٦].

١ - فلسفة أفلوطين

هذه القائمة تَصُحُّ أمام القارئ الكتب التي ظهر لنا أنها أفضل دليل لتوجيه قراءة أولية لأفلوطين. ومن جهة ثانية هناك الأعمال التي نُعطينا توجيهًا أوليًا أو نظرة عامة لفلسفته.

H. Ch. Puech, Position spirituelle et signification de Plotin, - [٧]

dans Bulletin de l'association Guillaume Budé, oct. 1938.

M. de Gandillac, La sagesse de Plotin, Paris 2e éd., 1966. - [٨]

E. Bréhier, la philosophie de Plotin, Paris 1928. - [٩]

H.R. Schwyzer, Plotinos dans Paulys Realencyclopädie der - [١٠]

Klassischen Altertumswissenschaft T. XXI, 1951.

A.H. Armstrong, Plotinus in the Cambridge History of Later - [١١]

Greek and Early Medieval philosophy, Cambridge. 1967. P. 195 - 271.

J.M. Rist, Plotinus. The Road to Reality, Cambridge. 1967. - [١٢]

H-J. Blumenthal, Plotinus Psychology, la Haye 1971. - [١٣]

٢- أفلوطين في التاريخ

Les sources de Plotin, dix exposés et discussions, Vandœuvres - - [١٤]

Genève, fondation Hardt 1960.

Le néoplatonisme: Colloques internationaux du Centre national - [١٥]

de la recherche scientifique, Royaumont 1969, Paris, Edition du C.N.R.S.

1971.

Etudes néoplatoniciennes, six exposés. Editions de la Baconnière, - [١٦]

2017, Boudry, Suisse 1973.

F. Koch. Goethe und Plotin, Leipzig. 1925. – [١٧]

R.M. Mossé - Bastide, Bergson et Plotin, Paris 1959. – [١٨]

G. Huber, Das Sein und das Absolute, Bâle 1955. – [١٩]

P.Hadot, Heidegger et Plotin, dans critique No.145 Juin 1959, – [٢٠]
p.539-556.

P. Hadot, l'apport du néoplatonisme à la philosophie de la – [٢١]
nature en occident, dans Eranos-jahrbuch T.37, 1968. p. 91 - 132.

Plotin, Numéro Spécial de la revue internationale de philosophie, – [٢٢]
T.24, 1970.

H-J Kramer, Der Ursprung der Geistmetaphysik. – [٢٣]

Untersuchungen zur Geschichte des platonismus, Zwischen Platon und
Plotin, Amsterdam, Grüner 1ère éd. 1964, 2ème éd. 1967.

K. Gaiser, Platons ungeschriebene Lehre, Stuttgart 1963. – [٢٤]

R. Ferwerda, la signification des images et des métaphores – [٢٥]
dans la pensée de Plotin, Groningen 1965.

كتاب فرفوروس

في حياة أفلوطين وتصنيف مؤلفاته

١ كان أفلوطين، الفيلسوف الذي أدركناه حياً^(١)، كمُستحي من كونه في جسد. وتلك حالة نفسية كانت تحمله على ألا يذكر شيئاً عن أسلافه أو أبويه أو وطنه^(٢). بل وتجعله لا يطبق صبراً على رَسام يُصوّره أو نَحَات يُمثله^(٣) / حتى إنه، لما استأذنه أمليوس^(٤) وألَحَّ عليه في رَسَم صورة له ردّه قائلاً: «أليس بكافٍ أن نحمل هذه الصورة التي خلَعَتْها علينا

(١) لقد وُضِع فرفوروس، تلميذ أفلوطين وناشر مذهب، كتابه في حياة أستاذه، بعد سنة ٢٩٨م، وهو على الأقل في سنة الثامنة والسّتين، و٢٨ سنة بعد وفاة أفلوطين (راجع القصص هنا ١٢ - ١٣). فعاش فرفوروس مع أفلوطين ٥ سنوات، منذ السنة ٢٦٣م التي فيها كان قد أدرك أفلوطين سنة الثامنة والخمسين. ولذلك ترجمنا هنا بالعبار «الذي أدركناه حياً» الجملة اليونانية التي ترجمها بعضهم بالقول «الذي عاش في أيامنا» أو «الذي عاصرناه»؛ ومن البين أن هاتين التّرجمتين لا تفيان الغرض المقصود. ونُضيف أيضاً أن فرفوروس يستعمل هنا صيغة المُتكلم الجمع الذي تسميه اليوم «جمع المؤلّف» (pluriel d'auteur). ففيما يتعلّق بفترة حياة أفلوطين السابقة لقنومه روما (٢٤٥م) نرى أن فرفوروس عاد إلى معلومات أخذها مُباشرة عن أستاذه. أما فيما يتعلق بفترة ما بين ٢٤٥ و ٢٦٣ فقد أكمل فرفوروس معلوماته عنها بروايات أخذها عن أقدم تلاميذ أفلوطين ولا سيّما أمليوس.

(٢) السّلف والأبوان والوطن، تلك هي الأصول الثلاثة التي درج المؤرّخون القدماء على أن يردّوا إليها مراحل حياة الرّجل الذي يُترجمون له. ولم يستطع فرفوروس أن يستفيد من هذا التّقليد لامتناع أفلوطين عن ذكر شيء من تلك الأصول. فكان فرفوروس يلمس من هذا الامتناع الذي يُصرّح به علناً عن القصص الذي طرأ على ترجمته من هذا القليل. على أنّا نعرف من معجم schwyzzer أن أفلوطين وُلد في بلدة ليكوبوليس (Lykopolis) من أعمال مصر يومذاك. لكنّ هذا المصدر البيزنطيّ الأصل ظهر في القرن العاشر الميلادي، فكان مُتأخراً. ولذلك كان بعيداً للشكّ عند بعض الاختصاصيين. راجع في هذا الصدد RE, Plotinus, Schwyzer ص ٤٧٦، س ٣٩؛ والرّأي المُخالف عند Plotin et l'occident H. Schwyzer، ص ٢٤٥ تا.

(٣) لم يكن أفلوطين الرّجل الوحيد بين القُدّامى، الذي رَفَض أن تُرسم له صورة أو يُنحت له تمثال، فلقد ورد عن أحد ملوك سبّرّتا، أجزيلاوس، شيء من هذا القليل. ولربّما كان لهذا الرّفُض من قبل الملك احتقاراً لطلب الشهورة أو للفتان. أمّا عند أفلوطين فهو احتقاراً لأفلاطونيّ للجسد وزُهد في الصّناعات الفنّية. راجع القصص هنا IV ٣، ١٠، ١٥ تا.

(٤) أمليوس، أحد تلامذة أفلوطين، كما يظهر في ما يلي.

الطَّيِّعَة، حتَّى نزيد على ذلك رضانا بأن نُخَلِّفَ عنها صورة أخرى لها تَبَقَّى بعدها، كَأَنَّهَا مِنْ
 ١٠ الْأَثَارِ الَّتِي تَسْتَحِقُّ الْمُشَاهَدَةَ؟^(٥) / فَأَبَى وَرَفَضَ أَنْ يَجْلِسَ لِلْأَمْرِ. فَأَدْخَلَ أَمَلْيُوسَ صَاحِبًا لَهُ،
 كَانَ خَيْرَ رَسَامِي زَمَانِهِ، يُدْعَى كَرْتِزْيُوسَ إِلَى حَيْثُ كَانَ أَفْلُوطِينُ يُلْقِي مُحَاضَرَاتِهِ، إِذْ كَانَ
 الْحُضُورُ مُبَاحًا لِمَنْ يَشَاءُ. فَعَوَّدَهُ بِذَلِكَ أَنْ يَرْكُزَ انْتِبَاهَهُ عَلَى الرَّجُلِ بِإِمْعَانٍ، فَيَتَمَثَّلَهُ فِي
 ١٥ مُخَيَّلَتِهِ بِوَسَاطَةِ الْمُشَاهَدَةِ وَحْدَهَا أَشَدَّ مَا يَكُونُ دِقَّةً وَوُضُوحًا. ثُمَّ رَسَمَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسْمًا
 مُطَابِقًا لِمَا انْطَبَعَ فِي ذَاكِرَتِهِ، وَأَخَذَ أَمَلْيُوسَ يُصْلِحُ ذَلِكَ الرَّسْمَ حَتَّى يَزْدَادَ قُرْبًا مِنَ الْأَصْلِ.
 وَهَكَذَا جَادَتْ عَلَيْنَا قَرِيحَةُ كَرْتِزْيُوسَ بِصُورَةِ شَدِيدَةِ الشُّبْهِ بِأَفْلُوطِينِ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ هَذَا الْفَيْلَسُوفُ
 مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا.

٢ كان يَشْكُو أَلَمًا فِي مَعِدَتِهِ، فَمَا يُطِيقُ حَقِيقَةَ شَرَجِيَّةٍ إِذْ إِنَّ مِثْلَ هَذَا الدَّوَاءِ، فِيمَا كَانَ يَقُولُ،
 لَا يُلِيقُ بِرَجُلٍ طَعَنَ فِي السِّنِّ. كَمَا أَنَّهُ كَانَ يَرْفُضُ أَنْ يُعَالِجَ نَفْسَهُ بِالتَّرْيَاقِ، مَا دَامَ، كَانَ يَقُولُ،
 ٥ لَا يَتَنَاوَلُ شَيْئًا قَطُّ حَتَّى مِنْ لُحُومِ الْحَيَوَانَاتِ الدَّاجِنَةِ. كَانَ يَقَاطِعُ الْحَمَّامَاتِ الْعَامَّةَ^(٦)، فَيُؤَثِّرُ
 التَّنْذِيلُكَ يَوْمِيًّا فِي مَنْزِلِهِ. فَلَمَّا انْتَشَرَ الطَّاعُونَ وَتَفَاقَمَ وَمَاتَ بِهِ دَالِكُوهُ، أَهْمَلَ ذَلِكَ الْعِلاجَ،
 فَأَدَّى هَذَا الإِهْمَالُ شَيْئًا فَنِيئًا إِلَى إِصَابَتِهِ بِذُبَابٍ شَدِيدٍ. وَلَمْ يَظْهَرْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مَا دُمْتُ أَنَا
 ١٠ حَاضِرًا، يَبْدُو أَنَّ الدَّاءَ اشْتَدَّ بِهِ بَعْدَ غِيَابِي، حَتَّى فَقَدَ صَوْنَتَهُ صَفَاءَهُ وَجَرَسَهُ وَأَخَذَتْهُ الْبُهَّةُ، ثُمَّ شَحَّ
 بَصَرُهُ وَانْتَشَرَتِ الْفُرُوحُ فِي يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. هَذَا مَا أَخْبَرَنِيهِ، عِنْدَ رُجُوعِي، صَاحِبِيهِ أَسْتَكْيُوسُ^(٧)

(٥) «الصُّورَةُ الَّتِي خَلَعْتُهَا عَلَيْنَا الطَّيِّعَةُ» هِيَ الْجَسَدُ الَّذِي هُوَ لِيَّاسُ الثَّقْسُ، وَهُوَ تَشْبِيهِ كَثِيرًا مَا يَرِدُ فِي
 الثَّقُوفِ الْأَفْلَاطُونِيِّ. رَاجِعْ فِيلُونُ، مَسَائِلُ فِي سِفْرِ التَّكْوِينِ، I، ٥٣.

(٦) «الْحَمَّامَاتُ الْعَامَّةُ». تَبْدُو هَذِهِ التَّرْجُمَةُ لِلْمُقَابِلِ الْيُونَانِيِّ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَتْ عَلَيْهِ تَرْجُمَةُ بَرَهِييه
 (Bréhier). فَإِنَّ اللَّفْظَةَ الْيُونَانِيَّةَ كَثِيرًا مَا تَدَلَّى عَلَى «الْحَمَّامِ الْعُمُومِيِّ»، فِي مُقَابِلِ «الْحَمَّامِ فِي الْبَيْتِ»
 كَمَا وَرَدَ فِي الثَّقْسِ؛ إِذْ أَنَّ التَّنْذِيلُكَ يُرْفَقُ دَائِمًا بِحَمَّامٍ.

(٧) كَانَ اسْتَكْيُوسُ (Eustachios) هَذَا، مِنْ بَيْنِ الْمَخْتَلِفِينَ إِلَى حَلْفَةِ أَفْلُوطِينِ، التَّلْمِيزُ الَّذِي لَقَاهُ
 فُورْفُورْيُوسُ (Porphyrios) بَعْدَ مَوْتِ شَيْخِهَا. وَلَرَبَّمَا بَالِغُ الْمُؤَلَّفِ عَمْدًا فِي ذِكْرِ إِخْلَاصِ الرَّجُلِ
 لِلْأَسْتَاذِ بِأَنَّهُ «لَا زَمَ» هَذَا الْآخِرِ حَتَّى مَوْتِهِ (قَارِنْ مَعَ ٢، ٣٤). عَلَى حَسْبِ أَنَا نَجِدُ، بَعْدَ قَلِيلٍ (هَنَا ٢٤)،
 أَنَّ اسْتَكْيُوسَ كَانَ فِي مَكَانٍ يَبْعُدُ عَلَى الْأَقْلَ مَسَافَةً يَوْمٍ عَنِ الَّذِي كَانَ أَفْلُوطِينُ يُنَازِعُ فِيهِ، وَلَمْ
 يَحْضُرْ إِلَّا سَاعَاتٍ قَبْلَ مَوْتِ هَذَا الْآخِرِ. وَابْنًا كَانَ هُوَ الْحَالِ، فَإِنَّ الثَّقْسَ هَنَا لَا يُتَبَّحُ لَنَا أَنْ نَتَصَوَّرَ
 بوضوح سِبَاقِ الْحَوَادِثِ وَتَرَاطِبِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ. كَمَا إِنَّهُ لَا يَمْدُنَا بِالتَّفَاصِيلِ اللَّازِمَةِ الَّتِي تَمَكِّنُنَا مِنْ أَنْ
 نَتَشَخَّصَ بِوَضُوحِ الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ بِهِ أَفْلُوطِينُ، وَهُوَ أَمْرٌ مَا يَزَالُ الْبَاحِثُونَ مُخْتَلِفِينَ حَوْلَهُ. رَاجِعْ فِي
 الْمَوْضُوعِ RE, Schwyzer، أَفْلُوطِينُ ٤٧٤، ٦٥٦. فَقَدْ ذَهَبَ أوبرمان oppermans إِلَى أَنَّ ذَلِكَ
 الْمَرَضَ كَانَ الْبَرَصَ، فِي حِينِ أَنَّ جِيلِيه (Gillet) Plotin au point de vue médical et psychologique
 بَارِيسَ ١٩٣٤، ٢٤٤) يَرَى أَنَّهُ «السَّلُّ». لَكِنْ الظَّاهِرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَرَضًا ذَا عُدُوٍّ. وَلَا يَمُودُ ابْتِعَادُ
 تَلَامِيذِ أَفْلَاطِينِ عَنْهُ إِلَى الْخَوْفِ مِنْهَا، بَلْ إِلَى شَيْءٍ مِنَ التَّقَرُّزِ وَالِاشْتِمَازِ لِأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ قَدْ تَعَوَّدَ عَلَى =

١٥ الذي لازمه حتى موته/. فَأَخَذَ أَصْحَابُهُ يَتَجَبَّبُونَ الْإِلْتِقَاءَ بِهِ لِأَنَّهُ دَرَجَ - كُلَّمَا لَقِيَ أَحَدَهُمْ - عَلَى أَنْ يُحْيِيَهُ بِقُبْلَةِ فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَانْطَلَقَ إِلَى «كَمْبَانِيَا»^(٨) وَأَقَامَ فِي أَمْلَاكِ صَدِيقِهِ الْقَدِيمِ زَيْثُوسَ، الَّذِي كَانَ قَدْ تَوَفَّى. وَكَانَ يَكْفِي نَفْسَهُ مَوْنَةُ الْحَيَاةِ مِنْ أَرْزَاقِ زَيْثُوسَ هَذَا وَمِنْ أَرْزَاقِ

٢٠ كَيْسْتَرِيكْيُوسَ فِي مِيثُورْزَا/ ^(٩). وَعِنْدَ ذُنُو أَجَلِهِ كَانَ أَسْتَكْيُوسُ مُقِيمًا فِي بَيْتُولَ ^(١٠) فَأَبْطَأَ فِي قُدُومِهِ إِلَيْهِ، كَمَا أَخْبَرَنَا كَيْسْتَرِيكْيُوسُ هُوَ نَفْسُهُ. فَقَالَ لَهُ أَفْلُوطِينَ: «لَا أَزَالُ أَنْتَظِرُكَ». ثُمَّ

٢٥ أَرْدَفَ/: «أَحَاوِلْ أَنْ أُرْدَ مَا هُوَ إِلَهِي فِينَا إِلَى مَا هُوَ إِلَهِي فِي الْوُجُودِ»^(١١). وَكَانَتْ أَفْعَى تَمُرُّ

= أن «يُقْبَل» على الخَدَّ أصحابه ممَّا رآهم (انظر هنا، ١٦، ٢٤ - ١٧).

وهي عادة كانت مألوفة عند الرُّومان وجارية بخاصة بين الأستاذ وتلاميذه، تشير إلى اعتراف هؤلاء بواجب إكرامهم لشيخهم. (راجع R. E. W. kahl، V Supplément، (١٩٣١)، ص ٥١١، ٥١٤، س ٣١)

(٨) «المدينة» أي روما و«كَمْبَانِيَا» منطقة ريفية ساحلية تقع في جنوبي روما، كان يطيب لأشراف روما أن يبنوا فيها دورهم الأنيقة الريفية لقضاء أوقات الاستراحة والاسترخاء، ولا سيما في الصيف، ويزرعون فيها كل أنواع الكروم والخضار.

(٩) أما عن زئوس فتجد معلومات ترد فيما بعد (٧: ١٧). أما منثرنا (Minthurus) فقد ورد ذكرها في أصح المخطوطات اليونانية باسم «منورنه» لكن الاسم اللاتيني هو «منثرنا». وقد عثروا فيها على أثر نقش عليه اسم «زئوس» (راجع، هنري، Studi classicie orientali (Pisa) Orientali، ٢، ١٩٥٣، ص ١١٣، حاشية ١). ساحلية تقع على مصب نهر الليريس، وفيها أول علم ميلتي لطريق كانت تنطلق منها. لهذا ويرى فرفوربوس أن بعض الرُّزْق كان يصل أفلوطين من منثرنا، أرض كستريكيوس. أما كان يكفي الفيلسوف ما يريده من أرض زئوس الذي كان قد اعتاد، قبل موته، أن ينزله عنده ضيفا في أيام الصيف؟ (٧: ٢٧). وقد أهداه كتابه في «التغذية النباتية»، ولربما كان يزال يومئذ على قيد الحياة. فلا مناص من أن يذكره فرفوربوس لدى كل وارد خير. على أن المرجح هو أن كستريكيوس لهذا كان يكتفي بإعطاء الأوامر بأن تحمل المواد إلى أفلوطين أو بأن يجعل تحت تصرفه بعض الخدم، إذ الظاهر أنه، مثل غيره من المقربين إلى أفلوطين، لم يعد قط يومئذ الفيلسوف المنازع في بيت زئوس.

(١٠) بيتول، كانت أرض تبعد سبعة أميال عن ميثورنا (٧: ٢٣)، فتقع بيتول، حيث كان أستكيوس يقيم، على مسافة يوم سفر تقريبا على تلك الأرض.

(١١) لقد قام حول صياغة قول أفلوطين هنا وتأويلها جدل طويل بين الباحثين لا نرى نفعا من إيراده بتفاصيله. فحسبنا أن نذكر من ذلك الجدل كله أنه يدور حول ما إن كان القول «أحاول أن أرد ما هو إلهي فينا إلى ما هو إلهي في الوجود»، أم كان: «تُحاول أن ترد إلهي فيكم إلى ما هو إلهي في الوجود»، على أن تؤول الصيغة الثانية بأنها كلام لا يقوله أفلوطين بل أستكيوس. وإياها كان الأمر فإن التصق في نشراته العلمية كلها، بما فيها نشره هنري، ترد فيه الصياغة الأولى دائما. فيكون قصد أفلوطين من استخدامه صيغة الجمع «فينا» الإشارة إلى الفلاسفة إجمالا، وهو منهم. فيخرج منه الأمر الرباني، أي النفس، بصورة أفعى «تنساب في ثقب من الجدار». هكذا، على الأقل، يتصور الواقع صاحب الفيلسوف أستكيوس، متأثرا في ذلك بأصوله الثقافية الإسكندرانية بنوع خاص. على أن هذا التصور كان واسع الانتشار في أيام الرجل، بل كاد أن يصبح أصلا من أصول الاعتقادات الشعبية آنئذ. فلا حاجة إلى إثباته وتعليقه. راجع في ذلك كله: P. Henry، studi classicie

تحت السرير الذي كان ممدوداً عليه، فتَنَسَّب في ثَقَب من الجدار. وَلَفَظَ رَوْحَهُ وَإِنْ لَهُ من
 ٣٠ العمر، على حَدِّ قَوْلِ أُسْتُكْيُوسٍ /، سِتًّا وَسِتِّينَ سَنَةً. وكان ذلك في أواخر السَّنة الثانية من مُلْك
 كُلُودِيُوس. عندما مات كُنْتُ، أنا فَرْفُورِيُوس، مقيمًا في لِيلْيُوس في «أفاميا» في سوريا،
 وكَسْتَرِيُوس في روما، فكان أُسْتُكْيُوس وَحْدَهُ حاضِرًا^(١٢). وإذا عُدْنَا في حِسابنا سِتًّا وَسِتِّينَ
 ٣٥ سَنَةً إلى الْوَرَاءِ إِنْطِلَاقًا مِنْ أواخر السَّنة الثانية من مُلْك كُلُودِيُوس /، أَلْفَيْنَا تاريخ ولادة أفلوطين
 واقِعًا في السَّنة الثالثة عَشْرَةَ مِنْ مُلْك سِيْفِيْرُوس^(١٣)، أما الشَّهر واليوم اللذان وُلِدَ فِيهِمَا فَإِنَّ
 أَحَدًا لم يَطَّلِع عليهما، إذ لَمْ يَكُنْ يُوافِق على أن تُدْبِح ذَبِيحَةً أو تولم وَلِمَةً احتِفَالًا بِتِلْكَ
 الذِّكْرَى. مع أَنَّهُ كان يُدْبِح لِأَصْحَابِهِ الذَّبَائِح ويولم لَهُم الْوَلَائِمَ لِإِحْيَاءِ لِذِكْرَى ولادة أفلاطون
 ٤٠ وَسُقْرَاط /، على ما قَضَتْ بِهِ التَّقَالِيدُ^(١٤). وكان من الْمُسْتَحْسَن حينذاك أن يَخْطُب مَنْ يَسْتَطِيع
 مِنْ أَصْحَابِهِ في المدْعُوتِينَ الحاضرين.

٣ أما ما أَخْبَرْنَا به عن نَفْسِهِ في أَثناء أحاديثنا العَدِيدَةِ فكان ما يلي: إِنَّهُ في الثَّامِنَةِ مِنْ
 عُمُرِهِ، وهي السَّنَ الَّتِي ابْتَدَأَ فِيهَا الدَّهَابُ إلى الْمَدْرَسَةِ لِيَتَعَلَّمَ الْقَوَاعِدَ، كان ما يَزَالُ يَطْلُبُ
 ٥ مُرَضِيْعَتَهُ، فَيَكْشِفُ عَنْ صَدْرِهَا لِيَرُضِعَ. إلى أن سَمِعَ يَوْمًا مَنْ قال لَهُ/ إِنَّهُ صَبِيٌّ رَدِي، فَكَفَّ

Plotin, *La dernière parole de Plotin* (Pisa),= orientali, ص ١١٣ - ١٣٠، ١٩٥٣؛ ثم Bréhier، ج ١، ص ٢، حاشية ١. وأخيرًا الحاشية الطويلة من نُشْرَةِ هردر، ١٩٥٨، ج ٢٥، المُلْحَق، ص ٨٠ - ٨٢.

(١٢) لِيلْيُوس، إحدى مُدُن جزيرة صِقْلِيَّة، واسمها اللاتيني الأصلي Lilylocuun مُستعمرة قرطاجية في الأصل، حصنها القُرطاجيون وانطلقوا منها لِمَدِّ سيطرتهم على صِقْلِيَّة كلها. انتزعها منهم الرومان في سنة ٢٤٠ ق. م. إسم المدينة الآن (Marsala). أما أفاميا، فقد أَحْسَنَ فَرْفُورِيُوس بَقْبُطَ موقعها في سوريا. كان في زَمَانِهِ مَدِينَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ بِهَذَا الْاسْمِ: إِحْدَاهُمَا في آسِيَا الصَّغْرَى إِسْمُهَا أَفَامِيَا - كِيُوتُوس، وهي اليوم Aydin في تَرْكِيَا؛ وَالْأُخْرَى هي الْمَدِينَةُ السُّورِيَّةُ الَّتِي ما تَزَالُ أَثَارُهَا في جِوَارِ حِمَاة. لِهَذَا وَنلاحظ هنا، أَنَّ فَرْفُورِيُوس يَذْكُرُ أَفْرَادَ حَلْقَةِ الْأَقْرَبِينَ إلى أفلوطين، فَرْفُورِيُوس وَاْمِلْيُوس وكَسْتَرِيُوس، وكلَّهِمْ غَائِبُونَ عِنْدَ مَوْتِهِ. أما فيما يَتَعَلَّقُ بِقِيَابِهِ هو فَرَاغُ الْعُدْرِ الَّذِي يَقْدِّمُهُ عَنْهُ فِي التَّصْنِيفِ هُنَا § ١١ : ١٥٠. ونضيف إلى ذلك كُلَّهُ أَنَّ أَحَدًا لم يَطَّلِعْنَا قَطُّ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي قُبِرَ فِيهِ أفلوطين!

(١٣) نقول إِذَا، إِنْ عُدْنَا إلى تاريخ اليوم، أَنَّ أفلوطين تَوَفَّى في السَّنة ٢٧٠ م وَوُلِدَ في سنة ٢٠٤/٢٠٥ م.
 (١٤) كان لِهَذَا الإِحْيَاءِ مَعْرُوفًا «بِالْأَفْلَاطُونِيَّاتِ». ولقد اشْتَرَكَ فَرْفُورِيُوس في مِثْلِهَا غَيْرَ مَرَّةٍ قَبْلَ اتِّصَالِهِ بِأَفْلُوطِين، إِذْ كان يَدْرُسُ بِإِشْرَافٍ لِنَجِينُوس في أثِينَا. ويروي لنا أوسيبْيُوس أسْقَفُ الْقَيْصَرِيَّةِ (ت ٣٤٠) وَصْفًا لِهَذَا الإِحْيَاءِ أَخَذَهُ عَنِ كِتَابِ لِفَرْفُورِيُوس عَنْوَانُهُ «السَّمَاعِيَّاتُ اللُّغَوِيَّةُ» (راجع Bidez، حَيَاة فَرْفُورِيُوس، ص ٣٠ - ٣١). أما الْخُطْبَةُ الَّتِي كَانَتْ تُقَالُ، في تلك الحَفَلَاتِ، فكان يَجِبُ فِيهَا أَنْ تُكْتَبَ أَوَّلًا لِتُقْرَأَ بَعْدَئِذٍ. فيما يَتَعَلَّقُ بِتَأْثِيرِ قَرَأَةِ الْقِرَاءَةِ، حَتَّى عَلَى الْأُسْلُوبِ الْكِتَابِيِّ، راجع بِرِهِيَّة، أفلوطين، التَّاسِعَات، ج ١، المَقْدَمَةُ ص ٢٦ (بِالتَّرْقِيمِ الرُّومَانِيَّ).

حياء. ولما أدرك الثامنة والعشرين انصرف إلى الفلسفة فعرفوه بمشاهيرها في الاسكندرية؛
 ١٠ ولكنه كان يخرج من حلقاتهم فاتر الهمّة كثيراً. فشكا أمره إلى أحد أصحابه وأدرك هذا/ حاجة
 نفسه، فانطلق به إلى أمثيوس وكان أفلوطين لا يعرفه. فلما دخل وسمعه قال لصاحبه: «هذا هو
 الرجل الذي كنت أطلبه». ومنذ ذلك الحين دأب يتردد على أمثيوس وأصبح عظيم الاطلاع على
 ١٥ الفلسفة، بحيث إنه/ أنشأ يختبر فلسفة الفرس وفلسفة الهنود اختباراً مباشراً^(١٥). وكان
 الامبراطور غرديانوس يهين حينذاك حملة على بلاد فارس، فتطوع أفلوطين في الجيش
 ورافقه وهو في التاسعة والثلاثين من عمره، بعد أن تابع دروس أمثيوس إحدى عشرة سنة
 ٢٠ كاملة^(١٦)، ولكن غرديانوس انهزم في بلاد ما بين النهرين. ولم يقر أفلوطين إلا بشق النفس

(١٥) كذلك كانت الحالة عند كل طالب للفلسفة في ذلك الحين: كان يطمح، بعد الاطلاع على الفلسفة
 اليونانية، إلى أن يكتشف في الشرق ما كان يتصوره قمة الفلسفة. ولذلك يصف فرفوروس هنا اتصال
 أفلوطين بامنيوس (المعروف خطأ بسكاس: راجع: Schwyzer في Plotin R E، ص ٤٧٧ - ٤٨١)
 على أنه دراسة المواد الفلسفية المألوفة سمعاً عن أستاذ ليس أكثر. لكن ذلك الاتصال هو الذي مكّن
 أفلوطين من أن «يحرز الملكة في الفلسفة». وهي عبارة يدلّ مقابلها في اليونانية على ضرب من
 الانكشاف يقع وولد انقلاب حاسم في النفس تحت تأثير حادث ما. لكن ذلك لا يعني أن أفلوطين كان
 قد قصد الاسكندرية طلباً للفلسفة: فإن هذا لم يكن الأمر المألوف يومذاك، وما كان أحد يقصد تلك
 المدينة أنتنظ لذلك الغرض، بل يتوجه إلى أثينا. فجّل ما يمكن أن يستحصل من الذي يرويه
 فرفوروس في هذا المجال هو أن أفلوطين إنما تعلم الفلسفة في الإسكندرية لا لشيء إلا لأنه كان
 مقيمًا فيها. أما في ما يتعلق بالمدارس الفلسفية في الإسكندرية فراجع Histoire de l'éducation
 dans l'Antiquité, H. I. Marrou, طبعة ٣، ١٩٥٥، ص ٢٦٢.

هذا وإن كلّ ما سبق ذكره من (§ ٣: ٢) حتى (§ ٣: ١٨) إنما يورده فرفوروس بصيغة الرواية عن
 أفلوطين إلى أن يباشر هو ذاته سرد الحوادث إنطلاقاً من (§ ٣: ١٧). على أنه كان يستند، في الكثير
 الذي يرويه حينئذ، على ما كان أوليوس قد أمده به من ذكريات. علماً بأن هذا الأخير كان ابتدأ يحضر
 حلقات أفلوطين قبل فرفوروس بزمان.

ونذكر هنا، أخيراً، بما سبق فرفوروس إلى الإشارة إليه من إمساك أفلوطين عن كل قول من شأنه أن
 يكشف شيئاً عن حياته الخاصة. وهو أمر يعود إليه المؤرخ فيصّرح به في آخر الفقرة السابقة. مما
 يدفعه إلى استهلال الفقرة الثالثة (§ ٣) التي نحن فيها بأداة الفصل القاطعة التي تقابلها الأداة «أما» في
 اللغة العربية، مثلما نراه في الترجمة هنا.

(١٦) لا يطمئن الاختصاصيون إلى السبب الذي يعطيه هنا فرفوروس والذي من أجله يُعادر أفلوطين
 الإسكندرية. بل إنهم يرونه من مجرد اختلاف المؤرخ لبيان أهمية الشرق من حيث كونه معين إلهام
 للفلسفة. فكأنه يتصور المفكرين غير جديرين بأن يكونوا فلاسفة بتمام المعنى إلا إذا تجولوا في
 الشرق بعد إنهاء تحصيل دروسهم في الفلسفة اليونانية المألوفة المكرسة. فكلّ ذلك يصف أفلوطين بعد
 قضائه إحدى عشر سنة تحت رعاية أمنيوس الفلسفية. الواقع أننا لا نستطيع أن نجزم في السبب الذي
 دفع أفلوطين إلى أن يُعادر الاسكندرية. هل فعل ذلك بعد موت أمنيوس أو في حين كان أستاذه ما
 يزال على قيد الحياة؟ بل نجد من الاختصاصيين، ومثل برهيه، من يذهب إلى أن أفلوطين التحق هكذا
 بجيش غرديانوس لأنه كان يمر يومئذ بأزمة نفسية. لكن برهيه يذكر هذه الأزمة دون أن يعللها ويردّها =

ولجأ إلى إنطاكية^(١٧). وعندما استولى فيليبس على الحكم، جاء أفلوطين إلى روما وكان له من العمر أربعون سنة^(١٨). ولما كان قد وقّع تعاقد بين هيرتيوس وأورتيبيس على ألا يكشفوا شيئاً

= إلى سنلو ما (راجع برهيه، أفلوطين، التأسوعات، ج ١، المقدمة ص ٥ - ٦ بالتقديم الروماني). وأياً كان الحال فإن فلسفة الفرس، التي كان أفلوطين يرغب في الاطلاع عليها لم تكن فقط مجرد التعليم الزردشتي وأفاهه الفكرية الدينية، كما يذهب إليه دون تامل (راجع Hermès, Dörrie, ٨٣، ١٩٥٥، ص ٤٤٢). إنما كانت، فيما يبدو، زبدة عالم ثقافتي بكامله لم يستقطب فقط اهتمام الفيشاغورتيين ومن ينزع إليهم، بل كل حكيم يوناني من أمثال ديموقريطس وأفلاطون وأودكسوس ويوزيديئوس المنفتحين على كل أمر ذي بال حتى ولو كان خارج بلادهم. ومن ثم التشوق عندهم إلى الرحلات لاكتشاف الجديد الذي من شأنه أن يغدّي نظرهم إلى الحياة وينميّه. أما الفلسفة الهندية، فلربما كان أفلوطين، وفرفوريوس من خلاله، يقرنها بالثقافة الفارسية على أساس كون الثقافتين متعديتين بأنهما غير يونانيتين. فيتصور أنه سوف يكتشف منها في بِلَاط فارس، جانباً أوفر من الذي كان من شأنه أن يأخذه من الأجانب المترددين آنثو إلى حوانيت مرفأ الاسكندرية، وهو مرفأ، كما نعرف، كان يقع على طريق البحر من روما إلى الهند. فلا حاجة هنا إلى أن نتصور غرديانوس متأسياً بالإسكندر ذي القرنين ومُصمِّمًا حملة على بلاد الهند محفوقاً بالعلماء والفلاسفة. فإن الرجل ومستشاره السياسي بخاصة، تيموثيوس (Timesthius) لم يصل من الحماقة والجهل بالسياسة العالمية إلى هذه الدرجة. والواقع أن الرومان كانوا يستهلون إشعارهم للحرب على أعدائهم بفتح هيكول جانوس. ولدينا نقوش تدلّ على أن غرديانوس أمر بفتح هذا الهيكل في سنة ٢٤٢ إشعاراً بتسيير الجيش الروماني إلى ما وراء النهرين ليجهز على الفرس. وهذا وإن نجح أفلوطين، في طلبه أن يرافق الجيش الروماني يومذاك، إنما يدلّ على أنه كان للرجل علاقات طيبة مع أفراد من مجلس الشيوخ الروماني مقرّبين إلى الامبراطور غرديانوس.

(١٧) الواقع أن غرديانوس لم يهزم أمام الفرس كما يفهم من ترجمة برهيه (ج ١، § ٣، ٢١) بل اغتاله القائد الروماني فيليبس المعروف بالعربي ليتزع الحكم منه. لا شك أن اللفظة اليونانية قابلة للمعنيين بحدّ ذاتها. لكن الوجه الذي ذهبنا إليه هو الأصحّ إن زدنا النصّ إلى قرائنه التاريخية. إلا أن فرفوريوس لم يُعن بكلّ ذلك هنا خوفاً عليه من سوء العاقبة، فيروي الوقائع دون ربط ولا تحليل قط. ولم يكن إذاً الفرار الذي لجأ إليه أفلوطين وكان مُحَدِّقاً بالأخطار، مُرتبطاً بأسباب تعود إلى السياسة الخارجية بل الداخلية وهو الخوف من نعمة فيليبس عليه وعلى حُماته من المقرّبين إلى غرديانوس. فإن هذا الأخير كان قد نجح مع معاونه تيموثيوس (Timesthius)، في حملة على الفرس. لكنّ فيليبس اغتاله وهو الذي أبرم إتفاقية الصلح مع شابور الأول ملك الفرس يومذاك. فاستطاع هذا الأخير أن يستفيد من الظروف لصالحه (راجع في هذا كله La parole del passato 2, Resgesta divi Saporis, G. Pugliese، ص ٢١١، § ٦ - ٩؛ ثم hist. Kl. phil. S. B. München W. Ensslin، ١٩٤٧، رقم ٥، ص ٩٦). لقد فرّ إذاً أفلوطين وحُماته من وجه فيليبس الذي أصبح امبراطوراً في سنة ٢٤٤م، وهذا ما يقوّي ترجيح اتصاله بأفراد ذي نفوذ من مجلس الشيوخ الروماني.

(١٨) لسنّا ندرّ ما هي الدوافع التي حملت أفلوطين على الإقامة في روما (راجع في ذلك Glaube der Vie de Porphyre)، ١٩٢٢، ٢، Hellenen U. V. Wilamovitz، ص ٥٢٤. أما ما يذهب إليه بيديز (١٩٦٤، ص ٣٧) من أن الرجل قصد هذه المدينة لكونها مركزاً مهماً للفكر والفلسفة، فليس قولاً مُقنِعاً. إن الفلسفة في روما لم تكن أعلى شأنًا مما كانت عليه في الاسكندرية يومذاك. كما إنه ليس من المقبول ما يزعمه Hermès, Dörrie، ٨٣، ١٩٥٥، ص ٤٤٥ من أن أفلوطين أقام هناك مُختفياً =

٢٥ من تعاليم أمثيوس/، تلك التي كانت قد تَوَضَّحت لَهُم بالاستماع منه، بَقِيَ أفلوطين، على اتصالِهِ بِبعضهم مِمَّن كانوا يَحْضرون إليه، مُحْتَفِظًا بِتلك التعاليم سِرًّا لِنَفْسِهِ. فَسَبَقَ هِرِّيُوس ٣٠ أَوَّلَ من أَخْلَفَ بالعهد، ثُمَّ تَبِعَهُ أَوْرِيْجِينِس، لَكِنَّهُ لَمْ يَكْتُبْ إِلَّا/ المقالة «في الجَن»، ثُمَّ فِي أَيَّام جَالِيُئُوس، مَقَالَتُهُ «في أَنَّ الْمَلِكَ وَحْدَهُ هو المُبْدِع»^(١٩). أَمَّا أفلوطين فَقَدْ قَضَى مُدَّةً لَمْ يَكْتُبْ

= من وجه الأفلاطونيين. لهذا ولقد لَقِيت انتباه بعضهم التوافق بين نُزُول أفلوطين في روما وأن يكون عمره ٤٠ سنة، فرأوا أن يردُّوا لهذا التوافق إلى كون سنِّ الأربعين سنِّ النضوج والاكتمال. ومن ثَمَّ زَعَم اوبرمان أنَّ فرفورْيوس هو الَّذي كان واضح هذا التوافق ومُخْتَلِقه. لَكِنَّ الرَّجُل يُنْقَل ما سمعه عن استوكيوس، وليس من الوجه أن يُقَابِل نُقْلَهُ بِالشَّكِّ. راجع Heidelberg, Plotins leben H. Oppermann ١٩٢٩، ص ٥٥؛ ثُمَّ قَارِنْ مع Plotin, RE, Schwyzer (ص ٤٧٤).

(١٩) إِنَّ هِرْيُوس هو أَقَلُّ الثلاثة شهرةً وَذِكْرًا في التاريخ إذ نَكَاد لا نَعْرِف عنه شيئًا. أَمَّا أَوْرِيْجِينِس فليس بالعالم المسيحيَّ المشهور كما ظَنَّ بعضهم. انظر مثلاً La jeunesse d'Origène, R. Cadiou، باريس ١٩٣٥. قَارِنْ، في ردِّ هذا الظَّنِّ، بما وَرَدَ عند Plotin, RE, Schwyzer ٤٨٠ تا ٤٨٤، أيضًا Hermès، ٨٣ Dörrie، ١٩٥٥، ٤٦٨ - ٤٧٢. أَمَّا اتِّفَاق الرَّجَال الثلاثة على ألاَّ يَبْهتوا بِشيءٍ مِمَّا حَصَلُوهُ من عِلْم بِإشراف أميُوس، فيجب ألاَّ يُبَالِغ في تصوُّره تعليمًا سِرِّيًّا يُحْظَرُ إِفْشَاؤه إلى غير خواصِّه. فَإِنَّ العبارة اليونانية، إنْ رُدَّتْ إلى قِرائتها، إِنَّمَا دَلَّت على ما كان أهون من ذلك قدرًا وَمَرَمًى. ولا يتجاوز الأمر، فيما يبدو، اتِّفَاقًا وقع بين اختصاصيين على ألاَّ يَنفَرِد كُلُّ منهم بما اشتركوا معًا في اكتشافه وإبرازه أثناء مُباحثاتهم مع أميُوس. فَإِنَّ التَّصَوُّص تُطْلَعنا على أَنَّ الْمُفَكِّرِينَ أَخَذُوا يُظْهِرون، في عصور الهلنستية، شيئًا من الاهتمام بنتائجهم الخاصِّ. فيسعى كُلُّ منهم إلى أنْ تُعَيَّر آثاره، ولو شَفْهِية كانت، عن آثار غيره. انظر مثلاً هنا (§ ١٤، ٢٠ تابع) اضطراب أفلوطين عندما رأى أَوْرِيْجِينِس، رفيقه القديم، داخلًا يومًا لحضور حَلَقَتِهِ. لَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَلْبَث أن واصل كلامه إذ أنَّ صاحبه كان قد سبقه إلى الاخلاق بما كان قد تعاهدًا عليه. أَمَّا فيما يتعلق بمَقَالَتِي أَوْرِيْجِينِس المذكورتين هنا، فَإِنَّ الثَّانِي منهما قد أثار بعض التردد في فهم عنوانه. فالرَّأْيُ هنا أَنَّ هذا الفهم مرتبطٌ بالوجه الَّذي تُؤْخَذُ عليه اللفظة اليونانية التي تُرجمت هنا «بالمُبدِع»، ولقد ترجمه الكثيرون، ومنهم برهيه وحتى هِرِّيُوس «بالشَّاعر». على أَنَّ اللفظة اليونانية إِنَّمَا تعني أصلًا «الصَّانِع» أو «المُبدِع»، كما يَدُلُّ عليه عنوان كتاب أرسطو المشهور الَّذي تُرجم «في الشعر» في أَنَّهُ كان يَجِب أن يُرجم «أصلًا في الابداع». فَتَسْتَطِيع، بعد هذا التوضيح، أن تذكر الوجهين الأهميين اللذين وردا تأويلًا لعنوان مَقَالَةِ أَوْرِيْجِينِس. فبالوجه الأول يكون «الملك» المقصود هو الأمبراطور جاليُوس، بمعنى أَنَّ المقالة كانت قد وُضِعَتْ تَرْفَاقًا له. لَكِنَّ الواقع أَنَّ أفلوطين ذاته، فيما يَقُول فرفورْيوس (٤، ١٠)، إِنَّمَا باشر تدوين تعليمه في السَّنة الأولى من حُكْم جاليُوس. وَمَعْرُوف أَنَّ أَوْرِيْجِينِس كان السَّابِق إلى هذا التَّوِين: فكيف يَكُون قد وَضِعَ مَقَالَتُهُ في «الملك» وَلَمَّا يَكُن جاليُوس «مَلِكًا»؟ فَهَذَاكَ انْقِلَابُ الباحثون إلى القول بالوجه الثاني وهو الأقرب إلى الاحتمال، فيما يبدو. وإليه يَذْهَب برهيه إذ يَرِدُ صِيغَةُ عُنَاننا إلى أصل تاريخي هو مثلُ مُرْسَل رواقِي ورد «بأنَّ الحكيم هو القَرَّاف وهو المُبدِع» (برهيه، م. I، ٤، حاشية ١). لهذا مع العلم بأنَّ ترجمة «المُبدِع» هي المتبَعَةُ هُنَا بدلًا من «الشَّاعر» والتي يُقْبَى برهيه عليها. والحاصل أن يكون أَوْرِيْجِينِس قد استبدل في مثلنا لَفْظَةَ «مَلِك» بلفظة «حَكِيم». على أَنَّ لا تدلُّ لَفْظَةُ «الملك» على شخص الأمبراطور جاليُوس بل على «الإله الأعظم». فيُصْبِح عنواننا على الصَّيغَةِ التالية: «إِنَّ الإله الأعظم وحده هو المُبدِع» ويكون له حيتُّو معنى مقبول.

فيها شيئاً ولو كان يُجري مُطارحاته مُطلقاً من مجالس أُمونيوس. فقضى هكذا عشر سنوات
 ٣٥ كاملة، يُجالس عدداً من المُستمعين ولا يكتب شيئاً. / أما مُطارحته، نظراً إلى أنه كان يحث
 جُلسائه إلى أن يُلقوا هم سؤالهم، فكانت تحفل بالخلل ويكثر فيها الحشو، فيما أخبرنا
 أمليوس. لقد قديم هذا الأخير إليه في السنة الثالثة من إقامته في روما، أي الثالثة من حُكم
 ٤٠ فيليبس، وبقِيَ معه حتى السنة الأولى من حُكم / كلديوس. فيكون قد عاش معه حتى أربعاً
 وعشرين سنة تمامًا. ولما قديم إلى أفلوطين كان أمليوس على مذهب لوزيماكوس الذي حَضَرَ
 مجالسه. وكان يقوِّق أترابه جميعًا باجتهاده. ثم نسخ تعاليم نوميوس كلها تقريبًا وجمَعها،
 ٤٥ وكاد يحفظ مُعظمها غيبًا. / بعدها دَوَّن شروحًا من جلسات أفلوطين فُصِّلَها في نحو مئة مقالة
 أهداها لأمليوس هيركيوس الأمامي الذي كان قد تبناه^(٢٠).

٤ وفي السنة العاشرة من حُكم جاليئوس، حيث أنا فُرفوريوس من بلاد اليونان^(٢١) بضُحبة
 أنطونيوس الرودي. والتقيت بأمليوس الذي كان لا يزال يستمع إلى مُحاضرات أفلوطين مُند
 (٢٠) إن لنا، في هذا المقطع الذي يتدنى من «أما أفلوطين» وينتهي بنهاية الفقرة، جُملة من الإشارات
 والتبيلات:

١- لقد رأينا أنَّ اللفظة «جالس» وما يشتق منها مثل مجالس وجُلساء وغيرهما، خير ترجمة لما يُعابها
 في اليونانية، ويدل على نوع من الاجتماع يقع بين أفلوطين ومن التفت حوله ليتباحث معهم في الأمور
 الفلسفية. فلم تكن غاية ذلك الاجتماع تدريسًا أو تعليمًا بالمعنى الذي نفهم عليه هاتين اللفظتين
 اليوم. وكذلك نقول في «المُطارحة» أو «المُطارحات». ولا نُخفي أنَّنا تأثرنا، في اختيار هذين
 المُصطلحين وما إليهما بمؤلفات أبي حيان التوحيدي من ناحية والسهروردي من الأخرى.

٢- أما فيما يتعلق بمُطارحات أفلوطين «الحافلة بالخلل» والتي «يكثر فيها الحشو»، فإنَّ هذا هو، على
 الأقل، رأي أمليوس في مجالس أفلوطين أو حلقاته الفلسفية. وهو رأي ينقله فرفوريوس وكأنه لا
 يُعلق عليه كبير أهمية إذ أنه صادر عن رجل يُريد نقل ما يسمعه وهو يجهل نمط فن «الجوار» وطرقه
 مأخوذًا عن أفلاطون، وبالموجه الذي كان مألوفًا عليه لدى كبار الفلاسفة يومذاك. وأيًا كان الأمر
 فالظاهر أنَّ فرفوريوس إنما يتصور أمليوس بشيء من الاستحقاق غير كفو لإبداء حُكم فلسفي ما،
 فيذكره في لائحة طلبة أفلوطين (٧: ١ - ٥) ثم في (٢١: ١٥ - ٢٠) على أنه رجل لا شأن له على
 صعيد الفكر، [مثلما يفعل مع أستكيوس أيضًا (٧: ٨)]. فلم يثق أترابه إلا بنسخ تعاليم نوميوس
 وجمعها «وبتدوين شروحات لأفلوطين (٤: ٥)». هذا ولا بد من التنبيه هنا إلى غموض طرأ على قول
 فرفوريوس. فهو يذكر الجلسات التي دَوَّن أمليوس «شروحًا» عنها وكانت نوميوس، في حين أنها،
 في الواقع، لأفلوطين (راجع هنا ٤: ٣ - ٤). ولا غرر فإنَّ نوميوس كان قد توفي جليل قبل
 أمليوس، فكان من المُستحيل أن يحضر هذا الأخير مجالسه.

٣- أما ما يتعلق بالتواريخ المذكورة هنا، فإنَّ السنة الثالثة من حُكم فيليبس تقع في سنة ٢٤٦/٢٤٥م؛
 والسنة الأولى من حُكم كلوديوس تقع في السنة ٢٦٨ / ٢٦٩م.

(٢١) أي من أثينا، حيث كان يحضر حلقات لنجينوس، كما سوف نرى فيما بعد. فيكون فرفوريوس قد
 وُصل إلى روما إذا في السنة ٢٦٣م.

- ١ (١، ٦) مقال «في الحُسن»، مَطلعه «إنَّ الحُسن في حَيِّزِ البصر»^(٢٥).
- ٢ (٤، ٧) مقال «في خلود النَّفس»، ومَطلعه «تُرى أليس كلَّ واحدٍ مِنَّا بِخالِدٍ».
- ٣ (٣، ١) مقال «في القَدَرِ المَحْتومِ»، ومَطلعه «فيما يَتعلَّقُ بالحادث...».
- ٤ (٤، ٢) مقال «في حَقِيقَةِ النَّفسِ وما هي عليه في ذاتِها»، ومَطلعه «عندما بَحَثنا عن النَّفس في ذاتِها...».
- ٥ (٥، ٩) مقال «في الرُّوحِ والمُثُلِ والأيس»، ومَطلعه «إنَّ النَّاسَ مُنْذُ بِدايَةِ
- ٣٠ أمرهم...».
- ٦ (٤، ٨) مقال «في هُبُوطِ النَّفسِ إلى الأَجْسامِ»، ومَطلعه «ما أَكْثَرَ ما اسْتَيْقَظْتُ إلى نَفْسي...».
- ٧ (٥، ٤) مقال «في كيف يكون من الأوَّل ما كان بَعْدَ الأوَّلِ، وفي الواحدِ»، ومَطلعه
- ٣٥ «إنَّ كان بَعْدَ الأوَّلِ شيء...».
- ٨ (٤، ٩) مقال «في هَلْ النَفْسُ كُلُّها نَفْسٌ واحِدَةٌ»، ومَطلعه «إنَّا نقول في كل نَفْس...».

=فرفوربوس على وَضْعِ التَّاسُوعَاتِ أي ٢٨ سنة بَعْدَ مَوْتِ أُسْتَاذِهِ.

ويزيد من أهميّة تلك المُسْتَهْلَآت أَنَّهُ، حتّى فَصَلِ المَقالات بعضها عن بعض، لم يكن دائماً من أفلوطين ذاته كما سوف نرى (راجع برهيه م. م. المُقَدِّمَةُ، ١٤ - ١٨ بالترقيم الرُّومانيّ (قارن أيضاً مع § ٢٠: ٢٨٧). راجع في هَذَا الصَّدَدِ إجمالاً: Halle, die griechische - römische Bruchschreibung, C. Wendel، ١٩٤٩، ص ٣١. أمّا صعوبة ترجمة تلك المطالع بالدقّة اللازمة فقد أشار إليها Cilente في ترجمته لتاسوعات أفلوطين (راجع فهرست المصادر) ج ١، ٢٨٧، حاشية؛ أمّا نحن فقد أثبتناها في ترجمتنا العربيّة وفَقّاً للنصّ اليونانيّ.

(٢٥) تُنبّه هنا إلى أنّ الرِّقْمَ الواقع خارج القوسين يَدُلُّ على التَّرتيب التاريخي للمقال. أمّا الرِّقْمَانِ الواقِعَانِ داخل القوسين فيَدُلُّ أَوَّلُهُمَا على التَّاسُوعِ وثانِيُهُمَا على الفصل أو المقال من هَذَا التَّاسُوعِ. فيكون معنى التَّرتِيمِ، هُنَا، مثلاً: أوَّلُ مقال كَتَبَهُ أفلوطين وهو، في تَقْسِيمِ فرفوربوس، المقال أو الفصل السَّادِسُ من التَّاسُوعِ الأوَّلِ. ويكون معنى ٢ (٤، ٧) المقال الثَّانِي من المَقالات الَّتِي وَضَعَهَا أفلوطين كِتَابَةً، وهو، في تَقْسِيمِ فرفوربوس، المقال أو الفصل السَّابِعُ من التَّاسُوعِ الرَّابِعِ. ولا يَدُّ من التَّنْبِيهِ هنا إلى أنّ تَقْسِيمَ التَّاسُوعَاتِ بِالوَضْعِ المَكْرُسِ، إنّما هو من فرفوربوس. فقد وَجَدَ الرَّجُلُ أنّ عدد المَقالات الَّتِي وَصَلَتْهُ مَكْتُوبَةً من أفلوطين هو ٥٤. فَتَقَسَّمَ هَذَا العدد بالعدد ستّة، على أَنَّهُ عدد التَّاسُوعَاتِ أو التَّوَارِيعِ، بِمعنى أنّ كُلَّ تاسُوعٍ يَشْتَمِلُ على تسعة مَقالات أو فصول. وسَنَعُودُ فيما بَعْدَ إلى هَذَا التَّقْسِيمِ وأسبابِهِ. راجع هنا (٦، ٢٧ - ٢٨).

وعليّنا أن نُضِيفَ أخيراً التَّنْبِيهِ التَّالِيَّ، وهو أنّا اعتمدنا لفظاً «أيس» لترجمة اللفظة اليونانيّة الَّتِي تُقَابِلُهُمَا في اللُّغَاتِ الغرِيبَةِ لفظاً «Etre» في صِبْغَةِ الموصوف ولا في صِبْغَةِ الفاعل. كما أنّا اعتمدنا لفظاً «حَقِيقَةُ» للدلالة على المعنى المقصود باللفظة اليونانيّة Ousia (ousi α) الَّتِي تُرْجِمَتْ في الفرنسيّة باللفظتين essence أو Substance.

- ٩ (٦، ٩) مقال «في الخير والواحد»، ومطلعه «إنما كانت الآيسات . . .».
- ١٠ (٥، ١) «في الأصول الثلاثة القديمة»، ومطلعه «ما عسى أن يكون ذلك الذي جعل
- ٤٠ النفوس . . .» /
- ١١ (٥، ٢) مقال «في كون الأمور المتأخرة عن الأول وترتيبها»، ومطلعه «إن الواحد
- إنما هو الأشياء كلها».
- ١٢ (٢، ٤) مقال «في الهيوليتين»، ومطلعه «إن ما يُسمى الهيولى . . .» /
- ١٣ (٣، ٩) مقال «في أبحاث مُتفرقة»، ومطلعه «إن الروح فينا، يقول أفلاطون، يرى
- المثل القائمة في ما هو الحيوان بالذات».
- ١٤ (٢، ٢) مقال «في الحركة الدورية»، ومطلعه «إن قيل: لماذا تسيّر السماء بحركة
- ٥٠ دورية» /
- ١٥ (٣، ٤) مقال «في الجني الذي قُدر لنا قرين»، ومطلعه «إن الأصول تتولد من تلك
- الباقيات الخالدات».
- ١٦ (١، ٩) مقال «في الانتحار المعقول»، ومطلعه لا تُطلق النفس قهرًا حتى لا تنصرف . . .».
- ١٧ (٢، ٦) مقال «في الكيف»، ومطلعه «هل الأيس / والحقيقة . . .».
- ١٨ (٥، ٧) مقال «في هل لكل شيء جزئي مثاله»، ومطلعه «هل لكل المثل جزء . . .».
- ١٩ (١، ٢) مقال «في الفضائل»، ومطلعه «ما دام الشر ههنا . . .» /
- ٢٠ (١، ٣) مقال «في الجدال»، ومطلعه «آية صناعة أو أي منهج . . .».
- ٢١ (٤، ١) مقال «بأي معنى يُقال في النفس إنها وسط بين المقسم واللامقسم»،
- ٦٥ ومطلعه «في العالم الروحاني . . .» /
- تلك هي المقالات الإحدى والعشرون التي وجدت مكتوبة عندما اجتمع به، أنا
- فرفوربوس لأول مرة، وكان أفلوطين حينئذ في التاسعة والخمسين من عمره.

٥ ففي أثناء إقامتي معه أي تلك السنة والسنوات الخمس التي تلتها - إذ أنني، أنا

فرفوربوس، قد وصلت إلى روما قبيل السنة العاشرة من حكم جالينوس، وكان أفلوطين

يقضي عطلة الصيف، لكنه يعقد مع ذلك مجالس الحديث - في تلك السنوات الست إذًا،

٥ كُنّا نَعقد المجالس ونَتباحث في الكثير من المسائل / فطلبنا منه، أنا وألميئوس، أن يكتب؛

فكتب حينئذ (٢٦):

(٢٦) «وصلت إلى روما قبيل السنة العاشرة من حكم جالينوس»، أي في شهر أيلول (سبتمبر) ٢٦٣م. أما

في ما يتعلق «بعطلة الصيف» فلا شك أن أفلوطين كان يقضيها في الأرياف الساحلية الواقعة جنوبي =

- «في أنّ الأيس هو كلّ في ناحية، وهو واحد في ذاته». وذلك في مقالين: ٢٢ (٦، ٤) أما الأول منهما، فمطلعه «هل نجد النفس في كلّ ناحية...».
- ٢٣ (٦، ٥) وأما الثاني، فمطلعه «إنّ كون الأمر الواحد/ الباقي على ذاته...».
- ثمّ كتّب مقالين آخرين:
- ٢٤ (٥، ٦) أحدهما «في أنّ ما وراء الأيس لا يُدرك بالعرفان، وفي العارف أولاً والعارف ثانياً»، ومطلعه «قد يعرف العارف غيره»/.
- ٢٥ (٢، ٥) والآخر «في معنى القول بالقوة وبالفعل»، ومطلعه «ورّد القول بالقوة».
- ثمّ يأتي على الفور ما يلي^(٢٧):
- ٢٦ (٣، ٦) مقال «في أنّ اللاجسميات مبرأة من الأنفعال»، ومطلعه «لقد ذكرنا أنّ الاحساس ليس انفعالاً...».
- ٢٧ (٤، ٣) مقال أول «في النفس»، ومطلعه «أنّ البحث في النفس جدير بالإهتمام».
- ٢٨ (٤، ٤) مقال ثانٍ «في النفس»، ومطلعه «لعمري، ما عساه أن يقول...»/.
- ٢٩ (٤، ٥) مقال ثالث «في النفس» أو مقال «في كيف بُصير»، ومطلعه «كُنا قد أرجأنا...».
- ٣٠ (٣، ٨) مقال «في المُشاهدة»، ومطلعه «هلاً أحضّنا قبل أن...».
- ٣١ (٥، ٨) مقال «في الحُسن الروحانيّ» ومطلعه «إنّا نقول...»/.
- ٣٢ (٥، ٥) مقال «في أنّ الروحانيّات ليست خارجة عن الروح؛ وفي الروح والخير»، ومطلعه «إنّ الروح الذي هو روح حقّاً...».

=روما. وكانوا يتصرفون، أثناء تلك العطّل، إلى أعمال خاصّة مثل مُراجعات الأمور وإعادة التّظر في المسائل، مثلما يُشير إليه فرفوربوس هنا. راجع، فيما يخصّ العصر الذي يلي عصر أفلوطين من هذه النّاحية: 'Baden Baden-studien zu Ibanianus', Von Schulwesen der Späntike, Peter Wolf, ١٩٥٢، ص٢٦؛ وقارن مع Die griechische Romanz, E. Rohde, ص٣٣٠؛ وأيضاً Histoire de l'éducation dans l'antiquité, H. I. Marrou, ١٩٥٥، ص٣٦٣. لهذا وإنّا نجد هنا ما يلفت انتباهنا في تاريخ وضع الكتب في عهد المسيحيّة الأولى، وهو أنّ المؤلّفين الكبار لا يضعون كتبهم إلّا بعد إلحاح من تلاميذهم أو من اصدقائهم. وكذلك كان الأمر على الأقلّ من أوريجينيس المشهور ومن هيرونيّوس. راجع La technique du livre d'après st. Jérôme, E. Arens, ١٩٥٣، ص١٣٨.

(٢٧) لقد أثبت هررد وهنري بعده هذه الجملة في نصّه اليونانيّ، وهو إثبات صحيح يستند إلى المخطوطات. فإنّ جملتنا تصلّ بين المقطع السّابق الذي يُشكّل وحدة إنشائية تشتمل على العناوين الأربعة من أعداد ٢٢ إلى ٢٥، وبين ما يلي المنطق من العدد ٢٦ وهو مُجرّد سرّد للعناوين الثّابعة لا تربط أحدها بالآخر صلةً قطّ.

- ٣٠ ٣٣ (٢، ٩) مقال «في الردّ على الاغسطينيين»، ومطلعه «ما دام قد ظهر لنا...» /
- ٣٤ (٦، ٦) مقال «في الأعداد»، ومطلعه «هل تكون الكثرة...».
- ٣٥ (٢، ٨) مقال «في لماذا تظهر الأشياء صغيرة إذا بُعِدت»، ومطلعه «هل تظهر الأشياء...».
- ٣٦ (١، ٥) مقال «في هل السعادة في امتداد الزّمان»، ومطلعه «هل تزداد السعادة...» /
- ٣٧ (٢، ٧) مقال «في الامتزاج الكلّي»، ومطلعه «إنّ المطلوب الآن هو البحث في امتزاج الأجسام بعضها ببعض امتزاجاً كلياً...».
- ٣٨ (٦، ٧) مقال «في كيف نشأت كثرة المُثُل وفي الخير»، ومطلعه «إنّ الإله الذي أرسل النّفوس إلى عالم الصّيرورة...».
- ٣٩ (٦، ٨) مقال «في العمل المُختار»، ومطلعه «هل يجوز أن نبحث إذا كان للأرباب عمل مُباشر...» /
- ٤٠ (٢، ١) مقال «في العالم»، ومطلعه «إذا قلنا إنّ العالم قديم...».
- ٤١ (٤، ٦) مقال «في الاحساس والذاكرة»، ومطلعه «ليس الاحساس في النّفس انطباعاً...» /
- ٤٢ (٦، ١) مقال «في أجناس الأيس»، المقال الأوّل، ومطلعه «لقد سبق القدامى أقدم أسلافهم وبحثوا في الأيسات ما هو عددها وما هي عليه في ذاتها...».
- ٤٣ (٦، ٢) مقال «في أجناس الأيس»، المقال الثاني، ومطلعه «لقد أمعنا النّظر في الأجناس المعروفة بالأجناس العشرة...».
- ٤٤ (٦، ٣) مقال «في أجناس الأيس»، المقال الثالث، ومطلعه «ذلك هو رأينا في الذات إذا...».
- ٤٥ (٣، ٧) مقال «في الدّهر والزّمان»، ومطلعه «نقول في الدّهر والزّمان...».
- ٤٥ (٢٨) مقال «في أفلوطين كثيرًا ما ترد بالصّياغة المألوفة المُكرّسة في العرض «للمسائل». إنّها تُستهلّ عادة بسؤال خاصّ ومحدود. وقد استخدم هذه الطّريقة في الإبانات الفلسفيّة شُراح أرسطو المُحدثون، مثل الاسكندر الافروديسي. أمّا في ما يتعلّق بلفظة «تلخيص» هنا فقد قابلنا بها اللفظة اليونانيّة التي يُمكن أن تُترجم أيضًا باللفظة العربيّة «عنوان» أو فصل. لكنّ اللفظة «تلخيص» تردّ بهذا =

إقامتنا في روما، أصبح المجموع خمساً وأربعين مقالة.

٦ وفي أثناء إقامتي في جزير صقلية حيث كنت قد اعتزلت في السنة الخامسة عشرة على نحو التقريب، من حكم جالينوس، وضع أفلوطين المقالات الخمس التالية وأرسل بها إليّ. ٤٦ (١، ٤) مقال «في السعادة»، ومطلعه «إذا ما افترضنا أنّ الحياة الطيبة هي

و. والسعادة...».

٤٧ (٣، ٢) مقال أول «في العناية»، ومطلعه «إنّ التسليم بأن حقيقة هذا العالم الكلي وبنيته تعود إلى الاتفاق والحظ...».

٤٨ (٣، ٣) مقال ثانٍ «في العناية»، ومطلعه «ما عسى أن يبدو لنا فيما يختص بهذه الأسئلة...».

٤٩ (٣، ٥) مقال «في الأصول العارفة، وفي ما وراءها»، ومطلعه «هل يجب في الذي يعرف ذاته أن يكون مختلف الأجزاء...».

٥٠ (٣، ٥) مقال «في العشق» ومطلعه «أما في ما يتعلّق بالعشق فهل هو إله...».

لقد أرسل إليّ بتلك المقالات في السنة الأولى من حكم كلودئوس. وفي بداية السنة الثانية، قبل موته بقليل أرسل المقالات التالية^(٢٩):

٥١ (١، ٨) مقال «ما هو الشر؟»، ومطلعه «إنّ الذي يبحث عن مثبت الشر...».

٥٢ (٢، ٣) مقال «فيما إذا كان للتجوم فعل»، ومطلعه «إن حركة الكواكب...».

٥٣ (١، ١) مقال «ما الحي؟ ما الانسان؟»، ومطلعه «إلام نردّ اللذة والألم...».

٥٤ (١، ٧) مقال «في الخير الأول أو في السعادة»، ومطلعه «هل عسى أن يكون الخير للكائن في غير...».

وإذا ما أضفنا هذه المقالات التسع إلى الخمس والأربعين من دُفعتي الكتب الأولى ودُفعتي الثانية، أصبح المجموع أربعاً وخمسين مقالاً.

وأما هذه المقالات الأولى فوضعها وهو في الطور الأول من عمره؛ وأما الثانية، ففي نضوجه؛ وأما الأخيرة، ففي المدة التي كان يعاني فيها أوصاب الجسد. فجاءت مقالاته، من حيث المتانة، وفقاً للطور الذي كتبها فيه من حياته. فإنّ الاحدى والعشرين الأولى أضعفها

=المعنى أيضاً في ترجمات ومؤلفات الفلاسفة، ولاسيما عند الفارابي. على أنّها حينئذ تدلّ على «العنوان» بوجه موسّع ومفصّل يشتمل على المضمون العام الذي يشتمل عليه المقطع الفلسفي.

(٢٩) «السنة الخامسة عشرة من حكم جالينوس» (§ ٦: ٢) أي في السنة ٢٦٧/٢٦٨ م، «في بداية السنة الثانية» (§ ٦: ١٧) أي في سنة ٢٦٩ م.

مَتَانَةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا أَبْعَادُ الْأَصَالَةِ الْكَافِيَةِ. وَأَمَّا الْجُمْلَةُ الْمُتَوَسِّطَةُ فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْقِيَمَةِ فِي الْمَتَانَةِ، إِذْ إِنَّ تِلْكَ الْأَرْبَعَ وَالْعِشْرِينَ مَقَالَةً فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ، بِإِسْتِثْنَاءِ بَعْضِ الْمَقَاطِعِ الْقَصِيرَةِ مِنْهَا. / أَمَّا التَّسْعُ الْأَخِيرَةُ فَإِنَّهَا كُتِبَتْ لَمَّا بَدَأَتْ قِيَاوُهُ تَشْجَحُ. وَكَانَ الْأَمْرُ فِي الْأَرْبَعِ الْأَخِيرَةِ أَظْهَرَ مِنْهُ فِي الْخَمْسِ الَّتِي سَبَقَتْهَا^(٣٠).

(٣٠) الوقائع أَنَّ أفلوطين كان قد انتهى من كتابة الدفعة الأولى من مقالاته في السَّنة العاشرة من حُكْم جالينوس، على أَنَّهُ قد ابتدأ بوضعها منذ السَّنة الأولى من الحُكْم ذاته. فإذا رَجَعْنَا إِلَى التَّارِيخِ الْعَامِّ وَجَدْنَا أَنَّ إِقْبَالَ الرَّجُلِ عَلَى كِتَابَةِ الْمَجْمُوعَةِ الْأُولَى مِنْ مَقَالَاتِهِ كَانَ فِي السَّنة ٢٥٥م تَقْرِيْبًا وَأَفْلُوطِينُ فِي سِنِّهِ الْوَاحِدَةِ وَالْخَمْسِينَ. أَمَّا الْمَجْمُوعَةُ الثَّانِيَةُ فَوَقَعَ تَدْوِينُهَا بَيْنَ ٢٦٣ و ٢٦٨م؛ ثُمَّ كَانَتْ كِتَابَةُ الْمَجْمُوعَةِ الثَّالِثَةِ بَيْنَ ٢٦٨ و ٢٧٠م. عَلَى أَنَّ ضَبْطَنَا لِهَذِهِ التَّوَارِيخِ لَا يَعْنِي أَنَّا نَقْبَلُ عَنْ رِضَى نَامُ هَذَا التَّقْسِيمِ الَّذِي يُوَزَّعُ فِرْفُورِيُوسُ عَلَيْهِ مَرَا حِلَّ حَيَاةِ أَفْلُوطِينِ. فَإِنَّهُ تَقْسِيمٌ آلِيٌّ مُكْرَسٌ عِنْدَ الْقُدَامَى. وَلَرَبَّمَا اسْتَعْدَمَهُ فِرْفُورِيُوسُ لِإِبْرَازِ أَهَمِّيَّةِ الْفَتْرَةِ الَّتِي كَانَ أَثْنَاءَهَا فِي مَوْبِئَةِ أَفْلُوطِينِ (أَي بَيْنَ ٢٦٣ و ٢٦٨م). وَالدَّورُ الَّذِي قَامَ بِهِ حِينَئِذٍ فِي تَنْشِيطِ فِكْرِ الْإِسْتَاذِ وَتَرْخِيمِ نِتَاجِهِ الْفَلَسَفِيِّ. رَاجِعْ فِي الْحَاشِيَةِ (٢٠) حُكْمَهُ عَلَى أَيْلِيُوسِ وَاسْتُوكِيُوسِ. «قَارِنْ أَيْضًا مَعَ Plotinos, RE, Schwyzer ص ٤٨٤. هَذَا وَقَدْ أَثْبَتْنَا لِأَمْتَةِ الْمَطَالَعِ الْمَقَالَاتِ وَفَقًا لِتَرْجُمَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ، الْأَمْرُ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ فِي نِهَآيَةِ الْحَاشِيَةِ (٢٤). لَكِنْ رُبَّ قَارِئٍ فَضَّلَ الْأَمَانَةَ الْمُطْلَقَةَ لِلنَّصِّ وَأَرَادَ الْمَطْلَعُ الْيُونَانِيَّ بِتَرْجُمَتِهِ الْحَرْفِيَّةِ. فَتَلْبِيَةُ لِهَذِهِ الْإِرَادَةِ كَانَتْ الرَّأْيَ فِي ذِكْرِ هَذِهِ الْمَطَالَعِ الْمُتَرْجِمَةِ حَرْفِيًّا مَعَ بَذْلِ الْجَهْدِ فِي إِبْرَازِ الْمَعْنَى وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ أَمْرًا يَصْعَبُ التَّوْفِيقُ إِلَيْهِ. عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْمَطَالَعِ تَرِدُ هُنَا وَفَقًا لِلْعَدَدِ التَّرْتِيبِيِّ الَّذِي اتَّبَعَ فِي اللُّوَاتِحِ الثَّلَاثِ مِنْ ١ إِلَى ٥٤.

- ١- إِنَّ الْجَمَالَ فِي الْبَصَرِ خَاصَّةً
- ٢- هَلْ كُلُّنَا خَالِدُونَ...
- ٣- كُلُّ مَا يَحْدُثُ...
- ٤- إِنَّ حَقِيقَةَ النَّفْسِ...
- ٥- كُلُّ النَّاسِ، مِنْذُ الْبَدَأِ...
- ٦- اسْتَيْقَظْتَ غَيْرَ مَرَّةٍ...
- ٧- إِذَا كَانَ شَيْءٌ بَعْدَ الْأَوَّلِ...
- ٨- هَلْ، مِثْلُ أَنَّ النَّفْسَ...
- ٩- كُلُّ الْكَائِنَاتِ
- ١٠- أَتَى لِلنَّفُوسِ إِذَا أَنْ تَكُونَ...
- ١١- الْوَاحِدُ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ...
- ١٢- إِنَّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ بِالْهَيُولَى...
- ١٣- قَالَ إِنَّ الرُّوحَ يُدْرِكُ الْمِثْلَ الَّتِي فِيهِ...
- ١٤- لِمَاذَا الْحَرَكَةُ الدَّوْرِيَّةُ...
- ١٥- إِنَّ الْأَقَانِيمَ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ...
- ١٦- لَا تَخْرُجُ النَّفْسُ مِنَ الْجَسَدِ، حَتَّى لَا تَنْطَلِقَ...
- ١٧- هَلِ الْأَيْسُ وَالْحَقِيقَةُ...
- ١٨- هَلِ لِلْأَشْيَاءِ الْجَزْئِيَّةِ...

وَمَا أَكْثَرَ مَا كَانَ عَدَدَ سَامِعِيهِ! أَمَّا أَنْصَارُهُ وَالَّذِينَ كَانُوا يُجَالِسُونَهُ لِفَلْسَفَتِهِ، فَأَوَّلُهُمْ

- =١٩- لَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الشَّرُّور...
 ٢٠- مَا الْفَرْقُ أَوْ مَا الْأَسْلُوبُ...
 ٢١- فِي الْعَالَمِ الرُّوحَانِيِّ...
 ٢٢- هَلِ النَّفْسُ، أَيْنَمَا كَانَتْ...
 ٢٣- إِنَّ الْوَاحِدَ ذَاتًا، أَيْنَمَا كَانَ...
 ٢٤- إِنَّ ثَمَّةَ عَارِفًا غَيْرِهِ...
 ٢٥- إِنَّ ثَمَّةَ مَا تُسَمِّيهِ بِالْقُوَّةِ...
 ٢٦- إِذَا قُلْنَا أَنَّ الْإِحْسَاسَاتِ لَيْسَتْ انْفِعَالَاتِ...
 ٢٧- فِي كُلِّ الصَّعُوبَاتِ الَّتِي تَعْتَرِضُ النَّفْسَ، يَجِبُ...
 ٢٨- مَا عَسَانَا أَنْ نَقُولَ إِذَا؟...
 ٢٩- لَمَّا كُنَّا قَدْ أَرْجَأْنَا...
 ٣٠- عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ أَوَّلًا...
 ٣١- لَمَّا كُنَّا نَقُولُ...
 ٣٢- إِنَّ الرُّوحَ الْحَقَّ...
 ٣٣- لَمَّا ظَهَرَ لَنَا، إِذَا...
 ٣٤- هَلِ الْكَثْرَةُ؟...
 ٣٥- هَلِ الْمُبْصِرَاتُ الْبَعِيدَةُ؟...
 ٣٦- إِنَّ السَّعَادَةَ...
 ٣٧- أَمَّا مَا يُسَمَّى الْمَزِيْجَ الْكَلْبِيِّ...
 ٣٨- إِنَّ الْإِلَهَ الَّذِي يُدْفَعُ إِلَى عَالَمِ الْكُونِ...
 ٣٩- فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَلْهَةِ، هَلِ...
 ٤٠- إِذَا قُلْنَا إِنَّ الْعَالَمَ أَزَلِّيَّ...
 ٤١- إِنَّ الْإِحْسَاسَاتِ لَيْسَتْ انْطِبَاعَاتِ...
 ٤٢- أَمَّا الْأَيْسَاتُ، فَكَمْ هِيَ، وَمَا هِيَ؟...
 ٤٣- لَمَّا كَانَ، فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِمَا تُسَمِّيهِ...
 ٤٤- أَمَّا فِي مَا يَخْتَصُّ بِالذَّاتِ، فَمَا الَّذِي يَبْدُو...
 ٤٥- إِنَّ الْأَزَلَ وَالزُّمَانَ...
 ٤٦- الْحَيَاةَ الطَّبِئِيَّةَ وَالسَّعَادَةَ...
 ٤٧- مِنْ نَاحِيَةٍ، عَفْوِيًّا...
 ٤٨- مَا الَّذِي يَبْدُو فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِتِلْكَ الْأُمُورِ...
 ٤٩- هَلِ يَجِبُ فِي الَّذِي يَعْرِفُ ذَاتَهُ أَنْ يَكُونَ مُخْتَلَفَ الْأَجْزَاءِ؟...
 ٥٠- فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعِشْقِ، فَهَلِ هُوَ إِلَهٌ؟...
 ٥١- إِنَّ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنْ مَنِيَّتِ الشَّرُّورِ...
 ٥٢- إِنَّ تَنْقُلَ التَّجُومِ...
 ٥٣- إِنَّ اللَّذَاتِ وَالْأَلَامَ...
 ٥٤- هَلِ يُمَكِّنُ الْقَوْلُ أَنَّ ثَمَّةَ فَرْقًا؟...

أَمِيلْيُوسُ من إِنْثُورِيَا واسمه بالضبط جَنْثِيلْيَانُوسُ. وكان يُفَضَّلُ أَفْلُوطِينُ^(٣١) أَنْ يُسَمِّيَهُ إِمْرِيُوسُ
بالراء قائلًا: «أَنْ يُسَمِّيَ اسْمَهُ من لَفْظَةِ إِمِيرِيَا (اللامقسومية) خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُسَمِّيَ مِنْ لَفْظَةِ أَمِيلْيَا»
٥ (الأهمال). ومن تلاميذه أيضًا طَبِيبٌ من سِيثُوبُولِيسُ اسْمُهُ بُولِيتُوسُ، أَطْلَقَ عَلَيْهِ أَمِيلْيُوسُ لَقَبَ
مِكْأَلُوسُ، وَهُوَ ذُو عُلُومٍ وَاسِعَةٍ لَمْ يُحْسِنِ اسْتِعَابَهَا. وكان لأَفْلُوطِينُ أيضًا صَاحِبٌ من
الاسْكَندَرِيَّةِ يُقَالُ لَهُ أُسْتُكْيُوسُ الطَّبِيبُ، تَعَرَّفَ إِلَيْهِ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ، وَلَزِمَ مُعَالَجَتَهُ حَتَّى
١٠ مَوْتِهِ، بَعْدَ أَنْ جَرَّدَ/ نَفْسَهُ الاطِّلاَعِ عَلَى مَذْهَبِهِ، فَاتَّكَسَبَ مَلَكَةَ الْفَيْلَسُوفِ الْحَقِّ. وَمِنْ
جُلَسَاءِ الرَّجُلِ أيضًا زُوتِيْكُوسُ الأديب والشاعر الذي صَحَّحَ نَصَّ أَثِينُمَاكُوسُ وَنَظَّمَ أُسْطُورَةَ
١٥ الْأَطْلَنتِيكِ شِعْرًا رَائِعًا. ثُمَّ ضَعُفَ بَصَرُهُ وَمَاتَ قَبْلَ أَفْلُوطِينِ بِقَلِيلٍ؛/ وَكَذَلِكَ مَاتَ بُولِيتُوسُ قَبْلَ
أَفْلُوطِينِ أيضًا. ومن خُلَّانِهِ أيضًا زَنْثُوسُ الْعَرَبِيُّ الْأَصْلُ الَّذِي كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ مِنْ بِنْتِ
ثِيُودُورِيُوسُ، أَحَدِ أَصْحَابِ أَمْتِيُوسُ. وَكَانَ زَنْثُوسُ هَذَا أيضًا طَبِيبًا وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى
٢٠ أَفْلُوطِينِ، وَهُوَ رَجُلٌ سِيَاسِيٌّ، شَدِيدُ الْوُلُوعِ/ بِالْأُمُورِ السِّيَاسِيَّةِ، فَكَانَ أَفْلُوطِينُ يُحَاوِلُ أَنْ
يُهْدِيَّ حِمَاسَهُ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ. وَقَدْ أَلِفَ أَفْلُوطِينُ أَنْ يُعَامِلَ الرَّجُلَ كَمَا يُعَامِلُ الْمَرْءَ أَهْلَ بَيْتِهِ
كَأَنْ يَلْتَمِسَ الْعُزْلَةَ فِي أَرْيَافِهِ الَّتِي تَقَعُ عَلَى بُعْدِ سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ مِثْرَنَّا. كَانَتْ تِلْكَ الْأَرْيَافُ مِلْكًا
٢٥ كَسْتَرِيْكُوسُ الْمُلقَّبُ بِقِرْمُوسُ، وَهُوَ أَشَدُّ أَهْلَ زَمَانِنَا حُبًّا لِلْفَضِيلَةِ، وَيُكَبِّرُ أَفْلُوطِينُ/ وَيَخْضَعُ
لَأَمِيلْيُوسُ خُضُوعَ الْخَادِمِ الصَّالِحِ لِسَيِّدِهِ، وَيُعَامِلُنِي، أَنَا فِرْفُورِيُوسُ، فِي كُلِّ شَيْءٍ، مُعَامِلَةَ الْأَخِ
لِأَخِيهِ. كَانَ يَكْرَهُ أَفْلُوطِينُ مَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ اخْتَارَ الْحَيَاةَ السِّيَاسِيَّةَ. ثُمَّ إِنَّ مِنْ مُسْتَمْعِيهِ عَدَدًا غَيْرَ
٣٠ قَلِيلٍ مِنْ مَجْلِسِ الشُّيُوخِ،/ وَمِنْهُمْ مَرْشِلُوسُ أَرْثِيُوسُ وَسَابِيْلُوسُ بِخَاصَّةِ اللَّذَانِ كَانَا قَدْ تَجَرَّدَا
لِلْفَلَسَفَةِ. وَكَانَ أيضًا مِنْ مَجْلِسِ الشُّيُوخِ رُوغَاثِيَانُوسُ الَّذِي كَانَ مِنْ زُهْدِهِ بِالْحَيَاةِ قَدْ تَخَلَّى عَنْ
مَالِهِ كُلِّهِ وَصَرَفَ كُلَّ حَذَمِهِ، وَتَنَازَلَ حَتَّى عَنْ مَنَاصِبِهِ. كَانَ قَدْ عَيَّنَ وَالِيًا، وَمِنْ الْمَفْرُوضِ أَنْ
٣٥ يَخْرُجَ/ إِلَى الْمَحْكَمَةِ وَمِنْ حَوْلِهِ الْجَلَّادُونَ، فَمَا ذَهَبَ وَلَا بَالَى بِوُضُفِيَّتِهِ. بَلْ إِنَّهُ مَا عَادَ يَرْضَى
لِنَفْسِهِ بِالسَّنِّ فِي بَيْتِهِ فَإِذَا هُوَ يُقِيمُ عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَخُلَّانِهِ، يَفْطِرُ هُنَاكَ وَيَنَامُ، وَيَأْكُلُ الطَّعَامَ
يَوْمًا ثُمَّ يَدْعُو يَوْمًا، فَمَا يَطْعَمُ كُلَّ يَوْمَيْنِ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا. وَكَانَتْ نَتِيجَةُ ذَلِكَ الزُّهْدِ وَالْإِهْمَالِ
٤٠ لِأُمُورِ الْحَيَاةِ/، أَنْ بَرِئَ مِنْ ذَاءِ الْمَفَاصِلِ بَعْدَ أَنْ ابْتَلَى بِهِ فَكَانُوا يَحْمِلُونَهُ عَلَى مَقْعَدٍ بِسَبَبِهِ.

(٣١) فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ إِسْمُ إِشَارَةٍ يُونَانِيٍّ لِخْتَلَفِ الْبَاحِثِينَ فِي مَا إِنْ كَانَ يَدُلُّ عَلَى أَفْلُوطِينِ أَمْ عَلَى أَمِيلْيُوسِ.
وَقَدْ تَبَيَّنَا هُنَا بِرَبْهِهِ الَّذِي يُعِيدُهُ إِلَى أَفْلُوطِينِ، وَهُوَ، فِي مَا نَرَى، الْوَجْهَ الْأَصَحَّ نَظَرًا إِلَى قَوَاعِدِ اللُّغَةِ
الْيُونَانِيَّةِ. وَأَيًّا كَانَ الْحَالُ، فَإِنَّ لَدَيْنَا، هُنَا أيضًا، شَاهِدًا عَلَى إِمْعَالِ فِرْفُورِيُوسُ فِي كِتَابَاتِهِ. هَذَا وَإِنَّا لَا
نَرَى بُدًّا مِنْ أَنْ نُنَبِّهَ أَنَّ لَا نَجِدُ مَبْدَأَ لِتَرْتِيبِ أَوْ تَنْظِيمِ فِي لَانِحَةِ الطَّلَبَةِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ. فَهَنَّاكُ أَسْمَاءُ
يَكْتَفِي بِذِكْرِهَا فَقَطْ، وَغَيْرَهَا يُرَوَّى مَعَ بَعْضِ الشَّرْحِ، وَأُخْرَى تَرِدُ عَلَى جَانِبِ مِنَ الْإِسْهَابِ فِي إِبْرَازِ
شَخْصِيَّةِ صَاحِبِهَا. لَكِنَّ الْبَارِزَ مِنْ ذَلِكَ هُوَ أَنَّ لَانِحَةَ «أَنْصَار» تَنْتَهِي بِإِسْمِي قَيْسَرِ رُومَا وَزَوْجَتِهِ كَمَا أَنَّ
لَانِحَةَ الطَّلَبَةِ تَنْتَهِي بِإِسْمِ فِرْفُورِيُوسِ.

فأصبح بعد ذلك، يستعمل يديه بسهولة لم يكن يضاهيه فيها حتى أصحاب الجِرَف اليدوية في رشاقة أيديهم، بعد أن كان لا يستطيع قط أن يمس راحته. وكان أفلوطين يجب ذلك الرجل، ويقدمه على الجميع بالمدح والثناء، ويتخذة مثلاً صالحاً يضربه/ للذين يهتمون بالفلسفة. ٤٥ وكان في معيته أيضاً سيراينوس الإسكندراني، الذي كان من مختبر في الخطابة في أول أمره، ثم انقلب إلى الفلسفة يطلبها، ولكيئنه لم يقر على الانقلاع عن عيب حب المال والربا فيه. وهذا وإن أفلوطين أخيراً كان يعدني أنا أيضاً فرفوروس الصوري، من أصحابه المقربين إليه، وقد وجدني أهلاً لأن يكلفني بتصحيح مقالاته^(٣٢).

(٣٢) إن لدينا إذاً لائحة كاملة عن طلبة أفلوطين الأقربين.

١- أيليرس الذي قد قرُن ذكره غير مرة. ولا يذكر له فرفوروس هنا شيئاً من التاحية الفلسفية بل يكتفي بإيراد أمور خارجية. والمرجح أن الرجل كان قد مات عندما نشر فرفوروس نصه في حياة أفلوطين وتاسوعاته.

٢- بولينوس الطبيب، وهو من هؤلاء الطلبة الذين يتخوف منهم أساتذتهم انطلاقاً من أفلاطون ومن تبعه من الفلاسفة أو المتفلسفين. كذلك من أمر سراييون (§ ٧: ٤٦ تا) وأولمبيوس (§ ١: ١٠ تا).
٣- استيكوس (قارن مع § ٢: ١٢ تا). والغريب أن فرفوروس لا يذكر شيئاً عن النشرة الخاصة لمذهب أفلوطين التي كان الرجل صاحبها والتي كانت، دون شك، معروفة عندما أخرج فرفوروس نشرته. ولا شك أيضاً في أن فرفوروس كان قد اطلع على تلك النشرة، والمرجح أنه أغفل ذكرها عمداً حتى يكون الناشر الوحيد لتعليم أفلوطين. وثبته أيضاً هنا إلى الأشكال اللغوية الذي وقع فيه المؤلف في الجملة «تعرف إليه في أواخر حياته» (٧، ١٠ تا). صحيح أن الباحثين متفقون على أن «هذه» الضمير يعود هنا إلى أفلوطين، لكننا نستنتج ذلك من قرائن النص ولا نتبينه من قراءة الجملة مباشرة. ونضيف أخيراً أن استيكوس إسكندراني الأصل، الأمر الذي يعلل في نظرنا اعتقاده في الأفعى المناسبة في القرب من الجدار عندما لفظ أفلوطين روحه، راجع حاشية (١١).

٤- زوتيوكوس. لقد ترجمنا «الأديب» وصف الرجل باليونانية على أنه Xpitixos. فإن هذه الأخيرة يقصدها معنى ال philologue أي «اللغوي التحوي البصير بحسن البيان بقدر ما هو بصير بقواعد اللغة والمعجمية». كما أننا نستطيع أن نترجم اللفظة اليونانية ذاتها بلفظة «الأديب» العربية بالوجه الذي نقول عليه مثلاً عن الجاحظ بأنه «أديب». ولهذا يدلنا على أن حلقة أفلوطين لم تكن لتنبذ الأديب مثلما قد يوهنا قول فيلسوفنا عن لنجنيوس بأنه نحوي لغوي وليس فيلسوفاً (§ ١٤: ١٩ تا). لهذا فضلاً عن أن هذه الحلقة كانت تضم «خطباء» أيضاً مثل ديوفانس، يُسمح لهم أن يتلو على جلسائهم ما كتبوه في الفلسفة (§ ١٥: ٥ تا)، أما انتيماكوس الذي صَحَّح زوتيوكوس نصه فهو شاعر ملحمي من القرن الخامس ق. م. ووضَّع ملحمة في «الثبايد». لقد اشتهر اسمه في التقليد الأفلاطوني، فيما يبدو. بل قد بلغنا عن هرقليلس البنطي (بردقلس، في إيطاموس، ٢٨) أنه كان محط تقدير أفلاطون ذاته وإكرامه. وأياً كان الحال، فإننا نعرف من مصادر أخرى، أن أفلاطوني عصور القياصرة الرومانيين قد اتخذوه على أنه شاعرهم الأحب. أما الأطلنتيد فهو عنوان آخر لحوار كريتياس لأفلاطون، ومُعرف أن هذا الحوار يدور حول أسطورة جزيرة الأطلنتيد المشهورة. ومن ثم، عند بعض الاختصاصيين، ترجمتهم للفظ «أطلنتيد» في النص باللفظة «كريتياس» (هردر، ١٩٥٨، ج ٥، ح، ص ٢١).

٥- زئوس العربي. إن ذكر اسمه على أنه من أفراد حلقة أفلوطين يدل على أن هذا الأخير لم يتقطع =

ذلك لِأَنَّ أَفْلُوطينَ إِذَا كَتَبَ لَمْ يُطِيقْ إِعَادَةَ النَّظَرِ فِي مَا كَتَبَ، بَلْ إِنَّهُ مَا كَانَ يَعُودُ قَطُّ مَرَّةً واحدةً إِلَى قِرَائَتِهِ، لِأَنَّ نَظْرَهُ لَمْ يَسْمَحْ لَهُ بِأَنْ يُعِيدَ الْقِرَاءَةَ. فَإِذَا كَتَبَ لَمْ يَتَّقِنْ رَسْمَ حُرُوفِهِ وَلَمْ يَقْصِلْ مَقَاطِعَهُ بِوُضُوحٍ وَلَمْ يَهْتَمَّ بِقَوَاعِدِ الْإِمْلَاءِ، بَلْ ظَلَّ مَأْخُودًا بِالْمَعْنَى فَقَطُّ. وَكُنَّا جَمِيعًا مُتَعَجِّبِينَ مِنْ أَنَّهُ بَقِيَ يَقْعَلُ هَكَذَا حَتَّى مَمَاتِهِ. كَانَ يَقْضِعُ نَصْمِيمَ مَوْضُوعِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ مُنْذُ الْبِدَايَةِ حَتَّى النِّهَايَةِ. فَإِذَا عَمَدَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى كِتَابَةِ مَا فَكَّرَ فِيهِ، أُرْسِلَ أَثْنَاءَ كِتَابَتِهِ كُلِّ مَا نَظَّمَ فِي

=تمامًا عن أصوله الاسكندرانية ما دام زئوس كان متزوجًا من ابنة ثيودوزيوس الذي كان صاحب أمينوس أستاذ فيلسوفنا كما مثلما نعرف (راجع هنا الحاشية ١٥). فضلًا عن أنَّ ورود اسم زئوس العربي. الذي يُمارس السياسة في روما ويملك مسكنًا في أريافها يُطلعننا عن تغلل العرب في الغرب. وكان هذا التغلل يأتي صدًى «للزحف العربي» نحو المستعمرات الرومانية والبيزنطية في أقطار الهلال الخصيب. وهو زحف تحفل بذكره التصوص اليونانية واللاتينية ابتداءً من أوائل القرن الثالث الميلادي.

٦- كستركيوس المُلقَّب بفُرموس. لا يُنسب إلى هذا الرجل صفة فلسفية قط. صحيح أنه ورد في بعض المخطوطات لفظة يونانية تعني «أشدُّ أهل زماننا امتلاكًا للفلسفة» بدلًا من التي ترجمناها هنا «أشدُّ أهل زماننا حبًا للفضيلة»، إذ أنَّ اللفظتين متشابهتان كتابيًا. لكنَّ الباحثين مُجمعون على أنَّ الكتابة الأولى خطأ. ويجدر التنبيه هنا إلى الفرق في وصف العلاقة الاجتماعية بين كستركيوس والاطيالي أمليوس، ثم بين الرجل ذاته والستوري فرفوريوس: فهو بمنزلة الخادم بالنسبة إلى الأول وبمنزلة الأخ بالنسبة إلى الثاني. على أنَّ فرموس لهذا قد تعكرت العلاقات بينه وبين فرفوريوس بعد موت أفلوطين، إذ أعلن عدوله عن الاكتفاء بأكل الثبات فقط فكتب له فرفوريوس مقالة في «الامتناع عن أكل اللحوم» ليردعه عما كان قد فعل. راجع Gand, Vie de Porphyre, Bidez, ١٩٦٤، ص ٩٩. ٧- مرشلوس أرثيوس. لقد ذهب بعض الباحثين أنه الرجل الذي يرد اسمه في § ٢٠: ١٧ والذي رفع إليه لنجنيوس (سيأتي ذكره في ما يلي) مقالة «في الغايات».

راجع: Die Vorherrschaft der Pannonier, A. Alföldi, ٢٧، ١٥٣.

٨- سابنلوس. لقد دلَّت الاكتشافات الأثرية على أنَّ الرجل كان في السنة ٢٦٦م «فُصلًا» في الدولة الرومانية أيَّ أنه كان يشارك في الحكم الأمبراطور جالينوس. وسنعود إلى ذكره في ما يلي (§ ١٢: ١٦). راجع المقال (L. Wickert, RE, Licinius, N², 84, 368).

٩- روغاثيانوس، من أعضاء مجلس الشيوخ. إنَّ تعيينه واليًا يعني أنه في روما يجمع بين سلطتي التشريع والقضاء. واللفظة اليونانية التي استخدمها فرفوريوس هنا كانت خير أداءٍ للدلالة على المقصود بالمصطلح اللاتيني المُستخدم في مثل هذه المناسبة. وهو «الخروج» من البيت و«السير» على «الطريق» المؤدية إلى «المحكمة» مركز الوظيفة في موكب من «الجلادين» أو «أصحاب الرِّزَم» (faisceau). والظاهر أنَّ النصَّ هنا يتناول التنصيب في الوظيفة. فيقصد «الجلادون» بيت «المُنْصَب» الجديد ليوأكبوه من بيته إلى المحكمة. على أن يعود أفرادُ منهم، بعد ذلك، وفي عهد «الولاية» كله، إلى بيت المُشَرَّع القاضي لحراسته بصورة مستمرة. فإنَّ فرفوريوس أراد أن يصف هذا المشهد لتضخيم الموقف وإبراز الفخامة التي كان الناس يُحيطون بها أستاذهُ أفلوطين.

١٠- ويأتي أخيرًا فرفوريوس الذي يعدُّ نفسه أقرب تلاميذ أفلوطين إلى الشيخ الأستاذ. وحسبهِ للدلالة على ذلك أن يذكر أنَّ أفلوطين آمنه على «تصحیح مقالاته». فكأنه يريد بهذا القول أن يُبرز الدعم الأساسي الذي يُطمئن قارئه إلى صحَّة نصِّ التأسوعات وكلِّ ما يقوله الرجل عن أستاذه.

١٠ نَفْسِهِ/، كَأَنَّهُ يَثْقُلُ عَنْ كِتَابٍ. وَإِذَا كَانَ فِي جَوَارٍ مَعَ أَحَدٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ اسْتِرْسَالِهِ فِي الْحَدِيثِ وَأَنْصِرَافِهِ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنْ نَظَرٍ، بِحَيْثُ لَمَّا فِي وَاحِدٍ يَقُومُ بِمُسْتَلْزِمَاتِ الْجَوَارِ وَيَسْتَمِرُّ مُسْتَعْرِفًا فِي تَفْكِيرِهِ بِالْأُمُورِ الَّتِي كَانَ يَنْظُرُ فِيهَا. وَبَعْدَ انْتِصِرَافِ مُحَدَّثِهِ لَا يَعُودُ إِلَى قِرَاءَةِ/ مَا كَتَبَ (لَأَنَّهُ نَظَرَهُ لَا يُسَاعِدُهُ عَلَى إِعَادَةِ الْقِرَاءَةِ كَمَا ذَكَرْنَا) بَلْ يَصِلُهُ فُورًا بِمَا كَانَ يَلِيهِ، كَأَنَّهُ لَمْ تَقْعُ فِتْرَةٌ أَنْفِصَالٍ عِنْدَمَا كَانَ يَتَحَدَّثُ. كَانَ إِذَا مَعَ نَفْسِهِ وَمَعَ غَيْرِهِ مَعًا، وَمَا كَانَ انْتِبَاهَهُ إِلَى نَفْسِهِ لِيَضْعُفَ/ قَطُّ إِلَّا فِي مَسَاعِدِ النَّوْمِ الَّذِي كَانَ يَمْتَنِعُهُ عَنْهُ أَمْرَانِ: قِلَّةُ الطَّعَامِ فَقَدْ كَانَ غَالِيًا لَا يَتَنَاوَلُ خُبْزًا، وَاسْتِغْرَاقُهُ الْمُتَوَاصِلَ فِي أُمُورِ الرُّوحِ (٣٣).

(٣٣) لقد جعلنا كل هذا المقطع رقم ٨ بين قوسين لأنه يبرز وكأنه استطراد من فرفوروس لما سبق إلى ذكره عن نفسه، في آخر المقطع السابع، من أنَّ أفلوطين «كلَّفه بتصحيح مقالاته». فلم يكن بدَّ من إيراد سبب الحاجة إلى هذا التصحيح وهو ضعف بصر الأستاذ وعدم صبره على إعادة النظر في كتاباته...» كذلك تصوّر الأمر، على الأقل، إن اعتمدنا على أقوال فرفوروس. لكنه سبق إلى أن أعلننا في (§ ٢: ١٥) على أنَّ بصر أستاذه لم يشحَّ إلَّا في أواخر حياته وقُبيل موته، فضلًا عن أنَّنا نعرف، من ناحية أخرى، أنَّ «التَّظَاهُرات» لم تكن مُنتشرة في أيام أفلوطين مثلما أصبحت عليه اليوم وأنَّ المُتَفَقِّهين كانوا يَلْجَأُون، عندما يَتَقَدَّمُونَ فِي السَّنِّ، إِلَى مَنْ يَقْرَأُ لَهُمْ. أَمَّا بَعْدَ مَا يَذْكُرُهُ فرفوروس من الهفوات فِي كِتَابَةِ أفلوطين، فَإِنَّهَا لَا تَخْتَصُّ بِهَذَا الْآخِرِ وَحْدَهُ، بَلْ تَعَمُّ كُلَّ شَخْصٍ آخَرَ مِنْ مَقَامِهِ. فَعَدَمُ إِتْقَانِ رَسْمِ الْحُرُوفِ مِثْلًا هُوَ عَيْبٌ يَكَادُ يَلْحَقُ بِكُلِّ ضَلِيعٍ فِي الْعِلْمِ، يَكْتَرُّ بِالْمَعْنَى وَحُسْنِ السَّبْكِ وَلَا يَهْتَمُّ حُسْنَ الْخَطِّ. ثُمَّ إِنَّا نَعْرِفُ، مِنْ مُرَاجَعَةِ الْمَخْطُوطَاتِ الْغَرِيبَةِ، أَنَّ الْكَلِمَاتِ ذَاتَهَا لَمْ تَكُنْ مُنْفَصِلَةً بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، فَيَكْفِ يَهْتَمُّ الْكَاتِبُ أَوْ الْكَاتِبَةُ أَنْ يَصِلَ «الْمَقَاطِعُ الصَّوْتِيَّة» بَعْضُهَا بِبَعْضٍ. أَمَّا الْأَغْلَاطُ الْإِمْلَاطِيَّةُ فَهِيَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ يُقَمِّمْ لَهَا حِسَابٌ مِثْلَمَا هُوَ الْحَالُ فِي يَوْمِنَا. هَذَا فَضْلًا عَنْ أَنَّ نَجِدَ عِنْدَ الْمُؤَرِّخِ اللَّاتِينِيِّ سُوَيْتُونِ (Suétone) (ت ١٢٨م) الْمُلَاحَظَاتِ ذَاتَهَا فِي عِيُوبِ مِنَ الْقَبِيلِ نَفْسِهَا، يُبَيِّنُ إِلَيْهَا مِنْ أَثْنَاءِ مُطَالَعَاتِهِ لِلْمَخْطُوطَاتِ الْمَحْفُوظَةِ فِي مَكْتَبَةِ اغِسْتُطُوسَ. فَإِنَّ كُلَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُنَا يَجْعَلُنَا نَتَقَبَّلُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَذَرِ أَقْوَالَ فرفوروس فِي الصَّدِّدِ الَّذِي نَحْنُ إِلَيْهِ وَنَدْفَعُ بِنَا إِلَى الظَّنِّ الْقَوِيِّ أَنَّ هَذِهِ الْأَقْوَالَ لَمْ يَكُنْ الْمَقْصُودُ مِنْهَا سِوَى التَّأْثِيرِ فَقَطُّ عَلَى الْخَطْوَةِ الَّتِي كَانَ فرفوروس قَدْ نَالَهَا عِنْدَ اسْتِزَادَةِ افْلُوطِينِ. لَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ يَتَصَوَّرُ نَفْسَهُ أَعْظَمَ قَدْرًا مِنْ اسْتِزَادَةِ فِي أَصَالَةِ التَّفْكِيرِ! فَهُوَ لَا يُخْفِي إِعْجَابَهُ بِأَفْلُوطِينِ مُدَوِّنًا فِكْرَهُ الرُّاحِمِ «وَكَأَنَّهُ يَثْقُلُ مِنْ كِتَابٍ». وَقَدْ ذَهَبَ بَرَهِيهِ (م. ج ١، ص ١٠، حاشية ١١) فِي هَذَا الصَّدِّدِ إِلَى أَنَّ فرفوروس قَدْ يُشِيرُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَى الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ عِنْدَ الْفَلَسَافَةِ يَوْمَئِذٍ أَنْ يَرْكُزُوا خِلَاقَاتِهِمْ عَلَى التَّصَوُّصِ الْقَدِيمَةِ، وَلَا سِيَّمَا نَبْصُوحِ افْلَاطُونِ وَأَرْسُطُو. فَأَفْلُوطِينِ يَتِمَدُّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى حَافِظَتِهِ، وَمِنْ ثَمَّ مَا تَرَاهُ فِي التَّاسُوعَاتِ مِنْ عَدَمِ الدَّقَّةِ فِي ذِكْرِ نَبْصُوحِ افْلَاطُونِ. أَمَّا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِنَبْصُوحِ أَرْسُطُو، فَإِنَّا لَا نَجِدُ جُمْلَةً قَطُّ وَارِدَةً بِحَرْفَيْتِهَا، بَلْ يَكْتَفِي مِنْهَا بِأَنْ يُشَارَ إِلَى مَعْنَاهَا بِحَدِّ ذَاتِهِ. وَقَدْ أَهْبَبَ بَرَهِيهِ فِي شَرْحِ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي مَقْدَمَتِهِ (ص ٢٧٧)، بِالْزَّرْقِمِ الرَّومَانِيِّ) حَيْثُ أَقَامَ الْمُقَارَنَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَوْسُوعِيَّتِهِ وَسِعَةِ اطِّلَاعِهِ. لَكِنْ هَذِهِ الْمُقَارَنَاتُ لَمْ تَكُنْ مُقْنَعَةً كُلَّ الْإِقْتِنَاعِ. فَالْوَاقِعُ أَنَّ فرفوروسَ يَقْصِدُ هُنَا وَصْفَ اسْتِزَادَةِ، مُطْلَقًا إِنْطِلَاقًا وَإِنَّا يَمْتَازُ بِجِدَّةٍ فِي الذِّكَاةِ وَالصَّفَاءِ فِي الذَّهْنِ وَخُضُورِ الْخَاطِرِ فِي عَالَمِ الْمَعْنَانِيِّ. وَهِيَ كُلُّهَا صِفَاتٌ لَمْ تُقَدَّرْ إِلَّا لِلنَّادِرِينَ مِنْ عِبَاقَرَةِ الثَّاسِ فِي الْفِكْرِ وَتَارِيخِهِ. وَأَنْ يَكُونَ أَفْرَادُ خَلْقَةِ افْلُوطِينِ قَدْ تَتَبَّعُوا إِلَى هَذِهِ الْمَزَايَا لَدَى اسْتِزَادَتِهِمْ، هُوَ خَيْرُ الدَّلِيلِ عَلَى الْمَسْتَوَى الرَّفِيعِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ الذُّوقِ =

٩ وَكَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ إِلَيْهِ نِسَاءٌ أَيْضًا: جَمِينَا الَّتِي كَانَ يُقِيمُ فِي بَيْتِهَا، وَابْنَتُهَا الْمُسَمَّاةُ أَيْضًا جَمِينَا أَيْضًا يَمِثْلُ أُمِّهَا، وَأَمْفِكَلِيَّا الَّتِي أَصْبَحَتْ أَمْرَأَةً أُرِسْتُونَ ابْنَ يَمْبَلِيخُوسَ، وَجَمِيعَهُنَّ جَدَّ مَشْغُوفَاتٍ بِالْفَلَسَفَةِ. ثُمَّ إِنَّ الْكَثِيرِينَ/ مِنَ الْأَشْرَافِ رِجَالًا وَنِسَاءً كَانُوا، عِنْدَ دُنُو أَجْلِهِمْ، يَأْتُونَ بِأَوْلَادِهِمْ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، وَيَهْتَدُونَ إِلَيْهِ بِهِمْ وَيُكَلِّ أَمْوَالَهُمْ، كَأَنَّهُمْ أَمَامَ حَارِسٍ مُقَدَّسٍ مِنْ عَالَمِ الْأَرْبَابِ. وَلِذَلِكَ كَانَ الْعُلَمَاءُ وَالْفَتَاةُ يَمْلُؤُونَ عَلَيْهِ ذَارَهُ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ بُولِيمُونُ/ الَّذِي كَانَ أَفْلُوطِينُ يُعْنَى بِتَرْبِيَّتِهِ وَكَثِيرًا مَا يَسْتَمِعُ إِلَى مُحَاوَلَاتِهِ فِي تَعَلُّمِ اللُّغَةِ. هَذَا وَإِنَّهُ كَانَ يَتَّبِعُ بِصَبْرِ حِسَابَاتِ الْأَوْصِيَاءِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادِ وَيُدَقِّقُ فِيهَا عَنْ كَتَبٍ قَائِلًا: «مَا دَامَ هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادُ لَمْ يَنْقُطِعُوا إِلَى الْفَلَسَفَةِ فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَحْفَظُوا أَرْزَاقَهُمْ وَغَلَاتِهِمْ بِغَيْرِ/ مَسٍّ». وَمَعَ ذَلِكَ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ مُسَاعَدَتِهِ لِكُلِّ هَؤُلَاءِ النَّاسِ فِي مُشْكِلَاتِهِمْ وَهَمُومِهِمِ الْمَعَاشِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَوَانَ قَطُّ عَنْ الْأَنْصِرَافِ إِلَى أُمُورِ الرُّوحِ مَا دَامَ فِي حَالَةِ الْبَقَظَةِ. كَانَ لَطِيفًا أَبَدًا، طَوَّعَ إِشَارَةً كُلَّ مَنْ تَصِلُهُ بِهِ عِلَاقَةٌ. لَقَدْ أَقَامَ فِي رُومًا/ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَاتَّخَذَهُ الْكَثِيرُونَ حَكَمًا فِي خِلَافَاتٍ نَشَبَتْ بَيْنَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَدُوٌّ قَطُّ يَتَنَ أَهْلَ الْحُكْمِ وَالسِّيَاسَةِ^(٣٤).

=الفلسفي والمقدرة الفكرية. على آثا، مع ذلك، يجب علينا القول بأن لا نجد مثل تلك الأصالة والمثانة في كل مقاطع التاسوعات

(٣٤) إِنَّ الْإِسْمَ «يَمْبَلِيخُوسَ» (٩، ٤) يَدُلُّ دَائِمًا، فِي التَّصَوُّصِ الْيُونَانِيَّةِ، عَلَى أَصْلِ سُورِيٍّ أَوْ عَرَبِيٍّ. هَذَا مَعَ الْجُلْمِ بِأَنْ تَلَامِيذَ أَفْلُوطِينِ، مَا عَدَا اَمْلِيُوسَ وَبَعْضَ الشَّيُوخِ الرُّومَانِيِّينَ الْمُعْجَبِينَ بِهِ، إِنَّمَا كَانُوا يَقْصِدُونَهُ مِنْ سُورِيَا أَوْ فِلَسْطِينَ أَوْ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ. أَمَّا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَقْطَعِ (٩: ٥ - ١٨) فَإِنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى أُمُورٍ وَضِيعَةٍ تَشْرِيعِيَّةٍ تَعُودُ إِلَى حَقِّ الْوَصَايَةِ فِي الْقَانُونِ الرُّومَانِيِّ. وَمَا كَانَ فَرْفُورِيُوسُ يَقُومُ كَثِيرًا مِنْ هَذَا الْقَانُونِ فَيُورِدُ وَضِيعَاتِهِ مَغْمُورَةً بِالطَّائِفِ الشَّعْرِيِّ الْإِخْلَاقِيِّ الدِّينِيِّ. مَعَ أَنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَبَيَّنَ بِالذَّاتِ فِي الْأَلْفَاظِ الْيُونَانِيَّةِ الْمُسْتَحْدَمَةِ هُنَا مُصْطَلَحَاتِ الْقَانُونِ الرُّومَانِيِّ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَصُولِ الشَّخْصِيَّةِ فِي هَذَا الْمَجَالِ. الْأَمْرُ الَّذِي حَمَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى أَنْ يَتَسَاءَلَ فِي مَا إِنْ لَمْ يَكُنْ أَمَامَ فَرْفُورِيُوسَ جَدُولٌ بِالْمُصْطَلَحَاتِ اللَّاتِينِيَّةِ ذَاتَهَا. رَاجِعْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ: M. Kraser, Das römische Privvatrecht, München, ١٩٥٥, ٢٢٩٩. عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ الْاعْتِرَافُ بِالْفَضْلِ لِأَفْلُوطِينِ فِي أَمْرَيْنِ غَيْرِ وَارِدَيْنِ فِي التَّشْرِيعِ الرُّومَانِيِّ الْمُتَعَلِّقِ بِالْوَصَايَةِ، وَهُمَا الْاهْتِمَامُ بِتَرْبِيَةِ هَؤُلَاءِ الْإِبْنَانِ وَإِيَاوَاهُمْ فِي دَارِهِ. وَهَذِهِ يَدُلُّ عَلَى الْعِلَاقَاتِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَرْبِطُهُ بِبَعْضِ الْأَسْرَ الرُّومَانِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ يَوْمَئِذٍ. وَالْجَدِيرُ الذِّكْرُ هُوَ أَنَّ أَفْلُوطِينُ كَانَ يَتَمَتَّعُ بِحَقُوقِ الْمَوْطَانِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَنْدَرُ مِنْ يُمْنِهَا يَمَنٌ لَمْ يَكُنْ رُومَانِيٍّ الْأَصْلُ وَالْمَوْلِدُ. هَذَا وَإِنَّ لَنَا، مِلَاحَظَةً ثَالِثَةً فِي مَقْطَعِنَا هُنَا، وَهِيَ تَتَعَلَّقُ بِإِسْمِ الصَّبِيِّ الْوَارِدِ ذِكْرَهُ فِي ٩: ١٠. لَقَدْ أَثْبَتْنَا اسْمَهُ هُنَا بُولِيمُونِ. فَإِنَّ الْجَهْدَ فِي مُرَاجَعَةِ الْأَصُولِ الْمَخْطُوطَةِ جَعَلَنَا نَفْضِلُ قِرَاءَةَ بَرَهِيَّةٍ وَهَرْدٍ عَلَى تِلْكَ الَّتِي يَذْهَبُ إِلَيْهَا هَنْرِي، وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذَا الْأَخِيرَ هُوَ صَاحِبُ أَحَدِثٍ وَآتَقَنَ نَشْرَةَ عِلْمِيَّةٍ لِنَصْنَا الْيُونَانِيَّةِ. فَإِنَّهُ يَقُولُ «بُولِيمُون» بَدَلًا مِنْ «بُولِيمُون». هَذَا مَعَ الْجُلْمِ بِأَنَّ هَذَا الْإِسْمَ الْأَخِيرَ ذَاتَهُ يَرِدُ فِي مَا يَلِي (١١: ١٠) مُشَارًا بِهِ، وَلَا شَكَّ، إِلَى الصَّبِيِّ ذَاتِهِ. عَلَى أَنَّا نُخَالِفُ أَيْضًا بَرَهِيَّةَ فِي تَرْجُمَتِهِ رَوَايَةَ فَرْفُورِيُوسَ عَنْ ذَلِكَ الصَّبِيِّ مِنْ أَنَّ أَفْلُوطِينُ كَانَ يَسْتَمِعُ إِلَى مُحَاوَلَاتِهِ فِي تَعَلُّمِ اللُّغَةِ، وَتِلْكَ إِعْرَابُ الْجُمْلَةِ وَتَصْرِيفُ الْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ. أَمَّا بَرَهِيَّةُ فَإِنَّهُ يَسْتَبْدِلُ «عِلْمَ الْقَرِيضِ» «بِتَعَلُّمِ اللُّغَةِ» عَائِدًا، فِي ذَلِكَ، إِلَى بَعْضِ الْمَخْطُوطَاتِ الَّتِي نَرَى فِيهَا فَسَادًا فِي هَذَا الْمَكَانِ. وَنَاتِي =

١٠] إِنَّ الْمَبْيُوسَ الْإِسْكَنْذِرَانِي أَحَدَ الْمُدَّعِينَ بِالتَّقْلُسُفِ، وَيَلْمِيزُ أُمْنِيُوسَ أَثْنَاءَ مُدَّةِ وَجِيرَةٍ،
 كَانَ يُبَادِرُ أَفْلُوطِينَ بِالْإِخْفَارِ لِأَنَّهُ كَانَ يُجِبُّ أَنْ يُقَدَّمَ عَلَيْهِ. بَلْ انْقَلَبَ عَلَيْهِ بِحَيْثُ رَاحَ يُحَاوِلُ عَنْ
 ٥ سَبِيلِ السَّحَرِ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ التَّجُومِ تَحْتَ سَيِّءِ طَالِعِهَا. فَلَمَّا أَحْسَنَ/ أَنْ مُحَاوَلَتَهُ تَرْتَدَّ عَلَيْهِ أَخَذَ
 يَقُولُ لِحُلَايِهِ أَنَّ أَفْلُوطِينَ نَفْسًا هِيَ مِنَ الْمَنَاعَةِ بِحَيْثُ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرُدَّ التَّعْزِيمَاتِ الْمُوجَّهَةَ إِلَيْهِ
 عَلَى الَّذِينَ يُرِيدُونَ بِهِ شَرًّا. أَمَّا أَفْلُوطِينَ فَكَانَ وَاعِيًا لِمُحَاوَلَاتِ أَلْمَبْيُوسِ، فَيَقُولُ أَنَّ جَسَدَهُ
 ١٠ حِينَئِذٍ كَانَ يَتَّقِبُضَ عَلَى ذَاتِهِ مِثْلَ صُرَّةٍ تُصَرِّ/، فَتَتَكَمَشُ أَعْضَاؤُهُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ. وَقَدْ كَانَ
 أَلْمَبْيُوسُ أَكْثَرَ تَعَرُّضًا لِأَنَّهُ يُصَابُ هُوَ بِشَيْءٍ مِنْهُ أَنْ يُؤْذِيَ أَفْلُوطِينَ؛ فَكَثُرَ. وَالْوَاقِعُ أَنَّ أَفْلُوطِينَ
 ١٥ كَانَ قَدْ فَطِرَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّفُوقِ عَلَى غَيْرِهِ. جَاءَ رُومًا أَحَدَ الْكَهَنَةِ الْمَصْرِيِّينَ، فَتَعَرَّفَ إِلَيْهِ
 بِوَسَاطَةِ أَحَدِ أَصْحَابِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَعْضُدَ مَا لَدَيْهِ مِنْ حِكْمَةٍ، وَهَمَّ أَنْ يَمَكِّنَ أَفْلُوطِينَ مِنْ مُشَاهَدَةِ
 جَنَّتِيهِ الْخَاصِّ الَّذِي يُرَافِقُهُ، بَعْدَ اسْتِحْضَارِهِ لَهُ. فَتَزَلَّ أَفْلُوطِينَ عِنْدَ رَغْبَتِهِ، وَتَمَّ الاسْتِحْضَارُ فِي
 ٢٠ هَيْكَلِ إِيْرِيْسَ، وَهُوَ الْمَحَلُّ الْوَاحِدُ الطَّاهِرُ الْمَوْجُودُ/ فِي رُومًا عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْمَصْرِيِّ.
 فَاسْتَدْعَى جَنَّتِي أَفْلُوطِينَ لِلْحَضُورِ عِيَانًا فَحَضَرَ رَبٌّ مِنَ الْأَرْبَابِ لَيْسَ مِنَ الْجِنِّ فِي شَيْءٍ.
 فَقَالَ الْمَصْرِيُّ: «طُوبَى لَكَ فَإِنَّ جَنَّتِيكَ رَبٌّ مِنَ الْأَرْبَابِ، وَلَيْسَ الَّذِي يَقِفُ فِي جَانِبِكَ مِنْ
 ٢٥ عَالَمِ الدُّنْوَ». هَذَا، وَمَا أَمَكَّنَ أَنْ يُلْقِيَ عَلَى الْمُسْتَحْضَرِ الْعُلُويِّ سَوَالَ، وَمَا لَيْثُ أَنْ اخْتَفَى عَنْ/
 الْعِيَانِ إِذْ كَانَ أَحَدُ الْأَصْحَابِ الْحَاضِرِينَ قَدْ خَنَقَ الدَّبِيكَةَ الَّتِي كَانَ يَمْسُكُ بِهَا، إِمَّا حَسَدًا وَإِمَّا
 خَوْفًا مَا. كَانَ رَفِيقُهُ إِذَا أَقْرَبَ الْجِنِّ إِلَى الْعَالَمِ الْأَلَهِيِّ، وَمَا زَالَ هُوَ يَنْتَظِرُ بِوَجْهِهِ الرُّبَانِيَّ إِلَى ذَلِكَ
 ٣٠ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى. وَلِهَذَا السَّبَبُ وَضَعَ/ مَقَالَتَهُ «الْجَنَّتِي الَّذِي قُدِّرَ لَنَا قَرِيبًا»؛ حَاوَلَ فِيهَا أَنْ يُدْلِيَ
 بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تُوَدِّي إِلَى امْتِيازِ بَعْضِ الرِّفَاقِ الْعُلُويِّينَ عَنْ بَعْضِهِمُ الْآخَرَ. - كَانَ أَلْمَبْيُوسُ مُجِيبًا
 لِلدُّبَابِ، فَيُحْيِي كُلَّ حَقْلَةٍ مِنْ حَقْلَاتِ الْأَهْلَةِ، وَكُلَّ عِيدٍ مِنَ الْأَعْيَادِ السَّنَوِيَّةِ. وَقَدْ هَمَّ يَوْمًا أَنْ
 ٣٥ يَصْطَلِحَ أَفْلُوطِينَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ هَذَا: / «إِنَّ مَجِيءَ الْآلِهَةِ إِلَيَّ أَحْرَى مِنْ ذَهَابِي إِلَيْهَا». أَمَّا
 الْفِكْرَةُ الَّتِي دَفَعَتْهُ إِلَى هَذَا التَّبَاهِي، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَفْهَمَهَا وَلَمْ تَعْرِجْ عَلَى السَّوَالِ عَنْهَا^(٣٥).

=الآن على ملاحظتنا الرابعة والأخيرة، وهي تتعلق بنهاية المقطع حيث نطلع على أنّ أفلوطين لم يكن
 له عدد قط على صعيد السياسة. الأمر الذي يُمهّد إلى القول بما يقابله وهو العداء الذي يواجهه على
 الصعيد الفلسفي. وهو موضوع يقابله به فرفوريوس في مُستهلّ المقطع العاشر الذي يرتبط مباشرة
 بالجملة الأخيرة من المقطع التاسع.

(٣٥) ظاهر أنّ المقطع يتعلق كلّهُ بالسَّحَرِيَّاتِ، ولهذا مكانة في التأسوعات لا تُنكرها فسعود إليها تُعالجها
 كلّاً. لكن لا بُدَّ من أن نتاولها هنا ببعض الإشارات، فتدع جانباً التفاصيل المتعلقة بالتصّ ذاته، إذ أنّ
 من شأن جُلّها أن يكون تعليلات لما أثبتناه في الترجمة، فنستطيع أن نستغني عنها.

أما في ما يتعلق بالسَّحَرِيَّاتِ والجَنِّيَّاتِ ذاتها في عصر أفلوطين وفرفوريوس بخاصّة فيمكن للقارئ أن
 يعود إلى دائرة المعارف للبستاني، في المقالين «ابولونيوس الثاني» ثم «ارسطو والأرسطية عند =

١١ كَانَ لَهُ فِرَاسَةٌ غَرِيبَةٌ فِي طَبَائِعِ النَّاسِ. حَدَّثَ مَثَلًا أَنَّ عَقْدًا ثَمِينًا لِلْأَرْمَلَةِ كَيُؤْنِي سُرْقَ
يَوْمًا، وَكَانَتْ تُقِيمُ فِي بَيْتِهِ مَعَ أَوْلَادِهَا وَقَوْرَةَ كَرِيمَةٍ. فَأَحْضَرَ الْخَدَمَ أَمَامَ أَفْلُوطِينِ، وَأَخَذَ
يُحَدِّثُ فِيهِمْ جَمِيعًا. ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَحَدِهِمْ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ السَّارِقُ». فَجَلَدُوهُ، فَمَا زَالَ يُنْكِرُ أَوَّلَ
الأمر؛ ثُمَّ أَقْرَأْهُمُ آخِرًا وَسَلَّمَ مَا سَرَقَهُ. - وَمِنْ مَزَايَاهُ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ يَتَّبِعُ بِمَا سَيَكُونُ مِنْ أَمْرِ كُلِّ مَنْ
الأولاد الذين يعيشون معه. فَقِي بُولِيمُوسُ مَثَلًا قَالَ أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنَ الْعَاشِقِينَ، / وَلَنْ يُعْمَرَ
طَوِيلًا. وَهَكَذَا كَانَ^(٣٦). ثُمَّ إِنَّهُ شَعَرَ يَوْمًا بِأَنَّهُ، أَنَا فَرْفُورِيُوسُ، أَنُورِي التَّخْلُصَ مِنَ الْحَيَاةِ،
فَبَادَرَنِي فِي عَقْرِ دَارِهِ حَيْثُ كُنْتُ أَقِيمُ وَقَدْ ذَاكَ؛ وَقَالَ لِي أَنَّ تِلْكَ الرُّغْبَةَ لَا تَصْدُرُ عَنْ حَالَةِ نَفْسِيَّةٍ
قَوِيمةً، بَلْ عَنْ مَرَضٍ السُّوَيْدَاءِ؛ وَأَشَارَ عَلَيَّ بِالسَّفَرِ. / فَفَقَنْتُ مِنْهُ وَجِئْتُ إِلَى صِيقَلِيَّةٍ حَيْثُ كُنْتُ

=العرب». وإن أراد التعمق في الموضوع، فعليه بالدراسات التالية:

- E. R. Dodds, the Greeks and the irrational, 195, 285 sq.
- Zeller, Philosophie der Griechen, III, 24, 524.
- Ph. Merlan, Plotinus and Magic, Irsis 44, 1953.
- R. Reitzenstein, Die hellenistischen Mysterienreligionen 3. Aufl, 130 sq.
- L. Thorndike, a history of magic and experimental science, 1, N - Y 1923.

هَذَا وَلَيْسَ لِلْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ ذَاتَهُ إِلَّا أَنْ يَعُودَ إِلَى رِسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا وَمَنْشُورَاتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدْوِي فِي
«أَرْسُطُو الْمَنْحُولِ» مَثَلًا لِتَبَيُّنِ الْأَثَرِ الْبَالِغِ الَّذِي خَلَفَتْهُ تِلْكَ السُّحْرِيَّاتُ فِي ثُرَاتِهِ بِالذَّاتِ. كَانَتْ تَقُومُ،
غَالِبَ الْأَحْيَانِ، عَلَى تَعْزِيمَاتٍ مَوْقَعَةٍ بِالْحَانِ مِنْ شَأْنِهَا، فِي اعْتِقَادِهِمْ، أَنْ تَجْعَلَ الْإِنْسَانَ تَحْتَ تَأْثِيرِ
قُوَى الْأَفْلَاقِ. وَلَمْ يُعْتَرَفْ بِالْمَنَاعَةِ عَنْ ذَلِكَ التَّأْثِيرِ إِلَّا لِمَنْ كَانُوا يُتَصَوَّرُونَ فِي مَصَافِ الْأَوْلِيَاءِ،
وَالْفَلَاسِفَةِ مِنْهُمْ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ يُحَاوِلُ أَفْلُوطِينُ ذَاتَهُ (٤، ٤، ٤٤) أَنْ يُعَلِّلَهَا بِتَأْوِيلِ وَضْعِيٍّ يَسْتَسْمِغُهُ
الْعَقْلُ الْبَشَرِيُّ. وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَرْفُورِيُوسُ، فِي مَقْطَعِنَا هَذَا، فِي عِلَاقَتِهَا بِأَفْلُوطِينِ. عَلَى أَنَّ
الْأَصْلَ الَّذِي ثَرَّدَ إِلَيْهِ كُلُّ تِلْكَ التَّعْزِيمَاتِ وَالْمَنَاعَةِ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ تَصَوُّرُ الْبَطْلِ أَوْ الْوَالِدِيِّ مَقْرُونًا بِرَفِيقِ
أَعْلَى هُوَ شَيْطَانٍ أَوْ جِنِّيٍّ. كَذَلِكَ كَانُوا يَتَصَوَّرُونَ لِفَيْثَاغُورَسٍ مَثَلًا «رَبًّا أَوْ طَبِيبًا» أَوْ عَلَى الْأَقْلِ «جِنِّيًّا»
مُقِيمًا فِي الْفَلَكَ (رَاجِعِ يَمْبَلِيخُوسَ، حَيَاةَ فَيْثَاغُورَسَ، ٣٠).

وَأَيُّمَا كَانَ الْأَمْرُ، فَإِنَّ أَفْلُوطِينُ ذَاتَهُ لَمْ يَنْجُ مِنْ كُلِّ تِلْكَ التَّصَوُّرَاتِ الْأَسْطُورِيَّةِ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، مِنْ
خِلَالِ خَلْفِيَّاتِهِ، وَاقِعًا رَاهِنًا يُحَاوِلُ أَنْ يُوَلِّهَ مِنْ زَاوِيَةِ فِلْسَافِيَّةٍ وَضْعِيَّةٍ يَقْصِدُ مِنْهَا تَوْجِيهَ مُرِيدِهِ أَوْ تَلْمِيذِهِ
إِلَى تَطْهِيرِ بَاطِنِهِ وَتَعْمِيرِهِ. وَبِهَذَا الْمَعْنَى يَجِبُ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ فِي الذَّبَائِحِ الَّتِي يَدْعُوهُ صَدِيقُهُ أَمْبِلْيُوسُ إِلَى
أَنْ يَقْرَبَهَا إِلَى الْأَلَهَةِ. فَإِنَّهُ يَرَى تِلْكَ الذَّبَائِحَ مُجَرَّدَ حَرَكَاتٍ وَشَعَائِرٍ لَا مَعْنَى لَهَا، بَلْ يُحْظَرُ مِنْهَا
وَيَسْتَبْدَلُهَا بِمَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَبْرُزَ الْإِنْسَانُ فِي حَقِيقَتِهِ الْكَامِلَةِ، وَهِيَ كُونُهُ مَقَامَ الْأُلُوهِيَّةِ وَهَيْكَلِهَا. وَقَدْ
وَصَلْنَا مِنْ تَلْمِيذِهِ فَرْفُورِيُوسُ آثَارَ ثَبُتٍ لَنَا أَنَّ هَذَا الْآخِرَ قَدْ تَقَيَّدَ بِتَعْلِيمِ أَسْتَازِهِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، فَكَانَ
مِنْهُ خَيْرُ الْخَلْفِ لِخَيْرِ السَّلَفِ. رَاجِعِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، مِنْ فَرْفُورِيُوسُ ذَاتِهِ، «الرَّسَالَةُ إِلَى مَرْسَلَا»
(فَصْل ١٤ - ١٦) وَفِي الْإِنْقِطَاعِ عَلَى أَكْلِ اللَّحْمِ» عِنْدَ Vie de Porphyre 'J. Bidez ١٩٦٤

الفهرست.

(٣٦) إِنَّ الْقَارِئَ يَجِدُ مِثْلَ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ عَنِ الْفِرَاسَةِ وَأَمَارَاتِ الْحُكْمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ فِي كُتُبِ الْمُتَصَوِّفَةِ. رَاجِعِ
مَثَلًا الْعَرَالِيَّ، إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ، الرَّابِعُ الثَّالِثُ، الْكِتَابُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي: شَرْحُ عَجَائِبِ الْقَلْبِ، وَرِيَاضَةُ
النَّفْسِ.

قَدْ سَمِعْتُ بَرَجُلَ ذَائِعِ الصَّبِيَّةِ، يُقِيمُ فِي لِيلُوبِيْتُسَ، إِسْمُهُ بَرُوبُوسُ. وَهَكَذَا نَجَوْتُ مِنْ رَعْبَتِي فِي الْمَوْتِ. وَلَكِنْ ذَلِكَ حَالٌ يَبْنِي وَبَيْنَ الْبَقَاءِ إِلَى جَانِبِ أَفْلُوطِينَ حَتَّى مَوْتِهِ (٣٧).

١٢ كَانَ الإمبراطور جالينوس وَزَوْجَتَهُ سَالُونِيْنَا يُكْرِمَانِ أَفْلُوطِينَ وَيَحْتَرِمَانِهِ كَثِيرًا. فَحَاوَلَ أَنْ يَسْتَغْلِلَ تِلْكَ الصَّدَاقَةَ، وَطَلَّبَ تَرْمِيمَ مَدِينَةٍ، قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ فِي كَمْبَانِيَا وَأَصْبَحَتْ بَعْدَ ذَلِكَ خَرَابًا. حَتَّى إِذَا رُمِّمَتْ وَهَبَتْ مَعَ مَا فِي جَوَارِهَا مِنْ أُرْيَافٍ. وَتَقْبَدُ مَنْ هُمْ يَسْكُنُهَا بِالسُّلُوكِ الَّذِي سَنَتْهُ أَفْلَاطُونُ، وَلِهَذَا يَكُونُ اسْمُهَا «أَفْلَاطُونُوبُولِيْس». ثُمَّ وَعَدَ الإمبراطور بِأَنَّهُ سَيُقِيمُ هُنَاكَ مُتَعَزِّلًا مَعَ أَصْحَابِهِ. وَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَتَيَسَّرَ لِلْفِيلَسُوفِ مَا أَرَادَ لَوْ لَمْ يَجَلِ دُونَ ذَلِكَ بَعْضُ حَاشِيَةِ الْبَلَاطِ حَسَدًا أَوْ بُغْضًا أَوْ لِسَبَبٍ رَدِيءٍ آخَرَ (٣٨).

(٣٧) إِنَّ بَعْضَ الْبَاحِثِينَ يَرَى فِي كُلِّ هَذِهِ الْقِصَّةِ تَلْوِيحًا مِنْ فِرْفُورِيُوسِ إِلَى خُصُومَاتِ نَشِبَتْ بَيْنَ أَفْرَادِ حَلْقَةِ أَفْلُوطِينَ الرَّؤُومَانِيَّةِ. بِمَا دَفَعَ هَذَا الْآخِرَ إِلَى أَنْ يُجِدَ عَنْهُ أَلَمَعُ تَلَامِيذِهِ بِحَيْثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ، بَعْدَ قَلِيلٍ بِمَخْطُوطَاتِهِ الْآخِرَةِ، فَجَعَلَهُ بِذَلِكَ وَصِيَّةً عَلَى آثَارِهِ وَكَأَنَّهُ يَكْلِفُهُ بِشَرْهَا (رَاجِعِ التَّصَنُّعَ ٦٥ : ٦٦). لَقَدْ كَانَ فِرْفُورِيُوسُ يَوْمَئِذٍ فِي أَوَاخِرِ الْأَرْبَعِينَاتِ مِنْ عُمْرِهِ، وَوَقَعَ الْحَادِثُ فِي السَّنَةِ ٢٦٨م، أَيَّ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَفْلُوطِينَ قَدْ وَضَعَ مَقَالَهُ الصَّغِيرَ فِي الْإِنْتِحَارِ (٩٠١). أَمَّا تَوَجُّهُ فِرْفُورِيُوسِ إِلَى صَقْلِيَّةٍ فَلَرُبَّمَا كَانَ لَوْجُودِ مَرْكَزٍ مَشْهُورٍ فِيهَا لِلْفِيلَسُوفَةِ يَوْمَئِذٍ. لَكِنَّ الْوَاقِعَ أَنَّ الرَّجُلَ يُصَرِّحُ بِأَنَّهُ قَصَدَ الْجَزِيرَةَ الْإِيطَالِيَّةَ لِعَلَّاقَةٍ مَا لَهْ هُنَاكَ بِرَجُلٍ يَعْرِفُهُ بِاسْمِهِ.

(٣٨) يَجِبُ أَنْ تُشِيرَ أَوَّلًا، فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْمَقْطَعِ، إِلَى نَاحِيَتَيْنِ اخْتَلَفْنَا فِي نَقْلِهِمَا عَنِ الْيُونَانِيَّةِ مِنْ تَرْجُمَةِ بَرَهْمِيَّةٍ. أَمَّا الْأَوَّلَى فَتَقَعُ فِي السَّطْرِ الثَّلَاثِ مِنَ التَّصَنُّعِ الْيُونَانِيِّ. وَهِيَ، فِي مَا نَرَى، إِضَافَةٌ مُتَأَخَّرَةٌ نَاجِمَةٌ عَنْ فَسَادِ نَالِ اسْمِ الْمَدِينَةِ الْأَوَّلَى فِي الْمَخْطُوطَاتِ. وَقَدْ تَرَجَّمَهَا بَرَهْمِيَّةٌ بِمَا يَلِي *pour les philosophes*... وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَتَتَعَلَّقُ بِقَصْدِ أَفْلُوطِينَ أَنْ يَفْرُضَ «قَوَانِينَ» أَفْلَاطُونِ فِي مَدِينَتِهِ الْمُؤَرَّمَةِ. فَإِنَّهُ لَيْسَ بِعَيْنِي التَّقْيِيدُ بِمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْمَعْرُوفِ بِهَذَا «الْعُنْوَانِ» الَّذِي وَضَعَهُ أَفْلَاطُونُ، بَلِ التَّقْيِيدُ بِتَعَالِيمِ شَيْخِ الْفَلَسَافَةِ إِجْمَالًا بِالْوَجْهِ الَّذِي تَبْدُو عَلَيْهِ مِنْ خِلَالِ مَذْهَبِهِ مَنظُورًا إِلَيْهِ بِكُلِّيَّةٍ. أَمَّا مَا يَنْقُلُهُ فِرْفُورِيُوسُ حَوْلَ عِلَاقَاتِ أَفْلُوطِينَ بِالْإمبراطور جالينوس وَامْرَأَتِهِ فَبِهِ نَظَرٌ يَخْتَلِفُ عَنْ ذَلِكَ الَّذِي كَانَ شَائِعًا قَبْلَ مَا اثْبَتَتْهُ الْأَبْحَاثُ الْحَدِيثَةُ. لَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَفْلُوطِينَ وَبَلَاطِ الْأَمْبَرَاطُورِيِّ صِلَاتٍ تَسْتَدُّ عَلَى الْأَقْلَى إِلَى الصَّدَاقَةِ الَّتِي كَانَتْ تُرْبِطُ الرَّجُلَ بِسَابِنُوسَ، وَهُوَ مِنْ مَجْلِسِ الشُّيُوخِ الرَّؤُومَانِيِّ، وَكَانَ قَدْ عُيِّنَ قُضَاةً فِي السَّنَةِ ٢٦٦م. وَلَكِنَّا لَا نَعْلَمُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَا يَخَصُّ تِلْكَ الصِّلَاتِ. فَمِنْ الْمُمْكِنِ أَلَّا تَزِيدَ عَلَى أَنْ تَكُونَ مُجَرَّدَ صِلَاتٍ ثَقَافِيَّةٍ رُبَّمَا أَهْمَتْ جَالِينُوسَ لِأَنَّهُ كَانَ مَعْرُوفًا بِمَبْوَئِهِ إِلَى أَلْوَانِ الثَّقَافَةِ الْهَلَنْسِيَّةِ (رَاجِعِ RE Licinius 'L. Wickert رقم ٨٤، ص ٣٦٨). لَكِنَّ الْمُرْجَّحَ أَنَّهُ كَانَ يَتَّخِذُ تِلْكَ الصِّلَاتِ وَسِيلَةً لِتَلَطُّيفِ الْجَوِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَعْضِ أَفْرَادِ مَجْلِسِ الشُّيُوخِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى أَفْلُوطِينَ. ذَلِكَ لِأَنَّ مِنَ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ أَنَّ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ مَجْلِسِ الشُّيُوخِ وَبَلَاطِ الْأَمْبَرَاطُورِيِّ لَمْ تَكُنْ أَبَدًا عَلَى خَيْرٍ مَا يُرَامُ.

فَالوَاقِعُ أَنَّ أَقْوَالَ فِرْفُورِيُوسِ عَنْ عِلَاقَاتِ أَفْلُوطِينَ بِجَالِينُوسَ لَا تَعْنِي كُلَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جُلٌّ كِبَارُ الْبَاحِثِينَ السَّابِقِينَ مِنْ أَمْثَالِ:

- Mas Wundt, Plotin, 1919, 36 sq.

== A. Alföldi, Die Vorherrschaft der Pannonier in Romerreiche und die Reaktion des Hellen -

١٣ كان في مجالسِه حاضر البديهة، قادراً على ابتكار المعاني المفيدة وضبطها. أما كلامه، فلا يخلو من لكنة، وقد تسرب بعض الأخطاء اللغوية إلى كتاباته. وفي حديثه كان وجهه يعكس نور روحه وصفاء ذهنه. وما كان أجملَه آنذاك: فضلاً عن/ الظرف الذي كان يتحلَّى به دائماً.

١٠ كان يتصبب وجهه عرقاً ويرافق سداد قولَه أنس ولطف مع من يسألونه. ولقد بقيت، أنا فرفوريوس، مدة ثلاثة أيام أسأله/ عن كيفية إتحاد النفس بالجسد وهو لا يني يدي لي ببرايميه.

= tums unter Gallienus, in 25 Jahre römischgermanische Kommission, 1930, 11 - 51.

لقد تصوّر هذان الباحثان وغيرهما جالينوس سابقاً لمن بعده من الأباطرة المتأخرين، مثل فيسيبسيانوس ويوليانيوس، أن يحملوا رعايا أمباطوريّهم على نهضة أخلاقية عن سبيل التعليم والثقافة. فحملوا أفلاطون من أساطين تلك النهضة التي تؤول على وجهين: وجه أول يُستخيل على أن القصد من النهضة حتّ الثيبية على مكارم الأخلاق عن طريق الفلسفة. والوجه الثاني يؤخذ على أن تلك النهضة خطة وضعت في مقابل لون التفكير الجديد الذي نشأ عن انتشار الدين المسيحي يومذاك. لم يكن الأمباطور يريد أن يواجه هذا الدين بالاضطهاد العنيف. فحاول أن يقيم في وجهه تياراً يعاكسه وهو تيار السيرة التي يفرضها الفكر الديني الوثني بالوجه الذي أخذ يبدو عليه في الثقافة الهلنستية القديمة. لقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن شيئاً من ذلك كله لم يكن. فإن أفلوطين لم يكن من شأنه أن يبرز للناس «مصلحاً» أو «رسولاً». وإذا نظرنا إلى مذهبه كلاً، فإننا لا نستطيع أن نتصوره بما ظهر عليه بعض المفكرين بعده، وكان فرفوريوس هو الذي مهد لظهورهم بل كان السابق إلى ما وضعوه من مذاهب. على أن هذه المذاهب هي التي أدت إلى اختلاف شخصية المفكر الديني الوثني الهلنستي، مثلما تجسدت بالبطل المفكر الأسطوريّ ابولونيوس التيان الذي أظهره فيلسوفاً وصاحب كرامات (راجع المقال عنه في دائرة البستاني). فإلى هذا البطل الأسطوري يُسند القول الدال على رغبة هؤلاء المفكرين المتأخرين في التقرب، بل التزلف، إلى البلاط الأمباطوري وحاشيته. كان يقول في أيام فيسيبسيانوس: «لا يهمني الحكم ما دمت في كنف الآلهة» (راجع ابولونيوس التيان ٥، ٣٣ - ٣٥؛ ثم برهيه، م. م. ج. ١، ص ١٤، حاشية ٢)، أي في رعاية الأمباطور الذي بشخصه تظهر الآلهة للناس.

لذلك كله لا تستغرب فشل أفلوطين في تصميمه لمدينته. لقد نسب فرفوريوس هذا الفشل إلى رداءة مناوئي أستاذه. لكن لنا أن نسأل أيضاً في ما إن لم يعد هذا الفشل إلى عدم اكتراث الأمباطور ذاته بذلك التصميم للأسباب التي ذكرت. بل الواقع أن ما يعنينا أكثر من ذلك كله، هي الغاية الحقيقية التي دفعت أفلوطين إلى أن يرغب في ترميم تلك المدينة. لم تكن هذه الغاية إنشاء مركز للتباحث في الأخلاق والفلسفة. بل أن تكون إنشاء منطقة يأوي إليها هو، مع جلسائه وغيرهم من الفلاسفة طلباً للراحة والاستجمام، كما ظن بعضهم (راجع Glaube der Hallonen 2, U. V. Wilamoitz 3, 524). فالمرجح أننا نستطيع أن نؤرخ طلبه إلى الأمباطور في السنة ٢٦٦، أي تلك التي كان فيها صاحبه ساينلوس قنصلاً، وكان إذا تقربه إلى البلاط الأمباطوري على أشده وأكد. ولا تستغرب أن يكون أفلوطين قد انتهزها فرصة تتيح له، إن نجح طلبه، أن يفرّ من روما هارباً للتخلص من الأوساط التي كان متصلاً بها، وهي حافلة بالذسائس يُديرها الكثير من أفراد مجلس الشيوخ لتكدير الجو على الأمباطور. ولربما كانت تلك الذسائس هي التي دفعت فرفوريوس إلى أن يفكر بالانتحار الذي وصف أفلوطين سببه بأنه «مرض السويداء». راجع الحاشية (٣٧).

فَدَخَلَ عَلَيْنَا أَحَدَهُمْ، واسمُهُ ثوماسيوس، وقال إنه يُريد أن يسمع كلامًا مُستَقًا يَصْلَحُ لِأَن يُدَوَّنَ بالكتابة، ولا قَبْلَ لَه بِجِوَارٍ مِثْلَ هَذَا، إِذْ كَانَ يَسْأَلُ فِرْفُورِيوس وَيُجِيبُهُ أَفْلُوطِين. فَقَالَ لَهُ أَفْلُوطِين: «لَوْ لَمْ/ يَطْرَحْ فِرْفُورِيوس الأَسْئَلَةَ لِأَجْلِ حَلِّ الصُّعُوبَات، لَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ شَيْئًا جَدِيرًا بِأَنْ يُدْفَعَ لِلكِتَابَةِ»^(٣٩).

١٤] أَسْلُوبُهُ فِي الْكِتَابَةِ مُوجَزٌ بَلِيجٌ، قَلِيلُ الْأَلْفَاظِ كَثِيرُ الْمَعَانِي. تَمَلَّكَ سَعَةً مَوْضُوعَهُ عَلَيْهِ أَفْرَهُ، فَيَتَكَلَّمُ عَنِ الْإِثْعَالِ، سِوَا أَكَانَ يُحِبُّ مَا يَقُولُ أَوْ يَعْرِضُهُ عَرْضًا فَقَط. لَقَدْ جَاءَتْ كِتَابَاتُهُ مَزِيجًا غَيْرَ مَلْحُوظٍ مِنْ تَعَالِيمِ الرُّوَاقِئِينَ، وَتَعَالِيمِ الْمَشَائِينِ؛ وَطَالَمَا عَمَدَ أَيْضًا إِلَى «مَا وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ» لِأَرْسَطُو. وَلَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ الْمَشْهُورُ مِنْ نَظَرِيَّاتِ الْهَنْدَسَةِ وَالْحِسَابِ وَعِلْمِ الْحَيَلِ وَعِلْمِ الْإِبْصَارِ وَالْمُوسِيقَى، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُعَدًّا لِمُعَالَجَةِ تِلْكَ الْعُلُومِ مُعَالَجَةً دَقِيقَةً. وَفِي مُسْتَهْلِ حَقَائِقِهِ/ كَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ أَوَّلًا شُرُوحُ لِسِيثِيُوسِ أَوْ كِرُونِيُوسِ أَوْ نُونِيُوسِ أَوْ غِيُوسِ أَوْ أَيْكِيُوسِ، وَمِنْ الْمَشَائِينِ أَسِيْبَارِيُوسِ، وَاسْكَندَرُ وَأَدْرِسْتُوسُ... أَوْ غَيْرِهِمْ حَسْبَمَا يَتَقَيَّقُ لَهُ^(٤٠). فَلَا يَكْتَفِي بِقِرَاءَةِ تِلْكَ الشُّرُوحِ فَقَط، بَلْ يَأْتِي هُوَ بِنَظَرِيَّاتٍ يَبْتَكِرُهَا مِنْ عِنْدِهِ/ وَتَفْسِيرَاتٍ يُزِيلُهَا مَقْبُوعَةً بِرُوحِ أَمْنِيُوسِ. عَلَى أَنَّهُ سُرْعَانِ مَا كَانَ يُنْهِي ذَلِكَ كُلَّهُ، فَيَقُولُ بِإِبْجَازٍ مَعْنَى مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ النَّظَرِيَّةُ الْعَمِيقَةُ ثُمَّ يَتَهَضُّ وَيَبْقِفُ. فُرِئَ عَلَيْهِ يَوْمًا مَقَالٌ لِلنَّجِيثِيُوسِ «فِي الْأَصُولِ» وَ«فِي الْمَوْلَعِ بِالْقَدِيمِ». فَقَالَ: إِنَّ لُنَّجِيثِيُوسِ لِمِنْ فُقَهَاءِ اللُّغَةِ، وَلَيْسَ قَطُّ بِالْفَيْلَسُوفِ^(٤١). - دَخَلَ

(٣٩) لقد خدنا في ترجمتنا ل (١٣: ٣ - ٤) جملة ورد فيها كلمة «يلحن أفلوطين في لفظها ويذكرها فرفوريوس بلفظها الصحيح»، وهي لا فائدة منها هنا للمعنى، فضلًا عن أن التصحيح لا يفهم إلا بذكر اللفظة اليونانية ملحونة ثم مصححة. كذلك أيضًا تبعا ترجمة برهيه في نقل الجملة الأخيرة هنا، ولو كانت الكلمات التي تألف منها مشكوك فيها في المخطوطات؛ وهو أمرٌ دلَّ عليه برهيه في جهاز تصحيح المخطوطات. لكنه لم يلاحظ في ترجمته. وأبًا كان الحال، فإن شيئًا من هذا لا يُغيّر المعنى المقصود، وهو مفهوم. راجع برهيه م. م. ج ١، ص ١٥.

(٤٠) أما في ما يتعلق «بالمزيج غير الملحوظ» (١٤ § ٥)، من تعاليم الرواقيين والمشائين وتأثير الفتنين على تفكير أفلوطين فهو أمرٌ لا شك فيه. إن أفلوطين يذكر ويُناقش أقوال الرواقيين حتى في مقالاته الأولى. على حين أنه يتناول تعاليم «وراء الطبيعة» بخاصة في المقالات التي وضعها في أواخر حياته. ويجدر بالذكر أيضًا أن لفرفوريوس شرحًا في «مقال اللام» من كتاب أرسطو في «ما وراء الطبيعة»، رقم المقال عند Beutler هو ١٥٥؛ راجع أيضًا Porphyrios, RE ٢٨٤. أما في ما يتعلق «بشروح» الرجال المذكورين هنا، فإنهم جميعًا من شراح أفلاطون وأرسطو، وأشهرهم الاسكندر. لقد أخذوا بوضع هذه الشروح ونشرها ابتداءً من النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، بل ربما قبل ذلك. ففي ذلك الحين أخذت المشائية تنشا، وبخاصة الأفلاطونية المعروفة بأرسطو، وشأنها شأن المذاهب الأخرى التي كانت تُضبط وتُنظَّم للتعليم.

(٤١) «روح أمونيوس» أي بالمعنى العام الذي جاء عليه تعاليم أمونيوس التي كانت قد انخرفت، هي بدورها، عن التعاليم المُكرَّسة المألوفة فكانت مُبتكرة هي أيضًا. ونبته هنا إلى خطأ في ترجمة برهيه =

٢٠ أَوْرِيْجِينِسْ/ يَوْمًا عَلَيْهِ فِي إِحْدَى جَلْسَاتِهِ فَمَلَكَه الْحَيَاءُ وَهُمْ بِالْقِيَامِ . فَطَلَّبَ إِلَيْهِ أَوْرِيْجِينِسْ أَنْ
٢٥ يَسْتَمِرَّ فِي حَدِيثِهِ . فَقَالَ : «إِنَّ الرُّغْبَةَ فِي الْقَوْلِ تَزُولُ عِنْدَمَا يَرَى الْقَائِلُ / أَنْ قَوْلَهُ مُوجَّهٌ لِمَنْ هُوَ
عَالِمٌ بِهِ» . فَوَاضَلَ مُنَاقَشَتَهُ لِحِظَةً ثُمَّ نَهَضَ هَامًا بِالْإِنْصِرَافِ (٤٢) .

١٥ في أَحَدِ الْإِحْتِفَالَاتِ بِأَحْيَاءِ ذِكْرَى أَفْلَاطُونِ قَرَأَتْ قَصِيدَةً «فِي الزَّوْجِ الْمُقَدَّسِ» ،
فَعَالَجَتْهُ مَوْضُوعِي مُعَالَجَةِ الْمُثْلِهِمْ ، مُسْتَرْسِلًا مِنَ الْفَنِّ السَّرِّيِّ الْبَاطِنِ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : «لَقَدْ
جُنَّ فَرْفُورِيُوسُ» . فَقَالَ أَفْلُوطِينُ عَلَى مَسْمَعٍ مِنَ الْجَمِيعِ : «لَقَدْ أَثْبَتَ فِي أَنْوَاحِهِ أَنَّكَ شَاعِرٌ
٥ وَفِيلَسُوفٌ وَعَارِفٌ / مُلْهِمٌ» (٤٣) ، وَقَرَأَ يَوْمًا الْأَدِيبُ يُونَانِسُ دِفَاعًا عَنْ أَلْفِينِيَادِسِ الْوَارِدِ ذِكْرُهُ فِي
كِتَابِ «الْوَلِيمَةِ» لِأَفْلَاطُونِ . فَذَهَبَ إِلَى أَنَّ فَضِيلَةَ التَّعْلُمِ تَفْرُضُ عَلَى التَّلْمِيزِ أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَ رَغَبَاتِ
١٠ أَسَاتِذِهِ الشَّهَوَانِيَّةِ . فَهَمَّ أَفْلُوطِينُ غَيْرَ مَرَّةٍ بِالْثُهُوسِ وَالْإِنْصِرَافِ مِنَ الْمَجْلِسِ وَلَكِنَّهُ تَمَالَكَ / . ثُمَّ
عَهَدَ إِلَيْهِ ، أَنَا فَرْفُورِيُوسُ ، بَعْدَ انْقِضَاضِ الْمُسْتَمْعِينَ ، بِأَنْ أَكْتُبَ رَدًّا عَلَى ذَلِكَ الْكَلَامِ . وَلَمَّا لَمْ
يَرْضَ دِيُونَانِسُ أَنْ يُسَلِّمَنِي نَصَّ مَقَالَتِهِ ، اسْتَحْضَرَتْ أَدْلَتُهُ بِذَاكَرَتِي وَأَجَبْتُ عَلَيْهَا . ثُمَّ عَادَ
الْمُسْتَمْعُونَ أَنْفُسَهُمْ فَاجْتَمَعُوا ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ رَدِّي عَلَى دِيُونَانِسِ . وَلَشَدَّ مَا رَأَى أَفْلُوطِينُ
١٥ كَلَامِي / ، فَكَانَ يُرَدِّدُ أَثْنَاءَ قِرَاءَتِي ، «هَكَذَا تَصَفِّعُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَكُونَ نَوْرًا لِلنَّاسِ» (٤٤) . - بَشَتْ
إِلَيْهِ أَوُّبُولُوسُ خَلِيفَةُ أَفْلَاطُونِ (٤٥) مِنْ أَثْنَائِهَا بِمَقَالَاتٍ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ ، فَذَفَعَهَا

= (من م ج ١ ، ١٤ ، ص ١٧ - ١٨) حيث نقرأ: «... وكان يقف ليشرح بإيجاز نظرية عميقة». فإن
العادة المألوفة في إلقاء الدروس كانت أن يُلقى الأستاذ درسه جالسًا، ثم ينهض واقفًا عندما ينتهي منه
(راجع في الموضوع Jones R. M. ، Class - Philology 23 ، ١٩٢٨ ، ٣٧١) . أما لنجينوس فهو أديب
هلنستي معروف، وسيأتي الكلام عنه مطوَّلًا في ما يلي. على أن لا بُدَّ من أن نذكر هنا أن مقاله «في
الأصول» إنما لا يرد إلا في مقطعنا هذا.

(٤٢) أَوْرِيْجِينِسُ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ رَفِيقَ أَفْلُوطِينِ يَخْتَلِفُ مَعَهُ إِلَى تَعْلِيمِ أَمِينُوسِ . رَاجِعْ حَاشِيَةَ (١٩) .
وَلِذَلِكَ يَقُولُ أَفْلُوطِينُ مَا نَسَمِعُهُ مِنْهُ هُنَا . وَيَجِدُّ التَّنْبِيْهَ هُنَا إِلَى نُهُوضِ أَفْلُوطِينِ وَوُقُوفِهِ لَدَى انْتِهَائِهِ مِنْ
إِقْلَاءِ دَرْسِهِ . رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ السَّابِقَةَ ، وَأَيْضًا : Plotin et l'Occident, Henry ، ص ٩ .

(٤٣) كَذَلِكَ رَأَيْنَا أَنْ تُرْجَمَ اللَّفْظَةُ الْأَجْنِبِيَّةُ (hiérophante ، ١٥ : ٥) أَيْ «الطَّائِقُ بِالْمَقْدَسَاتِ» . أَمَّا مَوْضُوعُ
«الزَّوْجِ الْمُقَدَّسِ» فَهُوَ مَوْضُوعٌ طَالَمَا نَجِدُهُ مَطْرُوقًا فِي الْأَنْشِيدِ «الْأَرْتِيَّةِ» «الْمَوْقُوفَةِ لِلَّاهِ» (أُورْفِيَّة) ،
وَعِنْدَ فِيلُونِ الْإِسْكَانْدَرِيِّ وَفِي الرَّمْزِيَّةِ الْإِشَارِيَّةِ ، حَيْثُ يُوْخَذُ بِكَوْنِهِ نَوْعًا مِنَ الْمُخْتَلَفَاتِ يَسْتَخْرِجُ
الْمُفَكِّرُ مِنْهَا تَصَوُّرَاتِهِ الذَّهْنِيَّةَ الْفَلَسَفِيَّةَ . عَلَى أَنَّ «مَعْنَاهُ الْبَاطِنُ» الْأَسَاسِيُّ هُوَ تَوَلَّدَ الْعَالَمُ مِنْ مُجَامَعَةِ
الْإِلَهِ «زُوس» لِجَعْمَتِهِ . أَمَّا كَلَامُ أَفْلُوطِينِ فَيُذَكِّرُ بِكِتَابِ «فِيدُرُوس» (Phèdre) ٤٤٢ (تا) .

(٤٤) هَذَا الْكَلَامُ مَأْخُذٌ مِنَ الْإِلْيَازَةِ (٨ ، ٢٨٢) : كَانَ الْأَسَاتِذُ عَادَةً ، لِلتَّبْعِيْرِ عَنْ ثَنَائِهِ عَلَى طَلَبْتِهِ ، يَسْتَشْهَدُ
بِشِعْرِ مَنْ هُوَ مِيْرُوسُ . وَهُوَ تَقْلِيدٌ يَعُودُ إِلَى أَفْلَاطُونِ ، فِيمَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ .

(٤٥) «خَلِيفَةُ» هِيَ التَّرْجُمَةُ الْمُبَاشِرَةُ لِلْفَلْظَةِ الْيُونَانِيَّةِ Diadocos الْوَارِدَةِ هُنَا فِي نَصْنَا . لَقَدْ اسْتَعْمَلَتْ أَوَّلًا
لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُوَادِ الْإِسْكَانْدَرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَخُلَفَائِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ (٣٢٣ ق م) . أَطْلَقَتْ عَلَى خُلَفَاءِ أَفْلَاطُونِ
عَلَى رِئَاسَةِ مَدْرَسَةِ أَثِينَا .

٢٠ إليّ، أنا فُرفوريوس، طالِبًا مِنِّي أَنْ أَنْظُرَ فِيهَا/ وَأَنْ أَرْفَعَ إِلَيْهِ بَيَانًا عَنْهَا. وَكَانَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى
الْبَحْثِ فِي قَوَاعِدِ التَّجْوِيزِ، لَا يُعَالِجُهَا مِنْ نَاحِيَةِ هَنْدَسِيَّةٍ، بَلْ لَيَنْظُرُ عَنْ كَتَبٍ فِي أَسَالِيبِ
٢٥ الْمُتَجَمِّينَ. فَلَمَّا اكْتَشَفَ وَهْنَ وَعُودِهَا لَمْ يَتَرَدَّدْ فِي تَفْنِيدِهَا/ غَيْرَ مَرَّةٍ حَتَّى فِي كِتَابَاتِهِ (٤٦).

١٦ كَانَ أَيْضًا فِي زَمَانِهِ عِدَّةٌ ضَخْمٌ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ (٤٧)، وَمِنْ بَيْنِهِمْ أَتْبَاعُ أَدِلْفِيُوسِ
وَأَكُولِيُوسِ، وَهُمْ أَهْلُ بَدْعٍ تَأَثَّرُوا بِالْفَلَسَفَةِ الْقَدِيمَةِ. كَانَ لَدَيْهِمْ مُؤَلَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْ وَضْعِ
٥ إِسْكَندَرَ اللَّيْبِيِّ وَفِيلُوكُوسِ وَدِيمُسْتَرَاتُوسِ اللَّيْدِيِّ. فَيَقْدُمُونَ لِلنَّاسِ كُتُبًا فِي الرُّؤْيَا/ لِيَزْدَدَتْ
وَلِزُسْتَرِيَانُوسِ وَنِيكُولِيُوسِ وَلَأَلْجِيُوسِ وَلَمِيُزُوسِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَاكِرِينَ الْخَادِعِينَ. وَهُمْ أَيْضًا
مَعْرُودُونَ بِمَا لَدَيْهِمْ يَدْعُونَ أَنَّ أَفْلَاطُونَ لَمْ يَنْقُلْ إِلَى غُورِ الْحَقَائِقِ الرُّوحَانِيَّةِ. فَرَدَّ عَلَيْهِمْ
١٠ أَفْلُوطِينَ غَيْرَ مَرَّةٍ فِي مَجَالِسِهِ وَوَضَعَ فِي هَذَا الصَّدَدِ/ مَقَالًا جَعَلْنَا لَهُ الْعُنْوَانَ الثَّلَاثِي: «الرَّدُّ
عَلَى الْاَغْنَسْطِيطِينَ»، وَتَرَكَ لَنَا مُهِمَّةَ التَّدْقِيقِ فِيمَا تَبَقَّى. أَمَّا أَمِلْيُوسُ، فَإِنَّهُ وَضَعَ مَا يَنْوَفُ عَلَى
الْأَرْبَعِينَ مَقَالًا رَدًّا عَلَى كِتَابِ زُسْتَرِيَانُوسِ. ثُمَّ رَجَعَتْ، أَنَا فُرفوريوس، غَيْرَ مَرَّةٍ إِلَى تَفْنِيدِ
١٥ كِتَابِ زَرْدَشْتِ مُبِينًا/ أَنَّهُ كِتَابُ مَنْحُولٍ اخْتَلَفَهُ حَدِيثًا شُبُوحُ الْفِرْقَةِ لِيُوهِمُوا النَّاسَ أَنَّهَا مِنْ تَعَالِيمِ
زَرْدَشْتِ الْقَدِيمِ، تِلْكَ الَّتِي اخْتَارُوا هُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَقْدَسُوهَا.

١٧ وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ مِنْ بِلَادِ الْيُونَانِ أَنَّ أَفْلُوطِينَ يَسْرِقُ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ نُومِيُوسِ، وَاطَّلَعَ
ثُرِيُفُونُوسُ الرُّوَاقِيَّ وَالْأَفْلَاطُونِيَّ أَمِلْيُوسَ عَلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ، فَوَضَعَ أَمِلْيُوسُ كِتَابًا «فِي الْفَرْقِ
٥ بَيْنَ تَعَالِيمِ أَفْلُوطِينَ وَنُومِيُوسِ» وَأَهْدَاهُ إِلَيَّ بِزِيلْيُوسِ. / فَقَدْ كَانَ بِزِيلْيُوسِ هُوَ اسْمِي أَنَا
فُرفوريوس. فَاسْمِي فِي لُغَةِ بِلَادِي مَلَكُوسَ وَهُوَ اسْمُ أَبِي أَيْضًا، وَمَلَكُوسَ يُتَرَجَّمُ بِبَزِيلْيُوسِ

(٤٦) نَجِدُ هُنَا إِشَارَةً إِلَى الْمَقَالِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّاسِعِ الثَّلَاثِ (III، ١) وَالْوِثَالِ الثَّلَاثِ مِنَ التَّاسِعِ الثَّانِي (II، ٣)، حَيْثُ يُعَالِجُ أَفْلُوطِينَ مَوْضُوعَ «التَّجَمُّعِ».

(٤٧) إِنَّ فُرفوريوسَ يُشِيرُ هُنَا إِلَى فِئَةٍ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ كَانُوا قَدْ خَرَجُوا عَنِ السَّبَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ فَسَمَوْا فِي الْغُرَفِ
الْمَسِيحِيَّةِ، «بِالْهَرَاطِقَةِ» أَيِ الَّذِينَ «يَخْتَارُونَ» مِنَ الْعَقِيدَةِ مَا يَرَوْنَ هُمْ وَيُسْقِطُونَ أَهَمَّ مَا وَرَدَ فِيهَا. وَقَدْ
سَهَّلَ عَلَيْنَا الْآنَ أَنْ نَطَّلَعَ عَلَى مَذَاهِبِهِمْ بَعْدَ اكْتِشَافِ عِدَّةٍ كَبِيرٍ مِنَ التَّصَوُّصِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَعَلَّقَ بِهِمْ.
وَأَيًّا كَانَ الْحَالُ فَإِنَّا سَنَعُودُ إِلَى كُلِّ هَؤُلَاءِ «الْهَرَاطِقَةِ» وَعِلَاقَتِهِمْ بِالْاَغْنَسْطِيطِيَّةِ، لَدَى انْتِهَائِنَا إِلَى الْمَقَالِ
الَّذِي يَذْكُرُ فُرفوريوسَ هُنَا عَنْوَانَهُ بِأَنَّهُ «فِي الرَّدِّ عَلَى الْاَغْنَسْطِيطِينَ»، الَّذِي يوردُهُ بِكَامِلِهِ لَكِنِ عَنْوَانُ
آخَرٍ، فِي الْمَقَالِ التَّاسِعِ مِنَ التَّاسِعِ الثَّانِي (II، ٩). وَحَسْبُنَا هُنَا الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ كُلَّ الْأَشْخَاصِ الْوَارِدِ
ذَكَرَهُمْ فِي مَقْطَعِنَا مَا زَالُوا لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا بِأَسْمَائِهِمْ؛ فَهُمْ مَجْهُولُونَ. كَمَا سَوْفَ نَذْكُرُ فِي تَمْهِيدِنَا «لِلرَّدِّ
عَلَى الْاَغْنَسْطِيطِينَ» مَا هُوَ الْجَانِبُ الَّذِي عَالَجَهُ أَفْلُوطِينَ فِي «رَدِّهِ»، وَمَا هِيَ الْجَوَابُ الْبَاقِيَّةُ الَّتِي «تَرَكَ»
مُعَالِجَتَهَا لِتَلْمِيزِهِ فُرفوريوسَ. (انْظُرْ أَيْضًا لِلْمَزِيدِ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ فِي الْمَوْضُوعِ، بِرَهْيِهِ، م. ٣٠ ج. ١،
١٧، حَاشِيَةِ ١).

١٠ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْقُلَهُ إِلَى اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ. وَلِذَلِكَ/ عندما أُرْسِلَ لُجْجِيئُوسُ بِكِتَابِهِ «فِي التَّرْجَمَةِ» إِلَى كَلِيُودَآمُوسَ وَإِلَيَّ، أَنَا فَرْفُورِيُوسُ، اسْتَهْلَهُ بِقَوْلِهِ «يَا كَلِيُودَآمُوسَ وَمَلَكْسُ». أَمَّا أَمِيلْيُوسُ فَإِنَّهُ كَتَبَ اسْمِي مَنْقُولًا إِلَى الْيُونَانِيَّةِ، وَكَمَا بَدَّلَ نُومِيئُوسُ بِلَفْظَةِ مَكْسِيئُوسُ لَفْظَةَ مِغَالُوسُ، بَدَّلَ
١٥ أَيْضًا أَمِيلْيُوسَ بِالاسْمِ مَلَكْسُ الْاسْمِ بَزِيلْيُوسُ، فَكَتَبَ/ : «أَمِيلْيُوسُ إِلَى بَزِيلْيُوسُ، حَسَنَتْ حَالًا. إِنَّكَ أَعْلَمُ النَّاسَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ لَا يَتَعَدَّى هَؤُلَاءِ الْمَعْرُوفِينَ الَّذِينَ تَقُولُ أَنَّهُمْ أَصْمُوكَ بِأَدْعَائِهِمْ رَدَّ تَعَالِيمِ صَاحِبِنَا إِلَى نُومِيئُوسِ الْأَقَامِيِّ، لَمَّا سَمِعَ لِي صَوْتِ. فَوَاضِحٌ أَنَّ
٢٠ كُلَّ ذَلِكَ صَادَرَ عَنِ ادِّعَائِهِمُ اللَّسَنَ/ وَالْبَيَانَ، فَيَقُولُونَ أَنَّ أَفْلُوطِينَ كَثِيرَ التَّرْتُّبَةِ، وَتَارَةً أَيْضًا أَنَّهُ سَارِقٌ، وَثَالِثًا أَنَّهُ يَسْرِقُ حَتَّى لِأَرْدَا مَا كُتِبَ. إِنَّهُمْ، وَأَيْمُ الْحَقِّ، يَقُولُونَ ذَلِكَ فِيهِ وَهُمْ يَسْخَرُونَ
٢٥ بِهِ. لَكِنْ مَا دُمْتُ تَرَى أَنَّهُ لَا بَدْ مِنْ انْتِهَازِ/ الْفُرْصَةِ لِلْمَزِيدِ مِنَ التَّذْكِيرِ بِمَذْهَبِ رَافِقَانَا وَاعْتِنَقَتَانَا، وَلِنُشَرِّ تَعَالِيمَ أَصْصَحَّتِ الْآنَ مَعْرُوفَةً بِخَطُوطِهَا الْعَامَةِ وَاشْتَهَرَتْ بِاسْمِ رَجُلٍ مِنْ طَرَايِ صَاحِبِنَا أَفْلُوطِينَ الْكَبِيرِ، جِئْتُكَ مُلْكِيًّا. وَهَا أَنَا ذَا أَقْدَمْتُ إِلَيْكَ مَا وَعَدْتُكَ بِهِ فَأَنْجِزْتَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، كَمَا
٣٠ تَعْلَمُ./ - هَذِهِ الْآرَاءُ الَّتِي أَبْصَطُهَا لَيْسَتْ مُسْتَخْرَجَةٌ مِنْ مُقَارَنَةِ بَعْضِ كِتَابَاتِهِ بِبَعْضِ، بَلْ لَيْسَتْ مَجْمُوعَةٌ مُنْتَظِمَةٌ مُخْتَارَةٌ، إِنَّمَا هِيَ خُلَاصَةٌ ذِكْرِيَّاتٍ لِأَحَادِيثَ قَدِيمَةٍ جَرَتْ بَيْنَنَا فَوَضَعْتُ كُلًّا مِنْهَا وَمِثْلًا طَافَ فِي خَلْدِي. فَيَجِبُ الْآنَ أَنْ تَحْطِيَ لَدُنْكَ بِالرَّفْقِ الصَّادِقِ. هَذَا عِلَاوَةً عَلَى أَنَّهُ
٣٥ لَيْسَ بِالسَّهْلِ إِدْرَاكُ مَقَاصِدِ نُومِيئُوسِ/ الَّتِي يَتَكَلَّفُ بَعْضُهُمُ التَّوْفِيقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ التَّعَالِيمِ الَّتِي لَدُنَّيْنَا. ذَلِكَ لِأَنَّهُ، عَلَى مَا يَدُو، لَا يَسْتَقَرُّ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْأَمْرِ الْوَاحِدِ. أَمَّا إِذَا
أَسَأْتُ تَأْوِيلَ مَذْهَبِنَا الْخَاصِّ فِي بَعْضِ تَعَالِيمِهِ، فَأُنِّي عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّكَ سَتَتَّعِظُ بِتَصْصِحِحِهِ.
٤٠ إِنَّنِي، فِيمَا يَدُو، فَضُولِي، كَثِيرُ الْأَعْمَالِ/، كَمَا وَرَدَ فِي الْمَأْسَاةِ، الْأَمْرُ الَّذِي يُبْعِدُنِي عَنْ تَعَالِيمِ أَسْتَاذِنَا، فَيُلْجِئُنِي إِلَى أَنْ أُطَلِّبَ تَصْصِحِحَ هَذَا الْإِتِّعَادِ وَرَدَّهُ. وَهَذَا مَا بَلَغْتُ إِلَيْهِ بِرَغْبَتِي فِي
الْحِظْوَةِ بِرِضَاكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالسَّلَامُ»^(٤٨).

(٤٨) إِنَّ ذَكَرَ نُصُوصَ هَامِشِيَّةٍ، مِثْلَ نَصْنَا هُنَا، لِمُؤَلِّفَيْنِ يَسْتَشْهَدُ بِهِمُ وَاضِعُ الْكِتَابِ، كَانَتْ عَادَةً مَأْلُوفَةً فِي
الْمُصَوِّرِ الْقَدِيمَةِ الْمُتَأَخَّرَةِ، وَلَا سَيِّمًا عِنْدَ آبَاءِ الْكَنِيسَةِ (رَاجِعْ مِثْلًا Le technique du livre d'après st Jérôme E. Arns بَارِيْسَ، ١٩٥٣، ص ١٣٤). وَكَانَتْ الْغَايَةُ مِنْهَا تَنْدَوِينُ التَّوَصِيَّاتِ الْمُتَبَادِلَةِ بَيْنَ
وَاضِعِ الْكِتَابِ وَصَاحِبِ النُّصْنِ الْمَذْكُورِ، كَمَا هُوَ الْأَمْرُ هُنَا.

أَمَّا تَارِيخُ أَمِيلْيُوسَ إِلَى فَرْفُورِيُوسَ وَالَّذِي نَجِدُهُ هُنَا، فَلَا بَدْ مِنْ أَنْ يَوْضَعَ مَعَ الْمَقَالِ، «فِي الْفَرْقِ بَيْنَ
تَعَالِيمِ أَفْلُوطِينَ وَنُومِيئُوسَ» قَبْلَ السَّنَةِ ٢٦٨، فِي حَيَاةِ أَفْلُوطِينَ وَحِينَمَا كَانَ الرَّجُلَانِ يَمِيشَانِ كِلَاهُمَا مَعَ
أَفْلُوطِينَ. وَإِلَّا فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ فَرْفُورِيُوسُ أَنْ «يَعْلَمَ» أَنَّ أَمِيلْيُوسَ وَضَعَ مَقَالََةً فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَقَطْ. فَإِنَّ
بُلُوغَ الْكُلِّ إِلَى فَرْفُورِيُوسَ، وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ رُومَا، أَثْنَاءَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ مِثْلَ هَذِهِ، أَمْرٌ يَتَنَافَى مَعَ امْكِتَابَاتِ
الْبَرِيدِ يَوْمَئِذٍ. ثُمَّ إِنَّا لَا نَعْرِفُ شَيْئًا عَمَّا إِنْ كَانَ الرَّجُلَانِ قَدْ عَادَا وَالتَّقْيَا بَعْدَ مَوْتِ أَسْتَاذِهِمَا. فَضْلًا
عَنْ أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْ كِتَابِ أَمِيلْيُوسَ هُنَا هُوَ أَنَّهُ قَدْ كُتِبَ، مَعَ الْمَقَالِ، فِي عَهْدِ كَانَتْ مَدْرَسَةُ أَفْلُوطِينَ
شَاعِرَةً بِازْدِهَارِهَا وَبِمَنَافَسَتِهَا لِمَدْرَسَةِ أَثِينَا. مِمَّا كَانَ يُحْتَمُّ عَلَيْهَا الدِّفَاعُ عَنْ ذَاتِهَا. وَكُلُّ هَذَا مِنْ=

١٨] لَقَدْ اضْطُرَّتْ إِلَى إِبْطَاتِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ^(٤٩) هُنَا لَيْسَ فَقَطْ لِأُبْرَهِنَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ أَنَّكَ
 كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ يَتَّبِعُ وَهُوَ يَثْقُلُ عَنْ نُومِنْيُوسَ، بَلْ أَيْضًا أَتَهُمْ كَانُوا يَتَصَوَّرُونَهُ ثَرْنًا زَا. فإِخْتَفَرَهُ
 ٥ لِأَتَهُمْ لَمْ يَقْهَمُوا أَقْوَالَهُ، وَلِأَنَّهُ كَانَ بَعِيدًا عَنْ تَمَوِيَهَاتِ السِّفْسَطَانِي/ وَادْعَاةِ. وَهُوَ فِي
 مُحَاضَرَاتِهِ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِالْمُحَدِّثِ، لَا تَرَى عَلَى الْقَوْرِ ضَرُورَةَ التَّعْلِيلَاتِ الَّتِي تَتَضَمَّنُهَا
 أَقْوَالُهُ. وَقَدْ شَعَرْتُ، أَنَا فَرْفُورِيُوسَ، بِمَا يُشْبِهُ ذَلِكَ عِنْدَمَا سَمِعْتُهُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى؛ فَرَدَدْتُ
 ١٠ عَلَيْهِ بِمَقَالَةٍ أَحَاوِلُ فِيهَا إِثْبَاتَ/ أَنَّ «الرُّوحَانِيَّاتِ قَائِمَةٌ خَارِجَ الرُّوحِ»^(٥٠). فَطَلَبْتُ مِنْ أَمِيلْيُوسَ

=المُسْتَحِيلُ أَنْ يَتَحَقَّقَ قَبْلَ مَجِيءِ فَرْفُورِيُوسَ إِلَى رُومَا أَوْ بَعْدَ مُغَادَرَتِهِ لَهَا: هَذَا، عَلَى الْأَقْلَى، فِي نَظَرِ
 فَرْفُورِيُوسَ ذَاتِهِ.

كُلُّ هَذَا الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ يَتَعَلَّقُ بِعُمُومِيَّاتِ الْكِتَابِ. عَلَى أَنَّ فِيهِ تَفَاصِيلَ نَحْتَاجُ هِيَ أَيْضًا إِلَى شَرْحٍ
 وَتَفْسِيرٍ. أَمَّا اسْمُ فَرْفُورِيُوسَ فَمَعْنَاهُ «الْأَرْجَوَانِيَّ اللَّبَاسِ» وَلَرَبَّمَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ أَوْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ هُوَ هَذَا اللَّقَبُ
 لِأَصْلِهِ مِنْ صُورٍ وَهِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي اسْتَهْوَتْ، كَمَا نَعْرِفُ، بِتِجَارَةِ الْأَلْبَسَةِ الْأَرْجَوَانِيَّةِ. لَكِنَّ الرَّجُلَ
 الْمَذْكُورَ بِاسْمِ مَكْسِيمُوسَ فَإِنَّ هَذَا الْاسْمَ بَحْدَ ذَاتِهِ لَاتَيْنِي الصَّبْغَةَ وَيَدْعِي «الْكَبِيرَ» أَوْ «الْكَبِيرَ»، وَمِنْ ثَمَّ
 تَرْجَمْتُهُ «بِئِنْغَالُوسَ» فِي الْيُونَانِيَّةِ. وَلَرَبَّمَا كَانَ الْفَقِيهَ اللَّغُويَّ الْأَفْلَاطُونِيَّ الْمَذْهَبِ مَكْسِيمُوسَ الصُّورِيَّ
 الَّذِي كَانَ مُعَاصِرًا لِنُومِنْيُوسَ وَعَاشَرَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الثَّانِي الْمِيلَادِيِّ. أَمَّا فِي مَا يَتَعَلَّقُ
 بِتَرْجُمَةِ النَّصِّ بَحْدَ ذَاتِهَا، فَهِيَ تَحْتَاجُ إِلَى مُمَاحِظَاتٍ لَا يَدَّ مِنْ إِبْدَانِهَا. عَلَى أَنَّ أَوَّلَهَا يَخْتَصُّ بِالْجُمْلَةِ
 الْإِنْشَائِيَّةِ «حَسَنَتْ حَالًا» الْوَارِدَةِ بَعْدَ الْجُمْلَةِ «أَمِيلْيُوسَ إِلَى بَزِيلْيُوسَ». وَالْأَصْلُ فِي الْيُونَانِيَّةِ يُوَوِّلُ عَلَى
 مَا يَلِي «يَتِمُّ أَمِيلْيُوسَ لِبَزِيلْيُوسَ أَنْ يَكُونَ بَخِيرَ». ثُمَّ إِنَّ النَّصَّ الْوَاقِعَ بَيْنَ (§ ١٧: ٢٦) وَ (§ ١٧: ٢٨)
 قَدْ أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ بِحَيْثُ أَصْبَحَ فِي مُتَهَيِّ الْإِبْهَامِ. وَقَدْ حَاوَلْنَا جُهْدَ الْمُسْتَطَاعِ فِي التَّرْجُمَةِ الَّتِي
 أَثْبَتْنَاهَا أَنَّ نَوْفَقَ تَيْنَ أَمْرَيْنِ، وَهَمَا أَنْ تَتَجَنَّبَ التَّلْفِيقَ بَيْنَ التَّرْجُمَاتِ الْمَشْهُورَةِ وَأَنْ نَحْفَظَ الْأَمَانَةَ لِلنَّصِّ
 وَقَفًا لِمَا أَثْبَتَهُ الْبَحْثُ الْجَلِيَّ فِي الْمَخْطُوطَاتِ. كَذَلِكَ نَقُولُ أَيْضًا فِي الْمَقْطَعِ بَيْنَ (§ ١٧: ٣١) وَ (§
 ١٧: ٣٩). عَلَى أَنَّ مِنْهُمْ، مِثْلَ هَزِيرٍ مَنْ يَجْعَلُ «الْأَحَادِيثَ الْقَدِيمَةَ» فِي (§ ١٧: ٣٤)، بَيْنَ أَمُونْيُوسَ
 وَنُومِنْيُوسَ، فِي حِينِ أَنَّ غَيْرَهُمْ، مِثْلَ بَرَهِيَّةِ، يَجْعَلُهَا بَيْنَ أَمُونْيُوسَ وَأَفْلُوطِينِ. وَقَدْ نَعَمِلُ إِلَى هَذَا
 التَّأْوِيلِ الْآخِرِ نَظَرًا لِمَا سَبَقَ فَرْفُورِيُوسَ إِلَى أَنْ ذَكَرَهُ فِي (§ ٣: ٤٣) وَمَا يَلِي. وَنُنْتَهِي أَخِيرًا إِلَى النَّصِّ
 الْمَأْثُورِ مِنْ «الْمَأْسَاءِ» فِي آخِرِ مَقْطَعِنَا، فَلَا يُمَكِّنُ رَدَّهُ إِلَى أَصْلٍ قَطُّ. لَكِنَّ بَرَهِيَّةِ (م. ج. ١ ص ١٨،
 حَاشِيَةُ ٢) يَعُودُ فِي هَذَا الصَّدَدِ، إِلَى رِسَالَةِ قَلْطَرُخُسَ «فِي الْفُضُولِيَّةِ» تَشْتَمِلُ عَلَى أَمْثَالٍ مَأْخُودَةٍ مِنْ
 مَوْضُوعَاتِ مَأْسُوبَةٍ (فَصَل ٩ و ١٤). هَذَا وَإِنَّا نُنَبِّئُ أَخِيرًا إِلَى اعْتِرَافِ أَمِيلْيُوسَ بِتَفُوقِ فَرْفُورِيُوسَ عَلَيْهِ
 فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِقَهْمِ مَذْهَبِ أَفْلُوطِينِ. لَكِنَّ هَذَا الْاعْتِرَافَ يَرِدُ بَعْدَ أَوَّلِ عَهْدِ فَرْفُورِيُوسَ بِمَدْرَسَةِ
 أَفْلُوطِينِ، حَيْثُ كَانَ يَطْلُبُ الْأَسَازَ مِنْ أَمِيلْيُوسَ أَنْ يَشْرَحَ لِلتَّلْمِيزِ الْجَدِيدِ مَذْهَبَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ، (انْظُرْ
 فِي مَا يَلِي § ١٨: ١٠). فَكُلُّ هَذَا الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ يَجْعَلُنَا نَعْمِلُ إِلَى التَّرْجُمَةِ الَّتِي أَثْبَتْنَاهَا لِلْسُّطُورِ
 الْآخِرَةِ مِنْ كِتَابِ أَمِيلْيُوسَ إِلَى فَرْفُورِيُوسَ: فَالْوَاقِعُ أَنَّ النَّصَّ صَعِبَ الْفَهْمِ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ
 الْأَخْتِصَاصِيُّونَ وَرَأَيْنَا نَحْنُ أَنَّ الْوَجْهَ فِي مَعْنَاهُ الْعَامُّ هُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَرَهِيَّةِ.

(٤٩) كُلُّ الَّذِي يَلِي إِنْمَا هُوَ شَرْحٌ مِنْ فَرْفُورِيُوسَ لِرِسَالَةِ صَاحِبِهِ أَمِيلْيُوسَ وَتَعْلِيلُهَا بَعْدَ تَعْدِيلِ صِيَاقِهَا.
 وَهَذَا فِي الْكِتَابَةِ عَرَفَ بِهِ فَرْفُورِيُوسَ. قَارِنِ مِثْلًا فِي مَا يَلِي مَعَ (§ ٢١: ١ تا)، ثُمَّ (§ ٢٣: ١ تا)؛
 وَكِتَابَهُ أَيْضًا فِي «الانْقِطَاعِ عَنِ اللَّحُومِ» (I: ٣٧). فَتَرَى أَنَّ الِاسْتِهْلَاقَ يَرِدُ دَائِمًا بِالصَّبْغَةِ ذَاتِهَا.

(٥٠) كَانَ يُعَارِضُ فَرْفُورِيُوسَ هُنَا مَوْضُوعَ الْمَقَالِ الْخَامِسَ مِنَ التَّاسِعِ الْخَامِسِ وَهُوَ الْمَوْضُوعُ الَّذِي عَارِضُ
 أَفْلُوطِينِ فِيهِ أَسَاتَذُهُ فَرْفُورِيُوسَ الْأَوَّلُ لَنْجِينُوسَ، وَذَلِكَ فِي الْمَقَالِ الْمَذْكُورِ فِي (٢٠: ٨٩). كَانَ ذَلِكَ =

١٥ أن يقرأها، ثم قال مُبْتَسِمًا: «عليك الآن، يا أمليوس بحلِّ الصُّعوبات التي اعترضَتْه لآته يجهل ما نذهب إليه». فَكَتَبَ أمليوس مقالةً غيرَ قصيرةٍ ردًّا على اعتراضاتِ فَرُفُريوس. فأجَبته بِدُوري على ما كَتَبَ، ثُمَّ رَدَّ أمليوس على رَدِّي. ومنذ ذلك الرَدِّ الثالثِ فُهِمْتُ، أنا فَرُفُريوس، بِجُهدِ أقوالِ أفلوطين، فَعَدَلْتُ عَن مَوْقِفِي مِنْهُ، وَأَلْفْتُ فِي ذَلِكَ مَقَالَه قَرَأْتُهَا فِي إِحْدَى حَلَقَاتِنَا.

٢٠ وَمِنذُ ذَلِكَ الْحِينِ إِطْمَأْنَنْتَ نَفْسِي إِلَى^(٥١) مَوْلَفَاتِ أفلوطين. ثُمَّ أَخَذْتُ أَذْفَعُ أَسْتَازِي إِلَى أَنْ يَطْمَحَ فِي تَنْظِيمِ آرائِهِ وَالزِّيَادَةِ عَلَى مَا كَانَ قَدْ كَتَبَ فِيهَا. بَلْ أَثَرْتُ^(٥٢) أَيْضًا عِنْدَ أمليوس الرُّغْبَةَ فِي التَّأْلِيفِ.

١٩ أما الرَّأْيُ الَّذِي كَانَ لُنْجِينُوسُ قَدْ حَصَلَهُ لِنَفْسِهِ فِي أفلوطين (بِخَاصَّةٍ وَمَا كُنْتُ قَدْ أَطْلَعْتُهُ عَلَيْهِ أَنَا بِذَاتِي فِي كِتَابَاتِي إِلَى الرَّجُلِ) فَقَدْ يَدُلُّ عَلَيْهِ جُزْءٌ مِنْ رِسَالَةٍ وَرَدَّتْنِي مِنْهُ، وَهُوَ يَنْتَهِي بِمَا يَلِي. (مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ يَطْلُبُ إِلَيَّ فِي تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَنْ أَغَادِرَ صَقْلِيَّةَ وَأُوافِيهِ إِلَى فِينِيقِيَا مُصْطَحِبًا بِمَوْلَفَاتِ أفلوطين). / كَانَ إِذَا يَقُولُ^(٥٣): إِبْعَثْ إِلَيَّ تِلْكَ الْكُتُبَ عِنْدَمَا يَحُلُو الْأَمْرُ لَكَ أَوْ

= فِي السَّنَةِ ٢٦٣ أَيَّ حِينٍ وَصُولِ فَرُفُريوس إِلَى مَدْرَسَةِ أفلوطين، وَلَمْ يَكُنِ الْمَقَالُ الْخَامِسُ مِنَ التَّاسُوعِ الْخَامِسِ قَدْ كُتِبَ بَعْدَ (رَاجِعِ § ٥ : ٢٧). أَيَّ أَنْ أَفْلُوطِينُ كَانَ مَا يَزَالُ يُعَالِجُ مَوْضُوعَنَا عَرْضًا فَقَطْ وَشِفَاهَةً فِي حَلَقَاتِهِ.

(٥١) لَقَدْ اخْتَرْنَا هُنَا اللَّفْظَةَ الْعَرَبِيَّةَ عَمْدًا إِذْ رَأَيْنَاهَا تُوَدِّي بِالذَّاتِ مَا يَقْصِدُهُ فَرُفُريوسُ بِاللَّفْظَةِ الْيُونَانِيَّةِ الَّتِي اسْتَعْدَمَهَا. قَارِنْ مَعَ بَرهِيهِ (§ ١ ج : ٢٠). لَقَدْ أَصْبَحَ فَرُفُريوسُ، مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ، مِنْ «خَوَاصِّ» أَفْلُوطِينِ: إِلَيْهِ تُدْفَعُ كِتَابَاتُ الْأَسْتَازِ وَهُوَ «يُؤْمِنُ» عَلَيْهَا لِتُعِيدَ النَّظْرَ فِيهَا لِأَنَّهُ صَارَ عَلَى مُسْتَوَى فَهْمِهَا وَالْإِلْتِذَازِ بِهَا (انْظُرْ § ٢١ : ٢٠ ت).

(٥٢) إِنَّ الصَّبِيغَةَ الْوَارِدَةَ فِي بَعْضِ الْمَخْطُوطَاتِ تَقْرُضُ هُنَا اسْتِخْدَامَ صَبِيغَةِ الْغَائِبِ «أَثَارُ» أَيَّ أَفْلُوطِينِ، وَلَا صَبِيغَةَ الْمُتَكَلِّمِ «أَثَرُ» أَيَّ «أَنَا فَرُفُريوسُ» لَكِنَّهُ لَا يَعُودُ حَيْثُ يُلْزَمُ لِلنَّصِّ مَعْنَى مَقْبُولٍ: لَمْ يَلِغْنَا قَطَّ عَنْ أَفْلُوطِينِ أَنَّهُ كَانَ يَحِثُّ أَمْلِيُوسَ عَلَى الْكِتَابَةِ؛ بَلْ نَعْرِفُ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَرْغَبُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ فِي التَّأْلِيفِ (§ ١٧ : ٤١). فَكَانَ مِنْ شَأْنِ فَرُفُريوسِ أَنْ يَحْمِسَهُ عَلَى الْكِتَابَةِ.

(٥٣) إِنَّ فَرُفُريوسَ يُتَابِعُ إِذَا تَرَجَّمَتْهُ لِحَيَاةِ أَفْلُوطِينِ وَمَذْهَبِهِ، فَيَنْتَهِي الْآنَ إِلَى نَقْلِ أَقْوَالِ الشُّهُودِ. عَلَى أَنَّ مَا سَبَقَ (١٧ - ١٨) لَمْ يَكُنْ نَقْلَ شَهَادَاتٍ بَلْ خِلَافَاتٍ تَفْصِلُ مَذْهَبَ أَسْتَازِهِ عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْمَذَاهِبِ، وَإِنْ كَانَ نَقْلَ تِلْكَ الْخِلَافَاتِ يُشَبِّهُ بِمَبْنَاهِ صَبِيغَةِ الشَّهَادَةِ مِمَّا يَجْعَلُهُ بِمَنْزِلَةِ التَّمْهِيدِ لَهَا. أَمَّا فِي مَا يَتَعَلَّقُ «بِشَهَادَةِ الْحُكَمَاءِ» (٢٢ : ٣٠) فَلَيْسَتْ مُمَثِّلَةً إِلَّا بِشَهَادَةِ لَنْجِينُوسِ ثُمَّ إِلَهُ أَبُولُون (٢٢ : ٦٣). عَلَى أَنَّ وَنَ بَيْنَ شَهَادَتِي لَنْجِينُوسِ (١٩ : ٧ - ٤١، ثُمَّ : ٢٠ : ١٧ - ١٠٤) لَا يَتَّصِلُ بِإِتِّهَامِ أَفْلُوطِينِ بِالسَّرْقَةِ عَنْ نُونْمِيُوسِ، إِلَّا الشَّهَادَةُ الثَّانِيَّةُ وَهِيَ «الْمُقَدِّمَةُ» الْمَعْرُوفَةُ إِلَى مَرْشَلُوسِ وَالَّتِي وَضَعَهَا لَنْجِينُوسُ تَمْهِيدًا لِمَقَالِهِ فِي الْغَايَةِ (٢٠ : ١٦).

أَمَّا رِسَالَةُ لَنْجِينُوسِ إِلَى فَرُفُريوسِ فَيَصْعَبُ ضَبْطُ تَارِيخِهَا بِالرَّغْمِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي تَتَلَفَى فِيهَا. لَقَدْ كَانَ فَرُفُريوسُ يَوْمَئِذٍ فِي صَقْلِيَّةٍ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرِّسَالَةَ قَدْ وَضِعَتْ فِي السَّنَةِ ٢٦٨ م أَوْ بَعْدَهَا. ثُمَّ أَنَّ لَنْجِينُوسَ قَدْ أَرْسَلَهَا وَهُوَ فِي فِينِيقِيَا. وَمِنَ الْمَحْتَمَلِ أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي بِلَاطُسَ تَدْمَرُ الَّذِي انْتَقَلَ إِلَيْهِ (فِي ٢٦٦/٢٦٧ م) مِنْ أَثِينَا نَزُولًا عِنْدَ رَغْبَةِ الْمَلِكَةِ زَيْنَبِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ طَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يُؤَافِيَهَا هُنَاكَ =

بالأحرى إحيائها أنت بنفسك. فإنني لا أزال ملجأ على أنه من الواجب عليك أن تفضل على كل
 ١٠ طريق، تلك التي تؤدي بك إلينا، لا لأنك قد تُعيد علماً تتوقع وجوده عندنا، بل لأجل / لقاء ابنا
 القديمة ولأجل هوائنا المعتدل الصالح لصحتك التي تشكو من إنجرافها. وإذا كنت لتتظن بأنك
 ستجد عندها غير ذلك، فلا تنتظر من قبلي شيئاً جديداً حتى ولا تلك المأثورات القديمة التي
 ١٥ أضعتها فيما تقول/. إن التماسح عندنا في غاية الندرة. فإنني وأيم الحق، قد أمنتُ بشئ النفس
 في هذه الفترة تجهيزاً ما بقي من آثار أفلوطين^(٥٤)، علماً بأنني صرفتُ ناسخي عن أعماله ليتجزأ
 ٢٠ إلى ذلك العمل وحده. إن تلك الآثار هي الآن كلها بين يدي، فيما أظن، مع تلك التي
 أرسلتها إلي لكتها ما أنقصها بين يدي إذ ما أكثر ما فيها من أخطاء. على أنني كنت أظن أن
 صاحباً أليوس كان قد أعاد النظر في هفوات التماسح، إلا أنه كان منهوكتاً في مهمات أهم من
 هذا العمل المجهد. فليت شعري كيف السبيل إلى معالجة تلك المقالات. مع أنني شديد
 ٢٥ الرغبة في أن أطلع عن كتب على المقالات «في النفس» / و«في الأيس»^(٥٥)، وهي المقالات

= استأذ لها. أما أليوس، فإنه كان قد غادر روما في سنة ٢٦٨/٢٦٩ م (٣٩:٣ - ٤٣)، وكان في أفاميا
 في سنة ٢٧٠ (٢: ٣٣). على أنه كان مع لنجينوس يوم وضع هذا الأخير رسالته: ويدل على ذلك ما ورد
 في (٢١: ١٩ - ٢٧). فإن الأمر المشار إليه في هذا المقطع ليس أمر مراسلة فقط، بل إنه يشير إلى
 حضور عيني. والمُحتمل أن يكون لنجينوس قد استحضّر إلى جانبه، لإمكانات جدت في تدمر، من
 كان أقدم تلميذ لأفلوطين. ثم إن أليوس كان قد حمل معه إلى بعضها أيضاً، ومنذ قريب، إلى الرجل
 ذاته (٢٠: ١٩ تا). وكان فرفوروس قد شكّا إلى لنجينوس، في رسالة سابقة (١٩: ١١ تا) انحرافاً في
 صحته، اضطره إلى الإقامة في صقلية، في ٢٦٨. كما إنه كان قد اطلع لنجينوس على خصائص أفلوطين
 في مذهبه (١٩: ١ تا). كل هذا يجعلنا نؤرخ وضع الرسالة بين ٢٦٨ و ٢٧٢ م، على أن هذه الأخيرة هي
 سنة إعدام لنجينوس في تدمر، بعد أن كان قد حمل زينب على محاربة الرومان، فانهزمت أمامهم. ولا
 نستطيع الجزم فيما إن كان أفلوطين لم يزل، يومذاك، على قيد الحياة.

أما من حيث أسلوب الانشاء والكتابة في رسالة لنجينوس هذه، فون المُحتمل أن يكون إنشاء وكتابة
 رجل أدرك الحُسمين من عمره وهو مُنصرف بإقدام وحماسة إلى عمل جديد في حياته. وقد تبدو
 الرسالة من وضع رجل عايف بالتأس وكيف يؤخذون. فلغته تسترسل سهلة كأنها تتناول الأمور العادية
 المالوفة، وهي من السهل المُمتمتع اليوناني الذي لا بتر فيه ولا انقطاع فلا مناص لقارئها من أن
 يستأنس لها. ولا غرو إن امتازت الرسالة بسحر وأناقة يلجأ إليهما صاحبهما ليسترى إلى صداقة تلميذه
 الذي كان فارقه ليلتحق بغيره. وكل هذا يفهمنا كيف استطاع الرجل أن يستميل زينب إليه. ولربما
 أفهمنا أيضاً كيف انقلبت هذه الأخيرة عليه وسلمته إلى المصير الذي كان قدره وحظه. وكل هذا الذي
 قيل في الرسالة يُطبّق على مُقدمة المقالة «في الغاية» التي ترد في ما يلي (٢٠: ١٧ تا).

(٥٤) إن بعضهم يستشهد بصيغة العبارة على ما وردت عليه في بعض المخطوطات يُستدل منها على أن
 الرسالة قد وضعت بعد موت أفلوطين. لكن هذه الصيغة، في المخطوطات الصحيحة، إنما تعني «ما
 بقي من آثار أفلوطين» ولا «الباقى من أفلوطين».

(٥٥) أي المقال الثالث والرابع والخامس من التاسوع الرابع، والمقالات الثلاثة الأولى من التاسوع
 السادس.

التي كُثرت فيهما الأغلاط بوجه خاص. فحبذا لو وصلني منك نسخ صحيحة أقابل بها ما لدي
 ٣٠ ليس أكثر، ثم أزدّها. ولكنني أعود فأقول: «لا ترسلها، بل بالأحرى تعال أنت بها وبغيرها،
 إن فات أملئوس شيئا منها». فإني مغني بكل ما حمّله إلي^(٥٦) محتفظ به. وكيف لا أكون
 لأجمع مآثورات رجل هو أهل لكل احترام وإكرام؟ لا شك في أنني لا أزال عند ما إتيقن لي أن
 ٣٥ قلته في حضورك وغيابك وأثناء إقامتك في صور^(٥٧)، وهو أنني حقًا لا أسلم بالكثير من
 إفتراضاته. إلا أنني شديد الإعجاب والكلف بأسلوب الرجل في كتابه، وبكثافة تفكيره وبالوجه
 الذي يعتمد إليه في طرح مطالبه. فأرى من الواجب على الباحثين أن يضعوا مؤلفاته في مقام
 ٤٠ مؤلفات العلماء/ المشهورين».

٢٠ لقد عرّضت هذا القول بكامله، وهو قول أعظم نقاد زماننا، أبدى حكمه في معظم
 مؤلفي عصره. وقد فعلت لأدّل على رأيه في أفلوطين. لهذا مع العلم بأنه كان في بادئ الأمر
 ٥ مثيراً على احتقاره، إعتياداً منه على غيره من ذوي الجهل/. ثم إنه ظن أن في ما وصله من
 أملئوس أغلاطاً لأنه لم يفهم الأسلوب الذي ألفه الرجل في تعبيره. على أنه إذا وجدت نسخ
 صحيحة، فوي، من بين غيرها، تلك التي راجعها أملئوس إذ إنها أخذت عن نسخ المؤلف
 ١٠ الأصلية. هذا ولا بد أن نورد ما كتبه لئيجيوس في مقال جامع حول أفلوطين وأملئوس/
 وفلاصقة زمانه، حتى يتضح تماماً ما كان لذلك الرجل المشهور الثاقب القّد من رأي فيهم.
 ١٥ فغنواؤنا المقالة هو في «في الغاية»، وهي ردّ على أفلوطين وجيتيليانوس أملئوس^(٥٨). وإليك/
 المُقدّمة^(٥٩).

(٥٦) يجب أن يؤرخ اجتماع أملئوس بلنجيوس بعد سنة ٢٦٨، أي بعد أن كان أملئوس قد غادر أفلوطين.
 (٥٧) يصعب تأريخ إقامة فرفوروس هذه في صور. لا شك أنه كان يعرف حينذاك لنجينيوس (Vie de
 Porphyre, Bidez ص ٣٤). فلم تكن الرسالة مبعوثة من أثينا. ثم إنه لم يكن مع لنجينيوس في
 صور، كما يذهب إليه Wundt في Plotin ص ٤٦، إذ أن هذا الأخير يشير إلى الإقامة بالمراسلة ولا
 بالمشافهة. لا شك أن هذه الإقامة قد وقعت بعد ٢٦٣ التي فيها ابتدأ التبحر فرفوروس بأفلوطين،
 وقبل سنة ٢٧٢ التي فيها أعدم لنجينيوس. على أن فرفوروس كان، بين ٢٦٣ و٢٧٢، قد أقام في روما
 ثم في صقلية (٢٦٨) من حيث سافر إلى قرطاج. إن لنجينيوس أرسل كتابه من فينيقيا بعد السنة ٢٦٧
 التي فيها دعت الملكة زينب من أثينا إلى بلاطها في تدمر. ولا نستطيع أن نحدّد بأكثر من ذلك
 إحداثيات تلك الإقامة في صور. (راجع Bidez، م.م.، ثم Porphyrios, RE، ٢٧٧، ص ٣ تا).

(٥٨) لقد فضلنا هذه الترجمة هنا على تلك التي يذهب إليها برهيه (م.م. ج ١ ص ١٤: ٢٠) لأسباب تعود
 إلى الضياغة اليونانية لا نرى من حاجة إلى ذكرها. فضلاً عن أن المقال مهيء إلى «مرشولوس» ولا
 إلى «أفلوطين وأملئوس» كما يفهم من نص برهيه ذاته. لهذا وإنّ العنوان، «في الغاية» كان يوضع،
 منذ الرواقية القديمة، عنواناً بكل مقال يتعلّق «بغاية الخيرات».

(٥٩) إن المقال الذي يذكر النص التالي على أنه «مقدّمة» له قد وُضع قبل سنة ٢٦٨ إذ أن أملئوس كان ما =

«كَانَ عَدَدُ الفلاسفة كبيرًا في زماننا، يا مَرْكُلُوس، وبخاصة في الفترة الأولى من حياتنا، أما وَقْتنا الحاضر فلا يُمكن تَحْدِيدُ القِلَّة التي أَصْبَحَ عَلَيْهَا مِنْهُمْ. لَقَدْ كَانَ إِذَا عَدَدُ ٢٠ غَيْرُ قَلِيلٍ مِنَ الْمُقَدِّمِينَ فِي الفَلَسَفَةِ/ يَوْمَ كُنْتُ لَا أَزَالُ فِي سِنِّ المُرَافَقَةِ. وَقَدْ تَمَّ لِي أَنْ أَرَاهُمْ جَمِيعًا بِسَبَبِ الْأَسْفَارِ التي أَقُومُ بِهَا مُنْذُ صِبَايَ، بِرِفْقَةِ والدِي، إِلَى بُلْدَانٍ عَدِيدَةٍ. ٢٥ فَاجْتَمَعْتُ بِمَنْ كَانَ لَا/ يَزَالُ فِي قَيْدِ الحَيَاةِ مِنْهُمْ، أَثْنَاءَ اتِّصَالَاتِي بِالْأَمَمِ وَالمُدُنِ العَدِيدَةِ. وَقَدْ أَخَذَ الْبَعْضُ مِنْهُمْ يَدُونَهُمْ آرَاءَهُمْ كِتَابَةً لِيُخَلِّفُوا لِلْأَجْبَالِ الْمُقْبِلَةِ مَتَعَةً فِكْرِيَّةً يَشْرِكُونَهُمْ فِيهَا. أَمَّا الْبَعْضُ الْآخَرُ فَرَأَوْا أَلَّا يَتَجَاوَزُوا بِالَّذِينَ يَحْضُرُونَ حَلَقَاتِهِمْ فَهُمْ مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ. فَمِنْ ٣٠ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ الْأَفْلَاطُونِيُّونَ أَفْلَيْئُدُسُ/ وَدِيمُقْرِيئُوسُ وَبُورُكْلِيئُوسُ الَّذِي كَانَ يُقِيمُ فِي طُرُودَةِ، ثُمَّ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ حَتَّى الْيَوْمِ فِي رُومَا، أَفْلُوطِينُ وَتَلْمِيذُهُ جِئْتِيلْيَانُوسُ أَمِيلْيُوسُ. كَذَلِكَ أَيْضًا مِنَ الزَّوَاقِثِ يُونِسْتُكْلُسُ وَفِيثْيُونُ، وَأَنْثِيُوسُ وَمَدْيُوسُ اللَّذَانِ كَانَا لَا يَزَالَانِ بِالْأَمَسِ فِي أَوْجِ عِزِّهِمَا، ٣٥ وَهَكَذَا آخِرًا مِنَ الْمَشَائِينِ، هَلْيُودُورُوسُ الْإِسْكَندَرِيّ./ أَمَّا الْفَرِيقُ الثَّانِي فَالْأَفْلَاطُونِيَّانِ أَمْنِيُوسُ وَأُورِيَجِينِسُ اللَّذَانِ صَحْبَتُهُمَا مُعْظَمُ الْأَوْقَاتِ، وَهُمَا رَجُلَانِ لَمْ يَكُنْ بِالْقَلِيلِ تَقَوُّهُمَا عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمَا عَقْلًا وَفَهْمًا؛ ثُمَّ يَلِيهِمَا خَلِيفَتُنَا أَفْلَاطُونُ فِي اثْنَيْنِ نِيُودُوسُ وَأُوبُولُوسُ. أَجَلُ ٤٠ لَقَدْ وَضَعَ بَعْضُهُمْ وَكَتَبَ، قَبْلَئُنَا مِنْ/ أُورِيَجِينِسُ مَقَالَةً «فِي الْجَنِّ» وَمِنْ أُوبُولُوسُ الْمُؤَلَّفَاتِ «فِي فِيلَابُوسُ» وَ«فِي غُورْجِيَّاسُ» وَ«فِي زُدُودِ أَرِسْطُو عَلَى جُمْهُورِيَّةِ أَفْلَاطُونِ». وَلَكِنْ هَذَا لَا ٤٥ يَكْفِي لاعتبارهم مِنَ الْمُتَحَدِّثِينَ فِي وَضْعِ الْمَذَاهِبِ. بَلْ كَانَ ذَلِكَ عَمَلًا هَامِشِيًّا عِنْدَهُمْ/، وَلَمْ

=يَزَالُ فِي رِفْقَةِ أَفْلُوطِينِ فِي رُومَا (٣٢:٢٠، ١٠٠)، وَبَعْدَ السَّنَةِ ٢٦٣، وَهِيَ الَّتِي فِيهَا التَّحَقَّقَ فَرَفُورِيُوسُ بِأَفْلُوطِينِ (١:١٨ تا). عَلَى أَنَّ تَارِيخَ وَضْعِهِ أَقْرَبُ إِلَى ٢٦٣ مِنْهُ إِلَى ٢٦٨ خِلَافًا لِمَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ بِرَهْيَةِ (م.ج ١، ٢٠).

وَهُوَ يُعَلِّلُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَ لِفَرَفُورِيُوسِ يَوْمَئِذٍ عَدَّةُ مَقَالَاتٍ فِي مَذْهَبِ أَفْلُوطِينِ (٩١:٢٠) وَبِأَنَّ مَذْهَبَ أَفْلُوطِينِ كَانَ قَدْ أَصْبَحَ مِنَ الشَّهْرَةِ وَالِاتِّشَارِ بِحَيْثُ أَخَذَ النَّاسُ يَكْتُبُونَ فِيهِ الْأَبْحَاثَ وَالتَّحْلِيلَاتِ (١٠١:٢٠). لَكِنَّا نَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ فَرَفُورِيُوسِ، فِيمَا يَلِي (١٢:٢١)، أَنَّهُ كَانَ فِي أَوَائِلِ اتِّصَالِهِ بِأَفْلُوطِينِ عِنْدَ ظُهُورِ مَقَالِ لُونَجِينُوسِ الَّذِي نَحْنُ فِي صَدَدِهِ هُنَا. فَضْلًا عَنْ أَنَّ أَمِيلْيُوسَ ذَاتَهُ كَانَ هُوَ أَيْضًا، يَوْمَئِذٍ، يَضَعُ مُحَاوَلَاتِهِ الْأُولَى فِي مَذْهَبِ أَفْلُوطِينِ. عَلَى أَنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكُمَ فِيمَا إِنْ كَانَ لِمَقَالِ لُونَجِينُوسِ الْمَذْكُورِ هُنَا جَوَابًا عَمَّا أَوْرَدَهُ فَرَفُورِيُوسُ لِأَمِيلْيُوسِ فِي ٧: ١٧ تا. كَمَا أَنَّا لَا نَعْرِفُ بِمَاذَا نَعْلَقُ «الْجَوَابَ إِلَى أَمِيلْيُوسِ» مِنَ لَنْجِينُوسِ، وَالَّذِي يُوْرِدُ فَرَفُورِيُوسُ ذِكْرَهُ فِي (٩٨:٢٠ تا). هَلْ هَذَا الْجَوَابُ نَصٌّ ثَالِثٌ لِللَنْجِينُوسِ يَتَعَلَّقُ بِأَفْلُوطِينِ، أَمْ هُوَ يَرْتَبِطُ، مِنْ وَجْهِ مَا، بِالتَّصْنِيفِ السَّابِقِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمَا فَرَفُورِيُوسُ لِأَسْتَاذِهِ الْأَوَّلِ فِي الْمَوْضُوعِ ذَاتِهِ؟

وَأَيًّا كَانَ الْحَالُ، فَإِنَّ الْوَاضِحَ مِنْ «مُقَدِّمَةِ» لَنْجِينُوسِ هُنَا هُوَ أَنَّ الرَّجُلَ يَبْقَى فِيهَا ضِمْنَ حُدُودِ الْأَدَبِ وَالمُجَامَلَاتِ (راجع Dörrie, Hermès 83, ١٩٥٥، ٤٤٦) كَمَا هُوَ الْأَمْرُ فِي: (٧: ١٩ تا). فَهُوَ لَا يَقْبَلُ أُسَاسًا مَوْقِفَ أَفْلُوطِينِ الْفَلَسَفِيِّ. لَكِنَّا يُقَدَّرُ عِنْدَ هَذَا الْآخِرِ أُسْلُوبُ الْبَيَانِ الْفَلَسَفِيِّ وَأَصَالَةُ التَّفَكِيرِ.

يَجْعَلُوا الْكِتَابَةَ فِي مُقَدِّمَةِ رَعْبَاتِهِمْ. كَذَلِكَ أَيْضًا مِنَ الرُّوَاقِينَ هِرْمِيئُوسُ وَلُوزِيْمَاسُ ثُمَّ
 أَتَيْئُوسُ وَمُورُئِيُوسُ اللَّذَانِ يَعِيشَانِ فِي أَثِينَا. وَهَكَذَا الْقَوْلُ آخِيرًا فِي الْمَشَاشِينَ أَمْنِيُوسُ
 ٥٠ وَبَطْلِيمُوسُ، وَهُمَا أَعْظَمُ أَدْبَاءِ زَمَانِهِمَا - لَا سَيِّمًا أَمْنِيُوسُ/ الَّذِي لَمْ يَعُدْ لَهُ أَحَدٌ فِي سَعَةِ
 الْعِلْمِ فَإِنَّهُمَا لَمْ يَضَعَا كِتَابًا فَنِيًّا قَطُّ، بَلْ نَظَّمَا قَصَائِدَ وَرَبَّنَا كَلَامًا مُنَمَّقًا. وَقَدْ حُفِظَ لَنَا كُلُّ
 ذَلِكَ بِالرَّغْمِ مِنْهُمَا، فِيمَا أَظُنُّ، لِأَنَّهُمَا مَا كَانَا يُرِيدَانِ أَنْ يُعَرِّفَا بِهِ، بَعْدَ أَنْ أَهْمَلَا أَنْ يَحْفَظَا
 ٥٥ أَفْكَارَهُمَا فِي مَوْلَفَاتٍ تَفَرَّقَ يَلِكُ الْمَأْثُورَاتِ جِدًّا وَرَصَانَةً. أَمَّا الَّذِينَ وَضَعُوا الْكُتُبَ/ فَمِنْهُمْ مَنْ
 لَمْ يَتَجَاوَزْ حَدَّ الْجَمْعِ وَالتَّفْلِيْقِ بَيْنَ مَا خَلَفَهُ السَّلَفُ مِثْلَ أَفْلِيُودِسُ وَمَقْرِيُوسُ وَبِرُوكْلِيْمُوسُ.
 ٦٠ وَمِنْهُمْ مَنْ التَّقَطُّ/ نَتَقًا مِنْ قِصَصِ حَيَاةِ الْقَدَمَاءِ وَحَاوَلَ أَنْ يُؤَلِّفَ عَلَى نَحْوِ مَا كَانُوا يَكْتُبُونَ،
 وَهَذَا هُوَ حَالُ أَتْيُوسُ وَمِيْدْيُوسُ وَفِيْبِيُونُ الَّذِي آثَرَ أَنْ يُعَرِّفَ بِتَزْوِيقِ الْأُسْلُوبِ عَلَى أَنَّ يَمْتَنَزَ
 ٦٥ بِأَحْكَامِ التَّفْكِيرِ. وَلَا بَاسَ/ أَنْ نَذْكُرَ إِلَى جَانِبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ هِلْيُودُورُوسُ الَّذِي نَقَلَ
 مَا سَمِعَ عَنِ السَّلَفِ وَلَمْ يَضِفْ عَلَيْهِ شَيْئًا تَحْلِيلًا وَتَفْصِيلًا. أَمَّا اللَّذَانِ أَظْهَرَا جُهْدًا فِي الْكِتَابَةِ
 ٧٠ بِكَثْرَةِ الْمَسَائِلِ الَّتِي أَقْبَلَا عَلَيْهَا وَبِالْمَذْهَبِ/ الْخَاصِّ الَّذِي عَالَجَا بِهِ النُّظَرِيَّاتِ، فَهُمَا أَفْلُوطِينُ
 وَجِسْتِيْلْيَانُوسُ أَمْلِيُوسُ. أَمَّا أَفْلُوطِينُ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ وَضَعَ أُصُولَ فَيْثَاغُورَسِ^(٦٠) وَأَفْلَاطُونُ فِي شَرْحِ
 أَوْضَحَ مِنْ شُرُوحَاتِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ. وَلَا سَبِيلَ قَطُّ لِلتَّقْرِيبِ مِنْ حَيْثُ الدَّقَّةُ بَيْنَ كُتُبِ أَفْلُوطِينِ وَمَا
 ٧٥ خَلَّفَ فِي الْمَوْضُوعَاتِ نَفْسِهَا لُومِيْنِيُوسُ وَكُرُؤِيُوسُ وَمِلِرَاتُوسُ وَتَرَاسِيْلُوسُ/ ^(٦١). أَمَّا أَمْلِيُوسُ
 فَإِنَّهُ فَضَّلَ أَنْ يَنْتَقِي آثَرَ أَفْلُوطِينِ، فَتَقَيَّدَ بِالكَثِيرِ مِنْ تَعَالِيْمِهِ. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِي تَأْلِيْفِهِ مُسْتَفْضِيًّا، وَفِي
 ٨٠ تَعْبِيرِهِ مُطَبِّئًا، فَخَالَفَ اسْتِنَادَهُ بِأُسْلُوبِ الْكِتَابِ. هَذَا وَإِنَّهُمَا الْوَحِيدَانِ اللَّذَانِ نَرَى أَثَارَهُمَا/
 جَدِيدَةً بِالْبَحْثِ. أَمَّا الْآخَرُونَ، فَمَا بَالُنَا نَظُنُّ حَقًّا عَلَيْنَا أَنْ نَبْحَثَ فِيهِمْ، عَلَى حِينِ نَدْعُ جَانِبًا
 هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ وَوَضَعُوا مَا أَخَذُوهُ عَنْهُمْ فِيمَا بَعْدَ. فَإِنَّهُمْ لَمْ يَضِيفُوا إِلَيْهِ شَيْئًا، حَتَّى وَلَا
 الْمُلَاحَظَاتِ الْعُنَوَانِيَّةَ وَمَوْجَزَاتِ الْأَدِلَّةِ: فَإِنَّهُمْ مَا اهْتَمَّوْا بِجَمْعِ مَا وَصَلَ مِنْ سَبَقِهِمْ وَكَانَ

(٦٠) لَا يُمْكِنُ هَذَا الْقَوْلُ هُنَا إِلَّا إِذَا رُؤِيَ إِلَى قَرَائِنِهِ التَّارِيخِيَّةِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ كَانُوا، مِنْذُ الْأَكَادِمِيَّةِ الْقَدِيمَةِ،
 يَتَصَوَّرُونَ أُصُولَ فَيْثَاغُورَسِ الْفَلَسَفِيَّةِ مُنْطَوِيَّةً فِي مَذْهَبِ أَفْلَاطُونِ ذَاتِهِ. (رَاجِعِ أَفْلُوطِينِ، الْمَقَالِ الْأَوَّلُ
 مِنَ التَّاسِعِ الْخَامِسِ، مَقْطَعٌ ٤٦ - ٥٤).

(٦١) إِنَّ أُصُولَ مَذْهَبِ أَفْلُوطِينِ تَرُدُّ هُنَا إِلَى نَقْلِ يَنْتَقِلُ مِنْ تَرَاسِيْلُوسِ نَاسِيْرٍ أَفْلَاطُونِ وَالَّذِي كَانَ يَعِيشُ فِي
 عَهْدِ طَلِيَارِيُوسِ. ثُمَّ إِنَّ بِيْبَلِيُخُوسَ، فِي مَقَالِهِ، «فِي النَّفْسِ»، يَنْسِبُ إِلَى نُونِيُوسِ وَكُرُونِيُوسِ نَقْلَ
 مَذْهَبٍ خَاصٍّ بِأَفْلُوطِينِ فِي حَقِيقَةِ الشَّرِّ عَلَى أَنَّ لُومِنِيُوسَ رِسَالَةً كَانَ عُنْوَانُهَا «فِي الْخَيْرِ». هَذَا وَإِنْ
 كُلَّ الْفَلَسَفَةِ الْوَارِدَةِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ قَدْ عَرَفُوا فِي الثَّلَاثِ الْكَانِي مِنَ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ الْمِيلَادِيِّ.
 أَمَّا نَحْنُ فَلَا نَعْرِفُ مِنْهُمْ شَيْئًا سِوَى مَا يَقُولُ عَنْهُمْ لَنْجِيْنُوسُ هُنَا. عَلَى أَنَّا نَكْتَفِي بِالْقَوْلِ بَأَنَّ نَجِدَ ذِكْرَ
 بَعْضِهِمْ وَارِدًا عِنْدَ بَرْقْلَسِ فِي شُرُوحَاتِهِ. وَإِنَّمَا كَانَ الْحَالُ، فَإِنَّ كُلَّ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ الْهَامِشِيَّةِ الَّتِي يَمْدَنَّا
 بِهَا لَنْجِيْنُوسُ هُنَا، إِنَّمَا مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُظْلَعْنَا عَلَى الْجَانِبِ الْمَهْمِ الْمَحْظُوظِ الَّذِي بَدَأَ عَلَيْهِ أَفْلُوطِينُ
 وَمَذْهَبُهُ، بَيْنَ رِجَالِ عَصْرِهِ، مِنْ حَيْثُ ابْتِكَارِ الْمَعَانِي وَأَصَالَةِ التَّفْكِيرِ.

٨٥ معروفاً وواسع الانتشار، ولا يانفء ما هو جدير بالإثفاء. - أما البحث في أفلوطين وأميلوس فقد سبق أن عالجناه في غير هذا المكان: في ردنا على جثيليائوس «حول العدل عند أفلاطون»، وفي تدقيقنا النظر في ما قال أفلوطين «في المثل». وكان صاحبي وصاحبهما بزيليوس^(٦٢) الصوري، الذي ألف الكثير، مُقلداً أفلوطين ومفضلاً تعليمه على تعليمي، قد حاول أن يثبت في مقال له أن رأي أفلوطين في المثل أصح مما نذهب إليه نحن. وقد أجبنا عليه بلطف وأقتنأه، فيما نظر، أنه ليس على صواب في تحوله عن رأيه الأول، بعد مناقشتنا لغير القليل من آراء هذين الرجلين، كما فعلنا في رسالتنا إلى أميلوس وهي في حجب مقالة. فإنها ١٠٠ جواب على رسالة بعث بها إلينا من روما وعنوانها «في مذهب فلسفة أفلوطين». أما نحن فاكثفنا بعنوان عم لمقالتنا، وأسماها «رد على رسالة أميلوس»^(٦٣).

٢١ فلنجينوس إذا يعترف «فيما أوردناه من قوله» بتفوق أفلوطين وأميلوس على جميع أهل زمانه، وذلك «بكثرة المسائل وفوق كل شيء»، بمذهبيهما الخاص في النظر إليها. ثم هيئات ٥ أن يقد أفلوطين ثومثوس وأن يزعي حرمة لتعاليمه، فإنه اختار إتباع المذهب الفيثاغوري. «ولا سبيل قط، فيما يختص بدقة المعاني، للمقارنة بين أفلوطين وما خلف ثومثوس وكروثيوس ومذراتوس في الموضوعات نفسها». ثم إن لنجينيوس يقول في أميلوس «إنه ١٠ يقد أفلوطين ولكن تنوع مؤلفاته وإطنابه في التعبير جعله يختلف عن أستاذه». كما إنه يذكر بداية عهدي واتصالي، أنا فرفوروس، بأفلوطين قائلاً: «صاحبنا وصاحبهما بزيليوس ١٥ الصوري الذي ألف الكثير مُقلداً أفلوطين». / ولقد أثبت ذلك إذ تبين أنني كنت أحرص على تجنب طريقة أميلوس في الإطناب الذي لا يليق في الأمور الفلسفية، وأتوخى الكتابة على نمط أفلوطين. وحسبنا أن يكتب ذلك عن أفلوطين رجل مثل لنجينيوس الذي كان ولا يزال حتى اليوم ٢٠ في طليعة التقاد^(٦٤). ويبدو لي أنه، لو استطعت، أنا فرفوروس، أن أجتمع به إذ دعاني إلى

(٦٢) إن تسمية فرفوروس بزيليوس هنا من قبل لنجينيوس يُعد الاحتمال الذي ذهبوا إليه، فيما بعد، أن يكون هذا الأخير هو الذي أطلق اسم «فرفوروس» على ناشر تاسوعات أفلوطين. إلا إذا تم هذا الإطلاق يوم كان الرجلان يعيشان معاً في أثينا. على أنه ربما كان «بزيليوس» أي «الملك» هو الاسم الذي كان صاحبنا معروفاً به في روما (راجع أيضاً ١٧: ١٠ تا).

(٦٣) الظاهر أن إتيان لنجينيوس على ذكر هذه المراسلات كلها، بينه وبين الرجلين، إنما يدل على شيء لا بد من ملاحظته. وهو أن لنجينيوس كان يقصد من ذلك كله أن يصرح برأيه أن البحث الفلسفي الجدّي كان، بين يدي أفلوطين، قد انتقل من أثينا إلى روما.

(٦٤) لهذا لا يعني أن لنجينيوس كان ما يزال قيد الحياة عندما كتب فرفوروس ما نحن إلى قرائته. بل كان فرفوروس يقصد أن التأس في زمانه، أي بعد موت لنجينيوس بكثير، كانوا ما يزالون يتصورون الرجل في طليعة التقاد. أما قوله في أميلوس فحين الواضح أنه كان يريد إسقاط صاحبه، الذي كان قد توفي، =

صور، لَمَّا كَتَبَ فِي الرَّدِّ عَلَى أَفْلُوطِينَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ إِطْلَاعًا دَقِيقًا عَلَى تَعْلِيمِهِ.

- ٢٢ «ولكن علامة هذه الثُّرثرة قُرْبُ السَّنْدِيَانَةِ أَوِ الصَّخْرَةِ؟» كَمَا يَقُولُ هِزْيُودُوس. فإذا لَمْ يَكُنْ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى شَهَادَةِ الْحُكَمَاءِ، فَمَنْ يَقُوفُ حِكْمَةَ الرَّبِّ، ذَلِكَ الَّذِي قَالَ حَقًّا:
- إِنِّي أَحْصِي عَدَدَ حَبَّاتِ الرَّمْلِ، وَأَعْرِفُ حُدُودَ الْبَحْرِ
إِنِّي أَفْهَمُ عَنِ الْأَخْرُسِ وَأَسْمَعُ عَنِ الْأَبْهَمِ؟^(٦٥)
- ١٠ لَقَدْ كَانَ أَبُولُونُ دَقِيقًا إِذْ قَالَ فِي سُقْرَاطِ: «سُقْرَاطُ أَوْسَعَ جَمِيعِ النَّاسِ حِكْمَةً»^(٦٦). فَاسْمَعُوا كَمْ وَكَيْفَ كَانَ مَا إِطْلَعَ عَلَيْهِ عِنْدَمَا سَأَلَهُ أَمْلِيُوسُ عَنْ مَقَرِّ نَفْسِ أَفْلُوطِينَ^(٦٧).
هَا إِنِّي اسْتَهْلُ الثَّغْمَ بِأَنْشُودَةٍ خَالِدَةٍ لِيُغْنِيَ بَهَا،

=يَوْمَ ذَاكَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ عَنْ ذَاتِهِ فِي أَنَّ أَسْلُوبَهُ كَانَ يُشَبِّهُ أَفْلُوطِينَ، فَمِنْ الصَّعْبِ أَنْ نَتَحَقَّقَ مِنْ صِحَّتِهِ: فَإِنَّهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ وَضْعَ التَّاسُوعَاتِ لَمْ يَكُنْ بِأَسْلُوبِ أَفْلُوطِينَ ذَاتَهُ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ بِأَسْلُوبِ فِرْفُورِيُوس. (٦٥) إِنَّ بَيْتَ الشُّعْرِ الْأَوَّلَ مَأْخُوذٌ مِنْ هِزْيُودُوس (ثِيُوغُونِيَا، ٣٥). وَقَدْ أَصْبَحَ بَعْدَ ذَلِكَ مَثَلًا سَائِرًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْكَفِّ عَنِ الثُّرَثَرَةِ فِي أُمُورٍ سَخِيفَةٍ سَعِيًّا لِلانْتِقَالِ إِلَى الْحَدِيثِ فِي الْأُمُورِ الْجَدِيدَةِ. أَمَّا الْبَيِّنَاتُ الْأَخِيرَانِ فَقَدْ اسْتَهْلَ بِهَمَا الْهَائِفِ الْمَوْجَّهَ، فِي دِلْفَا، مِنْ قِبَلِ أَبُولُونِ إِلَى مَبْعُوثِي كِرُزُوس (Crésus)؛ هَكَذَا، فِيمَا نَعْرِفُ وَرَدَ عِنْدَ هِرُودُوتُوس (I، ٤٧)؛ وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ الْبَيْتِ الثَّانِي عِنْدَ أَفْلُوطِرْخُس.

(٦٦) لَقَدْ وَرَدَ «هَائِفٌ» سُقْرَاطُ عِنْدَ هِرُودُوتُوس (I، ٤٧)، وَ«هَائِفٌ» أَفْلُوطِينَ عِنْدَ دِيُوجِينُوسِ لِيرْتِيُوس (٢، ٥، ٣٧). وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ فِرْفُورِيُوسَ قَدْ أَخَذَ «الْهَائِفَيْنِ» مِنْ مَجْمُوعَةٍ مَا لِيُثَلَّ هَذِهِ الْمَوَاقِفَ. فَإِنَّهُ كَانَ وَافِرَ الْإِطْلَاعِ عَلَى أَدَبِ «الْهَائِفَاتِ»، وَقَدْ وَضَعَ فِيهِ مَقَالَاتٍ وَأَبْحَاثًا. هَذَا وَإِنَّا قَدْ اسْتَعْدَمْنَا لَفْظَةَ «هَائِفٌ» هُنَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا تَعْنِيهِ الْفَلِظَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ Oracle الْمُصْطَلَحُ عَلَيْهَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمُنَاسَبَاتِ، وَذَلِكَ قِيَاسًا عَلَى مُصْطَلَحِ «الْهَائِفِ» مِنْ وَرَاءِ الْعَجَبِ الْوَاقِدِ ذِكْرُهُ، غَيْرَ مَرَّةٍ، فِي نِصُوصِ الْمُتَصَوِّفَةِ.

(٦٧) لَا بُدَّ مِنَ التَّذَكُّيرِ هُنَا بِأَنَّ أَفْلَاطُونَ فِي l'Apologie (١، ٢١) كَانَ شَقَّ الطَّرِيقِ لِلْأَفْلَاطُونِيِّينَ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ أَلْفَوْا أَنْ يَشْمَلُوا بِدُعَاءٍ مِنَ الرَّبِّ أَبُولُو الدَّلْفِيِّ حَيَاةً مِنْ كَانُوا يَتَقَدَّمُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْفَلَسَفَةِ وَأَثَارِهِمْ. رَاجِعْ فِي ذَلِكَ «حَيَاةَ أَفْلَاطُونَ» فِي الْخَاتِمَةِ (Didot، ٣٣، ٩) وَ«حَيَاةَ أَرِسْطُو» (Didot، ٢٣، ١٠)؛ وَيَمْبَلِيخُوسُ، حَيَاةَ فِثَاغُورُس، ٣. وَالظَّاهِرُ أَنَّ فِرْفُورِيُوسَ قَدْ تَسَلَّمَ هَذَا «الْهَائِفَ» مِنْ أَمْلِيُوسَ، إِذَا عَنِ طَرِيقِ الْمُرَاسَلَةِ وَإِنَّمَا شِفَاهًا لَدَى إِقَامَتِهِ فِي سُورِيَا بَعْدَ ٢٦٨ (١٩: ٣٥). وَقَدْ تَصَوَّرَهَا بَعْضُهُمْ مِنْ وَضْعِ فِرْفُورِيُوسَ ذَاتِهِ لَكُونَهُ عَرَافًا وَشَاعِرًا وَعَالِمًا «بِالْكَهَنَاتِ» (١٥: ٦). إِلَّا أَنَّ إِمْعَانَ الثُّظُرِ فِيهَا وَمُقَارَنَتَهَا بِمَا وَصَلْنَا مِنَ الرَّجُلِ يَحْمِلُ الْبَاحِثَ عَلَى أَنْ يُسَمِّىَ بِصُجَّةٍ نَسَبَتَهَا إِلَى أَحَدِ كَهَنَانِ أَبُولُونِ فِي دِلْفَا أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْمَزَارَاتِ مِثْلَ كَلَارُوس (Klaros) أَوْ دِيدِيْمَا (Didyma). (راجع Geschichte der Griechischen Religion, M.P. Nilsson - ٢، ٤٤٩). وَالْمُرَجَّحُ أَنَّ الْأَيْطَالِيَّ أَمْلِيُوسَ كَانَ عَلَى اتِّصَالٍ بِكَهَنَانِ «مُتَفَلْسِفِينَ» فِي دِلْفَا إِذْ كَانَ مُقِيمًا فِي رُومَا، ثُمَّ طَلَبَهَا مِنْهُمْ بَعْدَ ارْتِحَالِهِ إِلَى أَمَافِيَا وَعِنْدَمَا وَصَلَهُ خَبَرُ وَفَاةِ أَفْلُوطِينَ. عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَدْ وَضَعَ لَطْفِيًّا تَصْمِيمًا فِلْسَافِيًّا جَاءَ «الْهَائِفُ» مُنْصَاعًا فِيهِ، وَهُوَ التَّصْمِيمُ الَّذِي يُمَكِّنُ اسْتِخْرَاجَهُ مِنْ شَرْحِ فِرْفُورِيُوسَ لِلْقَصِيدَةِ فِي الْفَقْرَةِ الثَّالِيَةِ (٢٣). أَمَّا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِتَحْلِيلِ الْقَصِيدَةِ بِحَدِّ ذَاتِهَا فَارَاجِعْ Vie de Porphyre, J. Bidez، ١٩٦٤، ١٢١، ١٢٢؛ ثُمَّ Nova et Vetera، F. Peeters، ١٦، ١٩٣٤، ٣٨٤ - ٣٨٧. فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَسْلُوبِ الْإِنشَائِيِّ، رَاجِعْ A. Wifstrand Von Kallimachos zu Nonnos، ١٩٣٣، ١٥٧.

- أَخْرَجْتُهَا لِصَدِيقِي عَزِيزٍ^(٦٨)، وَكَأَنَّهُ فِي عُذُوبَةِ الْعَسَلِ
صَوْتُ قِيثَارَتِي التَّاعِمِ إِذْ تَضْرِبُ بِالرِّيشَةِ الذَّهَبِيَّةِ/ ١٥
- كَمَا أَتَنِي أَسْتَحْضِرُ رَبَاتِ الشَّعْرِ لِيَسْمَعَ أَصْوَاتُهَا الْمُتَشَابِكَةَ
(مُصْعَدَةً) الْأَلْحَانَ الْمُتَنَوِّعَةَ الْمُوقَّعَةَ عَلَى حَرَكَاتِ الرُّقْصِ الْمُتَنَاسِقَةِ!
كَذَلِكَ إِسْتَحْضِرُنْ، عَلَى شَرَفِ سَلِيلِ أَيَّاكِيدِسْ، لِإِقَامَةِ الْحَلْقَةِ
حَيْثُ رَافَقَتْ حِمَاسَ الْخَالِدِينَ أَنَاثِيدُ هُومِيرُوسَ.
هَلُمَّنْ يَا رَبَّاتِ الشَّعْرِ بِجَوْقِكُنِ الْمُقَدَّسِ، وَلِنُصْعِدَنَّ/ ٢٠
- بِنَفْسٍ وَاجِدٍ أَرْقَى كُلِّ غِنَاءٍ.
هَإِنِّي يَبْتَئِنُّ، أَنَا فَيْبُوسَ، صَاحِبَ الشَّعْرِ الْمُكَتَّفِ الْمُسْتَرْسِلِ.
إِنَّكَ، أَيُّهَا الْجَنِّيُّ^(٦٩)، قَدْ كُنْتَ قَبْلَ مِنَ الْبَشَرِ. وَقَدْ أَذْرَكْتُ الْآنَ عَالَمَ الْجِنِّ،
فَارْذُدْتِ قُرْبًا مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، إِذْ حَلَلْتَ فُيُودَ الضَّرُورَةِ
الَّتِي تَلْزِمُ الْبَشَرَ. أَمَّا جَوَارِحُكَ الْمُهَيَّجَةُ الرُّغْبَاتِ
فَلَقَدْ قَهَرَتْهَا بِئَاسَ الْقَلْبِ، وَإِلَى سَاحِلِ الْبَرِّ/ الْمُطْمَئِنِّ ٢٥
- نَشَطْتُ سَابِحًا^(٧٠). مِنْ حَوْمَةِ الرِّذَائِلِ تَخَلَّصْتُ،
وَأَثْبَتْتُ قَدَمَ نَفْسِكَ الطَّاهِرَةِ مُسْتَرْسِلًا سَهْلًا
حَيْثُ يَسْطَعُ الثُّورُ الرُّبَّانِيُّ، وَيَقُومُ الْعَدْلُ
بِنَصَاعَتِهِ، فَلَا ظِلْمَ وَلَا رَذِيلَةَ.
كُنْتُ فِي مَاضِيكَ تَنْهَضُ لِيَتَجَوَّ مِنْ بَطْشِ أَمْوَاجِ/ ٣٠
- الْحَيَاةِ الْمُذْمِيَةِ وَأَعَاصِيرِهَا الْمَعِيفَةِ.
وَيَوْمَ ذَاكَ، إِذْ كُنْتُ فِي خِضَمِّ الْيَمِّ الْهَائِجِ الْعَدَّارِ،
مِنْ مَقَامَاتِ السَّعَادَةِ، مَا أَكْثَرَ مَا ظَهَرَتْ لَكَ الْغَايَةُ دَانِيَةً!

(٦٨) أَيِ أَفْلُوطِينِ.

(٦٩) «سَلِيلُ أَيَّاكِيدِسْ» هُوَ أَخْلِيُوسُ بَطْلُ الْإِلْيَاذَةِ، وَ«حِمَاسُ الْخَالِدِينَ» إِشَارَةٌ إِلَى الْمَعَارِكِ بَيْنَ الْآلِهَةِ فِي الْإِلْيَاذَةِ فَيْبُوسَ، أَحَدُ الْأَسْمَاءِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي عُرِفَ بِهَا أَبُولُونُ. وَانْطِلَاقًا مِنْ هُنَا (أَيُّهَا الْجَنِّيُّ) يُوجِّهَةُ الْخُطَابِ إِلَى نَفْسِ أَفْلُوطِينِ وَقَدْ أَصْبَحَتْ مِنْ عَالَمِ الْجِنِّ بَعْدَ أَنْ فَارَقَتْ جَسَدَهَا.

(٧٠) لَقَدْ جَاءَ كُلُّ هَذَا تَقْلِيدًا لِأَيَّاتِ مِنَ الْأُودِيَسَا (٧، ٤٢٣ تا) يَوْصَفُ فِيهَا أُودِيَسَاسُ سَابِحًا يَنْجُو مِنَ الْغَرَقِ، فَيَأْوِي إِلَى جَزِيرَةِ الْفَيَاقِينِ. وَكَانُوا قَدْ الْفَوْا مِنْذُ الْقَدِيمِ أَنْ يَسْتَخْدَمُوا تِلْكَ الْآيَّاتِ عَنْ طَرِيقِ الْاسْتِمَارَةِ لِيَصِفُوا بِهَا الْإِنْسَانَ جَادًّا فِي أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ عَوَامِلِ الْحَسَنِ وَالْجَسَدِ. رَاجِعْ مَثَلًا عِنْدَ هِرَقْلِيدِسِ «الْإِشَارَاتِ الْهَوْمِيرِيَّةِ»، فِي الْخَائِمَةِ؛ وَرَاجِعْ أَيْضًا هِرُودُورَ، Novienla Chiloniensis، فِي FORTSCHRIFT, F. JACOBY لِيدَنْ، ١٩٥٦، ٨٨ تا.

ما أَكْثَرَ ما كانتَ رَمَقَاتُ رَوْحِكَ تَمِيلُ في الشُّعَابِ،

إِذْ تَسِيرُ مُنْذِفَةً من تَلْقَاءِ/ ذَاتِهَا، ٣٥

فَتَبْرِقُهَا، قَوَى الْأَفْلَاحِ، إِلَى السَّيْرِ السَّوِيِّ الْمُسْتَدِيمِ^(٧١)،

أَرْبَابُ الْخُلُودِ يُكَاشِفُونَكَ بِأَشْيَعَةِ أَنْوَارِهِمْ،

فَتُبْصِرُهَا بِأَمِّ الْعَيْنِ من خِلَالِ ظِلَالِكَ الدَّائِمِ.

إِنَّ السُّبُتِ الْعَمِيقَ لَمْ يَسْتَوِلْ قَطَّ عَلَى جُفُونِكَ،

بَلْ كُنْتَ، بِتِلْكَ الْجُفُونِ، من وَصَادِكَ الْمُطَبِّقِ/ ٤٠

الْقَائِمِ، فِي خِضَمِّ الْأَعَاصِيرِ، تَنْدَفِعُ فَتَرَى بِعَيْنِكَ

الْكَثِيرَ وَالرَّائِعَ من الْأُمُورِ الَّتِي رُبَّمَا مَا رَأَاهَا

مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ مَنْ كَانَ أَشَدَّهُمْ بَحْثًا عَنِ الْحِكْمَةِ.

وَالْآنَ وَقَدْ فَلَّتْ من سَكِّكَ، وَفَارَقَتْ رَمْسَهَا

نَفْسُكَ الْحَيَّةَ/، دَخَلَتْ حَلَقَاتِ الْجَنِّ ٤٥

حَيْثُ تَلَطَّفَ التَّسْمَاتِ وَتَطْيَبَ.

هُنَا تَجِدُ الصَّدَاقَةَ، وَالْجَذْبَ النَّاعِمَ

الْحَافِلَ بِاللَّذَّةِ الْبَرِيَّةِ، فَتَرْتَوِي دَائِمًا

من جَدَاوِلِ الرُّحِيقِ الرَّبَّانِيِّ وَتُصْبِحُ أَشْوَاقَكَ

فِي سَكِينَةٍ/ . فَمَا أَحْلَى التَّسِيمِ هُنَا، وَمَا أَشَقَّ الْأَثِيرِ! ٥٠

هُنَا مَقَامُ الَّذِينَ أَنْجَبَ «زُوسُ» الْعَظِيمِ فِي «الْأَجْيَالِ الْأَبْرِيْزِيَّةِ»،

الْأَخْوَانُ يُونُوسُ وَزَدْمَنْثُوسُ. هُنَا الْبَارَّ

أَيَّاكِيدِسُ، وَهُنَا أَفْلَاطُونُ، صَاحِبُ النَّفْسِ الذَّكِيَّةِ، بَلِ الْجَمِيلِ الْمُحْيَا

فِيثَاغُورَسُ: كُلُّ الْمَتَرَاقِقِينَ إِلَى حَلَقَاتِ الْحَبِّ

الْخَالِدِ، كُلُّ الَّذِينَ قُدِّرَ لَهُمْ أَنْ يُحْصُوا من بَيْنِ سُلَالَةٍ/ ٥٥

الْجَنِّيِّينَ أَهْلَ السَّعَادَةِ. هُنَا يَحْفَلُ الْقَلْبُ، فِي ازْدَهَارِ

اللَّذَّةِ الْمُسْتَمَرِّ، بِالْإِبْتِهَاجِ طُوبَى لَكَ. مَا أَكْثَرَ

مَا كَانَ جِهَادُكَ! فَإِنَّكَ بَيْنَ أَطْهَارِ الْجَنِّ!^(٧٢)

(٧١) كُلُّ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْحَسَنَةِ تَنْطَوِي عَلَى مَعْنَى كَانَ كَثِيرَ الْإِنتِشَارِ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْمِيلَادِيِّ، وَهُوَ مَعْنَى

ارْتِقَاءِ النَّفْسِ سَالِكَةً، بَيْنَ الطَّرِيقِ الْمَائِلَةِ الْمُنْعَرِجَةِ، أَيْ بَيْنَ أَفْلَاحِ النُّجُومِ السَّائِرَةِ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى تِلْكَ

التَّجْرِمِ الثَّابِتَةِ.

(٧٢) كُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ تُشِيرُ إِلَى أُخْرَوِيَّاتِ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْمُحَدَّثَةِ، وَهِيَ تَأْوِيلَاتُ رَمْزِيَّةٍ لِمَقْطَعٍ مَشْهُورٍ وَرَدَ =

لقد تدرّعت بنشاط الحياة، فأصبحت اليوم من خيّلانهم!
حَسْبُكَ رَقْصًا وَغَنَاءً / . حَسْبُكَ إحياء الحلقات المُحكّمات الاستدارة
إكرامًا لأفلوطين، يا ربّات الشّعرا! أكفّفن عن المباحج! بل هذا حسبها،
قيثارتى الذهبية، إنباء عن ذلك السعيد في الخلود.

٢٣] ورد في الآيات^(٧٣) أنّه كان «لطيفًا، حلو السمائل، هادئًا فاضلًا: وذلك ما كتّا نراه فيه حقًا. وورد أيضًا أنّه كان في «حال اليقظة المستمرة، ذا نفس طاهرة»، مشغولًا دائمًا بالعالم الربّانيّ الذي كان قلبه شديد الولوع به/. «سعى جُهدُه ليتحرّر ولينجو من بطش أمواج الحياة المدمية». وهكذا، لذلك النور الجنيّ بالذات، المرتقي «غير مرّة» بعوارضه ووفقًا للطريقة التي سنها أفلاطون في «الوليمة»^(٧٤)، إلى الربّ الأوّل المُتعالى، / ظهر ذلك الإله المُنزّه عن كلّ صورة ومثال، وقد إستوى فوق الرّوح وكلّ أمر روحانيّ^(٧٥). وأقول، أنا فرفوريوس،

=عند هزودوس (الأعمال والآيام، ٩٥ تا) عن «العصور الذهبية»، في ضوء أصول فلسفية تصوّية تعود إلى أفلاطون. فالجسد هو قبر النفس (غورجياس ٤٩٣ أ) ومسكنه الأرضيّ (Axiochos, 336 A). وبعد مفارقتها يصل جنّ أفلوطين إلى حلقة أهل السعادة. فمن أوصاف هذا المحلّ تستطيع التشبيهات المُختلفة المنقولة عن القدماء، مثل جزيرة أهل السعادة، والاولمبوس اوديسا (٦، ٤١ - ٤٦) وصور الآخرة كما أخرجها أفلاطون. أمّا مينيوس وردمتوس واياكيدس فهم اللّقاء الثلاثة الذين يُدينون الناس بعد موتهم. فيصبح أفلوطين من صُحبهم مع مَنْ سبقه إليهم من الفلاسفة: أفلاطون وفيثاغورس، بل كلّ أتباع أفلاطون، إذ أنّهم هم «المترادفون إلى حلقات الحُبّ الخالد». على أنّ صاحب «الهاتف» يقلّد هنا أفلاطون الذي كان قد سَنّ لمن بعده كلّ ذلك الثَّمط في التشابه (راجع في هذا كله Vie de Porphyre, Bidez ص ١٢٢ تا).

(٧٣) لقد لاحظ برهيه (م.م. ج ٢٦٦) مُحيلًا على Bouillet، أنّ آياتها «الهاتف» لا تعني شيئًا ممّا ذهب إليه فرفوريوس من تأويلات فلسفية. لكنّ عقلية الزّمان كانت تحكم على الرّجل بأن يتصرّف مثلما فعل. فبِه إلى تنزيه واجب الوجوب من كلّ مثال، وأوّل المواقف الدّينية تصوّية التي تُنسب إلى أفلوطين في «الهاتف» بالخواصّ المَنهجية الفكرية الفلسفية التي تميّز بها شيوخه وأُستاده. فضلًا عن أنّه برّأ هذا الأخير من الوقوع تحت أصحاب الذين الثلاثة (رادمتيس ومينيوس واياكيدس)، كما ورد في الأساطير الدّينية الهلنستية، فجعله في مُستواهم مع غيره من الفلاسفة المشهورين، ولا سيّما أتباع أفلاطون. لكنّه لم يستطع ذلك كلّهُ إلاّ بشيء من التّعسف والتكلف. فإنّ نفع «الهاتف» يردّ كل ما ورد في هذا الأخير، إلى تيار فلسفيّ يَختلف كلّ الاختلاف، في أصوله، عن مذهب أفلوطين. مثل ذلك وصف «المبدأ الأوّل» بأنّه «الرّبّ الأوّل» في حين أنّ أفلوطين يُسمّي هذا المبدأ «بالأوّل» وحسب. أمّا التسمية الأولى فهي المألوفة لدى نومنيوس الذي يَدلّ بها على «الخير». (راجع برقلس، in Tim ٩٣a).

(٧٤) راجع «الوليمة»، ٢١ تا.

(٧٥) راجع أفلاطون، الجُمهوريّة، ٥٠٩ ب - يعني «التور الجنيّ» هنا أفلوطين ذاته من حيث كونه روحًا. «يكونه روحًا» يُدرك «الإله المُنزّه» كما سيأتي شرحه في نصّ التّاسوعات. قارن مع ترجمة برهيه وهردر.

الَّذِي فِي الثَّامَةِ وَالسَّيْنِ مِنْ عُمَرِي، إِنِّي مِنْ ذَلِكَ إِلَهَ تَقَرَّبْتُ بِهِ لِتَصِلَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً^(٧٦)،
 ١٥ لَقَدْ ظَهَرَتْ إِذَا لِأَفْلُوطِينِ «الْغَايَةُ دَانِيَّةٌ». وَكَانَ الْهَدَفُ، وَكَانَتِ الْغَايَةُ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ/، أَنْ يَتَّحِدَ
 وَيَتَّصِلَ بِالْإِلَهِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ. وَفِي أَثْنَاءِ إِقَامَتِي مَعَهُ، تَمَّ لِي أَنْ يُدْرِكَ ذَلِكَ الْهَدَفَ أَرْبَعَ
 مَرَّاتٍ لَيْسَ بِالْقُوَّةِ بَلْ بِالْفِعْلِ الَّذِي يَقُوقُ الْوَصْفَ. وَقَدْ وَرَدَ أَيْضًا أَنَّهُ كَثِيرًا مَا كَانَ يَنْحَرِفُ سَبِيلَهُ.
 فَكَانَ الْأَرْبَابُ يُسَدِّدُونَهُ «وَيُكَاشِفُونَهُ بِأَشْعَةِ أَنْوَارِهِمْ». أَيُّ أَنَّهُ وَضَعَ كِتَابَاتِهِ بِبَحْثٍ وَنَظَرٍ أَمْدًا بِهِمَا
 ٢٠ مِنْ عِنْدِ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَابِ/ وَبِفَضْلِ الْمُشَاهَدَةِ الْيَقْظَى مِنَ الْبَاطِنِ وَمِنَ الظَّاهِرِ، «لَقَدْ أَبْصَرْتُ»،
 فِيمَا وَرَدَ أَيْضًا، «الكثير والرَّوَّاعِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي رُبَّمَا مَارَاهَا مِنَ النَّاسِ» مِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَأْخُودًا
 بِالْفَلَسَفَةِ. ذَلِكَ بِأَنَّ الْمُشَاهَدَةَ لَدَى إِنْسَانٍ قَدْ تَكُونُ مِنْ أَفْضَلِ مَا يُمَكِّنُ لِغَيْرِهِ؛ لَكِنَّهَا، حَتَّى وَلَوْ
 ٢٥ كَانَتْ مِنَ الطَّرَازِ الْأَعْلَى/، فَلَيْسَتْ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْمَعْرِفَةِ الْخَاصَّةِ بِالْأَرْبَابِ، لِتُدْرِكَ حَقِيقَةَ
 الْأُمُورِ فِي أَغْوَارِهَا كَمَا يُدْرِكُهَا الْأَرْبَابُ. وَقَدْ ذَلَّتْ آيَاتُ «الْهَاتِفِ» عَلَى مَا حَقَّقَهُ أَفْلُوطِينُ وَقَدَّرَ
 لَهُ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ، وَهُوَ مَا يَزَالُ مُرْتَدِّيًا جَسَدَهُ. لَكِنَّهُ بَعْدَ «إِفْلَاتِهِ» مِنَ الْجَسَدِ، فَإِنَّهُ قَدْ انْضَمَّ إِلَى
 ٣٠ «جَمَاعَةِ الْجَنِّ»، فِيمَا وَرَدَ/. فَهُنَاكَ الصَّدَاقَةُ وَالرَّغْبَةُ وَالْفَرَحُ وَالشُّوقُ إِلَى الْإِلَهِ. هُنَاكَ أَيْضًا مَقَامُ
 الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ قَضَاةُ الثُّغُوسِ وَذَيَّانُوهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ الْإِلَهِ مَيْئُوسٌ وَرَدَمْتُوسٌ وَأَيَّاكِيدُوسٌ. لَمْ
 يَذْهَبْ أَفْلُوطِينُ إِلَيْهِمْ لِيُدَانَ، بَلْ لِيَجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ مِثْلَمَا اجْتَمَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ كُلِّ الَّذِينَ حَظُّوا
 ٣٥ بِرِضَى الْأَرْبَابِ. وَهَؤُلَاءِ هُمُ/ أَفْلَاطُونُ وَفِيثَاغُورَسُ «وَكُلُّ الْمُتَرَادِفِينَ إِلَى حَلْقَةِ الْعِشْقِ
 الْخَالِدِ». هُنَاكَ يَكُونُ مَحْتِدُ «الْجَنِّ أَهْلُ السَّعَادَةِ» الَّذِينَ يَقْبِضُونَ حَيَاةَ كُلِّهَا «لَذَّةً وَابْتِهَاجًا»،
 وَيَتِمَتُّعُونَ أَبَدًا بِتِلْكَ السَّعَادَةِ الَّتِي تَشْمَلُهُمْ بِهَا الْآلِهَةُ^(٧٧).

(٧٦) إِنَّا نَوَافِقُ هُنَا عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ هَرْدَرُ وَتَبَّعَهُ فِيهِ شَيْلَتُو فِي تَرْجُمَةِ هَذَا الْمَقْطَعِ فَخَالَفَ بِهَا أَغْلَبُ الْبَاحِثِينَ
 إِذْ يُتَرَجِّمُونَ: «وَأَقُولُ أَنَا فَرَفُورِيُوسُ أَنِّي مِنْ ذَلِكَ إِلَهَ تَقَرَّبْتُ بِهِ أَتَّصَلْتُ مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ كُنْتُ فِي
 الثَّامَةِ وَالسَّيْنِ مِنْ عُمَرِي». فَلِلتَّرْجُمَةِ الَّتِي ذَهَبْنَا إِلَيْهِمَا أَسْبَابٌ لِنُوعِيَّةِ تَعْنِي الْقَارِئِ عَنْ ذِكْرِهَا (هَرْدَرُ
 ص ١١٩ - ١٢٠). لَكِنَّهَا تَرْجُمَةٌ تَجِدُهَا مَدْعُومَةٌ بِالْقَرِينَةِ ذَاتَهَا. فَإِنَّ هَمَّ فَرَفُورِيُوسُ لَمْ يَكُنْ بِأَنَّ يُعَرِّفَنَا
 عَلَى سَبِيلِهِ عِنْدَمَا تَحَقَّقَتْ لَهُ تِلْكَ الْمُشَاهَدَةُ، بَلْ بِأَنَّ يُنَبِّئَهُ إِلَى تَدْرِيئِهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى أَفْلُوطِينِ. فَإِنَّ هَذَا
 الْأَخِيرَ قَدْ حَصَلَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي عُمَرِهِ الَّذِي بَلَغَ السَّتَّ وَسِتِّينَ سَنَةً (٢٠٥ - ٢٧٠ م). وَهَكَذَا
 يَكُونُ فَرَفُورِيُوسُ قَدْ أَدْرَكَ سَنَ الثَّامَةِ وَالسَّيْنِ عِنْدَمَا يَرُوي مُشَاهَدَتَهُ الْوَحِيدَةَ. فَإِنَّ صَبْحَ هَذَا التَّأْوِيلِ،
 وَهُوَ أَمْرٌ لَا نَشْكُ فِيهِ، أَمَكُنَّا أَنْ نَوَرِّخَ وَضَعَ فَرَفُورِيُوسُ «لِحَيَاةِ أَفْلُوطِينِ» وَنُشْرَةَ تَاسُوعَاتِ الرَّجُلِ فِي
 السَّنَةِ ٣٠١ م. ذَلِكَ بِأَنَّ تَسْتِجَّتْ مِنْ أَقْوَالِ فَرَفُورِيُوسُ ذَاتَهُ عَنْ عُمَرِهِ (٩: ٤) أَنَّ سَنَةَ مَوْلَدِهِ كَانَتْ
 ٢٣٤ م. هَذَا وَتَجِبُ الْمُلَاحَظَةُ أَيْضًا، مَعَ (Inge, Philosophy of Plotinus، ص ١٤٢) إِلَى نُدْرَةِ
 تَجَرِّبَاتِ «الْوُصُولِ» وَ«الِاتِّحَادِ» لَدَى أَفْلُوطِينِ وَمَدْرَسَتِهِ بِمَا يُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ مُعَاصِرِيهِ، وَمَنْ جَاءَ
 بَعْدَهُ، فَادَّعَى الْكَثِيرَ فِي هَذَا الْمَجَالِ.

(٧٧) إِنَّ لَفْظَةَ «الْعِشْقِ» هِيَ التَّرْجُمَةُ الْمُبَاشِرَةُ لِلْفَظَةِ الْيُونَانِيَّةِ «هَيْروس» الَّتِي تَعْنِي «الْعِشْقَ» بِحَدِّ ذَاتِهَا، لَكِنْ
 مِنْ حَيْثُ كَوْنُ هَذَا «الْعِشْقِ»، هُنَا، رَبًّا وَأَلْهًا. وَيَجْدُرُ التَّذْكِيرُ هُنَا بِالتَّأْوِيلِ الْفَلَسَفِيِّ الَّذِي خَلَعَهُ
 فَرَفُورِيُوسُ عَلَى آيَاتِ «الْهَاتِفِ» ذَاتِ التَّرْعَةِ الشَّعْرِيَّةِ الصَّوْفِيَّةِ. فَاسْتَبَدَلَ بِالْجُمْلَةِ «مَنْ كَانَ أَشَدَّ الْبَشَرِ» =

٢٤ تلك هي قصّة أفلوطين. ولما كان هو نفسه قد أوصانا بأن نجمع كُتبه ونصححها^(٧٨)، وعدته أنا بذلك وهو ولا يزال حيًّا. وأخبرت الرفاق الآخرين أنني سأقوم بهذا العمل. ولما كانت تلك الكتب قد ظهرت/ طُوع الظروف والمُناسبات لم أتبع في جمعها الترتيب التاريخي، بل قلّدت في عملي أبُلدورُس الأثيني المَشائي^(٧٩)، فالأوّل جمع في عشرة مجلّدات آثار الشاعر الهزلي إبيكرُموس، والثاني قَسَم إلى مقالات مؤلّفات أرسطو ومؤلّفات ثيوفراستُس، فجَمع/ الموضوعات الخاصّة المُتجانس بعضها مع بعض. وهكذا فعلت أنا.

=بحثًا عن الحكمة (٤٤:٢٢) الجملة «من كان من الناس مأخوذًا بالفلسفة» (٢٣:٢٣).

(٧٨) كان أفلوطين إذا قد كلّف فرفوروس بجمع كتاباته وتصحيحها. أمّا «التصحيح فإنّ اللفظة اليونانية التي تدلّ عليه قد وردت قبل ذلك (٥١:٧) للدلالة على الشّيء ذاته. وهو الاهتمام الصادق بتنقيح النّصّ وتصويبه لغويًّا قبل دفعه إلى النّشر. ذلك بأنّه كان لمقالات أفلوطين، حتّى في حياته، بعض الانتشار، ولا سيّما لدى الخواصّ من طلبته. بل إنّ لنجينوس كان، وهو في اثنيّا وقيل موت أفلوطين، قد حصل على بعضها (٨٩:٢٠)، ثمّ على سلسلتين منها بعد ذلك (٢٦:١٩ - ٢٧) كانا قد نُقلتا في سوريا، وقبل نشره فرفوروس للتاسوعات. فبسبب هذا النوع من النّشر المحدود الذي لم يتناول إلاّ مقالًا أو آخر، كان أفلوطين قد كلّف فرفوروس بإعادة النّظر في النّصّ وتصحيحه بالمعنى الذي سبق شرحه. وأمّا «الجمع» فهو ترجمة للفظ اليونانية التي تدلّ إجمالاً على تقسيم الموادّ وتوزيعها إلى أبواب وفصول.

وقصارى الكلام كان أفلوطين قد وكلّ فرفوروس بنشر تعاليمه دون أن يحدّد له شيئًا من نوعيّة ذلك النّشر، لا من حيث المَنّ ولا من حيث الإخراج. أمّا قبل السّنة ٢٦٨م، فقد كان هذا التّكليف الشّامل أمرًا مُستبعدًا إذ أنّ أفلوطين كان ما يزال يُعلّم ويشرح مذهبه ويحدّد فيه ويضيف إليه. لكنّا نعرف أنّه كان أمرًا واردًا في خلد أفلوطين ما دام كان يبعث بمقالاته، بعد ذلك، إلى فرفوروس في صقلية يومذاك، ليُعِد النّظر فيها ويحكم بتصحيحها وتقسيمها وتبويبها. والدليل على ذلك تلك الإحالات التي يُجرىها أفلوطين ذاته من مقال على آخر. على أنّ هذا لا يعني أنّ الأستاذ كان راضيًا عن تقسيمات التّلميذ وتبويباته. بل ربّما كان ينظر إلى ذلك كلّ من وَجّه آخر يُخالفه الذي جرى عليه فرفوروس.

(٧٩) إنّنا نكاد لا نعرف شيئًا عن أبُلدوروس وعن نشرته لمسرحيّات إبيكرُموس، لكنّا نعرف اندرنيكوس وكيفية جمعه لمؤلّفات أرسطو وثيوفراستُس. فنستطيع أن نُقدّر التّباين بين ما قاله أفلوطين بالذات والوجه الذي عليه جاء تخريج «التاسوعات» المُنسوبة إليه. فإنّ اندرنيكوس لم يُعد إلى عرفان أرسطو الفلسفيّ الأصيل يتبعه في كلّ مسألة بحيث يُنسّق كُتب المُعلّم الأوّل تنسيقًا «تاريخيًّا» بل إنّ عمده، في ترتيب هذه الكتب، إلى ما بين موادّها من صلات منطقية بصرف النّظر عن ارتباطها بواقع استنساخها التاريخي. ولهذا يدلّنا على أنّ موادّ التاسوعات لم تصلنا بالوجه الذي عليه أخرجها أفلوطين بل من خلال التّصميم التقليديّ الذي أقبل به فرفوروس عليها لإخراج صياغتها. وهو تصميم كان اتباعه واسع الانتشار في تعليم الفلسفة يومذاك (راجع فريد جبر، أرسطو والأرسطية عند الغرب، في دائرة المعارف للبستاني، بيروت (١٩٧١)، ص ٤٣٣ تا). حتّى ولو افترضنا أنّه كان في ذهن أفلوطين تنسيق مذهبيّ «لموادّ تعليمية»، فإنّا نستطيع أن نحكم بأنّ هذا التّنسّق لم يكن له أيّ تأثير على الصّيغة التي أبرز بها فرفوروس التاسوعات.

كان لدي أربعة وخمسون مقالًا لأفلوطين، فقسمتها إلى ستة تاسوعات. وهو ترتيب شد ما راقي بسبب التأليف التاجع بين العدد الكامل ستة وبين العدد تسعة. وهكذا جمعت في تاسوع ١٥ المقالات المتجانسة في موضوعاتها، ثم رتب التاسوعات بحسب سهولتها/ ^(٨٠)، الأسهل منها في المقام الأول. فالتاسوع الأول يشتمل على المقالات التي طغى عليها طابع الأخلاقيات.

أ، ١ (٥٣) - ما الحي؟ ما الإنسان؟

أ، ٢ (١٩) - في الفضائل.

أ، ٣ (٢٠) - في الجدل.

أ، ٤ (٤٦) - في السعادة.

أ، ٥ (٣٦) - في هل السعادة بامتداد الزمان.

أ، ٦ (١) - في الحُسن.

أ، ٧ (٥٤) - في الخير الأول وفي الخيرات الأخرى.

أ، ٨ (٥١) - في الشرور.

أ، ٩ (١٦) - في الانتحار المعقول.

ذلك هو التاسوع الأول، وهو يشتمل على الموضوعات التي يظهر فيها الجانِب الأخلاقي على غيره. أما التاسوع الثاني فإنه يضم مسائل في الطبيعيات، فيتضمن المقالات ٣٠ المختصة بالعالم وما يتعلق به. وهذه هي:

ب، ١ (٤٠) - في العالم.

ب، ٢ (١٤) - في الحركة الدورية.

ب، ٣ (٥٢) - في هل للنجوم فعل.

ب، ٤ (١٢) - في الهوليين.

ب، ٥ (٢٥) - في معنى القول بالقوة وبالفعل.

(٨٠) هكذا يجب أن نفهم الجملة اليونانية في مقطعنا هنا. فالترتيب ترتيبان: ترتيب أول يتناول تنظيم مادة كل تاسوع بعضها مع بعض؛ وترتيب ثانٍ يتناول تنسيق التاسوعات بحد ذاتها بعضها مع بعض أيضًا. راجع هرذر، ص ١٢٢، عند (٢٤: ١٤ - ١٦). لهذا وإننا نذكر هنا عناوين المقالات دون مطالعها وثلما فعل برهيه (م.م. ج ١ ص ٢٨ تا)؛ على أن الحرف الأبجدي إنما يدل على العدد الترتيبي بالترقيم الروماني فيرمز إلى التاسوع. فيدل العدد الخارج من على مرتبة المقال في التاسوع. والعدد الواقع بين القوسين على ورود المقال ذاته وفقًا للترتيب التاريخي. مثلًا: ب، ٦ (١٧) يعني التاسوع الثاني، المقال ٦، في ترتيب فرفوريوس، و١٧ وفقًا للتاريخ الذي فيه وضع أفلوطين المقال ذاته. وسيتبين ذلك للقارئ بوضوح عندما يتعود على مطالعة التاسوعات ذاتها.

- ب، ٦ (١٧) - في الكيف وفي الميثال .
 ب، ٧ (٣٧) - في المزيج الكلّي .
 ب، ٨ (٣٥) - لماذا تظهر الأشياء البعيدة صغيرة؟
 ب، ٩ (٣٣) - في الردّ على الذين يقولون أنّ صانع العالم رديء وأنّ العالم شيرير . /
 ٤٠ أما التأسوع الثالث فإنه يتضمّن، إلى جانب مقالات أخرى في العالم، مقالات أيضًا في ما يُنظر إليه من خلال علاقته بالعالم .
 ج، ١ (٣) - في القدر .
 ج، ٢ (٤٧) - في العناية . مقالة أولى .
 ج، ٣ (٤٨) - في العناية . مقالة ثانية . /
 ٤٥ ج، ٤ (١٥) - في الجني الذي قدّر لنا قريئًا .
 ج، ٥ (٥٠) - في العشق .
 ج، ٦ (٢٦) - في أنّ المنزهات مبرّاة عن الانفعال .
 ج، ٧ (٤٥) - في الدهر والزمن .
 ج، ٨ (٣٠) - في الطبيعة والمُشاهدة والواحد . /
 ٥٠ ج، ٩ (١٣) - أبحاث مُتفرقة .

٢٥ إنّ تلك التأسوعات الثلاثة جَمَعناها مُرتبة في مُجلّد واحد^(٨١) . وقد أثبت في التأسوع الثالث المقال «في الجني الذي قدّر لنا قريئًا» لأنّ البحث فيه يتناول أمورًا عامّة، ولأنّ موضوعه من اختصاص الذين يبحّثون في ولادة الإنسان . / وكذلك الأمر عن المقال «في العشق» . أما المقال «في الدهر والزمن» فإنني أثبتته هنا لاتصاله بمسألة الزمن . ثمّ إنّ سبب إيراد المقال «في الطبيعة والمُشاهدة والواحد»، في التأسوع ذاته، فهو الفصل المتعلّق بالطبيعة^(٨٢) . أما التأسوع الرابع الذي يلي مجموعة المقالات «في العالم»، فإنه يشتمل/ على المقالات «في النفس»، وها هي :

(٨١) «مجلّد»: ترجمة للبرناتية التي تُقابلها الفرنسية Corps من اللاتينية Corpus التي تعني بالبريتية «الجسم» أو «الجسد» أو «البدن» . على أنّ الألفاظ الأجنبية الثلاثة تدلّ على «الكتاب» (liber - livre) ذي الأوراق العديدة المضموم بعضها إلى بعض، مثلما الأمر من كتاب اليوم . وهو «المجلّد» الذي أخذ يُنشر إستعماله في أواخر القرن الثالث الميلاديّ ويحلّ شيئًا فشيئًا محلّ «الكتاب» بصورة الورقة الطويلة التي كانت تُلقَى لفًا (Volumen) «فُتْشِر» لقراءة ما كان قد «كُتِب» فيها .

(٨٢) إنّ هذه الملاحظة من فرفوربوس ذاته تدلّ على تنسيقه لتعاليم أفلوطين بسقّ «التأسوعات» كان تنسيقًا عائدًا إلى عنديّات الرُّجل .

- د، ١ (٤) - في حقيقة النَّفس . مَقالة أولى .
- د، ٢ (٢١) - في حقيقة النَّفس . مَقالة ثانية .
- د، ٣ (٢٧) - ضُعوبات تتعلّق بالنَّفس . مَقالة أولى .
- د، ٤ (٢٨) - ضُعوبات تتعلّق بالنَّفس . مَقالة ثانية . / ١٥
- د، ٥ (٢٩) - ضُعوبات تتعلّق بالنَّفس . مَقالة ثالثة . أو في الإبصار .
- د، ٦ (٤١) - في الإحساس والذِّكرة .
- د، ٧ (٢) - في خُلود النَّفس .
- د، ٨ (٦) - في هُبوب النَّفس إلى عالم الأجسام .
- د، ٩ (٨) - في هلَّ النفوس كلّها نفس واحدة؟ / ٢٠
- إنَّ التَّاسُوع الرَّابِع يَحْتَوِي إِذَا عَلَى كُلِّ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالنَّفْسِ فِي حَدِّ ذَاتِهَا . أَمَّا التَّاسُوعُ الْخَامِسُ فَإِنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى الْمَوْضُوعَاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِالرُّوحِ . وَلَكِنْ فِي كُلِّ مَقَالٍ مِنْ مَقَالَاتِ هَذَا التَّاسُوعِ أَقْوَالًا فِي مَا فَوْقَ الرُّوحِ ، وَفِي الرُّوحِ الْحَالِ فِي النَّفْسِ ، وَفِي الْمُثَلِّ . وَهِيَ ٢٥ هي ذي . /
- هـ، ١ (١٠) - في الأصول الثلاثة القديمة .
- هـ، ٢ (١١) - في التَّكْوِينِ ، وَفِي نِظَامِ الْمُتَأَخَّرَاتِ عَنِ الْأَوَّلِ .
- هـ، ٣ (٤٩) - في الأصول العارِفة ، وَفِي مَا هُوَ فَوْقَهَا .
- هـ، ٤ (٧) - كَيْفَ إِنَّ مَا بَعْدَ الْأَوَّلِ هُوَ مِنَ الْأَوَّلِ / . فِي الْوَاحِدِ . ٣٠
- هـ، ٥ (٣٢) - فِي أَنَّ الرُّوحَانِيَّاتِ لَيْسَتْ خَارِجَ الرُّوحِ ؛ فِي الْخَيْرِ .
- هـ، ٦ (٢٤) - فِي أَنَّ مَا فَوْقَ الْأَيْسِ لَا يُعْرَفُ ؛ مَا هُوَ الْعَارِفُ الَّذِي مِنَ الْمَقَامِ الْأَوَّلِ ، وَمَا هُوَ الْعَارِفُ فِي الْمَقَامِ الثَّانِي . / ٣٥
- هـ، ٧ (١٨) - هَلْ لِكُلِّ أَمْرٍ جُزْئِيٍّ مِثَالٌ ؟
- هـ، ٨ (٣١) - فِي الْحُسْنِ الرُّوحَانِيِّ .
- هـ، ٩ (٥) - فِي الرُّوحِ وَفِي الْمُثَلِّ وَفِي الْأَيْسِ .
- ٢٦ [] لَقَدْ جَمَعْنَا إِذَا التَّاسُوعَ الرَّابِعَ وَالْخَامِسَ أَيْضًا فِي مُجَلَّدٍ وَاحِدٍ . أَمَّا التَّاسُوعُ السَّادِسُ وَالْآخِرُ فَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي مُجَلَّدٍ وَاحِدٍ آخَرَ - فَيَقَعُ هُكْذَا كُلُّ مَا كَتَبَ أَفْلُوطينَ فِي مُجَلَّدَاتِ ثَلَاثَةٍ : ٥
- الْأَوَّلُ مِنْهَا يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ تَاسُوعَاتٍ وَالثَّانِي تَاسُوعَيْنِ ، وَالثَّالِثُ تَاسُوعًا وَاحِدًا . / وَهَذِهِ هِيَ مَقَالَاتُ الْمُجَلَّدِ الثَّالِثِ أَوْ التَّاسُوعِ السَّادِسِ .
- و، ١ (٤٢) - فِي أَجْناسِ الْأَيْسِ . مَقالة أولى .

- و، ٢ (٤٣) - في أجناس الأيس. مقالة ثانية.
- و، ٣ (٤٤) - في أجناس الأيس. مقالة ثالثة. / ١٠
- و، ٤ (٢٢) - في أن الأيس هو كله في كل ناحية، وهو واحد في ذاته. مقالة أولى.
- و، ٥ (٢٣) - في أن الأيس هو كله في كل ناحية، وهو واحد في ذاته. مقالة ثانية.
- و، ٦ (٣٤) - في الأعداد. / ١٥
- و، ٧ (٣٨) - كيف نشأت كثرة المثل: في الخير.
- و، ٨ (٣٩) - في العمل المختار، وفي إرادة الواحد.
- و، ٩ (٩) - في الخير أو في الواحد.
- ٢٠ كذلك إذا قد وزعنا إلى ستة تلك المقالات / الأربع والخمسين. وقد أدخلنا على بعضها شروحا غير مطردة^(٨٣)، بناء على طلب أصحاب إستوضحوني ما التبس عليهم فيها. هذا علاوة
- ٢٥ على أنني كنت قد جعلت لكل مقال، عدا المقال «في الحُسْن» الذي / لم يكن في حوزتي، مُلخصات عنوانية وفقاً لتواريخ ظهورها واحدة فواحدة. أما في هذه النشرة^(٨٤) فلم يكن كل مقال مصحوباً بملخص عنواني فقط، بل أيضاً بموجز لسياق الاستدلال. وأن هذه الموجزات هي بعد الملخصات العنوانية. وها أنا ذا الآن مُقبل على إستعراضها جميعاً مقالاً مقالاً، مُحاولاً
- ٣٠ جهد المستطاع أن أضع علامات الوقف، / وأن أصحح الأخطاء إذا ما وقعت. وإن كان من أمرٍ آخر ذي بال، فذاك ما سيدل عليه عملي ذاته.

(٨٣) في كل هذه الفقرة يذكر فرفوروس كل ما أضافه إلى نص المواد الأفلوطينية. وقد وُضعت لها شروح عديدة. راجع أشهرها:

- Schwyzer, RE, Plotinos, 500, 508 sq.
- B. Moymert, Porphyrii Sententia, Leipzig, 1907, XXV sq.
- Beutler, RE, Prophyrios, 286.
- Regenbogen, RE, ΠΙΤΟΥ, 1475.

أما الشروح «غير المطردة» فالظاهر أن فرفوروس كان قد وُضِعها لكل من المقالات، مقالاً مقالاً. بل ربما كان ذلك منه حتى في أيام أفلوطين، نظراً إلى المنزلة التي كان قد تبوأها بين طلبة هذا الأخير. راجع التّص هنا (٣٩: ١٧ - ٤٠).

(٨٤) أي النشرة التي هي اليوم بين أيدينا والتي أخرجها فرفوروس بسنق «التاسوعات». وهي تُقابل «النشرة» الأولى التي كانت تصدر بمرآجل وفقاً للوقت الذي فيه ينتهي أفلوطين منها. فيعيد فرفوروس النظر في كل منها ويُضيف إليه «شروحه». وكان هذا العمل جزءاً مما يُسميه صاحبنا «التصحيح».

المجلد الأول

التاسع الأول

فهرسُ التاسوع الأول

٥١	 ما الحي؟ ما الإنسان؟	(٥٣)	الفصل الأول
٥٩	 في الفضائل	(١٩)	الفصل الثاني
٦٦	 في الجدَل	(٢٠)	الفصل الثالث
٧٠	 في السَّعادة	(٤٦)	الفصل الرابع
٨٢	 السَّعادة وامتداد الزَّمان	(٣٦)	الفصل الخامس
٨٦	 في الحُسْن والجَمال	(١)	الفصل السادس
٩٥	 الخير الأوَّل والخير في الأمور	(٥٤)	الفصل السابع
٩٧	 ما هو الشَّرُّ وأين مَعْدِنه؟	(٥١)	الفصل الثامن
١٠٩	 في الانتحار المُباح	(١٦)	الفصل التاسع

الفصل الأول

(٥٣)

ما الحي؟ ما الإنسان؟

١ إلام يُردُّ انفعال اللذة والألم، والخوف والإقدام، والشوق والثبور؟ إلى النفس من حيث إنها تُسخر الجسد؟ أم إلى أمر ثالث مُركَّب من الاثنين؟ ولهذا السؤال وجهان: هل الأصل الأخير هو مزيج من الأولين أم هو شيء آخر ناتج عن المزيج؟ والسؤال وارد أيضًا/ في ما ينشأ عن تلك الانفعالات من أعمال وظنون. ثم يأتي الطلب في هل يُردُّ الفكر والظن إلى ما تُردُّ إليه الانفعالات أم يكون بعضها هكذا وبعضهما الآخر على غير ذلك؟ ثم يجب النظر في العوارف كيف تكون وإلى أي أصل تُردُّ؟ وأخيرًا ما عسى أن يكون ذلك الأصل الذي يمتحن كل تلك الأمور، ويبحث فيها/ ويصير حكمه عليها؟ وأول سؤال يعترضنا هو السؤال عن الأصل الذي يُردُّ إليه الإحساس. فون ههنا يجدر بنا أن ننطلق في بحثنا، إذ إن الانفعالات إحساسات أو إنها على الأقل لا انفعال بغير إحساس.

٢ إن أول ما يتبادر إلينا في ما يختصّ بالنفس هو البحث فيما إذا كانت النفس شيئًا، وأيس النفس شيئًا آخر. فإن كان ذلك كذلك، كانت النفس شيئًا مُركَّبًا، فلا يُستبعد أن تكون قابلة للصور وأن تُنسب إليها تلك الانفعالات التي ذكرناها، إذا ما أحل لها العقل ذلك؛ أن تكون، بوجه الإجمال، قابلة للأحوال والاستعدادات، صالحة كانت أم سيئة. / أما إذا كانت النفس هي وأيسها شيئًا واحدًا، فإنها صورة في حد ذاتها، ولا محل فيها لتلك الأفعال التي تقوى هي على إحداثها في غيرها، بل إن لها في ذاتها فعلًا هي مفطورة عليه؛ ومهما يكن ذلك الفعل، فإن العقل يكشفه لنا. ويحق القول حيثُذ إنها خالدة، إذ إن المفروض في الخالد الذي لا يليق / ألا يفعل قَط، فيمد نوعًا ما غيره من ذاته، ولا يأخذ شيئًا من غيره إلا بقدر ما كان ذلك الشيء الآخر سابقًا له، غير مُفصل عنها، ثابتًا في عالم فوق عالمه. فوهم يخاف كائن مثل هذا ما دام مُبرأ من كل دخيل عليه؟ ألا وإن الخوف ليس له سبيل، إلا لما يكون للانفعال. كما أنه ليس عليه أن يكون ثابت الجنان، / إذ إن ثبات الجنان لا يصدر إلا عن دبت إليه المخاوف. وليس فيه رغبات أيضًا،

لأنَّ الرغبات تُلَبَّى بواسطة الجسد حين يُفَرِّغ أو يَمَلأ، والمَلَأ والفراغ أمران يَحْدِثَان في غير النَّفْس. وكيف يكون فيها رغبة إلى الامتزاج بشيء آخر، وصافي الجوهر لا مزيج فيه؟ وعَلَامَ رَغْبَتِهَا في أن تُدْخَلَ غيرها فيها، كأنَّهَا تَسْعَى إلى إلَّا تكون/ ما هي عليه؟ ثمَّ إنَّ الأَلَمَ بعيد عنها، فكيف وَوَمَّ تَتَأَلَّم؟ إنَّ البسيط يكتفي بذاته، فَيَقْبَى كما هو، قائماً بتلك الذات. كما أنَّهَا لا لَذَّةَ لها، إذ إنَّه ليس من خير يضاف إليها ويحدث فيها: فإنَّهَا هي ما هي دائماً. وهكذا أيضاً لا إحساس عندها، ولا فِكْرَ لديها/ ولا ظَنَ: فالإحساس قَبُولٌ لصورَة أو انفعال في جسده، والتَّفَكُّير والظَنُّ أصلهما الإحساس. أمَّا العِزْفَان، فإذا تركناه للنَّفْس، وجب أن نبحث كيف يَتَمَّ فيها، وهكذا ٢٥ القول أيضاً في اللَذَّةِ الخَالِصَةِ، فيما إذا كانت تَسْرَبُ إلى النَّفْسِ بكونها وَحْدَهَا. / ٣٠

٣ هذا ولا بُدَّ الآن من اعتبار النَّفْسِ في الجسد، سواءً أكانت قبله أم كانت فيه فقط، فإنَّ «الكل الذي يَتَكَوَّن منه ومنها هو ما يُدْعَى الحيوان». وإذا كانت تُسْعَرُ الجسد أداة لها، فما كانت بحكم الضَّرورة لتتأثر بانفعالات الجسد، كما أنَّ أصحاب الوَهْن لا يتأثرون بتأثيرات أدواتهم/. غير أنه ربَّما لا يكون لها بدَّ من الإحساس، إذ إنَّهَا لا تُسْتَخْدَمُ الجسد أداةً إلَّا بعد كونها عالمةً بوساطة الإحساس، بالانفعالات التي تأتيها من الخارج. فاستخدام العين، إمَّا هو البصر، وقد يُصَابُ البصر بضرر، فتَحْزَنُ النَّفْسُ وتَتَأَلَّمُ بما يطرأ على الجسد،/ حتى تنشأ فيها الرَغْبَةُ لمُعَالَجَةِ العُضْوِ المصاب. ولكن كيف تنتقل تلك الانفعالات من الجسد إلى النَّفْسِ؟ إنَّ الجسد إمَّا يَشْرِكُ جسداً آخر بما لديه، أمَّا الجسد مع النَّفْسِ، فكيف تكون العَلَاقةُ بينهما؟ لَكِنَّ شَيْئاً يَفْعَلُ إذ/ يَفْعَلُ غيره. وما دامت النَّفْسُ هي التي تُسْعَرُ الجسد والجسد مُسْعَرٌ لها، فكلُّ معزول عن الآخر، وإنَّما يَتَمَّ هذا العِزْلُ باعتبار النَّفْسِ هي الأَصْلُ المُسْعَرُ. ولكن كيف كان الأمر قَبْلَ ذلك العِزْلِ يَتَمَّ على طريق التَّفَلُّسُفِ؟ إنَّهما مُمْتَزِجَان، وإذا كان ذلك كذلك، فنحن أمام نوع من أنواع الامتزاج، أو أمام ما يُشَبِّهُ التَّوَاشُّجَ، أو ما يُشَبِّهُ الصورة التي لا تَفَارِقُ الجسد أو ما يُشَبِّهُ صورةَ بينها وبين الجسد/ تماسٍ كالذي بين الرُّبَّانِ ودَقَّةِ السَّقِينَةِ؛ أو إنَّ النَّفْسَ تكون على هذه الحال في بعضها، وعلى تلك الحال في بعضها الآخر، أعني أنَّهَا مُفَارِقَةٌ في بعضها الذي يُسْعَرُ الجسد، ومُمتزجة في بعضها الآخر، فتصيح هي أيضاً من بعض الوجوه في وضع عضو يُسْعَرُ. حتى لتبادر الفلسفة إلى ضَمِّ هذا البعض الأخير، إلى بعضها المُسْعَرِ، ثمَّ تصير هذا المُسْعَرُ عن الجسد المُسْعَرِ، ما دامت الحاجة إلى التسخير مُنتَفِيَةً، حتى لا يكون المُسْعَرُ/ دائم الاستغراق في تسخيره. ٢٥

٤ إنَّنا نفترضهما إذاً ممتزجين، وإذا امتزجا صُلِحَ شرُّهما، وفُسِدَ خيرهما: يَصْلَحُ الجسد

إذ يُمدّ بالحياة، وتفسد النفس إذا أُشركت في الموت والغباوة. فكيف تضاف قوة الإحساس إلى ما كان، على نحو ما، محروماً عن الحياة؟ أمّا/ الجسد الذي يُمدّ حينذاك بالحياة فإنه يُشرك في الإحساس وفي الانفعالات التي تنشأ عن الإحساس: فهو الذي يرغب، إذ إنه هو الذي يتمتع بما يرغب فيه؛ وهو الذي يخاف، إذ إنه هو الذي يحرم اللذة، ويترتب الفساد.

ولنواصل بحثنا هكذا في كيفية/ الامتزاج، فلعل الأمر مستحيل كاستحالة مزج خطّ باللون الأبيض، أي مثل مزج طبيعة بطبيعة تختلف عنها. وإذا قلنا بالتواشج، فإن التواشج لا يلد التبادل في الانفعال، بل قد يكون تواشج بدون تفاعل: فربما انتشرت في الجسد كله بدون أن تنفعل بانفعالاته/ كما هو شأن النور، لا سيما إذا اعتُبر التواشج الذي نحن بصده على معنى أنّ النفس تنجاز الجسد من طرف إلى طرف. إنّ النفس لا تنفعل إذا بانفعالات الجسد، بسبب أنّها تواشجت معه، بل الوجه أن تكون في الجسد، كما أنّ الصورة في الهيولى. فإن أول ما يقال فيها حينذاك هو أنّها صورة مفارقة، إذ إنّها جوهر قائم في ذاته، والأصح أن تعتبر في منزلة الأصل المُسَخَّر. فإذا كانت في منزلة هيئة الحديد في الفأس/، فالفأس حديدًا وهيئة يعمل ما يعمل الحديد بعد صوغه هكذا بتلك الهيئة ويحسب تلك الهيئة. والأحرى بنا عند ذلك أن تُنسب إلى الجسد الانفعالات المشتركة بينه وبين النفس، على أن نعني ذلك الجسد الطبيعي القائم بجهاز عضويّ، المهيأ لقبول الحياة. فإن أرسطو يقول: «كما أنّ من الحقّ/ أن ندعي أنّ النفس تحيك، كذلك من الحقّ أيضًا أن نتصورها تشتاق وتآلم. وإنّما يفعل ذلك الحيوان».

٥ أمّا الحيوان، فإمّا أن يكون الجسد وهو كذلك، وإمّا أن يكون جملة النفس والجسد، أو إنه شيء ثالث نشأ عن الاثنين. ومهما يكن الأمر، فمن الواجب أن تبقى النفس إمّا غير مُنفعلة مع أنّها سبب الانفعال في الجسد، وإمّا مُنفعلة معه أيضًا. وإذا انفعلت، فبانفعال الجسد ذاته أو بانفعال من جنسه/، كيف ينفعل مثلاً، وكيف يتآلم؟ كأن يقابل مثلاً الرغبة عند الحيوان فعل أو انفعال في غريزة الرغبة.

أمّا كيف يكون الجسد وهو بما وُصِف عليه، فهذا أمر نرجى البحث فيه إلى ما بعد، ونُعني الآن بالمركب من النفس والجسد: كيف ينفعل مثلاً، وكيف يتآلم؟ لأنّ الجسد يكون في وضع ما، فيصل الانفعال إلى الحواسّ، ثم ينتهي الإحساس إلى النفس؟ لكنّا حتى الآن لا نرى كيف ينشأ الإحساس. ثم ربّ ألم كان أصله ظنًا أو حكمًا في أنّ شرًا أصابنا أو أصاب أحدًا من ذويّنا، أفلا يتطلق حينئذ الطارئ المؤلم من ههنا، فيمتد إلى الجسد ويتناول الحيوان كله؟

١٥ بيّد أنّنا/، مع ذلك، لا نزال نجهل بماذا يتعلّق ذلك الظنّ، بألنفس أم بالمركب؟ لهذا علاوة على أنّ الظنّ في شرّ ما يتضمّن انفعال الألم، إذ يجوز أن يحضر الظنّ ولا يُرافقه الألم؛ كما أنّنا

قد نَحْكَم بأننا محتَقَرُونَ ولا نَشْعُر بالغضب، وقد نَتَبَيَّن خَيْرًا دون أن تَتَحَرَّكَ عندنا الرِّغْبَةُ فيه .
 ٢٠ كيف تكون إذاً تلك الانفعالات مُشْتَرَكَةٌ بين النَّفْس والجسد؟ / الآن الشُّوق يَصْدُرُ عن
 مَلَكَةِ الشُّوق، والغضب عن مَلَكَةِ الغضب، وبوجه عامٍّ كُلِّ نَزْعَةٍ إلى شيء ما عن غريزة الشَّهْوَةِ
 في النَّفْس؟ فإذا كان الأمر كذلك، ما عادت الانفعالات مُشْتَرَكَةٌ، بل تُرَدُّ إلى النَّفْس وَحْدَهَا .
 ٢٥ ومع ذلك فإنها من الجسد أيضًا، إذ لا بُدَّ من غليان في الدم والصَّفراء، / ولا بُدَّ للجسد من أن
 يكون في وضع خاصٍّ نوعًا ما، حتى تَتَحَرَّكَ نزعَاتنا، كما هو الأمر في شهوة الجَماع مثلاً . بيد
 أنَّ الميل إلى الخير ليس انفعاليًّا مُشْتَرَكًا، بل انفعال النَّفْس، وهكذا القول في غيره من
 الانفعالات؛ بل ربَّ استِدلالٍ أَضْى بنا إلى أنها لا تَرْتَدُّ كلها إلى المُرْكَب . وأخيرًا، إذا
 أَحَسَّ الرَّجُلُ بشهوة الجَماع، فإنَّ الرَّجُلَ هو الذي يشتهي، ولكن من وَجْهٍ آخَرَ، إنَّ مَلَكَةَ
 ٣٠ الشَّهْوَةِ / فيه هي التي تشتهي . كيف ذلك؟ أَمَعْنَى أَنَّ الرَّجُلَ هو الذي يُبَادِرُ فيشتهي، ثُمَّ تَتَّبِعُ
 مَلَكَةُ الشَّهْوَةِ؟ ولكن كيف يشتهي الرَّجُلُ ما لم تَتَحَرَّكَ عنده مَلَكَةُ الشَّهْوَةِ؟ فهي التي تُبَادِرُ إذا؛
 ٣٥ ولكن أتى لها أن تُبَادِرَ، ما لم يُجْعَل الجسد أولًا في الوضع / الملائم .

٦ لعلَّ خير القول في الأمر هو أنَّ من تَوَافَرَتْ فيه تلك القوى عمل بمُوجِبِها؛ فلا تَتَحَرَّكَ
 هي، إنَّما تُعْمِدُ الذي جُعِلَتْ فيه بالقُوَّةِ اللازمة . وإذا كان ذلك كذلك، فالوجه، عندما يَفْعَلُ
 ٥ الحيوان، أن يَبْقَى مَصْدَرُ الحَيَاةِ في المُرْكَبِ بدون انفعال، / وتَرْتَدُّ الانفعالات والأفعال إلى
 صاحب الحياة . لهذا وإنَّ الحياة ليست حياة النَّفْس، بل إنها حياة المُرْكَبِ؛ أو فلنقل: ليست
 حياة النَّفْس هي حياة المُرْكَبِ . فإنَّ الذي يُحَسِّنُ ليس قُوَّةُ الإحساس، بل صاحب تلك القُوَّةِ .
 ١٠ ولكن إذا / كان الإحساس (وهو حركة تَسِيرُ في الجسد وتجتازُه) لَيَسْتَهِي إلى النَّفْس، فكيف يقال
 إنَّ النَّفْسَ لا تُحَسِّنُ؟ ذلك لأنَّ قُوَّةَ الإحساس حاضرة وبِفَضْلِ حضورها يَتِمُّ الإحساس . فما الذي
 يُحَسِّنُ إذا؟ - المُرْكَبُ .
 ١٥ وما دامت قُوَّةُ الإحساس / لم تُحَرَّكَ، فكيف يَبْقَى للمُرْكَبِ حساب مع أنه لا حساب
 للنَّفْس ولا لِقُوَّتِها حساب؟

٧ ذلك لأنَّ قِوَامَ المُرْكَبِ ليس بأن تُعْطِيَ النَّفْس ذاتها للمُرْكَبِ أو لأحد طَرَفَيْهِ على ما هي،
 عند حضورها، بل بأن تُحْدِثَ أَمْرًا ثَالِثًا من الجسد وهو بما يكون عليه ومن شيء آخَرُ هو كالنور
 المُنبِئِ عنها، فيكون ذلك الثالث طبيعة الحيوان، وإلى هذه الطَّبيعَةِ يَرْتَدُّ الإحساس وتَرْتَدُّ
 ٥ الانفعالات / التي تُنسَبُ إلى الحيوان .

ولكن كيف يقال إننا «نحن» الذين نُحَسِّنُ؟

يقال ذلك لأننا لسنا مفصولين عن ذلك الحيوان، وما دامت لدينا أمور أخرى أيضاً أرفع
 قَدْرًا، هي من ذات الإنسان الشاملة القائمة بعناصر عديدة. والواقع أنَّ قُوَّة الإحساس في
 ١٠ النَّفْس لا تُدرك الأمور الحسِّيَّة، بل تتناول/ بالأحرى الانطباعات التي تحدث في الحيوان
 بواسطة الإحساس: فإنَّ تلك الانطباعات إنما هي روحانيَّة. فالإحساس الوارد من الخارج إنما
 هو انعكاس لما يتم في النفس؛ والذي يتم في النَّفْس أقرب إلى الحقيقة من الإحساس، إذ إنه
 مُجَرَّد مُشَاهِدَة للمُثَل، خالية من كل انفعال. وعن تلك المُثَل التي تكفل للنَّفْس الانفراد بتدبير
 ١٥ أمور الحيوان/ تنشأ الأفكار والطُّنون والعوارف؛ وهنا نكون «نحن» حقًا وصدقًا. إنَّ ما قَبْلَ
 ذلك هو عندنا «لَمَّا لَدَى»؛ أمَّا ما كان بنا من ذلك الحَدِّ إلى ما علي، فهو «نحن» من حيث
 نُشرف على الحيوان ونوجهه. ولا مانع من أن يُطلَق إسم الحيوان على الكلِّ، فيشمل المزيج
 ٢٠ الذي في الدون منه، ثم ما يلي فوق ذلك، وهو الإنسان الحق. أمَّا الدون فهو/ من السَّباع
 والبهائم، على اختلاف أصنافها. ولَمَّا كان الإنسان في مُستَوَى النَّفْس الناطقة، فإنَّ، عندما
 نُفكِّر بالعقل، إنما نحن الذين نُفكِّر بالعقل، وذلك بكوننا نفكِّر بالعقل فعلاً من أفعال النَّفْس.

٨ والروح كيف نكون معه؟ ولست أعني بالروح تلك المَلَكَة التي تحصل في النَّفْس، وهي
 من الأمور المُنبِعثَة من الروح، بل الروح ذاته. فإنَّ لدينا أيضًا الروح ذاته فوقنا «نحن». ذلك
 بأنَّه لدينا: إمَّا أمرًا مُشترَكًا بين الجميع، أو أمرًا خاصًا بكلِّ مَنَّا، أو أمرًا مُشترَكًا وخاصًا معًا:
 أمَّا كونه مُشترَكًا فلائِه ليس قابلاً للتقسيم ولأنه واحد وهو أبداً في كلِّ ناحية؛ وأمَّا كونه
 ٥ خاصًا/ فلائِه يحصل بكامله في كلِّ مَنَّا في نفسه الأولى. فإنَّ المُثَل لدينا على وجهين أيضاً: ما
 في النَّفْس وكأنَّها مُنبسِطة، مُتمايِزة؛ وفي الروح كلَّها جميعًا.

والله كيف ندركه؟ على أنَّه متعالٍ فوق الطَّبيعة الروحانيَّة والذات الحَقَّة؛ أمَّا «نحن» فإنَّنا
 ١٠ نقع في المَرْتَبَة الثالثة بعد الله/، على أنَّنا، فيما يقول أفلاطون، من «الذات اللامُقسَّمة» التي
 تأتي من العالم الأعلى، ومن الذات «المُقسَّمة في الأجساد». ووجه التَّأويل في قوله «المُقسَّمة»
 بين الأجساد هو أنَّ النَّفْس تنوِّع على أبعاد الجسد، بِقَدَر عِظَم كلِّ حيوان، بحيث يكون العالم
 ١٥ الكلِّي نفساً واحدة. / وأيضاً: نَتصوَّر النَّفْس حاضرة في الأجساد بمعنى أنَّها تثيرها، فلا تُحدِث
 الحيوان بأن تجمع بينها وبين الجسد، بل بأن تبقى على ما هي، وتُرْسِل من ذاتها ارتسامات على
 نحو ارتسامات الوجه في مرايا عديدة. فارتسامها الأوَّل هو الإحساس، الذي يكون في
 المُركَّب؛ ثم من الإحساس يُشتقُّ كلُّ ما كان سواه ويُسمَّى هيئَة النَّفْس، فُتشتقُّ الهيئَة عن
 ٢٠ الهيئَة وهكذا حتى ينتهي/ الأمر إلى النَّفْس المُولَّدة والنَّفْس الثَّابِتَة، ثم بوجه عام إلى القُوَّة
 على صُنْع وإحداث شيء يَختلف عن صاحب القُوَّة، حيث يَرْتَدُّ حيثُذ الأصل الذي يصنع

مُتَحَوِّلًا بذاته نحو ما يصنعه .

٩] إن حقيقة تلك النَّفْس التي فينا إذا هي بطبيعة حالها براء من الذنوب التي يرتكبها الإنسان والشرور التي تصيبه ؛ وقد قلنا إن تلك الشرور إنما هي من لوازم الحيوان والمُرْكَب . ولكن إذا كان الظَّن والتفكير من خواصِّ النَّفْس ، فكيف تكون معصومة عن الخطأ؟ فإنَّ الظَّن كاذب وقد كان أصلًا لشرور كثيرة . ألا وإنَّ سبب الشرور انهزام خير ما فينا أمام شرِّ ما فينا ، إذ إنَّا كثيرو الوجوه ؛ وأعني بشرِّ ما فينا ، الهوى أو الغضب أو التَّوَهُُّمَات القبيحة . أمَّا ما ندَّعيه تفكيرًا باطلاً ، فإنَّما هو في حقيقة الأمر خيال لم ينتظر حكم ملكة التفكير ، فنبادر إلى العمل منقادين إلى شرِّ ما فينا ، كما لو كنَّا على مُستَوًى / الإحساس ؛ فيعرض للحسِّ المُشترَك ، قَبْلَ أن يحكم لِمَلَكَةِ التفكير ، أن يزوغ بصره . أمَّا الروح فلربَّما أدرك ولربَّما لم يدرك ؛ وهو في كلتا الحالتين معصوم عن الخطأ . أو أنَّ ما يجب أن يقال هو ما يلي : إنَّنا نحن الذين ندرك أوَّلًا الروحانيَّ في الروح ، إذ إنَّه يجوز أن يكون الشَّيء حاضِرًا ولا يكون ، في حقيقة الواقع ، طوع النَّصْرَف .

١٥] إنَّنا نُمَيِّز / إذاً بين الأمور المُشترَكة والأمور الخاصَّة بمعنى أنَّ الأولى جسدِيَّة ولا تكون بدون الجسد ، على حين أنَّ الثانية لا تحتاج إلى الجسد لتفعل أفعالها ، فتكون خاصَّة النَّفْس . أمَّا التفكير الذي يحكم على الانطباعات الواردة من الإحساس فهو في الحين والحال مُشاهدة للوئيل ، ومُشاهدة على نحو ما بالتَّوَجُّد . / وإنَّما أعني ، على الأقلِّ ، التفكير بتمام معناه ، ذلك الذي هو من خواصِّ النفس الحقيقية . فإنَّ التفكير الحقيقيَّ ، إنَّما هو العِرْفان وقد تحقَّق فعلاً . وكثيرًا ما يكون التَّمائُل والجمع بين ما في الخارج وما هو في بواطننا .

ومهما يكن من أمر إذا ، فإنَّ النَّفْس مُطْمِئِنَّة حاضرة إلى ذاتها ، مُستقرَّة في ذاتها ، والذي يحدث فينا من تغيُّر / واضطراب إنَّما أصله ، كما ذكرنا ، ما أُقِرَّت إليه النَّفْس وانفعالات المُرْكَب ، مهما يكن جنسه .

١٠] ولكن إن نكن نحن النَّفْس ، ونكن نحن الذين نفعل بتلك الانفعالات ، فإنَّ النَّفْس تفعل بها أيضًا ، فتفعل ما نفعل نحن . وقد مرَّ بنا أنَّ المُرْكَب «مُرْكَبنا» ، بخاصَّة ما دنا غير منفصلين عن الجسد ؛ لا بل نقول عمَّا يفعل به جسدنا إنَّنا نفعل به نحن أيضًا . فلمدلول «نحن» إذا وجهان : إمَّا أن يدلَّ / على النَّفْس مع البهيمِيَّة ، وإمَّا أن يدلَّ على ما فوق البهيمِيَّة ؛ والبهيمِيَّة هي الجسد المُجهَّز بالحياة . أمَّا الإنسان الحقيقيَّ ، فهو شيء آخر ، إنَّه بريء من كلِّ ذلك ، ذو فضائل من مقام الروح ، تبقى لازمة للنَّفْس التي تنفصل عن الجسد ؛ إنَّها مُنفصلة عنه ، بل مُفارقة له ، حتى أثناء إقامتها ههنا في هذا العالم . / وذلك لأنَّها إذ تنسحب انسحابًا تامًّا عن

الجسد، ينسحب هو معها أيضًا ويتبعها الإشراق الذي كان قد حصل منها على الجسد. ثم إن الفضائل التي ليست وليدة الفطنة، وإنما تصدر عن العادة والترويض، هي من لوازم المركب؛ كما أن القبايح أيضًا من لوازمه، وهكذا أيضًا الغيرة والحسد والشفقة. والصدقة إلا مَن تَرُدُّ؟ - ١٥ ربَّ صداقة صدرت عن المركب، وصدقة كانت خاصة الإنسان الباطن./

١١ هذا وإن لوازم المركب هي التي تعمل بنشاط في طور الطفولة؛ وقلما تُشرق عليه من العالم الأعلى؛ على أن ذلك الإشراق إذا لم يكن موجَّهًا إلينا، فإنه يكون موجَّهًا إلى علٍّ، وإنما يؤثر فينا عندما ينتهي إلى متوسط النفس.

- ماذا إذا؟ ألسنا «نحن» أيضًا فوق ذلك المتوسط؟

٥ - بلى، ولكن يجب أن يتم فينا الإدراك الواعي لذلك؛ فإن ما لدينا، لا نستخدمه دائماً، بل فقط عندما نُسدِّد متوسط النفس أو إلى الأعلى أو إلى ما يقابل الأعلى، فنُخرج ما في ذلك المتوسط من القوة أو حالة الملكة إلى حيِّز الفعل.

- والبهائم كيف يتم لها أن تُجهَّز بالحياة؟

- إذا وُجدت في البهائم نفوس إنسانية ارتكبت ذنوبًا كما يظن بعضهم، فإن النفس في أصلها الأعلى المُفارق لا تحل في البهيمة؛ إنها تقف في جانبها/ دون أن تكون حاضرة فيها.

١٠ فالإدراك عند البهيمة يكون بمنزلة ارتسام ظلِّ النفس عند اتِّحادها بالجسد، ولا تكون البهيمة إذاً إلا جسدًا على وُضْعٍ جعله فيه ارتسام ظلِّ النفس. أما إذا لم تدخل البهيمة نفس إنسانية، فإنما تكون حياة تلك البهيمة على ما هي من إشراق النفس الكلية على الجسد./ ١٥

١٢ ولكن إذا كانت النفس معصومة، فكيف يكون عقاب؟ لهذا كلام يُخالف رأي كُلِّ من يذهب إلى أن النفس ترتكب الذنوب، وأنها تُصلَح، وأنها تُعاقب بأن تهبط إلى منازل الأموات أو يعثرها التقمص. فلا خرج في ذهاب كلِّ الرأى الذي يريده؛ وقد ينكشف مع ذلك أمر لا يكون فيه وراء وجدال./ فالذي يُسلم أن النفس معصومة، يفترضها في بساطة تامة، بحيث إن النفس وأيسها شيء واحد عنده؛ أما الذي يُسلم بأنها ترتكب الذنوب، فإنما يتصوَّر معها ويضمُّ إليها نفسًا من نوع آخر، وهي النفس التي تُلَازِمها انفعالات خطيرٌ شأنها. فتُصبح النفس ذاتها ١٠ حينئذ شيئًا مركَّبًا/ مؤلَّفًا من تلك العناصر الذي تدخل فيها، فتتفاعل من حيث إنها للكلِّ، ويكون المركب هو الذي يأثم، وهو الذي يُؤدِّي حسابًا على ما اقترف، ولا النفس البسيطة تلك. وعليه يقول أفلاطون «لقد شاهدناها على نحو ما يُشاهد غلو كوس، إله البحر»؛ ويقول أيضًا: «لا بد أن تتفض نفضًا ممَّا أضيف إليها، حتى تستبين حقيقتها لمن يريد أن

١٥ يراها صافية/ . ويجب أن يُدَقَّق النَّظَرُ فِي «حَبِّهَا لِلْحِكْمَةِ»، وفي الأمور التي اتَّصلَ بها ذلك الحب، وفي ما أصبحت «مُجَانِسَةً لَهُ» حتى غدت عليه . فالنَّفْسُ الْحَيَّةُ وطاقاتها شيء، والذي يُعاقَبُ شيء آخر . والاعتزال مثل الانفصال ليس انسحابًا عن الجسد فقط، بل إنه أيضًا تَجَرُّدٌ من كلِّ ما التحق بالنَّفْسِ وليس منها .

٢٠ هذا والذي يَلْتَحِقُ بها إنما يكون في مُستَوَى الصَّيرورة؛ أو بالأحرى إن/ الصَّيرورة في بنيتها إنما هي من عالم تلك النَّفْسِ التي هي من نوع آخر، على ما وضعنا . وقد مرَّ بنا كيف تتم تلك الصَّيرورة، فإنَّ النَّفْسَ تَسِيرُ سَفَلًا، فيحدث عنها، إذ تنعطف نحو العالم الأدنى، شيء آخر، يسير هو أيضًا إلى أسفل . فهل تكون النَّفْسُ قد أفلتت ارتسامها فهِط؟ والانعطاف كيف لا يكون ذَنْبًا؟ لكن إذا/ كان الانعطاف إشرافًا على ما تحت، فليس ذَنْبًا، كما أنَّ الإظلال ليس ذَنْبًا؛ بل المذنب هو المُشْرِقُ عليه . فإنه لو لم يكن، لما كان للنَّفْسِ شيء تُشْرِقُ عليه، فسير النَّفْسِ هبوطًا وانعطافًا إنما يقالان بمعنى أنَّ المُشْرِقَ عليه يحيا معها وبها . فإنَّها ترخي ارتسامها، إذا لم يكن في قربها ما هو قابل له، وإنَّها لثرخيه لا بمعنى أنَّه يَفْصَلُ عنها، بل بمعنى أنَّه قد انعدم/ وقد انعدم ما دامت هي مُنْصَرِفَةٌ بكاملها إلى مُشَاهَدَةِ ما هنالك .

٣٠ هذا على أنَّ الشاعر هوميروس، فيما يبدو، يُسَلِّمُ بانفصال الارتسام عن النَّفْسِ إذ يجعل شبح البطل هرقلس في منزل الأموات، ونفسه هو في عالم الآلهة، فَيُبَيِّنُ الأمرين معًا: أي إن هرقلس في عالم الآلهة وفي منزل الأموات في آن واحد؛ فكأنَّه يَقْسِمُهُ إلى شطرين . وقد يكون هذا القول مُحْتَمَلًا على التَّأْوِيلِ التَّالِي: كان هرقلس مُتَحَلِّيًا بالفضائل العملية، فَجَعَلَهُ حُسْنُ بِلَائِهِ أَهْلًا لَأَنْ يَصِيرَ إِلَهًا؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ مُنْصَرِفًا إِلَى الْعَمَلِ لَا إِلَى الْمُشَاهَدَةِ، حَتَّى يَحُلَّ بِكَامِلِهِ هُنَالِكَ؛ فَهُوَ فِي الْعَالَمِ الْأَعْلَى، وَلَكِنَّهُ أَيْضًا بَعْضُ مَا هُوَ الْعَالَمُ السُّفْلِيُّ .

١٣ والآن ما هو موضوع بحثنا في كلِّ ذلك: «نحن» أم «النَّفْسُ»؟

- نحن، ولكن بواسطة النَّفْسِ .

- وما معنى «بواسطة النَّفْسِ» أكان بحث الباحث لحصول النَّفْسِ فيه؟

- كلاً، بل لأنَّه هو النَّفْسُ .

- ألا تُصَيِّحُ النَّفْسُ بِذَلِكَ خَاضِعَةً لِلْحَرَكَةِ؟

- الواقع أنَّه لا بدَّ من التَّسْلِيمِ بأنَّ لها حركة، ولكنَّها غير حركة الأجساد . وتلك الحركة هي حياة النَّفْسِ بالذات . وبهذا المعنى كان العِرْفَانُ عرفاننا نحن، لأنَّ النَّفْسَ أَمْرٌ رُوحَانِيٌّ، ولأنَّ العِرْفَانَ هو حياتها الفضلى . وعندما تُدْرِكُ النَّفْسُ بِالرُّوحِ، وعندما يُؤَثِّرُ الرُّوحُ فِينَا: فَإِنَّ الرُّوحَ، في آنٍ واحد، هو روحنا وهو أمر علويٌّ فوقنا نسمو إليه .

الفصل الثاني

(١٩)

في الفضائل

١ « ما دام الشرّ يجول جولته في هذه المنطقة من الكون، وما دامت النفس راغبة في الفرار من الشرّ، فلا بُدّ من الهرب ». ولكن كيف نهرب؟ قال (أفلاطون): « بالتّشبه بالله »، ويتمّ لنا ذلك « بالعدل والورع تصحبهما الفطنة »، وباستقامتنا على الفضيلة بوجه عامّ. وإذا كان هذا التشبه يتيسّر لنا عن طريق الفضيلة، أفيكون من تشبه به هو صاحب فضيلة أيضًا؟ فما عسى أن يكون ذلك الإله الذي تشبه به؟ أو لا يبدو أنّ تلك الصفات تتجلّى فيه بشكلها الفائق أي أنه يكون في العالم كلّهُ هو صاحب الأمر والتهي، المختصّ بالحكمة العجيبة؟ فأجدر بنا حقًا، ما دنا في هذه الدُّنيا، أن تشبه بذلك الإله! على أنّ أوّل ما يتبادر إلينا هنا هو الشكّ فيما إذا كانت الفضائل كلّها متوافرة له، كأن يكون شجاعًا لا خوف عليه من شيء، لا شيء بغريب دخيل على ذاته، ويكون عفاً إذ لا تعرض له لذة حرّم منها فتير لديه رغبة في الحصول عليها أو في إدراكها. وإذا كان في ذلك الإله أيضًا نزعة إلى الروحانيات التي تنزع إليها نفوسنا، فواضح أنّ نظامنا الباطنيّ وفضائلنا، إنّما تصلنا، نحن أيضًا، من عالم تلك الروحانيات كما هو الأمر عنده. فهل لدى الإله المعقول تلك الفضائل؟ إنّ أدنى ما يقال هو أنّه ليس من المحتمل أن تكون فيه الفضائل التي تُعرّف « بالمدنيّة »: كالفطنة لازمة المُعلّل بالعقل، والشجاعة لازمة المُتدفع بالعاطفة، والحقّة، وهي، نوعًا ما، توافق الملكة الشهوانيّة وتناسقها مع العقل، والعدل، وهو أن يُعمل بتلك الفضائل، كلّ بدورها، فتارة تأمر وطورًا/ تطيع. أفلا يتمّ إذا تشبّهنا بذلك الإله عن طريق الفضائل «المدنيّة»، بل تبعًا لفضائل أخرى أُسمّى منها تُعرّف بالاسم ذاته؟ وإن لم يكن التشبه يتمّ إلّا وفقًا لهذه الفضائل الأخيرة، أفليس من وجهٍ فقط لتحقيقه عن طريق الفضائل المدنيّة؟ ليس من المعقول ألاّ يتم، بوجه من الوجوه، تشبه بحسب هاتيك الفضائل وأن ينحصر تحقيقه في التي فوقها بالرتبة، لأنّ الذين يتحلّون بالفضائل المدنيّة مشهورون بأنهم ربّانيون/، والحقّ أنّهم أدركوا التشبه بالإله نوعًا ما. وسواء أخذت التشبه عن سبيل هذه أو تلك، فالنتيجة هي أنّ لذلك الإله فضائل ولو لم

تكن من جنس فضائلنا. وإذا سلّمنا بعد ذلك أنّ التّشبه مُمكن، ولو في فضائل تختلف في ذات الله عنها في ذاتنا، فلا شيء يَمنع أن تتشبه تبعاً لفضائلنا الخاصّة بالذات، بمن ليس فيه فضيلة، ٣٠ ولو لم يكن ذلك التشبه ليتمّ بواسطة/ الفضائل المدنية. أمّا كيف يكون ذلك، فعلى التّحو التالي: إذا ما صار شيء حارّاً لوجود الحرارة، وجب أن يُحمى ما منه تنبّعث الحرارة، وإذا ما صار شيء حارّاً لوجود النار، فهل يجب أن تُحمى النار نفسها بوجود نار أخرى؟ ٣٥ وقد يُعترض مع ذلك على التّشبيه الأوّل فيقال: / صحيح أن في النار حرارة، ولكّنها فطريّة؛ فيخرج التّعليل، إذا التزم القياس، إلى أنّ الفضيلة في النّفس إنّما هي أمر مُكتسب، ولكّنها فطريّة فيما تحاكيه النّفس وتقتبس عنه. أمّا في الدّليل المُتخذ من النار فيقال: إنّ ما ينتج عنه هو أنّ ذلك الأمر هو الفضيلة بالذات، كما أنّ النار هي الحرارة. على أنّا افترضناه في مقام ٤٠ أعلى من مقام الفضيلة. / فلو كانت الفضيلة التي تُحصلها النّفس بالمشاركة هي ذات الأمر الذي أخذت النّفس منه الفضيلة لكان الاعتراض هنا هو الصّواب؛ ولكّن الفضيلة شيء والذي تُؤخذ منه الفضيلة - وهو أصل النّفس - شيء آخر. فليس البيت الذي يدرك بالحس هو هو الذي في ذهن المهنّيس، ولو كان الأوّل قائماً على التّشبه بالثاني. فإنّ في البيت المحسوس ٤٥ شيئاً من التّناسق والتّرتيب، وليس في التّصميم الذّهني تناسق ولا ترتيب ولا تناظر. / وهكذا - من هنالك - يصلنا التّناسق والتّرتيب والتّساوي، وبكلّ ذلك تقوم الفضيلة هنا؛ لكن متى استغني عن التّساوي والتّرتيب والتّناسق، فلا حاجة إلى الفضيلة أيضاً، ولا بُدّ لنا، مع ٥٠ ذلك، من حضور الفضيلة فينا حتى يتمّ لنا التّشبه. وعلى هذا المعنى بالذات، / ليس ضرورياً أن يكون هنالك فضيلة بسبب أنّ «التّشبه» يتحقّق فينا بواسطة الفضيلة، هذا ولا بدّ لنا من أن نُقنع العقل بما ذكرنا ولا نفرضه عليه فرضاً.

٢ فلنعتبر أوّلاً الفضائل التي يحسبها يتمّ التّشبه، كما قلنا، حتى نبيّن ذلك الأمر الواحد الذي يكون عندنا مثلاً وهو الفضيلة - والذي يكون هنالك أصلاً مثلاً يُحاكى وهو غير الفضيلة. هذا وإنّا نعلم أنّ التّشبه يكون على وجهين: الأوّل يفترض وجود معنى واحد بين المتشابهين، فهما متشابهان بالتّبادل لأنّهما يستمدّان تشابهما/ من أصل واحد، والثاني يُشبه أحد الطّرفين فيه الطّرف الآخر، على أن يكون هذا الآخر هو الرّكن الأصل ولا يقال عنه أنّه يُشبه الأوّل بالتّبادل؛ فلا يفترض وجود معنى واحد بين المتشابهين، بل بالأحرى وجود معنى في أحدهما يختلف عنه في الآخر، إذ أنّ التّشبه تمّ هنا على مُقتضى الوجه الثاني.

١٠ والآن ما هي الفضيلة، وأعني الفضيلة بوجه عامّ، وكلّ فضيلة بحدّ ذاتها؟ ولعلّ الكلام كان أوضح لو قصرناه على كلّ فضيلة على جِدّة، فيسهل علينا حينئذ تبين الأمر

المُشْتَرَك الذي بمقتضاه تكون كُلُّها فضائل. إِنَّ الفضائل المَدَنِيَّة إِذَا، تلك التي نُكَلِّمنا عنها،
 ١٥ تُسَوِّي أَوْضَاعَنَا حَقًّا وتزِيدنا فضلًا، إِذْ إِنَّهَا تَضَعُ حَدًّا/ ومقياسًا للرغبات بخاصَّة وللانفعالات
 بوجه عام، وتَدْفَعُ الظُّنُون الكاذبة، لِأَنَّهَا، على كُلِّ حال، في جانب الأفضل، ولأَنَّهَا خَالِيَةٌ مِنْ
 الفوضى والاضطراب وقائمة بالتوازن. ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الفضائل ذاتها، على كونها مُنْضَبِطَةٌ مِنْ
 حيثْ إِنَّهَا أَقْيَسَةٌ مِنَ النَّفْسِ التي تُصْبِحُ مِنْهَا بِمَثَابَةِ الهَيُولَى، تُشَبِّهُ بِالْقِيَاسِ الذي هُنَاكَ، وهي
 ٢٠ تنطوي على آثار الخير المُسْتَقَرِّ فِي الْعَالَمِ الْأَعْلَى. ذَلِكَ لِأَنَّ الْخَالِيَّ مِنْ كُلِّ/ قِيَاسٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ
 الْمُحَاكَاةِ نَصِيبٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ هَيُولَى؛ عَلَى أَنَّهُ إِذَا مَا أَصَابَ قَدْرًا مِنَ الصُّورَةِ تَمَّ لَهُ، وَفِي حُدُودِ
 ذَلِكَ فَقَطْ، التَّشَبُّهُ بِالَّذِي فِي الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَالَّذِي لَا صُورَةَ لَهُ؛ مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ قَرِيبًا
 مِنْهُ، أَزْدَادَ مِنَ الصُّورَةِ نَصِيبًا. وَمَا دَامَتِ النَّفْسُ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَسَدِ، وَأَشَدَّ مُجَانَسَةً لَهُ، فَإِنَّ
 استعدادها مِنْهُ يَكُونُ أَوْفَرَ حَظًّا بِحَيْثُ تَبْدُو أَنَّهَا إِلَه. وَيَنْتَهِي بِهَا الْغُرُورُ إِلَى التَّوَهُُّمِ بِأَنَّهَا هِيَ عَيْنُ
 ٢٥ اللَّاهُوتِ./ هَذَا هُوَ نَوْعُ التَّشَبُّهِ بِاللَّهِ عِنْدَ الَّذِينَ حَصَلَتْ فِيهِمُ الْفَضَائِلُ الْمَدَنِيَّةُ.

٣] لَكِنْ أَفَلَاطُونُ حِينَ يَشِيرُ إِلَى أَنَّ التَّشَبُّهُ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ، يَجْعَلُهُ مُتَعَلِّقًا بِالْفَضِيلَةِ الْعُلْيَا، فَلَا
 بَدَّ مِنَ الْبَحْثِ فِي هَذَا النَّوْعِ؛ وَبِذَلِكَ تَزْدَادُ حَقِيقَةُ الْفَضِيلَةِ الْمَدَنِيَّةِ وَضُوحًا، وَتَتَضَحُّ أَيْضًا تِلْكَ
 الْفَضِيلَةُ الْعَظْمَى مِنْ حَيْثُ حَقِيقَتُهَا، وَتُبَيِّنُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، أَنَّ - إِلَى جَانِبِ الْفَضِيلَةِ الْمَدَنِيَّةِ -
 ٥ فَضِيلَةٌ أُخْرَى. فَإِنَّ الَّذِي وَرَدَ حَقًّا عِنْدَ أَفَلَاطُونٍ هُوَ أَنَّ التَّشَبُّهُ/ بِالْإِلَهِ فِرَارٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ لَا
 يَتَعَبَّرُ الْفَضَائِلُ الَّتِي تَتَحَقَّقُ فِي «الْجُمْهُورِيَّةِ» فَضَائِلَ فَقَطْ، بَلْ يَضِيفُ أَنَّهَا «مَدَنِيَّةٌ». ثُمَّ إِنَّهُ فِي
 مَكَانٍ آخَرَ يَذْكُرُ الْفَضَائِلَ عَلَى أَنَّهَا «تَطْهِيرَاتٌ». فَوَاضِحٌ إِذَا أَنَّ الْفَضَائِلَ عِنْدَهُ نَوْعَانِ، وَأَنَّهُ لَا
 يَجْعَلُ التَّشَبُّهُ عَنْ طَرِيقِ الْفَضِيلَةِ الْمَدَنِيَّةِ.

١٠ هَذَا وَبِأَيِّ مَعْنَى نَقُولُ إِذَا/ إِنَّ الْفَضَائِلَ تَطْهِيرَاتٌ، وَإِنَّ التَّشَبُّهُ يَتِمُّ فِينَا بِخَاصَّةٍ بَعْدَ
 التَّطْهِيرِ؟ بِمَعْنَى أَنَّ النَّفْسَ شَرِيرَةً مَا دَامَتْ «مُتَمَرِّجَةً» مَعَ الْجَسَدِ فَيَكُونُ انْفِعَالُهُ انْفِعَالَهَا،
 وَظُنُونُهُ ظُنُونَهَا أَبَدًا، وَهِيَ صَالِحَةٌ فَاضِلَةٌ مَا دَامَتْ لَا تُشَارِكُهُ فِي الظَّنِّ بَلْ تَنْفَرِدُ بِأَعْمَالِهَا
 (وهَذَا هُوَ الْعِرْفَانُ وَالتَّقَطُّنُ)، وَلَا تَنْفَعُلُ بِانْفِعَالِهِ (وهَذِهِ هِيَ الْعِفَّةُ) وَلَا يَنَالُهَا خَوْفٌ عِنْدَ
 ١٥ انْفِصَالِهَا عَنِ الْجَسَدِ (وهَذِهِ هِيَ الشَّجَاعَةُ)، وَيَتِمُّ فِيهَا الْانْقِيَادُ لِلْعَقْلِ وَالرُّوحِ، وَلَا/ يَقَاوِمَانِ
 (وهَذَا هُوَ الْعَدْلُ). وَلَسْنَا نَخْطِئُ إِذَا عِنْدَمَا نَحْكُمُ بِأَنَّ التَّشَبُّهُ بِالْإِلَهِ هُوَ وَضْعُ النَّفْسِ ذَلِكَ
 الْمَوْضِعَ، الَّذِي بِمَقْتَضَاهُ تُدْرِكُ بِالرُّوحِ وَلَا يَنَالُهَا انْفِعَالٌ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ طَاهِرٌ وَطَاهِرٌ
 فِعْلُهُ، بِحَيْثُ إِنْ مِنْ يَتِمَثَّلُ بِهِ يَكُونُ صَاحِبَ فِطْنَةٍ. وَلَكِنْ لِمَاذَا لَا يَكُونُ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ هُوَ
 ٢٠ أَيْضًا عَلَى ذَلِكَ الْوَضْعِ؟ إِنَّهُ لَيْسَ صَاحِبَ أَحْوَالٍ، بَلِ الْأَحْوَالُ لَوَازِمُ النَّفْسِ. لَا بَلْ إِنْ
 الْعِرْفَانُ فِي النَّفْسِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ هُنَاكَ: فَإِنَّ مَا هُنَاكَ لَا يُعْرَفُ بَعْضُهُ عَلَى نَحْوِ مَا

٢٥ تُعَرَفُ النَّفْسُ، وبعضه الآخر لا يُعَرَفُ مُطْلَقًا. أو ليس يقال إذا العِرْفَانُ هنا وهناك لا يكون/ إلّا بالاشتراك في الاسم؟ لا يقال هذا أبدًا. بل إنَّ ما هناك هو العِرْفَانُ أصْلًا، أمّا الذي يُسْتَقَّ منه فعلى وَجْهٍ آخر؛ وكما أنَّ الكلام في الصُّوَرِ محاكاة للمعنى في النَّفْسِ، كذلك يكون ما في النَّفْسِ محاكاة لما في أمرٍ آخر. وكما أنَّ ما تتضمَّنُه العبارة مُقَطَّعٌ بالنسبة إلى ما في النَّفْسِ، فكذلك أيضًا ما في النَّفْسِ، وهو ترجمة ما هناك، بالإضافة إلى ما فوقه وقبْله. / فالفضيلة من لوازم النَّفْسِ، أمّا الروح فليس له فضيلة ولا وراءه ولا فوقه أيضًا.

٤ هذا ولنبحث الآن فيما إذا كانت الطَّهارة هي وتلك الفضيلة العليا شيئًا واحدًا أو أنَّ الطَّهارة هي السابقة ثمَّ تليها الفضيلة؛ وفيما إذا كانت الفضيلة أقلَّ كمالًا أثناء عمل التَّطهير أو في حال الطَّهارة، فتدرك، نوعًا ما، عند ذلك فقط غايتها وكمالها. / إلّا أنَّ تلك الحال هي في طرح كُلِّ غريب عنا، والخير خلاف ذلك. إذا فإن يكن الخير في النَّفْسِ وهي على حالة الرِّين أفينفي التَّطهير؟ أَجَلْ كفى به ولا ريب؛ على أنَّ ما يَستمرُّ باقيًا، بعد ذلك، هو الخير لا الطَّهارة. لهذا وإنَّنا لا نزال في حاجة إلى البحث عمّا هي حقيقة ذلك الباقي. ليس من المُحتمَل أن تكون/ تلك الحقيقة التي بقيت بعد التَّطهير هي الخير بالذات، وإلّا لكانت حصلت في ما هو شرٌّ. أفيقال إنَّها في «هيئة الخير» وإنَّها تشبهه؟ لعلَّ الأخرى أن يقال إنَّها لا تقوى على البقاء في الخير الحقِّ، إذ إنَّها فُطِرَتْ على أن يكون لها ميلان: فالخير بالنسبة إليها أن تتحدَّ بما يجانسها، فإذا اتَّحدت بأضداده أصبحت في حالة الشَّرِّ. ومن ثمَّ لا بُدَّ لها من التَّطهير ١٥ ليتمَّ لها ذلك الاتِّحاد. أمّا اتِّحادها/ معه فباتَّجاهها نحوه. أفنتجّه بعد التَّطهير؟ كلاً، بل تكون قد اتَّجهت عند الفراغ من التَّطهير. أفنتك هي فضيلتها بالذات؟ كلاً، بل ما تتمَّ لها نتيجة لذلك الاتِّجاه. أي شيء يكون إذا؟ إنَّه مُشاهدة وانطباع مرثي يُلابسها من الباطن ويعمل فيها عمل ٢٠ المُبصَّرات في البصر. أمّا كان ذلك لديها؟/ أو ما كانت لتذكره؟ بلى! كان لديها، ولا عمل له، إذ كان كامناً مُعشَى؛ فكي يصبح مُشْرِقاً وتُدركه حاضراً فيها، لم يكن بُدَّ من أن تُوجَّه وَجْهها نحو منبع الإشراق. لهذا على أنَّ الذي كان لديها ليس العالم الروحاني بالذات، بل انطباعاته. / فينبغي الآن أن تُوفَّق بين الانطباع والحقائق التي تولَّدت عنها الانطباعات. ولكن إذا صحَّ القول: إنَّ لديها ما ذكرنا، فربَّما تأتَّى لها ذلك لأنَّ الروح ليس غريباً عنها. والحقُّ أنَّه ليس غريباً عنها ما دامت تُوجَّه نَظَرُها إليه. وإلّا فإنَّه غريب عنها ولو كان حاضراً فيها. ولهذا بالضبط ما يتمَّ لعلومنا ما لم ندأب عاملين بمُوجبها، فإنَّها تصبح غريبة عَنَّا.

٥ إلى أين يُؤدِّي بنا التَّطهير؟ عندما نحلَّ هذه القضية، نرى بمن تجعلنا الفضيلة نظراء ومن

هو الإله الذي تُوحَّد بيننا وبينه . ولهذا يعني قَبْلَ كُلِّ شيء البحث في أمر الغضب والرغبة وما سواهما، وفي أمر الغمة وما إليها، وفي انفصال النفس عن الجسد، إلى أيِّ حدِّ يكون مُمكنًا .

٥ أما انفصالها عن الجسد، / فربما كان بأن يتجمَّع بعضها إلى بعض وتكون مُنسجبة مع كُلِّ بعض من أبعاضها ممَّا كان نوعًا ما حيِّزًا له، فتصبح بريئة حقًّا من كلِّ انفعال . أما اللذات فتجعل عمل الضرورية منها بمنزلة عمل الإحساسات لمُعالِجة المشاقِّ وتحقيقها حتى لا تتعثر في سيرها . وأما

١٠ الأوجاع فإنَّها تُهمِّلها، وإذا لم تستطع إلى الأمر سبيلًا / احتملتها مُطمئنة، وجعلتها يسيرة بعدم انسياقها معها؛ وأما الانفعال العنيف فإنَّها تدفعه عنها ما أمكنها الأمر، فإذا استطاعت ردَّته ردًّا مُطلقًا، ولَّا أمسكت عن الانقياد إليه فأصبح من لوازم الجسد العفوية، على أن يأتي هذا

١٥ العفويُّ نادرًا ضعيفًا . وأما الخوف فلا أثر له عندها / (فما من شيء تخاف منه، على أنه لا مناص من اندفاع عفويِّ هنا أيضًا) إلَّا إذا كان ليردَّها إلى رشدِها . والشهوة ما القول فيها؟ إنَّها

أولًا تشتبه شيئًا قبيحًا، وهذا أمر واضح . ثمَّ إنَّها ليس في ذاتها هي شهوة جامحة إلى الأكل والشرب، ولا إلى لذَّة الجِماع إلَّا، فيما أرى، بقدر ما تقتضيه الطَّبيعة؛ ولا تكون بالاندفاع

٢٠ الغريزيِّ الأعمى؛ / وإن وُجدَ منه شيء لم يكن أكثر ممَّا يقع في تصوُّرات الخيال، على أنَّها هي أيضًا تحدث، هذه الأخيرة، بدون تزوُّ . فإنَّ النفس في حدِّ ذاتها بريئة تمامًا من كلِّ تلك الأهواء . بيِّد أنَّها ترغَّب في أن تجعل الجانب اللاعقليَّ منها طاهرًا هو أيضًا، بحيث لا يناله اضطراب؛ وإذا حدَّث ذلك لم يحدث بعنف، بل تكون الصَّدَمات قليلة سريعة المُعالجة،

٢٥ بسبب وقوعها في جوار الروح . فمثل جانب النفس اللاعقليِّ مثل امرئٍ مقيم في / جوار حكيم: فإنَّما أن تكون فائدته من هذا الجوار أن يصبح مثل ذلك الرَّجُل الصالح، وإنَّما أن تكون استحياء منه فلا يجرؤ على عمل لا يحبه . لا سبيل إلى الخصام إذا بعدَّ ذلك . فإنَّ العقل حاضر وحسبنا هذا، فيحترمه الجزء الأسفل من النفس، بحيث إنَّ هذا الجزء ذاته يستاء من ذاته إذا ما حدَّث فيه اضطراب ولم يلتزم الطَّمأنينة في حضور مالك رقه، فلا يلوم

٣٠ إلَّا / ذاته على تَخادُّله .

٦ ونتيجة كُلِّ ذلك هي أنَّ أمرًا من تلك الأمور التي سَبَقَ ذُكرها لم يعد للإنسان ذنبًا بل تصحيحًا لما في إنسانيَّته من غلط وتحريف . ولكن ليست غايته من جهوده أن يَتَبَرَّأ من الإثم بل أن يُصبح إلهًا . وما دام يحدث شيء من تلك العفويَّات فإنَّ الإنسان لا يزال أمرًا إلهيًا وأمرًا

٥ جثيًّا، فهو ذو وجهين؛ أو بالأحرى لا يزال فيه مع ذاته أمر آخر / له فضيلة غير فضيلته . أمَّا إن لم يكن فيه شيء من ذلك كُلِّه، فهو ربُّ فقط، أحد هؤلاء الأرباب الذين يتبعون الأوَّل . إنَّه بذاته هو الذي هَبَطَ من العالم الأعلى، وإنَّ ما تقتضيه تلك الذات، إذا عادت إلى ما كانت عليه عندما

هبطت، لهو في العالم الأعلى. أما الذي حَلَّ في الإنسان فإنه يجعله شبيهاً به على قدر ما كان
 ١٠ هذا الإنسان قابلاً لذلك التشبيه بحيث يصبح/ في مأمن من كُل اضطراب، ما أمكن الأمر،
 وبمعزل عن كُل عمل يستقبحه مالك رقه. والآن ما هي كُل فضيلة في حد ذاتها في إنسان مثل
 ذلك الإنسان؟ إن الحكمة والفطنة في مُشاهدة ما لدى الروح، وإن ما لدى الروح إنما يكون
 بالإدراك المُباشِر. فلكُل من هاتين الفضيلتين وضعان: وَضَع في الروح، وَضَع في النَّفْس.
 ١٥ وأما في الروح فليست كِلتاها فضيلة،/ وأما في النَّفْس فكلتاها فضيلة. فما عسى أن تكونا
 في عالم الروح؟ إنهما الروح بالفعل وبالذات؛ أما هنا، في النَّفْس، فكلتاها فضيلة لأنهما في
 غيرهما ولأنهما ناشئتان من هنالك. ليس العدل مثلاً فضيلة في حد ذاته، وليست كُل فضيلة في
 حد ذاتها فضيلة بل إنها كمثال؛ والذي يكون منها في النَّفْس إنما هو الفضيلة، ذلك لأن الفضيلة
 فضيلة أحدهم أيًا كان؛ أما ما هي الفضيلة، فإنما هي في حد ذاتها قائمة بذاتها لا فيما هو
 ٢٠ غيرها. فالعدل مثلاً، إذا كان بأن يُتَمَّ كُل جزء الوظيفة «المُكَلَّف بها»، فهل يقوم على وجود
 تعدد في الأجزاء؟ ألا إن ثمة عدلاً في الكثرة، بالنسبة إلى ما تعددت أجزاؤه، لكن ثمة أيضاً
 عدل بتمام المعنى أيضاً، أي تتميم الوظيفة الخاصّة، يعود إلى ما كان واحداً لا كثرة فيه. إذا في
 حقيقة أمره، وفي حد ذاته إنما هو ما كان منضبطاً بالوحدة، وظيفته بالنسبة إلى ذاته، فلا معنى
 هنا لطرف أول وطرف آخر. وكذلك يقال فيما يختصّ بالنَّفْس: فالعدل في معناه الأفضل، هو
 أن تعمل النَّفْس مُوجَّهةً وَجَّهها نحو الروح، والعلة هي انسحاب الباطن إلى نفسه للوصول إلى
 ٢٥ الروح، والشَّجاعة هي الثَّبات/ أمام الانفعالات قَصْدُ التَّشَبُّه بالذي يُحَدِّق فيه، وهو بطبيعته لا
 ينال انفعال في حين أنَّ النَّفْس تُحَقِّق ذلك فيها بواسطة الفضيلة حتى لا تنفعل مرة أخرى بانفعال
 الدون المقيم معها.

٧ إن تلك الفضائل إذا تَبَّع بعضها بعضاً بالتبَّادل في النَّفْس، كالذي يتم في الملاء الأعلى،
 لما كان حاضراً فوقها في الروح، وهو بمنزلة الأصول لها. فالعِزَّان هنالك هو عِلْم وحكمة؛
 والعقّة هي انسحاب الروح إلى ذاته، والعدل انصراف الروح إلى عمله الخاص؛ وبقاؤه مع ذاته
 ٥ على ما هو في ذاته بريئاً من كُل غريب عنه إنما هو الشَّجاعة نوعاً ما. / أما ما يُقَابِل ذلك في
 النَّفْس، فتوجيه نظرها إلى الروح بالحكمة والفطنة، وهما من فضائل النَّفْس، إذ إنَّ النَّفْس
 ليست هي فضائلها كما هو الأمر في الروح: ثم تلي الفضائل الأخرى على هذا المُوَال.
 فبواسطة التَّطهير، تأتي النَّفْس على الفضائل كُلِّها، إذ إنها كُلُّها تطهيرات وكُلُّها تقوم على
 ١٠ حال الطَّهارة التَّامَّة، وإلا فَن يَتَمَّ الكمال لفضيلة قَط. هذا وإنَّ الذي توافرت له/ الفضائل
 العليا، توافر له حتماً وضمناً ما كان منها في المقام الأدنى، أما الذي لم يَتَمَّ له إلا ما في الدون

منها، فإنه لا يفوز حتمًا بالعليا. وتلك هي حياة المُجتهد في وَضعها الفائق.

أما إذا سُئل عن الذي توافرت لديه فضائل المقام الأعلى، فهل يكون حاصلًا أيضًا بالفعل وحقًا على فضائل المقام الأدنى، أو أنّ الأمر على خلاف ذلك، فالقول الفصل بالرجوع إلى كُلِّ فضيلة في حدِّ ذاتها. فلنأخذ الفطنة مثلاً. / إذا كان المُجتهد يعمل بمقتضى الفضائل ١٥ الأخرى التي هي أصول، فكيف تبقى فيه فضيلة المقام الأدنى، حتى ولو افترضناها بلا فعل؟ وكيف الحلُّ أيضًا إذا كان لحقيقة هذه حدٌّ وقَدْر، ولحقيقة تلك حدٌّ وقَدْر؟ وإذا كانت عفة المقام الأدنى تفرض تكليفًا، ثم ترفعه عفة المقام الأعلى مُطلقًا؟ وهكذا القول في الفضائل الأخرى كُلِّها، نَعُدُّ أن زَعَزعت الفطنة في دعائها. ألا وإنَّ للمُجتهد إلمامًا بفضائل المقام الأدنى، ٢٠ فيحصل فيه كُلُّ ما يلزم عنها؛ / ولربّما اتَّفَقَ له أن يعمل وفقًا لبعضها. يَبْدُ أَنَّهُ انتهى إلى أصول فائقة، وأقيسة غير المقاييس الأولى، فأخذ يعمل بموجبها. فلا يعود نَعُدُّ ذلك يقف بالعفة عند حدِّ تقنين الرغبات، بل يُحاول ما استطاع أن يتعزل عن الجسد انزعجًا تامًّا، ولا يحيا بحياة المرء ٢٥ الذي يُعَدُّ صالحًا وفقًا للفضيلة المدنية، / بل يزهّد بهذه الحياة ساعيًا وراء حياة أخرى، وهي حياة الأرباب. فإنَّ التَّشْبُهَ، إنّما هو تشبُّه بهؤلاء الأرباب لا بِدَوِي الصَّلاح: فإنَّ هذا التَّشْبُهَ الأخير، إنّما هو تشبُّه مُحَاكاةً بِمُحَاكاةٍ ولكليهما أصل واحد. أما التَّشْبُهَ الأوَّل فهو تشبُّه بالمثال ٣٠ نَفْسُهُ. /

الفصل الثالث

(٢٠)

في الجدَل

١ أي فن، أي منهج، أي مذهب يُؤدّي بنا إلى حيث يجب أن ننطلق؟ إنَّ المقصد الذي ينبغي أن ننطلق إليه فيه الخير والأصل الأوّل، إنّما هو أمر مُسلم به مُثبت بالأدلة العديدة، إذ إنّ ما استدلّ به عليه كان نوعاً من الارتقاء إليه. ولكن ما عسى أن يكون ذلك الذي يُرتفع به؟ هل هو كما قيل، ذلك الذي سبق له «أن رأى» كلّها، أو «مُعظمها»، فجعل «عند ولادته الأولى»، «في نُطفة رَجُل من شأنه أن يصير فيلسوفاً، أو موسيقاراً، أو عاشقاً؟» أجل، ينبغي أن يرتقي مَنْ كان بالطّبع فيلسوفاً أو موسيقاراً أو عاشقاً. / وكيف يتمّ لهم ذلك؟ هل يكون نوع الارتقاء واحداً للجميع، أو يكون لكلّ ارتقاؤه الواحد الخاصّ؟ إنّ لهم جميعاً طريقين لا بُدّ من أن يلزموهما، سواء أكانوا لا يزالون في طور الارتقاء أو كانوا قد وصلوا. الأولى منهما انطلاق من السُّفليّات؛ أمّا الثانية، فطريق الذين انتهوا إلى العالم الروحانيّ وكانهم وطّووه بأقدامهم، فيتحتّم عليهم أن يتقدّموا/ في سيرهم حتى يبلّغوا نهاية المقام، وهي الضبط غاية رحلتهم تلك، إذ يدرّكون ما في دُرّة العالم الروحانيّ. فلندع هذا الطّريق جانباً، ولنحاول أن نتكلّم أولاً عن الارتقاء.

٢٠ لهذا وإنّا لثُمِرُ أوّلاً بين الرّجال الذين ذكرناهم، مُبتدئين بالموسيقار، / فنقول ما هو في حقيقته. إنّّه سريع التأثير بالجمال، يطرب له، على أنّه من الصّعب أن يتأثّر مباشرة ومن تلقاء نفسه، بل عند كلّ بادرة تعرض فيتجاوب لها. وكما أنّ المدحور مرهف الحسّن بالنسبة إلى الضّجيج، فهكذا هو بالنسبة إلى الألحان والجمال الكامن فيها، / ينفر دائماً من عدم التّوافق والانسجام في الغناء والإيقاع، ويسعى وراء حُسْن الثّغَم والتّأليف. فانطلاقاً من تلك الألحان المُدرّكة بالحسّن، ومن تلك الأنغام والوجوه في الألحان، ينبغي أن يساق على نحو ما يلي:

٣٠ يجب أن يُعانَ على عزّل المادّة عن الأشياء التي تتحقّق فيها التّوافقات والتّناسبات، / فيُقاد إلى الحُسْن المائل فيها، ثمّ يجب أن يُلقّن أنّ الذي كان سبب طَرَبه هو ذلك، أعني التّوافق الروحانيّ والجمال الكامن فيه، وهو الجمال بالذات لا هذا الجمال أو ذاك؛ يجب أن تُبعث عنده الاستدلالات الفلسفيّة، فيُحمَل منها على اليقين من الذي كان حاصلًا فيه على غير دراية

٣٥ منه . أمّا ما هي تلك الاستدلالات فهذا أمر نأتي على ذكره فيما بعدُ . /

٢ وقد يصير الموسيقىار عاشقًا، فإمّا أن يَبقى بعد هذا التحوّل عند هذا الحدّ وإمّا أن يتجاوزَه . أمّا العاشق، فأقول إنّ فيه بَعْضُ الذّكر من الجَمال، لكنّه لا يقوى على إدراك الجَمال المُتعالى، بل يُؤخَذُ بجمال المُبصّرات فيتأثّر به . فيجب أن يُروّض على ألا يقف عند جسد واحد فيُسخر به ، / بل يُعلّم أن يشمّل باعتباره الأجساد كُلّها، فيطلّع على ما يبقى هو هو في تلك الأجساد جميعها، وهو أمر يَخْتلف عن الأجساد، ومن عالم غير عالمها، وهو أفضل وضْعًا ومقامًا في الأمور غير الجسديّة؛ ثمّ يَكشَفُ له شيء عن الأعمال الجليّة «والقوانين» السامية، فيكون قد تَعوّد بذلك أن يرى محبوبه في اللاجسديّات؛ ويُلَقِّنُ أخيرًا أنّ الحُسْن إنّما يكون في الفنون وفي/ «العلوم» وفي الفضائل . ويؤلّف بعد ذلك بين كُلِّ تلك الأمور، بحيث تُصبح أمرًا واحدًا ويُعلّم العاشق كيف تتمّ عند الإنسان . عند ذلك يرتقي المرء من الفضائل إلى الروح، وإلى الأيس، ثمّ يُؤخَذُ هنالك في السّير على الطّريق العليا .

٣ أمّا الذي فُطِرَ على التّفلسّف، فهو على حال التّأثّب وكأنّه مُجنّح؛ فليس في حاجة إلى التّجرد عن العالم المحسوس مثل الذين ذكرنا؛ إنّهُ في تحرّك نحو العالم الأعلى، وإذا ما حار اهتدى بالإشارة ليس أكثر . فالوجه إذا أن يَهْدَى، ثمّ يترك على الرّغبة التي فُطِرَ عليها بعد أن سَبَقَ وتَمّ له الانعتاق من قيود الحواسّ/ . وليُلَقِّنُ الرّياضيّات ليتعوّد على إدراك اللاجسديّ والتصديق به، وسرعان ما سوف يستوعب ذلك حبًّا به للعلّم . ولَمّا كان مفطورًا على الفضيلة، وَجَبَ أن يساق إلى كمال الفضائل . ثمّ بعد تلقينه الرّياضيّات، يُعلّم أدلّة الجدَل ويروّض على أن يكون مُجادلًا .

٤ ولكن ما هو هذا الجدَل الذي يجب أن يُلقّنه هُكذا الموسيقىار والعاشق؟ هو مَلَكَة قادرة على أن تُعبّر بالعقل عن كُلِّ شيء: ما هو، وبِمَ يَخْتلف عن غيره، وبماذا يُشارك غيره . بالجدَل تُصنّف الأمور، وتُحدّد لكلّ أمر رتبته في ذلك التّصنيف، وبه يُعرَف إذا كان الشّيء في الأعيان حقًّا، وما هو عدد الأيسات من صنف ما، والأيسات التي لا تدخل في ذلك الصّنف بل هي/ من صنف آخر . ثمّ إنّهُ يتناول الخير وضدّه، ما يُحصى مع الخير وما يُحصى ضدّه، ويُحدّد ما هو الأبديّ وما اللّابديّ؛ وواضح أنّه يُتقيّد في كُلِّ ذلك بالعلّم لا بالظنّ . إنّ الجدَل يَضَع حدًّا لِلتّخبط في عالم المحسوس، فيقيم في عالم الروحانيّ ويستقرّ هنالك في عمله، / فيدفع الكذب، ويُعدّي التّقس «في مراعي الحقّ» كما قيل؛ ثمّ يَستخدم التّقسيم الأفلاطونيّ لِلتّمييز

بين الأنواع، ولتحديد ماهية الأشياء، ولتبيين الأجناس الأولى، فيؤلف ذهنيًا فيما بينها حتى
 ١٥ يجتاز الروحانيات كلها. ثم يعود فيعمد إلى / التّحليل حتى ينتهي إلى ما هو في الأصل والمبدأ،
 فيستوي حيثنذ ساكنًا، وهو كذلك ما دام هنالك في عالم المعقول، فلا يسعى ولا يعمل بل
 يتوحد في ذاته ويُساجد. حينئذ، ومن عليائه، يدع الأمر لغير آخر، كما تُترك صناعة الخطّ لمن
 أولى بها، ما عُرف بالمنطق الذي يُعالج القضايا والأقيسة، فيعتبر بعض الأشياء فيه «مقدمة
 ٢٠ ضرورية للعلم»، على أنه يُخضع تلك الأشياء لحكمه، كما يفعل بكلّ ما سواها، فيُتَبَيّن النافع
 منها، ويُدع الباقي فضالة لا تصلح إلّا كغرض لغير آخر مُخصّص لها.

٥ ولكن من أين يستمدّ هذا العلم أصوله؟ إنّ الروح يمدُّ بالأصول البيّنة كلّ نفس مُستعِدّة
 لقبولها. ثمّ يضمّ الجدَل ما يلي تلك المبادئ بَعْضه مع بعض، فيؤلف فيما بينه، ثمّ يعود فيُميز
 بعضه من بعض حتى ينتهي إلى تمام الروح؛ فإنّ الجدَل، كما قيل، «أصفى ما في الروح
 ١٠ والفتنة». ولما كان / أشرف ما عندنا من ملكات، فلا بدّ له حتمًا من أن يهتمّ بالآيس
 وبأشرف ما في الأعيان: فهو فتنة بالنسبة إلى الآيس وهو روح بالنسبة إلى ما وراء الآيس.
 ولكن أو ليست الفلسفة أشرف الأمور؟ أهى والجدَل شيء واحد؟ بل الجدَل أفضل ما
 ١٥ في الفلسفة. فلا يظنّ أنّه أداة للفلسفة ليس غير، / وأنّه ليس إلّا مُجرّد نظريّات وقواعد. إنّما
 يهتمّ بالأمر والأيسات تكوّن مادّة نوعًا ما؛ على أنّه يسعى إليها بأسلوب خاصّ، فيتناول مع
 ٢٠ النظريّات العينيّات بحدّ ذاتها. إنّّه لا يعرف الكذب أو السّفسطة، إلّا على سبيل العَرَض، /
 عندما يرتكبهما غيره؛ يحكّم في الباطل على أنّه غريب عن الحقّ الكامن فيه، وذلك بأن يتبّع،
 عندما يُعرّض عليه، مُناقضًا لمعيار الصدق. فإنّه لا يعرف شيئًا حول القضايا إذا (وهي بالنسبة إليه
 كالحروف بالنسبة إلى الكلمة)، بل إنّهُ يدرك الصدق فيُدرك معه ما يسمّونه قضية، ويدرك
 إجمالًا تحركات النّفس؛ ما الذي تثبته وما الذي تنفيه القضية، وإذا كان ما تنفيه هو ما تثبته أو
 ٢٥ قواعد أخرى مماثلة؛ / وإذا كان موضوع النّظر مُختلف العناصر أو هو أمر واحد؛ فإنّه يقبل
 بنظره على كلّ تلك المعلومات عندما تُعرّض عليه فيُدركها بما كأنّه الإحساس. أمّا التدقيق في
 تفاصيل ذلك كلّهُ فيدعها لغير آخر يُتّسع لها صدرًا.

٦ فالجدَل إذاً أفضل أجزاء الفلسفة، إذ إنّ للفلسفة أجزاء أخرى. فإنّها مثلاً تبحث عن
 الطّبيعة فتستعين هنا بالجدل، مثلما تستخدم العلوم الوضعيّة الحساب، لا شيء إلّا لأنّها مع
 ٥ الجدَل، تزداد قُرْبًا من الطّبيعة فيعظم أخذها منها؛ وتستعين الفلسفة بالجدَل أيضًا، لأبحاثها
 في الأخلاقيّات، على أنّها تستمدّ من نَفْسها القول الذي تضيفه إلى المَلَكات الأخلاقيّة

والرياضات التي بها تُكتسب تلك المَلَكات . لهذا علاوة على أنَّ ما حَصَلَ لدى المَلَكات العقلية أيضًا من لوازم خاصّة بها، إنّما هو مستمدٌّ من الجدَل، إذ إنّ فيها، مع الهيولى، جانبًا قويًّا من الجدَل . وهكذا فإنّ لكل فضيلة من الفضائل انفعالا وعملا يختصّ بها وهو موضوع النّظر فيها .

١٠ أمّا الفطنة فهي نوع من الاعتبار/ الشامل يتناول بالأحرى الفضائل كلّها من ناحيتها العامّة فيحكم فيما إذا كان السلوك مُتساوفاً بعضه مع بعض، وهل يجب الآن الامتناع عن العمل أو القيام به، وهل ثَمّة، على كلّ حال، عمل آخر أفضل . لكن الجدَل والحكمة أحرى أيضًا بصفة الشمول والتّنوّع من المادّة، فإنّهما تُقدّمان للفطنة كلّ شيء لِيُستخدمه . والآن هل يمكن أن تكون فضائل المقام الأدنى، بدون الجدَل والحكمة؟ نعم، ولكنّ فيهما حيثنّ نقصا وعيًّا . / أو يُمكن أن يكون الحكيم والمُجادِل بدون تلك الفضائل؟ من الاستحالة بمكان أن يتم ذلك؛ فإمّا أن تكون قَبْل الجدَل والحكمة، وإمّا أن تزاد معهما . بل ربّ أمرىء حَصَلت عنده الفضائل بالفطرة، فلا تلبث أن تستوي فضائل كاملة بعد حصول الحكمة؛ فالحكمة هنا مُتخلّفة عن الفضائل بالفطرة، وبحصولها يتمّ اكتمال الخلق . أو أيضًا، إذا كانت الفضائل بالفطرة حاضرة،/ فإنّ الحكمة تزاد معها ويُدرك الطرفان كمالهما معًا؛ ذلك لأنّ الفضيلة بالفطرة ناقصة من حيث كونها نظرًا ومن حيث كونها خُلُقًا، على أنّ الاستعدادات الفطرية للفضيلة هي الأصول التي منها تُستمدّ في غالب الأحيان الفضائل والحكمة .

الفصل الرابع

(٤٦)

في السَّعادة

١ إذا ما افترضنا أنَّ الحياة الطَّيِّبة هي والسَّعادة أمر واحد، فهل نُسلِّم، بحصولها لغير الإنسان من الأحياء؟ إذا تَمَّ لهذه الأحياء أن يعيشوا بحسب ما فُطِرَتْ عليه وبدون أن يعترضها في ذلك شيء، فما الذي يمنع من أن يقال إنَّها في حال الحياة الطَّيِّبة؟ وسواء أ جعلنا الحياة الطَّيِّبة في رفاه العيش أم في/ القيام بالوظيفة الخاصَّة، فالحياة الطَّيِّبة حاصلَة على كلتا الحالتين للأحياء الأخرى. ذلك لأنَّ رفاه العيش مُمكن في كُلِّ عمل يلائم الطَّبيعة؛ فالحيوانات المفطورة على الغناء مثلاً تجد في الإنشاد الذي فُطِرَتْ عليه ما تجده في نواح أخرى من الرِّفاهية، فتتمُّ لها، بذلك الإنشاد، الحياة التي تطيب لها. ثمَّ إنَّنا إذا/ افترضنا أنَّ السَّعادة غاية، وهي الحدُّ الأقصى للميل الكامن في الطَّبيعة، سلَّمنا بذلك اشتراكاً في السَّعادة لكلِّ حيٍّ أيضًا عند انتهائه إلى الحدِّ الأقصى الذي يبلوغه تسكن الطَّبيعة في ذلك الحيِّ. ذلك بأنَّها حينذاك تكون قد نُشرت ما فُتِّر لذلك الحيِّ من حياة، واستندت ذلك القَدْر من البداية إلى النهاية. إذا كان أحدهم لا يروق له/ أن يهبط بالسَّعادة إلى دَرَكَ غير الإنسان من الأحياء، مُدَّعيًا أنَّ ذلك يُؤدِّي إلى التسليم بشيء منها لأحقَّ ما في عالم الحياة، حتى وللتَّبات أيضًا إذ إنَّ فيه حياة تتطوَّر نحو اكتمال مُعدِّ لها، أفليسَ الأخرى بأن نستغرب من هذا المُعترض أن ينفي الحياة الطَّيِّبة على الحيِّ اللاأنسي، لا لشيء إلَّا/ لأنَّه يبدو له غير كبير شأن قيمة؟ أمَّا فيما يختصُّ بالتَّبات فلا حَرَج في أنَّ نُسلِّم له بما نُسلِّم للأحياء الأخرى، إذ أنه لا إحساس عنده. على أنَّ بعضهم يُسلِّم بذلك للتَّبات بعد أن يُسلِّم له بالحياة، لأنَّ الحياة قد تكون طيِّبة وربما لا تكون، فطبيب للتَّبات أو لا تطيب، / بمعنى أنَّ التَّبات قد يُثمر وربما لا يُثمر. وهكذا إن تكن الغاية هي اللذة، وإن يكن بإدراكها طيب الحياة، فلا يليق أن يُسلَّب طيب الحياة من غير الإنسان من الأحياء. والقول هو هو فيما إذا حُدِّدت الحياة الطَّيِّبة بالسَّكينة التامة أو بالعيش على مُقتضى الطَّبيعة. /

٢] إِلَّا أَنْ عَدِمَ التَّسْلِيمَ بِالحياة الطَّيِّبَةِ لِلنَّبَاتِ بِدَاعِي أَنَّهُ لَا إِحْسَاسَ عِنْدَهُ، قَدْ يُؤَدِّي إِلَى عَدَمِ التَّسْلِيمِ بِهَا أَيْضًا لِكُلِّ حَيٍّ. ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْإِحْسَاسُ فِي أَلَّا يُفْعَلُ الْمُفْعَلُ انْفِعَالَهُ، وَجَبَ حَتْمًا أَوَّلًا أَنْ يَكُونَ الْانْفِعَالُ خَيْرًا مَا، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ أَمْرًا مَغْفُولًا، أَعْنِي أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِلطَّبِيعَةِ ٥ ولو بقيت تلك المُوَافَقَةُ مَغْفُولَةً عِنْدَ الْمُفْعَلِ؛ / وَوَجَبَ حَتْمًا أَيْضًا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْانْفِعَالُ مِنْ لَوَازِمِ صَاحِبِهِ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الْآخِرُ لَا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ لَازِمٌ لَهُ وَأَنْ فِيهِ لَذَّةٌ، إِذْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ لَذَّةٌ. وَمَنْ تَمَّ مَا دَامَ الْانْفِعَالُ خَيْرًا مَا، وَمَا دَامَ حَاضِرًا، طَابَتِ الْحَيَاةُ لِلَّذِي حَصَلَ فِيهِ. فَلَمَّا ذَا افْتَرَضَ الْإِحْسَاسَ بِهَذَا الْانْفِعَالِ بَعْدَ ذَلِكَ؟ هَذَا لَا تَهْمُ لَمْ يَجْعَلُوا الْخَيْرَ فِي غَيْرِ حَدُوثِ الْانْفِعَالِ ١٠ وَالْحَالَةُ النَّاتِجَةُ عَنْهُ، بَلْ فِي إِدْرَاكِهِ / وَالشُّعُورُ بِهِ. فَالْخَيْرُ عِنْدَ ذَلِكَ هُوَ الْإِحْسَاسُ بِالذَّاتِ، بَلْ فِعْلُ حَيَاةٍ حَسَّاسَةٍ أَيًّا كَانَ مُدْرِكُ الْمُدْرِكِ. أَمَّا إِذَا قِيلَ إِنَّ الْخَيْرَ نَاشِئٌ مِنْ تَلَاوُظِ الطَّرْفَيْنِ، أَعْنِي مِنَ الْإِحْسَاسِ وَمِنْ إِدْرَاكِ هَذَا الْإِحْسَاسِ بِكَوْنِهِ انْفِعَالًا مُعَيَّنًا، فَكَيْفَ يُعْتَبَرُ تَلَاوُظُ الطَّرْفَيْنِ خَيْرًا ١٥ مَا دَامَ كُلُّ مِنْهُمَا فِي حَدِّ ذَاتِهِ، أَمْرًا حَيَادِيًّا لَا يَمِيلُ وَلَا يَسْتَمِيلُ؟ وَإِذَا قِيلَ / إِنَّ الْانْفِعَالُ خَيْرٌ وَإِنَّ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ هِيَ فِي وَضْعٍ يَلَاثِمُ ذَلِكَ الْانْفِعَالُ، وَفِيهِ يَتَمُّ إِدْرَاكُ حُضُورِ الْخَيْرِ، فَلَا يَزَالُ السُّؤَالُ قَائِمًا فِيمَا إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْإِدْرَاكُ ذَاتَهُ هُوَ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ أَوْ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَدًّا مِنْ أَنْ تُدْرِكَ لَيْسَ مَا فِي الْخَيْرِ الْحَاضِرِ مِنْ لَذَّةٍ فَحَسَبَ، بَلْ أَيْضًا أَنَّ هَذَا اللَّذِيذَ الْحَاضِرُ هُوَ الْخَيْرُ. وَإِذَا كَانَ الْحَالُ يَقْتَرِضُ هَذَا النَّوعَ الْآخَرَ مِنَ الْإِدْرَاكِ، فَلَمْ يَتَّقِ الْإِدْرَاكُ هُنَا فَعَلَ إِحْسَاسًا، بَلْ أَصْبَحَ فِعْلُ قُوَّةٍ ٢٠ أُخْرَى / أَفْضَلُ مِنْ قُوَّةِ الْإِحْسَاسِ. وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا تَكُونُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ مِنْ نَصِيبِ الَّذِي يَشْعُرُ بِاللَّذَّةِ، بَلْ مِنْ نَصِيبِ الَّذِي يَقْوَى عَلَى أَنْ يُدْرِكَ أَنَّ اللَّذَّةَ هِيَ الْخَيْرُ، وَمَنْ تَمَّ تَكُونُ اللَّذَّةُ سَبَبَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، بَلِ الْأَصْلُ الَّذِي يَقْوَى عَلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ أَنَّ اللَّذَّةَ هِيَ الْخَيْرُ. وَهَذَا الْأَصْلُ الَّذِي يَتَبَيَّنُ ٢٥ أَفْضَلُ مِمَّا فِي مُسْتَوَى الْانْفِعَالِ هُوَ الْعَقْلُ أَوْ الرُّوحُ. / أَمَّا اللَّذَّةُ فَفِي انْفِعَالٍ؛ وَلَيْسَ مَا يَخْلُو مِنَ الْعَقْلِ فَوْقَ الْعَقْلِ بِحَالٍ. فَكَيْفَ يَتَخَلَّى الْعَقْلُ عَنْ ذَاتِهِ فَيَجْعَلُ غَيْرَهُ الْقَائِمَ فِي مَا يَخَالَفُ جَنْسَهُ فِي مَقَامٍ أَعْلَى مِنْ مَقَامِهِ؟ بَلْ كَأَنَّ الَّذِينَ يَسْلُبُونَ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ عَنِ النَّبَاتِ وَيُثَبِّتُونَهَا لِإِحْسَاسٍ مِنَ النَّوعِ الَّذِي وَصَفْنَا، إِنَّمَا يَقْصِدُونَ، عَنْ غَيْرِ دَرَايَةٍ مِنْهُمْ، بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ شَيْئًا / مِنَ الطَّرَازِفِ الْفَائِقِ؛ ٣٠ إِنَّمَا تَزْدَادُ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ لَدَيْهِمْ فَضْلًا وَكَمَالًا عَلَى قَدَرِ مَا تَزْدَادُ الْحَيَاةُ ضِيَاءً وَإِشْرَاقًا.

ولربما كان القول الصواب قول الذين يرون السعادة في مستوى الحياة الناطقة وليس في الحياة فقط، ولو كانت حياة يرافقها الجسد. ويجدر بنا أن نسألهم لماذا يتصرفون هكذا ٣٥ ويجعلون السعادة مقتصورة على الحيوان الناطق فحسب: «هل تضيفون الحياة الناطقة/ لأنَّ العقل أشدَّ قُدرةً على تسهيل اكتشاف ما في الطبيعة من الضروريات الأولى وتأمين هذه الضروريات؟ أو كنتم تفعلون ذلك لو لم يكن ليكتشف تلك الضروريات الأولى وبنائها؟ فإذا كان ذلك منكم فقط لتفوقه في القدرة على اكتشاف تلك الضروريات، فالسعادة موقرة أيضًا

٤٠ للذي لا عقل لديه، إذ إنه ينال ضروريات الطبيعة بدون عقل وبدافع/ الطبيعة، علاوة على أن العقل يصبح حينذاك الأداة المُسخَّرة ولا يُقصد لذاته، لا هو ولا كماله الذي تُسميه الفضيلة. وإذا قلتم إنه لا يكتسب شرفه بواسطة الأوليات التي تقتضيها الطبيعة، بل إنه هو ذاته أهل لأن ٤٥ يُرحَّب به، وَجَبَ أن تُصرِّحوا بالفعل الآخر الذي يقوم به وبحقيقته، / وبالذي يجعله كاملاً. فالأمر الذي لا بُدَّ منه هو أن العقل ليس كاملاً بسبب المشاهدة المتعلقة بتلك الضروريات، بل إن له كاملاً من نوع آخر، كما أن له حقيقة غير تلك التي ذكرنا؛ فليس من مستوى تلك الأوليات التي تقتضيها الطبيعة، ولا ممَّا هو أصل لها، بل إنه لا يمت بصلة إلى هذا النوع ٥٠ من الأمور/ : إنه هو فوق ذلك كُلِّه. ولأ فليست أرى عن أي طريق يُثبتون له ذلك الشرف». ورشما يجد هؤلاء المُفكرين حلاً أفضل ممَّا هو عليه الآن، فلندعهم فيما يريدون أن يقفوا عنده، ٥٥ يُحاولون عبثاً أن يتبينوا كيف الوصول إلى اكتشاف أصل الحياة الطيبة عند الذي قُدِّرَ له. /

٣ أما نحن فنستعيد الكلام من بدايته ونُعطِ الثَّام عن مفهوم السَّعادة. فإذا جَعَلْنَا السَّعادة في الحياة، وأتخذنا لفظة الحياة على التَّرادف، سلَّمنا بأنَّ كُلَّ حيٍّ قابلٍ لأن يكون سعيداً: ٥ فالحياة الطَّيبة فعلاً ثابتة لكلِّ مَنْ حَصَلَ عندهم أمر هو ذاته واحد عند الجميع، / وعليه فطُرَّ الأحياء كُلِّهم. فلا نُسَلِّم بإمكانه للحيوان الناطق من دون الحيوان غير الناطق. فإنَّ الحياة معنًى مُشترَك، من شأنه أن يؤمِّن عند الجميع قابليَّة الأمر الواحد اللازم لنوال السَّعادة، ما دمنا نعتبر السَّعادة نوعاً من أنواع الحياة. ومن ثَمَّ، فيما أرى، فإنَّ الذين يَحْصرون السَّعادة في الحياة ١٠ الناطقة/ ولا يجعلونها في الحياة المُشتركة بين الأحياء جميعهم إنَّما يذهبون، عن غير دراية منهم، إلى أنَّ السَّعادة ليست حياة. فيضطرون إلى القول بأنَّ ملكة العقل التي تربط السَّعادة بها، إنَّما هي صفة لازمة ليس أكثر. مع أنَّ محلَّ تلك الصِّفة، في رأيهم، هو الحياة الناطقة إذ ١٥ إنَّ السَّعادة ترتبط بها على أنَّها الكلُّ. فإنَّ السَّعادة ترتبط إذا بالحياة التي/ هي على نوع يَختلف عن الأنواع الأخرى. ولست أعني بأنواع الحياة هنا ما يُقصد بتقابل أنواع الجنس الواحد في أكثرهن: بل ما تدلُّ عليه بالقول «إنَّ هذا الحَدَّ هو السابق وذلك هو اللاحق».

٢٠ إنَّ الحياة إذاً وجوهاً شتى يحصل فيها تمييز بِحَسَب الأوليات وبِحَسَب الثانويات وهلمَّ جراً، ومن ثَمَّ يقال على سبيل الاتِّفاق/ فلا تكون في الثَّبات مثلما هي في الحيوان غير الناطق، على أنَّ أنواع الحياة تُميَّز حينئذٍ وفقاً لدرجة الإشراق والغموض: فلا غَرْوَ إن كان هذا القول يُطبق أيضاً وبالقياس على طيب الحياة. ثمَّ إذا عُدَّ كُلُّ شيء في مُستوى ما ارتساماً لما في مُستوى آخر، فواضح أن طيب الحياة في الأوَّل اِرتِسامٌ لطيب الحياة في الثاني. وإذا كانت ٢٥ السَّعادة/ للذي يَتَمعُّ بالحياة الفائقة فقط، وهو الذي لا نقصان في حياته، فإنَّ السَّعادة فقط

لذلك الذي يَتَمَتَّع بالحياة الفارقة. ذلك لأنه يكون حاصلاً على الخير الأسمى، ما دام الخير الأسمى في الأيس أن يكون الأيس حياً حقاً وأن يكون ذا حياة كاملة. فلا يكون الخير حينئذٍ أمراً دخيلاً على صاحب تلك الحياة، ولا يكون لهذا فقط صاحب طاقة تضاف إلى ذاته فتؤهلُه إلى أن يُصبح بخير: فما عسى أن يضاف إلى الحياة الكاملة، / لتصبح على خير ما يمكن أن تكون؟ إن قيل: «حقيقة الخير بالذات»، قلت: هذا هو المذهب الذي نطمئنُ إليه، على أننا لسنا نبحث هنا عن الخير على أنه بكونه سبب، بل إنه من ضمنيَّات الحياة. إن الحياة الكاملة الحقَّة، الثابتة حقاً، إنما هي الحياة القائمة في تلك الطَّبيعة الروحانيَّة؛ وإنَّ الأنواع الأخرى من الحياة ناقصة، بل هي انعكاسات للحياة التامة، / لا الحياة بكمالها وصفائها؛ بل إن كونها ناقصة ليس أخرى بها من كونها مُخالفة لتلك الحياة الكاملة. هذا أمر طالما عدنا إليه في أبحاثنا. ولنذكر الآن مع ذلك على سبيل الاختصار أنه ما دامت الأحياء كلُّها من أصل واحد، وليست مُتساوية بما لديها من الحياة، فلا بدَّ من أن يكون ذلك الأصل هو الحياة الأولى بوجهها ٤٠ الأكمل /.

٤ ولئن استطاع الإنسان أن يحصل على الحياة الكاملة، فالإنسان سعيد إذا حصلَ على تلك الحياة. وإلا فإنَّ السَّعادة تُقَصَّر على الآلهة ما دامت تلك الحياة لا تتمُّ إلَّا لهم: أمَّا الآن ٥ وقد أثبتنا السَّعادة للإنسان أيضاً، فينبغي أن نبحث كيف يتمُّ ذلك؟ / فلنقل إذا إنَّ الحياة الكاملة تحصل في الإنسان ليس فقط عندما تحصل فيه حياة الإحساس، بل أيضاً التُّطُّق والروح الحقِّ، وهذا ثابت بأكثر من دليل. ولكن هل تحصل فيه هذه الحياة كأته أمر مُختلف عنه؟ كلا! فما من ١٠ إنسان إلَّا وفيه ذلك، بالقوَّة أو بالفعل، فنقول عنه حينئذٍ إنه سعيد. / ولكن ذلك الأصل الذي يكون في الإنسان نوعاً كاملاً من أنواع الحياة، أنقول فيه إنه جُزء من الإنسان؟ نَعَمْ عند عامَّة الناس: فإنَّ لهم ذلك النوع من الحياة بالقوَّة، بحيث إنه فيهم كجزء منهم؛ أمَّا السَّعيد، فهو الذي أصبح بِنَفْسِهِ تلك الحياة، وتوصَّل معها إلى أن يكونا معاً شيئاً واحداً. ثمَّ إنَّ الأمور ١٥ الأخرى، بعد ذلك، / تقوم فقط من حوله، فلا تُعتبر جزءاً منه طالما لا يريدُها، وهي ليست منه إلَّا بقدر ما يريد. فما الخير لذلك الإنسان؟ إنه هو ذاته الخير لذاته، بفضل ما هو ثابت فيه. أمَّا الخير الذي في الملائكة الأعلى، فهو فقط علَّة الخير الذي فيه: فذلك الخير شيء وهذا الخير ٢٠ الحاضر شيء آخر. والدليل على أنَّ الوضع كذلك / هو أنَّ الإنسان، عندما يُصبح في تلك الحالة، لا يسعى بعد ذلك وراء شيء قط. وليت شعري وراء أي شيء يسعى؟ أمَّا من الدنيويَّات فما يريد شيئاً! وأمَّا الخير الأفضل، فهو معه. إنَّ من حصَّلت فيه الحياة على هذا الوجه، هو في حالة المكتفي المستغني. وإذا كان مُجتهداً، إعتد على نفسه فقط لتأمين السَّعادة واكتساب

٢٥ الخير . فما من خير إلا وهو في قبضته . وَلَكِنَّهُ إِذَا طَلَّبَ / شيئاً ، إِنَّمَا قَصَدَهُ شيئاً ضرورياً ، وليس لِنَفْسِهِ بَلْ لَأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَخَصَّهُ . فَإِنَّمَا يَطْلُبُ ذَلِكَ الشَّيْءَ للجسد المرتبط به : إذ أنَّ للجسد ولو كان حياً ، أموراً خاصة به ، هي غير أمور الانسان على ما وصفناه . والانسان يعرف تلك الأمور ، فيؤمن منها للجسد ما يؤمنه ، بدون أن ينزع شيئاً من حياته الخاصة . فإن يقلب له ٣٠ الدَّهْرَ ظَهَرَ الْمَوْتُ ، / لا يُصَبِّ في سَعَادَتِهِ ، بل يبقى على مثل تلك الحياة الكاملة . وعند موت ذَوِيهِ وَأَصْحَابِهِ ، يعرف الموت ويعرفه أيضاً هؤلاء الَّذِينَ يُكَادُونَهُ ، ما داموا من ذَوِي الإِجْتِهَادِ ؛ وإذا مات ذَوُوهُ وَأَصْحَابُهُ لَمْ يُصَبِّهِ الحزن على موتهم في ذاته ، بل في التَّاحِيَةِ الْمَعْدُومَةِ الرُّوحِ ٣٥ منه ، فلا / يَنَالُهُ منها اضطراب .

٥ هَذَا وَمَا شَأْنُ الْأَوْجَاعِ وَالْأَمْرَاضِ ، مَا شَأْنُ الْعَوَاقِقِ الَّتِي تَحْبِسُ عَنِ الْفِعْلِ بَوَاجِهَ عَامٍّ؟ وما القول أيضاً فيما إذا كان الانسان قد فَقَدَ تَعَقُّبَ ذَاتِهِ ، وهو أمر يحصل من أثر المخدرات وبعض الأمراض؟ بَلْهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ ذَا فِقْرٍ وَمَعِيَةٍ ، فَكَيْفَ يَكُونُ فِي تِلْكَ الْحَالَاتِ ٥ صَاحِبَ حَيَاةٍ طَيِّبَةٍ ، مُتَمَتِّعًا بِالسَّعَادَةِ؟ لَا شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ / أَمَعَنَ النَّظَرَ فِي تِلْكَ الْأُمُورِ ، تَوَقَّفَ مُتَرَدِّدًا لَا سِيَّمَا إِذَا تَذَكَّرَ مَصَائِبَ «بِرِيَّامٍ» المشهورة . نعم قد يصبر على كُلِّ تِلْكَ الشَّدَائِدِ ، بل قد يصبر عليها يُبَسِّرُ وسهولة ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُرِدْهَا . وما الحياة السَّعيدة إِلَّا فِي مَا يُرَادُّ . هَذَا مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ الْمُجْتَهِدَ لَيْسَ نَفْسًا مُجْتَهِدَةً فَقَطْ ، حَتَّى لَا يُقَامَ فِي حُدُودِ / ذَاتِهِ لِكَيَانِهِ الْجَسَدِيِّ حِسَابَ . قد يُقَالُ ١٠ إِنَّهُ لَا مَانِعَ مِنَ التَّسْلِيمِ بِأَن يُعْتَبَرَ الْجَسَدُ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ ، أَعْنِي عَلَى أَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَلَكِنْ بِقَدْرِ مَا تَرْتَفِعُ تَأَثُّرَاتُ الْجَسَدِ وَتَنْتَهِي إِلَى هَذَا الْإِنْسَانِ ، وَعَلَى سَبِيلِ التَّعَاكُصِ ، بِقَدْرِ مَا يَكُونُ اخْتِيَارُ الْإِنْسَانِ لِلْأُمُورِ أَوْ تَجَنُّبُهُ إِيَّاهَا لِصَالِحِ الْجَسَدِ . وَلَكِنْ إِذَا عُدَّتِ اللَّذَّةُ مِنْ قَوَامِ الْحَيَاةِ ١٥ السَّعيدَةِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ سَعِيدًا مَنْ أُصِيبَ بِحَادِثَاتِ الدَّهْرِ وَضَرْبَاتِهِ ، / حَتَّى وَلَوْ أَصَابَتْهُ وَهُوَ فِي حَالِ الْمُجْتَهِدِ؟ إِنَّ حَالَهُ كَتَلِكِ الَّتِي وَصَفْنَا ، قَائِمَةٌ بِالسَّعَادَةِ وَالْاِكْتِفَاءِ بِالذَّاتِ ، إِنَّمَا هِيَ لِلْإِلَهَةِ ؛ أَمَّا الْإِنْسَانُ ، فَإِنَّهُ أَضْيَفُ إِلَيْهِ مَا هُوَ مِنَ الشَّأْنِ الْأَقْلَى ، وَهَذَا أَمْرٌ يَقْتَضِي أَنَّ تُطْلَبَ السَّعَادَةُ الْحَاصِلَةُ فِيهِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْجُمْلَةِ ، وَلَيْسَ فَقَطْ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا هُوَ بَعْضُهُ : فَإِذَا سَاءَتْ حَالَتُهُ فِي ٢٠ بَعْضِهِ ، مَتَّعَ بَعْضُهُ الْآخَرَ / حَتْمًا عَنِ الْإِنْصِرَافِ إِلَى مَا هُوَ مِنْ شَأْنِهِ ، لِأَنَّ أُمُورَ بَعْضِهِ الْأَوَّلِ لَيْسَتْ عَلَى حُسْنِ الْحَالِ . وَإِلَّا فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِقْلَاعِ عَنِ الْجَسَدِ ، وَعَنِ إِحْسَاسِ الْجَسَدِ ، وَهَكَذَا نَطْلُبُ الْاِكْتِفَاءَ وَالِاسْتِغْنَاءَ لِلْحَصُولِ عَلَى السَّعَادَةِ .

٦ هَذَا وَإِنْ كَانَ مَقْصُودُ كَلَامِنَا أَنَّ السَّعَادَةَ تَتِمُّلُ فِي آلَا تَنَاقُلٍ وَلَا نَمْرُضٍ وَلَا نُصَابٍ بِالْمَوْتِ ، وَلَا تَقَعُ فِي الشَّدَائِدِ ، لَمَا تَمَّتِ السَّعَادَةُ لِأَحَدٍ مَا دَامَتْ الْمَعَاكِسَاتُ حَاضِرَةً . أَمَّا

إذا كانت السعادة في الحصول على الخير الحق، فلماذا تنهون في تركيز اعتبارنا على ما هو ذلك الحق وما إليه، / فتحكم أن السعادة في طلب ما ليس منها؟ ذلك لأنه إذا كانت السعادة أن تنافر لدينا جملة من الخيرات والضروريات (ربما لا تكون من الضروريات، بل تُعتبر مع ذلك كخيرات) لَمَا كان بد من طلبها واستحضارها. أما إذا كانت الغاية واحدة لا كثرة فيها، (وحينئذ لا يكون السعي وراء غاية بل وراء غايات)، فالذي ينبغي أن يتخذ دون غيره، هو الأمر الأسمى والأفضل، وهو الذي تسعى النفس إلى أن تنطوي عليه في أعماق ذاتها. فما النفس بالتي تسعى ١٠ وتقصد، ثم لا يتم لها أن تستقر في تلك الغاية. / أما تلك الأشياء التي لا كيان لها في حقيقتها، بل تمرّ عابرة فقط، فإن التعليل العقلي يتجنبها وينحى عن نطاقه؛ أو أنه يسعى إليها على أنها فضلات. أما اندفاع النفس، فإلى ما هو أفضل منها، والذي إذا تحقق كان فيها الحفل والإطمئنان: تلك هي الحياة المرادة حقاً. ليس لتأمين ضروريات الحياة إرادة، ما دامت ١٥ الإرادة مُعتبرة على معناها الصحيح، غير المُشوّه، / ولو كنّا نقدر تلك الضروريات حق قدرها. فإذا كنّا بوجه عام، نتجنب الشرّ، فليست رغبة النفس في ذلك التجنب، بل إن رغبنا بالأحرى ألا تكون في حاجة إلى ذلك التجنب.

والدليل على ما نقول تلك الأمور نفسها إذا حضرت، كالصحة مثلاً والسلامة من الألم. فما الذي يرغبنا فيها؟ إننا لا نهتم بالصحة ما دامت حاضرة، وهكذا أيضاً في ما يختصّ بالسلامة من الألم. فليس في تلك الأمور إذا حضرت ما يرغب فيها، وهي لا تُضيف شيئاً على السعادة، وإنما تطلب إذا حلت محلها أضدادها المؤلمة. فيجدر أن يقال ٢٥ فيها أنها ضروريات معاشية وليست قط خيرات. / ومن ثم لا تُحصيها مع لوازم من الكمال المطلق، بل إن من شأن هذا الكمال أن يبقى خالصاً على ما هو عليه، حتى ولو غابت وحلت محلها أضدادها.

٧ ولماذا إذا يرغب الرجل السعيد في حضور تلك الأشياء ويدفع عن نفسه أضدادها؟ نقول لا لأنها تُسهم في توفير السعادة، بل بالأحرى لأنها تُسهم في تأمين الأيس. فإن من شأن أضدادها إذا حضرت أن تؤدي إلى الأيس، أو أن تكون عائقاً في وجه الغاية. لا بمعنى أنها ٥ تُزيل تلك الغاية، ولكن بمعنى أن من حصل على الأفضل أراد أن يحصل عليه دون غيره؛ فإذا حضرت تلك الأضداد، لم تُزل ذلك الأفضل، بل إنما يكون هو وهي معه. وهذا إذا طرأ على الرجل السعيد طارئ لا يُريده، لم يسلبه حتماً شيئاً من سعادته؛ والأمر كان كل يوم في تقلب ١٠ مستمرّ/ وأخرج من سعادته: كأن يفقد مثلاً ولداً من أولاده أو شيئاً من أمواله. بل إن الألف من الطوارئ قد تقع وهو لا يُريدها، فلا يعتريه - وقد أدرك غابته - شيء من الاضطراب. قد

يقول بعضهم: «إنما نعني الكوارث الجسيمة لا الحوادث التأفهة». فما هي لعمري الجسائم في
 ١٥ الأمور الإنسانية التي لا يستخفها/ من تجاوز كل شيء في تساميه إلى ما فوق الأمور جميعاً،
 حتى غدا لا يربطه بالسفليات رابط؟ فلماذا يعتبر الأمور التي كُتِب لها التجاح، مهما تعاضمت،
 غير ذات بال (مثل الملكية والرعاية على المدن والشعوب وتأسيس الجاليات والمستعمرات،
 ٢٠ ولو كان هو الذي قام بها)، ثم ينظر إلى تفويض السلطات وانهايار بلاده، فإيهما من جسائم
 الأمور؟ وإذا رأى في ذلك شراً جسيماً، بل مجرد شرٍ ليس أكثر، فإنه صاحب رأي جدير
 بالسخرية، وليس أهلاً بحال إلى أن يكون من المجتهدين، إذ إنه يعتبر الخشب والحجر،
 بل إنه ليعتبر، وأيم الحق، موت ما لا بد أن يموت، من عظام الأمور. وهو الذي وصفناه
 ٢٥ رجلاً مفروضاً فيه أن يرى الموت خيراً من الحياة/ مع الجسد. وإذا قرب هو ذاته قرباناً، هل
 يحسب الموت شراً بالنسبة إليه لأنه مات على المذابح؟ وإذا لم يُواز في قبر، فإن البلى سيعتري
 حتماً جسده سواء أترك فوق التراب أم وُضع تحته. وإذا لم يُشيع بجنازة ضخمة بل حُمِل إلى
 ٣٠ قبره خامل الذكر ولم يعد أهلاً لأن يُنقش على ضريحه نُصب تذكاري. / فإيا لها من سخافة! إذا
 أُسِر في حرب، كان له «منفذ يخرج منه» طالما استحال عليه أن يبقى سعيداً. والآن إذا أُسِر
 ذوه، واغتُصبت كنانته وبناته» مثلاً فما عسى أن نقول؟ أجبتنا: وماذا لو مات بدون أن يُشاهد
 ٣٥ أمراً مثل ذلك، فينطلق وهو على الاعتقاد أنّ شيئاً من هذا القبيل / لن يتم؟ إنه لغبي إذاً أوليس
 ينبغي له أن يعتقد أنّه من الممكن أن تطرأ على ذويه شذائذ مثل التي ذكرنا؟ أو يردّ هذا الاعتقاد
 السعادة عنه؟ كلا! بل إنه سعيد بالرغم من اعتقاده وهو سعيد ولو أُصيب بمثل تلك الشذائذ
 ٤٠ فإنه حينئذ على يقين من أنّ العالم الكليّ يسير هكذا، / فلا بدّ من احتمال الطوارئ والانقياد
 لها. هذا فضلاً على أنّ كثيراً من أسراء الحرب، قد تتحسن حالهم بعد أسرهم. ثم إنّ لهم أن
 ينادروا الحياة إذا كانوا مرهقين. فإذا بقوا، كانوا في اختيارهم البقاء إمّا على صواب ولا خطر
 ٤٥ عليهم إذا، وإمّا على خطأ إذا كان من الواجب ألا يبقوا، وحينئذ هم الذين جَنَوْا على أنفسهم. /
 فإنّ المجتهد لا يورط نفسه في الشرّ بسبب حماقة الآخرين ولو كانوا من ذويه، ولا يربط مصيره
 بسعد الطالع وسوءه عندهم.

٨ أما أوجاعه هو، فإذا اشتدّت احتملها ما استطاع، وإذا كانت فوق الطاقة أودت به. فلن
 يُحاول استثارة الشفقة عند ذاك بل تكون شعلته في باطنه مثل نور في سراج عندما تعصف الرياح
 ٥ من حوله وتنهب الأعاصير وتزجر. / وما عسى أن يصنع إذا فقد الشعور وامتدّ به الألم حتى
 اشتدّت عليه وطأته بدون أن يهلكه؟ إنه إذا امتدّ به الألم، قرّر بنفسه مصيره؛ فإنّ حرية الاختيار
 ١٠ لا تنتزع منه في تلك الظروف. هذا مع العلم بأنّ تلك الأمور لا تبدو للمجتهد كما تبدو لغيره:

فإنها لا تنتهي إلى باطنه. ولهذا القول يصحّ عليها أمرًا أمرًا، كما إنّه يصحّ على غيرها، وعلى الأوجاع والأحزان أيضًا. وما القول في تلك الأوجاع إذا كانت عند الآخرين؟ إنّا نرى في التأثير بها عندنا تخاذلًا في النفس. والدليل على ذلك هو أنّا نرى الخير لنا أن نجهل تلك الأوجاع؛ أو أن تقع بعد موتنا حين تقع؛ فلا تهّمنا مصلحة الآخرين بل مصلحتنا نحن، حتّى لا ينالنا ألم.

هذا هو تخاذلنا بالضبط؛ فيجب أن نستأصله ولا نكتفي بأن نحاذر عليه أن يقع. وإذا قال أحدهم: «إنّا فطرنا على أن نتألم ممّا يصيب دَويّنا»، فليعتبر أن الأمر ليس هكذا عند الجميع، وأنّ من شأن الفضيلة أن ترتفع بما هو مشترك بين العوام، فتتجاوز مستواهم إلى الخير والأفضل؛ ويَجْمَلُ بنا ألّا نستسلم إلى ما يبدو مخاوف عند العوام. ولا نكوّن من ذوي الغيرة، بل مثل الرياضي الماهر، فنعدّ أنفسنا لدرء ضربات القدر، ونعلم/ أنّها مرهقة لبعض الناس ولكنّها مُحتملة بالنسبة إلينا؛ فليست بمنزلة الأخطار، بل هي بمخاوف الصبيّة أشبه، فهل يكون المُجتهد قد أرادها؟ كلا! بل عنده الفضيلة يتنزع أمام ما لا يريده إذا حدث، وتجعل هذه الفضيلة النفس حينذاك رابطة الجأش لا تضطرب أبدًا./

٩ وإذا فقد الوعي واصطلحت عليه الأمراض واستحوذت عليه حيل السحر؟ فإنّ يبقى (الزوّاقين) على رأيهم في أنّه في هذه الحال لا يزال مجتهدًا كأنّه مُستغرق في التّوم، فما الذي يَمنع من أن يكون سعيدًا؟ وما داموا لا يسلبون عنه السّعادة في حال التّوم، فإنّهم لا يحسبون تلك الفترة موضوعًا/ للبحث كأن يذهبوا إلى أنّه ليس سعيدًا كلّ أيّام حياته. أمّا إذا قالوا إنّّه لم يعد مجتهدًا، حينذاك، فإنّهم لا يحسبون موضوع البحث مُتعلّقًا بالمُجتهد. ذلك بأنّا افترضناه نحن مجتهدًا؛ ثمّ تساءلنا فقط بعد ذلك هل كان سعيدًا ما دام مُجتهدًا. وإن قالوا: «ليكن مُجتهدًا». إلّا أنّه طالما لا يشعر/ بذلك، ولا يعمل بمقتضى الفضيلة، فكيف يكون سعيدًا؟ ولكن إذا كان لا يشعر بصحّته، فهل يكون من الصحة على جانب أقل؟ وإذا كان لا يشعر بحُسْنه أفيكون من الجمال على جانب أقل؟ وهل يكون من ثم أقلّ حكمة لأنّه لا يشعر بحكمته؟ نقول لهذا إلّا إذا كان أحدهم يعني أنّ الحكمة تنطوي حتمًا على الشّعور وعلى حضور الإدراك/ إذ أنّ السّعادة تتمثّل في الحكمة التي تكون حكمة حقًا. أجل لا بأس بالرّأي فيما إذا كانت الفطنة والحكمة أمرين دخيلين مُكتسبين؛ أمّا إذا كان قوام الحكمة في ذات ما، أو بالأحرى في الدّات، ولم تكن تلك الدّات معدومة عند النائم/ ولا عند من يوصف بالغيوبة عن الوعي؛ وكانت الطّاقة المُستكنة في تلك الدّات لا تزال ثابتة في المُجتهد، ولم يكن ينال تلك الطّاقة وهن ولا خمود، فإنّ المُجتهد، ما دام مُجتهدًا، يظلّ، ولو كان على تلك الحال،

في العمل الذي هو منصرف إليه . أجل إنَّه عمل على غير وعي ، ولكن ليس فيه كلّه ، بل في
 ٢٥ بعضه فقط . ولهذا حكم القوّة الغذائيّة فينا مثلاً ؛ / فإنّها تعمل بدون أن ينتهي عملها إلى جميع
 الإنسان ، ولا تُدرك بالإحساس . ولو كنّا نحن تلك القوّة ، لكنّا نحن الذين نقوم بعملها . والحقّ
 ٣٠ أنّا لسنا تلك القوّة ؛ بل عملنا قوّة عرفانيّة ؛ فإنّما نعمل عندما تعمل هذه القوّة . /

١٠ ثم إنَّ هذا العمل يحدث في غفلة من صاحبه ، ولربّما عاد ذلك الى أنّه لا علاقة له
 بمحسوس قطّ . فالظاهر أنّه يؤثّر في المحسوسات بل ينبعث منها على سبيل الادراك الحسيّ
 الذي يكون حيثنذ بمنزلة الوسيط . ولماذا لا يعمل الروح ذاته ، ولا النفس التي ترتبط به وهي
 ٥ سابقة لكلّ إحساس ولكل إدراك بوجه الاجمال ؟ ذلك لأنّه لا بدّ من عمل سابق للادراك ما دام /
 «العرفان والأيس أمرًا واحدًا» . والظاهر أنّ الادراك يتمّ في أن يتعطّف الفكر على ذاته وفي أن
 يُصبح الأصل الفاعل الكامن في حياة النّفس ، كأنّه يُرَدُّ معكوسًا ، مثلما يحدث في المرأة إذا
 ١٠ كان وجهها مصقولًا لامعًا وإذا كانت هي ساكنة . فكما أنّه إذا حضرت / المرأة وهي على تلك
 الشّروط حصلت الصّورة ، وإذا لم تحضر أو لم تتوافر فيها الشّروط السّابقة كان ما من شأنه أن
 تنبثق عنه صورة حاضرًا فعلاً على كل حال ، فكذلك الأمر فيما يختصّ بالنّفس : فإذا سكن
 عندنا ذلك الأصل الذي تظهر فيه انعكاسات العقل والروح ، شوهدت تلك الانعكاسات
 ١٥ وأدركت بما يشبه إدراك الحسّ / وقد سبقته المعرفة ؛ إنّ ذلك العمل إنّما هو عمل الرّوح
 والعقل . لكن إذا تصدّع ذلك الأصل بسبب اضطراب دبّ في بُنية الجسد المتناسقة ، واستمرّ
 الروح والعقل في عملهما وإن كان عملاً لا انعكاس له ، واستقامت الفكرة ، وكان حينذاك
 ٢٠ العرفان أيضًا يُمسي بدون صورة خياليّة . فإنّ أمرًا مثل هذا قد يُدرك / بالعرفان ، وهو أن يكون
 العرفان مصحوبًا بخيال وهو ليس ، في ذاته ، بخيال . بل ربّ أمرٍ انتهى به الأمر غير مرّة إلى
 أن يهتدي وهو في حال اليقظة ، إلى مآب وأعمال جليّة من قبيل النّظر أو العمل ، لا يُرافقها
 عندنا حضور الادراك ، إذا كنّا نقوم بها أثناء انصرافنا إلى النّظر أو العمل . فليس من الصّوريّ
 ٢٥ مثلاً للذي يقرأ أن يشعر بأنّه يقرأ / لا سيّما عندما يكون مُنصرفًا بكلّ انتباهه إلى القراءة ، كما إنّ
 الذي يتصرّف بشجاعة لا يشعر بذلك ما دام مُستغرقًا في عمله . وهنالك الآلاف من هذا القليل .
 فكان في الشّعور خطراً على الأعمال التي يُرافقها في أن يغشي نقاوتها ، وهي صافية خالصة إذا
 ٣٠ أُرسلت هكذا مُجرّدة على حالها ، / فتكون أشدّ طاقة وحيويّة . وهذا ما يتمّ للمجتهدين عندما
 يتهون إلى ذلك المقام الذي وصفنا : فإنّهم إذ ذاك على أشدّ ما يكون حياة إذ أنّ تلك الحياة لم
 تنوّع لديهم في الإحساس ، بل توحدت في ذاتها مع ذاتها .

١١ وإذا قال بعضهم أن إنساناً مثل هذا لا حياة له، أجنبناهم بل إنَّ له حياة، ولكنَّهم لا علم لهم بسعادته ولا بحياته. وإذا كانوا لا يقتنعون، فالصَّواب، فيما نرى، أن يفترضوا وجود إنسان حيٍّ مُجتهد ثمَّ يتساءلوا بعدئذٍ أسعيدهُ هو؟ وليس الصَّواب أن يُنقصوا جانب الحياة/ فيه ثمَّ يسألوا عمَّا إذا توافرت له الحياة الطَّيبة، ولا أن يرفعوا الكيان عن الإنسان ثمَّ يبحثوا عن سعادته، ولا أن يسلموا بأنَّ المُجتهد موجَّه وجهه إلى ما هو كامن في باطنه ثمَّ يطلبوه في الأفعال الظَّاهرة؛ فليس مراده، بوجه عام، أمراً من الأمور الظَّاهرة. ومن ثمَّ فإنَّ السَّعادة لا قوام لها ما داموا يذهبون/ إلى أنَّ أغراض الإرادة أمور الظَّاهر، وأنَّ المُجتهد يُريدها. فإنَّ المُجتهد يودُّ لو أنَّ النَّاس كلَّهم على خير حال وآلأ يُصاب أحد بأذى قطعاً، وإن لم يتمَّ ذلك، فإنَّه سعيده على كلِّ حال. وإذا قال قائل: «إنَّ من أراد ذلك طلب المُحال إذ لا بدَّ للشرِّ أن يكون»،/ يبيِّن لنا بهذا القول أنَّه يُوافقنا على توجيهنا إرادة المُجتهد نحو ما هو كامن في باطنه.

١٢ أما إذا طالبوا بما يلدُّ للمرء في حياته مثل تلك الحياة، فالحقُّ أنَّ ما يحصل فيها ليس مِلدَّات الإباحيِّين ولا مِلدَّات الجسد (إنَّ تلك المِلدَّات لا يمكن أن توجد في مثل تلك الحياة، وهي تُبطل السَّعادة) ولا الأفراس المُفترطة (وما جدواها؟) إنَّما تحصل حينئذٍ اللَّذة الَّتِي تُلازم الخير على/ اختلاف وجوهه فتُحضر بحضوره ولا يُعترِها التَّغيُّر والتَّقلب. فإنَّ الخير في مُختلف وجوهه أمر حاصل حاضر، ما دام المُجتهد حاضراً أبداً في ذاته مع ذاته، فاللَّذة ثابتة إذا وإنَّ ذلك للطَّمأنينة. لكنَّ المُجتهد في اطمئنان أبداً، وحالته حالة السَّكون والارتياح لا يُزعزعها شرٌّ يُذكر، ما دام مُنصرفاً إلى اجتِهاده. / وإنَّ يلتمس أحد نوعاً آخر من اللَّذة في حياة المُجتهد، فهو لا يقصد حياة المُجتهد.

١٣ أما أفعاله فلا تجد الأقدار من استرسالها، بل تتكيَّف حسب تكيِّف الأقدار، على أنَّها تبقى دائماً حسنة بل إنَّها تزداد حُسناً بقدر ما يكتنفها من الطُّروف المُعاكسة. أما أفعاله المُتعلِّقة بالتَّظر، فمنها ما يكون في وضع الجُزئيَّات وربَّما لا يُكشف عنها إلَّا بعد البحث والتَّدقيق؛ أمَّا العلم الأعظم فهو أبداً في مُتناول يده ومعه، لا بل إنَّ المُجتهد أُحرى بهذا الوصف فيما لو كان في «ثور فيلاريس» المشهور، وهي حالة من العبث أن توصف بأنَّها مستحيَّة، ولو قيل ذلك مرَّتين وغير مرَّة. ذلك لأنَّ صاحب هذا القول عندهم (أي عند الرُّواقِتيِّين) هو بالضَّبط ذلك الَّذي يكون في حال الألم؛ أمَّا نحن فنمَيِّز في المُجتهد بين ما يتألَّم وبين ما/ يلازمه طالما كان مُكرِّهاً على تلك الملازمة ولا يُحرم مشاهدة الخير الكلِّي.

١٤ ليس الإنسان وبخاصة المُجتهد أمرًا مزدوجًا، والدليل على ذلك مفارقة النفس للجسد واحتقارها للخيرات المشهورة بأنها خيرات الجسد. ثم إنَّ من المضحك أن تقاس السَّعادة بما ٥ يمتدُّ إليه مفهوم الحيوان. فالسَّعادة هي الحياة الطَّيبة، / ولكنَّها تتعلَّق بالنفس إذ أنَّها طاقة محصورة في النفس، وليس في النفس كلُّها: فلا علاقة لها بالنفس المغذَّية بحيث تتصل بالجسد من خلال تلك النفس. ذلك لأنَّ السَّعادة ليست بضخامة الجسد وعافيته. كما أنَّها ١٠ ليست بالاحساس في أحسن أحواله: لا بل أنَّ في إشباع هاتين الملكيتين خطرًا على / الإنسان في أن تتقلَّاه وتميلا به إليهما. فإذا قابل الخيرَ الأسمى ما يُعاكسه وجب حتمًا الحطُّ من جانب الجسد وإضعافه بحيث يُثبت ذلك الإنسان الفاضل أنَّه مُخالف للأمور التي تُحيط به من الخارج. والإنسان المقيَّد بتلك الأمور الدنيويَّة، مهما يكن جميلًا عظيمًا، غنيًا، يأمر ١٥ وينهى، / فإنَّه مع ذلك لا يزال من العالم الأدنى، فلا يُحسد على كلِّ تلك الأمور وهو مَخدوع بها. أمَّا الحكيم فلا شيء منها قد يتأثَّر له حتَّى بوادرها؛ وإن تيسرت له، فإنَّه يخفَّف من شأنها، إذ لا همَّ له إلَّا بنفسه. فيخفَّف من شأن مصالح الجسد، ويُخمد حميَّتها ٢٠ بإهماله لها. أمَّا الوظائف فيزهد فيها. / يُحافظ على صحَّة الجسد، ولكن لا يريد أن يجهل المرض جهلاً تامًّا، كما أنَّه يريد ألا يبقى عديم الخبرة بالأوجاع، وإذا لم تُصبه في عهد شبابه، فهو يريد أن يعرفها على كلِّ حال. أمَّا عندما يُدرِّكه الكبر، فإنَّما يريد ألاَّ تقلقه تلك الأوجاع ولا ٢٥ تلك الملذَّات، ولا شيء من تلك الأحوال التي تلازم الحياة في هذا الدُّنيا، سواء أوافقت طَبْعَهُ أو خالفته، حتَّى لا يحوِّل نظره إلى الجسد. ولكن إذا اعتراه الألم حينئذٍ قابله بالقوَّة التي أمَدَّ بها ضدَّ الألم. ثمَّ إنَّ اللذَّة والصَّحَّة والسَّلامة من الألم لا تزيد في سعادته، كما إنَّ هذه السَّعادة لا تُسلب ولا تخفَّف في الأحوال المُعاكسة. فإذا لم يكن الطَّرف الأوَّل يزيد شيئًا، فكيف يَحرمه الطَّرف الثَّاني من أيِّ شيء؟

١٥ ولكن إذا حصل لحكيم كل ما يُقال أنَّه مُلائم للطَّبيعة، وحصل لحكيم العكس تمامًا، فهل نقول أنَّ السَّعادة تَمُت لكليهما على السَّواء؟ نعم، طالما أنَّهما متساويان فضلًا وحكمة. - وإذا كان أحدهما جميل الجسد، وتوقَّرت له كلُّ تلك الأمور التي لا صلة لها قطُّ بالحكمة ولا ٥ بالفضيلة ولا بمُشاهدة الأكمل، / ولا يُجعل الإنسان هو والأكمل شيئًا واحدًا، فما القول حينئذٍ؟ إنَّ هذا الحكيم نفسه الذي توافرت له تلك الأمور، ألنَّ يتباهى بأنَّه أسعد من ذاك الذي حُرِّمها. فإنَّ الإزدياد منها لا ينهض من الأمر بما يساعد التَّافخ في الثَّاني على نيل مراده. بل إنَّنا ننظر إلى الحكيم والسَّيد السعيد من خلال عجزنا، فنرى من المخاوف ١٠ والأخطار / ما لا يخطر بباله، حتَّى أنَّه لا يكون حكيماً ولا سعيداً، ما دام لم يبدُل ما لديه من

أوهام عن تلك الأمور، ويغدو رجلاً آخر، بكامل المعنى، مستيقناً من أن لن يناله شر البتة؛ عند ذلك يُصبح وهو لا يهاب شيئاً. وإذا اضطرب لأمر ما، فلا يكون كاملاً/ في الفضيلة بل يكون ١٥ منها في مُنتصف الطريق. وإذا ما باغته خوف ما وعاجله عن إدراكه إنصرافه إلى أمور كانت تشغله، بادره الحكيم ورده وهذا روع الطفل الذي فيه، فكأنه اضطرب من أذى أصابه، وذلك ٢٠ إما بالتهديد وإما بالإقناع؛ ولكنه تهديد يرفق/ مثلما يتهدب الصبي لمجرد إشارة ممن يرشقه ببصره. وليس الحكيم مع ذلك، عديم الشعور بالصدقة وعرقان الجميل، بل إنه هكذا مع نفسه وفي الأمور التي تتعلق به، فيُشرك أصحابه في ما وجود به على نفسه؛ إنه لصديق حقاً، ولكن ٢٥ صداقته قائمة على كونه صاحب الروح./

١٦ فإذا كنا لا نتسامى بالمُجتهد هكذا في مقام الروح، فنحط قدره بجعله عُرضة للطوارئ ونخاف عليه منها، فإننا لا نحفظ له صفة المُجتهد اللاتقة به، فيما نرى، بل نتصوره رجلاً بالمعنى المألوف في عُرف الناس، يكون مزيحاً من خير وشر، ونجعله ذا حياة على جانب من ٥ الخير/ مع ما فيها من شر - وهو أمر يتأتى لنا بسهولة. فإن رجلاً كهذا، إذا وجد، ليس أهلاً أن يُقال عنه أنه سعيد، إذ أنه لم تتم له تلك العظمة القائمة بجلال الحكمة وصفاء الخير؛ ولا مقام إذا للسعادة في الحياة على ما هي في عُرف الناس. ولذلك يرى أفلاطون أن الصواب في أن ١٠ يُستمد الخير من هنالك، من العالم الأعلى،/ إليه ينظر من كان من شأنه أن يكون حكيماً وسعيداً، وبه يشبهه، وبمقتضاه يحيا. فحسبه بذلك، وبه يدرك الغاية حتماً.

أما مع ما كان سوى ذلك، فكان يغير مسكناً بمسكن آخر مثلاً، لا لأن سعادته تزيد من وراء تلك المساكن، بل كآته يسعى وراء الأمور التي تُحيط بالذي فيه مختلفاً عما هو في ذاته،/ ١٥ مثل أن يرى هل يُقيم هنا أو هناك بذلك الأصل الذي يكون فيه والذي ليس هو بالذات، فيتسامح له بما تقتضيه الحاجة ويقدر الإمكان. أما هو، ما دام شيئاً آخر، فإنه لا يمنعه مانع من أن يتخلّى عن ذلك الأصل، وهي خطورة قد يُقدم عليها عند حلول الأجل، على أن تبقى له الكلمة الفصل ٢٠ دائماً في تقرير مصيره. فإن الأعمال التي تُرد إليه إذا،/ يتضافر بعضها على تأمين سعادته، ويتم بعضها الآخر لأجل إدراك الغاية ولا لأجله هو، بل لصالح ما يقتزن به، فيهتم به ويتحمّله ما دام الأمر ممكناً، مثلما يهتم صاحب القيثارة بقيثارته ما دامت صالحة للاستعمال. وإذا أصبحت غير صالحة، عمد إلى سواها، أو تخلّى عن العزف على القيثارة وأهمل ٢٥ استعمالها،/ فانصرف إلى عمل آخر بدون قيثارة، وأغفلها وهي مُلقاة إلى جانبه، وراح يُشدد بدون آلة. ولا يعني هذا أنها دُفعت إليه سدى بادئ الأمر، فطالما سبق له أن استخدمها.

الفصل الخامس

(٣٦)

السعادة وامتداد الزمان

١ هل تزداد السعادة على مرّ الزمن، وهي تُدرك على أنّها دائماً حاضرة؟ فإنّ ذكرى السعادة لا تؤمّن شيئاً منها، كما إنّ السعادة ليست في الكلام، إنّما هي حالة ثابتة راهنة، والحالة في حضورها،/ كما هو الأمر من كلّ فعل من أفعال الحياة.

٢ قد يُقال أنّ لدينا رغبة دائمة في الحياة وفي الفعل، فتحقيق تلك الرغبة يزيد في السعادة. فتُجيب: إذا كان ذلك كذلك أصبحت سعادة الغد أعظم من سعادة اليوم، وتاليها أشد من سابقها، وما عادت السعادة تُقاس بالفضيلة؛ لهذا أولاً. ثم إنّ الآلهة يكونون في حاضرهم أسعد/ منهم في ماضيهم، فما أدركوا الغاية ولن يدركوها. فضلاً على أنّ الرغبة إذا بلغت غرضها أدركت شيئاً حاضراً؛ وهكذا دائماً من شيء حاضر إلى شيء حاضر إلى شيء تطلبه فيحضر حتّى تُصبح بحيث تتمّ السعادة. فالرغبة في الحياة رغبة في الأيس؛ فهي إذا رغبة في الشيء الحاضر، ما دام الأيس فيما هو حاضر. / وإذا كنّا نريد ما سيكون أو ما بعده، فإنّما نريد ما لدينا وما نحن عليه، لا ما مضى ولا ما سيكون؛ نريد أن نكون ما تمّ لنا أن نكون عليه وفيه، فلا نطلب أن نكون كذلك إلى الأبد، إنّما نطلب أن يكون ما في الحال ثابتاً حقاً في الحال.

٣ فماذا إذا؟ لقد طالّت مدّة السعادة بطول المدّة التي ركّزنا أثناءها بصرنا على الأمر نفسه. فإذا ما حصل من طول الزمن زيادة تدقيق في الأمر، إستفدنا من امتداد الزمن شيئاً حقاً. ولكن إذا ثبت النّظر مدّة الوقت كلّ على وجه واحد من الأمر، فالذي يحصل يساوي ما نُدرك في اللحظة الواحدة. /

٤ ولكن مدّة اللذة هنا أطول منها هناك. ليس من الصواب أن يحسب اللذة حساب في

مجال السَّعادة. وإذا ما ذهب بعضهم إلى أنَّ اللذة هي «فعل لا يحول دون استرساله حائل» كان ما يعنيه باللذة عين ما نقصده نحن بالسَّعادة. على أنه ليس للذة المستمرة من الازدياد حيثند إلا
 ٥ اللحظة الحاضرة، أمَّا ما مضى منها فقد فات.

٥ وماذا بعد؟ لهذا رجل عاش سعيدًا منذ بداية حياته حتَّى نهايتها؛ ولهذا ثانٍ كان سعيدًا في أواخر زمانه؛ وذلك ثالث عاش سعيدًا في أوَّل أمره ثمَّ تغيَّرت عليه الحال: فهل تتساوى السَّعادة لديهم؟ إنَّ التشبيه هنا لا يجمع بين رجال كلَّهم سعداء بل بين مَنْ ليس سعيدًا في وقت ما ومن كان دائمًا سعيدًا. فإذا كان ثمة فضل، / فيقدَّر فضل السَّعيد بالنسبة إلى من ليس سعيدًا: وذلك الفضل راجع إلى ما يحصل بما يكون حاضرًا في الحال.

٦ والشَّقَى إذا؟ ألا يزداد شقاء مع الزَّمان؟ ألا تزيد جميع الظروف الشَّاقة في شقائنا على مرَّ الزَّمن كالآلام والأوجاع المزمنة وما إلى ذلك من أحوال؟ وإذا كانت تزيد الشَّرَّ مع مرور الزَّمن، فلماذا لا يكون كذلك فيما يُقابلها، / أعني السَّعادة؟ يجوز القول فيما يختصُّ بالآلام والأوجاع أنَّها تزداد على مرَّ الزَّمن، كالمرض المزمن مثلاً؛ فإنَّه يُصبح حاله مُستديمة، ويتفاقم ١٠ أمر الجسد مع الزَّمن. فإذا بقي ذلك الأمر على ما هو عليه وما عظم الضرر، / بقي الألم أو هو دائمًا حالة حاصلة في الحاضر، هو ما لم نعتبر ما مضى فنحسب له حسابًا بالإضافة إلى ما يتمُّ في الآن. ولكن استمرار الشَّرِّ كحالة شقاء مُزمنة يجعله يتفاقم مع الزَّمن فيزداد بكونه أمرًا ١٥ مُستديمًا. وبهذا الازدياد في الشَّرِّ، لا بامتداد زَمَن يكون في الشَّرِّ مُتساويًا مع ذاته، / يكون تفاقم الشَّقَاء. فإنَّ المُتزايد المُتساوي دائمًا مع ذاته لا يقع زمانه في آنٍ واحد؛ وذلك يستوجب ألاَّ يُعتبر هو مُتزايدًا بجمع ما زال وبإدِّ مع ما هو حاضر في الحال. أمَّا السَّعادة فإنَّ لها معنى محدودًا، يبقى دائمًا ثابتًا فيما هو عليه. فإذا كان ثمة تزايد إلى جانب الزَّمن المتمدد فبمعنى ٢٠ زيادة سعادة على اعتبار فضيلة تزداد/ وتعظم؛ فلا تُمدح وفقًا لعدد سنوات سعادتنا، بل وفقًا لما حصل فينا من اكتمال في الفُضيلة، وذلك عندما يتمُّ لنا ذلك الاكتمال.

٧ ولكن إذا كان من الواجب أن ننظر إلى الحالة الحاضرة ولا نجتمع معها الحالة الماضية، فلماذا لا نفعل كذلك بالنسبة إلى الزَّمن، بل نحسب ما مضى منه مع ما هو حاضر، ونقول إنَّ الزَّمان قد ازداد؟ لماذا لا نقول إنَّه بقدر ما ازداد الزَّمان ازدادت السَّعادة؟ ٥ إنَّنا بذلك نقسِّم السَّعادة/ بتقسيمات الزَّمان؛ ثمَّ إذا عُدنا إلى ما هو عكس ذلك، وقسناها باللحظة الحاضرة، جعلناها غير قابلة للتقسيم. ثمَّ إنَّه ليس في حسابنا الزَّمن وما فات منه

- ١٠ حماقة؛ فإننا قد نُحصى عدد الأمور الماضية، كعدد الأموات مثلاً. ولكن أن نقول أن سعادة/ مضت لا تزال حاضرة، وأنها أشد من السعادة التي هي في الحال، فتلك هي الحماقة.
- ذلك بأن السعادة إنما تبدو أمراً ململماً متماسك الذات، في حين أن الزمان الذي يُضاف إلى اللحظة الحاضرة، فقد زال وفات. وبوجوه عام، إن ذلك الزائد من الزمان إنما يعني تبديد لوحدة ما حاصلة في اللحظة الحاضرة. وعليه بالصواب يُقال/ أن الزمان صورة للأبد. فإن النفس، فيما أصبح منها مبدداً في الزمن، تحاول أن تبطل الباقي فيها من العالم الأعلى؛ فإنها أخرجت من مقام الأبد وجعلت ما كان باقياً فيها من العالم الأعلى أمرها الخاص بها وحدها، ففقدته؛ لقد كان محفوظاً حتى الآن بفضل أصلها في العالم الأعلى، فأسمى الآن
- ٢٠ مفقوداً لأن كل شيء في النفس أصبح خاضعاً للتقلب. ولما كانت السعادة وفقاً للحياة الصالحة، فإن السعادة حتماً في حياة الأيس، وهي الحياة الفضلى. ولا تُقاس هذه الحياة بالزمان بل بالسرمديّة: فهنا لا زيادة ولا نقصان، ولا قياس بطول ما، بل الحاضر بالذات في خلوّه التام من المدة والزمان. لا يجمع بين الأيس والليس، بين الزمان والسرمد،/ حتى ولا بين الزمنّي المُستديم والسرمديّ الباقي، كما إنه لا يُمدد ما ليس فيه مدد؛ بل يجب أن يتخذ بجُمْلته. وإذا إتخذته هكذا، فلست تتخذ اللحظة اللامقسومة من الزمان، بل حياة السرمد، وهي ليست حياة مؤلفة من فترات زمنيّة متعدّدة، بل الحياة كلّها معاً قائمة بكلّ ما ينطوي عليه
- ٣٠ الزمان برميّه./

٨ وإذا قال قائل إن ذكرى الأمور الماضية، إذا بقيت حاضرة في الحال تزيد في سعادة من امتدّ به زمان السعادة، فما معنى تلك الذكرى؟ أعني بها ذكرى الفطنة التي حصلت فيما مضى؟ فيعود ذلك إلى أن صاحب تلك الفطنة أصبح أشد فطنة، ونكون نحن قد خرجنا/ عن موضوعنا؟ أو أعني بها ذكرى اللذة، فكأن السعيد في حاجة إلى مزيد من الفرح، ولا يكفي بالفرح بالذي لديه؟ ثم بماذا تكون ذكرى اللذة لذيدة؟ أين اللذة مثلاً في أن يذكر أحدهم أنه تناول البارحة غذاءً لذيذاً؟ وإذا مضى على ذلك، عشر سنوات، فالأمر أشد إثارة للضحك؛ وفيما يختص بالفطنة، ما هي اللذة التي أفيدها من تذكّري/ أنني كنت العام الماضي فطناً؟

٩ وإذا كانت الذكرى تقع على الحسنات، فكيف يكون ذلك الكلام كلاماً لا معنى له؟ بل إن هذه حال رجل ليس من حسنة لديه في وقته الحاضر، وإذ لم تتوافر له الحسنات الآن أخذ يسعى وراء ذكرى ما تيسر له منها في ما مضى.

١٠ ولكن طول الزمان يمكن من القيام بحسنات كثيرة، يجهلها من كان سعيداً لمدة قصيرة. لهذا فيما إذا جاز القول عن المرء بأنه سعيد إذا لم تكن سعادته ليتّضح بالكثير من الحسنات. أما القول بأنّ السعادة من طول الزمن وكثرة الأعمال فإنّه يعود إلى القول/ بأنّ السعادة جمع بين ما فات من الأمور والحوادث وبين شيء واحدٍ حاضرٍ في الحال. ولذلك افترضنا أولاً أنّ السعادة هي وليدة ساعتها الحاضرة؛ ثمّ نساءلنا فيما إذا كانت تزداد بازدياد الزمن. فالمطلوب الآن إذاً هو ما يلي: إنّ ثبات السعادة مدّة طويلة/ ألا يزيد في السعادة إذ يمكن الإتيان بالكثير من الحسنات؟ إن السعادة ممكنة في حال بطلان العمل، وإنّها حيثئذٍ ليست أقلّ منها في حال العمل بل أشدّ وأوفر، لهذا أولاً. ثمّ إنّ الأعمال لا تؤمن بحدّ ذاتها حسن الحال، بل إنّ حالتنا النفسية هي التي تخلع الحُسن على أعمالنا: فالحكيم الفطن يجني خيره إذ يعمل لا لأنّه يعمل ولا ممّا يطرأ عليه من حوادث، بل ممّا لديه هو في ذاته. / إنّ إنقاذ الوطن قد يتمّ على يد رجلٍ شرير، وقد يكون رجل آخر سبب فرحنا بإنقاذ الوطن. فليس الحادث في حدّ ذاته هو الذي يولّد الفرح عند الرجل السعيد، إنّما هي الملكة في النفس التي تحدث السعادة والابتهاج الذي ينشأ عنها. ومن جعل السعادة في الأعمال/ جعلها فيما هو غريب عن الفضيلة وعن النفس. فإنّ فعل النفس في التّفنّن، وهو فعل قائم في النفس بينها وبين ذاتها: ولهذا هو حقّاً الثبات في السعادة.

الفصل السادس

(١)

في الحُسن والجمال

١] إِنَّ الحُسْنَ فِي حَيِّزِ البَصَرِ بِخَاصَّةٍ، وَهُوَ أَيْضًا فِي حَيِّزِ السَّمْعِ يُدْرِكُهُ فِي تَسَاوُقِ الأَلْفَاظِ، كَمَا إِنَّهُ يَلْزِمُ المَوْسِيقَى فِي مَخْتَلَفِ أَنْوَاعِهَا. إِذْ إِنَّ الحُسْنَ كَامِنٌ أَيْضًا فِي الثَّغَمَاتِ وَالتَّوْقِيعَاتِ. ثُمَّ إِنَّ مَنْ يَرْتَفِعُ مِنْ مَسْتَوَى الإِحْسَاسِ إِلَى الْعَالَمِ الْأَعْلَى يُشْغَلُ بِالحُسْنِ فِي الْعَادَاتِ وَالْحَالَاتِ وَالعُلُومِ، كَمَا أَنَّ ثَمَّةَ/ حُسْنِ الْفَضَائِلِ. هَذَا وَسُوفَ يَتَبَيَّنُ هُنَا إِذَا مَا كَانَ فِي مَا عَدَا تِلْكَ الْأُمُورِ حُسْنٌ مَا.

فَمَا الَّذِي يَجْعَلُ البَصَرَ يُدْرِكُ الحُسْنَ فِي الْأَجْسَامِ، وَالسَّمْعَ يَسْتَجِيبُ إِلَى الحُسْنِ فِي الْأَصْوَاتِ، وَكَيْفَ يَتِمُّ الحُسْنَ فِي كُلِّ مَا لَهُ عِلَاقَةٌ مُبَاشِرَةٌ بِالنَّفْسِ؟ هَلْ لِلحُسْنِ فِي كُلِّ تِلْكَ الْأُمُورِ أَصْلٌ وَاحِدٌ لَا أَصْلَ سِوَاهُ، أَمْ الحُسْنَ شَيْءٌ أَنْ يَكُونَ فِي الْجَسَدِ/ وَشَيْءٌ آخَرُ أَنْ يَكُونَ فِي غَيْرِ الْجَسَدِ؟ وَمَا هِيَ تِلْكَ الْأَصُولُ الْمُخْتَلِفَةُ أَوْ ذَلِكَ الْأَصْلُ الْوَاحِدُ؟ رَبِّ أُمُورٍ لَا حُسْنَ لَهَا مِنْ ذَوَاتِهَا الْقَائِمَةِ بِهَا، بَلْ عَلَى سَبِيلِ الْمُشَارَكَةِ، مِثْلَ الْأَجْسَادِ؟ وَرَبِّ أُمُورٍ كَانَ حُسْنُهَا مِنْ ذَاتِهَا، مِثْلَ الْفَضِيلَةِ فِي حَقِيقَتِهَا. فَإِنَّ الْجِسْمَ الْوَاحِدَ يَدُو تَارَةً حَسَنًا وَطَوْرًا لَا حُسْنَ فِيهِ، فَكَأَنَّ أَيْسَ الْأَجْسَامِ شَيْءٌ/ وَأَيْسَ الحُسْنِ شَيْءٌ آخَرُ. فَمَا الَّذِي يَحْصِلُ إِذَا فِي الْأَجْسَامِ أَنْتِذَ فَيَجْعَلُهَا حَسَنَةً بِخُضُورِهِ؟ هَذَا هُوَ غَرَضُنَا الْأَوَّلُ فِي بَحْثِنَا هُنَا. مَا الَّذِي يُنْبِئُهُ أَنْظَارُ الْمُشَاهِدِينَ وَيَلْفِتُهَا إِلَى الْجِسْمِ، وَيَجْذِبُهَا نَحْوَهُ، وَيَجْعَلُهَا تَلَذُّ بِمُشَاهَدَتِهِ؟ حَتَّى إِذَا مَا عَثَرْنَا عَلَيْهِ، رَبَّمَا جَعَلْنَاهُ، ٢٠ مِرْقَاةً لِنُشَاهِدَ الحُسْنَ فِي مُسْتَوًى آخَرَ./

كَأَدِ النَّاسِ كُلُّهُمْ يُجْمَعُونَ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ تَنَاسُبَ بَعْضِ الْأَجْزَاءِ مَعَ بَعْضٍ وَتَنَاسُبُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكُلِّ، مَعَ لُطْفِ ألْوَانِ الْوَجْهِ أَيْضًا، هَذَا هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الشَّيْءَ جَمِيلَ الْمَنْظَرِ. فَإِنَّ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ لَا بَلْ الْأُمُورَ كُلَّهَا، جَمِيلَةٌ بِسَبَبِ مَا فِيهَا مِنْ تَنَاسُبٍ وَتَوَازُنٍ. وَإِذَا فَإِنَّ ٢٥ الحُسْنَ، عِنْدَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ، لَا يَتِمُّ لِلْبَسِيطِ، بَلْ لَا يَحْصِلُ إِلَّا فِي الْمُرْتَكِبِ حَتْمًا،/ فَضْلًا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الحُسْنَ هُوَ لِلْكُلِّ فِي رَأْيِهِمْ؛ أَمَّا الْأَجْزَاءُ الْفَرَعِيَّةُ فَلَا حُسْنَ لَهَا فِي حُدُودِ ذَوَاتِهَا، بَلْ فَقَطْ بِقَدْرِ مَا إِنَّهَا تُسَاعِدُ عَلَى أَنْ يَتِمَّ الحُسْنَ فِي الْكُلِّ. وَلَكِنْ إِذَا كَانَ الْكُلُّ

جميلًا، وَجِبَ حتمًا أن تكون الأجزاء أيضًا جميلة، فليس الحسن في الجمع بين أجزاء قبيحة،
 ٣٠ وإنما يشمل كل ما فيه من أجزاء/ . لهذا بالإضافة إلى أن الألوان الجميلة كضوء الشمس أيضًا،
 لا يقوم حسنهما على تناسب أجزاء لآنها بسيطة، فلا حظ لها إذا من الحسن عند القوم. والذهب
 كيف يكون جميلًا، وبرق الليل أو الكواكب، بم يبدو الحسن في كل ذلك؟ وفي ما يختص
 ٣٥ بالأصوات أيضًا، بات حتمًا وجوب إغفال البسيط منها، مع أن الصوت الواحد كثيرًا/ ما كان
 حسنًا في حد ذاته، معزولًا عن الأصوات التي يتألف معها في الجملة الموسيقية الرائعة. وإذا
 كان الوجه الواحد، لا يتغير وضع ما فيه من تناسب، فيبدو تارة حسنًا وطورًا قبيحًا، ألا يكون
 حسنه شيئًا آخر يُخلع فقط على ذلك التناسب، فيكون الحسن في التناسب من أصل يختلف عنه
 بالذات؟

٤٠ وإذا تجاوزوا/ كل ذلك إلى مجال الأمور العلمية والفكرية وحاولوا أن يلتمسوا حسنهما
 من قبل التناسب، فاين التناسب في الحسن الذي تتبينه في الأعمال والقوانين والمعارف
 ٤٥ والعلوم؟ وكيف يكون بعض النظريات متناسبة مع بعض؟ أيعنى أن بعضها موافق لبعض؟/
 فربَّ انسجام وتوافي في الآراء الفاسدة أيضًا. إن بين القول «العقّة للمغفل» وبين القول «العدل
 للأبله» تمام التوافق والانسجام. ثم إن لكل فضيلة حسن في النفس، وهي بأن تسمى حسنًا أولى
 ممّا سبق ذكره. فأين التناسب فيها؟ أمّا أنه ليس هنا تناسب كالذي في الأبعاد ولا كالذي في
 ٥٠ الأعداد، ولو كان للنفس أبعاد عديدة. / ولعمري، ما هو التناسب الذي بمقتضاه يتم التأليف
 أو المزيج بين أبعاد النفس أو بين مشاهداتها؟ والحسن في الروح؟ كيف يكون مع أن الروح
 وحده مع ذاته؟

٢ فلنعدّ إذا إلى ما كتنا عليه، ولنثبت أولًا ما هو الحسن في الأجسام. إنه لأمر يتبادر فيدرك
 لأول لحظة، تلمحه النفس لمحًا فتلفظ باسمه، ثم تعرفه فترحب به، وتكتيف وفقًا لما هو إن
 ٥ جاز القول؛ أمّا القبيح إذا قابلها، فإنها تنسحب أمامه وتتمتع عليه، وتردّه مستعربة في نفور.
 فنقول إذا إن النفس ما دامت هي على ما هي عليه في حقيقتها، وما دامت في جانب الذات
 المتعالية على أمور كلها، فإن ما تراه حيثنّ هو من جنسها أو أثر لما من جنسها؛ فتفرح به،
 وتطرب له، وتسحبه إليها، وتذكر ما هي عليه في صميمها وما هو منها في ذلك الصميم. فما هو
 ١٠ الشبه إذا بين وجه الحسن هنا ووجوه هناك؟ لنفترض أن ثمة تشابهًا، ما دام الشبه ثابتًا./
 فكيف يتم الحسن لما هنا ولما هناك؟ نقول: بالاشتراك في الأصل. فإن من شأن كل ما لا
 صورة له أن يقبل صورة مثلاً؛ وما دام لا حظ له من عقل ومثال فهو شيء قبيح منفصل عن قوة
 ١٥ العقل الإلهية. ولهذا لعمري/ مطلق القبح. كما إنه قبيح أيضًا ما لم يضبط بالصورة والعقل إذ

حالت الهيولى فيه بينه وبين تشكّله تشكّلاً تامّاً وفقاً للأصل .

يأخذ الأصل إذاً بالتّوتّر ممّا مفروض فيه أن يُصبح وحدة بوساطة التّأليف بين أبعاض
عديدة / فينظّمه بعضه مع بعض، ويحوّله إلى مركّب موحد، ويجعله شيئاً واحداً مُتساوفاً في
ذاته، إذ إنّ ذلك الأصل هو نفسه أمر موحد في ذاته، ولا بدّ للمنضبط بالصورة، من أن يُصبح
هو أيضاً شيئاً واحداً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لأنه مركّب من أجزاء عديدة، فاذا تمّت له
الوحدة، استوى الحُسن عليه وأمدّ من ذاته الأجزاء والكلّ معاً. أمّا إذا قابل الأصل شيئاً واحداً
في ذاته مُتجانس الأجزاء، فإنّه يمدّ بالحُسن الكلّ وحده. فما يتمّ في الأوّل يتمّ مثله في البيت/
بوساطة الفنّ، إذ يحلّ الحُسن بالبيت بكامله وبأجزائه معاً؛ وما يتمّ في الثاني مثل الذي يتمّ
لحجر وشجّته بالحُسن قوّة من قوَى الطّبيعة. وهكذا فإنّ الجسم جميل إذا بسبب اشتراكه في
عقل أناه من عالم الآلهة.

٣ إنّما يُدرك هذا الحُسن قوّة مُنسقة بالنّسبة إليه، تُصدر حُكمها في شؤونها وهي ريّة
الأمر، ولو كان ما سواها من التّقسيس يساهم في ذلك الحكم. وربّما كانت تلفظ، هي أيضاً،
باسم الحُسن لأنها تتكيّف وفقاً للأصل الذي يحاذيها فتستخدمه لإصدار حُكمها، كما تُستخدم
المسطرة لإقامة الخطّ. ولكن كيف يكون التّناسب بين ما هو في الجسم وبين ما هو / قبل
الجسم وفوقه. وكيف يوفّق البناء بين البيت القائم في الخارج ومثال البيت في الباطن، ثمّ
يحكم بالحُسن للبيت؟ ذلك لأنّ البيت القائم في الخارج، إذا صُرف النّظر عن الحجارة، إنّما
هو المثال الكامن في الباطن مُقسّماً بحسب حجم الهيولى الظّهر، فظّهر هو اللامقسوم موزّعاً
في الكثرة. فإذا ما أدركنا إذاً بالإحساس في الأجسام مثلاً يقبل / على ما يقابله الذي لا صورة
له، فيضمّ بعضه إلى بعضٍ ويأتيه من علّ فيضبطه ضَبْطاً محكّماً، أقول: إذا ما ادركنا صورة تبرز
مُشرقة على الصّور الأخرى، لممنا شعث ما كان مُشتتاً في الكثرة، وزفعناه وسقناه إلى السرج
الباطن بعد أن أصبح لا تقسيم فيه، ودفعناه إلى ذلك السرّ على أنّه يُناسبه ويوافقه ويُجانسه .
وهكذا يقرّ الرّجل الصّالح عيّنًا/ بارتسام الفضيلة في مظاهر العُلام، وهي تُوافق الأصل الحقّ
الكامن في باطنه. أمّا حُسن اللون فهو من البسائط بفضل الصّورة وبخُضور نور يقهر الظّلمة في
الهيولى، وهو نور لا جسديّ، كما أنّه عقل ومثال. ومن ثمّ فاقت النّار في حدّ ذاتها سائر
الأجسام حُسناً؛ فإنّها في مقام المثال بالنّسبة إلى العنصر الأخرى، في المُستوى الأعلى من
القضاء، / وهي أخفّ الأجساد كلّها لقرّبتها من اللاجسديّ. إلّا أنّها لا تدع لغيرها سبيلاً إليها،
مع أنّ غيرها يقبلها إذ إنّ ذلك الغير قابل للحرارة، أمّا هي فلا تبرد. وهذا وإنّ اللون يحصل أوّل
ما يحصل لها؛ ثمّ تأخذ عنها الأجساد الأخرى مثال اللون؛ فلا غرو إنْ أشرقت/ وسطعت، كما

هو شأن المِثَال. أما ما لا تستولي عليه، فيخمد نوره وينسحب الحُسن عنه، لآته قد خفَّ حظُّه بعد ذلك من مثال اللون. وأما الانسجام الكامن في الأصوات عند الغناء، فإنَّ الخَفْيَ منه يوَلِّد الظَّاهر الَّذي تسمعه، وبذلك يجعل النَّفس تُدرك الحُسن لمَحًا إذ أنه يدلُّها على ما هو قائمٌ في ٣٠ غيرها. / ومن ثمَّ انضباط التَّغَمُّات الَّتِي نُحسُّ بها يأتي وفقًا لقياس بأعداد منتظمة على تناسب معيَّن، لا على أيِّ تناسب، بل ذلك الَّذي يكون خاضعًا لفعل المِثَال وهو ساعٍ إلى فرض سيادته. لهذا وحسبنا الآن بذلك شرحًا حول ما من الأشياء الجميلة في العالم الحسِّي، فكأنَّها ٣٥ ارتسامات وأشباه فَرَّت وجاءت إلى الهيولى فنظمتها وظهرت/ أمانا فبهرتنا.

٤ أما الحُسن فيما فوق ذلك والَّذي عُزل الإحساس عن أن يناله، بل تُدركه النَّفس وتلفظ باسمه بعد إقلاعها عن الحواسِّ، فلا بُدَّ لمُشاهدته من أن ندعَّ الحواسِّ باقية في السَّفَلِيَّات ثمَّ نَعُدَّ إلى الارتقاء. وكما أنَّنا لا نستطيع أن نُبيِّر حُكمًا قطَّ على الحُسن في الأمور الحسِّيَّة ما لم نَرها ونُدرك الحُسن فيها،/ كما هو الحال عند من وُلد مكفوف البصر مثلاً، فهكذا أيضًا في ما يختصُّ بحُسن الأعمال عند من لم ينشرح صدرًا للحسن في الأعمال والعلوم وغيرها ممَّا يُشبهها، وفي ما يختصُّ ببهاء الفضيلة عند من لم يُدِّ له مظهر العدل/ والعفة في عجيب حُسْنه - «ولا حُسن النُّجْمَة في الصُّباح أو في المساء». لا بل إنَّه من الواجب على المُشاهد حينذاك أن يدرك بما تُدرك النَّفس عندما تُشاهد مثل تلك الأمور، فتشعر إذ تُشاهد بفرح وجذب وطرب شتان ما بينه وبين ما تمَّ لنا في ما سبق ذكره من المُشاهدات الحسِّيَّة: إنَّما نُبشِّر هنا ما هو ١٥ من عالم الحقائق/ بُهتان، وجذب حلو ورغبة، وعشق ورعدة مع لذة: تلك هي الانفعالات الَّتِي يجب أن تُشعر بها عند مُقابلتنا للحُسن إذا تَمَّت. وهي انفعالات من شأنها أن تكون، وتُخبرها النفوس كُلُّها حتَّى في ما لا يُرى من الأمور إذا جاز لنا القول؛ على أنَّ أشدَّ النفوس بها ٢٠ خُبْرًا هي نفوس أشدهم حبًّا وهيامًا، كما هو أمر الحُسن في الأجساد/ : فإنَّ الجميع يرونه، ولكنَّ لوعته ليست على السَّواء عندهم، بل منهم من كان شعورهم بها أقوى وهم الَّذي يوصفون بالعشق.

٥ ولكنَّ ينبغي أن نسأل الَّذين يشعرون حتَّى تجاه اللامحسوس: أما عسى أن تشعروا به قبل ما إسمه حُسن الأعمال والسلوك وعِفَّة الطَّبع وبوجه الإجمال قبل الصَّلاح في العمل والاستعداد الرُّوحِيّ وقبل الحُسن في النَّفوس؟ وعندما تُشاهدون الحُسن عندهم، في ٥ بواطنكم، فما عسى/ أن تشعروا به؟ علامَ تلك التَّشوُّع وذلك الاهتزاز، ولماذا ذلك الشُّوق عند كُلِّ منكم إلى أن يكون مع ذاته متجمِّعًا بعد انسحابه عن الجسد؟ فالواقع هو أنَّ هذا ما

يَشعر به من كان عاشقًا حقًا. وما عسى أن يكون هذا الذي يشعرون به ذلك قبله؟ إنّه ليس شكلاً
 ١٠ ولا لونًا ولا حجمًا ما، بل إنّها النّفس المُنزّهة عن اللون/ المُنطوية على العِقة المنزّهة عن اللون
 أيضًا، وعلى بهاء الفضائل الأخرى، كل ما تبتّونه في أنفسكم أو تشاهدونه عند غيركم إذا تمّ:
 عظيمة النّفس، وسلامة الطّوية، والعِقة الصّافية، والشّجاعة في مظهرها المُنطبع بالمرّة،
 ١٥ والوفار والتّهيب المُسترسَل في حالة الهدوء/ والارتياح والاطمئنان، وفوق ذلك كلّ الرّوح
 السّاطع الرّبّاني الأصل. هذه هي الأمور الّتي نَميل إليها ونحبّها؛ فبأي معنى نَحكم لها
 بالحبّس؟ إنّها في الأعيان حقًا وإنّها لتبدو هُكذا، ولا يراها أحدٌ إلّا ويحكم لها بالأيّس حقًا.
 وما معنى أنّها أيّسات حقًا؟ - إنّها جميلة. والعقل، مع ذلك، يَربغ في أن يَعرف كيف يَجعل
 ٢٠ أيّسها/ النّفس مُستحبّة. فما هذا الّذي يَنشر على الفضائل كلّها ساطعًا كالنّور؟ وما الرّأي لو
 عمدنا إلى أضداد تلك الفضائل، أعني قبائح النّفس، فأثبتناها بما يَنفيها؟ فربما ساعدت حينئذٍ
 على إدراك مَطلوبنا مَعرُفُنا للقبح ما هو ولماذا ظَهر.

٢٥ فلنفترض إذا نفسًا قبيحة/ لا عِقة فيها ولا عدل، تزدحم فيها الأهواء والفوضى، يُلازمها
 الخوف لُجبِها والحسد لُسُخفها؛ فهذه كلّ فطانتها، إن كان ما لديها من ذلك فطانة، مُركّزة
 على الأرضيات والدنيويات؛ كلّها عرج وانحراف؛ إنغمست في اللذّات القذرة وهي تحيا حياة
 ٣٠ ما يتأثّر بانفعال الجسد على أنّه لذيق مع أنّها أفسحت بذلك للقبح السبيل إليها. / ألا يصحّ لنا أن
 نقول حينذاك أنّ ذلك القبح ورد على تلك النّفس شرًّا دُخيلًا، فشوّها وجعلها نجسة يصحبها
 الكثير من الشرّ، فلا صَفاء في حياتها ولا في إحساسها، بل تحيا حياة أظلمت بسبب امتزاج
 ٣٥ الشرّ فيها/ وقهرتها أسباب الموت قهرًا، فما ترى بعد ما شأن النّفس إن تراه وما عاد يُتاح لها أن
 تبقى في ذاتها لأنّها مَجذوبة إلى ما هو غريب عنها، إلى العالم الأدنى، عالم الظّلمات؟
 أصبحت نجسة إذا، فأخذت تتداولها من كلّ صوب وناحية جواذب ما يقع تحت الحبّس،
 ٤٠ وانطوت على جانب قويّ من لوازم الجسد، كما إنّها تفتّحت للهوى/ فزادت في اتّصالها بها،
 فأدّى بها كلّ ذلك إلى أنّها تشكّلت بأصل غير أصلها بسبب اختلاطها هذا مع ما هو دونها.
 فَمَثَلُها مثلُ رجلٍ إنغمس في الطّين والوحل، فما عاد يَظهر الحبّس الذي كان عليه، بل يرى منه
 ٤٥ ذلك الّذي تَلطّخ به من وحلٍ وطنين. فإنّ القُبْح عنده، / أمرٌ عارض غريب ورد بالإضافة؛
 فشأنه، حتّى يَستردّ جماله، أن يَشْتَغِلَ بذاته فيَغْتَسِلَ ويتطهّر فيَعود إلى ما كان عليه. حينما قلنا إذا
 أنّ النّفس قبيحة بسبب اختلاطها وامتزاجها واتّجاهها نحو الجسد والهوى، فبالصواب نَطقنا؛
 ٥٠ ولهذا القُبْح للنفس هو ألا تكون نقيّة صافية صفاء اللّذهب، بل مغمورة بالأخبثات؛ / فإذا أزيلت
 الأخبثات بقي اللّذهب وبرز حُسنه بعد تنقيته، قائمًا وحده مع ذاته. ولهذا ما يَتِمُّ للنفس؛ إذا
 جُرّدت من الأشواق الّتي أتتها من الجسد بسبب شدّة اتّصالها به، وإذا حرّرت من الانفعالات

٥٥ الأخرى، / وطُهرت ممّا حصل فيها من وراء انسباها في الجسد، وأقامت وحدها مع ذاتها، خلعت عنها كلّ القبح الذي لحق بها من فطرة غير فطرتها.

٦ فإنّ العفة والشجاعة والفضائل كلّها والفطنة ذاتها، إنّما هي تطهيرات، كما قال الأوائل؛ ولذلك كانت الشعائر السريّة على صواب حينما تُشير بتعليمها السريّ إلى أنّ من ليس مُطهّرًا مقامه الموحل في «منزل الأموات». لأنّ غير الطاهر تجعله زدائه يميل إلى الموالح، مثلما إنّ الخنازير/ التجسة الأجسام تجلّد لذتها في الأقدار. فهل عسى أن تكون العفة غير قطع كل صلة عن ملذّات الجسد، والهرب من تلك الملذّات على أنّها ليست طاهرة ولا لظاهر؟ أمّا الشجاعة فهي عدم الخوف من الموت، والموت مُفارقة النّفس للجسد، ولا يخاف ذلك من يحبّ/ أن يكون وحده مع ذاته. ثمّ إنّ الكرامة هي احتقار الدّنيا؛ والفطنة تفكّر في العدول عن الدّنيويات للارتفاع بالنّفس إلى ما فوق. فإنّ النّفس، بعد تطهيرها إدا، تُصبح مثلاً وعقلاً، وتُمسي مجردة عن الجسد كلّ التجرّد وتُضحى روحانيّة كلّها، وهي حينئذ برمتها من العالم الرّبانيّ حيث مميّن الحُسن ومصدر كلّ ما كان من جنسه. / ويقدر ما ترتفع النّفس وتحوّل إلى الرّوح، يزداد حُسنها. على أنّ الرّوح وما كان من قبّل الرّوح هو هو الحُسن للنّفس، وهو حقيقتها وليس شيئاً دخيلاً عليها، لأنّ النّفس عند ذلك تكون حقّاً نفساً ليس غير. ولذلك يُقال على صواب إنّ الخير والحُسن للنّفس في كونها شبيهة بالله، إذ أنّ من الله الحُسن والجانب الآخر وهو جانب الحقّ. / او بالأحرى إنّ جانب الحقّ هو الحُسن، والجانب الآخر المُخالف هو القبح، وهو الشّرّ الأصل، بحيث يكون الجانب الأوّل خيراً وحسناً بمعنى واحد أو يكون كل من الخير والحُسن بمعنى واحد أيضاً. فإنّا إذا نكتشف الخير والحُسن بمثل الطّريقة التي نكتشف بها القبح والشّرّ. فالحُسن في المَقام الأوّل، / على أنّه هو الخير أيضاً، ومن لَدَيْهِ مُباشرة، يصير الرّوح عين الحُسن، ثمّ يتمّ الحُسن للنّفس بوساطة الرّوح؛ أمّا الحُسن في ما بعد ذلك، أعني الحُسن في الأعمال والمعاملات، فإنّما هو ممّا كَيْفَتُهُ النّفس بصورتها؛ والأجساد أخيراً، تلك التي توصف بالحُسن، هي النّفس التي تخلع الحُسن عليها أيضاً: ذلك لأنّها أمر ربّانيّ وشيء كأنّه بعض الحُسن؛ / وما دامت كذلك فإنّ كلّ ما تباشره ويُصبح في قبضتها، تخلع عليه الحُسن بقدر ما في إمكانه أن يكون له حظّ منه.

٧ لا بدّ إذا من أن نعود ونرتقي إلى الخير الذي ترغّب فيه كلّ نفس. لقد أدرك كلّ من رآه ما أقول وكيف أنّه حسنّ. فهو مرغوب فيه على أنّه الخير، وإليه تتّجه الرّغبة؛ وإنّما نُذكره إذ نرتفع إلى العالم الأعلى، وننوّجه نحو هذا العالم ونتجرّد ممّا لَيْسَنا أثناء هبوطنا، / كما أنّ لا بدّ

للمصاعدين إلى أقداس الهياكل من أن يتطهروا ويخلعوا ما عليهم من ثياب، فيتقدّموا عُراة
مجرّدين . فإذا ما تجاوزنا في ارتقائنا كلّ ما هو غريب عن الله، شاهدنا بذاتنا وحدها ذلك
القائم بتفرّده وحده، في صفائه وبساطته وقداسته، هو الذي يرتبط به كلّ شيء، والذي فيه تحلّق
١٠ ببصرها الأشياء كلّها فتحرز/ أيسها وحياتها وعُرفانها بالروح، إذ إنّهُ هو علّة الأيس والحيّة
والروح . فالذي يُشاهده إذًا، ما أعظم ما يكون عشقه له، وما أعظم ما يكون حنينه إليه؛ إذ يودّ
أن يتّحد به . ثم ما أعظم ما يكون الطرب حينذاك مع اللذة التي تصحبه . ذلك لأنّ الذي لم يتمّ
١٥ له أن يُشاهده، فشأنه منه شأن من يرغب في الخير . أمّا الذي شاهده، فشأنه أن يُسحّر بحُسنه، /
وان يملك البهتان والفرح عليه أمره، وأن يشعر بالاضطراب البريء من كلّ ضرر، وأن يؤخّذ
بالعشق الحقّ، وأن يسخر بالرغبة المبرّحة، وبكلّ عشق آخر، وأن يحتقر ما كان يظنّ فيه حُسنًا
في ما مضى .

٢٠ بمثل ذلك شعر الذين تمّ لهم أن يُشاهدوا أحد الآلهة أو أمرًا ربّانيًا، فانقلبوا لا يرضون/
بعد ذلك بحُسن الأجساد الأخرى . فما رأينا لو أنّ أحدهم شاهد الحُسن في ذاته «صافيًا غير
ملطّخ بالشّرّيات» أو الجسّميات، لا على الأرض ولا في السماء بحيث يبرز تنزيهه وتقديسه .
(فإنّ تلك الأمور دخيلة، وهي من الشوائب وليست أوّليّة، بل تُستمدّ جميعها من الملاء
٢٥ الأعلى). / أقول: ما رأينا لو أنّا شاهدنا ذلك الذي يورّج الحُسن على كلّ شيء، ويمدّد
بالحُسن كلّ شيء، باقيًا هو في ذاته لا ينال شيئًا من غيره، ولو بقينا هكذا في مُشاهدته نتمتّع
به ونُحوّل إليه، فهل نعود في حاجة إلى حُسن ما؟ لأنّه هو الحُسن الأعظم وهو الحُسن
٣٠ الأصلي، يخلع الحُسن على من يُحبّونه، ويَجعلهم هم أيضًا أهلًا للحبّ. / في سبيل ذلك
«باشرت النفس جهادها الأكبر الأسمى» الذي من أجله كابدت ما كابدت، حتّى لا تُحرم حظّها
من المُشاهدة العظيمة التي تُسعد من فاز بها إذ أنّها حينذاك تتمتّع بالرؤية المسعّدة؛ والشقيّ حقًا
من لم تتمّ له . ذلك لأنّ الشقيّ ليس من لا يدرك الحُسن في الألوان والأجساد، لا وليس من لم
٣٥ يحظّ بالسلطات ومقامات الجاه والعروش، / بل الشقيّ من فاته إدراك ذلك الحُسن وذلك
الحُسن وحده . وفي سبيله يجب أن يضحيّ بالعروش وبالسّيادة على الأرض كلّها، وعلى البحار
وعلى السّماء، إذا كان في التخلّي عنها والرّهد فيها ما يؤمّن الفوز بروياه بعد توجّيه الوجه إليه .

٨ ولكن كيف تكون هذه الرّؤية وما السبيل إليها؟ كيف يُشاهد ذلك الحُسن العظيم وهو
كالمُتمتّع وراء أعتاب قدّس الأقداس ولا يُقبّل إلى الخارج بحيث يُشاهده من لم يكن من
خواصّه . فلنأخذنّ في السّير إذًا، ولنلتحقنّ بذلك الحُسن، حتّى ننتهي إلى دخيلته إذا
٥ استطعنا إلى الأمر سبيلًا، ولنندعّن المُبصرات وراءنا ولا نلتفتنّ بعد ذلك إلى بهجة/
و لكن كيف تكون هذه الرّؤية وما السبيل إليها؟ كيف يُشاهد ذلك الحُسن العظيم وهو

الأجساد. فالواجب عند إدراكنا للحُسن في الأجسام ألا نتهافت إليه، بل ننبّه إلى أنه ارتسام وأثر وظلّ، فنفرّ إلى ذلك الذي هو أصل الارتسام. لأنّ من أسرع إلى ذلك الحُسن في الأجساد قاصداً أن يمسك به على أنّه الحقّ، حدث له ما حدث لذلك الرّجل الذي تُشير إليه القصة ١٠ المُختلّفة فيما أذكر: رأى صورة جميلة تطفو على وجه الماء، فأراد أن يقبض عليها/ فرمى بنفسه في عباب النّهر، فاختفى. ولهذا ما يتمّ لا محال لِمَن أخذ بحُسن الأجساد ولم يعدل عنه: إنّ ليهوي لا في جسده بل في نفسه إلى أسافل الظّلام التي تتنافى مع الرّوح، فيُقيم في منزل ١٥ القمء والأموات، يُعاش الأشباح القائمة، كما كان يُعاشها هنا. /

«فلنفرّ هاربين إذا إلى الوطن المَحَبوب»: هذا أصحّ ما يُمكن أن تُنبّه إليه. ولكن ما هو ذلك الفرار وكيف يتمّ لنا الرّحيل؟ على التّحوّل الذي تمّ لأوديسوس، إذ ألق عن السّاحرة «كركيس» وعن كالوكيس كما قال الشّاعر وهو يُشير بذلك، في ما أرى، إلى معنى سرّي وهو أنّ الرّجل لم يرضَ بالبقاء معهما بالرّغم ممّا كان يجد عندهما من مُتعة للنظر ومن ٢٠ حُسن يلدّ لإحساسه. / إنّ وطننا هو المَلأ الأعلى: فمن هُناك جئنا، وهنالك نَجِد أباَنَا. وما هو ذلك السّفَر والهَرَب؟ إنّهُ لن يتمّ لك سيرا على الأقدام. فالأقدام تنقلك دائماً من أرض إلى أرض. كما أنه لا ينبغي عليك أن تُعدّ له المراكب التي تجرّها الخيول أو تُسير على متن البحر؛ بل الواجب أن تتخلّى عن تلك الأمور ولا تنظر إليها، فتنبّه فيك،/ بدلاً عن بصرك الحسّي، بصراً آخر، متوافراً لكلّ منّا ولكن قلّ من يستعمله.

٩ وما عسى ذلك البصر الباطن أن يرى؟ إنّهُ عند تنبّهه لا يتمّ له القوّة على النّظر إلى الأمور السّاطعة؛ فلا بدّ للنفس من أن تعودّه أوّلاً على مُشاهدة الحُسن في المُعاملات، ثمّ في الأعمال؛ لا تلك الأعمال التي يُخرجها الفنّ، بل أعمال من نعتبرهم من أهل الفضل والصّلاح. ٥ ثمّ تَحَوّل بذلك البصر إلى نفس/ ذوي الحَسَنات. وكيف يتمّ لك أن تُدرك الحُسن لدى النّفس الصّالحة؟ عُدّ إلى نفسك وانظر! فإذا لم ترَ الحُسن فيها، إعمد إلى ما يعمد إليه التّحّات: إنّهُ يُقْبَل على التّمثال الذي لا بدّ من أن يَخْرُج جميلاً، فيقطع تارةً ويحِفّ ١٠ طوراً ويمسّس وينظّف حتّى يُقابله الحُسن في التّمثال. / وهكذا أنت أزل ما عندك من فضول وسدّد ما كان فيك مُعوجّاً، طهّر ما أظلم عندك واجعله نيراً لامعاً، ولا تكلّ عن نحت تمثالك «حتّى يسطع أمامك بهاء الفضيلة في ربّانيّته، وترى فيك العِقّة وقد انتصبت على قاعدتها الصّافية المُقدّسة».

١٥ فإذا أصبحت هكذا ورأيت ذلك،/ وكنت صافياً لنفسك واحداً معها، وارتفع كلّ حائل بينك وبين أن تتوحّد هكذا، وما عاد في باطنك أمراً غريباً عنك يُخالطك في سريك، بل كنت

بتمامك نورًا حقًا فقط (لا نورًا يُقاس بحجم أو يحدّد بشكل ، وإذا كان غير مُحدّد، فهو دائمًا
 ٢٠ خاضع لحجم لا نهاية لقابليته في الامتداد/) ، بل نورًا مترهًا عن كلّ قياس، لأنّه أعظم من كلّ
 قياس وفوق كلّ كمّ: فإذا شاهدت نفسك إذا وأنت كذلك، فإنّك أنت بذاتك نظر، على يقين
 من ذاتك، ثمّ لك الارتقاء على بقائك هنا، ولست الآن في حاجة إلى دليل. بل انظر ولا تلو
 ٢٥ على شيء. فإنّ تلك العين وحدها هي التي تُدرك الحُسن الأعظم. / لكن إذا همّت بالمُشاهدة
 وهي رمضاء لم تُطهر من أقدارها، أو كانت ضعيفة، يحول ما فيها من عجز بيننا وبين أن ننظر
 إلى الساطعات النيرات، فإنّها لن ترى ولو دلّها غيرها على ما يُمكن مشاهدته وهو حاضِر. إنّ
 ٣٠ المُشاهدة تقتضي تجانسًا بين الناظر والمنظور وثباتًا في حال التشابه بينهما؛ / لن تَرَيَنَّ الشمس
 عين ما لم تُصبح مثل الشمس، ولن تُشاهدنَّ الحُسن نفس ما لم يكن الحُسن لها. فليُبادرن إذا
 ويصبحن ربانيًا في الحُسن من أحسنّ عنده مِلاً إلى أن يُشاهد الإله والحُسن. هذا وإنّه في ارتقائه
 ٣٥ ينتهي إلى الرّوح أوّلاً، ويُدرك هنالك الحُسن في الأصول كلّها ويحكم بأنّ الحُسن/ هو هذا،
 أعني الأصول. فإنّ كلّ حُسن بها منها يكون إذ أنّها هي مولّدات الرّوح وحقيقته بالذات. أمّا ما
 بعد الرّوح، فالحقيقة التي نسمّيها الخير: فالحُسن لديها، ومنها يشعّ. فإذا أجملنا الكلام إذا،
 قلنا أنّ تلك الحقيقة هي الحُسن الأوّل؛ أمّا إذا ميّزنا بين الرّوحانيّات، فلنّا نعتبر أنّ عالم
 ٤٠ الأصول هو الحُسن الرّوحاني، وأنّ ما وراءه هو الخير، وهو مُعين الحُسن ومهده. أو أنّنا
 نعتبر الخير والحُسن الأوّل واحدًا، على أن يكون الحُسن في كلّ حال، قائمًا في الملاء الأعلى.

الفصل السابع

(٥٤)

الخير الأوّل والخير في الأمور

١ هل عسى أن يكون الخير للكائن في غير قيام الحياة بفعلها وفقاً لما تقتضيه الطبيعة؟ وإذا كان الكائن مؤلفاً من عناصر كثيرة، أليس الخير بالنسبة إليه قيام أفضل ما فيه بالفعل الخاص به وفقاً للطبيعة دائماً وبدون إهمال ناحية قطّ من نواحيه؟ وإذ إنّ خير النّفس الموافِق لطبيعتها هو قيامها بالفعل الخاصّ بها. وإذا كانت/ النّفس تعمل في سبيل الأشرف وهي في أشرف مقام، فإنّ ذلك الشرف ليس خيراً بالنسبة إليها فقط، بل هو الخير على وجه الإطلاق. وإذا كان أمر لا يُعمل في سبيل غيره لأنّه هو أشرف الأمور ووارءها، بل كان سواء يسعى إليه، فواضح أنّه هو الخير وعن سبيله يكون لما سواه حظّ من الخير. على أنّ هذا الحظّ من الخير الذي يتمّ للأمور الأخرى - بقدر ما يتمّ لها هكذا/ - إنّما يتمّ لها على وجهين: الأوّل بأن تشبّه بالخير الأشرف، والثاني بأن تتوجّه إليه أثناء قيامها بأفعالها. وإذا كان في الرّغبة وفي القيام بالفعل موجهين نحو شرف خير ما، لزم حتماً ألا يوجّه الخير وجهه أو يهدف إلى غيره، بل أن يكون المعين القائم في طمأنينته، أصلاً بحكم/ الطبيعة لكلّ فعل يُقام به، هو الذي يخلع على الأمور الأخرى هيئة الخير، لا بأن يتوجّه بفعله إليها - إذ الأخرى أنّها هي التي تتوجّه بفعلها إليه - لا بوساطة فعل منه إذّا، ولا بوساطة العُرفان، بل بأنّه قائم بذاته في ما هو عليه. ذلك لأنّه ما دام وراء عالم الأيس، فإنّه أيضاً وراء مجال الفعل، وراء عالم الرّوح والعُرفان. / فلا بدّ إذّا من أن نعود إلى اعتبار الخير على أنّه ما يتعلّق به كلّ شيء ولا يتعلّق هو بشيء، وعندها يصحّ القول حقّاً: «أنّه ما يهدف إليه كلّ شيء». ينبغي أن يبقى ثابتاً في ما هو عليه، وإليه يوجّه كلّ شيء وجهه، على نحو ما بين الدائرة ومركزها، منه تنبعث أشعتها كلّها. وكذلك أيضاً على قياس الشّمس من حيث أنّها مركز للنور/ الذي ينبعث منها ويبقى متصلاً بها، فمن آية ناحية قابلته كان معها لا ينفصل عنها، وإذا حاولت فصله من جهة ما، وجده هو أبداً في جانب الشّمس.

٢ ما هو وضع الأمور الأخرى بالإضافة إلى ذلك الخير؟ إنّ الجوامد موجهة نحو النّفس،

أما النَّفْس فهي مَوْجَّهة نحو الخير بوساطة الرُّوح . على أَنَّ لكلَّ من الجوامد جانبًا من ذلك الخير، بقدر ما إنَّه من وجهه ما واحد وأيسر ولأنَّه أيضًا له حظٌّ من المثال التَّوعِي . ومثلما أنَّ له حظًّا من هذه الأمور الثلاثة، فله أيضًا حظٌّ من الخير : فهذا الحظُّ إذاً هو حظٌّ من الارتسام، إذ أن ما لكلَّ من الجوامد حظٌّ منه إنَّما هو ارتسام الأيسر وارتسام الواحد، / كما أنَّ المثال التَّوعِي أيضًا هو ارتسام . أما في النَّفْس فالحياة أقرب إلى الحقِّ، ولا سيَّما في النَّفْس الأولى التي تلي الرُّوح مباشرة، وهي تَشْيع بهيئة الخير بوساطة الرُّوح . إنَّما يتمُّ لها الخير عندما تُوجَّه وجهها نحو الرُّوح الذي يلي الخير قوِّرا، فالخير إذاً هو لحياة لمن كان له حياة، وهو الرُّوح لمن كان له حظٌّ من الرُّوح، ومَنْ توافرت له الحياة مع الرُّوح، أخذ الخير من / وَجَّهين .

٣ إذا كانت الحياة خيرا، فهل يتمُّ الخير لكلِّ حيٍّ؟ كلا بل الحياة في الرَّدِيء حياة كَسْحاء، ومثل البَصَر عند من لا يرى بوضوح؛ فإنَّها حينئذٍ لا تقوم بعملها على وجه صحيح . - وإذا كانت الحياة، على امتزاجها بالشرِّ، هي الخير بالإضافة إلينا، فكيف لا يكون الموت شرا؟ - ونقول يكون شرا لمن؟ فإنَّ الشرَّ إذا حَدَث، حَدَثَ حتماً لأحد، / أما المائت الذي زال أو لا يزال موجوداً ولكنه محرومٌ من الحياة، فإنَّه يناله الشرُّ بأقلِّ ممَّا ينال الحجر . وإذا بقيت الحياة وبقيت النَّفْس بعد الموت، فالموت خير ولا سيَّما أنَّ النَّفْس تُصبح حينئذٍ بلا جسد فتزداد قوَّة على القيام بأعمالها؛ وإذا أصبحت من النَّفْس الكُلِّيَّة، فأَيُّ شرٍّ يُخشى عليها من المَوْت ما دامت مُقيمة هنالك؟ وبوجه الإجمال كما أنَّ كلَّ ما لدى الأرباب خير لا شرَّ معه، / فذلك ما يكون في النَّفْس التي حافظت على صَفاء حقيقتها . أمَّا إذا لم تُحافظ على ذلك الصَّفاء، فالشرُّ لها ليس الموت بل الحياة . وحَتَّى لو كان في منزل الأموات عِقَاب، فإنَّ الحياة في ذلك المنزل أيضًا شرٌّ للنفس لأنَّها لا تكون حياة ليس أكثر .

١٥ لهذا وإذا كانت الحياة إنَّحاداً بين النَّفْس والجسد، وكان الموت انفصال كلِّ منهما عن الآخر، / فالحياة والموت عند النَّفْس قابلة لكلِّهما على السَّواء .

- ولكن إذا كانت الحياة صالحة فاضلة فكيف لا يكون الموت شرا؟

- نعم إنَّ الحياة خير لمن كانت حياته صالحة فاضلة، ولكنَّها ليست خيراً على أنَّها جمع بين النَّفْس والجسد، بل لأنَّها تدفع الشرَّ بوساطة الفضيلة . والموت، مع ذلك، خير منها . ٢٠ وبكلام أصحَّ / إنَّ الحياة في الجسد شرٌّ في حدِّ ذاتها؛ وإذا كانت النَّفْس ثابتة في الخير، فالفضل في الأمر راجع إلى الفضيلة، إذ أنَّ النَّفْس حينئذٍ لا تَحيا بحياة المركَّب، بل بحياة تؤدِّي بها إلى حال المُفارقة والانفصال .

الفصل الثامن

(٥١)

ما هو الشرّ وأين معدنه؟

١ إنّ الذي يَبحث عن معدن الشرّ، سواء أكان مُنتشرًا في الأعيان كلّها، أو كان مُنحصرًا في صنف خاصّ من أصنافها، فيَجدر به أن يُباشر عمله بطلب ماهيّة الشرّ وحقيقته. وبذلك نعرف من أين يأتي الشرّ، وأين يحلّ وفي أي شيء يحدث، / كما أنّا، بوجه عامّ، نستويق من وجود الشرّ في الأشياء. لكنّ بآية مَلَكَة ثابتة فينا نُدرك حقيقة الشرّ إن كانت المعرفة إنّما تتمّ بواسطة مماثلة بين العالم والمعلوم؟ هذه هي المُشكلة هنا. إنّ الرّوح والنفس من المُثل فيهما تتمّ معرفة المُثل، وهما أبداً موجّهان إليها بنزعتيهما؛ / أمّا الشرّ، فكيف تصوّره مثالا وهو يظهر لنا في الحرمان من كلّ خير؟ بل إذا قيل أنّه ما دامت الأضداد تُدرك بعلم واحد، وما دام الشرّ ضدّ الخير، فإنّ العلم بالخير هو بالذات علم بالشرّ، تحتم عندئذٍ على من يسعى إلى العلم بالشرّ أن ينفذ ببصيرته إلى حقيقة الخير؛ / لا سيّما أنّ الأفضل هو فوق ما دونه وهو مثال، في حين أنّ ما دونه ليس كذلك بل هو حرمان من المثال. على أنّ ثمة أيضًا سؤالاً وهو كيف يكون الخير ضدّ الشرّ؟ أيمعنى أنّ بينهما ما بين الأوّل والآخر، أم ما بين المثال والحرمان منه؟ لهذا بحث نرجئه مع ذلك/ إلى حينه.

٢ فالرّأي الآن أن تُثبت حقيقة الخير ما هي، بقدر ما يليق بهذا المقام على الأقلّ. إنّ الخير هو ما به يتعلّق كلّ شيء، وإليه تَهْدَف الأشياء كلّها على أنّها تجد فيه أصلها وعلى أنّها في حاجة إليه. أمّا هو فليس به حاجة إلى شيء إذ يكتفي بذاته، ولا يعوزه شيء؛ إنّهُ لكلّ شيء قياسه وحده؛ / فالرّوح من أمره، والأيس والنفس والحياة، بل والأعمال المتعلقة بالرّوح كلّها من لدنّه. إليه يَتَهيّ مجال الحُسن في الأمور، وهو فوق الحُسن، ووراء أفضل الأمور؛ له السُّلطان المُطلق في العالم الرّوحانيّ. حيث يُقيم الرّوح الذي لا يجمع شيء بينه وبين ما تعتبره روحًا وفقًا لما ندّعي أنّه عندنا من ذلك الرّوح. وأعني (بما ندّعي أنّه عندنا من ذلك الرّوح) روحنا نحن، / الذي يحفل بالقضايا والمقدّمات، ويستطيع إدراك ما في مجال الطُّطق، ويعتمد إلى

طُرُق الاستِدلال، ويُنظر في قُوَّة النَّتائج، كَأَنَّهُ بِهِذِهِ القُوَّة يَصِل إلى مُشاهدة الأُمور - تِلْكَ الأُمور الَّتِي لَمْ تَكُن لَدِيهِ أَوَّل الأَمْر، بَلْ كَانَ خُلُوعًا مِنْهَا قَبْل أَنْ يُدْرِكَهَا مَعَ أَنَّهُ رُوحٌ أَوَّلًا وَآخِرًا.

١٥ أَمَّا الرُّوحُ هُنَاكَ فَلَيسَ كَذَلِكَ / : إِنَّ لَدِيهِ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ، حَاضِرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِحُضُورِهِ إلى ذَاتِهِ؛ كُلُّ شَيْءٍ لَدِيهِ، لَا بِمَعْنَى أَنَّ مَا لَدِيهِ غَيْرَ مَا هُوَ، فَيَكُونُ مَا لَدِيهِ شَيْئًا وَيَكُونُ هُوَ شَيْئًا آخَرَ، كَمَا إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُمْتَزِّعٌ عَنِ شَيْءٍ آخَرَ غَيْرِهِ، بَلْ هُوَ الْكُلُّ فِي شَيْءٍ وَالْكُلُّ مِنْهُ بِجُمْلَتِهِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ؛ وَبَعْضُ ذَلِكَ الْكُلِّ لَيْسَ مُشْتَبَهًا بِبَعْضٍ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ يَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ وَلَكِنْ بِمَعْنَى يَخْتَلِفُ عَنِ التَّمَيَّزِ الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ؛ هَذَا فَضْلًا عَلَى أَنَّ مَا لَهُ حِظٌّ فِي كُلِّ تِلْكَ الأُمُور، لَا يَشْمَلُهَا حِظُّهُ كُلُّهَا مَعًا، بَلْ يَنَالُ مِنْهَا بِقَدَرٍ مَا فِي طَاقَتِهِ. / فَذَلِكَ الرُّوحُ هُوَ الْفِعْلُ الْأَوَّلُ لِلْخَيْرِ،

وَالذَّاتُ الْأَوَّلَى، إِذْ أَنَّ الْخَيْرَ يَبْقَى هُوَ هُوَ فِي ذَاتِهِ، عَلَى أَنَّ الرُّوحَ يَفْعَلُ مُتَعَلِّقًا بِهِ بِحَيْثُ تَكُونُ حَيَاتُهُ كَأَنَّهُا دَوْرَانُ حَوْلِهِ. أَمَّا النَّفْسُ، وَهِيَ فِي حَلْبَةِ الرَّقْصِ حَوْلَ الرُّوحِ تَدُورُ، فَإِنَّهَا تُحَدِّقُ إِلَيْهِ وَتَنْفِذُ بِصَرِّهَا إِلَى دَخْلِيَّتِهِ، فَتُشَاهِدُ الْإِلَهَ بِوَسَاطَتِهِ. / فَهَذِهِ هِيَ حَيَاةُ الْآلِهَةِ «الْمُطْمَئِنَّةِ السَّعِيدَةِ»،

حَيْثُ لَا أَثَرَ قَطُّ لِلشَّرِّ؛ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ الْأَعْيَانُ لَتَجَاوَزَ هَذَا الْحَدَّ، لَمَّا كَانَ شَرُّ قَطُّ، بَلْ لَكَانَ الْخَيْرُ وَحْدَهُ مُنْبَسِطًا فِي مَقَامَاتٍ ثَلَاثَةٍ: الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالثَّالِثُ. «فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَ مُلْكِ الأُمُور كُلِّهَا، وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ حَسَنٍ، / وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ؛ ثُمَّ حَوْلَ الْخَيْرِ فِي الْمَقَامِ الثَّانِي أُمُورُ الْمَقَامِ الثَّانِي، وَحَوْلَ الْخَيْرِ فِي الْمَقَامِ الثَّالِثِ أُمُورُ الْمَقَامِ الثَّالِثِ».

٣ إِذَا كَانَ كُلُّ ذَلِكَ الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ هُوَ عَالَمُ الْإِسَاءَاتِ وَمَا وَرَاءَهَا، فَلَيْسَ الشَّرُّ فِي عَالَمِ الْإِسَاءَاتِ وَلَا فِي مَا وَرَاءَهَا، إِذْ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الْحُسْنُ بِالذَّاتِ. بَقِيَ إِذَا أَنْ الشَّرُّ، مَا دَامَ ثَابِتًا، فَإِنَّمَا يَكُونُ فِي جَانِبِ اللَّيْسِ وَكَأَنَّهُ مِثَالُ اللَّيْسِ مُمْتَزِّجٌ بِالْأُمُورِ الَّتِي تُشَارِكُ اللَّيْسَ فِي ثَبَاتِهِ، أَوْ تِلْكَ الَّتِي بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ صِلَةٌ مَا تَجْعَلُهَا فِي مَعْيَتِهِ. وَلَيْسَ اللَّيْسُ هُنَا اللَّيْسُ مُطْلَقًا، بَلْ مَا غَيْرُ الْإِسَاءَاتِ فَقَطُّ، لَا بِمَعْنَى أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِسَاءَاتِ مَا بَيْنَ الْإِسَاءَاتِ مِنْ نَاحِيَةِ وَالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ مِنَ الْآخَرَى، بَلْ بِمَعْنَى أَنَّ بَيْنَهُمَا مَا بَيْنَ الْإِسَاءَاتِ وَارْتِسَامِهِ أَوْ مَا هُوَ أَقْرَبُ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْارْتِسَامِ إِلَى اللَّيْسِ. فَالْإِسَاءَاتُ بِهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْعَالَمُ الْمَحْسُوسُ كُلُّهُ وَحَوَادِثُهُ، أَوْ هُوَ أَيْضًا شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْحَوَادِثِ أَوْ مَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا، / أَوْ أَصْلُهَا أَوْ أَحَدُ مَتَمِّمَاتِ ذَلِكَ الْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ. وَنَتَهَيَّ بِذَلِكَ إِلَى صُورَةٍ عَنِ الشَّرِّ نَتَمَثَّلُهُ فِيهَا أَمْرًا كَانَتْفَاءُ الْقِيَاسِ فِي مُقَابِلِ الْقِيَاسِ، وَكَانَتْفَاءُ الْحَدِّ فِي مُقَابِلِ الْحَدِّ؛ إِنَّهُ مَا لَا شَكْلَ لَهُ وَلَا هَيْئَةَ فِي مُقَابِلِ مَا يَخْلَعُ عَلَى الشَّيْءِ هَيْئَةً وَشَكْلًا؛ إِنَّهُ دَائِمًا فِي حَالَةِ الْعَوَزِ/ فِي مُقَابِلِ مَا هُوَ مُكَتَفٍ بِذَاتِهِ، وَدَائِمًا فِي حَالَةِ الْفَوْضَى لَا يَسْتَقَرُّ قَطُّ عَلَى حَالٍ، وَغُرُضُهُ لِكُلِّ انْفِعَالٍ، وَفِي نَهْمٍ أَبَدًا؛ بَلْ إِنَّهُ الْفَقْرُ بِالذَّاتِ. وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْأَوْصَافُ أَعْرَاضًا عِنْدَهُ، بَلْ هِيَ شَيْءٌ كَأَنَّهُ حَقِيقَتُهُ، وَمِنْ أَيِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهِ اعْتَبَرْتَهُ، وَجَدْتَ ذَلِكَ الْجَانِبَ بَارِزًا تِلْكَ

الأوصاف جميعاً.

- ٢٠ أما الأمور الأخرى التي تُصيب قدرًا منه، /، وتُصبح شبيهة به؛ فإنها سيئة، على جانب من الشرّ، ولكنها ليست الشرّ بالذات. والآن ما هو الشيء الذي تُسند إليه تلك الأوصاف، لا تختلف عنه، بل إنها هو بالذات؟ ذلك لأنّ الشرّ ولو كان حالة طارئة على غيره، إنّما ينبغي أولاً أن يكون هو ذاته شيئاً ما ولو لم يكن أمراً قائماً في ذاته. وكما أنّ الخير هو أمر قائم في ذاته من ناحية، وأمر طارئ كالعرض من ناحية أخرى، فكذلك الشرّ: إنّهُ أمر قائم في ذاته طوّراً وأمر موافق له، مسندٌ إلى غيره طوّراً آخر. / وما عسى أن يكون انتفاء القياس إن لم يوجد في ما لا وزن فيه؟ ولكنّ ليس الوزن مُستقلاً عن الموزون غير قائم فيه؟ فكما أنّ الوزن ليس في الموزون، فانتفاء الوزن كذلك ليس في ما لا وزن فيه. ذلك لأنّه إذا كان عدم الوزن في أمر آخر: فإنّما أن يكون في أمر لا وزن فيه، فما هو بحاجة إلى بطلان الوزن وهو في تلك الحال لا وزن فيه؛ وإما أن يكون في أمر موزون فين المحال أن يُسند بطلان الوزن إلى الموزون من حيث أنه موزون ويقدر ما هو موزون. / ومن ثمّ لا بدّ من شيء يكون في ذاته أمراً غامضاً لا حدّ له ولا شكل، إلى ما سوى ذلك من الأوصاف التي سبق ذكرها والتي بها تميّز حقيقة الشرّ. وإذا كان إلى جانب الشرّ ما يتّصف بتلك الأوصاف فإنّه كذلك إمّا لأنّ الشرّ اختلط به، وإمّا لأنّه هو ينظر إلى الشرّ، أو لأنّه يعمل ما هو شرّ. فإنّ ما تقبّل الهيات أو المثل والصُور والأوزان والحدود، فتحلّى بها وهي دخيلة عليه إذ ليس فيه خير قطّ من تلقاء ذاته، بل إنّهُ بالإضافة والأيسات كالارتسام لها، أقول: إنّهُ، أي ذلك الأمر، هو حقيقة الشرّ إذا أمكن أن تكون للشرّ حقيقة: فذلك هو الذي يكشف العقل أنّه الشرّ الأوّل والشرّ في ذاته. /

- ٤ وعليه فإنّ الأجساد في حقيقتها تكون شرّاً على قدر ما يلحق بها من الهبولى، ولكنها ليست الشرّ الأوّل. فإنّ ما لديها من الأصل ليس الأصل في كمال حقيقته، وهي محرومة من الحياة، يُفسد بعضها بعضاً. إنّ الانتظام مفقود في حركتها وإنّها تحول بين النّفس وبين أن تنصرف إلى فعلها، من أنّها في حربٍ دائمٍ من أن تكون أمراً ثابتاً في الأعيان لأنّها تجري باستمرار، فهي من ذلك الشرّ في المقام الثاني. أما النّفس فليست في حدّ ذاتها شرّاً، كما أنّه ليست كلّ نفس شريرة. ولكن كيف تكون النّفس الشريرة؟ يقول أفلاطون مثلاً: «إنهم قهروا جانب النّفس الذي فيه تنشأ القبائح» أصلاً وفطرة، بحيث أنّ النّاحية غير النّاطقة من النّفس تلقت أثر الشرّ فيها فاضطربت وأفرطت وقصّرت، فتنتج عن ذلك خلع العذار والجبن وما سواهما من عيوب النّفس، وهي/ انفعالات عفوية تولّد الآراء الكاذبة. حتّى لترى النّفس شرّاً ما ينفّر منه ذلك الجانب فيها وخيراً ما يجذب في طلبه. ولكن ما الذي يولّد ذلك الفُحّ،

وكيف تردّه إلى ذلك الأصل الذي ذكرت وإلى ذلك السبب؟ أولاً: إنّ نفساً مثل تلك النفس ليست خارجة عن نطاق الهيولى، وليست صافية في ذاتها وفقاً لذاتها؛ فإنّ الخلل يُخالطها إذاً، وإِنّهما لم تُصَبْ نَصبها الكامل من الأصل/ الذي يخلع النّظام ويكفل الوزن: إنّها ممزوجة بالجسد، ولدى الجسد الهيولى. ثمّ إنّ النّفس النّاطقة إذا مسّها ضررٌ مُعيّن من المشاهدة لأنّها حينذاك يعترّيها الانفعال، وتشمّلها الهيولى بقتامها، وتُميل هي إلى الهيولى؛ ثمّ لأنّها، بوجه عامّ، توجّه نظرها إلى الأيس الثّابت بل إلى الصيرورة المتقلّبة التي تنشأ من الهيولى،/ وفي الهيولى من الشرّ ما فيها بحيث تتفحّم بشرّها الشّيء ولَمّا يحلّ فيها، بل هو لا يزال في حال توجيه نظره إليها ليس أكثر. إنّها لا خير فيها البتّة بل هي الحرمان من الخير ومُطلق العوز، فتجعل شبيهاً بها كل ما كان له بها صلة من وجه ما. فإنّ النّفس الكاملة التي مالت إلى الرّوح ٢٥ هي إذاً دائماً النّفس/ الطّاهرة التي أعرضت عن الهيولى وعن كلّ ما كان فاقده الحدّ والوزن وفيه شرّ، فإمّا عادت تنظر إليه ولا تطلبه: إنّما هي باقية في نقاوتها، قائمة في نطاق الرّوح. أمّا النّفس التي لم تثبّت في ذلك، بل خرّجت من ذاتها، فإنّها ليست النّفس في كمالها وفطرتها الأولى، بل كأنّها ظلّ لهذه النّفس؛ لقد تفاقم فيها بطلان الجذّ بسبب النّقص الذي أصابها على ٣٠ قدر ما أصابها منه،/ فهي تُشاهد الظّلام وها هي ذي الهيولى حاصلة فيها إذ أنّها تنظر إلى ما لا يرقى إليه نظرها، بمعنى أنّها في حال من نقول عنه أنّه يُبصر الظّلام.

٥ ولكن إذا كان الحرمان من الخير هو السبب في أن تُشاهد النّفس الظّلمة وتُقيم معها، فالشرّ في ذلك الحرمان أو في الظّلمة. فالحرمان في المّقام الأوّل بالنّسبة إلى النّفس، ولتكن الظّلمة في المّقام الثّاني، ولم تعد حقيقة الشرّ إذاً قائمة في الهيولى، بل يكون الشرّ قبل الهيولى. والوجه في ذلك هو أنّ الشرّ ليس في حرمان - أي حرمانٍ كان/ -، بل في الحرمان المُطلق: فإنّ ما ينقصه قليل من الخير ليس شرّاً بحال، لا بل إنّهُ قد يكون كاملاً في نوعه وجنسه. أمّا إذا كان الحرمان مُطلقاً - وهذه هي حال الهيولى - فعند ذلك يكون الشرّ حقّاً، وهو ما ليس له قطّ أي قدر من الخير؛ ذلك أنه ليس للهيولى أيس حتّى يتمّ لها بذلك ١٠ اكتساب ما من الخير؛ بل/ إنّما يُقال الأيس فيها على سبيل اشتراك في الاسم، والحقّ أن يُقال أنّها اللّيس. إنّ في الحرمان إذاً انتفاء الخير، وإذا كان الحرمان مُطلقاً، فكذلك الشرّ أيضاً، ومهما ازداد الحرمان قوّة طاقة جانب الشرّ، وكان الشرّ في الحال. فالوجه إذاً أن تتصوّر الشرّ ١٥ لا على أنّه هذا الشرّ أو ذاك، مثل الجور أو أي سيّئة أخرى،/ بل على أنّه الشرّ ولَمّا يتمّ له أن يكون شرّاً من تلك الشرور الجزئية. وإنّ هذه الشرور أنواع خاصّة من ذلك الشرّ الذي نعيه، تميّزت وتحدّدت بأوصاف فصلية نوعيّة أُضيفت إليه، مثل الرّداءة التي تكون في النّفس، ثم

تتنوع بدورها وفقاً لجوهر الأعمال التي تتشكل بها أو لأبعاد النفس التي دبت إليها، أو لأنها
 ٢٠ قد تكون مثلاً في المُشاهدة تارة وفي الفعل أو الانفعال تارة أخرى. ولكن إذا/ اعتُبرت الأمور
 الغريبة عن النفس شراً، فكيف تُردُّ إلى طبيعة الشرِّ تلك التي وصفناها، كالمرض والفقر مثلاً؟
 أما المرض فهو تفرُّط أو إفراط في أجساد مُنسبِكة في الهوى لا طاقة لها بالنظام والتوازن؛
 وأما القبح فهو الهوى ولم يتحكَّم فيها الأصل، وأما الفقر فهو عوز وحرمان تُقابل بهما أموراً
 ٢٥ نحتاج إليها بسبب الهوى التي قُرِّنا بها وهي الفاقة بالذات. / فإذا كان ما ذكرنا صواباً فلا ينبغي
 أن نعتبر أنفسنا أصل الشرِّ بمعنى أننا على الشرِّ فطرنَا، بل إنَّما كان الشرُّ قبل أن نكون؛ فإنَّ الشرَّ
 الذي يتحكَّم في النَّاس، إنَّما يتحكَّم فيهم على غير رضى منهم، بل إنَّ ثمة مخرجاً «للتغلُّت من
 ٣٠ الشرِّ» القائم في النفس وهو مكفول لبعضهم ولكن ليس للجميع. / أما أرباب عالم الحسن،
 فالشرُّ حاصل عندها بحصول الهوى، ولكنها منزَّهة عن المساوئ التي تلزم الإنسان؛ كيف لا
 وإنَّ تلك المساوئ لا تلزم كلَّ إنسان: فإنَّ من بين النَّاس من استطاع أن يقهرها - على أنَّ
 الأفاضل هم من لم تحصل عندهم - وقد استطاع أن يقهرها - بفضل اللطيفة غير الهولانية
 الكائنة فيه.

٦ فلنبحث الآن في معنى قوله، «إنَّ الشرَّ لن يزول»، وإنَّه لا محالة ثابت؛ وإن لم يكن
 «في عالم الآلهة» فهو أبداً «يحوِّم في عالم الفساد، في عالمنا هذا». هل معنى قوله هذا أنَّ
 ٥ السَّماء بريئة من كلِّ شرٍّ لأنها أبداً مُنضبطة في سيرها، منتظمة في سعيها، / فلا ظلم هناك ولا
 ما سوى ذلك من السَّيِّئات لأنَّ الأجسام السَّماوية لا يظلم بعضها بعضاً بل يسعى بعضها مع
 بعض بانتظام، وأمَّا ما على الأرض فالظلم والفوضى؟ فهذا هو «عالم الفساد» وكذلك «عالمنا
 هذا». لكن الأمر لا يعني «أنَّ واجب الفرار من هنا» يقصد به الأرض؛ فإنَّ «الفرار» في قصده لا
 ١٠ يدلُّ على الانطلاق من هذه الأرض، بل التزام «الصُّدق والورع تصحبهما الفطنة» مع البقاء
 على وجه الأرض. فيكون ما يعنيه بواجب الفرار هو واجب تجنُّب الرَّذيلة، على أنَّ الشرَّ عنده
 إنَّما هو الرَّذيلة وكلُّ ما يتولَّد عنها. وعندما يُجيبه محاوره أنَّ الشرَّ كلَّ الشرِّ مُنتهِب حتماً إذا «أقنع
 ١٥ النَّاس بقوله»، يردُّ عليه «أنَّ هذا أمر لن يتمَّ» إذ أنَّ الشرَّ لا محالة ثابت طالما لم يكن بدٌّ «من
 أمر مما في مُقابل الخير». بيد أنَّ تلك الرَّذيلة التي تختصُّ بالإنسان كيف يُمكن أن تكون في
 مُقابل هذا الخير؟ إنَّها في مُقابل الفضيلة، والفضيلة ليست الخير، بل وَجْه من وَجوه الخير،
 ٢٠ يجعلنا نتغلَّب على الهوى فينا. ثمَّ كيف يكون لهذا الخير/ أمرٌ يُقابله وهو لا كيف له؟ ولماذا
 هذا الحُكم المُطلق بأنَّه إذا وُجد أحد المتقابلين، وُجد الآخر لا محالة؟ ربَّما جاز حصول أمر
 بحصول ما في مُقابله (إذا حصلت الصَّحَّة مثلاً، جاز حصول المرض)، ولكن لا يردُّ ذلك عن

سبيل الضرورة. ربّما لا يدّعي مع ذلك بقوله هنا أنه يصدق على كلّ مقابل، وإنّما يقصد به
 ٢٥ الخير. / لكن إذا كان الخير هو الأيس، فكيف يكون له مقابل؟ كيف ولو كان هذا الخير ذاته
 في ما وراء الأيس؟ إنّ القول بأنّ الأيس ليس له مقابل قول صادق في مجال الأمور الجزئية
 ٣٠ والاستقراء يدلّ عليه. ولكن الدليل لا يقوم على الأيس. / فما عسى أن يكون إذاً في مقابل
 الأيس الكلّي، وفي مقابل أصول الأولى بوجه عام؟ إنّ في مقابل الأيس اللبس، وفي مقابل
 الخير حقيقة الشّرّ وأصله. ذلك لأنّ كلّاً منهما أصل: فللشّرّ على مختلف وجوهه أصل؛ وللخير
 ٣٥ على مختلف وجوهه أصل؛ / وكلّ ما في حقيقة أحدهما مضادّ لكلّ ما في حقيقة الآخر، بحيث
 أنّ جمليتي ما في الحقيقتين متضادتان، والتضاد بينهما أشدّ منه في ما سواههما من المتقابلات.
 فإنّ التضاد في الأمور الأخرى إنّما هو بين أمرين من نوع واحد أو من جنس واحد يجمع بينهما
 ٤٠ أصل مشترك واحد في الجملة التي تتضمنها. / - أما الأمور التي يكون بعضها مفصولاً عن
 بعض فصلاً تاماً، بحيث أنّ كلّ ما يستلزمه الطرف الأول لا يكتماله نقيضه بالذات في الطرف
 الثاني، فكيف لا يكون التضاد فيها على أتمّه، ما دام التضاد بين حدّين لا يكون إلّا في التباعد
 ٤٥ بينهما وهو على أشده؟ وشتان ما بين القيام بالحدّ والوزن وبما سواههما في الحقيقة الربّانية، /
 وبين انتفاء الحدّ والوزن وما سواههما في حقيقة الشّرّ. فإنّ الجملة في الجانب الأول على نقيض
 الجملة في الجانب الثاني: الأيس المُزيّف والرّيف أصلاً وحقّاً هنا، والأيس الحقّ قائماً حقّاً
 وذاتاً هنا. فالتقابل بين الجانبين مقابلة الحقّ للباطل ومقابلة الذات للذات. وبذلك أنضج لنا
 أنّ القول بأنّ الأيس ليس له مقابل لا يصحّ في كلّ حال.

هذا ولو أقبلنا على الثار والماء لاعتبرناهما متضادّين لو لم يكن بينهما أمر مشترك وهو
 ٥٠ الهوى: فعليهما تطراً عرَضاً/ الحرارة واليَس من ناحية والرطوبة والبرودة من الناحية الثانية.
 ولو لم يُبادرنا منهما إلّا ما به قوام الذات واكتمالها بدون ذلك المشترك، لكان تمّ التضاد، وكان
 تضاداً بين ذات وذات. إنّ الأمرين إذاً انفصل بعضهما عن بعض انفصلاً مطلقاً، ولم يشتركا
 ٥٥ قطّ في شيء، وكان التّباعد بينهما على أشده، أقول: إنّ هذين الأمرين متضادّان في
 حقيقةهما؛ / ذلك لأنّ التضادّ هذا ليس بالذّي يولّد الكيف، وليس بالذّي يحدّد الأجناس في
 عالم الأشياء، بل إنّهُ التضادّ الذي يفصل ما بين الأمرين الفصل الأشدّ ويَنشأ عمّا فيهما من
 متضادّات فيُحدث المتقابلات.

٧ ولكن كيف يكون الشّرّ حتماً متى كان الخير؟ ألعلّ ذلك لأنّ الهوى لا بدّ منها في
 الكون الكلّي؟ وذلك لأنّ هذا الكلّ يتألّف حتماً من متقابلات، ولأنّه لو لم تكن هوى لما كان.
 فإنّه «لمزيج عالمنا هذا» في حقيقته وهو «مزيج من روح وحتمية»؛ فكلّ ما يصله من العالم

٥ الرّبّانيّ/ خير، أمّا الشرّ فمن «الأصل القديم» يعني الهيولى بكونها محلّاً معدّاً لقبول الأشياء ولما يُنظّم. فماذا يعني «بالعالم الرّائل»؟ هذا على افتراض أنّ العبارة «هذا العالم» تدلّ على الكون الكلّي. إنّما يعني ما يعني بقوله: «وما دمتُم مُّحدّثين فما أنتم بخالدين، غير أنّكم لن ١٠ تبيدوا بفضلّي أنا!». وإذا كان ذلك كذلك فعلى صواب يُقال: «إنّ الشرّ لن يزول». ولكن كيف الفرار منه؟ يقول: إنّ ذلك لا يكون بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان، بل بمعنى اكتساب الفضيلة والانفصال عن الجسد. فبذلك نفصل عن الهيولى إذ أنّ ما كان مع الجسد كان مع الهيولى. أمّا ماذا يعني ذلك الانفصال وماذا لا يعني؟ فإنّ أفلاطون نفسه شرحه شرحاً كافياً: هو الإقامة «في عالم الأرباب»/ أي في عالم الرّوحانيّات؛ فإنّ أهل هذا العالم هم الخالدون. أمّا الشرّ وضرورته، فيمكننا أن نتصوّرهما أيضاً على التّحو التّالي: ما دام الخير غير قائم وحده، فلا بدّ لما ينبعث منه، أو إن شئنا فلنقل، لما ينحدر منه ويسير مُتباعداً عنه، أقول: لا بدّ لذلك من ٢٠ أن ينتهي إلى حدّ لا يحدث بعده شيء قطّ أيّاً كان: فهذا هو الشرّ. ثمّ إنّ الضّرورة تحكم بأن يوجد شيء بعد الأوّل، فلا بدّ إذاً من حدّ نهائيّ هو الآخر؛ وهذا الحدّ هو الهيولى التي لم يصل إليها شيء قطّ من الخير: وتلك هي ضرورة الشرّ.

٨ ربّ قائل يقول: «إنّا لسنا أشراراً بسبب الهيولى، إذ أنّ الجهل لا يكون بواسطتها ولا الشّهوات الرّديئة أيضاً. ذلك لأنّه إذا تمّ هذا الوضع بوساطة رداءة الجسد، فالوجه ألاّ يرُدّ إلى الهيولى بل إلى المثال، مثل السّخونة أو البرودة ومثل المرّ والمالح،/ وكلّ ما إلى ذلك من أنواع الرّطوبات والأخلاق، فضلاً على حالات الامتلاء والفراغ، لا الامتلاء في حدّ ذاته، بل الامتلاء من الأطعمة الحاوية لتلك الأخلاق. وبوجه عامّ إنّ هذا الوضع في الجسد هو الذي يولّد الشّهوات على مُختلف أنواعها لا بل الآراء الفاسدة. ومن ثمّ فإنّ المثال إذاً، أخرى من الهيولى بأن يكون هو الشرّ. فإنّ أقلّ ما يُرغم عليه/ صاحب هذا الاعتراض مع ذلك هو الإقرار بأنّ الهيولى هي الشرّ. ذلك لأنّ ما تفعله الصّفة وهي مسبوكّة في الهيولى، لا تفعله وهي مفارقة قائمة بذاتها، كما أنّ هيئة الفأس بدون الحديد لا تأتي بفعل قطّ. ثمّ وإنّ المُثلّ المسبوكّة في الهيولى ليست ما من شأنها أن تكون عليه فيما لو أمست وحدها قائمة في ذاتها. إنّما أصبحت ١٥ حقائق توشّجت بالهيولى فأفسدتها الهيولى/ وأغدّتها ممّا هي عليه. فالثار في حدّ ذاتها لا تحرق، ولم يكن مثال من تلك المُثلّ ليفعل ما يُقال عنه أنّه يفعل إذ يصبح في الهيولى. إنّ تلك الهيولى تستولي على ما يظهر ويرتسم فيها من الأصل، فتفسده وتُتلفه إذ تُلتصق به حقيقتها ٢٠ وهما التّقيضان. لا بمعنى أنّها تجمع بين مُتقابلين فتُضيف البارد إلى الحارّ، بل بمعنى أنّها تجعل حرمانها من الأصل ينسحب إلى أصل الحارّ، وخلدها من الصّورة إلى الصّورة،

والإفراط والتفريط إلى القائم موزونًا، حتّى تحوّل إليها ذلك الذي ارتسم فيها فلا يعود ما كان عليه في ذاته. مثل ذلك مثل ما يتم في غذاء الحيوان إذا دخل إليه أصبح غير ما كان عليه عند ٢٥ وصوله، بل هو دم/ كلب، وكل ما كان من لوازم الكلب، والأخلاق والرطوبات كلّها وفقًا للحيوان الذي تناوله. فإذا كان الجسد سبب الشرّ فإنّ الشرّ سببه الهوى وبها يتم.

ولكن ربّ قائل آخر يقول: «كان من الواجب التغلّب عليها». لكن الذي في وسعه التغلّب على الهوى لا يكون في حال الطهارة ما دام قائمًا في الهوى إلّا إذا أمكنه الفرار. فإنّ ٣٠ الشهوات تشتت بحكم المزيغ الخاصّ بالأجساد/ وتكون عند بعضهم غير ما عند الآخرين، فلا يُمْكِنُ منها عند كلّ إنسان. ثم إنّها تُخمد ملكة الحكم عندنا وتزداد إخمادًا لهذه الملكة بحسب سوء حال الجسد لما يعترئها من الفتور والانقباض، في حين أنّ ما يُقابلها يولّد الطيش ٣٥ والشطط. ويشهد على ذلك أيضًا تقلّب الأحوال عندنا/ وفقًا للظروف والمناسبات، فإنّنا من حيث رغباتنا وأفكارنا في حال الشّبع غير ما نحن عليه في حال الطوى. ثم إنّنا في حال الشّبع من شيء غير ما نحن في حال الشّبع من شيء آخر.

فليكن الشطط هو الشرّ أولًا إذا، أمّا ما يطرأ على الشطط فيقع عن طريق المشابهة أو ٤٠ المشاركة، فليكن هو الشرّ ثانيًا، فالظلام أولًا وعلى المنوال ذاته/ ما أصبح مُظلمًا. وهكذا فإنّ الرذيلة، وهي ما في النّفس من جهل وخلل، إنّما هي الشرّ ثانيًا وليست الشرّ في ذاته. والفضيلة أيضًا ليست الخير الأوّل بل إنّها ما تشبّه بالخير أو شاركة في شيء منه.

٩ [وَالآن بَمَ نُدْرِكُ الْفَضِيلَةَ وَالرَّذِيلَةَ؟ وَبِمَ نُدْرِكُ أَوَّلَ الرَّذِيلَةِ؟ إِنَّ الْفَضِيلَةَ إِنَّمَا نُدْرِكُهَا بِالرَّوْحِ ذَاتِهِ وَبِالْفُطَانَةِ، وَهِيَ تَعْرِفُ ذَاتَهَا؛ أَمَّا الرَّذِيلَةُ فَكَيْفَ؟ كَمَا أَتْنَا نُمَيِّزُ الْمُسْتَقِيمَ مِنْ غَيْرِ الْمُسْتَقِيمِ بِالمَسْطَرَةِ، فَكَذَلِكَ نُمَيِّزُ أَيْضًا بِالْفَضِيلَةِ مَا لَا يَنْسَجِمُ مَعَهَا، أَعْنِي الرَّذِيلَةَ. أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ مَثًا بِإِبْصَارٍ أَوْ بِغَيْرِ إِبْصَارٍ، أَعْنِي بِالنَّسْبَةِ إِلَى الرَّذِيلَةِ؟/ أَمَّا الرَّذِيلَةُ الْكَلْبِيَّةُ، فَإِنَّا لَا نُدْرِكُهَا بِالبَصِيرَةِ لِأَنَّهَا بِلَا حَدٍّ، بَلْ نُدْرِكُهَا بِأَنْ نَرْفَعَهَا عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ الْخَيْرُ بِحَالٍ؛ وَأَمَّا الرَّذِيلَةُ الْجُرْئِيَّةُ فَنُدْرِكُهَا بِسَبَبِ تَخَلُّفِهَا عَنِ الْخَيْرِ. إِنَّا نَشَاهِدُ الْجُرْئِيَّةَ وَبِمَقْتَضَى هَذَا الْجُرْئِيَّةِ الْحَاضِرِ نَحْكُمُ عَلَى الْغَائِبِ: إِنَّ هَذَا الْغَائِبَ ثَابِتٌ فِي أَمْثُولِهِ الْكَامِلِ وَلَكِنَّهُ غَائِبٌ هُنَا، وَلِذَلِكَ نَسْمِيهِ رَذِيلَةً تَارِكِينَ ١٠ الْجَانِبَ الْمَحْجُوبَ الْمَرْفُوعَ عَلَى إِبْهَامِهِ/ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ. وَهَذَا مَا يَحْدُثُ عِنْدَمَا نَرَى مَثَلًا فِي الْهَوَى وَجْهًا مَا قَبِيحًا لَمْ يَتَمَّ فِيهِ التَّغْلِبُ لِلْحَقِيقَةِ بِحَيْثُ تُغْطِي قُبْحُ الْهَوَى: فَإِنَّا نَتَخَيَّلُ ذَلِكَ الْمَظْهَرَ قَبِيحًا لَمَّا يَعُوزُهُ مِنَ الْمَثَالِ. وَلَكِنْ كَيْفَ نَتَصَوَّرُ مَا لَمْ يَصِلْهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَثَالِ بِحَالٍ؟ إِذَا ١٥ نَقَيْنَا كُلَّ مَثَالٍ عَلَى وَجْهِ الْإِطْلَاقِ، فَمَا لَيْسَ فِيهِ مِثَالُ قَطْ/ هُوَ الَّذِي نَقُولُ عَنْهُ إِنَّهُ الْهَوَى. وَعِنْدَهُ نَعْتَرُ فِي أَنْفُسِنَا عَلَى الْحُرْمَانِ مِنْ كُلِّ صُورَةٍ بِفَيْئَا كُلِّ مَثَالٍ، إِذَا كَانَ شَأْنُنَا مُشَاهِدَةَ الْهَوَى.

فالأصل المُدرك هنا الرُّوح يبدو مختلِفًا عمّا هو عليه، وليس الرُّوح في ذاته، إذ إنّه أقدم على إدراك ما ليس منه. ومثله حينئذٍ مثل العين وقد تحوَّلت عن الثَّور لتُدرك الظُّلْمة، ولئلا تُدركها في الآن ذاتها، لتُدرك الظُّلْمة، أهملت الثَّور/ على أنّها لن تُدرك الظُّلْمة وهي معه. مع أنّها من ناحية أُخرى لا تقوى بدون الثَّور على أن تُدرك الظُّلْمة بل على ألا تُدركها؛ وبذلك يتمّ لها أن تُدرك الظُّلْمة بقدر ما تستطيع إلى الأمر سبيلًا. وهكذا من الرُّوح: إنّه يدع في باطنه نوره الخاصّ ويُهمله، وكأنّه يخرج من ذاته فيُقبل إلى ما ليس منه بدون أن يسحب معه نوره؛ فيُفعل ويتكيّف بما هو في نقيض ذاته/ حتّى يُدرك ما هو في نقيضه.

١٠ هُذا وحسبنا بما قلنا عن ذلك. والآن، كيف تكون الهَيُولَى شرّيرة، ما دامت لا كيف لها؟ يُقال فيها أنّها بلا كيف بمعنى أنّها في حدّ ذاتها ليس لديها شيء من تلك الكيفيات التي تقبلها والتي تكون منها كما يكون المحمول من الحامل، ولكن لا بمعنى أنّها ليس لها حقيقة قطّ. وإذا كان لها حقيقة، فما الذي يمنع هذه الحقيقة/ من أن تكون شرّيرة ولكن لا بمعنى أنّها شرّيرة، وتتصف بكيف؟ سيّما أنّ الكيف هو ما يُقال، وفقًا له، في أمر آخر غيره، إنّه بكيف: فالكيف إذاً عرض، وهو ما يحلّ في غيره. أمّا الهَيُولَى فليست في غيرها بل هي الحامل، والعرض يحلّ فيها. فإذا لم يطرأ عليها الكيف وهو من حيث حقيقتها عرض لها، قيل فيها إنّها بلا كيف/. ثمّ إذا كانت الكيفيّة نفسها في حدّ ذاتها بلا كيف، كيف يُقال في الهَيُولَى إنّها بكيف، وهي لا كيفيّة لديها؟ فعلى صواب نقول إذا إنّها بلا كيف وإنّها شرّيرة. فيُقال عنها إنّها شرّيرة لا بسبب أنّ لها كيفيّة بل بسبب أنّ ليس لها كيفيّة. بحيث أنّها لو كانت مثالاً لأضحى من المُحتمل أن تسمي شرّيرة، ولكنّ بينها وبين المثال ما بين المُتناقضين.

١١ لكن الأمر الذي يكون في مُقابل كلّ مثال إنّما هو العدم، والعدم ما كان في غيره وليس له في حدّ ذاته قوام. ومن ثمّ إذا كان الشّرّ في العدم، فالشّرّ في ما هو معدوم المثال ولا قيام له في ذاته مع ذاته. وإذا كان في النّفس شرّ، فالعدم فيها هو الشّرّ والرّذيلة/ وليس أمرًا يرد عليها من الخارج. هُذا وإنّ في بعض الأقوال زعمًا يرمي إلى الهَيُولَى نفيًا مُطلقًا، وفي بعض آخر تصوّرها موجودة، لكن غير شرّيرة؛ فالواجب إذاً ألاّ يلتصق الشّرّ من غير وجهه، بل أن يُجعل في النّفس ويُعتبر على أنّه غياب الخير. ولكن إذا كان العدم عدم مثال ما/ من شأنه أن يكون حاضرًا، فإذا كان عدم الخير في النّفس، ولّد الرّذيلة فيها بمقتضى ما هو بهيئة من حقيقته، وأصبحت النّفس بعد ذلك لا خير فيها، ومن ثمّ لا حياة لها بالرّغم من كونها نفسًا، وتسمي إذاً هي النّفس لا نفس لها ما دام لا حياة لها. ومن ثمّ ليست نفسًا مع أنّها نفس حقًا. بل الواقع أنّها

حيّة بحكم ما هي عليه حقيقتها، والحرمان من الخير لا يحصل فيها من عدم الخير منبعثاً ممّا هي في ذاتها: إنّها لقائمة في هيئة الخير،/ ما دام فيها شيء من الخير وهو أثر الروح، وليس الشرّ من طبعها. فليست إذا ما الشرّ هو أصلاً، كما أنّ ما هو الشرّ أصلاً لا يطرأ عليها عرضاً لأنّ الخير كلّهُ لم يقارقها.

١٢ وما عسى أن يكون لو لم تعتبر الرّداءة والشرّ في النّفس عدماً مُطلقاً من الخير، بل بعض العدم منه فقط؟ إذا كان ذلك كذلك، كانت النّفس حاصلة على بعض الخير ومعدومة من بعضه الآخر فتُصبح مزيجاً من خير وشرّ؛ ولا يبدو الشرّ خالياً من كلّ خليط، فلا يكتشف ما هو الشرّ أصلاً بدون شائبة. لهذا فضلاً على/ أنّ الخير في النّفس من حقيقتها، أمّا الشرّ فهو عرض يطرأ عليها.

١٣ قد يكون الشرّ في النّفس بمعنى أنّه عائق، كما يتمّ للعين من حيث البصر. عند ذاك، يكون الشرّ، في رأي من يذهب إلى هذا القول، ما يولّد الشرّ، وإذا فعل، فإنّه هو شيء والذي يولّده شيء آخر. وإن تُكّن الرّداءة إذا عائقاً للنفس، فإنّها تولّد الشرّ ولكنّها لا تكون هي الشرّ؛ كما أنّ الفضيلة/ ليست الخير بل إنّها شيء يُساعد على تحقيقه. فإن لم تكن الفضيلة الخير فليست الرّداءة الشرّ. ثمّ إنّ الفضيلة ليست هي الحُسن بالذات والخير نفسه، وبالتالي ليست الرّداءة هي القُبْح بالذات والشرّ نفسه. وقد قلنا أنّ الفضيلة ليست الحُسن والخير بالذات لأنّ الحُسن والخير بالذات قبلها وفوقها؛/ فما وصلها من خير وحُسن إنّما وصلها بضرب من المشاركة. وكما إنّ من ينطلق من الفضيلة ويرتقي ينال الحُسن والخير، فهكذا أيضاً من ينطلق من الرّداءة ويهبط ينال الشرّ نفسه مع الرّداءة في بدايته: فللّذي يُشاهد،/ تتمّ له مُشاهدة الشرّ ذاته مهما يكن نوعها، أمّا الذي صار في الشرّ فتتمّ له المُشاركة في هذا الشرّ بالذات. ذلك لأنّه حينذاك يتمّ القول في «عالم المسخ والتّشويه»، وإذا انغمس فيه هوى إلى «موحل» الظلام. لأنّ النّفس إذا استرسلت استرسالاً تاماً وانتهت من الرّداءة إلى مُنتهاها تجاوزت حدّ ما لديها من رداءة، بل تحوّلت من حقيقتها إلى ما هو غيرها وارتدت إلى أسفل سافلين: فإنّها لعمري رداءة على جانب من الإنسانيّة/ تلك التي لا تزال مع ما يُخالفها. فتَموت النّفس آنئذٍ كما من شأن النّفس أن تموت؛ والموت لها، ما دامت غائصة في الجسد، أن تزاد انغماراً في الهويلى وأن تدرّكها منها البُطنة؛ فإذا انطلقت من الجسد بقيت مُنطّرحه في الهويلى حتّى يتمّ لها أن تعود إلى الانطلاق صُعداً وتتحوّل بشيء من نظرها عن «الموحد». ولهذا ما معنى قوله «القدوم إلى منزل الأموات/ والثّوم فيه».

١٤] رَبٌّ قَائِلٌ يَقُولُ: إِنَّ الرَّدَاءَ ضَعْفٌ فِي النَّفْسِ. فَإِنَّ النَّفْسَ الشَّرِيرَةَ سَرِيعَةُ الانْفِعَالِ
وَالثَّقَلْبُ، تُدْفَعُ مِنْ شَرٍّ إِلَى شَرٍّ، وَسُرْعَانِ مَا تَسْتَهْوِيهَا الشَّهْوَةُ وَيَسْفِرُهَا الْغَضَبُ؛ تَسْتَعْجِلُ
٥ أَحْكَامَهَا وَتَتَقَادَّ طَوْعًا لِلتَّصَوُّرَاتِ الْغَامِضَةِ؛ / شَأْنَهَا شَأْنُ مُتَتَجَاتِ الْفَنِّ أَوْ الطَّبِيعَةِ أضعفها
صنعًا، سُرْعَانِ مَا يَرُدُّهَا الْقَرُّ وَالْحَرُّ إِلَى الْيَلِي. فَوَيْلٌ لِمَنْ إِذَا أُنْ نَبَحَتْ عَنْ ذَلِكَ الضَّعْفِ
فِي النَّفْسِ، مَا هُوَ وَأَيْنَ أَصْلُهُ؟ ذَلِكَ لِأَنَّ ضَعْفَ النَّفْسِ لَيْسَ مِثْلَ ضَعْفِ الْأَجْسَادِ؛ لَكِنْ كَمَا أَنَّ
١٠ الضَّعْفَ هُنَا عَجَزٌ عَنِ الْعَمَلِ/ وَانْقِيَادٌ إِلَى الْانْفِعَالِ، فَبِهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا تُسْتَخْدَمُ تَسْمِيَةُ الضَّعْفِ
هُنَا لِمَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ مِنْ تَنَاسُبٍ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ سَبَبُ الضَّعْفِ فِي النَّفْسِ كَمَا فِي الْجَسَدِ يَعُودُ إِلَى
أَصْلٍ وَاحِدٍ هُوَ الْهَيُولَى. لَكِنْ لَا بَدْءَ مِنْ مَعَالِجَةِ الْأَمْرِ عَنْ كِتَابٍ لَتَبَيَّنَ سَبَبَ مَا تُسَمِّيهِ ضَعْفَ
١٥ النَّفْسِ. فَإِنَّ الَّذِي يَجْعَلُ النَّفْسَ ضَعِيفَةً لَيْسَ الْكثَافَةُ أَوْ الشَّقَافَةُ، وَلَيْسَ الْهَزَالُ أَوْ السَّمَنَةُ، وَلَا
مَرَضًا كَالْحُمَّى. ثُمَّ لَا بُدَّ لَضَعْفٍ فِي النَّفْسِ مِثْلَ هَذَا الضَّعْفِ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَتْمًا إِمَّا فِي الثُّبُوسِ
الْمُفَارِقَةِ وَحْدَهَا، وَإِمَّا فِي الثُّبُوسِ الْقَائِمَةِ فِي الْهَيُولَى، أَوْ فِي هَذِهِ وَتِلْكَ مَعًا. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي
الثُّبُوسِ الْمُنْفَصِلَةِ عَنِ الْهَيُولَى إِنْفِصَالًا تَامًّا - لِأَنَّهَا جَمِيعًا طَاهِرَةٌ ذَوَاتُ أَجْنَحَةٍ وَبَالِغَةٌ مِنْ
٢٠ الْكَمَالِ مُنْتَهَاهُ؛ / كَمَا قِيلَ، لَا يُمْسِكُهَا عَنِ الْعَمَلِ شَيْءٌ - فَهُوَ بَاقٍ أَيْ لَضَعْفٍ فِي الثُّبُوسِ
الَّتِي هَوَتْ غَيْرَ طَاهِرَةٍ وَلَمْ تُطَهَّرْ؛ وَالضَّعْفُ عِنْدَهَا لَيْسَ فِيمَا سُبِّبَتْ مِنْ شَيْءٍ بَلْ فِيمَا حَصَلَ
فِيهَا مِنْ أَمْرٍ دَخِلَ عَلَيْهَا، مِثْلَ حُصُولِ الْبَلْغَمِ أَوْ الْمَرَّةِ فِي الْجَسَدِ. هَذَا وَإِذَا أَدْرَكْنَا بِالذِّقَّةِ
٢٥ اللَّازِمَةَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَنْسَبِ سَبَبَ هُبُوطِ النَّفْسِ، / يُتَضَحُّ لَنَا الْمَطْلُوبُ وَهُوَ ضَعْفُ النَّفْسِ. إِنَّ
الْهَيُولَى فِي عَالَمِ الْأَعْيَانِ النَّفْسِ أَيْضًا فِيهِ، وَإِنَّ لِكُلِّهِمَا حَيِّزًا وَاحِدًا. فَلَيْسَ ثَمَّةَ حَيِّزٍ لِلْهَيُولَى
يَخْتَلِفُ عَنْ حَيِّزِ النَّفْسِ، (كَأَنَّ يَكُونَ حَيِّزَ الْهَيُولَى عَلَى الْأَرْضِ وَحَيِّزَ النَّفْسِ فِي الْهَوَاءِ) بَلْ إِنَّ
٣٠ حَيِّزَ النَّفْسِ / يَكُونُ مُفَارِقًا إِذَا لَمْ تَكُنْ هِيَ فِي الْهَيُولَى. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهَا لَيْسَتْ مُتَّحِدَةً بِالْهَيُولَى،
أَيَّ لَمْ يَحْدُثْ أَمْرٌ وَاحِدٌ مَرْتَبٍ مِنْهَا وَمِنَ الْهَيُولَى، أَيْ أَنَّهَا لَمْ تُصْبِحْ فِي الْهَيُولَى كَالْمَحْمُولِ فِي
الْحَامِلِ: بِذَلِكَ تَقُومُ الْمُفَارِقَةُ. لَكِنْ لِلنَّفْسِ قُوَى عَدِيدَةٌ: فَإِنَّ لَهَا أَوَّلًا وَوَسَطًا وَآخِرًا: فَتَحْضُرُ
٣٥ الْهَيُولَى وَكَأَنَّهَا تُلْحَقُ عَلَى النَّفْسِ/ لَتُقَحِّمَ ذَاتَهَا فِيهَا وَتُقَلِّقَ سَاعِيَةً فِي أَنْ تَنْفَذَ إِلَى صِمِيمِهَا.
و«لَكِنَّ الْبَهْوَ كُلَّهُ مَقْدَسٌ» هُنَا، وَمَا فِيهِ نَاحِيَةٌ قَطُّ لَيْسَ لَهَا مِنَ النَّفْسِ نَصِيبٌ. فَتَنْبَسِطُ الْهَيُولَى
تَحْتَ النَّفْسِ وَتَسْتَضِيءُ بِهَا وَلَكِنَّهَا لَا تَقْوَى عَلَى قَبُولِ الْأَصْلِ الَّذِي بِهِ تَسْتَضِيءُ، لِأَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ
٤٠ بِهَا مَعَ كَوْنِهَا حَاضِرَةً، بَلْ أَنَّهُ لَا يَرَاهَا لِأَنَّهَا شَرِيرَةٌ. / عَلَى أَنَّ الْإِشْعَاعَ وَالتَّوَرُّ الْوَارِدَ مِنْ ذَلِكَ
الْأَصْلِ، تَخْتَلِطُ بِهِ الْهَيُولَى فَتُظْلِمُهُ وَتُضَعِّفُهُ. فَهِيَ الَّتِي أَتَاحَتْ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَالَمَ الصَّيْرُورَةِ
وَكَانَتْ السَّبَبُ فِي قُدُومِهِ إِلَيْهَا. ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْلَا حُضُورُهَا، لَمَا أَقْبَلَ. هَذَا هُوَ هُبُوطُ النَّفْسِ وَهُوَ
٤٥ أَنْ تُقْبَلَ هُكَذَا إِلَى/ الْهَيُولَى وَأَنْ تَضَعُفَ لِأَنَّ كُلَّ قَوَاهَا لَيْسَتْ حَاضِرَةً لَتَنْهَضَ بِأَعْمَالِهَا: إِنَّ
الْهَيُولَى تَقِفُ حَافِلًا بَيْنَ تِلْكَ الْقُوَى وَبَيْنَ حُضُورِهَا إِذْ أَنَّهَا تَشْغُلُ الْحَيِّزَ الَّذِي كَانَ لِلنَّفْسِ وَكَأَنَّهَا

تملؤه عليها. لقد اختلست الهيولى اختلاسًا ما بلغها وجعلته شرًا إلى أن يستعيد قواه ويعمد إلى الارتقاء نحو أصله.

٥٠ فالهيولى إذاً هي سبب ضعف النفس وردائها. إنها هي الرديئة/ أولاً وهي الشرّ أصلاً. وإذا كانت النفس ذاتها لتكوّن الهيولى بعد انفعالها بها، وإذا كانت لتتصل بها وتصبح شريرة بدورها، فإن الهيولى بحضورها إنما هي التي كانت في كلّ ذلك الأصل والسبب. فإن النفس لم تكن لتتسلّك في انسياق التكوين لو لم تتقبّل، بسبب حضور الهيولى، التكوين ذاته في ذاتها.

١٥ [] ورُبّ قائل يقول: ليست الهيولى عينًا من الأعيان. حينئذٍ لا بُدّ من الرجوع إلى أقوالنا في الهيولى عن ضرورة إثبات قوام لذاتها؛ وقد قيل هناك في الأمر أشياء كثيرة. وإذا قال قائل إنه ليس في الأعيان شرّ قطّ، تحتم عليه أن ينفي الخير أيضًا، ويُسقط من عالم الأشياء كلّ غاية يهدف إليها. / ومن ثمّ فلا رغبة أيضًا ولا نفور ولا عُرفان. فالرغبة رغبة في الخير، والنفور نفور من الشرّ، والعُرفان فطانة تتناول الخير والشرّ معًا، وهي خير أيضًا. فلا بدّ إذاً من وجود خير ولا بدّ من أن يكون خالصًا لا تشوبه شائبة، ثم يليه ما هو مزيج من شرّ وخير. ومهما ازداد جانب الشرّ في هذا المزيج، صار هو أقرب إلى ما ينطوي عليه الشرّ الكامل؛ ومهما قلّ فيه جانب الشرّ، وبقدر ما يقلّ، مال إلى الخير. فما عسى أن يكون/ الشرّ إذاً عند النفس؟ أو ما عساه أن يكون عند نفس لم تتصل بفطرة دون فطراتها؟ عند ذلك لا وجود لشهوة ولا ألم يقابلها، ولا غضب ولا خوف قطّ. فالخوف خوف على المركّب أن يتلف، والألم والرجع عند اتلافه. أما الشهوة ففي مُقابل ما يحدث اضطرابًا في مزاج المركّب، أو في مُقابل ما يدبّر له علاجًا ١٥ حتّى لا يضطرب. / أما الأوهام والخيالات فصّدمة من الخارج تُصيب النفس في جانبها الأصمّ، وهي تتلقّى هذه الصدمة بما كان منها غير قابل للتقسيم. ثمّ إنّ الآراء الكاذبة تنتهي ٢٠ إلى النفس إذا خرجت عن حقيقة ذاتها؛ وإنّها لتفعل ذلك/ إذ تكون غير طاهرة. أما الرغبة التي توجه النفس نحو الروح أمر آخر واجب النفس أن تجتمع به وحده، وأن تتوطّد فيه، فلا تميل بعد ذلك إلى ما هو الدون. أما الشرّ فلا يكون شرًا قائمًا وحده على حاله، بفضل قوّة الخير وحقيقته. فإنّه إن يظهر حتمًا، فموثقًا بجبال الحُسن/ - كالأسير مُكبّلًا بالذهب - يُحجب بها ٢٥ حتّى لا يبدو للأرباب بما هو عليه في ذاته، وحتّى يسعّ الناس ألا يشاهدوه دائميًا وهو كذلك، بل كلّما شاهدوه باسروا فيه آثار الحُسن فيتذكّرون.

الفصل التاسع

(١٦)

في الانتحار المُباح

لا تطلق النَّفس قهرًا حتَّى لا تنصرف مطرودة، وإلا انصرفت وهي لا يزال يَملكها شيء ما؛ حتَّى إذا انصرفت كان الانصراف حينئذ هو الانتقال إلى مقام آخر. بل الرَّأي أن تتمهَّل وتبقى حتَّى ينفكَّ الجسد عنها بكامله، فلا تظلَّ آنذاك في حاجة إلى تبدُّل مقام بمقام؛ بل تكون قد أصبحت بكاملها خارج الجسد.

- وكيف ينفكَّ الجسد؟

٥ - عندما لا يبقى من / النَّفس ناحية تتصل به، إذ أنه لا يقوى هو على أن يربطها به بعد فقدته التَّناسق المُحكم الَّذي كان يَمكِّنه من امتلاكها.

- وإذا عمد بعضهم إلى طرق غير طبيعيَّة، الغاية منها إتلاف الجسد؟

- فإنَّه عمد إلى العنف، وهو الَّذي ظلم ذاته وانصرف، وليس الجسد هو الَّذي أطلق

١٠ للنفس سبيلها. وإذا فعل، فليس بدون انفعال، بل بدافع السَّأم أو الغم أو الغضب. فالامتناع/ عن هذا الفعل واجب.

- وإذا أحسَّ من نفسه بوادر الجنون؟

- هذا أمر قلَّمَا يُصيب المجتهد. ولكن إذا وقع على كلِّ حال، فإنَّ الانتحار عندئذٍ أمرٌ

من الأمور القاهرة يلجأ إليه للحال التي يفترون بها، ولا يُراد في حدِّ ذاته. فإنَّ تناول السُّموم

١٥ لصرف النَّفس ربَّما لا يكون لصالح النَّفس. / وإذا قُدِّر لكلِّ إنسان أجلٌّ محدود، فإنَّ استعجاله

ليس بلائق، إلا لأمر قاهر، كما ذكرنا. فضلًا على أنَّ المقام في العالم الأعلى يكون وفقًا

للحالة التي انطلقنا عليها: فالواجب ألا ننطلق ما دام ثمة مجال للاستزادة من التَّقدِّم

المُتواصل.

المجلد الثاني

التاسع الثاني

فهرسُ التّاسُوع الثّاني

١١٥	في العالم	:	(٤٠)	الفصل الأوّل
١٢٢	في الحركة الدّوريّة	:	(١٤)	الفصل الثّاني
١٢٦	فيما إذا كان للنجوم فعل	:	(٥٢)	الفصل الثّالث
١٣٩	في الهيوليين	:	(١٢)	الفصل الرّابع
١٥٢	في معنى القول «بالقوة وبالفعل»	:	(٢٥)	الفصل الخامس
١٥٧	في الكيف وفي الأمثول	:	(١٧)	الفصل السّادس
١٦١ ..	في امتزاج الأجسام بعضها ببعض امتزاجاً كليّاً	:	(٣٧)	الفصل السّابع
١٦٤	لماذا تُظهر الأشياء صغيرة إذا بُعدت؟	:	(٣٥)	الفصل الثّامن
	الإغنسطيون، ردّاً على الذين يدّعون أنّ صانع	:	(٣٣)	الفصل التّاسع
١٦٦	العالم شرير وأنّ العالم شرّ			

الفصل الأول

(٤٠)

في العالم

١ إذا قلنا أن العالم قديم بجسمه، كان أولاً ولن يزول، وأسندنا ذلك إلى إرادة الله، فإن قولنا قد يكون صائباً، ولكن لا نجد قط منه وضوحاً. ثم إن تحول بعض العناصر إلى بعض، والفساد الذي يعتري الحيوان على الأرض / مع بقاء الأصل التوعّي، كل ذلك يقضي أن يكون الأمر هكذا من الكل؛ وما دام الجسم لا يستقرّ على حال بل هو دائماً يجري، فإن الإرادة الربّانية لا تقوى على حفظ الأصل التوعّي الواحد عند هذا وعند ذلك، ومن ثم لا تؤمن البقاء للوحدة عدداً، بل الوحدة من حيث النوع. وبعد، لماذا لا يتوافر البقاء لما على الأرض إلا وفقاً للنوع، بينما يتمّ لما في السماء وللسماء ذاتها مع كل أمر على انفراده؟ فإذا سلّمنا بأن عدم فسادة يعود إلى أنه يحتوي كل شيء، فلا شيء قبله يتحوّل إليه، ولا شيء يطرأ عليه من الخارج فيقوى على إتلافه، كانت نتيجة تعليلنا هذا أننا نسلّم بأن الكل هو الذي لا يفسد. أما الشمس والكواكب الأخرى في ما هي عليه، لكونها أجزاء في اعتقادنا، ولكون كل منها ليس هو الكل، فإنّ تعليلنا لا يصدق عليها بأنها باقية على الدّهر كلّ، بل الوجه أنّها لا يتمّ لها البقاء إلا من حيث الأصل التوعّي، مثلما هو الأمر في التّار وما إليها لا بل في العالم ذاته بأسره. / فإذا كان لا يفسده شيء من الخارج، بل كانت أجزاؤه يفسد بعضها بعضاً، كان الفساد حاصلاً فيه دائماً، فما من شيء حينئذٍ يمنع عن أن يبقى بأصله التوعّي هو وحده، فتظلّ حقيقته الجوهرية سارية باستمرار ويتلقّى أصله التوعّي من غيره، / فيتمّ عليه حيواناً كلياً ما يتمّ على الإنسان والجواد وما سواهما: فإنّ ثمة دائماً إنساناً وجواذاً، ولكن ليس الإنسان الفرد ذاته ولا الجواد الفرد عنه. فلا يقصر البقاء على جزء من الكل، مثل السماء، ويفسد ما على الأرض، بل يكون الكل على السواء ولا خلاف إلا في مدّة الزّمن، فلا بأس أن يكون ما في السماء أطول أمداً. وإذا إتقنا على أن البقاء كذلك للكل ولأجزائه، خفّ جانب الإشكال في مذهبنا؛ لا بل نكون قد رفّعنا كل إشكال إذا ثبت لدينا أن الإرادة الربّانية قادرة، والأمور على ذلك الوضع، على أن تحفظ للعالم كله بقاءه. / أما إذا قلنا أن البقاء يحصل لهذا الشيء أو ذاك كما هو في قدره، فلا بُدّ من أن نثبت

أيضاً أنَّ الإرادة قادرة على القيام بمثل هذا الأمر، فضلاً على أننا ما نزال أمام الإشكال التالي :
لماذا يكون بعض الأشياء كذلك، وبعضها الآخر على خلاف ذلك؟ بل فيتم له البقاء من حيث
الأصل النوعي فقط . ثم إن الأمور الجزئية في السماء كيف تكون في حدود دَوَاتِها، فإنه كما
٤٠ تكون هي، كذلك يكون الكل . /

٢ وإذا رَضِينَا الآن بالرأي التالي وقلنا: إنَّ للسماء ولكلِّ ما فيها البقاء بحسب الفردية، أما
لما تحت فلَّك القمر، فبحسب الأصل النوعي، وَجِبَتْ إقامة الدليل على أنَّ ذا الجسد كيف
يكون فرداً في ذاته بالمعنى الخاص، فيبقى هو هو، ثابت الحال، مع أنَّ من شأن الجسد أن
يجري/ أبداً ويتقلب؟ لهذا ما يذهب إليه كلُّ باحث في الطبيعة، وأفلاطون نفسه، ليس فقط في
٥ ما يختصُّ بالأجساد على مُختلف أنواعها، بل في ما يختصُّ بالأجسام السماوية أيضاً. فإنه
يقول: «كيف تكون الجسديات والمَرثِيَّات باقية دون تغيُّير، ثابتة دائماً هي هي على حالها؟ إنَّه
١٠ ولا شك مُتفق في كلِّ ذلك/ مع هرقلطس الذي قال: إنَّ «الشمس نفسها في تَكُون دائم». .
وليس في ذلك إشكال قطَّ على أرسطو إذا ما ثَبِتَ قوله في الجسم الخامس. ولكن إذا لم يكن
ذلك الافتراض ثابتاً، وإذا كان جسم السماء مؤلَّفاً من العناصر نفسها التي يتألَّف منها ما يحيا
١٥ على الأرض/ فكيف يتمُّ له البقاء الفردي، بل كيف يتمُّ للشمس وللأمور الأخرى في السماء
وهي كلها جزئيات؟ وما دام كلُّ حيِّ مؤلَّفاً من نفس وجِسم، فإنَّ السماء، على افتراضها باقية
ببقاء الفردية العددية، إنَّما هي باقية إما بفضل الطرفين المؤلِّفين معاً، وأما بفضل أحدهما،
٢٠ النَّفس أو الجسد/ . فَمَنْ سَلَّمَ بأنَّ الجسم هو الذي لا يعتريه الفساد، إعتبره في غناء عن النَّفس
ليكون كذلك، أو في غناء عن أن يتَّحدَّ بالنَّفس دائماً ليثبت كائناً حياً. أما الذي يذهب إلى أنَّ
الجسم في ذاته فاسد، فعليه السَّعي ليثبت أنَّ وضع الجسم ذاته لا يتنافى مع الجمع بينه وبين
٢٥ النَّفس، ولا مع دوام هذا الجمع، / لأنَّه ليس ثمة تنافر بين العنصرين المتألفين طبعاً، بل إنَّ
شأن الهيولى حينذاك أن تُلبِّي طائفة المُراد من المُكوَّن قائماً في اِكْتِمَالِه.

٣ فإن قيل كيف تتصافر الهيولى وجسم الكون الكلِّي على تأمين خلود العالم وهو أبداً في
جَريٍّ مُستمرٍّ؟ قلنا: «نعم إنَّه يجري، ولكنَّه لا يجري إلى الخارج». فإذا كان يجري في ذاته ولا
يُخرج منه، فإنه باقٍ هو هو، لا زيادة فيه ولا نقصان منه؛ بل لا يُدرِكُه الهَرَم. والمُشاهدة تدلُّ
٥ على أنَّ الأرض باقية دائماً/ على شكلها وحجمها منذ الأبد، كما أنَّ الهواء لا يُقطع ولا الماء
أيضاً؛ ثم إنَّ ما يتمُّ بين كلِّ ذلك من تغيُّرات لا يُحدث تَبديلاً قطَّ في حقيقة الحيوان الكلِّي.
ونحن! إنَّا لفي تحوُّلٍ مستمرٍّ بما يدخل فينا وما يُخرج منا، ثم إنَّ كلاً ممَّا مع ذلك يبقى رَدحاً من

١٠ الزَّمَنَ / أما العالم، فليس يخرج عنه شيء، وليس في حقيقة جسمه نُفُور من الجمع بينه وبين النفس بحيث يكونان معًا حيوانًا يبقى دائمًا هو هو. إنَّ التَّارَ حادَّةً طَبْعًا وسريعة لآثها لا تَبْقَى ههنا؛ والثَّرَابُ كذلك، لأنه لا يبقى في جهة فوق. فلا نَعْتَقِدَنَّ أنَّ التَّارَ، إذا أصبحت حيث يجب ١٥ أن تقف، فاستقرَّتْ بذلك وثبتت في محلِّها الخاصِّ/ لا تُحاول الكفَّ عن الصُّعود أو الهبوط. ولكنها لا سبيل لها إلى أعلى ما انتهت إليه إذ أنَّه لا فوق فوقها بعد ذلك، ثم ليس من طبيعتها أن تتَّجه إلى تحت. بقي عليها إذا أن تنقاد راضيةً وأن تطاوع ما ولدت فيها النفس من جاذبيَّة فطريَّة إلى الحياة الطيِّبة فتجول في النفس حيث الحُسن والجمال. فلنَظْمِنَ ولا نخشِئَ عليها ٢٠ الهبوط/ : فإنَّ حركة النفس الدَّوريَّة تستدرك كلَّ ميل، وهي قابضة عليها مُمسكة بها. وإذا لم يكن لديها من يَلْقاه ذاتها ما يدفع بها إلى ما تحت، فإنَّها تَبْقَى بغير مُقاومة. لهذا وإنَّ العناصر الَّتِي يقوم بها كياننا تنسبك في الصُّورة دون أن تقوى بعضها على التماسك مع بعض، فيقتضي ٢٥ جهازنا عناصر أخرى غريبة عنه، حتَّى يبقى؛ / أما العالم فلا يخرج شيء منه، فليس بحاجة إلى غذاء. فإذا انطفأت نار في السَّماء، واندلعت منها، لم يكن بدٌّ من إشعال نار أخرى؛ وإذا حدث لأمر آخر أن يجري ويخرج من هُنالك، فلا بدُّ أيضًا من شيء غيره يحلُّ محلَّه. على أنَّ الحيوان ٣٠ الكلِّي لن يبقى هو هو على ذاته إن كان الأمر كذلك وما دام على هذه الحالة /

٤ ولكن ها هوذا الآن موضوعٌ يَنْبغي أن يُعالج في ذاته، لا على أنَّه لازم لما نحن في صدده؛ الواقع أنَّه يجب أن نبحث فيما إذا كان شيء يجري فيزول من السَّماء بحيث تكون ٥ الأمور السَّماويَّة في حاجة إلى ما يسدُّ مسدَّ الغذاء، أو أنَّ تلك الأمور تُضبط ضبطًا واحدًا، فتَبْقَى على ما هي في حقيقتها ولا تُطالب بخسران قط. أو تكون هناك التَّار وحدها؛ أو تكون نارٌ بقدرٍ راجح، / مشفوعة بعناصر أخرى، فيمسكها العنصر المُتغلَّب فتَبْقَى مُعلَّقة مُرتفعة. فإذا ما أدخلنا في اعتبارنا الأمل الأعظم، أعني النفس، مع أجسام الفلك وهي من الطَّهارة على ما هي ومن الفضل بمعناه المُطلق - (فإنَّ الطَّبيعة في الحيوانات الأخرى أيضًا، تختار أفضل ما يكون ١٠ للأعضاء الرئيِّسة من مُلك الحيوانات) - كان مذهبنا في خُلُود/ السَّماء مذهبًا ثابت الأُسُس قويًّا. يقول أرسطو بحق: إنَّ «اللَّهيب ضرب من الغلواء»، وهو نارٌ أفرطت في اضطرامها؛ أما التَّار في السَّماء فهي مُساوية وثيدة، مُتساوقة مع طَبَع الكواكب. فكيف يُفعل من النفس، وهي الأصل الأعظم الَّذِي يلي فضلًا، بإمكاناته العجيبة، أفضل ما في الأمور؟ - أقول: كيف ١٥ يُفعل منها/ شيء ممَّا تمَّ ضبطه فيها فيصير إلى اللبس؟ والقول بأنَّها ليست أشدَّ من كلِّ رابط، على كون أصلها من الله مباشرة، قولٌ ذي جهل بالأصل الَّذِي يحفظ كلَّ شيء. فمن الحماقه أن تكون قد استطاعت حفظ السَّماء ردحًا من الزَّمَن، ثم ولا تقوى على أن تفعل ذلك دائمًا. / ٢٠

وَكأنَّ ما تَمَّ لها على القُدرة من الضَّبْط إنَّما تَمَّ قَدراً، وكأنَّ ما هو بالطَّبع غير ما هو قائم حقاً في طبيعة الكلِّ وفي حسن إنَّظماها، أو كأنَّ ثَمَّة ما في وَسْعِه أن يَبْطِش بالوَضْع الرَّاهن فيدَكِّه دَكًّا ويَتلف النَّفْس في حَقِيقَتها كما تُقَوِّض الدُّول والممالك إلى أركانها.

٢٥ هذا وإنَّ إنْتِفاء البِداية - وقد سبق/ الدُّلِيل على إحالتها - كَفِيل بما سوف يَتَمَّ. ولماذا تأتي ساعة لا يكون فيها شيء؟ فإنَّ العناصر لا تَبْلَى مثلما يُبْلَى الحطب وما إليه؛ ولئن كانت باقية لَيَبْقِيَنَّ الكلَّ. وحَتَّى لو أنَّها كانت في تَبَدُّل مُستَمَرٍّ، فإنَّ الكلَّ باقٍ لِأَنَّهُ باقٍ على ما هو في أصل التَبَدُّل. أمَّا «توبة» النَّفْس «فقد ثَبَّت أنَّها أمر باطل لأنَّ رِعاية الكلَّ لا وَصَب فيها ولا عَطْل. وإذا كان الفناء مُصْبِر كلَّ جسد، فلا تَتَحَوَّل النَّفْس قَطَّ إلى غير ما هي عليه.

٥ ولكن كيف تَبَقِيَ الجُزْئِيَّات في السَّمَاء ثُمَّ لا تَبْقَى العناصر هُنا والحيوانات؟ يقول أفلاطون: «أما الأولى فإنَّها من الله، وأما الحيوانات هُنا فمن الأرباب الَّذِينَ انْبَثَقُوا عن الله: وإن ما يَنْبَثِق عن الله لا يجوز أن يَعتريه الفساد». ولهذا يَعْنِي/ أَنَّ النَّفْس السَّمَاوِيَّة تَلِي الصَّانِع فوراً، كما هو الأمر في نُفوسنا أيضاً؛ ثُمَّ من النَّفْس السَّمَاوِيَّة يَنْبَثِق انْعِكَاس وكأنَّه يَجْري من الأمور العلوية إلى الأرض فيُحدث فيها الحيوانات. وإنَّ نَفْساً مثل تلك النَّفْس إذا إنَّما هي نسخة للنفس السَّمَاوِيَّة، لا تَقْوَى على الإحداث لأنَّها تَستَخدم أجساماً حَقيقَةً الشَّان، / ولأنَّها في المَقام الأسفل، فَضْلاً عن أنَّ من طَبْع الموادِّ الَّتِي تَعْمَد إليها للتَّركيب ألا تَبْقَى؛ فلا غرو إن كانت الحيوانات هُنا عاجزة عن البقاء، وإن كانت الأجسام هُنا لا يُحَكَّم ضَبْطُها مثلما يُحَكَّم في السَّمَاء، إذا أنَّ السَّيادة المباشرة فيها لنفس غير النَّفْس السَّمَاوِيَّة. أما إذا كانت السَّمَاء كُلُّها باقية حَتْمًا، / فباقية أَجْزَاؤها أيضاً، أعني الكواكب الَّتِي فيها: وإلَّا فكيف تَبْقَى هي، ولا تَبْقَى أَجْزَاؤها؟ أمَّا ما تحت السَّمَاء فليس منها؛ وإلَّا لما انْتَهت السَّمَاء إلى القمر. وأمَّا نحن ١٥ فجبَلْتنا من النَّفْس المُسْتَمَدَّة من الأرباب الَّذِينَ في السَّمَاء ومن السَّمَاء ذاتها؛ / وبِمَقْتَضَى هذه النَّفْس تَمَّ الجَمْع بَيْننا وبين أجسادنا؛ ذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْس الأُخْرَى، الَّتِي بِمَوجِبِها نَحْن ما نحن عليه، فإنَّها ليست عِلَّةً إِنِّيئًا، بل عِلَّةً كَوْنًا بِخَيْر. فالوَقع أنَّها تأتي بعد تَكْوِين الجسد، وهي فينا القليل من التَّعَقُّل الَّذِي يَدْعِمُ إِنِّيئَتنا.

٦ فَلتَعُدَّ الآن إلى بَحْثنا فيما إذا كان في السَّمَاء نارٌ فقط، وإذا كان شيء يَجْري منها، وإذا كانت تَحْتَاج إلى غِذاء. إن تيماموس باذَر إلى صُنْع جِسم الكلَّ من ترابٍ ونار - من نار حَتَّى يكون مرثياً ومن تُرابٍ حَتَّى يكون جامداً - فبدا له، ناتِجاً عن ذَلِكَ، أن يَصْنَع كلَّ كوكب من الكواكب من نار، لا كُلِّه بل معظمه، / إذ أنَّ الظَّاهر في الكواكب أنَّها من الجوامد. ولربما ٥

كان من الأمر على صواب، لأنَّ عند أفلاطون ما يساعد على تأييد هذا الرأي بالاحتمال. وهو أنَّ إذا ما عمَدنا إلى مُعطيات الإحساس، إدراكًا بالبصر وبالمس، بدا لنا الكوكب نازًا مُعظمه ١٠ أو كَلَه؛ أمَّا عند من يُبشره بالعقل،/ فإنَّ فيه أيضًا تُرابًا طالما أنَّ الجوامد ليست جوامد بدون تُراب. وهل هو في حاجة إلى الماء والهواء؟ أمَّا أن يكون ماء في نار بذلك القدر فُمحال؛ وأمَّا الهواء، إذا كان، فإنَّه يتحوَّل إلى التَّار. بل إذا اقتضى جامدات في وَضع طَرَفين أن يكون بينهما ١٥ وسيطًا،/ فليس من الواضح أن يَجِيء الأمر كذلك في الطَّبِيعَات؛ ذلك أنَّنا نَسْتَطِيع أن نَمزُج تُرابًا بماء بدون حاجة إلى وسيط قَطَّ. وإذا قيل: «إنَّ العَنَاصِر الأُخْرَى إنَّما كانت في التُّراب وفي الماء»، فلرُبَّما كان لهذا القول معنى ما؛ ولكن قد يُردُّ عليه بأنَّ «تلك العَنَاصِر ليست هنا ٢٠ للجمع/ بين المتكافئين». فإذا قيل أيضًا: «لقد تمَّ الجمع بين الطَّرَفين، لأنَّ في كُلِّ منهما كُلَّ العَنَاصِر». عند ذلك، لا بدَّ من التَّنَظَر فيما إذا لم يكن التُّراب يُرى بدون نار، وإذا لم تكن التَّار جامدة بدون تُراب؛ وإذا كان ذلك كذلك، فالوجه أنَّه ليس لشيء حقيقة في حدِّ ذاته، بل كُلُّ شيء مَرِيج، وإنَّما يُعرف بالأصل الرَّاجح فيه. ثمَّ يُقال أيضًا أنَّ التُّراب لا يُمكن أن يكون ٢٥ مُتَماسكًا بدون رُطوبة،/ فإنَّ رُطوبة الماء للتُّراب لِرَاق. ولكن إذا سلَّمنا بأنَّ الأمر كذلك، كان من المُحال أن نقول في شيء أنَّه له بذاته إنِّيَّة ما، ثمَّ لا نَعترف لهذا الشيء بالقيام مع ذاته في حدِّ ذاته، بل مع ما سواه من الأمور الأُخْرَى، ما دام الشيء لم يكن وحده شيئًا. فكيف تكون ٣٠ حقيقة التُّراب، ويكون أمر من شأنه أن يصبح تُرابًا، ما دام جزء التُّراب لا يكون تُرابًا/ إلَّا إذا تخلَّله ماء يتمُّ به الالتصاق؟ فما عسى أن يُلصق الماء ما دام ليس ثَمَّة قدر من تُراب يُلصق بعضه ببعض فيُخرج الكلَّ المتَّصل؟ وإن يكن التُّراب، أيُّا كان قدره، فإنَّ ثَمَّة بالطبع تُرابًا دون ماء حقًا. وإلَّا لما كان شيء يُلصقه الماء. والهواء أيضًا، لماذا يَحْتَاج إليه حَفنة التُّراب حتَّى يكون ٣٥ بِانِّيَّتِها،/ وأعني الهواء الَّذي لا يزال باقيًا في ما هو عليه ولمَّا يتحوَّل. أمَّا التَّار فلم يذهب أحد إلى افتراضها لِإِنِّيَّة التُّراب، بل لكي يُرى هو وغيره أيضًا. فقد تَطَبَّب لنا الموافقة على أنَّ ٤٠ الإِبصار إنَّما يكون بواسطة النور، فلا يُقال أنَّ الظلام يُرى، بل أنَّه لا يُرى، كما أنَّ/ الصَّمْت لا يُسمع. ولكن حضور التَّار في التُّراب ليس ضروريًا، فالتَّور يَكْفِي: إنَّ التَّلَج والأجساد الشَّديدة برودتها تَسْطِيع سَطْعًا بدون نار. على أنَّ رُبَّ قائل يقول: «ولكنَّها كانت في تلك الأشياء فأكسبتها لونها قبل أن تُغادرها». ثمَّ ترد مشكلة الماء فيها إذا لم يكن ماء ما لم ٤٥ يُصب شيئًا من التُّراب. أمَّا الهواء، فكيف يُقال/ أنَّ فيه شيئًا من التُّراب، وهو مانع؟ أمَّا فيما يَخْتَصُّ بالتَّار، فهل يعوزها تُراب وهي لا تملأُ لها من تَلَقاء ذاتها، وليس لها الأبعاد الثلاثة أيضًا. أمَّا الصَّلابة فهي من لوازمها، لا بمُقْتَضَى البُعد الثلاثي بل بمُقْتَضَى المَنَاعة، ولهذا أمرٌ واضح: فلماذا أَلَّا تكون إذا بحُكم تلك الصَّلابة جَسَمًا من أجسام الطَّبِيعَة؟ أمَّا الصَّلادة فللتُّراب

٥٠ فقط / وإذا تراصَّ الذهب وهو ماء فإنَّ تراصَّه لا يتمُّ بإضافة التُّراب، بل بالكثافة والتَّجمُّد. فإذا حَضُرَت النَّفْس، فلماذا لا تكون النَّار من يَلْقَاهُ نَفْسُهَا مُتَمَاسِكَةً لِتَمْكُنَ قُوَّةُ النَّفْسِ مِنْهَا؟ وَحِينَئِذٍ يكون الحيوان النَّاري في عالمِ الحَيَّيِّ. أليس في كُلِّ ذَلِكَ ما يَتَزَعَرُ بِهِ القَوْلُ بأنَّ كُلَّ حيوانٍ إنَّما ٥٥ يكون قِوامه من العناصر كلها: / الواقع أنه قول يصحُّ في ما على الأرض؛ أمَّا أن تُرفع التُّراب إلى السَّمَاء، ففي ذَلِكَ مُقاومة للطبيعة ومُخالفة الواقع. فإنَّ لا سبيل إلى الاعتقاد بأنَّ الأجسام التُّرابيَّة تُدفعها حركة دورية على أشدَّ ما تكون سرعة، فضلًا على أنَّ التُّراب يكون مانعًا لظهور ٦٠ النَّار السَّماوية ولَمعانها. /

٧ إذا ربَّما كان أحرى بنا أن نستمع إلى أفلاطون إذ يقول: إنَّه لا بدَّ من أن يكون في العالم الكلِّي جامدٌ من وجه ما، ذو مقاومة، فتصبح الأرض في الوسط جسرًا وموطئًا لمن يَسِير عليها، فيحصل للحيوان الَّذي يحيا على وَجْهها شيء من الصَّلابَة، / في حين تكون هي مُتَمَاسِكَةٌ بذاتها فِئتها صلابتها ومن النَّار نورها. أمَّا الماء فتُصِيب منه لِجِفظها من اللَّيْس، فيتمُّ لها ألا تُمْنَع أجزاءها من أن يتداخل بعضها ببعض؛ أمَّا الهواء فهو فيها لِتَخْفِيف حجمها. وأمَّا التُّراب، فإنَّه يمتزج بالنَّار السَّماوية لا بمعنى أنَّه يُصبح من مقومات الكواكب، / بل بمعنى أنَّ كُلَّ شيء في العالم إنَّما يكون بحيث أنَّ النَّار تنال وَجْهًا من التُّراب، كما أنَّ التُّراب ينال وَجْهًا من النَّار، وهكذا كُلُّ شيء من كُلِّ شيء؛ لا على أنَّه إذا نال هكذا وَجْهًا أصبح مُركَّبًا من أصلين، أي مُركَّبًا منه ومِمَّا أصاب منه، بل على أنَّه يَنسَجِم مع ١٥ التَّقَارُن الكلِّي، فيكون ما هو عليه ولا يأخذ الشَّيء الآخر ذاته بل وَجْهًا من ذَلِكَ الشَّيء، / كان لا يأخذ الهواء بل انسياب الهواء، وكأنَّ لا يأخذ التُّراب النَّار بل لَمعانها. أمَّا المزيج فيمدَّ الشَّيء بكلِّ ما في الشَّيء الآخر ويخرج حينئذٍ الشَّيء المُزدوج، فلا يقف، في ما يختصُّ بالتُّراب، عند مجرد ضمِّ صلابته وتراصُّه إلى حقيقة النَّار. وأفلاطون ذاته يَشْهَد على ذَلِكَ إذ يقول: «إنَّ الله ٢٠ علَّق نورًا / في الدَّائرة الثَّانية بعد الأرض: إنَّه يتكلَّم عن الشَّمْس ويصفها في مكان آخر على أنَّها أشدُّ الكواكب ضياءً، وأشدُّها سُطوعًا أيضًا، فَيَرَدُّنا بِذَلِكَ عن الاعتقاد بأنَّ فيها شيئًا آخر غير النَّار، ولكِنَّها نار من غير أنواع النَّار الأخرى، بل إنَّها ذَلِكَ التُّور الَّذي يَخْتَلِف عن الشَّعلة، / فيما يقول: إنَّ كان فيه حرارة، فخفيفة لطيفة؛ ثُمَّ إنَّ هَذَا التُّور جسم، ومنه يشعُّ، منعكسًا التُّور الَّذي يُشاركه في الإسم، والذي نقول عنه الآن إنَّه لا جسمي، ينبعث نيرًا من ذَلِكَ التُّور الأوَّل ٣٠ على أنَّه نواره وإشعاعه هو الجسم النَّاصع حقًّا وحالًا. أمَّا نحن / فإنَّنا نَهبط بالأرضي إلى مَعْنَاه الأدنى، في حين أنَّ أفلاطون إنَّما يَعتبر «الأرض» حيث صلابتها؛ ونتيجة ذَلِكَ إنَّنا نَعْنِي بالأرض أمرًا واحدًا، في حين أنَّ أفلاطون يَضَع لها وَجْهًا شَتَّى. لهذا وما دامت تلك النَّار التي تمدُّ

٣٥ بالتور أشد ما يكون نصاعة، ما دامت قائمة في المكان الأعلى مُستقرّة طبعا هنالك، / فالواجب علينا ألا نتصور الشعلة التي على الأرض مُمتزجة بما في السماء، بل إنها إذا أدركت علوا ما إنطَفأت بعد اليَقَاطِها بقدر زائد من الهواء. وإذا كانت تحمل تراثا أثناء ارتفاعها فهي ترتد إلى تحت ولا تقوى على الاستمرار صُعُدا إلى فوق، فتستوي تحت فلك القمر فتزيد الهواء هنالك لطفًا، وإذا بقيت شعلة، / فهي خامدة تكاد تهمد، وما بقي لها من اللّمعان ما كان لها إبان اضطرامها، بل بقي منه ذلك القدر الذي تعكس من التور المُنبعث من فوق: أمّا التور السّماويّ ٤٠ الموزّع بنسب مختلفة بين الكواكب، فهو الذي يميّز بعضها عن بعض حجما ولونا. / ومنه أيضًا باقي السماء، وهو لا يُرى، مثل الهواء الثّقِيّ، للطف مادته وشفافيتها التي ليس فيها ما يردّ البصر؛ لهذا فضلًا على بعده أيضًا.

٨ وما دام التور الذي سبق وصفه باقيًا في جهة فوق، في المحلّ المُعدّل، وما دام هو الصّافي في المكان الأصفي، فبأيّ طريقة يجري ويخرج ممّا هو وفيه؟ إنه لم يُفطر طبعا على أن يخرج ويجري نحو الأسافل، وليس في السماء ما يدفعه كرها إلى تلك الجهة. ثم إن كلّ جسم ٥ إنّما هو مع / النّفس غير ما يكون عليه وحده؛ وهكذا جسم السماء، فهو يختلف عما من شأنه أن يكون عليه، فيما لو كان وحده. ثم إن ما في جوار السماء، إمّا هواء وإمّا نار. أمّا الهواء فما عساه أن يفعل؟ أمّا النار فليس لديها ما يؤهلها إلى أن تُحدث تأثيرًا ما، كما أنّها ليس في وسعها أن يُتاح لها إتصال ما تفعل بوساطته: فهي من السّرعة بحيث أنّها تتغيّر قبل أن يتفعل بها جسم السماء، / علاوة على أنّها أضعف طاقة من أن يُسوّى بينها وبين النار التي على الأرض. ثم إن عمل النار أن تولّد الحرارة؛ والذي يُصبح حارًا ينبغي ألا يكون حارًا من تلقاء ذاته. فإذا أثقلت ١٠ النار شيئًا، وجب أولًا أن يُصبح حارًا، وأن يُصبح في حالة الحرارة قسّر طبيعته. فليست السماء إذا في حاجة إلى جسم / غريب عنها لتبقى ولا لتقوم بالدّورة التي من طبعتها؛ ذلك لأنه لم يَقم الدليل بعد على أنّها تمضي طبعا على الخطّ المُستقيم: فإمّا السّكون وإمّا الحركة الدّورية، لهذا ما فُطرت عليه الأجسام السّماوية؛ وما خرج عن هاتين الحركتين لزم قسّرًا ما تناوله. فالوجه إذا ٢٠ ألا يُقال أن ما هنالك في حاجة إلى غذاء، وألا يُستدلّ بما هنا على ما هنالك، / فلا يجمع بين العالمين نفس واحدة ولا مكان واحد، وليس من داعٍ هناك إلى الغذاء الذي تحتاج إليه هنا الأجسام المُركّبة وهي في جريٍّ مستمرٍّ يكون التغيّر فيها تحويلًا عن ذاتها ما دامت تحت إشراف ٢٥ قوّة طبيعيّة غير النّفس السّماوية، وهي من الضّعف بحيث لا يَسْعُها أن تحفظ تلك الأجسام في الإثنيّة، بل تُقلّد في عالم التّكوين والحدوث. والأمور السّماوية لا تبقى مع ذلك هي هي على وجه الإطلاق، مثلما تبقى الأمور الرّوحانيّة، ولهذا قول مرّ ذكره.

الفصل الثاني

(١٤)

في الحركة الدورية

١ إن قيل: لماذا تسير السماء «بحركة دورية»؟ قيل: لأنها تقلد الروح. - وهل هذه الحركة هي حركة النفس أم حركة الجسم؟ وماذا في الأمر إن كانت حركة النفس في ذاتها، تسعى إلى ذاتها؟ أو تُحاول الانطلاق؟ أو أنها في ذاتها ولكن بصورة غير مُستديمة؟ وهل تجرّ الجسم معها بحرّكتها؟ إنها إذا كانت تجرّه، فالوجه أن تكفّ عن تحريكه، بل أن تكون قد انتهت من هذا التحريك، / أعني أن الأخرى بها أن تحوّل الجسم الكلّي على الوقوف ولا تستمرّ هكذا تدفعه بالحركة الدورية. فالتّفس ذاتها ساكنة؛ وإذا تحركت فليس بالحركة المكانية. وكيف تسير بالحركة المكانية، وحركتها هي من نوع آخر؟ ربّما لم تكن الحركة الدورية حركة مكانية، أو قلّ إذا كانت كذلك فبطريق العرض. فما هو نوع هذه الحركة إذا؟ توجّه نحو الذات، وإحساس بالذات وعُرفان للذات وحياة في الذات، / لا سبيل لها إلى الخارج، ولا سبيل إليها لما هو غريب عنها، فلا بدّ من أن تكون مُحيطَة بكلّ شيء. والعنصر الغالب في الحيوان هو الذي يقبض كلّ شيء ويجعله واحداً. فلو بقي ساكناً لما استطاع أن يضمّ كلّ شيء بمثل ما تقتضيه الحياة، ولما استطاع وهو ذو جسم أن يحفظ ما في الجسم؛ ذلك لأنّ حياة الجسم هي أيضاً في الحركة. وإن تكن الحركة الدورية حركة مكانية، تُحرّك الكلّ على نحو ما يستطيع أن يتحرّك، فلن يتحرّك على أنّه نفس فقط، / بل على أنّه جسم مَسبوك في نفس وعلى أنّه حيوان؛ بحيث أنّ الحركة حينئذٍ مزيج من جسميّة ونفسية: يسير الجسم طبعاً وفقاً لخطّ مُستقيم، وأنّ النفس لتمسك به؛ فتتولّد إذ ذاك حركتنا من الطرفين، المُتحرّك والسّاكن. أمّا إذا قيل: إنّ الحركة الدورية من الجسم، فأنتى يكون ذلك وكلّ جسم يتحرّك على خطّ مُستقيم، حتّى الثّار ذاتها؟ أجل، / إنها تسير بحركة مُستقيمة حتّى تنتهي إلى المكان المُعدّ لها؛ ذلك لأنّها إذا انتظمت هكذا، فالرّأي أنّها تسكن حينئذٍ طبعاً، وأنّها تتحرّك إلى حيث تمّ لها أن تنتظم. ولكن لماذا لا تسكن عندما تُصل؟ هل لأنّ من طبع الثّار أن تكون في الحركة؟ فإذا لم تسر بحركة دائرية، تبدّدت في حرّكتها المُستقيمة؛ فلا بدّ إذا من أن تتحرّك بالحركة الدائرية. ولكنّ

٢٥ ذلك عمل تم بعناية . بل / بعناية من النار نفسها بحيث أنها، إذا انتهت إلى السماء، سارت من تلقاء ذاتها بحركة دائرية . أو أنها إذ تندفع بالحركة المستقيمة ولا يبقى أمامها محلّ تملؤه، فكأنها تنزلق على صفحة الفلك وتعكف حولها حيث يتيسر لها الأمر : فإنها ليس لها بعد ذلك حدّ تُدركه، والحدّ الذي وصلت إليه هو الأخير . فهي تعدو إذا حيث يتسع لها المجال، وهي ٣٠ لذاتها مجال / ذاتها، لا تبقى ساكنة بعد أن صارت إلى ما هي فيه، بل لتُدفع فتتحرك . أما الدائرة فإن مركزها يبقى ساكناً طبعاً؛ وأمّا المحيط من الخارج، فهو إذا سكن، غدا مركزاً ضخماً عظيماً؛ وهو أخرى بالدوران حول المركز في حال كون الكل حيواناً ذا جسم طبيعي . ٣٥ فيميل ذلك المحيط هكذا نحو المركز، لا بأن يتقلص وينضم إليه، / فيُعَلِم الدائرة، بل، مادام يستحيل عليه ذلك الانضمام، بأن يدور حوله، فيُحَقِّق بذلك - وبذلك فقط - رغبته . وإذا كانت النفس هي التي تُشرف على تلك الحركة، فلن ينالها منها تعب، فإنها لا تجرّ الكل جرّاً، وليس في عملها ما تنفر الطبيعة منه . فما الطبيعة إلا من تنظيم النفس الكلية . وما دامت هذه ٤٠ النفس كلها في كل جهة، غير موزعة على الكل / جزءاً جزءاً، فإنها تُمكن السماء من أن تكون في كل جهة، ما استطاعت السماء إلى ذلك سبيلاً . وهي قادرة على ذلك باجتماعها الكل وجولانها فيه . وإذا كانت النفس ساكنة في محلّ ما، فإن السماء، إذا وصلت إليه، سكنت أيضاً . ولكن الواقع هو أن النفس بكلّ ما فيها تكون في كل جهة، فترغب السماء في إدراك الكل ٥٠ أيضاً . وماذا بعد؟ أقلن يتم ذلك لها؟ بلى ! وليتضمن لها دائماً؛ أو بالأحرى ما دامت النفس / تسوق العالم السماوي دائماً إليها، فإنها في سوقها له، تجعله في حركة دائمة؛ ثم إنها لا تدفعه بالحركة إلى كل محلّ مهما يكن، بل تشدّ به إليها وتحفظه في محلّ واحد؛ وما دامت لا تدفعه بحركة مستقيمة بل بحركة دورية، فإنها تُمكنه من أن يدركها أينما وصل . ولو استقرت ساكنة، ٥٠ كأن تكون فقط في الملاء الأعلى، حيث كلّ شيء ساكن، / لتوقّف العالم السماوي أيضاً وسكن . ولكنّها ما دامت لا تكون فقط في ناحية ما هنالك، فإن السماء تتحرك في أثرها، بدون أن تكون حركتها إلى الخارج؛ فهي إذا تتحرك بحركة دورية .

٢ والأمر الأخرى، كيف تكون حركتها؟ ليس كلّ منها كلاً بذاته، بل هو جزء محصور في حيّز جزئي . أمّا العالم فكلّ، وكأنّه لذاته حيّز ذاته؛ فلا حاجز له، إذ أنّه الكل . والآدميون، كيف تكون حركتهم؟ إنّ الآدمي من حيث إنّه مقيد بالكلّ هو جزء . ومن حيث إنّه هو ذاته، فكلّ خاصّ .

٥ وإن تكن لجسم العالم نفسه أينما حلّ، / فما باله يدور حول ذاته؟ ذلك لأنّ النفس ليست فقط في العالم الأعلى . ثم إذا كانت قوّة النفس في وسطها، فإنّ تلك القوّة من النفس

كالمركز من الدائرة. لهذا ولا يُقال «المركز» في الجسم وفي حقيقة النفس بمعنى واحد: فالمركز هنا هو ما ينبعث منه سائر ما في النفس، أما من حيث الجسم فبالمعنى المكاني. ١٠
فالمركز إذاً لفظٌ مُشترك/ حتمًا، وكما أنّ هناك مركزًا، فهنا أيضًا وعلى الوجه ذاته مركز حتمًا، وهو وحده مركز الجسم والفلّك: ذلك لأنّه كما تدورُ النفس حول مركزها، فكذلك الشأن في العالم الكلّي. ثمّ إذا كان للنفس مركز، فإنّها تدورُ حول الله، وتغمره بحبّها، وهي مُقيمة حواليه ما تيسّر لها الأمر، إذ أنّ كلّ شيءٍ مُتعلّق به. فلمّا لم تكن تسير إليه، فهي إنّما تبقى ١٥
حواليه. وكيف لا تكون النفوس كلّها/ هكذا؟ إنّ كلّ نفس على ذلك حيثما تكون. وإن قيل لماذا لا يتمّ ذلك لأجسادنا أيضًا؟ قلنا: لأنّ ما يتحرّك بحركة مُستقيمةً يلازمها مُلتصقًا بها، ولأنّ رغباتها متحوّلة إلى أمور أخرى؛ علاوةً على أنّ كرويتنا ليست مُحكّمة الاستدارة: فإنّها ٢٠
أرضيّة، وما في السّماء يُفاد للحركة خفيفًا لطيفًا؛ وإلّا لماذا تتوقف عند أدنى اضطراب في النفس. / ولكن قد يحدث ذلك فينا أيضًا التّفح اللطيف الَّذي يُحيط بالنفس. ذلك لأنّه إذا كان الله في كلّ شيء، وجب على النفس التي تُريد أن تحيا معه أن تدور حوله، إذ أنّه ليس له حيّز يُقيم ٢٥
فيه. وإنّ أفلاطون لا يعترف للكواكب بالحركة الدّوريّة التي تشتمل الكلّ فقط، / بل يعترف أيضًا بحركة خاصّة لكلّ كوكب حول مركزه، لأنّ كلّ شيء، أينما كان، يدرك الله فينشرح؛ وليس ذلك بالتّعقّل الراعي بل طبعًا وحتمًا.

٣ ويكون ذلك على نحو ما يلي:

إنّ إحدى قوى النفس، وهي أدناها، تنطلق من الأرض «وتتخلّل» الكلّ؛ أما القوّة التي ٥
فُطِرَتْ على الإحساس وتلقّت العقل بكونه رأيًا وظنًا، فإنّها قائمةٌ في جهة فوق، بين الكواكب، تُرافقها في سيرها، فتتمدّ القوّة الأولى من ذاتها وتزيدها حياة. / فإنّ القوّة العُلّيا تحرك إذا القوّة السفلى، فتُحيط بها من كلّ صوب وتُسوي السفلى، على القدر الَّذي انتهى صُعدًا إلى الأفلاك. ومن ثمّ إذا استدارت القوّة العُلّيا حول القوّة السفلى من كلّ صوب، وشدّ بهذه القوّة ميلها إلى ١٠
الأولى، اتّجهت حتمًا نحوها وأحدث إتّجاهها هذا حركة دوريّة في الجسم الَّذي امسكت فيه. / ذلك لأنّه إذا تحرك جزء في كرة بحركة ما وهو لا يزال باقيًا حيث هو من الكرة، هُزّ ما كان فيه وصارت الحركة في الكرة كلّها. ولهذا ما يتمّ في أجسادنا: إذا تحركت النفس بحركة تختلف عن الحركة المكانية، كما إذا فرحت مثلًا أو بدا لها خير ما، حدثت حركة الجسد، وهي حركة ١٥
مكانية. / ففي السّماء أيضًا تكون النفس في الخير ويزداد إدراكها له قوّة، فتتحرك ساعيةً إلى الخير وتجزّ الجسم بحركة مكانيّة ثلاثٍ ما فُطر عليه الجسم هناك. ثمّ إنّ القوّة الإحساسيّة، ما دامت هي أيضًا تتلقّى بدورها الخير من جهة فوق، وتطرب لأفراحها الخاصّة، وتتبع ذلك الَّذي

٢٠ يُقيم في كلّ ناحية، فإنّها تُنقل بذلك كلّهُ / إلى كلّ ناحية . والروح أيضًا، هكذا يتحرّك : فإنّه ثابت وهو يتحرّك، أعني أنّه يدور حول ذاته . وهكذا أيضًا في العالم الكلّي: فإنّه في آن واحد يتحرّك بالحركة الدائريّة مع كونه ثابتًا حيث هو .

الفصل الثالث

(٥٢)

فيما إذا كان للنجوم فعل

١ إن حركة الكواكب لتنبئ حول كل أمر عن مستقبلاته، ولكنها لا تحدث هي تلك الأمور، كما يظن كثيرون: لهذا بحث عوليج في مكانه، وخرجنا منه ببعض أدلة مقنعة؛ غير أنه لا بد الآن من القول فيه بشكل أدق وأوسع، وليس يسير أن تكون من الأمر على هذا الرأي أو ذلك/. إن التجوم في تنقلاتها، فيما يقال، لا تحدث من الأحوال مثل الفقر والغنى، والصحة والمرض فقط، بل تحدث أيضًا مثل القبح والحسن، وتحدث ما هو أهم من ذلك، أعني الرذائل والفضائل، وما ينتج عن هذه وتلك من أعمال، عند حدوث كل عمل في حينه؛ فكانها ناقعة على الناس ومن وراء سيئات لم يأتوا بها ليعاقبوا عليها، إذ إنهم حينذاك في الوضع الذي هيأته التجوم ذاتها لهم. ثم إنَّها فيما يقال أيضًا، لا تصنع الخير متا على الذين يُصيبون منه، بل تبعا للمناطق التي تحل فيها أثناء دورتها، فتكون في حال السخط تارة، وفي حال الرضى طورا، ويكون مزاجها عندما تصير إلى السمت غيره عندما تميل إلى الجوانب؛ بل هناك ما هو أعظم من ذلك: فإن بعض الكواكب شريرة، عند القوم، وبعضها فاضلة، ومع ذلك تمد الشريعة بالخير فيما يقولون، أما الفاضلة فقد تُصبح رديئة؛ وأيضًا، إذا ما نظر بعضها إلى بعض أحدثت غير ما تحدث إذا لم ينظر بعضها إلى بعض. / فكان الكوكب ليس لذاته مع ذاته، بل كأن الكوكب إذا نظر إلى آخر أصبح غير ما هو إذا لم ينظر؛ فهي فاضلة إذا نظرت إلى هذه النجمة، وإن تنظر إلى نجمة أخرى تكن على غير تلك الحال، والنظر أيضًا إن تم والكل على هيئة ما يختلف عن تمامه على هيئة أخرى. علاوة على أن مزاجها، إذا اختلطت برمتها بعضها مع بعض، يختلف عن مزاج كل منها، مثلما أن مزيجًا من سوائل / مختلفة يختلف عن كل من السوائل الممتزجة على حدة. تلك هي الآراء التي يذهبون إليها ومعها غيرها على مثالها؛ فيلحق بنا أن نعالجها رأيًا رأيًا، والوجه أن نبتدىء بما يلي.

٢ هل يجب أن نتصور تلك الكواكب التي تتحرك هكذا بنفوس أم لا؟

إذا كانت بلا نفس، فإنها لا تمتد إلا بالحرارة والبرودة، (على الافتراض أن ثمة نجوماً
يَجُوز وصفها بالبرودة)، وعند ذلك يَنحصر ما تَمَدُّنا به في أجسادنا، إذ الحركة التي تصلها بنا
٥ إنما هي حركة جسميَّة لا محالة؛ بحيث/ أن التَّغَيُّر في الأجساد حينذاك ليس ذا أهميَّة ما دام
الَّذي يَخْرُج ساريًا من الكواكب هو هو في كلِّ كوكب، ثمَّ يَتَوَحَّد ويَمْتزج على الأرض، فلا
يَخْتلف بعضه عن بعض إلا من حيث قُرب المَنَاطِق التي حلَّ فيها أو بُعْدها عن أصل انبعاث
١٠ الحركة. وهكذا الأمرُ أيضًا في الكوكب البارد الَّذي يَعد بالبرودة./ ولكن كيف يُصبح
الإنسان، بتأثير هذه النجوم، حكيمًا أو جاهلًا أو مُتَقَفِّها في اللغة أو خطيبًا أو عازف قيثارة أو
بارعًا في غير ذلك من الفنون، لا بل غنيًا أو فقيرًا؟ وما القول في غير ذلك من الأمور التي يُعَلِّم
حدوثها بمزيج الأجساد؟ أعني أن يكون هذا أو ذلك مثلاً، أخِي أو أَبِي أو وَلَدِي أو زَوْجِي أو
١٥ أكون في هذه اللحظة الحاضرة سعيد الحظ/ أو قانداً أو ملكاً. وإن تك للنجوم نفوس، وإن
تصدُّر أعمالها عن تروُّ واختيار، فبِمَ أَسْأَلُ إليها حتَّى تَعْمَد إلى مُعاملتنا بالمساءة وهي الحقائق
الرَّبَّانِيَّة المُقيَّمة في ملأ الأرباب؟ كيف وليس فيها ما يُصبح به الإنسان رديئاً، كما أنَّها، بوجه
٢٠ عامٍّ، لا تُصيبُ خيراً ولا شراً/ من كوننا على خير الحال أو شره!

٣] أَمَا أَنَّهُ لَا تَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ عَمْدًا، بَلْ لَتَقْسِرُنَّهَا عَلَيْهِ مَنَاطِقُهَا وَهَيْئَاتُهَا. - ولئن كانت تفعل
ما تفعل قسراً، فإنَّ فعلها يَنبَغِي أن يكون واحداً ما دامت في مَنَاطِقٍ واحدة وعلى الفلكيِّ هَيْئَاتٍ
واحدة. وما عسى أن تتاله من تَغْيِير حَقًّا تلك التَّجَمُّع التي تَجْتَاز هذه المِنَاطِقَ أو تلك من دائرة
٥ البُرْجِ الفَلَكِيِّ؟/ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ فِي البُرْجِ الفَلَكِيِّ ذَاتُهُ، بَلْ تَحْتَهُ وَفِي أَعْدَمٍ مَا يَكُونُ عَنْهُ، وَمَهْمَا
قَابَلَتْ مِنْ ذَلِكَ البُرْجِ، إِنَّمَا قَابَلَتْ السَّمَاءَ الثَّابِتَةَ. فَمِنْ الحِمَاةِ أَنْ نَذْهَبَ إِلَى أَنَّ التَّجَمُّعَ يَتَغَيَّرُ
عندما تمرُّ تحت قاطع من تلك القواطع وَيَتَغَيَّرُ أَيْضًا مَا تُمَدُّ بِهِ، فَتَكُونُ عِنْدَ طُلُوعِهَا عَلَى حَالٍ،
١٠ وَعِنْدَ مَرُورِهَا فِي السَّمَاءِ عَلَى حَالٍ أُخْرَى، وَعِنْدَ أَفُولِهَا/ عَلَى حَالٍ ثَالِثَةٍ. وَمَا كَانَ لَكُوكَبٍ أَنْ
يَقْرَحَ تَارَةً لِأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ وَيَحْزَنُ طَوْرًا، أَوْ لِيَطْلُ نَشَاطُهُ لِأَنَّهُ مَالَ إِلَى الْأَفُولِ كَمَا أَنَّ غَيْرَهُ لَا
يَغْضَبُ إِذَا ارْتَفَعَ وَيَلْطُفُ إِذَا مَالَ، أَوْ يَزْدَادُ أَحَدَ تِلْكَ الْكُوكَبِ فَضْلاً وَلَوْ كَانَ فِي حَالِ الْأَفُولِ.
١٥ ذَلِكَ لِأَنَّ الثَّابِتَ فِي الْأَمْرِ هُوَ أَنَّ كُلَّ كُوكَبٍ إِذَا كَانَ فِي السَّمَاءِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ،/ كَانَ فِي الْأَفُولِ
عِنْدَ غَيْرِهِمْ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْأَفُولِ عِنْدَ أَوْلَئِكَ، كَانَ فِي السَّمَاءِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ، فَلَنْ يَكُونَ فِي الْآنَ
الوَاحِدِ فَرِحًا وَحَزِينًا غَاضِبًا وَمَسْرُورًا. أَمَا الْقَوْلُ بِأَنَّ ثَمَّةَ كُوكَبٍ تَقْرَحُ عِنْدَ غُرُوبِهَا، وَأَنَّ غَيْرَهَا
يَقْرَحُ عِنْدَ شُرُوقِهَا أَفَلَا يَكُونُ قَوْلًا مُحَالًا؟ لِأَنَّهُ إِذَا صَحَّ ذَلِكَ، صَحَّ أَيْضًا أَنَّ الْكُوكَبِ تَحْزَنُ
٢٠ وَتَفْرَحُ فِي آنٍ وَاحِدٍ./ ثُمَّ لِمَاذَا يَنَالُنَا مِنْ حُزْنِهَا سُوءٌ؟ فَالْوَجْهُ أَلَّا نُسَلِّمَ إِجْمَالًا بِأَنَّهَا تَحْزَنُ أَوْ
تَفْرَحُ بِحَسَبِ الظُّرُوفِ، بَلْ بِأَنَّهَا دَائِمًا فِي المَرَحِ إِذْ أَنَّهَا تَفْرَحُ بِالْخَيْرِ الَّذِي لَدَيْهَا وَالَّذِي تُشَاهِدُهُ.

٢٥ ذلك لَأَنَّ لكلِّ حياته في ذاته، ولكلِّ خيره في فعله؛ ولا علاقة لشيءٍ من ذلك بنا؛ ولا سِيما/ أَنه ليس ثمة بيننا وبين أولئك الأحياء اشتراك قطَّ في شيء. وليس لِفعلها علاقة بنا إِلَّا عن طريق العَرَض لا عن طريق تكليف يجبُ تَقْدَمه على غَيْرِه. لهذا إذا ما سَلَّم لها، مثلما يُسَلَّم للطيور، بأنَّها تدلُّ عَرَضاً على أمورنا المُستقبَلة.

٤ من المُحال أيضاً أن يُنظر كوكب إلى كوكب فيَفِرَح، ثم يُنظر إلى كوكب آخر فيكون العكس؛ فهل بينها عداوة؟ ولماذا؟ وما باله يكون على وضع وحال إذا نُظِرَ إلى ذلك الكوكب من زاوية مثلث، وعلى وضع وحال آخرين إذا نُظِرَ إليه من الثَّاحية المُقابِلة أو من زاوية مُرتَبَع؟ وما باله أيضاً يُنظر إلى ذلك الكوكب إذا جُعِلَ في الهَيْئَةِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُها، ثم لا يُنظر إليه إذا جُعِلَ في المنطقة الثَّالِية من البُرْج الفَلَكِيّ، مع أَنَّهُ يكون قد ازداد إليه قُرْباً؟ ثم ما هو، بوجه عام، نوع الفِعْل الذي يُنسب إلى الكواكب؟ كيف يفعل كلُّ على حياله، ثم كيف تَفْعَل كُلُّها معاً فيحدث ١٠ عن فعلها المُشترك/ أمرٌ يَخْتَلِف عَمَّا يَحْدُث عن فعل كلِّ منها؟ أمّا وأنَّ بعضها لا يَتَّفِق مع بعض لتَفْعَل فينا ما يُدْعَى لها بعد أن يكون كلُّ منها قد تنازل عن بعض ما لديه من ذاته، كما أَنَّهُ لا يقوم أحدها قسراً لِيَحُول بين الآخر وبين أن يتمَّ عطاؤه، لا ولا يَقْسَح أحدها للآخر راضياً مُختاراً مجالاً للفعل. أمّا أن يَفِرَح كوكب من كونه في منطقة كوكب آخر، وأن يَصْدِر العكس من هذا ١٥ الكوكب لدى كونه في منطقة الأوَّل، فكيف لا يُشَبِّه هذا/ ادِّعاء من ادَّعى تَحَابُّاً بين رَجُلَيْن ثم قال إنَّ أحدهما يحبُّ الآخر، في حين أنَّ الأمر بالعكس عند ذلك الآخر وهو يَبْغِض الأوَّل.

٥ ويقولون إنَّ أحد الكواكب بارد؛ ولَمَّا يَبْعَد عَنَّا يكون خيراً لنا، فيَجْعَلون في البرودة الضَّرر الذي يَلْحَق بنا منه؛ فهو يُمْرُّ لنا إذا كَلِمَا كان في الأفلاك الَّتِي تُقَابِلُنا؛ ثم إنَّ البارد إذا ٥ تلاقى بالسَّاخِن، شَكْلاً معاً خطراً جسيماً، مع أَنَّهُ يجب أن يَتِمَّ التَّالَف بينهما. وأخيراً/ رُبَّ كوكب يَفِرَح في النَّهار، وإنَّه لَيُمْرُّ إذا كان ساخناً، ورُبَّ كوكب يَفِرَح في اللَّيْلِ لَأَنَّهُ من نار. فكأنِّي بالكواكب ليست دائماً في نَهار، أعني في ضياء، وكأنِّي بالكوكب الذي يَفِرَح في اللَّيْلِ ١٠ يُدْرِكُه اللَّيْل وهو من العلو بحيث لا يَنالُه ظِلُّ الأرض. / أمّا أن تَتِيَّام بالقمَر إذا سَامَت النُّجْمَة وهو بَدَر، وأن تَشْهَبَ به إذا فعل ذلك وهو هلال، فإنَّه إن يَصْخ، يَصْخ أيضاً عَكْسُه. ذلك لَأَنَّهُ إذا قَابَلنا القَمَر في تَمَامه، كان مُظْلِماً في النصف الآخر من كُرْتِه الَّتِي يَقَارَن به النُّجْمَة الَّتِي فوقه؛ وإذا قَابَلنا في هلاله، قَارَن تلك النُّجْمَة وهو في تَمَامه. فالواجب إذا أن يَحْدُث عَكْس ما ١٥ ذَكَّرنا، إذ إِنَّه، وهو في هلاله، يَطْلُع/ على النُّجْمَة بِتَمَام نوره. أمّا القَمَر، فلا فَرْق عنده، على أي وجه كان، ما دام أحد نصفيه مُضَاءً؛ أمّا النُّجْمَة فقد يَخْتَلِف وضعها لَأَنَّها أَصْبَحَتْ ساخنة،

فيما يرون؛ وإنما صارت ساخنة، لأن القمر قابِلنا وهو في هلاله. ففي القمر إذا يُمنُّ لغيرنا إذ
 ٢٠ يُقابِلنا في هلاله، ويُقابِل غيرنا وهو في تمامه. / ولئن يقابلنا القمر وهو هلال، فذلك أمر يتعلّق
 بما على وجه الأرض، فلا ضيرُّ منه على ما فوق. ولكن الكوكب الذي فوق لا يسدُّ مسدَّ القمر،
 لأنه بعيد، فيبدو وكأنَّ الحال قد فسدت. أما عندما يكون القمر في تمامه، فهو كافٍ لما تحته
 ولو كان الكوكب بعيداً. وهذا وإنَّهم تَيَّامَنُوا أيضاً فيما إذا قابل القمر الكوكب النَّاريَّ بتمامه
 ٢٥ وقابلنا هلالاً، / لأنَّ القمر حينئذٍ كافٍ لردِّ قوَّة ذلك الكوكب حيث تكون النَّار أكثر ممَّا يتسع له
 قدره. فإنَّ أجسام كلِّ الأحياء التي تسير في العالم السَّماويّ لَيختلف بعضها عن بعض وفقاً لشدَّة
 الحرارة فيها ولقلَّتتها، وليس بينها جسم باردٌ قطعاً؛ ويدلُّ على ذلك محلُّها. فالكوكب الذي
 ٣٠ يسمُّونه المُشترى مُعتدل النَّار، وهكذا الزُّهرة أيضاً، فيُعتبران مُتوافقين لذلك الشَّبه؛ أمَّا مع
 الكوكب المُسمَّى بالكوكب النَّاريَّ فهما على تآلف في التَّأثير، وأما مع زُحل فعلى خلاف ذلك
 بسبب بعده. وأما المَرِّيخ فهو مع الكواكب كلّها على السَّواء، فيما يرون، وهو قابل للتَّشبه بكلِّ
 كوكب. فإنَّ الكواكب كلّها، مع ذلك، تتعاون لصالح الكلِّ، بحيث يكون بعضها مع بعض
 بحسب ما يقتضيه خير الكلِّ، على مثل ما تُشاهد الأجزاء جزءاً جزءاً في الحيوان الواحد.
 ٣٥ فلاجل ذلك بخاصَّة تكون/ المرأة مثلاً؛ فهي للكلِّ في جانب العضو الأقرب، لأنَّ المَفروض
 فيها أن تُثير الغَضب وأن تردَّ الكلَّ والعضو الأقرب عن الإفراط. وفي الكلِّ الكامل أيضاً، لا بُدَّ
 ٤٠ من شيءٍ مثل هذا، ومن شيءٍ آخر يميل به إلى ما هو لذيذ؛ / ثمَّ فيه أمور أخرى وهي له عيون
 بها يُبصر؛ وكلُّ هذه الأمور متآلف بعضها مع بعض بالدَّافع الغريزيِّ الأصمِّ عندها؛ فبذلك
 يستقيم الكلُّ الواحد في الانسجام الواحد. فعلى ذلك كلّ كيف لا يكون ما سبق ذكره دليلاً من
 قبيل القياس؟

٦ أما افتراضهم أنَّ المَرِّيخ والزُّهرة، إذا أصبحتا في هيئة ما، أحدثا مُنكرات الرُّنَى، فكانَّ
 في الكواكب ما ينشأ عن إباحية البشر، حتَّى ليشيع الكوكب شُهوته بما ينشده الإنسان من حاجة
 عند الإنسان؛ أفلا يكون ذلك هو الحُقق بالغاً أشدّه؟ والقول بأنَّ بين الكواكب، إذا أصبحت في
 ٥ هذه الهيئة أو تلك، مُشاهدة مُتبادلة، وهي تجدُّ في تلك المُشاهدة لذَّتها وليس لها وراء/ في
 ذلك شيء، فكيف يتصوَّره المرء؟ وأولئك الأحياء الذين لا يُحصون عدداً مع أنَّهم بمئات الرِّبى
 يتولَّدون ويرتقون وهم في الأعيان ثابتون، إن تكن الكواكب هي التي تتَّم لكلِّ منهم أمره بصورة
 مُستديمة، فتمدُّه بالشَّهرة وتَجعله غنياً أو فقيراً أو إباحياً، وتقوم بأعمال كلِّ حيٍّ منهم، فأَيُّ
 ١٠ حياة تكون حياة هذه الكواكب؟ وكيف السَّبيل إلى القيام بكلِّ ذلك؟ / أما أن تنتظر الكواكب
 إرتفاع الأبراج الفلكية حتَّى تكمل أفعالها، فيقوم صعود كلِّ كوكب منها بعدد من الدَّرجات

يُسَاوي عدد السنين التي يَسْتَغْرِقُها ارتفاعه، حتَّى لَكَأَنَّ الكوكبَ يَحْسِبُ على أصابعه الحين الذي يفعل فيه، ولا يُبَيِّحُ لنفسه أن يفعل قبل الأوان المحدّد له، وحتَّى لا يَعترف لأحد بِسُلْطانه ١٥ في تصرّف الأُمُور. وإنّما يكون/ للكوكب الإشراف على كلّ شيء، كأنّ ليس ثَمَّةَ رَبٍّ واحد، به تَمَّ ضبط العالم الكلّي وقوامه، لَمَّا قد حَوَّلَ كلّ شيء - وفقًا لفطرته - من إدراكه كلّ ما كان منه وكلّ ما كان له، ومن قيامه بالفعل الذي يُسرُّ له بعد انسحابه مع ذلك الرّب؛ أمّا هذا كلّهُ ٢٠ فالقول به قول هَدَامٍ يتجاهل إن للعالم حقًا أصلًا وسببًا أوّل يأتي على كلّ شيء. /

٧ ولكن إذا كانت الكواكب تؤدّن بالمُستقبلات، فلنعتبرها مثلما نعتبر أُمُورًا أخرى كثيرة من شأنها الايذان بالمستقبلات، والصّانع لهذا كلّهُ ما عسى أن يكون؟ وأنّى يتمّ النّظام الكلّي؟ كيف والايذان لا يكون ما لم تحدث الأُمُور أمرًا وفقًا لترتيب ما. فلنكن تلك الكواكب بِمِثَابَةِ ٥ حروف لا تزال تُكْتَبُ في السّماء، أو كُتِبَتْ كلّها دُفْعَةً واحدة وهي الآن تَسِيرُ/ محرّكة، وتَفْعَلُ إلى جانب ذلك أيضًا فعلًا آخر؛ أمّا الثّانِج عن هذا الفعل فهي الدّلالة المُنبِعثَةُ من الكوكب، كما أنّنا اعتمادًا على الوحدة الأصليّة في الحيوان الواحد، نُنْطَلِقُ من بعضه لتستنتج شيئًا آخر. لا بل إنّنا نبيّن الخُلُقَ إذا نظرنا إلى أحدٍ في عَيْنِهِ، وقد ننظر إلى عضو من أعضائه جسده فتنبّه ١٠ إلى الأخطار التي تُحْدِقُ به وإلى سُبُلِ الخلاص من تلك الأخطار. إنّ هذه/ الأُمُور أجزاء في الحيوان الواحد، ونحن أيضًا أجزاء في العالم الكلّي: وفي كلّتا الحالتين، يُستدلّ ببعض من الكلّ على بعضه الآخر. والحقّ أنّ ثَمَّةَ دلالات كثيرة أصبحت مألوفة يَعرِفُها الجميع. فما هو النّظام الواحد الذي يَربِطُ بعض الأُمُور ببعض؟ فإنّا إذا عثرنا على هذا النّظام، ألفينا معقولًا ما ١٥ يَجْري على الطّيور وغيرها من الحيوانات من التّعرّف إلى شؤون المُستقبل/ أمرًا أمرًا. والحقّ أنّ الأُمُور كلّها يجب أن يكون بعضها مرتبطًا ببعض - (فيجب، كما قالوا وأحسنوا القول، أن يتمّ تآلف مُحْكَم بين الأجزاء جزءًا مع جزء، ليس فقط في الفرد الواحد، بل بِخَاصَّةٍ وأوّلًا في العالم الكلّي) - فيُحوَّلُ الأصل الواحد الكثرة في الحيوان إلى شيء واحد، ويولّد من الأشياء ٢٠ كلّها شيئًا واحدًا. وكما أنّ الأجزاء في الفرد الواحد، يَنفرد كلّ جزء منها بِوِظَيفَتِهِ الخاصّة به. /

فهكذا أيضًا في العالم الكلّي يكون لكلّ أمرٍ من الأُمُور وظيفته الخاصّة به، ولا سيّما حين لم تعد تلك الأُمُور في منزلة الأجزاء، بل كلّ منها كلّ، وهو كلّ من التّوَع الأعظم. وهكذا يُشتقّ كلّ شيء عن أصل واحد ويفعل فعله، ولكنّ كلّ واحد يُساند الآخر، لأنّه لم ينفصل عن العالم ٢٥ الكلّي، فالواقع أنّه يُؤثّر على غيره ويتأثّر بغيره، ثمّ يُقبل غيره/ بدوره إليه فيحزنه أو يفرحه. وإذا اشتقّ عن الأصل، فليس هذا تحكّمًا أو اتّفاقًا، بل من الأُمُور التي سَبَقَتْ بِصدر أمر آخر، ويَلِيهِ على الفور غيره أيضًا، وذلك ما تقتضيه الطّبيعة دائميًا.

٨ هذا وإنَّ النَّفْسَ ما دامت مُندفَعَة إلى القيام بفعليها الخاصَّ - فإنَّ النَّفْسَ تَفْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ لَأَنِّهَا تَقُومُ بِدَوْرِ الْأَصْلِ - فسواءُ استقام سَيرُها أم اضطرب، كان العدلُ يَتَّبِعُ أفعالها في الكون الكَلْبِيِّ، وإِلَّا تَقَوَّضَ وزال. بل إنَّ الكَلَّ باقٍ دائماً يُسَدِّدُ توجيهِه صاحب الأمر فيه بِنِظامه وقُوَّتِهِ؛ / أما الكوكب، فما دامت أجزاء من السَّما لا يُسْتَهانُ بها، فإنَّما تُساعد على حفظ الكَلَّ في بَهاثِهِ، كما تُعين على الدَّلالة: وإنَّما تكون دَلالَتُها على جميع ما يَجري في العالم الحَسِّيِّ، فأَمَّا فِعْلُها فشيءٌ آخَرُ، وهو القدر من الفعل الَّذي تَقُومُ به حَقًّا. ونحن، فإنَّما نقوم بأفعال النَّفْسِ حسب ما تَقْتَضِيهِ الطَّبِيعَةُ، ما دُمنا لم نَتَوَرَّطْ في الكثرة الَّتِي تُلْزِمُ/ الكَلَّ؛ فإذا ما تَوَرَّطنا نِلْنا جزاءنا: فتكون الوَرُطَةُ ذاتِها، ويكون المَصيرُ إلى سوء الحال فيما بعد. ثمَّ إنَّ الغنى والفقر إنَّما يتولَّدان إذا من أمور تتلاقى من غير أن يكون لها علاقة بنا؛ وما عسى أن يقول في الفضائل والردائل؟ أما الفضائل إنَّما تأتي عن طريق الأصل القديم في النَّفْسِ؛ وأما الردائل ١٥ فبإتصال النَّفْسِ بما ليس منها. وهُنَاكَ أقوال أخرى في الموضوع/ ذُكرت في مكانها.

٩ إنَّ هَذَا يُدْكَرُنا بِالْمَغْزَلِ، وهو يَعْنِي عند القُدَماء ما تَغْزُلُ به حائكات القدر، وعند أفلاطون سماء الكواكب والأفلاك الثَّابِتَة؛ فإنَّ حائكات القضاء أَمَهُنَّ أَمُ القدر المحتمَّ يَدُرُّن ذلك المغزل وَيَغْزِلُنَ به حياة كُلِّ مولود فيكون بوساطتِها كُلُّ ما يَحْدُثُ/ في عالم التَّكوين. ثمَّ إنَّه ورد في كتاب تيمائوس أنَّ أصل النَّفْسِ من الرَّبِّ الصَّانِعِ؛ أَمَّا الانفعالات الهائلة الَّتِي لا بُدَّ منها، فمن الأرباب المُتَقَلِّة في السَّما: فمن تلك الأرباب الحَمِيَّة والشَّهْوَة واللَّذَّة والألم، وذلك الجانِب من النَّفْسِ الَّذِي مِنْهُ تَنَبَّعث/ تلك الانفعالات. تلك هي الأقوال الَّتِي تربط مصيرنا بالنَّجوم ارتباطاً مُحْكَمًا: فمنها نَسْتَمِدُّ النَّفْسَ، وهي تَجْعَلُنا تحت حُكْم القضاء عند قُدُومنا إلى هَذَا العالم. ثمَّ إنَّ طَباعنا أَيْضًا من النَّجوم، وما يَصْدُرُ مِنَّا وَفَقًا لِهَذِهِ الطَّباع من أفعال ومن انفعالات أصلها مَلَكَة ثابتة فينا لِقَبُولِ الانفعال. وبعد، فما الَّذي يَبْقَى فينا ويكون «نحن»؟ ١٥ أَلَا إِنَّه ما نحن عليه في حَقِيقَتنا، فقد حَوَّلَنا الطَّبِيعَةَ السَّيِّدَةَ الْمُطْلَقَةَ على انفعالاتنا. / ذَلِكَ لِأَنَّا، مع تلك الشُّرُور الَّتِي ابْتُلِينا بِها من وراء الجسد، أَمَدَّنا اللهُ «بالفضيلة الَّتِي ليس بها سَيِّد». وما دُمنا في حال السَّكِينَةِ لا نَضْطَرُّ إلى الفضيلة، وإنَّما نَضْطَرُّ إليها حين يُخْشِى علينا خَطَرُ الوقوع في الشَّرِّ والفضيلة غير حاضرة. ولذلك كان لِرِزَامِنا علينا «الفرار من ههنا» وانفصالنا عَمَّا أَضْيَفُ/ إلينا، لكيلا نكون ذَلِكَ الخليط أو ذَلِكَ الجسد المَعْمُورُ بِنَفْسٍ؛ وإنَّه لَأَحْرَى أَنْ يُقالَ مِنْهُ إِنَّ السَّيِّدَةَ إنَّما تَتَكَوَّنُ فيهِ لِجانِبِ الجسد وقد مَسَّ بِمَسْحَةٍ من نفس، بحيث أن الحياة المشتركة بين الطرفين ليست سوى حياة الجسد؛ وإنَّه لجسديَّ كُلِّه ما يقوم به ذَلِكَ القِسطُ من الحياة آنذاك. وإنَّما يكون فِعْلُ نفسٍ أخرى، من غير ذَلِكَ الطَّرَازِ، الانتقالُ إلى المَلَأِ الأعلى، إلى الحُسْنِ،

٢٥ إلى العالم الرباني،/ حيث الأمور التي ليس لسيّد عليها سيادة: فالوجه إمّا أن يعتمد كلّ إلى نفسه فيُصبح هو وكلّ ذلك شيئاً واحداً ويَحيا بكلّ ذلك بعد أن يكون قد اختلف بذاته؛ وإمّا أن يُصبح محروماً من تلك النّفس المُمْتَازة فيَحيا مُنْقَاداً للقضاء والقدر، وعند ذلك لا تكون النّجوم في حُسبانها لتدلّ على الأمور فحسب، بل يُصبح هو ذاته وكأَنَّهُ جزء من كلّ، وكأَنَّهُ يَتبع الكلّ الذي صار جزءاً منه. ألا وإنّ لكلّ امرئ وجهين: فهو/ من وجه المركّب هذا أو ذاك، وهو من وجه آخر ما هو في ذاته. وكذلك العالم الكلّي أيضاً: فهو من ناحية ذلك المركّب من جسم ومن نفس ما مربوطة بالجسم، وهو من ناحية أخرى نفس الكلّ التي ليست في جسم بل تُشرق على التي في جسم وتنعكس فيها؛ وعلى هذا أيضاً حال الشّمس والكواكب الأخرى: فإنّ لكلّ منها وجهين. أمّا من حيث إحدى النّفسين وهي النّفس الطّاهرة، فإنّ الكوكب معها لا يصدر عنه شَرٌّ قطّ؛/ أمّا ما يحدث عن الكواكب فيسري إلى الكلّ لأنّ كلّاً منها جزء من الكلّ وجسم تعمّره نفوس، إمّا يصدره الجسم، جزءاً إلى جزء، مع بقاء الكوكب على صحّة القصد، وتوجّهه بذاته حقّاً إلى الخير والأفضل. وما يحدث بعد ذلك من أمور أخرى، فإنّما هي لواحق به، أو بالأحرى لواحق بما يجري حوله، مثلما إنّ/ حرارة النّار تنتشر إلى ما في جوارها، أو مثلما يتمّ إذا ما تسرّب أمر من نفس إلى نفس أخرى تُجانسها؛ وإتّما تكون المساوىء عن طريق المزيج. ذلك لأنّ عالمنا هذا خليط في حقيقة ذاته، وإذا فُصلت عنه القابلة للانفصال،/ فلن يكون الباقي شيئاً ذا خطر: إنّه إذا الرباني إذا أُحصيت معه نفسه؛ أمّا الباقي فهو «شيطان عظيم»، كما قيل، والإنفعالات التي تجري فيه «شيطانيّة» أيضاً.

١٠ إذا كان ذلك كذلك، ينبغي أن نُسلّم للكواكب بأنّها على الأمور؛ أمّا الفعل فلا يُنسب إليها مطلقاً، ولا إلى ذواتها في كليّاتها، بل بقدر ما أنّ ذلك الفعل إنفعال في الكون، وبقدر ما تكون نفسها مُنفصلة عنها فتفعل هي ببواقها. ثمّ إنّه لا بُدّ من أن نُسلّم للنفس بأنّها قبل أن تأتي إلى عالم النّكوتين، إمّا تُقبل وفي جوانبها شيء هو منها؛ فإنّها لم تكن لتأتي إلى الجسم ما لم يكن لديها شيء عظيم/ من القابليّة للإنفعال. ولا بُدّ أيضاً من التسليم بأنّها إذا دخلت الجسم، أصبحت خاضعة للتقلّب، إذ إنّها دخلت وفقاً لتلك الحركة الدّوريّة في السّماء. ولا بُدّ من التسليم أخيراً بأنّ تلك الحركة الدّوريّة تفعل ما يجب على الكلّ أن يسوقه إلى كماله، فتُساعد على ذلك وتتمّمه من تلقاء ذاتها فيكون كلّ أمر من الأمور التي تنطوي عليها بمثابة الجزء من الكلّ./

١١ هذا وينبغي أن نكون متنبّهين إلى أنّ ما يردّ من النّجوم لا يكون عندما نتلقاه مثلما يكون

لدى صُدوره عنها. فإذا كان نارًا مثلًا تعكّر حينئذٍ صفاؤها؛ وإذا كان مثلًا إلى الصداقة، ضعف لدى حُلولة في من يتلقاه ولم يحدث الصداقة مع حُسْنها؛ وإذا كان حمية أدركها رجلٌ غير موزون/ وأعطيتها عطاءً ليُصبح شجاعًا، فإنها تحدث حدة الزواج أو العجز؛ وإذا كان طلبًا لجاه في سبيل غاية مستحبة، أحدثت السعي وراء مظاهر الحُسن؛ وإذا كان شيئًا يسري من الرّوح، ولّد الاحتياَل إذ أنّ الاحتياَل يودُّ لو يكون هو الرّوح وهو قاصر عن إدراك رغبته. فإن هاتيك الأمور كلّها تُصبح شروءًا/ لأنفسنا، وليست كذلك في الكواكب. بل إنّها مع تحوّلها إلى غير ما كانت عليه تعدّ وصولها إلينا، لا تَبْقَى على حالها حينما تصل، وقد تَحْتَم عليها أن تمتزج بالأجساد وتختلط بالمادة ويَموج بعضها في بعض.

١٢ ثمّ إنّ ما يأتي من الكواكب يتلاقى بَعْضه مع بعض في أمر واحد، فيصطبَح كلّ فرد يحدث شيئًا ما من ذلك المزيج، فيبرز هُكذا بما جاء هو عليه مُنطبعًا بطابع ما يَكْتَفِه. فإنّ الكواكب لا تصنع الجوّاد، بل تُعطي الجوّاد شيئًا ما؛ وإنّ الجوّاد من الجوّاد والإنسان من الإنسان، أمّا الشَّمْس فتُساعد على تكوينه في جبلته، / إذ أنّ الإنسان من بنية الإنسان البريّة. إلّا أنّ مُحيطه الخارج يؤثّر عليه، فيجد فيه شَرًّا تارة ونَفْعًا تارة أخرى: إنّ الإبن مثل أبيه، ولكن كثيرًا ما يَكون أحسن منه، كما أنّه قد يَختلف عنه شأنًا. بيد أنّ هذا التّأثير من الخارج لا يُخرج الشّيء عمّا هو في ذاته: على أنّه قد تتمّ السيادة للهيولي، لا لحقيقة الشّيء، فيُغلب المِثال على أمره ولا يَخرج الشّيء كاملاً. /

١٣ وما دام الَّذي يَجري في عالمنا هذا، يحدث بَعْضه عن حركة السّماء دون بَعْضه الآخر، يَجِب أن نميّر ونَقْصِل، ونُثَبِت، بوجه عامّ، عمّاذا تَصُدُرُ الأشياءُ شيئًا فشيئًا. أمّا مَبْدُونا فما يلي: إنّ النّفس بقيامها على سياسة الكلّ وفقًا لما يَقتضيه العقل - هي في الكلّ مثلما يكون أصل الحيوان الثّابت فيه، عنه يَنشأ كلّ جزء من أجزاء الحيوان، / وبه يُحدّد لذلك الجزء مَقامه من الكلّ الَّذي كان جزءًا منها - فإنّ كلّ شيء فيها يَمْتدُّ إلى العالم الكلّي جميعًا؛ أمّا في الأجزاء، فإنّها تتناول فقط كلًّا منها بقدر ما يكون له كيان في ذاته. أمّا المؤثّرات من الخارج، فوئها ما يُقاوم الطّبيعة في مقاصدها، ومنها ما ينسجم معها؛ هذا بالإضافة إلى الجزء. أما العالم الكلّي فإن تلك الأمور/ كلّها تنتظم خاضعة له إذ أنّها كلّها أجزاء منه، تَلَفَت ما هي عليه من حقيقة، فمن شأنها أن تُساعد، كلّ بدافعه الخاصّ، على تكميل حياة الكل. أمّا ما فيه من غير المَثْفُوسات فإنّها كلّها أدوات تُدفع دفعًا إلى الفعل من الخارج؛ وأمّا المَثْفُوسات، فوئها ما يتحرّك بدون تحدييد لحركته، مثل/ الجياد المَقرونة إلى العربّة قبل أن يوجّهها سائقها في

عَذُّوْهَا، «فَتَساقُ بالسَّوْطِ»؛ أَمَّا الْحَيَوانُ النَّاطِقُ، فَلَهُ مِنْ ذَاتِهِ سَائِقُهُ، وَإِذَا تَمَّ لَهُ الْجَلْمُ سَارَ وَفَقًا
لِلسَّادِ وَإِلَّا كَانَ فِي خَبْطِ عَشَوَاءٍ، وَهُوَ أَمْرٌ كَثِيرُ الْوُقُوعِ. هَذَا وَإِنْ كَلَّمَا الْجَمْلَتَيْنِ، مِنْ غَيْرِ
٢٠ مَثُوسَاتٍ وَمَثُوسَاتٍ، هُمَا دَاخِلُ الْكُونِ؛ وَهُمَا مُتَضَامَنَانِ/ عَلَى الْقِيَامِ بِمَا فِيهِ صَالِحُ الْكُلِّ.
فِيْنَهَا مَا هُوَ عَظِيمٌ رَفِيعُ الْمَقَامِ كَثِيرُ الْفِعْلِ، عَظِيمُ الْجَانِبِ فِي الْعَوْنِ عَلَى حَيَاةِ الْكُلِّ إِذْ إِنَّ الدَّورَ
الَّذِي يَلْعَبُهُ فِعْلِيٌّ أَكْثَرُ مِمَّا هُوَ إِنْفِعَالِيٌّ؛ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي حَالَةِ الْإِنْفِعَالِ الدَّائِمِ ضَعِيفُ الْقُدْرَةِ
عَلَى الْفِعْلِ؛ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ بَيْنَ بَيْنٍ فَيَنْفَعِلُ بغيرِهِ، وَلَكِنَّهُ كَثِيرُ الْفِعْلِ أَيْضًا، إِذْ أَنَّ لَهُ/ مِنْ ذَاتِهِ فِي
٢٥ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مَصْدَرٌ أَعْمَالِهِ وَأَفْعَالِهِ. فَتَتِمُّ حَيَاةُ الْكُلِّ وَتَكْمُلُ: فَلِلْأَفْضَلِ الْوُظُفِيَّةِ الْفُضْلَى،
بِقَدْرِ مَا يَكُونُ مِنَ الْفُضْلِ عِنْدَ كُلِّ فَرْدٍ؛ ثُمَّ لَا بَدْءَ مِنْ إِخْضَاعِ هَذَا الْأَفْضَلِ لِصَاحِبِ الْأَمْرِ، كَمَا
٣٠ تَخْضَعُ الْجُنُودُ لِقَائِدِهَا؛ فَمِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ جَمِيعُهَا وَرَدُ/ التَّعْبِيرِ بِأَنَّهَا «تَتَّبِعُ الْإِلَهَ الْأَكْبَرَ»، إِذْ يَتَّبِعُهُ
وَجْهَهُ نَحْوُ الْحَقِيقَةِ الرُّوحَانِيَّةِ. أَمَّا مَا كَانَ دُونَ ذَلِكَ طَبْعًا، فَمَقَامُهُ بَيْنَ فُرُوعِ الْكُونِ الْكَلْبِيِّ مِثْلَمَا
هُوَ الْأَمْرُ عِنْدَنَا مِنْ فُرُوعِ النَّفْسِ: فَفِي سَوَانَا تَنَاسَبٌ مِثْلُ التَّنَاسَبِ الْقَائِمِ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ عِنْدَنَا،
وَلَيْسَ كُلُّ مَا فِيْنَا عَلَى السَّوَاءِ. إِنَّ الْأَحْيَاءَ كُلَّهَا إِذَا، إِنَّمَا تَكُونُ وَفَقًا لِمَا تَقْتَضِيهِ حَقِيقَةُ الْكُونِ
الْكَلْبِيِّ، سِوَاكَ أَكَانَ مِنْهَا فِي السَّمَاءِ أَمْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ مُوَزَّعًا عَلَى الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ. / وَلَيْسَ لِحِزْزٍ قَطُّ،
٣٥ مَهْمًا يَعْظُمُ قَدْرُهُ، أَنْ يَقْوَى عَلَى إِحْدَاثِ تَبْدِيلٍ مَا فِي الْحَقَائِقِ وَلَا فِي مَا يَتَوَلَّدُ تَبَعًا لَهَا؛ قَدْ يَتِمُّ لَهُ
أَنْ يُحْدِثَ رَجَحَانًا إِلَى أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ، وَجْهَ الدُّنْوَ أَوْ وَجْهَ الْأَفْضَلِ، لَا أَنْ يُخْرِجَ الشَّيْءَ عَنْ
٤٠ حَقِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ. أَمَّا الدُّنْوَ/ فَإِنَّ جِزْءَنَا يَمِيلُ بِالْحَقَائِقِ إِلَيْهِ إِمَّا بِأَنْ يُضْعِفَ قُوَى الْجِسْمِ، وَإِمَّا
بِأَنْ يُحْدِثَ الرَّدَاءَ فِي النَّفْسِ عَنْ طَرِيقِ الْعَرَضِ، بِسَبَبِ التَّعَاطُفِ الَّذِي يَرْبِطُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا وَبِسَبَبِ
انْقِيَادِهَا إِلَى الدُّنْيَوِيَّاتِ بِدَافِعٍ مِنْهُ؛ وَإِمَّا بِأَنَّهُ، فِي حَالِ سُوءِ تَرْكِيبِ الْجِسْدِ، وَعَنْ طَرِيقِ تِلْكَ
الْحَالِ، يَنْتَسِبُ حَافِلًا بَيْنَ النَّفْسِ وَالْفِعْلِ الَّذِي كَانَتْ قَدْ وَظَّفَتْ الْجِسْدَ لِلْقِيَامِ بِهِ. فَمِثْلُ ذَلِكَ
٤٥ مِثْلُ الْفِيثَارِ وَلَمَّا/ تُبْضُ أَوْتَارُهَا بِحَيْثُ تَتَجَاوَبُ لِدَقَّةِ التَّوْقِيعِ، فَتَخْرُجُ الْأَنْغَامُ الْمَوْسِيقِيَّةُ.

١٤ والفقر والغنى والشهرة والزعامة، ما القول فيها جميعًا؟ ألا إن الأغنياء إن أمسوا أغنياء
بالوراثة أنبأت الثُّجُومَ عَنْ غِنَى غَنِيَّتِهِمْ وَدَلَّتْ عَلَى كَرَمِ الْكَرِيمِ إِذْ تَوَافَرَتْ لَهُ الشُّهُرَةُ أَيْضًا بِمَجْرَدِ
الْوِلَادَةِ؛ أَمَّا إِذَا كَانَ أَصْلُ الثَّرْوَةِ مَرْوُوعَةً صَاحِبِهَا، فَإِذَا سَاعَدَ الْجِسْدَ عَلَى جَمْعِهَا، أَسْهَمَتْ فِيهِ
٥ أَيْضًا/ الْعَوَامِلُ الَّتِي أَمَدَّتْ الْجِسْدَ بِقُوَّتِهِ، الْأَبْوَاتُ أَوَّلًا ثُمَّ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِذَا كَانَ لَهُنَّ
مَوْضِعٌ لِلْإِسْهَامِ؛ وَإِذَا كَانَتْ الْمَرْوَةُ وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي نَهَضَتْ بِالْأَمْرِ بِدُونِ مُسَاعَدَةِ الْجِسْدِ،
١٠ فَلِلْمَرْوَةِ وَحْدَهَا يُرَدُّ مُعْظَمُ مَا جَمَعَهُ وَمَا زَادَهُ أَرْبَابُ الثَّوَابِ مِنْ عَطَاءٍ. أَمَّا ذَوُو/ الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ
فَإِذَا كَانُوا مِنْ ذَوِي الْفُضْلِ، كَانَتْ الْفُضْلِيَّةُ بِذَلِكَ هِيَ الْأَصْلُ أَيْضًا فِي الْغِنَى؛ وَإِذَا كَانُوا مِنْ
ذَوِي اللَّؤْمِ إِلَّا أَنَّهُمْ بِذِلُّوا مَا بِذِلُّوا قَسْطًا وَعَدْلًا، صَدَرَ الْإِغْنَاءُ مِنْ خَيْرٍ مَا فِيهِمْ مِنْ بَوَاعِثِ

العمل . أما إذا كان الذي أصبح غنياً رجلاً رديئاً، فالسبب الأول في غناه هو رداءته وما كان أصلاً لتلك الرداءة، ولكن لا بد من أن نُضيف إلى ذلك أيضاً الناس الذين بذلوا له العطاء على أنهم ١٥ يبذلهم أسهموا في جعله غنياً. وإذا نتجت الثروة عن جهود، مثل الحرثة، / رجع الفضل في جمعها إلى الحارث، وإن كان الجوّ الذي اكتنف هذا الجُهد قد ساعد في ذلك. أما إذا وجد كنزاً، فلا قِيران ذلك بحادث حدث من العالم الكلّي. وإذا تمّ الأمر، كان فيه دلالة إذ أن الأمور كلّها يتبع بعضها بعضاً بدون استثناء، فيدلّ بعضه على بعض أيضاً بدون استثناء؛ وإذا فقد أحدهم ٢٠ ماله لآته سلب منه، فالأمر يُرَدّ إلى السارق، ويُحوّل بالسارق إلى الأصل / الخاصّ به الذي عنه اندفع؛ أما إذا فقد في البحر، فمرجع الأمر إلى الظروف والقرائن. أمّا الشهرة، فهي بحق أو بغير حق؛ فإذا كانت بحق، فمرجعها أعمالنا وحُسن الظنّ عند من يظنّ بنا خيراً؛ وإذا لم تكن بحق، فمرجعها التّعسف عند من يكرّمنا. وفي الرئاسة أيضاً يُقال القول نفسه: فهي قائمة على ٢٥ الحقّ أولاً؛ فإذا قامت على الحقّ / عاد الفضل إلى استقامة من انتخبوه رئيساً وألاً فالأمر عائد إلى من دبر الرئاسة لنفسه بمُساعدة غيره أو بطريقة أخرى. أما في ما يتعلّق بالزّواج، فإنّه يتمّ إمّا بالاختيار الحرّ، وإمّا بظروف وقرائن تتضمّن على أحداثها أمور العالم الكلّي. ومن تضافر تلك الأمور تتمّ ولادة الأطفال أيضاً: فإنّما أن يكون الطّفل بحسب ما تقتضيه البذرة الأصليّة، إذا ٣٠ لم يحلّ دون ذلك حائل، وإمّا أن يكون فيه عيب بسبب حائل خفيّ يرتدّ إلى الحامل نفسها أو إلى ظروف في المناخ لا تُلائم الحمل آنذاك.

١٥ إن أفلاطون يُسلم بوجود حظوظ وتكيفات بالاختيار الحرّ تُساهم في تقويم مصيرنا قبل دورة المغزل، ثمّ يذكر ما في المغزل ولا يرى فيه إلّا عوناً على تحقيق المصير الذي قرّره لنا بملء الاختيار، على أن لعالم الجنّ أيضاً سهمه في تميم ذلك المصير. ولكن ما هي تلك ٥ الحظوظ الناشئة عن المغزل؟ ألا، إنها بأن يستوي العالم الكلّي بحيث / تمّ له أن يكون عندما تدخل النّفس في الجسد، وبأن تدخل هذا الجسد وليس ذاك، ويكون الولد من هذين الأبوين لا من غيرهما، وتقع ولادته هنا لا هناك، وقُصارى الكلام، كلّ سَمَيّاته القرائن الخارجيّة. أمّا أن تقع الحوادث كلّها معاً وتكون كأنّ بعضها مُتصل ببعض، فهذا أمرٌ تكشف عنه إحدى اللواتي ١٠ تُعرف بالحوادث تفصيلاً وجملة؛ / وأمّا الحظوظ فتُكشف عنها لأكيّزيس (Lachésis) (مُلقبة القرعة)؛ وأمّا القرائن التي تتمّ بالاحتمية المطلقة فإنّ أثربون (Atropon) (اللامرذودة) هي التي تُشرف على انسياقها. لهذا وإنّ الناس من كانوا تحت حُكم الأشياء التي تُخرج عن العالم الكلّي أو تحت حُكم الظواهر، فكأنّهم مسحورون، شأنهم قلّ أو لا شيء هم؛ أمّا مَنْ تمّ له السّودد ١٥ على تلك الأمور، وكأنّهم اشترأوا بأعناقهم / إلى العالم الأعلى وإلى مارواء الظواهر، فهؤلاء

أنقذوا خير ما في نفوسهم والأصل النفساني القديم عندهم . فلا نَظَنُّ أنَّ النفس هي في ذاتها ما من شأنه أن يتلقَّى كلَّ انفعال من الخارج وإنَّها الأمر الوحيد الذي ليس له حقيقة خاصَّة ؛ بل إنَّها ٢٠ أخرى من غيرها بكثير - إذ أنَّ لها مقام الأصل حقًا - بأن يتوفَّر لديها طائفة من القوى الخاصَّة لتمكِّن من القيام بالوظائف التي تستلزمها طبيعتها؛ فيمن المُحال أن تكون عيَّنًا من الأعيان ولا يصحب إنَّيتها رغبات ومؤهلات للعمل ونزعات إلى ما هو من خيرها . أمَّا المركَّب فهو ممَّا كان ٢٥ مركَّبًا في طبيعته، وهو كذلك وله أعماله؛ أمَّا النفس، إذا/ تمَّ لنفس أن تنفصل، فإنَّها تنفرد بوظائفها هي ولا تعتبر منها ما يتفعل به الجسد، لأنَّها ترى الآن أنَّ ههنا شيئًا وأنَّ هناك شيئًا آخر .

١٦ ولكن ما هو الشيء الممزوج وما هو الشيء غير الممزوج، ما هو الشيء المنفصل وما هو الشيء غير المنفصل، ما دامت النفس في جسد، بل ما هو الحي بوجه عام؟ هذا لا بدُّ لنا من مُعالجته بعد ذلك ولسوف نُقبِل عليه من وجه آخر؛ إذ ليس الجميع على رأي واحد فيه . أمَّا الآن فلنذكر ماذا نعني بقولنا الذي سبق: «إنَّ النفس تُدبِّر شؤون الكون الكلِّي وفقًا لما يقتضيه العقل» . / أنعني بذلك كأنَّها تُصنِّع عن طريق المُباشرة الأشياء شيئًا فشيئًا، الإنسان، ثمَّ الجواد، ثمَّ حيوانًا آخر، ثمَّ الوحش والسَّبَاع، وقبل ذلك الثَّار والأرض أوَّلًا؟ ثمَّ تنظر إلى هذه الأمور وهي تتلاقى فيُفسد بعضها بعضها الآخر أو يؤدي له ما فيه نفعه؛ فتكتفي بمُشاهدة التآلف الذي يتمُّ بين تلك الأمور وما يتبعه من نتائج مُتقارنة لا تزال تَفْع وتُحدث، / فلا تُساهم في المُتواليات بعد ذلك إلَّا بِعَوْدتها إلى صُنع وتكوين الحيوانات التي استهلَّت بها عملها (في الدَّورة السَّابقة) ثمَّ تدعُ تلك الحيوانات يتفعل بعضها ببعض انفعالات مُتبادلاً؟ أمَّ نعني بذلك أنَّها سبب الأمور التي تحدث كذلك لأنَّ ما يحدث عنها يولِّد ما يليه ١٥ مُباشرة؟ ثمَّ هل/ يقتضي العقل أنَّ هذا الشيء يفعل ذاك أو يتفعل به لا بالتَّحكم ولا بالاتِّفاق (ولو كان اتفاق حوادث)، بل يكون ذلك كذلك بالضرورة الحتمية؟ أيتَمُّ ذلك إذا لأنَّ المعاني البدئية هي التي تفعله؟ إلَّا أنَّ هذه المعاني البدئية موجودة، ولكن بمعنى أنَّها تفعل، بل بمعنى ٢٠ أنَّها تُشاهد، أو بالأحرى أنَّ النفس منطوية على المعاني البدئية المولَّدة، فهي التي تُشاهد النتائج التي تحدث عن أعمالها كلَّها؛ ذلك لأنَّه ما دامت القرائن والظُّروف واحدة، فإنَّ النتائج هي أيضًا واحدة حتمًا؛ وإذا أدركت النَّفس ذلك أو عَلِمَتْ بعلم سابق، عَمِدَت إليه فسافت المُتواليات إلى مُنتهاها وربطتها ببعضها ببعض . فيُقابلها إذا بوجه عام السَّوابق ثمَّ التَّوابع، ثمَّ تُصبح/ هذه بدورها سوابق لما يليها مُباشرة، وهكذا دائمًا انطلاقًا ممَّا يكون حاضرًا؛ وربَّما ٢٥ كان من ذلك سير المُتواليات دائمًا من سيِّئ إلى أسوأ (فرجال الماضي مثلًا غير رجال اليوم)، إذ أنَّ المعاني البدئية تُضعف أمام تأثيرات الهيولى، نظرًا إلى البُعد وإلى فعل الحتمية المُستمر .

٣٠. فَإِنَّ النَّفْسَ لَا تَزَالُ تَرَعَى الْأُمُورَ وَهِيَ تَتَحَوَّلُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى آخَرَ، وَتَتَبِعُ انْفِعَالَاتِ أَعْمَالِهَا، فَتَجْرِي حَيَاتُهَا كَذَلِكَ، وَلَا يَخْلُو لَهَا بَالٌ مِنَ الْإِهْتِمَامِ بِشُغْلِهَا كَأَنَّهَا وَصَلَتْ بِهِ إِلَى مُنْتَهَاهَا، وَكَأَنَّهُ اسْتِقَامَ لَهَا فِي حُسْنِهِ وَكَمَالِهِ وَأَنْجَزَتْهُ دُفْعَةً وَاحِدَةً فَلَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ؛ إِنَّمَا مَثَلُهَا مَثَلُ حَارِثٍ بَذَرَ حَبًّا أَوْ غَرَسَ نَبْتًا فَلَا يَزَالُ يُصْلِحُ مَا أَفْسَدَهُ الشَّتَاءُ الْمُمَطَّرُ، أَوْ الْبَرْدُ الْمُتَوَاصِلُ أَوْ الْهَوَاءُ الْعَاصِفُ. / أَمَّا إِذَا كَانَ فِي كُلِّ ذَلِكَ هَذِيانٌ، فَلَا بَدَّ مِنَ الْقَوْلِ بِمَا يَلِي، وَهُوَ أَنَّ فِي الْمَعَانِي الْبَذَرِيَّةِ ذَاتِهَا الْعِلْمَ بِفَسَادِ الْأُمُورِ وَبِمَا يَنْتَجِجُ عَنْ رِذَائِهَا، أَوْ حَالَ الْإِسْتِعْدَادِ لِهَذَا الْفَسَادِ وَلِهَذِهِ النَّتِيجَةِ. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَجِبَ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْمَعَانِي الْبَذَرِيَّةَ هِيَ الَّتِي تَوَلَّدَ الشُّرُورُ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ قَطُّ فِي فَنٍّ أَوْ فِي مَعْنَى بَذَرِيٍّ فَنٌّ خَطَأً، وَلَا مَا يَتَنَافَى مَعَ الْفَنِّ، وَلَا مَا يُقْسِدُ مُقْتَضِيَاتِ الْفَنِّ. وَلَكِنْ رَبٌّ قَائِلٌ هُنَا يَقُولُ إِنَّهُ، فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالعَالَمِ الْكَلْبِيِّ، لَا مَجَالَ لِأَمْرِ يَتَنَافَى مَعَ الطَّبِيعَةِ وَلَا مَجَالَ لِشَرٍّ؛ وَيُسَلِّمُ مَعَ ذَلِكَ بِأَنَّ ثَمَّةَ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِهِ، وَمَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ. ثُمَّ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ فِيمَا إِذَا كَانَ مَا هُوَ شَرٌّ لِصَالِحِ الْعَالَمِ الْكَلْبِيِّ، وَكَأَنَّ الْحُسْنَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَوِيَ ٤٥ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؟ فَإِنَّ لِمُتَنَاقِضَاتِ تَضَامُنِهَا عَلَى الْعَمَلِ، وَمَا مِنْ عَالَمٍ بِدُونِهَا؛ / وَهَكَذَا الْأَمْرُ عِنْدَ كُلِّ حَيٍّ مِنَ الْأَحْيَاءِ؛ أَمَّا خَيْرٌ مَا فِي الْأُمُورِ فَهُوَ مَا قَرَضَهُ الْمَعْنَى الْبَذَرِيَّةُ فَرْضًا وَجِبَلَتْهُ هُوَ ذَاتُهُ؛ وَأَمَّا مَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ صَالِحًا فَإِنَّهُ صَالِحٌ بِالْقُوَّةِ فِي الْمَعَانِي الْبَذَرِيَّةِ وَأَصْبَحَ أَقْلٌ صَالِحًا فِي الْمُحْدَثَاتِ الْمَتَكُونَةِ بِالْفِعْلِ. ذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْسَ لَمْ يُعَدِّ مِنْ وَاجِبِهَا أَنْ تَفْعَلَ وَأَنْ تَدْفَعَ الْمَعَانِي الْبَذَرِيَّةَ إِلَى التَّحْقِيقِ. فَإِنَّ الْهَيُولَى هِيَ الَّتِي تَفْعَلُ الْآنَ وَقَدْ اهْتَزَّتْ/ عِنْدَ الْمَعَانِي الْبَذَرِيَّةِ السَّوَابِقِ ٥٠ الْحِمَاسَةَ إِلَى الْعَمَلِ، كَمَا أَنَّهُ يَفْعَلُ أَيْضًا مَا يَكُونُ مِنَ الْهَيُولَى، أَعْنِي أَحَقَرُ الْأُمُورِ شَأْنًا؛ عَلَى أَنَّ أَقْلًا مَا يُقَالُ فِي الْهَيُولَى عِنْدَ ذَاكَ هُوَ أَنَّهَا لَا تَزَالُ تُسَاقُ صَاغِرَةً إِلَى الْأَفْضَلِ. وَهَكَذَا يَخْرُجُ الْوَاحِدُ الْمُؤَلَّفُ مِنْ كُلِّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَحْدُثُ وَهِيَ مِنْ نَاحِيَةِ أَوْلَى غَيْرِ مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، وَهِيَ أَيْضًا، مِنْ نَاحِيَةِ ثَالِثَةٍ، تَخْتَلِفُ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْمَعَانِي الْبَذَرِيَّةِ.

١٧. وَالْآنَ، هَلِ الْمَعَانِي الْبَذَرِيَّةُ الْمُسْتَكِنَّةُ فِي النَّفْسِ عَوَارِفٌ؟ وَلَكِنْ كَيْفَ تَفْعَلُ النَّفْسُ مُتَقَيِّدَةً بِالْعَوَارِفِ؟ فَإِنَّ الْمَعْنَى الْبَذَرِيَّةَ يَفْعَلُ فِي الْهَيُولَى، وَمَا يَفْعَلُ عَلَى نَحْوِ مَا تَفْعَلُ الطَّبِيعَةُ لَيْسَ عَارِفَةً وَلَا نَظْرًا، بَلْ قُوَّةُ تُسْتَخْدَمُ لِإِحْدَاثِ التَّغْيِلاتِ فِي الْهَيُولَى، فَلَيْسَ لِهَذِهِ الْقُوَّةِ عِلْمٌ بَلْ لَهَا فِعْلٌ فَقَطْ، مِثْلَمَا هُوَ الْأَمْرُ فِي دَائِرَةِ تَوَلَّدَ شَيْخًا مَثَلًا وَشَكْلًا فِي الْمَاءِ، / فَتَسْتَمِدُّ مِنْ غَيْرِهَا، أَعْنِي مِنْ مَرَكَزِهَا، حَتَّى تَعْمَلَ، مَا يَلْزَمُ لِأَصْلِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِيهَا بِقُوَّةِ التَّثْمِيَةِ وَالتَّوَلَّدَ. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْعُنْصَرَ الْمَوْجَّهَ فِي النَّفْسِ هُوَ الَّذِي يَقَعُ وَذَلِكَ يُحْدِثُ تَبَدُّلًا فِي النَّفْسِ الْمُؤَلَّدَةِ الْمُنْسَبِكَةِ فِي الْهَيُولَى. فَهَلِ تُحْدِثُ التَّبَدُّلَ بِتَعْلِيلٍ مِنْهَا؟ وَإِذَا ١٠ كَانَ مِنْهَا تَعْلِيلٌ، فَهَلِ يُرَدُّ إِلَى غَيْرِهَا أَوْ إِلَى مَا لَدَيْهَا فِي ذَاتِهَا؟ / وَإِذَا رُدَّ إِلَى مَا لَدَيْهَا فِي ذَاتِهَا،

فليست بحاجة إلى تعليل؛ إذ التعليل ليس هو الذي يُحدث التبدل، بل الأصل الثابت في النفس والذي ينطوي على المعاني البدرية؛ فهو الأصل الأقوى، وهو في النفس قدرتها على الفعل. لهذا وإنما الفعل وفقاً للمثل. فإنما تُمدُّ بها إذاً بعد أن تكون قد تلقتُها من الروح. الواقع ١٥ أن الروح يمدُّ بتلك المثل نفس العالم الكلّي، / فتتلقاها النفس التي تلي الروح مباشرة من ذاتها إلى النفس التي تليها إذ تُشرق عليها بنورها وتطبعها بطابعها، فتقبل هذه النفس الأخيرة على الفعل حينذاك، كأنها أصبحت مُكلّفة به؛ فتارةً يَستَرسِل فعلها استرسالاً لا ممسك له، وطوراً تقوم دونه الحوائل فيخرج منه ما هو من سَقَطِ المتاع. وعندئذٍ لَمَّا تيسّرت لتلك النفس القدرة على الفعل وأترعت بالمعاني البدرية (ولو لم تكن هذه المعاني من الأوّلِيّات)، فإنها تُقدِّمُ على ٢٠ الفعل ليس فقط لتفعل وفقاً لما تلقتُه، بل ليحدث عنها هي أيضاً شيء ما؛ / ولا مَرء في أنه عند ذلك شيء ساقط؛ نعم إنه حيوان، إلّا أنه حيوان على جانب من التقص لا يُستهان به، عاجز عن التهوّس بأعباء حياته، إذ أنه في مُنتهى الدّناءة، صعب الانقياد، غليظ الخلق، ساقط الهوى، ٢٥ كأن هذه الهوى يغاية الغلوّيات، فهي مُرّة/ وتنتشر المرارة حولها: هذا ما تُسهّم به تلك النفس في العالم الكلّي.

١٨ فهل الشّرّ ضروريّ إذاً في العالم الكلّي، فيلزم لزوماً من الأمور السامية؟ نعم، ولو لم يكن الشّرّ، لكان الكلّ ناقصاً. فإن في الشّرّ، في مُعظم ظواهره، بل في ظواهره كلّها، نفعاً للعالم الكلّي، ولهذا هو الأمر في الحيوانات السّامة مثلاً؛ إلّا أننا، غالباً، لا ندرك بماذا يكون الشّرّ نافعا. ثم إن للرزيلة وجوهاً عديدة من المنفعة، ما دامت هي الأصل في وجود أمور قائمة الحسن، مثل الكثير من آيات الفنّ؛ فضلاً على أنها تَبَحُّث عن التّقَطُّن، فلا تدعنا نقاد انقياد التّائمين للإهمال واللامبالاة. فإذا صحَّ قولنا هذا، لزم عنه حتماً أن نفس العالم الكلّي هي أبداً في مُشاهدة أفضل الأمور، موجّهة وجهها دائماً نحو الحقيقة الرّوحانية، نحو الحقّ ١٠ الرّبّانيّ؛ فإذا امتلأت/ بذلك، وأصبحت كأنها مُترعة به، انبعث منها ارتسام، هو منها في أقصى حدودها الدّنيا: فهذا هو الصّانع. إنه إذا الصّانع الأدنى؛ وأمّا ما فوقه فجانِب النفس الذي مُلِئَ مباشرة من لَدُن الروح. وأمّا الروح فهو المحلّق فوق الكلّ، وهو الصّانع الأوّل يمدُّ ١٥ النفس التي تليها بالأموال التي نَجِد آثارها في ما هو من المقام الثالث. وما أصوبه رأياً ما قيل من أن العالم مُحَاكاة لا تَزَال في تَحَوُّل مُستمرٍّ إلى مُحَاكاة أخرى: فإنّ ما في المقام الأوّل والثاني ساكن؛ كما إنه ساكن أيضاً ما في المقام الثالث، ولكنّه أصبح بِحُلُولِهِ في الهوى مُتَحَرِّكاً عن طريق العَرَض. ذلك بأنّه كلّما كانت روح وكانت نفس، جَرَّتَ منهما المعاني ٢٠ البدرية إلى ذلك/ التّوع من النفس، كما إنه كلّما كانت شمس كانت منها جميع الأنوار مُنبعثة.

الفصل الرابع

(١٢)

في الهَيُولِيِّينَ

١ إنَّ مَا يُسَمَّى الهَيُولَى يُوصَفُ بِأَنَّهُ مَحَلُّ الْمُثَلِّ ودُعَاؤُهَا، وهذا رأي يكاد يشترك فيه كلُّ الذين عالَجوا الموضوع وانتَهوا إلى فهم حقيقته، وهُم ما يزالون على الطَّرِيق ذاتها. ولكن ما هو حقًّا ذلك الأمر الَّذِي تَحُلُّ فِيهِ الْمُثَلِّ، وَكَيْفَ يَتَلَقَّاهَا، وما هو نَوْعُ الْمُثَلِّ الَّتِي يَتَلَقَّاهَا؟
فإنَّهم إذا وصلوا في البحث إلى هذا الموضوع اِفتَرَقُوا. فيرى بعضهم أنَّ الأعيان إنَّما هي الأجساد فقط، وفيها تكون الذَّات. ويذهبون إلى أنَّ الهَيُولَى واحدة وأنها محلُّ العناصر، فهي هي الذَّات وما سواها كأنَّه انفعال لها، حتَّى أنَّ العناصر نفسها هي تلك الهَيُولَى إذ تكون على حالٍ ما. / لا بل إنَّهم يجرِّؤون على أن يَنْتَهوا بها إلى عالم الأرباب، وغاية قولهم أنَّ الرَّبَّ ذاته هو تلك الهَيُولَى على حالٍ من الأحوال، ثمَّ يجعلون لها جسدًا يَصِفُونَهُ بِأَنَّهُ بلا كيف، كما أنَّهم يجعلونها أيضًا مصحوبة بالكمِّ. لهذا وإنَّ ثَمَّةَ قَوْمًا آخَرِينَ يَرَوْنَ أنَّ الهَيُولَى ليست جسدًا، ومنهم من يذهب إلى أنَّها ليست من نوع واحد، بل يُمَيِّزُونَ تلك الَّتِي تقوم عليها / الأجساد (إليها يُشير أصحاب الرَّأْيِ الأوَّل) عن هَيُولَى أُخْرَى مُتَقَدِّمَةٌ عَلَيْهَا، وهي هَيُولَى عليها تقوم الرُّوحانيَّات من الأصول والذَّوات اللاجسديَّة.

٢ فلا بدَّ إذًا من البحث أوَّلًا عن هذه الهَيُولَى: أعني أهي في الأعيان حقًّا، وما هي عليه في ذاتها، وكيف هي في الأعيان؟ فنقول: ما دامت الهَيُولَى هي ما لا حدَّ له ولا صورة، وما دام مَلَأَ الأمور العُلَيَّا خلْوًا مِمَّا لا حدَّ له ولا صورة، لزم عن ذلك أن ليس هناك هَيُولَى؛ ثمَّ إذا كان الشَّيْءُ هنالك بسيطًا، لم تعوزه هَيُولَى بحيث يَخْرُجَ منها/ ومن غيرها الشَّيْءُ المُركَّب؛ وإنَّ ما يَتَكُونُ للصورة يَحْتَاجُ أيضًا إلى هَيُولَى وعنده تتولَّد أمور من أمور أُخْرَى، هي الَّتِي أَذَتْ بِالرُّوحِ إلى أن يعي الهَيُولَى في المحسوسات، أمَّا ما لا يَتَكُونُ فليس بحاجة إلى هَيُولَى. فمن أين قَدِمَتْ وبماذا تقوم؟ فإذا كانت حادثة فبشيءٍ ما؛ وإذا كانت قديمة، أصبح في أرباب الأمور كثرة، وكان التصادف والاتفاق في عالم الأوَّلِيَّات. / ثمَّ إذا التحق أصل بالهَيُولَى كان المُركَّب

جسدًا، فكانت الأجساد في المَلَأ الأعلى .

٣ لا بدُّ من القول إنَّ ما لا حدَّ له ليس حقير الشَّأن على كلِّ حال ، وكذلك أيضًا ما لا صورة له على ما تصوِّره في حدِّ ذاته، إذا كان من شأنه أن يتقدَّم بنفسه مُتطوِّعًا لما هو قبله ولما هو الأفضل بين الأمور . وهكذا ما يتمُّ على نحوٍ ما في النفس بسبب العلاقة التي تربطها فطرَّة بالروح والعقل، إذ أنَّهما يتَّظمان بطابعيهما فتُرفع إلى مستوى نوع أسمى؛ ثمَّ إنَّ في/ ٥
الروحانيَّات تَرَكيبًا يَخْتلف عن الَّذي يتمُّ للأجساد؛ فإنَّ المعاني البذريَّة مركَّبة، وإنَّها بوظيفتها تُحدث التَّركيب في الطَّبيعة التي تسبِك الأشياء وفقًا للأنواع. لهذا وإنَّ الطَّبيعة ما دامت موجَّهة نحو سواها، خارجة عن سواها، فإنَّها أخلق بالتَّركيب من المعاني البذريَّة. ثمَّ إنَّ الهيولى في المكوَّنتات في تحوُّل مستمرٍّ من نوع إلى آخر، في حين أنَّ الهيولى في عالم ١٠
الأبد تَبقى دائمًا هي هي وعلى نوع واحد. وربَّما كانت الهيولى هنا على عكس/ التي هناك. فإنَّ الهيولى هنا تُصبح بالتجزؤ كلَّ شيء، شيئًا بعد شيء وكلَّ شيء وحده على حياله. فلا يدوم شيء، إذ أنَّ كلَّ شيء يَدفع الآخر ليحلَّ محلَّه؛ ومن ثمَّ لا يبقى الشَّيء هنا هو هو، أمَّا هنالك، فالأشياء كلُّها معًا، فلا يقابل الهيولى ما تتحوَّل إليه ما دام كلَّ شيء حاضِرًا لديها. فلن تكون إذًا ١٥
هيولى المَلَأ الأعلى بلا صورة هنالك، مثلما هو الأمر في الهيولى هنا، ولكن على وجه يَخْتلف عنه/ في الأخرى. أمَّا إذا كانت هيولى العالم الروحانيِّ قديمة أو حادثة، فهذا أمر يَنكشف لنا بعدما نُدرِك ما هي حقًّا.

٤ إنَّنا في سياق كلامنا هنا، نفترض ثبات المُثُل أمرًا مُسلَّمًا به، وهو أمرٌ قد أقيم الدَّليل عليه في مكانه. وإذا كثر عددُ المُثُل اشتركت حتمًا في أمر ما، وكان لكلٍّ منها خاصَّة يَخْتلف بها عن غيره. ولهذا الأمر الذاتيّ والميزة الخاصَّة التي تميِّزها عن غيرها إنَّما هي الصُّورة. فإذا ٥
كانت صورة،/ كان أيضًا ما تعمِّره الصُّورة وبه تتمُّ الميزة. وبالتالي فإنَّ ثمة هيولى تتلقَّى الصُّورة، وعليها تقوم الصُّورة دائمًا. ثمَّ إذا كان المَلَأ الأعلى عالم روحانيِّ، فعاملنا تقليد له، وهو مركَّب من هيولى: فإنَّ هنالك أيضًا هيولى وحتمًا. وإلَّا فكيف يُدعى عالمًا مع صرف النُّظر ١٠
عن مثاله؟ وكيف يكون له مثال/ بدون محلٍّ يحلُّ فيه المثال؟ أجل إنَّه لا يتجزأ إذا اعتُبر بكامله وعلى وجه الإطلاق، ولكتته، على وجه ما، قابل للتجزؤ. وإذا كانت أجزاؤه منفصلاً بعضها عن بعض، فالقطع والانفصال انفعال في الهيولى؛ فهي التي تقطع؛ وإذا كان غير قابل للتجزؤ رغم كون الكثرة فيه، فذلَّك لأنَّ الكثرة في الواحد، هي كثرة في الواحد على أنَّها كثرة في هيولى، ١٥
إذ أنَّ الكثرة للواحد هي كثرة صورته/ : فإنَّ هذا الواحد المختلف الوجوه إنَّما يتصوِّره الرُّوح

مختلف الوجوه كثير الصُّور؛ فهو إذاً في حد ذاته لا صورة له، قبل كونه مختلف الوجوه. فإذا سلبت عن الرُّوح اختلاف الوجوه والصُّور، والمعاني البذرية، والعوارف، أصبح لديك ما كان ٢٠ قبل كل ذلك، أعني أمراً لا صورة له ولا حد؛ فلا شيء بعد ما كان له وفيه.

٥ وإن قيل: «إن كل ذلك حاصل لتلك الوحدة، وهما معاً أبداً ودوماً، فالواحد هو كلاهما، وليس ثمة هيولى»، لزم عن قولك أنه ليس للأجساد في عالمنا أيضاً هيولى؛ وذلك لأنَّ الهيولى لا تكون قط بدون صورة، بل الكائن دائماً هو الجسد كله، ولكنه مرَّكَّب عن الصُّورة والهيولى معاً. لهذا وإنَّ الرُّوح هو الذي يُدرك هذه المثنوية؛ فإنه لا يزال يُقسَّم حتَّى يتَّهي إلى بسيط لا يُمكن تجاوزه بالتَّحليل؛ / ولكنه ما دام قادراً على التَّحليل، فإنه لا يزال يُحلَّل حتَّى يصل من الأمر إلى غَوْرِهِ. وغَوْر كلِّ أمرٍ، إنما هو الهيولى؛ ولذلك كانت مظلمة كلها، لأنَّ التُّور هو المَعْنَى البذري، والرُّوح مَعْنَى بلْذري. فإنه يَرى لكلِّ شيء معناه البذري، فيحكم بالآظلام للأشياء التي في الدُّرك الأسفل وكأنها تحت التُّور، كما أنَّ البصر يتحوَّل نوره ١٠ إلى/ التُّور والألوان (وهي أنوار)، فيُدرك ما تحت الألوان على أنه مُظلم وهيولاني، مغمور بالألوان. إلَّا أنَّ المظلم في الرُّوحانيَّات يَخْتَلِف عنه في المحسوسات، كما أنَّ الهيولى أيضاً ١٥ تَخْتَلِف، بقدر ما يَخْتَلِف المِثَال الذي يَقع على الهيولتين؛ فإنَّ الهيولى الرُّبَّانيَّة/ ما يجعلها قائمة في حدودها فتتم لها حياة ثابتة في ذاتها نورانيَّة، أمَّا الهيولى هنا فصحيح أنها تُصير شيئاً محدوداً، ولكئها لا تكون ذات حياة وروح، بل هي شيء ميت مُنظَّمة معالِمه. ثمَّ إنَّ الصُّورة في عالمنا مثال لشيء؛ فما تقوم عليه مثال أيضاً: أمَّا في المَلَأ الأعلى فالصُّورة حقٌّ ثابت، فكذلك ٢٠ أيضاً ما تقوم عليه. ومن ثمَّ كان الذين يرون أنَّ للهيولى/ ذاتاً ما داموا يعنون بها هيولى العالم الرُّبَّاني، أصحاب رأي ينبغي تقبُّله ما داموا يعنون بها هيولى العالم الرُّبَّاني؛ فإنَّ حامل الصُّور هنالك ذات، أو بالأحرى، إنه، في الدَّهن، مع ما عليه من صور الذات الكاملة التُّورانيَّة. أمَّا إذا وجب البحث فيما إذا كانت الهيولى الرُّوحانيَّة قديمة، فالقول فيه مثل القول في الأصول ٢٥ الرُّوحانيَّة؛ فإنَّها مولودة ما دام لها أصل،/ وغير مولودة لأنَّها لا بداية لها زمناً، بل هي في ارتباط مستمرٍّ بغيرها، لا بمعنى أنها في تكوين مستمرٍّ مثلما هو الأمر في عالمنا، بل بمعنى أنها في تأسيس دائمٍ مثلما يكون الأمر في المَلَأ الأعلى. ذلك لأنَّ الغيرية في المَلَأ الأعلى قديمة، وبها كانت الهيولى؛ فإنَّها أصل الهيولى، مثل الحركة الأولى أيضاً. ولذلك قيل في هذه ٣٠ الحركة أنها «الغيرية»/ لأنَّ الحركة والغيرية «نشأتا معاً»؛ لهذا وإنَّهما غير محدودين، فهما مُشتَقَّان من الأوَّل، ولا بدُّ لهما منه لينضبطا في حدودهما؛ وإنَّما يتحدَّدان إذ يرتدَّدان بذاتيهما إلى الأوَّل؛ أمَّا قبل ذلك فإنَّ الهيولى تلك غير محدَّدة، وهي الغير ولا تزال لا خير فيها، بل هي

٣٥ محرومة من إشراق الخير. وما دام/ التور من ذلك الخير، فالذي يتلقى التور لم يكن لديه في زمن ما نور، قبل أن يتلقاه، بل إن لديه الآن ما يختلف عنه، إذ أنه أمر آخر ذلك الذي ينبعث منه التور. وهذا وإننا قد جاوزنا الحد اللازم في الكشف عما يتعلّق بالهيولى في عالم الروحانيات.

٦ أما في الهيولى محلاً للأجسام، فليكن قولنا ما يلي:

٥ إن ضرورة قيام شيء ما محلاً للأجسام مختلفاً عنها، أمر يدُلُّ عليه تحوّل العناصر بعضها إلى بعض. فإنه ليس فساداً تاماً فساد ما يتحوّل، ولا كان من شأن أيّس ما أن يفتنى في اللئس؛ ثم ناحية أخرى، / لا يتكوّن المتكوّن من اللئس المطلق ليصير أيّسا، بل إن ما في الأمر إنما هو تحوّل من مثال إلى آخر على أن يبقى هو هو ذلك الذي ينسلخ عنه. لكن الذي يتلقى أصل الشيء الحادث ويبقى الأصل الآخر يبقى هو هو. وتدّل على ذلك أيضاً، وبوجه عام، ظاهرة الفساد؛ فإن الفساد إنما يعترى المركّب. وإذا كان ذلك كذلك، كان كلّ مركّب من هيولى وأصل ومثال. لهذا وإن الاستقراء أيضاً يشهد لما نقول، / إذ أنه يدلّ على أن يعترى الفساد شيء مركّب؛ وكذلك التحليل أيضاً؛ فإن الكأس إذا صارت ذهباً ثم الذهب ماء، فالقياس يقتضي أن يفسد الماء أيضاً ويتحوّل إلى غيره. أما العناصر فهي حتماً إما أصل، أو هيولى أولى أو شيء من ١٥ هيولى ومن أصل مثاليّ معاً. ومن المحال أن يكون العنصر أصلاً مثالياً: / فأنتى له القدر والحجم بدون هيولى؟ ولا يكون من قبيل الهيولى الأولى، إذ أنه يعترى الفساد. فإنه إذا من هيولى ومن أصل مثاليّ. أما الأصل المثاليّ فيه يضبط الشيء كيفاً وصورة؛ وأما الهيولى فيها يكون له ما يقوم عليه الأصل المثاليّ، وهو شيء غير محدّد، إذ إنه لم يكن أصلاً مثالياً.

٧ إن أمبدوقليس يرى العناصر في الهيولى، فكأن فساد هذه العناصر يشهد على خلاف ما يذهب إليه. أما أنكسادغوراس، فإن الهيولى عنده هي المزيج، لا بمعنى أنه استعداد إلى أن يكون كلّ شيء، بل بمعنى أنّ فيه كلّ شيء بالفعل؛ فينفى صاحبنا الروح الذي يدخله في مذهبه، لأنه يرى أنّ الروح ليس هو الذي يعطي الصورة والمثال، كما أنه ليس قبل الهيولى، / بل إنه هو والهيولى معاً. ومن المحال أن يكونا معاً. ذلك لأنه إذا كان المزيج مشاركة في التأيس، فالأيس قبّله، وإذا كان الأيس وكان المزيج أيضاً مثله، وجب أمر ثالث فوقهما. وبعد، ما دام الصانع هو الأوّل حتماً، فما بال المثل تتوّج إرباً إرباً في الهيولى، ثم ١٠ يقبل الروح/ فيعاني عملاً عديم الجدوى ليلتقطها، وهو لا جناح عليه إن أطلّ على هيولى لا كيف فيها فنشر عليها كلّها كيف والصورة؟ لهذا وأن يكون كلّ شيء في كلّ شيء، أليس ذلك أمراً مستحيلاً؟ أما الذي يدّعي أنّ الهيولى هي ما لا حدّ له، فليقلّ ماذا يعني بما لا حدّ له. فإذا

١٥ كان «لا حدَّ له» بمعنى أنّه «لا يُدرَك له حدٌّ» فليس في الأعيان/ أمرٌ مثل ذلك لا وجود له في حقيقة الواقع سواء أكان «لا حدَّ له» قائماً في ذاته أم كان في شيء آخر مثل العَرَض في جسد ما: أما أن يكون «لا حدَّ له» قائماً في ذاته، فلأنَّ كلَّ جزء من أجزائه يُصبح حينئذٍ أيضاً «لا حدَّ له» حتماً؛ أما أن يكون بمنزلة العَرَض، فلأنَّ ما يحلُّ فيه عَرَضاً لن يكون بعد ذلك «بدون حدٍّ» في حقيقة ذاته، فلن يكون بسيطاً، ولا هيولى أيضاً؛ ولهذا أمر لا ريب فيه. لهذا وإنَّه لا يجوز ٢٠ أخيراً، أن تُجعل الذَّرات على مقام الهيولى، / إذ أنَّ الذَّرات ليست من عالم الأعيان: فإنَّ كلَّ جسم قابل للتجزؤ، في كلِّ جزء من أجزائه؛ فضلاً على أنَّ ثَمَّة اتِّصال بعض الجسد ببعض، ورطوبته، والوضع بحيث أنَّ الشيء لا يكون بدون الرُّوح والنفس، ولا يُمكن أن تتألف النفس من ذرات؛ كما أنّه لا يُمكن أن تُصنع من الذَّرات طبيعة تختلف عن الذَّرات إذ أنَّ صانعاً/ لا يصنع قطَّ شيئاً من غير هيولى متّصل بعضها ببعض. وقد يتَّسع المَجالُ لذكر مئات الرُّبى من الأقوال ضدَّ هذه الدَّعوى؛ لا بل ذكرنا فيها أقوالاً جعلت إطالة الوقوف عندها من فضول الكلام.

٨ ما هي إذاً تلك الهيولى التي توصف بأنها واحدة، متّصل بعضها ببعض، وأنها بلا كيف. فإنَّ عدم كونها جسمًا، لأنها بلا كيف، أمرٌ واضحٌ، وإلا لكانت بكيف. أما إذا وصفناها بأنها كذلك مع المحسوسات كلّها، فإنَّما نعني بذلك أنها ليست هيولى قُبالة أشياء ومثلاً قُبالة ٥ أخرى (ومثل الفخار، فهو هيولى لدى الفُخاريِّ ولكنّه ليس/ هيولى مُطلقاً)؛ أقول: إذا وصفناها بأنها ليست هكذا، بل بأنها هيولى بالنسبة إلى الأشياء كلّها، فالوجه ألاَّ تُلحَق بها شيئاً قطَّ ممَّا نراه في المحسوسات. وإذا صحَّ ذلك، فإنَّنا، إلى جانب ما نفقيه عنها من التكيّفات مثل اللون والحرارة والبرودة، ننفي عنها أيضاً الخفّة والثقل والشفافيّة، بل كلّ شكل وهيئة؛ ومن ثَمَّ، فلا ١٠ حجم لها أيضاً. / فإنَّ ثَمَّة فرقاً بين أن يكون الشيء من قبيل الحجم، وأن يكون مُتصفاً بالحجم، كما أنَّ القيام بالهيئة ليس الاتِّصاف بها. ثمَّ إنَّ الواجب في الهيولى ألاَّ تكون مرّكبة، بل بسيطة، وشيئاً ثابتاً بوحده وذلّك في حدِّ ذاتها وطبيعتها، إذ أنَّها لا تكون بريئة من كلّ الذي سبق ذكره إلا إذا كانت كذلك. لهذا وإنَّ الذي يُمثِّلها بالصورة، يخلع عليها صورة ١٥ تختلف عنها؛ وهكذا الأمر في الحجم والأوصاف كلّها. / فكأنَّه يستخرجها من الأعيان، ويُلحِقُها بالهيولى؛ وإلا لأصبح مُتقيّداً بالكمِّ فيها، وما أحدث شيئاً من هذا الكمِّ بقدر ما يريد هو، بل بقدر ما تشاء هي؛ أمّا أن تتوافق إرادته مع ما يقتضيه الكمِّ في الهيولى، فذلّك ضَرَب من ضروب التَّوهُّم. ثمَّ إنَّه ما دام الصّانع مُتقدِّماً على الهيولى، تَساوقت الهيولى كلّها ٢٠ مع ما يريد الصّانع ولائنت/ لقبول كلّ ما تُراد عليه، وبالتالي للكمِّ أيضاً. أمّا إذا التحق الكمُّ

بها، فالشكل يلتحق بها أيضًا وحتماً، فتضاعفت صلابتها على التأثير فيها. فإنَّ المِثَالَ هو الَّذِي يُقْبَلُ عليها حاملاً إليها كلُّ شيء؛ والمِثَالُ يَتَضَمَّنُ كلَّ الأوصاف، مع الكَمِّيَّة وما سواها مهما ٢٥ يكن قدرها، يصطحبها المعنى البذري وما ينطوي عليه. ولذلك نرى في كلِّ جنس من الأجناس أنَّ القدر يأتي مَحْدُودًا مع المِثَالِ التَّوعِي: فإنَّه في الإنسان يَخْتَلِفُ عنه في الطَّيْرِ، وهو في هَذَا الطَّيْرِ غيره في ذَلِكَ. وإنَّها لَعَمْرِي غَرَابَةٌ لَا يُسْتَهَانَ بِهَا فِي ادِّعَائِنَا أَنَّ سَوَاقِ الكَمِّ إِلَى الهَيُولَى شيء، وأنَّ إلْحَاقَ الكَيْفِ بِهَا شيء آخَر، كَأَنَّ لِلْكَيفِ مَعْنَاهُ الْبَذَرِيَّ وَلَيْسَ لِلْكَمِّ مِثَالُهُ ٣٠ وهو قِيَاسٌ وَعَدَدٌ/.

٩ وإن قِيلَ كَيْفَ يُدْرِكُ عَيْنٌ مِنَ الْأَعْيَانِ وَهُوَ لَا كَمَّ لَهُ؟ قُلْنَا لِأَنَّهُ كَلَّ مَا لَيْسَ عَيْنَ الْكَمِّ. فَلَيْسَ الْأَيْسَ وَالْكَمَّ شَيْئًا وَاحِدًا؛ وَمَا أَكْثَرَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَمِّ مِنْ اخْتِلَافٍ! فَكَلَّ حَقِيقَةً بَدُونَ جَسَدٍ بِعَامَّةٍ، لَا بَدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ افْتِرَاضًا بَدُونَ كَمٍّ؛ وَالْهَيُولَى أَيْضًا لَا جَسَدَ لَهَا. ثُمَّ إِنَّ الْكَمِّيَّةَ ٥ بِالذَّاتِ لَيْسَتْ الْمَكْمَمَ، بَلْ/ الْمَكْمَمُ هُوَ مَا أَصَابَ فِيهَا شَيْئًا، فَيَلْزَمُ عَنْ ذَلِكَ لَا مُحَالَةَ أَنَّ الْكَمِّيَّةَ ذَاتًا مِثَالًا. وَكَمَا أَنَّ الشَّيْءَ يَصِيرُ إِذَا أبيضَ بِحُضُورِ الْبَيَاضِ، عَلَى أَنَّ الَّذِي يُحْدِثُ اللَّوْنَ الْأَبْيَضَ فِي الْحَيَوَانِ وَالْأَلْوَانِ الْآخَرَى الْمَتَّوْعَةَ لَيْسَ لَوْنًا أبيضَ بَلْ، إِذَا جَازَ لَنَا الْقَوْلُ، مَعْنَى بَذَرِيَّ ١٠ مَتَّوْعٍ، فَكَذَلِكَ أَيْضًا مَا يَحْدُثُ كَمَا مَا لَيْسَ الْمَكْمَمَ/ إِنَّمَا هُمُ الْكُمُّ ذَاتُهُ، لَوْ كَانَ الْكَمُّ قَائِمًا فِي ذَاتِهِ. وَأَيْضًا الْكَمُّ فِي مَعْنَى الْبَذَرِيَّ: ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَحْدُثُ. أَفَيَقْبَلُ الْكَمُّ إِذَا عَلَى الْهَيُولَى فَيَسْطِهَا بِحَسَبِ الْأَبْعَادِ؟ كَلَّا، لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ مَطْوِيَّةً فِي مَحَلِّ ضَبِّقٍ، إِنَّمَا امْدَحَهَا بِالْبُعْدِ، كَمَا أَنَّهَا ١٥ تَلَقَّتْ الْكَيفَ، وَمَا كَانَ لَهَا مِنْ قَبْلِ لَا بُعْدَ وَلَا كَيْفَ/.

١٠ مَا عَسَايَ أَدْرِكُ بِالْعُرْفَانِ إِذَا لَدَى مَعْرِفَتِي اللَّاحِجَمِيَّةَ فِي الْهَيُولَى؟ وَمَا عَسَاكَ تَعْرِفُ إِذْ تَعْرِفُ أَمْرًا بَلَا كَيْفَ؟ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ الْعُرْفَانِ؟ وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ الْإِدْرَاكُ بِالْفَكْرِ؟ أَلَا، إِنَّهُ الْغَمُوضُ وَالْإِبْهَامُ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا قَابِلُ الْمَثَلِ مَثَلُهُ، قَابِلُ الْأَمْرِ الْمُبْهَمِ أَمْرًا مُبْهَمًا أَيْضًا! نَعَمْ قَدْ ٥ يَكُونُ لِلْأَمْرِ الْمُبْهَمِ الْغَامُضُ مَعْنَى وَاضِحٍ مَحْدُودٍ، وَلَكِنْ النَّظَرُ إِلَيْهِ مُبْهَمٌ غَامِضٌ/. فَإِذَا كَانَ الشَّيْءُ يُدْرِكُ بِمَعْنَاهُ وَبِعَارِفَتِهِ - أَمَا هُنَا فَإِنَّ فِي الْمَعْنَى مَا فِيهِ مِنْ مَدْلُولِ الْهَيُولَى، إِلَّا أَنَّ مَا يَسْعَى إِلَى أَنْ يَكُونَ عَارِفَةً لَيْسَ عَارِفَةً بَلْ إِنَّهُ بِالْآخَرَى مَا يَكَادُ يَكُونُ نَفْيَ الْعُرْفَانِ وَبُطْلَانَهُ - فَإِنْ تَخَيَّلْنَا لِلْهَيُولَى إِنَّمَا هُوَ تَخَيُّلٌ أَصْلُهُ فَاسِدٌ سَاقِطٌ، وَهُوَ مُؤَلَّفٌ مِنْ أَمْرٍ آخَرٍ هُوَ الْبَاطِلُ مَعَ الْمَعْنَى الَّذِي ١٠ يَقُومُ بِهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ الْآخَرُ الْبَاطِلُ/. وَرَبَّمَا كَانَ أَفْلَاطُونُ إِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ إِذْ قَالَ أَنَّ الْهَيُولَى إِنَّمَا تُدْرِكُ «بِتَعْلِيلٍ فَاسِدٍ فِي أَصْلِهِ». وَالْآنَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ غَمُوضُ التَّقْسِ مُبْهَمَةٌ غَامِضَةٌ؟ أَمْ هُوَ حُرْمَانُ تَامٍ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ، وَكَأَنَّهُ عَيٌّ فِي التَّنَطُّقِ؟ كَلَّا بَلْ إِنَّ الْمُبْهَمَ الْغَامِضَ عَلَى جَانِبٍ مِنْ

الإثبات في الثُّطق. ومثل ذلك كمثّل الظّلام للعين إنّما هو هيولى؛ ومن شأنها أن يعمرها كأنّه صورة كلّ لون لم يدركه البصر؛ وهكذا الأمر في النّفس إذًا، وقد استخرجت ما في المحسوسات/ من نور، ولم يبقَ لها بعد ذلك ما تراه: فإنّها آنذاك مثل البصر في الظلم، وقد أصبحت بوجه ما أمرًا واحدًا وهي ذلك الذي تراه إن جاز لنا القول. أو ترى حقًا؟ لكأنّي بها ترى شيئًا عديم الشّكل، مُجرّدًا من اللّون، لا نُور فيه، فضلًا على أنّه خالٍ من الكمّ بأبعاده؛ وإلّا لكانت النّفس ذاتها عمّدت إليه وعمرته يمثّال، وعندما لا تفكر النّفس قطّ ألا يتمّ فيها ذاتًا ذلك الانطباع الذي وصفناه؟/ كلًّا بل إنّها عندما لا تفكر بشيء، فإنّها لا تلتظ بشيء، أو بالأحرى لا تنطبع بشيء؛ أمّا عندما تعرف الهيولى، فإنّها بحيث تنفعل بانفعال كأنّه انطباع ما لا صورة له. كما أنّها عندما تفكر بما عمرته الصّورة وحلّ فيه الكمّ، إنّما تفكر به مركّبًا، لأنّها تفكر به كأنّه مع لونه وكأنّه مع كيفه ملوّنًا بوجه عامّ. إنّها تفكر إذًا بالكلّ/ وبيعضه معًا. أمّا عرفان المحمولات أو بالأحرى الإحساس فواضح؛ وأمّا إدراك الحامل، الذي لا صورة له فهو غامض، لأنّه ليس بمثال. لهذا وما تدركه في الكلّ وفي المركّب مع محمولاته، فإنّها تنزع منه بالتحليل هذه المحمولات؛ ثمّ إنّ الذي يتركه العقل باقيا، تعرفه النّفس بغموض وهو غامض، وفي جوّ من الظّلام وهو مُظلم؛/ وهي تعرف حينئذٍ غير عارفة حقًا. ثمّ ما دامت الهيولى هي ذاتها لا تبقى بدون صورة، بل تكون دائميًا في الأشياء مع صورة تعمرها، فإنّ النّفس سرعان ما تبادر إليها فتخلع عليها مثال الأشياء: إنّ الغموض والإبهام أمر يؤلم النّفس، وكأنّها تحشى معه أن تُصبح خارج عالم الأعيان، فلا تطيق طول الإقامة في الليس واللاشيء./

١١ ولكن ما هي الحاجة لقيام الأجساد، إلى شيء غير الحجم والكيفيات كلّها؟ - ألا إنّ هذه الأمور كلّها في حاجة إلى ما يتلقاها وتقوم عليه. فلا بدّ إذًا من جُرم، وإذا لزم الجُرم، لزم الحجم أيضًا، إذ أنّ الجُرم الذي لا حجم له، لا يتسع لشيء يتلقاه. ولعمري، إذا كان الجُرم بدون حجم، فَمِمّ يكون إسهامه؟ إنّّه، في هذه الحال، لا علاقة له بالمثال/ ولا بالكيف؛ أفيكون أيضًا خاليًا من كلّ صلة بالامتداد وبالحجم، والحجم، فيما يبدو، من الهيولى أينما حلّ، منها يكون أصله ومنها يكون قُدومه إلى الأجساد؛ ولكن مثلما أنّا نرى، بوجه الإجمال، أعمالًا وأفعالًا ومددًا وحرّكات ثابتة كلّها في الأعيان وليس لها في ذاتها ما تقوم عليه وتستوي، فهكذا أيضًا ليست الأجسام الأوّليّة في حاجة حتمًا إلى هيولى،/ بل يكون كلّ جسم منها كلًّا في ذاته، ويُرَدُّ الاختلاف بينها إلى أنّها في قوامها مزيج من ممثّل كثير عددها؛ ومن ثمّ كان ذلك الذي تدّعيه، من فقدان الحجم في الهيولى، كلامًا فارغًا لا معنى فيه. أمّا أولًا فليس من الضروريّ أن يكون ما يتلقّى الشّيء جُرمًا، ما لم يتمّ له الاتصاف بالحجم؛ فإنّ النّفس/ تتلقّى

كُلُّ شَيْءٍ فَتَضُمُّ فِيهَا الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا، فَإِذَا كَانَ الْحَجْمُ مِنْ لَوَازِمِهَا حَصَلَ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ فِي حَاجِمِهِ .
 وَأَمَّا الْهَيُولَى، فَإِنَّ مَا تَتَلَقَّاهُ إِنَّمَا يَصِلُهَا فِي وَضْعِ الْإِمْتِدَادِ لِأَنَّهَا قَابِلَةٌ لِلْإِمْتِدَادِ؛ مِثْلُ الْحَجْمِ فِي
 ٢٠ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، إِذَا زِدَادَ قَابِلُهُ بِقَدَرِ زِدْدِيَادِهِ / فِي الْكَثِيفِ، وَإِذَا اعْتَرَاهُ نُقْصَانٌ نَقَصَ
 الْكَثِيفَ أَيْضًا. وَإِنْ قِيلَ: «قَدْ سَبَقَ وَحَصَلَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْأَعْيَانِ حَجْمٌ مَا عَلَيْهِ يَقُومُ الْأَصْلُ الَّذِي
 يَعْمرُ بِالْصُّورَةِ، الْأَمْرُ الَّذِي يَسْتَوْجِبُ فِي الْهَيُولَى أَيْضًا حَجْمًا؛ فَلَيْسَ فِي هَذَا الْقَوْلِ صَوَابٌ. إِذْ
 الْهَيُولَى هُنَا لَيْسَتْ الْهَيُولَى مُطْلَقًا، بَلْ هَيُولَى الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ؛ أَمَّا مَا هِيَ هَيُولَى عَلَى وَجْهِ
 الْإِطْلَاقِ، فَيَنْبَغِي حَتَّى لِلْحَجْمِ أَنْ يَأْتِيَهَا مِنْ غَيْرِهَا. لَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ إِذَا أَنْ يَكُونَ حَجْمًا ذَلِكَ
 ٢٥ الَّذِي يَتَلَقَّى / الْوِثَالِ، بَلْ إِنَّهُ إِذْ يَتَمُّ لَهُ الْحَجْمُ وَيَتَلَقَّى مَعَ الْحَجْمِ الْكَثِيفَ فِي أَنْ وَاحِدٍ. وَإِذَا بَدَأَ
 فِي خِيَالَةِ الْحَجْمِ، فَلَأَنَّ أَوَّلَ مَا هُوَ إِنَّمَا هُوَ قَابِلِيَّةٌ لِلْحَجْمِ، وَلَكِنَّهُ حَجْمٌ فَارِغٌ - وَمِنْ ثَمَّ قَوْلُ
 بَعْضِهِمْ فِي الْهَيُولَى أَنَّهَا خَلَاءٌ لَا مَلَأَ. قُلْتُ: «خِيَالَةُ حَجْمٍ»، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ لَدَى النَّفْسِ مَا تَحِيطُ
 ٣٠ بِهِ وَتَضْبِطُهُ عِنْدَمَا / تَعَالَجُ مَعَ الْهَيُولَى، فَتَنْصَبُّ حِينَئِذٍ فِي الْغَمُوضِ وَالْفَوْضَى، إِذْ لَا حَدَّ لَهَا
 تَرْتَسِمُ فِي نِطَاقِهِ وَلَا دَلَالَةٌ أَمَامَهَا تَهْتَدِي إِلَيْهَا، وَحَسْبُنَا لَهَا بِذَلِكَ ضَابِطًا. فَالْوَجْهَ إِذَا أَلَّا يُقَالُ أَنَّ
 هُنَا شَيْئًا كَبِيرًا أَوْ شَيْئًا صَغِيرًا بَلْ شَيْءٌ كَبِيرٌ وَصَغِيرٌ مَعًا؛ وَإِنَّهُ كَذَلِكَ جِزْمٌ، وَهُوَ كَذَلِكَ أَيْضًا لَا
 ٣٥ حَجْمٌ لَهُ لَأَنَّهُ هَيُولَى جِزْمٌ، وَهِيَ هَيُولَى كَأَنَّهَا تَنْسَابُ فِي جِزْمٍ يَتَقَلَّصُ مِنْهُ كَبِيرًا إِلَيْهِ صَغِيرًا / ثُمَّ
 يَتَحَوَّلُ مِنْهُ صَغِيرًا إِلَيْهِ كَبِيرًا؛ وَإِنَّ مَعْنَى الْفَوْضَى وَالْغَمُوضِ فِي الْهَيُولَى هُوَ ذَلِكَ الْجِزْمُ أَيْ
 الْقَابِلِيَّةُ لِلْحَجْمِ فِيهَا؛ إِلَّا أَنَّهُ يَبْدُو فِي الْخِيَالَةِ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ بِهِ. ذَلِكَ أَنَّ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا
 حَجْمٌ، يَقُومُ كُلُّ مِثَالٍ بَيْنَهَا فِي نِطَاقِهِ فِي الْخَاصِّ عَلَى حِيَالِهِ. فَلَيْسَ ثَمَّةَ لِلْجِزْمِ مَعْنَى؛ أَمَّا
 الْهَيُولَى، فَإِنَّهَا لَا حَدَّ لَهَا، وَلَا تَسْتَقَرُّ عَلَى حَالٍ مِنْ تَلْقَآءِ ذَاتِهَا، فَتُنْقَلُ أَبَدًا مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ
 ٤٠ وَمِنْ / مِثَالٍ إِلَى مِثَالٍ آخَرَ، وَهِيَ دَائِمًا سَهْلَةٌ الْإِنْقِيَادِ؛ وَمَا دَامَتْ كَذَلِكَ فَإِنَّهَا فِي تَحَوُّلٍ مُسْتَمِرٍّ
 مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، مُنْقَادَةٌ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، خَاضِعَةٌ لِلتَّكْوِينِ؛ فَتَبْدُو، وَهِيَ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ، فِي
 مَعْنَى الْجِزْمِ وَطَبِيعَتِهِ.

١٢] إِنَّ لِلْهَيُولَى إِذَا السَّهْمَ الْأَكْبَرَ فِي الْأَجْسَادِ، لِأَنَّ الْمُثُلَ فِي الْأَجْسَادِ، إِنَّمَا تَكُونُ فِي
 الْحَجْمِ. إِلَّا أَنَّهَا لَا تَحْدُثُ فِي الْحَجْمِ بَلْ مَا هُوَ قَائِمٌ مَعَ الْحَجْمِ: فَإِنَّهَا إِذَا حَدَّثَتْ فِي
 الْحَجْمِ، لَا فِي الْهَيُولَى، كَانَتْ هِيَ أَيْضًا خَالِيَةً مِنَ الْحَجْمِ وَلَا شَيْءَ لَهَا تَسْتَوِي عَلَيْهِ، أَوْ
 ٥ كَانَتْ مَعْقُولَاتٍ فَقَطْ - عَلَى مَا هِيَ فِي النَّفْسِ / - وَمَا كَانَ جَسَدًا. لَا بَدْ إِذَا، فِي هَذَا
 الْعَالَمِ، مِنْ أَنْ تَكُونَ الْكَثْرَةُ فِي الْوَاحِدِ، وَيَكُونُ هَذَا الْوَاحِدُ قَائِمًا مَعَ الْحَجْمِ، مُخْتَلَفًا عَنْ
 الْحَجْمِ. ثُمَّ إِنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي مَزِيَجٍ إِنَّمَا تَتَجَمَّعُ كَذَلِكَ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ لِأَنَّ الْهَيُولَى
 حَاصِلَةٌ فِيهَا، فَلَا حَاجَةَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ يَتَمُّ الْأَمْرَ عَنْ طَرِيقِهِ إِذْ أَنْ كُلَّ عِنَصَرٍ مِنَ الْعِنَاصِرِ

١٠ المُمْتَزِجَةُ يُقْبَلُ حَامِلًا معه هيولاه الخاصّة. إنّما يعوزها مع ذلك شيء ما ثابت في وحدته/ تستوي عليه، وإن شئنا فلنقل وعاء أو محلّ؛ لكنّ المحلّ متأخّر عن الهيولى والأجساد، ومن ثمّ فإنّ أوّل ما تحتاج إليه الأجساد هو الهيولى. ولا يصحّ القول بأنّه ما دامت الأفعال والأعمال لا هيولى لها، فكذلك أيضًا ينبغي أن تكون الأجساد؛ فإنّ الأجساد مركّبة، أمّا الأعمال فليست كذلك. ١٥ هذا وإنّ الهيولى تمثّل العامل، أثناء انصرافه إلى عمله،/ بما يستوي عليه ذلك العمل؛ على أنّها تبقى هي في العامل ولا تتخلّى للعمل عن شيء منها، لأنّ العامل نفسه لا يطلب ذلك. فضلًا على أنّ العمل ليس هو الذي يتحوّل منه إلى غيره، فيكون حينئذٍ حقًّا للأعمال هيولى، بل ٢٠ إنّ العامل الذي ينتقل إلى عمل آخر بعد انتهائه من العمل الأوّل، فيكون هو الهيولى لأعماله./ إنّ وجود الهيولى إذا أمر لا بدّ منه حتمًا لوجود للكيف والحجم. ومن ثمّ لوجود الأجساد أيضًا؛ فليست إسمًا خاليًا من المعنى، بل إنّها ما تستوي عليه الصّور، ولو كان أمرًا غير مرئيّ وغير محجّم. فلو لم تكن، لفينا أيضًا، للعلّة ذاتها، الكيف والحجم، لأنّ كلّ ما كان من هذا ٢٥ القليل هو أهّل لأنّ يوصف بأنّه ليس شيئًا إذا/ اتّخذ وحده في ذاته. وإذا ثبت الوجود لهذه الأمور، على كونه وجودًا مغشيّ الجوانب، فالهيولى أخرى بأنّ تثبت، ولو لم تكن ظاهرة للعيان لأنّها لا تنالها الحواس. فإنّها لا تُدرَك بالبصر إذ لا لون لها، ولا بالسمع إذ لا صوت لها، ٣٠ كما أنّها لا تُدرَكها حواسّ الذّوق، لا الأنف ولا اللسان. أو تُدرَك باللمس إذا؟ كلا! لأنّها ليست جسدًا، إذ اللمس لمس الجسد، لأنّه لمس الكثيف أو الشّفيف، اللين أو الصّلب، الرّطب أو اليابس، ولا شيء من ذلك في الهيولى؛ إنّما تُدرَك بتعليل، لا من الرّوح، بل هو تَعْلِيلٌ يَسْتَرْسِلُ باطلاً؛ ولذلك كان تعليلًا فاسد الأصل، كما قيل. بل إنّها ليست من الجسميّة قطعًا؛ أمّا من حيث أنّها بئيّة عقلية، فإنّها تختلف عن الهيولى، وهي إذا شيء آخر؛ وأمّا من ٣٥ حيث/ أنّ لها فعلًا ففعله في الهيولى، وكأنّها امتزجت بها، فإنّها وأيم الحقّ أصبحت جسدًا عند ذلك وليست هيولى فقط.

١٣ إذا كان ما تقوم عليه الصّور كيفًا ما يشترك فيه كلّ عنصر من العناصر، فالواجب أوّلًا أن يُقال عن ذلك الكيف ما هو؟ ثمّ كيف يكون الكيف ما تقوم عليه الصّور؟ كيف تتصوّر ذهنيًا الكيف في ما لا حجم له، وهو ليس معه هيولى ولا حجم؟ وإذا كان الكيف شيئًا معيّنًا، كيف يكون هيولى؟ وإذا/ كان مبهمًا غامضًا، فليس كيفًا، بل هو حامل الصور والهيولى المطلوبة. فلماذا لا تكون الهيولى بلا كيف على أنّها في حد ذاتها لا تُشارك غيرها بشيء، ولكن على أنّها أيضًا (بموجب وضعها ذلك أي بموجب انتفاء مشاركتها غيرها بشيء)، هي ذاتها كيفًا لها خاصّة ما، بالمعنى المطلق التام، تميّزها عن الأمور الأخرى، وهي ان جاز لنا القول: الحرمان من

١٠ تلك الأمور؟/ ذلك لأن المحروم من شيء يكون مكيفًا؛ فالمحروم من البصر مثل الأعمى .
 وإذا كان في الهيولى الحرمان من تلك الأمور، فكيف لا تكون مكيفة؟ ثم إنها أخرى بأن تكون كذلك، إذا ما كان فيها الحرمان حرمانًا كاملاً، وإن صحَّ أنَّ الحرمان إنما هو كيف ما . ليس
 ١٥ يجعل صاحب هذا القول كلَّ شيء موجودًا بالكيف وكيفًا؟ وإذا فقد أصبح الكمَّ كيفًا كمًّا/
 وكذلك الأيس أيضًا. ولكن إذا كان أمرٌ ما موجودًا بالكيف، كان الكيف لازمًا له حتمًا. ومن
 السخرية أن يُجعل موجودًا بالكيف أمر ما يختلف عما هو بالكيف وليس مكيفًا. وإن قيل أنه
 قائم مع الكيف لأنه الآخر، أجبنا: إذا كان هذا «الغير» هو الغيرية بالذات، فإنه، على هذه
 الحال، ليس مكيفًا الكيف نظرًا إلى أنه لا يُقال عن الكيف أنه مكيف؛ أما إذا كان «غيرًا» ليس
 أكثر فلا تكون الهيولى (وهي المعنوية . «بالغير» هنا) هي «الغير» بوساطة ذاتها، بل بوساطة
 الغيرية، كما أنها هي هي بوساطة العينية. فليس الحرمان كيفًا ولا مكيفًا، بل إنه غياب الكيف
 ٢٠ أو من سواه، مثلما أنَّ الصمت هو غياب الصوت أو كلَّ شيء آخر أيًا كان، / ذلك لأنَّ الحرمان
 سلب؛ أما المكيف فهو في حال الإيجاب. ثم ميزة الهيولى الخاصة انتفاء الصورة إذ أنَّ كونها
 غير مكيفة، يستلزم كونها خالية من المثال؛ والقول أنَّ كونها غير مكيفة إنما هو كيف لها هو
 قول غير معقول، بل هو مثل القول أنَّ كونها غير محجمة هو الذي يجعلها ذات حجم. فميزة
 الهيولى الخاصة إذاً ليست إلّا ما تكون الهيولى عليه بالذات، وليست تلك الميزة بمعنى أنها من
 ٢٥ ملحقات الهيولى، / بل بالأحرى بمعنى أنها وضع الهيولى بالنسبة إلى الأمور الأخرى، وهو
 أنها أمر يختلف عن تلك الأمور. لهذا وإنَّ الأمور الأخرى لا توصف فقط بأنها «الأخرى»، بل
 أيضًا بأنَّ كلاً منها هو شيء ما على أنَّ له مثلاً. أمّا الهيولى فالوجه في أن توصف بأنها «الأمر
 الآخر» ليس غير؛ ربّما كان الأصحَّ فيها أن توصف بأنها «الأمور الأخرى» حتّى لا تعيّن وتحّدّد
 ٣٠ باستخدام صيغة المفرد «الأمر الآخر»، / بل يُدلّ على إبهامها وغموضها باللجوء إلى صيغة
 الجمع ووصفها بأنها «الأمور الأخرى».

١٤ ولكن هل الهيولى ذاتها حرمان، أم الحرمان فيها: لهذا ما يجب البحث عنه. إنَّ
 المذهب الذي يؤدّي إلى أنَّ «الهيولى والحرمان واحد قوامًا واثان بالمعنى»، مفروض فيه
 أن يعلمنا، وواجب عليه أن يمدّنا بمفهوم كلِّ من الطرفين، الذي إذا دلَّ على الهيولى لم يلحق
 ٥ بها شيئًا من الحرمان، والأمر هكذا/ عكسًا في الحرمان. ذلك لأنه من حيث المعنى: إما ألا
 يكون الواحد منهما في الآخر، أو أن يكون كلُّ منهما في الثاني بالتبادل، أو أن يكون أحدهما
 فقط في الثاني، أيهما كان. فإذا كان كلُّ منهما ثابتًا على حياله، ولا يتطلّب أحدهما الآخر، كانا
 ١٠ لثنيين، واختلفت الهيولى عن الحرمان/ ولو التحق بها الحرمان عرضًا؛ وجب حينئذٍ، من حيث

المعنى، ألا يتداخلوا ولو بالقوة. فإن كان بينهما ما بين الأنف الأفطس والأفطس كان كل منهما بوجهين، ودل كل منهما على شيئين متميزين؛ أما إذا كان بينهما ما بين النار والحرارة، فما دامت الحرارة ثابتة في النار، وما دامت النار لا يتضمنها مفهوم الحرارة، وكانت الهوى ١٥ حرماناً بمعنى كون النار حارة، أصبح الحرمان كأنه مثالها، / وكأن محل الحرمان أمراً يختلف عن الحرمان، فوجب أن تكون الهوى هي ذلك الأمر. فإذا كان ذلك كذلك لم يكن الحرمان والهوى أمراً واحداً. ولعل الأمر إذا كان كذلك - أعني كون الهوى والحرمان واحداً قواماً واثنين ذهناً - فيمعنى أن الحرمان لا يدل على أن شيئاً أصبح حاضراً، بل غير حاضر، وكأن ما يكون الحرمان نقياً لما هو موجود حقاً؛ مثلما أن القائل إذا قال: «ليس الشيء في الأعيان»، لا ٢٠ يتضمن نفيه إسناد شيء / إلى شيء بل يقول فقط «إن الشيء ليس في الأعيان»؛ فالحرمان هكذا بمنزلة الليس. وإذا كانت عبارة «ليس في الأعيان» لا تدل على الأيس بل على شيء غيره، فإن ثمة مفهومين، مفهوم يتعلق بالحامل، ومفهوم الحرمان الذي يدل على وضع هذا الشيء في مقابل الأمور الأخرى. ألا وإن في معنى الهوى علاقة بالأمور الأخرى، كما أن في الحامل ٢٥ أيضاً/ علاقة بالأمور الأخرى. فإذا دل معنى الحرمان على غموض الهوى وإبهامها، فربما كان، وهو كذلك، هو الذي يتعلق بالهوى؛ غير أنه لا يزال الأمران واحداً قواماً، واثنين بالمفهوم. ومع ذلك، إذا كان في الإبهام والغموض، وفي عدم الانضباط ضمن نطاق معين، وفي غياب الكيف، ما يجعل الحرمان هو والهوى أمراً واحداً، فكيف لا يزال المعنيان ٣٠ متباينين؟/

١٥ لا بدّ إذاً من البحث أيضاً فيما إذا كان عدم التهاية، وإذا كان عدم التحديد أمرين يطرآن على الهوى بمعنى أنهما عرضان على طبيعة تختلف عنهما، ثم كيف هما عرضان، وفيما إذا كان الحرمان في الهوى أمراً بالعرض أيضاً. فنقول: إذا كان كل عدد وكل تناسب عددي خارج نطاق اللانهاية - (فإن الأمور الأخرى تستمدّ منهما حدودها ونظامها وترتيبها، / إذ أن ٥ الذي يحدث الترتيب في تلك الأمور ليس الترتيب ولا النظام، بل الشيء المرتب شيء والأصل المرتب شيء آخر، إنما الذي يرتب منتهى، وحدّ وتناسب عددي) - فلا بدّ من أن يكون الشيء المرتب والمحدّد هو ما لا نهاية له. لهذا وإن الترتيب إنما يتناول الهوى وما ليس هوى بقدر ما إنه يُشارك الهوى في ما هي عليه ذاتها أو يحل محلّها؛ فالهوى إذا هي حتماً ما لا نهاية ١٠ له، / لا بمعنى أنها عرضاً ما لا نهاية له وأن هذا الوصف يلزمها عن طريق العرض. فإن ما يلزم الشيء عرضاً ينبغي أن يكون له معنى، وليس لما لا نهاية له معنى؛ لهذا أولاً، ثم إن قيل لأي شيء يكون ما لا نهاية له لازماً بالعرض قلنا: للحدّ وللمحدود. ولكن الهوى ليست محدودة

١٥ ولا حدًا. علاوة على أن ما لا نهاية له إذا أقبل/ على المحدّد أبطله في حقيقته. فليس ما لا نهاية له عرضًا إذا في الهيولى؛ وإذا إن الهيولى هي ما لا نهاية له أيضًا. وهذا وإن الهيولى، في العالم الروحاني أيضًا، هي ما لا نهاية له، يتولّد من لا نهاية الواحد أو من قدرته أو من قدمه، لا بمعنى أن في الواحد لا نهاية بل بمعنى أنّه يخلقها. فكيف «تكون» اللانهاية في هذا العالم وفي العالم الأعلى؟ ألا إن لما لا نهاية له نوعين. وكيف يُميّز بينهما؟ مثلما يميّز الأصل عن ارتسامه؟ وإذا فإن ما لا نهاية له هنا، أقلّ لا نهاية ممّا هنالك؟ بل أشدّ؛ فإنّ الارتسام مهما ابتعد في هربه من الأيس الذي هو الحقّ، عَظُم في كونه ما لا نهاية له. ذلك لأنّه مهما ضاق نطاق الشّيء عظمت اللانهاية فيه، وإن ما قلّ خيره كَثُرَ شرّه،/ فمن حيث اللانهاية إنّ ما في العالم الأعلى أحرى بأن يكون مثلاً ممّا في عالمنا، وبقدر ما أنّه يبتعد في هربه من الأيس والحقّ ويَنغمس في عالم المثال، بذلك القدر يزداد قربًا من اللانهاية. هل ما لا نهاية له إذا عين القوام بما لا نهاية له؟ ألا إنّهما يختلفان إذا كان ثمة معنى وهيولى معًا؛ أمّا إذا وُجدت الهيولى وحدها فإنّما أن يكونا واحدًا/ وإمّا أن يُقال بوجه عامّ أنّه ليس ثمة ما لا نهاية له قائم في ذاته. فإنّ اللامحدوديّة معنى وليس في اللامحدّد معنى، ما دام لا محدّدًا حقًا. فالواجب أن يُقال أنّ الهيولى غير محدّدة في حدّ ذاتها لكونها بذاتها في مقابل المعنى. فمثلما أنّ المعنى، ما دام معنى، ليس شيئًا آخر، كذلك يجب القول أيضًا في الهيولى التي، بمحدوديّتها،/ تُقابل المعنى، إنّها ليست شيئًا آخر، ومن ثمّ فهي غير محدّدة.

١٦ أو تكون الهيولى إذا مع الغيريّة شيئًا واحدًا؟ كلا بل مع ذلك الجزء من الغيريّة الذي يُقابل الأعيان بالذات، وهي المعقولات. ولذلك فإنّها، وهي على هذا الوضع، بالرغم من أنّها ليست شيئًا، شيء ما؛ وإنّها مثل الحرمان ما دام الحرمان يُقابل الأيس في المعقول. أفلا يَطلّ الحرمان إذا، إذا حضر ما كان الحرمان حرمانًا له؟/ كلا فإنّ ما يقبل المَلَكَة ليست المَلَكَة بل الحرمان منها، والذي يقبل السور ليس المسور ولا السور عينه، بل اللامسور وبقدر ما أنّه لا سور له. وكيف السور إذا أقبل على اللامسور حقيقة هذا الأخير، لا سيّما وإنّ اللامسور هنا ليس مسورًا بالعرض؟ ألا إنّ لو كان اللامسور/ لا مسورًا بالكمّ، لأبطله السور؛ ولكنّه ليس كذلك، بل العكس هو الصّحيح فيحفظه السور في الأعيان: ذلك لأنّ السور يسوق إلى الكون بالفعل وبالكمال ما كان كامنًا بالفطرة في اللامسور. ويُمثّل مثل الأرض غير المزروعة عندما يُلقَى البذر فيها، ومثل الأنثى عندما يلقحها الذكر؛ فإنّها لا تفقد أنوثتها بل تزداد أنوثة، أعني أنّها تُصبح عند ذلك/ خير ما هي في حقيقتها. أفَتكون الهيولى الشّرّ في حين أنّها تصيب من الخير شيئًا؟ أجل، لأنّها كذلك، ولأنّ الخير يُعوّزها وليس لديها منه شيء. فإنّ ما يُعوّزه شيء ما

وحصل عليه، قد يكون في الوسط بين الخير والشرّ، ما دام يميل بشيءٍ من التّساوي نحو
٢٠ الطّرفين؛ أمّا ما ليس لديه شيء، وكان في الفاقة بل الفاقة بالذّات، / فإنّما هو الشرّ حتمًا. ذلك
لأنّ الفقر هنا، ليس فقرًا إلى المال والسّلطان، بل هو فقر إلى الفطنة والفضل، إلى الحُسن
والقوّة والصّورة والمثال وإلى الكيف أيضًا. ولعمري، كيف لا تكون الهیولی مسخًا؟ كيف لا
تكون القبح والزّداء بالذّات؟ أمّا الهیولی في العالم الأعلى، فإنّها الأیس، إذ أنّ ما قبلها هو ما
٢٥ وراء الأیس. وأمّا الهیولی في عالمنا، فإنّ ما قبلها إنّما هو الأیس فقط، / فليست إذّا أيّسا، بل
شيء غيره، وجهه ما كان تحت الأیس، بل هي شيء يَخْتَلِف عن الأیس.

الفصل الخامس

(٢٥)

في معنى القول «بالقوة وبالفعل»

١ ورد القول عن كون بالقوة أو بالفعل، وورد أيضًا عن فعل يتم في عالم الأعيان. فما معنى الكون بالقوة والكون بالفعل؟ هل الكون بالفعل هو فعل، وإذا ثبت فعل ما فهل يكون بالفعل، أم الأمران مختلفان فيقوم ما هو بالفعل ولا يكون بحكم الضرورة فعلًا؟ أمّا أن يكون في المحسوسات شيء بالقوة، فالأمر واضح، ولا مجال للبحث إلا فيما إذا كان مثل ذلك في الروحانيات. فإما أن تكون الأشياء هنالك بالفعل فقط، وإما إذا كان شيء بالقوة، فهو بالقوة دائمًا، وما دام كذلك فلن ينتقل إلى الفعل إذ أنّ كونه في لازمان يمنعه من هذا الانتقال إلى الفعل. ١٠ لهذا ولتبتدىء بشرح ما معنى الكون بالقوة، / وإنه لا يقال كذلك على وجه الإطلاق لأنّ الكون بالقوة لا يقال في المعدم. فإنّ النحاس مثلاً تمثال بالقوة: فلو كان لا يخرج منه شيء، ولا يأتي عليه شيء، وليس من المتوقع أن يتكوّن منه شيء فيحل محلّ ما كان عليه سابقاً، وليس يتلقّى هو ذاته ما يتحوّل به إلى شيء آخر، لكان النحاس ما كان عليه ليس أكثر. غير أنّ ما هو عليه، إنّما هو حاضر في الحال، / وليس كونه كذلك أمرًا من شأنه أن يتوقّع حدوثه؛ فلماذا يتجاوز بقوته إلى شيء آخر يختلف عمّا هو عليه في حاضره؟ وما دام كذلك في حاضره، فإنّه ليس بالقوة. فما من شأنه إذا أن يصبح غيره بالقوة، لأنّه من الممكن أن يأتي بعده شيء ما يختلف عنه، سواء أبقى هو ذاته بعد إحداثه الشيء، أم انعدم بعد أن أعطي ذاته كلّها لذلك الذي كان مُمكنًا، أقول: إنّ ما كان كذلك، هو الذي يوصف بأنّه بالقوة. فإنّ لكون النحاس تمثالاً ٢٠ بالقوة معنى، / ولكون الماء ثلجًا أو الهواء نارًا بالقوة معنى آخر. هذا وإذا كان ما هو بالقوة كذلك، أفیوصف بأنّه قوّة بالإضافة إلى ما سوف يتم، كأن يوصف النحاس مثلاً بأنّه قوّة التمثال؟ إلا إنّنا إذا ما عينا بالقوّة تلك التي تصنع، فلا ثمّ لا فإنّ القوّة التي تصنع لا يقال فيها أنّها/ بالقوّة. أمّا إذا كان ما هو بالقوّة لا يوصف كذلك بالإضافة إلى ما هو بالفعل فقط، بل بالإضافة إلى الفعل أيضًا، فمن شأن ما هو بالقوّة أن يكون قوّة أيضًا. ولكن الأفضل والأوضح أن يُذكر ما هو بالقوّة في مقابل ما هو بالفعل، وأن تُذكر القوّة في مقابل الفعل.

٣٠ فما هو بالقوة كذلك، إنما هو إذاً مثل حامل عليه تقع الإنفعالات/ والصّور والمُثل التي من شأنه أن يتلقاها، سواءً أتمّ ذلك عنده بالفطرة، أم جاهد هو في القدوم إليها، فمنها ما يجد فيها خيره ومنها ما يكون دون ذلك مقاماً، وهو مهلكة للأمور التي تمّ لكل فردٍ بينها أن يقوم ثابتاً بالفعل متميّزاً عن غيره.

٢ أما في ما يختصّ بالهيولى فالبحث واجب فيما إذا كانت بالفعل شيئاً آخر في حين كونها بالقوة قبل الصّور التي تعمّرها، أو لم تكن إذ ذاك شيئاً بالفعل؛ بل نُجمل ببحثنا الأمور الأخرى التي نصفها بأنها بالقوة، فنقول: إذا تلّقت هذه الأمور الجِثال وبقيت عليه، / أفُتصبح آنذاك بالفعل أم يُستند وصف الكون بالفعل إلى التمثال، فقط بمعنى أنّ التمثال بالفعل هو في مُقابل التمثال بالقوة، ويُفنى ذلك الوصف عن الشيء الذي سبقنا وقلنا عنه أنّه التمثال بالقوة؟ وإن كان ذلك كذلك، فليس ما كان بالقوة هو الذي أصبح بالفعل، بل إنّه ما كان بالقوة سابقاً خرج منه ما صار بالفعل بعد ذلك. فإنّ ما هو بالفعل هو/ المرُكب وليس الهيولى من ناحية، والتمثال الذي يقع عليها من الناحية الأخرى. لهذا هو الوضع الزّاهن في الدّات التي تتحوّل إلى ذات أخرى، مثل النحاس الذي يخرج منه تمثال؛ فإنّ الدّات تغيّرت بمعنى أنّها أصبحت التمثال المرُكب. أمّا في الأمور التي لا تبقى مطلقاً، فواضح أنّ ما كان بالقوة يَختلف اختلافاً كاملاً عما أصبح بالفعل. ولكن عندما يُصبح من كان لغويّاً بالقوة/ لغويّاً بالفعل، فكيف لا يكون من هو بالقوة عيّن من هو بالفعل؟ فإنّ سقراط الحكيم بالقوة هو هو الحكيم بالفعل. أو يكون العالم جاهلاً إذا؟ فإنّه كان عالمّاً بالقوة. ألا وإنه قد يُصبح عالمّاً من كان بالعرض جاهلاً. فإنّه ليس عالمّاً بالقوة لأنّه جاهل؛ / بل حدث له بالعرض أن يكون جاهلاً. أمّا نفسه، فهي بحيث أنّها ما يؤهله إلى أن يُصبح عالمّاً. أفيُحفظ ما هو بالقوة ويكون لغويّاً بالقوة، وهو الآن لغويّاً بالفعل؟ لا مانع لذلك، ولكن بمعنى آخر: كان قبل ذلك لغويّاً بالقوة فقط، أمّا الآن فهو بقوة حصل فيها/ مثال. إذا كان إذاً ما هو بالقوة هو الحامل، وما هو بالفعل هو المرُكب، التمثال مثلاً، فالجِثال الذي يقع في التّحاس ما عسى أن يُسمّى؟ لا حرج إذا سُمّي فعلاً قائماً بذاته ذلك الذي بواسطته صار الشيء شيئاً بالفعل وليس فقط بالقوة؛ أعني الصّورة والجِثال؛ وليس هو فعلاً قائماً بذات فحسب، إنما هو/ فعل قائم بذاته في شيء معيّن محدود. على أنّ ثمة فعلاً آخر أجدر بهذا الاسم، وهو ما يقابل الطّاقة التي تسوق إلى الكون بالفعل. فإنّ ما هو بالقوة إنّما يستمدّ من غيره أن يكون بالفعل؛ أمّا الطّاقة، فإذا أحدثت ما تقوى عليه، كان فعلها من ذاتها. ومثل ذلك ما بين الملكة النفسانيّة والعمل المعروف بأنّه يلائمها، كالشّجاعة والإقدام. / لهذا وحسبنا من كلّ ذلك ما ذكرنا.

٣] ولتقبل الآن على الكلام في ما من أجله قدمنا كل ما يسبق ذكره: فما يعني القول بأن في عالم الروحانيات كونًا بالفعل، وهل الأمور هناك فقط بالفعل أو هل كل منها وكلها معًا أيضًا فعل قائم بذاته، وهل في ذلك العالم كون بالقوة. ما دام ليس هناك هيولى يقوم فيها ما يكون بالقوة، ولا ينبغي أن يحصل شيء لم يكن في الحال، وليس ثمة شيء يتحول/ إلى غيره أو يبقى على ما هو فيولد شيئًا آخر أو يخرج من ذاته بعد أن أعطى غيره أن يحل محله، أقول: ما دام ذلك كذلك، فليس في الملأ الأعلى ما يكون فيه كون بالقوة، ولا سيما أن الأعيان هناك تتمتع بالبقاء الدائم ولا زمان لها. فإذا سألتنا سائل، نحن أيضًا الذين نسلّم بأن في العالم الروحاني هيولى، فيما إذا لم يكن هناك كون بالقوة تقتضيه هيولى ذلك العالم/ - لآته، ولو كانت الهيولى هناك على وضع آخر، فلا بد مع ذلك أن يكون كل فرد هيولى من وجه، وبنظر من وجه ثانٍ، ومرتبًا من وجه ثالث - فما عسانا نجيب؟ ألا وأن ما هو كالهيولى في العالم الأعلى إنما هو أمثول، كما أن النفس، مع كونها أمثولًا، هي أيضًا هيولى في مقابل ما يختلف عنها. ١٥ أليست إذا أيضًا بالقوة في مقابل ذلك الآخر؟ كلا! فإن الأمثول أمثولها بالذات، / ولا يأتيها على التراخي، كما إنه لا يُفضل عنها إلا بالدَّهن، فيقال حينئذ إن للامثولي هيولى بمعنى أنهما يدركان اثنين بالعرفان ولكنهما حقيقة واحدة؛ إلى مثل ذلك يُشير أرسطو بقوله «أن الجسم الخامس» لا هيولاني. وعن النفس، ماذا نقول؟ فهي بالقوة حيوان، ما دامت وهي لم يتم لها ٢٠ ذلك، بل من المتوقَّع أن يتم لها، وهي أيضًا تحسِّن الموسيقى بالقوة، كما أنها كذلك/ بالنسبة إلى الأحوال الأخرى التي تُصبح عليها وليست عليها دائمًا؛ ومن ثم فإن في عالم الروحانيات منه كونًا بالقوة. إلا أن كل ذلك ليس بالقوة، إنما النفس هي الطاقة التي تُحدثه. والكون بالفعل، كيف يكون في الملأ الأعلى؟ هل يكون على مثل ما هو في التمثال، في المركَّب، فيكون كل أمر قد تلقى وبثاله؟ بل الأخرى بنا أن نقول أن كل أمر هو أصل روحاني، وهو كامل ٢٥ في حد ذاته. فإن الروح لا يخرج من طاقة كان معها قادرًا/ على العرفان إلى العرفان بالفعل - فيجب حينئذ روح آخر قبله لا يصدر عن طاقة بل إن فيه الكل. - ذلك لأن ما هو بالقوة يقتضي تدخل أمر آخر يسوقه إلى الفعل حتى يصير شيئًا بالفعل؛ أمّا ما كان له من تلقاء ذاته أن يكون ٣٠ كذلك دائمًا، فإن شأنه أن يكون بالفعل. / وإذا فإن الأمور الأول كلها بالفعل، ما دام لديها ما هو لها، وذلك من تلقاء ذاتها ودائمًا. هكذا النفس أيضًا، ولست أعني النفس القائمة في الهيولى، بل النفس الثابتة في العالم الروحاني. ولكن النفس الأخرى أيضًا هي بالفعل، أعني مثلًا النفس الثمائية؛ فإنها هي أيضًا بالفعل ما هي عليه. وإذا فإن الأمور كلها بالفعل هناك؛ فهل ٣٥ هذه الأمور كلها، وهي كذلك، فعل قائم بذاته أيضًا؟ وكيف/ ذلك؟ إذا صدق القول بأن «الملأ الأعلى لا تؤمّ فيه»، وهو الحياة، والحياة في أفضل أوضاعها، فإن الأفعال القائمة بذواتها

أشدّها حسناً، إنّما هي هنالك . كلّ الأمور هنالك بالفعل وأفعال قائمة بذواتها، وكلّ أمر من تلك الأمور حياة بحدّ ذاته؛ والمقام هنالك هو مقام الحياة، وهو أيضاً أصل النفس ومُعِينها ٤. حقّاً، كما أنّه حقّاً أصل الروح ومُعِينه. /

٤ إنّ لكلّ ما سوى الهیولی وهو شيء بالقوّة، أن یُصبح بالفعل شيئاً آخر، فیقال فيه، وهو من الأعیان حقّاً، إنّهُ بالقوّة في مُقابل أمر یختلف عنه . أمّا الهیولی، وهي كلّ شيء بالقوّة طبعاً ووضعاً، فكيف السبیل إلى أن یقال عنها أنّها بالفعل شيء من الأشياء؟ فإنّها، إذا كانت كذلك، لن تكون كلّ شيء بالقوّة؛ / وإذا لم تكن عیناً من الأعیان، فهي ليست شيئاً من الأشياء لا مَحالة . فكيف تكون شيئاً بالفعل، وهي ليست شيئاً من الأشياء؟ ربّما لم تكن شيئاً ممّا یقوم عليها، فلا یمنع ذلك من أن تكون شيئاً آخر، ما دامت الأشياء لا تقوم كلّها على الهیولی . وهذا ١٠ ما نقوله بالذات: فإن لم تكن شيئاً ممّا یقوم عليها، / وكان ما یقوم عليها كلّ ما في الأعیان، فإنّها لا شيء . فضلاً على أنّنا نتصوّرُها خالية من الأمثول، فليست أمثولاً، ومن ثمّ لا تُحصی بین الأمور الرّوحانیّة. فهي لا شيء إذاً من ذلك الوجه أيضاً. إنّها إذاً على كلا الرّجحين لا شيء، وازداد بذلك قدرًا كونها لا شيء . لهذا وإنّها ما دامت خارج ما یُعرف له بأنّه من الأعیان ١٥ حقّاً، / ولا تقوى حتّى على إدراك ما یوصف كذباً بأنّه عالم الأعیان، لأنّها ليست مثل هذا العالم ارتساماً للعقل، ففي أي مقام من مقامات الأعیان نُدرکها؟ وإن لم تكن في مقامٍ قطّ، فكيف يتمّ لها أن تكون بالفعل؟

٥ ما القول فيها إذا؟ كيف تكون هیولی لكلّ شيء؟ إنّما تكون هیولاًها لأنّها كلّ شيء بالقوّة . وإذا كانت بالقوّة في حاضرها الآن، أفلا تكون أيضاً في حاضرها ذلك، ما من شأنها أن تصیر علیه؟ بل الکیان لديها إنّما هو الإیذان بالشّیء الذي من شأنه أن یصیر شيئاً، فكانَ کیانها أن تكون مدفوعةً إلى ما سوف یكون . فليست إذاً ما هو بالقوّة شيء ما، بل ما هو بالقوّة كلّ شيء. / وما دامت هي لا شيء في ذاتها، بل فقط ما هي علیه، أعني هیولی، فليست بالفعل . لأنها لو كانت شيئاً بالفعل، لا تنفي عمّا أصبحت علیه بالفعل كونه هیولی؛ ولا تكون حينئذٍ هیولی بتمام المعنى، بل مثلما أنّ التّحاس هیولی . وإذا كانت هي الییس، فلیس بمعنی أنّها غیر الییس، كما أنّ الأمر في الحركة مثلاً؛ فإنّ الحركة تقع على الییس كأثّها منه وفيه، / أمّا الهیولی فكأثّها منبوذة من الییس، منفصلة عنه انفصلاً تامّاً، فلا یتاح لها أن تتحوّل وتتغیّر، بل إنّها في ما كانت علیه منذ البداية: كانت لا شيء وهي كذلك أبداً ودوماً . فإنّها لم تكن منذ البداية شيئاً بالفعل إذ أنّها انتبذت بعيداً عن الأشياء كلّها، كما أنّها لم تُصبح بعدئذٍ شيئاً بالفعل؛

١٥ ذلك لأن ما حاولت أن تتقمصه، لم تقوَ على أن تحتفظ / منه بمسحة، بل بقيت دائماً ما هو لغيره
إذ أنها بالقوة شيء بعد شيء على التوالي، تظهر عند مجاوزة عالم الحقائق، فيتداولها ما يتولد
بعدها ثم تُنبذ هي إلى أقاصي حدوده. يتداولها العالمان ولا تكون بالفعل لا من هذا ولا من
٢٠ ذاك، / بل يُخلَى لها الكون بالقوة فقط: شيء لا شأن له، خيال مغشي الجوانب. فإنها بالفعل
خيال، وبالفعل باطل؛ وهذا يعني بالذات أنها حقاً باطل، ويعني أيضاً أنها حقاً لا شيء. وإذا
٢٥ كانت بالفعل لا شيء، فالأحرى بها أن توصف بأنها لا شيء، وهي حقاً لا شيء. فما أكثر / ما
يعوز الشيء أن يكون بالفعل شيئاً من الأشياء وهو ليس لديه من الحق إلا كونه ليساً من عالم
اللاشيء. وما دام ينبغي له أن يكون، فينبغي أن يكون بالفعل لا شيء حتى لا يكون له مقام في
الأعيان، ويكون حيث ليس قط أيس؛ إذ أنك، فيما يتعلق بما كان قوامه باطلاً، إذا سلبت
٣٠ البطلان عنه، سلبت عنه ذاته التي بين يديه؛ كما أنك / فيما يتعلق بما له الكيان والذات بالقوة،
إذا سقت إليه الفعل أبطلت عنده القوام في أساسه لأن الكيان لديه إنما كان بالقوة. وهذا وإذا كان
ينبغي أن تحفظ الهيولى من الفناء، فيجب أن تحفظ الهيولى في ذاتها. فينبغي إذًا، فيما يبدو،
٣٥ أن توصف فقط بأنها بالقوة حتى تكون ما هي عليه؛ / أو وجب الرّد على هذا الكلام الذي
سقناه.

الفصل السادس

(١٧)

في الكيف وفي الأمثل

١ هل الأئس والذات أمران مختلفان، فالأئس مُجرّد من الأمور الأخرى، والذات هي الأئس مع الأمور الأخرى من حركة وسكون وعينية وخالفة، وهي جميعاً عناصر الذات؟ فالكل إذا هو الذات، ثم كل أمر من تلك الأمور أمر على حياله. فهناك الأئس، ثم الحركة، وهكذا من أمر إلى أمر يختلف عنه. أمّا الحركة فهي/ أئس بالعرض؛ فهل هي بالعرض أيضاً ذات، أم هي من مُتمّمات الذات؟ بل إنها ذات، وكل ما في الملاء الأعلى ذات. فما بال الأمر لا يكون كذلك في عالمنا أيضاً؟ لأن كل الأمور في الملاء الأعلى قائم في الوحدة؛ أمّا هنا فالارتسامات متميزة، يختلف كل منها عن الآخر، يكون في التطفة كل شيء معاً/ وكل جزء هو الأجزاء الأخرى كلها؛ وليست اليد على حيالها والرأس على حياله؛ ثم يقوم الجسد فين فصل كل عن الآخر. فالأشياء هنا ارتسامات وليست ذوات. أفذهب إذا إلى أن الكيف، في الملاء الأعلى، هو ما تتميز به الذات، وأنه يكون لازماً للذات أو للأئس، على أنه يجعل الذوات متميزاً بعضها عن بعض، لا بل يجعلها ذوات؟ هذا قول معقول،/ غير أنه يصدق على الكيف في عالمنا: فالكيف هنا هو تارة ما تتميز به الذوات مثل كون الحيوان «ذا قائمتين» أو «ذا أربع قوائم»، وهو طوراً ما لا تتميز به الذوات، فيوصف بأنه كيف ليس أكثر. وإن الكيف الواحد مع ذلك قد يكون ما تتميز به ذات وتكمل، ثم لا يكون مميزاً في شيء آخر ولا تكتمل به الذات، بل يكون عرضاً. فالبياض مثلاً/ إنّما يكتمل به الثلج والكافور، ولكنه عرض فيك أنت. فالبياض إذا ممّم ما دام ثابتاً في المعنى البصري، وليس كيفاً؛ أمّا إذا بدا في الظواهر، فإنه كيف. ومن ثم كان الكيف كيفين لا محالة: كيف ذاتي، وهو على وجه ما من اللوازم الخاصة في الذات؛ وكيف ليس أكثر، وهو ما تكون الذات بمقتضاه مكيفة، لا بمعنى أنه يميزها عن غيرها، ولا بمعنى أنه منها في صميمها، بل بمعنى أنه، بعد قيامها ذاتاً، يخلع عليها هيئة من الخارج، فيقع بعد الذات ويُضيف إليها ما يجعلها ذات الشيء في الواقع العيني؛ ولهذا أمر يتم على السواء في النفس وفي الجسد. ولكن ما القول فيما إذا كان البياض الذي نراه في الكافور متمماً لذات

٢٥ الكافور؟ / فإذا لم يكن متممًا في الإوز العراقي، مع أنه لا يُعرف منه إلا الأبيض، أ يكون كذلك في الكافور؟ وكذلك أيضًا قولنا في الحرارة بالإضافة إلى النار. فإذا قال قائل: «إنَّ التَّارِيَّةَ هي الذات، وفي الكافور ما يقابلها قياسًا؟ قلنا: لا ضير، فإنَّ الحرارة هي المتممة في النار التي تُدرك بالبصر وهي التَّارِيَّةَ، / ثمَّ إنَّ البياض هو المتمم في المثل الآخر. فالشيء الواحد إذا قد يكون متممًا وهو ليس كيفًا، وقد يكون غير متمم وهو حيثنل كيف؛ وليس من المعقول أن يوصف عندما يكون متممًا، بأنَّه يختلف عمَّا هو عليه حيث لا يكون متممًا / : فالطبيعة هي هي هنا وهناك. يُبدَّ أنَّه يجوز أيضًا في المعاني البذرية التي تُحدث ذلك الشيء أن تكون كلُّها معاني ذاتية، فيغدو ما يخرج منها في الملاء الأعلى شيئًا في قوامه، وما يخرج منها في عالمنا كيفًا، لا شيئًا في قوامه. ومن ثمَّ الخطأ الذي تقع فيه دائمًا حول الأعيان ذاتها؛ فإنَّنا نغفلها إذ نبحث عنها ونتهافت على الكيف. فليست النار ما ندَّعيه لها إذ نحصر نظرنا في الكيف، / بل إنَّ للنار ذاتًا. أمَّا ما نُدرکه منها حقًا، وما نقصر نظرنا عليه فنذكره إنَّما يسوقنا بعيدًا عمَّا هي في ذاتها، ويحملنا على أن نحدِّد منها الكيف فقط. ولا يرى العقل ضيرًا من ذلك ما دما في عالم المحسوسات إذ أنَّ شيئًا منها ليس ذاتًا، وكلُّ شيء فيها إنَّما هو انفعال منها. ومن ثمَّ السؤال التالي: كيف تخرج ذات من جملة أمور لم يكن واحد منها ذاتًا؟ لقد سبق القول بأنَّه ليس من الواجب / أن يكون ما يحدث عين ما يخرج منه؛ أمَّا الآن فيجب القول أيضًا بأنَّ ما يحدث هنا ليس ذاتًا بحال. ولكنَّ الذات التي أثبتناها في الملاء الأعلى، كيف نقول بأنَّها ممَّا ليس هو بذات؟ جوابنا على ذلك هو أنَّ للذات في العالم الأعلى أيسًا أكمل وأبعد عن كلِّ شائبة، وهي ذات بالمعنى التَّام، وكأنَّها كذلك حتَّى فيما تميَّز / به؛ لا بل إنَّها أخرى بأن تكون ذاتًا إذا ضُمَّت إليها أفعالها، فتبدو حينذاك وكأنَّها كمال الواحد، ولكن ربَّما كان في تلك الإضافة وذلك الوضع المُنافي للبسطة غضُّ من شأنها، أخذت به تبتعد عن ذلك الواحد.

٢ بيدَّ أنه لا بدَّ من البحث بصورة شاملة في الكيف عمَّا هو؛ فإذا عرف ما هو صار أجدر بأنَّ يُزيل الإشكالات. لهذا وإنَّ الوجه في البحث أولًا عمَّا مرَّ ذكره فيما إذا كان من الواجب أن يفترض الشيء هو هو عند كونه كيفًا فقط طورًا، وعند كونه متممًا للذات طورًا آخر، فلا نستغرب من كونه حيثنل كيفًا متممًا لذات وقد أصبحت بالأحرى ذاتًا مكثَّفة. / وما دام القول إذًا في الذات المكثَّفة، فلا بدَّ من أن تكون ذاتًا مع ماهيَّتها قبل أن تُصبح ذاتًا ما كَيْفِيَّة. فما هي إذًا، لدى النار، الذات التي تسبق الذات المكثَّفة؟ هل هي الجسم؟ فإنَّ الجنس الجسم هو الذات حيثنل؛ ولكنَّ النار جسم حارٍّ، فليست الذات هي الكلُّ بل أصبحت الحرارة في النار مثل افتراض / الأنف عندك. ثمَّ إذا عزلت الحرارة والنور

والخفة، وهي أمور تبدو كصفات كلها، إذا عزلت أيضًا المقاومة، بقي الامتداد الثلاثي الأبعاد، وأصبحت الهيولى هي الذات. وليس هذا مقبولاً، إذ أن الأمثل هو الأخرى بأن يكون الذات. ولكن الأمثل كيف، أو أن الأمثل ليس كيفاً إنما هو معنى بذري. ولكن ما يتألف المعنى البذري/ من محلها، ما هو؟ إنه ليس الشيء المبصر الذي يضطرم، إذ أن ذلك كيف. إلا إذا قيل أن الاضطرام فعل صادر من المعنى البذري؛ فيكون الأمر كذلك أيضاً في الإلتقاد والالتهاب ووجوه كيف الأخرى، بحيث أنه لا يبقى لدينا متسع يكون فيه كيف. أو أنه ينبغي في ما يوصف بأنه من متممات الذات/ ألا يقال عنه أنه كيف، ما دام فعلاً صادراً عن المعنى البذري وعن الطاقات الذاتية، فيكون كيف أمراً خارجاً عن كل ذات، لا يظهر تارة كيفاً وطوراً غير كيف، بل يقع بعد الذات ملتحقاً بها، مثلما هو الأمر في الفضائل والزائل والمساوي/ والحسنات والصحة والتشكل بهيئة ما - (وليس الشكل المثلث أو المربع في حد ذاته هو كيف؛ بل القيام في شكل المثلث على النحو الذي تم به هذا الشكل، ذلك هو ما يجب أن يوصف بأنه كيف، كما أن كيف ليس المثلثية بل التشكل بهيئة المثلث) - ومثلما هو الأمر أيضاً في الفنون والمؤهلات المختلفة؛ ومن ثم فإن كيف حالة استعدادية تلتحق بالذات بعد قيامها ذاتاً؛ وهو إما مكتسب وإما لازم للذات في أصلها، على أنه إلم يلزمها، لم تُصَب الذات من وراء غيابة بنقصان قط. ثم إن هذا كيف قد يطرأ عليه التغيير بسهولة أو بصعوبة، فهو بذلك نوعان: ما كان يسير التحول، وما كان منه باقياً لا يتبدل.

٣ إن البياض الذي فيك يجب النظر إليه إذا على أنه ليس كيفاً، بل على أنه فعل قائم بذاته، صادر عن طاقة هي طاقة التبييض؛ وفي الملاء الأعلى أيضاً، كل ما ندّعيه كيفاً، إنما هو فعل قائم بذاته، يبدو لنا في ظواهر كيف بسبب كون كل وجه من وجوه خاصية في حد ذاتها كأنه يميز ذاتاً عن أخرى، / وقد تم له هو أن يكون في ذاته منطبقاً بطابع خاص. ولماذا يتميز كيف في الملاء الأعلى؟ فإنه مثل كيف في عالمنا، إذ أن كليهما فعل قائم بذاته. لأن كيف هنا ليس بحيث يدل على قوام الشيء ما هو كما أنه لا يدل على تقلبات ذلك الشيء ولا على طابعه، بل ليس ما يهدي إليه ما نسميه كيف، وهو في الملاء الأعلى فعل قائم بذاته؛ ومن ثم، فإن ذلك الشيء، ما دام ثابتاً على أنه خاصية الذات/ دلّ بوضوح على أنه من تلقاء ذاته لا يبدو كيفاً؛ بيد أن العقل إذا عزل ما تتميز به أمور الملاء الأعلى لم يعزلها بمعنى أنه أزال منها شيئاً، بل بمعنى أنه تلقى منها شيئاً وولد فيه شيئاً آخر، أي أنه ولد كيف وهو كأنه تلقى جزءاً من الذات في ما قبلته به من صفحتها. وإذا كان ذلك كذلك، فليس من شيء يمنع الحرارة، من حيث إنها لازمة النار بالفطرة، عن أن تكون/ النار أمثولاً ما وفعلاً قائماً بذاته، لا كيفاً لها؛ ثم أن تكون من ناحية

أخرى كيفًا، على أن تُعتبر وحدها دون التار في شيء آخر، وقد انتفى كونها صورة لذات، حتّى أصبحت أثرًا فقط وظلاً ومحاكاةً، وتخلّت عن ذاتها التي بها كانت فعلاً قائمًا بذاته، فها هي ذي ٢٠ الآن كيف. إنّما هو إذا من باب كيف كلّ ما طرأ عرضًا ولم يكن فعلًا ولا أمثولًا/ في الذات خالغًا عليها صورة ما؛ ومن هذا القبيل أيضًا الملكات والحالات الاستعداديّة التي تختلف عمّا يكون محلًّا لها، فينبغي أن توصف بأنّها من باب كيف، ويكون الأنموذج الرّوحانيّ الذي يستقرّ فيه أصلًا فعلًا قائمًا بذاته. فليس الواقع إذا أنّ الشّيء هو ذاته كيف وغير كيف؛ بل كيف ٢٥ إنّما هو ما كان معزولًا عن الذات. أمّا ما كان/ معها، فهو ذات أو أمثول أو فعل قائم بذاته. وما كان شيء ليقبى هو هو إذا قام ثابتًا في ذاته ثمّ أصبح في غيره معجزًا عمّا كان عليه، ففقد كونه أمثولًا وفعلًا قائمًا بذاته. فإنّ ما لم يكن أمثولًا في غيره، بل كان عرضًا له، دائمًا إنّما هو كيف وحسب.

الفصل السابع

(٣٧)

في امتزاج الأجسام بعضها ببعض امتزاجاً كلياً

١ إن المطلوب الآن هو البحث في امتزاج الأجسام بعضها ببعض امتزاجاً كلياً. هل يجوز في سائلين مُزج بعضهما ببعض الكل في الكل أن يتخلل أحدهما الآخر؟ ولا فرق قط بين كلا الأمرين إذا حدث. أما الذين يقولون بتماسّ الأجزاء، فإننا لا نبالي بهم إذ أن ما يشتونه إنما هو خليط/ أكثر ممّا هو مزيج، ما دام يُفترض في المزيج أن يُخرج كلّاً مُتجانساً في أبعاضه، فيكون كلّ جزء مهما صَغُر مؤلفاً ممّا عُرف عنه أنّه داخل في المزيج. بل نَقف مع الذين يُثبتون المزيج في الكيفيات وحدها، ويجعلون هيولى أحد الجسمين تلتصق بهيولى الجسم والآخر ١٠ مماسّة لها، / فيسوقون فوق الهوليتين كيفيات كلّ من الجسمين، فإنّهم على جانب من الصواب إذ يشيرون برفض المزيج كلّاً بكلّ معتمدين على أنه يؤدي إلى تحطيم مقادير الأحجام إرباً إرباً إذا لم يُترك قط لأحد الجسمين متّسع، واستمرّ التقسيم بحيث يجتاز كلّ ١٥ من الجسمين الجسم الآخر اجتيازاً كاملاً، فضلاً على أنّ الجسمين المتمازجين/ يشغلان أحياناً حيّزاً أكبر من حيّز كلّ منهما، وحيّزاً يُساوي حيّزَيْهِمَا عند التقائهما معاً. ثم يُضيفون قائلين: مع أنه، إذا كان التمازج كلّاً بكلّ، وجب على حيّز الجسم الذي يدخل فيه الجسم الآخر أن يبقى على ما كان سابقاً. أما إذا لم يكن حيّز المزيج أعظم، فإنّهم يعلنون ذلك بخروج هواء حلّ محلّه ٢٠ أحد الجسمين عند دخوله في الآخر. لهذا وأنّى للجسم/ الصّغير أن يتمدّد في ما هو أكبر منه بحيث يتخلّله بكامله. ولهم أيضاً في الموضوع أقوال أخرى كثيرة. أما أصحاب المزيج الكلّي فيمكنهم القول بأنّه إذا كان تقسيم فليس ثمة تهشيم إلى إربٍ حتّى ولو تمّ المزيج كلّاً بكلّ، ٢٥ ويذكرون أنّذاك أنّ العرق لا يُشقق الجسم/ ولا يُثقبه. وإذا قال قائل أنّه لا مانع من أن تكون الطّبيعة قد جعلت الجسم بحيث يُتاح للعرق أن يجتازه، أُحيل إلى صفائح مصنوعة، إذا كانت رقيقة، متّصلة المادّة، شوهد السائل وهو يبلّغها بكاملها فيسيل فيها من وجه إلى وجه وإذا كانت ٣٠ تلك الصفائح أجساماً، فإنّي يتمّ ذلك؟/ إنّ الاجتياز بدون تقطيع ليس من اليسير تصوّره؛ وإذا تقطّع جسمان كلّاً بكلّ أتلف كلّ منهما الآخر لا مَحالة. ثمّ إنّه إذا ادّعوا أنّ الحيّز لا يزداد

غالبًا، أفسحوا المجال لخصومهم إلى تعليل ذلك بخروج الهواء . أجل إنَّ ازدياد الحيز يصعب
 ٣٥ تعليله، ولكن ما/ الذي يمنع القول بأنَّ الجسمين، إذا امتزجا، حمل كلَّ منهما معه مقداره
 وكيف أيضًا على اختلاف وجوهه، فحصل ازدياد التحيز حتمًا؟ فإنَّ المقدار لا يفنى مثلما هو
 الأمر في الكيف على مُختلف وجوهه، وكما أنَّ لدينا هنا نوعًا آخر من الكيف ناتجًا من مزيج
 ٤٠ الكيفين في الجسمين، فكذلك أيضًا لدينا مقدار آخر؛ وليس المزيج/ هو الذي يُولد المقدار
 الحاصل من الطرفين. ولكنَّ خصومهم يقولون لهم هنا: «إذا قامت هيولى جنب هيولى وقام
 حجم جنب حجم، وتمَّ بذلك المقدار، فإنكم تقولون بقولنا». فيجيبون: «إذا دخلت الهيولى
 ٤٥ في مزيج كلِّي بما معها من المقدار أصلًا، فليس هذا كما لو وقع خطُّ بعد خطٍّ/ واتصل كلٌّ من
 طرفيهما بالآخر فكان التزايد حقًّا، بل كما لو طبَّقنا خطًّا على خطٍّ فاتحدا ولم يكن تزايد
 آنذاك». أما أن يتمدّد الجسم الأصغر في الجسم الأكبر كلاً بكُلٍّ، ويكون ذلك مع الأصغر
 ٥٠ مهما يصغُر في الأكبر مهما يكبُر، فإنَّ ذلك يتمُّ في أمور لا يخفى أنَّها متمازجة. فحيث/ لا
 يكون تمازجها واضحًا يجوز القول بأنَّ الامتداد لم يشمل الكلَّ؛ أما إذا كان شموله الكلَّ
 ظاهرًا، فالوجه أن يسلم به. وقد يقولون أيضًا امتداد الأحجام، فليس في قولهم ما يؤنس
 إقناعًا وإثباتًا إذ أنَّهم بهذا القول يجعلون حجمًا في منتهى الصغر يمتدُّ إلى حدِّ عظيم القدر؛ وذلك
 ٥٥ لأنهم، إذا غيروا الجسم، لا يزدون ومقداره،/ كما هو الأمر في الماء إذا استحال هواء .

٢ وهذا أمر لا بدَّ من البحث فيه بحثًا مستقلًّا: ماذا يحدث إذا تحوَّل ما كان حجم ماء فأصبح
 هواءً، وكيف يكون الحجم الأعظم هو الذي يَظهرُ فيما حَدَث؟ لنذكر الآن القدر من الأقوال
 العديدة المختلفة التي وردت عند الطرفين. وها نحن أولًا نُقبلُ بأنفسنا على البحث في ما ينبغي
 ٥ أن يقال حول الموضوع، وما هو الرأْي الذي يتفق مع ما ذُكِرَ/ من هذا القبيل، وفيما إذا لم يكن رأْي
 آخر يبدو في مقابل ما قيل حتَّى الآن. عندما يسيل الماء من خلال الصوف، أو تُقطر ورقة ما الماء
 الذي عليها، فما بال الجسم المائي لا ينساب كلُّه في طوإيات تلك الورقة؟ وحين لا يكون سيلان كيف
 ١٠ تمسُّ الهيولى الهيولى والحجم الحجم ولا نجعل غير الصفات/ في تمازج؟ فإنَّ هيولى الماء لا
 تُلاصق هيولى الورقة فقط من الخارج، كما أنَّها ليست في بعض سيمام الورقة؛ فإنَّ الورقة مبلَّلة
 كلها وليست تكون هيولاها قط خالية من هذا الكيف؛ وما دامت الهيولى من ذلك الكيف في كلِّ
 حيثيَّة، فالماء أيضًا في كلِّ حيثيَّة من حيثيَّات الورقة. أو نقول أنَّ ما يكون حاضِرًا ليس الماء، بل هو
 ١٥ كيف الماء. / فإن الماء ذاته إذا؟ لماذا لم يبق حجم الورقة هو هو؟ ألا، لقد وسَّع حجم الورقة ما
 انضمَّ إليه؛ فإنه تَلَقَّى مقدارًا مَادخل فيه. ولكن إذا تَلَقَّى مقدارًا جديداً، فلائِه انضمَّ إلى حجِّمه
 حجم ما؛ وإذا انضمَّ هذا الأخير، فإنَّ الأول لم يمتصّه، ولا بدَّ إذًا للهيولى من أن يكون مع الورق في

٢٠ محلّ ومع الماء في محلّ آخر . ولكن ما المانع من / أن يتمّ هنا مثل ما يتمّ بين جسمين يُعطي أحدهما الآخر من كيفه أو يتلقّى من لدّنه ذلك الكيف ، فيصعّ الأمر نفسه على المقدار أيضاً؟ ذلك لأنّ الكيف إذا انضمّ إلى كيف ، لا يبقى هو هو ، بل أصبح مع الكيف الآخر ، وفي كونه مع الآخر انتفت عنه براءته ، فليس هو هو في كماله ، بل أصبح شيئاً مبهمًا مغشيّ الجوانب ؛ أمّا المقدار إذا انضمّ إلى مقدار آخر ، فإنّه / لا يزول . وقد يقول قائل مُتسائلاً : كيف يُقال أنّ الجسم إذا اجتاز الجسم اجتيازًا كاملاً حوّله قطعًا مقطّعة ؛ مع أنّنا نذهب نحن أيضًا إلى أنّ الكيف يجتاز الأجسام ولا يُحدّث فيها قطّ تقطيعًا؟ إلّا أنّنا نقول بذلك لأنّ الكيف ليس بجسم . ولكن إذا لم تكن الهيولى كالكيف جسمًا أيضًا ، فلماذا لا / يتمّ الإجتياز على الوجه نفسه للهيولى مع الكيف ، إذا كان الكيف بحيث قلّت أنواعه؟ أمّا أنّها لا تجتاز الجوامد فذلك لأنّ للجوامد كيفًا يُحوّل بينها وبين الاجتياز . ثمّ أليس الوجه في القول بأنّ الكيف إذا تَكَثَّرت أنواعه استحال عليه أن يقوم بهذا العمل مع الهيولى ؟ فإذا كانت كثرة / أنواع الكيف هي التي تجعل الجسم موصوفًا بالكثافة ، كانت هذه الكثرة سببًا لمنع الاجتياز ؛ أمّا إذا كانت الكثافة كيفًا خاصًا ، مثل الذي يُسمّى الجسميّة ، فهذا الكيف الخاصّ هو المانع من الاجتياز . ومن ثمّ ، فإنّ الذي يتمّ به المزيج ليس الكيف من حيث أنّه كيف ، بل من حيث أنّه كيف من نوع خاصّ ، كما أنّه ليس صحيحًا أنّ الهيولى لا تقبلُ الامتزاج من حيث أنّها هيولى ، بل من حيث أنّها هيولى مع ذلك النوع الخاصّ من الكيف ، / ولا سيّما أن ليس للهيولى مقدار خاصّ ، بل ليس لها من المقدار إلّا ما لا تُطيق به رفض المقدار . هذا وحسبنا ما ذكرناه في حلّ هذه المُشكلات .

٣ ثمّ إنّنا ، ما دُنا قد أتينا على ذكر الجسميّة ، لا بدّ لنا من البحث فيما إذا كانت الجسميّة ما يتقوّم من تآلف خواصّ الجسم كلّها أو كانت الجسميّة أمثولًا ومعنى بذريًا ما إذا استقرّ في الهيولى أخرج الجسم . فإذا كان ما هو الجسم ذلك الأصل الذي يتقوّم من تآلف أنواع الكيف كلّها مع الهيولى ، فالجسميّة هي ذلك الأصل . / أمّا إذا كانت الجسميّة ذلك المعنى البذريّ الذي إذا أقبل على الجسم يُحدّثه بما أُحدّثه ، فواضح أنّ ذلك المعنى البذريّ يحتوي ضمنيًا أنواع الكيف كلّها . وينبغي حينئذٍ في ذلك المعنى البذريّ ، إذا لم يكن بمنزلة الحدّ الرسميّ لماهيّة الشّيء فقط ، بل كان معنى بذريّ يقوم الشّيء به ، أقول ينبغي فيه ألاّ يتضمّن الهيولى ، بل أن يكون معنى بذريّ مرتبطًا بالهيولى / في قوامه . فإذا استقرّ في الهيولى ، استقام الجسم به ، فكان الجسم هيولى معنى بذريّ ثابتًا فيها ؛ بيد أنّ هذا المعنى البذريّ أمثولٌ يتصوّر مجرّدًا في حدّ ذاته دون هيولى ، وإن كان لا يتمّ له قطّ أن يكون هو بذاته مفارقًا منعزلًا عن الهيولى . فإنّ الأصل المفارق شيء آخر قائم في الرّوح ؛ وإنّما هو قائم في الرّوح لأنّه هو أيضًا روح . ولكنّ هذا بحثٌ ندعُه لمقام آخر .

الفصل الثامن

(٣٥)

لماذا تظهر الأشياء صغيرة إذا بُعدت؟

- ١ هل تظهر الأشياء البعيدة أصغر ممّا هي عليه، وإذا عظمت المسافة بيننا وبينها، هل يبدو قليلاً ما يفصلنا عنها؟ في حين أنّ ما قَرَبَ ممّا يظهر على ما هو عليه بمقداره، وعلى المسافة التي يبعد بها عنّا؟ إنّ الشّيء البعيد يبدو للناظر أصغر ممّا هو عليه: إمّا لأنّ النور يُريد أن يتقلّص لينصبّ في العين ويكون في سعة حدقتها، / وبقدر ما تكون هيولى الشّيء المُبْصَر بعيدة آنذاك، يَصِلُ الأمْثُولُ وكأنّه مجرد عمّا ليس هو بعد أن أصبح الكَمّ نفسه مع الكيف أمْثُولاً، بحيث يكون معنى بنريّ الشّيء هو الذي يصل وحده إلى التّظنر. وإمّا ثانياً لأنّ المقدارَ يجتاز المسافة ويُقبِلُ إلينا فنُدركه جزءاً جزءاً بما هو عليه؛ / ومن ثمّ لا بدّ من أن يكون حاضراً وقريباً حتّى يُعرَف بما هو عليه؛ وإمّا لأنّ المقدار يُدْرِكُ بالعرَض ويكون اللون هو الذي يُدْرِكُ أصلاً، فإذا قَرَبَ الشّيء أدْرِكُ في قدره الملوّن، وإذا بُعد أدْرِكُ أنّه ملوّن، بيد أن أجزاءه، على تمايزها كمّاً، لا تُمكن من إدراك / الكَمّ إدراكاً واضحاً إذ أنّ ألوانها تُقابلنا وهي مغشيّة الجوانب. (ولماذا العجب إذا تضاءلت المقادير مثلما تتضاءل الأصوات، بقدر ما يزداد أمْثُولُها غموضاً أثناء انتشاره؟ فإنّ السَّمْعُ أيضاً يطلب أمْثُوله، وإنّما يدرك المقدار بالعرَض. ولكن يجوز التساؤل فيما إذا كان السَّمْعُ يُدْرِكُ المقدار / بالعرَض؛ وهل يبدو لنا المقدار أصلاً في الصّوت، مثلما تبدو لنا المُبْصَرَات باللمس؟ فإنّ ما يدركه السَّمْع من حيث أنّه يبدو مقداراً لا يُدركه بحسب الكَمّ، بل بحسب الزيادة والتقصان؛ فلا تُدْرِكُ الجِدَّة مثلاً بالعرَض، كما أنّ الذّوق لا يُدْرِكُ شِدَّة الحلاوة بالعرَض. أمّا مقدار الصّوت حقّاً فهو ما يرتبط بالكَمّ، وهو أمر قد يُستدلّ عليه بِحِدَّة الصّوت ويُدْرِكُ بالعرَض، ولكن لا يكون هذا الإدراك إدراكاً دقيقاً. وإنّ لكلّ صوت حِدَّة تبقى هي هي، ثمّ إنّ للصوت من الجِدَّة ما يتسع معه ويمتدّ إلى كلّ المحلّ الذي يشغله). لهذا وإنّ الألوان لا تُصغر بل تُصبح مغشيّة الجوانب، أمّا المقادير فتُصغر. بيد أنّ بين الطرفين أمراً مشتركاً / وهو حال التّقصان: فالتّقصان في اللون هو الغشاوة، والتّقصان في المقدار هو الصّغر، ويتبع المقدار اللون فيُنقص بِنقصانه عن طريق تناسب طرديّ. ولهذا واقع يظهر

بوضوح في الشيء إذا كان متعدد العناصر، مثل جبل تقوم عليه بيوت كثيرة وأشجار عديدة
 ٣٥ وهلم جرا: فإذا ما تبيّن/ هذه الأشياء واحداً واحداً تيسّر لنا بهذا الاستقراء أن نقدّر الكلّ؛ أما إذا
 لم يكن كلّ شيء يُقابلنا بأمثوله فإننا نُحرّم من إدراك الجملة أصلاً أصلاً ونعجز عن تحديد
 المقدار الذي يتّسع للكلّ. ثم إنّ الأشياء القريبة نفسها، إذا كانت متعددة العناصر وألقينا عليها
 ٤٠ نظرة خاطفة/ لم نقف بها عند كلّ أمثولة، تبدو دون ما هي عليه بقدر ما أغفلناها في الأبصار؛
 أما إذا أدركها البصر كلّها فإنها تقدّر بالدقّة اللازمة ويُعرف مقدارها كم هو. وأما الأشياء
 المُتشابهة بمقاديرها وألوانها، فإنها تغشي النظر الذي لا يقوى على تقديرها بحسب أجزائها
 ٤٥ واحداً واحداً/، لأنّه ينزلق على الجزء الذي يقدّره إذ ليس لديه آنذاك ما يقف عليه وبه يتميّز كلّ
 جزء على حياله. فيُصبح البعيد قريباً للسبب نفسه، لأنّ المسافة بيننا وبينه تنقبض معه. ولذلك
 ٥٠ أيضاً لا يخفى علينا قدر مسافة الشيء إذا كان قريباً مثلاً؛/ أما إذا كان البصر حسيّاً عن تتبّع
 المسافة في مراحل بعدها ليتبيّن كيف هو الشيء في أمثولة، فإنّه لا يقوى أيضاً أن يحكم على
 هذا الشيء في كمّه ومقداره.

٢ وتعليل صغر الأشياء بقصان زوايا النظر، مسألة عولجت في غير هذا المقام وكان التقى
 نتيجتها؛ فلا بدّ من أن نُضيف الآن ما يلي: إنّ من يدّعي أنّ الشيء يبدو صغيراً إذا نُظر إليه من
 زاوية صغيرة يسلم بأنّ ما يبقى من النظر ينال أموراً خارجة عن نطاق تلك الزاوية، إمّا شيئاً
 آخر، وإمّا شيئاً خارجاً عن النظر خروجاً كلياً مثل الجوّ. فإذا كان الجبل مثلاً لا يدع فراغاً قطّ
 ٥ للعين بسبب ضخامته/ - فإنّما أنّها تسامته ولا يسعها أن ترى شيئاً آخر للتوافق الذي يتمّ بين مدى
 امتدادها وما تمتدّ إليه وتراه، وإمّا أنّ ذلك الشيء يتجاوز في اتساعه يمنة ويساراً طرقيّ ما يقع
 عليه البصر - فما عسانا نقول حينئذٍ ما دام الشيء يبدو أصغر بكثير ممّا هو عليه، وهو مع ذلك
 ١٠ يملأ/ العين كلّها بصورته. وإذا نظرت الآن إلى السماء، أدركت لا محالة صحّة ما نقول. إنّك
 لا تستطيع أن تُدرِكَ بنظرة واحدة نصف كرة بكامله، كما أنّ البصر لا يقوى على الامتداد بحيث
 ١٥ يتّيسر على هذا القدر كلّ. ولنفترض مع ذلك/ إمكان الأمر إن شئت. فإنّ العين كلّها تسع إذا
 نصف كرة السماء كاملاً، فيكون في السماء أضعاف المقدار الذي يظهر، فكيف يعلّل بقصان
 الزاوية ظهور الشيء وهو أصغر بكثير ممّا هو عليه في الواقع؟

الفصل التاسع

(٣٣)

الإغسطيون، ردًا على الذين يدعون أن صانع العالم شرير وأن العالم شرّ.

١ ما دام قد ظهر لنا أن الخير في حقيقته بسيط وأوليّ (إذ أن ما ليس أوليًا ليس أيضًا بسيطًا)، وأن ليس في الخير شيء غريب عنه ينطوي عليه، بل إنه شيء قائم في الوحدة، لا يختلف في حقيقته عما نسميه الواحد، فلا يكون شيئًا ما آخر ثم يُصبح خيرًا، أقول: ما دام قد ظهر لنا ذلك، فينبغي علينا، عندما نذكر الواحد، أو عندما نذكر/ الخير، أن نتصور الحقيقة ذاتها ونقول أنها واحدة، لا بمعنى أننا نَصِفُها بشيء، بل بمعنى أننا نُحاول أن نكشف حقيقتها لأنفسنا بقدر المُستطاع. فإنه الأول على هذا الوجه والمعنى لأنه أشدّ الأمور بساطة؛ وإنه مكتفٍ بذاته لأنه ليس قائمًا في غيره لأن كل ما حلّ في غيره، كان أيضًا من غيره. فإذا لم يكن من غيره، ولم يكن تركيبًا قطّ، فإنه حتمًا ليس فوقه شيء قطّ. فلا يَنبغي إذا أن نسعى وراء أصول أخرى، بل ندع له صدر المقام، ثم يليه الروح والعارف بالروح أصلًا، ثم تأتي النفس بعد الروح؛ لهذا هو الترتيب الذي تقتضيه طبيعة الأمور؛ فلا يجعلن أكثر/ من ذلك ولا أقلّ في العالم الروحانيّ. فإن جعلنا أقلّ من ذلك، قلنا أن النفس والروح شيء واحد، أو أيضًا الروح والأول، ولقد ثبت لدينا غير مرّة أن هذه الأمور كلّها مُختلف بعضها عن بعض. فيبقى علينا إذا أن نبحث الآن فيما إذا كان ثمة شيء آخر يُضاف إلى هذه الثلاثة. وما عسى أن يكون إلى جانبها من أمور؟ فما دام أصل كل شيء على ما وصفناه به، لن نجد شيئًا أبسط منه ولا أعلى. ذلك لأنه لا يُقال في هذا الأصل إنه بالقوّة أو أنّه بالفعل إذ أن ممّا يدعو إلى السخرية أن نَميّز، في ما ٢٥ هو بالفعل ومنزه عن الهوى، بين وجود بالقوّة ووجود بالفعل، فنجعله قائمًا في الكثرة. بل/ إن هذا التمييز لا يصحّ في ما تحت ذلك؛ فلا نتصور الروح على أنه تارة في ضرب من السكون، وطورًا كأنه متحرك. ولعمري، ما عسى أن يكون سكون الروح، وأن يكون تحركه وتكلمه، أو عسى أن يكون تعطّله من ناحية وعمله من الناحية الأخرى؟ فإنه مثل ما هو عليه، روحًا، ويبقى ٣٠ دائمًا كذلك، ثابتًا بفعل لا تبدّل فيه؛ فالحركة إنّما هي إليه وحوله، وهي/ عمل النفس وعقل يخرج منه متّجهًا نحو النفس بحيث أنّه يجعل النفس روحانيّة، لا بحيث أنّه يُحدث أمرًا آخر بين

الروح والنفس . كما أنه لا ينبغي، لأجل ذلك، أن نفترض أرواحًا كثيرة، فإذا كان ثمة الأصل الذي يعرف، كان أيضًا الأصل الذي يعرف أنه يعرف . فإنه وإن كانت الأوضاع تقتضي أن يكون ٣٥ العُرفان شيئًا والعُرفان بالعُرفان شيئًا آخر، فإن الكلّ، مع ذلك، مشاهدة واحدة غير / غافلة عن أعمالها؛ ومن الحق أن نفترض شيئًا من ذلك القليل في الروح الحق؛ بل الواجب مطلقًا أن يكون ما يعرف هو الذي يعرف أنه يعرف . وإذا كان لدينا ما يعرف من ناحية ومن الناحية الأخرى ما يعرف أنه يعرف وهو شيء آخر، وليس ذلك الذي استوى في حال العُرفان . فإن قيل ٤٠ أن هذا التمييز / قائم في الذهن، أجبتنا: إن في ذلك القول عدولًا عن الاعتراف بكثرة الأقسام، هذا أولًا . ثم إنه لا بدّ، بعد ذلك، من البحث فيما إذا كان للذهن مجال للتسليم بروح يعرف فقط، وهولا يتعقّب ذاته ليحكم بأنه يعرف؛ وهو أمر لو تمّ حتّى علينا نحن الذين نراقب دائمًا ٤٥ رغباتنا وأفكارنا لرى إذا كانت على جانب من الاعتدال، / أقول إنه أمر لو تمّ علينا لعرضنا إلى أن نتهم بالحق . أما إذا كان الروح الحق يعرف ذاته أثناء إدراكاته العُرفانية، ولا تكون عارفته غريبة عنه، بل تكون هو وعارفته شيئًا واحدًا، فإنه حتمًا في أثناء عرفانه إنما يملك ذاته ويرى في ٥٠ أثناء عرفانه؛ وإذا رأى ذاته، رآها عارفة لا غير عارفة . ومن ثم فإنّ العُرفان الأصليّ / هو أيضًا عُرفان بحال العُرفان، على أنّهما شيء واحد، فليس ثمة إثنيّة حتّى في الأذهان . علاوة على أنه إذا كان الروح أبدًا في حال العُرفان لما هو عليه، فأين المجال لتمييز بالذهن يفصل العُرفان عن المعرفة بحال العُرفان؟ وإذا أقحم أحدهم تمييزًا بالذهن ثالثًا إلى جانب التمييز الذهنيّ الثاني ٥٥ الذي يدعي بأنه يعرف حال العُرفان /، فيدعي لذلك التمييز الثالث بأنه معرفة العُرفان على العُرفان، كان الحق في ذلك أشدّ وأظهر . فلماذا لا يمرّ الأمر كذلك إلى غير نهاية؟ أما العقل، فإذا ما جعلناه خارجًا من الروح، ثمّ تصوّرنا شيئًا آخر يختلف عن هذا العقل ناتجًا عنه يحدث في النفس بحيث يكون ذلك الشيء بين النفس والروح، أقول: إذا ما فعلنا ذلك، ٦٠ حرّمتنا النفس من العُرفان إذ أنّها لا / تتلقّى العقل من الروح، بل من ذلك الأمر الآخر القائم بينها وبين الروح؛ ويكون لديها حينذاك أثر للعقل، لا العقل، فلا تُدرك الروح مطلقًا، ولا تُعرف قطّ .

٢ فالواجب إذاً ألا نفترض شيئًا زائدًا على ما ذكرناه، وألا نجعل تمييزات ذهنية لا طائل فيها حيث ليس لها محلّ، بل حسبنا الروح الواحد، الباقي هو هو كما هو عليه، لا ميل فيه إلى ناحية قطّ، يُحاكي أباه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا . أما نفسنا فهي متجهة في ناحية منها نحو عالم ٥ الروحانيّات، وفي ناحية ثانية نحو عالم الحسيّات، وهي في ناحية ثالثة بين هذا / وذاك؛ إنّها شيء ذو وحدة وذو قوى مختلفة؛ فتارة تتجمّع هذه النفس كلّها في خير ما فيها، وهو خير ما في

الأعيان، وطورًا يهوي أسقط ما فيها فيجرُّ معه النَّاحِيَة المتوسِّطة منها، لأنَّه لا يُباح له أن يجرَّها
 ١٠ كَلِّها. وإنَّ النَّفسَ لَتُصاب بهذا المُصاب/ لأنَّها لم تثبت في عالم الحسن. إنَّما تُقيم في هذا
 العالم النَّفسُ التي ليست جزءًا منا ولسنا نحن جزءًا منها، وهي التي تيسِّر للجسم الكلِّي أن
 يحصل هو أيضًا على قدر ما يستطيع أن يتلقَّى منها، وتبقى هي ساكنة لا تضطرب، فلا تعتمد إلى
 إجهاد الفكر لتدبِّر أمرًا وتسدِّد شيئًا، بل ترتَّب وتنظَّم بقوة عجيبة عن طريق مشاهدتها لما هو
 ١٥ قبلها وفوقها. / فإنَّها تزداد حسنًا وقوة بقدر ما تكون مستغرقة في تلك المُشاهدة؛ وما دامت
 تأخذ عنها، فإنَّها تمدُّ ما بعدها، فتغيره مثلما إنَّها منارة دائمة.

٣ ما دامت منارة إذا، حاصلة على التَّور أبدًا، فإنَّها تمدُّ به ما يليها فيُحفظ ويزدهي بفضل
 ذلك التَّور، ويحظى بالحياة على قدر ما في إمكانه أن يأخذ منها؛ مثل ذلك مثل ما يتمُّ إذا
 جَعَلَتْ نارًا في وسط محلٍّ ما فيحصل الدَّفءُ للذين حولها على قَدْر وسعهم. ولكنَّ النَّارَ إنَّما
 ٥ هي خاضعة للقدر وللحدِّ، أمَّا إذا كانت قوى/ لا حدَّ لها، ولم تُسحب من عالم الأعيان، فكيف
 يُمكن أن تكون بدون أن تمدَّ غيرها من ذواتها؟ بل يعطي كلُّ شيء ما له غيره حتمًا؟ وإلا فليس
 الخير خيرًا، ولا الرُّوح روحًا، ولا النَّفس ما هي عليه، ما لم يكن، بعد ما هو الحيَّ أصلًا،
 ١٠ شيء يحيا بحياة فرعية تدوم ما دام حاضرًا ما هو الحيَّ/ أصلًا. فإنَّ الأمور تتوالى دائمًا أمرًا بعد
 أمر؛ وإذا كانت الفرعية منها متولدة فبمعنى أنَّها من غيرها. ومن ثمَّ، فلم ينفك تولدها، بل إنَّ
 ما يوصف منها بأنَّه تولد، إنَّما لا يزال يتولد وسيظلُّ يتولد أبدًا، ثم لا يفسد منها إلَّا ما ينطوي
 على عناصر ينحلُّ إليها، فما ليس ينطوي على شيء ينحلُّ إليه، لا يفسد. وإذا قيل أنَّها تنحلُّ إلى
 ١٥ الهيولي، فلماذا/ لا نجعل الهيولي تنحلُّ أيضًا؟ وإن قيل أنَّ الهيولي تنحلُّ أيضًا، فلماذا ندعي
 إنَّها يجب أن تكون حتمًا؟ وإن ادَّعوا أنَّها أمر لازم حتمًا، فهي لا تزال الآن أيضًا لازمة. وإذا
 تُركَّت على حيالها بدون مثال، فليست الرِّبَّانيَّات في كلِّ مكان؛ أمَّا هي في محلٍّ محدود،
 ٢٠ وكأنَّها وراء أسوار. وما دام ذلك أمرًا مُستحيلًا، فإنَّ الهيولي تبقى أبدًا/ منارة.

٤ إن قيل أنَّ النَّفس هي التي صنعت الكلَّ بعد فقدانها أجنحتها، فإنَّ نفس الكلَّ لا يصيبها
 شيء كذلك؛ وإن قيل أنَّها فعلت بعد سقوطها، فليدُلُّوا على سبب سقوطها. ومتى سقطت؟ فإذا
 سقطت منذ الأزل، فإنَّ قولهم يقتضي أن تبقى دائمًا ساقطة؛ وإذا كان لسقوطها بداية، فلماذا
 ٥ لم/ يتمُّ هذا السَّقوط قبل الحين الذي تمَّ فيه؟ أمَّا نحن فلنسا نقول بأنَّ الذي صنع هو هويُّ
 النَّفس إلى الهيولي، بل بطلان ذلك الهويِّ. لأنَّ النَّفس إذا هَوَتْ، فإنَّها هَوَتْ لئسبانيها
 العلويَّات؛ وإذا نسيت، فكيف تصنع؟ أتى لها أن تصنع شيئًا إلَّا استمدادًا مِنَّا رآته في المَلَأ

١٠ الأعلى؟ وإذا كانت تصنع/ بتذكرها ما هنالك، فإنها لم تهو قط حتى ولو لم يتم لها صفاء الذكر. أوليس حينذاك أخرى أن تميل نحو الملاء الأعلى حتى لا تتعكر رؤياها؟ ولماذا لا تريد أن تعود إليه ولديها ما لديها من ذكراها؟ ما عساها أن تتصور فيما يحدث لها من وراء صنع العالم؟ إننا لجديرون بأن يسخر مِنَّا إن ظنناها فعلت حتى توفر لها الإكرام، فنكون قد نقلنا إليها أوصافًا أخذناها من صانعي التماثيل في عالمتنا. ثم إننا لو صنعت عابدةً إلى التفكير وما كان لديها من تلقاء/ ذاتها أن تصنع ولا القدرة على الصنع، فكيف تكون قد صنعت عالمتنا هذا؟ ومتى تعلمه؟

١٥ وإذا كانت نادمة على ما فعلت، فماذا تنتظر؟ أما إذا كانت لم تندم بعد، فإنها لن تندم، بل إننا قد أضحت وهي مُستأنسة بالعالم، وازدادت حبًا على مر الزمن. وإذا كانت تنتظر النفوس الفردية المفارقة للأبدان، / فالثابت الآن أنه ينبغي ألا تعود تلك النفوس إلى صيرورة الأبدان، بعد أن ذاقَت ما ذاقته، أثناء صيرورتها الأولى، من شرور عالمتنا؛ فمن شأنها الآن أن تُمسك عن القدوم إليه. كما وأتينا يجب ألا نسلّم بأن عالمتنا كان سعيًا خائبًا لكثرة ما فيه من الشواذ؛ فإننا نقدّره بأعظم ممّا هو أهل له، إذا افترضناه مساويًا للعالم الروحاني، في حين أنه ليس إلا صورة

٢٥ عن هذا العالم. / وهل له من صورة أخرى تفوقها حسنًا؟ أية نار تُحاكي نار الملاء الأعلى بخير ممّا تُحاكيها نار عالمتنا؟ وأية أرض غير أرضنا بعد الأرض التي هنالك؟ وأية كرة أدقّ تدويرًا وأسمى مقامًا وأشدّ انتظامًا مع حركتها بعد كيان العالم الروحاني ثابتًا/ في ذاته؟ وهل من شمس أخرى، بعد الشمس الروحانية، فوق الشمس التي نراها؟

٥ إنه لهذيان أن لهؤلاء القوم أجسادًا مثل أجساد الناس، وفيهم الشهوة والألم والغضب، ولا يحتقرون ما لديهم من قدرة، بل يدعون أن الاتصال بالعالم الروحاني متاح لهم، ثم يذهبون بعد ذلك إلى أنه ليس في الشمس قدرة تفوق قدرتنا تنزّها عن الانفعال، واستقرارًا في النظام وخلوًا من التبدّل، / وليس لديها إدراك يفوق ما لدينا نحن الذين من الأمس والذين طالما تقف الأوهام حائلة بيننا وبين وصولنا إلى الحق؛ كما أنهم يدعون لكلّ منهم نفسًا خالدة وربّانية ويسلمون بوجودها حتى عند الناس أشقاهم، أما السماء كلّها وكواكبها، فلا حظّ لها،

١٠ عندهم، / من تلك النفوس الخالدة على كون تلك الأمور فوق البشر بكثير حسنًا وطهارة مع أنهم يرون هنالك وضعًا قائمًا في النظام وحسن المشهد والتساق المُحكّم، وهم أشدّ الناس تشكيًا من اضطراب أوضاعنا هنا على وجه الأرض، فكأنّ تلك النفوس الخالدة تسعى جاهدة إلى

١٥ الاستئثار بهذا العالم الأسفل، وتؤثر أن تتخلّى/ للنفس الفانية عن العالم الأفضل. وإنه لهذيان أيضًا أن يقحموا فيهم تلك النفوس الأخرى التي يتصورونها مؤفّدة من العناصر؛ فكيف يكون لما يقوم في التركيب من عناصر حياة ما مهما يكن نوعها؟ فإنّ تأليفاً بين كلّ ذلك إنّما يحدث شيئًا

حارًا أو باردًا أو شيئًا فيه مزيج من الحرارة والبرودة، أو أيضًا شيئًا يابسًا أو رطبًا أو ما فيه مزيج
 ٢٠ من اليبس والرطوبة. / فكيف تكون النفس رابطة بين هذه العناصر الأربعة وهي أمر حدث
 بعدها ومنها؟ وإذا كان من شأن تلك العناصر أن تُلحق بالنفس الإدراك والإرادة وغيرهما من
 الأمور التي لا حصر لها، فما عسانا نقول؟ إلا أنهم لا اعتبار عندهم لهذا الخلق المصنوع ولهذا
 ٢٥ الأرض، فيدعون أن أرضًا جديدة أنشئت لهم، وإليها ينطلقون من ههنا؛ فهذا/ ما هو «حكمة
 حكم العالم» فيما يقولون. وما عساهم يفيدون هنالك في «قياس» عالم ينقمون عليه؟ ثم هذا
 القياس من أين؟ فإنهم يذهبون إلى أن صانع هذا القياس إنما صنعه بعد انعطافه على عالمنا. فإذا
 ٣٠ كان عند الصانع ذلك الاهتمام البالغ في أن يصنع بعد/ العالم الروحاني الذي لديه عالمًا آخر -
 ولماذا كان ينبغي ذلك؟ - وإذا كان قد صنع «القياس» قبل صنعه العالم، فلاي غرض؟ إن قيل:
 لكي تكون النفس على حذر. قلنا: وكيف ذلك؟ فإن النفوس لم تُصبح على حذر، ومن ثم كان
 صنع ذلك القياس عبثًا. أما إذا كان قد صنعه بعد أن صنع العالم، آخذًا من العالم أمثوله مجردًا
 ٣٥ من الهيولى، كانت المحنة آنذاك كافية للنفوس الممتحنة اليوم حتى/ تكون على حذر. أما إذا
 كانوا يذهبون إلى أنهم يدركون في النفوس الأمثول الذي يقوم به العالم، فما هذا الابتداع في
 الكلام؟

٦ وما عسانا نقول في المقامات الأخرى التي يسوقونها: الاغتراب، الانطباع، الإنابة؟
 إذا كانوا يعنون بذلك انفعالات في النفس - الإنابة إذا كانت في حال الإنابة، والانطباع إذا
 كانت وهي كأن ما تراه إنما هو رسوم الأعيان، لا الأعيان ذاتها - فإن ذلك منهم موقف قوم
 ٥ يبتدعون كلامًا ليقموا عليه/ مذهبه الخاص، فيلقون هذه الأقوال كأنهم ليس عندهم إلمام
 بالثقافة الإغريقية القديمة، مع أن للإغريق معرفة واضحة وكلامًا بريقًا من الزخرف في
 «الارتقاء عن الكهف، وهو ارتقاء يرتفع تدريجيًا نحو المشاهدة الحقة، فيزداد منها اقترابًا
 ١٠ شيئًا فشيئًا. وإن ما يذهبون إليه إجمالًا إنما وصلهم، في جانب منه، عن طريق أفلاطون،/
 أما الجانب الذي ابتدعوه ليضعوا فلسفتهم، فهو خارج عن الحق. فالجزاء، والأنهار في عالم
 الأموات، والانتقال من جسد إلى جسد، كل هذا وارد عند أفلاطون. ثم إن الكثرة التي
 يجعلونها في عالم الروحانيات، والأيس أيضًا، والصانع الذي يختلف عن الروح،
 ١٥ والنفس، كل ذلك أخذ عَمًا ورد في كتاب/ «التيمائوس»؛ فقد قال أفلاطون: «إن الصانع ينوي
 أن يكون الكل حاويًا من المعاني على قدر ما يُشاهد الروح منها في ما هو الحيوان». إلا أنهم لم
 يفهموا المعنى، فتصوروا شيئًا ثابتًا في السكينة ينطوي على الأعيان كلها، ثم روحًا يُشاهد، وهو
 ٢٠ في ذاته مختلف عن ذلك الشيء، ثم صاحب القصد/ والنية - وطالما ذهبوا إلى أن النفس

الصَّانعة تقوم مقام الصَّاحب القصد والتَّيَّة - فيرون أنَّه، في نظر أفلاطون، هو الصَّانع، وشَتان ما بينهم وبين أن يعرفوا من هو الصَّانع. إنَّهم، إجمالاً، على ضلال في وجه تأويلهم للصنع ولما ٢٥ سواه عن الأمور الكثيرة،/ فيؤوِّلون تعاليم الرجل على أسوأ معانيها مُدَّعين أنَّهم هم الذين فهموا حقيقة العالم الروحاني، وليس أفلاطون ولا سواه من الرِّجال الأفاضل. إذا ذكروا عدداً وافراً من الرُّوحانيَّات ظنُّوا أنَّهم، في اعتقاد النَّاس، قد وجدوا الحقَّ الصَّراح، وهم بتلك ٣٠ الكثرة يزيِّدون الشَّبه بين الرُّوحانيَّات من جهة والحسِّيَّات والذَّنبيَّات من الجهة الأخرى،/ في حين أنَّ الواجب في ما يتعلَّق بالرُّوحانيَّات، أن تتحرَّى القلَّة في العدد ما أمكن الأمر، فنجعل الأشياء كلّها في ما هو بعد الأوَّل تَخَلُّصاً من الكثرة، فيكون ما يلي الأوَّل هو الأشياء كلّها والرُّوح الأوَّل والذَّات وكل ما سوى ذلك ممَّا يقوم ثابتاً في الحُسن بعد الأوَّل. ثم تأتي ٣٥ النَّفس أمثولاً في المقام الثالث؛ أمَّا فوارق النَّفوس فإنَّما نتبيَّها في انفعالاتها وطبائعها،/ فلا نطعن قطَّ في هؤلاء الرِّجال الرِّبانيَّين، بل نتقبَّل آراءهم عن رضى على أنَّها آراء الأوائل، ونأخذ عنهم ما أحسنوا القول فيه: خلود النَّفس، عالم الرُّوح، الرِّب الأوَّل، واجب النَّفس في أنَّ ٤٠ تهرب من عثرة الجسد، إنفصالها/ عنه، هربها من عالم الصَّيرورة إلى عالم الذَّات. فإنَّ كلَّ هذه الأمور واردة بوضوح عند أفلاطون؛ وإذا ما قالوا بها هي فينعم ما يفعلون. وإنَّنا لا نريد قطَّ سوءاً بالَّذين يُحاولون أن يحدِّدوا عن تلك الأقوال إذا طلبنا منهم ألاَّ يُلجَّؤوا إلى الطَّعن ٤٥ بالإغريق والتَّطاول عليهم ليَجعلوا أقوالهم ثابتة لدى مُستمعيهم،/ بل أن يبيِّنوا صحَّة هذه الأقوال ذاتها، في ما يدَّعون منها أنَّه خاصٌّ بهم، وظهر لهم على خلاف ما لدى الإغريق، فيسطلوا آراءهم بنعومة الذَّوق وسماحة الفلسفة، ويذكروا ما يخالفهم مُقسطين عادلين، ويَنظروا إلى الحقِّ، ولا يحاولوا أن يُحرِّزوا لهم شهرة من وراء نقد يوجَّهونه إلى قوم حَكَم ٥٠ لهم بالفعل والصَّلاح/ منذ القدم رجالاً لا يثُكُّر مقامهم، فيدَّعوا أنَّهم هم خير من هؤلاء القوم. هذا من العلم بأنَّك لن تجد أقوالاً أعظم ولا أسمى من أقوال القدامى في الرُّوحانيَّات، فهي ٥٥ قائمة على أسس علميَّة، وتسهَّل معرفتها على من لم يُغَوِّ الضَّلال المُتشر بين النَّاس. / وإنَّ ما أخذه أصحابنا فيما بعد من هؤلاء القدامى، إمَّا أخذه مع بعض زيادات ليس لها من سلامة الذَّوق نصيب، وذلك في التَّواحي التي أرادوا أن يُعارضوهم بها إذ أدخلوا في الرُّوحانيَّات أنواعاً من وجوه الكون والفساد، وأخذوا يتنفَّصون هذا العالم الكليَّ، ويدمِّون النَّفس على ٦٠ اجتماعها بالجسد، ويتقدِّدون مدبِّر عالمنا هذا،/ ويذهبون إلى أنَّ الصَّانع هو واحد مع النَّفس، وينسبون إليه من الانفعالات ما يلازم النَّفوس الجزئيَّة.

٧ لم يكن لهذا العالم بداية ولن يكون له نهاية، بل هو دائماً باقٍ ما دام عالم الرُّوح باقياً:

هَذَا قول سبق. ثُمَّ إِنَّا فِيمَا يَخْتَصُّ بِجَمْعِ نَفْسِنَا مَعَ الْجَسَدِ، لَقَدْ سَبَقْنَاهُمْ أَيْضًا إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ لَيْسَ خَيْرٌ مَا يُتِمَّتْ لِلنَّفْسِ. أَمَّا أَنْ نَسْتَدِلَّ بِوَضْعِ نَفْسِنَا لِنَحْكُمَ بِالْوِثْلِ عَلَى نَفْسِ الْعَالَمِ الْكَلِّيِّ، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَا يَكُونُ مِنْ / رَجُلٍ رَأَى طَبَقَةَ الْخَزَافِينَ وَالْحَدَّادِينَ فِي مَدِينَةٍ مُحْكَمَةٍ سِيَاسَتِهَا فَازْدَرَى بِالْمَدِينَةِ كُلِّهَا. بَلْ يَجِبُ أَنْ نُذَكِّرَ فَوَارِقَ النَّفْسِ الْكَلِّيَّةِ كَيْفَ تَسُوسُ أُمُورَهَا؛ فَإِنَّ الْأُسْلُوبَ لَيْسَ هُوَ، وَإِنَّهَا لَيْسَتْ مَقْيَدَةً. فَعِلَاوَةً عَلَى الْفَوَارِقِ الْآخَرَى الَّتِي ذَكَرْنَا فِي مَكَانِهِ عَدَدٌ لَا حَصَرَ لَهُ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُوْخَذَ هَذَا الْفَرْقُ أَيْضًا بَعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ، وَهُوَ أَنَّا نَحْنُ مَقْيَدُونَ / بِالْجَسَدِ، وَأَنَّ هَذَا التَّقْيِيدَ إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ رَاهِنٌ. ذَلِكَ لِأَنَّ الْجِسْمَ الْمَقْيَدَ طَبْعًا بِالنَّفْسِ الْكَلِّيَّةِ يَقْيِدُ هُوَ أَيْضًا بِدَوْرِهِ كُلِّ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ؛ أَمَّا نَفْسُ الْكُلِّ ذَاتُهَا فَلَيْسَتْ مَقْيَدَةً بِمَا هُوَ مَقْيَدٌ بِهَا؛ إِنَّهَا صَاحِبَةُ الْأَمْرِ.

وَلِذَلِكَ لَا يَنَالُهَا مِنْ قِبَلِ الْأُمُورِ انْفِعَالٌ، فِي حِينَ أَنَّا لَسْنَا، نَحْنُ، أَرْبَابُ الْأُمُورِ؛ فَمِنْ / حَيْثُ أَنَّهَا مَوْجَّهَةٌ إِلَى الرَّبَّائِيَّاتِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى تَبْقَى فِي صِفَاتِهَا لَا يُسْكِكُهَا عَنْ عَمَلِهَا مِمْسِكٌ، وَمِنْ حَيْثُ أَنَّهَا تَمُدُّ الْجِسْمَ بِالْحَيَاةِ لَا تَتَلَقَّى مِنْ ذَلِكَ الْجِسْمِ شَيْئًا. ذَلِكَ لِأَنَّهُ، بِوَجْهِ عَامٍّ، إِذَا تَأَثَّرَ الشَّيْءُ بِشَيْءٍ آخَرَ تَلَقَّى حَتْمًا مَا كَانَ فِي هَذَا الْآخَرِ، أَمَّا هُوَ فَلَا يَمُدُّ مِنْ ذَاتِهِ ذَلِكَ الْآخَرَ بِشَيْءٍ مَا دَامَ لِذَلِكَ الْآخَرِ حَيَاتُهُ الْخَاصَّةُ؛ مِثْلُ ذَلِكَ كَمِثْلِ مَا رُجِّبَ بِهِ / مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ، فَإِذَا انْفَعَلَتِ الشَّجَرَةُ الَّتِي رُجِّبَتْ انْفَعَلَ هُوَ مَعَهَا، وَلَكِنْ إِذَا يُوسُّ هُوَ خَلَّى بَيْنَ الشَّجَرَةِ وَبَيْنَ أَنْ تَكُونَ ثَابِتَةً فِي حَيَاتِهَا الْخَاصَّةِ. فَإِذَا انْطَفَأَتِ النَّارُ الَّتِي فِيكَ، لَمْ تَكُنِ النَّارُ لِنَتْفِئِ كُلِّهَا؛ وَأَيْضًا لَوْ تَلَقَّتِ النَّارُ كُلِّهَا، لَمْ تَكُنِ النَّفْسُ فِي عَلَيَّاتِهَا لثُصَابَ بِشَيْءٍ، بَلِ الْجِسْمُ فِي بَنِيَّتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي الْإِمْكَانِ / أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْبَوَاقِي عَالَمٌ مَا، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِيَهْمِ النَّفْسُ فِي عَلَيَّاتِهَا. ثُمَّ إِنَّ الْجِهَازَ لَيْسَ مَعَ الْعَالَمِ الْكَلِّيِّ مِثْلَمَا هُوَ مَعَ الْحَيَوَانَ الْفَرْدِيِّ: فَإِنَّهُ هُنَاكَ كَأَنَّهُ مُشْرِفٌ فَيَفْرَضُ الْبَقَاءَ، أَمَّا هُنَا فَالْأُمُورُ عَلَى وَضْعِ التَّشَرُّدِ لَا بَدْلَ لَهَا مِنْ قِيْدٍ ثَانٍ لَتُحْفَظَ فِي انْتِظَامِهَا؛ أَمَّا هُنَاكَ فَلَا مَجَالَ لِلتَّشَرُّدِ. / لَا حَاجَةَ إِلَى مَا يَضْمَنُ التَّمَّاسُكَ مِنَ الْبَاطِنِ إِذَا، وَلَا إِلَى ضَغْطٍ مِنَ الْخَارِجِ يَدْفَعُ بِهِ إِلَى الْبَاطِنِ، بَلْ يَبْقَى الشَّيْءُ حَيْثُ أَرَادَتْهُ طَبِيعَةُ الْبَنِيَّةِ فِي بَادِي الْأَمْرِ. فَإِذَا تَحَرَّكَ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَفَقًّا لِلْبَنِيَّةِ، دَفَعَ قَسْرًا تِلْكَ الَّتِي لَا تَنْسَجِمُ مَعَ الْبَنِيَّةِ فَتُسِيرُ مَعًا فِي تَحَرُّكِ مُتَسَاوِقٍ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْكُلِّ؛ أَمَّا مَا لَا يَقْوَى عَلَى أَنْ يَطْبِقَ نِظَامَ الْكُلِّ، / فَهُوَ لَا مَحَالَةَ هَالِكٌ، وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ قَوْمٍ قَامُوا لِرَقْصِهِمْ فَبَوَّغَتْ سِلْحَفَاةٌ فِي وَسْطِهِمْ، فَإِنَّهَا تُدَاسُ بِالْأَقْدَامِ لِعَجْزِهَا عَنِ الْفِرَارِ مِنْ حَلْقَةِ الرَّاغِبِينَ، إِلَّا إِذَا انْسَجَمَتْ مَعَهُمْ، فَلَنْ يَنَالَهَا مِنْهُمْ ضَرَرٌ.

٨ إِنِ السَّوَالُ «لِمَاذَا صَنَعَتِ النَّفْسُ الْعَالَمَ» عَائِدٌ إِلَى السَّوَالِ «لِمَاذَا كَانَتِ النَّفْسُ، وَلِمَاذَا صَنَعَ الصَّانِعُ؟» وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُمْ يَفْتَرِضُونَ بَدَايَةَ لِمَا هُوَ دَائِمًا، وَيَعْنِي أَيْضًا أَنَّهُمْ يَتَصَوَّرُونَ الصَّانِعَ مُتَحَوِّلًا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، فَيُصْبِحُ بَعْدَ تَغْيِيرِهِ سَبَبًا لِلصَّنْعِ. فَيَجِبُ أَنْ يَلْقَنُوا إِذَا، إِذَا

٥. تقبلوا ذلك عن رضى، / ما هي طبيعة الأمور بحيث يكفون عن شتم المقدسات الذي سرعان ما يستسلمون إليه بدلاً من أن يلتزموا الأدب الجَمّ الذي يفرضه الذوق في هذا المقام. علاوة على أنه ليس في سياسة الكون ما يُسوِّغ لأحد نقدها إذ أن أول ما تدلّ عليه هو عظمة الحقائق الروحانية. فإنّ ذلك الكلّ إذا دخل الحياة كذلك وهو ليس ذا حياة متفكّكة - (مثلاً هو الأمر/ في الأحياء الحفيرة الشّان فيه التي تتولّد ليلاً نهاراً عن فيضان الحياة لديه) - بل كانت حياته حياة مُسترسلة، واضحة الخطوط والمعالِم يتّسع حضورها إلى كلّ ناحية،

١٥ مُسفرة عن حكمة لا يُدرّك غورها، فكيف لا نقول عنه أنّه حقّاً تمثال/ بارز رائع للأرباب الروحانيين؟ وإذا كان مُحاكياً المملأ الأعلى، فإنّه ليس ذلك المملأ، وهو كذلك طبعاً وإلا لما كان فيما بعد مُحاكياً. وباطل أن يُقال أنّه محاكاة غير صادقة؛ فإنّه لم يُهمَل فيه شيء ممّا يمكن أن يتمّ ويكون في أحسن رسم أحسنت الطّبيعة صنعه. ذلك لأنّه من الواجب حتّى ألا تكون هذه

٢٠ المحاكاة/ إخراج الفكر والصّناعة؛ فإنّ الرّوحانيّ لا يجوز أن يكون في طرف ليس بعده طرف فلا بدّ من أن يكون له عمل مُضاعف: عمَل في ذاته، وعمَل على غيره. ومن ثمّ لا بدّ من شيء يتأخّر عنه؛ فلو كان وحده لما وجد بعد ذلك ما يولّي بوجهه إلى عالم السّفَل، ولهذا/ أشدّ المُستحيالات استحالة. فإنّ في عالم الرّوح قوّة غريبة تجول، فلا غرو إنّ تمّ له أن يحقق أعماله. فإن يكنّ أفضل، من عالمنا عالم آخر، فما عساه يكون؟ أمّا إذا كان لا بدّ من عالم، وليس من عالم غير عالمنا، فإنّ عالمنا هذا هو الذي يحفظ فيه محاكاة المملأ الأعلى.

٣٠ فهذه الأرض كلّها حافلة بالحيوان/ على اختلاف أنواعه؛ وهذا العالم كلّهُ والسّماء معه، حافل بالكائنات الخالدات؛ ثمّ الكواكب، ما منها في الأفلاك الدّانية، وما منها في السّماوات العالية، لماذا لا تكون أرباباً وهي تتحرّك بتساوقٍ وتدور بانتظام؟ لماذا لا تكون قائمة في الاعتدال أو ما الذي يمنعها من اكتسابه؟ فإنّه ليس في السّماء ما يبعث على الشّرّ كما أنّ

٣٥ الأمر هنا، وليس في الأجسام هناك نقص يعكّر فيها أو يجعلها/ ممسكة عن العمل. ثمّ إنّها في صفاتها الدّائم، لماذا لا تدرك وتتلقّى في الرّوح الرّبّ الأكبر والأرباب الرّوحانيّة الأخرى، ثمّ يُعترف لنا نحن بحكمة تفوق فضلاً حكمة من يقوم هنالك؟ ومن ذا الذي يُسلم بذلك إلّا إذا

٤٠ خرج عن طوره؟ ثمّ إنّ القُوس إذا أرغمتها نفس العالم الكلّيّ فجاءت إلى عالمنا، فكيف/ تفضّل على ما هنالك وهي مُرغمة؟ فإنّ الفضل في القُوس للنفس التي تمّ لها من دونها حقّ السّيادة. وإذا أتيتم إلى هذا العالم عن رضى، فما بالكمّ تدمون عالماً قديمتم إليه طوعاً وهو يتيح الانسحاب لمن لم يرقّه المقام فيه. أمّا إذا كان هذا العالم الكلّيّ بحيث تَسطيع ونحن فيه أن

٤٥ نكفل لذواتنا الحكمة وأن نحيا هنا حياة مُنسجمة مع «ما هنالك»، فكيف لا/ يكون بذلك شاهداً على أنّه متعلّق بالمملأ الأعلى؟

٩ أما إذا شكوا أحدهم أمر المال والفاقة وأن المساواة ليست في مثل هذه الأمور، فإنه يجهل أولاً أن المجتهد لا يطلب المساواة في مثل تلك الأمور، كما أنه لا يعترف بالفضل للأغنياء ولا يقدم أصحاب السلطان على أفراد الناس، بل يدع لغيره هماً مثل هذا الهم. / وهو آنذاك في حال من علم أن للحياة في هذا العالم مقامين، مقام المجتهدين، ومقام سواد الناس؛ أما حياة الحكماء فموجهة إلى الملاء الأعلى وعالم الروح، وأما العوام، فهم أيضاً فئتان، فئة لا تزال تذكر الاعتدال، فتصيب شيئاً من الخير، ثم فئة الدَّهماء، كالمحترف / الذي يؤمن ضروريات العيش لأهل الفضل والصَّلاح. أما إذا قتل قاتل أو انقاد أحدهم للذات لعجزه عن مقاومتها، فهل في ذلك غرابة؟ ولماذا الغرابة في الذنوب إذا وُجدت، وهي ليست من الروح، بل من القوس التي لا تزال في حال الصَّيبة الذين لمَّا يبلغوا؟ وإذا كانت الحياة صراعاً فيه الغالب والمغلوب، فكيف لا يقوم بذلك حسن الحال؟ وإذا سلفت إساءة /، فأين الخطر على ما لا يموت؟ وإذا قتلك قاتل، فإنك حاصل على ما تريد. وإن كنت تشكو من حالك في هذا العالم، فلم يُحكم عليك بأن تبقى مقيماً فيه. علاوة على أن الناس مجمعون على أن في هذا العالم ثواباً وعقاباً. فأين الصَّواب في ذم بلدة يُعطى فيها لكل حقّه؟ فالعدل فيها مكرم، والزُّذيلة مردودة بما هي أهل له من الاحتقار، / ولسنا نرى تماثيل الآلهة فقط، بل إنهم أيضاً يسيرون بأنفسهم الأمور من عل، «فيسهل عليهم أن يأمنوا اتِّهام الناس» فيما يقولون، إذ أنهم يسوقون كل شيء بنظام منذ البداية حتى النهاية، فيكفلون لكل فرد المصير الذي يليق به والذي يترتب على أطوار حياته السابقة بنحو ما تقتضي ما مرَّ به من وجوه الحياة على اختلاف مراحلها؛ ومن يجهل ذلك كان أشدَّ الناس بلاءة حسَّ وجهالة نفس فيما يتعلّق بالمعاملات الرُّبانيّة. / لا شك في أنه يجب على المرء أن يحاول إدراك ما يمكن إدراكه من الفضل، ولكن بدون أن يعتقد أنه هو الوحيد الذي يستطيع أن يكون فاضلاً - إذ أنه بذلك يُصبح قاصراً عن إدراك الفضل - بل يعتقد أن الفضل عند غيره أيضاً من الناس، كما أنه عند الجنّ، وأنه بخاصّة عند هؤلاء الأرباب / المُقيمين في هذا العالم المحذّقين إلى العالم الأعلى، يتقدّمهم جميعهم صاحب الأمر في هذا العالم الكلّي، أعني النفس القائمة في السعادة الفارقة. ومنها نطلق الآن لتمدح الأرباب الرُّوحانيّين وقد يحلّق فوقهم جميعاً المَلِك الأكبر هنالك، الذي يجعل من كثرة الأرباب دلالة خاصّة على عظمتهم؛ / فليس الوجه في أن يُخصّر الكلّ في الواحد، بل أن تظهر الرُّبوبيّة في الكثرة، على نحو ما أظهرها هو: لهذا هو اعتقاد من عرفوا الرّب، إذ أنه يبقى في ما هو عليه، ويخرج مع ذلك كثرة الأرباب الذين يرتبطون به والذين لم يكونوا إلّا به ومنه. وإن عالمنا هذا هو أيضاً به ومنه، وهو يحدّق إلى الملاء الأعلى (أعني العالم من حيث أنه كلّ /، وكلّ ربّ من أربابه) فيبلغ الناس تنبؤاً وكشفاً من وراء الغيب ما فيه رضوان أهل الملاء الأعلى.

وإذا لم تكن تلك الأمور ما هو ذلك الملك الأكبر عليه ، فإنَّ ذلك هو حكم الطَّبيعة الرَّاهن . أما إذا كنت تريد أن تأتي تلك الأمور من علٍ ، وترى أنَّك لست دونها مقامًا ، فاذكر أولاً أنَّ الفاضل ٤٥ فاضل بقدر ما أنَّه يُلطَّفُ بالأشياء كلّها وبالنَّاس أيضًا ؛ ثمَّ إنَّه يجب / علينا أن نعتبر أنفسنا بلباقة لا فظاظة فيها فنسترسل في ذلك إلى الحدِّ الَّذي نَسْتَطِيعُ بفطرتنا أن نُدرِكه في الاسترسال ؛ فنعتقد أنَّ لغيرنا أيضًا مُتَسَعًا قرب الرَّبِّ ، فلا ننتظم وحدنا وراءه كأننا نَسْتَسَلِمُ إلى الأحلام ٥٠ فنحرم أنفسنا من أن تتحوَّلَ ربانِيًّا إلى الرَّبِّ بالقدر الَّذي يُتاحُ لنفس الإنسان ، / وهي قادرة على أن تحصل من ذلك بالقدر الَّذي يسوقها الرُّوح إليه ، وكلَّ ما تجاوز الرُّوح من هذا القبيل إنّما يقع خارج الرُّوح . إنَّ أناسًا لا عقل لهم يحملون على هذا الاعتقاد إذا فوجئوا بسماع كلام من التَّوعِ التَّالي : « ستكون من الأمور أَفضَلُها ، ليس في عالم الأنس فقط ، بل في عالم الأرباب ٥٥ أيضًا » . فالجهل عظيم الانتشار بين النَّاسِ ؛ / وإذا كان الرَّجل ، وضيئًا في أوَّلِ أمره ، قليل ذات اليد وهو من أفراد السَّوْقَةِ ، ثمَّ نسمع ما يلي : « إذا كنت أنت ابن الله ، وليس الآخرون الَّذين تُعجَبُ بهم أبناء الله ، حتَّى الأمور ذاتها الَّتِي أصبحت محطَّ الإجلال بتقليد السَّلف ، فإنَّك أنت خير من السَّماء ذاتها ، بدون جهد منك » . أفيصِفُ بعد ذلك الآخرون استحسانًا؟ مثل ذلك كمثَّل ٦٠ رجل بين جمهور من النَّاسِ يجهلون الحساب ويجهله هو أيضًا ، / فسمع أن طوله ألف ذراع ، فما عسى أن يكون من أمره فيما لو اعتقد أنَّ طوله ألف ذراع وهو يسمع أن طول كلِّ من الآخرين خمسة أذرع؟ ليس أكثر من أنَّه يتَحَيَّلُ أنَّ الألف عدد في مُنتهى الضَّخامة . هُذا علاوة على أنَّه إذا ٦٥ كان الله يَشمَلُكم بعنانيته ، فلماذا يُهمَلُ العالم الكَلِّي الَّذي أنتم فيه؟ فإذا قيل / : « أنَّه لا يتسنى له أن ينظر إلى هُذا العالم ولا يجوز له أن ينظر إلى عالم السَّفل » ، قلنا : إذا كان ينظر إليكم ، لماذا لا يكون ناظرًا إلى ما هو خارج عنه ، وهو كذلك إذا نظر إلى العالم الَّذي أنتم فيه؟ أما إذا قيل : « أنَّه لا ينظر إلى ما هو خارج عنه ، بحيث أنَّه لا يُشرف على تدبير العالم » ، فنقول : « أنَّه لا ينظر ٧٠ إليكم أيضًا » . فيقال : « لكنَّ النَّاسَ ليسوا بحاجة إليه » ، فنقول : « بل إنَّ العالم في حاجة إليه » ، / فيعرف العالم حينذاك نظامه الخاصَّ ، ويعرف المقيمين فيه كيف أنهم منه وكيف أنهم من الملاء الأعلى ، ويعرف من هم أولياء الله بين النَّاسِ ، هؤلاء الَّذين يصبرون على ما يتأتَّى من الكلِّ إذا طرأ عليهم ما لا مردُّ له من حركة الكلِّ ؛ ذلك لأنَّ ما ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار ليس ما يروق الأفراد فردًا فردًا ، بل ما هو من صالح الكلِّ ، فيكرِّم كلَّ شيء بحسب ما هو أهلُّ له ، ويوجِّه ٧٥ السَّعي / دائمًا إلى ما تسعى إليه الأشياء كلّها في حدود إمكانها (فإنَّ الكثير من الأشياء يسعى إلى الملاء الأعلى ، بل كلّها ، فمنها ما يكون ناجحًا في سعيه وهو سعيد ، ومنها ما يُصيب على قدر إمكانه المصير اللائق به) . ولا يُعطى ذلك الأماكن لكلِّ على حياله ؛ فإنَّ المرء إذا تباهى بأنَّ ٨٠ لديه شيئًا ، ليس يعني ذلك أنَّ لديه ما يتباهى به ، / بل ما أكثر الَّذين يعلمون أن ليس لديهم شيء

ويدعون مع ذلك بأن لديهم شيئاً، ثم إنهم يتخيلون أنهم حصلوا على شيء ولم يحصلوا، وأنهم حاصلون وحدهم على ما ليسوا وحدهم حاصلين عليه.

١٠ [] إن من يُمعِنُ النظر في كثير من نواحي مذهبهم الأخرى، لا بل في تلك النواحي كلها، يجد مادة واسعة لثبوت ذلك المذهب كيف هو أصلاً. وإنني ليعتريني شيء من الخجل إذ أذكر بعض أصحابنا الذين كانوا قد ألّموا بجانب من ذلك المذهب قبل أن يصبحوا أصحابنا، ولست أدري لماذا بقوا عليه. وإنهم مع ذلك لا يترددون/ - وهم يريدون أن يضيفوا على آرائهم مظاهر الصحة الجديرة بالاعتقاد، أو أنهم يعتقدونها كذلك حقاً - فيقولون ما يقولون؛ أما نحن فإن كلامنا هنا موجه إلى خلّائنا الأوفياء، لا إلى هؤلاء القوم (لأنه لن يزيدهم اقتناعاً) حتى لا تشوش قلوبهم أمام خصوم لا يأتون بالأدلة/ (وأتى لهم ذلك) بل يتبحّجون بما ليس لديهم؛ على أن ثمة وجهاً آخر في القول إليه يعمد من كتب لبرء على هؤلاء الذين تجرّؤوا فاستهزؤوا من أقوال القدامى والزبائين، وهي نعم الأقوال أدركوا بها عين الصواب. فالواجب أن ندع إذاً لهذا البحث جانباً، إذ أن في ما سبق ذكره كفاية للذين/ فهموه فهمًا دقيقًا حتى يعرفوا أيضًا ما هي حقيقة تلك الآراء كلها؛ على أنه لا بدّ من الإتيان على ذكر قول فاق كلّ أقوالهم حمقًا إذا جاز لنا أن نسمي ذلك حمقًا. يدعون إذاً أن النفس مالت بوجهها إلى عالم السفّل مع نوع من الحكمة، ٢٠ سواءً أكان ذلك مبادرة من النفس ذاتها، أو أن تلك الحكمة/ كانت هي السبب، أو لأنهم يعنون بالنفس والحكمة شيئاً واحداً؛ ثم إن النفوس الأخرى، فيما يقولون أيضاً، هوّت كلها معاً بمعنى أنها أبعاض للحكمة فاتخذت الأجساد لبوساً لها، ومنها أجساد الأنس مثلاً؛ أمّا النفس التي من أجلها هبطت النفوس، فيدعون أنها لم تهبط، كأنها لم تمل بوجهها نحو عالم السفّل، ٢٥ بل اكتفت بأن تشع في/ الظلام، فكان من ذلك أثر في الهيولى. ثم يجعلون أثراً لذلك الأثر في ناحية من نواحي عالمانا حدث بوساطة الهيولى أو «الهيولية»، أو شيء آخر مهما يكن الاسم الذي يريدونه له (فإنهم يدعون أن هذه شيء وتلك شيء آخر، ويذكرون أسماء أخرى كثيرة لما يدعونه، قصد اللبس والتمويه) فيولدون ما يُعرف عندهم بالصانع. / فيجعلونه يتباعد عن أمّه، ويدعون أن العالم منه حتى آخر أثر من الآثار التي تكوّنه عالماً.

١١ [] وأوّلًا إذا لم تنزل النفس، بل أُنعت في الظلام، فأين الصواب في القول بأنها مالت بوجهها نحو عالم السفّل؟ فإذا سرى منها شيء مثل الثور، فلا يليق بأن يقال أنها مالت فعلاً بوجهها نحو عالم السفّل؛ إلّا إذا كان شيء ما قائماً في ناحية من نواحي عالم السفّل، فأقبلت إليه هي بحركة مكانية، واقتربت منه فأنارت به. / وإذا بقيت في ذاتها وأشعت وهي لم تأت بعمل

موجّه إلى ذلك، فلماذا تشعّ هي وحدها، ولا تفعل ما هو أقوى منها في عالم الأعيان؟ وإذا أصبحت قادرة على الإشعاع عندما تُلْقَت صورة العالم المعنوية وانطلاقاً من هذه الصورة، فلماذا لم تصنع العالم حالماً أشعّت، بل بقيت تنتظر/ تولّد الآثار؟ ثم إنّ الصورة المعنوية صورة العالم، «أرض الغربة» على حدّ قولهم، التي أحدثتها القوى الفارقة، فيما يدعونه أيضاً، أقول: إنّ هذه الصورة لم تجرّ صانعها إلى الميل بوجهه نحو عالم السفّل. وأيضاً كيف تصنّع الهیولی، إذا نُورّت، آثاراً ذات نفوس، ولا تصنّع بالأحرى أجساداً؟ فإنّ أثر التّقسّ ليس/ في حاجة إلى الظّلّة أو إلى الهیولی، بل إنّ عند حدوثه، إذا حدث، يتبع صانعه ويبقى مرتبطاً به. وأيضاً هل هذا الأثر ذات عين أم هو، كما يقولون، معنى ذهني؟ فإذا كان عيناً، فما الفرق بينه وبين ما جاء منه؟ أما إذا كان نفساً من نوع آخر، وكانت التّفسّ الأصلية ناطقة، فربّما كان هو التّفسّ النامية أو المولّدة؛/ وإذا كان ذلك كذلك فكيف يكون الصّانع قد صنع «حتى يحظى بالإكرام» مدفوعاً «بالفحة والتّجّح»؟ فإنّ في ذلك نفياً مطلقاً للصّنع عن طريق التّصوّر وناهيك به نفياً للتّفكير. فما الحاجة بعد ذلك إلى صانع يصنّع من هیولی وأثر؟ أمّا إذا كان الأثر معنوّ ٢٥ ذهنيّاً، فيجب أوّلاً أن يُدَلّ على هذا الإسم من أين أخذ؛ ثمّ كيف/ يكون معنوّ ذهنيّاً، ما لم يُعترف للمعنى الذهنيّ بالقدرة على الصّنع؟ بل إنّنا نسلّم بهذا التّوهّم قرّضاً، فكيف يتمّ الصّنع؟ يقولون يكون هذا الأثر أوّلاً ثمّ يليه ذلك؛ ولكنّه قول ينبعث عن تحكّم ليس أكثر. فلماذا تكون التّار هي الأولى؟

١٢] ثمّ إنّ هذا الأثر إذا حدث، كيف ينصرف إلى الصّنع؟ أبأنّ يذكر الأمور التي رآها؟ ولكنّه لم يكن موجوداً حتّى يرى، لا هو ولا الأم التي يجعلونها له. ثمّ كيف نستغرب ما يلي: لقد يذهبون من ناحية إلى أنّهم هم بدواتهم ليسوا آثار نفوس جاءت هنا إلى هذا العالم، بل هم نفوس حقّاً، ومع ذلك بكاد/ لا يتمّ لواحد أو اثنين منهم إذا أجهد ذاته، أن ينسحب من هذا العالم ويصل إلى التّدكّر فيدرك بالجهد استحضار الأشياء التي رآوها في ما مضى؛ ثمّ يكون هذا الأثر فيتمّ له، ولو بغموض كما يقولون، أن يتصوّر ذاته تلك الأمور الرّوحانية، هو أو أمّه وهي أثر هيولانيّ، وليس يتمّ له فقط أن يتصوّر في ذاته/ الأمور الرّوحانية وأن ينفذ إلى حقيقة هذا العالم وحقيقة العالم الأعلى، بل أن يدرك أيضاً الأصول التي يتكوّن هذا العالم منها؟ ما الذي دفعه إلى أن يصنع التّار أوّلاً؟ لأنّه رأى أنّها لا بدّ منها أوّلاً؟ فلماذا لم يكن كذلك شيء غير التّار؟ بل إذا قدر على صنع التّار بعد أن وجّدها في ذاته، فلماذا لم يتصوّر العالم (فإنّ ما ينبغي ١٥ أن يتصوّرهُ أوّلاً هو الكلّ)/ ولم يصنع (العالم) دفعة واحدة؟ ذلك لأنّ وجدانه للعالم ينطوي على المعاني الجزئية التي يتألّف منها العالم. فإنّ الصّنع أقرب إلى عمل الطّبيعة، وليس مثل

نتاج الصناعات إذ أن الصناعات بعد الطبيعة وبعد العالم . والآن أيضًا، فإن ما يتولد جزئيًا من العوامل الطبيعية لا يتولد بأن تكون الثار أولًا ثم شيء فردي آخر ثم يتم الجمع بين كل ذلك، بل ٢٠ بأن ينطبع/ في أحشاء الأم تصميم الحيوان كله وتخطيطه . فلماذا لا يتم الأمر نفسه في عمل الأثر فتخطط الهيولى بمعالم العالم، فتتطوي تلك المعالم على الأرض والثار والأشياء الأخرى؟ بل لعلمهم كذلك صنعوا العالم إذ أنهم بأن يكون لكل منهم نفس أخرى وأولى من ٢٥ أن تكون لذلك الأثر؛ أمّا هو فما كان ليفهم الصنع كذلك . بيد أن العلم السابق/ بعضهم السماء، بل بأنّها في قدرها المحدود، والعلم السابق بانحناء بروج الأفلاك وبحركة ما تحت السماء، وبأن الأرض كذلك هي، مع استطاعة ذكر الأسباب التي أدت إلى أن تكون الأشياء في ما هي عليه، أقول: إن ذلك كله ليس من أثر، إنما هو حتمًا من قوة تستمد من خير الأمور ٣٠ أصلها وكيانها؛ وهذا أمر يسلمون به هم أنفسهم مكرهين . / ذلك لأنّ «الإشعاع في الظلام»، إذا أُمعن النظر فيه، يجعلهم يعترفون بأسباب العالم الصحيحة. ولعمري، لماذا ينبغي الإشعاع، لو لم يكن أمرًا لا بدّ منه مطلقًا؟ وهي ضرورة توافق الطبيعة أو تُنافيها. فإذا كانت وفقًا للطبيعة، فالوضع كذلك دائمًا؛ أمّا إذا كانت ضدّ الطبيعة، فإنّ في الملاء الأعلى ما يُنافي ٣٥ الطبيعة، وكان الشرّ قبل هذا/ العالم فليس هذا العالم سبب الشرّ، بل كان ما هنالك هو السبب للشرّ هنا، فلا يأتي الشرّ إلى النفس من هذا العالم، بل من النفس إلى هذا العالم؛ ويؤدي المذهب إلى الارتقاء بهذا العالم إلى ملأ الأرائل. وإذا كان ذلك كذلك، صحّ القول على الهيولى أيضًا إذ أن هذا العالم منها خرج وبها ظهر. ذلك لأنّ النفس التي ولّت بوجهها إلى عالم ٤٠ السفّل رأت الظلام وهو حاضر، فيما يقولون، وأشعت فيه. / فمن أين هذا الظلام؟ فإذا قالوا أنّ النفس أحدثته إذ مالت بوجهها نحو عالم السفّل، فواضح أنّه لم تكن جهة تولّي إليها النفس بوجهها، ومن ثمّ لم يكن الظلام سببًا لذلك الميل، بل كان السبب فطرة النفس ذاتها. ولهذا يعود إلى تحليل كلّ ذلك بالاحتمالات السابقة الوجود، أعني إلى القول بأنّ سبب الشرور هي الأمور الأوائل.

١٣ إن من يذمّ العالم في ما هو عليه إذا، لا يدري ماذا يفعل ولا إلى أين تؤدي به جزأته . ذلك لأنّه يجهل الترتيب الذي يربط بعض الأمور ببعض، ما يكون منها في المقام الأول ثم الثاني ثم الثالث وهكذا أبدًا حتّى أواخرها، فيجب ألاّ نلقي الشتم على ما كان دون الأوّليات ٥ مقامًا بل نرضى عن الأشياء/ كلّها بما هي عليه، ونرتقي نحن إلى الأوّليات، ونكتف عن تلك الأراجيف من المخاوف التي يتصوّرونها محيطة بالنفس في أفلاك العالم وهي جميعًا، في الواقع، تُضجر الخير لنا. وما عسى أن يكون من مخاوف بحيث أنّها تُريح من لم يُلْمُوا بالإحكام

١٠ بحقائق الأمور ولم يسمعوا قط بالمعرفة العلمية المُحَكَّمة الأصول؟/ ذلك لأنه، إذا كانت أجسامها نارية، يجب ألا يخاف منها ما دامت على توافق مع الكل ومع الأرض، بل الأولى أن يوجه النظر إلى نفوسها إذ أن خصومنا يرون أنهم بنفوسهم أهل للإجلال والإكرام. على أن أجسام الأفلاك ذاتها - فائقة العظم والحسن تساهم/ مع الطبيعة وتعاونها في محدثاتها التي ما تزال تنشأ ما دامت الأمور الأولية ثابتة، فيكتمل الكل بتلك الأجسام وهي فيه أجزاء العظمى. وإذا كان عالم الأنس أشرف ما في عالم الحيوان، فناهيك بالشرف العظيم الذي تلك الأفلاك القائمة في الكل لا لتتحكم فيه ظلمًا بل لتخلع عليه التناسب والنظام. أما ما يقال/ عنه إنه يحدث من تلك الأمور فإثما هو في اعتقادنا دلائل على المستقبلات، فيعلل الاختلاف الواقع بين الحوادث بالإتفاقات والمصادفات (لأنه ليس من الممكن أن تقع حول كل فرد من الأفراد قرائن واحدة لا تتغير) أو بالظروف التي تمت أثناءها، أو ببعد المسافة بين المناطق التي وقعت فيها، أو بأحوال النفوس. لهذا وإنه يجب ألا يفترضوا الصلاح/ عند الناس كلهم ثم يبادرون إلى الشكوى لأن ذلك أمر مستحيل، علاوة على أنهم لا يرون فرقًا بين عالمنا وعالم الملائكة الأعلى، ويعتقدون أن الشر ليس إلا قصر باع عن التقطن الكامل، وهو الخير وقد أدركه التقصان ولا يزال ماضيًا في التقصان شيئًا فشيئًا؛ فمثل ذلك كمثل من يدعي أن الطبيعة الجامدة شر لأنها ليست قوة حسية،/ وأن الإحساس شر لأنه ليس العقل. وإلا لأكرهوا على القول أيضًا بأن في الملائكة الأعلى شروًا إذ أن النفس هنالك بعد الروح، والروح بعد شيء آخر.

١٤ هذا وإنهم، من وجه آخر، في مقدمة من يُغالي بنفي الصفاء عن الروحانيات في الملائكة الأعلى. فإنهم عندما يُلققون الرقي ويصفونها بأنها موجهة إلى تلك الأمور، وليس إلى النفس فقط، بل إلى فوقها أيضًا، فإن ما هم إليه إنما هو توعية لها وسحر عليها واستدعاء لها، يزعمون من ورائه إخضاع العلويات لأقوالهم/ وسوقها بتلك الأقوال إذا ما تم لهم أن يتقنوا استخدام كل ذلك من غناء وصراخ وتنفس وصفير في الصوت إلى ما سواها من الجيل التي توصف بأنها تسحر الأمور العلوية. وإذا كانوا لا يعنون ذلك بما يقولون، فكيف تؤخذ اللاجسديات بالأصوات؟ ومن ثم يجرّدون الأمور العلوية من كل وقار إذ يلجؤون إلى تلك السبل ليجعلوا أقوالهم تظهر على جانب أقوى/ من الرصانة، وهم عن ذلك غافلون. أما إذا قالوا أنهم يطهّرون أنفسهم من الأمراض، فينعم القول قولهم ما داموا يدعون ذلك عن طريق التعقّف والاعتدال في المأكل والمشرب، وهو قول الفلاسفة أيضًا. بيد أنهم يُشخصون الأمراض ويتصوّرونها كائنات شيطانية، فيدعون لأنفسهم القدرة على طردها بالرقي ويندبون/ أنفسهم لذلك، فيحظون بالمهابة لدى العوام الذين يؤخذون بقوة السحرة، ولكنهم لن يقنعوا ذوي

العقل السليم بأن ليس للأمراض أسبابها من تعب وامتلاء وفراغ وفساد، وإجمالاً من تغيرات
 ٢٠ تُرَدُّ أصولها إلى الظواهر أو البواطن مثلاً. / وَتَدُلُّ على ذلك معالجة الأمراض. فإذا أسهل إسهال
 أو أخذ دواء سقط الداء وخرج، وهكذا أيضاً فيما لا لو افْتُصِدَ عرق من عروق البدن، كما أنَّ
 الصَّوم أيضاً يَشْفِي. أفَيُكون الشَّيْطان قد جاع أو الدَّواء قد نَجَعَ فيخْتَفِي الشَّيْطان بأن يخرج أحياناً
 ٢٥ أو يبقى داخل الجسد؟ / وإذا بقي فكيف يكون في باطن الإنسان، ولا يبقى الإنسان مريضاً؟
 وإذا خرج فلماذا؟ وما الذي أصابه؟ يُقال: لأنَّ المرض كان يغذِّيه. فنقول: فإنَّ المرض يَخْتَلِفُ
 عن الشَّيْطان إذاً. ثمَّ إذا دخل الشَّيْطان، ولم يكن في الجسد سبب للمرض، فلماذا لا يكون
 ٣٠ الإنسان مريضاً دائماً؟ وإذا كان سبب المرض في الجسد، فما الحاجة إلى الشَّيْطان لتعليل/
 المرض؟ فإنَّ السَّبب كافٍ لإحداث الحُمَّى. فمن السَّفه أن يُقال بأنَّه إذا كان السَّبب، حضر معه
 الشَّيْطان على الفور وهو في حال التَّأَثُّب، كأنَّه واقف إلى جانبه لمُساعدته. لقد اتَّضح الآن إذاً
 ٣٥ ماذا يعنون بأقوالهم وما هو قصدهم منها. / وهذا هو السَّبب (وليس أقلُّ منه) الَّذي دفعنا إلى
 ذكر تلك الشياطين. أما الباقي فإِنِّي أدعُكم لكم لتطالعوه وتمنعوا النَظَرَ فيه فتبتَّيْنوا حيثما اتَّجهتم
 كيف أنَّ نوع الفلسفة الَّذي نذهب إليه، علاوة على كَلِّ ما فيه من المحاسن الأخرى الَّتِي يمتاز
 ٤٠ بها، إنَّما يمتاز خاصَّةً بدمائه الخلق وصفاء الفكر، بطلب الرِّزْانة/ ولا بطلب الغطرسة، فيه
 الجرأة ولَكِنها جرأة مقرونة بالعقل واليقين القوي والتَّبرُّي والتَّبَصُّر في مُنتهاه؛ أمَّا المحاسن
 الأخرى فتعرفونها بالقياس إلى ما ذُكِر. هذا وإنَّ ما وَرَدَ عندهم هو وما لدينا على طرفي نقيض
 ٥٠ في كَلِّ شيء، ولا حاجة إلى مزيد قط؛ فكذلك يليق بنا أن نقول فيهم. /

١٥ ولكنَّ الأمر الَّذي يجب بخاصَّةٍ ألا نغفله، هو تأثير أقوالهم على نفوس السَّامعين الَّذين
 حملوهم على احتقار العالم وما فيه. إنَّنا في ما يختصُّ في إدراك الغاية أمام مذهبيْن: الأوَّل
 ٥ منهما يجعل الغاية في لَذَّة الجسد، والثَّاني/ يؤيِّزُ حسن الخلق والاعتدال على أنَّ الرِّغبة في
 كليهما من الله تأتي وبالله تربطنا (كيف؟ هذا أمر يجب أن نُرجِّسه إلى حينه). مع العلم أنَّ
 ابيقورس، إذ ينفي العناية، يوصينا بطلب الشَّيء الوحيد الَّذي يبقى وهو اللَذَّة والاستمتاع
 ١٠ بها؛ أمَّا المذهب الَّذي نحن في صده، / فهو في ذلك على جانب أشدَّ من الوقاحة: يذمُّ
 ربَّ العناية والعناية نفسها ويُلقِي الشَّتائم على كَلِّ السَّنن المرعية في هذا العالم، ويجعل عرضة
 للتَّهكُّم ما هو ثابت على الدَّهر كَلِّه منذ أوائله، أعني الاعتدال ذاته والعقَّة الَّتِي تراقبها، بحيث
 ١٥ أنَّه لم يبقَ في هذا العالم حُسْنٌ قطُّ يُسَاهَد، فرفعوا بذلك التَّعَقُّقَ وذلك الصَّدق/ الَّذي فُطِرَت
 عليه الأخلاق الَّذي يُدرك كماله عن طريق العلم والعمل وبوجه الإجمال كَلِّ ما يُصبح به المرء
 صالحاً مُجتهداً. ونتيجة ذلك أنَّه لم يبقَ له إلَّا اللَذَّة وما يخصُّهم هم لا ما يَجْمَعُ بينهم وبين

غيرهم من الناس، ما كان فيه منفعتهم فقط، إلا إذا وُجد بينهم من كان بفطرته أفضل من أن
٢٠ تنال/ منه تلك الأقاويل؛ فإن شيئاً من الدنيويات لم يحسن في نظرهم، بل حسن أمر آخر، وهو
ذلك الذي يجهّدون في طلبه. ومع ذلك فإنه كان ينبغي لهم، ما داموا حاصلين الآن على
المعرفة، أن يباشروا من ههنا بالسعي في طلب ذلك الأمر، فإذا جدوا في طلب الأوليات ساروا
مع الدنيويات على الصراط المستقيم ما داموا يدعون أنهم من «فطرة ربانية». فإن من شأن هذه
٢٥ الفطرة أن تميّز الحسن وتدركه إذا أتىها لا ثبالي بلذة الجسد. / لكن الذين لا حظ لهم من
الاعتدال، ليس لهم أيضاً حافز قط يدفعهم نحو العلويات. ويشهد على ذلك عندهم أنهم لم
يخرجوا بتعليم قط عن الاعتدال، بل عدلوا عدولاً تاماً عن القول فيه، فما ورد عندهم شيء عمّا
٣٠ هو وعن عدد أنواعه، وعن الآراء الكثيرة الجليّة التي بلغتنا عنه في / مذاهب القدماء، وعمّا
يتألف منه وكيف يُكتسب، كما أنهم لا يقولون لنا كيف تعالج النفس وكيف تُطهّر. فلا خير في
قولهم: «أنظر إلى الله» ما لم يدلّ على كيف يكون النظر. ذلك لأنه قد يقول قائل: «لماذا نُمنع
٣٥ عن النظر إذا لم نكن لنمسك من لذة قط/ أو لتسلط على سورة من غضب، فنذكر اسم الله
وننقاد لكل هوى، بدون أن نحاول شيئاً لقمعه؟ إن الاعتدال إذا أدرك كماله واستحكم في النفس
فرافقه الفطنة هو الذي يكشف عن الله؛ وبدون الاعتدال الحق فإن ذكر الله ليس إلا تلفظاً
٤٠ بإسم. /

١٦ نعود ونقول إنّ احتقار العالم مع ما فيه من أرباب ومحاسن شتى لا يؤدي بصاحبه إلى
الفضل والصّلاح. إنّ الرّجل الرّديء كلّهُ هو كذلك أوّلاً لأنّه يحتقر الآلهة، وإذا لم يكن قبل
ذلك رديئاً كلّهُ ثمّ احتقر الآلهة فإنّه بذلك الاحتقار بالذات يُصبح رديئاً كلّهُ وإن لم يكن مع
٥ الأمور الأخرى رديئاً. فإنّ ما/ يدعونه عندهم من إكرام نحو الأرباب الرّوحانيين إنّما هو إكرام
خالٍ من التعاطف الصّادق؛ ذلك لأنّ من أحسنّ بالحبّ نحو حبيب ما انشرح صدرًا أمام كلّ
قريب لما يحبّ، فإذا أحبّ الأب أحبّ الأولاد أيضاً، وكلّ نفس إنّما هي من ذلك الأب في
الملا الأعلى. لكنّ لشدّ ما تفوق نفوس الأفلاك نفوسنا من حيث الرّوحانيّة والصّلاح
١٠ والارتباط/ بأمور العالم الأعلى؛ فكيف يصحّ لعالمنا كيان إذا فُصل بينه وبين ذلك العالم؟
بل كيف يكون فيه أرباب؟ ولكنّ ذلك كلّهُ ورد ذكره. بقي الآن أن نقول أنّ أصحابنا يحقّقون ما
يُجانس الأمور الرّوحانيّة لأنّهم لم يدركوا تلك الأمور إلّا بالفاظها. ثمّ إنّ القول بأنّ العناية
١٥ تشمل أمور هذا العالم أو كلّ أمر مهما كان، كيف يكون قولاً صادراً عن ورع في صاحبه؟
كيف يوقّون بينه وبين أنفسهم؟ فإنهم يدعون أنّ العناية لا تهتمّ إلّا بهم. أفَتَيْتُمْ لهم ذلك إذا
أصبحوا في العالم الأعلى أو أثناء كونهم ههنا؟ إذا تمّ لهم الأمر في الملا الأعلى، فكيف

خَرَجُوا مِنْهُ؟ وَإِذَا تَمَّ لَهُمْ فِي هَذَا الْعَالَمِ، فَكَيْفَ لَا يَزَالُونَ فِيهِ؟ بَلْ كَيْفَ لَا يَكُونُ اللَّهُ نَفْسَهُ هَهُنَا؟
 ٢٠ ذَلِكَ لِأَنَّهُ أَتَى لَهُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُمْ هَهُنَا؟/ بَلْ كَيْفَ يَعْرِفُ أَنَّهُمْ، مَا دَامُوا هُنَا، لَمْ يَنْسُوهُ وَلَمْ
 يُصْبِحُوا أَرْدِيَاءَ؟ وَإِذَا عَرَفَ الَّذِينَ لَمْ يُصْبِحُوا أَرْدِيَاءَ عَرَفَ أَيْضًا الَّذِينَ أَصْبَحُوا كَذَلِكَ حَتَّى يَمَيِّزَ
 بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ. فَإِنَّهُ حَاضِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذَا، وَهُوَ فِي عَالَمِنَا هَذَا، مَهْمَا يَكُنْ نَوْعُ حَضُورِهِ،
 ٢٥ وَمَنْ تَمَّ فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْعَالَمِ شَرِيكًا. / أَمَّا إِذَا كَانَ غَائِبًا عَنِ الْعَالَمِ، فَهُوَ غَائِبٌ عَنْكُمْ أَيْضًا، وَلَيْسَ
 لَدَيْكُمْ مَا تَقُولُونَ عَنْهُ أَوْ عَمَّا يَكُونُ بَعْدَهُ. بَلْ نَقُولُ إِنَّهُ سِوَاءُ أَجَاءَكُمْ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى عَنَايَةَ تَهْتُمُّ
 أَوْ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَسْأَلُونَ، فَإِنَّ لِلْعَالَمِ شَيْئًا أَتَاهُ مِنْ هُنَاكَ، فَمَا هُوَ بِالْمَتْرُوكِ عَلَى حَالِهِ وَلَنْ
 ٣٠ يُتْرَكَ عَلَى حَالِهِ. وَأَعْظَمُ بِالْعَنَايَةِ جِدَارَةٌ بِأَنْ تَكُونَ عَنَايَةُ بِالْكَلِّ مِنْ أَنْ تَكُونَ عَنَايَةُ بِالْأَجْزَاءِ،/ وَمَا
 أُخْرَى نَفْسِ الْكَلِّ بِأَنْ يَكُونَ لَهَا مِنْ تِلْكَ الْعَنَايَةِ حَظٌّ، فَعَلَى ذَلِكَ تَدُلُّ الْأَعْيَانُ وَالْحِكْمَةُ فِيهَا.
 وَلْتُعْمَرْ مِنْ هُوَ الْقَائِمُ هُكَذَا فِي النِّظَامِ وَالْحِكْمَةِ قِيَامَ الْعَالَمِ الْكُلِّيِّ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ
 لَأَنْفُسِهِمْ، عَنْ غَيْرِ فُهُمْ، زِيَادَةً فِي الْفُهُمْ؟ لَا بَلْ إِنَّ فِي هَذِهِ الْمَقَارَنَةِ سَفَهًا وَحِمَاقَةً، وَأَنْ مِنْ
 ٣٥ يُقِيمُهَا/ لَغَيْرِ غَرَضِ الْمُجَادَلَةِ لَا بِأَمْنِ الْكُفْرِ. وَلَيْسَ الْبَحْثُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَمَلُ الْبَصِيرِ بَلْ عَمَلُ
 الْأَعْمَى وَعَمَلٌ مِنْ جُرْدٍ تَجْرِيدًا تَأَمُّنًا مِنَ الْإِحْسَاسِ وَالذَّوْقِ بِالرُّوحِ، فَشَتَانٌ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَرَى
 الْعَالَمَ الرُّوحَانِيَّ، وَهُوَ مُحْرُومٌ النَّظَرِ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ الْحَسِّيِّ. أَيْنَ الْمَرَّةَ الْبَارِعَ فِي الْمَوْسِيقَى
 ٤٠ الَّذِي، إِذَا أَدْرَكَ التَّوَافُقَ الْقَائِمَ عَلَى التَّنَاسُبِ الرُّوحَانِيَّ، لَا يَتَأَثَّرُ/ بِذَلِكَ التَّوَافُقِ إِذَا قَابَلَ سَمْعَهُ
 فِي الْأَصْوَاتِ الْحَسِّيَّةِ؟ أَيْنَ الْخَبِيرُ بِالْهَنْدَسَةِ وَالْأَعْدَادِ الَّذِي إِذَا شَاهَدَ بِأَمٍّ عَيْنَهُ تَنَازُلًا وَتَنَاسُبًا
 وَتَنَاسُقًا لَا يَنْعَمُ بِهِ وَيَلْتَمِذُ؟ إِنَّ الَّذِينَ يُشَاهِدُونَ مَنَاجِيزَ الْفَنِّ، وَلَوْ كَانُوا يُشَاهِدُونَهَا مَعًا
 ٤٥ بِأَبْصَارِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرِكُونَ كُلَّهُمْ مَعًا أَشْيَاءَ وَاحِدَةٍ فِي الرَّسْمِ، بَلْ إِذَا تَبَيَّنُوا/ فِي
 الْمَحْسُوسِ مُحَاكَاةً لِمَا هُوَ كَامِنٌ عِنْدَ بَعْضِهِمْ فِي الْعُرْفَانِ، فَكَأَنَّ الْعُرْفَانَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ تَهَزَّ
 أَعْطَافُهُ حِينَذَاكَ فَيَأْتُونَ عَلَى تَذَكُّرِ الشَّيْءِ فِي حَقِيقَتِهِ؛ وَهَذَا هُوَ بِالذَّاتِ الْإِنْفِعَالِ الَّذِي يَنْبَغِثُ
 الْعَشَقُ مِنْهُ. فَإِنَّ مِنْ يُشَاهِدُ الْحُسْنَ وَقَدْ وَضَحَ مُحَاكَاهُ عَلَى الْوَجْهِ، لِرَتَقَى مِنْهُ إِلَى الْعَالَمِ
 ٥٠ الْأَعْلَى؛ أَمَّا الْبَلِيدُ فَهُوَ مَنْ أَدْرَكَهُ بَحِثٌ يَقِفُ عِنْدَهُ وَلَا يَتَحَرَّكُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ،/ فَيَرَى مَفَاتِنَ
 الْعَالَمِ الْحَسِّيِّ كُلِّهَا، وَذَلِكَ التَّوَافُقَ الْكُونِيَّ، وَالتَّرَابُطَ الْعَظِيمَ الْمُحْكَمَ الَّذِي يَبْدُو فِي مَشْهَدِ
 الْكَوَاكِبِ عَلَى ابْتِعَادِهَا مِثْلًا، وَلَا يَقَعُ تَحْتَ رَعِشَةِ الْوَرَعِ فَيَجِدُ فِي نَفْسِهِ إِعْظَامًا لِهَذِهِ الْأُمُورِ مِنْ
 ٥٥ إِعْظَامِ تِلْكَ الْعَالِيَا/ الَّتِي عَنْهَا صَدَرَتْ. فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْرِكُوا بِالرُّوحِ أُمُورَ هَذَا الْعَالَمِ، كَمَا أَنَّهُمْ لَمْ
 يَرَوْا مَا فِي الْعَالَمِ الْأَعْلَى.

١٧ هَذَا وَإِذَا خَطَرَ لَهُمْ ذَلِكَ الْحَقْدُ عَلَى طَبِيعَةِ الْجَسَدِ لَا تَهْمُ سَمِعُوا الْكَثِيرَ مِمَّا وَرَدَ عِنْدَ
 أَفْلَاطُونٍ فِي تَشْكِيهِ مِنَ الْمَوَانِعِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَقِيمُهَا الْجَسَدُ فِي وَجْهِ التَّقْسِ، وَمِمَّا قَالَهُ الرَّجُلُ

في حِسَةِ الطَّبِيعَةِ الجَسَدِيَّةِ، فالواجب عليهم أن يتجاوزوا بالفكر تلك الطَّبِيعَةَ ويشاهدوا ما هو
 ٥ باقي وراءها، أعني الفلك الزَّوْحَانِيَّ الَّذِي يَنْطَوِي/ على أمثول العالم، ثمَّ التَّقْوَسَ في نظامها
 وهي تحدث عِظَمًا بدون أجساد إذ تسوق إلى تمثُّد روحانيٍّ بحيث أنَّ العِظَمَ في الأصل المشدود
 إلى القُوَّة يساوي العِظَمَ غير المنقسم في الشَّيْء الذي يخرج إلى الصَّيرورة؛ فَإِنَّ العِظَمَ في المَلَأِ
 ١٠ الأَعْلَى إِنَّمَا هو في القُوَّة، وهو في الحجم هنا. / وسواءً أَشَاءُوا أن يتصوَّروا ذلك الفلك متحرِّكًا
 تدفعه قُوَّة رَبَّانِيَّةٌ مستولية عليه بكامله في أوَّلِهِ ووسطه وآخره، أم تصوَّروه ساكنًا وليس يقابله بعد
 شيء آخر يدبِّر أموره، فَإِنَّهُ نَعَمَ الهادي إلى فهم النَّفْسِ الَّتِي تدبِّر أمور هَذَا العالم. فإذا جعلوا
 ١٥ الآن لتلك النَّفْسِ جسدًا/ بحيث أنَّها لا تَنْفَعَلُ قَطُّ بل تمَدَّ غيرها بما له، إذا كانت الأفراد تستطيع
 أن تتلقَّى شيئًا (لأنَّ الغيرة لا تجوز بين الأرباب)، كفَلُوا لأنفسهم بذلك صورة صادقة عن العالم
 كما هو عليه، إذ أَنَّهُ يَسْلُمُونَ حينذاك بأنَّ لِنَفْسِ هَذَا العالم من القُوَّة ما تجعل به الجسد، وهو
 خالٍ من الحُسْن، على جانب من الحُسْن، ويسعها ذلك بقدر ما تَمَّ لها هي ذاتها أن تكون قائمة
 ٢٠ في الحُسْن. ولهذا الحُسْن هو الَّذِي يُحرِّك النَّفْسَ لِأَتَمِّ رَبَّانِيَّةٍ. / إِلَّا إذا ادَّعوا أَنَّ لا حَرَكَ
 عندهم وآتهم لا يرون فرقًا بين القُبْح والحُسْن في الأجساد؛ فنقول: ما دام الأمر كذلك، فلا
 قُبْح أو حسن في الأفعال، ولا حُسْن في العلوم ولا في المُشَاهَدَات؛ ولا حُسْن في الله إِذَا. فَإِنَّ
 ٢٥ ما في المَلَأِ الأَعْلَى هو أصل لما يكون هنا/ وإن لم يكن الشَّيْء هنا، فليس هنالك أيضًا. ومن ثَمَّ
 فَإِنَّ الحُسْنَ هنالك أَوَّلًا، والمحاسن هنا بعده. بيد أنَّهم، ما داموا يدَّعون أَنَّهُم يحتقرون
 محاسن هذه الدُّنْيَا، فقد يجمل بهم أن يحتقروها في العُلَمَانِ والنِّسَاءِ، فلا ينقادوا إلى
 الشَّهْوَةِ الفاسدة. لهذا مع العلم بأنَّهم ما كانوا ليتباهوا لو كانوا يحتقرون القُبْح، إِنَّمَا يتباهون
 ٣٠ لأنَّهم/ يحتقرون الآن ما كانوا يستحسنونه من قبل. فكيف يميِّزون إِذَا بين الحُسْن والقُبْح؟ كما
 أَنَّهُ لا بدَّ من الملاحظة أَنَّ الحُسْنَ ليس هو هو في الجزء وفي الكلِّ، في الأشياء كُلِّهَا وفي كُلِّ
 شيء؛ وأيضًا إِنَّ في الحَسَنَاتِ والجزئيات من المحاسن - كمحاسن الجنِّ مثلاً - ما يجعلنا
 ٣٥ نُعْجِبُ بصانعها ونعتقد أَنَّها من المَلَأِ الأَعْلَى، / منها ننتقل لنحكم على حُسْنِ ما هنالك بأنَّه
 حُسْنٌ فائقٌ ليس محتسبًا في نطاق أمور عالمنا. بل يرتقي من هذه الأمور إلى العُلُوبات، غير
 شامتٍ بالدنيويات؛ وإذا كانت بواطن تلك الحَسَنَاتِ والجزئيات قائمة في الحُسْن أيضًا حكمنا
 على التوافق بين بواطنها وظواهرها؛ أمَّا إذا كان باطنها رديئًا فَإِنَّنا نحكم لها بالخسَّة في خير ما
 ٤٠ هو منها. على أَنَّهُ ليس من شيء قائم ظاهره في الحُسْن حقًّا/ ليكون قبيح الباطن؛ فَإِنَّ الظَّاهِرَ لا
 يكون قائمًا في كمال الحُسْن ما دام الباطن هو السَّيِّد. أمَّا من اشتهر بالحُسْن على قبح الباطن
 فَإِنَّ ما لديه من حُسْن الظَّاهِرِ إِنَّمَا هو حُسْن كاذب. وَالَّذِي يدَّعي أَنَّهُ شاهد رجلًا حسن الظَّاهِرِ
 ٤٥ حقًّا قبيح الباطن فَإِنِّي أرى أَنَّهُ لم يشاهد رجلًا كذلك بل اعتقد الحُسْنَ في غير صاحبه؛ / وَإِلَّا

فإنَّ القُبْحَ من الزَّوَادِ عند الرَّجُلِ وهو حُسْنٌ في فطرته؛ وما أكثر ما يمنع الفطرة من أن تدرك كمالها في هذه الحياة. أمَّا العالم الكَلِّيُّ، فما الَّذِي يمنعه، وهو قائم في الحُسْنِ، من أن يكون حَسَنَ الباطنِ أيضًا؟ فإنَّ ما لم تُعطه الفطرة منذ بدايته أن يُدرك كماله، قد يحدث له ألا يدرك/ ذلك الكمال، ومن ثمَّ غدا من المعقول أن يكون فاسدًا؛ أمَّا الكون الكَلِّيُّ فلم يكن قطُّ من شأنه ما من شأن الصبيِّ غير البالغ في أوَّل أمره، كما أنَّه لم يتطوَّر ولم يَتَمَّ فيلتحق به شيء أو يزداد إلى جسده. وأتَّى يكون له ذلك؟ فإنَّ فيه الأشياءَ كُلَّها. بل لا يتصوَّرُ أحدٌ مثل ذلك التَّمَوُّ لنفسه الكَلِّ. أو إذا تسامح به لخصومنا، فعلى ألا يكون نَمَاءً يَنْطوي/ على شرٍّ ما.

١٨ بيد أنهم قد يدَّعون أن أقوالهم تجعلنا نهرب من الجسد ما دمنا نحتقره على بعدنا منه، في حين أن أقوالنا تُلْزِمُ النَّفْسَ به. فَلَعْمَرِي، ما أشبه ذلك بما يكون من رجلين يُعِيمَانِ معًا في بيت جميل فيذمُّ أحدهما البناءَ/ والباقي ويبقى مع ذلك في البيت. أمَّا الَّذِي لا يأتي بشكوى بل يمدح الباني على أنه بنى بأشدَّ ما يكون فناءً وإتقانًا، فإنه يتوقَّع قدوم الوقت الَّذِي فيه ينطلق بعد أن أصبح في غير حاجة إلى بيت، فيظنُّ أنَّ الأوَّلَ أوفر حكمةً وأشدَّ استعدادًا للانصراف لأنَّه عرف كيف يصف/ أنَّ الجدران مبنية من حجارة جامدة وأخشاب وينقصها الكثير ممَّا يقوم به البيت حقًّا، وهو يجهل أنَّ ما يميِّزه إنما هو عدم كونه صابرًا على ضروريَّات الحياة، مع افتراض أنَّه لا يتصنَّع التَّدَمُّرُ وهو يحبُّ حسن الحجارة ويطمئنُّ إليه. إنَّنا، ما دُمنا في أجساد، لا بدَّ لنا من الإقامة في بيوت بنتها/ نفس هي لأنفسنا أخت فاضلة توافرت لديها القُدرة على الصَّنْع بدون كبير عناء. ثمَّ وماذا؟ أفيرضون بأن يُسمَّوا أخوةً أشدَّ الناس رداءةً وينفون هذا الاسم عن الشَّمْسِ وعمَّا في السَّمَاءِ لا بل عن نفس العالم؟ ما لهذا الانقياد لهذر اللسان؟ على أنَّ مَنْ كان رديفًا لا يجوز أن تصل القربى بينه وبين تلك العلويات، بل من أصبح فاضلاً وليس جسداً بل نفساً في جسد،/ وهي من القدرة بحيث تكون إقامتها في جسدها في أقرب الشَّبه بإقامة نفس الكَلِّ في الجسم الكَلِّيِّ. ولهذا يعني عدم اللجوء إلى العنف، والإنقياد إلى اللَّذات أو الرِّغبات إذا طرأت من الخارج/ والاضطراب أمام الشَّدائد إذا قسيت. أمَّا نفس الكَلِّ فهي في مأمن من كلِّ صدمة إذ ليس من شيء يَنَالُها منه صدمة؛ أمَّا نحن؛ ما دمنا في هذا العالم، فإنَّنا باعتدالنا نَسْتَطِيع أن نردَّ الضَّرَباتِ، الَّتِي تخفُّ وطأتها إذا اتَّسع إدراكنا وتأخذ في الزَّوال التَّامَّ إذا اشتدَّت سواعدا. فإذا ما اقتربنا هُكْذا/ ممَّا لا يناله خطب ومُصاب، تشبَّهنا بنفس الكَلِّ وبنفوس الأفلاك، وإذا أضحينا في هذا القرب من التَّشْبِه سعيًا إلى ما تسعى إليه هذه العلويات وتمَّ لنا ما يَتَمَّ لها في المشاهدة إذ أنَّا، عند ذلك، نكون قد أصبحنا نحن أيضًا في الوضع اللائق بفضل ما فُطِّرنا عليه وبفضل مجاهداتنا. أمَّا العلويات فإنَّ كلَّ ذلك مكفول لها منذ بداية

٣٥ أمرها. / هذا وإنْ خصومنا لن يتمّ لهم قطُّ مزيد في المشاهدة، ولو كانوا يدَّعون بأنَّهم وحدهم أهل لها، كما ولو أنَّهم يدَّعون بأنَّهم أُنْجِح لهم الانطلاق من هذا العالم إذا ماتوا، وهو أمر لن يتيسر للعلويّات ما دامت أبدًا مكلفة بتدبير الأمور في السَّماء؛ إنَّهم لَعُمري لا خبرة لهم في ما زعموه من معرفة ماهيّة «الخروج من الجسد» ومعرفة الوجه الَّذي تعمد إليه النَّفس الكلّيّة في ٤٠ اعتنائها «بكلِّ ما ليس فيه نفس». فنستطيع أنْ نقلع عن حبِّ الجسد إذًا، وأنْ نتطهّر ونحتقر الموت ونعرف الأمور الفائقة فنسعى في طلبها بدون أنْ نستسلم إلى الغيرة، فننفي ذلك السعي على غيرنا ممَّن يَقلِّرون عليه وهم دائميّ منصرفون إليه، ودون أنْ تتأثّر بما يتأثّر به من يعتقدون أنَّ ٤٥ الأفلak لا تجول ولا تتحرّك لأنَّ إحساسهم يومهم أنّها ساكنة. / الأمر الَّذي يؤدّي بهم إلى الاعتقاد أيضًا بأنَّ الأفلak بما هي عليه لا ترى ما هو خارج عنها، لأنهم لا يرون هم أنّ نفوس الأفلak قائمة في خارج العالم.

المجلد الثالث

التاسع الثالث

فهرسُ التّاسُوع الثّالث

١٩١	في القدر المحتوم	:	(٣)	الفصل الأوّل
١٩٩	في العناية (المقال الأوّل)	:	(٤٧)	الفصل الثاني
٢١٨	في العناية (المقال الثاني)	:	(٤٨)	الفصل الثالث
٢٢٦	في الجنيّ الذي هو لنا قرين	:	(١٥)	الفصل الرابع
٢٣٢	في الحبّ	:	(٥٠)	الفصل الخامس
٢٤٢	في أنّ المنزّهات مبرّاة من الانفعال	:	(٢٦)	الفصل السادس
٢٦٤	في الأزل والزّمان	:	(٤٥)	الفصل السابع
٢٨٠	في الطّبيعة والمشاهدة والواحد	:	(٣٠)	الفصل الثامن
٢٩٢	مسائل متفرّقة	:	(١٣)	الفصل التاسع

الفصل الأول

(٣)

في القدر المحتوم

١ في ما يتعلّق بالحادث وبالأيس، نقول ما يلي: إمّا أن يحدث الحادث وأن يكون الأيس بسبب، أو لا يكون سبب في الأمرين؛ وإمّا أن يكون الأيس والحادث بدون سبب في بعضهما وبسبب في بعضهما الآخر؛ أو تكون الحوادث كلها بسبب. أما الموجودات فمنها الناشئة عن سبب، ومنها ما ليس له سبب/ أو ليس لشيء منها سبب؛ أو إنّ الأمر بالعكس فتكون الموجودات كلها بسبب، أما الحوادث فمنها كذلك، ومنها على غير ذلك أو ليس لشيء منها سبب. لهذا، وفيما يختصّ بالأمور القديمة، فإنّ الأوليات منها لا يمكن أن تردّ إلى غيرها، ما دامت هي الأوليات؛ أمّا ما كان منها تابعا للأوليات، فوجوده منها لا محالة. /

١٠ وإذا شئنا أن نردّ إلى كلّ شيء أعماله، رجعنا إلى الدّوات، إذ إنّ ذات الشيء هي التي من شأنها أن تُخرج هذا العمل أو ذاك. أمّا الحوادث الأيسات التي تبقى دائما ولا تثبت على عمل واحد، فينبغي أن يُقال عنها إنّها جميعا تكون بسبب، ولا يجوز قبول شيء بلا سبب، / فلا نفصح

١٥ المجال «لموائل» لا معنى لها أو «لحركة أجسام تحدث فجأة لم يسبقها شيء» أو لرغبة جامحة في النفس لم يُحرّكها قطّ شيء إلى القيام بعمل لم تكن مُنصرفة إليه فيما سبق. ألا وأنّ ذلك بالذات إنّما يؤدي إلى أن تُصبح النفس بوجه ما في قبضة قدر أشدّ، / إذ إنّها ليست، بعد ذلك، صاحبة أمرها بل غدت تتداولها حركات هي من التقلّب بحيث إنّها تتبع عن غير إرادة تُصرّفها وعن غير سبب يسوّغها. ذلك لأنّ الذي يُحرّكها هو غرض إرادتها (وقد يكون هذا خارجا عنها أو مُستكئا فيها) أو غرض شهوتها؛ وإلا، فلو لم يكن غرض ليحرّكها، لما حرّكت قطّ. أمّا إذا

٢٥ حدث كلّ شيء بسبب، فيسهل إدراك علل الشيء القريبة/ وردّه إليها؛ فإن نخرج إلى السوق مثلاً فذلك لأنّنا نزعّم أنّه ينبغي لنا أن نشاهد أحداً أو أن نستردّ ديناً، وأننا، بوجه عامّ، نعتد هذا الموقف أو ذاك ونرغب بهذا الشيء أو ذاك لأنّنا بدّا لنا أن نفعل هكذا. ثمّ إنّ من الأمور ما تكون

٣٠ علته القريبة الصّناعات: فالشفاء من الطّب ومن الطّبيب. / أمّا علّة الغناء، فكنزٌ وجِد أو عطاءٌ وصل أو ربحٌ حصل من تعبٍ أو تجارة. وأيضاً علّة الولد هي الوالد ثمّ إذا ساعده على إحداث

الولد عوامل خارجيّة تتسلسل من عامل آخر وهكذا على التوالي مثل طعام معيّن، أو أيضًا، وإن
٣٥ يكن بطريق أقل مباشرة، سهولة السّيلان من أجل الولد أو امرأة صالحة للحبل /. لهذا وإن
العلل كلّها تُردُّ، بوجه عامّ، إلى الطّبيعة.

٢ إن الوقوف عند هذا الحدّ، ورفض الارتقاء إلى ما فوقه، ربّما كان عملٌ بليدٌ أو عمل من
لا يصغي إلى الذين ارتقوا إلى الحقائق الأوّليّة وإلى الأسباب التي هنالك. فلماذا، عند حدوث
٥ الحوادث الواحدة، كشروق البدر مثلاً، يكون الرّجل سارقاً من دون سواه؟ أو/ في ما إذا كان
من الجوّ والبيئة قرائن مُتشابهة، مَرَضٌ لهذا ولم يَمْرَضْ ذاك؟ أو إذا قام إثنان بالعمل ذاته، صار
أحدهما غنيّاً وبقي الآخر مُعْدَمًا؟ ثم إن الفرق واضحٌ في الطّابع والأخلاق والحُظوظ، فإنّه هو
أيضاً بعيد المرجع والأصل. وهكذا فإنّ المرء لا يقف عند ما يُشاهده، فيضع بعضهم للأشياء
١٠ أصولاً جسدِيّة، مثل الأجزاء التي لا تتجزّأ: فإنّ هذه الأجزاء،/ بحركتها واصطدامها وتشابك
بعضها ببعض، تُحدث الشّيء الفرد، وإنّه ليستوي ويحدث كذلك، وفقاً لما تستقرّ عليه وتنفعل
وتتفعل، كما أنّ رغباتنا وأحوالنا تكون هي أيضاً على ما أحدثتها تلك الأجزاء، فيسوقون
١٥ الحتميّة المتولّدة منها إلى باطن عالم الحقائق. وحتى إذا سلّمنا/ بأجساد أخرى على أنّها
أصول وعلى أنّ كلّ شيء يتولّد منها، أخضعنا بذلك الحقّ أيضاً للحتميّة الناتجة عن تلك
الأجساد. ومنهم من يقبلون على أصل الكلّ، فيفرّعون منه الأشياء كلّها، ويصفونّه بأنّه
٢٠ يتخلّل الأمور كلّها، فلا يحركها فقط، بل يصفها كلّها فرداً فرداً،/ فيذهبون إلى أنّ ذلك
الأصل هو القدر المحتوم والسبب المطلق التّفوذ والسّيادة وإلى أنّه والأمر كلّها شيء
واحد: فليس يدّعون أنّ سائر الأشياء الحادثة فقط، بل أفكارنا أيضاً إنّما تتولّد من ذلك
الأصل أثناء تقلّباته المُختلفة، مثلما أنّ الأجزاء في الحيوان لا تتحرّك من تلقاء ذاتها جزءاً
٢٥ جزءاً، بل بدافع الأصل الغالب في كلّ حيوان. / ومنهم أيضاً من يرون أنّ حركة الكلّ هي
التي تحيط بكلّ شيء وتُصنع كلّ شيء بتحريكها وبأوضاع الكواكب وهيئاتها بعضها قبل بعض،
السّيارة منها والثّابتة، مُستشعدين بما ينتج عن تلك الكواكب من إيذان بما سوف يتمّ، فيذهبون
٣٠ إلى أنّ الأشياء كلّها من ذلك الأصل تكون. أمّا تشابك بعض الأسباب/ ببعضها الآخر،
والرّابط الذي يربطها بما هو أعلى منها، وكون المُتأخّر لاحقاً للمُتقدّم دائماً فیردّ الأوّل إلى
الثّاني على أنّه من الثّاني خَرَجَ، ولو لم يكُ هذا لما كان ذاك فتكون المُتأخّرات خاضعة لِمَا
٣٥ تقدّمها؛ فإن قال بكلّ ذلك قائل أقحم، فيما يبدو، القدر المحتوم من وجه آخر. / لهذا وإنّ من
ميّز القائلين بكلّ ذلك الذي سبق إلى فئتين، لم يكُ ماثلاً عن جادة الصّواب: فإنّ بعضهم
يعلّقون كلّ شيء بأصل واحد، مهما يكن هذا الشّيء؛ وبعضهم الآخر لا يقبلون كذلك.

وسياتي الكلام عنهم. أما الآن فإننا نقف به عند الفئة الأولى؛ ثم نقلب بعد ذلك على البحث
٤٠ في أقوال الفئة الثانية. /

٣ هذا وإن من الحُقوق والمُحال أن تُردَّ الأشياء كلها إلى الأجسام، سواء أكانت من الأجزاء
التي لا تتجزأ أو ممَّا يُعرف بالعناصر، وأن نجعل حركة الأجزاء القائمة على الفوضى أصلًا
يتولَّد منه النظام والعقل والتَّقسُّ المديَّرة. وأشدُّ من ذلك إستحالة أيضًا، إذا جاز لنا القول،
٥ الرجوع إلى الأجزاء التي لا تتجزأ. وما أكثر/ ما ورد حول ذلك من الأقوال الصحيحة. إلَّا أنَّه،
ولو جعلنا للأشياء أصولًا من هذا النوع، لم يلزم عن ذلك حتمًا ضرورة تسيير الأشياء كلها قسْرًا،
ولا قدر محتوم أيًّا كان معناه. ولتفترض أولًا أنَّ الأصول هي الأجزاء التي لا تتجزأ. فإنَّ منها ما
١٠ يتحرَّك جهة تحت (إذا وجد ما يكون جهة تحت)/، ومنها ما يتحرَّك مائلًا إلى الجنب، على
نحو ما يتفق له. فيتَّجه كلُّ إتجاهًا يختلف عن اتِّجاه الآخر. ومن ثمَّ لا يتمُّ شيء بنظام، ما دام
ليس قطُّ نظام، وتكون النتيجة، بعد ذلك إذا خرجت نتيجة، قائمة في النظام قِيامًا تامًّا! فلا
سبيل مُطلقًا إلى التنبُّؤ إذا ولا إلى العِرافة، لا تلك التي تعتمد على الفنِّ والصَّناعة - وكيف تقوم
١٥ الصَّناعة على غير قاعدة؟- ولا تلك التي تنبعث عن/ الوجد والإلهام؛ فإنَّ ما من شأنه أن يتمَّ
يجب أن يكون هنا أيضًا محدودًا معيَّنًا. نعم إنَّ الأجسام، إذا صدمتها الأجزاء التي لا تتجزأ،
انفعلت حتمًا بما تحمِّلها تلك الأجزاء معها؛ أمَّا أعمال التَّقسُّ وانفعالاتها، فإلى أيَّة حركة من
حركات الأجزاء تُردُّ؟ فما هي الصَّدمة (سواءً أنالت التَّقسُّ من تحت أو دفعتها من جهة أخرى
٢٠ مهما كانت)/ التي تفرض على التَّقسُّ هذا التَّمط الخاصَّ من الأفكار أو ذلك التَّمط الخاصَّ من
الرَّغبات، أو تحمِّل التَّقسُّ حتمًا على التَّفكير أو الرِّغبة أو العُرفان، تجعل التَّقسُّ، بوجه عامٍّ
موجودة حاضرة؟ وماذا يكون في ما إذا كانت التَّقسُّ تقاوم انفعالات الجسد؟ ولعُمري من أيِّ
نوع تكون في الأجزاء التي لا تتجزأ، تلك الحركات التي تقتضي حتمًا أن يكون هذا بارعًا في
٢٥ علم الهندسة، / وذلك في علم الحساب، وذلك في علم النجوم، وأن يكون هذا الأخير حكيماً؟
وقُصارى الكلام، أنَّه لَيَزُول عملنا الذي لنا، وَلَيَبْطُل كوننا من بين الأحياء، إذا حوَّلنا حيثما
تسوقنا الأجساد، وهي تدفعنا كأثنا أجساد لا نفوس فيها. وكلُّ هذا الذي ذكرناه يصحُّ أيضًا ردًّا
٣٠ على من يجعلون أسباب الأشياء كلها أجسادًا/ غير الأجزاء التي لا تتجزأ؛ ثمَّ: إنَّ هذه الأجساد
أيضًا بإمكانها أن تُسَخَّن وأن تَبْرَد وأن تُفسد ما كان أضعف منها، ولَكَيْتَ لا يَخْرُج منها عمل
قطُّ من الأعمال التي تأتي التَّقسُّ بها، بل يجب أن تُردَّ هذه الأعمال إلى مصدرٍ آخر.

٤ أفنقول إذا أنَّ نفسًا واحدة، مهما كان نوعها، تَجْتَاز الكلَّ، فنحقِّق الأشياء كلها، على

أن يتحرك كل فرد كجزء بحسب ما يسوقه الكل، فيتحتّم علينا، إذا خرج من تلك النفس أسباب متلاحقة، أن نسمّي قدرًا محتومًا تماسك تلك الأسباب وترابطها على التوالي بعضها مع بعض؟ مثل ذلك مثلما يكون فيما لو رأينا نبتة لها أصلها من جذورها فقلنا/ أنّ التدبير الذي ينبثق من تلك الجذور فيشمل كل أجزاء النبتة وأنّ تشابك تلك الأجزاء بعضها ببعض وتبادلها الفعل والانفعال، كلّ ذلك إنّما هو تدبير واحد وكأنّه قدر النبتة المحتوم. إلّا أنّ أول ما يجدر بالذّكر هنا هو أنّ الإفراط في إثبات الحتميّة وفي إثبات قدر محتوم من لهذا النوع، إنّما هو هو في ذاته نفي للقدر المحتوم ولارتباط الأسباب وللتشابك. وكما أنّه، فيما يختصّ بأعضائنا إذا تحركت وفقًا لصاحب الأمر فيها، فيمنّ الهذيان أن ندعي أنّ التحرك يتمّ بقدر محتوم - (فإنّ ما يُعطي الحركة لا يختلف عمّا يتلقاها ويستخدم الحافظ الذي وصله منه، بل/ إنّهُ هو الأوّل ذلك الذي حرّك الساق) - فكذلك القول في الكل أيضًا: فإذا كان الكل هو الذي يفعل ويفعل، وإذا لم يكن الشّيء من شيء آخر وفقًا لتوالي سببي يعود دائمًا كلّ سبب فيه إلى سبب غيره، فلا يصحّ أن يُقال أنّ الأشياء كلّها تكون بحسب أسباب، بل تكون الأشياء كلّها شيئًا واحدًا. فلنسا بعد ذلك/ ما نحن عليه وليس من عمل ليكون عملنا، كما وأننا لسنا نحن الذين نفكّر، بل أصبح ما عزمنا عليه فكرًا وروية ممّا يختلف عنا؛ ثمّ إنّنا لسنا نحن الذين نعمل، مثلما أنّ الأقدام ليست هي التي تترك، بل نحن ذلك بوساطة أعضاء في جهازنا. مع أنّه ينبغي أن يكون الفرد ذاته هو الفرد، وأن توجد أعمال وأفكار تكون أعمالنا وأفكارنا نحن،/ وأن تصدر أعمال الفرد منه فردًا سواء أكانت حسنة أو سيئة، ولا يُردّ العمل إلى الكل، اللهمّ إلّا عمل السيئات على الأقلّ.

٥ ولكن ربّما لم تكن الحوادث لتقع كذلك؛ بل إنّ الحركة التي تدبّر الكل مع حركة الكواكب هي التي تجعل كلّ حادث بحيث يكون وفقًا لأوضاع بعض الكواكب مع بعضها الآخر، وذلك عند ظهورها ثابتة وطلوعها وأفولها وتقارنهما. فإنّ العرفان من الكواكب يستدلّون ليؤدّونا بما سوف يتمّ للعالم الكلّي/ ولكلّ فرد، ما عسى أن يكون مصير هذا الفرد لا بل ما عسى أن يضمّره من فكر. إنّنا نشاهد، فيما يقولون، سائر الحيوان والنبات أيضًا في تعاطف مع تلك الكواكب، فينمو ويتقص وتصله منها الانفعالات على اختلاف أنواعها، ثمّ إنّ المناطق على الأرض إنّما يختلف بعضها عن بعض/ بحسب وضعها من الكل وبخاصّة من الشمس، وإنّ ذلك الارتباط بالمناطق لا يشمل الثبات والحيوان فقط، بل الأدميين أيضًا في هيئاتهم وأحجامهم وألوانهم وأهوائهم ورغباتهم وعاداتهم وأخلاقهم. ومن ثمّ فإنّ حركة الكل هي صاحبة الأمر في الأشياء كلّها. على هذه الأقوال يُجاب أوّلاً/ بما يلي: إنّ هذا المذهب يتسبّب، من وجه آخر، للكواكب ما هو لنا، الإرادة والانفعال، الرّذيلة والرّغبة، فلا يعترف لنا

بشيء ويدع لنا ما للحجارة المحركة لا ما هو للآدمي الذي له عمله الخاص من تلقاء ذاته ومن
٢٠ فطرته. والوجه هو أن يُعترف لنا بما هو لنا ومما، / وأن يُعترف من ناحية أخرى بأن ما لنا ومما
يتأثر ببعض ما من الكل، فيُمَيِّز هكذا بين العمل الذي نقوم به نحن وبين الانفعال الذي يتأثر
بحكم الضرورة، ولا تنسب للكواكب كل شيء؛ فالواقع هو أنه تصلنا من المناطق ومن تغيرات
الجو والبيئة تأثيرات مثل التسخين أو التبريد في المزيج الذي نحن منه وعليه. ولكن تصلنا أيضًا
تأثيرات من أبوين؛ فإننا طالما نُشبه أبوينا في خَلْقنا كما في الكثير أيضًا من الانفعالات الصِّم في
نفوسنا. لا بل رب قوم تشابهوا خَلْقًا بحكم تأثير مناطقهم، وظهر بينهم، مع ذلك، اختلاف
٣٠ شديد في الخُلُق والتفكير، / فكان لهاتين الناحيتين أصلًا آخر. هذا علاوة على مقاومتنا لأمرجة
أجسادنا ولشهواتنا، وهي موضوع يجدر بنا أيضًا ذكره. نعم إنهم يُشاهدون وضع الكواكب
فيستدلون به على ما يحدث للأفراد فردًا فردًا؛ ولكن إذا استنتجوا من ذلك أن هذه الحوادث
٣٥ صُنعت الكواكب ذاتها، / فإن الطيور أيضًا، وعلى الغرار ذاته، تصنع ما تُنبئ به؛ وكذلك القول
أيضًا في كل الأمور التي إذا نظر إليها العرافون حكموا مسبقًا بما سوف يجري. لهذا وإن البحث
في تلك الأشياء قد يكون أدق إذا انطلقنا مما يلي. وهو أن ما يتنبأ به من ينظر إلى الهيئة التي
تكون الكواكب عليها عندما يولد ولد إنما يحدث من الكواكب، فيما يقولون، لا بمعنى أنها
٤٠ تؤذن به فقط، / بل بمعنى أنها تصنعه. فعندما يذكرون كرم المحيّد على أن أصله ما للأبوين من
جاء، كيف يدعون أن الكواكب تصنع هذا الجاه وهي حاضرة عند الأبوين قبل أن تحدث بين
٤٥ الكواكب تلك الهيئة التي يعتمدون عليها في عرافتهم؟ بل إنهم أيضًا يؤذنون بمصير / الأبوين
من طوابع ولادة الأولاد، ومن طوابع الأبوين بأطباع الأولاد ومصيرهم وهم لما يولدوا، كما
أنهم من طوابع الأخ يحكمون بموت أخيه ومن طابع النساء بموت أزواجهن والعكس
٥٠ بالعكس. فأتى للهيئة القائمة / بين الكواكب أن تصنع في كل فرد ما حُكم له بأنه خارج هكذا
من الأبوين؟ فإما أن تكون طوابع الأبوين السابقة هي التي تصنع، وإما أن تكون لم تصنع، فلا
تصنع أيضًا طوابع الولد. على أن التشابه بين الولد وأبويه في ظواهر الخلق إنما يدل على أن
٥٥ أصل الحُسن والُفح هو البيت والعائلة، لا حركة الكواكب. فالذي لا ريب / فيه هو أن
حيوانات من كل نوع تولد مع آدميين معًا وفي أزمنة واحدة؛ فيجب أن تكون هذه الأشياء
كلها واحدة إذا، ما دام وضع الكواكب بالنسبة إليها واحدًا. فكيف يخرج من هيئات واحدة في
الكواكب الآدميون هنا والحيوانات هناك؟

٦ والوجه في القول هو أن الأشياء تأتي شيئًا شيئًا كل بحسب طبيعته، الجواد لأنه من
الجواد، والآدمي لأنه من الآدمي، وكل من نوع خاص لأنه ولد من هذا النوع الخاص. نعم

ربما ساعدت حركة الكلّ وأسهمت في الكثير ممّا يتولّد، ولا ضير في أن تَمُدَّ الكواكب جسميًّا
 ٥ بالكثير ممّا هو من الجسم، / مثل الحرارة والبرودة والأمزجة الثّالثة عن ذلك في الأجسام،
 ولكن أتّى لها أن تُعطي الأخلاق والعادات وبخاصّة تلك الأمور الّتي تظهر بوضوح أنّها ليست
 خاضعة لمزاج الأجسام، مثل أن يكون الإنسان عالمًا في علم التّحو أو الهندسة أو بارعًا في
 ١٠ لعب النّزْد أو مخترعًا في تلك المجالات؟ ثمّ رداءة الأخلاق، / كيف تؤخّذ من الكواكب وهي
 أرباب؟ كما أنّه يُقال فيها أيضًا، بوجوه عامّة، أنّها تولّد الشّروور إذا نالها شرٌّ، وكأنّها إذا غابت في
 نظرنّا، لا تبقى دائميًّا محمولة في الكُرّة السّماويّة، مُحفّظة بالوضع ذاته بالنّسبة إلى الأرض.
 ١٥ ولا/ يجب أن يُقال أيضًا أنّ الرّبّ من هؤلاء الأرباب إذا تحوّلت مُشاهدته من ربّ إلى ربّ من
 الأرباب الآخرين، وانتقل هو من وُضع إلى وُضع آخر، إنحطّ شأنه أو علا، بحيث أنّهم إذا
 كانوا على حُسن الحال أحسنوا معنا الصّنيع، وأسأؤوا إلينا إذا كانوا على غير ذلك. بل الأحرى
 ٢٠ أن يُقال أنّ الكواكب تُحرّك لحفظ العالم الكلّي ولكتّنها تؤدّي أيضًا خدمة أخرى/ وهي الخدمة
 الّتي يقوم بها من، إذا نظّر إليها كأنّه ينظر إلى حروف وكان عارفًا بحروف أبجديّة من هذا
 التّوع، طالع في هيئاتها، مُتمشيًّا مع قواعد القياس، ما يدلّ على المُستقبلات؛ كما هو الأمر
 فيما تكون الحال إذا قيل عن الطّير كلّما حلّق عاليًّا في الجوّ، أنّه يُنبئ على جلائل الأعمال.

٧ بقي أن نبحث في الأصل الّذي يضفر الأشياء وكأنّه ينسّق بعضها مع بعض فيحدّد لكلّ
 شيء كيف يكون، وهو، فرضًا، أصل واحد به يتحقّق كلّ شيء وفقًا لبنيته الفطريّة. ولهذا
 ٥ المذهب قريبٌ من ذلك الّذي يجعل كلّ حالة وحركة، فينا/ وفي الكلّ، خارجة من نفس
 العالم الكلّي، ولو كان هذا الأخير ينطوي على بعض التّسامح فيعترف لنا بأن نقوم بفعل ما من
 تلقاء ذواتنا. أمّا مذهبنا هنا فإنّه يتضمّن الحتميّة المُطلقة في كلّ شيء، فإذا توافرت الأسباب
 ١٠ كلّها، فلا مندوحة للشيء ألاّ يتمّ؛ ذلك لأنّه ليس من شيء بعد ذلك ليمتنعه/ عن أن يكون أو
 يجعله أن يكون غير ما هو عليه، فيما لو توافرت الأسباب كلّها في القدر المحتوم. وما دامت
 هذه الأسباب متفرّعة كذلك من أصل واحد، لا يسعنا معها إلّا أن نُحمل قسرا إلى حيث تدفعنا.
 فتحدّد تصوّراتنا بسوابقها، وتكون رغباتنا وفقًا لتلك التّصوّرات ويُصبح ما نحن عليه بالذّات
 ١٥ إسمًا ولفظًا فقط. / فإنّه لن يَزِيد شيئًا أن نكون نحن الّذين نرغب ما دامت الرّغبة فينا بمقتضى
 تلك الأسباب؛ والّذي يكون متا إنا هو من نوع ما يكون من الحيوان ومن الرّضيع وهما
 ينطلقان عن رغبة عمياء؛ ومن نوع ما يكون من المَجانين؛ فإنّ للمجانين رَغباتهم أيضًا. كما أنّ
 ٢٠ للنار أيضًا، وإيّم الحقّ، رغباتها، / ولكلّ تلك الأشياء الّتي تخضع قسرا لما بنيت عليه فتسير
 بمقتضاه تسييرًا. وهذا أمر يروونه كلّهم ولا يمارون فيه، إلّا أنّهم يَبحثون عن أسباب أخرى لتلك

الرَّغْبَة، فلا يَقْفون عندها على أَنَّها هي ذلك الأصل.

- ٨] فما هو السَّبب الَّذِي يبرز على أَنَّهُ مُخْتَلَف عن تلك الأسباب الَّتِي ذُكِرَتْ، وهو لا يَدَع شيئاً بلا سبب وَيَحْفَظ التَّابِع والنَّظَام وَيَتَسَامَح لنا بأن نكون شيئاً ما ولا يُطِل التَّنَبُّ والعِرافة؟ إِنَّهَا النَّفْس الَّتِي يَجِب أن تُدْخِلها في عالم الحَقِّ أصلاً يَخْتَلَف عَمَّا سِوَاه، وليس فقط نفس الكلّ ٥ بل/ أَيْضاً ومعها نفس كلِّ فرد على أَنَّها أصل لا يُسْتَهَان به؛ فَهِيَ الَّتِي تَضْفِر الأشياء كُلَّهَا بعضها مع بعض ما دامت لا تتولَّد من بُدُورٍ مِثْلَمَا يَتَوَلَّد غيرها، بل هي السَّبب الفاعل الأوَّل. إِنَّهَا، ما دامت بدون الجسد، سَيِّدَة أَمْرهَا، طَلِيقَة حَرَّة، مُسْتَقَلَّة عن السَّبَبِ الكَوْنِيَّة؛ وَلَكِنَّهَا أَحَلَّت ١٠ بالجسد،/ فأصبحت غير مُطْلَقَة السِّيَادَة إِذْ إِنَّهَا تُنْظَم مع ما يَخْتَلَف عنها. فَإِنَّ الحِظُوظ تَسِيرُ أَغْلَب ما حَوْلَ هَذِهِ النَّفْس من جَمَلَة الأُمُور الَّتِي وَقَعَتْ فِي وَسْطِهَا إِذْ جَاءَتْ إِلَى الْعَالَم، ومن ثَمَّ فَإِنَّهَا تَارَةٌ تَعْمَل مَدْفُوعَة بِهَذِهِ الأُمُور وطَوْرًا تَتَغَلَّب عَلَيْهَا فَتَسْوَفُهَا إِلَى حَيْثُ تَشَاء. وَهِيَ تَتَغَلَّب ١٥ عَلَى الْكَثِير إِذَا صَلَحَتْ وَعَلَى الْقَلِيل إِذَا سَاءَتْ. مَهْمَا لَانَتْ لِمَزَاجِ الْجَسَدِ أَكْرَهَتْ عَلَى أَنْ تَسْتَهِي وَتَغْضَب، وَكَانَتْ ذَلِيلَةً فِي الْفَقْرِ، مُتَكَبِّرَةً فِي الْغِنَى، غَاشِمَةً فِي الْقُدْرَةِ. أَمَّا إِذَا طُبِعَتْ عَلَى الصَّلَاح، فَإِنَّهَا تَبْقَى ثَابِتَةً بَيْنَ كُلِّ ذَلِكَ، تَقْلِبُهُ بَدَلًا مِنْ أَنْ تَقْلَبَ هِيَ، فَمِنْهُ مَا تَحْوَلُهُ إِلَى ٢٠ غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ مَا تَسَاهِلُ مَعَهُ عَلَى غَيْرِ مُحَالَفَةٍ لِلزَّدَاءَةِ./

- ٩] إِنَّهَا تُحَدِّثُ بِحَكْمِ الضَّرُورَةِ إِذَا الأُمُور الَّتِي تَحْدِثُ عَنْ طَرِيقِ التَّخَيُّرِ وَعَنْ طَرِيقِ تَغَلَّبِ الْبَحْثِ مَعًا؛ وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ إِذَا تَوَافَرَتْ الأسبابُ كُلُّهَا، حَدِثَتْ الأشياءُ كُلُّهَا لَا مُحَالَةً؛ عَلَى أَنَّ شَيْئًا مَا مِنَ الْحَرَكَةِ الْكَلْبِيَّةِ يُسَاهِمُ مَعَ الأسبابِ الْخَارِجِيَّةِ. وَإِذَا تَأَثَّرَتِ النَّفْسُ ٥ بِالْعَوَامِلِ الْخَارِجِيَّةِ فَفَعَلَتْ شَيْئًا أَوْ رَغِبَتْ/ بِشَيْءٍ كَأَنَّهَا تُسَخَّرُ لِلْحَرَكَةِ الْعَمِيَاءِ، لَا يُقَالُ عَنْ عَمَلِهَا وَلَا عَنْ حَالَتِهَا إِنَّهُمَا يَتِمَّانِ طَوْعًا؛ وَكَذَلِكَ أَيْضًا إِذَا انْبَعَثَتْ مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهَا وَهِيَ ذَرِيَّةٌ لَا تَنْقَادُ دَائِمًا لِلرَّغَبَاتِ السَّدِيدَةِ الَّتِي لَهَا فِينَا حَقُّ السِّيَادَةِ عَلَيْنَا. أَمَّا إِذَا تَحَكَّمَ فِي النَّفْسِ وَسَادَ مَا هُوَ ١٠ خَاصَّتْهَا الَّتِي تَنْفَرِدُ بِهَا، أَعْنِي الْعَقْلَ السَّلِيمَ الْقَائِمَ فِي الطَّمَأْنِينَةِ، فَرَغِبَتْ، فَتَلِكُ هِيَ فَقَطِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَوْصَفَ بِأَنَّهَا الرَّغْبَةُ/ الَّتِي تَنْبَعُثُ مِنَّا وَتَنْبَعُثُ طَوْعًا؛ وَذَلِكَ هُوَ عَمَلُنَا لَا أَصْلَ لَهُ مِنْ دُونِنَا، بَلْ يَصْدُرُ مِنَ الْبَاطِنِ، مِنَ النَّفْسِ الطَّاهِرَةِ، مِنَ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ الَّذِي لَهُ السِّيَادَةُ الْمُطْلَقَةُ، وَهِيَ حِينَئِذٍ غَيْرُ مَغْرُورَةٍ بِجَهْلِ نِثَالِهَا وَغَيْرُ مُذَلَّةٍ بِشَهْوَةِ تَقَهَّرِهَا، وَالْجَهْلُ وَالشَّهْوَةُ إِذَا أَقْبَلَا ١٥ سَاقَاهَا وَجَرَّاهَا وَمَا خَلَّىا بَيْنَنَا/ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ لَنَا عَمَلٌ، بَلْ جَعَلَا كُلَّ شَيْءٍ فِينَا انْفِعَالًا مُحَضًّا.

- ١٠] وَغَايَةُ هَذَا الْكَلَامِ هِيَ أَنَّ الأشياءَ كُلَّهَا أُمُورٌ يُسْتَدَلُّ عَلَيْهَا، وَأَنَّ الأشياءَ كُلَّهَا تَحْدِثُ

بأسباب، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْأَسْبَابَ مِنْ نَوْعَيْنِ: فَإِنَّ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا تُحْدِثُهُ النَّفْسُ ذَاتَهَا، وَإِنَّ مِنْهَا مَا تُحْدِثُهُ الْأَسْبَابُ الَّتِي تُحِيطُ بِهَا. فَإِذَا فَعَلَتِ النَّفْسُ أَعْمَالَهَا عَلَى هَذِي الْعَقْلِ السَّدِيدِ جَاءَتْ مِنْ هَذِهِ أَعْمَالُهَا حَقًّا، وَإِلَّا إِذَا حِيلَ بَيْنَ النَّفْسِ وَبَيْنَ أَنْ تَفْعَلَ هِيَ أَعْمَالُهَا، كَانَتْ حَيْثُ مُنْفَعَلَةٌ أَكْثَرُ مِمَّا هِيَ فَاعِلَةٌ. وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ عَدَمَ التَّفَقُّنِ سَبَبُهُ شَيْءٌ غَيْرُ النَّفْسِ، وَرَبَّمَا كَانَ الْقَوْلُ الصَّوَابَ أَنَّ فَعَلَ النَّفْسِ هُنَا إِنَّمَا هُوَ مَسِيرٌ بِحُكْمِ الْقَدَرِ الْمُحْتَوَمِ، اللَّهُمَّ مَا دَمْنَا نَرَى أَنَّ الْقَدَرَ الْمُحْتَوَمَ هُوَ السَّبَبُ إِذَا أَتَى مِنَ الْخَارِجِ؛ أَمَّا الْأَعْمَالُ الْجَلِيلَةُ فَإِنَّمَا هِيَ مَتَا. ذَلِكَ مَا / نَحْنُ عَلَيْهِ إِذَا كُنَّا وَلَا شَيْءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ذَوَاتِنَا؛ وَأَقَلُّ مَا يَجْدُرُ بِالذِّكْرِ هُنَا هُوَ أَنَّ الصَّالِحِينَ يَقْعَلُونَ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ يَأْتُونَ بِالصَّالِحَاتِ مِنْ يَلْقَاءُ ذَوَاتَهُمْ؛ أَمَّا الْآخَرُونَ، فَبَقْدَرٍ مَا يَمْهَلُونَ رِيثًا يَسْتَرِدُّونَ أَنْفُسَهُمْ، يُتَابَحُ لَهُمْ عَمَلُ الصَّالِحَاتِ، لَا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَتَلَقُّونَ الْفُتْنَةَ مِنْ غَيْرِهِمْ إِذَا فُتِنُوا، بَلْ فَقَطْ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ حَيْثُ لَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ حَائِلٌ. /

الفصل الثاني

(٤٧)

في العناية (المقال الأول)

١ إن التسليم بأن حقيقة هذا العالم الكلّي وبُنيته تعودان إلى الإتفاق والحظّ، هذيان وقول
ممن لا عقل عنده ولا إدراك، ولهذا أمر واضح قبل إثباته بالبُرهان، بل ما أكثر البراهين المُقنعة
التي بُسّطت للدلالة عليه؛ ولكنّ ما هو الوجه الذي عليه حدثت تلك الجزئيات/ وصنعت،
فكان منها ما يبدو على غير الاستقامة، فيُثير التردّد حول العناية بالكلّ، فيخطر لبعضهم القول
بعدم وجودها، وللبعض الآخر أن يتصوّروا أنّ العالم صنّع صانع شرّير؟ هذا هو الأمر الذي
يُجدر بنا أن نبحث فيه مُقبلين عليه من أوّله وأصوله. / أمّا العناية التي تتعلّق بالشّيء الجزئي،
تلك التي تكون ترويًا قبل العمل كيف يجب أن يتمّ أو كيف يجب ألا يتمّ ما لا ينبغي أن نفعل، أو
كيف يكون هذا الشّيء لنا أو لا يكون، فإنّنا ندعها الآن جانبًا؛ وأمّا العناية التي نقول فيها إنّها
عناية بالكلّ، فإنّنا إذا أثبتناها ربطنا بها ما يلزم عنها. هذا وإنّنا إذا قلنا أنّ العالم حدّث/ في
لحظة ما من الزّمن، وهو لم يكن موجودًا قبل ذلك، وضعنا بقولنا هذا عناية من نوع تلك التي
وصفناها بأنّها عناية بالجزئيات، أعني علمًا سابقًا عند الله وحسبًا منه كيف يكون هذا العالم
الكلّي، وعلى خير ما يُمكن أن يكون. ولكنّا ما دمنا نرى أنّ العالم موجود دائمًا وأنّه لم يزل،
فالصّواب بالتّالي أن نقول أيضًا إنّ العناية هي للعالم الكلّي أن يكون هذا العالم على ما يقتضيه
الروح وأن يكون الروح قبله، لا بمعنى التّقدّم بالزّمن، بل بمعنى أنّ الروح هو الأوّل بالطبع وهو
سبب العالم، مثلما أنّه أصله المثاليّ الأوّل ونموذجه،/ ما دام العالم أثرًا وبالروح وجوده
وقوامه أبدًا ودومًا. وهاك الوجه في الأمر: إنّ حقيقة الروح والوجود إنّما هي العالم حقًّا
وأوّلًا، ولهذا العالم لا يخرج من ذاته ليمتدّ كمًّا، ولا يُضعفه تقسيم وليس فيه نقصان، ولا
يتحوّل إلى أجزاء ما دام الجزء فيه لا يميّز عن الكلّ، بل إنّ حياته هي الحياة كلّها، وهو الروح
كلّه، / حياة وغرفان بالروح في آن واحد، تجعل الجزء كلًّا والكلّ حبيب ذاته، فلا فصل بين
هذا وذاك ولا يُصبح هذا تميّزًا على حياله بحيث يكون غريبًا عمّا سواه؛ ومن ثمّ لا يُسيء شيء
إلى شيء حتّى ولو كان منه في الطّرف المُقابل. ثمّ إنّ هذا العالم واحد من كلّ وجه وكامل من

٣٥ كل وجه، / قائم في السكينة أينما قابلته وليس من تبديل لديه، لأنه ليس فيه ما يؤثر على غيره.
وعلام هذا التأثير ما دام ليس في شيء منه نقصان؟ ولماذا يولد العقل عقلاً أو الروح روحاً آخر؟
فإن القدرة على الصنع مستقرّة في الصانع، تكون لدى ما لا يقوم في حُسن الحال من كل وجه،
٤٠ فيعمل ويتحرّك وفقاً للشيء الناقص فيه؛ أمّا أهل / السعادة فإنهم يستنون ساكنين في ذواتهم
ويَقون في ما هم عليه وحسبهم ذلك، وهم لا يؤمنون أنفسهم من الاهتمام بالأشغال الكثيرة
لأنه يجعلهم بذواتهم يخرجون من ذواتهم. ولكنّه قائم أيضاً في السعادة ذلك الذي، على عدم
انصرافه إلى الصنع، يُحقّق مع ذلك أشياء عظيمة، وعلى بقائه في ذاته مع ذاته يأتي مع ذلك من
٤٥ الصنع بما لا يُستهان به قدرًا /

٢ ومن ذلك العالم الحقّ الواحد ينشأ عالمنا هذا الذي ليس واحداً حقّاً؛ فإنّه كثير العناصر
متعدّد الأجزاء، يقف فيه الجزء بعيداً عن الآخر ويصبح غريباً عنه، فليس المقام للمحبّة فقط بعد
ذلك، بل للبغض أيضاً بسبب امتداد البعد، وما دامت الأجزاء في حاجة ونقصان أصبح بعضها
٥ حتماً / عدواً لبعضها الآخر. فإنّ الجزء لا يكفيه ما لديه، وإذا ضمن لذاته الجفّظ بغيره غداً عدواً
لذلك الذي يكفل به حفظه. بيد أنّ هذا العالم لم يكن بدافع تكفير أدّى إلى أنّه يجب أن يكون،
بل بدافع ضرورة وجود طبيعة ثانية؛ كذلك لأنّ العالم الروحانيّ لم يكن بحيث يبقى آخر ما في
١٠ عالم الحقائق؛ بل كان الأوّل، تكمن فيه قوّة هائلة لا بل القوّة / كلّها؛ وهي عنده الطاقّة على أن
يصنع غيره بدون أن يجد في طلب الصنع. فلو جدّ في الطلب لما كانت له تلك القوّة من ذاته،
ولا من حقيقته، بل لكان منه مثلما يكون من أهل الصناعات الذين ليس في وسعهم أن يصنعوا
١٥ من تلقاء ذواتهم، بل يكتسبون صناعتهم بالتعلّم، فإذا أمدّ الروح الهيولى بشيء من ذاته، / حقّق
الأشياء كلّها وهو لا يضطرب ولا يتحرّك له ساكن؛ والذي يمدّ به إنّما هو العقل الذي يسري من
الروح. ذلك لأنّ ما يسري من الروح إنّما هو العقل، وهو في سريان دائم ما دام الروح ثابتاً في
عالم الحقّ. مثلما أنّ الأجزاء، في المعاني البدريّة، تكون كلّها معاً في محلّ واحد، فلا
٢٠ يُخاصم جزء جزءاً، ولا يختلف عنه ولا يقف دونه حائلاً، / ثمّ يصير الشيء في الحجم؛
فتحلّ الأجزاء في مواطن يختلف بعضها عن بعض، ويُراحم الجزء الجزء ويُتلفه، فكذلك
أيضاً، من الروح الواحد ومن العقل الذي يتفرّع عنه ينشأ هذا العالم الكلّي فيمتدّ كمّاً
وتحدّد فيه حتماً أجزاء تتجاذب وتتألف، وأخرى تتنافر وتتعدّى، فيحصل من بعضها ضرر
٢٥ على بعضها الآخر، / طوعاً تارة وتارة قسراً، وإذا فسدت فئة نتجت عن فسادها فئة أخرى. وفي
حين أنّها تتفاعل هكذا وتتفاعل ببعض تُشكّل بينها توافقاً واحداً في أنشودة يكون لكلّ منها
فيه صوته الخاصّ، إذ ينشر العقل الذي يتخلّلها التناصب ويخلع النظام الواحد على عالمنا كلّ.

٣٠ نعم إنَّ هذا العالم الكلِّيَّ/ ليس مثل الملائة الأعلى روحاً وعقلاً، ولكنَّه يُشارك ذلك الملائة في الروح والعقل. ولذلك كان مُفتقراً إلى التناسب لاجتماع الروح والحمية فيه، تجرَّه الحمية إلى الدنِّيات وإلى ما هو بطلان العقل ما دامت هي خالية من العقل، على أنَّ الروح مع ذلك، لا ٣٥ يَزَال مُتغلباً على/ الحمية. فإنَّما العالم الروحاني عقل فقط، ولن تُجد عالماً آخر يكون عقلاً فقط؛ وإذا كان عالم آخر، وجب أن يكون بعد الملائة الأعلى مقاماً، ولا يكون عقلاً كما أنَّه لا يكون هيولى مهما يكن نوعها، فيغدو شيئاً لا تناسق فيه؛ فالوجه إذاً أن يكون مزيجاً. على تأليفه ٤٠ يتضافر الهيولى والعقل؛ ومن ثَمَّ فإنَّ التمسُّ هي التي تكون السائدة في المزيج،/ ولا يعتقَد أنَّ أحد أنَّها يشقُّ عليها أن تدبِّر هذا العالم الكلِّيَّ؛ بل أنَّ ذلك الأمر يسهل عليها فكأنَّها تقوم به بمجرد حضورها.

٣ هذا وإنَّه ليس من الصواب أن ندِّم عالماً على أنَّه لا حُسن فيه أو على أنَّه ليس أفضل ما في عالم الأجسام. كما إنَّه لا يصحُّ لنا أن نشكو من سبب وجوده إذ إنَّه أوَّلُ عالم وُجد بالضرورة ٥ عن فكر وروية بمعنى أنَّ الطبيعة الفارقة توجد وفقاً للطبيعة ما هو شبيه بها. حتَّى أنَّه/ ولو كان الفكر هو الصانع، فلا يخلج ممَّا فعل؛ فإنَّه صَنع كلاً في غاية الحُسن، مكتفياً بذاته مع ذاته، عزيزاً عليه وعلى أجزائه، العظيم منها والحقير، بسبب أنَّ بينه وبينها توافقاً تاماً. فإنَّ استهجان ١٠ الكلِّ بسبب الأجزاء سفاهة؛/ وإذا اعتبرت الأجزاء وجب أن تُعتبر في علاقاتها بالكلِّ إن كانت معه في انسجام وتوافق، أمَّا الكلِّ فيُعتبر في ذاته بصرف النظر عن أجزاء تكاد تكون لا شأن لها. فإنَّ استهجاناً من هذا النوع ليس استهجاناً للعالم كلاً بل لبعض أجزائه وقد عُزلت عنه، مثلما ١٥ يفعل من يقصر نظره من الحيِّ كلاً على شعرة فيه أو على إبهام من أباهيمه ويُهمل/ الإنسان في صورته الكاملة وهو مشهد ربانيّ، أو مثلما يفعل، وإيم الحق، من يقف من عالم الحيوان عند أحقر ما فيه بعد أن يكون قد أعرض عن سواه، أو أيضاً من يُغفل الجنس كلاً، جنس الإنسان مثلاً، ويأتي بذكر الفرد ترسيّتوس. فما دام الموجود هو العالم الكلِّيَّ، ربَّما سمعته، إذا مُلت ٢٠ بوجهك إليه، يقول لك ما يلي/ : لقد صنعني إله، فمنه أتيت كاملاً محمَّلاً بالأحياء كلاً، كفوّاً لما أنا عليه، مكتفياً بذاتي مع ذاتي، غير مفتقر لشيء لأنَّ الأشياء كلاً فيّ، والنبات والأحياء، وطبيعة كلِّ ما من شأنه أن يتولَّد، وجمهور من الأرباب، وأمم من الجنِّ، ونفوس صالحة، ٢٥ وأدَمِيون بالفضيلة ناعمون. فليس صحيحاً أن تكون/ الأرض قد زُيِّت بالنبات وبالأحياء كلاً على مُختلف أنواعها، وأن تكون قوَّة التمسُّ قد انتهت حتَّى إلى البحر، ثَمَّ لا يكون بعد ذلك، للهواء كلاً وللأثير وللسماء بأسرها حظٌّ من التمسُّ؛ بل إنَّ في السماء لنفوساً كلاً صالحة، تمدُّ بالحياة الكواكب والسماء في دَوْرانها المنظم القديم وهي، على غرار الروح، تتحرَّك دائريّاً

٣٠ وبِحكمةٍ حول/ ذاته أبدًا، إذ ليس من شيءٍ خارج عنها لتطلبه . كلُّ الأشياء التي انطوى عليها
 ترغب بالخير، فيُدرك منها كلٌّ منها ما في وسعه أن يُدرك؛ فإنَّ السَّماءَ كلّها معلقةٌ بذلك الإله،
 ٣٥ ونفسي كلّها، والأرباب القائمون في أجزائي، والأحياء كلّها والثَّبات بما فيه، وما قد/ يبدو
 على أنَّه لا نفس له فيّ، وكلُّ ذلك، منه ما قُسم له الوجود فقط، فيما نرى، ومنه ما أُمدَّ
 بالحياة، ومنه ما أُقيم في ما هو أفضل فكان له الإدراك، ومنه ما حصل على العقل، ومنه أخيرًا
 ما تمَّت له الحياة بكاملها. فلا يجب أن يطلب من هذه الأشياء غير المُتساوية أمورًا مُتساوية؛
 فليس للأصبع أن يرى، بل لهذا أمر يعود إلى العين، أمَّا الأصبع فلها أمر آخر وهو، لعمري، أن
 ٤٠ يكون الأصبع موجودًا وأن يكون/ حاصلاً على ما هو من شأنه.

٤ إنَّ الماء يُطفئ النَّار، والنَّار تُتلف شيئًا آخر، فلا تَسْتَغْبِرُنَّ ذلك. فإنَّ ما ساق النَّار إلى
 الوجود إنما هو شيءٌ يَختلف عنها، وما دامت لا وجود لها من ذاتها فإنَّ غيرها يُتلفها، كما إنَّها
 جاءت إلى الوجود بفسادٍ غيرها؛ وإن كان ذلك كذلك فلا خطر عليها من الفساد علاوة على أنَّها
 ٥ إذا تُلفت/ حلَّت محلَّها نارٌ أخرى. في السَّماء المُنزَّهة عن الجسَميّة يبقى كلُّ شيءٍ في ما هو
 عليه. أمَّا في سماء هذا العالم فإنَّ الكلَّ يَبْقَى دائمًا حيًّا، وكذلك الأمر أيضًا من أجزائها الفاضلة
 الوجيهة، لكن فيها القُفوس التي تبدل أجسادها ولا تزال تخلع هيئةً وتتشكَّل بهيئةً أخرى، على
 أن كلَّ نفس من هذه القُفوس متى استطاعت، خرجت من خلقه هذا التَّحوُّل المُستمرَّ وثبتت
 ١٠ مع/ النَّفس الكلِّيَّة. أمَّا الأجسام فإنَّها تحيا أيضًا، وإنَّ حياة أفرادها بحسب التَّوَع ووفقًا
 للكليات ما دامت الأحياء تخرج منها وتتغذى. ذلك لأنَّ الحياة في هذا العالم بالحركة، أمَّا
 هنالك فبالاستقرار. والوجه أن تخرج الحركة ممَّا لا تحرك فيه، وأن تخرج من الحياة القائمة
 ١٥ في ذاتها مع ذاتها الحياة الأخرى، فكأنَّها نَفَح الحياة الأولى، لا تثبت على حال، وهي تنفس
 تلك الحياة الهادئة المُطمئنة. ثمَّ إذا عادى بعض الحيوانات بعضه الآخر وأهلكه، فذلك أمر
 تقتضيه الطَّبيعة؛ فإنَّ الحيوان لا يَقاء له ما دام حادثًا، والحيوانات حادثة لأنَّ العقل قابض على
 الهيولى برمتها منظو على الحيوانات كلّها ما دامت حقًّا هنالك في سماء المَلَأ الأعلى؛ وما
 ٢٠ عسى أن يكون الأصل الذي أتت منه إن لم تكن هنالك؟ أمَّا ظلم بعض الآدميين لبعض، فقد
 يكون سببه رغبتهم في الخير، فيعجزون عن إدراكه، فيكونون في ضلالٍ ويَقْلِب بعضهم على
 بعض. بيد إنَّ للظَّالَمين عقابهم، والذين أفسدت السَّيِّئات نفوسهم إنَّما يُجْعَلون في الدَّرَكَات؛
 ٢٥ فإنَّه لن يخرج شيءٌ عَمَّا ترتَّب في سُنَّة العالم الكلِّيِّ. / والواقع هو أنَّ النِّظام لا يَنشأ من الفوضى
 وأنَّ الشُّرع لا يَنشأ من الباطل، كما يدَّعي بعضهم، بحيث أنَّ الأمور الفاضلة تُردُّ إلى ما هو
 دونها مقامًا. بل إنَّ نظامًا مفروضًا يَتَضَيُّ أن يكون النِّظام موجودًا؛ فلأنَّ النِّظام نظام كانت

٣٠ الفوضى ولوجود الشر والعقل، وهما معاً عقل، / كان الشذوذ والجهل؛ لا بمعنى أنَّ الدنيَّ يخرج من الأفضل بل بمعنى أنَّ ما هو مُفتقر إلى أن يتلقَّى الأفضل يعجز عن إدراكه لأمرٍ في فطرته أو لظروف تقع أو لموانع أخرى غير ذلك. فإنَّ ما يقوم على نظام مفروض قد يقوته هذا النظام إمَّا لسببٍ كامنٍ في ذاته هو وإمَّا لسببٍ آخر يكون من شيءٍ آخر؛ وكثيراً ما يعاني السوء ٣٥ من الأشياء الأخرى، على غير قصدٍ منها إذ إنَّها حينذاك ساعية/ إلى غرضٍ يختلف عما كان منها. ثمَّ ما له حركته بذاته من تلقاء ذاته، فإنَّه يميل تارةً إلى الخير وطوراً إلى الشرِّ. أمَّا الأصل الذي ينشأ عنه الميل إلى الشرِّ فليس في البحث عنه كبير أهمية؛ ومهما يكن من أمرٍ فإنَّ الميل ٤٠ يكون ضعيفاً في أوله، ثمَّ يقوى ويشتد فتزداد المعاصي بذلك كمًّا وكيفاً؛ / وهذا وإنَّ الجسد حاضر ومعه الشهوة لا محالة؛ وإذا ما أهمل ذلك الميل في بدايته وفي حال خلوه ولم يُستدرك على الفور أحدث العادة المُعتمدة في ما كان ممَّا مجرد زلَّة وهفوة. ولا غرو أن تكون عاقبة ذلك العقاب؛ وليس من الظلم أن يقع برجل أصبح على هذه الحالة ما يترتب على الحالة التي صار ٤٥ إليها، / وينبغي ألاَّ نطالب بضمان السعادة لهؤلاء الذين لم يأتوا بما يؤهلهم لها. فإنَّ السعادة للصالحين فقط؛ ولذلك تمت السعادة للأرباب.

٥ إذا كان إذًا للنفوس السعيدة مقام حتَّى في هذا العالم، وإذا لم تتمَّ السعادة لبعض النفوس، فإنَّ اللوم في ذلك لا يقع على المكان، بل على العجز في تلك النفوس وهي لا تقوى على الجهاد الصادق الذي فيه تُعرض للفضيلة مكافأتهما. وبعد، فأين الغرابة إذا لم يُصبح ٥ ربانيًّا من لم يكن صاحب حياة ربانيَّة؟ أمَّا الفقر والمَرَضُ فإنَّهما لا شيء عند أهل الخير، وإنَّ فيهما الخير لأهل الشرِّ؛ ثمَّ إنَّ المَرَضَ من ضروريَّات الطَّبيعة في ذوي الأجسام. علاوة على أنَّه ليس من الصَّحيح على وجه الإطلاق أن لا نفع من هذه الأمور فيما يتعلَّق بنظام الكلِّ واكتماله. ١٠ فكما أنَّه، إذا فسُد شيءٌ عمد العقل الكلِّي إلى ما فسُد واتَّخذته أداة لتوليد/ شيءٍ آخر - إذ ليس من شيءٍ ينجو من قبضة هذا العقل - فكذلك الجسد إذا أصابه سوء حتَّى ضعفت النَّفس لما ينالها منه، خضع ما نزل به المرض والسوء لوضع آخر ولنظام آخر. ثمَّ إنَّ بعض هذه الشرور ١٥ تكون لصالح من تُصيبهم، / كالفقر والمرض مثلاً؛ أمَّا الرَّذيلة، فإنَّ فيها نفعاً للعالم الكلِّي بكونها تمثيلاً للعقاب، فضلاً على أنَّها، بحدِّ ذاتها، تؤدِّي خدمات أخرى كثيرة. فإنَّها تجعلنا في تنبّه دائم، وتوقظ عندنا الرُّوح والدَّهن في مقاومتها لطرق الرَّذاة؛ كما إنَّها تمكِّننا من أن نرى ما أحسن الفضيلة في مقابل الشرور التي يُصاب بها الأرياء. نعم، لم توجد الشرور ٢٠ لأجل/ كلِّ هذا الذي سبق ذكره؛ بل إنَّ العالم الكلِّي يُسخِّر لها حاجاته ما دامت موجودة، لقد قيل لهذا في حينه. فإنَّ القوَّة قوَّة حقاً بأن تقدر على حسن استخدام الشرِّ، وبأن تكون بحيث

٢٥ تَسْتَطِيعُ تَسْخِيرَ مَا أَصْبَحَ عَدِيمُ الصُّورَةِ لاسْتِخْرَاجِ صُورٍ أُخْرَى. / وَالثَّابِتُ مُطْلَقًا هُوَ أَنَّ الشَّرَّ حَرَمَانٌ مِنَ الْخَيْرِ؛ ثُمَّ إِنَّ فِي هَذَا الْعَالَمِ حَرَمَانًا مِنَ الْخَيْرِ لَا مُحَالَةَ، لِأَنَّ الْخَيْرَ هُنَا يَكُونُ فِي مَا يَخْتَلِفُ عَنْهُ. وَمَا دَامَ هَذَا الشَّيْءُ الْآخِرُ الَّذِي حُلَّ فِيهِ الْخَيْرُ لَيْسَ هُوَ الْخَيْرُ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُحْدِثُ ٣٠ الْحَرَمَانَ، إِذْ إِنَّهُ لَيْسَ خَيْرًا. وَلِذَلِكَ قِيلَ إِنَّ الشَّرَّ لَنْ يَزُولَ، / لِأَنَّ الْأُمُورَ إِذَا قَابَلْنَاهَا بِطَبِيعَةِ الْخَيْرِ وَجَدْنَا بَعْضَهَا تَابِعًا لِبَعْضٍ، ثُمَّ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِالْخَيْرِ لِأَنَّهَا تَسْتَمِدُّ عِلَّةَ كَيَانِهَا مِنَ الْخَيْرِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، فَأَصْبَحَتْ كَذَلِكَ بِسَبَبِ بُعْدِهَا عَنِ الْخَيْرِ.

٦ أَمَّا الْحَيَادُ عَنِ الْحَقِّ بِأَن يَتَالَ الصَّالِحُونَ الشَّرَّ وَالْأَرْدِيَاءُ مَا يَقَابِلُهُ، فَالْقَوْلُ الصَّوَابُ فِيهِ هُوَ أَنَّ شَيْئًا لَنْ يَكُونَ قَطُّ شَرًّا لِلصَّالِحِ، وَأَنَّ شَيْئًا لَنْ يَكُونَ قَطُّ خَيْرًا لِلرَّذِيءِ؛ وَلَكِنْ لِمَاذَا يَصِلُ الصَّالِحُ مَا يُخَالِفُ الطَّبِيعَ، وَالرَّذِيءُ مَا يُوَافِقُهُ؟ أَيْنَ الْقِسْمَةُ بِالْعَدْلِ فِي ذَلِكَ؟ إِذَا كَانَ مَا يُوَافِقُ الطَّبِيعَ / لَا يَزِيدُ شَيْئًا فِي السَّعَادَةِ، وَمَا يُنَافِيهِ لَا يُزِيلُ قَطُّ شَرًّا عَنِ الْأَرْدِيَاءِ، فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ؟ إِنَّهُ لَعُمْرِي كَالْفَرْقِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الرَّذِيءُ حَسَنَ الْهَيْئَةِ، وَأَنْ يَكُونَ الصَّالِحَ قَبِيحَ الْوَجْهِ. وَمَعَ أَنَّ اللَّيَاقَةَ تَقْتَضِي مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْوَضْعُ عَلَى مَا وَصَفْنَا، وَهَذَا مَا يَسْتَسِيغُ الْعَقْلُ وَيَرْضَى ١٠ بِهِ الْحَقُّ، وَأَنَّ مَا لَدِينَا الْآنَ عَلَى خِلَافٍ مَا نَتَوَقَّعُهُ مِنْ عَنَایَةِ فَائِزَةٍ. / فَوْجُودُ الْعَبِيدِ مِنْ نَاحِيَةِ وَالسَّادَةِ مِنَ التَّاحِيَةِ الْأُخْرَى، وَكَوْنُ الْأَشْرَارِ أَصْحَابِ الْأَمْرِ فِي الْبِلَادِ وَالْأَخْيَارِ عَبِيدًا لَهُمْ، لَيْسَ فِي كُلِّ ذَلِكَ حِكْمَةٌ وَلَوْ كَانَ لَا يَزِيدُ شَيْئًا عَلَى مَا لَدِينَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ مِنْ شَرٍّ. وَمَا أَعْظَمَ مَا يَرْتَكِبُهُ ١٥ الرَّذِيءُ مِنْ مَعْصِيَاتٍ إِذَا سَادَ؛ وَإِذَا تَمَّ لَهُ الْفَوْزُ فِي الْحَرْبِ، / مَا أَقْبَحَ مَا يَعَامَلُ بِهِ أَسْرَاهُ. وَإِنَّ كُلَّ هَذِهِ الْأُمُورِ لَتَجْعَلُنَا نَسْأَلُ حَاضِرِينَ فِي أَتَّهَا كَيْفَ تَقَعُ لَوْ كَانَ لِلْعَنَایَةِ وَجُودٌ. وَإِذَا كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يَرْكَزَ الْإِنْتِبَاهُ عَلَى الْجُمْلَةِ فِي الْعَمَلِ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتِمَّ مَهْمَا يَكُنْ نَوْعُهُ، فَالْصَّوَابُ يَقْتَضِي أَيْضًا أَنْ تَنْظُمَ الْأَجْزَاءُ وَفَقًا لِمَا يُلَاقِيهَا، لَا سَيِّمًا فِيمَا إِذَا كَانَ الْجُزْءُ مِنْهَا ذَا ٢٠ نَفْسٍ أَوْ حَيَاةٍ / أَوْ كَانَ نَاطِقًا فَتَسْتَدْرِكُ الْعَنَایَةَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا وَيَكُونُ عَمَلُهَا بِالذَّاتِ أَلَّا تَهْمَلَ قَطُّ شَيْئًا. فَإِنْ كُنَّا نَدْعِي إِذَا أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ الْكُلِّيَّ بِالرُّوحِ يَرْتَبِطُ، وَأَنَّ نَفُوزَ الرُّوحِ يَتَنَاوَلُ الْأَشْيَاءَ ٢٥ كُلَّهَا، فَلَا بَدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَحَاوِلَ أَنْ نَتَبَيَّنَ التَّاحِيَةَ الَّتِي مِنْهَا تَكُونُ الْأَجْزَاءُ فِيهِ عَلَى حُسْنِ الْحَالِ. /

٧ وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ نَتَنَبَّهُ إِلَيْهِ هُوَ أَنَّ مَا نَسَمِّيهِ «حُسْنَ الْحَالِ»، إِذَا طَلَبْنَاهُ فِي الْمَزِيحِ، يَجِبُ أَلَّا تَقْتَضِيهِ بِقَدْرِ مَا هُوَ «حُسْنَ الْحَالِ» فِي غَيْرِ الْمَزِيحِ، فَلَا تَطْلُبُ الْأَصُولُ فِي الْفُرُوعِ بَلِ الْوَجْهِ، مَا دَامَتْ الْفُرُوعُ مَعَ الْجِسْمِ، أَنْ تُسَلِّمَ بِأَنَّ شَيْئًا مِنَ الْجِسْمِ يَتَسَرَّبُ إِلَى الْكُلِّ، وَأَنْ تُطَالِبَ مِنَ الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ بِالْقَدْرِ / الَّذِي يَسْتَطِيعُ الْمَزِيحُ أَنْ يَتَلَقَّى مِنْهُمَا، مَعَ الْإِفْتِرَاضِ بِأَنَّ هَذَا الْقَدْرَ ٥ مَوْجُودٌ كُلُّهُ لَا نُقْصَانُ فِيهِ. مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ مَا يَكُونُ فِينَا فِيمَا لَوْ نَظَرْنَا إِلَى الْإِنْسَانِ الْمُدْرِكِ

بالحسن؛ فإننا لن نحكم له ذاتًا بما للإنسان من الحُسن ما دام ثابتًا في عالم الروح، بل نرضى
 ١٠ من الصّانع بما تمّ له فيما لو أمسك بما هو من لحوم وألياف وعظام وحكم العقل فيه بحيث/
 تَزدهي هذه الأشياء بالحُسن ويقوى العقل على أن يتخلّل الهيولى ويضبطها. فإذا سلّمنا بذلك
 إفتراضًا استطعنا أن نتجاوزه إلى ما نحن في البحث عنه؛ وربما اكتشفنا، بعد ذلك، في أمور
 هذا العالم، ومن العناية والقُدرة، العَجيب المُدهش الذي يركّز عليه العالم الكلّي في كِيانه.
 ١٥ أمّا عمل الثّقوس الذي/ يتمّ في الثّقوس عند ارتكابه الخسائس (كالذي تَقترفه الثّقوس الرديئة
 فتَضربه الثّقوس الأخرى، أو مثل ما يضرب به بعض الثّقوس الرديئة بعضها الآخر). فإذا لم تكن
 ٢٠ نُلقِي تهمة كون الثّقوس في مُطلق الرّداءة على العناية ذاتها، لا يليق بنا أن نجعلها مُسوّلة عنه
 ونُحاسبها عليه، ما دُمنا نسلّم بأنّ الذّنب على المخيّر؛ وقد قلنا إنّهُ يجب أن تكون للثّقوس/
 حركتها الخاصّة، وإنّ الثّقوس ليست نفوسًا فقط، بل إنّها في حالها الآن من عالم الحيوان. فلا
 تستغريّ، ما دامت في ما هي عليه، أن تكون لها الحياة التي يستلزمها وضعها؛ فإنّ الثّقوس لم
 تأتِ لأنّ العالم كان، بل إنّها كانت قبل العالم وهي من شأنها آنذاك أن تكون من العالم، وأن
 ٢٥ تهتمّ به وأن تكفل له الوجود، وأن تدبّره، وأن تصنعه،/ مهما كان الوجه الذي تعتمد إليه عند
 ذلك، سواء أكان بأن تستوي مُشرقة على العالم أو بأن تمّده بشيء منها، أو بأن تهبط إليه هي
 ذاتها، أو بأن يُلجأ بعضها إلى وجه وبعضها إلى وجه آخر. ولهذا أمر لسانا في صده الآن، بل
 المُهمّ أن يثبت لدينا أنّ اللوم، في كلّ ذلك الذي سبق ذكره، لا يقع على العناية مهما كان ما
 غدت الأوضاع عليه. ولكن ما عسانا نقول عندما نُشاهد أحوال الذين هم والأردياء على طرفي
 ٣٠ نقيض، فالصّالحون فقراء والأردياء أغنياء،/ يملكون من المال، هم أقلّ الناس شأنًا وعددًا،
 أضعاف ما يحتاج إليه الناس من المال، ثمّ إنّهم أصحاب الأمر والنهي في الأمم والبُلدان وهي
 كلّها لهم؟ هل الأمر كذلك لأنّ العناية لا تمتدّ إلى الأرض فتشملها بنفوذها؟ ولكنّ الحوادث
 الأخرى تتمّ وفقًا لما يقتضيه العقل، وهذا أمر يشهد على أنّ العناية تنتهي إلى الأرض؛ فإنّ
 ٣٥ للحيوان وللنبات حظهما من العقل والنفس والحياة./ أفَيقال إنّ العناية تمتدّ إلى الأرض ولكئُها
 لا تتمّ لها على الأرض السّيادة؟ فإنّ هذا القول ما دام العالم الكلّي حيًّا واحدًا، يُشبه قول من
 يدّعي أنّ الرّأس والوجه في الإنسان هما من الطّبيعة ومن العقل السّائد فيها، أمّا سائر الأعضاء
 ٤٠ فإنّه يُردّ في أصله إلى أسباب أخرى، الحظ أو الحتميّة، فعنهما أو عن عجز/ الطّبيعة يحدث ما
 في الجسم من عَورات. وليس من التّهيّب والورع مع ذلك أن نسلّم بسوء الحال في كلّ هذه
 الأجزاء وننحي من بعدُ باللائمة على الصّانع.

٨ [بقي علينا أن نبحث عن التّاحية التي تظهر منها هذه الأجزاء وهي على حُسن الحال،

وكيف يصلها حظها من النظام، أو إن لم يتم لنا ذلك، فبأي معنى نقول بأنها ليست على سوء الحال. إن الأعضاء العليا في كل حيوان، الوجه والرأس، أشد من غيرها حسناً، ولا يساويها في الحسن ما كان من الأعضاء في الوسط وفي جهة تحت. ثم إن الآدميين، في الحيوان الكلبي، في الوسط وفي جهة تحت، أمّا في جهة فوق فالسّماء مع أربابها؛ وهذا وإن معظم العالم إنما هو من الأرباب/ والسّماء كلّها بشكلها الكروي، أمّا الأرض فهي من الكل بمثابة المركز وهي من الكواكب بمنزلة كوكب ما فيها. قد يدعو وجود الظلم بين الآدميين إلى الاستغراب لانتنا نرى أن الآدمي أشرف ما في العالم الكلبي، زاعمين أن ليس من شيء يفوقه عقلاً وحكمة. فالواقع هو أن الآدمي قائم بين عالم الأرباب وعالم الحيوان، وهو يميل إلى الطرفين معاً، فمن الآدميين من يتشبهون بالطرف الأول، ومنهم من يتشبهون/ بالطرف الآخر، ومنهم من يستون بين بين وهم الأكثر عدداً. أمّا الذين تفشى فيهم الفساد بحيث أنهم أصبحوا في جوار الحيوان العديم العقل وفي جوار الوحش، فإنهم يجزون الذين هم في الوسط ويعتقون بهم؛ وقد يكون أهل الوسط يزدونهم فضلاً، ومع ذلك فإنهم يقدادون لهم بالرغم من أن هؤلاء الأردباء دونهم شأناً، وذلك من حيث أنهم هم أيضاً أدباء وليسوا صالحين كما أنهم لم يتأهبوا لردّ الإفعال/. إذا بدا أنه لو قام صبيان مرّنت بالرياضة أجسادهم وكانت نفوسهم، لعدم ترويضها، دون أجسادهم قوة ومناعة، فصارعوا صبياناً غير مروّضين لا في أجسادهم ولا في نفوسهم وصرعهم ثم سلبوهم أطعمتهم وجردوهم من ثيابهم الناعمة، فهل من شيء غير/ الضحك آنذاك؟ ألا كيف لا يحقّ لصاحب القانون أن يسمح بأن يُعاني هؤلاء تلك المعاملة عقاباً على كسلهم واسترخائهم إذ إنهم ذلّوا على ساحات التمرن ولكنهم استسلموا إلى الكسل وإلى الحياة الناعمة الرخية فما بهم إلا ويرون أنفسهم قد أصبحوا حملاناً مُسمّنة هانت على الذئاب فريسة؟ أمّا الذين أتوا بتلك المعاملة فإن أدنى عقاب لهم أنهم تحوّلوا إلى ذئاب وسأوا حالاً في آدميتهم؛ ثم إنهم واصلوا إلى ما هو نازل بأمثالهم لا محالة؛ فلن يكون الموت خاتمة لهم وقد أتوا بالسيئات هنا، بل إنّه على أعمالهم التي سبقت يترتب مصير دائم يفترضه العقل وتقتضيه الطبيعة، فالشرّ لأهله والخير لذويه. ولكن ما أبعداً مع كل ذلك عن ميادين الرياضة/ حيث الألعاب الصبيانية. فالواجب أن نتصوّر هؤلاء الصبيان وقد كبروا وبقوا، في كلا الطرفين، على جهلهم، فيستلثمون ويتسلحون، وناهيك بحسن المشاهدة حينذاك، ولا حُسن ما تشاهده من الذي يتروّض للمصارعة؛ فالواقع الآن هو أنك تجد فريقاً لا سلاح لديه، أمّا المُجهّزون بالأسلحة فهم الغالبون/. ولا يجب هنا على الله أن يُقاتل هو عن الأعزال؛ فإن سَنّة المعارك تقضي بوجوب التجارة لذوي الشجاعة لا لذوي العبادة؛ كما إنّه لا يجني ثمار الأرض من كان مُنصرفاً إلى العبادة بل إلى تفقّد الأرض، ولا يكوننّ صحيح البدن

من لا يهتم بصحته. ويجب أيضًا ألا نمتنع من توافر ثمار الأرض للأردياء إذا انفردوا هم
 ٤٠ بالحرث أو كانت حراثتهم أشد إيقانًا. وبعد فإنه لعمري من السخر/ أن يتصرف الناس في سائر
 نواحي حياتهم بحسب ما يروقههم هم، حتى ولو كان هذا التصرف بحيث لا يحظى برضى
 الأرباب، ثم لا يتوقعون من الأرباب إلا التجاة، ولو كانوا لا يعلمون قط بما يشير إليهم به
 ٤٥ الأرباب من سبل التجاة. / فإن الموت خير لنا من الحياة وهي على وضع لا ترضى به سين
 العالم الكلي. وإذا وقعت المعاكسات بعد ذلك، وبقينا آمنين سالمين بالرغم مما نحن عليه من
 جهل وشر، لكان في ذلك إهمال من العناية في ما من شأنها أن تهتم به، إذ إنها بذلك تتيح
 ٥٠ السؤدد للأدنياء. / فإن الأردياء يُصبِحون أصحاب الأمر والتهي يتخاذل من يتقادون لهم.
 والصواب هو هذا، لا ما هو على خلافه.

٩ ذلك لأنه يجب في العناية ألا تكون بحيث تُصيرنا بمنزلة العدم؛ وإذا كانت لعناية هي
 الأشياء كلها، وكانت موجودة هي وحدها، فليس لشيء قط وجود؛ وبأي شيء تكون عناية؟
 فإنه لا وجود حينذاك إلا للعالم الرباني. والواقع أن هذا العالم الرباني موجود؛ وهو يقبل على
 ٥ ما يختلف عنه لا يعدمه بل يكون من ذلك الأمر الآخر الذي يقابله، كالإنسان مثلاً، / العناية
 التي تكفل له أن يكون حقًا إنسانًا؛ ولهذا يعني أن ذلك الإنسان يُعَيّد حياته بقوانين العناية أي أنه
 يعمل بما تدلّه عليه قوانينها. فهذه القوانين تدلّ على أن للذين أتوا بالصالحات حياة صالحة فهي
 لهم في الدنيا وهي لهم في الآخرة؛ وللأشرار عكس ذلك، أما الإدعاء بأن الذين أتوا بالسّيئات
 ١٠ فإنهم يتألون/ نجاتهم من غيرهم في حين أنهم يهملون أنفسهم فذلك توجيه يطلب لا يجوز.
 كما أنه ليس على الأرباب أن يهملوا حياتهم الخاصة ويشرفوا على أمور هؤلاء الأشرار أمرًا
 أمرًا، ولا على رجل الصلاح الذي يتمتع بحياة أخرى تفوق فضلًا حياة السيادة في الناس أن
 ١٥ يكون صاحب الأمر فيهم؛ فإنهم هم أنفسهم/ لم يهتموا قط بأن يكون للناس ساسة فاضلون،
 كما أنهم لا هم لهم بأن تكون عليهم رئاسة، بل إنهم يحسدون من كانوا مقطورين في ذواتهم
 على الصلاح؛ على أنهم لو كانوا قد نصبوا هؤلاء الأفاضل ساسة على الناس لكان عدد أهل
 الفضل قد زاد فيهم. فإن لم يكن الإنسان هو الحيوان الأفضل إذًا، وإن يكن قائمًا في درجة
 ٢٠ الوسط التي/ اختارها، فإن العناية تُقبل عليه آنذاك وفي المكان الذي يحلّ فيه ولا تدعه يهلك،
 بل أن يُشدّ به دائمًا إلى العلويات بطرق شتى يعمد إليها العالم الرباني ليكفل للفضيلة سيادتها
 على كل شيء، فالجنس البشري لا يفقد حيثل كونه ناطقًا، بل إن له نصيبه، وإن لم يكن حتى
 ٢٥ الذروة، / من الحكمة والروح وإتقان الفن والعدل، على الأقل من ذلك العدل الذي تقوم عليه
 علاقات كل من الناس مع الآخرين - فيعتقدون بالذي ظلم إنما ظلم عن حق لأنه أهل لذلك -

بحيث أنَّ الإنسان مخلوق تمَّ له من الحُسْن بقدر ما يُمكن أن يتمَّ له منه، وأنَّ له في شبكة العالم
 ٣٠ الكلِّي الحصة العظمى بين حصص الحيوانات كلها المُنتشرة/ على وجه الأرض. لهذا وإنَّه ليس
 من أحد صاحب ذوق وحكمة ليرى عيبًا وجود الحيوانات الأخرى التي تأتي بعد الإنسان والتي
 تُشكِّل للأرض زيتها. فإنَّه جدير بأنَّ يسخر منه ذلك الذي يبرِّز ذمَّه بأنَّ تلك الحشرات تلدغ
 الادميين كأنَّه من الواجب فيهم أن يقضوا حياتهم نيامًا. لا بل إنَّ وجودها أمر لا بدَّ منه، فبعضها
 ٣٥ يبدو نفعه واضحا بذاته،/ وبعضها يكون نفعه خفيًّا فيكشف الزَّمن عن الكثير منه؛ وليس منها ما
 يكون وجوده عبثًا حتَّى بالنسبة إلى الإنسان. أمَّا أن نذمَّها لأنَّها، في مُعظمها، حيوانات برّية،
 فهذه لعمري مسخرة ما دام الإنسان نفسه يُصبح وحشًا برّيًا؛ فإن لم تكن واثقة من الإنسان بل
 ٤٠ تقف منه على حذر وتَدفع عنها شرَّه، فأين العَرابة في الأمر؟/

١٠ ولكن إذا كان الإنسان مَقسورًا على الشرِّ، وهو في الشرِّ عن غير إرادة منه، فليس
 الظَّالمون مسؤولين عن ظلِّهم ولا يلقى المظلَّمون أجْرًا على ما يُقاسونه كأنَّهم يُقاسونه من تلقاء
 ذواتهم. وإذا كانت الحتمية هي التي اقتضت إذا أن يُصبح النَّاس أَردياء - سواء كانوا بواسطة
 الحركة الكلِّيَّة أو بواسطة الأصل الأوَّل وهو يمدُّ منه ما يليه بكيانه - فإنَّ الأوضاع كلها، ما
 ٥ دامت كذلك، إنَّما تجري بحكم الطَّبيعة. / ثُمَّ إذا كان العقل نفسه هو الصَّانع فما بال الظلم لا
 يكون منه هو أيضًا؟ أجل إنَّ الإنسان مسير لأنَّ الذَّنْب يتمَّ جبرًا؛ غير أنَّ هذا لا يُبطل كون
 الإنسان فاعلاً هو ذاته من ذاته، ولأنَّه هو الذي يفعل فعله كان بذلك هو المذنب؛ ولأنَّ لما أذنب
 ١٠ قطُّ لو لم يكن هو ذاته/ صاحب الفعل. أمَّا الضَّرورة فإنَّها لا تأتي من الخارج، بل إنَّها موجودة
 لأنَّ النِّظام الكلِّي يقتضي وجود الذَّنْب. وليست الحركة الكلِّيَّة أيضًا، على وضع يحول بين كلِّ
 شيء وبين أن يتعلَّق بنا؛ فلو كان كلُّ شيء مُحدَّدًا من الخارج، لكان لا يتمَّ إلَّا بحسب ما أَراده
 صانعه؛ ومن ثَمَّ لن يأتين النَّاس، حتَّى العُصاة منهم، بمُخالفة قطُّ للأمور، ما دامت هذه
 ١٥ الأمور من صنْع الأرباب. والواقع أنَّ تلك المُخالفة تحدث، وهي من الادميين. / فإذا ما وضع
 الأصل لزم التابع لا محالة، على أن تؤخذ معًا، للوصول إلى النتيجة، كلُّ الأمور التي تكون
 أصولًا والادميون أيضًا هم أصول. فإنَّ أقلَّ ما يُقال فيهم هو أنَّهم يُقبلون على الخير والحُسْن
 بفطرتهم الخاصَّة، ولهذا بالذَّات عمل أصل يندفع إلى غرضه من تلقاء ذاته.

١١ هل يكون الجزئي فيما هو عليه بضرورة الطَّبيعة وتوالي عللها فيتمَّ له بذلك من الحُسْن
 ما يوسعُه أن يتلقَّاه؟ كلا! بل إنَّ العقل هو الذي يفعل كلَّ ذلك، وهو مُطلق السَّيادة يصنع ما
 يشاء، فيحدث هو ذاته ما ندعيه شرًّا لأنَّه لا يريد أن يكون كلُّ شيء خيرًا كما هو الأمر من رجل

٥ الفنّ الذي، إذا كان يرسم حيواناً، / لا يجعل كلّ شيء عيوناً في هذا الحيوان؛ فكذلك أيضاً لم يصنع العقل الأشياء كلّها أرباباً، بل إنّه أخرج من صنعه أرباباً وجنّاً على أنّهم من المقام الثاني في الوجود؛ وأدميين وحيوانات من بعدهم، وما كان ذلك منه بدافع الحسد، بل بدافع حكمة تنطوي على عالم روحانيّ مختلف الأجناس. أمّا نحن فموقفنا من هذه الأمور كلّها موقف من لا خبرة عندهم بفنّ الرسم، يعيرون على الرسّام عدم انتشار الألوان/ الزّاهية في كلّ ناحية من لوحته في حين أنّه جعل لكلّ من تلك التّواحي اللون الملائم لها؛ ثمّ إنّ المدّن لا يتساوى المواطنون فيها حتّى ولو كانت قائمة على نظّم لا عيب فيها؛ وإلاّ لأصبح من العيب في المأساة المسرحيّة ألاّ يكون الجميع فيها أبطالاً، فلا مملوك صعلوك ولا فاحش بذيء؛ مع أنّ الرّونق فيها يزول إذا جرّدت من هذه الأدوار الدّنيّة/ التي تخرج بها وافية الشّروط مكتملة.

١٢ إذا كان العقل إدّاً، بعد اثتلافه مع الهيولى، هو الذي أحدث تلك الأشياء وهو آنذاك بحيث أنّه في ما كان عليه، أعني ليس مُتجانس الأجزاء، إذ أنّه كذلك خرج ممّا هو قبله، فإنّك لن تجد عالماً يفوق حسناً هذا العالم الذي تولّد من حيث أنّه كذلك تولّد. فليس من شأن العقل أن يكون كلّاً من مُتجانسات ومُتقاربات وهو وجه لو قام عليه لكان عيباً فيه، / إذ إنّّه هو الأشياء كلّها والأجزاء فيه كلّ على حياله مُختلفة في أوضاعها. فإذا ساق إلى العالم أموراً أخرى من أصل غريب عنه - ولتفترضها نفوساً - وحاول أن يوفّق بين خلقه وبين الكثير منها فأكرهها على ما يخالف طبائعها وعلى أن تتخطّ من مقامها، أفيكون على صواب في ما فعل؟ بل الوجه في القول هو أنّ القفوس من العقل كالأجزاء، / فإنّ جعلها تتسجم مع الكلّ لم يحطّ من شأنها بل عيّن لها التّاحية اللائقة بها وفقاً لما كانت أهلاً له.

١٣ ثمّ إنّّه يجب ألاّ يُرد قول الذين يذهبون إلى أنّ العقل لا يقصر نظره، في كلّ آونة، على الحاضر بل يشمل به المراحل السابقة وما هو في مُستقبل الزّمان. فإنّه إلى ذلك يستند ليرتّب الجُزء بالحقّ ويبدّل الأحوال، جاعلاً من سادة الأطوار السابقة عبيداً إذا كانوا آنذاك سادة/ أشراراً (فضلاً على أنّ لهم في الوُضع هذا منفعة)، ومحوّلاً من أساؤوا في استخدام أموالهم إلى فقراء لا يجدون الكفاف، مع أنّه ليس في الفقر خير حتّى على الصّالحين. ثمّ إنّ الذين قتلوا بالظلم يُقتلون هم أيضاً بدورهم، والقَتْل عند ذاك ظلّم من القاتل ولكنه عدلٌ في حقّ المقتول. وهكذا فإنّ من كان من شأنه أن يُصاب بشيء يُساق حتماً إلى حيث يلتقي/ بمن أعدّ ليُجري عليه ما ينبغي أن يُصاب به. فلا يُصبح الرّجل عبداً بحكم ظروف تصادفت، كما إنّّه ليس من اتفاق القرائن أن يؤسر في الحرب وأن يُعاني في جسده أمر الأذى، بل لأنّه، فيما مضى، سبق وأتى

هو بما ينزل به الآن. فمن يقتل أمه يُبعث امرأة فيقتله ولده، ومن يغتصب امرأة يُصبح امرأة
 ١٥ حتى يُغتصب بدوره. / ومن ثم ما لا مرد له وهو القضاء الذي عرفناه بكشف رباني؛ فينظام
 العالم الكلّي هو القضاء حقًا والحق بالذات والحكمة العجيبة. وإن كنا نشاهد ما نشاهده في
 العالم، وجب علينا أن نتيين ذلك النظام الدائم الممتد إلى الأشياء كلها وكيف أنه بحيث يمتد
 ٢٠ إلى كل شيء مهما كان صغيرًا حقيرًا. / إنه للفن العجيب المنتشر ليس في عالم الرّبانيات فقط،
 بل في عالم تلك الأشياء التي نَظَن أيضًا أن العناية تنظر إليها بشيء من الاحتقار. ثم إنه ما أعظمه
 من فن يأتي بالمُعجزات على اختلاف وجوها تجده في عالم الحيوان مهما يكن جنسه ويشمل
 بثبوذه عالم الثّبات بما فيه حيث البهي المنظر بجماله وأوراقه والسريع الازدهار بأزهاره واللين
 ٢٥ الممشوق والمتنوع الألوان. / هذا مع العلم أن كل ذلك ليس من صانع يعمل دفعة واحدة ثم
 يكف عن العمل، بل إنه وليد صنع يتجدد دائمًا ما دامت العلويات تتحرك ولا تبقى على وضع
 واحد في ما يقابلها من هذا العالم. فلا يتغير عن طريق الاتفاق ما يتغير ويظهر بالهيئات
 المختلفة، إنما تتم هذه التبدلات وفقًا لمقاييس الحُسن ولما يليق بالقوى الرّبانيّة أن تفعل
 أفعالها. والأمر الرّباني لا يفعل فعله إلا وفقًا لما فطر عليه؛ وهو مَفتور على أن يكون
 ٣٠ مُنصَجَمًا مع ما هو عليه في / حقيقته؛ ثم إن حقيقته هي التي تجعله مصحوبًا دائمًا بالحُسن
 والحق في أعماله. وإن لم يكن الحُسن والحق في عالم الملكوت، فأين عسى أن يكون؟

١٤ إن النظام الكوني إذا قائم وفقًا لما يقتضيه الرّوح بحيث إنه بدون تفكير، وهو أيضًا
 بحيث أننا لو استطعنا أن نعلم إلى التفكير لأخذنا العجب من أن التفكير ليس يجد نوعًا آخر من
 الصّنع. لهذا علاوة على أن ذلك النظام، حتى في الحقائق الجزئية، ما دامت لن تزال تحدث،
 ٥ إنما يدرك وهو بحيث أنه شيء أقرب إلى الرّوح منه إلى نظام يتم عن طريق التفكير. / أما فيما
 يختص بالأجناس جنسًا جنسًا، فليس من الصّواب أن نعب على العقل الصّانع كونها حادثة
 ضمن الصّيرورة في تقلب مستمر. وإذا فعلنا، فذلك لاعتقادنا بأنه ينبغي للجزئي الحادث أن
 يكون على مثل ما تكون عليه الأمور غير الحادثة، (أعني من عالم الرّوحانيات الأمور القديمة
 ومن عالم المحسوسات ما ظل باقيا هو هو). ولهذا يقتضي خطأ أوفر من الخير يُزاد على ما هو
 ١٠ حاضر، / ويعني أننا نرى أن الأصل المثالي الذي قسّم لكل جزئي ليس كافيًا، كأن نقول مثلاً أنه
 ليس لهذا الحيوان قرون. فلا مجال حينئذٍ إلى الظنّ بأنه يستحيل على العقل ألا يتناول الأشياء
 كلها، وأنه يجب مع ذلك في الأصغر أن يكون في الأكبر وفي الأجزاء أن تكون في الكل ومن
 المُحال أن تغدو مُساوية له، وإلا لما كانت هي الأجزاء. ذلك لأنّ الكل هو الأشياء كلها في
 ١٥ العالم الأعلى، أما هنا فليس كل جزئي الأشياء كلها. وما هو ذا الإنسان: فإن الإنسان الجزئي

وليس الإنسان الكلّي من حيث كونه جزءاً. ولكن إذا وجدت أجزاء وكان فيها شيء آخر ليس جزءاً، فبذلك الشيء الآخر يكون عالمنا كلاً. هذا وإنّ ما وجد على نحو وجود الجزئيات، لا يفترض أن ينتهي من الكمال إلى ذروته، ولأبطل كونه جزءاً. / ولا يعني ذلك أنّ الجزء إذا ازدهى وعلا شأنه ولّد عند الكلّ حسداً وأشياء؛ فإنّ الجزء إذا ازدان وعلا شأنه زاد الكلّ حسناً وبهاءً. لا بل إنّ الأجزاء لا يتم لها أن تصبح كذلك إلّا بأن تشبّه بالكلّ وأن تكون بحيث كأنّها يُتاح لها أن تُرفع إلى تلك الرتبة وأن تُبوأ من النّظام ذلك المحلّ. فيتشعّ شيء من الإنسان حينذاك في حدود المكان الذي يُقيم فيه الإنسان، مثلما هو الأمر من الكواكب في السّماء الرّبانيّة. / ولعمري فإنّ مُشاهدتنا من هنا تنبثق، وكأنّها مُشاهدة تمثال عظيم رائع (سواء أكان بنفس أم كان من صنّع ربّ الشّباب والجبروت) أشعّت الكواكب ساطعة، فمنها على وجهه ومنها على صدره، وحيث ما من شأنه في ذلك التّمثال أن يليق موقعاً لكوكب مُنير.

كذلك هو الأمر إذا من الجزئيات إذا ما نظرنا إلى كلّ منها في حدّ ذاته؛ وإنّ ارتباط بعضها ببعض، ما دامت قد تولّدت وهي لن تزال تتولّد، إنّما يتطوي على اعتراضات وصعوبات. ذلك أنّ بعض الحيوانات يفترس بعضه الآخر، والثّاس في عداء بعضهم مع بعض والحرب دائرة/ رحاها على الدّوام فلا وُضع لأوزارها ولا هُدنة فيها. وناهيك بالسّؤال فيما إذا كان العقل هو الذي جعل الأمور على هذه الحال، وفيما إذا كانت على حُسن الحال وهي كذلك. فإنّه، في مُقابل هذه الأقوال، لا يُجدي الكلام الذي سبق ذكره من أنّ حُسن الحال موقر على قدر المُستطاع، وأنّ الهيولى هي السّبب في كيان الأمور على هذا الوضع الدّنيّ. كما إنّ لا نفع/ في القول أيضاً بأنّ «الشّر لا يُمكن أن يزول» ما دام ليس من بُدّ للأمور أن تبقى كذلك، وهي في حُسن الحال ما دامت كذلك. لهذا علاوة على أنّ الهيولى إذا أقبلت لا تكون صاحبة الأمر والنّهي، بل إنّها أتي بها ليُصبح الوضع فيما هو عليه، بل الكلام الأصحّ هو أنّها بسبب العقل كذلك. ومن ثمّ فإنّ الأصل هو العقل، والعقل هو الأشياء كلّها، فتكون المُحدثات وفقاً لما يقتضيه هو وكذلك تنشأ وتدرّج على وجه الإطلاق. وبعد، فما هو إذا/ معنى الحتميّة في تلك الحرب التي لا هودة فيها في عالم الحيوان وبين آدميّين؟ أمّا ضرورة افتراس بعض الحيوانات لبعضها الآخر، فإنّما هو تبادل قائم بين أحياء ليس في استطاعتها، ولو لم ينحرف أحد، أن تدوم وتبقى. فإنّ وجب عليها، إذا أدركها أجلها، أن تتصرف بحيث يكون نفع منها لغيرها، فلماذا ينبغي أن يُستقبح ذلك في حقّها؟ نعم، لماذا هذا الاستقبح، ما دام وقوعها فريسة تحوّل فيها إلى طبيعة أخرى؟ فكذلك هو الأمر في المُمثل على المسرح، إذا قُتل غير زيّ وعاد فدخل إلى المسرح بعد اتّخاذه مظهرًا آخر؛ إنّ لم يمت حقّاً.

٢٥ والموت تبدل في الجسد إذًا، على نحو ما يتم لرجل الفن في مثلنا، أو إنه مع بعضهم خلع/ الجسد مثلما يتأتى للمثل إذا خرج من المسرح نهائيًا على أنه من شأنه أن يعود بعد ذلك لتمثيل دور آخر. فأين الهول في مثل هذا التبادل الذي يتم على الحيوانات بعضها بين بعض، وهو لعمرى خير لها من احترامها الوجود أصلًا؟ فإن في الحرمان من الحياة عند الأول استحالة ٣٠ تأمينها عند الآخر. / بيد أن في العالم الكلي حياة حقًا، وهي كثيرة الوجوه، تكفل للأشياء كلها حياة مختلفة الأنواع، وهي لن تزال تصنع وتُخرجُ ألعابًا حافلة بالحياة مُزدهية بالحسن والرونق. أما فيما يختص بالآدميين، وهُم صاثرون إلى الموت لا محالة، فإن بعضهم يُشهر الأسلحة على بعضهم الآخر ويتقاتلون بصُفوف متراصّة مُنتظمة كأنهم نازلون للمبارزة على ٣٥ رقصّة السيف والوجن. / وهذا يدلّ على أن أمور الإنسان الجديّة كلها إنّما هي أمور صبيانيّة، كما أنّه يُبْهِنُ إلى أنّه ليس في الموت هول قطّ، وإلى أنّ الموت في الحروب والمعارك إنّما هو سلب شيء قليل من العمر الذي يُقضى في سنّ الكبير، فيكون استعجالًا في الانصراف يعقبه استعجال في العودة. أما إذا جردوا من أموالهم في حياتهم، فإنّهم يعلمون حينئذٍ أنّهم لم ٤٠ يكونوا ليملكوا/ شيئًا قبل ذلك، مع العلم أنّ الذين غصبوهم تلك الأموال أخرى أيضًا بأن يُسَخَّرَ منهم إذا غصبهم ما أصبح لديهم قوم آخرون؛ وفيما لو لم يُسلب مالهم، فاحتفاظهم به شرّ أيضًا من اغتصابه. كما يجري الأمر على الواح المسرح كذلك يجب أن ننظر إلى الإغتيال ٤٥ والموت على اختلاف وجوهه كلها/ وإلى فتح البلدان وغزوها؛ فكلّ هذا تغيّر في المشاهد وتغيير في الأزياء ورياء في التوجّ والتّحجب. ذلك لأنّ الذي يبدو في واقع حياتنا ليست النفس الباطنة بل الإنسان في ظواهره وهو ظلّ. فهو الذي ينوح ويشتكي ويمثّل الأدوار كلها على هذا ٥٠ المسرح المُتّسع إلى الأرض جميعها بعد أن جعل الآدميون كلّ مكان مسرحًا. / تلك هي أعمال الإنسان الذي لم يَنْتهِ من الحياة إلّا إلى دناباها وظواهرها فيجهل أنّه في لهو صبيانيّ ما دام مُستسلمًا إلى بُكائه ولو كان لبكائه ما يسوّغه. فإنّ المُقابلة بالجدّ لا تجب إلّا مع الجانب الفاضل من الإنسان أثناء انصرافه إلى الأعمال الجديّة، أمّا ما سوى ذلك في الإنسان إنّما هو ٥٥ ألعوبة، والألعوبة تؤخّذ بالجدّ عند الذين لا يعرفون ما هو الجدّ/ وعند الذين هم أنفسهم الأعيب. فإذا شاركهم أحد في لعبهم وأصيب بما وصفنا، فلنعلم أنّه واقع بين صبيان في لهو وقد خلّع عنه ما كان ألعوبة منه. فإنّ سقراط إذا لها، إنّما تلهو الظواهر من سقراط. ثمّ يجب أن ٦٠ نذكر أيضًا ما يلي: وهو أنّه لا ينبغي أن نجعل البكاء والتّشكّي/ دليلًا على فاجع صاب. فإنّ الصبيان أيضًا يكونون ويتشكّون ولا مُصاب.

١٦ لكن إذا كانت هذه الأقوال صحيحة، فإنّ الرّداءة بعد ذلك؟ بل أين الظلم؟ والذنب

أين هو؟ وما دامت الأشياء كلّها في حُسن الحال، فأين المجال لمن يُعايل بالظلم ويرتكب
 الذنوب؟ بل كيف تجد الأَشقياء في الأرض ما دام ليس من يأتي يظلم أو يرتكب ذنباً؟ كيف
 ٥ تحكم في الأمور بأنّ منها ما يُوافق الطّبع/ ومنها ما يُنافيه ما دامت المُحدثات كلّها وفقاً لما
 تقتضيه الطّبيعة؟ أين التّجديف، مهما كان نوعه، على العالم الإلهيّ، إذا كان هذا العالم على
 نحو ما وصفنا؟ فكان شاعراً نظّم مأساة جعل فيها من كان دوره التّوجّه بالشّيمة إلى مؤلّف
 ١٠ المأساة نفسه. فلنُعُدْ إذاً إلى بدء/ ما نحن فيه ولتوضح ما هو العقل وكيف يليق به أن يكون في
 ما هو عليه. - ألا فحزّي بنا البحث في الأمر، لربّما كنّا من المُستعدين خطّاً - أقول: إنّ هذا
 العقل إذاً ليس روحاً خالصاً وليس الرّوح في حدّ ذاته. ثمّ إنّهُ ليس من جنس النّفس الطّاهرة ولو
 ١٥ كان مُرتبطاً بها، بل كأنّه إشعاع ينبعث من الطّرفين، طرف الرّوح وطرف/ النّفس، ما دامت
 النّفس في الوضع الّذي يستلزمه الرّوح. فإنّ الرّوح والنّفس معاً يولّدان ذلك العقل على أنّه حياة
 تنطوي على سرّ تنبني منه ساكنة مُطمئنة، وكلّ حياة إنّمّا هي قيام بعمل، حتّى ولو خسر شأنها؛
 ولكنّه ليس عملاً كالّذي تقوم به النّار، بل إنّ قيام الحياة بعملها، وإن لم يصحبه إدراك، إنّما هو
 ٢٠ حرّكة ما ولا يقع إتّفاقاً. فأقلّ ما يُقال في الأمر هنا هو أنّ ما ليس فيه إدراك/ وله حظّ ما من
 الحياة، مهما كان نوعه، يُسبك في العقل على الفور، أعني أنّه يُضبط بصورة تعمّره. ولا غرو،
 ما دام لعمل الحياة طاقة على أن يعمر بالصّورة، وما دامت الحياة، إذا تحرّكت، تتحرّك بحيث
 تُلبسها الصّورة. إنّ عمل الحياة هو عمل فنّي إذاً، مثلما يتمّ لمن يتحرّك راقصاً؛ فإنّ الرّاقص
 ٢٥ يُشبه الحياة الّتي تُبسط هُكذا بفنّ،/ وإذا حرّكه الفنّ سيّره بحيث تكون الحياة نفساً على نحو
 ما هو عليه بوجه ما. لهذا ويتخذ قولنا هنا دلالة على كيف يجب أن نتصوّر الحياة مهما كان
 نوعها. فإنّ العقل إذاً من الرّوح الواحد ومن الحياة الواحدة، وكلاهما كامل في كيانه. إلّا
 ٣٠ أنّه، وهو عقل، ليس حياة ذات وحدة أو روحاً ما ذا وحدة،/ وليس أيضاً كامل البنيان من كلّ
 وجه. فإذا أمدّ الأشياء الّتي يمدّها، لم يمدّها بذاته كلّها كما إنّهُ لا يمدّها بهذا الذات على أنّه كلّ
 ٣٥ شيء. ولكنّه، ما دام يجعل الأجزاء يُقابل بعضها بعضاً الآخر، ويُخرجها ناقصة، فإنّه بذلك/
 ما تقوم عليه وما منه تتولّد الحروب والمعارك، فهو كذلك كلّ ذو وحدة إذ أنّه ليس واحداً على
 وجه الإطلاق. ذلك لأنّه، على كونه في تنافر مع ذاته بسبب أجزائه، فإنّه واحد، مُتألف بعضه
 مع بعض على نحو ما يتمّ في موضوع مأساة إذا حصل؛ فإنّ موضوع المأساة واحد ولو كثرت
 فيه وجوه التّنافر. لهذا مع العلم أنّ المأساة تسوق موادّ التّنافر إلى حيث تُصبح في وضع الوحدة
 ٤٠ المُنسقة العناصر؛ في حين أن الموضوع/ آنذاك يضبط المُتنافرات بشيء من التّوافق أثناء
 تطوّرهما كلّهُ. أمّا التّنازع القائم بين الأجزاء المُنفصلة في العالم، فإنّمّا هو من أصل واحد،
 وهو العقل. ومن ثمّ فإنّ الأجلر بنا أن نشبّه ما نحن فيه بالتّناسق الّذي يجمع بين المُتنافرات

ذاتها وتَسْأَلُ عن سبب وجود تلك المُتَنَافِرَاتِ في «البُنى البذرية». وتَقَابِلُنَا هُنَا نِسْبُ الأَلْحَانِ
الَّتِي تَجْعَلُ الصَّوْتِ الضَّخْمَ والصَّوْتِ الحَادَّ يَتَأَلَّفَانِ فِي إِيقَاعٍ وَاحِدٍ. وما دَامَتْ تِلْكَ النِّسْبُ
أَسَسَ التَّأَلُّفِ فِي الأَنْغَامِ، فَإِنِّي أَعْنِي بِهَذَا «الإِيقَاعَ الوَاحِدَ» إِيْقَاعًا مَعِيْنًا هُوَ أَسُّ نِتَاسِبِي آخِرُ زَادٍ
وَاتَّسَعَ حَتَّى أَصْبَحَتْ الأَسْسُ الأَوَّلَى مِنْهُ أَلْحَانُهُ الفرعِيَّةُ وَأَجْزَاءُهُ. وَإِذَا صَحَّ ذَلِكَ، فَإِنَّا نَشَاهِدُ
٤٥ فِي الْعَالَمِ الكَلِّيّ أَيْضًا المُتَقَابِلَاتِ، مِثْلُ الأَبْيَضِ/ والأسود، والحَارِّ/ والبارد، والطَّائِرِ وَغَيْرِ
الطَّائِرِ، ذِي القَوَائِمِ وَمَا لَا قَوَائِمَ لَهُ؛ التَّاطِقُ وَغَيْرُ التَّاطِقِ، وَهِيَ جَمِيعًا أَجْزَاءُ الْجِسْمِ الوَاحِدِ،
أَيُّ الْحَيَوَانِ الكَلِّيّ. وَالْحَيَوَانِ الكَلِّيّ مُنْجَمٌ بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ عَلَى كَوْنِ أَجْزَائِهِ مُتَنَافِرٍ بَعْضُهَا مَعَ
بَعْضٍ غَالِبِ الأَحْيَانِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي جَمْلَتِهِ وَفَقًّا لِمَا يَتَقَضِيهِ الْعَقْلُ. وَمِنْ ثَمَّ فَلَا بُدَّ لَذَلِكَ
٥٥ الْعَقْلِ الوَاحِدِ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَقْلًا تَوْحِيدًا/ مِنْ تَنَاسُقِ المُتَقَابِلَاتِ فِيهِ، بِمَعْنَى أَنَّ هَذَا التَّوَعُّدَ مِنْ
التَّقَابِلِ بَيْنَهَا هُوَ الَّذِي يَكْفُلُ لِلْعَقْلِ بُنْيَتَهُ بَلْ أَيْضًا حَقِيقَتَهُ إِذَا جَازَ لَنَا الْقَوْلُ. فَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَا كَثْرَةٍ لِمَا
كَانَ كَلًّا وَلِمَا كَانَ عَقْلًا. وَمَا دَامَ عَقْلًا، فَإِنَّهُ مَعَ ذَاتِهِ مُخَالَفًا لذَاتِهِ؛ وَالمُخَالَفَةُ إِذَا كَانَتْ عَلَى
أَشَدِّهَا أَصْبَحَتْ تَقَابُلًا. وَمِنْ ثَمَّ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ المُتَخَالَفَاتِ بَدًّا، وَإِنْ كَانَ الْعَقْلُ هُوَ الَّذِي
٥٥ يَوْجِدُهَا، فَلَا غُرُوبَ إِنْ أَحْدَثَ التَّخَالَفَ وَأَحْدَثَهُ عَلَى أَشَدِّهِ، لَا عَلَى أَوْعَفِّهِ/ مِمَّا مِنْ شَأْنِ
التَّخَالَفِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ. وَإِذَا انْتَهَى الْعَقْلُ كَذَلِكَ بِالتَّخَالَفِ إِلَى أَقْصَاهِ أَحْدَثَ المُتَقَابِلَاتِ لَا
مَحَالَةً؛ وَهُوَ عَقْلٌ كَامِلٌ بِقَدْرِ مَا إِنَّهُ يَجْعَلُ ذَاتَهُ قَائِمًا لَيْسَ عَلَى المُتَخَالَفَاتِ فَقَطْ بَلْ عَلَى
المُتَقَابِلَاتِ المُتَنَاقِضَاتِ أَيْضًا.

١٧] وَمَا دَامَ الْعَقْلُ بَحِيْثٌ أَنَّهُ كَذَلِكَ يَعْمَلُ بِوَجْهِ الإِطْلَاقِ، فَإِنَّ الأَفْعَالَ الَّتِي يَفْعَلُهَا تَزْدَادُ
تَنَاقُضًا بِقَدْرِ مَا يَزْدَادُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ ابْتِعَادًا. فَيَكُونُ الْعَالَمُ الْحَسِّيُّ دُونَ عَقْلِهِ وَحْدَةً، وَمِنْ ثَمَّ
هُوَ أَشَدُّ كَثْرَةً، وَالتَّنَاقُضُ فِيهِ أَوْفَرُ؛ ثُمَّ إِنَّ رَغْبَةَ الْجُزْءِ مِنْهُ فِي الْحَيَاةِ أَقْوَى وَشَوْقَهُ إِلَى الْوَحْدَةِ
٥ أَزِيدَ. / وَلَكَمْ يَهْلِكُ الْعَاشِقُ فِي سَعْيِهِ إِلَى خَيْرِهِ الْخَاصِّ مَعشُوقُهُ إِذَا كَانَ هَذَا الْمَعشُوقُ شَيْئًا قَابِلًا
لِلْفَسَادِ. فَضْلًا عَلَى أَنَّ رَغْبَةَ الْجُزْءِ فِي أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى الْكُلِّ تَجْعَلُهُ يَسْحَبُ إِلَيْهِ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْرَهُ
إِلَيْهِ. وَلِذَلِكَ نَجِدُ الأَخْيَارَ إِلَى جَانِبِ الأَشْرَارِ مِثْلَمَا أَنَّ لِلرَّاقِصِ الْمُتَقَيِّدِ بِالْفَنِّ الْوَاحِدِ مَوَاقِفَ
١٠ مُتَنَاقِضَةً؛ فَنَمِيزُ فِيهَا بَيْنَ/ الْحُسْنِ وَالْقَبِيحِ، وَنَرَى أَنَّ الْوَضْعَ عَلَى حُسْنِ الْحَالِ دَائِمًا فِي كُلِّ
طَرَفِيهِ. فَلَيْسَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ رَدِيٍّ، إِلَّا أَنَّا لَا نَنْفِي الْقَوْلَ بِوُجُودِ الأَرْدِيَاءِ؛ إِنَّمَا نَنْفِي زَعْمَ مَنْ
يَزْعُمُ أَنَّ رَدَاءَةَ الأَرْدِيَاءِ لَا تَتَّبِعُ مِنَ الأَرْدِيَاءِ. وَلَكِنْ رَبَّمَا حُكِمَ لِلأَرْدِيَاءِ بِالسَّمَاكِ، أَوْ أَنَّ الْعَقْلَ
١٥ هُوَ الَّذِي يَقْضِي فِي السَّمَاكِ لَازِمًا أَوْ غَيْرَ لَازِمٍ؛ وَالْعَقْلُ لَنْ يَقْضِيَ/ بِالسَّمَاكِ لِلأَرْدِيَاءِ. بَلْ إِنَّ
الأُخْرَى بِالْقَوْلِ هُوَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ الْخَيْرَ حَصَّتْهُ مِنَ الْعَالَمِ، وَلِرَجُلٍ الشَّرَّ حَصَّتْهُ أَيْضًا وَهِيَ
الكُبْرَى، فَكَذَلِكَ هُوَ الأَمْرُ أَيْضًا فِي الْمَاسَاةِ. فَالشَّاعِرُ يُوَزِّعُ الأدْوَارَ عَلَى المُمَثِّلِينَ الَّذِينَ بَيْنَ

يديه وقد أخذهم بما هم عليه في طبائعهم . وليس هو الذي يخلق ممثل الدور الأفضل ثم ما يليه
٢٠ ثانياً وثالثاً . إنما يختص / كل من الممثلين بالدور الذي يلائمه ، فيكون بذلك قد عيّن لكل منهم
الرتبة التي يجب أن يتنظم فيها . كذلك هو الأمر في العالم أيضاً ، حيث يُعيّن لكل فرد المحلّ
الذي يليق به ، الفاضل من ناحية والردّيء من ناحية أخرى . ويأتي كلّ منهما إذاً إلى المحلّ
الذي يلائمه ، وفقاً لما تقتضيه طبيعته ولما يقتضيه العقل ، فيتبوأ المَقام الذي يكون قد اختاره
٢٥ هو . ثم يُقبل كلّ منهما بأقواله وأفعاله ، / فهذا يجذّف ويُسيء والآخر على غير ذلك من هذا ،
وما على خلافه من ذاك . على أنّ الممثلين هنا ، إنّما كانوا قبل المأساة في ما هم عليه بطبائعهم
عندما عرّضوا أنفسهم للاشتراك في المأساة . أمّا في المآسي التي يضعها الإنسان ، فإنّ الشاعر
يوزّع الأدوار ، ويبرز الممثلون حينئذٍ كلّ بما لديه ، ومن لَدَنه يكون تمثيله ، الحسن منه
٣٠ والقبیح ، / إذ أنّ عملهم لا ينتهي مع حفظهم أشعار الشاعر . أمّا في ما هو أخرى وأحقّ بأن
يكون مأساة ، والذي يتقلّده في بعض جوانبه فقط هؤلاء الرجال الذين حصلت عندهم الموهبة
الشعرية ، فإنّ النفس هي التي تكون الممثلة . وإنّها لتتلقّى أدوار تمثيلها من الشاعر الأكبر وهو
٣٥ الصانع . وكما يتلقّى المُمثّلون على المسرح أفئدتهم وأزياءهم ، / الفخمة منها والبالية ، فكذلك
أيضاً تتلقّى النفس ما قُسم لها ، وذلك من غير طريق البَخت والاتفاق ؛ فإنّه هو أيضاً يأتيها وفقاً
لما يقتضيه العقل . وإذا انسجمت النفس مع ما قُسم لها ، تمّ التوافق بين الطرفين واندرجت هي
في تصميم المأساة وفي نظام العقل الكلّي . ثمّ تُصبح وكأنّها تلفظ ما لديها من الأعمال والأمر
٤٠ الأخرى التي من شأنها أن تخرج بها وفقاً / لما طُبعت عليه ؛ وكأنّها أثناء ذلك ترفع صوتها
بالإنشاد . هذا وإنّ الصّوت والموقف حسنان أو قبيحان بالطبع . فالممثل آنذاك يزيدي في رونق
الإنتاج الفنّي ، فيما يعتقدون ، أو أنّه يُقبل على المسرح مع صوته القبيح . ولا يُخلو ذلك
تحوّلاً في المأساة إلى غير ما هي عليه ، بل يكون الممثل قد ظهر بما لا يلائم الموقف . فيصرفه
٤٥ واضح / المأساة إذ يراه غير أهل للإكرام ، وهو في ذلك على صواب من حكمه . أمّا المُمثّل
الأوّل فيُعلي شأنه ويكرمه ويختصّه بأروع المآسي حسناً ، إذا توافر لديه منها ، في حين أنّه يدع
الأخر للتمثيل في المآسي التي قد تكون عنده وهي من سقط المُتاع . كذلك من النفس أيضاً :
٥٠ فإنّها تنسلك في قصيد هذا العالم الكلّي ، وتُنزل فيه ذاتها جزءاً من المأساة ، / مُضطحجة مع
ذاتها ، للقيام بدورها ، ما فطرت عليه من خير أو من شرّ . ثمّ تنظم في مقامها إنّا دُخلها
وتتلقّى كلّ شيء باستثناء ما هي عليه في ذاتها وباستثناء أعمالها الخاصة . فلا غرو إذا أصابها
جزاؤها بعد ذلك ، فتعاقب أو تُتَاب . لهذا وإنّ لتلك النفوس القائمة بأدوارها التمثيلية أموراً
أخرى تُضاف على ما ذكرنا : فإنّهنّ يلعبن أدوارهنّ على مسرح أوسع من مسارحنا ، وإنّ
٥٥ الصانع / جعلهنّ صاحبات الأمر والتهمي في العالم الكلّي . ثمّ إنّهنّ هنّ اللواتي يُحدّدن ما

بين الإكرام والإذلال، ما دُمَ يَتَمَتَّعَ بالقُوَّة العُظمى الَّتِي تُخَوِّلُهُ الانسحاب على المَنَاطِق كُلِّهَا في مُختلف أنواعها. فيُبدِرَنَ من تِلْقاء ذواتهنَّ إلى ملاقة الإكرام والإذلال، على أَنَّ من شأن كُلِّ منطقة أن تنسجم مع الطَّبائع الَّتِي تحلُّ فيها. فيتَمَّ للتقوس حينذاك توافقهنَّ مع عقل العالم الكلِّي، / وتندرج كُلُّ نفس وفقاً لما تقتضيه الحكمة، مع الأجزاء الكونية الَّتِي حكم لها بها. مثل ذلك كمثل الوتر في القيثارة حيث يُجعل كُلُّ وتر في مكانه الخاص الَّذِي يُلائمه. ويَكُون ذلك بحسب ما يستلزمه الأصل الَّذِي يُسَيِّر إخراج اللحن، وعلى نحو ما يَتيسَّر لذلك الوتر من إمكان في تأمين الإخراج المقصود. ذلك لأنَّ الحكمة والحُسن إنَّما يَتَمَّان في العالم الكلِّي إذا انتظم كُلُّ جزئي في المقام الَّذِي يَنبغي له، على أن يرمي بصاحب الصَّوت القَبيح/ في الظلام، في نهر التتر، حيث يَقتضي الحُسن أن يكون الصَّوت كذلك. فإنَّ ما يَكتفل الحُسن للعالم الكلِّي، ليس أن يكون كُلُّ فردٍ هو الشَّاعر لينوس، بل أن يكون كُلُّ فرد مُقْبِلاً بِلَحْنه الخاصِّ ومُسهِماً في تحقُّيق التناغم الواحد. فيَنبعث صوته عندئذٍ وهو حياة، ولو كانت حياة ٦٠

دَليلة الجانب، ضئيلة القدر، غير كاملة. كما أَنَّهُ ليس في التَّاي أيضاً صوت/ واحد، بل إنَّ فيه صوتاً ضِعْفاً وصوتاً شَحيحاً ولكلَّ صوت سَهْمه في جملة الأنغام المُتوافقة الَّتِي تَخْرُج من التَّاي. ذلك لأنَّ التَّغْمَة المُتناسقة موزَّعة على ألحان جزئية غير مُتساوية، فلا تكون كُلِّها على التَّساوي، بل يكون الصَّوت الواحد الَّذِي يَتولَّد منها كُلِّها معاً، هو هو الصَّوت الكامل. وكذلك الأمر في العقل الكلِّي: إنَّ له وحدة وإنَّه موزَّع على ما ليس بَعْضه مُتساوياً مع بَعْضه الآخر. ومن ثَمَّ مناطق العالم الكلِّي المُتباينة، / الخيرة منها والسَّيئة، فتنتظم التقوس، وهي غير مُتساوية بَعْضها مع بعض، وفقاً لما ليس مُتساوياً بَعْضه مع بعض. والثَّانِج عَن هذا الوَضْع هو أَنَّ المَنَاطِق لَيْسَتْ مُتشابهة كما أَنَّ النَّفْس لا تكون هي هي واحدة في كُلِّ مِنطقة. بل إنَّ التقوس غير مُتساوية وهي تلتزم مناطق يَختلف بَعْضها عن بَعْضها الآخر. ٨٠

ومِثْلما أَنكَ تجد الاختلافات في التَّاي أو في آلة عَزَف أخرى مهما كان نوعها، / وكذلك الأمر أيضاً من التقوس: فَهِنَّ يَحْلُلْنَ في مناطق مُتباينة بَعْضها عن بعض، يُصعَّد كُلُّ منهنَّ في منطقتها الحاناً تَنسجم مع منطقتها ومع العالم الكلِّي. إنَّ لقيامهنَّ في حال الرِّداءة منزلته في حُسن العالم الكلِّي، وإنَّ ما يَنفَاق مع طبائعهنَّ يُوافق الكلَّ في طبيعته، فلا ضَيْر هنا إذا ضَعُف الصَّوت هنالك. ٨٥

بل إذا كان صَوْتُهُنَّ على هذا الوَضْع/ لم يُحدث قَطُّ نُقصاناً في العالم الكلِّي، كما إنَّ الجَلَّاد إنَّ وجب اللجوء إلى استعارة أخرى، لا يحطُّ من قدر المَدِينَة المُحكَّمة سياستها، بالرَّغم من كَوْنه شَيْئاً قَبِيحاً. فَإِنَّهُ لا بُدَّ منه في المَدِينَة، بل طالما تَمَسَّ الحاجة إلى رجل مثله والحُسن يَقتضي وُجوده في مقامه.

وإذا كان بين الثقوس القبيح منها والحسن، فذلك راجع عند بعضها إلى أسباب خارجة عنها، وعند بعضها الآخر إلى كونها غير متساوية وكأنها كذلك أصلاً وطبعاً. فإنها فيما هي عليه بمنزلة الأجزاء من العقل الكلّي، أي أنها غير متساوية مادام بعضها منفصلاً عن الآخر. علاوة على أنه يجب أن نذكر أن للثقوس مقاماتها، مثني وثلاث، وأنها لا تستخدم دائماً الأجزاء ذاتها عندما تقوم بأعمالها. فلنعد إذاً/ إلى البدء - إذ أن بحثنا يستلزم الشيء الكثير ليتضح وينجلي - ولتبسط القول في ما يلي. يجب ألا ندخل على المسرح ممثلين يُشدون غير ما وضعه مؤلف المأساة. فكان هذه المأساة ناقصة بحد ذاتها، فيتلافون هم النقص فيها على أن المؤلف يكون قد ترك فيها فراغاً. / ومن ثم فإن الممثل بعد ذلك ليس ممثلاً فقط، بل إنه بعض مؤلف، يعرف مسبقاً ما يجب أن يقال بحيث أنه يستطيع أن يربط ما تبقى من المسرحية بما ينسب بعده ويتطور. لهذا وإن التطورات في العالم الكلّي، وعواقب السيئات من الأعمال، إنما هي معاني بديرية وتتم وفقاً لما يقتضيه العقل. فمن الزنى/ ومن اغتصاب سبايا الحرب مثلاً قد ينشأ أولاد تفرّ الطبيعة بهم عيماً، ورجال نجباء، ثم مُدن تفوق فضلاً تلك التي عاثت الأرياء فيها خراباً. وإنه لعمري السفة بالذات أن نفترض نفوساً يأتين بالحسنات ونفوساً أخرى يأتين بالسيئات. فإننا بذلك ننفي عن العقل الكلّي عمل الخير بقصدنا/ أن ننفي عنه عمل الشر. مع أنه ما الذي يمنع أعمال الممثلين على مسرح العالم من أن تكون جزئيات، مثلما هو الأمر فيما يتم في مأساة من وضع الإنسان؟ وما دام ذلك كذلك فإن الأعمال في العالم الكلّي جزئيات من لوازم العقل، ويكون العقل منطوياً في الآن نفسه على ما هو في حسن الحال وعلى ما هو في سوءه. ومن ثم يصل كل ممثل من العقل ذاته بقدر ما تفضل المأساة الكلّية مأساة الإنسان من حيث الكمال؛ وتكون الأشياء كلها من العقل أصلاً. / ولكن عمل الشر، ما هي الغاية منه؟ ثم هل أصبحت الثقوس بما فيهنّ أرفعهنّ ربانيّة بحيث لا يكون الاستدراك شيئاً في العالم الكلّي؟ ألا أنهمّ جمعاً أجزاء من العقل الكلّي؛ فحيث تكون البنى المعنوية كلها نفوساً، وإلا فلماذا يكون بعضهنّ نفوساً وبعضهنّ الآخر بُنى معنوية فقط، ما دامت كلّ بنية معنوية نفساً؟

الفصل الثالث

(٤٨)

في العناية (المقال الثاني)

١ ما عسى أن يبدو لنا في ما يختص بهذه الأسئلة؟ ألا إنَّ العقل الكلِّي يُحيط بالسيِّئات وبالحسنات كلّها، وهي أبعاد منه، حتّى السيِّئات. وليس ذلك بمعنى أنّه يولِّدها، بل بمعنى أنّه هو الكلّ وهي معه. إنَّ البنى المعنوية هي فعل نفس كليّة، وأبعاد تلك البنى هي فعل أبعاد هذه النفس. وما دام لهذه النفس، على كونها واحدة أبعاد مُختلفة، فللبنى أيضًا وبالقياس، أبعاد؛ وإنَّ لتلك الأفعال المتولّدة من هذه البنى أبعادها أيضًا، وهي آخر ما في الحقائق. ثمَّ إنَّ النفوس مُتناسق بعضها مع بعض، وكذلك الأمر أيضًا من أفعالها. وهي مُتناسقة بحيث أنّه يخرج منها شيء واحد، ولو كان هذا الشيء يتألّف من مُتناقضات. فإذا انبعثت الأشياء كلّها من شيء واحد، عادت كلّها إلى شيء واحد طبعًا وحتما. ومن ثمَّ كان من شأن الأمور المُختلفة فِطْرَةً/ والمُتناقضة تولّدًا، أن تُدفع معًا بسبب تكوُّنها من شيء واحد، إلى تحقيق نظام واحد. هذا ما يتم بين الأفراد في جنس الجياد: فإنَّ الجياد تتصارع وتتعاوض وينسب بينها التهاوش والغيرة. وهي مع ذلك تشكّل حُسْنًا واحدًا مثلما هو الأمر مع غيرها من الحيوانات. وهكذا القول أيضًا في الادميين. فيجب/ بعد ذلك إذا ضمَّ كلّ هذه الأنواع في جنس واحد وهو «الحيوان». ثمَّ تُمَيِّز الأشياء التي ليست حيوانات، كلّ شيء بحسب نوعه حتّى ننتهي إلى الجنس الواحد منها، وهو جنس ما ليس من عالم الحيوان. ثمَّ ترتفع من هنا، إن شئنا، إلى ما هو الوجود، وأخيرًا إلى ما يمدّ بالوجود ويكفله. والآن بعد أن ربطت كلّ شيء بهذا الأصل عد وسرّ نزلاً: فما أنت ذا تفصل وتقسّم، وترى الواحد يتشعب بامتداده إلى الأمور كلّها وسلوكها معًا في نظام واحد. فإذا أصبح في تشعبه في مُنتهاه أصبح الواحد حيوانًا ذا كثرة. ثمَّ يسعى كلّ جزء من أجزاء هذا الحيوان إلى عمله وفقًا لما تقتضيه طبيعته الخاصّة، وهو في الآن نفسه، لا يزال ثابتًا في العالم الكلِّي. فالتأثر تحرق مثلًا، والجواد يقوم بأعمال الجواد. أما الادميون، فلكلّ منهم ما فُطر عليه وله، يختلف بعضه عن بعضه الآخر. كما أنّهم يختلفون هم في طبائعهم. / وفقًا لهذه الطبائع تتتابع الأعمال وتبسط الحياة، في ما كان منها على حُسن

الحال وفي ما كان منها على سوءه .

٢ أما الظروف والقرائن فإنها ليس لها الأمر في ضمان حسن الحال ، بل إنها تابعة لما تقدم عليها مُنسجمة معه ، وهي تقع من حيث أنها مُشتبكة بِجُملة المُتتابعات . والذي يَشبك الأشياء كلها بعضها ببعض إنما هو الأصل المُدبّر مع الأمور التي تُساعدُه ، وهي مَفطورة على الميل إلى كلا طَرَفَي الخير والشرّ . / فكذلك الوضع في الجيوش حيث يأمر القائد ويمثل الجنود وأمره صفاً واحداً . كل شيء ينظم بعناية القائد الذي يأخذ عدته لما سوف يحدث من عمل أو مصابٍ ، ولما لا بدّ من حضوره أيضاً ، من الأكل والشرب والأسلحة وأدوات القتال . وكذلك الأمر في ما يُتوقّع من تضايف بعض ذلك مع بعض ، حتّى يُتاح لما من شأنه أن يخرج منه أن يتمّ على خير الحال . / فلا غرو إن جاءت الأشياء كلها على وجه اليسر واليمن ، وذلك بفضل القائد . مع أنّه ليس له سبيل إلى ما من شأن العدو أن يقوم به . أمّا إذا كان بحيث تنال أوامره جيش هذا العدو ، بله إذا كان ذلك «القائد الأعظم» الذي تخضع له الأشياء كلها ، فأَي شيء لا يأتي عليه النُظام ، وأي شيء يكون خارجاً عن التناسق المُحكّم ؟ / ١٥

٣ ربّما تقول : «وما الحيلة إن كنتُ أنا ربُّ أمري ، أختار ما أشاء؟ قلنا : «بل إن ما اخترته إنما هو مُنضبط في نظام . فإن ما هو أنت وما هو منك ليس شيئاً عارضاً أُضيف إلى الكلّ . إنما كلّ ذلك مَحسوب في الكلّ ، وهو كذلك بما هو عليه» . وقد تقول : «ولكن أتى كان لي ما أنا عليه؟» إنّنا هنا أمام أمرين ينبغي البحث فيهما : الأوّل هو السّؤال فيما إذا كان يجب أن تُلقَى على الصّانع تهمّة كوننا في ما نحن عليه / خُلُقاً وطبعاً ، أو علينا نحن بعد أن أصبحنا في عالم الوجود . والثّاني هو السّؤال فيما إذا لم يكُ الأخرى بنا أن نمتنع عن كلّ تشكُّ بوجه الإطلاق ، مثلما أنّنا لا نشكو في الثّبات إنّهُ لا يحسن ولا في سائر الحيوان إنّهُ ليس يكون الإنسان عليه . وإنّ فعلنا ، فلا فرق بيننا وبين من يشكو في الادميين أنّهم ليسوا في ما هو الأرباب عليه . ولعمري ، لماذا يُجوز العقل لنا أن نتهمّ هنا تلك الأشياء بالتقصص وصانعيها بالتقصير ، / ثمّ لا نشكو في الإنسان أنّه ليس خيراً ممّا هو عليه؟ فإذا كان بوسعُه أن يجعل نفسه خيراً ممّا هو عليه ، أصبحنا هنا أيضاً أمام أمرين : أو أنّه هو الذي يُضيف شيئاً لتحصيل هذا الخير ، فليُلم نفسه حيثنّذ على أنّه لم يفعل ؛ أو أنّه ليس له ذلك من ذاته ، بل يجب أن يأتيه من الخارج ، من الأصل المُحدث . وعند ذلك يكون سفيهاً إذا طالب بمزيد على ما ناله ، / مثلما أنّه كذلك يكون فيما لو طالب بمزيد على ما لدى الحيوانات الأخرى وعلى ما في الثّبات . فإنّ الذي يجب ، ليس الطّلب فيما إذا كان الشيء دون غيره مقاماً ، بل الطّلب فيما إذا كان الشيء ،

وهو في ما هو عليه، مُتكاملاً بذاته مع ذاته . فالتساوي بين الأشياء كلها لم يكُ قط واجباً . هل يعني ذلك أنّ الذي قَسَمَ الأشياء كلها بقياس هو الذي فَضَّلَ وجوب كونها غير مُتساوية؟ لا ثم ٢٠ لا! بل إنها كانت كذلك وفقاً لما تقتضيه الطَّبيعة . / فإنّ العقل الكلّي إنما هو تابع للنفس الكلّيّة وهي تختلف عنه، وهذه النفس الكلّيّة تابعة للروح، والروح ليس شيئاً ذا وحدة قائماً بين تلك الأشياء، بل إنّ الأشياء كلها . ثم إنّ الأشياء كلها ثابتة في الكثرة؛ وما دامت في الكثرة فليست شيئاً واحداً يبقى هو هو، بل إنّ بعضها في المقام الأوّل، وبعض آخر في المقام الثاني وهكذا على التوالي، كلّ شيء عند ما هو أهل له . لهذا وإنّ الأشياء ليست نفوساً فقط، بل إنّها نفوس ٢٥ طرأت عليها مناقص، / ما دامت الأحياء تنحطّ شأنًا في تسلسل بعضها عن بعض . فإنّ المعنى البذري الحي، ولو كانت تعمّر نفس، إنّما هي نفس تختلف عن تلك التي خرجت منها على أنّها معنى بذري . ثم إنّ الكلّ المكوّن من النفوس والبنى البذرية يسير في تناقض مستمرّ في حين سعيه إلى الهيولى، ولا يزال ما يتولّد منه ماضياً هكذا في نقصان مُتواصل . والآن نعال ٣٠ ٣٠ وتأمل: ما أبعد هذا العالم الحادث عن أصله، وما أحرّاه مع ذلك / باعجابنا . وإذا كان هو كذلك ناقصاً، فلا يلزم عند أن يكون ما يتقدّمه في مثل ما هو عليه . بل لشدّ ما يفوق هذا المُتقدّم عالمنا الحادث . ولا سبيل إليه للتهمة، بل ما أحرّاه باعجابنا إذا جاد عليه بشيء آخر يكون معه وبأن تكون آثاره في ما هي عليه من وضع وحال . وإذا زاد في إعطائه على ما في وسع تلك الآثار ٣٥ أن تتلقّى منه، فإنّه بذلك أجدر بالتقدير أيضاً . / فظاهر إذا أنّ اللوم إنّما يقع على الحوادث، أمّا العناية فهي أعظم من أن يُنال منها .

٤ لو كان الإنسان شيئاً بسيطاً - أعني بذلك أنّه لو بقي في ما كان عليه عندما صُنِعَ، ولم يتغيّر فيه شيء من حيث فعله وانفعاله - لما كان فيه مدعاة إلى اللوم، مثلما هو الأمر من الحيوانات الأخرى . لكنّ الواقع هو أنّ اللوم سبيلاً إلى الإنسان وهو شرّير، وقد يكون اللوم ٥ حينئذٍ في مكانه . / فإنّ الإنسان ليس ذلك الشيء الذي خرج من بين يديّ الصانع فقط، بل إنّ لديه أصلاً آخر أيضاً وهو أصل حرّ . (على أنّ هذا الأصل ليس خارجاً عن نفوذ العناية وليس مُستقلاً عن العقل الكلّي . كما أنّ العالم الروحاني ليس مُنفصلاً عن عالمنا، بل إنّهُ هو الأفضل ١٠ يشعّ في / ما هو دونه، وتلك هي العناية بكمالها . لهذا وإنّ العقل عقلاً، العقل الصانع والعقل الذي يربط العلويّات بعالم الحوادث؛ فالعقل الأوّل هو العناية في العالم الأعلى، والعقل الثاني الذي يشعّ عن العناية بما فوق إنّما هو عقل آخر مُتعلّق بالعقل الأوّل . فمن الطرفين تكون لُحمة العالم الكلّي، وتلك هي العناية الكلّيّة الشاملة) . إنّ لدى آدميين إذاً أصلاً آخر . بيد أنّهم لا يستخدمون كلّ ما لديهم، بل منهم من يستخدم شيئاً ومنهم من يعتمد على شيء آخر

١٥ أو على أشياء أخرى/ وهي شرّ ما فيهم. ومع ذلك فإنّ عناصر الخير في آدمي لا تزال حاضرة. صحيح أنّها لا تُحدث تأثيراً فيه، ولكنّها لا تبقى بحدّ ذاتها عاطلة عن العمل، بل يقوم كلّ منها بعمله. وربّ قائل يقول هنا: «إذا كانت هذه العناصر حاضرة، وهي لا تُحدث تأثيراً قطّ في أصحابها، فعلى من يقع الذنب في ذلك؟» أفنقول أنّها ليس حاضرة. بيد أنّنا ندّعي أنّها تشمل

٢٠ كلّ شيء بحُضورها ولم يكن شيء ليخلو منها. أو أنّ القول الذي يجب هو أنّها ليست حاضرة/ لدى هؤلاء الذين لا تؤثر فيهم. ولكن لماذا لا تؤثر فيهم جميعاً ما دامت منهم أجزاء هي أيضاً؟ (وأعني هنا ذلك الأصل الذي ذكرناه أعلاه أنه لدى الحيوانات الأخرى ليس فيها على أنّه من ذاتها. وإذا كان لدى آدميين، فإنّه ليس لدى آدميين كلّهم. أو لا يصحّ القول إذاً أنه ليس

٢٥ الأصل الوحيد لدى آدميين كلّهم؟) ولكن لماذا لا يكون الأصل الوحيد؟/ إنّه الأصل الوحيد عند بعضهم، فتكون حياتهم وفقاً لما يقتضيه؛ أمّا الأصول الأخرى فهي لديهم بقدر ما تمسّ الحاجة إليها. وسواء أكانت بنية الإنسان بحيث إنّها هي التي تجرّه إلى المعكّرات أم كانت الشهوات هي المتغلّبة فيه، فإنّ الضّرورة تقتضي على كلّ حال أن يكون الذنب في الحامل الجسديّ الذي يقوم عليه الإنسان. لكنّ أوّل ما يبدو حينئذ هو أنّ الذنب ليس في المعنى

٣٠ البذريّ، بل بالأحرى في الهيولى، وتكون الهيولى هي الأصل المتغلّب،/ لا المعنى البذريّ، ثمّ يلي الهيولى الحامل الجسد في الوجه الذي جُبل عليه. أو نقول أيضاً أنّ الحامل أصلاً إنّما هو المعنى البذري وما يتولّد منه وهو وفقاً لما يقتضيه المعنى البذري. ومن ثمّ لا يصحّ القول بأنّ الهيولى هي الأصل المتغلّب ثمّ يليها ما كان مجبّولاً منها. لهذا

٣٥ مع العلم بأنّ الوضع الرّاهن الذي نحن عليه الآن يجوز رده إلى حياة أولى./ فكأنّ المعنى البذري، ومن وراء ما اعتراه من سوابق، تعكّر صفاؤه بالنسبة إلى ما كان عليه قبل ذلك، وكأنّ النفس أصبحت أضعف جانباً، ولكنّها لن تلبث أن تعود وتشعّ بعد حين. ثمّ إنّه لا بدّ من القول أنّ المعنى البذريّ إنّما ينطوي أيضاً على معنى الهيولى، وهو يطبعها بطابعها سواء أ جعلها وفقاً

٤٠ لما يقتضيه أو رآها متناسقة معه. فإنّ معنى الثور البذريّ لا تجد مجالاً لتحقيقه إلّا/ في هيولى الثور. ولذلك يقول أفلاطون أنّ النفس تدخل في حيوانات أخرى غير الإنسان. فكأنّ النفس تتحوّل إلى غير ما هي عليه، وكأنّ المعنى البذريّ يصبح شيئاً آخر، فتصير نفس ثور تلك النفس التي كانت آدمياً قبل ذلك، ومن ثمّ كان العدل هو الذي قضى أن تنحطّ شأنًا. ولكن ما الذي اقتضى في باديء الأمر، أن يوجد ما هو منحطّ الشأن؛ وكيف تمّ الانحطاط؟ لقد قلنا غير مرّة

٤٥ أنّ/ الأشياء ليست كلّها أوّلّيات، بل إنّ كلّ ما في المقام الثّاني والثالث إنّما هو طبعاً دون ما كان مُتقدِّماً عليه، فيُخرج بأقلّ دفعة عن جادة الصّواب. ثمّ إنّ التداخل بين أصل وأصل يَتَمّ وكأنّه مزيج ما، ومن الأصليين معاً يُخرج شيء آخر أيضاً. ولا يعني ذلك أنّ هذا الشيء يكون أوّلاً ثمّ

٥٠. يَطْرَأُ التَّقْصَانُ عَلَيْهِ . بل إِنَّ التَّاقِصَ كَانَ مِنْذُ الْبَدْءِ نَاقِصًا / ، وَإِنَّ الْحَالَةَ الَّتِي أَصْبَحَ عَلَيْهَا ، أَعْنِي حَالَةَ التَّقْصَانِ ، إِنَّمَا أَلَّ إِلَيْهَا وَفَقًا لِمَا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَتُهُ . فَإِذَا كَانَ يُعَانِي عَوَاقِبَ تِلْكَ الْحَالَةِ ، فَإِنَّهُ يُعَانِي مَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ . هَذَا وَإِنَّا لَا يَدُّ لَنَا مِنَ الرَّجُوعِ بِالفكرِ إِلَى الْمَرَاهِلِ السَّابِقَةِ مِنَ الْحَيَاةِ إِذْ أَنَّ تِلْكَ الْمَرَاهِلَ هِيَ الْأَصُولُ الَّتِي يَرْتَبِطُ بِهَا مَا جَاءَ بَعْدَهَا عَلَى التَّوَالِي .

٥. [] إِنَّ الْعِنَايَةَ إِذَا ، مِنْذُ الْبِدَايَةِ حَتَّى التَّهَيُّةِ ، تَنَحَدِرُ مِنْ عِلٍّ وَتَتَوَزَّعُ لَا بِتَسَاوٍ شَبَهٍ عَدَدِيٍّ ، بَلْ بِتَسَاوٍ نَسْبِيٍّ ، فَتَكُونُ فِي مَحَلٍّ غَيْرِهَا فِي مَحَلٍّ آخَرَ . مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ مَا يَتِمُّ فِي الْحَيَوَانَ الَّذِي يَبْقَى مُنْتَهَاهُ مُنْسَجِمًا مَعَ مَا هُوَ مِنْذُ مُبْتَدَأِهِ . فَلَكَلِّ جُزْءٍ مِنْهُ لَازِمَتُهُ الْخَاصَّةُ : لِلْجُزْءِ الْأَشْرَفِ الْوَجْهَ ٥. الْأَشْرَفُ مِنَ الْفِعْلِ ، / وَلِلْجُزْءِ الَّذِي هُوَ دُونَ الْأَوَّلِ شَرْفًا فَعَلُهُ أَيْضًا وَانْفِعَالُهُ بِالْقَدْرِ الَّذِي يُوَافِقُهُ مِنَ الْانْفِعَالَاتِ اللَّازِمَةِ لَهُ نَظَرًا إِلَى ذَاتِهِ وَإِلَى انْتِظَامِهِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ . فَإِذَا نَقَرَ مَا يَصُوتُ فِيهِ صَوْتٌ دَقَقًا لِلتَّقَرُّ ، وَإِنَّمَا مَا سِوَاهُ فَيَنْفَعِلُ صَامِتًا وَيَتَحَرَّكُ تَبَعًا لَانْفِعَالِهِ . ثُمَّ مِنَ الْأَصْوَاتِ كُلِّهَا ١٠. / وَمِنْ / الْانْفِعَالَاتِ وَمِنْ الْأَفْعَالِ يَخْرُجُ شَيْءٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ الْحَيَوَانَ وَحَيَاتِهِ وَسُلُوكِهِ . فَإِنَّ لِلْجَوَارِحِ ، مَا دَامَتْ مُخْتَلِفَةً ، فَعَلًا مُخْتَلِفًا : فَلِلْأَقْدَامِ أَعْمَالُهَا وَلِلْعَيْنِ أَيْضًا ، كَمَا أَنَّ لِلْفِكْرِ عَمَلُهُ الَّذِي يُخَالِفُ عَمَلَ الرُّوحِ . وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا يَتَأَلَّفُ شَيْءٌ ذُو وَحْدَةٍ ، فَلَا وَجُودَ إِلَّا ١٥. لِعِنَايَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَإِذَا نُظِرَ إِلَيْهَا ابْتِدَاءً مِنَ الْعَالَمِ الْأَسْفَلِ فَهِيَ قَضَاءٌ / ؛ أَمَّا فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى فَهِيَ عِنَايَةٌ فَقَطْ . ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ الرُّوحَانِيِّ عَقْلٌ وَفَوْقَ الْعَقْلِ ؛ بَلْ إِنَّهُ رُوحٌ وَنَفْسٌ طَاهِرَةٌ ؛ وَأَمَّا مَا يَنَحْدِرُ إِلَى هَهُنَا مِنْ هُنَاكَ فَهُوَ عِنَايَةٌ ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا الْقَدْرُ الثَّابِتُ مِنْهُ فِي النَّفْسِ ٢٠. الطَّاهِرَةِ مَعَ الَّذِي يَتَسَرَّبُ مِنْهَا إِلَى الْحَيَوَانَ . ثُمَّ إِنَّ الْعَقْلَ يَجِيءُ حِينَ يَجِيءُ مَتَوَزِّعًا ، / وَلَكِنْ لَيْسَ عَلَى التَّسَاوِيِّ ؛ وَمِنْ ثُمَّ إِنَّهُ لَا يُولَدُ مُتَسَاوِيَاتٍ ، مِثْلًا أَنَّكَ لَا تَجِدُ مُتَسَاوِيَاتٍ فِي الْحَيَوَانَ الْجَزَائِيٍّ . وَيَلِي ذَلِكَ الْأَعْمَالُ الْمُتَوَالِيَةُ فِي ظُهُورِهَا وَهِيَ تَابِعَةٌ لِلْعِنَايَةِ إِذَا قَامَ بِهَا صَاحِبُهَا بِحَيْثُ تَحْظِي بِرُضْوَانِ الْأَلْهَةِ . ذَلِكَ لِأَنَّ الْعَالَمَ الْإِلَهِيَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ بِالْعَقْلِ الْكَلْبِيِّ الَّذِي هُوَ الْعِنَايَةُ . ثُمَّ ٢٥. تَرْتَبِطُ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ أَعْمَالٌ مِنْ نَوْعِهَا ، لَيْسَتْ مِنْ صُنْعِ الْعِنَايَةِ ، بَلْ مِنْ إِحْدَاثِ الْآدَمِيِّينَ . / وَمَا يُحْدِثُهُ الْآدَمِيُّ أَوْ مَا هُوَ سِوَاهُ مِنَ عَالَمِ الْأَحْيَاءِ أَوْ مِنَ عَالَمِ الْجَمَادِ قَدْ يَكُونُ فِي مَا يَلِيهِ مَنَفْعَةٌ . فَتُبَادِرُ الْعِنَايَةُ حَيْثُئِذٍ إِلَيْهِ وَتُلْقِي قَبْضَتَهَا عَلَيْهِ حَتَّى تَتِمَّ السِّيَادَةُ لِلْفَضِيلَةِ دَائِمًا إِذْ يَحُولُ مَا اعْتَرَاهُ الْخَطَأُ إِلَى غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَيُرَدُّ إِلَى جَاذَةِ الصَّوَابِ . مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ مَا يَتِمُّ فِي جَسَدِ حَيَوَانَ كَفَلْتِ ٣٠. لَهُ الْعِنَايَةُ السَّاهِرَةُ عَلَيْهِ صَبَحَتِهِ . / فَإِذَا قُطِعَ فِيهِ شَيْءٌ أَوْ أُصِيبَ بِجَرَحٍ مَا أَسْرَعَ الْمَعْنَى الْبَذَرِيَّ الْقَائِمَ عَلَى تَدْبِيرِهِ يَضْمَدُ الْعَضْوُ الْمُصَابَ وَيَعَالِجُهُ وَيَشْفِيهِ وَيَجْعَلُهُ مُسْتَقِيمَ الْحَالِ . إِنَّ الشَّرُّورَ تَقَعُ عَلَى أَنَّهَا نَوَابِيعُ إِذَا ، وَأَنَّهَا لَتَقَعُ بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ . مِثْلًا تَنْبَعُثُ ، وَإِنَّا نَحْنُ أَسْبَابُهَا . لَا بِمَعْنَى أَنَّ الْعِنَايَةَ تَضْطَرُّنَا إِلَى إِرْتِكَابِهَا ، بَلْ بِمَعْنَى أَنَّهَا مِنْ ثِقَلِهَا ذَوَاتِنَا نُحَاوِلُ أَنْ نَضْمَعَ عَمَلِنَا إِلَى أَعْمَالِ

٣٥ العناية أو إلى ما يصدر عنها. / فلا تقوى عندئذٍ على ربط بعض المتعاقبات ببعض وفقاً لإرادة العناية، بل نربطها وفقاً لإرادتنا نحن الذين نقوم بالعمل أو وفقاً لشيء آخر موجود في العالم. على أن هذا الشيء لا يتصرف وفقاً لما تقتضيه العناية أو على أنه له عمل ما أحدثه فينا وتأثر به. ٤٠ فإن الشيء لا يحدث دائماً تأثيراً واحداً في كل شيء أقبل عليه؛ / بل إن الشيء يختلف تأثيره باختلاف الأشياء. هُذي هيلانة في حُسنها مثلاً: فقد كان له على باريس تأثيره، ولم يحدث عند ايدوفيوس ذلك الانفعال ذاته. وإذا التقى إباحي بإباحي وكان كلاهما حسن الوجه، فإن الإباحي لا يشعر بما يشعر به المتعفف حسن الوجه أمام متعفف آخر مثله. أو أن شيئاً فلنقل ٤٥ أنه في حال حُسن الوجه دائماً، لا يلاقي المتعفف الإباحي بمثل / ما يلاقي الإباحي المتعفف. وعندئذٍ لا يكون ما يصدر عن الإباحي من عمل العناية ولا متوافقاً مع العناية. أما عمل المتعفف فإنه ليس من عمل العناية إذ إنه من المتعفف، ولكنه متوافق مع العناية. إنه عمل مُنسجم مع العقل الكلّي، كما هو الأمر عند من يعمل بما تقتضيه صحة البدن: فإنه هو الذي يعمل عمله، ولكنه يعمل بما يوحى به / الطيب. ذلك لأن ما يوحى به الطيب إنما هو استنباط ٥٠ من فنّ الطيب وهو يسعى إلى تأمين الصحة أو إلى دفع الداء. ولكن الذي يأتي بعمل يُنافي الصحة، فإنه هو الذي يأتي بذلك العمل، ويكون أيضاً تصرفه مخالفاً لمعالجة الطيب وعنايته.

٦ أنى للمُنجمين إذا أن يُندروا بالشُّور، ولأنهم يُندرون بها إذا نظروا إلى حركة الكل، فضلاً على ما لديهم من تجمّات أخرى؟ قلنا: إنه لو اُضح أن الأمر راجع إلى تشابك المتقابلات ٥ كلها بعضها ببعض، وهو كالتشابك بين الصورة والهَيُولى. فإننا في الحيوان مثلاً، وهو مركّب، إذا أدركنا الصورة والمعنى البذري أدركنا أيضاً الشيء وهو / معمر بالصورة. ذلك لأننا لا ندرك الحيوان المركّب على نحو ما ندرك الحيوان الزّوّحاني. بل إننا ندرك بُنية الحيوان المعنويّة في المركّب وهي تعمر بالصورة الأصل الدّني. وما دام العالم الكلّي حيواناً، فإن من يُشاهد ما يحدث فيه يُشاهد أيضاً العناصر التي يتكوّن منها والعناية التي تُشرف عليه. فإنها تشمل ١٠ الأشياء كلها وكلّ / ما يحدث. أعني بذلك الحيوانات وأفعالها وأحوالها الخاضعة للعقل والمقرّنة بالحميّة. إننا ندرك الأمور إذا وقد تمّ تمازجها، كما إننا ندركها أيضاً وهي لا تزال ماضية في هذا التّمازج. ولكن ليس بوسعنا أن نميّز العناية ونعزلها مع ما يجري وفقاً لها عمّا يمدّ به الحامل الهَيُولاني الحامل الذي يخرج منه. / وليس من امرئ يفعل ذلك، ١٥ حكيمًا كان أو ربّانًا. بل ربّ قائل يقول: «هذا امتياز خصّه أحد الآلهة بذاته». ذلك لأنه ليس من شأن المُنجم أن يكشف عن سبب وجود الشيء بل عن تأكيد وجوده. وإن صناعته هي قراءة الحروف التي رسمتها الطبيعة والتي تدلّ على النّظام ولا تميل قطّ إلى القوضى. بل تلك القراءة

٢٠ اطلع/ على الحركة الدورية في شهادتها ودلائلها الواضحة على الأشياء قبل ظهورها، من حيث كيف يكون كل جزئي منها وما هو عدده. فإن أمور هذا العالم تتعاون مع أمور العالم السماوي والعكس بالعكس، وتتساند الفئتان معاً ليُضمَّتا للعالم الكلّي كيانه ودوامه. فللمنجم المراقب أن يستدلّ من بعضها على بعضها الآخر بواسطة القياس. ولا غرو إذ أن أنواع الجرافة الأخرى/ إنّما تتمّ بالقياس أيضاً. فإنّ الأمور في جملتها يجب ألا تفصل بعضها عن بعض، وهي مُتشابهة بعضها مع بعض من وجه ما. وربما كان لهذا معنى القول «إنّ القياس هو الذي يكفل الأمور كلّها بقاءها». فإنّ القياس هو بحيث أنّ الأقيح من الأقيح كالأفضل من الأفضل. ٣٠ فالعين من العين مثلاً/ كالرجل من الرجل؛ وكذلك في كلّ شيء آخر من كلّ شيء آخر. وإنّ شيئاً فلنقل أيضاً أنّ الفضيلة من العدل كالزيلة من الظلم. فإذا كان في العالم الكلّي مقياسه، صار بوسع المرء أن يتنبأ بالمستقبلات. وإذا كانت العلويات تؤثر في الدنيويات، فإنّها إنّما تؤثر بحيث يكون تأثيرها مثل تأثير بعض ما في جملة الحيوان على بعضه الآخر. وليس ذلك بمعنى أنّ الواحد منها يولد الآخر (فإنّها تتولّد كلّها معاً)، بل بمعنى أنّ كلّ جزئيّ يعتريه وفقاً لما فطر عليه، الانفعال الذي يوافق طبيعته. فلأنّ الجزئيّ كذلك هو، يصله أيضاً ذلك النوع من الانفعال. والعقل الكلّي حينذاك هو واحد حقاً.

٧ بل نقول أيضاً أنّه مادام في العالم خير كان في العالم شرّ يقابله. بل كيف يكون الشرّ في هذا الكون المختلف الوجه ثم لا يقابله الخير؛ وكيف يكون الخير من جانب بدون الشرّ من الجانب الآخر؟ فيلزم عن ذلك أنّه يجب ألا تشكو من وجود الشرّ بين ظهرائي الخير بل يجب أن نقدر من الخير إمداده الشرّ بشيء من ذاته. وإنّ الذين يزعمون استئصال الشرّ من العالم الكلّي/ ، إنّما يستأصلون العناية ذاتها. ولعمري، فيم تكون عناية عند ذاك؟ فإنّها ليست عناية بذاتها ولا عناية بالخير. وعندما نذكر العناية الثابتة في العالم الأعلى، إنّما نذكرها على أنّها عناية بما في العالم الأسفل. فإنّ الذي يضمّ الأشياء كلّها إلى الوحدة، إنّما هو أصل فيه تكون الأشياء كلّها معاً ويكون كلّ شيء هو الكلّ. ومن هذا الأصل تنبع الجزئيّات في حين أنّه يبقى هو في ما هو عليه في باطنه/. فكأنّه جذر تخرج الأشياء منه ويبقى هو واحداً مع ذاته في كيانه. أمّا ما تشقّق منها ونور، فإنّه مورّع في الكثرة، يحمل كلّ جزئيّ فيه مثال ذلك الجذر الأصليّ، بعد أن أصبح هنا كلّ في مكان يختلف عن مكان الآخر. فمنه ما يكون قريباً إلى الجذر، ومنه ما يأخذ يبتعد ويتشعب حتى يغدو وكأنّه أغصان وفروع/ وثمار وأوراق. لهذا وإنّ بعضه يبقى في ما أصبح عليه، في حين أنّ بعضه الآخر يتقلّب في صيرورة مستمرة، ومنه تخرج الثمار والأوراق. ثمّ إنّّه يكتنّ في ثنياه البنى البذرية المنطوية على سوابقه، فكأنّه يُريد أن يصير بدوره أشجاراً صغيرة.

وإذا تولّد منه قبل فساده شيء ما، تولّد منه فقط ما هو الأقرب إليه . أمّا الفراغ الذي يكون في ما
٢٠ هو بمنزلة الأغصان، / فإنه يستمدّ ما يمتلئ به من الأجزاء التي بدورها وبوجه آخر تأخذ نموّها
الطّري من الجذر الأصليّ . وبهذه الأجزاء تتأثّر أيضًا فروع الأغصان . فيتّم كلّ ذلك بحيث أنّ
التأثير يبدو مُنبعثًا فقط من الجزء الأقرب المُجاور . لكنّ الأصل هو الذي يجعل هذا الجزء
٢٥ يتفعل وذاك يفعل فعله ؛ ثمّ إنّ هذا الأصل ذاته قيد رابط ما . / فإنّ تلك الأمور التي يتفاعل هنا
بعضها مع بعضها الآخر، هي أمور يختلف بعضها عن بعضها الآخر لإبتعادها عن أصلها . غير
أنّها كلّها في بداية أمرها من هذا الأصل الواحد . مثل ذلك مثل الأخوة إذا تعامل بعضهم مع
بعض وهم مُتشابهون لكونهم أولاد أب واحد وأم واحدة .

الفصل الرابع

(١٥)

في الجنّي الذي هو لنا قرين

١ إن الأنانيم تتولّد من الأصول التي تَبقى هي في المَلأ الأعلى . أمّا النَّفس فقد ذُكرنا أنّها تتحرّك فيتولّد منها الإحساس في وَضع الأَقنوميّة وقوّة النّموّ، وتنتهي حتّى إلى عالم الثّبات . نعم إنّ النَّفس التي فينا تنطوي على تلك القوّة الثّباتيّة، ولكنّها ما دامت هي الجزء فإنّها هي التي تكون الآمرة والنّاهية . أمّا إذا أصبحت في عالم الثّبات، فإنّ تلك القوّة الثّمائيّة التي لم تتمّ لها السيّادة، تكون حيثثيّ وحدها . / أفلا يتولّد شيء منها إذا؟ بلى، ولكن ما يتولّد منها يختلف عنها كلّ الاختلاف . فليس من حياة بعدها، بل إنّ ما يتولّد منها لا يكون له حياة . وما عساه أن يكون إذا؟ ألا، إنّ كلّ ما تولّد قبل هذا الشّيء الأخير، إنّما تولّد خاليًا من المِثال أوّلًا، ثمّ جعل في مِثال بانقلابه إلى ما تولّد منه وكأنّه يستمدّ منه غذاءه . فكذلك أيضًا ليس ما يتولّد/ هنا نوعًا من أنواع النَّفس، وهي عديمة الحياة في هذا المُستوى، بل إنّ الحرمان من كلّ حدٍّ على وجه الإطلاق . وإذا كان الحرمان من الحدّ موجودًا في الأمور السابقة أيضًا، فإنّه يكون في ما يعمره المِثال . فليس حرمانًا مُطلقًا من الحدّ، بل هو كذلك إذا قورن بكمال المِثال . أمّا هنا فإنّه حرمان مُطلق . لكنّ ذلك الشّيء إذا اكتمل يُصبح جسدًا إذ يتلقّى الصّورة التي تلائم ما من شأنه أن يكون عليه بالقوّة؛ فيكون حيثثيّ وعاء لتلك القوّة/ التي يتولّد منها والتي تُغذّيه . ولهذا هو الشّيء الوحيد الذي يكون في الأجساد أبعد أثر للعلويّات في أقصى ما هو من العالم الأسفل .

٢ هذا وإنّ أفلاطون يعني بخاصّة ذلك التّوع من النَّفس بقوله : « كلّ نفس تعتنى بما لا نفس فيه » . أمّا النفوس الأخرى فإنّها تنصرف على خلاف ذلك . « فإنّ تلك النَّفس تجوب السّماء كلّها تارةً في مِثالٍ وطورًا في آخر »، أعني في مِثال النَّفس المحسّنة أو في مِثال النَّفس النّاطقة أو حتّى في مِثال النَّفس الثّمائيّة . ذلك لأنّ الجانب المُتغلّب منها يقوم بالوظيفة التي تعود إليه؛ أمّا الجوانب الأخرى فتكون عاطلة عن العمل لأنّها تبقى في الخارج . / وأمّا القوى السّفلى في

الإنسان فلا تكون صاحبة الأمر والتّهي، ولكتّها حاضرة؛ كما وإنّ الأصل الأفضل عنده ليس هو الأمر والتّهي دائماً بل إنّ للأصول السّفلية أيضاً منزلتها إلى جانبه. ولذلك نجد ذواتنا في وضع أصحاب الحواسّ إذ إنّ لدينا جوارح تُحسّ بها؛ وإنّا من وجوه عديدة، في وضع الثّبات إذ أنّ لنا جسداً ينمو ويتّناسل. ومن ثمّ فإنّ كلّ ما في الإنسان مُتماسك مُتساند،/ ولكنّ الإنسان إنسان في مثاله الكامل بالأصل الأفضل عنده. وإذا خرجت النّفس من الجسد، أصبحت على ما كان هو المترجّح فيها. ولذلك «وجب الفرار» إلى الملاء الأعلى حتّى لا تتحوّل إلى قوّة إحساس بانقيادنا إلى الأشباح الحسيّة ولا إلى قوّة نمائيّة باستسلامنا إلى شهوة التّناسل وإلى التّهم في الطّعام. بل يسعى كلّ منا إلى أن يكون ربّانياً وروحاً ولها. / فإنّ الذين حافظوا على آدميّتهم عادوا إلى ما كانوا عليه ثابتين في آدميّتهم؛ والذين عاشوا بإحساسهم فقط، تحوّلوا إلى حيوانات. بل إنهم يتحوّلون إلى وحوش إذا كان الإحساس عندهم مصحوباً بشراسة الأخلاق. وعلى الاختلاف في القوى يترتّب الاختلاف في الحيوانات التي يتحوّلون إليها. فإنّ الذين يسترسلون مع شهوة النّفس الشّهوانيّة ولذتها يتحوّلون إلى حيوان شبق نهم. / أما إذا كان لا يصحب عندهم تلك الأهواء إحساس، أو كان معها خمود في الإحساس، فإنهم يُصبحون نباتاً. ذلك لأنّ الأصل الوحيد أو الأشدّ الذي يعمل فيهم عند ذاك إنّما هو القوّة الثّباتيّة، وكأنّ ذلك عندهم ترويضاً على أن يتحوّلوا إلى شجر. ثمّ إنّ الذين لهم ولع بالموسيقى، فيصيرون أطيّاراً غريّدة ما داموا طاهرين في الجوانب الأخرى من نفوسهم. والملوك الذين حَكَمُوا بغير هديّ من العقل/ يُصبحون نسوراً إذا لم تكن فيهم سيّئة أخرى. والمُنجمون الذين لا يزالون يراقبون السّماء بغير حِكْمَةٍ يَنقَلِبُونَ طُيُوراً تحلّق عالياً في طيرانها. أمّا الذي التزم الفضائل المدنيّة في سلوكه، فإنّه يَبْقَى إنساناً. والذي كان التزامه لهذه الفضائل أضعف انقلب حيواناً إجتماعياً فصار نَحْلَةً أو ما يشاكلها.

٣ فأيّ جنّي هو ذلك؟ إنّه الجنّي الموجود ههنا. وأيُّ إله؟ هو الموجود هنا أيضاً. فإنّ الأصل الفاعل هو في كلّ ممّا الأصل الذي يسيّرنا، إذ أنّه الهادي حتّى في هذه الحياة. وهل هذا الأصل إذاً هو «الجنّي الذي قيّد قريّننا لنا في حياتنا»؟ كلّاً بل ما هو مُتقدّم على ذلك الأصل الفاعل. إنّه يُشرف ولا يأتي بعمل، فإنّما يعمل ما هو دونه. فإذا كان الذي يعمل هو الحسيّ فينا، فالجنّي هو العقل. وإذا كانت حياتنا متماشية مع العقل، فالجنّي هو ما يَستوي فوق العقل ولا يعمل بل يتنازل عن العمل للذي يقوم به فينا. قد قيل إذاً على صواب «إنّا نحن الذين نختار». فإنّنا نختار حقّاً ذلك الذي يُشرف علينا في الحياة التي أردنا أن نسلّكها. ولماذا يكون هو السّائق إذا؟ ليس بوسعه/ أن يُسيّرنا إذا قضيينا نَحْبنا، بل إنّه يُسيّرنا قبل ذلك، أثناء حياتنا.

فإذا أَنْقَضَتْ حَيَاتِنَا سَلَّمَ إِلَى غَيْرِهِ عَمَلُهُ مَا دَامَتْ قَدْ انْتَهَتْ الْحَيَاةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالَّتِي تُخَوِّلُهُ الْقِيَامَ بِالْعَمَلِ. فَيُرِيدُ إِذَا هَذَا الْجَنِّي الْأَخِيرُ أَنْ يُسَيِّرَنَا، وَإِذَا تَمَّتْ لَهُ الْعَلْبَةُ صَارَ حَيًّا. ١٥ وَلَكِنَّهُ يُقَيِّدُ لَهُ هُوَ أَيْضًا جَنِّيًّا آخَرَ قَرِينًا. فَإِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ وَطْأَةُ الْأَخْلَاقِ الدِّينِيَّةِ، / كَانَ فِي اشْتِدَادِ الْوَطْأَةِ عَلَيْهِ عِقَابُهُ. وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ أَيْضًا مِنَ الْأُرْدِيَاءِ. فَإِنَّ الْأَصْلَ الَّذِي يَدْفَعُهُمْ، أَثْنَاءَ حَيَاتِهِمْ، إِلَى الشَّرِّ يَمِيلُ بِهِمْ إِلَى مَا هُوَ عَلَى شَاكِلِهِ، أَعْنِي إِلَى الْحَيَاةِ الْحَيَوَانِيَّةِ. أَمَّا إِذَا اسْتَطَاعَ هَذَا الْجَنِّي أَنْ يَتَّبِعَ ذَلِكَ الَّذِي فَوْقَهُ، إِرْتَقَى هُوَ أَيْضًا إِلَى مَا فَوْقَهُ وَأَخَذَ يَحْيَا بِحَيَاةِ الْجَنِّيِّ الْأَعْلَى، وَجُعِلَ ٢٠ أَشْرَفُ مَا فِيهِ وَالَّذِي سَبَقَ إِلَيْهِ قَائِمًا فِي الْعَظْمَةِ. ثُمَّ يَلِي ذَلِكَ الْجَنِّيُّ الْأَعْلَى جَنِّيًّا آخَرَ أَعْلَى مِنْهُ / أَيْضًا وَكَذَلِكَ عَلَى التَّوَالِي حَتَّى نَنْتَهِيَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى. فَإِنَّ النَّفْسَ تَقُومُ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، وَهِيَ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا الْعُلُويَّاتِ وَالسَّفَلِيَّاتِ، وَإِنَّهَا لَتَمْتَدَّ إِلَى أَنْوَاعِ الْحَيَاةِ كُلِّهَا. ثُمَّ إِنَّ كُلًّا مِنْهَا عَالَمٌ رُوحَانِي يَصِلُنَا، أَدْنَا بِهَذَا الْعَالَمِ الْحَسَنِيِّ، وَالرُّوحَانِيِّ مَتَا بِالْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَبِمَا تَسَرَّبَ مِنْهُ إِلَى الْعَالَمِ الْكَلْبِيِّ. وَإِنَّا لَنَاطُبُونَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِذَلِكَ الْجَانِبِ الْآخَرِ مَتَا الَّذِي هُوَ رُوحَانِيٌّ كُلُّهُ. ٢٥ وَلَكِنَّا، فِي أَقْصَى حُدُودِ هَذَا الْمَلَأِ، / لَا نَزَالُ مُقَيِّدِينَ بِالْعَالَمِ الْأَسْفَلِ كَأَنَّا نَمُدُّ السَّفَلِيَّاتِ بِقِيَضِ يَصِلُنَا مِنْ فَوْقِ، أَوْ بِالْأُخْرَى بِطَاقَةِ عَلَى الْعَمَلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصَابَ الْعَالَمُ الْأَعْلَى مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ بِتُقْصَانِ.

٤ أَيْقِظِي هَذَا الْفَيْضَ فِي الْجَسَدِ دَائِمًا؟ كَلَّا! بَلْ إِذَا عَمَدْنَا إِلَى الْارْتِقَاءِ، عَمَدَ هُوَ إِلَيْهِ أَيْضًا. وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ أَمْرُ نَفْسِ الْعَالَمِ الْكَلْبِيِّ؟ أَيْنَسَحَبَ مَا كَانَ فَائِضًا مِنْهَا عَلَى السَّفَلِيَّاتِ، إِذَا عَمَدَتْ هِيَ إِلَى الْارْتِقَاءِ؟ بَلْ قُلْ إِنَّهَا لَمْ تَمَلْ بِجَانِبِهَا الْأَسْفَلِ إِذْ إِنَّهَا لَمْ تَأْتِ وَلَمْ تَنْزَلْ. بَلْ ٥ تَبْقَى عَلَى حَالِهَا فِيمَسْهُهَا الْعَالَمُ بِجَسَمِهِ مَسًّا / وَكَأَنَّهُ يَفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ نُورِهَا، فَلَا يُقْلَقُهَا وَلَا يَوْرِثُهَا هَمًّا مَا دَامَ سَاكِنًا فِي أَمَانٍ. مَاذَا إِذَا؟ أَلَيْسَ لَدَيْهِ حَيْثُ يُحْسِسُ قَطُّ؟ يَقُولُ أَفَلَاطُونُ: «إِنَّهُ لَا يَرَى»، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَا أُذُنٌ، بَلْهُ الْأَنْفُ وَاللِّسَانُ. مَاذَا إِذَا؟ أَلَيْسَ لَهُ شُعُورٌ مِثْلَ شُعُورِنَا بِمَا يَجْرِي فِي بَوَاطِنِنَا؟ بَلْ إِنَّ طَمَآنِينَتَهُ إِنَّمَا هِيَ بِكَوْنِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مُنْسَجِمًا مَعَ مَا هُوَ فِي ذَاتِهِ فُطْرَةً وَجِلَّةً. لَا أَثَرَ حَتَّى لِلذَّاتِهَا! وَالْقُوَّةُ التَّبَاتِيَّةُ حَاضِرَةٌ فِيهِ وَهِيَ عَنْهُ غَائِبَةٌ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي قُوَّةِ الْإِحْسَاسِ. هَذَا وَإِنَّا نُرْجِي الْبَحْثَ فِي الْعَالَمِ إِلَى حِينِهِ؛ فَحَسْبُنَا الْآنَ قَوْلًا مَعَاجِلَتَهُ بِقَدْرِ مَا تَتَّصِلُ مُشْكَلَتُهُ بِمَوْضُوعِنَا.

٥ وَلَكِنْ إِذَا كَانَتْ النَّفْسُ لَا تَخْتَارُ جَنِّيَّهَا وَحَيَاتِهَا إِلَّا فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، فَمَاذَا يَبْقَى هُنَا مِنْ أَمْرِ نَامِرٍ بِهِ أَوْ نَهْيٍ تُنْهِي عَنْهُ؟ أَلَا، إِنَّ الْإِخْتِيَارَ الَّذِي ذَكَرَ عَلَى أَنَّهُ يَتِمُّ هُنَاكَ إِنَّمَا يَتَضَمَّنُ إِرَادَةَ النَّفْسِ وَأَوْضَاعَهَا كُلًّا وَمَجْمُوعًا. بَيِّدْ أَنَّهُ إِنْ تَمَّتِ السِّيَادَةُ لِلْإِرَادَةِ الْحَرَّةِ فِي النَّفْسِ، وَإِذَا كَانَ

٥ صاحب الأمر والتَّهي فيها ذلك الأصل منها الَّذي حَصَلَ عن المراحل السَّابقة من حياتها، /
فليس الجسد بعد ذلك للإنسان سبب شرّ قطّ . وبعد فإن كان خُلِقَ النَّفس متقدِّماً على الجسد،
وإن حصل في النَّفس ذلك الَّذي اختارته هي لذاتها، «ولم تغيّر جنيتها»، كما يقول أفلاطون، فلا
مجال في هذه الحياة لا لقيام الرّجل الفاضل ولا لوجود الرّجل الرّديء . أفيكون المرء صالحاً أو
١٠ رديئاً بالقوّة ثمّ يصير هنا بالفعل هذا أو ذاك؟ وما عساه يتمّ فيما لو أصاب الرّجل الصّالح الخلق
جسداً رديئاً أو العكس بالعكس؟ ألا إنّ لدى النَّفس، مهما كان الطرف الَّذي تميل إليه، الكثير
أو القليل من القُدرة على أن تكفل لها الجسد الَّذي يُلائمها . هذا علاوة على أنّ الطّروف
١٥ الخارجيّة الأخرى لا تُزحج الإرادة الحرّة بكاملها عن اتّجاهها . / وقد ورد عند أفلاطون أنّ
«المُطلوّظ» تكون أولاً، ويلبّثها أنماط الحياة على اختلاف أنواعها، ثمّ تأتي «ألوان الحياة
التّاجمة عن الطّروف العارضة وعن القرائن الحاضرة» . إنّهُ بذلك يُراعي مزاج النَّفس بإيثاره
إعطاء السّيادة للنّفوس فتجعل حينئذٍ المواهب الّتي اختصّت بها وفقاً لما تقتضيه أخلاقها . ذلك
٢٠ بأنّ الجنّي ليس غريباً علينا من كلّ وجه (بل إنّهُ كذلك من حيث أنّه غير مُرتبط بنا)، كما إنّهُ
ليس بدون عمل فينا من كلّ وجه . بيد أنّه جنيئنا كما نقول عن نفسنا إنّها «نفسنا» . إلّا أنّه ليس
جنيئنا إذا عينا ذاتنا على أنّنا هؤلاء الأدميون الَّذين هم أصحاب حياة خاضعة لذلك الجنّي .
ولهذا قول يشهد له ما ورد في كتاب اثيمائوس . ولا جدال في هذا القول إذا اتّخذ على المعنى
الَّذي ذكرناه؛ بل إنّهُ لا يخلو من التشويش إذا فهم الجنّي على وجه آخر . هذا وإنّ القول بأنّ
٢٥ الجنّي «يتّم الأشياء الّتي / اخترناها لأنفسنا» هو قول يتفق مع تأويلنا . ذلك لأنّ الجنّي المُشرف
علينا لا يدعنا نهوي إلى أبعد ما انتهينا إليه انغماساً في الشّرّ . بل إنّ ذلك الأصل الوحيد الَّذي
يُعمل فينا ليس خاضعاً إلّا له، ليس فوقه وليس في مُستواه . ويستحيل على الإنسان أن يصير إلى
غير ما هو عليه في ذاته .

٦ ما هو الرّجل الحكيم الفاضل إذّا؟ - هو الرّجل الَّذي يعمد في عمله إلى أشرف ممّا هو
عليه . بل إنّهُ لا يكون فاضلاً ما دام الجنّي قريباً له في عمله . فإنّ الَّذي يعمل فيه هو الرّوح . أو
الأحرى بالقول هو أنّه ذاته جنّي، أو بمنزلة جنّي أو أن جنيّه إله . أو يؤدّي به المقام إذّا إلى أن
يكون فوق الرّيح؟ كلّاً بل إنّ ما فوق الرّيح هو الجنّي الَّذي قيّد له قريباً حينذاك - ولماذا لم يتمّ
٥ له ذلك منذ بدايته؟ ألا / إنّ ذلك بسبب الخلل الَّذي يحدث عن التّولّد . مع أنّنا ننتبين عنده في
الآن نفسه، وقبل طور العقل، حركة في الباطن مُندفعة نحو ما هو منها . - أو يفرض الجنّي إذّا
نُفُوذه على المرء دائماً؟ كلّاً لا يتمّ ذلك على كلّ حال . فإنّ النَّفس هي في كيانها بحيث إنّها
١٠ تكتيف تبعاً لتكليفات القرائن والطّروف، وكذلك الأمر أيضاً في حياتها وفي إرادتها الحرّة . /

هذا ولنعد إلى ذلك الجنّي الذي نحن في صَدده. قيل إنّه إذا ساق النَّفس إلى مقام
الأموات لا يبقى هو هو، ما لم تعد النَّفس وتختار لها نوع الحياة التي كانت عليه. ولكن ماذا
يكون من أمره قبل ذلك؟ إن سَوِّقه النَّفس إلى حيث تُدان يعني أن يعود، بعد أن أَلقت النَّفس
حياتها عنها، إلى الوَضْع الذي كان عليه قبل ولادة النَّفس. فيُصبح وكأنّه دخل في دور جديد
١٥ ويبقى في جوانب النفوس اللواتي/ ينزل بهنّ العقاب ريثما يحين وقت الولادة الثانية. على أنّ
هذه الفترة ليست فترة حياة في حقهنّ، بل فترة تكفير.

وما عسى أن يكون من النفوس اللواتي دخلن أجساداً بهيمية؟ أيكون سائفنّ أقلّ شأنًا
من الجنّي؟ - بل يَكون على الأقلّ رديئًا أو بليدًا- والنفوس اللواتي انتهينّ إلى الملاء الأعلى؟ إنّ
بينهنّ نفوسًا يحللن في العالم الحسّي، وأخرى يَكُنّ خارج هذا العالم. واللواتي ينزلن في
٢٠ العالم الحسّي،/ فمقامهنّ الشَّمس أو كوكب آخر من الكواكب، ولَبعضهنّ أَفلاك السَّماء
الثابتة: فلكلّ منهنّ بحسب ما كان عملها مُنسجمًا مع العقل في هذه الحياة. ذلك لأنّ الأمر
الذي يجب أن نسلّم به هو أن في نفسنا أيضًا عالمًا. ولا يعني ذلك أن فيها عالمًا روحانيًا فقط،
بل أنّ فيها حالة روحانية أيضًا هي أشبه بما هي النَّفس الكلّية عليه. فإنّ هذه النَّفس تتوزّع في
٢٥ فلك الكواكب الثابت وأفلاك الكواكب السّيّارة/ تبعًا للقوى المُختلفة التي فيها. ثمّ إنّ القوى
التي تنبثق ممّا هي من نوع قوى النَّفس الكلّية، ولكلّ منها عمله الخاصّ. فإذا عَتَقَت النَّفس
سارت في السَّماء إلى الكوكب الذي يُلائم الخلق والقوّة اللذين بهما عملت وتصرّفت في
٣٠ حياتها. فيقيّد لها عند ذلك قريئًا، يكون إلهاً أو جنّيًا، وهو ذلك الكوكب ذاته أو/ أشدّ منه قوّة.
ولكن هذا أمر يحتاج إلى زيادة تدقيق في النظر.

أمّا النفوس اللواتي خرجنّ من العالم الحسّي، فإنّهنّ تَجاوِزن حدود عالم الجنّ وحتمية
التولّد كلّها، وأصبحنّ، بوجه الإجمال، خارج كلّ ما في هذا العالم المنظور. وما دامت
النَّفْس في هذا المَقام، فإنّ ذاتها المائلة إلى الانسلاخ في الصيرورة قد ارتفعت معها هي أيضًا.
٣٥ وهذه هي الذات التي إذا قُلْنَا عنها إنّها/ «تصير مَقْسَمة في الأجسام» إنّها مع الأجسام تتكاثر
وبالأجسام تنقسم، كان قولنا قولاً صوابًا. أجل، إنّها لتتقسّم، ولكن ليس بالكمّ. فإنّ ما هي
عليه هو هو كلّاً في كلّ جزء من الأجزاء، وهو بعد ذلك ودائماً واحد. ولأنّها مُقسّمة على نحو
ما وصفنا، نرى أنّه من الحيوان الواحد تتولّد حيوانات كثيرة. وكذلك الأمر أيضًا في عالم
٤٠ الثّبات؛/ فإنّ النَّفس الثّباتية هي أيضًا مُقسّمة في الأجسام». لهذا وإنّ النَّفس قد تولّد تلك
الأشياء الكثيرة وهي باقية في الجسم الواحد، كما تفعل وهي في الثّبات. كما وإنّها قد تولّد
تلك الأشياء إذا انسحبت، على أنّها تكون قد ولّدت قبل انسحابها. مثل ذلك مثل ما يتمّ في
٤٥ مسائل الثّبات أو في جثة الحيوان عند فسّادها، فتتولّد من الشّيء الواحد/ أشياء كثيرة، وتُساعد

في ذلك القوة التي تنبعث من العالم الكلّي أيضًا، وهي من نوع القوة التي تعمل هنا.

هذا وإنّ النفس إذا رجعت إلى الدنيا، قيد لها الجنّي ذاته قرينًا، أو جنّي آخر وفقًا للحياة التي تكون قد جعلتها لذاتها. فتطأ أولاً لهذا العالم الكلّي مع جنّيها ذلك وهو كأنه لها مَرَكَبٌ ٥٠ تستقلّه. ثمّ يتلقّاها ما يقال فيه أنّه «المِغْزَلُ» / فيُنزلها مقامًا من مقامات القدر كما لو أنّها في سفينة. ثمّ تُقبل الحركة الفلكية كأنّها الرّيح فتتداول ذلك الذي يكون في السفينة جالسًا أو ساعيًا يمشي. وناهيك بما يبدو له عند ذاك من مُشاهدات مُختلفة ومن طوارئ وعوارض تقع. فكأنّه في تلك السفينة تحت تأثير ما يحدث عن تمايل السفينة ذاتها أو عن تحرّكه هو ذاته بدافع من عنده، / يكون لديه ما دام من شأنه أن يُكيّف هو ذاته إقامته في السفينة. فإنّ الناس إذا وُجدوا في ظروف واحدة، لا يتشابهون في حركاتهم أو مراداتهم أو أفعالهم. وعلى اختلاف الرّجال تختلف المواقف سواءً أكانت الظروف واحدة أم مُختلفة. أو قد تكون المواقف واحدة عند فئة ٦٠ أخرى من الرّجال ولو اختلفت الظروف. / فإنّ القدر كذلك هو.

الفصل الخامس

(٥٠)

في الحب

١ إن مسألة جديرة بالبحث: هل الحب إله أو جُتي أو انفعال في النفس؟ هل هو إله أو جُتي من ناحية، ومن ناحية أخرى انفعال في النفس؟ علينا أن نذكر آراء العامة وما ورد عند الفلاسفة حول هذا الموضوع. لهذا وإننا نصرف اهتمامًا خاصًا لما يَتَبَنَاهُ في هذا الصدد/ أفلاطون الإلهي الذي دَوَّنَ في الكثير من مؤلفاته الكثير من آرائه في الحب. فإنه يقول إنَّ الحب ليس انفعالاً يحدث في النفس فقط، بل يذكره على أنه جُتي أيضًا ويستفيض في القول عن ولادته كيف تتم وما هو أصلها؛ أما الانفعال الذي ننسبه إلى الحب، فهو لدى ثُفوس ترعَّب في الاتصال بجمال ما. والواقع في هذه الرغبة هو أنها تكون تارة لدى عفتٍ تمُّ له الوصول إلى الحُسن في ذاته، وطورًا لدى من يُحاول إشباعها بارتكاب القبيح. ولهذا أمر لا يجهله أحد. ١٥ فالوجه أن ننطلق من هنا لتبيين فلسفيًا الأصل الذي منه ينبعث الحب في شكله المذكورين. / وإذا سلّمنا بأن هذا الأصل إنما هو في ثُفوسنا، رغبة سالفة في الحُسن ذاته ومعرفة له وتجانس معه، وشعور غريزيّ بالأواصر الخاصة التي تجمع بيننا وبينه، فإننا، فيما أظن، نكون قد أدركنا السبب في حقيقته. ذلك لأنَّ القُبْح مع الطَّبيعة على طرفي نقيض، وهو كذلك مع الله أيضًا. ثمَّ ٢٠ إنَّ الطَّبيعة تفعل فعلها وهي تنظر إلى الحُسن، وإنَّها لتوجَّه وجهها نحو الشيء المُعَيَّن الذي لا يكون إلَّا «في جانب الخير». أما الشيء المُبْهَم، فهو قبيح وهو في الجانب الآخر. علاوة على أنَّ الأصل للطَّبيعة إنما هو من الملاء الأعلى، أعني من عالم الخير طبعًا، وهو عالم الحُسن ٢٥ أيضًا. ثمَّ إنَّ المُعْجَب بشيء وهو يجانسه، يتودَّد إلى آثار ذلك الشيء أيضًا. / وإذا نفينا هذا السبب لم يبقَ لدينا ما نُعلِّل به كيف يحدث الانفعال وما هي مجاريه، حتَّى في حال الحب الذي يتم عن طريق المُجامعة، فإنَّ أصحاب هذا النوع من الحب إنما يريدون أن «يلدوا في الحُسن». ٣٠ والسفاقة في أن تُريد الطَّبيعة أن «تلد في القُبْح» وهي السَّاعية/ دائمًا إلى أن تُحدِث الحُسن على مُختلف وجوهه. لكنَّ الذين يُدفعون إلى الولادة بهذا النوع من الحب يجدون بالحُسن الدنيوي كفايتهم، وهو حُسن قائم في الآثار والأجساد. وهم كذلك لأنَّه ليس بين أيديهم ذلك الحُسن

الأصلي الذي يبعث عندهم حبهم لما من الحُسن لديهم . فإذا تجاوزوه إلى تذكر ذلك الحُسن ٣٥
الأشرف أحبوا الحُسن الدنيوي على أنه أثر . وإن جهلوا الانفعال الذي يتم فيهم / ولم يذكروا ،
خيّل إليهم أنّ حُسن هذه الدنيا هو الحُسن حقاً . مع أنّهم إذا تعفّفوا كان انحرافهم الى الحُسن
الدنيوي بريئاً ، إذ أنّ الذنب الكبير هو الانغماس في اللذة الشهوانية . فالذي يكون حبه للحُسن
هكذا طاهراً ، غدا الحُسن حبه الأوحـد ذاكرةً كان أو غير ذاكر . أمّا مَنْ جمع بين هذا الحب وبين ٤٠
الشوق إلى الخلود / بقدر ما بوسع الفاني أن يتوافر لديه من هذا الشوق ، فإنه يطلب الحُسن
في الموجود الدائم الباقي . وما دام يسير السير الموافق للطبيعة ، فإنه في الحُسن يندأ وفي
الحُسن يلد : يندأ ضمناً للبقاء ، ويزرع في الحُسن لما بين البقاء والحُسن من أواصر القربى .
٤٥ فإنّ البقاء والحُسن مُتجانسان ، وإنّ الأمور الباقية هي الحُسن في أصله / وكلّ ما يصدر عنها
حَسَن . أمّا ما كان فيه نزعة إلى أن يُحدث حسناً ، إنّما يُريد ذلك عن حاجة وعدم اكتفاء ؛ فإن قام
بعمله ظنّ أنّه نال غايته إذا تمّ له أن يلد في الحُسن . لهذا وإنّ الذين يُريدون أن يلدوا بغير ما
٥٠ ترصاه الشريعة والطبيعة / ، فهم مع الطبيعة في مُسهل الطريق . لكنّهم لا يلبثون أن يخرجوا عن
الاستقامة وكأنّهم ينحرفون عن الجادة ، فتزل بهم القدم وينكبّون على وجوههم في الحضيض .
٥٥ آثار الحُسن ، ولا علّم لديهم بما هو الحُسن ذاته . لهذا ولتعد إلى موضوعنا . / إنّ بعض الناس
يحبّون إذا الأجساد الحسنة ويتتبعون الحُسن فيها حتّى عن طريق الجماع ، وذلك لأنّهم يحبّون
الحُسن . وإنّ عند بعضهم الحبّ المعروف بالتكاـح ، أعني حبّ النساء الذي يقصد منه حفظ
النسل ، ولا يـحيدون به إلى غيرهنّ . فهؤلاء خير من أولئك ، على أنّ التعفّف مكفول لدى كلا
٦٠ الطّرفين . فالأوّلون يخصّصون بإجلالهم حُسن هذه الدنيا ويـجدون فيه الكفاية . / أمّا أهل الفئة
الثانية فإنّ الذين يُذكرون منهم يُجلّون الحُسن الأعظم ولا يـبـخسون الحُسن الدنيوي حقّه
فينزلونه من الحُسن الأوّل منزلة الأثر الناتج عنه ويتخذونه ألّهة يلهون بها . كلّ هؤلاء
الناس يسعون وراء الحُسن بدون غيب إذا . وقد يؤدّي الحُسن بغيرهم إلى الهويّ في
القبائح ، لأنّ الرّغبة في الخير كثيراً ما تكون عاقبتها السقوط في الشرّ . لهذا وحسبنا ذلك
٦٥ قولاً في الحبّ من حيث كونه انفعالاً في النفس . /

٢ أمّا الحبّ من حيث أنّه إله ، فإنه كذلك يتصوّره ليس العوامّ فقط ، بل اللاهوتيون
وأفلاطون أيضاً . فإنّ «أفلاطون يذكر «إيروس» (الحبّ) غير مرّة على أنّه «ولد أفروديس»
وعلى أنّ وظيفته «حراسة الأطفال الحسان» و«تحريك النفس إلى الحُسن في المـلأ الأعلى» ؛
٥ أو أنّه يقوّي / الرّغبة في هذا الحُسن عند من كان مُتوافراً لديهم . فلا بُدّ من الاهتمام الخاصّ إذا

بالبحث الفلسفي عن الحب من هذا الوجه. ويجب علينا أيضًا أن نتلقى برحابة الصدر ما ورد في كتاب «الوليمة» من أن الحب، فيما يرى أفلاطون، ليس «ولد افروديتس»، بل أن ولادته تقع في يوم ولادة افروديتس وهو ابن «پينيا» (الحاجة) و«بوروس» (الرخاء). فواضح إذا أن المطلوب منا في بحثنا هو أن نذكر شيئًا عن «افروديتس»/ سواء أ قيل في «ايروس» (الحب) إنه وُلد منها أو وُلد معها. فأية «افروديتس» هي تلك المعنوية هنا إذا؟ لهذا أولًا. وثانيًا كيف نفهم الأمر إذا كان «ايروس» (الحب) قد وُلد منها أو وُلد معها، أو فيما إذا كان، بوجه ما، قد وُلد منها ومعها في آن واحد. فتقول إن الربة «افروديتس»: الربة السماوية/ وهي من «أورانوس» (السماء)، فيما يقال؛ والربة التي من «زُوس» و«ديونه» وهي المكلفة بالإشراف على زواج الآدميين. فالأولى لا أم لها، وهي من العلو بحيث لا ينالها شيء من شؤون الزواج لأنه ليس في السماء قط زواج. وهذه الربة السماوية من «كرونوس» (الزمن) وهو الروح، فهي إذا التمس الإلهية الفارقة التي تخرج/ مباشرة لا شائبة فيها من الشيء الذي لا شائبة فيه أيضًا، فتبقى في العالم الأعلى. ويعني ذلك أنها لا تأتي إلى هذا العالم، وليس ذلك من مرادها، حتى وإنه ليس بوسعها أن تفعل ما دامت مفطورة فطرًا على ألا تواطىء هذا العالم الأسفل. ولهذا راجع إلى أنها مفارقة، قائمة في ذاتها، وهي ذات لا حظ للهولي فيها، ولذلك أشير إليها بالتلويع فقط فوضعت بأنها لا أم لها. والقول الصواب فيها هو أنها أمر رباني وليست/ من الجن، ما دامت الهولي لا تُخالطها وما دامت هي طاهرة قائمة في ذاتها مع ذاتها. فإن ما يُشتق من الروح طاهر مثله، ولربنا مناعتها من ذاتها لمجاورتها تشتق منه، كما وأن لها من نزعتها وثباتها ما يشدُّ بها إلى والدها الذي هو من القوة بحيث يستطيع أن يحفظها في العالم الأعلى. ومن ثم فإن تلك التمس لا تهوي ما دامت مُرتبطة بالروح ارتباطًا/ محكمًا ولا الارتباط الذي تكفله الشمس لما تنشره من نورها يشع منها ولا يزال مع ذلك مُرتبطًا بها. لهذا وإن افروديتس إذا في أثناء التزامها لكرونوس (الزمن) أو إن شئت لأبيه «أورانوس» (السماء)، حوّلت عملها إليه وأحبته عليه ومالت إليه فعشقه وولدت «ايروس» (الحب). وها هي الآن تنتظر إليه هي وولدها ايروس (الحب)./ فإن عملها أولدها إياه قائمًا في ذاته وذاتًا، وها هما الآن ينظران إلى «كرونوس» (الزمن)، الأم وولدها «ايروس» (الحب) صاحب الحُسن الفاتن. وهذا هو الأمر القائم في ذاته الموجّه دائمًا نحو الحُسن عند غيره. فكان كيانه في أن يقوم متوسطًا بين العاشق والمعشوق. إنه العين في العاشق تُتيح/ للمحب أن يرى بها معشوقه، بل إنه يعدو هو ذاته فيُبادر إلى الرؤيا يملأ بها ذاته قبل أن يمدَّ العاشق بالقوة التي تُمكنه من أن يرى بعينه معشوقه. فإنه يرى قبل الرائي، ولكن لا يرى مثلما يرى الرائي لأن المرئي يثبت في الرائي، في حين أن

١٠ المطلوب منا في بحثنا هو أن نذكر شيئًا عن «افروديتس»/ سواء أ قيل في «ايروس» (الحب) إنه وُلد منها أو وُلد معها. فأية «افروديتس» هي تلك المعنوية هنا إذا؟ لهذا أولًا. وثانيًا كيف نفهم الأمر إذا كان «ايروس» (الحب) قد وُلد منها أو وُلد معها، أو فيما إذا كان، بوجه ما، قد وُلد منها ومعها في آن واحد. فتقول إن الربة «افروديتس»: الربة السماوية/ وهي من «أورانوس» (السماء)، فيما يقال؛ والربة التي من «زُوس» و«ديونه» وهي المكلفة بالإشراف على زواج الآدميين. فالأولى لا أم لها، وهي من العلو بحيث لا ينالها شيء من شؤون الزواج لأنه ليس في السماء قط زواج. وهذه الربة السماوية من «كرونوس» (الزمن) وهو الروح، فهي إذا التمس الإلهية الفارقة التي تخرج/ مباشرة لا شائبة فيها من الشيء الذي لا شائبة فيه أيضًا، فتبقى في العالم الأعلى. ويعني ذلك أنها لا تأتي إلى هذا العالم، وليس ذلك من مرادها، حتى وإنه ليس بوسعها أن تفعل ما دامت مفطورة فطرًا على ألا تواطىء هذا العالم الأسفل. ولهذا راجع إلى أنها مفارقة، قائمة في ذاتها، وهي ذات لا حظ للهولي فيها، ولذلك أشير إليها بالتلويع فقط فوضعت بأنها لا أم لها. والقول الصواب فيها هو أنها أمر رباني وليست/ من الجن، ما دامت الهولي لا تُخالطها وما دامت هي طاهرة قائمة في ذاتها مع ذاتها. فإن ما يُشتق من الروح طاهر مثله، ولربنا مناعتها من ذاتها لمجاورتها تشتق منه، كما وأن لها من نزعتها وثباتها ما يشدُّ بها إلى والدها الذي هو من القوة بحيث يستطيع أن يحفظها في العالم الأعلى. ومن ثم فإن تلك التمس لا تهوي ما دامت مُرتبطة بالروح ارتباطًا/ محكمًا ولا الارتباط الذي تكفله الشمس لما تنشره من نورها يشع منها ولا يزال مع ذلك مُرتبطًا بها. لهذا وإن افروديتس إذا في أثناء التزامها لكرونوس (الزمن) أو إن شئت لأبيه «أورانوس» (السماء)، حوّلت عملها إليه وأحبته عليه ومالت إليه فعشقه وولدت «ايروس» (الحب). وها هي الآن تنتظر إليه هي وولدها ايروس (الحب)./ فإن عملها أولدها إياه قائمًا في ذاته وذاتًا، وها هما الآن ينظران إلى «كرونوس» (الزمن)، الأم وولدها «ايروس» (الحب) صاحب الحُسن الفاتن. وهذا هو الأمر القائم في ذاته الموجّه دائمًا نحو الحُسن عند غيره. فكان كيانه في أن يقوم متوسطًا بين العاشق والمعشوق. إنه العين في العاشق تُتيح/ للمحب أن يرى بها معشوقه، بل إنه يعدو هو ذاته فيُبادر إلى الرؤيا يملأ بها ذاته قبل أن يمدَّ العاشق بالقوة التي تُمكنه من أن يرى بعينه معشوقه. فإنه يرى قبل الرائي، ولكن لا يرى مثلما يرى الرائي لأن المرئي يثبت في الرائي، في حين أن

١٥

٢٠

٢٥

٣٠

٣٥

٤٠

٤٥ «ايروس» (الحب) يمتّع نظره بمشاهدة الحُسن الذي يمسه مسًا عابرًا./

٣ لا يَلِيقُ بنا أن نَشْكَّ في أنَّ ما يقوم بذاته وهو ذات يَخْرُجُ من ذات آخرة. نعم هو دون ما يصدر عنه، وَلَكِنَّهُ مع ذلك ذات. فَإِنَّ تلك النَّفْسَ الإِلَهِيَّةَ إِنَّمَا هي ذات خَرَجَتْ من القُوَّة المُتَقَدِّمَةِ عليها. وهي حَيَّةٌ، تَوَلَّدَتْ من ذات الحَقَائِقِ الَّتِي تَنْظُرُ إلى ما هي الذَّاتُ الأولى، بل تُحَدِّقُ إليها تَحَدِيقًا. / ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ المُشَاهِدَةَ هي لتلك النَّفْسِ مُشَاهِدَتِهَا الأولى فَتَنْظُرُ إليها على أَنَّها خَيْرُهَا الخاصِّ، وما أَشدَّ فَرَحُهَا إِذْ تَرَاهَا. فلا يَكُونُ المَشْهَدُ حينذاك بِحَيْثُ أَنَّ الرَّايَ يُنْزِلُ الرُّؤْيَا مِنْزِلَةَ الفَرْعِ مِنَ الأَصْلِ. وعندئذٍ تُصْبِحُ النَّفْسُ تحت وقع ذلك الشَّعُورِ الَّذِي كَانَتْ اللَّذَّةُ، ووقع تلك الشَّرَاطِيَةِ إلى ما تَنْظُرُ إليه وتِلْكَ المَدَّةُ في المُشَاهِدَةِ، فتلد ما هو من مَقَامِهَا ١٠ ومَقَامُ ما تَحَدِّقُ إليه. / من يَلْكَ النَّفْسُ إِذَا المَسَدَّةُ بِطَاقَتِهَا كُلِّهَا إلى المُشَاهِدَةِ، ومن ذلك الَّذِي كَانَتْ يَجْرِي مِنَ المَرِئِيِّ ذَاتَهُ، يَنْشَأُ «ايروس» (الحب). فهو عَيْنٌ مملوءة وكأَنَّهُ رُؤْيَا قَائِمَةٌ مع ١٥ مِثَالِهَا المَرِئِيِّ؛ وَرَبِّمَا جَاءَ اسْمُهُ مِنْ أَنَّ لَهُ كِيَانَهُ مِنَ الرُّؤْيَا «ايروس» مِنْ «أورائس». / (ومهما كَانَ مِنْ أَمْرٍ فَإِنَّ تَسْمِيَةَ الحَبِّ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ انْفِعَالٌ عِنْدَنَا «ايران» تُشْتَقُّ مِنْ هَذَا «الحب» «ايروس») الَّذِي هُوَ ذَاتٌ، ما دَامَتْ الذَّاتُ مُتَقَدِّمَةً على ما لَيْسَ ذَاتًا. والواقع هُوَ أَنَّ هَذَا الانْفِعَالَ يُقَالُ فِيهِ أَنَّهُ الحَبِّ هُوَ عِنْدَنَا «حَبٌّ لشيء»، فلا يَعْنِي هَذَا القَوْلُ الحَبِّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَجْرُودُ انْفِعَالٍ (فينا). كذلك هُوَ إِذَا «ايروس» (الحب) وَلِيدَ تلك النَّفْسِ العُلُويَّةِ، الَّذِي يَنْظُرُ إلى ٢٠ المَلَأَ الأَعْلَى وهو مِنْهُ. ذلك لِأَنَّهُ تَابِعٌ لتلك النَّفْسِ ومولود مِنْهَا وبِهَا، / وهو يَجِدُ إِنَّهُ حَسْبَهُ مُشَاهِدَةُ الأَلْهَةِ. وما دُمْنَا نَعْتَقِدُ فِي تلك النَّفْسِ، الَّتِي كَانَتْ أَوَّلَ مَا أَشْعَى فِي السَّمَاءِ، أَنَّهَا مُفَارِقَةٌ لِلْهِيُولَى، فَإِنَّمَا نَعْتَقِدُ فِي «ايروس» (الحب) هَذَا أَنَّهُ مُفَارِقٌ هُوَ أَيْضًا. (وَنَعْتَقِدُ ذَلِكَ مع كَوْنِهَا مُصَرِّينَ على القَوْلِ بِأَنَّ يَلْكَ النَّفْسُ هي النَّفْسُ السَّمَاوِيَّةُ. فَإِنَّمَا نَذْهَبُ إلى أَنَّ الأَصْلَ الأَشْرَفَ ٢٥ فِينَا/ مُفَارِقٌ أَيْضًا بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّنَا نَجْعَلُهُ ثَابِتًا حَاضِرًا عِنْدَنَا). فَلْيَقُمْ «ايروس» (الحب) إِذَا هُنَاكَ فَقَطْ حَيْثُ تُقِيمُ النَّفْسُ الَّتِي لَا تَشُوبُهَا شَائِبَةٌ. ثُمَّ إِنَّهُ ما دَامَ العَالَمُ الحَسِّيُّ فِي حَاجَةٍ إلى نَفْسٍ هُوَ أَيْضًا، قَامَ مع نَفْسِهِ «ايروس» (الحب) آخَرُ، وهو عَيْنُ هَذِهِ النَّفْسِ ومولود مِنْ رَغْبَتِهَا. وَهَذِهِ ٣٠ النَّفْسُ هي «افروديتس» عَالِمُنَا؛ / فَلَيْسَتْ نَفْسًا فَقَطْ وَلَيْسَتْ النَّفْسُ على وَجْهِ الإِطْلَاقِ. «ايروس» (الحب) وَلِيدُهَا الَّذِي وَضَعَتْهُ فِي هَذَا العَالَمِ هُوَ الَّذِي يَشْرِفُ على الزَّوْاجِ. فَيَقْدِرُ ما يَكُونُ مُنْفَعِلًا بِرَغْبَةٍ ما فِي عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ بِذَلِكَ القَدْرِ يَحْرِّكُ نَفُوسَ الشَّبَابِ، على أَنَّهُ يَعْلَمُ ٣٥ بِالنَّفْسِ الَّتِي مَسَّهَا بَطْنُهُ بِقَدْرِ ما فِي وَسْعِ/ هَذِهِ النَّفْسِ فَطَرَةً أَنَّ تَسْتَرْسِلُ مع الذَّكَرِ بِالْعُلُويَّاتِ. هَذَا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ نَفْسَ هَذَا العَالَمِ ما دَامَتْ تَابِعَةً لِلنَّفْسِ الأولى الإِلَهِيَّةِ وَمِنْ يَلْكَ النَّفْسِ، فَإِنَّ كُلَّ نَفْسٍ تَرُغِبُ فِي الخَيْرِ مِمَّا تَكُنْ مَشُوبَةً وَمِمَّا تُصِيرُ نَفْسَ شَيْءٍ جَزْئِيٍّ.

٤ والآن، هل لدى كُلِّ نَفْسٍ جَزْئِيَّةٍ «حَبَّهَا» مِثْلُ ذَلِكَ «الحب» - ايروس» قائم في ذاته وهو

ذات؟ أو نقول إن شيئاً: لماذا يكون لدى كل من النفس الكلية ونفس العالم «حبها» القائم بذاته، ثم لا يتم الأمر لكل نفس من نفوسنا ولكل نفس من نفوس الحيوانات الأخرى كلها؟ فإن هذا «الحب» هو الجنّي الذي يوصف بأنه يلزم كلاً متاً، وهو/ «الحب» لدى كل شخص. إنه هو الذي يكون في كل نفس مبعث نزعاتها الفطرية، ما دامت كل نفس تميل إلى ما تقتضيه فطرتها فتلد «الحب» وفقاً لما هي أهل له ولما هي عليه في ذاتها. فمثلما أنّ للنفس الكلية «حبها» الكلّي إذاً، فإن لكل نفس جزئية «حبها» الجزئي أيضاً. / ولكن كما أنّ الأمر في النفس الجزئية من النفس الكلية بحيث أن الأولى ليست منفصلة عن الثانية بل مُحاطة بها من كل جانب، فتصبح النفوس الجزئية كلها نفساً واحدة، كذلك هو في «الحب» الجزئي من «الحب» الكلّي أيضاً. «فالحب» الجزئي في النفس الجزئية، وذلك «الحب» الأكبر في النفس الكلية، و«الحب» الكوني في كل ناحية من نواحي العالم الكلّي. ثم يتوزّع لهذا «الحب» الواحد في الكثرة، / فيظهر حينما يشاء في الكون، ويتكيف بمختلف أشكاله ولا يتقيد في ظهوره إلا بمشيئته. لهذا ويجب أن نسلّم أيضاً بوجود عدد وافر من «الأفروديتس» في العالم الكلّي. إنهنّ جنّيات تولدُن فيهِ كلّ منهنّ مع «حبها» على أنهنّ خرجن من «افروديتس» واحدة كلية وتوزعن جزئيات في الكثرة، وما زالت/ كلّ منهنّ مع «حبها» مُرتبطة بالتي هي أصلها. فإن النفس أم «الحب»، والنفس هي «افروديتس»، و«الحب» فعل النفس وهي تنزع إلى الخير. وغاية كلّ ذلك هي أن هذا «الحب» الذي يسوق كلّ نفس إلى الخير في حقيقته حبان: «الحب» الذي هو إله وهو «حب» النفس الكلية التي في الملاء الأعلى، يصل دائماً بينها وبين الخير في ذاته؛ أما حبّ النفس التي امتزجت بالهولي فهو جنّي. /

٥ ولكن ما هي طبيعة الجنّي وبوجه عامّ طبيعة الجنّين، التي ورد الكلام عنها في كتاب «الوليمة». أجل، ما هي هذه الطبيعة، وما هي طبيعة سائر ما في عالم الجنّ، وبخاصّة ما هو ذلك «الحب» الذي وُلد يوم الاحتفال بولادة «افروديتس» من «بينيا» (الحاجة) و«پوروس» (الرخاء) ابن «ميتيس» (الحيلة)؟ قبل إن أفلاطون يعني بهذا «الحب» العالم ذاته، لا شيئاً من العالم يكون هو «الحب» الذي نشأ في هذا العالم. وهذا تأويل يتنافى مع المعقول من وجوه كثيرة. فإنّ صاحبنا يصف العالم بأنه إله ينعم بالسعادة، مكثف بذاته، في حين أنّه يُسلّم بأنّ «الحب» الذي يتكلّم عنه ليس إلهاً وليس مكثفياً بذاته، بل إنه دائماً في حال الحاجة. / ثمّ إنّه ما دام العالم من نفس وجسد، وما دامت نفس العالم هي «افروديتس» التي فيه، فإنّ «افروديتس» هي الجزء المهمّ في «إيروس» (الحب) إذاً. أو أيضاً إذا كانت نفس العالم هي العالم، كما أنّ نفس الإنسان هي الإنسان، فإنّ «إيروس» هو «افروديتس». وأيضاً: إنّ «إيروس» هذا/ جنّي.

فلماذا يكون هو العالم ثم لا يكون الجن الآخرون كذلك، مع أنه لا ريب في أنهم كلهم من ذات واحدة؟ ولهذا يعود إلى القول بأن بنية العالم مؤلفة من جنين! وبعد، كيف يكون العالم ذلك الموصوف بأنه أقيم «حارساً على الأطفال الحسان». فضلاً على أن أفلاطون يصف «ايروس» بأنه «ليس له سرير ولا جذاء ولا دار». / أو ليس في تطبيق ذلك على العالم تكلف وغبابة؟

٦ ولكن ما عسى أن نقول في «ايروس» وفي ما نسّميه ولادته؟ واضح بأنه لا بدّ من أن نذكر أولاً ما هي «پينيا» (الحاجة) وما هو «پوروس» (الرّخاء) وكيف يصحّ القول فيهما أنهما أبوان. وواضح أيضاً أنه لا بدّ من أن يكون الأمر كذلك فيهما مع سائر الجنين ما دام لهم من حيث كونهم جنين حقيقة واحدة وذات واحدة، / وإلا لما كان بينهم إلا الاشتراك بالتسمية. فلتبين إذاً كيف عسى أن نميّز الأرباب عن الجنين. نعم طالما نذكر الجنين على أنهم أرباب، لكننا نقصد هنا على الأقل الحال التي فيها نذكر كلّاً من الطرفين مختلفاً جنسه عن الآخر. أما جنس الأرباب فإنا نقول فيه معتقدين أنه ليس للانفعال سبيل إليه في حين أننا ننسب إلى الجنّ الانفعال. ندّعي في الجنّي أنه قديم، يأتي بعد الرّب فوراً، وهو في جانبنا قائم بين الأرباب والأنس. فكيف لم يبقوا بدون انفعال، وكيف انحطوا في كيّانهم وأصبحوا في جانب العالم الأسفل؟ فضلاً على أنه يجدر بنا السؤال أيضاً فيما إذا لم يكن قطّ في العالم الرّوحانيّ جنّي، فلا وجود/ للجنّ إلا في هذا العالم الحسّي، ولا يتخطى الرّب حدود العالم الرّوحانيّ. أو «إن في عالمنا أرباباً أيضاً»، بل إن عالمنا ربّ هو الربّ الثالث كما جرّت بقوله العادة، وإن الكواكب في السّماء كلّ منها ربّ حتّى القمر ذاته. إن القول الأصحّ في كلّ ذلك هو أنه ليس في العالم الرّوحانيّ جنّ، بل إذا وجد جنّي بمعنى أنه أصل مثاليّ قائم بذاته، فإنما هو ربّ حينذاك. / كما وإننا نرى، من ناحية أخرى، أن أرباب العالم الحسّي المنظورين والقمر معهم إنّما هم أرباب من المقام الثاني. هم بعد الأرباب الرّوحانيّين فيهم يتكيّفون وإليهم يرجعون، وهم منهم بمنزلة الإشعاع حول الكوكب الجزّي. والجنّيون، ماذا نقول فيهم؟ أنقول في الجنّي أنه الأثر الذي ينبعث من النّفس إذا أصبحت النّفس في العالم؟ ولماذا نقول ذلك في النّفس التي أصبحت في العالم فقط؟ - لأنّ النّفس الطّاهرة تلد ربّاً، وقد وصفنا «حبّها» بأنه ربّ.

ولكن لماذا لا يكون كلّ جنّي «ايروساً» (حبّاً)؟ هذا أولاً. وثانياً لماذا لا يكون هؤلاء الجنّيون براء من الهيولى هم أيضاً؟ - إلا أن «ايروس» (الحبّ) هو كلّ مولود من النّفس إذا رغبت في الحُسن والخير، / وكلّ نفس في العالم الحسّي تلد مثل هذا الجنّي. أمّا ما عدا ذلك من الجنّ، فإنهم من نفس العالم الكلّيّ طبعاً، ولكنّها تلدهم بفعل قوى أخرى ووفقاً لما يقتضيه صلاح الكون الكلّيّ، فيساعدونه على تكميل الجزّيّات وتدبير أمورها. ذلك لأنه يجب في

٣٥ النفس الكلّية أن تكفي الكل حاجته، وهي تفعل بوضعها قوى من نوع الجنّ/ تكون مُنسجمة مع العمل الكلّي الذي تقوم به هي. ولكن كيف يُشركون في الهَيُولَى، وما هي الهَيُولَى التي يُشركون فيها؟ فإنّهم لا يُشركون في الهَيُولَى الجسمانيّة، وإلاّ لكانوا أحياء يُدركون بالحواس. وإذا افترضناهم بارزين في أجسام هوائية أو نارية، فينبغي أوّلاً في طبائعهم أن تثبت في ما يميّزها عن سواها حتّى تُشرك بعد ذلك في الأجسام. فإنّ ما كان في مُطلق/ الطّاهرة لا يمتزج بالجسم امتزاجاً مُباشراً، ولو ذهب بعضهم إلى أنّ للجنّي، شيئاً جسمانيّاً هو نار أو هواء، من حيث كونه جنّياً. وإذا كان ذلك كذلك، فلماذا يُخالط الجنّي الجسم في حال، ولا يُخالطه في حال أخرى؟ أليس للامتزاج إذا تمّ آنذاك/ سبب؟ لا بدّ لنا إذا من التسليم بوجود هَيُولَى روحانيّة، فإذا أُشرك فيها الشّيء تيسّر له بوساطتها أن يتّصل بهَيُولَى الأجسام.

٧ ولذلك يقول أفلاطون في روايته لولادة «ايروس» (الحب) أن «پورس» (الرّخاء) كان في حال السّكر بعد شربه من الكوثر إذ لم تكن الخمرة معروفة بعد/ آنذاك. وعلى ذلك تمّت ولادة «ايروس» قبل وجود الحسّيات، فكانت «پينيا» (الحاجة) مُشتركة في حقيقة الرّوح. ولا يعني ذلك أنّ إشراكها هو إشراك في أثر روحانيّ،/ أو في ظاهرة تشكّلت في عالم الرّوح ثمّ انبعثت منه، بل يعني أنّها مُقيمة في الملاءم الرّوحانيّ حقّاً. ثمّ إنّها تتجمّع هنالك فيها بين ما هو كأنّه مثال متّسق بارزة معالمة من ناحية، وما هو فقْدان التّناسق وفقدان بُروز المَعالم من الأخرى. وهذا أمر يحصل للنفس قبل أن تحظى بما هو خيرها، فتحسّ بأنّ لديها منه شيئاً على طراز التّصوّر المُبهم الغامض الذي لا ضابط له ولا حدّ. فإذا كانت «پينيا» (الحاجة) على هذه الحال ولدت «ايروس» القائم بذاته، فإنّ العقل يصبح حينئذٍ في ما ليس عقلاً، بل نزعة عمياء ووجوداً مغشي الجوانب، فيُحدث/ شيئاً ناقصاً عاجزاً في حالة المُحتاج. ولا غرو وهو وليد نزعة في تيه وعقل في كماله. وليس «ايروس» (الحب) هذا عقلاً صافياً، ما دام فيه رغبة هوجاء لا يهديها هدي ولا يضبطها ضابط. وهو لن يعرف شيئاً ما دام فيه الحرمان بالذات من الأحكام والاتّساق. نعم لا يزال مرتبطاً/ بالنفس إذ إنّ منها خَرَج وهي أصله. ولكنّه مزيج نتج عن عقل لم يبق في ذاته بل خالط الحرمان من الإحكام والاتّساق؛ ولم تكن هذه المُخالطة تبادراً منه، بل تبادراً ممّا منه خرج. ها هو ذا «ايروس» إذْ وكأنّه لَسعة لا تُقضى نهمتها وذلك في فطرته وجلبته؛ ومهما يُصِيب لا يلبث نهمه أن يُعاوده. / ليس الشّبع من طبعه لأنّه ليس من طبع المزيج، ولا يشبع حقّاً إلّا ما يكون له من ذاته الكفاية بما لديه. أمّا «ايروس» (الحب) فإنّ العوز فيه ومعه دائماً، فلا يزال يرغب، وهو لا يظّل شعبان حتّى ولو أصاب من الشّبع خلافاً. وغاية ما يُقال فيه أن لا حيلة له من حاجته، وقد أوتي أوسع الحيل من العقل الذي هو فيه. / كذلك يجب

أن تتصور جنس الجنّ كلّ وأصوله . لكلّ جنّي حاجة نسّق لها طبعاً لا يزال يفتقّ بالحيل ليكفلها له ولا يزال يرغب فيها أبداً . وبذلك يتقرّب ممّا هو «ايروس» (الحب) عليه : فهو مثله لا يعرف شبعاً في سعيه الدائب وراء ما هو خيره في عالم الجزئيات . ومن ثمّ فإنّ للصالحين في الدّنيا / «ايروسهم» (حبّهم) أيضاً وهو «حبّ» الخير المطلق من كلّ قيد وحبّ ما كان هو الخير حقّاً وليس لهذا «الحبّ» أو ذاك . أمّا الذين وُفق بينهم وبين مُختلف الجنّ فلكلّ الجنّي الذي قيّد له قريباً . يدّعون «ايروس» (الحبّ) المطلق الذي لديهم متعطّلاً عن العمل ، ويتصرّفون وفقاً لجنّي ٣٥ آخر إصطفوه لهم تماشياً مع ما يتسجّم معه من الأصل / الذي يعمل فينا - وهي النّفس . ولا يخفى أيضاً أنّ الذين يرغبون في الشّور من وراء الشّهوات الرّديئة المُستحكمة فيهم يقيّدون ما لديهم من «الحبّ» في مُختلف أنواعه . فوضعهم آنذاك وضع العقل السّليم ، وهو غريزة فطريّة في الإنسان ، إذا قيّد بالآراء الفاسدة التي تتوالى عليه . لكنّ «الحبّ» إذا انبعث من الفطرة ٤٠ الصّحيحة ووفقاً لما تقتضيه فهو حُسن . نعم قد يقلّ / شأناً في نفس قلّ شأنها تارة وقد يكرم تارة أخرى ، ولكنته في مقام الذات على كلّ حال . أمّا إذا تنافى مع الطّبيعة فهو انفعال عند قوّم ضلّوا ، وليس ذاتاً بحال ، ولا كيان له في ذاته . بل لا يكون وليد النّفس حقّاً ، بل إنّما هو شيء ينشأ مع رداءة النّفس وهي تولد عفواً ما يكون على مثالها أثناء تقلّباتها بين مُختلف أحوالها ٤٥ ومقاماتها ، فالذي يبدو إجمالاً هو أنّ الخير الحقّ الذي يوافق فطرة النّفس إذ تعمل في نطاق النّظام إنّما هو خير من قبيل الذات . أمّا ما سواه ، فإنّ النّفس لا تندفع معه من ذاتها في عملها ، وليس هو لديها إلا انفعالاً . مثل ذلك مثل التّصورات الفكرية الكاذبة التي ليس تحتها حقّ تكشف عنه . أمّا التّصورات الصّحيحة حقّاً ، الدّائمة ، الواضحة المعالم ، / فإنّها تكشف معاً عن العرفان وعن الشّيء المعروف وعن وجوده . ولا يصحّ ذلك في المعرفة بوجه عامّ فقط ، بل في كلّ حالة أيضاً يكون عليها الشّيء المعروف حقّاً ويظهر من خلالها الرّوح الكامن في المثال . فإنّه يجب في المعرفة والشّيء المعروف أن يستويا صافيين خالصين عند كلّ منّا ، ولو لم يكن الأمر ليتمّ لنا وللوضع الذي هو عليه في بساطته على السّواء . ومن ثمّ «الحبّ» الذي فينا للأمر ٥٥ البسيطة ، وهي موضوع معرفتنا أيضاً . / وإذا تعلّق إدراكنا بجزئيّ من الجزئيات ، فنن طريق العرض كما هو الأمر مثلاً فيما لو كنّا نبيّن أنّ المثلث بزواياه يُساوي قائمتين ، وذلك بقدر ما هو مثلث قائم في بساطته .

٨] والآن ما هو «زوس» الذي يذكّر أفلاطون جيّته في كتابه ، وهي الجيّة التي دخلها «پوروس» (الرّخاء)؟ وما هي هذه الجيّة؟ أمّا «افروديتس» فإنّها النّفس عندنا ، وقلنا إنّ «پوروس» (الرّخاء) هو العقل الكلّي . فعلى أيّ معنى ينبغي لنا الآن أن نووّل «زوس» وجيّة؟

٥. يجب ألا نفهم «زوس» على أنه النفس ما دامت «افروديتس» هي التي أنزلناها على هذا/ التأويل. فالوجه هو أن نتبين هنا أيضًا عند أفلاطون ذاته ما هو «زوس». فإنه في كتاب «الفيدروس» يصف هذا الإله بأنه «القائد الأعظم»، ويذكره في محل آخر على أنه من المقام الثالث، فيما أظن. وهو أوضح في كتاب «الفيليبوس» حيث يقول إن في «زوس» «نفس ملك وروح ملك». / فإن «زوس» روح عظيم ونفس إذا، وهو في مقام الأسباب، وإن أحد الأسس المختلفة التي أوجبت رفعه إلى هذا المقام هو كونه «ملكًا» و«قائدًا»، أعني «المسبب». فإذا كان ذلك كذلك، كان «زوس» يُعادل مقام الروح في مقامه. أما «افروديتس» التي هي خاصّة ١٠ ومنه ومعها، فإنها في مقام النفس. / واسمها «افروديتس» لما تتّصف به من حسن النفس ونورها وصفاتها ولطفها. ذلك لأننا نجعل في مقام الروح المذكور من الآلهة وفي مقام النفس لأنهم، ٢٠ بحيث تكون مع كلّ روح نفسه؛ وعليه فإن نفس «زوس» هي «افروديتس». / لهذا وقد تشهد لقولنا تعاليم الكهان ورجال اللاهوت الذين لا يميزون بين «هيرا» و«افروديتس» ويرون أن نجمة «افروديتس» في مكان نجمة «هيرا» من السماء.

٩ إن «پورس» (الرخاء) هو عقل الأمور القائمة في العالم الروحاني وفي الروح إذا، بحيث إنه، بوجه عام على أوسع ما يكون انتشارًا وانبساطًا. ومن ثمّ علاقته بالنفس ووجوده فيها. فإن ما هو في الروح، إنما يكون متجمّعًا على ذاته، وليس لشيء من غيره سبيل إليه. وإذا كان «پورس» (الرخاء) ذلك في حالة النشوة، / فإن ما هو عليه من الامتلاء طارئ ورد عليه من الخارج إذا. وما عسى أن يكون ما يملؤه من الكوثر سوى العقل وقد انحدر من أصله الأعلى إلى المقام في الأسفل؟ فإن انبعث هذا العقل من الروح في النفس هو معنى قولهم في «افروديتس» إنها ولدت أثناء تسلّل «پوروس» (الرخاء) إلى جثة «زوس». والجثة هي كلّ ما ١٠ في المال من بهاء وعظمة؛ فبعقل «زوس» تزدهي وزيتها/ هي إشراق الروح ذاته على النفس. وهل تكون جثة «زوس» إلا بهاء وسناء؟ وما عسى أن يكون بهاءه وأن تكون حلاه إلا المعاني البذرية التي تخرج منه سارية؟ فإذا وُجدت هذه المعاني البذرية في آن واحد ظهر «پوروس» ١٥ (الرخاء) وهو الحسن إذا توافر واستفاض، / ولهذا ما تعنيه النشوة من الكوثر. وهل الكوثر عند الآلهة إلا ما يصطحبه الأمر الإلهي؟ وأن ما يصطحبه إنما هو ما يكون بعد الروح أعني العقل فالروح هو مع ذاته في كفاف ولا يعرف النشوة، إذ أنّ ما لديه ليس مزيّدًا ورد عليه. أما العقل فإنه وليد الروح، وهو قائم في ذاته بعد الروح، وليس من الروح بعد ذلك بل أصبح في ما هو ٢٠ غير الروح. / وهو العقل الذي يقول عنه أفلاطون أنه كان مُستلقّيًا في جثة «زوس» عندما استوت «افروديتس» في عالم الحقائق.

هَذَا وَإِنَّ الْقَصَصَ الْأَسْطُورِيَّ لَا يَدُلُّهُ، مَا دَامَ قِصَصًا أَسْطُورِيًّا، مِنْ أَنْ يُوَزَّعَ فِي الزَّمَنِ
 ٢٥ مَادَّةَ رَوَايَاتِهِ. يَتَنَاوَلُ الْكَثِيرُ مِنَ الْأُمُورِ وَيَقْصِلُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ/ فِي حِينَ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ مَعًا عَلَى
 أَنَّهَا كُلٌّ، لَا تَمَازِي فِيهَا إِلَّا بِالرَّتَبَةِ وَالْقَوَى. وَقَدْ يَحْصُلُ هَذَا بِالذَّاتِ فِي أَبْحَاثِنَا حَيْثُ نَتَصَوَّرُ
 الشَّيْءَ مُتَوَلِّدًا وَهُوَ لَيْسَ مُتَوَلِّدًا، وَحَيْثُ نَعَزِلُ بَعْضَ مَا هُوَ مَوْجُودٌ كَلًّا مَعًا عَنْ بَعْضِهِ الْآخَرِ. فَإِذَا
 مَا أَدَّتْ الْأَسْطُورَةُ مَا فِي وَسْعِهَا أَنْ تُؤَدِّيَهُ مِنَ التَّعَالِيمِ، أَتَاحَتْ عِنْدَ ذَلِكَ لِلْبَصِيرِ الْعَاقِلِ أَنْ يَجْمَعَ
 وَيُسْتَقْبَلَ بَيْنَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ. وَالتَّأْلِيفُ هُنَا عَلَى نَحْوِ مَا يَلِي: إِنَّ النَّفْسَ مُرْتَبِطَةً بِالرَّوْحِ وَمِنْهُ تَسْتَمِدُّ
 ٣٠ قِيَامَهَا. ثُمَّ إِنَّهَا مُفَعَّمَةٌ بِالْمَعَانِي الْبَذَرِيَّةِ/ وَهِيَ فِي حَلَالِهَا حُسْنٌ عَلَى حُسْنٍ، تَقْبِضُ بِالرَّفَافَةِ مِنْ
 حَيْثُ إِنَّهَا آنَذَاكَ مَنَظَرٌ كَثُرَتْ فِيهِ الْمَبْهَجَاتُ وَصُورُ كُلِّ مَا يَنْطَوِي الْكَوْنُ عَلَيْهِ مِنْ مَفَاتِنٍ. تِلْكَ
 هِيَ «إِفِرُودَيْتِس» بِرَمَتِهَا. إِنَّ مَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنْ مَعَانٍ بِذَرِيَّةٍ عِنْدِيذٍ، هُوَ الرَّفَافَةُ وَ«پُورُوس»
 ٣٥ (الرَّخَاءُ)/ وَقَدْ هَمَى عَلَيْهِ مِنْ عِلِّ كَوْنِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى. ثُمَّ إِنَّ الْمَبْهَجَاتِ الَّتِي فِيهَا كَانَتْهَا مُنْبَسِطَةٌ
 فِي الْحَيَاةِ وَهِيَ لَهَا فِرَاشٌ، فَتَلْكَ هِيَ جَنَّةُ «زُوس» بِأَوْصَافِهَا، حَيْثُ يَنَامُ «پُورُوس» (الرَّخَاءُ) وَقَدْ
 أَثْقَلَهُ الشَّرْبُ وَمِنْهُ انْتَشَى. وَإِذَا ظَهَرَتْ الْحَيَاةُ آنَذَاكَ وَقَامَ بِهَا الْوُجُودُ فِي بَقَائِهِ الدَّائِمِ، قِيلَ فِي
 الْأَلْهَةِ أَنَّهُمْ فِي الْوِلَائِمِ مُسْتَعْرِقُونَ كِنَايَةً عَنْ أَنَّهُمْ فِي السَّعَادَةِ رَايَعُونَ مَا دَامَتْ الْحَالُ عَلَى مَا
 ذَكَّرْنَا. فَالْحَبُّ ثَابِتٌ كَذَلِكَ دَائِمًا بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ: مِنَ النَّفْسِ يَنْبَعُثُ مَا دَامَتْ هِيَ تَنْزِعُ إِلَى
 ٤٠ الْخَيْرِ وَالْأَفْضَلِ،/ وَهُوَ لَمْ يَزَلْ مَا دَامَتْ النَّفْسُ لَمْ تَزَلْ. وَهُوَ مَزِيحٌ: فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْعَوَزِ يَدْفَعُهُ
 إِلَى التِّمَاسِ الشَّيْبِ، وَلَيْسَ بِدُونِ حِظٍّ مِنَ الرَّفَافَةِ إِذْ أَنْ مَا يَسْعَى إِلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ الْمَزِيدُ لِمَا لَدَيْهِ. فَلَوْ
 لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ لَمَا جَدَّ قَطُّ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ. يُقَالُ عَنْهُ أَنَّهُ مِنْ «پُورُوس» (الرَّخَاءِ)
 ٤٥ وَ«پِينِيَا» (الْحَاجَةُ) إِذَا،/ بِمَعْنَى أَنَّ فِي النَّفْسِ الْعَوَزَ وَالرَّغْبَةَ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِمَا الذِّكْرَى بِالْمَعَانِي
 الْبَذَرِيَّةِ، فَتَوَلَّدَتْ مِنْ ذَلِكَ الطَّاقَةُ عَلَى الْعَمَلِ وَهِيَ مُسَدَّدَةٌ نَحْوَ الْخَيْرِ. هَذَا هُوَ «الْحَبُّ». كَانَتْ
 «پِينِيَا» (الْحَاجَةُ) أُمَّهُ لِأَنَّ الرَّغْبَةَ فِي جَانِبِ الْمُحْتَاجِ دَائِمًا. وَلَكِنْ «پِينِيَا» (الْحَاجَةُ) هِيَ الْهَيُولَى
 ٥٠ لِأَنَّ الْهَيُولَى هِيَ الْحَاجَةُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَضْلًا عَلَى أَنَّ الرَّغْبَةَ فِي الْخَيْرِ رَغْبَةُ عَمِيَاءٍ، مَا دَامَ/
 الرَّاغِبُ فِي الْخَيْرِ هُوَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَالٍ مِنَ الصُّورَةِ وَمِنَ الْمَعْنَى الْبَذَرِيَّةِ. وَهَذَا مَا يَزِيدُ الرَّاغِبَ
 مِنْ حَيْثُ هُوَ رَاغِبٌ، تَشْبَهًُا بِالْهَيُولَى. هَذَا وَإِنَّ الْخَيْرَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَرُغِبُ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ مِثَالُ ثَابِتٍ
 فِي ذَاتِهِ قَائِمٌ عَلَى حَيَالِهِ. وَمَا دَامَ الشَّيْءُ الَّذِي يُرْغَبُ مَتَّهِيًا لِمَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَلَقَّاهُ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ
 ٥٥ يَحْضُرُ، بِوَجْهِ مَا هَيُولَى/ تَتَلَقَّى مَا يَقْبَلُ عَلَيْهِ. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، كَانَ الْحَبُّ أَمْرًا هَيُولَانِيًّا
 إِذَا، وَهُوَ جَنِيٌّ يَنْشَأُ فِي النَّفْسِ وَيَنْبَعُثُ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا هِيَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْخَيْرِ وَبِقَدْرِ مَا هِيَ رَاغِبَةٌ
 فِيهِ.

الفصل السادس

(٢٦)

في أن المنزهات مُبرأة من الانفعال

١ لقد ذكرنا أن الإحساس ليس انفعالاً، بل إنه عمل وحكم يتعلّقان بالانفعال. فإنّ الانفعال يتمّ في غير ما نحن فيه، لدى الجسم مثلاً إذا افترضته على وضع مُعيّن. أمّا الحكم فإنّه يتعلّق بالتّمسّك ما دام الحكم ليس انفعالاً؛ وإلّا وجب الرجوع إلى حكم آخر ومضى الأمر إلى غير نهاية. ولكنّا، مع ذلك، لا نزال هنا أمام صعوبة فيما لو لم يكن الحكم من حيث هو حكم منطوياً على شيء من المحكوم فيه. فإذا حصل منه في الحكم انطباع، فإنّ الحكم مُنفعل به. على أن القول الصحيح في ما نسمّيه الانطباعات، هو أنّها على وضع يختلف تمام الاختلاف عن الوضع الذي تتصوّرهما عليه. فشانها شأن التصوّرات الفكرية، وهي في حدّ ذاتها أعمال بوسعها أن تُدرّك العلم دون أن ينالها انفعال قطّ. وليس من شأن العقل والإرادة عندنا، بوجه الإجمال، أن يُخضّعا التّفكّر لتوجيهات وتقلّبات تكون ضرباً من التسخين والتبريد في الأجسام. ١٥ مع أنّه يجب في ما نراه منها الجانب القابل للانفعال أن نتبيّن بدقّة/ ما إذا كنّا نسلم به على أنّه غير مُتبدّل أو نعترف له وحده بالانفعال. ولكنّ هذا أمر نُرجّئه إلى حينه ما دُمنا مقيدين الآن بالبحث في مُشكلتنا من بدايتها. فكيف لا يطرأ التغيّر على ما هو في التّفكّر فوق جانيها المُنفعل، وفوق الإحساس، وعلى كلّ جانب منها مهما يكن نوعه، بوجه عامّ ما دام للرداءة ٢٠ إليها سبيل/، وللأراء الكاذبة والجهل أيضاً؟ إنّها لعمري تَميل وتبَدّل في حال اللذة والألم والغضب والحسد والغيرة والشهوة، وهي، إجمالاً، لا تستقرّ ساكنة، بل تبقى مقدّفة أبداً مقلّبة ٢٥ عند كلّ طارئ يطرأ. ولو كانت التّفكّر جسماً ذا كمّ لما/ كان من اليسير، بل لكان من المُستحيل مطلقاً، أن تُثبت أنّها لا تتفعل ولا تتحوّل عند ما دُكر من الحوادث التي تجري عليها. ولكنّها ما دامت بريئة من الكمّ، وجب أن تكون خالدة لا محالة. فعلياً أن نتورّع من أن ننسب إليها انفعالات من هذا النوع، وإلّا حكمنا عليها بالفساد ونحن عن الأمر ٣٠ غافلون. / وسواء أكانت هي ذاتها عدداً أو معنى قائماً في ذاته، كما نقول، فكيف يحدث الانفعال في عددٍ أو في معنى قائم بذاته؟ وما أحرانا، إذا كان الوضع كذلك، بأن نتصوّر ما

يَطْرَأُ عَلَيْهَا أَنَّهُ مَعَانٍ قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا لَيْسَتْ مَعَانِي قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا، وبراءة من الانفعال هي انفعال في حقيقة أمرها. وكلُّ هذه أمور تصحَّح على الأجسام إذ أنَّها من الأجسام تُسْتَنْبَط، فيُتَّخَذُ كُلُّ واحدٍ ٢٥ منها على عكسه ويُطْلَقُ عن طريق القياس. / فتبدو النَّفْسُ حينئِذٍ بحيث أنَّها، في آنٍ واحدٍ، حاصلة على كلِّ ذلك وبريئة منه، وهي تفعل ولا تفعل. فلا بدَّ من البحث إذًا على الوجه الذي يجدر بنا أن نذهب إليه في ما كان من نوع تلك الأمور.

٢] يَجِبُ أَوَّلًا أَنْ نَذْكُرَ، فيما يتعلَّقُ بِالرَّذِيْلَةِ وَالْفَضِيْلَةِ، ما عسى أن يحدث عندما يُقالُ عن الرَّذِيْلَةِ إِنَّهَا فِي النَّفْسِ. إِنَّا نَحْكُمُ بِوُجُوبِ اقْتِلَاعِهَا عَلَى أَنَّهَا شَرٌّ فِي النَّفْسِ، ثُمَّ نَقْضِي عَلَى النَّفْسِ بِأَنْ يَحُلَّ مَحَلَّ الْقَبِيْحِ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ سَابِقًا عُمرَانِهَا بِالْفَضِيْلَةِ وَتَرْكِهَا وَتَحْلِيَّتِهَا بِالْحَسَنَاتِ. ٥ وَإِذَا قُلْنَا أَنَّ الْفَضِيْلَةَ هِيَ التَّنَاسُقُ/ وَأَنَّ الرَّذِيْلَةَ هِيَ الْحِرْمَانُ مِنْهُ، أَنْكُونِ مَتَّقِينَ مَعَ الْقَدَامَى فِي مَا يَرُونَهُ الْمَذْهَبَ الصَّحِيْحَ؟ أَوْ يَقْرَبُنَا قَوْلُنَا هَذَا تَقْرِيْبًا لَا يُسْتَهَانُ بِهِ مِنْ حُلِّ مَطْلُوبِنَا؟ نَقُولُ: إِذَا تَنَاسَقَ بَعْضُ أَجْزَاءِ النَّفْسِ مَعَ بَعْضِهَا الْآخَرِ وَفَقًّا لِمَا يَسْتَلْزِمُهُ الطَّبْعُ كَانَتْ الْفَضِيْلَةُ، وَإِذَا لَمْ يَتِمَّ التَّنَاسُقُ كَانَتْ الرَّذِيْلَةُ. وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لَمْ يَرِدْ عَلَى النَّفْسِ شَيْءٌ مِنْ ١٠ شَيْءٍ يَخْتَلِفُ عَنْهَا، / بَلْ ائْتَرِجْ كُلَّ جُزْءٍ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ الْمُتَنَاسِقَةِ أَوْ لَمْ يَتَدْرَجْ فِي حَالِ عَدَمِ التَّنَاسُقِ. وَهُوَ بَاقٍ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ بِذَاتِهِ فِي كَلَا الْأَمْرَيْنِ. مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ مَا يَتِمُّ فِي حِلْبَةِ الرَّقْصِ: يَرْقُصُ بَعْضُ الْأَفْرَادِ وَيُشْدُونَ مَعَ بَعْضِهِمُ الْآخَرِ بِانْسِجَامٍ وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ وَاحِدًا. ١٥ بَلْ يُشَدُّ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ وَلَا يُشَدُّ الْآخَرُونَ وَلِكُلِّ مِنْهُمْ لِحْنُهُ الْخَاصُّ. / وَالَّذِي يَجِبُ حِينَئِذٍ، لَيْسَ هُوَ أَنْ يُشْدُوا فَقَطْ، بَلْ أَنْ يُحْسَنَ كُلُّ مِنْهُمْ إِنْشَادُهُ الْخَاصُّ عَلَى لِحْنِهِ الْخَاصِّ. وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي النَّفْسِ أَيْضًا: يَتِمُّ التَّنَاسُقُ فِيهَا إِذَا قَامَ كُلُّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا بِالْوُضُوفَةِ الَّتِي تَلِيْقُ بِهِ. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَجِبَ، قَبْلَ التَّنَاسُقِ، أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ جُزْءٍ فَضِيْلَتُهُ الْخَاصَّةُ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ رَذِيْلَتُهُ ٢٠ أَيْضًا قَبْلَ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ الْخِلَلُ وَالْفَوْضَى. وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الَّذِي/ إِذَا حَضَرَ سَاءُ حَالِ الْجُزْءِ فِي النَّفْسِ؟ الرَّذِيْلَةُ طَبْعًا. - وَإِذَا كَانَ الْجُزْءُ صَالِحًا؟ - وَجِبَ حُضُورُ الْفَضِيْلَةِ. وَرَبَّمَا رَأَى بَعْضُهُمْ أَنَّ الرَّذِيْلَةَ فِي حَقِّ جَانِبِ النَّفْسِ التَّاطِقِ إِنَّمَا هِيَ الْجَهْلُ وَالْجَهْلُ مِنْ بَابِ السَّلْبِ فَلَا يَعْنِي حُضُورُ شَيْءٍ مِمَّا كَانَ. وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَقَرَّتِ الْأَرَاءُ الْكَاذِبَةُ، وَهِيَ أَصْلُ الرَّذِيْلَةِ ٢٥ الْأَخْصَصِ، فَكَيْفَ نَدَّعِي أَنْ طَارَأَ/ لَمْ يَطْرَأْ عَلَى النَّفْسِ وَأَنْ تَغْيِيرًا لَمْ يَحْدِثْ قَطُّ فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ مِنْهَا؟ وَقُوَّةُ الْغَضَبِ عِنْدَهَا، أَلَا تَكُونُ فِي حَالِ الْجُبْنِ غَيْرِهَا فِي حَالِ الشَّجَاعَةِ؟ وَمَلَكَةُ الشَّهْوَةِ، أَلَيْسَتْ فِي الشَّرِّ غَيْرِهَا فِي الْحَقِّ؟ فَإِنَّهَا مُنْفَعِلَةٌ إِذَا. أَوْ نَقُولُ إِنَّ جَانِبَ النَّفْسِ، عِنْدَمَا يَكُونُ قَائِمًا ٣٠ فِي الْفَضِيْلَةِ يَقَعُ حِينَئِذٍ فَعْلُهُ وَفَقًّا لِمَا هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ/ خَاضِعًا لِلْعَقْلِ. فَإِنَّهُ خَاضِعٌ لِمَلَكَةِ التَّفَكُّيرِ إِذَا، وَهِيَ تَأْخُذُ عَنِ الرُّوحِ ثُمَّ يَأْخُذُ عَنْهَا سَائِرُ مَا فِي النَّفْسِ.

أو إن شئنا فلنقل أنّ الخضوع للعقل أمر كأنه الرؤيا. فإنّ الرائي لا يتشكّل بهيئة المرئي، بل يرى وهو الرائي بالفعل في حين أنّه يرى. مثل ذلك مثل ما يتمّ في الابصار: فهو هو ذاتاً بالقوة ثمّ ٣٥ بالفعل. ليس فعله تبديلاً له، بل إنّهُ يُقبل فوراً على ما هو غرضه ذاتاً، فيُصبح إبصاراً ويُدرك بدون أن يتفعل. كذلك الأمر في ملكة التفكير من حيث توافقها مع الروح: فإنّها ترى، ولهذا عندها قوّة العرفان، وليس انطباعاً حدث فيها. ثمّ إنّ ما تراه هو لديها وليس لديها: هو لديها من ٤٠ حيث إنّها تعرفه، وليس لديها لأنّه لا يتخلّف فيها من المَشهود شيء، مثلما هو الحال مع الصورة التي تنطبع في السَّمع. يجب أن نذكر ما قلنا من أنّ المحفوظات في الذاكرة ليست وليدة انطباعات رَسبت في النّفس، بل النّفس إذا ذكرت نَبّهت فيها قوتها بحيث إنّها تحصل على ٤٥ ما ليس حاضراً لديها. ماذا إذا؟ ألم تكن النّفس قبل أن تذكر غير ما أصبحت عليه عندما تذكر؟ - أصبحت غير ما كانت عليه، إن شئت. ولكن أقلّ ما يُقال حينئذٍ هو أنّها لم يتبدّل فيها شيء، إلّا إذا ادّعينا أنّ خروجها من القوّة إلى الفعل تبديل. والواقع أنّها لم يرد عليها شيء من الخارج، بل حققت بالفعل ما كانت عليه في فطرتها. فإنّ الأفعال، في الأمور غير الهيولانيّة، إنّما تتمّ إجمالاً بدون أن يطرأ عليها تبديل، أو اضطررنا إلى القول بأنّها تُفسد، ٥٠ مع أنّها أشدّ! ما أحرأها بالبقاء. ثمّ إنّ الانفعال من شأن الفاعل مُرتبطاً بالهيولى، بل إذا كان بدون هيولى وانفعل، فليس لديه ما يكفل به بقاءه. مثل ذلك مثل ما يتمّ في المشاهدة حيث تنصرف ملكة الابصار إلى فعلها، ثم لا يفعل إلّا العين. ويصحّ على الآراء ما يصحّ على ٥٥ المُشاهدات. وملكّة الغضب، كيف يكون فيها الجبن تارة والشجاعة طوراً؟ ألا إنّ الجبن/ يكمن بتحويل البصر عن العقل، أو بالنّظر إلى العقل وهو فاسد، أو بفقدان أدوات العمل أيضاً (كان يصعب علينا الحصول على أجهزة الجسد، أو نحصل عليها وقد صدّدت)، أو بحائل يمنع عن العمل أو بعدم التحرك عند التهيّج. والشجاعة شجاع بما كان على خلاف ما ذكرنا. وليس ٦٠ في كلّ ذلك تبديل أو انفعال.

أما قوّة الشهوة، فإن استرسلت وحدها في فعلها أحدثت ما نسميه الشرّ. والواقع هو أنّها تفعل وحدها كلّ شيء، ولا تكون أجزاء النّفس الأخرى معها. على أنّه من شأن هذه الأجزاء إذا كانت حاضرة، من حيث كونها حاضرة، أن تكون صاحبة الأمر والتهيّ وأن تردّ قوّة الشهوة إلى الصّواب. فلو نظرت هذه القوّة إلى تلك الأجزاء لكان الوضع على خلاف ما ذكرنا، ولما استرسلت قوّة الشهوة وحدها في كلّ أعمالها، بل لوجدت لها سائحة لتُنظر، بما في وسعها، ٦٥ إلى الأجزاء الأخرى من النّفس. / هذا فضلاً على أنّ سوء الحال في الجسد قد يكون غالب الأحيان ما نسميه رذيلة القوّة الشهوانيّة، فتُصبح فضيلتها ما كان على خلافه بحيث أنّه لا يلحق بالنّفس شيء من كلّتا الحالّتين.

٣ وما القول في الميل إلى الشئ والتفور منه؟ في الألم والغضب واللذة والشهوة والخوف؟ كيف لا يكون كل ذلك ثقلًا وهو في النفس يَمُوج ويضطرب؟ يجب أن نُميِّز هنا أيضًا، على النحو التالي: إن القول بأنه ليس قط من ثقل لدينا، وبأننا لا ندرك هذا الثقل إدراكًا شديدًا، إنما هو قول قائل بما يخالف الواقع / المَشهود. ولكن الوجه، بعد تسليمنا بحدوث التغير، في أن نتبين ما هو الشئ الذي يتغير. فقد يؤدي بنا إثبات هذا التغير على النفس إلى افتراض ما كانه القول بأن النفس يعترها الاحمرار أو بأنها يمتنع لونها. فلا نفكر عند ذلك بأن هذه الانفعالات إذا تمت بوساطة النفس، / فإنما تحدث في بنية أخرى تختلف عن النفس. ١٠ أجل إن النفس هي التي تخجل عندما نحكم على العمل القبيح بأنه قبيح. لكن الجسد هو الذي يضطرب من هيجان الدم السريع التحرك، ما دامت النفس قابضة عليه وكأنه ملؤها وهو طوع كل إشارة منها، فليس شأنه شأن الجوامد التي ليس لها نفس. وهذا قول لا بد منه منعًا عن كل التباس في الكلام. وكذلك الأمر في ما نعرفه بالخوف: إن أصله في النفس، / ولكن امتناع اللون من انسحاب الدم في الباطن. ثم ذلك الانشراح عند اللذة الذي ينتهي بنا إلى الإحساس، فإنه يتم على الجسد أيضًا، وليس ما يجري في النفس بعد ذلك انفعالات بحال. وكذلك الأمر في ٢٠ الألم أيضًا. أما الشهوة فإنها تبقى أمرًا مغلًا ما دام مبدؤها قائمًا في النفس؛ / فإذا انبعثت من النفس أدركها الحس. فعندما نقول عن النفس أنها تتحرك عندما تشتهي وتفكر أو تنظي، لا نعني أنها تفعل فعلها عند ذلك وهي تهتز وتضطرب، بل إن ذلك التحرك كله إنما ينبعث عنها ولا ٢٥ غرو، فإننا حينما نقول في حياة النفس إنها بالحركة، لا نعني أن هذه الحركة من شيء يختلف عن النفس بنوعه. فإن العمل لدى كل جزء من أجزاء النفس إنما هي الحياة مُسترسلة مع الفطرة، غير خارجة عما هي عليه في ذاتها. وقصارى الكلام، نعتقد في أعمال النفس أنها ليست تغيرات وتقلبات؛ وكذلك اعتقادنا في الوجوه التي تتخذها حياتها، وفي ميولها أيضًا. ٣٠ كما إننا لا نعتقد في المحفوظات العالقة في الذاكرة أنها لدى الذاكرة صور مطبوعة، / ولا في الخيالات أنها مثل الختم في الشمع. وعليه فإن اعتقادنا الثابت في ما ذكرنا من الانفعالات والتحرّكات أن النفس تبقى معه كله هي من حيث قيامها في ذاتها ومن حيث إنها ذات. ثم ٣٥ إن الفضيلة والريضة لا تكونان من النفس آنذاك بمنزلة الأبيض والأسود / أو الحار والبارد من الجسد. بل إن النفس تستوي على الوجه الذي ذكرنا، بين هذين الطرفين المتناقضين في أحوالهما كافة.

٤ هذا وقد حان البحث الآن في ما نسميه جانب النفس المُنفعل. أجل إننا قد تناولنا شيئًا من ذلك في ما ذكرنا عن كل الانفعالات التي تطرأ على القوة الغضبية وعلى قوة الشهوة، إذ

٥ وَصَفْنَا كَيْفَ يَكُونُ كُلُّ انْفِعَالٍ عَلَى حَيَالِهِ . وَلَكِنَّ الْمَوْضُوعَ يَقْتَضِي زِيَادَةَ شَرْحِ غَايَتِهِ الْأُولَى / أَنْ تُدْرِكَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الَّذِي تُسَمِّيهِ أَصْلَ النَّفْسِ الْمُتَفَعِّلِ . وَتُطْلَقُ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ عَلَى مَا تَبْدُو الْانْفِعَالَاتُ مُتَجَمِّعَةً حَوْلَهُ ، وَهِيَ لَدَيْنَا كُلُّ مَا يَتَّبِعُهُ لَذَّةٌ أَوْ أَلَمٌ . ثُمَّ مِنَ الْانْفِعَالَاتِ مَا يَنْشَأُ عَنِ الظَّنِّ : كَانَ يَظُنُّ الْمَرءَ مِثْلًا أَنَّهُ مَائِتٌ لَا مُحَالَةَ فَيَمْلِكُهُ الْخَوْفُ ، أَوْ أَنَّهُ قَادِمٌ عَلَى خَيْرٍ يَتَوَقَّعُهُ ١٠ فَيَفْرَحُ . فَلِلظَّنِّ أَنْثَى مُحَلَّهُ ، / وَلِلْانْفِعَالِ الْمُتَحَرِّكِ مُحَلٌّ آخَرَ يَخْتَلِفُ عَنِ الْأَوَّلِ . وَمِنْ الْانْفِعَالَاتِ مَا يَكُونُ أَيْضًا بِحَيْثُ أَنَّهُ يَبَادِرُ هُوَ ذَاتَهُ إِلَى الْانْبِعَاثِ مُسْتَقِلًّا عَنِ الْإِرَادَةِ ، فَيَحْدِثُ الظَّنُّ فِي مَا كَانَ مِنَ النَّفْسِ مَقْطُورًا عَلَى التَّظَنِّيِّ . وَقَدْ مَرَّبْنَا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِقُوَّةِ التَّظَنِّيِّ أَنَّ الظَّنَّ لَا ١٥ يُحْدِثُ فِيهَا تَغْيِيرًا . وَلَكِنَّ الْخَوْفَ النَّاشِئَ عَنِ الظَّنِّ وَالَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقِ مُنْبَعَثٍ مِنَ الظَّنِّ ، / هُوَ الَّذِي يُشَكِّلُ شَيْئًا كَأَنَّهُ الْإِدْرَاكُ فِي جَانِبِ النَّفْسِ الَّذِي نَقُولُ عَنْهُ أَنَّهُ يَخَافُ . فَمَا هُوَ تَأْثِيرُ هَذَا الْخَوْفِ ؟ اضْطِرَابٌ وَفَرْقٌ مِنْ شَرِّ تَتَوَقَّعُهُ ، فِيمَا يَقُولُونَ . لَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا التَّصَوُّرَ قَائِمٌ فِي النَّفْسِ : التَّصَوُّرُ الَّذِي نُسَمِّيهِ الظَّنَّ أَوَّلًا ، وَالتَّصَوُّرَ النَّاشِئَ عَنِ الظَّنِّ ثَانِيًا . عَلَى أَنَّ هَذَا التَّصَوُّرَ ٢٠ الْآخَرَ / يَبْتَغِي أَنْ يَكُونَ ظَنًّا عِنْدَ ذَلِكَ ، بَلْ إِنَّهُ فِي الْمَقَامِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّفْسِ ، وَهُوَ بِالظَّنِّ الْمُبْهَمِ وَالتَّصَوُّرِ الْغَامِضِ أَشْبَهَ . ثُمَّ إِنَّ فِي الطَّبْعِ طَاقَةَ عَلَى الْعَمَلِ مِنْ هَذَا التَّنَوُّعِ ، وَهِيَ مُنْسَجِمَةٌ مَعَ الْأَفْعَالِ الَّتِي يَفْعَلُهَا كُلُّ فَرْدٍ جَزْفِيٍّ ، فِيمَا يَقُولُونَ ، بِدُونِ تَصَوُّرٍ سَابِقٍ . فَإِنَّ التَّأَثِيرَاتِ مِنْ هَذَا ٢٥ الْقَبِيلِ هِيَ الَّتِي يَنْشَأُ مِنْهَا الْاضْطِرَابُ الْمَحْسُوسُ فِي الْجَسَدِ ، مِنْ رَجْفَةٍ وَهَزَّةٍ وَامْتِقَاعٍ لَوْنٍ / وَوَعِيٍّ فِي التَّلَقُّقِ . وَلَكِنَّا أَصْبَحْنَا مَعَ هَذِهِ التَّأَثِيرَاتِ ، فِي مَا لَيْسَ هُوَ جُزْءًا مِنَ النَّفْسِ . وَإِلَّا لَحَكَمْنَا فِي هَذَا الْجُزْءِ أَنَّهُ جَسَدِيٌّ مَا دَامَ ، اللَّهُمَّ ، يَفْعَلُ بِتِلْكَ الْانْفِعَالَاتِ . لَا بَلْ أَصْبَحَتْ تِلْكَ التَّأَثِيرَاتُ لَا سَبِيلَ لَهَا إِلَى الْجَسَدِ ؛ إِذْ أَنَّ الْأَصْلَ الَّذِي يُرْسِلُ آتِذًاكَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْإِرْسَالِ بَعْدَ أَنْ ٣٠ أَمْسَكَهُ الْانْفِعَالُ عَنِ الْعَمَلِ وَخَرَجَ هُوَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ . /

وَلَكِنَّ الْوَاقِعَ هُوَ أَنَّ هَذَا الْجُزْءَ مِنَ النَّفْسِ ، أَعْنِي الْأَصْلَ الْمُتَفَعِّلِ ، لَيْسَ جِسْمًا بَلْ هُوَ ٣٥ مِثَالٌ . مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ الْهَيُولَى هِيَ الْمَحَلُّ لِقُوَّةِ الشَّهْوَةِ ، وَلِلْقُوَّةِ الْمُشْرِفَةِ عَلَى تَغْذِيَةِ الْحَيَوَانِ وَنُمُوهِ وَتَوَلُّدِهِ . وَهَذِهِ الْقُوَّةُ هِيَ الْأَصْلُ وَالْمَنْبِعُ الَّذِي مِنْهُ تَنْبَعُ الشَّهْوَةُ ، وَهِيَ مِثَالُ جَانِبِ النَّفْسِ الْمُتَفَعِّلِ . وَلَا يَجُوزُ قَطُّ فِي الْمِثَالِ أَنْ يَطْرَأَ عَلَيْهِ اضْطِرَابٌ ، / بَلْ يَبْقَى سَاكِئًا . إِنَّمَا هَيُولَاهُ هِيَ ٤٠ الَّتِي تُصْبِحُ فِي الْانْفِعَالِ إِذَا وَقَعَ ، وَذَلِكَ بِحُضُورِ الْمِثَالِ الَّذِي يَحْدِثُ الْحَرَكَةَ . ذَلِكَ لِأَنَّ الْقُوَّةَ الثَّبَاتِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ الَّتِي تَنْبُتُ عِنْدَمَا تَخْرُجُ الثَّبَتَةُ ، كَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ هِيَ الَّتِي تَنْمُو عِنْدَمَا تَدْفَعُ الثَّبَتُ فِي النَّمُو . وَالْمَحْرُوكُ ، إجمالًا ، إِذَا حَرَّكَ لَا يَتَحَرَّكُ مَعَ الْحَرَكَةِ الَّتِي يُحَرِّكُ بِهَا ، وَإِلَّا لَمَا تَحَرَّكَ ٤٥ مُطْلَقًا . أَوْ إِنَّ لَهُ نَوْعًا / آخَرَ مِنَ الْفِعْلِ وَالْحَرَكَةِ . يَنْبَغِي فِي حَقِيقَةِ الْمِثَالِ ذَاتِهَا أَنْ تَكُونَ هِيَ فَعْلًا إِذَا : تُحْدِثُ فَعْلَهَا بِمَجْرَدِ حُضُورِهَا مِثْلَمَا تُحْدِثُ التَّغْمَةَ الْمَوْسِيقِيَّةَ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهَا ذَهْدَبَةِ الْأَوْتَارِ . وَبَعْدَ ، فَلْيَكُنْ أَصْلَ النَّفْسِ الْمُتَفَعِّلِ هُوَ سَبَبُ الْانْفِعَالِ سِوَاكَ أَكَانَ التَّحَرُّكُ النَّاشِئُ عَنْهُ مُنْبَعَثًا مِنْ

٤٥ تصوّر حسّي، أو كان بدون هذا التصوّر. / على أنّه لا بدّ من البحث بعد ذلك فيما إذا كان الظنّ هو الأصل الأوّل الآتي من فوق ليدفع الحركة. ومهما يكن من الأمر، فإنّ ذلك الأصل المنفعل يبقى هو هو على مثال الثّغمة الموسيقيّة. فإنّ أسباب التّحرّك بمنزلة الموسيقى؛ أمّا الأجزاء التي يُصيّبها الانفعال بضربة، فهي بمنزلة الأوتار. ليست/ الثّغمة الموسيقيّة هي التي تنفعل، أثناء العزف على القيثارة، بل هو الوتر. وما كان الوتر ليتذبذب، حتّى ولو أراده الموسيقى على ذلك، ما لم تكن الثّغمة لتفرض عليه معانيها بالحانها.

٥ لماذا يجب أن نطلب من الفلسفة أن تبرز النفس من الانفعال إذا، مادام ليس للانفعال إليها سبيل أصلاً؟ الواقع هو أنّ ذلك النوع من التصوّر الذي يرد على النفس، ويقع على ما نسميه جانبها المنفعل، يولّد على الفور انفعالاً هو الاضطراب يقترن به شرّ نتوّعه، فعند ذلك يكون ما نسميه الانفعال/ الذي يحكم العقل بقمعه مطلقاً ولا يخلي بينه وبين أن يقع؛ على أنّه، إذا وقع، منع النفس عن أن تكون في حُسن الحال. فإن لم يقع كانت ساحة النفس بريئة من الانفعال، لأنّ سبب الانفعال، أعني ذلك التصوّر فيها، يَمْنعه عن أن يتمّ بعد ذلك. مثل ذلك ١٠ مثل من أراد أن يُزيل عن النفس ما تتخيّله في منامها،/ فيوقظ النفس المُتخيّلة من نومها. وهو يفعل لأنّه يرى أن الانفعالات هي التي أحدثت ما حدث، زاعماً أنّ الأشياء الخارجيّة التي تخطر وكأنّها مُشاهدات هي التي تجعل النفس في حال الانفعال.

ولكن ما عسى أن يعني «تطهير» النفس وهي لم تتلوّث قطّ، وما الفائدة من «عزلها» عن الجسد؟/ ألا إنّ «التطهير» يعني أنّها تُترك على خيالها ولا تتصل بما يختلف عنها؛ أو ألا تنظر ١٥ إلى غيرها وتُحصل فيها الآراء الغريبة عنها مهما يكن نوع هذه الآراء. أو يعني «التطهير» بالنسبة إلى النفس أيضاً أنّها لا تنظر إلى آثار الانفعالات كما ذكرنا، فتنتقل منها لتحدث انفعالات أخرى. وإذا كان في ذلك انطلاق من الأسافل إلى الطرف الآخر إلى الأعالي، فكيف لا يكون ٢٠ لهذا الانطلاق «تطهيراً» و«عزلاً»؟ ألم تُصبح النفس على الأقلّ حينذاك غير قائمة في الجسد على أنّها له، مثلها في ذلك كمثّل التور لا يكون من الضباب بمعنى أنّ صفاء لا يتأله العكر ولو أنّه في الضباب؟ فالـتطهير في حقّ الأصل المنفعل من النفس هو أن ينفض هذا الأصل عنه ٢٥ تخيّلاته السّخيفة/ فلا يعود إلى مشاهدتها، والانعزال له هو ألا يفرط في الميل إلى الأسافل وفي تصوّره لها. ليكنّ الانعزال في حقّه إذا بأن تُنحى عنه ما حرّم هو ذاته ذاته عنه: فلا يستوي على روح بُخاريّ يتصاعد من الشّره والكثرة من طعام اللحوم غير الطّاهرة، بل تلتطفّ المادّة ٣٠ التي يكون فيها بحيث يعلوها مُطمئناً. /

٦ إن الذات الروحانية هي برئتها في مقام المثال إذا، وقد أثبتنا هنا وجوب الاعتقاد في براءتها من الانفعال. ولكن ما دامت الهوى هي أيضًا أمرًا لا جسم له، ولو كان من وجه آخر، وجب أن نتبين في شأنها أيضًا ما هو الوضع الذي تقوم عليه. فتبينني أن تتساءل إذا فيما إذا كانت منفعة، كما يزعمون، تتداولها التغييرات من كل صوب وجانب، / أم يجب أن ننصورها على أنها بريئة من الانفعال. وعند ذلك، ما هو الوجه الذي تكون عليه هذه البراءة من الانفعال. لهذا وما دُمنّا مُقبلين على البحث في الموضوع، واصلين إلى الكلام حول حقيقة الهوى من أي نوع هي، لا بُد من أن نُدرِك أولاً أنَّ حقيقة الموجود وأن الذات والوجود، ليس كل ذلك في ما يتصوره معظم الناس عليه. فإنَّ الموجود الذي يصحُّ عليه / القول بأنَّه موجود حقًا، هو الموجود الحق. أعني أنَّه الموجود وجودًا تامًّا، لا يَنقُصه من الوجود شيء. وما دام قائمًا في الوجود التام فإنه ليس في حاجة إلى شيء لحفظه وكيانه، بل إنَّه، في حقِّ الأمور الأخرى التي تُزَعَمُ موجودة، هو سبب وجودها المزعوم. وإذا كان في قولنا الصواب، وجب أن يكون ذلك الموجود متمتعًا بالحياة وبالحياة التامة / ولأ لا كان ناقصًا، وليس أخرى به أن يكون موجودًا من أن يكون غير موجود. فإذا كان ذلك كذلك، أصبح الموجود الذي نَعْنِيه إنَّما هو الروح والحكمة المطلقة؛ وهو شيء مُعَيَّن، واضح الخطوط والمعالم إذا، لا يكون شيء بقوته وهو عدم، وليست قوته قوَّة بالكمِّ والمقدار؛ ولأ لا كان قصير الباع. ومن ثمَّ فإنه القديم والباقي في ما هو عليه دائمًا، ممتنع على كل شيء، وليس من شيء لِيَتَهَيَّأَ إليه. فإذا تلقَّى شيئًا تلقَّى / ما هو غريب عليه أعني ما لا وجود له. يجب إذا أن يكون هو الموجود المطلق، فإذا جاء إلى الوجود كان له من ذاته كل شيء: فهو الأشياء كلها معًا وهو هذه الأشياء كلها على أنها واحد. وما دُمنّا نعرِّف الموجود بهذه الأوصاف - (هذا أمر لا بُدَّ منه، ولأ لا لما كان الوجود أصل الروح والحياة، بل أصبح الأمران من زوائد الوجود ولم يكونا من الوجود. / فضلًا على أنَّ الوجود لا يكون حياة ولا روحًا آنذاك، ما دام الروح والحياة لدى ما هو العدم حقًا. فكأنَّه يجب فيهما أن يستويا في المقام الأسفل وفي ما هو متأخِّر عن الوجود. والواقع هو أنَّ المُتَقَدِّم ٢٠ على الوجود يمدُّ الوجود بهما، ما دام هو ذاته ليس في حاجة إليهما) - نقول إذا: / ما دام الموجود كذلك فليس جسمًا وليس حاملًا للأجسام حتمًا، بل أن الوجود في حقِّ الأجسام وما إليها إنَّما هو وجود العدم حتمًا أيضًا.

ولكن كيف يُقال في طبيعة الأجسام أنَّها ليست موجودة، بل كيف يُقال ذلك في الهوى وعليها تقوم الأشياء من جبال وجحارة، ثم الأرض كلها بصلابتها، والأشياء المتميزة بمقاومتها ٣٥ تكره ما تصدمه بصدماتها / على الاعتراف بوجودها. بل ما عسى أن تُجيب القائل إذا قال: كيف يكون موجودًا ما لا نشعر منه بضغط أو بصدام أو بمقاومة، حتَّى وإنَّنا لا نراه، وهو النفس

والروح. أجل كيف يكون هو الموجود حقاً؟ ثم إذا قَصَرنا النَّظْرَ على الأجسام أَيْكون الأشدُّ حركة والأخفُّ ثِقْلاً بينها أخرى بالموجود من الأرض وهي ساكنة، ويكون العالم الأعلى أخرى بالموجود من عالمنا؟ وأخيراً/ أتكُون النَّارُ هي الأجدَرُ بالموجود لَأَتْهَا تُبادِرُ إلى الفَرارِ من عالم الأجسام؟ الوجه هنا، فيما اُظُنُّ، هو أنَّ الجسمَ مهما كان مُكْتَفِياً بذاته قَلَّ ضَغْطُهُ وَخَفَّتْ وَطْأَتُهُ على غيره. أمَّا إذا ازداد ثِقْلاً والتصاقاً بالأرض فإنه يَضْعَفُ فِيهِوَ فيَصْدَمُ صَدْماً بِهِوَته ومقاومته، وذلك بقدر ما يكون ناقصاً ماضياً في هَوِيهِ لا يقوى على النهوض بذاته. / فإنَّ أَشدَّ الأجسام أَلْماً في صَدْمِها هي الهامدة منها: ما أعنفَ صَدْمَتِها وما أعظمَ ضررها. أمَّا الأجسام الَّتِي تَعْمُرُها النَّفْسُ، فإنَّ لها في الوجود مَنَزِلَتِها، وبقدر ما يصلها منه نَزْداد نحن ارتياحاً إلى جوارها. فكأنَّ الحركة نوع من الحياة مَنَحَتْها الأجسام؛ وما دامت تَقْلِيداً للحياة،/ فإنَّها أَشدُّ في ما قَلَّ جسمه، كما لو أنَّ الوجود إذا غادر شيئاً جَعَلَ ما يُغادره أعظمَ جسمًا. وقد يَزْداد الأمرُ وضوحًا فيما لو نَظَرْنَا إليه من ناحية الانفعالات الَّتِي مرَّ ذَكرُها: فَمَهْمَا يَعْظُمُ قدر الجسم يَعْظُمُ قدر الانفعال أيضًا. إنَّ الأرضَ مثلاً أَشدُّ انفعالاً من غيرها ودواليك مع الأمور الأخرى باعتمادك على القياس ذاته. / ذلك لَأَنَّكَ إذا قَطَعْتَ جسمًا تَجَمَّعَتْ بعض أَرابِهِ إلى بعضها الآخر وعادت شيئًا واحدًا ما لم يَحُلْ بينها وبين ذلك حائل. أمَّا إذا قَطَعْتَ مَدْرَةَ بقي ما قُطِعَ كُلُّ على حياله مُطْلَقًا. إنَّ الشَّيْءَ إذا خارت قواه طبعًا أصبح يَهْوَ على كُلِّ لَطْمَةٍ ولو صَغُرَتْ، فكانه يتصدَّع منها ويغدو شَيْئًا، وكذلك الأمرُ في ما صار عليه أعظم ما يكون جسمًا، أي على أَشدَّ ما يكون قُرْبًا من العدم: / فإنه عاجز عن استدراك ذاته وعودته إلى وحدته. أجل إنَّ في الصَّدَمَاتِ العنيفة والشَّدِيدَةِ إتِّلاَفًا للأجساد، ولكِنَّه عمل من بَعْضِ الأجساد على بَعْضِها الآخر: فإذا وقع الضَّعِيفُ على الضَّعِيفِ صار قَوِيًّا في جانبهِ؛ وكذلك الأمرُ في سُقُوطِ العدم على العدم.

كُلُّ هَذَا الكلام إنَّما هو ردُّ إذا على الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الحَقَّ في الأجسام/ مدَّعين ضَمَانِ وجوده بِشَهَادَةِ الأشياءِ مُتَصَادِمَةٍ وبخيالات الحُسْنِ. فما أَشْبَهُهُمْ لَعُمَرِي بِالَّذِينَ يَحْلُمُونَ في نومهم وَيَعْتَقِدُونَ في ما يرونه حَيْثُ يُدْخِلُ أَنَّهُ الحَقُّ بِالذَّاتِ وهو رؤْيَا منام. فإنَّ الإحساس هو حالة النَّفْسِ ما دامت نَائِمَةً، وهي نَائِمَةٌ من ناحية ما هو منها مُقِيمٌ في الجسد،/ وهي في حال اليَقَظَةِ حَقًّا إنْ أَفَاقَتْ حَقًّا من الجسد، لامع الجسد. أعني أَنَّ الإِقامَةَ مع الجسد إنَّما هي تحوُّلٌ من نوم إلى نوم آخر، كأنَّا نَنْتَقِلُ من مَضْجَعٍ إلى مَضْجَعٍ غَيْرِهِ. وإنَّما نَفِيقُ حَقًّا إذا انْتَفَضْنَا انْتِفَاضًا عن أجسادنا، وهي مع النَّفْسِ على طَرَفِي نَقِيضٍ من حيث الذَّاتِ ما دامت مع النَّفْسِ على طَرَفِي نَقِيضٍ من حيث/ الطَّبْعِ والفِطْرَةِ. وَيَشْهَدُ على ذَلِكَ في الأجسام كونها وَجَرِيها وفسادها، وكُلِّها أَوْضَاعُ جاء الحَقُّ منها في بَرَاءِ طَبْعًا.

٧ ولكن يجب أن نعود الآن إلى الهيولى حاملة الأجسام، وإلى ما ذكر ممّا هو قائم عليها. وسيُتضح لنا من هذا البحث أنّ الهيولى هي العدم وأنّه ليس للانفعال إليها سبيل. إنّها لا جسم لها ما دام الجسم مُتأخراً عنها وهو مركّب تُحدّثه هي وقد اتّصلت بشيء آخر. لقد وُصفت بمثل/ ما يُوصف الوجود على أنّها بريئة من الجسميّة لأنّ كلا الأمرين، الوجود والهيولى، يختلفان عن الأجسام. لكنّها ليست نفساً أو روحاً أو حياة أو مثلاً أو عقلاً. كما أنّها ليست معنى معنيّاً وهي الغموض بالذات؛ وليست قوّة أيضاً؛ فما عسى أن يكون فعلها؟ هي مجردة من هذه المقامات كلّها، ولا يصدق عليها اسم الوجود،/ بل عدم الوجود أخرى بها وصفاً. ولا توصف بالعدم مثلما توصف الحركة به أو السكون، بل إنّها العدم حقّاً؛ أثر الكمّ وخياله، مجرد رغبة في القيام بالذات، جمود في غير سكون. لا تُرى في ذاتها، مُفلّنة ممّن يُحاول إدراكها؛ هي حاضرة لدى من لا ينظر من جهتها،/ فإذا حدّق إليها فاته مرآها. تنطوي في جنباتها على أطياف المتناقضات: الصّغير والكبير، القليل والكثير، التقصان والزيادة. ليست أثراً يُبقى، وليس لها من القوّة ما يضمن لها الفرار. فإنّها لا طاقة لها بذلك ما دامت لم تتلقّ من لدن الروح إذ إنّها محرومة من الوجود مُطلقاً./ ولذلك تراها كاذبة في وعودها كلّها: تتوهّمها كبيرة، فإذا بها صّغيرة؛ وتخيّلها شيئاً عظيماً، فإذا بها شيء حقير. إنّ الوجود الذي تصوّره لديها ليس وجوداً بل كأنّه الهوة لمّاحة لا تُقيم. ومن ثمّ كان ما يبدو طارئاً عليها الهوة تلهينا، وهو أثر يحلّ في أثر على وجه الاتفاق، كما هو الأمر في المرأة حيث يكون الشّيء المرئي/ في مكان وأثره المرئي في مكان آخر، فتظنّها ممتلئة وهي لا شيء فيها ولو بدت حاوية على الأشياء كلّها. «فإنّ ما يدخل إلى الهيولى ويخرج منها إنّما هو تقليد للحقائق»، بل هو آثار تقع على أثر لا شكل لها، فتراها الرّائي في الهيولى لأنّها هي ذاتها لا شكل لها. ولقد تظنّ أنّ لتلك الآثار عملها في الهيولى، ولكنّه عمل لا يخرج منه شيء./ فهذا «التقليد للحقائق» أمر زائل، وإو، ليس فيه مناعة. بل ما دامت الهيولى هي ذاتها لا مناعة لها، فإنّ تلك الآثار التي تطرأ عليها تقطّعها بدون أن تُحوّلها إلى قطع، فكأنّها تجتاز ماء أو هي مثل الأشكال في الفضاء الفارغ فيما لو أرسل بعضهم أشكالا في ما يقابل الملاء ونسميه الخلاء. ومع ذلك، فلو كانت تلك المرئيات في الهيولى من نوع الأمور التي جاءت منها إلى الهيولى، لكنا نسلّم بأنّ شيئاً من القوّة تسرّب إلى آثارنا المرئيّة./ فتكون فرضاً قد استمدّت هذا الشّيء من الأمور التي بعثت بها إلى الهيولى، وهو وضع يُتيح لنا أن تصوّر الهيولى مُنفصلة بتلك الأمور. لكنّ الواقع هو أنّ ما يُحدّث الأثر في الهيولى شيء، والأثر المرئي فيها شيء من نوع آخر، والأمر الذي يُنبّهنا إلى أنّنا أمام انفعال كاذب، ما دام الأثر المرئيّ التّانج عنه كاذباً وهو لا شبه قطّ بينه وبين الشّيء الذي أخذته. وما دام هذا الأثر أثراً واهياً، كاذباً، باعثاً على الكذب،/ فشأنه شأن ما يرى في المنام وما يتعكس

في الماء أو في المرأة لا محالة، أعني أنه يدع الهيولى بدون انفعال. مع العلم بأننا نُسَلِّمُ، في تلك الاستعارات التي ذُكرت، بوجود وجه ما من الشَّبه لا يزال قائماً بين الأثر الذي نراه وبين الشيء الذي نرى أثره.

٨ إن الشيء المُنفعل يجب فيه إجمالاً أن يكون بقوى وخواص تُقابل قوى الأمور التي تدخل عليه وخواصها وتجعله يفعل بها. فالحرارة الثابتة في الشيء يكون تبديلها من قتل ما يبرد، والرطوبة من قتل ما ييبس. ونقول حينئذ أن التبدل حصل في الشيء القائم بذاته/ عندما يصير منه حاراً إليه بارداً أو منه يابساً إليه رطباً. ويشهد على قولنا ما نعينه بفساد النار إذا تحولت النار إلى عنصر آخر: فالذي نقصده آنذاك هو أن النار هي التي فسدت، لا الهيولى، والانفعال واقع حينئذ على ما يعتريه الفساد. ذلك لأن قابلية الانفعال هي الطريق إلى الفساد، ولا يلزم الفساد إلا ما يلزمه الانفعال. فيستحيل على الهيولى أن تفسد إذا: فإلى ماذا تتحول وكيف تتغير؟ ولكن كيف نقول هذا القول وفي الهيولى ما فيها من الحرارة والبرودة إلى ما سواهما من الصفات التي تتقبلها في ثناياها بالعدد الضخم الذي لا حصر له؟ كيف، وهذه الصفات تجتاز الهيولى من طرف إلى طرف وهي لديها/ كأنها تُلازمها بفطرتها وجبلتها، يمتزج فيها بعضها ببعض ما دام ليس كل منها على حياله؟ أبقى الهيولى محبوسة هكذا بين كل تلك الصفات المُنفعل بعضها ببعض بتمازج بعضها ببعض ثم لا تفعل هي أيضاً؟ ألسنا نجردها عند ذاك تجريداً تاماً من كل صفة، مع أن الصفة إذا حلت في شيء قائم بذاته كانت في هذا الشيء بحيث إنها تتخلى له عن شيء من ذاتها لا محالة؟/

٩ يجب أن ندرك معنى حضور الشيء في شيء آخر، ومعنى كون الشيء لازماً من لوازم الشيء الآخر. وأول ما يقال في الأمر، هو أنه لا يؤول على وجه واحد. إنه يدل تارة على ما ينتج من الحضور في الشيء، خيراً أو شراً، بعد تغييره، على نحو ما نشاهده في الجسم أو على الأقل في الحيوان مثلاً. ويعني تارة أخرى جعل الشيء خيراً أو شراً/ مما كان عليه ولكن بدون انفعال فيه، كما ورد في النفس. وله أيضاً تأويل ثالث نتبين الوجه فيه إن طبعنا شكلاً ما على قطعة من الشمع. فلا يُقابلنا هنا انفعال قط بمعنى أنه يجعل الشمع شيئاً آخر إذا حضر الشكل المنطبع؛ كما إنه لا يطرأ على الشمع قط نقصان عند زوال الشكل المذكور. ويتم هذا في التور أيضاً: يضيء الشيء بدون أن يُغير هيئته. / والحجر إذا صار بارداً، ما عسى أن يتأثر عليه من كونه بارداً وهو لا يزال حجراً؟ أو ما عسى أن يكون تأثير اللون على الخط؟ لا يؤثر اللون، لا في الخط ولا في السطح الذي يكون الخط عليه. ولكن ربما وقع تأثيره على الجسم الذي يحل فيه

الخطّ والسطح. وما عسى أن يكون هذا التأثير؟ الوجه أنّه يجب ألاّ نحكم بالانفعال والتأثير عند
 ١٥ مُجرّد حضور شيء أو انحباسه في شكل وهيئة. / وقد ذكرنا المرأة ونذكر الجسم الشفاف
 إجمالاً على أنّهما لا يتفاعلان بالأثر الذي نراه فيهما: ففي ذلك قياس لا يوصف بالبطلان.
 والواقع هو أنّ في الهيولى آثاراً أيضاً، وما أحرأها مع ذلك بأن يُقال عنها هي ذاتها بأنّها خالية
 من الانفعال، لا بل إنّها أشدّ خلواً من المرأة انفعالاً. تطرأ عليها الحرارة والبرودة على اختلاف
 ٢٠ درجاتهما؛ ثمّ لا تحدث فيها هذه الدرجات قطّ حرارة. ذلك لأنّ التسخين والتبريد يقالان في
 الصّفة إذا ساقَت الشيء القائم بذاته من حالة إلى حالة أخرى. ثمّ إنّّه لا بدّ من البحث في
 البرودة فيما إن لم تكن غياب الحرارة والحُرمان منها. فإذا تلاقت الصّفات أثر معظم بعضها في
 ٢٥ معظم بعضها الآخر، / لا سيّما إنّ كان تقابلها على صعيد التضاد. ولعمري ما عسى أن يكون
 تأثير الرائحة الطيّبة في الحلاوة، أو تأثير اللون في الشّكل والهيئة، أو تأثير ما كان من جنس في
 ما هو من جنس آخر؟ وفي هذا القول خير الدليل المُقنع بأنّه يجوز في الشيء الواحد أن تكون
 ٣٠ الصّفة لازمة لصفة أخرى أو في صفة أخرى. / ولا ضير من حضور الصّفة الأولى لدى تلك
 التي تكون لازمة لها أو كونها فيها. فإنّ المصاب بضرر لا يأتيه الضرر من أيّ طارئ كيفما
 اتّفق. وكذلك الوضع في الشيء الذي يتغيّر ويتفاعل: ليس أصل انفعاله أمراً ما مهما كان نوعه،
 إنّما يقع الانفعال من شيء على ما يقابله بالتضاد. أمّا في ما سوى ذلك فلا يغيّر الشيء شيئاً
 ٣٥ آخر. فالأشياء التي لا تتقابل بالتضاد، ليس لشيء منها ضدّ يتفاعل به. / ومن ثمّ، إذا انفعال
 شيء، وجب ألاّ يكون هيولى حتمًا، بل إنّّه عند ذاك أمر مزدوج، أو إنّّه بوجه عامّ شيء قائم في
 الكثرة. أمّا ما كان قائماً وحده على حياله، معزولاً عن غيره، في مُطلق البساطة، فليس
 للإنفعال إليه سبيل. بل إنّّه يُستثنى من الانفعال وهو بين الأمور كلّها أو بين هذه الأمور،
 وقد يكون بعضها مع بعضها الآخر في تفاعل مُستمرّ. مثل ذلك مثل ما يتمّ في البيت
 الواحد: يتضارب بعض ما فيه مع بعضه الآخر، ويبقى بدون انفعال، هو البيت مع الهواء
 ٤٠ الذي يملؤه. / إذا تلاقت الصّفات في الهيولى إذاً، فليتفاعل بعضها ببعضها الآخر، وبقدر ما
 فُطرت عليه من التفاعل. أمّا الهيولى فهي بريئة من الانفعال أبداً ودوماً. وإنّها لتزداد براءة منه
 بقدر ما نجد تلك الصّفات التي تكثر فيها لا يتفاعل بعضها ببعضها الآخر لكونها غير مُتقابلة
 بالتضاد.

١٠ هذا وإنّ الهيولى إذا انفعلت وجب أن ينالها شيء من جزاء انفعالها: فلمّا أن يكون
 الانفعال ذاته، أو أنّها تُصبح هي في وضع يختلف عمّا كانت عليه قبل أن ينتهي الانفعال إليها.
 فإذا تمّ هذا الوصف فيها بعد صفة أخرى لم يكن قابل الانفعال عند ذاك هي الهيولى، بل

٥ الهيولى وهي بكيف. وإذا انسحبت هذه الصفة الثانية/ بدورها وتخلّف شيء منها عن فعلها، غدا الحامل الهيولانيّ على جانب أقوى أيضاً من حيث التغيّر. وإذا مضت سائرة كذلك في هذا الاتجاه، أصبح الحامل شيئاً غير الهيولى، وهو آنذاك شيء كثير الوجوه كثير المثل. ولا سبيل الآن إلى وصف هذا الحامل بأنّه المحلّ القابل لكلّ الصفات وقد أصبح بحيث أنّه يمنع الدخول عليه للكثير منها. كما أنّه لا يصحّ في الهيولى أن يُقال عنها أنّها لا تزال باقية، / ولا يصدق القول ١٠ فيها أنّها غير فاسدة إذاً أيضاً. ومن ثمّ، إذا وجب الوجود للهيولى، فإنه يجب أن تكون هي هي بذاتها في مثل ما كانت عليه بأصلها. والقول بتغييرها إذا إنّما هو، على الأقلّ، قول قوم لا يحفظون للهيولى كيانها الخاصّ بها. وبعد، فإنّ القاعدة العامة في كلّ متغيّر أن يبقى، إذا ١٥ تغيّر، على مثاله الأصليّ، فيتغيّر بأغراضه ولا يتغيّر بما هو في ذاته. فإذا وجب بقاء المتغيّر إذا، وكان ما يبقى منه غير ما يفعل فيه، أصبحنا أمام أمرين: أو أنّ الهيولى تتغيّر فتخرج عن ذاتها، أو أنّها لا تخرج عن ذاتها فلا تتغيّر. وإن قيل أنّها لا تتغيّر من حيث كونها هيولى، أجبنا ٢٠ أنّ هذا القول لا يدلّ أولاً على ما تتغيّر إليه، / وهو ثانياً إقراراً بأنّ الهيولى، ما دامت كذلك لم تتغيّر هي في ذاتها. إنّ الأمور المخالفة للهيولى والتي هي في ذاتها أصول مثالية لا تتغيّر قطّ ذاتاً، ما دام قوام الذات لديها في أن تكون أصولاً مثالية. وكذلك الأمر في الهيولى أيضاً: فإنّ ٢٥ كيانها على أنّها هيولى بكيانها من حيث إنّها هيولى. من حيث إنّها هيولى لا تتغيّر هي أصلاً، بل تبقى في ما هي عليه. وكما أنّ الأصل المثاليّ هناك لا يقبل التغيّر لأنّه أصل مثاليّ في ذاته، فكذلك هنا أيضاً: إنّ الهيولى في ذاتها لا تقبل التغيّر هي أيضاً.

١١ هذا ما يذهب إليه أفلاطون، فيما أظنّ، حيث يتكلّم عن «دخول أشباح الحقائق وخروجها». وفي كلامه عين الصواب. فإنّ هذا القول «بالدخول والخروج» ليس قولاً عبثاً، بل يُريدها أفلاطون أن نفهم عنه ما يعني هنا بوقوفنا الصحيح على وجه اشتراك الهيولى مع المثل في وجودها. وأخشى على هذه المشكلة/ (أعني كيف تُشرك الهيولى مع المثل في الوجود) ألا تكون على ما تصوّرها الكثيرون من أسلافنا. فليس السؤال هنا: «كيف تأتي المثل إلى الهيولى؟» بل بالأحرى: «كيف تكون تلك المثل في الهيولى». والغريب حقّاً، فيما يبدو، هو أنّه كيف يكون المثل حاضراً ثمّ تبقى الهيولى هي هي ولا تتأثّر به على كون بعض المثل التي ١٠ تعمّرها آنذاك/ في تفاعل مستمرّ مع بعضها الآخر. كما أنّ الغريب في الأمر أيضاً هو أنّ كلّ مثال يدخل يطرّد ما كان قبله وأنّ الانفعال لا يكون إلّا في المركّب. ثمّ لا يتمّ ذلك في كلّ مركّب، بل في المركّب الذي يحتاج إلى شيء يقبل إليه وإلى شيء ينسحب منه. فالتقصّ في ١٥ البنية آنذاك بغياب الشيء منها واكتمالها بحضوره فيها. أمّا الهيولى فلا تُفقد قطّ زيادة في

كيانها من قدوم المثلإ إليها، مهما كان نوعه: لا يجعلها قدوم المثلإ في ما هي عليه، ولا يُنقصها قطً بانسحابه منها، بل تبقى في ما كانت عليه من أصلها. فالتحسين أمر قد يحتاج إليه ما ٢٠ هو مُفتقر إلى تحلية وترتيب. وقد تتم التحلية بدون تغير في المحلّي مثلما هو الأمر/ في ما نخلع عليه الحلى خلعًا. أما إذا كان التحسين بحيث إنّه من لوازم الفطرة، وجب في ما كان قبيحًا أولًا أن يتغير لا محالة، فيختلف عنه بعد أن أصبح شيئًا محلّي ويتحوّل بذلك منه قبيحًا إليه حسنًا. وعليه، فإذا كانت الهيولى قبيحة ثم أصبحت حسنة زالت بزوال ما كانت عليه من القبح ٢٥ أولًا. ويعني هذا أنّها/ بتحليتها فقدت كيانها من حيث إنّها هيولى، لا سيّما إن لم يكن قبحها مُجرّد عرض فيها. ولكن لو كانت قبيحة بمعنى أنّها القبح بالذات لما وصلها حظّها من الحُسن والتّسيق، كما إنّها لو كانت شرّيرة بمعنى أنّها الشرّ بالذات لما وصلها حظّها من الخير. ومن ثمّ فليس اشتراكها مع المثلّ في وجودها عن طريق كونها مُفعلة، كما ظنّ بعضهم، بل إنّ ٣٠ اشتراك يبدو كذلك وهو في الواقع من نوع آخر. / وربّما كان في هذا الوجه من التّأويل حلّ المشكلة التّالية أيضًا وهي: كيف ترّغب الهيولى وهي الشرّ في الحُصول على الخير مع أنّها بالرّغم من اشتراكها في الخير لا تفقد ما كانت عليه في ذاتها. فإذا كان الاشتراك الَّذي ذكرناه على هذا الوجه الَّذي شرحناه (أعني أنّ الهيولى حينئذٍ تبقى هي هي ولا تتغير، كما قلنا، بل ٣٥ تكون دائمًا في ما هي عليه) زالت الغرابة عن سؤالنا/ في كيف تُشارك الهيولى الخير في وجوده وهي شرّيرة. فإنّها لا تخرج عن ذاتها؛ لكن ما دام هذا الاشتراك لا بدّ منه حتمًا فهو يتحقّق لها على نحو ما إلى الَّذي تكون عليه هي هي في ذاتها. وما دام هذا التّوحد من الاشتراك يحفظ لها كيانها في ذاتها، فإنّ ما يمدّها كذلك من ذاته لا يمسّها قطً في كيانها الدّاتيّ. ونتيجة الأمر هي ٤٠ أنّ الهيولى/ لا تُصبح أقلّ شرًّا ممّا كانت عليه لأنّها تبقى حينذاك دائمًا في ذلك الَّذي هي عليه. فلو شاركت الخير في وجوده حقًّا ولو أحدث الخير فيها تغيّرًا حقًّا، لما كانت شرّيرة فطرة وجبّة. وإذا كان ذلك كذلك، كان وصف الهيولى بالشرّ وصفًا صادقًا ما دام يعني أنّ الخير لا ٤٥ يؤثّر فيها. ولهذا لعمري يعني أنّه ليس للانفعال إليها سبيل على وجه الإطلاق. /

١٢ هذا هو على الأقلّ رأي أفلاطون في الهيولى. فإنّه لا يرى في الاشتراك وضعًا كوضع مثال يحلّ في حامل ويعمّره بالصّورة. فينشأ عن ذلك شيء مرّكب من الطّرفين وقد تغيّرًا معًا وكان أحدهما امتزج بالآخر فأخذًا يتفاعلان. أراد أن ينفي هذا المعنى عن قوله إذا، ويبيّن كيف ٥ تحصل المثلّ/ في الهيولى وهي باقية على حالها لا تتفعل ما دامت تسعى مقيدة بطريقة الاشتراك عن غير انفعال. وليس من اليسير أن تثبت بوجه آخر أمورًا لا جدال في وقوعها تحفظ لحاملها كيانه في ذاته. وهذا وإنّ سعي أفلاطون في إثارة مسائل

١٠ أخرى كثيرة. فإن مراده يتجاوز ما ذكرنا إلى إثبات فراغ العالم الحسي من كل حقيقة/ قائمة بذاتها واتساع «المجال» فيه للظن وللاحتمال. إنه يفترض إذاً أن الهيولى مع الأشكال التي تتشكل بها أصل للانفعالات التي تتم في أجسام الأحياء، وأنه لا يحصل فيها من تلك الانفعالات شيء: فثبت بذلك بقاءها الدائم في ما هي عليه، يُتبع لنا أن نخرج بالنتيجة ١٥ التالية وهي أن الهيولى لا يُصيها من تلك الأشكال التي تتشكل بها تغيير قط ولا انفعال. / فإن تلك الأجسام التي تتلقى أشكالها، الشكل تبع الآخر، قد يجوز القول فيها بأنها تتغير إذ أن التأثير هنا يدل لفظاً على تبدل الشكل. أما الهيولى، إن لم يكن لها هيئة ولا كم، فكيف يوصف ٢٠ حضور الشكل فيها، مهما كان نوعه، بأنه تغير، / ولو أطلقت لفظة «التغير» عن طريق الاشتراك بالإسم فقط؟ وإذا ادعينا، في هذا الصدد، «أن اللون إنما هو أمر وضعي وليد الاتفاق وكذلك هي الصفات الأخرى» أيضاً، فإن ادعاءنا يتنافى مع المعقول ما دُنا نعي به أن الطبيعة الحاملة ليست في ما ألفنا أن نظنها عليه. وإذا قيل: كيف ندعي في الصفات أنها حاصلة لدى الهيولى ما ٢٥ دُنا لا نرضى بكون تلك الصفات أشكالاً في الهيولى؟ أجبتنا: إن في افتراض أفلاطون/ الدليل الكافي على أن الهيولى بوسعها أن تكون بدون انفعال، وعلى أن حضور ما يبدو منها كأنه ارتسام إنما هو ارتسام ليس حاضراً حقاً.

هذا وينبغي علينا أن نعود إلى الحديث حول براءة الهيولى من الانفعال. يجب أن ندل ٣٠ على كيف ينبغي أن نؤول ما عودنا الكلام عليه في استعماله لإثبات الانفعال عندها. / يقول أفلاطون فيها مثلاً أنها «هي ذاتها يابسة، نار تضطرم، تتخللها الرطوبة». على أنه يجدر بنا أن نذكر أيضاً قوله فيها «أنها تتلقى أشكال الهواء والماء». ذلك لأنه بقوله «أنها تتلقى أشكال الهواء والماء»، يخفف من وقع قوله «أنها نار تضطرم وإن الرطوبة تتخللها». كما أنه يدل بقوله «تتلقى ٣٥ الأشكال»/ على أنها لا تتشكل هي بالشكل بل على أن الشكل كأنه داخل إليها. ولا يعني بقوله أيضاً «هي نار تضطرم» إنها تضطرم حقاً وفعلاً بل إنها أصبحت نارا. وليس معنى العبارة «أصبحت نارا» هو هو معنى «الاحتراق بالنار». فإن ما يحترق بسبب شيء آخر، فيكون محلاً ٤٠ للانفعال آنذاك. أما ما كان جزءاً من نار، فكيف يحترق؟ وقول من/ يذهب إلى أن النار تحرق الهيولى فضلاً على أنها تجتازها، مثل قول من يدعي في شخص التمثال مثلاً أنه يجول في القلنر ويجتازه. وبعد، إذا كانت النار المقتربة من الهيولى معنى قائماً بذاته فكيف تحرق النار الهيولى؟ وفيما لو كانت النار شكلاً، فكيف تحرق الهيولى؟ ألا إن ما يحترق إنما يحترق بشيء موجود وهو مرگب من الطرفين (الصورة والهيولى). ولكن كيف ينشأ ذلك عن ٤٥ الطرفين ولما يخرج منهما شيء قائم في وحدته؟ ألا ولتقرص أن الوحدة قد تمت، فإن الانفعال لا يقع بين طرفيها، بل إن الطرفين يشتركان في الفعل على غيرهما. وهل يفعل

الفعل كلاهما معاً؟ كلا بل يُتَّيح أحدهما للآخر ألا يُفعلت .
 ولكن إذا قُسمَ الجسم، فأنَّى للهيولى ألا تنقسم؟ ثم إذا انفعل الجسم بهذا التقسيم،
 ٥٠ فأنَّى للهيولى ألا تنفعل هي أيضاً بالانفعال ذاته؟ ويؤدّي بنا سياق هذا كله إلى السؤال التالي:
 ماذا عسى أن يردّ الفساد عن الهيولى؟ كيف لا تفسد هي وقد اعترى الجسم الفساد؟ لا بدّ لنا هنا
 من العودة أيضاً إلى التذكير بأنّ الجسم من باب الكمّ وأنه بمقدار . أما ما ليس هو بكمّ، فلا
 ٥٥ تَطَرُّا عليه انفعالات الكمّ، كما أنّ انفعالات الجسم لا تَطَرُّا إجمالاً على ما ليس هو جسماً . /
 فإنّ جعلنا الهيولى قابلة للانفعال، سلّمنا بأنّها جسم هي أيضاً .

١٣] هذا وإنّه يجدر بهم أيضاً أن يوقفونا على ماذا يعنون بقولهم أنّ الهيولى تهرب من
 المِثَال . كيف يتأتّى لها أن تفعل ممّا يتطوي عليها من صُخور وججارة . لا سبيل لهم إلى
 الإذّعاء بأنّها تارة تهرب وطوراً لا تهرب . فإنّ كانت تفعل بإرادتها، فلماذا لا تفعل دائماً؟
 ٥ وإن كانت باقية بحكم الضرورة، فليس / من لحظة إلّا وهي تقضيها في مثال . أما عدم حصول
 كلّ هيولى جزئية على المِثَال ذاته دائماً، فهو أمر يجب أن يُبحث عن سببه، والوجه أن نلتمس
 هذا السبب في المثل الداخلة إلى الهيولى .

بأنّي معنى يقال عنها أنّها تهرب إذا؟ ألا، بمعنى أنّها كذلك دائماً بالفطرة والجبلة . وما
 ١٠ عسى هذا القول أن يعني سوى أنّها لا تخرج قطّ من ذاتها/ وأنّ المِثَال لديها بحيث أنّه ليس قطّ
 لها؟ وإلّا لما كان لهم مخرج ما يعمدون إليه في قولهم «إنّ الهيولى هي المحلّ القابل للصيرورة
 الكليّة ومُرضعتها» . فإذا «كانت المحلّ القابل»، «والمرُضعة» فالصيرورة أمر يختلف عنها،
 ١٥ وما دام المتغيّر في الصيرورة، فالهيولى قبل الصيرورة وقبل التغيّر . ثمّ إنّ وصفها/ بأنّها
 «القابلة» و«المرُضعة» إنّما هو وصف يجعلها باقية في وضعها، على أنّها لا تفعل . وكذلك
 القول في العبارة «المحلّ الذي يظهر فيه كلّ جزئيّ يحدث، ثمّ يعود ويخرج منه، وفي وضعها
 بأنّها «المحلّ» و«المقام» أيضاً . لا بل إنّ هذا الوصف الأخير، بعد تصحيحه وتاويله على أنّه
 يعني محلّ المثلّ، لا يدلّ على انفعال في الحامل، بل يُقصّد منه وجه آخر من علاقة الهيولى
 ٢٠ بالمُثَل . وما هي هذه العلاقة؟ إنّ هذا الأمر الذي نحن في صده الآن يجب ألاّ يُحصى بين
 الحقائق . فهو يختلف عنها تمام الاختلاف، لا يزال في هرب مستمرّ من ذات الحقائق، إذ أنّ
 هذه الذات هي المَعاني القائمة بذاتها وهي موجودة حقّاً . وما دام ذلك كذلك، فإنّ ذلك الوجه
 الآخر من العلاقة الذي أشرنا إليه آنفاً يقتضي في أمرنا أن يحتفظ بكيانه سالماً على ما قُسم له .
 ٢٥ فلا يكون مُتمتّعاً في وجه الحقائق فقط، / بل يبقى خالياً من كلّ ميل إلى اختصاصه بأثر منها
 أيضاً، فيما لو كان لها أثر . فالهيولى أمر يختلف عن الحقائق تمام الاختلاف بهذا الوجه الذي

وصفناها عليه . وإلا إذا ما أتاح لمثال أن يدخل إليها وأصبحت باتصالها به شيئاً آخر، فقدت كونها أمراً يختلف عن الحقائق، ووضعها محلاً للأشياء كلها، قابلاً لكل شيء مهما يكن . بل يجب أن تبقى هي هي في وجه ما يدخل إليها وألا تتأثر بانفعال إذا خرج الشيء منها، / حتى يدخل الشيء إليها ثم يخرج وهي في ما هي عليه دائماً . فالداخل الذي يدخل إنما هو أثر، باطل يدخل في باطل . وهل هناك دخول حقاً؟ وكيف يتم هذا الدخول لما لا يجوز له مطلقاً أن يشارك الحق في كيانه ، ما دام هو الكذب بالذات؟ أيأتي المثال وهو في حال الكذب إلى الكذب؟ ٣٥ أفيكون آنذاك كأنه يُقبل على مرآة فيما لو شوهده / أثر المرئي في المرأة وطالما كان ثمة من ينظر فيها قط؟ فعند ذاك، إن أزلنا الحقائق، زال في كل لحظة كل شيء مما نراه في عالم الحسن . أجل، إنما في مثلنا، لا نزال نُشاهد المرأة لأنها هي ذاتها مثال . أما الهیولی فليست مثلاً بحال ٤٠ ولا نُشاهدها إذا؛ وإلا كان يجب / أن نُشاهدها في ذاتها قبل أن يُقبل المثال عليها . لكن مثلها كمثل الهواء : فهو لا يرى ولو أشعَّ النور فيه، لأنه ما كان ليرى ولو لم ينتشر فيه الضياء . وكذلك لم يكن المرئي ليعتد الاعتقاد بوجوده، أو إن فعل فقليلاً، لأنك ترى المرأة وأثر المرئي فيها، ٤٥ وهي باقية وهو يزول . / أما الهیولی فلا ترى بحد ذاتها، لا مع مثالها ولا بدونه . ولو كان على الأقل من شأن ما يملأ المرأة أن يدوم، ثم لا ترى المرأة، لما كنا فطناً إلى أن الأثر المرئي فيها ليس موجوداً حقاً . وبعد، إن كان في المرأة شيء، فالمحسوس في الهیولی هو أيضاً وبذات الوضع شيء . أما إن لم يكن في المرأة شيء، بل يظهر فقط أن فيها شيئاً، وجب القول بأن الأمور تظهر في الهیولی كذلك أيضاً . وأساس هذا المظهر إنما هو قيام الحقائق بذواتها . في هذا القيام بالذات يُشرك حقاً على الدوام ما كان حقاً، وما لم يكن حقاً لا يُشرك حقاً . ولا غرو إذا وجب أن يكون الأمر كذلك في ما لم يكن حقاً، لأنه لو غدا هو الثابت لما كان ما هو الحق ٥٥ عين الحق . /

١٤ ماذا عسى أن يعني كل ذلك؟ أيعني أنه لو لم تكن الهیولی، لما كان شيء قائماً بذاته؟ أجل ! كما إنه لا يكون في المرأة أثر إلا إذا كانت مرآة تُقابله، أو شيء آخر من نوعها . فإن ما يقوم بغيره فطرة وجبلة لا قيام له ما دام ذلك الآخر غير موجود؛ وهذا هو بالذات قوام الأثر، أعني أنه ما هو في غيره . فلو صدر الشيء عن فاعله بمعنى أنه مشتق منه، لجاز أن يكون ثابتاً في ذاته غير قائم في غيره . ولكن / ما دام ذلك الفاعل باقياً في ذاته، وما دام له أثر ظاهر في غيره، وجب بهذا أن يكون هذا الآخر بحيث يوسع حيزاً لما ليس مُقبلاً عليه حقاً . فإن الواقع في ما يتعلق بهذا الآخر هو أنه أمر حاضر ملحاح كالسائل حين يسأل، محتاج كأنه يلح في الاستعطاء وهو مخدوع لا ينال عطاء، حتى تبقى «بيننا» (الحاجة) وهي لا تزال تسأل . ذلك لأنها حالما

١٠ تَحَقَّق وجودها تناولتها الأسطورة وجعلتها/ مُستعطفة دلالة على أنها هي كذلك فطرة وجبلة، فلا مكان للخير فيها. فإنَّ المُستعطي لا يَسْتعطي المُعطي كلَّ ما لديه، بل يَسْتحسن التَّوال الذي يَناله. ولهذا يَعْنِي أَنَّ قَصْد أَفلاطون من أسطوره أن يدلَّ على أَنَّ ما يَظهر في «بينيا» (الحاجة) أَنَّهُ شيء إِنَّمَا هو أمر غير حقٍّ. وهي اسمها «بينيا» (الحاجة) بمعنى أَنَّها لا تُعرف الشَّبع. أمَّا القَوْل ١٥ في اقترانها «بُورُوس» (اليسار)، فليس قول من يَعْنِي الاقتران بالحقِّ/ أو بما هو الكفاف، بل الاقتران بأمر تناسَّق بعضه مع بعضه الآخر، وإنَّما يكون كذلك بأحكامه وإتقانه مظهرًا ليس غير. ذلك لأنَّه يَسْتَحِيل في ما هو دائماً خارج عن الحقِّ بوجه ما، ألاَّ يُشْرِك في الحقِّ إطلاقاً، إذ ٢٠ أَنَّ من شأن الحقِّ فطرة وجبلة أن يولِّد الحقِّ. غير أنَّ الباطل من ناحية/ لا يَمْتَرِج بالحقِّ. فيؤدِّي بنا ذلك إلى الأمر الغريب التَّالي وهو أن يُشْرِك في شيء ما ليس الاشتراك من شأنه، وأن يَتَمَّ لمن هو كأنه الجار أن يَحْصِل على شيء وهو بمنزلة من يَسْتَحِيل عليه «فطرة وجبلة» أن يَحُلَّ في الدَّار. إنَّ ما تَلَقَّاه الهَيُولَى يزُلُّ عنها زَلَّة عن شيء غريب عليه مثلما هو الأمر في الصِّدَى مع ٢٥ صفائح مُلَسَّ سوِيَّة: لا يَبْقَى فيها،/ فَيَظْهَر بِذلك أَنَّ هناك ومن هنالك يأتي. ولو قُيِّصَ للهَيُولَى الاشتراك، وكانت بحيث تَلَقَّى المِثَال على نحو ما يَظُنُّ بعضهم، لما رَدَّها شيء عن أن تَغْمِر المِثَال وهو مُقْبَل عليها وتَبْتَلعه ابتلاعاً. لَكِنَّ الواقع اليَنِّ الواضح هو أَنَّ المِثَال لا يُعْمَرُ، بل ٣٠ الهَيُولَى بَقِيَ هي هي لا تَلَقَّى شيئاً. فإنَّها ثابتة في وجه التَّقَدُّم، وهي بمنزلة الحاجز،/ عنده يَقِف الشيء فَيَرْتَدُّ إلى أصله؛ بل هي المحلُّ القابل لما يُقْبَل عليها وَيَمْتَرِج فيها. مثلها مثل الآنية المَلْسَاء التي يُعْرَضُ وجهها للشمس بغية الحُصُول على التَّار (وقد تُمَلَأ ماء): فإنَّ ما يُعَامِد إشعاع الشمس في باطن هذه الآنية يَحْجِز أشعة الشَّمْس عن اجتيازها، فتتَجَمَّع في الخارج. على ٣٥ هذا الوجه تكون الهَيُولَى سبباً لعالم الصِّيرورة، وعلى هذا التَّحو أيضاً يَتَجَمَّع/ ما دأبه أن يَتَجَمَّع فيها.

١٥] أمَّا ما يَجْلِب نار الشَّمْس إليه، ما دام يَتَلَقَّى الإحراق الذي يَتَمَّ فيه من نار حَسِيَّة، فإنَّه من عالم الحسن هو أيضاً وشيء حَسِّي. ولذلك نرى بوضوح أَنَّ ما يَتَجَمَّع فيه إِنَّمَا يأتيه من الخارج ٥ فيتوالى عليه ويَقْتَرِب منه ويمسُّه، ونُدركه نحن في طريقه./ أمَّا المِثَال في الهَيُولَى فإنَّه خارج عنها بوجه آخر، إذ أنَّ قيامها طبعاً في وضع المُخالفة يكفي، ولا نَحْتَاج إلى التَّحْدِيد بِطَرَفَيْن. بل قُلْ إِنَّها لا تقبل قَطُّ حدًّا، ولها من مُخالفتها لِحَقائِق الأمور وعدم تَجَانسها معها على وجه الإطلاق ما يَكْفِيها مَناعة ضِدَّ كلِّ مزيج؛ وهذا هو أصل بقائها في ذاتها. فإنَّ ما يدخل إليها/ لا يفيد منها شيئاً، كما إِنَّها لا تَفِيد منه شيئاً هي أيضاً، بل الحال آنذاك كحال الظُّنون والتَّخَيُّلات في التَّقَس. لا يَخْتَلط بعضها ببعض بل يَتَمَازِز بعضها عن بعض، فكأنَّ كلاً منها في ما هو عليه

شيء على حياله لا يجزّ معه شيئاً ولا يتخلف عنه شيء لأنّها لم تتمازج . ثم إنّ بعضها خارج عن بعض لا بمعنى أنّها متجاوزة أو أنّ البصر لا يدرك بعضها حيث يكون بعضها الآخر ، بل لأنّ العقل كذلك يقضي . / أجل إنّ الخيال هنا هو الأثر فقط ، وليست النفس أثراً في طبعها ، ولو كان الخيال ، فيما يبدو ، يسوقها ويدفعها حيثما يشاء . ولكنّ منزلتها لا تختلف على الأقلّ عن منزلة الهيولى أو عمّا هو على قياسها . لهذا وإنّ الخيال لا يحجب النفس وإنّ لها من قواها لما ترده به غالب الأحيان . / كما إنّه ، ولو كان ساعياً معها ، لن يجعلها محجوبة تشكّل بخيالة : فإنّ للنفس في ذاتها أعمالاً ومعاني تقاومه بها ، وبها تردّ عنها كلّ ما يقبل إليها . أمّا الهيولى فهي أضعف من النفس ، أو قلّ إنّها من حيث القوّة دون النفس بمراحل ؛ فليس لها شيء من الحقّ حقّاً ، حتّى وإنّها لا تملك قطّ باطلاً . / كما إنّها ليس لديها ما تظهر به أيضاً ما دامت حرماناً من كلّ شيء ، بل بالرغم من كونها لغيرها سبباً لظهوره فإنّها لا تقوى حتّى على القول : «ها أنذا» . ولكنّ إذا استطاع التفكير الأصيل يوماً أن يكتشفها مجردة عمّا هو سواها ، من بين الأشياء ، بدت له آنذاك حقّاً في ما هي عليه : شيء تبرزت منه الحقائق ، بما فيها المتأخّرة منها ذاتاً ، المتشكّلة بأشكال الحقّ فقط . أي لعمري تتسلّل الهيولى بين الأشياء كلّها ، وتبدو مع الأشياء كلّها حيثما كانت ، ولكنّها لا تكون في الواقع مع الأشياء .

١٦ هذا وإذا أقبل على الهيولى معنى قائم بذاته خلّع عليها الكمّ الذي يُريده ، فجعلها شيئاً ذا عِظَم إذ ألحق العِظَمَ بها من ذاته وهي ، من ذاتها ، ليست بعظيمة ، ولن تصير كذلك . وإلّا لأصبح كونها عظيمة هو العِظَمُ بالذات . فإذا أزلنا المثال لم يكن حائله ذا عِظَم ولا تبدّى . بل لو جاء الحادث وهو ذو عِظَم ، آدمياً أو جواداً ، وكان مع الجواد ذاته عِظَم الجواد مثلاً ، ثمّ زال الجواد بذاته ، زال معه عِظَمه هو أيضاً . وإذا قيل أنّ الجواد يحدّث مع حجّم له عِظَمه المحدود ، والعِظَمُ باقٍ ، قلنا إنّ الذي يَبْقَى ليس عِظَم الجواد بل عِظَم الحجم . / ولتفترض أنّ هذا الحجم كان ناراً أو تراباً ، فإذا زالت النار زال معها عِظَمها ؛ وكذلك الأمر في التراب وعِظَمه . فليس للهيولى إذا نصيب من الهيئة ، ولا من المقدار ؛ وإلّا لما تسرّ لها أن تتحوّل من أن تكون ناراً إلى أن تمسي شيئاً آخر ، بل تبقى ناراً وهي في الآن نفسه شيء غير النار . وها هي ذي / قد أصبحت الآن كأنّها في سعة العالم الكلّي . فإذا زالت السّماء بكلّ ما فيها ، انسحب عنها كل مقدار أيضاً ، كما إنّه ينسحب عنها ، من غير جدال ، كلّ ما لديها من كيف أيضاً . فتبقى هي في ما كانت عليه أصلاً غير ناجية بحالة قطّ من الأحوال السّابقة التي كانت ثلاثاً منها . / أجل إنّ ما من شأنه أن يتفعل ، يتفعل إذا حضرت فيه أمور تختلف عنه ؛ ثمّ إذا زالت هذه الأمور بقي شيء منها لدى ما كان قد تلقّاها . لكنّ الوُضع على غير ذلك مع ما ليس إليه للانفعال سبيل ،

وهو وضع الهواء مثلاً انتشر التور فيه ثم انسحب.

٢٥ وإذا رأينا عجباً في ما لا يلزمه المقدار أن يكون بعظم، / فإن ما لا تلزمه الحرارة قد يصبح حاراً. ذلك لأن الكيان للهوى لا يعني كونها مع المقدار، ما دام المقدار مثل الهيئة أمراً غير هيو لاني. فضلاً على أننا إذا احتفظنا باللهوى، فإنها الأمور كلها عن طريق الاشتراك، والمقدار أمر من هذه الأمور. والواقع هو أن الأجسام، بسبب تركيبها، هي التي تنطوي على ٣٠ المقدار/ مع ما تنطوي عليه من الأوصاف الأخرى. وليس للمقدار آنذاك حد يفصله عن غيره ما دام ثابتاً في بُنية الجسم المعنوية. أما الهوى فإنها لا تنطوي حتى على ذلك المقدار المُبهم الخالي من كل حد وضابط، إذ إنها ليست جسماً هي.

١٧ وليست الهوى هي المقدار أيضاً. فإن المقدار مثال، كما إنه لا يقبل فيه شيئاً. ثم إن المقدار شيء قائم بذاته، وعليه فإن الهوى ليست المقدار. لكن ما هو قائم في الروح أو في النفس يسعى إلى أن يكون ذا عظم، فيُعطي للأمور التي تبدو كأنها تُريد أن تقلده بالرغبة فيه أو بالتحرك إليه الطاقة على أن/ تنبه انفعالها هي في غيرها. وإذا انطلق العظم إلى تحقيق قيامه بالشكل الظاهر جرّ معه إلى عين العظم بالذات صغار الهوى، فعمد إلى الامتداد وجعل هذا الصغار، على خلوه من كل امتلاء، يبدو كالعظيم. لكنه عظم كاذب ما دام، بسبب حرمانه من ١٠ العظم، يتمطى نحوه فيكون امتداده بهذا التمتطي، / في جانب امتداد العظم فقط.

ذلك لأن الأمور من حيث إنها كل تحدث انعكاسها على ما هو غيرها، سواء أحدث هذا الانعكاس كل جزء من جزئيات الكل أو الكل ذاته. فكان لكل أمر من تلك الأمور المُحدثة عظمه الخاص من حيث هو أمر فردي، وكذلك القول في جملة الأمور كلها وعظمها: عمل ١٥ العظم في كل بُنية معنوية بحسب ما هي عليه، بنية الجواد مثلاً أو بنية حيوان آخر/ مهما كان، وعمل العظم بالذات. فينشر العظم بالذات ضياءه على الهوى من حيث أصبحت كلاً ذا عظم، كما أن كل جزء منها يُصيب عظمه الخاص. فيظهر هذا العظم كله معاً خارجاً من المثال الكلّي وهو صاحب كل عظم، ومن المثال الجزئي. وكان الهوى آنذاك مع الكلّي ومع كل شيء ٢٠ بمعنى أنها أرغمت على أن تكون في ذلك المثال الكلّي وفي الحجم الجزئي، بقدر/ ما استطاعت القوة الفاعلة أن تجعل ما ليس شيئاً في ذاته بحيث يصبح كل شيء. فعلى وجه هذا النوع من الظهور يخرج اللون ممّا هو ليس لوناً، والكيف الحسيّ ممّا هو ليس كيفاً، ويُطلق عليهما بالاشتراك إسم الأصول التي خرجا منها. وكذلك يخرج المقدار أيضاً ممّا هو ٢٥ ليس مقدراً أو ممّا هو مقدار بالاشتراك في الإسم، ما دامت تلك المقادير المنظورة/ قائمة بين الهوى بالذات والأصل المثالي بالذات. فإنها ظاهرة لأن في الملاء الأعلى أصلها؛ وهي كاذبة

لأنَّ ما تَظهر فيه ليس شيئًا. لهذا ويدرك كلُّ جزئيٍّ من الجزئيات مقداره لأنَّ قوَّة الأمور التي تنعكس في الجزئيات تتنازعها إذ تحاول الأمور أن تضمَّن لذاتها مُتَّسَعًا فيها. فيشُدُّ هذا التنازع الجزئيات إلى كلِّ صوب وناحية ولكن بدون عُنْف لأنَّ الكلَّ الذي يَتَمُّ فيه إنَّما هو قائم بالهيولى. ثمَّ يُشَدُّ كلُّ مِثال جزئيٍّ/ وفقًا للقوَّة الخاصَّة الكامنة فيه والتي يَستَمِدُّها من العالم الأعلى. فإنَّ الأمر الذي يشكِّل العظم في الهيولى ويجعلها بادية عليه، إنَّما ينشأ من انكشاف العظم بالذات، وهذا الأمر هو العظم الظاهر، أعني العظم في عالمنا الحسِّي. أما الهيولى التي يُلازمها، فإنَّها ترغب على أن تسرع كلَّها معًا وعلى أن تعرض ذاتها في كلِّ صوب وناحية. ذلك لأنَّها هيولى، وهي هيولى الشَّيء المُعَيَّن وليست هي هذا الشَّيء. / أما ما لا يكون شيئًا متعيَّنًا من ذاته، فإنه يمكنه، بوساطة أمر آخر، أن يصبح الطرف المقابل؛ على أنْ تحوِّله إلى ما يُقابله لا يعني أنَّه أصبح هو هو مقابله، إذ أنَّه يكون آنذاك أمرًا ثابتًا على حال واحد.

١٨ هذا ولنفترض أنَّ لدى بعضهم معنى العظم في ذهنه، وأنَّ لهذا المعنى الذي لديه من القوَّة بحيث لا يكون في ذاتها مُنحصَرًا في العقل فقط، بل بحيث كأنَّ قوَّته تدفعه إلى خارج العقل أيضًا. ولنتصوَّر أنَّ هذا المعنى يلابس عند ذلك أمرًا ليس في عقل المفكِّر وليس له قُطُّ مِثال ولا شيء من أثر العظم، بل ليس له قُطُّ شيء من شيء آخر. فما عسى هذا/ المعنى أن يفعل بتلك القوَّة التي لديه؟ لن يصنع جوادًا ولا ثورًا، وكلاهما فعل معنى آخر من المعاني. بل نقول: ما دام ذلك المعنى صادرًا عن العظم الذي هو أصل، فإنه لن يَتَّسع لهذا الأصل إذ إنَّه يَختلف عنه. فلا يكون لديه إلَّا أثر ارتسام الأصل إذاً. والواقع هو أنَّ ما هو كذلك، ولم يحظ من العظم بحيث يُصبح هو ذاته ذا عظم، لم يبقَ له إلَّا أن يظهر ذا/ عظم في أجزائه، بقدر ما يتيسَّر الأمر لذلك. ولهذا يعني أنَّه ليس غائبًا ومُبْعَثًا إربًا إربًا في كلِّ صوب وجانب، وإنَّه مَجْمَعُ أجزائه على تجانس في ذاته وإنَّه حاضر في كلِّ مكان. لا شكَّ في أنَّ أثر العظم بالذات لا طاقة له، وقد أصبح في حَجْم صغير، على أن يكون مُساويًا لما هو العظم بالذات. إلَّا إنَّه، بقدر ما يَربغ في أمله بالحصول منه،/ يَتَقَرَّب إليه بما تَسمح له طاقاته. والأثر يفعل ذلك وهو مَقرون إلى ما يصحبه أعني الهيولى التي لا يسعها أن تتخلَّف عنه. وما هو أثرنا آنذاك إلَّا ويجعل الشَّيء قائمًا بالعظم بعد أن لم يكن ولم يبدُ عليه، كما إنَّه يجعل العظم مرئيًا في الحَجْم أيضًا. لكنَّ الهيولى لا تَرال مع ذلك مُحفَظَةً بما هي في طبعها إذ إنَّها تَستخدم هذا العظم بمَنزلة رداء ترتديه/ ما دامت جارية مع العظم وهو يجرُّها في جريه. فإذا نُزع عنها الرداء الذي كان عليها، عادت إلى ما كانت عليه في ذاتها أو إنَّها تبقى على القدر الذي كُفله لها المِثال الحاضر لديها. إنَّ النَّفس تَنطوي على مثل الأمور كلَّها لأنَّها هي ذاتها مِثال، فَتَحصل فيها الأشياء كلَّها معًا، على

٢٥ أن يكون كلّ مثال جزئيّ/ باقيّ لديها في ذاته مع ذاته. وإذا ما شاهدت الوثال الحسّيّ مؤلّيّا بوجهه إليها مُقبِلًا عليها، لم تُطق أن تتلقّاه وهو على عِظَمه وكثرت، بل شاهدته مجرّدًا من حجمه. ذلك لأنّها ليس بوسعها أن تستحيل غير ما هي عليه في ذاتها. أمّا الهيولى فليس لديها ما يشكّل فيها قطّ مناعة، لأنّها لا تملك ما يجعلها تفعل قطّ فعلًا ما دامت ظلًّا ليس أكثر. / فننتظر ريشما يُجري عليها الفاعل ما يُريده. والواقع هو أن ما يقدم من العقل في المملأ الأعلى إنّما يقدم حاملاً في جنباته أثر ما من شأنه أن يحلّ في الهيولى. مثل ذلك مثل ما يتمّ في تصوّر خياليّ يتحرّك فيه المعنى العقليّ أو حيث تكون حركة هذا المعنى مقسّمة موزّعة. ولّا لو كان واحدًا ٣٥ هو هو في ذاته، لما تحرّك بل استمرّ باقيًا في ما هو عليه. لكنّ الهيولى لا تقوى، / مثل النفس، على أن تتسع إلى الأمور كلّها معًا، أو إنّها تكون حينذاك أمرًا من تلك الأمور. فالوجه إذاً هو أنّها تتلقّى الأشياء كلّها، ولكنّها تتلقّاها جزءًا بعد جزء. إنّها محلّ الأشياء كلّها إذاً، الأمر الذي يستلزم فيها أن تُقبِلَ إلى كلّ شيء وأن تسعى هي إلى مُلاقاته وأن تتسع إلى كلّ مدى. فليس من شأنها أن تُخصّر في مدى محدود، بل إنّها متهيّئة أبدًا لكلّ ما من شأنه أن يتمّ. وكيف لا يكون الشّيء الواحد، إذا دخل فيها، ليردّ الأشياء الأخرى، ما دام ليس باستطاعة هذه الأشياء أن يتراكم بعضها فوق بعض في الهيولى؟ ففي بادىء الأمر لم يكن فيها شيء؛ أو إن كان، فهنّ وثال العالم الكلّيّ. وعليه، فإنّ الأشياء تكون كلّها معًا آنذاك، وكلّ على حياله من حيث أنّه ٤٥ جزء؛ فتتقسّم الهيولى في الحيوان بتقسيم الحيوان. ولّا لما كان شيء ما عدا/ المعنى القائم بذاته.

١٩ [] إنّ الأمور التي تدخل الهيولى وهي لها بمنزلة الأمّ، لا تضرب الهيولى ولا تنفعها بشيء. أجل إنّ لهذه الأمور صدماتها ولكنّها صدمات لا تُصيب الهيولى، بل تكون من بعض الأمور لبعضها الآخر. فإنّ القوى بما يُقابلها تصطدم، لا بما هو حاملها، إلّا إذا نظرنا إلى هذا الحامل بما استقرّ في جنباته. ففي الحرارة بطلان البرودة وفي/ السواد بطلان البياض، أو أنّ الطرفين يتمازجان فيخرج من تمازجهما كيف آخر. وبعد، فإنّما يكون الانفعال في التمازجات، وهو في حقّها بطلان كونها في ما هي عليه. كذلك هو الأمر حتّى في الأحياء: فإنّ الانفعال يجري على الجسد ويصيب منه الكيف والقوى الكامنة فيه عندما يقع التغيّر. / تتفكّك البنى أو يرتبط بعضها ببعض أو تتحدّث فيها تبدّلات وكلّ ذلك على خلاف ما يستلزمه كيانها طبعًا. فتتألّ الانفعالات أنثى من الجسد منالها. أمّا النفوس فلا يُدركهنّ منها إلّا الشّعور الذي يلازم أشدهنّ عنقًا، لأنّهنّ لا يعرفن منها شيئًا ما لم يشعرون بها. لهذا وإنّ الهيولى، بين كلّ ذلك، تبقى هي ١٥ هي: لا تفعل بالبرد إذا زال أو/ بالحرّ إذا جاء، إذ أنّه ليس بينها وبينهما مخالفة أو مُخالفة.

فأقرب وصف توصف به هو بأنها «القابلة والمرضية»؛ وقد توصف أيضاً بأنها «الأم» على الوجه الذي ذكرناه، ما دام شيء قط لا يتولد منها. لكتها بدت لقوم في أوصاف «الأم» لأنهم ٢٠ تصوّروها في منزلة الأم من ولدها بمعنى/ أنها تتلقّى الولد فقط ولا تمتدّ بشيء من عندها، إذ أنّ جسد المولود، بقدر ما هو جسد، إنّما من الغذاء يتكوّن. أما إذا كانت الأم تمتدّ الولد بشيء، فإنّها لا تفعل ذلك من حيث إنّها هيولى، بل لأنّها مثال: فالوئثال وحده ولّود، أما ما هو على ٢٥ خلافه فعاقِر. إلى ذلك يُشير الحكماء القدماء، فيما أظنّ،/ في شعائرهم السريّة: إنّهم يجعلون «هرمس» القديم مع عضو تناسليّ مهَيّ دائماً إلى عمله، فيعنون بذلك أنّ والد الأشياء في العالم الحسّي إنّما هو العقل الرّوحانيّ. أما عقم الهيولى الباقية دائماً على حالها ٣٠ فيُشيرون إليه بالخصيان وهم مائلون حولها. وان يجعلوها أمّ/ الأشياء كلّها إذا، فقد نظّموا القصائد فيها من حيث إنّهم يعنون بها الأصل الحامل؛ وأطلقوا عليها هذا الاسم حتّى يُحسنوا الدّلالة على ما يعنون. فإنّ ما يُريدون الكشف عنه هو أنّ وضعها لا يُشبه وضع الأمّ من كلّ وجه ٣٥ إنّ أردنا إدراكه إدراكاً صحيحاً ولم يكن بحثنا عنه بحثاً سطحيّاً. / أجل إنّ محاولتهم كانت بعيدة عن الوضوح، ولكنّهم مع ذلك، وفي مجال استطاعتهم أحسنوا الدّلالة على عقم الهيولى. فما بلغت من الأنوثة كمالها؛ بل هي أنثى بمعنى أنّها تتلقّى، لا بمعنى أنّها تلّد. وعلى هذا يدلّ ما يواكب موكبها: فما هو من الإناث، ثمّ هو لا يتمتّع بقوة الولادة، بل حيّل بينه وبين كلّ قوّة ٤٠ على الولادة، وهي قوّة لا تتوافر/ إلّا عند من احتفظ برجولته كاملة.

الفصل السابع

(٤٥)

في الأزَل والزَّمان

١ نقول في الأزَل والزَّمان إنَّهما أمران يَخْتَلِفُ كُلُّ منهما عن الآخر، فيلزم الأوَّل الأمور الباقية دائماً، والثاني الشَّيْء الحادث وهذا العالم الحسِّي . ونعتقد بأنَّه مع هذا القول يحصل في نفوسنا من تلقاء ذواتنا انطباع ما حول هذين الأمرين، / ويتمُّ ذلك على الفور وبمثل لحظات من الفكر تتواتر. ثمَّ لانزال تَنَاولها بعد ذلك في أحاديثنا ونذكر إسمهما عند كلِّ سانحة. إلَّا أنَّنا عندما نُحاول أن نقف على حَقِيقتهما وكأنَّنا نُقبل إليهما عن كَثَب نجد أنفسنا مُتردِّدين في آرائنا. / فتعتمد إلى أقوال القُدَّامى فيهما، وهي عند كلِّ منهم غيرها عند الآخر، بل ربَّما كانت تأويلات مُختلفة لمذهب واحد أيضاً. ومهما يكن من أمر فإنَّنا نرتاح إليها ونعتقد بأنَّه حَسْبُنَا أن نذكر للسَّائل ما ذهبوا إليه: ففي ذلك نرى الكفاية، وعليه نُعوِّل لنكتفٍ عن الاستمرار في البَحْث حول ما نحن في صددِه. نعم، يجب أن نعتقد في بعض القُدَّامى وأهل السَّعادة من الفلاسفة أنَّهم اكتشفوا الحقَّ في ما يهَمُّنا. / ولكن يَلِيق بنا أن نُمعن النَّظَر في الذين امتازوا عن غيرهم بإدراكه وفي الطَّريق التي نأخذ بها ليتِمَّ لنا فهم هذين الأمرين نحن أيضاً. هذا وليكن بحثنا في الأزَل أوَّلًا. ما عسى أن يعتقد فيه هؤلاء الذين يجعلونه شَيْئاً يَخْتَلِفُ عن الزَّمان. فإذا عرف ما هو بمنزلة القياس الأصلي، جاز القول في ما هو أثره (وهو الزَّمان في ما يدَّعون) إنَّه أصبح آنذاك على جانب من الوضوح غير قليل. / وقد يُبادر بعضهم، قبل أن يُشاهد الأزَل، فيُحاول أن يتخَيَّل الزَّمان ما هو. فإذا فعل وارتقى بالذِّكْرى من العالم الحسِّي إلى العالم الرُّوحاني، ربَّما تمَّ له أن يشاهد ما يُماثلُه الزَّمان مع الافتراض اللهمَّ إنَّ كان للزَّمان مع ذلك الأمر العلويِّ مماثلة.

٢ ما عسى أن يكون قولنا في الأزَل إذا؟ هل نقول إنَّه الذات الرُّوحانيَّة هي هي، فيُشبه قولنا قول من يدَّعي أنَّ الزَّمان إنَّما هو السَّماء بأسرها والعالم معها؟ أجل، لقد ورد عن بعضهم أنَّهم ذهبوا لهذا المذهب حول حقيقة الزَّمان. فالواقع هو أنَّنا نتصوَّر الأزَل ثمَّ نتخَيَّله/ في عرفاننا له

على أنه أجدر شيء بالإكرام، وكذلك نقول في الحقيقة الروحانية أيضًا. يسعنا أن نحكم بينهما أيهما الأشرف بعد ذلك (لأن هذا الوصف لا يجوز على ما هو فوقهما ووراءهما)، فيؤدي بنا الأمر إلى الاعتقاد فيهما أنهما شيء واحد. فضلًا على أن العالم الروحاني والأزل يشتملان ١٠ كلاهما على الأشياء ذاتها. ولكننا نقول/ عن الأول أنه في الثاني، أعني أننا نقول في العالم الروحاني أنه في الأزل. كما أننا نصف هذا العالم بأنه «أزلي»، فيقول أفلاطون «إن القياس الأصل إنما هو في ذاته أزلي طبعًا». فإذا كان ذلك كذلك عنيًا بقولنا هذا أن الأزل شيء آخر. فضلًا على أننا نقول فيه أيضًا أنه حول الذات الروحانية أو فيها أو حاضر معها. ولا يدل كون ١٥ الأمرين جديرين بالإكرام كلاهما على أن الأول هو هو الثاني. / فربما كانت هذه الجدارة عند أحدهما من الآخر. أما اشتمالهما على الأشياء ذاتها، فهو في الذات الروحانية يتناول أجزائها جزءًا جزءًا. أما في الأزل فإن الشمول يتناول الكل معًا، فلا يتجزأ الأزل بل يلزم كلاً في ذاته جميع الأمور التي توصف بأنها أزلية.

وبعد، هل يجب القول عن الأزل أنه السكون في العالم الروحاني/ مثلما قيل عن ٢٠ الزمان أنه الحركة في عالمتنا الحسي؟ ولكن يليق بنا أن نبحث في الأزل أولاً هل يوصف بأنه هو هو السكون، أو ليس هو السكون مطلقاً بل السكون الذي يلزم الذات. فإذا كان هو هو السكون لزم عن ذلك أولاً ألا نقول في السكون أنه أزلي كما أننا لا نقول في الأزل أنه أزلي. / فالأزلي هو ما له من الأزل حفظٌ ونصيب. ثم ثانياً كيف نقول في الحركة أنها أزلية؟ فإذا كانت ٢٥ كذلك غدت باقية في السكون. وأخيراً كيف ينطوي السكون بمعناه على الدوام في ذاته؟ ولست أعني الدوام في الزمان بل دواماً كالذي نذكره بالعرفان عندما نذكر الشيء الدائم. فإذا جعلنا الأزل قائماً بسكون الذات فقد عزلنا عنه أصناف الوجود الأخرى. / ثم إنه يجب في ٣٠ الأزل أن نتصوره عرفاناً على أنه ليس قائماً في السكون فقط، بل في الوحدة أيضًا. فضلًا على أنه لا يتجزأ، وإلا أصبح هو والزمان شيئاً واحداً. أما السكون فإنه لا ينطوي على معنى الوحدة أو على معنى ما لا يتجزأ، اللهم إذا عني السكون في حد ذاته، من حيث هو سكون. وأخيراً ٣٥ نصيّف الأزل بأنه البقاء في الوحدة، وهذا اشتراك في/ السكون، وليس السكون بالذات.

٣ فمَنْ أي وجه ننظر إلى العالم الروحاني كله إذاً، لتصفه بأنه أزلي وبأنه دائم؟ (وما عسى أن يكون هذا الدوام، سواء أخذ على أنه مع الأزل شيء واحد، أو على أنه من لوازم الأزل؟) هل يجب في هذا العالم أن يكون شيئاً على وضع الوحدة ولو أن معناه مؤلف، بوجه ما، من عناصر كثيرة؟ أو يجب فيه أن يكون حقيقة هي متأخرة على الأمور الروحانية أو موجودة معها أو ظاهرة فيها، / ولكنها هذه الأمور كلها على كل حال، على أنها حقيقة بذات واحدة من ناحية ٥

كثيرة بقوتها، كثيرة بذاتها من التّاحية الأخرى؟ أقلّ ما يُقال في الأمر هو أنّ من شاهد بنظرة جامعة هذه القوّة الكثيرة الوجوه من حيث ما هي عليه كأنّها الحامل حكم لها بأنّها ذات. مع أنّه لا يحكم لها أيضًا بأنّها حركة إذا رأى حياتها، وبأنّها سكون لثباتها على حالها ثباتًا مطلقًا. / وإنّه ليراهما أخيرًا هي هي أو هي غيرها، بمعنى أنّ الأمور التي تشتمل عليها هي شيء واحد بجملتها. فإذا انتهى إلى هذا الحدّ عاد إلى تلك الأمور فألّف بينها، فبرز حينذاك في حياتها الواحدة. ثمّ إذا جمع بين الأمور المتغايرة وشهد الفاعليّة لا انقطاع لها، رأى ما هو وليس قطّ غيره. أجلّ أنّه يرى حينئذٍ معرفة أو حياة لا تتحوّل منها إلى غيرها، بل تبقى على حالها فتصل بعضها ببعض أبدًا. / وإن شاهد ذلك شاهد الأزل بمشاهدته حياة باقية هي هي على ذاتها مُشمّلة على الكلّ وهو دائماً حاضر، فليست تارة شيئًا وطورًا شيئًا آخر، بل هي الأشياء كلّها معًا؛ كما إنّها ليست تارة بوجهٍ وطورًا بوجهٍ آخر، بل هي الكمال لا يتجزّأ. مثلها مثل اللحظة تتجمّع فيها الأشياء كلّها فلا تمتدّ قطّ جارية. إنّها حياة تبقى في ذاتها على الوُضع ذاته دائمًا، / لا يطرأ قطّ عليها تغير، وهي أبدًا في الحاضر الدّائم لأنّها لا يمضي شيء منها ولا يُقبل شيء عليها بل إنّ ما هي عليه هو هو الباقي على الدّوام. ومن ثمّ فليس الأزل هو الحامل للروحانيّات بل كالإشعاع المُنبعث من هذا الحامل على نحو ما يستلزمه كون الرّوحانيّات باقية هي هي في ذاتها. ولهذا هو وضعها الّذي تكشف عنه من حيث إنّها ليست ما من شأنه أن يكون ويتمّ، / بل هي موجودة حقًّا بمعنى أنّها كذلك هي ولن تكون على وجه آخر. وما عسى أن يطرأ عليها فيما بعد، ثمّ لا يكون حاضرًا في أنّها؟ فليس في المُستقبل شيء إلّا وهو بين يديها. ذلك لأنّها لم تنطلق من لحظة فانتهدت إلى ما هي عليه في لحظتها الحاضرة، إذ أنّ تلك اللحظة لم تكن لحظة أخرى بل هي هي هذه اللحظة القائمة فيها. / كما إنّّه ليس من حال يعترّيبها في المُستقبل إلّا وهي عليه الآن حتمًا. ثمّ لا يجوز في الرّوحانيّات أن يُقال عنها أنّها «كانت»؛ وما هو ذلك الّذي «كان» لديها ثمّ مضى؟ كما إنّّه لا يجوز عليها قولاً فيه معنى الاستقبال؛ وما عسى أن يُقبل عليها وأن تستقبله؟ فلا مخرج عن المُحكم لها بأنّها لا تكون إلّا في ما هي عليه. «فالّذي لا يُقال عنه أنّه كان، أو أنّه سيكون، بل إنّّه موجود فقط»، صاحب الكيان الثّابت، لا يتحوّل إلى ما سيكون في المُستقبل، / ولم يغيّر في ما مضى، ذلك هو الأزل. وننتهي بذلك إلى حياة الحقّ في كيانها التّام: حياة حاضرة كلّها معًا في آن واحد، متدقّقة فائضة، متّصلة بعضها ببعض من كلّ صوب وجانب. وهذه الحياة هي الأزل الّذي نبحث عنه.

٤] ويجب ألاّ نعتقد فيه أنّه غريب على الحقائق يطرأ عليها عَرَضًا؛ إنّّه منها ينبعث ومعها يكون. وهو يُشاهد معها في ذاتها لأنّ كلّ الأوصاف الأخرى الّتي نقول عنها أنّا نُشاهدها في

٥ العالم الروحاني، إنما نبتتها من حيث إنها مُنبعثة كُلُّها من الذَّات ولازمة للذَّات. / فيَجِب في الأوصاف الأولى أن تكون لازمة للأمور الأوليّة وفيها، كما إنَّ الحُسْن والحق من هذه الأمور وفيها. ومن هذه الأوصاف ما هو جزء من أجزاء الحق الكلّي. ولكن منها ما هو في الكل. كما

١٠ إنَّ هذا الكلّ الحقّ ليس شيئاً مؤلّفاً من أجزاء، بل يُحدِّث هو الأجزاء حتّى / يَسْتَوِي بذلك وهو الكلّ حقّاً. وهذا وإنَّ الحقيقة في العالم الأعلى ليست في توافق الشّيء مع غيره، بل هي خاصّة الشّيء ذاته التي تكون حقيقته. فالواقع أنّ هذا الكلّ الحقّ، إن يكن هو الكلّ حقّاً، يَجِب فيه ألا يكون الكلّ بمعنى أنّه الأشياء كُلُّها فقط، بل بمعنى أنّه يقوم بذاته من غير أن يعتريه نقصان. فإذا

١٥ كان كذلك، / أصبح لا يستقبل شيئاً، إذ أنّه لو استقبل لكان فيه نقص ولما كان الكلّ حقّاً. أبطراً عليه شيء يُنافي ما هو عليه طبعاً؟ فإنّه لا يناله انفعال. وما دام لا يطرأ عليه شيء فليس له مُستقبل يصير إليه أو يكون عليه، كما أنّه ليس له ماضٍ كان فيه. أجل إنَّك إذا منعت الاستقبال عن

٢٠ الأشياء الحادثة منعت عنها الوجود على الفور إذ إنّها منه دائماً في حال الاكتساب. / أمّا الأمور التي ليست من جنس الحوادث، فإذا أضفت إليها الاستقبال سحبتها من مقامها في الوجود. ولا غرو، فهي ليست مَفْطُورَة فطرّاً على أن تكون ما دام لها حال من شأنه أن يتمّ لها فيما بعد، وهي تُصير إليه وسوف تكون عليه في المُستقبل. فالذَّات في الحادث إنّما يبدو كيانها مُنطلقاً من بداية

٢٥ وهي بداية حدوثها، / ويستمرّ حتّى يدرك نهاية مدّته وعندها يَنعَدم. وهذا يعني أنّ لتلك الذَّات مُستقبلاً إذا أُزيل تضاءلت بإزالتها حياتها فتضاءل كيانها أيضاً. وللكون الكلّي مُستقبل كذلك، إليه يسير. ولذلك تراه ساعياً أبداً وراء ما من شأنه أن يتمّ له، وهو لا يُريد الوقوف ما دام يَسحب

٣٠ الكيان إليه مُتَقَلِّباً من عمل إلى عمل، / مَجْرُوراً بحركة دائريّة دفعته فيها رغبته في المزيد من الذَّات. ولهذا يكشف لنا عَرَضاً عن سبب تلك الحركة التي تَسعى هُكْذا عند ما من شأنه أن يَسْتَقْبِل الكيان دائماً. أمّا الأمور الأوليّة الرّائعة في السَّعادة، فليس لها رَغْبَة قطّ في مُستقبل:

٣٥ هي الكلّ وقد حصلت على ما كأنه حقّها من الحياة. / ومن ثمّ فإنّها لا تَطْلُب شيئاً لأنَّ المُستقبل ليس شيئاً بالنسبة إليها، وكذلك القول فيما يحلُّ المُستقبل فيه. إنّ ذات الحقّ كاملة شاملة إذا؛ ولست أعني تلك التي تكون في الأجزاء فقط، بل تلك التي لا يَبْقَى فيها مجال للتَّقصان أو لما هو ليس شيئاً يطرأ عليها أيضاً. والذي يَجِب في الشّيء الكامل الشّامل، ليس أن تكون الأمور

٤٠ كُلُّها/ حاضرة فيه فقط، بل أن يكون بريئاً من كلّ ما هو ليس شيئاً أيضاً. والأزل للحقّ هو كونه في هذا الطَّبع وعلى هذه الحالة. فالأزل مُشْتَقٌّ ممّا «لا يَزَال».

٥ [] إنّه يسعني أن أطلق هذا الوَصف على ما لحظته بالثَّقس إذا، أو بالأحرى على ما شاهدته وهو بحيث لا يطرأ عليه شيء مُطلقاً. وإن طرأ فليس ما شاهدته شيئاً يَدُوم، أو أنّه لم يتوافر له

الكمال الدائم . ولكن هل يكون ذلك الشيء أزليًا حقًا قبل أن تحصل فيه طبيعته هي بحيث تكفل
 ٥ لنا اليقين من أنه كذلك هو / ولن يكون على وجه آخر ، فإذا ما عُدنا ونَظَرنا إليه وجدناه في ما هو
 على حاله؟ وماذا نُعَمري لو كان المرء لا يَنقطع عن هذه المُشاهدة ، بل أصبح متَّحدًا بتلك
 الطبيعة الرُّوحانيَّة وهو مَجذوب تكفل له قوَّته أن يُشاهد ثم لا يعرف الإعياء في نفسه؟ أو قُل ماذا
 لو كان ذلك المرء يُبادر هو ذاته في الإرتقاء إلى الأزل ، فيقف ساكنًا هناك ، لا يميل قط ولا يتلوي
 ١٠ حتَّى يصبح مثل الأزل / وأزليًا هو أيضًا بمُشاهدته الأزل والأزلي ، عامدًا إلى ما هو أزلي فيهِ؟
 أجل إنَّ الأزلي هو كذلك إذا ، وهو ثابت على الدوام ، فما تجد فيه قطُّ ميلاً إلى أن يكون شيئًا
 آخر . إنَّه ذو حياة حاصلة لديه بكمالها ، فلم يثُل قطُّ مزيدًا ولا يتلَفَّى ولن يتلَفَّى . وإذا كان
 ١٥ الأزلي كذلك فإنَّه دائم . أمَّا الذيمومة / فهي حالة من هذا النوع تلزم الحامل إذ إنَّها منه وفيه ،
 في حين أنَّ الأزل هو الحامل مع تلك الحالة التي تظهر فيه على نحو ما وصفناها . ومن ثمَّ فإنَّ
 الأزل جدير بالإكرام ، ويتصوَّره الفكر على أنَّه هو والاله شيء واحد . وبالصَّواب يُقال في الأزل
 ٢٠ أنَّه الاله وهو ظاهر بذاته كاشف عن ذاته مثلما هو في ذاته / أعني أنَّه الكيان الثابت ، الباقي هو
 هو فيما هو عليه المتمكن في الحياة . ولكن إذا وَصفناه بأنَّه ذو كثرة ، فيجب ألا يأخذ بنا
 العجب . فإنَّ كلَّ أمر من الأمور الرُّوحانيَّة إنَّما هو أمور كثيرة بقوَّته اللامتناهية ، مع العلم
 ٢٥ بأنَّ اللامتناهي يُطلق هنا على ما ليس فيه نقصان ، وهو كذلك بالمعنى الفائق / لأنَّه لا يناله قطُّ
 من ذاته فقدان . وبعد ، فإنَّنا على ذلك نَسطيع أن نَصِف الأبد بأنَّه حياة ليس لها نهاية لأنَّها جميعًا
 ثابتة لا تَفقد شيئًا من ذاتها ، ما دام ليس لها ماضٍ مضى أو مستقبل مقبل ، (وإلا لما كانت كلُّها
 معًا) . وإذا كان ذلك كذلك وجدنا وصفنا للأزل قريبًا من تعريفه . فإنَّ الجُملة الثَّانية «لأنَّها ثابتة
 ٣٠ كلُّها معًا لا تفقد شيئًا من ذاتها» شرح للجُملة الأولى «حياة ليس لها نهاية» .

٦ كذلك هي تلك الطَّبيعة القديمة القائمة كما هي قائمة في الحُسن الفائق . إنَّها حول
 الواحد متفرَّعة منه ، موجَّهة وجهها له ، لا تخرج عنه قطُّ بل تَبقى دائمةً حوله وفيه وتَحيا بالحياة
 التي يحكم بها لها . وهذا ما يعنيه أفلاطون ، فيما أظنَّ ، بقول فيه الصَّواب وأصالة التَّفكير ، ولم
 ٥ يعنِ شيئًا / آخر إذ قال : «ما دام الأزل باقيا في الواحد» . ويعني ذلك أنَّ الأزل إذا ساق إلى
 الوحدة فليس ليَكفل الوحدة في ذاته فقط ، بل ليجعل الحياة واحدة حول الواحد أيضًا . وهذا
 هو الأمر الَّذي تَبحث عنه ؛ فالكيان على هذا الوجه إنَّما هو الأزل . ذلك لأنَّ هذا الأمر إذا بقي
 في هذا الوصف وعلى هذا الوجه ، وكان الباقي فيه ما هو عليه في ذاته (أعني حياة قائمة بالفعل
 ١٠ حقًا / لا تَزال من تلقاء ذاتها موجَّهة وجهها للواحد ، مستقرَّة فيه ، وليست كيانًا زائفا ولا حياة
 باطلة) ثمَّ له أن يكون هو الأزل حقًا . فالكيان حقًا إنَّما هو نقي العدم وإلا يكون الشيء على غير

ما هو في ذاته مُطلقاً؛ ولهذا يعني ثبات الكيان في ما هو عليه دائماً. وهذا يعني بقاء الكيان هو هو ١٥ لا يَختلف عما هو في ذاته أيضاً. فلا يَطرئ على شيء ثم على غيره، ولن يُقابلك فيه تجزؤ/ أو تطوّر أو تقدّم أو امتداد، إذ أنه ليس فيه تقدّم أو تأخّر. وما دام ليس للتقدّم أو للتأخّر فيه مجال، وما دام الكيان أحقّ شيء لديه وهو هو في ذاته ذلك لأنّ كيانه هو عين الكيان أو الكيان ذو ٢٠ الحياة، فما هو ذا ما نحن بصده يعود مبادراً إلينا، أعني الأزل. / فإن قولنا فيه أنّه موجود دائماً، وأنّه لا يصحّ عليه أن يكون تارة وأن يَطلّ أخرى، إنّما هو قول نَعتمد إليه قصد الإيضاح حتماً. فضلاً على أنّ «لفظة» دائماً على الأقلّ لم تكن لتُقال هنا بمعناها الحقيقيّ، بل تُستخدم للدلالة على نفي الفساد. فقد تَطلّ النفس وتوهمها معنى الزيادة من الشيء مُسترسلة مستمرة ٢٥ بحيث/ إنّها لن تنقطع يوماً. وربما كان «الموجود» المُصطلح الأصحّ للدلالة على ما نحن في البحث عنه. ولكن ما دام «الموجود» كافياً للدلالة على الذات، ولما اعتقدوا في الحادث أنّه ذات، شعروا بالحاجة إلى أن يُضيفوا إلى لفظة «الموجود» لفظة «دائماً» ابتغاء الفهم والإيضاح. ٣٠ ذلك لأنّه ليس «الموجود» شيئاً «والموجود دائماً» شيئاً آخر، كما أنّ الفيلسوف لا يَختلف عن/ الفيلسوف حقاً. «ولكنّ بعضهم تنكّر بأزياء الفلسفة، فوجب إضافة الوصف حقاً». وكذلك القول «بالموجود» و«بالدائم». فيجب في «الموجود دائماً» أن يؤوّل على معنى «الموجود حقاً» ٣٥ ويُطلق «دائماً» على القوة التي لا تتجزأ ولا تحتاج قطّ إلى شيء/ بعد ما لديها، وإنّ لديها الكلّ. إنّ حقيقة من هذا الطراز هي كلّ شيء، وهي كاملة من كلّ وجه، وليست كاملة من ٤٠ وجه وناقصة من وجه آخر. أمّا ما يقوم في الزمان، فإنّه ولو بدا كاملاً (كالجسد مثلاً يَكنفي/ بذاته لأنّه متّمم بنفس) إنّما يحتاج إلى مُستقبل ما دام ناقصاً من حيث الزمان الذي يحتاج إليه. وإذا حضر مع الزمان، جرى معه أيضاً ما دام مُرتبطاً به؛ فهو غير كامل. وإن كان كذلك لم يوصف بالكمال إلاّ عن طريق الاشتراك في الاسم. أمّا ما تمّ له ألاّ يكون محتاجاً إلى مُستقبل (سواء أكان مُستقبلاً يُقاس بزمان آخر أم مُستقبلاً لا حدّ له، أعني المُستقبل اللامتناهي)، ٤٥ واستوى حاصلاً على ذلك الذي يجب أن يكون عليه/، فهو ما يَربو فكرنا فيه يَتغيّه ليس كيانه من قبَل الكمّ، بل إنّهُ قبَل الكمّ. والوجه فيه، ما دام هو ذاته ليس بكمّ، أن يُصان مطلقاً عن كلّ اتّصال بذي كمّ حتّى لا يُصيب التجزؤ حياته فيحترم طابع البراءة من التجزؤ، بل ٥٠ يَبقى غير متجزئ في حياته، غير متجزئ في ذاته. أمّا القول في الصّانع أنّه «كان صالحاً» فالماضي هنا يعود إلى مذهب أفلاطون في العالم الكلّيّ، وهو يدلّ على أنّ هذا العالم، بفضل ما وراءه وفوقه، لم يكن له بداية في زمان. ومن ثمّ فإنّه ليس للعالم ذاته بداية في الزمان، ما دام كون الشيء علّة هو الذي يَكتفل بالتقدّم. وإنّما عمد أفلاطون إلى الماضي قصداً للإيضاح. ٥٥ لكنّه يعود بعد ذلك إلى عبارته، ويَستدركها على أنّها لا تصحّ من كلّ وجه على الأمور/ التي

يلزمها ما نصفه بأنه الأزل وما نعينه من هذا الوصف .

٧ أليس كل هذا الكلام السابق شهادة على الأقل لغيرنا وقولاً في أمور غريبة علينا؟ وكيف ذلك؟ ما عسى أن يكون كلامنا في هذه الأمور ما دُنا لسنا على اتصال بها؟ وكيف نتصل بها ما دامت غريبة علينا؟ لا بد من أن يكون لنا حظ من الأزل نحن أيضاً إذا . ولكن كيف ذلك ونحن في الزمان؟ إننا لندرك كيف الكيان في الزمان، / وكيف هو في الأزل إذا اكتشفنا ما هو الزمان أولاً . فيجب علينا أن نهبط من الأزل إلى الزمان وإلى البحث عنه . كان ارتقاؤنا قبل ذلك إلى أعلى عليين، أما الآن فإن البحث لا يهبط بنا إلى أسفل سافلين، بل إلى حيث استوى الزمان بهبوطه فقط . / وهذا وإنه لو لم يكن قط للقدماء وأهل السعادة أقوال حول الزمان، لكان ينبغي أن تُبادر إلى الأزل فنصل به ما يتأخر عليه لتعرض رأينا في هذا المتأخر . فنحاول عندئذ التنسيق بين المعنى الذي اكتسبناه عن الزمان وبين ما ندّعيه إنه مذهبننا . ولكن أول ما يجب علينا الآن هو أن نُقبل على خير ما ورد عند القدماء من هذا القبيل، فثمعن النظر فيه لتبين إذا كان الرأي الذي لدينا على توافق مع شيء مما لديهم . وربما وجب، في مستهل كلامنا هنا، أن نقسم قولهم في ما يهمنا إلى ثلاثة . فإنهم يقولون في الزمان أنه الحركة، أو أنه المحرك، أو أنه شيء يلزم الحركة . أما القول في الزمان إنه سكون أو إنه الشيء الساكن أو إنه شيء يلزم السكون، فشتان ما بينه وبين المعقول، ما دام الزمان لا يبقى قط هو هو . / ثم إن بين الذين يقولون فيه أنه الحركة فمنهم من يذهبون إلى أنه كل حركة مهما كانت، ومنهم من يرون أنه حركة الكل . والذين يعتقدون فيه أنه الشيء المحرك، فإنهم يقولون إنه فلك العالم الكلي . وأخيراً إذا كان الزمان شيئاً يلزم الحركة، فإنه عند بعضهم مدى الحركة، / وعند غيرهم قياسها، وهو عند فئة ثالثة ما يتبع الحركة بوجه عام، سواء أكانت كل حركة أم كانت الحركة المنتظمة .

٨ أما أن يكون الزمان هو الحركة فهذا أمر مستحيل سواء اتخذنا الحركات كلها وجعلناها كأنها حركة واحدة خرجت من الجملة أم اتخذنا الحركة المنتظمة وحدها . فالحركة في نوعها إنما هي في الزمان . وإذا كانت حركة ما وهي ليست حركة في زمان فإنها عن أن تكون الزمان أبعد أيضاً . ولا غرو، فإن ما تكون الحركة فيه شيء / والحركة ذاتها شيء آخر . فحسبنا هذا رداً على ما يقال وما قيل في هذا الصدد، مع ما يلي أيضاً وهو أنه يجوز في الحركة أن تنقطع أو أن تكون متناوبة ولا يجوز ذلك في الزمان . قد يقول قائل إن حركة العالم الكلي ليست متناوبة . لكنّها كذلك هي، ما دامت الحركة الدورية هي المقصودة . فإنها تقع في وقت معين، فتتحرك نحو المكان ذاته / وهي آنذاك في زمان غير الذي يقع فيه نصفها : فينصف الحركة نصف الزمان

ولضعفها ضعفه. مع أنَّ الحركة في كلا وضعيها هي حركة العالم الكلِّي: تنطلق من المحلّ وتعود إليه تارة، وتقطع من هذا البُعد نصفه طورًا. وكذلك الأمر في ما يقال عن حركة الفلك الخارجي أنَّه أشدُّ وأسرع: فإنَّه قول يشهد لصحَّة موقفنا حيث تكون حركة الفلك/ شيئًا يختلف ١٥ عن الزَّمان. لا شك في أنَّ هذا الفلك أسرع الأجسام السَّماويَّة، ولهذا عائد إلى أنَّه يقضي وقتًا أقلَّ لقطع مسافة أعظم، بل لقطع أعظم المسافات. أمَّا الأجسام السَّماويَّة الأخرى فهي أبطأ لأنها في وقت أطول تقطع جزءًا فقط ممَّا يقطعه هو.

٢٠ هذا وإن لم يكن الزَّمان حركة الفلك، فأن يكون الفلك/ ذاته أصعب. فإنَّ كون الفلك متحرِّكًا هو الَّذي أدَّى إلى الافتراض أنَّه هو الزَّمان.

والآن، هل الزَّمان شيء يلزم الحركة إذا عطينا بهذا اللازم مدى الحركة، فإنَّه لا يكون هو ذاته لكلِّ حركة، حتَّى في المُتجانسة منها. فإنَّ الحركة قد تزداد سرعة وقد تزداد بطئًا، ٢٥ ويصدق هذا على الحركة المكانية أيضًا. / ولنفترض في كلتا الحالتين أنَّ الأبعاد تُقاس بمدى واحد يميِّز عنها وهو الأصحَّ أن يُقال عنه أنَّه الزَّمان. فمدى أيُّتهما يكون الزَّمان، أو بالأحرى مدى أية حركة من الحركات ما دامت بعدد ليس له نهاية؟ أمَّا إذا كان مدى الحركة المُنتظمة، فليس مدى كلِّ حركة وهي كذلك، إذ إنَّ الحركات المُنتظمة كثيرة، فيُقابلنا أزمنة كثيرة معًا، لا ٣٠ زمن واحد. / وإذا كان مدى الحركة في العالم الكلِّي، وعطينا به المدى الثَّابت في هذه الحركة ذاتها، فهل عسى أن يكون غير هذه الحركة بالذَّات؟ أجل إنَّها حركة بمقدار معيَّن. ولكنَّا هنا أمام أمرين: أو أنَّ هذا المقدار المُعيَّن يُقاس بالبُعد المكانيِّ لأنَّه هو الَّذي قَطَعته الحركة بمقدارها، فيكون المدى بالذَّات. لكنَّه ليس زمنًا، بل هو بُعد مكانيِّ. أو إنَّ الحركة ذاتها ٣٥ (بصرف النَّظر/ عن البُعد الَّذي قَطَعته) تتضمَّن هذا المدى بتواصلها المُستمرِّ فلا تلبث أن تُمسك حتَّى تعود إلى تتابعها الدَّائم. ولكنَّ هذا إنَّما هو شدَّة التَّواتر في الحركة. فإذا نظرنا إلى الحركة وأثبتنا عليها شدَّة التَّواتر، كنَّا كمن يقول في الحارِّ أنَّه شديد الحرارة. فلا مجال هنا ٤٠ لظهور الزَّمان أو حدوثه. بل إنَّنا أمام حركة تتمُّ ثمَّ تعود وتتمُّ، / مثلما ما هو الأمر في الماء الَّذي يجري ثمَّ يجري ومعه المدى الَّذي تُشاهده. أمَّا كرة الحركة فهي عدد، كأن نعدَّ كرتين أو ثلاثًا. أمَّا المدى فهو من لوازم المقدار. وكذلك القول في شدَّة التَّواتر مع الحركة: فهي تقدرُ ٤٥ بعشر كرات مثلاً، أو هي المدى الظَّاهر بما هو كأنه مقدار الحركة. / ولا يتطوَّى ذلك على معنى الزَّمان، بل هو الكمَّ المُعيَّن الحادث في الزَّمان. أو نقول إنَّ الزَّمان ليس في كلِّ مكان، بل هو في الحركة بمعنى أنَّها حامل له؟ فنعود بذلك إلى القول بأنَّ الزَّمان هو الحركة، ما دام ٥٠ المدى ليس خارج الحركة بل هو الحركة غير متجمَّعة في ذاتها. ولكنَّ تحوُّلها منها غير متجمَّعة في ذاتها إليها متجمَّعة في ذاتها، إنَّما يتمُّ في الزَّمان. / فبِم يتميَّز غير المتجمَّع عن المتجمَّع إلَّا

بأنه موجود في الزمان؟ الأمر الذي يؤدي إلى أن الحركة الممتددة ومداها ليس هما الزمان بل هما في الزمان. وقد يقول قائل أن مدى الحركة هو الزمان، لا بمعنى أن الزمان هو مدى الحركة ذاتها بل بمعنى أنه ما تمتد الحركة إلى جانبه وكأنها/ ترافقه في جريها. ولكن هذا القول لا يُفيدنا شيئاً عن الزمان ما هو. أجل إن هذا هو تعريف الزمان الذي حدثت الحركة فيه، وهو بالذات، منذ البداية، موضوع بحثنا عن الزمان ما هو. ولكنه قول يكاد يعني قول من إذا سئل عن الزمان ما هو أجاب أنه مدى الحركة/ في الزمان. فما عسى أن يكون هذا المدى الذي نسميه الزمان والذي نجعله شيئاً متميّزاً عن مدى الحركة الخاص؟ هذا فضلاً على أن الذي يجعل مدى الزمان في الحركة ذاتها يقع في مشكلة أخرى أيضاً إذا سئل عن المحل الذي يجعل فيه مدة السكون. ذلك لأننا ما دُمنا مع شيء يتحرك فلأننا مع شيء آخر ساكن. / وعليك أن تقول بعد ذلك أن الزمان هو هو ذاته في الحركة وفي السكون، مع أنه يختلف عنهما أيضاً، وليس في الأمر جدال. فما هو هذا المدى وما هي حقيقته؟ من المستحيل أن يكون مدى مكانياً، مادام المكان شيئاً ليس له بذلك المدى علاقة.

٩ فلنبحث الآن كيف قيل في الزمان أنه عدد الحركة أو قياسها، وأنه مهما تكن الحركة متصلة يصبح هو قياساً. ويجب أولاً أن نتساءل هنا أيضاً عما إذا كان المقصود بالقياس قياس كل حركة مثلما كان البحث في «كل حركة» عند كلامنا عن «مدى الحركة». فكيف تُقاس بالعدد إذا الحركة غير المنتظمة ولا المتناهيّة، / كيف تُقاس بالعدد؟ أو ما هو عددها أو قياسها؟ أو على قياس ماذا يكون هذا القياس؟ فلنفترض أننا نقيس بالقياس ذاته الحركة المنتظمة أو غير المنتظمة وكل حركة إجمالاً، سواء أكانت سريعة أو بطيئة. فالعدد حينئذٍ أو القياس هو بحيث كأنه العشرة إذا أحصينا بها جياذاً وثرائاً، أو ذلك القياس الواحد الذي/ نزن به الأشياء الرطبة واليابسة ولا فرق. فإن كان قياسنا كذلك هو، قلنا قياس ماذا هو الزمان، أي قياس الحركات. ولكننا لم نذكر بعد ما هو في ذاته. فإننا نستطيع أن نتخذ العشرة في حد ذاتها وأن نعرف العدد بصرف النظر عن الجياذ التي يحصيها، كما إن القياس قياس له حقيقته في حد ذاته ولما تُقَس به. وكذلك يجب في الزمان أن يكون ما دام قياساً. فنحن بين أمرين إذا: إما أن يتخذ الزمان وهو في/ حد ذاته كأنه عدد، فما الفرق بينه آنذاك وبين هذا العدد المقدّر بالعشرة أو بين أي عدد آخر وهو أمر ذهني مجرد مؤلف من وحدات؟ وإما أن يكون الزمان قياساً متصلاً، فيكون آنئذٍ مقياساً له قدره وهو الذراع مثلاً. فهو مقدار إذا، وهو كخط يُرافق الحركة في جريها طبعاً. لكن هذا الخط ما دام يجري هو أيضاً فكيف يقيس ذلك الذي له/ في الجري قرين؟ ولماذا يقيس الخط الحركة وليس العكس صحيحاً؟ هذا وإن الوجه في ذلك القياس ألا يطبق

على كل حركة بل على الحركة التي يجري معها؛ وهذا أقرب إلى الاحتمال. فضلاً على أنه يجب فيه أيضاً أن يكون متصلًا، إذا كانت الحركة الجارية معه مستمرة في جريها على الأقل. ولكنه ينبغي في الأصل الذي يقيس حيثئذ ألا نتصوره شيئاً غريباً على الحركة مُنْعَزَلاً عنها، بل إنه يتناول الحركة المقيسة كلها معاً. وما عسى أن يكون ذلك الأصل الذي يقيس؟/ ألا، ما دامت الحركة هي المُقاسة، فإن ما يقيسها هو المقدار. وأي الطرفين هو الزمان؟ هل هو الحركة التي تُقاس أم المقدار الذي يقيس؟ فإما أن يكون الزمان الحركة المقيسة بالمقدار، أو أنه المقدار الذي يقيس أو هو أخيراً ما يعتمد إلى المقدار/ (كأن يعتمد إلى ذراع) ليقاس مدى امتداد الحركة. لهذا وإن القول في كل هذه الأمور يكون أقرب إلى الاحتمال إذا افترضنا الحركة متجانسة كما ذكرنا. فإن لم تكن الحركة مُتجانسة، لا بل لم تكن واحدة وهي حركة الكل، اشتد الإشكال على من ذهب إلى أن الزمان قياس مهما يكن وجهه في مذهبه. فلنفترض الآن أن/ الزمان حركة مُقاسة وقياسها قدر محدود. فإن وجب في الحركة أن تقاس آنذاك، وجب فيها ألا تقاس بذاتها بل بغيرها. وإذا كان ذلك كذلك، وما دام للحركة قياس يختلف عنها، فنحن نحتاج إلى قياس متصل نقيسها به، وجب على الوجه ذاته في المقدار الذي يقيسها أن يكون له هو أيضاً قياس حتمًا./ فتصبح الحركة آنثي مُقاسة بكمّ محدود، ما دام المقدار الذي تُقاس عليه صار قبلها ذا كمّ محدود. فيتعين كمّ المقدار الذي تُقاس الحركة عليه وتبدو الحركة مُقاسة بكمّها المحدود. عند ذلك يبدو المقدار الذي يرافق الحركة بكمّها العددي، ويكون هذا الكمّ هو هو الزمان، لا المقدار الذي يجري مع الحركة. وهل عسى أن يكون هذا الكمّ العددي سوى عدد ذهني مؤلف من وحدات؟ فكيف يكون هذا الكمّ المجرد قياساً؟ إن الصعوبة ماثلة هنا حتمًا. ولكن إذا عثرنا على هذا الكيف، وجدنا أن الذي يقيس ليس هو الزمان، بل الزمان مقيّدًا محدودًا؛ وليس هذا الزمان مقيّدًا هو الزمان بعينه. فالقول في الزمان شيء، وهو في القدر المعين من الزمان شيء آخر، وقبل السؤال عن الكمّ يجب السؤال عما عسى أن يكون الموجود المعين بكمّه./ فضلاً على أن الزمان، عددًا يقيس الحركة، إنما هو خارج الحركة. هو مثل العشرة من الجياد لا تُبصر مع الجياد. لم نطلع بعد على ما هو هذا العدد في ذاته قبل أن يكون قياساً إذا، كما تمّ لنا الأمر في العشرة.

قد يكون ذلك الذي يجري في جانب الحركة، مع تقدُّبها وتأخُّرها فيقيسها./ ولكن ذلك العدد الذي يجري مع متقدّم الحركة ومتأخُّرها، لسنأري بوضوح ما هو في ذاته. الواقع هو أن هذا العدد، ما دام يقيس وفقًا للمتقدّم والمتأخّر - سواء أكان يعتمد في ذلك إلى نقطة أو إلى شيء آخر مهما كان - فإنه يقيس حسب الزمان على كل حال. وما دام يقيس الحركة بالمتقدّم والمتأخّر،/ فهو متقيّد بالزمان، متّصل به، وإلا لما استطاع أن يقيس. أجل، إن

المتقدم والمتأخر يلزمان المعنى المكاني، مثل نقطة الانطلاق في ميدان السبق، أو يلزمان المعنى الزماني حتمًا. ولكنهما يقلان إجمالاً في الزمان: فالمتقدم هو الزمان الذي ينتهي إلى الآن الحاضر، والمتأخر هو الزمان إذا ابتداء من الآن ذاته. / ومن ثم فإن الزمان شيء يختلف عن ذلك العدد الذي يقيس الحركة بمتقدمها ومتأخرها، وليس كل حركة فقط، بل الحركة المنتظمة أيضًا. ولعمري لماذا يلزم العدد (سواءً أكان بمعنى أنه يقيس أم بمعنى أنه يقاس، إذ أن العدد الواحد قد يكون مقيسًا أو يكون مقياسًا) حتى يتحقق الزمان؟ أفلا يكون الزمان إذا حضرت الحركة ومعها متقدمها ومتأخرها حتمًا؟ مثل ذلك مثل ما يتم فيما لو قيل إن المقدار لا يكون بكمه ما لم ندركه وهو مع هذا الكم. وما دام الزمان ليس له نهاية/ وبذلك يوصف، فلماذا يلزمه العدد؟ إلا إذا انتزعنا منه جزءًا لنقيسه. ولكن الزمان في هذا الجزء قبل أن يقاس. ولماذا لا يكون الزمان قبل نفسي تقيسه؟ إلا إذا ادّعينا أن الزمان لا يكون إلا بنفس تحدته. مع أنه أقل ما يقال فيه هو أنه ليس قياسه قط داعمًا ضروريًا لوجوده. فإن الزمان ثابت وهو بكمه المحدود ولو لم يكن من بقيسه. أما إذا قيل إن النفس هي التي تعتمد على المقدار لقياس الزمان، فما هي علاقة كل ذلك بمعنى الزمان؟

١٠ فالقول عن الزمان إنه «مرافقة الحركة» إنما هو قول لا يطلعنا على ما هو، ولا يجب أن يقال به قبل أن يقال في «المرافقة» ما هو. فربما كان هو هو الزمان؛ ثم لا بد من البحث عن هذه «المرافقة» هل هي بعد الحركة أو معها أو قبلها،/ ما دام لدينا شيء هو «مرافقة» كذلك تكون. فضلًا على أنه مهما يكن قولنا، فهو قول يصح على ما يكون في الزمان؛ وإذا كان ذلك كذلك غدا الزمان إذا «مرافقة الحركة في الزمان».

وبعد، فإننا لا نبحث هنا عن الزمان ما ليس هو بل عنه ما هو. وما أكثر ما ورد في الموضوع عند الكثير من أسلافنا/ فإذا ما جمعنا أقوالهم مفصلة مع ما ذكرناه عرضًا من هذا القبيل لكان ما خرجنا به أخرى بتسميته تاريخًا منه بأي تسمية أخرى. لهذا وإن في ما ورد عندنا ردًا كافيًا على مذهب من يذهبون إلى أن الزمان هو لحركة العالم الكلي قياسها. فضلًا على أن ما أثبتناه هنا حول/ قياس الحركة - ما عدا الحركة غير المنتظمة - يصلح ردًا على هؤلاء القوم أيضًا. لنتابع بحثنا في الزمان إذا عمدًا عسى أن يكون وماذا يجب فيه أن نعتقه.

١١ يجب الآن أن نعود إلى تلك الحالة التي أثبتناها على أنها تلزم الأزل. إنها حياة لا تبدل، موجودة كلها معًا لا نهاية لها لا تميل قط ولا تتلوي، ثابتة في الواحد وللواحد وجهة وجهها. لم يكن الزمان آنذاك، أو على الأقل إنه لم يكن قط للأمر الروحانية زمان. فإننا نحن

٥ الذين كان من شأننا أن نُحدث الزّمان، وهو في وضع / المُتأخّر معني وطبعًا. وما دامت تلك الأمور تنعم في ذاتها مطمئنّة، فأول سؤال يخطر علينا هو كيف هبط الزّمان وبان. ربّما كئلاً لا نستطيع أن نستوحي ربّات الإلهام هنا إذ أنّ العالم الروحانيّ كان ولمّا يَكُنْ هُنَّ. بل ربّما كان يسعنا، مع وجود ربّات الإلهام آنذاك، أن نسأل الزّمان الحادث ذاته كيف خرج/ وظهر وكيف حَدَثَ. فيكون معنى القول فيه بما يلي: في بادئ الأمر، قبل أن يَحْدَثَ المتقدّم وإن يَحْدَثَ معه المُتأخّر الَّذي يَسْتلزمه، كان الزّمان على وضع الرّاحة في الحقّ، لا بمعنى أنّه كان حقّاً، بل بمعنى أنّه كان رَائيّاً في الحقّ مُطمئنّاً هو أيضاً. إلّا أنّه كانت طبيعة هناك كثيرة السّعي وراء العمل، فأرادت أن تكون هي صاحبة الأمر/ في ذاتها وربّة ذاتها، فأثّرت طلب المزيد ممّا هي عليه في حاضرها. لذا تحرّكت فتحرك الزّمان معها. فاندفعنا في حركة تَجَرّنا إلى مستقبل دائماً مستجدّ، إلى متأخّر لا يَبْقَى هو هو بل يسير في تحوّل مستمرّ منه إلى غيره ثمّ إلى غيره. «فقطّعنا من الطّريق ما قطعنا فأحدثنا للزّمان وهو للأزل أثره». ثمّ إنّ كان للتّقس/ قوّة لا يهدأ لها هادئ، وهي في سعيٍّ دائم إلى تنقل ما تُشاهده في المَلأ الأعلى إلى محلّ آخر. إلّا إنّ التّقس لم تشأ أن يكون العالم الروحانيّ كلّ حاضرًا إليها دفعة واحدة. بل كان مثلها مثل الزّرع وهو ساكن: تَنبِق عنه بنيتة المعنويّة فتجعل ذاتها، فيما يبدو، مُبسّطة في الكثرة، فتظهر الكثرة عن طريق تَجَرُّو ذاتها. فبدلاً من أن تَحْتَفِظ بتوحّدها/ في ذاتها تخرجه من ذاتها فنبذّه وهي تمتدّ، وبقدر ما تمضي في سيرها، يَسْتَحْكِم الضّعف فيها ويَزْدَاد. وكذلك القول في تلك التّقس. تصنع العالم الحسّيّ على مثال العالم الروحانيّ وتمدّه بحركة ليست حركة الرّوحانيّات لكتّها تُشبهها وتُرِيد أن تكون معها على غرار واحد. فتحدث نفسنا الزّمان أوّلاً مستعيضة به عن الأزل وتجعل ذاتها ٣٠ أمرًا زمنيّاً؛/ ثمّ تُخضع للزّمان العالم الَّذي تكون قد أحدثته بعد أن جعلته ثابتاً كلّهُ، مَحْصُورَةٌ تطوّراته كلّها في حدود الزّمان. فإنّ هذا العالم الحسّيّ ما دام يتحرّك في التّقس (وليس لهذا العالم الحسّيّ من محلّ سوى التّقس)، فإنّه إنّما يتحرّك في زمان التّقس أيضاً. ذلك لأنّ التّقس ٣٥ كانت تمدّ/ العالم الحسّيّ بعملها رويدياً رويديّاً، ثمّ تعود وتجدد هذا العمل شيئاً فشيئاً فتحدث مع قيامها بعملها كينونة الشّيء بالتدرّج. تأتي الفكرة بعد الفكرة ويتقدّم معها ما لم تكن التّقس عليه سابقاً فيظهر آتئذٍ، لأنّ فكرة التّقس لم تكن بالفعل آنذاك وليست حياتها الآن مثل حياتها من قبل. فيتغيّر زمان الحياة بتغيّرها من حيث هي حياة. ولا غرو، بعد ذلك، إن كان تمدّد ٤٠ الحياة/ زمانه؛ فمهما استمرت في سيرها خارجة عن ذاتها، استمرّ الزّمان متجدّداً عليها، وكان لما مضى عليها زمانه الماضي أيضاً. فإن قيل في الزّمان إنّهُ حياة التّقس وهي تنقل في حركتها ٤٥ من حال إلى حال، أليس هذا القول معقولاً؟ إنّ الأزل إنّما هو حياة/ ثابتة باقية هي هي وفي ما هي عليه، ليس لها نهاية. والزّمان إنّما هو للأزل أثره حتّماً، وبينهما ما بين العالم الحسّيّ

والعالم الروحانيّ. ففي مقابل الحياة هنالك، لا بدّ من حياة أخرى هنا، حياة تلك القوّة في النفس وهي كأنّها حياة عن طريق الاشتراك بالإسم. ثمّ يقابل الحركة الروحانيّة حركة جزء من ٥٠ أجزاء النفس، / وثبات الشّيء هو هو وبقاؤه فيما هو عليه زوال الشّيء عمّا هو في ذاته وتحوّله من عمل إلى آخر. هنالك ما لا يتجزّأ وهو واحد، هنا أثر الواحد وهو واحد بمعنى أنّه في تجزّئه يَبقى بعضه متّصلاً ببعض. هنالك ما ليس له نهاية وهو كلّ قائم معاً، هنا ما يسعى إلى اللانهاية ٥٥ متدرّجاً إليها تدرّجاً متواصلاً. / في العالم الروحاني في كلّ قائم في ذاته دفعة واحدة، في العالم الحسيّ ما يتمّ جزءاً جزءاً وهو يسير دائماً نحو مستقبل يُتوقّع أن يكون فيه كلّاً. وإذا فعل فهو يتقلّد ما هو قائم كلّاً، متجمّعاً دفعة واحدة في ذاته، ثابتاً في اللانهاية. وهو لا يزال يتقلّد ما دام في سعي دائم وراء المزيد ممّا هو في الكيان. وما دام كيانه كذلك فإنّما هو تقليد للكيان الروحانيّ. فيجب في الزّمان ألاّ نجعله خارجاً عن النفس إذّا، كما إنّ الأبد ليس خارجاً عن ٦٠ الحقّ في الملاء الأعلى. فلا يسير الزّمان إلى جانب النفس ولا يتأخّر عليها، / كما إنّهُ ليس الأمر كذلك بين الأزّل والحقّ. بل الزّمان ظاهرة من ظواهر النفس وهو فيها ومعها مثلما هو حال الأزّل مع العالم الروحانيّ.

١٢ من هنا نَنطلق لتتصوّر لهذا الأمر، أعني الزّمان، في ما هو عليه. إنّهُ امتداد الحياة، على ما وصفناه، إمتداداً يسير بتحوّلات مُتجانسة مُتشابهة لا يُحسّ بها، وإنّهُ متواصل عمله. هذا ٥ ولنفترض الآن أنّا نَعُودُ ههنا إلى هذه القوّة ونرتقي بها ونُمسك عنها ذلك التّوع من الحياة/ الَّذي يُلازمها، ولو كان لا ممسك له، غير كافٍ قطعاً، إنّهُ عمل نفس باقية على الدّوام لا توجّه وجهها لذاتها ولا تُقيم في ذاتها بل ما تزال صانعة محلّثة. ولكن لا ضير، فلنفترض أنّ تلك القوّة لا ١٠ تعمل وأنها كُفّت عن العمل، فارتدّ ذلك الجزء من النفس إلى الملاء الأعلى/ واستقرّ هنالك مطمئناً. فماذا بعد الأزّل وماذا سواه آنذاك؟ ولماذا الشّيء ثمّ غيره ما دامت الأشياء كلّها باقية وهي كلّ واحد؟ ما هي الحاجة بعد ذلك إلى متقدّم أو متأخّر مُقبل من شأنه أن يتمّ؟ وإذا بقيت النفس موجّهة وجهها لشيء، فلايّ شيء سوى ذلك الَّذي استقرّت فيه؟ لكنّها لن توجّه وجهها ١٥ حتّى له، لأنّها حينذاك يجب عليها أن ترتدّ أوّلاً حتّى تفعل. / ثمّ إنّ الفلك ذاته يُصبح عدّماً، إذ إنّهُ لم يكن أوّل ما كان، بل في الزّمان هو وفي الزّمان يكون ويتحرّك. ونقول أيضاً إنّ النفس إن كُفّت عن العمل، لكنّا لا نستطيع أن نقيس مدّة كُفّها عن العمل إلّا بقدر ما هي خارجة عن الأزّل. فبطّالان العمل يكفّ النفس عن عملها وبرجوعها إلى الواحد يعني إذّا، ولا شكّ، أنّ النفس هي أصل تحرّكها نحو المحسوسات، وإنّ هذا التّوع من الحياة الَّذي اتّخذته آنذاك هو ٢٠ الَّذي نشأ الزّمان عنه. / ولذلك ورد «أنّ الزّمان حدّث هو وهذا العالم الكلّي معاً»، لأنّ النفس

أحدثته بإحداثها لهذا العالم الكلّي. كان حدوث العالم بذلك العمل الذي وصفناه، وهو الزّمان، والعالم إنّما في الزّمان هو. رُبَّ قائل يقول إن دورات الأفلاك، في رأي أفلاطون، إنّما هي أزمنة أيضًا. فليذكر القائل آنذاك/ قول الرّجل بأنّ حدوث الأفلاك إنّما تمّ للدلالة على الزّمان وتحديده وذلك «حتّى يكون لدينا قياس واضح». لم يكن بوسع التّمسّ أن تتبيّن حدود الزّمان في ذاته، وبوسع الأدّمين أن يقيسوا كلّ جزء من أجزائه مادام غير منظور/ وغير مدرّك، ولا سيّما أنّهم يجهلون العدد آنذاك. فصنع الإله التّهار والليل بحيث أصبحنا نُدرك الانثنيّة عن طريقهما للخلاف الواقع بينهما. وهذا هو أصل معنى العدد، في زّعمه. فإذا أدركنا ما بين شروق للشمس والشّروق الذي يليه كان بوسعنا عندها أن نحصّل مقدار المَدَى في الزّمان، ما دامت الحركة حركة منتظمة في شكلها الذي نعلمه إليه آنذاك. فنلجأ إلى ما هو كذلك لدينا وكأنّا نستخدمه قياسًا. وأعني به قياسًا للزّمان، لأنّ الزّمان ذاته ليس قياسًا. وكيف عسى أن يقيس، وما عسى أن يكون، عندما يقيس، معنى قوله: «إنّ هذا الشّيء كمّا إنّما هو بقدر الكمّ الذي أنا عليه؟» فما هو ذلك الذي يُقال عنه أنّه «أنا»؟ ألا، إنّ ما به نقدّر القياس. وما هو ألاّ ليتبيّن لنا القياس، وليس في ذاته قياسًا. أجل إنّ حركة العالم الكلّي/ إنّما تقاس على الزّمان، ولكنّ الزّمان بما هو ليس مقياس الحركة. بيد أنّه، مع كونه شيئًا آخر أوّلاً، إنّما يتبيّن، عن طريق العرض، الدّلالة على الحركة ما هو قدرها. فلنأخذ حركة واحدة ثابتة تتمّ في زمان محدود، ولتعدّ فنحسبها مرّات ومرّات: فإنّ هذا يؤدّي بنا إلى معرفة الزّمان الذي انقضى كم هو، وعليه فإنّه/ يجوز القول في الحركة الدّوريّة إنّها، بوجه ما، تقيس الزّمان بقدر ما إنّ الأمر ممكن. ولهذا يعني أنّها تدلّ، من خلال كمّها، على كمّ الزّمان الذي استغرقته، وهو كمّ لا سبيل إلى إدراكه وفهمه من وجه آخر. وليس في هذه الدّلالة ما يتنافى مع المعقول. فإنّ ما تقيسه الحركة الدّوريّة بمعنى أنّها تدلّ عليه،/ إنّما هو الزّمان؛ وهي لا تحدّثه، بل تكشف عنه. لقد أصبح الزّمان بهذا المعنى مقياس الحركة إذا، على أنّه بدوره شيءٌ مُقاس بحركة محدودة، ومن ثمّ يختلف عن هذه الحركة مادام يُقاس بها. فهو من حيث إنّهُ يقيس شيء، وهو شيء آخر من حيث إنّهُ يُقاس. على أنّه إذا كان شيئًا يُقاس فبالعرض فقط. على أنّ/ قولنا في تحديد الكمّ هنا مثل قول من إذا سُئِلَ عن المقدار أجاب أنّ المقدار ما يُقاس بلِوِراع وهو لا يقول شيئًا عن المقدار ما هو في ذاته. أو مثل من لم يكن بوسعه أن يكشف عن الحركة في ذاتها لأنّها لا تُضبط بحدّ فقال إنّها ما يُقاس بالمكان. فكأنّه بإدراكه المكان الذي اجتازته الحركة/ قدّر كمّها بكمّ المكان.

١٣ إنّ الحركة الدّوريّة تكشف عن الزّمان إذا، وهي فيه. أمّا الزّمان فيجب فيه ألا يكون في

شيء بعد ذلك ؛ بل يجب فيه أن يكون أولًا ما هو عليه وفيه . فيه تتحرك الأمور الأخرى وتَسكن وهي مُتجانسة مُتساوقة . وإذا جاء الشيء مُتناسقًا أظهر الزمان الكامن فيه وكشف للفكر غطاءه -
٥ ولكنّه لا يحدثه/ - سواء أكان هذا الشيء ساكنًا أو متحركًا ، ولو أنّ الأفضل فيه آنذاك أن يكون متحركًا . فإنّ الحركة تحركنا إلى التعرّف بالزمان والتألف معه بأشدّ ممّا يفعله السكون ؛ فضلًا على أنّ الانتباه أيسر إلى المدة التي استغرقها الشيء لدى تحركه منه إلى فترة سكون الشيء ذاته
١٠ وهو في حال السكون . وهذا ما أدّى بعضهم إلى أن يقولوا في الزمان أنّه قياس الحركة ؛/ فغفلوا عن أنّه ما يُقاس بالحركة ، فضلًا على أنّهم لم يذكروا ما هو حقًّا ذلك الذي يُقاس بالحركة ولم يدلّوا على ما هو ذاتًا ولا يطرأ عليه غرضًا . فلا غرو إن خالف قولهم ما كان الوضع عليه . ولكن ربّما لم ينطو قولهم على هذه المُخالفة ، وكان قولًا لم تفهمه نحن ؛ بل ربّما
١٥ كانوا يعنون بالقياس الشيء الذي يُقاس حقًّا ثمّ لم ندرك نحن ما هم إليه ذاهبون . / وإذا كان ذلك متًا فلاّتهم لم يكشفوا في مؤلفاتهم عن الزمان ما هو في ذاته ، أهو ما يقيس أم هو ما يُقاس . ولا غرو ، ما داموا وضعوا كتبهم لمن كان مُطلّعًا على الأمر وقد سمعه عنهم . أمّا أفلاطون فإنّه لم يذكر حقيقة الزمان ما هي ، لا بأنّه يقيس شيئًا ولا بأنّه يُقاس بشيء . ولكنّه يقول
٢٠ في/ الحركة الدورية أنّها ، للدلالة على الزمان ، إنّما تتحرك بحيث يكون الأقلّ منها مقابلاً للأقلّ من الزمان . وقصد الرجل بذلك أن يمكننا من أن ندرك الزمان ما أعظمه في ما يوصف به وما يتسع له . إلّا أنّه يقول في حقيقة الزمان عندما يُحاول أن يكشف عنها: أنّه حدث هو والسماء معًا على «قياس الأزل» ، وهو للأزل «أثره المتحرك» . ذلك لأنّ الزمان لا يبقى هو هو ما دامت
٢٥ الحياة التي يسير/ معها ويجري لا تبقى هي هي أيضًا . ثمّ إنّهُ نشأ «هو والسماء معًا» لأنّ تلك الحياة على ما وُصفت به هي التي صنعت السماء ، وهي هي تلك الحياة الواحدة بالذات التي أنشأت السماء والزمان . فإذا عادت تلك الحياة إلى وحدتها ، على الافتراض أنّها على ذلك
٣٠ قادرة ، فما بالزمان وهو فيها إلّا وقد بطل ، وما بالسماء إلّا وهي منها مسلوقة . / وقد يُدرك بعضهم وجود التّقدّم والتأخّر في حياة العالم الحسّيّ وحركته ، فيقول أنّ ذلك هو الزمان ، لأنّ ذلك إنّما هو شيء حقًّا . ثمّ يقبل على حركة أخرى تفوق تلك الحركة حقايتيّة ، وتنطوي هي أيضًا على تقدّم وتأخّر فلا يحكم لها بأنّها شيء حقًّا . وتلك منه لعمري هي الحماقة في مُتهاها! إنّهُ
٣٥ يسلمّ لحركة عديمة الحياة بحصول تقدّم وتأخّر فيها ، ويزمان/ يُلازمها ، ثمّ لا يعترف بذلك للحركة التي عن طريقها وعلى مثالها تمّت الحركة الحسّيّة . ألا وإنّ وضع التّقدّم والتأخّر من تلك الحركة خرج وبها استقام ، وهي حركة تحقّق ذاتها بذاتها . وكما إنّها هي الأصل لكلّ عمل من أعمالها فكذلك هي الأصل في توالي هذه الأعمال ، بمعنى أنّ في انبعاثهما معًا من أصلها
٤٠ تناوب بعضها بعض . / إنّنا نعلم إلى حركة الكلّ فنعلّلها بما هو غلافها وهو فوقها ، ونقول عنها

٤٥ أنها في الزّمان تكون. ثمّ ننفي ذلك عن حركة النفس وهي في النفس مُسترسلة في تطوّر دائم! فلماذا؟ لأنّ فوق النفس الأزل وهو لا يرافقها في جريها ولا يتمدّد بتمدّدها. / إنّ النفس هي التي بادرت إلى الدّخول في الزّمان، فأحدثت الزّمان مُلازمًا لعملها على أنّهما كليهما ملك لها. فكيف يكون الزّمان في كلّ مكان؟ لأنّ النفس لا تغيب قطّ عن جزء من أجزاء العالم كما إنّ تلك التي بين جنبيك ليست قطّ غائبة عن جزء من أجزاءك. أما القول في الزّمان بأنّه لا يقوم في ذاته ولا يوجد حقًّا، فإنّما يعود، لعمري، إلى القول بأنّ الله كاذب إذا حكم في الشّيء/ إنّ «كان» أو «سوف يكون». فإنّ الشّيء يُقال عنه أنّه «سوف يكون» أو «كان» على تقدير أنّ ما يحلّ هذا الشّيء فيه «سوف يكون» هو ذاته أو «كان». لكنّ إجابة أصحاب هذا المذهب تستلزم كلامًا من نوع آخر. هذا وإنّه، إلى جانب كلّ الذي سبق، يجب علينا أن نذكر ما يلي أيضًا. إذا أدركنا لدى الإنسان المُتحرّك المسافة التي قطعها، أدركنا حركته ما هو قدرها أيضًا. / ثمّ إذا شاهدنا الحركة التي تتمّ بالسّاقين مثلاً، شاهدنا مدى ما هو ظاهر منها وقبلها في شخص الإنسان، اللهمّ إذا استمرّ الإنسان متّقيّدًا بحركة جسده في قدر ما هي عليه. ومن ثمّ، فإذا تحرك الجسد أثناء فترة من الزّمان، فسنا حركته وزمانها إلى الحركة المعيّنة كما التي ينبعث عنها التّحرّك وإلى زّمانها. / أما هذه الحركة الأخيرة فنردها إلى حركة النفس، وهي حركة موزّعة في ذاتها إلى أبعاد مُتساوية. وإلامّ إذا تُردّ حركة النفس؟ إلى ما شئت أن تسميه، وهو أمر لا يتجزّأ على كلّ حال. إنّّه ما هو أوّلًا، وما كلّ الأمور الأخرى فيه، فليس بعده ما يكون فيه لأنّه ليس له مُستقبل يسير إليه. فكذلك هو وضع نفس الكلّ. ونحن، هل يحلّ/ الزّمان فينا؟ ألا إنّّه في النفس إذا كانت على طراز النفس الكلّيّة وهو على الوجه ذاته في النفوس كلّها، وهي كلّها نفس واحدة. ومن ثمّ فإنّ الزّمان لا يتبدّد، ما دام الأزل لا يتبدّد، وهو بوجه آخر في الأمور المُتجانسة كلّها.

الفصل الثامن

(٣٠)

في الطَّبيعة والمُشاهدة والواحد

١ هَلَّا أَحْمَضْنَا قَبْلَ أَنْ نَبَاشِرَ بِمُعَالَجَةِ مَوْضُوعِنَا مُعَالَجَةَ جَدِّيَّةٍ! فَقُلْنَا إِذَا: إِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا
ترغب في المشاهدة وإلى هذه الغاية تحلّق. وهو قول لا يصدق على النّاطقة منها فقط بل على
الحيوانات غير النّاطقة وعلى الثّبات والأرض التي يتولّد منها. ثمّ إنّ لكلّ شيءٍ خلافاً من هذه
المشاهدة، بقدر ما يُتاح له منها طبعاً. / فهي عنده غيرها عند الآخر، وتكون تارة المُشاهدة حقّاً
وطوراً أثراً لها وتقليداً. لو قلنا بذلك إذا، ألاّ نصيّق به صدرنا ونستغريه قولاً؟ إنّ الحديث ما دام
جارياً بيننا، فلا ضير في أن نُعالج أمورنا الخاصّة مازحين. أو نكون في حال المُشاهدة إذ نحن
١٠ في وقتنا الحاضر مازحون؟ نعم، هذا هو عملنا، نحن وكلّ الذين يمزحون مهما كان عددهم،
أو أنهم يمزحون رغبة في هذا العمل. ولا غرو إذا كانت المُشاهدة هي السّبب في اللّهُو أو الجِدّة
١٥ عند الصّبيّ أو عند الكهل: فهذا يطلبها جاداً وذاك لاهيّا. المُشاهدة هي غاية أعمالنا كلّها: /
ضروريّها الذي يُريد المشاهدة إلى الخارج امتداداً وذلك الذي نصفه منها بأنّه يقع طوعاً ويكون
امتداد المُشاهدة فيه إلى الخارج أقلّ. على أنّه، مع ذلك، هو أيضاً لا يصدر إلّا عن رغبة فيها.
ولكنّا نُرجى هذا البحث إلى حينه. فلنحصر مدار كلامنا الآن في الأرض نفسها وشجرها
٢٠ ونباتها بوجه الإجمال. ما هي مُشاهدتها، وكيف نرُدّها ما ينشأ عنها من عمل/ أو تولّد إلى
المشاهدة التي تتمّ فيها؟ وكيف تتمّ المُشاهدة في الطّبيعة وهي خالية من التّصوّر، صمّاء فيما
يقولون، وهي مع ذلك تفعل ما نفعله بوساطة المُشاهدة التي ليست حاصلة فيها؟ أجل، كيف
يتمّ لها ذلك؟

٢ ليس لـلـيد عمل هنا، أو للقدم أو لأداة ما مكتسبة كانت أو فطريّة؛ فلا حاجة إلّا لهيولى
تعمل الطّبيعة عليها وتجعلها موجودة في مثال: ولهذا أمر لا يخفى وضوحه على أحد. ثمّ يجب
القول بأنّ الطّبيعة فيما تصنعه لا تلجأ إلى العتلة. ولعمري، ما هي الدّفعة أو ما هي العتلة التي
٥ تُحدِث الألوان والهيئات في وجوهها المُختلفة؟/ فضلاً على أنّ الذين يصنعون الألعاب أنفسهم

لا يَسْعَهُم، إذ يَصْنَعُونَهَا مِنَ الشَّمْعِ أَوِ الْجَصَنِ، أَنْ يَحْدُثُوا فِيهَا الْأَلْوَانُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا هَذِهِ الْأَلْوَانُ
 ١٠ مِنْ غَيْرِ مَا يَصْنَعُونَهُ لِيُضْفَوْهَا عَلَيْهِ. مَعَ أَنَّنَا إِلَى هَؤُلَاءِ الصَّنَاعَاتِ نَنْظُرُ لِتَبَيُّنِ نَوْعِ الْعَمَلِ/ الَّذِي تَعْمَدُ
 إِلَيْهِ الطَّبِيعَةُ فِي صِنْعِهَا. فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَلَّا نَغْفَلَ عَنْ أَنَّ لَدَى الَّذِينَ يَصْرِفُونَ إِلَى تِلْكَ الصَّنَاعَاتِ
 شَيْئًا يَبْقَى ثَابِتًا فِيهِمْ لَا مُحَالَةَ، إِلَيْهِ يَسْتَنْدُونَ لِقِيَامِهِمْ بِأَعْمَالِهِمِ الْيَدَوِيَّةِ. الْأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُنَا نَدْرِكُ
 فِي الطَّبِيعَةِ شَيْئًا مِنْ هَذَا النَّوْعِ إِلَيْهِ تَعُودُ فِي عَمَلِهَا، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ قُوَّةٍ كَامِنَةٍ فِي الطَّبِيعَةِ حَقًّا، لَيْسَ
 عَمَلُهَا عَمَلًا بِالْأَيْدِي، تَبْقَى هِيَ دَائِمًا. ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي هَذِهِ الْقُوَّةِ أَنْ تَقُومَ بِعُنَاوَرِ تَبْقَى
 ١٥ ثَابِتَةً/ تَارَةً وَتَتَحَرَّكُ طَوْرًا. فَالْهَيُولَى هِيَ الَّتِي تَتَحَرَّكُ، أَمَّا الْقُوَّةُ الَّتِي نَحْنُ فِي صِدْدِهَا، فَلَا
 يَتَحَرَّكُ مِنْهَا شَيْءٌ. وَإِلَّا لَمَا كَانَتْ هِيَ الْمُحَرَّكُ الْأَوَّلُ وَلَمَا كَانَتْ الطَّبِيعَةُ هِيَ ذَلِكَ الْمُتَحَرَّكُ، بَلْ
 الْأَصْلُ غَيْرُ الْمُتَحَرَّكِ الْكَامِنِ فِي الْعَالَمِ الْكُلِّيِّ. فَرَبَّ قَائِلٍ يَقُولُ: «بَلْ إِنَّ الْعَقْلَ هُوَ الْأَصْلُ غَيْرُ
 ٢٠ الْمُتَحَرَّكِ، وَالطَّبِيعَةُ تَخْتَلِفُ عَنِ الْعَقْلِ، وَهِيَ الَّتِي تَتَحَرَّكُ». فَجُيِبَ: / «إِذَا زَعَمُوا أَنَّ الطَّبِيعَةَ
 تَتَحَرَّكُ كُلُّهَا، فَهِيَ وَالْعَقْلُ وَاحِدٌ، وَكِلَاهُمَا يَتَحَرَّكُ؛ أَمَّا إِذَا كَانَ الْأَصْلُ غَيْرَ الْمُتَحَرَّكِ شَيْئًا مِنْهَا،
 فَهَذَا الشَّيْءُ هُوَ الْعَقْلُ. ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَجِبُ فِي الطَّبِيعَةِ أَنْ تَكُونَ بِشَاءً، لَا شَيْئًا مَرْكَبًا مِنْ هَيُولَى
 وَمِثَالٍ. فَمَا هِيَ حَاجَتُهَا إِلَى هَيُولَى سَاخِنَةٍ أَوْ بَارِدَةٍ؟ إِنَّهَا قَائِمَةٌ عَلَى الْهَيُولَى وَهِيَ تَصْنَعُ فِيهَا
 صِنْعَهَا؛ فَلَا غُرُ، إِنْ حَمَلَتْ الْهَيُولَى هَذَا الْكَيْفَ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ عَلَى الطَّبِيعَةِ. أَوْ بِالْأُخْرَى لَا تَكُونَ
 ٢٥ الْهَيُولَى مَعَ الْكَيْفِ أَوَّلًا، وَلَكِنَّهَا تُصْبِحُ عَلَيْهِ بِمَعْنَى يُلَاسِهَا. / فَإِنَّ الَّذِي يَجِبُ فِيهِ أَنْ يُقْبَلَ إِلَى
 الْهَيُولَى حَتَّى تُصْبِحَ نَارًا لَيْسَتْ النَّارُ بَلْ مَعْنَى النَّارِ الْقَائِمُ بِذَاتِهِ. وَهَذَا دَلِيلٌ لَا يُسْتَهَانُ بِهِ عَلَى أَنَّ
 الْمَعْنَى هِيَ الْأَصُولُ الْفَعَّالَةُ فِي الْأَحْيَاءِ وَفِي الثَّبَاتِ. كَمَا إِنَّ فِي ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الطَّبِيعَةَ هِيَ
 مَعْنَى أَيْضًا، وَلِهَذَا الْمَعْنَى فَعْلُهُ هُوَ مَعْنَى آخَرٍ يَتَوَلَّدُ عَنْهُ فِعْلُهُ حَامِلُهُ بِشَيْءٍ مِنْهُ وَيَبْقَى هُوَ هُوَ فِي
 ٣٠ ذَاتِهِ. / أَمَّا الْمَعْنَى الْمُتَكَيِّفُ بِتَكَيِّفَاتِ الْأَشْكَالِ الْمَنْظُورَةِ فَهُوَ الْأَخِيرُ بَيْنَ الْمَعْنَى، وَهُوَ مَعْنَى
 جَامِدٌ لَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ مَا يَسَعُهُ أَنْ يُحْدِثَ بِهِ مَعْنَى آخَرَ. أَمَّا الْمَعْنَى الَّذِي حَصَلَتْ فِيهِ فَهُوَ أَخْ لَذَلِكَ
 الَّذِي أَحْدَثَ الْأَشْكَالَ، وَلَدَيْهِ الْقُوَّةُ الَّتِي لَدَى أَخِيهِ، فَيَفْعَلُ فَعْلَهُ فِي مَتَوَلَّدَاتِ الطَّبِيعَةِ.

٣ فكيف يفعل فعله إذا، وبأي معنى ينال حظَّه من المُشاهدة وهو كذلك فاعل؟ ألا، ما دام
 يعمل وهو باقٍ، وما دام باقياً في ذاته آنذاك، فإنه معنى، ومن ثم فإنه هو ذاته مُشاهدة. أجل إنَّ
 العمل إذا تمَّ، يتمَّ وفاقاً لما يستلزمه معناه، فهو شيءٌ يختلف عن معناه إذاً لا محالة. ولا شكَّ
 ٥ في المعنى حاضر في العمل، وهو الذي يسيِّره، ولكنَّه/ ليس هو العمل بالذات. وما دام
 المعنى ليس عملاً، بل معنى فقط، فهو مُشاهدة. إنَّ لدينا مع كلِّ معنى المعنى الأخير
 النَّاتِجَ عَنِ الْمُشَاهَدَةِ أَوَّلًا إِذَا، وَهُوَ مُشَاهَدَةٌ عَلَى تَأْوِيلٍ إِنَّهُ شَيْءٌ مُشَاهَدٌ. أَمَّا الْمَعْنَى الْكُلِّيُّ
 الَّذِي يَتَقَدَّمُهُ فَهُوَ مِنْ نَاحِيَةِ غَيْرِهِ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى: بحيث لا يكون هو الطَّبِيعَةُ بَلْ النَّفْسُ مِنْ

ناحية، وهو في الطبيعة بل هو الطبيعة من الناحية الأخرى. أياكون نتيجة المَـشاهدة هو أيضاً؟
 ١٠ أجل، وهو كذلك على وجه/ الإطلاق. أو يكون بحيث يُشاهد ذاته أيضاً؟ أو كيف يكون؟ إنَّه
 المَـشاهدة وقد نَمَت، أعني أنَّه ينشأ عن أمر ما يكون في حال المَـشاهدة. ولكن كيف تتم
 المَـشاهدة للطبيعة؟ الواقع هو أنَّه لا تتم لها المَـشاهدة بالتفكير والتروي. وأعني بالتفكير
 البحث الذي يركّز حول ما هو كامن في الطبيعة. ولماذا لا تتم لها هذه المَـشاهدة ما دامت
 ١٥ هي أيضاً بكونها طبيعة، حياة ومعنى وقوة لها فعلها الخاص؟ أفلاَن/ البحث هو طلب الشيء
 ولما يحصل في قبضتنا؟ أي لعمري، إنَّ لدى الطبيعة شيئاً وما دام الأمر كذلك فإنَّها تفعل
 فعلها. فإنَّ كيانها في ما هي عليه هو بأن تفعل فعلها، وهي كذلك بقدر ما إنَّها فاعلة. ولكنَّها
 مشاهدَة ومشاهد في الآن نفسه، إذ أنَّها معنى. وما دامت مشاهدَة ومشاهدًا ومعنى، فإنَّها
 فاعلة بسبب ذلك من حيث إنَّها ذلك كلّ معًا. وعليه فقد ثبت لدينا أنَّ عمل الطبيعة هو
 ٢٠ مشاهدَة: / ذلك لأنَّه مشاهدَة أدركت كمالها وهي باقية مشاهدَة لم تُحدث شيئاً يختلف عنها
 بل هي محدثة بكونها مشاهدَة.

٤] ولو سُئِلْتُ من أجل ماذا تفعل وأرادت أن تصغي إلى السّؤال وتنطق، لأجابت: «دع
 السّؤال وحسبنا الفهم ثم الصّمت. فإنَّني أنا صامته، وما ألفت التّعلّق يوماً. حسبنا الفهم إذا،
 ولكن فهم ماذا؟ إنَّ المتولّدات هي مشاهداتي، أنا الصّامته، أشاهدها عملاً بفطرتي وجيلتي في
 ٥ صميمها؛/ وإنَّني أميل طبعاً إلى المَـشاهدة أنا التي نشأت من مشاهدَة أيضاً. هذا فضلاً على أنَّ
 الأصل المَـشاهد مَن هو الذي يُحدث ما يُشاهد، كما إنَّ العالم بالهندسة يشاهد الأشكال
 فيصوّرُها. إلّا أنَّني لا أصرّ أنا، بل أشاهد، فتتكوّن الأجسام في خطوطها كأنَّها رواسب
 ١٠ تساقطت عني. أمّا/ الانفعال فإنَّه يجري عليّ مثلما يجري على أُمّي وعلى الأمور التي
 وُلدت منها. وكلّ هذه الأمور مُنبعثَة عن مُشاهدة هي أيضاً، وقد ولدتي وهي لا تعمل قطّ
 آنذاك. غير أنَّها معاني هي أعظم مِنّي، وهي بذواتها تُشاهد ذواتها، فكانت نتيجة ذلك أنَّني
 وُلدت».

وما عسى أن يكون فحوى هذا الكلام؟ إنَّما تكون فحواه: أنَّ ما نسمّيه الطبيعة نفس
 ١٥ خرجت من نفس/ متقدّمة عليه وأعظم منها حياة. ثمَّ إنَّ لهذه الطبيعة الصّامته المخلدة إلى
 ذاتها مشاهدَة لا تتّجه بها إلى العالم الأعلى، حتّى ولا إلى العالم الأسفل. بل تَبقى هذه
 المَـشاهدة حيثما هي، في مُستواها وفي ما هو كان شعور بذاتها. وهو إدراك وشعور بالذّات
 ٢٠ يجعلها ترى ما يتأخّر عليها بقدر ما في وسعها. / فما هي آنذاك إلّا وقد خرجت بمُشاهد بهي
 ظريف، فلا تسعى قطّ إلى شيء بعد. لهذا مع العلم بأنَّنا إذا شئنا أن نسلّم بإدراك وشعور

بالذات، فليس بمعنى ما نقصد به عند الموجودات الأخرى. بل نقول إنّ الأمر فيه مثلما هو الإدراك عند التائم إذا قيس إلى ما لدى المرء منه وهو في حال اليقظة. «فإنّ الطبيعة إذا كانت ذاتها مُشاهدة لذاتها/ استقرّت ساكنة إذا، لأنّ هذه المُشاهدة حصلت لها من كونها باقية في ذاتها مع ذاتها وهي بذاتها أمر مُشاهد. وإنّما حينذاك لمُشاهدة صامتة، يعترها شيء من الغموض لأنّ ثَمّة مُشاهدة أخرى غير مُشاهدة الطبيعة وهي أشدّ وضوحًا منها في الرّؤيا؛ أمّا هي فإنّما هي أثر لتلك المُشاهدة الأخرى. ولذلك كان ما ينشأ عنها في مُنتهى الضّعف، لأنّما ما دامت مُشاهدة ضعيفة فهي لا تُحدث إلّا مُشاهدًا ضعيفًا. / إذ الآدمي ذاته، إذا ضعفت المُشاهدة لديه، انصرف إلى العمل الذي هو ظلّ للمُشاهدة وللعقل. لا يسعه أن يتّهي إلى المُشاهدة آنذاك بسبب الضّعف المُستحّكم في نفسه. كما إنّّه لا يقوى على أن يدرك المُشاهد إدراكًا وافيًا فلا يملأ ذاته به. غير أنّه، على الرّغم من ذلك، لا يزال راغبًا في رؤية المُشاهد بذاته فيتصرف إلى العمل/ حتى يُبصر بالعين ما لم يسعه أن يعرفه بالروح. وأقلّ ما يقال فيه عندما يعمل، هو أنّه يُحاول أن يرى، هو ذاته، ما يعمل وأن يُشاهده ويشعر به وأن يكفل ذلك لغيره إذا ما صحّ القصد لديه بحيث يُصبح عملاً. فإنّنا نجد دائماً إنّ الصّنع والعمل إنّما هو ٣٥
ضعف في المُشاهدة أو تعقّب لها. / أمّا الضّعف ففيما لو أنجز الفاعل فعله ولم يكن لديه شيء؛ وأمّا التعقّب ففيما لو كان للفاعل شيء آخر يُشاهده وهو فوق فعله الذي أنجزه وأعظم منه. ولعمري أيّ امرئ يسرّ له أن يشاهد الحقّ، ثمّ أثر السعي في طلاب إثر الحقّ؟ على ذلك يشهد ٤٠
الصّبيان إذا اشتدّت بلادتهم. فإنّهم/ من عجزهم عن إدراك العلوم والمعارف، يحولون إلى الصّناعات والحرف اليدوية.

٥ هذا ما نقوله في الطبيعة وفي كيف يكون تولّد الأشياء فيها مُشاهدة. فلنقبل الآن على التّقس وهي متقدّمة على الطبيعة ذاتًا. إنّ التّقس تشاهد، وهي تحبّ العلم وتسعى في طلبه، وتنطلق من المعارف التي لديها فتجهد وتضع المعارف الجديدة، وهي في حال الإمتلاء التّام. هذا ما نريد أن نثبت، كما إنّنا نريد أن نثبت أيضًا أنّ كلّ ذلك الذي سبق ذكره يجعل التّقس، وقد ٥
أصبحت هي ذاتها مُشاهدة كلّها، تُحدث مُشاهدات أخرى. / وتحدث هنا ما يحدث في الصّناعة: إذا اكتملت الصّناعة في حدّ ذاتها أحدثت عند الصّبيّ صناعة أخرى من نوعها ودونها قدرًا. فيحصل لدى الصّبيّ أثر من كلّ شيء فيها. إلّا أنّ هذا الشّيء حيثنّ على غير ما هو في أصله، فكانت المُشاهدات والمعارف هنا غامضة عاجزة عن أن يُساند بعضها بعضها الآخر.

١٠ أمّا أصل التّقس النّاطق فهو فوق، بين الأمور العلوية، تملؤه/ وتنشر عليه ضياءها ما دام

مقيماً بينها؛ أما أصلها الآخر فإنه يستمد ما لديه بواسطة الإشتراك الذي يتم للأصل الأول. فإن الحياة في تسلسل دائم؛ إنها حياة من حياة. والقوة بادية في كل مكان وليس قط مكان تجدها منه غائبة. ثم إن النفس في قدومها إلى العالم الأسفل، تدع ذلك الأصل الأول منها باقياً في المحل الذي انسحبت منه بسقوطها. ذلك لأنها لو فارقت/ هذا الأصل مفارقة تامة لما غدت ١٥ في كل مكان، بل في المكان الذي انتهت إليه فقط. لهذا فضلاً على أن ما يقدم منها إلى العالم الأسفل لا يساوي ما يبقى منها في العالم الأعلى. فلا بد للنفس من أن تكون في كل مكان إذا، وليس من مكان قط حيث لا تكون قوتها حاضرة، ويختلف الأصل المتقدم فيها عن أصلها المتأخر دائماً. ثم إن القوة وليدة الملاحظة والعمل،/ علاوة على ذلك أننا لا نزال هنا على مستوى ليس للعمل فيه مجال إذ إنه ليس من شأن العمل أن يكون قبل النظر. فإذا كان ذلك كذلك أدى بنا الأمر حتماً من مشاهدة أولى أقوى إلى مشاهدة أخرى أضعف منها ولكنها مشاهدة دائمة وعلى كل حال. ومن ثم فإن العمل الذي يبدو على أنه يتم بمثل ما تستلزمه الملاحظة، إنما هو الملاحظة في أضعف حالاتها. ولا غرو، إذ يجب في المتولد أن يحتفظ ٢٥ بنفسه دائماً، وإذا قل قدره من هذه التاحية فبسبب الغشاوة التي أصابت معالمه بهبوطه. /

لهذا وإن كل شيء يتم في النفس تحت جناح الصمت. فليست في حاجة إلى شيء يظهر لها أو إلى مشاهدة تأتيتها من الخارج أو إلى عمل قط. إنها لنفس وهي تشاهد. يحدث الأصل المشاهد فيها ما هو متأخر عنها، ما دام موجّهاً إلى الخارج ولو لم يكن في مقام ما هو متقدم عليها. وجل ما يقال في الأمر هو أنه مشاهدة تحدث مشاهدة، لأنه ليس للملاحظة حد، لا ولا للمشاهد/. وهذا ما يعمل عمل النفس، كما إنه يعمل حضورها الشامل. فأي موطن لا تكون فيه؟ ثم إن الأصل المشاهد هو هو في كل نفس، ليس محصوراً بمقادير الكم. لكنه ليس على وجه واحد في الأشياء كلها، ومن ثم ليس في كل جزء من أجزاء النفس أيضاً. ولذلك ورد في ٣٥ الحوذي «أنه يشرك/ الجوادين في ما شاهده». فإذا ما أدركاه تنبّهت عندهما الرغبة في ما شاهدها طبعاً، أنهما لم يكونا ليدركاه إدراكاً تاماً. ثم إذا دفعتهما الرغبة إلى العمل، إنصرفا إليه لتحقيق ما يرغبان فيه، أعني أمراً يشاهد ومشاهدة بالذات.

٦ فالعمل للملاحظة إذاً وللمشاهد. من ثم فإن الملاحظة هي الغاية حتى لأصحاب العمل. فكان الشيء الذي عجزوا عن إدراكه من الطرق المباشرة يحاولون الحصول عليه بالطواف من حوله. والدليل على ذلك هو أنهم إذا أصابوا ما كانوا يريدون إستبان الأمر الذي كانوا يسعون إليه. فما كان قصدهم أن يجهلوا مرادهم/ بل أن يعرفوه وأن يروه حاضراً في النفس، قائماً ليدرك بالمشاهدة. ثم إنهم يعملون في سبيل الخير، لا ليبقى هذا

الخير خارجاً عنهم أو ليقوتهم، بل ليحصلوا عليه وهو نتيجة عملهم آنذاك. فإن قيل أين يكون هذا الخير؟ قلنا: في النفس. وحينئذ يرتد العمل إلى أن يكون مشاهدة إداً. فهل يكون ما يُدرك في النفس وهي معنى، / إلا معنى صامتاً؟ وهو كذلك بقدر ما هو معنى. فتسكن النفس حينئذ ولا تطلب شيئاً على أنها في حال الغبطة والحبور. والم مشاهدة عند من كان في هذه الحالة مُستكنة في الباطن قائمة على يقين صاحبها من أنه من المالكين. ثم إن هذا اليقين مهما ازداد وضوحاً إزدادت المُشاهدة سكوناً وهدوءاً فإزدادت بالقدر ذاته الوحدة التي تسوق إليها. فضلاً على أن العارف مهما/ يعرف آنذاك - وهنا لا بد من اعتبار الأمر بعين الجِدِّ والاهتمام - ازداد اتحاداً بالشيء المعروف. ذلك لأنهما إذا كانا إثنين، غدا العارف شيئاً والمعروف شيئاً آخر؛ فكأنهما مُتجاوران إذ هما زوجان لم تحوّلها النفس إليها. فبات وضعها معها آنذاك وضعها مع معنى تنطوي عليه وهو باقٍ متعطّلاً. فلذلك يجب في المعنى ألا يبقى غريباً على نفس من يطلب العلم، / بل أن يتحدّ بها بحيث تجده على أنه خاصتها. فإذا حوّلته إليها وانسجمت معه، لفظته وتصرفت به. فإنه لم يكن لديها طبعاً قبل ذلك، ولكّنها الآن تعرفه. وإذا تصرفت به أصبحت وكأنّها غيرها؛ ثم إذا أجتازته بفكرها رأتها على أنه هو شيء وهي شيء آخر. ومع ذلك فإنّها كانت هي أيضاً معنى بل كأنّها روح، بيد أنّها روح يرى/ شيئاً يختلف عنه. ولا غرو، فإنّها ليست ملأى، بل هي في الحاجة نظراً إلى ما هو مُتقدّم عليها، مع أنّها ترى، هي أيضاً، هادئة ساكنة، الأمور التي تلفظها. وبعد، فإنّ ما أحسنت لفظه لا تعود إليه لتلفظه مرّة أخرى. أمّا ما تلفظه، فإنّما تلفظه لتقضي فيها، وهي تُحاول البحث والتّقيب ابتغاء الإطلاع الوافي على ما لديها. أمّا في أمورها العمليّة فإنّها توفّق بين ما لديها وبين ما هو حولها في الخارج. /

هذا وما دام ما لدى النفس أعظم ممّا لدى الطّبيعة كانت النفس على جانب أقوى من السّكينة والهدوء؛ وما دامت الأولى أوفر مادة من الأخرى، كانت أشدّ منها قوّة على المشاهدة أيضاً. إلاّ أنّه ما دام ما لدى النفس ليس في مُنتهى كماله، فهي لا تزال راغبة في الزّيادة منه: زيادة الإطلاع على المشاهد، وزيادة مُشاهدة تكفلها النفس لها بالبحث والتّقيب. فتسحب عن ذاتها آنذاك وتَجول في الأمور الأخرى، ثمّ تلبث وتعود إلى ذاتها فتُشاهد بذلك الأصل/ منها الذي كانت قد غادرته ثمّ عادت فاستدركته. هذا وإنّ النفس التي تبقى في ذاتها قلماً تُبادر إلى هذا العمل. ولذلك نجد الحكيم وهو في حالٍ قد انتهى معه من مطاف التّفكير: فهو مع غيره عارِضٌ ما لديه، ولكّنه مع ذاته رؤياً لذاته. لقد خلص الرّجل من سيره إلى التّوحد والطّمأنينة، ولم يتمّ له ذلك مع ما حوله في الخارج فقط، بل مع ما هو في ذاته أيضاً، فأصبح بحيث حلّ كلّ شيء عنده في الباطن. /

٧ كل شيء يصدر عن مشاهدة إذًا وهو مشاهدة. ولهذا يصحُّ على الموجود حقًا وعلى ما يتولّد عنه أثناء مُشاهدته، وقد أصبح هذا المُتولّد ذاته آنذاك أمرًا مشاهدًا من قبيل الحسن أو المعرفة أو الرّأي والظنّ. ثم إنّ غاية العمل هي المعرفة والرغبة فيها. كما إنّ التّولّد من المُشاهدة/ ينشأ منه في نهاية المطاف مثال ينهض أمرًا مشاهدًا آخر. ونقول أيضًا بوجه الإجمال إنّ ما دام كل شيء تقليدًا لفاعله، فإنّه يحدث بدوره مثيلًا ومشاهدات. وكذلك القول أيضًا في ما يتولّد قائمًا بذاته: فإنّه يدل، ما دام تقليدًا للحق، على أنّ غاية الفاعل من فعله ليس إحداث الفعل أو إجراء العمل، بل شيء هو من الاكتمال بحيث يدرك/ بالمشاهدة. ١٠ ثم إنّ هذا الشيء يريد الفكر أن يراه، وقبل الفكر الإحساس إذ إنّّه يسعى إلى المعرفة هو أيضًا؛ وكذلك تريد الطّبيعة أخيرًا قبل الفكر والإحساس. فتحدث الأمر المشاهد الذي تنطوي عليه مع البنية المعنوية في حين أنّها تُنشئ معنى جديدًا في كماله التّام. كلّ هذه قضايا يدرك بعضها بالبداهة، وكلامنا فيها هنا لينبّه إلى بعضها الآخر عن طريق التّدكّر. وهي جميعها من الوضوح ١٥ على جانب لا يُستهان به. / كما أنّه واضح ما يلي: وهو أنّه ما دام الكيان للأمور الأوّليّة قائمًا بالمُشاهدة، أصبحت الأمور الأخرى رغبة في هذا الوضع حتمًا، ولا سيّما أنّ الأصل هو الغاية للأشياء كلّها. ثم إنّ الحيوان عندما يَضَع نتاجه، إنّما يفعل لأنّ البذرية الكامنة في باطنه هي التي تدفعه إلى الوضع. ولهذا الوضع هو مُشاهدة بالقوّة تسعى إلى أن تتحقّق فعلًا، وهو مجهود يُبدّل لتكثر المُثُل والمشاهدات، / ولتمتلىء الأشياء كلّها بالبنى المعنوية فتغدو المُشاهدة كأنّها مكفولة أبدًا. فإنّ الإحداث إنّما هو إيجاد مثال، ولهذا يعني جعل الأشياء كلّها مُفعمة بالمُشاهدة. أمّا العيوب التي تبدو في الأشياء الحادثة وفي الأعمال فسيبها تحوّل المشاهد عمّا هو موضوع مُشاهدته. وأقلّ ما يقال في من لا يُحسن صناعته هو أنّه كمن يُحِلُّث مُثَلًا ٢٥ قبيحة؛ / كما أنّ العشاق من القوم الذين يرون المُثال ويجدّون في طلبه.

٨ والآن دونك ما هو الوجه في هذه الأمور. إنّ المُشاهدة ترتفع قدرًا بارتفاعها من الطّبيعة إلى النفس ثمّ من النفس إلى الرّوح. هذا وتكون المُشاهدات أثناء ذلك في ازدياد مستمرّ من حيث اختصاصها وانفرادها بكونها مُشاهدات حقًا يغدو المُشاهد والمُشاهد فيها واحدًا. حتّى إذا انتهى بنا المطاف إلى النفس الحكيمة الفاضلة كاد يُصبح فيها المعلوم هو العالم بالذّات، ما دام العالم يسعى/ جاهدًا نحو الرّوح. وإذا كان ذلك كذلك، اتّضح لدينا أنّ الطّرفين شيء واحد في الرّوح. ولا يتمّ ذلك عن طريق الاختصاص والانفراد كما هو الأمر في النفس الحكيمة الفاضلة، بل عن طريق الاتحاد بالذّات، وبمعنى «أنّ الكيان هو العرفان» هنالك. فليس العارف شيئًا والمعروف شيئًا غيره، وإلاّ لمرّ الأمر إلى شيء فوق الرّوح يبطل فيه التّمايز بين الطّرفين.

١٠ يجب في الروح أن يكون الطرفان وهما واحد حقًا إذا؛ / ولهذا يعني أنها مشاهدة حيّة، وليس شيئًا مشاهدًا بمعنى أنه قائم في غيره. فإنّ الذي يكون في غيره إنّما هو حيّ من الأحياء وليس الحيّ الذي يحيا بذاته. وإذا كان المشاهد والمعروف ذا حياة، وجب أن يكون الحياة بالذات، لا أن يكون حياة أخرى نباتيّة أو حسنيّة أو نفسانيّة. أجل إنّ هذه الأنواع من الحياة هي معارف

١٥ أيضًا بوجه ما؛ ولكنّها معرفة نباتيّة تارة، / ومعرفة حسنيّة طورًا، ومعرفة نفسانيّة في الحالة الأخيرة. وكيف تكون معارف؟ لأنّها معاني. كلّ حياة معرفة من وجه ما، وربّ معرفة كانت أشدّ غموضًا وإبهامًا من غيرها، كما هو الأمر في الحياة. والحياة التي نحن في صددّها هي الحياة على أشدّ ما يكون وضوحًا: فالحياة الأولى والروح الأوّل شيء واحد. فإنّ الحياة الأولى هي معرفة إذا، ثمّ تليها الحياة من الرتبة الثانية وهي معرفة من الرتبة الثانية، وكذلك تكون

٢٠ الحياة في المقام الأخير وهي في المقام الآخر من مقامات المعارف. / كلّ حياة هي من جنس المعرفة إذا، وهي معرفة. على أنّه يميّز الناس في الحياة بين أنواعها المختلفة، ولكنّهم لا يتميّنون في المعارف ضروبًا وألوانًا بل يكتفون بالتمييز بين ما هو معرفة وما ليس معرفة بوجه الإجمال. وهم يفعلون لأنّهم لا يبحثون عن الحياة ما عساها أن تكون في ذاتها. لهذا وتجب

٢٥ الإشارة هنا إلى أن سياق أدلّتنا يدلّنا مرّة أخرى / على أنّ الأشياء كلّها إنّما هي من لواحق المشاهد. وعليه فإذا كانت الحياة الأدنى إلى الحقّ هي الحياة بالمعرفة وإذا كانت شيئًا واحدًا هي والمعرفة الأدنى إلى الحقّ، فإنّ للمعرفة الأدنى إلى الحقّ حياتها. وما دامت على هذا النوع من الحياة فالمُشاهدة والمشاهد لديها شيء واحد، وهي الحياة. وكان الطرفان فيها الحياة والمعرفة شيئًا واحدًا إذا. ولكنّ ما دام الطرفان شيئًا واحدًا إذا، فكيف

٣٠ تكون الكثرة في هذا الشّيء الواحد؟ ألا إنّها تكون / لأنّه ليس لمشاهدة هذا الشّيء غرض واحد. ذلك لأنّه حتّى في مشاهدته للواحد، لا يفعل من حيث أنّه شيء واحد؛ وإلاّ لما كان الروح. الواقع هو أنّه ينهض إلى غرضه من حيث أنّه واحد، ثمّ لا يبقى في ما كان عليه عند نهوضه، بل يغفل عن ذاته، فإذا به وهو كثير وكأنّه مثقل رازح، منبسط ساعيًا إلى أن يحصل

٣٥ على الأشياء كلّها. ولو لم يفعل لكان خيرًا له، إذ أنّه أصبح، بهذا المراد، الأصل الثاني. / ومهما يكن من أمر فمثله آنذاك مثل دائرة تمّددت فأصبحت شكلًا مسطحًا ومحيطًا ومركزًا وأشعة، منها ما هو فوق ومنها ما هو تحت. فخيرها ما هو السّؤال عنه: من أين (أعني مصدر الإشعاع)، وشرّها ما هو السّؤال عنه: إلى أين (وهو مقصد الإشعاع). ذلك لأنّ مبعث الأشعة ليس بمبعث يكون هو ومنتهى الأشعة معًا، كما إنّ المبعث والمنتهى ليسا كلاهما معًا بحيث

٤٠ يكونان المبعث وحده. / وبتعبير آخر، ليس الروح روح شيء واحد، بل إنّ الروح الكلّي؛ وما دام كذلك فإنّه روح الأشياء كلّها. يجب فيه أن يكون الحقّ كلّهُ وروح الحقائق كلّها إذا، ويجب

في جزئه أن يكون حاصلًا على العالم الكلّي وعلى الأشياء كلّها. وإلا لكان فيه جزء ليس روحًا، ولكان مركّبًا من أبعاد ليست أرواحًا، بل هو كومة مركومة ينتظر ضمُّ بعضها إلى بعض ريثما يخرج منها هو روحًا. وكذلك لم يكن للروح حدّ. / وإذا صدر عنه شيء، فلا يحدث نقصان لا في ذلك الذي صدر، لأنّه الأشياء كلّها هو أيضًا، ولا في الروح الذي خرج منه الشيء لأنّ هذا الروح ليس شيئًا مركّبًا من أجزاء متجاوزة.

٩ كذلك هو الروح إذا. ولذلك لم يكن هو الأوّل، بل لا بدّ من شيء فوقه ووراءه وهو الذي من أجله سقنا الكلام الذي سبق. فأول ما يُبادرنا هنا هو أنّ الكثرة متأخّرة على الواحد. ثمّ إنّ الروح عدد، وأصل العدد وما كان من جنسه إنّما هو الواحد حقًّا. وبعد، فإنّ ما يقابلنا في الروح هو الروح والشيء المدرك به معًا. وهما إثنان معًا إذا. وإذا كانا إثنين / وجب إدراك ما هو قبلهما وبعدهما. وما عساه أن يكون؟ أيكون الروح فقط؟ ولكننا نجد لكلّ روح قريبًا وهو المدرك بالروح؛ وإذا وجب في المدرك بالروح ألا يكون للروح قريبًا لما كان الروح روحًا. فإذا لم يكن روحًا، بل هو من الإثنيّة في براء إذا، فهو متقدّم على الإثنيّة، وراء الروح وفوقه. وما هو المانع من أن يكون هو المدرك بالروح؟ إلا أن / المدرك بالروح إنّما هو للروح قرين. فإذا لم يكن روحًا ولا مدركًا بالروح، فما عساه أن يكون؟ تُجيب: هو الذي منه الروح وما يدرك بالروح أيضًا. فما هو إذا، وكيف تصوّره؟ إنّهُ بين أمرين: أو مدرك بالروح أو شيء غير مدرك بالروح. فإذا كان مدركًا بالروح فهو روح؛ وإن لم يكن مدركًا بالروح فهو لا يعرف شيئًا بما فيه ذاته أيضًا. / فماذا يجعله جديرًا بالإكرام بعد ذلك؟ لو قلنا إنّهُ الخير على إطلاقها، لنطقنا بالصواب. ولكنّه ليس قولًا واضحًا صريحًا ما لم نكفل لنا إذ نقوله ما نسنده إليه فكرتنا. ذلك لأنّه ما دامت معرفة الأشياء الأخرى لا تتمّ إلا بالروح، وما دُمنا لا نعرف الروح إلا بالروح أيضًا، فما عسى أن / يكون ألمسّ الخاطف الذي ندرك به ذلك الأصل الذي هو وراء الروح وفوقه؟ نقول لمن ينبغي أن نشرح له الأمر بقدر المستطاع: إنّ هذا الإدراك يتمّ بشيء ثابت فينا، وهو بذلك الأصل شبيه؛ فإنّ لدينا شيئًا منه. أو إن شئنا فلنقل: ليس من شيء إلا ويكون ذلك الأصل معه، وأعني تلك الأمور التي تُشاركه في جانب منه. فإنّ الموجود في كلّ مكان، نستطيع أن تستمدّ منه حيثما قابلته ما يكفل / لك الإدراك عندك. مثل ذلك مثل ما يتمّ في الصوت إذا ملأ الفضاء وانتهى معه إلى أناس مهما كان مكانهم من الفضاء. فإذا تنبّه السمع عندهم تلقّى الصوت كلّهُ، ولكنّه، من وجه آخر، لا يتلقّى الصوت كلّهُ. فما عسانا نكون قد تلقّينا عندما تُقابل ذلك الأصل هكذا بروحنا؟ ألا يجب أن يتمّ في الروح آنذاك ما هو كأنّه الإنسحاب إلى الوراء، / وكأنّه هو ذاته يتخلّى عن ذاته لما هو وراءه وفوقه، فينبغي عليه،

عندها، إذا أراد أن يشاهد ذلك الأصل، ألا يكون، وهو ذو الحدين، كله روحاً فقط؟ إنَّ الرُّوح هو الحياة الأولى، وهو فاعلية مُستكنة في تساوق الأشياء كلها؛ لا بمعنى تساوق يتم، بل بمعنى ٣٥ تساوق تمَّ على ثبات. أقول إذاً: إنَّ الرُّوح هو حياة وتساوق، / وهو يشمل العالم كله في أدقِّ أوضاعه، لا في خطوطه العامة. وإلا لكان هذا الشمول شمولاً ناقصاً متفككاً. وإذا كان ذلك كذلك، غدا الرُّوح من شيء آخر حتماً، وهو شيء لا يكمن في التساوق، بل يكون هو ذاته أصل التساوق وأصل الحياة وأصل الرُّوح والأشياء كلها. فليست الأشياء كلها هي الأصل، بل من ٤٠ الأصل تخرج الأشياء كلها. أما الأصل فليس العالم كله، / ولا شيئاً من العالم، وإلا لما خرجت الأشياء منه، وكان ذا كثرة، لا أصلاً للكثرة. ذلك لأنَّه ما دام الحادث موجوداً أبداً، فمحدِّثه أشدُّ منه بساطة. فإذا كان هو للرُّوح علَّة وجوده، وجب أن يغدو أشدَّ من ٤٥ الرُّوح بساطة. وإن اعتقد بعضهم أنَّ هذا الواحد هو العالم كله، فإنَّما أن يكون العالم كله شيئاً شيئاً، وإنَّما أن يكون العالم كله معاً وقد جُمع بعضه إلى بعض، كان الواحد متأخراً على الجملة. وإذا كان متقدِّماً على العالم كله، كان العالم بجملته شيئاً، وكان هو شيئاً آخر يختلف عن الأوَّل. فضلاً على أنَّه لو كان هو والعالم معاً، لما غدا هو للعالم ٥٠ أصلاً. مع أنَّه يجب فيه أن يكون هو الأصل وأن يكون/ قبل الأشياء، حتى يكون هو أوَّلًا ثمَّ تكون الأشياء بجملتها. أمَّا أن يكون العالم كله شيئاً شيئاً، فأول ما يُقال في الأمر آنذاك هو أنَّه يُصبح كلُّ شيء مهما كان هو هو الشيء الآخر أينما كان. وثانياً تُصبح الأشياء كلها مختلطاً بعضها ببعضها الآخر، ولا يتميَّز شيء عن شيء. فنبت بذلك أنَّ الواحد ليس شيئاً من العالم كله، بل هو قبل الأشياء كلها.

١٠ [] والآن، ما عساه أن يكون؟ إنَّه قوَّة الأشياء كلها. وفي بطلان هذه القوَّة بطلان الأمور كافة: فما من شيء، ولا روح يكون حياة أولى، ولا حياة قطُّ إلاَّ إنَّ ما هو فوق الحياة، إنَّما هو سبب الحياة. والحياة فعلاً، مع كونها الأشياء كلها، ليست هي الأولى، بل تكاد تفيض فيضاً ٥ مثلما يخرج الماء من نبعه. تصوِّر نبعاً لا أصل له يأخذ عنه إذاً. / فإنَّه يتدفَّق كله في أنهار ولا تُنفذ الأنهار ماءه بل يبقى ساكناً على حاله. أمَّا الأنهار التي تنطلق منه فإنَّها، قبل أن تجري هذا إلى جهة وذاك إلى أخرى، تبقى مجتمعة بعضها مع بعض إلى حين. ولكنَّها، وهي في هذه الحال، كأنَّ كلَّها منها يعرف إلى أين يسيل مجراه. أو إن شئت فتصوِّر الحياة في شجرة ١٠ عظيمة. / فإنَّها تجتاز الشجرة كلها، ويبقى أصلها على حاله، لا يتبدَّد في كلِّ الشجرة بل يلزم جذورها وبقيعها فيها. أجل إنَّه يمدُّ الشجرة بحياتها كلها وهي كثيرة المظاهر، لكنَّه يبقى هو بريئاً من الكثرة ولو كان أصل الكثرة. وما في ذلك غرابة. أو إن كان في ذلك غرابة، فكيف

١٥ تخرج الحياة مع كثرة وجوها مما لا كثرة فيه، / وكيف لا تكون الكثرة ما لم يكن قبل الكثرة ما ليس هو في الكثرة؟ فإن الأصل لا يتقسم في العام الكلّي، إذ أنه لو تقسم لزال العالم الكلّي ولما عاد وقام ما دام الأصل ليس باقيا في ذاته مع ذاته، ثابتا في غيريته. ولذلك ترى أن الأشياء تُردُّ إلى الوحدة دائما. فكلّ أمر جزئي وحدة/ يُردُّ إليها، بما فيه هذا العالم الكلّي الذي له وحدة متقدّمة عليه وإليها يُردُّ. ولكن هذا الواحد ليس الواحد المطلق، بل يمرُّ الأمر حتى حيث ينتهي بنا إلى الواحد المطلق. وليس لهذا الواحد واحد آخر بعده إليه يُردُّ. هذا وإننا لو أدركنا الشجرة في وحدتها - أعني ذلك الأصل الثابت على حاله أبداً - وكذلك الحيوان والتقسيم والعالم الكلّي، لأدركنا لدى كلّ من هذه الأمور قوّته/ وقدره في مُنتهاهما. أفتردّد بعد ذلك ونظنّ أننا لم ندرك شيئا فيما لو أدركنا الأمور الحَقّانيّة في وحدتها، أي في أصلها ومعينها وقدرتها؟ لا شك في أنه ليس شيئا من الأمور التي تنبعث منه على أنه هو أصلها. كما أنه لا يُمكن أن يُقال فيه أنه صنف من أصناف الوجود، كأن يوصف بأنه موجود مثلا أو أنه ذات أو حياة. / ولكنه فوق هذه الأمور كلّها. بل إنك لو أدركته وقد خلعت الكيان جانبا، فإذا بك ممسك بالعجب العجيب. ثم إذا وجهك له وحظظت بأن تُصبح راتعا في مقاماته، وعاقفته بروحك بل أدركته بمسّ خاطف وأنت تُشاهد عظمته بما هو بعده ومنه. /

١١ ونقول ما يلي أيضا: ما دام الرّوح رؤيا وما دام رؤيا تُشاهد، فإنه قوّة انتقلت منها قوّة إلى كونها بالفعل. وهذا يعني أن فيه الهيولى من ناحية والمثال من الناحية الأخرى - كما هو الأمر في كلّ مشاهدة بالفعل - على أن الهيولى هنا هي الهيولى الثابتة في عالم الرّوحانيّات. فإن في المشاهدة بالفعل إثنيّة أيضا. فالرّوح قبل المشاهدة كان قائما في الوحدة إذا، فأصبح الآن هذا الواحد إثني على أن الإثنيين هما واحد. لهذا وإنّ الإبصار/ يملؤه ما يردّه من الإحساس وكأنه بذلك يبلغ تمامه؛ أما مشاهدة الرّوح فإنّ الخير هو الذي يملؤها. فلو كان الرّوح هو الخير، فما عسى أن تكون حاجته إلى أن يشاهد وإلى أن يعمل بوجه الإجمال. وإن تكن للأمور الأخرى أفعالها، فسعيًا وراء الخير وبسبب الخير، أما الخير فليس في حاجة إلى شيء، ولذلك ليس لديه سوى ذاته. / فإذا نطق بالخير إذا، لم تفكّر بمزيد بعد ذلك لأنك مهما أضفت إليه جعلته ناقصا بالقدر الذي أضفته. لا تلحق به شيئا حتى العُرفان، خوفاً من أن تزيد عليه شيئا آخر، فتجعله قائما بإثنين، الرّوح والخير. أجل إنّ الرّوح يحتاج إلى الخير، أما الخير فلا يحتاج إلى الرّوح. ومن ثم، فإذا حظي الرّوح بالخير لابس الخير بمثاله، / وأدرك بذلك كماله ما دام الوجود الذي يلبسه من الخير أنه وجعله بالخير شبيهاً. وكما يُشاهد رسم الخير في الرّوح كذلك ينبغي أن تصوّر ما هو الخير حقاً في أصله مستدلّين عليه من سيماه في وجه الرّوح. / فإنّ

الخير جعل أثره في الروح ملكاً للروح ما دام يُشاهده إذًا. فلا غرو، إن انبعثت في الروح
 الرغبة: فهو راغب دائماً وهو دائماً مصيب. أما الخير فلا رغبة عنده (وفي ماذا يرغب؟) ولا
 يُصيب شيئاً ما دام لا يرغب في شيء. كما إنه ليس الروح أيضاً ما دام لدى الروح رغبة في مثال
 ٢٥ الخير وميل غريزيّ إليه. / وبعد، فإنّ الروح في مُنتهى الحُسن ولا حُسن العالم بأسره: الثور
 الثقيّ جلبابه والبهاء أيضاً في صفاته، وهو يتناول بشموله الحقائق كلّها بما فيها، وليس عالمنا
 الحسّي مع ما هو الحُسن إلّا ظلّه وأثره. إنه في ذرى السّناء مقامه، وإنّه لبريء من كلّ شيء غير
 ٣٠ روحانيّ، وليس فيه ظلال ولا خلل، بل حياة السّعادة حياته. / فلا غرو، إن ملك العَجَب من
 شاهده ونفذ إليه حقّاً وشاركه في وحدته. ولكن المرء يرفع نظره إلى السّماء ويرى سواطع
 الكواكب فيها فيذكر صانعها ويبحث عنه. فكذلك القول في من شاهد العالم الروحانيّ وأمعن
 ٣٥ النّظر فيه فملك عليه الإعجاب أمره. / ينبغي أن يبحث عن صانع هذا العالم: فمن عساه أن
 يكون ذلك الذي أوجد شيئاً من هذا الطّراز، فأين هو وأتى يكون ذلك الذي انجب الروح ولذا
 يفيض حسناً ثم أخذ هذا الحسن من غيره. ولعمري، ليس الروح مبدعاً له ولا فيض الحسن
 أيضاً، بل كان قبل الروح وقبل فيض الحسن. فإنما يكون الروح من بعده، وفيض الحسن
 كذلك ما دام فيض الحسن في حاجة إلى أن يرى حاله فيضاً للحسن، وما دام الروح في حاجة
 ٤٠ إلى أن يجعل روحاً عارفاً. / أجل إنهما القريان إلى الذي هو غنيّ عن كلّ شيء والذي ليس في
 حاجة إلى العرفان، وإنهما لداهما العرفان والحبور حقّاً، لأنهما هما الأوّلان اللذان أدركاهما.
 أمّا ما هو قبلهما، فلا يحتاج ولا يدرك؛ وإلّا لما كان الخير هو هو.

الفصل التاسع

(١٣)

مسائل متفرقة

١ «إنَّ الرُّوحَ، فيما يَقول أفلاطون، يرى الأصول المثاليَّة القائمة في ما هو الحيوان بالذَّات». ثمَّ يَقول: إنَّ الصَّانع «يفكِّر بأنَّ الأمور الَّتِي يَراها الرُّوح في ما هو الحيوان بالذَّات حاصلة لدى العالم الكلِّي أيضًا». أيَّعني بذلك أنَّ المُثُل مُتقدِّمة على الرُّوح، وأنَّ الروح يُدرِكها وهي موجودة؟ يَجِب أوَّلاً في هذا الأمر، أعني الحيوان الكلِّي، أن نَبحث عنه فيما إذا/ كان هو الرُّوح أو شيئاً يَختلف عنه. فإنَّ المُشاهد هو الرُّوح؛ أمَّا الحيوان ذاتاً، فإنَّنا نَقول عنه أنَّه ليس الرُّوح بل هو أمر روحانيّ؛ كما إنَّنا نَقول في الرُّوح إنَّ الأشياء الَّتِي يَراها إنَّما هي حاصلة خارجاً عنه. فإنَّ لدى الرُّوح مُثُلًا لا حقائق إذًا، ما دامت الحقائق في الحيوان بالذَّات. ذلك لأنَّ الحقيقة هي في العالم الرُّوحانيّ، فيما يَقول أفلاطون، في عالم الحقِّ حيث نَجِد كلَّ أمر جزئيّ قائماً بالذَّات. ألا،/ وإنَّ الرُّوح والحيوان بالذَّات ولو كان أمرين مُختلفين، لا يَنفصل بعضهما عن الآخر إلَّا من حيث إنَّهما أمران مُختلفان فقط. ثمَّ إنَّ القول بحدِّ معناه لا يتضمَّن شيئاً يَمنع أن يكون الأمران أمرًا واحدًا عينيًّا وأمرين مُتمايزين ذهنيًّا، بمعنى أنَّ ما نحن في صدده معروف روحانيّ من ناحية وعارف روحانيّ من الناحية الأخرى ليس أكثر. فإنَّ ما يَراه الرُّوح ليس على وجه الإطلاق بحيث أنَّه يَراه في غيره، بل يَراه في ذاته بسبب أنَّ المعروف الروحانيّ حاصل لديه في ذاته. أو أنَّنا نَقول أيضًا: ليس من شيء يَمنع المعروف الرُّوحانيّ/ أن يكون روحًا في حال السُّكون والمُكوف على الذَّات والطَّمأنينة. أمَّا الرُّوح الَّذي هذا يرى المُنعكف في ذاته فإنَّه طبعًا قوَّة عرفان صادرة عنه وهي الآن تشاهده فعلًا. وما دامت تُشاهده فهي بمنزلة المعروف الرُّوحانيّ من حيث إنَّها روحه العارف لأنَّها تُعرفه عرفانًا. وإذا كانت تُعرفه عرفانًا فإنَّها هي ذاتها الرُّوح العارف والمَعروف بسبب/ أنَّها تَقَلِّده وهي هو من وجه آخر. ولهذا الرُّوح الَّذي هو عرفان في حال الفاعليَّة أهو «الَّذي يفكِّر» بالأمور الَّتِي يَراها في العالم الأعلى ليَصنع في هذا العالم أجناس الحيوانات الأربعة؟ وأقلَّ ما يُقال فيه هو كأنَّ أفلاطون في سريره يجعل لهذا «المفكِّر» أمرًا/ مُختلفًا عن الأمرين اللذين ذكرهما. مع أنَّ

فلاسفة آخرون يرون أنَّ الثلاثة واحد وأنَّ الحيوان بالذات هو هو الروح «المفكر». أو أنَّ الحال هنا مثلما هو في غالب الأحيان: تختلف الآراء فيختلف التأويل في وضع أمورنا الثلاثة. أما الأمران الأولان فقد انتهينا من القول فيهما. ولكنَّ الأمر الثالث ما هو؟ ما هو هذا الذي «يفكر» بأن يُحدِثَ ويصنع ويقسِّم تلك الأمور التي يراها الروح في الحيوان بالذات؟ ألا، قد يكون المقسِّم هو الروح من وجهه، وقد يكون شيئاً غير الروح من وجه آخر، ولهذا جائز. فإنه هو المقسِّم من حيث إنَّ المتجزئات عنه صادرة. ولكنَّه من حيث إنَّه باقٍ في ذاته لا يتجزأ مع كون المتجزئات (أعني النفوس) صادرة عنه، فإنَّ النفس هي التي تُجري التقسيم وإلى نفوس كثيرة. ولذلك يقول أفلاطون/ إنَّ التقسيم هو عمل الأمر الثالث والأمر الثالث محلّه، أنه يفكر. فليس التفكير عمل الروح، بل هو عمل النفس وهي صاحبة الفعل إذا تجزأ في طبيعة تتجزأ.

٢ إنَّ العلم الواحد يتقسَّم إلى نظريَّات جزئية بدون أن يتفكَّك أو يتبدَّد: نجد ضمناً في كلِّ جزء العلم كلّه وقد اتَّحد أوله بآخره. كذلك يجب في المرء أن يهيئ ذاته بحيث تكون أوائله هي هي أواخره، فيوجّه وجهه بكلِّ ما فيه جملة وتفصيلاً إلى أشرف ما هو في حقيقته. / فإنَّ ثمَّ له ذلك أصبح في العالم الأعلى لأنّه إذا أدرك هذا الأصل الأشرف غداً بالملا الأعلى متصلاً.

٣ إنَّ النفس الكلية لم تتولَّد في ناحية ولم تأتِ إلى ناحية إذ إنَّها لم يكن لها محلٌّ تكون فيه. لكنَّ الجسد جاورها فأصاب منها شيئاً. ولذلك لم يحدث قطُّ لأفلاطون أن يذكر أنَّها في الجسد بل أنَّ الجسد فيها. أما النفوس الأخرى فإنَّ لها أصلاً وهو النفس الكلية، كما إنَّ لها محلاً تهبط إليه وتنقل فيه وهو المحلُّ الذي تنطلق منه في ارتقائها. هذا وإنَّ النفس الكلية في المَلَأ الأعلى، وهي هُنالك فِطْرة وجبلة، ثمَّ يليها العالم الكلِّي سواءً أكان بما يُجاورها منه أو بما كان منه تحت الشَّمْس. فإذا تحرَّكت النفس الجزئية إلى ما هو مُتقدِّم عليها ذاتاً أشعَّ الثور عليها لأنَّها آنذاك في الحقِّ حلَّت. وإن تحرَّكت إلى ما هو متأخِّر عليها ذاتاً سارت إلى ما ليس هو الحقُّ. وهذا ما تفعله عندما توجَّه وجهها لذاتها فإنَّها إذا قصدت ذاتها أحدثت ما هو بعدها، / أعني مجرد أثر منها وهو أثر باطل، فكأنَّها على الفراغ تسير وقد دبَّ فيها الإبهام والغموض. ثمَّ إنَّ هذا الأثر المُبهم الغامض مُظلم كلّه، ليس فيه قطُّ معنى أو روح، شتان ما بينه وبين الحقِّ. أما النفس فهي أثناء ذلك بين بين في محلِّها الخاصِّ. لكنَّها تعود وتلتفت إلى أثرها وكأنَّها تناله مرّة أخرى بلحظة منها فتعمره/ بالصَّورة فتُسرع إليه في سرور.

٤ كيف تنشأ الكثرة عن الواحد؟ لأنّه في كلِّ مكان، وليس قطُّ من مكان لا يوجد فيه فهو

يَمَلَأُ كُلَّ شَيْءٍ إِذَا، وهو بذلك أشياء كثيرة أو بالأحرى هو الأشياء كلها فعلاً. ولو كفى وصفه بأنه هو ذاته في كل مكان لكان هو الأشياء كلها؛ ولكنه يوصف بأنه ليس قط في مكان أيضاً. فالأشياء كلها منه لأنه في كل مكان، ولكنها تختلف عنه من حيث أنه ليس قط في مكان. ولماذا لا يوصف بأنه في كل مكان فقط، بل بأنه، فضلاً على ذلك، ليس قط في مكان أيضاً؟ لأنه لا بد من واحد يكون قبل الأمور كلها وفوقها، فيكون هو مالى العالم كله ومحدثه وليس مع ذلك هو العالم الكلّي الذي أحدثه.

٥ يجب في النفس أن تكون بمنزلة البصر وفي الروح أن تكون فيها بمنزلة المبصر: فهي، قبل أن ترى في حال الإبهام والغموض، ولكنها مَفْطُورَةٌ أصلاً على أن تُعرف بالروح. إنها للروح هيولاه إذا.

٦ إذا عَرَفْنَا ذواتنا عرفاناً بالروح فإننا نُشاهد آنذاك، ولا شك، أمراً عارماً بالروح هو أيضاً، وإلا لكان عُرفاننا كاذباً. فإذا أدركنا ذواتنا بالروح إذا وعرفناها عُرفاناً بالروح أدركنا بالروح شيئاً هو أمر روحاني في صميمه. وإذا كان ذلك كذلك كان قبل هذا العُرفان لذواتنا عرفان في حال السكون. ثم إنَّ العُرفان عرفان ذات موجودة وعرفان حياة، وبالتالي لا بد من ذات أخرى وحياة أيضاً/ قبل الذات والحياة اللتين أدركناهما؛ وهما ذات وحياة لا يُشاهدانها المُشاهد إلا بقدر ما هو فاعلية قائمة بذاتها. فإذا كانت الفاعلية التي تتم في حال عرفان الآدمي ذاته بالروح على وصفنا روحاً هي أيضاً، فالآدمي أمر روحاني حقاً، ويكون عُرفاننا لذواتنا منطوياً على أثر هذه الروحانية.

٧ إنَّ الأوّل هو القوّة الكامنة في الحركة والسكون، ومن ثم فهو قبلهما ووراءهما. أما الثاني فهو ساكن أو متحرك بالنسبة إلى الأوّل، والروح من عالم هذا الثاني. وهو صاحب العُرفان ما دام شيئاً له علاقة بشيء آخر، أما الواحد فلا عُرفان له. والأصل العارف أمر مزدوج حتّى في حال عُرفانه لذاته، فضلاً على أنه يعرف ذاته ناقصاً آنذاك لأنَّ خيره في العُرفان/ لا في القيام بالذات.

٨ إنَّ الوجود بالفعل لكلّ متنفّل من القوّة إلى الفعل إنّما هو ما يبقى هذا المتنفّل عليه هو هو ما دام موجوداً. ومن ثم فإنَّ الكمال مكفول حتّى للأجسام، كالتار مثلاً. إلا أنه ليس بإمكان الوجود هنا أن يدوم، لأنه مُقَيّد بالهيولى. أما الذي ليس مركباً فإنه يبقى دائماً لأنَّ وجوده وجود

هـ بالقوة على أنه، فوق ذلك، قد يكون الشيء الواحد بالفعل من وجه وبالقوة من وجه آخر. /

٩ لا ينبغي في الأول أن يعتقد أنه مدرك ما وراء الحق وفوقه. أما الروح فهو الحقائق وإن في عالمه الحركة والسكون. فإن الأول ليس له قط علاقة بشيء، أما الأشياء فإنها حوله ترتاح وتسكن أو تتحرك. ذلك لأن الحركة شوق، وليس قط في الأول شوق إلى شيء؛ وإلام عسى أن يكون الشوق عند ما هو الأعلى؟ أو لا يعرف ذاته نفسها إذا؟ أو هل يوصف بأنه، إذا ملك ذاته، يعرف ذاته أيضاً؟ ألا، لا يقال في العرفان أنه يملك الذات، بل بالنظر إلى الأول. لا بل إن هذا النظر هو العمل الأول وهو هو العرفان. وإذا كان الأول، فلا عرفان قبله حتماً. ثم إن الأصل الذي يوجد بهذا العمل إنما هو وراءه وفوقه، فلا غرو، إن كان العرفان يليه في المقام الثاني. فإن أولى ما يجدر إكرامه ليس العرفان سواء أكان كل عرفان أو عرفان الخير بذاته، ما دام الخير فوق العرفان. فإن ذلك الأصل لا يتعقب ذاته إذاً. وما عسى أن يكون هذا التعقب لذاته؟ أيكون تعقباً لذاته فيما إذا كان الخير حقاً أو لم يكن كذلك؟ إن كان الخير حقاً فهذا يعني ١٥ أنه هو الخير قبل التعقب لذاته؛ وإن كان التعقب لذاته هو الذي يحدثه خيراً، / فليس قبل هذا التعقب شيء هو الخير، وبالتالي لم يكن هو التعقب أيضاً ما دام هذا التعقب ليس تعقب الخير لذاته. ماذا إذا؟ أليس شيئاً؟ ألا، لا يجوز القول فيه أنه حي ما دام هو الذي يمد بالحياة. إن الذي يتعقب ذاته ويعرف ذاته عرفاناً إنما هو أمر في المقام الثاني؛ وغاية هذا التعقب للذات أن يكون صاحبه / مخلصاً إلى ذاته. وإذا كان يحاول أن يعرف ذاته، فهذا يعني حتماً أنه كان جاهلاً ذاته وأنه كان ناقصاً في حقيقته فأصبح كاملاً بالعرفان. فيجب في الأول أن ينفي عنه عرفان الذات إذاً، لأننا، إذا أثبتنا عرفان الذات له جعلنا فيه سلماً ونقصاً.

المجلد الرابع

التاسع الرابع

فهرسُ التاسوع الرابع

الفصل الاول	(٢١)	: في النفس وفي ما هي عليه في ذاتها	٣٠١
		(المقال الأول)	
الفصل الثاني	(٤)	: في النفس وفي ما هي عليه في ذاتها	٣٠٢
		(المقال الثاني)	
الفصل الثالث	(٢٧)	: في المشكلات المتعلقة بالنفس (القسم الاول)	٣٠٦
الفصل الرابع	(٢٨)	: في المشكلات المتعلقة بالنفس (القسم الثاني)	٣٣٥
الفصل الخامس	(٢٩)	: في المشكلات المتعلقة بالنفس (القسم الثالث) -	٣٧٧
		في الإبصار	
الفصل السادس	(٤١)	: في الإحساس والذاكرة	٣٨٧
الفصل السابع	(٢)	: في خلود النفس	٣٩١
الفصل الثامن	(٦)	: في هبوط النفس إلى الأبدان	٤٠٧
الفصل التاسع	(٨)	: هل النفوس كلها نفس واحدة؟	٤١٥

الفصل الاول

(٢١)

في النفس وفي ما هي عليه في ذاتها

(المقال الاول)

١ إن الذات حقاً إنما تكون في العالم الروحاني؛ والروح أفضل شيء في هذا العالم. وإنَّ فيه نفوساً أيضاً، منه جاءت إلى عالمنا. لكنَّ النفوس في العالم الروحاني ليس لهنَّ أبدان؛ أما في هذا العالم فإنَّ لهنَّ أبداناً وإنهنَّ موزَّعات على الأبدان. والروح كلُّه ههناك، دفعةً واحدة لا تميز فيه/ ولا تجزؤ، كما أن النفوس كلُّها في عالم واحد ليس قائماً في البعد المكاني. أما الروح فلا سبيل للتمييز ولا للتجزؤ إليه أبداً؛ وأما النفس فلا تمييز فيها ههناك ولا تجزؤ، ولكنها قابلة للتجزؤ طبعاً. ويتم تجزؤها بانسحابها من العالم الروحاني وبكونها في البدن: فبالصواب ١٠ يقال فيها إنها تتجزأ/ في الأبدان، لأنها تنسحب كما وصفنا وتتجزأ. ولكن كيف تبقى بدون تجزؤ؟ ذلك لأنها لم تنسحب كلُّها، بل بقي منها شيء لم يُقْبَلْ على هذا العالم، وهذا الشيء هو الذي لا يتجزأ فطرةً وجبلةً. فإنَّ القول بأنَّ النفس مؤلَّفة من التي لا تتجزأ ومن التي تتجزأ في الأبدان إنما يعني نفساً واحدة. وتأويل ذلك أن النفس إنَّما هي/ من العالم الأعلى ثم تجيء إلى العالم الأسفل وهي لا تزال مرتبطة بما بقي منها في العالم الروحاني بعد أن أخذت تجري إلى هذا العالم، مثلما ينبعث الشعاع من مركزه. فإذا جاءت إلى عالمنا لم تنقطع عن لجوئها إلى ذلك الجزء الأعلى منها في مشاهدتها؛ وبذلك الجزء ذاته تحفظ كلُّ ما هي عليه كلاً في صفاته. فإنها، حتى بما هي عليه هنا، لا يقال فيها فقط إنها تتجزأ، بل يقال فيها أيضاً إنها لا تتجزأ. ذلك ٢٠ لأن ما يتجزأ منها لا يتجزأ بأجزاء يفصل عن بعضها الآخر. وإذا أعطت ذاتها للبدن كله،/ فإنها لا تتجزأ بمعنى أنها وهي كل في البدن كله؛ بل إنها تتجزأ بمعنى أنها في كل جزء من أجزاء البدن.

الفصل الثاني

(٤)

في النفس وفي ما هي عليه في ذاتها

(المقال الثاني)

١ عندما بحثنا عن النفس في ذاتها ما عسى أن تكون أثبتنا أنها ليست جسمًا، وأنها، بين الأمور المنزهة عن الجسمية، ليست تناسقًا بحال. أما القول بأنها التكميل لِمَا هو بالقوة فإنَّه ليس قولًا صحيحًا بالوجه الذي ذُكِرَ عليه، ولا يكشف عن النفس ما هي في ذاتها، فعدّلنا عنه. وأما قولنا في هذه الذات أنها حقيقة روحانية وأنها من مقام اللاهوت، فقد يكون قولًا على جانب/ من الواضح لا يستهان به. ومن الخير لنا مع ذلك على الأقل أن نتجاوز هذا الحد في بحثنا. كنا قد قسمنا الأمور إلى حسيّات وروحانيات، وجعلنا النفس من ناحية الروحانيات. أما الآن فإنَّ مقتنعين بأنها من عالم الروح، ونسعى من طريق أخرى، إلى المزيد من البحث عما يلزمها في حقيقتها. / فنقول إذًا: إنَّ من بين الأمور ما هو مجزأ أصلاً، وهو بفطرته وجبلته شتيت. وليس الجزء من هذه الأمور هو الجزء الآخر أو الكل، فضلاً على أن الجزء فيها أقل من الكل والجملة حتمًا. وتلك هي المقادير الحسيّة والأحجام التي يشغل كل فرد من أفرادها/ محله الخاص، فيستحيل عليه أن يكون هو هو في أمكنة مختلفة معًا. ويقابل تلك الأمور ذات لا سبيل للتجزؤ إليها مطلقًا، لا هي بالمجزئة ولا بالقابلة للتجزؤ، كما أنه ليس للبعد إليها سبيل أيضًا، حتى ولو كان في الذهن. لا تحتاج إلى مكان وليست قطّ في أمر من الأمور لا جزءًا ولا كلاً. / فكانها تقوم مستوية على الأمور كلها لتجد فيها لها مستندًا بل لأنه ليس بوسع غيرها من الأمور أن يكون في غنى عنها، كما أنه ليس ذلك مراده. إنها ذات ثابتة دائمًا مع ما هي عليه، أمر مشترك بين كل ما يليها مثل المركز في الدائرة. منه تنبعث الأشعة متجهّة نحو المحيط وهي لا تزال مرتبطة به، / وتدعّو مع ذلك باقيا هو هو في ذاته ولو كانت عنه تنشأ ومنه تستمدّ كيانها. فإنها من نقطة المركز تنال ما لديها، وأصلها هو تلك النقطة التي لا تتجزأ. وأقل ما يقال في الأشعة أنذاك أنها من المركز تنطلق وهي لا تزال مرتبطة به. لدينا إذًا ذلك الذي لا يتجزأ أصلاً وهو يستوي مشرقًا على الروحانيات والحقائق، / ومن ناحية أخرى ذلك الذي يقبل التجزؤ مطلقًا وهو بين المحسوسات. إلّا أن قبل المحسوس وفي جواره أمرًا آخر، بل إن في هذا

المحسوس ذاته: صحيح أنه يقبل التجزؤ ولكنه ليس كذلك أصلاً، مثل الأبدان إنما يصبح متجزئاً إذا حلّ في الأبدان. ومن ثم فما دامت الأبدان مقسّمة، فإن المثال الذي يحلّ فيها ٣٥ يتجزأ هو أيضاً/ غير أنه يبقى بكامله في كل متجزئ من المتجزئات، فيصبح كثيرًا وهو واحد. وما دام قد أصبح متجزئًا تجزؤًا مطلقًا، فإن كل جزء منه يكون منفصلاً عن غيره انفصالًا تامًا. مثل ذلك مثل ما يتم في الألوان والصفات وفي كل شكل وهيئة. فإن كل هيئة بوسعها أن تكون ٤٠ كاملة في أشياء كثيرة بعيدة بعضها عن بعض، ولا تجد لها قطّ جزءًا يفعل بانفعال غيره. / يجب في هذا الأمر أن نفترضه قابلاً للتجزؤ على وجه الإطلاق إذا. إلّا أنّا نجد فوراً إلى جانب الذات التي لا تتجزأ قطّ، ذاتاً أخرى تُشتقّ منها أيضاً. فهي من حيث اشتقاقها من الذات الأولى، لا تتجزأ بحال؛ إلّا أنها، ما دامت تتعد من هذه الذات وتقرب من الذات الثانية المقابلة، فهي ٤٥ تستقيم متوسطة بين الذاتين: الأولى التي لا تتجزأ/ والذات التي تتجزأ مع الأجسام وفيها. على أنها حينذاك لا يكون شأنها شأن اللون والكيف بوجه قطّ. فإن الكيف، إذا كثرت أحجام الأجسام التي يحلّ فيها، يبقى هو هو في كل ناحية من نواحي هذه الأحجام الكثيرة. بيد أنه في كل جزء، بعيد كل البعد عنه في الجزء الآخر، وبقدر ما أن حجم الأول بعيد عن حجم الثاني. ٥٠ أجل قد يكون الكمّ واحداً،/ ولكن أقل ما يقال عن الكيف الواحد في كل جزء من الأجزاء هو أنه لا يفعل بانفعال مشترك واحد، لأن هذا الكيف الواحد هو شيء في جزء وشي آخر في الجزء الآخر. فإن ما هو واحد هنا هو تكييف عارض وليس ذاتاً. أما الحقيقة التي تقول عنها أنها فوق الذات التي تتجزأ، وفي جوار الذات التي لا تتجزأ فإنها هي ذات أيضاً. وهي ذات تحلّ في ٥٥ الأبدان،/ فإذا أصبحت في الأبدان طراً عليها التجزؤ، وهو حال لم تكن لتكتفي به أولاً، وقبل أن تعطي ذاتها للأجسام. ثم إذا حلّت في الجسم ولو كان الجسم الأكبر الذي يشمل الأجسام كلها، فإنها تعطي ذاتها لهذا الجسم كلاً بدون أن يبطل كونها واحدة، ولا يكون ذلك بمعنى أن ٦٠ يكون الجسد واحداً: فإن الجسد واحد باتصال أجزائه،/ أما أجزاؤه فمختلف بعضها عن بعض ولكلّ محله. كما أنه ليس بمعنى أن يكون الكيف واحداً. فإن ذلك الأمر الذي يصحّ عليه القول بأنه يتجزأ ولا يتجزأ في آن واحد، والذي نسمّيه النفس، ليست وحدته مثل وحدة الشيء المتّصل المختلفة أجزاؤه. بل يقال عن النفس أنها تتجزأ لأنها في كل جزء من أجزاء البدن ٦٥ الذي تحلّ فيه، ويقال عنها أنها لا تتجزأ لأنّها/ كلّها في الأجزاء كلّها، وفي كل جزء على حياله أيضاً. فإذا أدرك المرء ذلك أدرك عظمة النفس وقدرها، وفهم أن أمرها أمر ربّاني عجيب وهو فوق ما يكون عليه أمر الأشياء الأخرى كلها. إنها لا تقدّر بمقدار، وهي مع كل مقدار، هي ٧٠ هنا، ولكنها هناك أيضاً لا على أنها غيرها بل/ على أنها هي هي. ومن ثم فإنها مجزأة وغير مجزأة أيضاً، أو بالأحرى مجزأة في ذاتها ولا تتجزأ. فإنها تبقى كلها دائماً مع ذاتها، وإذا

تجزّأت في الأجسام فبالتجزؤ الذي يلزم الأجسام لزومًا خاصًا، وما دامت هذه الأجسام ليس
٧٥ بوسعها أن تتلقاها وهي غير مجزأة. ومن ثم فما التجزؤ إلا انفعال/ يتم على الأجسام وليس
على النفس ذاتها.

٢ يجب في حقيقة النفس أن تكون على ما وصفناها إذا. فليس في جانبها ما يمكن أن
يكون نفسًا لا تتجزأ فقط أو تتجزأ فقط، بل يجب فيها أن تكون كلا الطرفين معًا بالوجه الذي
ذكرناه. ويدل على ذلك ما يلي: نقول أولاً أنه لو كانت النفس مثل الأجسام، وكانت تقوم
بأجزاء/ يختلف بعضها عن بعض، لكان الجزء منها يفعل ثم لا يشعر الجزء الآخر به وهو
منفصل. فالذي يشعر بالانفعال آتئذ إنما هو النفس الجزئية، كالنفس التي تكون في الأصبع
مثلاً، وهي تفعل لكونها جزءاً من النفس يختلف عن غيره وقائماً في ذاته. مما يؤدي بوجه عام
إلى القول بنفوس كثيرة فينا لكل نفس جزؤها تقوم بتدبيره، وإلى القول فوق ذلك بأنه ليس
١٠ للعالم الكلي نفس واحدة، بل نفوس بعدد/ لا نهاية له، منفصل بعضها عن بعض. والقول بأن
الوحدة تتم باتصال بعض الأجزاء ببعضها الآخر قول عبث ما لم تنته إلى ما هو واحد حقاً. فإنه
لا يجوز أن نتلقى برحابة صدر ما اغترّوا به وذهبوا إليه إذ ادّعوا أن الإحساس إنما تتدافعه أجزاء
النفس جزءاً جزءاً حتى ينتهي إلى الجزء الراجح فيها. فالقول بجزء لدى النفس يكون راجحاً فيها
قول لا يقوم على بحث دقيق؛ هذا أولاً. ولعمري، كيف يجزؤون النفس فيميزون فيها الجزء
١٥ عن الآخر/ ثم يتيّنون الجزء الراجح بينهما؟ ما هو المقدار الذي يعمدون إليه ليفرقوا بين
الجزئين، وما هو الفرق في الكيف ما دام الكل بحجم واحد متّصل ببعضه ببعض؟ ثم هل
يكون الشعور للجزء الراجح أم تشعر معه الأجزاء الأخرى أيضاً؟ وإذا كان الراجح هو الذي
٢٠ يشعر وحده، ووقعت المحسوسات عليه فأين يكون محلها حتى يحسّ به؟ وإذا وقع
المحسوس على جزء آخر من النفس، غير مفلّو على أن يحسّ، فإن هذا الجزء لن يدفع
انفعاله إلى المترجّح، ولن يتمّ قطّ إحساس. هذا وإن وقع المحسوس على الراجح، فإنما أن يقع
٢٥ على جزء من أجزائه، فيحس هذا الجزء ثم لا تحس الأجزاء الباقية، إذ لا فائدة من إحساسها؛/
أو تكون الإحساسات كثيرة ذات عدد لا نهاية له، لا تكون متشابهة كلها. بل يقول أحدها:
«إنني أول ما وقع عليه الانفعال»؛ ويقول آخر: «إنني إحساس بانفعال طراً على غيري». أما
محل الانفعال فتجهله كلها ما عدا الأول. بل قد يغتر كل جزء من أجزاء النفس فيظن
٣٠ الانفعالات واقعة حيثما يكون هو./ أما إذا لم يكن العنصر السائد لشعر وحده، بل كان
كل جزء من أجزاء النفس يدرك بالإحساس هو أيضاً، فما بال ذلك الجزء ينفرد بالسيادة فلا
تكون لغيره؟ لماذا يجب في الإحساسات أن ترتقي إليه؟ وأتى له أن يستخرج من إحساسات

٣٥ كثيرة، كإحساسات البصر والسمع مثلاً، شيئاً واحداً يدركه؟/ هذا ولنفترض الآن أن النفس واحدة من كل وجه، وكأنها شيء لا يتجزأ ثابت واحداً في ذاته، جُرد عن كل ما هو من قبيل الكثرة والتجزؤ. فإن ما يكون في قبضتها آنذاك ليس ذا نفس كله. بل تغدو النفس من الفرد الجزئي وكأنها استقرت في مركزه وتركت حجم الحيوان بكامله وهو لا نفس له. إنه يجب في النفس إذاً أن تكون واحدة وذات كثرة شيئاً يتجزأ ولا يتجزأ،/ كما أنه يجب ألا نعتقد في الشيء أنه يستحيل عليه أن يكون هو هو وواحداً في نواح متعددة. وإذا كنا لا نسلّم بذلك، فإننا ننفي وجود ذلك الأمر الذي يشمل بحضوره الأشياء كلها ويدبرها. فهو الذي يحيط بالأشياء كلها معاً

٤٥ ويصرفها بحكمة. إنه ذو كثرة ما دامت الأشياء كثيرة، ولكنه واحد،/ حتى يكون المحيط بكل شيء واحداً. يوزع الحياة على الجزئيات كلها بوحده الكثيرة الوجوه، ويسوق هذه الجزئيات تدييراً وحكمة بوحده التي لا تتجزأ. هذا ويقلده في تدبيره الأصل الواحد السائد في الأشياء العديدة الحكمة والفتنة. هذا هو معنى اللغز الرباني من الذات التي لا تتجزأ، الباقية دائماً في ما هي عليه،/ ومن الذات التي تجزأت في الأجسام، أحدث الصانع بمزجه الأولى بالثانية ذاتاً من نوع ثالث. فالنفس واحدة وذات كثرة بهذا المعنى، على أن المُثل في الأجسام كثيرة، وكل منها واحد في ذاته، والأجسام كثيرة فقط؛ أما الأعلى فهو واحد فقط.

الفصل الثالث

(٢٧)

في المشكلات المتعلقة بالنفس (القسم الأول)

١ إن البحث في النفس جدير بالاهتمام حقًا سواء أقصدنا به الأمور التي أشكلت علينا وكان علينا أن نجد لها حلًا، أم وقفنا عند هذه الإشكالات ذاتها، ولم نستفد من عملنا سوى تبين مواطن الإشكال فيها.

ولعمري أي بحث أجدر من البحث في النفس بأن يقضي الوقت فيه من يريد الاسترسال في الحديث/ والإسهاب في التدقيق؟ فبين الدواعي الكثيرة المختلفة التي تدفعنا إليه هو أنه يفيدنا معرفة من وجهين: معرفة ما هو للنفس أصلها، ومعرفة ما هو من النفس أصله. فضلًا على إنا، إذا قمنا بهذا البحث، إنما نلبي دعوة الله، إلى أن يعرف كل منا نفسه. هذا وما دمتنا نريد أن نبحت عن الأمور الأخرى وأن نجد لها حلًا، فأول ما يجب علينا هو أن ننقب عن القوة الباحثة ما هي؛ ولا سيما أن رغبتنا على أشدها إنما هي في أن ندرك من بين مشاهداتنا أحبها إلينا. إن الاثنينية التي أشرنا إليها آنفًا كانت في الروح الكلي ذاته، فلا غرو إن وجدنا في الأمور الجزئية ما يكون في الوجه الأول راجحًا، وما يكون على الوجه الثاني. أجل، لا بُدَّ من البحث عن النفس كيف تتلقَّى الآلهة. ولكنه بحث نرجئه حتى نعالج مسألة/ النفس كيف تكون في البدن. أما الآن فلنعد إلى الذين يقولون عن نفوسنا أنها هي أيضًا تُشتق من نفس العالم الكلي، إنهم يدعون أن انتهاء نفوسنا إلى ما تنتهي إليه نفس العالم الكلي، وأن تماثلها بالروحانية (على افتراض، اللهم، أنهم يسلّمون بهذا التماثل). كل هذا ربما لم يكن كافيًا لينفي عن نفوسنا كونها أجزاء من نفس العالم الكلي،/ ذلك لأن الجزء متجانس مع الكل، فيما يقولون. ثم يُدّلون بعد ذلك، بما ورد عند افلاطون إذ يقول في إثباته أن للعالم الكلي نفسًا: «مثلما أن جسدنا هو جزء من العالم الكلي، فإن نفسنا هي جزء من نفس/ هذا العالم أيضًا». كما وقد ورد لديه وثبت بوضوح أننا تابعون لحركة الكل الدورية، وأننا من ذلك نتلقَّى طبعًا ومقدوراتنا، وما دمنا داخل الكل وفيه فإننا نأخذ نفوسنا منه، الذي هو يحيط بنا. ثم يقولون أن ما لدى كل جزء منا، إنما يصله من نفسنا؛ فكذا نحن أيضًا وعلى القياس ذاته،/ ما دمنا أجزاء في الكل،

نأخذ نفوسنا من نفس الكل على أنها أجزاءها. ويدعون أخيراً ما ورد عنده من «أن النفس الكلية تشمل بعنايتها كل ما ليس فيه نفس» إنما يعني الأمر نفسه أيضاً. وقصارى الكلام أنهم يزعمون ٣٥ في أفلاطون أنه لا يدع شيئاً من قبيل النفس بعد النفس الكلية/ وغريباً عليها: فإنها هي التي تشمل بعنايتها كل ما لا نفس له.

٢ عن كل ذلك نجيب أولاً بما يلي: إنهم يجعلون النفسين متجانستين ما داموا يسلّمون بأنهما تدركان أشياء واحدة. وهذا يعني أنهم يعتقدون في النفسين أن لهما جنساً مشتركاً مما ينفي القول عن كل منهما بأنه جزء. ولكم كانوا إلى الصواب أقرب لو قالوا في النفس ذاتها إنها ٥ في آن واحد، نفس واحدة/ وكل نفس على حياها. وإذا جعلوا النفس واحدة أرجعوها إلى أصل آخر ليس نفس هذا الشيء أو ذاك، بل ليس نفس شيء قط، لا نفس العالم ولا نفس أي شيء آخر. فإنما يصنع هو نفس العالم ونفس كل ما فيه نفس مهما يكن نوعه. والقول الصواب في الأمر هو أن النفس كلاً ليست نفس شيء معيّن، ما دامت على الأقل ذاتاً. أو فلنقل أنه ثمة نفساً ليست نفس شيء معيّن قطعاً. أما النفوس التي تكون نفوس أشياء معيّنة، فإنما تصبح ١٠ كذلك عن طريق العرض بوجه عام./

ربما كان لزاماً علينا في معالجتنا لمثل هذه الأمور أن نزيد جلاء فهمنا للجزء بأي معنى يقال. فإن الجزء يقال في الأجسام سواء أكان الجسم متجانساً أو غير متجانس. وهذا معنى لا بدّ من العدول عنه هنا، على أن نلاحظ فقط ما يلي: وهو أن الجزء إذا قيل في الأشياء المتجانسة ١٥ الأجزاء، إنما يُنظر إليه جزءاً من حيث الحجم لا من حيث النوع،/ مثلما هو الأمر في البياض. فإن البياض في قِدْرٍ من اللبن ليس جزءاً من بياض اللبن كله. هو بياض الجزء وليس جزء البياض، إذ أن البياض لا مقدار له ولا كم. هذا وحسبنا ما ذكرناه عن الجزء في الأجسام. أما إذا ذكرنا الجزء على ما يكون في غير الأجسام، فإنه يعني آنذاك مثلما نعني بقولنا في الأرقام أن الاثنين جزء من العشرة مثلاً. على أننا لا نقصد هنا إلا الأرقام المجردة. أو أنه يعني ما نعنيه بالجزء من الدائرة أو الخط، أو بالنظرية على أنها جزء من علم خاص. فشان الوحدات ٢٠ الحسابية والهيئات الهندسية شأن الأجسام حتماً: إنها تقلّ كلاً/ بتجزئتها إلى أجزاء، كما أن الجزء في كلّ منها هو أقل من الكل. وما دامت كميات وما دام كيانها قائماً في الكم ولم تكن هي الكم بالذات، فإنها في حكم الكثرة والقلة حتماً. فالجزء بهذه المعاني كلها لا يقال على ٢٥ النفس بحال. إنه ليس كما بمعنى أن نفس الكل عشرة/ وأن النفس الجزئية هي وحدة فردية. ففي هذا القول هذان من وجوه كثيرة مختلفة: وأولاً ليست العشرة شيئاً واحداً فرداً؛ ثم إنه إما أن تكون كل وحدة من تلك الوحدات الفردية نفساً، وإما أن تكون النفس مؤلفة من أجزاء لا

نفس فيها كلها . فضلاً على أنهم يسلّمون بأن الجزء من النفس الكلية متجانس معها . هذا وإنّا
 ٣٠ نَعْلَمُ أن الجزء من الكمّ المُتَّصِل لا يجب فيه حتماً أن يكون مثل الكل . / فليس الأمر كذلك في
 جزء الدائرة أو المربع مثلاً . فلنقل على الأقل أن الأجزاء لا تكون متماثلة في الأشكال الهندسية
 التي يؤخذ منها الجزء مثلما يؤخذ المثلث من المثلثات ، بل تكون متباينة . مع أنهم يجعلون
 النفس الكلية متجانسة مع أجزائها . أجل إنَّ شأن الجزء في الخطّ أن يكون خطأ هو أيضاً ؛ لكنه
 ٣٥ يختلف عن كله بالمقدار / هنا أيضاً . وإذا قلنا في النفس أن الفرق بين الجزئية منها والكليّة إنما
 هو بالمقدار ، كانت النفس شيئاً جسماً ذا كمّ ، وكان الكمّ هو الذي يميّزها من حيث هي نفس .
 مع أن المفترض في النفوس هو أنها متماثلة كلها ، وإنَّ كلاً منها كلّ قائم بذاته . لقد تبيّن أن
 ٤٠ النفس الكلية لا تتجزأ مثلما تتجزأ المقادير إذاً . / وإنهم هم ذاتهم لا يذهبون إلى أن النفس كلية
 تنقطع هكذا إرباً إرباً . وإن فعلوا فقد أعدموها وأصبحت هي إسماً ليس أكثر . إلا إذا كانت يوماً
 ما أصلاً كلياً ثم نفذ ، مثلما يكون الأمر في الخمرة لو قسّموها إلى أقدار كثيرة ثم قالوا عن كل
 قدر في كل قارورة انه جزء من الخمرة كلها .

٤٥ أ تكون النفس جزءاً بمعنى ما يقال عن النظرية في علم خاص / أنها جزء من هذا العلم
 على أنه كل؟ أو تكون النفس الكلية مثل العلم آنذاك وهو باقٍ ضمناً في ذاته لا يناله نقصان ،
 والتجزؤ منه كأنه انبثاق وتحقيق لكل جزء من أجزائه؟ فيشتمل كلّ جزء ضمناً على العلم كله
 حيثئذ ، ويبقى مع ذلك العلم كله على حاله . ولكن إذا كان الأمر كذلك في ما هو بين النفس
 ٥٠ الكلية والنفوس الجزئية الأخرى ، / فإن النفس الكلية ذاتها ، ما دامت أجزاؤها على ما وصفنا ،
 لا تكون نفس شيء بل تكون قائمة هي في ذاتها . فلا تكون نفس العالم الكلي ، بل تكون نفساً
 جزئية هي أيضاً ، مثل غيرها من النفوس القائمة في جزء . وما دامت هذه النفوس متجانسة ،
 فإنها كلها أجزاء نفس واحدة إذاً . ولكن كيف تكون للعالم نفسه من ناحية ، ولأجزاء العالم
 نفسها من الناحية الأخرى؟

٣ أ تكون أجزاء النفس الكلية بمعنى ما يقال في الحيوان الواحد أن النفس التي في
 الأصبع هي جزء النفس التي تكون في الحيوان كله؟ إن أقل ما يقال في كلام مثل هذا هو أنه
 يجعلنا بين أمرين : فإما أنه ليس من نفس لتكون خارج البدن ، وإما أن كل نفس لا تكون في
 ٥ بدن ، بل تكون النفس التي نسمّيها النفس خارج الكلية جسم العالم . / وهذا أمر لا بدّ من
 البحث فيه . أما الآن فيجب أن نكشف عن المعنى الذي يشير إليه مثلنا .

فلنفترض أن نفس الكل تعطي ذاتها لكل حيوان جزئي إذاً ، وأن النفس الجزئية جزء
 بذلك المعنى الذي ذكرنا . فإذا كان ذلك كذلك وتقسّمت النفس الكلية ، فإنها لا تعطي ذاتها

لكل حيوان، بل تبقى هي هي أينما كانت، واحدة بكمال ذاتها، وهي بذاتها مع ذاتها مهما كثر
 ١٠ عدد ما تحلُّ فيه. / ولكن هذا لا يسوِّغ القول بأننا لدينا النفس الكلية من ناحية وجزءها من
 الناحية الأخرى، ولا سيما أن القول «هي ذاتها» متوقِّفٌ لدى الطرفين. ثم إذا كان لجزء عمل
 وللجزء الآخر عمل آخر مثلما هو الأمر في العين والأذن، فلا يجب القول بأن الجزء من النفس
 الذي يقوم بالمشاهدة غير الذي يشرف على السمع. فإن توزيعاً مثل هذا التوزيع قد يذهب إليه
 ١٥ غيرنا. بل إن الأصل الفاعل هو هو ذاته، / ولو اختلفت القوة الفاعلة في كلتا الحالتين، لأنك
 تجد في كليتهما القوى كلها. ولكن الأعضاء تختلف فتختلف الإدراكات، وهي كلها إدراكات
 مُثَلٌّ مِنْ شأنها أن تكون منسَّقة بالنسبة إلى هيئة واحدة بوسعها أن تتكيف بالهيات كلها.
 ٢٠ والذي يشهد على ذلك هو أنه من شأن المَثَلِّ كلها أن تتوجه كلها نحو قطب واحد حتمًا. /
 فالعجز عن تلقي المَثَلِّ كلها إنما هو أمر يعود إلى الأعضاء التي نُدرِكُ بها، حيث ترد الانطباعات
 مختلفة الوجوه. أما الحكم في كل ذلك، فيصدر عن الأصل الواحد ذاته، وهو كالقاضي الذي
 يدرك بمعرفته الأقوال والمعاملات. أما كينونة النفس واحدة أينما كانت فقد ورد القول فيها،
 كما ورد في أن أعمالها مختلفة. وإذا كانت نفوسنا الجزئية منها بمنزلة الاحساسات من
 ٢٥ نفوسنا، / فلن يتمَّ للنفس الجزئية الواحدة أن تعرف هي بذاتها، فما تتم المعرفة إلَّا للنفس
 الكلية. ذلك لأنه لو كان العرفان خاصة من خواص النفس الجزئية، لاستقامت كل نفس جزئية
 في حدِّ ذاتها. ولكن ما دامت النفس ناطقة، وهي كذلك بالذات مثلما يقال فيها إنها النفس
 الكلية، فإن ما نسميه جزءًا هو هذه النفس الكلية بالذات لا جزءًا منها على أنها كلُّ له أجزاء.

٤ والآن، إذا كانت النفس واحدة بالمعنى الذي شرحناه، فما الجواب لسائل أشكلت عليه
 أمور في أقوالنا؟ فهل يمكن أولًا في الشيء أن يكون كذلك واحدًا في الأشياء كلها معًا؟ ثم ما
 القول في النفس إذا كانت في البدن من ناحية وليست فيه من ناحية أخرى؟ قد يستلزم الحال أن
 ٥ تكون النفس كلها في البدن دائمًا، ولا سيما نفس الكل. لأنه / لا يصحَّ عليها ما يقال عن نفوسنا
 أنها تغادر البدن. على أن بعضهم يذهبون إلى أن نفوسنا تغادر بدنها من غير أن تبقى مطلقًا خارج
 بدن. ونحن نفترض مع ذلك أنها ستكون يومًا خارج البدن مطلقًا، فكيف تغادر هذه النفس
 البدن، ثم لا تغادره الأخرى ما دامت النفوسان نفسًا واحدة في ذاتها؟ أما الروح، فإنه متمايز في
 ١٠ ذاته الغيرية تبعًا لأجزاء يختلف / بعضها عن بعض أشدَّ الاختلاف وهي معًا دائمًا. ويتمُّ ذلك
 عليه لأنه ذات لا تتجزأ. فليس في قولنا السابق، إذا أطلق على الروح، ما يورث قطَّ إشكالًا.
 ولكن ما أكثر ما يشكل علينا قولنا عن النفس التي وُصفت بأنها «تتجزأ بتجزؤ الأبدان»: إن
 ١٥ النفوس كلها شيء واحد. إلَّا إذا جعلنا الرُّوحَةَ قائمة في ذاتها غير واقعة على الأجسام. / ثم

تخرج منها النفوس كلها، نفس الكل والنفوس الأخرى. فتبقى معًا وموحدة ما دام كل نفس منها ليست نفس شيء قط. ثم لا تزال مرتبطة بمعالم حدودها، متجمعة بعضها إلى بعض، موجهة وجهها إلى العالم الأعلى وهي تبعث ارتساماتها إلى كل صوب وناحية. فمثلها آنذاك ٢٠ مثل نور موجه نحو الأرض حيث يتوزع على منازل الناس / وهو لا يتجزأ بل يبقى واحدًا لا يناله في ذاته نقصان. أما نفس الكل فتبقى دائمًا مشرفة من عل لأنها ليس لها شأن تنزل إليه لا لتنحي على ما تحتها ولا لتقلب إلى أمور هذا العالم. أما نفوسنا فإن لها نطاقًا محدودًا في هذا العالم وارتدادًا إلى ما يحتاج إلى اهتمامها به. والنفس بهذا المعنى - وأعني بها أسفل ما يكون من نفس الكل - / كأنها نفس دوحة عظيمة، تدبّر شؤونها دائبة صامته. أما أسفل ما يكون في نفوسنا فأنما هو بمنزلة الديدان فيما لو نزلت الديدان في جزء فاسد من الدوحة إذ أن الجسم ٢٥ الذي فيه نفس هو كذلك في العالم الكلي. هذا وإن جانب نفسنا الآخر الذي يجانس / جانب النفس الكلية الأعلى. فمثلته مثل الفلاح لو انصرف إلى الاهتمام بالديدان في الشجرة وأخذ يعتني بالشجرة. أو أنه مثل الرجل الصحيح البدن فيما لو قيل عنه أنه بين قوم صحيحة أبدانهم، فيكون في ما هو إليه من عمل أو مشاهدة؛ فإذا أصابه المرض وانقلب يعالج بدنه أصبح مهتمًا بأمور بدنه ووقف ذاته لها.

٥ ولكن كيف يقال بعد ذلك أن لك نفسك ولهذا نفسه ولغير كما نفسه؟ أتكون (النفس الواحدة) عند هذا بجانبها الأسفل، وأما بجانبها الأعلى فليست لهذا بل لذاك؟ إذا كان الأمر كذلك فإن أقل ما يقال فيه أيضًا هو أن سقراط موجود ما دامت نفس سقراط في البدن؛ وأنه يندم عندما تصبح نفسه بتمام المعنى في العالم الأفضل. إلا أنه لن تغني من الحقائق حقيقة أبدًا. / ثم إن الأرواح في العالم الأعلى لن تغني في شيء واحد لأنها ليست مجزأة بالتجزؤ ٥ الجسمي؛ بل يبقى كل منها في مخالفته لغيره وفي ما هو عليه بذاته. وكذلك القول في النفوس. إن كل نفس مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بروح جزئي. فهي لهذا الروح عقله وقد مضت أبعد منه مدى في تطورها وانسباطها، / مثلما يخرج الكثير من القليل. فلا تزال آتنة مقيدة بأصلها القليل هذا، وهو أشد مناعة منها على التجزؤ، في حين أنها أرادت هي أن تتجزأ. ولكن ليس بوسعها أن تنتهي إلى التجزؤ الكامل، فتحفظ بما هي عليه في ذاتها وبما يميزها عن غيرها، وتبقى كل نفس في وحدتها وتكون النفس كلها نفسًا واحدة. لقد ثبت الآن فحوى هذا البحث إذًا: كل النفوس ١٥ مشتقة من نفس واحدة، وهذه النفوس الكثيرة المشتقة من نفس واحدة / إنما هي في حال الروح، أعني أنها مجزأة وغير مجزأة في آن واحد. ثم إن النفس الباقية هي للروح عقله الواحد ومنها تُشتق العقول الجزئية المنزهة عن الهوى، كما هو الأمر في الملائكة الأعلى.

٦ لماذا نقول أن النفس الكلية صنعت العالم، وهي من جنس النفوس الأخرى، ولا نقول ذلك في النفس الجزئية مع كونها منطقية على كل شيء في ذاتها هي أيضاً؟ لقد ذكرنا أن الشيء يجوز فيه أن يحدث وأن يكون/ في أشياء كثيرة معاً. أما الآن فينبغي أن نجيب على سؤالنا فربما تيسر لنا بذلك أن نعرف عن الشيء الواحد كيف يختلف فعله أو انفعاله أو كلاهما معاً باختلاف المحل الذي يكون فيه. على أن هذا أمر يجب أن يُبحث عنه في حد ذاته. / فنقول إذا لماذا وبأي معنى نقول في النفس الكلية أنها صُنعت، ثم نقول في النفوس الجزئية أنها تدبّر شؤون جزء من العالم؟ الواقع هو أننا لا نجب ممن كانوا متساوين في العلم أن يحكم بعضهم على عدد كثير من الناس، وبعضهم الآخر على عدد أقل. ومع ذلك، فربّ سائل يسأل: وما هو الداعي؟ فيقول قائل: ذلك أننا نجد فرقاً بين النفوس أيضاً، لا بل أنه هنا أشدّ منه هناك فربّ نفس لم تنفصل عن النفس الكلية، بل بقيت في الملاء الأعلى وبدنها من حولها. وربّ نفوس أصبَن قدرهنّ من الجسم وهو مجهز كأن النفس اختهنّ قد سخرته لأوامرها وأعدتّ لهنّ منه منازل. ١٥ قد يكون الفرق/ أيضاً في أن النفس الكلية تدرك الروح كلّاً بمشاهدتها في حين أن النفوس الجزئية لا تدرك كل منهنّ إلّا روحها الخاص وهو جزء. وربما كان بوسع النفوس الجزئية أن تصنعن أيضاً، ولكن كانت النفس الكلية قد صُنعت فلم يعد الأمر بوسعهنّ ما دامت نفس الكل قد سبقتهنّ إليه، على أن الإشكال باقي هو هو، فيما لو حلّت محلها نفس أخرى مهما تكن. فإن خير القول في الأمر هو أن النفس الكلية تصنع لأنها أشدّ اتصالاً بالملاء الأعلى،/ إذ أن القوة أعظم في ما يوجّه وجهه لهذا الملاء. لقد يحفظ ذاته أمناً آنذاك فيصدر عمله عن يسر وسهولة: تدفع عنه عظمة القوة الإنفعال في فعله، لأن هذه القوة مستمدة من الملاء الأعلى، فتبقى ثابتة على حالها. فإذا بقيت النفس الكلية في ذاتها صنعت، وأخذت الأشياء التي تصنعها تقترب منها ٢٥ آنذاك. أما النفوس فإنهنّ ينطلقن نحو تلك الأشياء. وما/ دمن يتعدن هكذا، فإنهن هاويات إلى الأسافل حتماً. أو فلنقل أن الكثرة الكامنة فيهنّ تتجرّ هابطة فتجرهنّ مع معارفهنّ إلى الأسافل. ذلك لأن ما ورّد (على لسان أفلاطون) عن النفوس التي من «المقام الثاني أو الثالث» يجب فيه أن يفهم على أنه قبل عن الزيادة في القرب أو البعد. فمثل ذلك مثل ما يحدث لنا عندما لا يتمّ لنفوسنا كلّهنّ أن توجّهنّ وجههنّ بالقدر ذاته إلى الملاء الأعلى. بل منهنّ اللواتي اتحدن به، ومنهنّ اللواتي يرغبنّ فيه/ ويكذّن يقتربنّ منه ليدركنه، ومنهنّ اللواتي ليس لهنّ منه إلّا القليل. وذلك راجع إلى أنهنّ لا يعمدنّ في عملهنّ إلى القوى ذاتها. فنفس تعتمد إلى القوة الأولى، ونفس إلى القوة التي بعد الأولى، وثالثة إلى قوة من المقام الثالث، بالرغم من أنهنّ يملكن جميعاً القوى كلها.

٧ هذا ما نقوله في الأمر إذا. والآن ما هو القول فيما ورد في كتاب «فيليبوس»، الذي
يحتمل أن تؤول النفوس الأخرى هي أجزاء النفس الكل؟ لا يعني الكلام المقصود ما ظنّه
بعضهم؛ بل يدل على ما كان غرض أفلاطون آنذاك وهو أن السماء ذات نفس هي أيضًا.
٥ فيثبت ذلك بقوله أن العقل يسقّه وصف السماء/ بأنها ليس لها نفس، ما دام لكل متنا نفسه
مع أن جسدنا ليس إلّا جزءًا من جسم الكل. فكيف يكون للجزء نفسه ثم يبقى الكل غير ذي
نفس؟ هذا وإنه يعلن عن رأيه بوضوح لا يدع للشك مجالاً في كتاب «ثيماوس» حيث نقرأ أن
الصانع، بعد أن أنشأ النفس الكلية، صَنَعَ النفوس الأخرى. وإنما أخرجهنّ من الكأس ذاتها
١٠ التي مُرِجت فيها وأُخرجت/ منها نفس الكل. وهذا يعني أنه صنع النفوس الجزئيات
متجانسات مع النفس الأولى، ولم يميّز بينهما جميعاً إلّا بأن يكون بعضها في المقام الثاني
وبعضها في المقام الثالث. وماذا نقول عمّا ورد في كتاب «الفيدرس» من أن «النفس الكلية
تعتني بكل ما ليس له نفس؟» ولعمري، ما عسى أن يدبّر سوى النفس شؤون البدن، ويكوّنه في
١٥ جبلته وينسقه ويصنعه سوى النفس؟ ثم لا يصحّ القول بأن هذا الأمر في/ طاقة النفس معينة
فُطرت له، وليس في طاقة غيرها. يقول أفلاطون: إن «النفس الكاملة» أعني نفس الكل «تجول
في الأعالي ولا تهبط في غمار العالم»، بل تبقى وكأنها مستوية عليه، وهي التي تصنعه. وقد
تُشْرِف على تسييره، أيضًا «كل نفس تمّ لها كمالها في ذاتها». فإذا ذكر إلى جانبها النفس
الأخرى، وصفها بأنها النفس «التي فقدت أجنتها». أما القول بأننا نتبع حركة الكل فمنها
٢٠ نتلقّى/ أمزجتنا وبها نفعل، فإنه قول لا يدلّ بحال على أن نفوسنا أجزاء من الكل. فإن بإمكان
النفس أن تكون شديدة التأثير بطبيعة المكان أيضًا، وبطبيعة الماء والهواء؛ كما أن المنازل في
٢٥ المدن المختلفة والأمزجة في الأبدان تؤثر عليها أيضًا. هذا وقد سبق لنا القول بأننا ما/ دمنا في
الكل فإننا نحصل على شيء من نفس الكل، وسلّمنا بأننا نتأثر بالحركة الدورية. إلّا أنّنا أثبتنا في
مقابل هذه الأمور كلها نفسًا تختلف عنها وتقاومها، دالّة بذلك أشدّ الدلالة على أنها أمر آخر.
أما كوننا مولدين داخل الكل وفيه، فقد ذكرنا أن نفس الجنين في أحشاء أمه تختلف عن نفس
٣٠ أمه، وليست النفس التي تدخل في جسده هي نفس/ أمه.

٨ كذلك نقول في حل هذه الأمور إذا، وهو قول لا تمنع صحته مسألة اشتراك النفوس في
الإنفعال الواحد. فإن هذا الاشتراك في الانفعال ناتج عن النفوس كلهنّ من ذات النفس التي
خرجت منها نفس الكل. وقد قيل إنها أمر واحد وأمور كثيرة معًا؛ كما أنه قيل كيف يكون
٥ الفرق هنا بين الجزء والكل أيضًا. ثم إنّنا بحثنا/ في مخالفة بعض النفس بعضها الآخر بوجه
عام. أما الآن فإننا نريد أن نبين بإيجاز أن بجانب التفاوت بالأجسام، تفاوتًا ينشأ بخاصة عن

الأخلاق والأعمال الفكرية وأطوار الحياة السالفة. فإن أفلاطون يقول في النفوس «إنهنَّ
١٠ يحدّدن اختيارهنَّ تبعاً لأطوار الحياة السالفة». لكن من أدرك/ النفس في حقيقتها إدراكاً
مطلقاً تبيّنت له هنا أيضاً فوارقها كما ذُكرت في المقاطع التي ورد فيها القول عن نفوس
المقام الثاني والثالث. فقد قيل هناك أن النفوس كلهنَّ هنَّ كل شيء إلا أن كل نفس تتكيّف
تبعاً للقوة الفاعلة فيها. فنفس تكون مع الروح بالفعل، وثانية بالمعرفة وثالثة بالرغبة. كل نفس
١٥ تشاهد شيئاً فتكون ما تشاهده وتصير عليه. / فليس الرغد واحداً لدى النفوس كلهن ولا الكمال
أيضاً. إلا أنهن يؤلّفن بنياناً متماسكاً متعدّد الوجوه، (إذ أن العقل الكلي واحد، وذو كثرة
متعددة الوجوه، مثلما أن في الحيوان الذي له نفس، أشكالا متعددة). وإذا كان ذلك كذلك
٢٠ كان الكل بنياناً متماسكاً، ولم تكن الحقائق في شتيت مطلق، / متفرّقا بعضها عن بعض. ثم إنه
ليس للمصادفة وللإتفاق مجال بين النفوس، ما دام ليس لها مجال حتى في الأجساد. ونتيجة
كل ذلك أخيراً هي أن النفوس ذات عدد معيّن. فإنه يجب في الحقائق أن تكون ثابتة في ذاتها،
وفي الروحانيات أن تبقى هي على ذاتها. وفي كلّ منها أن يكون واحداً بالعدد؛ ويجب في
٢٥ الفرد العيني أن يكون كذلك. أمّا في العالم الحسي، فإن طبيعة الجسم تجعل فردية الشيء/ في
جري مستمر لأن الكيان بالمثل لا يتمّ أبداً هنا إلا تقليداً للحقائق، ما دام المثال آتئذ شيئاً مكتسباً
طارقاً. لكن الأمور التي لا تنشأ من تركيب إنّما تقوم بما هي عليه في ذاتها وكلّ منها واحد
بالعدد. فالأمر حاضر أصلاً لا ماضي له لم يكن فيه ولا مستقبل لا يكون فيه. ولنفترض صانعاً
٣٠ يصنع هذه الأمور، / فإنه لن يلجأ في صنعها إلى الهولي. وإذا كان ذلك كذلك وجب عليه أن
يأتي من لدنه بما يكون من جنس الحقائق ممّا يؤدي إلى التغيير فيه تبعاً لصنعه إن زاد أو قلّ في
أنه الحاضر. ولعمري، لماذا يصنّع في زمان ما ثم لا يبقى دائماً على حاله؟ ثم إن صنعه لا يكون
٣٥ ازليّاً ما دام خاضعاً للكثرة أو القلّة في حين أن النفس في نظرنا أزلية. / ولكن كيف تكون شيئاً لا
نهاية له إذا كانت ثابتة في ذاتها؟ ألا، إنها شيء لا نهاية له بقوتها، لأن القوة شيء لا نهاية له؛
ولا يعني ذلك أنها تتجزأ بعدد من الأجزاء ليس له نهاية. فإن الله مثلاً ليس له نهاية. وكذلك
القول في النفوس: ليست النفس في ما هي عليه محدودة بحدّ غريب عليها، وكأنها تُعيّن بكمّ.
٤٠ بل أنها تأخذ هي الكمّ الذي تريده، فلن يحدث لها يوماً/ أن تخرج في امتدادها عمّا هي في
ذاتها. وما كان منها مفلطراً على أن يخترق الأجسام وينساب فيها، تمّ له الأمر وشمل الجسم
كله بانسيابه فيه. على أنه لا يحصل آتئذ انفصال في ذاتها، ولو كانت في الأصبع أو كانت في
القدم. كذلك تكون حقاً في الكل الذي تسلّلت إليه في هذا الجزء من الشجرة أو ذاك ولو قُطِعَ
٤٥ عنها؛ بحيث تكون في الشجرة التي هي الأصل، / وحتى في الغصن الذي قُطع منها. فإن جسم
الكل واحد، والنفس في كل جزء منه على أنها في شيء واحد. فإذا اعترى الحيوان الفساد،

ونشأت عنه أشياء كثيرة بعد فساد، لم تعد تلك النفس نفس الحيوان كلاً في جسمه وهو آنذاك
 ٥٠ ليس لديه ما يتلقاها به، وإلا لما كان ميتاً. لكن الأجزاء التي تخرج من الفساد، / إذا أوشكت أن
 تصنع أحياء جديدة (فهذا الحيوان يتولد من جزء، وذلك من جزء آخر) فذلك لأنها حاصلة على
 نفس. فإن شيئاً لن يكون ثم تكون النفس منسحبة منه، على أنه بوسع بعض الأشياء أن يتلقاها،
 ٥٥ وليس الأمر بوسع بعضها الآخر. ولا يعني هذا أن ما أصبح كذلك بنفس زاد في عدد النفوس /
 إذ أن نفسه ترتبط بالنفس الواحدة التي تبقى واحدة. مثل ذلك مثل ما يتمّ فينا إذا قُطعت منا
 أجزاء وحلّ محلها أجزاء أخرى: فإن النفس تنسحب من الأجزاء المقطوعة وتُقبِلُ على
 الجديدة، ما دامت هي الواحدة الباقية في جسدنا. والواقع هو أن في العالم الكلي نفسه
 الباقية دائماً. أما الأشياء القائمة فيه، فمنها ما هو حاصل على نفس ومنها ما يتخلّى عنها،
 ٦٠ على أن القوى النفسانية تبقى هي هي على حالها أثناء كل ذلك. /

٩ ولكن يجب أن نبهت الآن عن النفس كيف تُقبِلُ على الجسد. ما هو نوع إقبالها وكيف
 يتمّ؟ ليس هذا الأمر أقلّ جدارة بتعجبنا منه وتفحصنا له. نقول إذاً: إن دخول النفس في الجسد
 يتمّ على وجهين: الأول دخول نفس كانت في جسد، فتبدّل حينئذ جسدًا بجسد. كما أنها قد
 ٥ تخرج من جسم / هوائي أو ناري وتدخل في جسم أرضي. ولا يقال عن هذا الانتقال إنه تبدّل
 جسد بجسد لأنّ لا نرى الجسم الذي انسحبت النفس منه لتدخل في الجسم الثاني. ثم إن
 الدخول يكون على الوجه الثاني عندما تخرج النفس من عالم المنزهات لتدخل في جسم ما،
 فتصل آنذاك بالجسم للمرة الأولى. وعندها يحقّ لنا أن نبهت عن انفعال النفس ما عساه أن
 ١٠ يكون عندما تتلفّع / هذه النفس بطبيعة الجسم وهي إذ ذاك في حال البراءة النائمة من الجسمية.
 أمّا نفس العالم الكلي - ولا بدّ من أن يخطر لنا أن نستهلّ قولنا بها، بل إن ذلك أمر لا مناص
 منه - فيجب أن نعتقد في كلامنا عن دخولها الجسم أنه كلام غاية مجرد التعليم والتوضيح. فإن
 ١٥ وقتاً كان العالم الكلي فيه بدون نفس، لم يكن قطّ ولا كان وقت استوى الجسم فيه وإن النفس
 لغائبة عنه، أو استوت الهيولى وهي خالية من معالم. ولكن بوسع الفكر أن يُفصّل بعض هذه
 الأمور عن بعضها الآخر ذهناً، ويجوز لنا أن نحلّل كل مرّكب إلى عناصره بالذهن والتفكير.
 ٢٠ فإليك الآن الحق الصراح في الأمر. إن لم يكن جسم، / فليس من نفس لتقبّل على شيء ما
 دامت ليس لها محل آخر تحلّ فيه فطرة وجيلة. وإن كانت النفس لتقبّل على شيء، أنشأت لها
 محلاً، وبالتالي جسماً لا محالة. فبينما كانت النفس مخلدة إلى سكونها وهو سكون قائم في
 ٢٥ السكون بالذات، إذا بشيء كأنه ضياء عظيم يشعّ من جوانب النور في أقصاها ويصير ظلاماً. /
 ورأت النفس الظلام وقد نشأ، فخلعت عليه الهيئة. ذلك لأنه لا يجوز في ما يجاور النفس أن

يكون خاليًا من كل معنى . فتلقَى الظلام هذا المعنى وكأنه ، كما قيل ، غموض في ما هو الغموض أصلًا . ومهما يكن من أمر فقد أصبح العالم وكأنه بعد ذلك منزل جميل عديدة جوانبه . لم ينفصل عن صانعه كما أن صانعه لم يُشْرِكْهُ في ذاته ، / بل نظر إليه كلاً من كل جانب على أنه جدير بالعناية . ففي هذه الغاية نفَعَ للعالم من حيث كيانه وحسنه بقدر ما في وسعه أن يصيب من الكيان ، وليس فيه ضرر للذي يسيرُه وهو يدبُرُ أموره من الملاء الأعلى حيث يستمر باقياً . على هذا الوجه كان العالم ذا نفس إذا : إن له نفساً ليست منه ، / وهو محكوم ليس حاكماً ومملوك ليس مالِكاً . إنه ثابت في النفس التي تحفظه ، وكل ما فيه إنما يصله من النفس . فهو كالشبكة وقد أُلقيت في عباب الماء : تغمرها الحياة ثم لا يسعه أن يُحوَّلَ إلى ذاته ما يغمره .
٣٥
٤٠ يمتد البحر فتمتد الشبكة معه / بقدر ما في إمكانها أن تمتد ، لأن كل جزء من أجزائها لا يسعه أن يكون في غير المكان الذي حلَّ فيه . أما النفس فليست محصورة بكم ، ولذلك كانت فطرة وجبلت من العظمة بحيث تشمل جسم الكل بامتداد منها واحد لا انفصام فيه ، فهي هناك حيث ينتهي جسم الكل . وإن لم يكن جسم الكل ، فلا ينال الأمر من قدرها ، / إذ أنها دائماً هي هي في ما تكون عليه . إن الكل يمتدُّ كمًّا في نطاقها ، ويُحدَّدُ كمُّه بقدر ما يكون هو في امتداده ، باقياً في رعاية النفس وحفظها . وهو بذلك ظلُّ ينبسط بقدر اتساع العقل الذي ينبعث من النفس . أما هذا العقل فيكون بدوره بحيث يحدث من الكمِّ سعة تمتدُّ بقدر السعة التي يريد أن يحدثها مثاله
٥٠ الأصلي في العالم / الروحاني .

١٠ بعد أن عَلِمْنَا أن «دخول» النفس هو كذلك ، يجب علينا أن نعود إلى ما هو دائم لا يتغيَّر فنذكر الأشياء كلها على أنها موجودة معاً . فلنأخذ مثلاً الهواء والنور والشمس ، أو القمر والنور والشمس مرة أخرى . فإن كل هذه الأمور موجودة معاً ، مرتَّبٌ بعضها مع بعض ، من أوائل وثنائ وثوالت . وكذلك هنا أيضاً . فالنفس أولاً وهي ثابتة دائماً في ذاتها . / ثم الأمور الأولى بعدها وما يلي ذلك متدرِّجاً ، كأنه جوانب النور في أطرافه ، وهو الأول إذا نُظِرَ إليه من تلك الجوانب على أنه ظلُّ النور . ثم هو الظل أخيراً وإذا بالنور يشعُّ فيه كله معاً ، فكان مثلاً يتراقص عليه وهو مرتسم في الأسافل والذي كان غموضاً كالحا في بداية أمره . عندئذ يبدو ذلك الظل بمعالم التي تكشف عمَّا ينطوي عليه معناه ، ما دام للنفس وهي كل قوة كامنة فيها / تمكُّنها من أن تُضفي على الشيء المعالم التي تستلزمها معناه . مثل ذلك مثل البُنى المعنوية الكامنة في البذور والتي تكوُّن الحيوان في جبلته وتسوِّيه في شكله فتجعله كأنه عالم صغير . إن كل ما يتصل بالنفس ، تصنعه النفس تبعاً لما هي عليه طبعاً . وهي لا تصنع عن معرفة مكتسبة تُردُّ عليها
١٥ أو عن تروُّ وتفكير تراثٍ فيها ، / وإلا لما خرج صنعها صادراً عنها بالطبع بل بصناعة تكون قد

اكتسبتها. والصناعة تأتي بعد ما هو عمل النفس بالطبع فتقلده ويخرج من تقليدها آثار مطموسة مهمة هي لُعبٌ ليس لها شأن كبير، ناهيك بالأدوات التي تلجأ إليها لإحداث ما هو أثر فقط. أما النفس فإن لها، بقوة ما هي عليه في ذاتها، السيادة المطلقة على الجسم. / فتنشئه وتجعله هي على ما تريد أن تسيره إليه، إذ أنه ليس بوسعها في بداية أمره أن يقاوم مُرادها. أجل قد يقف بعض الأجسام حائلًا دون بعضها الآخر بعد ذلك، فكثيرًا ما تُحرم من إدراك الشكل الخاص الذي يريده لكل منها المعنى الكامن فيها بذرا. أمّا في الملاء الأعلى، فإن النفس تنشئ الشكل الكلي، / وتنبعث المحدثات معًا بترتيبها، فيكون ما ينشأ حسنًا من غير عناء ولا قيد. هي التي تجهز هنالك في ذلك الكل للآلهة هياكلها وللناس منازلهم وللأشياء الأخرى لوازمها. ولعمرى، ما عسى يجب فيه أن يصدر عن النفس سوى أمر كان يسعها بقوة خاصة أن تصنعه. إن من شأن النار أن تحدث الحرارة، / أما البرودة فعمل جسم آخر. لكن لعمل النفس وجهين: عمل يخرج منها فيؤثر في غيرها، وعمل يبقى معها في ذاتها. ففي الجوامد التي ليس لها نفس إذا بقي فيها العمل الذي ينبعث منها بقي وكأنه نائم، وإن امتد إلى غيرها فَلَيَجْعَلْ ذلك الغير شبيهًا بها بقدر ما يسعه أن يتلقى الانفعال. هذا لأنه من شأن الشيء أن يحمل غيره على التشبه به، وهو أمر تشترك فيه الأشياء كلها. أما عمل النفس حتى ولو كان باقيا فيها، / فإنه في حال اليقظة دائمًا، وهو من هذه الناحية مع عملها على غيرها سواء. إنها تحيي الأشياء الأخرى التي ليس لها حياة من ذاتها، فتمدّها بحياة من نوع حياتها هي. وما دامت تحيا في العقل فإنها تمدّ الجسد بالعقل وهو أثر لعقلها (ولا غرو، إذ أن كل ما تمد الجسد به إنما هو أثر لحياتها)، كما إنها تمد الأجساد كلها بالهيات التي تنطوي هي على معانيها. ولكنها تنطوي على معاني الآلهة انطواءها على معاني الأشياء كلها. وإذا كان ذلك كذلك فإن العالم ينطوي على الأشياء كلها إذا أيضًا.

١١ إن الحكماء القدامى أرادوا أن يكفلوا لأنفسهم حضور الآلهة بينهم، فأقاموا التماثيل وأشادوا الهياكل. وأرى أنهم بذلك نفذوا بإدراكهم إلى الكل في صميم حقيقته. لقد فهموا أنه سهل علينا أن نستميل نفس الكل في ذاتها أينما كان. ولكننا نضمن لنا أسهل الطرق لحفظها بيننا لو شئنا شيئًا منسّقًا لينفعل بها/ وبوسعها أن يتلقى قدرًا ما مما هي عليه في ذاتها. إن صورة الشيء، مهما يكن حظها من تحصيل الأصل، منسّقة للإنفعال بهذا الشيء: فكأنها مرآة باستطاعتها أن تقبض على قدر من مثال الشيء. وذلك لأن طبيعة الكل صنعت الأشياء بفنّ فائق تقليدًا للأمر التي كانت هي منطقية على معانيها. فبعد أن نشأ الشيء، وهو كذلك معنى في الهول، أتمته هيئته من المعنى المتقدم/ على الهول، ووصلته طبيعة الكل بالإله الذي نشأ

على مثاله والذي كانت النفس ناظرة إليه منطوية عليه أثناء صنعها. والواقع أنه كان من المستحيل أن ينشأ ذلك الشيء محروماً من مشاركة الإله في حياته، أو أن ينزل هذا الإله إليه. وهذا الإله هو الروح شمس العالم الأصلي - فلتكن الشمس القياس الأصلي الذي نعود إليه/ في كلامنا - تأتي النفس بعد، على التو، وهي مرتبطة به باقية ما دام هو باقيًا. ١٥ هي النفس التي تضبط بحدودها الحدود التي تليق بشمسنا الحسية، وبوساطتها يتم الاتصال بين هذه الشمس والشمس الروحانية. فكأنها الترجمان الذي ينقل إلى الشمس الحسية ما ينبعث من الشمس الروحانية. ثم ينقل إلى هذه الشمس ما يترقى من تلك بقدر ما تستطيع أن تنتهي/ إليه من الارتقاء عن طريق النفس. ليس من شيء يبعد عن شيء، وإنما يكون أبعد في التمايز وفي التمازج. ليس لقيام الشيء في ذاته علاقة بالمكان، والعزل ثابت حتى في الاتحاد. وإن تلك الأمور هي أرباب لأنها لا تتعزل قط عن الأمور الروحانية، ولأنها مرتبطة بالنفس التي هي الأولى، والتي كأنها تبعد عن الروح نازلة إلى الأسفل. ثم إن تلك الأمور أرباب أيضًا توجه ٢٥ دائمًا وجهها للروح، بتلك النفس/ التي بوساطتها تكون هي ما به ندرکہا. إذ أن تلك النفس، وهي نفس تلك الأمور، لا توجه وجهها أبدًا إلا للملا الأعلى.

١٢ أما نفوس الناس فإنهم يشاهدن آثارهن وكأنهن في مرآة ديونيزيوس، فيدفعن بذواتهن من علي، من الملا الأعلى. لكن لا يقطع ما بينهن وبين أصلهن، أو الروح. لم يَجُنَّ مع ٥ الروح؛ وإذا انتهين إلى الأرض، فإن رؤوسهن ثابتة فوق السماء. / أجل، لقد أتيح لهن مزيد في الهبوط، لأن الجانب المتوسط منهن أكره على الاهتمام بالشيء الذي قدمن إليه وهو في حاجة حقًا إلى الاهتمام. لكن الجهد الذي نزل بهن أثار شفقة زوس الأب الحنون، فجعل القيود التي كانت تُجهدهن فانية بالموت، وأتاح لهن أن يسترحن ربحًا من الزمان فحررهن من أجسادهن. / وكان قصده من ذلك أن يتيسر لهن، هن أيضًا، الحلول في الملا الأعلى، حيث ١٠ نفس الكل باقية على الدوام، لا توجه وجهها قط لأمور هذا العالم. ذلك لأن ما لدى النفس الكلية هو هو العالم الكلي. إنه مكتفٍ بذاته، وكذلك يبقى في مستقبله؛ فيقوم بأدواره ضمن أزمنة معينة مقيّدًا بالمعاني الثابتة الكامنة فيه على الدوام. ثم إن أمور هذا العالم تقيّد بتلك ١٥ الأزمنة المعينة هي أيضًا أثناء رجوعها الدائم إلى ما كانت عليه. / وهي آنذاك منضبطة باقية تقيس المراحل المحدودة التي تنقاسم حياتها على اختلاف أنماطها. مما يؤدي بالحسبات إلى التناسق مع الروحانيات، وتيمًا لهذه تقوم تلك بدوراتها. فتندرج حيثنذ الأمور كلها بعضها مع بعض خاضعة لمعنى واحد في انحدرات النفوس وارتقاءاتها وفي تحقيق الأمور الأخرى كلها ٢٠ معًا. / ويشهد على ذلك التناسق التي تنبئته بين النفوس وبين نظام هذا العالم الكلي. فإن

النفوس لسنَّ مستقلَّاتٍ عنه، بل ينسجمنَ معه في انحدارتهنَّ ويندرجنَ في الحركة الدورية فيخرجنَ معها بتناسقٍ واحد. ولا غرو، فإنهن بحيث يُستدلُّ من هيئات الكواكب على حظوظهنَّ وأنماط حياتهنَّ ومقاصدهنَّ. فكان هذا الكل المتناسق يُصعَّد «لحناً واحداً ليس فيه تنافر». ٢٥ ولعل خير ما يشار به إلى ذلك كله، هو أنه موسيقى وأنغام. / ولَمَّا كان ذلك كذلك لو لم يكن العالم الكلي مقيِّداً في صنعه بالروحانيات. فإنه إذا انفعل، قيسَت انفعالاته بالأقيسة التي تقاس بها أدوار النفوس ورتبهنَّ. وبالأقيسة ذاتها تقاس أنماط الحياة التي تُقسم للنفوس تبعاً لأجناس الأقطار التي يجتزئها وهي تارة في الملاء الأعلى وطوراً في السماء، أو حين ينقلبنَ إلى هذه الأقطار ويوجَّهنَّ وجههنَّ لها. إن الروح يبقى كلاً/ في الملاء الأعلى دائماً ولا يخرج يوماً عما هو له في ذاته. لكنه على بقاءه كلاً في الملاء الأعلى يرسل ما يرسله إلى هذا العالم بوساطة النفس. وما دامت النفس قريبة منه فإنها أشدُّ الأمور تكيفاً بالمثال الذي ينبعث من عالم الروح. فتمدُّ بهذا المثال ما يكون تحتها، وهي تفعل على نسق واحد تارة، وطوراً يختلف مددها باختلاف الظروف، / لأنها تضبط التقلبات في نظام. ثم لا يكون نزولها على السواء دائماً، بل إنها تزيد فيه تارة وتقلُّ منه أخرى، ولو كان ما تسير إليه من جنس واحد. فلا تقصد النفس الجزئية بنزولها إلّا ما كان مجهّزاً لاستقبالها وهو على حال يوافق حالها. وعنده تتحرّك النفس الجزئية إلى ما يكون بينها وبينه تماثل: فنفس تسير إلى الأدمي وأخرى إلى البهيمية، وهي تختلف عنها في كل بهيمية أيضاً.

١٣ إن القضاء المحتوم والسنة التي لا تبدل فيها مستكنان في طبيعة القاهرة تسير كل أمر، في المقام المعدّل له، نحو الشيء الذي نشأ إثرًا لما كان ذلك الأمر في معناه المقصود وفي حالته أصلاً. ثم إن كل أصل مثالي لكل نفس جزئية يكون في جوار ما حصلت فيه الحالة التي تكون عليها تلك النفس. / فإذا حان حينها، ولم تحتجْ إلى باعث يبعثها أو سائق يسوقها حتى تُقدّم في وقتها إلى هذا الجسد أو ذاك. بل إنها، حيثئذ، كأنها تنطلق من تلقاء ذاتها فتنزّل وتستقر حيث ينبغي لها أن تكون. هذا وإن الوقت يختلف باختلاف النفوس. فإذا حان هبطت النفس وتسلّلت إلى الجسم الذي يوافقها فكانها تلبّي/ صوت هاتف يهتف بها، وكان ما يحدث إنما يحدث بتحرّك ودفع من ساحر يسحر أو جاذبية تجذب بقوة. مثله كمثل ما يتم لدى الحيوان في تدبير شؤونه. تحرك نفسه في الوقت اللازم كل جزء من أجزائه أو تنشئه، كما تفعل في بعث اللحية أو القرون مثلاً. فمن ميول تنبعث عنده وهي جديدة عليه، ومن ازدهار عنده لم يكن له به عهد في ١٥ سالف زمانه. / وقل مثل ذلك فيما يتم في الأشجار من تدبيرات تقع منظّمة منضبطة في أوقاتها.

لم تأتِ النفوس طوعاً، كما أنهن لم يُرسلن مكرهات. وإذا كانت الطوعية فأقل ما يقال فيها آنذاك هو أنها ليست طوعية تتّم عن تخيّر. بل إنها كالطفرة الفطرية في شهوة النكاح الغريزية، / أو هي كالميل إلى عمل الصالحات، حيث لا تكون الحركة بدافع التروّي والتفكير بل بالقضاء يقدر فيه للشيء المعين وجهه الذي يوجد عليه: فلما كان من هذا النوع وجوده في وقته الحاضر، ولما كان من نوع آخر في وقت آخر. والروح ذاته، وهو قبل العالم، إنما هو مقيد بقضائه. يُحكم عليه بالبقاء في العالم الأعلى، ويُقدّر له القدر الذي يبعث به إلى عالماً، فيبعث الفرد الجزئي خاضعاً لسنة شاملة لا تبديل فيها. / فإن هذه السنة الشاملة ثابتة لدى كل فرد فطرة وجبلة، ولا يستمدّ حكمها قوة تنفيذه من الخارج. بل الواقع هو أنه جُعل كامناً في الذين يعملون به ويحملونه بين جنبانهم. فإذا حان وقته تمّ مراده آنذاك عن يد الذين تنطوي جبلتهم عليه. ويعني ذلك أنهم هم الذين يجعلونه نافذاً ماداموا يحملونه بين جنبانهم/ ويسعهم أن ينفذوه لأنه هو مقيم فيهم. فكأنه يضغط عليهم بثقله ويولّد فيهم رغبة ودفعاً لينطلقوا إلى حيث يدعوههم الأمر المستكين فيهم وكأنه يدفعهم دفعاً.

١٤] فإذا تمّ كل ذلك كثرت الأنوار في عالمنا وازدهى بالنفوس وازداد رونقاً على رونق. فإنه آنذاك يتلقّى عوالم جديدة، فعالم يخرج من عالم، وتأتي كلها من الأرباب الروحانيين ومن الأرواح التي تمدّ الأمور الأخرى بنفوسها. ولعلّ هذا هو التأويل الأصح للأسطورة التي ورد/ فيها خبر «بروميتوس» بعد أن كوّن المرأة في جبلتها، فسوّاها الآلهة الآخرون حسناء متناسقة. فهذا يجبل الطين الرطب وينفتح فيها صوت الإنسان ويجعلها في منزلة الربّات. و«افروديتوس» تخلع عليها شيئاً وربّات الحسن شيئاً آخر، وهكذا من كل إله هبة. فكان اسمها في أصله «الهبات» التي جاءت من «كل» الذين وصلوها بها «بندور». إني لعمرى، إنّ الآلهة كلهم أجزلوا العطايا لذلك الجبل الذي خرج من بين أيدي بروميثوس الذي يجسّد «العناية». / وتقول الأسطورة أن ايميثوس (أعني التروّي والتفكير) رفض عطاء بروميثوس: فماذا يعني هذا إلّا أنّ إثارة الروحانيات بنوع خاص إنّما هو الخير لنا؟ ثم إن الصانع ذاته، بروميثوس، مكبل بقيود لأنه لا يزال على شيء من الاتصال بما أنشأه. على أن قيوداً من هذا النوع إنما يؤتى بها من الخارج. ثم إن هرقل هو الذي يفكّها، مما يدل على أن لدى المقيد قوة يسعه بها أن يتحرّر من قيوده. / ومهما كان الوجه الذي تؤول القصة عليه، فإنها تطلعننا على أمر العطاء الذي وصل إلى هذا العالم، وهي على توافق تام مع ما سبق لنا.

١٥] إن النفوس ينطلقن مُتخلّراتٍ من العالم الروحاني إذا فينتهين أولاً إلى السماء فيأخذن

لهنّ فيها أجساماً. ثم يتجاوزنّ السماء إلى أجسام أقرب إلى الأرض بقدر ما يبعدنّ في سيرهنّ نزولاً. فمهنّ اللواتي يبتعدنّ من السماء ويصلنّ إلى الأجسام في الأسافل، ومنهنّ اللواتي يخرجنّ من جسم ليدخلنّ في جسم آخر. فهؤلاء نفوس ليس لديهنّ من القوة/ ما يضمنّ لهنّ الارتقاء من هذا العالم لشدة ثقلهنّ ونسيانهنّ. ما أكثر ما يجرنه مما اعتراهنّ، وهو الآن يعيبنّ بعثه. أمّا ما بينهنّ من اختلاف فإنه عائد إلى اختلاف الأجسام التي كنّ قد دخلنّ فيها، وإلى حظوظهنّ، وإلى نوع غذائهنّ، أو إلى أنهنّ يحملنّ معهنّ ما يفرّق بينهنّ، أو إلى كل ذلك معاً أو إلى بعضه. فمهنّ فئة تُخضع كل ما/ لديها للقضاء المقدّر لهذا العالم، وفئة تفعل كذلك تارة وطوراً تكون هي صاحبة أمرها. وبينهنّ الطائفة التي تستسلم أفرادها راضية إلى ما لا بدّ من احتماله، لكن بوسعها أن تستأثر بأعمالها الخاصة فتحيا مقيّدة بسنة أخرى، وهي السنة التي تشمل الحقائق كلها. وليت شعري، إن نفوس هذه الطائفة يخضعنّ لهذه السنة ويتقدّن بذواتهنّ لها على أنها سنة من طراز آخر. / وهي تخرج منسقة من المعاني الكامنة في هذا العالم ومن شبكة الأسباب كلها والحركات النفسانية والقواعد الثابتة في العالم الأعلى. إنها مع الروحانيات على توافق ومن الروحانيات تأخذ أصولها، فصل بين هذه الأمور وبين ما يكون متأخراً عليها. تحفظ، ثابتاً على حاله لا يتزعزع، كل ما بوسعها أن يحتفظ بذاته متمثلاً بما يلازم الروحانيات حالاً. أمّا ما كان على غير ذلك، فإنها تسوقه إلى ما من شأنه أن يكون عليه/ فطرة وجبلة. ومن ثمّ فإن سبب الهبوط إنّما كان كامناً في الأمور التي هبطت، لأنها كذلك يجب فيها. ومن ثمّ أيضاً جُعِلَ بعضها في هذا العالم، وأقام بعضها في العالم الأعلى.

١٦ أما العقاب الذي يحلّ بالأشرار في هذه الدنيا قسطاً وعدلاً، فيليق به أن يردّ إلى ذلك الحكم الذي يسير كل شيء على الوجه الذي يجب. ولكن ما يقع على الصالحين بغير قسط وعدل، مثل القصاص أو الفقر أو المرض، أيقال عنه حقّاً أنه وقع غالباً لذنوب سلف؟ فإن هذه الأمور داخلة في شبكة عامة ولها عليها دلالات،/ فيبدو وقوعها لازماً عقلاً. أو فلنقل إنها لا علاقة لها بمعاني الكون، ولم تكن كامنة في متقدّماته، بل إنها من هذه المتقدّمات بمثابة ظواهر تبدّئ في جوانبها. فإذا تقوّض البيت مثلاً قُتل الحيّ الذي تحته لا محالة مهما كان النوع الذي يتنسب إليه. أو إذا انطلق سائران أو سائر بحركة منتظمة حطّم من وقف في الوجه/ أو سُحق. أو أنّ ما يبدو لنا ظلماً ليس شرّاً لمن يصاب به إذا ما نظرنا إلى ما في تشابك بعض الكل ببعضه من خير ومنفعة. بل ربما لم يكن ظلماً وكان له من سوابقه ما يبرر وقوعه. فلا ينبغي في الأمور أن يُعتقد أن منها ما يندرج في النظام الكلي، ومنها ما يفلت منه ويترك للتحكّم الذاتي. وإذا لم يكن بدّ لتوالي الحوادث في الكون/ من أن يتمّ مقيّداً بأسباب وبمعنى واحد وترتيب

واحد، وجب الاعتقاد في هذا النظام المشترك وفي هذا التشابك المحكم أن يشمل الأمور كلها حتى أصغرهما وأحقرها شأنًا. فالظلم الذي يحصل من إنسان نحو غيره هو جور في حق فاعله، ولا يترك صاحب الذنب من ذنبه. ولكنه إذا نُظر إليه مندرجًا في الكل فليس ظلمًا آنذاك حتى في حق/ من أُصيب به؛ بل كذلك كان يجب في الأوضاع أن تكون. ثم إذا كان المصاب به من أصل البرّ والصلاح جاءه الخير في النهاية لا محالة. فإن هذا النظام الكلي إنما هو ربّاني، وبالقسط يتّم، ولا يجب أن نعتقد على خلاف ذلك. بل الرأي الصحيح فيه هو أن يلتزم الدقة في توزيعه لما يليق به أن يوزّع. ولكن أسبابه خفية، فتفتح أمام الجاهل باب التذمّر والشكوى./

١٧ إن النفوس إذا خرجن من العالم الروحاني حللن أولًا في منطقة السماء إذا. وهذا أمر بوسعنا أن نستدلّ عليه مما يلي. إذا كانت السماء خير ما في العالم الحسي، فإنها في الجوار المباشر لأواخر حدود العالم الروحاني. فلا غرو إن كانت الأجسام السماوية أول ما ينعش بالنفس وما ينال من هذا الإنعاش نصيبه، على أنها أشدّ من غيرها استعدادًا للواقع. / أما الجسم الأرضي فهو في المقام الأخير من هذا القبيل: حظه من النفس أقل وعلى ذلك فطير، كما أنه أبعد من غيره عن المنزهات. فإن النفوس تشعّن في السماء إذا، وكان ما يوزّع منها عليها هو القسط الأوفر والأول، بينما يصل الأشياء الأخرى ما بقي منها ضياءً. أما اللواتي يُغصّن في انحداهنّ، / فإنهنّ يوزعنّ نورهنّ في الأسافل بخاصة، ولكن ليس من الخير لهنّ أن يبالغنّ في النزول؛ فالأمر حينئذ مثله في مركز حوله هالة من نور تشعّ منه، وحولها دائرة ثانية، والكل نور من نور، ثم يلي هاتين الدائرتين دائرة أخرى خالية من النور: إنها دائرة لا يشعّ منها النور قطّ، وهي في حاجة إلى أن تستنير بغيرها. / فلنفترض الآن أن هذه الدائرة بشكل حلقة أو بالأحرى بشكل كرة تستمدّ نورها من الدائرة الثانية، لأنها تجاورها، وهي مضيئة بقدر النور الذي يصلها. أما النور الأعظم فإنه لا يتحرّك، بل يشعّ وينبعث منه الإشعاع في حدود معناه. وتشعّ معه الأنوار الأخرى أيضًا، فمنها ما لا يتحرّك ومنها ما يفيض فيجذب ببريق الأشياء التي انتشر عليها من نوره. / وإذا انتشر النور في هذه الأشياء ازداد اهتمام النفوس بها. فمثلهنّ آنذاك مثل الربّان في سفينته وقد هبّت العاصفة من حولها. يبالغ الربّان في عنايته بسفينته فيغفل عن أنه ينسى ذاته بذلك. فيؤدّي به الأمر غالب الأحيان إلى أنه لا يكاد يهلك بهلاك سفينته. / وكذلك القول في النفوس: فإنهنّ يبالغنّ في انعطافهنّ مع ما لديهنّ في ذواتهنّ. ولا غرو بعد ذلك إن انتهى الحال بهنّ إلى أن ينحبسنّ ويصبحنّ مقيدات بروابط سحرية وهنّ مستغرقات في الاهتمام بأمور هذا الكون. إن الحيوان الجزئي ليس على مثل ما هو العالم الكلي عليه. أعني أنه ليس جسمًا كاملاً، مكفياً بذاته، لا خطر عليه من الانفعال أن يتسلّل إليه. ولو تمّ له ذلك،

٣٠. لَمَّا كَانَتِ النَّفْسُ لَتَلَازِمَهُ، حَتَّى وَإِنْ وُصِفَتْ بِأَنَّهَا حَاضِرَةٌ فِيهِ دَائِمًا. / بَلْ إِنَّهَا تَمُدُّهُ آنَذَاكَ بِالْحَيَاةِ وَتَبْقَى هِيَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى عَلَى وَجْهِ الْإِطْلَاقِ.

١٨ ترى هل تلجأ النفس إلى الرويَّة والتفكير قبل قدومها إلى الجسد ثم بعد خروجها منه؟
ألا إن التروي يطرأ عليها أثناء إقامتها في هذا العالم إذ أنها آنذاك في حال التردد، يملك قلق البال عليها أمرها وهي من العجز في منتهاه. فإن الحاجة إلى التفكير نقص لدى الروح من حيث اكتفاؤه بذاته. فيتردد مثلما يتردد صاحب الصناعة/ وقد اعتاصت صناعته عليه. فإذا زالت الصعوبة قبض الفن عليه وفعل أفاعيله. ولكن إن لم يكن في الملأ الأعلى للنفوس تفكير، فكيف يكن ناطقات؟ قد نجيب عن ذلك: فإنهن، إذا اقتضى الأمر، يسعهن البحث وتدقيق النظر. على أنه يجب في التفكير آنذاك أن يكون على المعنى الذي وصفناه به. فإذا عنينا بالتفكير/ حالة يحدثها الروح دائماً فتكون في النفوس عملهنَّ الثابت وكأنه ظهور الروح فيهنَّ، فلا مانع من أن يكنَّ لاجئاً إلى التفكير ولو كنَّ في عالم الروح. كما أنه، فيما أرى، لا يجب الاعتقاد في النفس أنها تلجأ إلى الصوت في نطقها إذا كانت في الملأ الأعلى
١٥ منزَّهة عن الجسمية، أو مع جسمها كاملاً. فإنما الحاجات المعاشية والأمر التشبيهية/ عليهن هي التي تضطرهنَّ إلى النطق الصوتي في العالم الحسي، وليس لذلك في الملأ الأعلى مجال. فإن النفوس هنالك يقمن بكل عمل من أعمالهنَّ مقيداً بنظام، مسترسلات مع الفطرة، ولا يصدر عنهنَّ أمر أو نصيحة، ويعرفنَّ ما بينهنَّ عن طريق الملابس من الباطن. ولا غرو، مادامنا نعرف الكثير ممَّا لدى الصامت من نظره، حتى في هذا العالم. فناهيك بما يجري في الملأ
٢٠ الأعلى حيث الجسم ظاهر كله، وكل شيء في ذاته نظر،/ فلا تورية ولا تمويه. بل سرعان ما يدرك غيرك الشيء ولم تفصح أنت عنه. أما الجن والنفوس المنتشرات في الهواء، فليس من المستحيل أن يلجأوا إلى النطق الصوتي، إذ أن ما كان من هذا النوع إنما هو حيوان.

١٩ هل يحلّ الجانب المتجزئ من النفس وما لا يتجزأ منها محلاً واحداً فيها، فكأنهما مترجان؟ أم أن النفس من حيث أنها لا تتجزأ تختلف عنها متجزئة وجهاً ومعنى، فيغدو المتجزئ منها آنذاك كأنه المتأخر لديها غير ما يكون جانبها الذي لا يتجزأ. فمثل ذلك مثلما نقول فيها إنها ناطقة غيرها صماء؟ هذا أمر يُعرف إذا ما أدركنا ماذا نعني بكل/ الطرفين. فإن أفلاطون يذكر ما لا يتجزأ من النفس بحد ذاته ويقول مرسل. ولكنه لا يقول فيها إنها متجزئة، بل إنها «تصير متجزئة بتجزؤ الأجسام». يجب أن نتبين في الجسم ذاته إذاً ما هو جانب النفس الذي يحتاج إليه، وأي شيء من النفس يجب فيه أن يكون حاضراً في الجسم، منبثاً في جميع

١٠ أجزائه. هذا وإن قوة الإحساس تمتدُّ/ إلى الجسم كله؛ فبوسعها إذاً أن تتجزَّأ. وما دامت في كل عضو من أعضاء الجسم، جاز القول فيها إنها متجزئة. ولكنها تبدو على ما هي عليه كلاً في كل عضو من أعضاء الجسم؛ فلا يجوز القول فيها إنها متجزئة على وجه الإطلاق، بل إنها أصبحت «متجزئة بتجزؤ الأجسام». فإن قال قائل: / «إنها لا تتجزَّأ في سائر الحواس، بل في ١٥ اللمس فقط، وجب القول: «بل إنها كذلك في سائر الحواس». فإن الذي يتلقَّى الإحساس إنَّما هو جسم؛ وما دام الأمر كذلك، فإن قوة الإحساس تتجزَّأ بتجزؤ الحواس لا محالة، غير أنها حينئذ أقل تجزؤاً مما تكون عليه حاسة اللمس. وكذلك القول في القوة النامية والنباتية أيضاً.

٢٠ وإذا كانت القوة الشهوانية/ في الكبد والقوة النبضية في القلب، صحَّ عليهما القول ذاته. ولعلَّه لم يكن الجسم ليتلقَّى هاتين القوتين في ذلك المزيج، ولعلَّه يتلقاهما من وجه آخر وعلى أنهما تخرجان من أحد الأشياء التي تقبلها قبل ذلك. والفكر والروح، ماذا القول فيهما؟ إنهما لا ٢٥ يتصلان بالبدن. فإن عملهما لا يتمُّ بعضو من أعضاء البدن، بل إن لجأنا إلى البدن/ في البحث والنظر حال البدن بيننا وبين ذلك. فقد استبان أن ما لا يتجزَّأ في النفس غير ما يتجزَّأ إذاً. وإذا امتزجا فليس بمعنى أنهما شيء واحد، بل بمعنى أنهما كلٌّ يتألف من جزأين حيث يبقى الجزء محتفظاً بقوَّته منفصلاً عن الجزء الآخر. غير أن ما «أصبح متجزئاً بتجزؤ الجسم» إذا تأتَّى ألا ٣٠ يكون متجزئاً بفعل القوة التي فوقه/ فإنه يجوز فيه أنئذ أن يكون هو أمراً لا يتجزَّأ ويتجزَّأ في آن واحد. فكأنه مزيج تألف من هذا الأمر ذاته متجزئاً ومن القوة التي هبطت إليه من فوقه.

٢٠ هل لتلك الأجزاء وغيرها التي يقال عنها أنها قوى النفس محل معلوم تكون فيه؟ أو إنه ليس بعضها قطُّ محل تكون فيه، بل لبعضها الآخر؟ وأين ما تكون هذه الأجزاء فيه آنذاك؟ أو إنه ليس لجزء قطُّ محل؟ هذا ما يليق بنا أن نقف عليه الآن. إننا هنا أمام أمرين: فإما أنَّنا لا نحُدُّ لكل قوة من قوى النفس محلاً فنجعلها كلها في غير محل ولا نقيم فرقاً بينها وبين أن تكون/ داخل البدن أو خارجه. وعند ذلك نجعل البدن خالياً من النفس ويصعب علينا أن نشرح شرحاً لائقاً كيف عسى أن تتمَّ الأعمال التي تحدث بوساطة أعضاء البدن. أو أن نثبت محلاً لبعض القوى، ونفقيه على بعضها الآخر، كأننا بذلك لا نجعل فينا تلك التي حرمانها من محل، مما يؤدي إلى القول بأن نفسنا ليست فينا كلها. فنقول بوجه الإطلاق إذاً أنه لا يجوز في جزء من ١٠ أجزاء النفس/ أو في النفس كلها أن تكون في الجسم بمعنى أنها في مكان. فالمكان محيط، وهو يحيط بجسم، ويكون الجزء من الجسم حيث هو جزءاً لأنه ليس بوسع الجسم أن يكون كلاً في نقطة واحدة مهما تكن. أما النفس فليست بجسم، وهي ليست بأن تُحاط أجدر منها بأن تُحيط. ١٥ كما أنها ليست في البدن كما يكون الشيء في الطرف،/ فلو كان البدن منها بمثابة

الوعاء أو بمثابة المحل المحيط ، لغدا البدن غير ذي نفس . إلا إذا كانت متجمعة في ذاتها على ذاتها ، وأخذت تنسلك قليلاً قليلاً إلى البدن ، فيكون ما يتلقاه الوعاء هو القدر الذي اضمحل منها هي . فضلاً على أن المحل في حد ذاته منزّه عن الجسميّة وليس جسماً ؛ فما عسى أن تكون حاجته إلى النفس ؟ ثم إن الجسم / يجاور النفس آنذاك بصحيفته القصوى ، لا بذاته جسماً . ٢٠ ويعارض القول في النفس أنها في البدن مكاناً لها أشياء أخرى كثيرة غير ما ذكرنا . لأنه إذا كان ذلك كذلك تحرك محلها معها إذا تحركت ، فأصبح الشيء ذاته يُحرك محله معه إذا تحرك . حتى ولو افترضنا المحل بُعداً ما ، فإن النفس أخرى بها أيضاً أن يقال عنها إنها ليست في الجسم ٢٥ بمعنى أنها في محل . / إنما يجب في البعد أن يكون فراغاً ، وليس البدن بفراغ ، بل قد يكون الفراغ ما يحل البدن فيه ، فيكون البدن آنثذ في الفراغ . كما أنه ليست النفس في البدن كالمحمول في الحامل أيضاً ، لأن المحمول إنما هو حال من الأحوال التي يتكيّف بها ٣٠ الحامل ، كأن يكون هو لونه أو شكله ؛ / والنفس أمر يفارق البدن . وليست النفس في البدن كالجزء من الكل أيضاً ، إذ أنها ليست جزءاً من أجزاء البدن . وإن قال قائل إنها في البدن مثلما يكون الجزء في الحيوان وهو كل ، فأول ما يعترضه هو أن الإشكال باقي على ذاته : كيف تكون في الكل ؟ فإنها ليست آنذاك مثلما تكون الخمر في قارورتها ، أو مثلما تكون القارورة في القارورة ما دام الشيء لا يكون في ما هو هو عينه . هذا وليست النفس في البدن كالكل في ٣٥ الأجزاء ؛ وما أسفه / قولنا بأن النفس هي الكل والبدن أجزاءها . ولا يجوز القول فيها إنها كالمثال في الهيولى ؛ فإن المثال في الهيولى لا يفارقها وهي قبلها وهو متأخّر عليها . فضلاً على أن النفس هي التي تجعل المثال في الهيولى ؛ فإنها شيء يختلف عن المثال إذًا . وإن قيل في المثال أنه ليس شيئاً ينشأ في الهيولى ، بل هو شيء مفارق ، فلسنا نرى كيف يكون هذا المثال ٤٠ في / البدن . فكيف يقول الناس جميعهم عن النفس أنها في البدن إذًا ؟ ألا ، إننا لا نرى النفس في البدن ؛ وإذا شاهدنا البدن أدر كنا أنه ذو نفس لأنه يتحرك ويحس ؛ فنقول إن له نفساً . ومن ثم ٥٠ فإن قولنا عن النفس إنها في البدن ، / إنما هو قول بالاستنتاج . وأقل ما يقال في الأمر هو إننا لا نشاهد النفس أو نحس بها ، وإننا لا نراها ذلك الشيء المُشَبَّع حياة كله ، والذي ينفذ إلى أفاصي البدن ويتصل بها كلها على السواء . ولو فعلنا لما كنا نقول عن النفس إنها في البدن . بل نقول إن في الأصل ، وهو النفس ، ما ليس هو الأصل ، وفي الممسك ما هو الممسوك ، وفي الساكن ٥٠ الثابت ما هو / جري مستمر .

٢١ ماذا إذًا؟ ما عسانا نقول عن كيفية حضورها في الجسم لو سألنا سائل وليس لديه هو ذاته حلٌ يُدلي به؟ فهل تحضر كلها على نمط واحد متجانس أم هل يكون حضور كل جزء على

خلاف ما يكون حضور غيره؟ إن ما ذكرنا من الوجوه التي يوجد عليها شيء في شيء آخر لا يبدو
 ٥ قط وجه من بينها ليصبح علاقة بين النفس والجسد. / غير أنه قيل عنها أنها في الجسم مثلما
 يكون الرّبان في السفينة. وهذا قول نَعَم القول لدلالته على أن النفس بوسعها أن تكون شيئاً
 مفارقاً للبدن. لكنه قول لا يفيدنا كثيراً عن وجه حضورها في البدن الذي نبهت عنه هنا. فإنّ
 الرّبان من حيث كونه راكباً إنّما يكون في السفينة عَرَضاً. ولكن كيف يكون فيها من حيث أنه
 ١٠ ربّان؟ ليس في السفينة كلها/ مثلما أن النفس في البدن كله. أو يجب القول في النفس أنها في
 البدن على نحو ما يكون الفن في الأداة التي تستخدم له؟ أفنقول مثلاً في الدقّة، أنها لو كانت
 ذات نفس، أصبحت وكأن عمل الرّبان في باطنها وهي آخذة في التحرك من تلقاء ذاتها كلما
 انطلق الرّبان في صناعته؟ فإن كان ذلك كذلك، شتان ما بين الحالتين، إذ أن الفن إنما يعمل من
 ١٥ الخارج. ولنفترض النفس على قياس الرّبان/ كامناً في باطن الدقة، فإنها تكون في البدن آنذاك
 كأنها في أداة طبيعية. ويعني ذلك أنها تحرّكه في الأشياء التي تريد أن تصنعها. فهل يؤدي بنا
 الأمر إلى مزيد نفيده من حيث مطلوبنا؟ ألا، بل يبقى السؤال: «كيف تكون النفس في تلك
 ٢٠ الأداة؟» فهي هو يعود بأشكاله. أجل، إن وجه الإشكال هنا غيره في ما سبق ذكره. / لكن لا
 نزال، راغبين في أن نخرج منه وأن نزداد قرباً من الحل.

٢٢ فهل يجب القول في النفس أنها إذا حضرت في البدن، إنما تكون فيه مثلما يكون النور
 في الهواء؟ الواقع هو أن في الهواء نوراً مع كونه غائباً منه. إنه يجتازه بكامله ثم لا يمتزج به،
 ٥ ويبقى ثابتاً والهواء يجري. وإذا خرج الهواء من المكان الذي يشعُّ النور فيه، إنطلق وهو/ لا
 شيء معه من النور، مع أنه مدام تحت النور فالنور منتشر فيه. ومن ثمّ فالأصحُّ هنا أن يقال عن
 الهواء أنه في النور من أن يقال عن النور أنه في الهواء. ولذلك كان نَعَم القول قول أفلاطون إذ
 لم يجعل النفس في جسم الكل، بل جعل هذا الجسم في النفس. فقال إن الجسم ثابت في
 ١٠ بعض النفس، وأنه ليس له أثر في بعضها الآخر،/ يعني تلك القوى من النفس التي لا يحتاج
 الجسم إليها. وهذا قول يصدق على النفوس الأخرى أيضاً. فيجب القول في قوى النفس أنه لا
 يحضر منها في البدن إلّا ما يحتاج البدن إليه. وإذا حضرت هذه القوى، فإنها لا تحضر بمعنى
 ١٥ أنها مقيمة في أجزاء البدن أو في البدن كله/. إن قوة الإحساس مثلاً إنّما هي حاضرة في
 المُحسّ كله إذا نظرنا إلى الإحساس في ذاته؛ أما إذا نظرنا إلى العمل كان اختلاف القوى
 باختلاف الجوارح.

٢٣ وإليك ماذا أعني بقولي إذا انتشر نور النفس في بدن ذي نفس أصاب كل جزء من أجزاء

البدن من النفس نصيبه، على أن تكون الأنصبة مختلفة باختلاف الأجزاء. فكل عضو مجهز لعمله، على أن يكون هذا التجهيز هو الذي يُضفي على العضو القوة التي توافق عمله. وإذا كان ذلك كذلك قيل عن قوة البصر أنها في العين، / وعن قوة السَّمْع أنها في الأذن، وعن قوة الذوق أنها في اللسان، وعن قوة الشَّم أنها في الأنف، وعن قوة اللمس أنها في البدن كله. فإن البدن كلاً إنما يكون بمنزلة الأداة للنفس في ذلك النوع الأخير من الإحساس. لكن أدوات اللمس ثابتة في أوائل الأعصاب التي تملك القوة على تحريك / الحيوان، ما دامت هذه القوة تمتد من ذاتها امدادها في ذلك المحل بالذات. ولما كانت تلك الأعصاب تنطلق من المخ، جعلوا في المخ أصل الإحساس والرغبة، وحتى أصل الحيوان كله بوجه الإجمال، مُدْعِين بأنه حيث يكون أصل الأعضاء هناك يَعيَّن وجود ما يستخدمها. مع أن الأخرى / بالقول هو أن هنالك أصل عمل القوة. فإن ما تنطلق منه الأداة التي من شأنها أن تتحرك، هو الذي يجب أن يكون بمنزلة ما تلجأ إليه قوة الصانع التي تتكيف بتكيف أدواته. أو بالأحرى ليست القوة هي المقصودة هنا (فإن القوة في كل جزء من أجزاء الأداة)، بل أصلاً العمل الذي ينبعث عن هذه القوة. فإن أصل العمل يكون حيث يكون أصل / الأداة. ثم إن للنفس قدرتها على الإحساس والرغبة ما دامت هي تستطيع أن تحس وأن تتخيل؛ وليس فوق تلك القدرة إلا العقل. فهي تجاور بجهتها السفلى ذلك الذي تستوي فوقه. ولذلك جعلها القدامى في ذروة الحيوان، في الرأس. / ولا يعني ذلك أنها في المخ، بل يعني أنها في تلك القوة الحسية التي تَبَيَّنًا مقامها في المخ على النحو الذي سبق وصفه. فإن كان يجب في بعض النفس أن يعطي للبدن، فعلى أن يعطي لما هو في البدن أشدَّ قابلية لعمله. أما بعض النفس الآخر فإنه لا يشترك مع البدن في شيء قط، ولكن يجب فيه أن يكون على اتصال مع ٣٠ ما يكون هو مثال النفس، أعني النفس التي يسعها أن تُدْرِكَ الإنطباعات الواردة/ عليها من قِبل العقل. ذلك لأن قوة الإحساس هي قوة تميز من وجه ما، وفي قوة التخيل ما يشبه الروحانية. أما الرغبات والميول فإنها تابعة لقوة الخيال وللعقل. ومن ثم فإن النفس من حيث أنها ناطقة إنما هي في المخ أيضاً، لا بمعنى أنها في مكان، بل لأن ما هو قائم هنالك قد حَظِيَ بها. وقد ذكرنا ٣٥ بأي معنى «ما هو قائم هنالك» إنما هي قوة الإحساس. أمّا القوة النباتية التي/ تكفل النمو والتغذية، فلا تغادر قط جزءاً من أجزاء البدن. لكنها تُغذّي بالدم، والدم المغذّي يجري في العروق، ومنبع الدم والعروق إنما هو في الكبد الذي تغترز فيه القوة النباتية. ولأجل ذلك، وما ٤٠ دامت هذه القوة ثابتة في الكبد، فهو الكبد الذي عُيِّنَ مقاماً للقوة الشهوانية في النفس. / فإن الذي يولّد ويغذّي ويُشَمِّي، إنما يشتهي كل ذلك لا محالة ويرغب فيه. ثم إن الدم أخيراً هو الأداة الصالحة لقوة الغضب إذا لطف وخفّ واشتدَّ جريه وطُهر. فعُيِّنَ منبع الدّم وهو القلب، على أنه المقام الملائم لتلك القوة، إذ أنّ الدم، وهو كما وصفنا، إنما يفرز في القلب بواسطة غليانها.

ولكن أين تصبح النفس إذا خرجت من البدن؟ ألا، إنها لا تبقى في هذا العالم إذ ليس ثمة شيء ليتلقاها. كما أنها لا يسعها أن تثبت مع ما لا تتيح له فطرته أن يستقبلها إلا إذا احتفظت بشيء منه فساقها إليه وقد غابت عن رشدها. أو أنها تحلُّ في بدن آخر، إذا أصبح في قبضتها، /
 فإن الفرق بين النفس والنفس يعود إلى حالة النفس حتمًا، على أن يصدر عن الحق الثابت في الأمور. فلن ينجو ناسٌ مما يليق أن ينزل به من وراء أعماله السيئة، إذ أن السُّنة الإلهية لا مفرَّ منها، / وإن لها من ذاتها ما يجعل حكمها نافذًا. يتحرَّك المحكوم عليه من ذاته، وهو يجهل مصيره، إلى ما هو أهل له إذا أصابه. إنه يحوِّم تائهاً، مدفوعًا بحركة طائشة إلى كل صوب وجانب، ثم ينتهي به المطاف إلى أن يقع حيث يليق به أن يقع، وهو كأنه كابدَ الجهد الكثير ممَّا كان يقاومه ليردَّه عنه. فيكون قد حصل على ما فيه عقابه كُرمًا بتلك الحركة التي قام بها طوعًا. / هذا وقد ورد في السُّنة عن العقاب أيضًا كم هو وإلى متى يجب فيه أن يدوم. ثم يقع ويتفق الانفكاك من العذاب وإمكان الفرار من موطنه ممَّا، وذلك بقوة التناسق المُحكَّم الذي يتناول الأشياء كلها بتماسكه. فالنفوس اللواتي لهنَّ أبدان يحسِّن بالعذابات البدنية. /
 أما النفوس الطاهرات اللواتي لا يجذبهنَّ قطُّ شيء مما يمتُّ إلى البدن بمتات، فإنهنَّ يقمنَّ في نزاهة عن البدن تامة. وإن كنَّ لا صلة قطُّ لهنَّ بالبدن لأنَّ ليس لهنَّ بدن، فانهنَّ حيث تكون الذات والحقائق والعالم الإلهي، أعني في الإله. أجل، هنالك مع تلك الأمور وفي ذلك الإله / تكون النفس ما دامت على ما وصفناها به. وإذا سألت بعد ذلك: أين هنَّ؟ أجبتنا: ينبغي عليك أن تطلب أين الأمور الروحانية. وإن طلبت آنذاك، فلا تطلب ببصرك الحسي، ولا تكن كأنك تطلب أبدانًا.

والأمر الذي يجدر البحث فيه أيضًا إنَّما هو مسألة الذاكرة. هل يتم للنفوس إذا خرجنَّ من هذا العالم أن يتذكرنَّ، أو يتمَّ ذلك لبعضهنَّ ويحجب عن بعضهنَّ؟ وإذا تذكرنَّ فهل يتذكرنَّ الأشياء كلها أو بعضها؟ وهل تدوم ذكراهنَّ أو تستغرق حينًا قريبًا أجله من خروجهنَّ؟ إذا أردنا أن يكون بحثنا في هذا الموضوع بحثًا صحيحًا / تحتم علينا أن نعرف الأصل المتذكر ما عساه أن يكون. ولست أعني السؤال عن الذاكرة ما هي، بل إنني أبحث عن نوع الأمر الذي تكون فيه قائمة بما هي عليه في ذاتها، فيمتاز ذلك عن سائر الأمور. أما القول في الذاكرة ما هي، فقد ورد في حينه، وما أكثر ما ورد. لكن الأمر الَّذِي جُبِّلَ على التذكُّر فطرة، فهذا الذي يجب أن نمنعَ النظر فيه ونترك ما عسى أن يكون ما هو عليه في ذاته. إذا كان أمر / الذاكرة تذكُّر شيء مُكتسب، علمًا أو انطباعًا، فليس لِمَا هو منزَّه عن الانفعال ولِمَا لا يكون في الزمان تذكُّر. يجب في الذاكرة ألا تُجْعَلَ في الإله إذا أو في الحق أو في الروح. فإن هذي أمور لا يردُّ عليها شيء

١٥ وهي لا تقوم في الزمان بل في الأزل. ليس لها ماضي/ ولا مستقبل، بل إنها دائماً هي هي مثلما هي عليه في ذاتها، لا يطرأ عليها قط تغيير. ولعمرى، كيف السبيل لما يكون دائماً في ما هو عليه وبمثل ما هو عليه في ذاته إلى أن يصبح في حال التذكُّر؟ هلّا تلابسه بعد الحالة التي كان عليها في ماضيه حالة أخرى يمسك بها؟ هل يتمُّ له بعد عرفانه الأول، عرفان آخر حتى إذا أصبح ٢٠ هذا العرفان الأخير تذكُّر ذلك العرفان الذي حصل له أوَّلاً؟ ولكن/ ما الذي يمنعه عن أن يكون له علم بتقلُّبات غيره، مع كونه لا يتغيَّر هو، كأن يطلع على دورات العالم مثلاً؟ آلا، لأنه إذا تتبَّع تحوُّلات الشيء المتقلِّب عرفه وهو على حال تارة، ثم على حال آخر طوراً؛ والتذكُّر غير ٢٥ العرفان. فيجب في الأمور الروحانية ألا يوصف عرفانها بأنه تذكُّر، / إذ أنه لم يرد عليها وروداً حتى تمسك به خوفاً عليه من أن يفلت منها. وإذا كان ذلك كذلك فأقل ما يُقال عمّا هي عليه في ذاتها أنه أصبح يُخشى عليه أن يفلت منها هي ذاتها. ولذلك وجب في النفس أيضاً ألا يقال عنها أنها تتذكَّر بالوجه الذي نعينه هنا عندما تُسند إليها التذكُّر بما لديها فطرة وجبلة. بل يعني هذا ٣٠ التذكُّر، إنها ما دامت في هذا العالم، كان ما لديها آنذاك حاضراً فيها ثم لا تتحققه فعلاً، / لا سيما إِبَّان مجيئها إلى البدن. أمّا النفوس اللواتي تمَّ لهنَّ أن يتحققن ممّا لديهنَّ في حالة كهذه، فإن القدامى فيما يبدو ينسبون إليهنَّ التذكُّر والذكرى. ومن ثم كان ما يعنونه بقولهم نوعاً يختلف عن نوع التذكُّر الذي نحن في صده. ولذلك لم يكُ للزمان سبيل على الذكرى ما دامت ٣٥ على المعنى الذي يصفونها به. ولكن ربما كانت معالجتنا لهذه الأمور معالجة غير ذي بال لا دقّة فيها. ربما/ أقبل علينا معترض يسأل عن هذه الذكرى أو هذا التذكُّر على نحو ما ورد وصفهما، إن كانا ذكرى تلك النفس الروحانية أو تذكُّرها. فقد يكونان لدى نفس أخرى قلَّ نورها أو لدى نفس المرگب، وأعني به الحيوان. فنجيب: إذا كانت تلك النفس نفساً أخرى، فمتى حصل التذكُّر فيها وكيف حصل؟ ويصدق السؤال ذاته على الحيوان. ولذلك يجب في ٤٠ الأمر الذي ننسب التذكُّر إليه أن نبحت عنه ما هو بين القوى الكامنة فينا؛ وهذا ما كان مطلوبنا بالذات في مستهلّ كلامنا. / إذا كانت النفس هي التي تتذكَّر، فما هي من النفس المَلَكَة أو القوة التي يُردُّ إليها التذكُّر؟ وإذا كان الحيوان هو الذي يتذكَّر مثلما أنه هو الذي يحس، فيما يذهب إليه بعضهم، فعلى أي وجه يجري التذكُّر فيه، وما عسى أن يكون ذلك الذي يجب فيه أن يقال عنه أنه الحيوان؟ هذا وإن لدينا سؤالاً آخر أيضاً: هل يجب في الشيء الواحد ذاته أن ننسب إليه إدراك المحسوسات أو إدراك المعاني، أو أنَّ ما يُدرك طرفاً هو غير ما يُدرك الطرف ٤٥ الآخر؟/

٢٦ إذا كان الحيوان المرگب هو صاحب الإحساس الذي يتمُّ فعلاً، وجب آنذاك في من

يحس أن يكون بمنزلة من يثقب أو من يحيك. ولذلك قيل عن الإحساس أنه عمل مشترك. ويعني ذلك أنه، إذا أحسَّ الحيوان، كانت النفس بمنزلة الصانع، والبدن بمنزلة أداة الصانع. ٥

أما البدن فينفع/ خاضعاً، وأما النفس فتشرح لما كان انطباعاً في البدن، أو انطباعاً بواسطة البدن، أو حكماً قامت به من وراء الإنفعال الذي نزل بالبدن. فيقال عن الإحساس بكل ذلك ١٠ أنه، ما دام كذلك، عمل مشترك بين النفس والبدن. / أما التذكُّر بكل ذلك، فيجب فيه ألا يوصف بأنه عمل مشترك إذ انشרכת النفس للإنطباع وتلقته: فإما أن تكون قد احتفظت به بعد ذلك، أو أنها خلعت بينه وبين أن يفلت منها. إلا إذا كنّا نحاول أن نُثبِت على التذكُّر كونه أمراً مشتركاً بقولنا أن التذكُّر أو التسيان عندنا أمران يعودان إلى أمزجة أبداننا. ولكن سواء أقيّل عن ١٥ البدن أنه يقوم أو لا يقوم حائلاً بيننا وبين أن نتذكَّر، / فإن هذا القول لا ينال من كون التذكُّر أمراً يعود الى النفس. فما للمرْكَب لا يتذكَّر العلوم، بل ما للنفس لا تتذكَّرها هي وحدها؟ وإذا بدا الحيوان المرْكَب على أنه شيء خرج من مزيج شيئين وهو يختلف عنهما، فليس من المعقول أولاً أن يقال عن الحيوان أنه ليس بدناً ولا نفساً. فإنَّ الحيوان نشأ مختلفاً عن أصليه بدون أن يتغيَّر، / كما أن تمازجهما لم يكن بمعنى أنَّ النفس تصبح في الحيوان بالقوة. فضلاً على أنه ولو كان ذلك كذلك، فإنه لا يطعن في كون التذكُّر عمل النفس فقط. مثل ذلك مثل ما يتمُّ في مزيج من خمر وعسل: إن كان في المزيج حلاوة، فإنها حلاوة العسل. أجل، إن النفس هي ٢٥ التي تذكر. ولكن ما عسى أن نقول لو كان تذكرها يعود الى أنها في البدن، غير طاهرة، / وكأنها بكيفٍ معيّن، فيسعى آنذاك أن تتأثّر بالإنطباع الذي يولّده المحسوس فيها؟ أو لا يعود تذكرها حينذاك إلى كونها كأنها مقيمة في البدن لتشرح لذلك الإنطباع وتردّه عمّا هو كالجري والزوال. لكن أول ما يقال في الأمر هنا هو أن هذا الانطباع ليس شيئاً يقدر بالكم. فإنه لا يشبه ٣٠ نقش الخاتم أو النقود، ولا يشبه تكييف المادة بشكل وهيئة، لأنه لا تقابله مقاومة يصطدم بها/ ولا يبدو كأنه في قطعة من الشمع. بل يكون في حدوثه من نوع بالعرفان أشبه، وذلك حتى في الأمور المحسوسة ذاتها. ففي حال العرفان، أين الذي يوصف بأنه النقش؟ أو لماذا يجب في العرفان أن يكون بمعية البدن والكيف الجسماني؟ فضلاً على أنه لا بدّ للنفس من أن تعود إلى ٣٥ التحركات التي حدثت فيها وتذكرها؛ / كأن تذكر شيئاً اشتتهه ولم تتلّه، فلم ينته إلى بدنها. فما عسى أن يقول البدن عن شيء لم ينته إليه؟ بل كيف تلجأ النفس إلى البدن لتتذكر ما ليس للبدن، في فطرته وجبلته، سبيل إلى إدراكه بوجه ما. هذا على أنه لا بدّ من القول بأن كل ما ٤٠ يجتاز البدن إنما ينتهي إلى النفس. أما ما سوى ذلك فإنه ملك النفس وحدها، / اللهم إن وجب في النفس أن تكون شيئاً وأن يكون لها حقيقة في ذاتها وأعمال تنفرد بها. وإذا كان ذلك كذلك، فإنها ترغب حتماً وتذكر أنها رغبت، فتذكر أنها نهجت في تحقيق رغبتها أو فشلت، ما دامت

هي في حقيقتها ليست من الأمور العابرة التي تجري. وإن نفينا عنها ذلك، أمسكنا عنها كل
 ٤٥ شعور بذاتها وكل تعقّب لذاتها، ولم نعترف لها/ بالتأليف بين المعاني أو بما هو كالإدراك من
 الباطن. ولا يصحّ القول عنها أنها، في حقيقة ذاتها، لا تملك شيئاً ممّا لديها، ثم تأخذه عندما
 تصبح في البدن. بل أنها بوسعها أن تقوم بأعمال يستلزم تحقيقها وجود أعضاء البدن. فإذا
 جاءت إليه كانت حاملة في جنباتها كل ما لديها، كامناً بعضه بالقوة، ولكن بعضه الآخر قائم
 ٥٠ بالفعل، فاعل أفاعيله. فضلاً على أن البدن يحوّل بين الذاكرة وبين عملها. / والدليل هو أنه إذا
 جمع أشياء وأفرط في وقته الحاضر أصابنا النسيان. وكثيراً ما تعود الذاكرة وتنهض إلى عملها
 إذا أزيلت عنه تلك الزوائد وطُهرَ منها. فما دامت الذاكرة شيئاً منفرداً ثابتاً في ذاته، والبدن شيئاً
 متحرّكاً يجري، فإن البدن إنما هو سبب النسيان حتماً، وليس سبب التذكّر بحال. ولذلك قد
 ٥٥ يؤوّل نهر «الليثي» (النسيان) على أن ذلك البدن بالذات. / أما الوصف بالتذكّر إنّما هو وصف
 من أوصاف النفس.

٢٧ ولكنه وصف أية نفس هو؟ أهو وصف النفس إذ تكون، في اصطلاحنا، على أشد ما
 يمكن ربانية، وهي التي تجعلنا في ما نحن عليه في صميم ذواتنا؟ أم هو وصف الناس بالمعنى
 الآخر والتي تأتينا من العالم الكلي؟ قد يجوز القول في النفسين أن لكليهما ذكريات، بعضها
 تنفرد به كل منهما، وبعضها الآخر مشترك بينهما. فإذا اتّحدتا جمعتا ذكرياتهما كليهما. وإذا
 ٥ انفصلتا، وبقيتا كلتاهما، / طالبت لدى كل نفس مدة ذكرياتهما الخاصة. أما ذكريات النفس
 الأخرى فلا تلبث طويلاً حتى تنساها. فأقل ما يقال عن شبح هرقليس في منازل الأموات (إنه
 يجب علينا، فيما أرى، أن نعتقد في هذا الشبح أنه «نحن» فيما نحن عليه) هو أنه يتذكّر الأعمال
 التي قام بها في حياته، ما دامت تلك الحياة حياة ذلك الشبح بنوع خاص. أمّا النفوس الأخرى،
 ١٠ فكُنْ كل منهنّ مؤلّفة من النفسين اللتين سبق ذكرهما، / ولا غرو إن لم يكن لديهنّ هنّ أيضاً
 مزيد يذكرنه: فإما أنهنّ أدركنّ أمور تلك الحياة بعد أن أصبحنّ نفوساً مؤلّفاتاً كلّ منهنّ من
 نفسين؛ وإما أنهنّ أدركنّ أمراً قد تمّ من بين الأمور التي تشملها السّنة الكونيّة. أما ما ذكره
 هرقليس «ذاته» أعني هرقليس منزّها عن شبحه، فلم يرد في مقطّعاتنا. وما عسى أن يكون ما
 تذكره تلك النفس الربانية إذا تحرّرت وأصبحت وحدها على حالها؟ فإن النفس لا تزال تجرّ
 ١٥ شيئاً من البدن، مهما كان قدره، / إنما تذكر فقط كل ما فعله الآدمي أو انفعّل به. ثم إذا تقدّم
 بها الزمان وانتهت إلى ساعة الموت خطرت لها ذكريات من أدوار حياتها السالفة، فتزدي من
 ذكريات حياتها الحاضرة ببعضها ثم تُسقطه. ولما كان تطهيرها من البدن قد ازداد آنذاك، يَسْرُ
 ٢٠ عليها أن تستعيد ما لم يقع في ذاكرتها أثناء وجودها في هذا العالم. ثم إذا حلّت في بدن آخر/

بعد خروجها من بدن آخر، ذكرت أمورًا خارجة عن الحياة التي أصبحت فيها، وذكرت ما مضى وغادرته على أنه حاضر بين يديها؛ وذكرت الكثير من أدوار حياتها السالفة أيضًا. ولكنها مع الزمان، تنسى الكثير مما كان يَرُدُّ عليها عن طريق الإكتساب. أما إذا أصبحت وحدها على حالها حقًا، فما عسى أن يكون ما تذكره؟ ألا، لا بدَّ أولًا من أن نتبيّن في النفس ذاتها القوة التي يتمُّ بها التذكُّر. / ٢٥

٢٨ يمكن أن يقال في التذكُّر أنه يتمُّ على الأقل بالقوة التي بها نحسُّ أو بتلك التي بها نعرف؛ أو نقول في تذكُّر ما اشتبهناه أن مدركه ما به نشتهي، وفي تذكُّر ما أغضبنا أن مدركه القوة الغضبية فينا؟ فربَّ معترض اعترض على أن يكون المتلذِّذ شيئًا والمتذكَّر شيئًا آخر. فأقل ما يقال في القوة الشهوانية هو أنها إذا لذَّها شيء عادت وتحركت لدى حضور مشتهاها، أعني الحضور الذي يتمُّ/ بوساطة الذاكرة. وما دام ذلك كذلك، فلماذا لا يصدق هذا القول على شيء آخر وحالة أخرى؟ ماذا يمنعنا عن أن نحمل في القوة الشهوانية الإحساس بما يكون على شاكلتها، وفي قوة الإحساس الشهوة، وهكذا في كل مرة ما يكون على شاكلته القوى الأخرى كلها؛ ثم تسمَّى كل قوة بتسمية المترجِّع فيها؟ أو أننا نجعل الإحساس في كل قوة على أن يكون معها غيره مع غيرها؟ فالبصر مثلاً هو الذي يرى، ولا ترى الشهوة. / لكن الشهوة تتحرك بدافع من الإحساس بالبصر. فكانها تسلك قليلاً قليلاً حتى تنتهي، لا إلى أن تتبيّن الإحساس من أي نوع يكون، بل إلى أن تفعل به عن غير تعقُّب لذاتها. وكذلك الأمر في حال الغضب أيضًا. ترى القوة الحسية متعلِّقاً يعدو على غيره، فينهض الغضب من فوره. مثل ذلك مثل ما يجري فيما لو رأى راع ذنباً مُقْبِلاً على قطيعه، فتستثير الرائحة والأصوات كلبه فيندفع على الذئب ولمَّا يره بأَمِّ عينه. / أجل، إنَّ الشهوة تلتذُّ بما تصيب، ويبقى لديها أثر تنطوي عليه ممَّا حصل فيها، ولكنه ليس أثراً بمعنى أنه ذكرى، بل بمعنى أنه حال وانفعال. فالذي أدرك اللذة إنما هو شيء آخر، وهو الذي له من ذاكرته ذكرى ما حدث وفات. والدليل على ذلك هو أنه كثيراً ما يحدث للذاكرة أن تجهل ما أصابته الشهوة. / مع أنه لو كانت فيها لما فاتها ذلك. ٢٥

٢٩ أعود إلى قوة الإحساس ونجعل الذاكرة فيها إذاً، فتكون فينا قوة التذكُّر وقوة الإحساس ملكة واحدة؟ ولكن إذا كان شيخ هرقليس يتذكَّر وهو في مقام الأموات، كما ورد سابقاً، أصبح لدينا قوتان للإحساس. بل إنَّنا على كل حال، أمام أصلين يَرُدُّ التذكُّر عليهما، حتى ولو لم تكن قوة التذكُّر هي قوة الإحساس، بل شيئاً آخر مهما كان. / فضلاً على أنه لو كانت قوة التذكُّر هي قوة الإحساس، لأصبحت قوة الإحساس هي التي ندرك بها تذكُّرنا

بالعلوم، وأصبحنا ندرك المعاني الفكرية بقوة الإحساس. أو أنه لا بد من قوة أخرى تختلف عن كلتا القوتين. فهل نقيم قوة الإدراك قدرة مشتركة وننسب إليها تذكُّر ما لدى الطرفين، الحسي والعقلي؟ لو كان مُدْرِكُ الحسيات والروحانيات مدرِّكًا واحدًا، / لكان في قولنا شيء من المعنى. لكن إذا جُزِّيَ إلى جزئين فلا أقل من أن تكون ذاكرتنا ذاكرتين. ثم إذا ورَّعناهما على النفسين كليهما أصبح عددهما أربعة. ثم إننا نقول بوجه الإجمال: لماذا يجب في ما نحس به أن يكون هو الذي نتذكَّر به، فنضطر إلى أن نردَّ الطرفين إلى قوة واحدة؟ كما أنه لماذا يجب في الملكة التي نفكر بها، أن تكون هي التي نتذكَّر بها ما لدينا من المعاني الفكرية؟ ١٥ وبعد، فإنه ليس خير الناس تفكيرًا هو هو خيرهم تذكُّرًا. وإذا تساوت درجة الإحساس عند من يلجأون إليه، فإنهم لا يتساوون في درجة التذكُّر. فقد يدقُّ الإحساس عند بعضهم، والتذكُّر عند غيرهم ممن لم يحظوا بإحساس جديد. وإن وجب، من وجه آخر، في القوتين أن تكونا مختلفتين، ووجب في إحداهما أن تتذكَّر بما سبقتها إليه قوة الإحساس / وأحسَّت به، وجب في تلك القوة الأولى أن تكون قد أحسَّت هي أيضًا بما هي مقبلة على تذكُّره بعد ذلك. فليس من شيء ليمنع من أن يكون المحسوس لمن يتذكَّره صورة خيالية، وأن تكون الذاكرة التي تحفظ الصور من خصائص القوة الخيالية التي تختلف عن قوة الإحساس. ذلك لأن الخيال هو ما ينتهي الإحساس إليه، فإذا زال الإحساس بقي المرئي حاضرًا في الخيال. / وإذا بقيت صورة الشيء بعد غيابه في الخيال، فما هو ذا الخيال يتذكَّر، ولو لم تكن الصورة لتلبث طويلاً. فإن بقيت الصورة لدى الخيال وقتًا قليلًا، كانت الذاكرة ضعيفة. وإذا طالت مدة الصورة، كان صاحب الخيال قوي الذاكرة باشتداد قوة الخيال، إذ أنه يصعب آنذاك في هذه القوة أن تتقلَّب ٢٠ فتدع الذاكرة تختل وتتحلُّ. / إن الذاكرة هي ذاكرة القوة الخيالية إذًا؛ وإن التذكُّر هو تذكُّر أمور على شاكل هذه القوة. أمَّا الاختلافات التي تقع بين ذاكرة وذاكرة فإننا نردها إلى الاختلافات في المَلَكات، أو إلى حضور الإنتباه وغيابه، أو إلى الأمزجة البدنية إذا توافرت ٢٥ أو لم تتوافر. فهي التي تفسد الذاكرة وتعكِّر صفاءها أو لا تُحلِّث شيئًا من ذلك. / ولكن هذا موضوع نرجئه إلى حينه.

٣٠ وما عسى أن يكون ذلك الذي يتذكَّر المعاني الفكرية؟ هل تتذكَّرها قوة الخيال أيضًا؟ نقول إن مع كل عرفان صورة خيالية ترافقه. وإذا كان كذلك، وبقيت هذه الصورة وهي من المعنى الفكري بمنزلة الأثر له، غدا هذا الحال والذاكرة التي تحفظ المعلومات العقلية. وإلا ٥ وجب علينا أن نلتمس الذاكرة في شيء آخر. فربما/ كان ما تتلقاه قوة التخيل إنما هو النطق الذي يرافق المعنى المعروف. إن المعنى المعروف شيء لا يتجزأ، وإنه ليبقى أمرًا مغفلًا مدام

في الباطن ما يزال كأنه لم يسعَ قطَّ الى الخارج. فإذا بسطه النطق وساق منه مدلوله إلى قوة الخيال، كشف عنه وكأنه في مرآة. / وبذلك يكون إدراكه بقوة الخيال، ويحل فيها شيئاً ثابتاً في وحدته وتكون الذاكرة. ولأجل ذلك أيضاً، ما دامت النفس في تحرك مستمر نحو العرفان، فإن الإدراك يتم لنا عندما تولد في الخيال أثراً منها. فالعرفان شيء وإدراك العرفان شيء آخر. ١٠ ثم إننا نحن في عرفان متواصل دائم، ولكننا لا ندرك ذلك دائماً، لأن ما يتلقَّى عندنا العرفان، لا يتلقَّى العرفان فقط بل الإحساس أيضاً، وبالتناوب.

٣١ إن الذاكرة إنما هي ذاكرة قوة التخيل إذاً. وقد ورد في النفسين أنهما تتذكران كلتاهما، فإذا كان ذلك كذلك، كان لكل نفس قوة تخيل. فلنفترض أن الأمر كذلك هو ما دامت منفصلتين. ولكن إذا كانتا فينا وكل منا شيء واحد في ذاته، فما القول عن قوتي التخيل وبأيّة منهما يتمّ التذكُّر؟ إذا تمّ بهما كلتيهما، قابلنا دائماً صورتان خياليتان؛ ذلك لأنه لا يجوز أن تنفرد قوة التخيل / في إحدى النفسين بالأمور الروحانية، وتلك التي في النفس الأخرى بالأمور الحسية. فإن الوضع إن كان كذلك إنما يؤدي إلى القول بحيوانين ليس بينهما شيء مشترك قطّ. وإذا تمّ التذكُّر في النفسين معاً إذاً، فبماذا نُميّز الصورة في النفس الأولى عنها في النفس الأخرى؟ ثم كيف لا ندرك هذا الفرق. إنّنا هنا أمام حالتين: الأولى منهما ١٠ هي حالة الصورتين إذا تمّ التناسيق بينهما، / ثم لا تكون القوتان منفصلة إحداهما عن الأخرى. فما دامت أشرف القوتين هي السائدة خرجت الصورة الخيالية واحدة، وكان إحدى الصورتين ترافق الأخرى ظلّاً لها أو كأنها نور ضئيل يجري إلى جانب النور الأعظم. أما الحالة الثانية فهي حالة التنازع والتنافر بين الصورتين، فتظهر إحداهما وحدها في ذاتها. ولكننا نغفل عن كونها في النفس الأخرى لأننا، إجمالاً، غافلون عن اثنيّتين نفوسنا، إذ أن كل نفس إنما هي واحدة على أن ١٥ يكون ضمان وحدتها بإسهام نفسيّين تشرف إحداهما على الأخرى. / فنقول إذاً: أن إحدى النفسين ترى كل شيء؛ فإذا خرجت من البدن حملت معها بعض ما رأت، أما بعضه الآخر الذي يخصّ النفس الأخرى، فإنها تتخلّى عنه. مثل ذلك مثلما يتمّ لنا إذا كنا في صحبة رفاق أربابهم ثم تحولنا يوماً إلى غيرهم: فإننا نذكر من أولئك الشيء القليل، ولكننا نذكر شيئاً أكثر عن ٢٠ هؤلاء الذين كانوا نخبة الأصفياء أيضاً. /

٣٢ وما عسى أن يكون من أمر الأصحاب والأولاد والزوج؟ وماذا من الوطن ومن الأمور التي لا يمنع العقل من أن يتذكرها الرجل الفاضل؟ إلّا أن القوة الخيالية إذا تذكّرت أمراً من تلك الأمور تأثرت مع تذكُّرها، أما الرجل الفاضل، فإنه يتذكرها ثم لا يفعل. أجل إنه أحسنّ

٥ بالإنفعال في بداية أمره، وتأثرت نفسه الشريفة بهذا الانفعال أفضله على قدر/ ما بينها وبين النفس الأخرى من الإتصال. ولكن كيف يليق بهذه النفس السفلى أن ترغب في ما تحقق من الذكرى لدى النفس العليا، ولا سيما إذا كانت شريفة هي أيضًا. فإن النفس قد تكون فاضلة منذ بداية أمرها، وقد تصبح كذلك أيضًا بأن تؤديها النفس التي هي خير منها. إلا أنه ينبغي لهذه النفس الأخيرة أن تحاول عن رضى نسيان ما يأتيها من التي دونها. / ذلك لأنه لا يجوز في النفس السفلى، ولو كانت النفس العليا فاضلة، أن تكون ريثة وأن تحبسها النفس العليا في الأسافل قهراً. وبعد، فبقدر ما تسعى هذه النفس الفاضلة إلى الملاء الأعلى، يزداد نسيانها شمولاً، إلا إذا كانت حياتها كلها، حتى في هذه الدنيا، بحيث لا تكون ذكرياتها إلا ذكريات فضل وخير. / فإنه، حتى في هذه الدنيا، نغم العمل خلع الهموم التي تلازم الآدميين، وبالتالي خلع الذكريات التي تنطوي على تلك الهموم حتمًا. وما أصوبه قولاً في النفس الناسية أنها هي الفاضلة، إذا كان نسيانها على هذا الوجه استقام. فإن المرء آنذاك ينجو من الكثرة، ويضبط

١٥ الكثرات بالوحدة، فيخلع عنه ما كان مبهمًا غامضًا. / وما عادت النفس مع الكثرة بعد ذلك، بل ها هي ذي رشيقة خفيفة، وحدها مع ذاتها. وإذا أرادت، حتى في هذه الدنيا، أن ترتقي إلى عالم الروح، خلعت عنها سائر الأمور كلها، ولو كانت لا تزال مقيمة في هذا العالم. فقل ما تحتفظ به من حياتها هذه إذا أصبحت في حياتها الروحانية، ناهيك بما تخلعه عنها إذا أصبحت في السماء. إنه، لعمري، يجوز لهرقليس المقيم في منازل الأموات أن يتباهى بمآثره بطلاً.

٢٥ لكن الذي يستصغر هذه الأمور، / عندما ينتقل إلى جناب القدس ويصبح في العالم الروحاني، يفوق هرقليس بلاء في الجهاد الذي دخل فيه الحكماء.

الفصل الرابع

(٢٨)

في المشكلات المتعلقة بالنفس (القسم الثاني)

١ لعمرى، ما عساه أن يقول؟ ما عسى أن تكون الأمور التي تتذكرها النفس إذا أصبحت في العالم الروحاني، مع الذات الروحانية. ألا، إنَّ ما يلزم عن ذلك هو أن يقال عن النفس آنذاك إنها تشاهد تلك الروحانيات وتفعل ما يليق بالعالم الذي هي فيه، وإلا لما كانت في ذلك العالم. ومن ثمَّ فإنها لا تذكر شيئاً مما فعلته في العالم الحسيّ. فلا تذكر أنها كانت تعالج علم الفلسفة مثلاً، ولا تذكر أنها، أثناء إقامتها هنا، كانت تشاهد الأمور الروحانية. / إنَّ المرء إذا استغرق في وجه من وجوه العرفان، أصبح لا يسعه أن يقوم بعمل آخر سوى أن يدرك ما يعرفه وما يشاهده. فضلاً على أن العرفان في حدِّ ذاته لا ينطوي على عرفان مضى وثمَّ قبله. أجل، إذا عرف المرء وانتهى من عرفانه، يقول بعد ذلك أنه تمَّ له في ماضيه عرفان. ولكن هذا يعني أنه حدث في العرفان تغيير. وإذا كان ذلك كذلك، فإنه يستحيل على ما أصبح نقياً صافياً في عالم الروح أن يذكر ما جرى له/ يوماً أثناء وجوده في هذه الدنيا. ثمَّ إنَّ الظاهر في كل عرفان أنه لا يخضع للزمان، ما دامت الروحانيات في حيِّز الأبد لا في حيِّز الزمان. فاذا صحَّ ذلك، كان التذكُّر في الملأ الأعلى أمراً مستحيلاً: ليس التذكُّر بأمور هذه الدنيا فقط، بل تذكُّر كل شيء ١٥ مهما يكن أيضاً، فإن كل شيء حاضر هنالك: فلا خروج من شيء إلى شيء ولا انقلاب/ من حال إلى حال. فماذا إذا؟ أولسنا نجد تقسيماً يسير انحداراً من الجنس إلى الأنواع أو ارتقاءً من الأسفل إلى الكليات والعلويات صعوداً؟ وإن لم يكن ذلك للروح، وهو موجود بالفعل كله معاً، فلماذا لا يتمُّ للنفس القائمة في الملأ الأعلى؟ نقول: وما للنفس آنذاك لا يتمُّ لها أن تمسَّ مساً بدفعة واحدة ما يوجد معاً بدفعة واحدة؟ وإن قيل: يكون هذا الإدراك مثل إدراك شامل ٢٠ لشيء واحد؟/ قلنا: بل إنه ينطوي على وجوه العرفان كلها معاً، من حيث أنه عرفان لأمور كثيرة. فما دام الشيء المشاهد مختلف العناصر، كان لا بدَّ من أن يكون العرفان بالدفعة الواحدة مختلف العناصر وذا كثرة أيضاً، من أن تكون وجوه العرفان كثيرة. مثل ذلك مثل ما يتمُّ لنا عندما نرى وجهاً فنذكره باحساسات كثيرة في عينيه وأنفه وأجزائه الأخرى. وما القول

٢٥ فيما عمدت النفس إلى الشيء الواحد فقسمته وشرحته؟ ألا، / إن التقسيم إنما كان في الروح؛
 وإنه لأحرى به، ما دام من هذا النوع، أن يقال عنه إنه بمنزلة تقسيم وُضعت معالمه. أما وضع
 التقدم والتأخر في الشئ والمعاني، فإنما هو بغير زمان، كما أن العرفان بالتقدم والتأخر لا يتقيد
 بالزمان. بل إن هذا الوضع قوامه ترتيب مُحكم، مثلما يكون الأمر في الشجرة: يشملها ترتيبها
 ٣٠ من أصلها إلى فروعها عندما نراها؛ / وليس وضع المتقدم والمتأخر فيها إلا وضع ترتيبها عندما
 نراها دفعة واحدة. ولكن إذا نظرت النفس إلى الشيء الواحد، وكان هذا الشيء ينطوي على
 أمور كثيرة بل على الأمور كلها، كيف تدرك الطرف الأول، ثم تدرك ما بعده؟ ألا، إنما قوة
 النفس الواحدة واحدة بمعنى أنها تتكاثر في غيرها، فلا تدرك الأشياء كلها عن طريق وجه واحد
 ٣٥ من العرفان. فإن أفاعيلها لا تتم فعلاً فعلاً، بل تكون دائماً كلها معاً قائمة بقوة ثابتة في ذاتها؛ /
 إنما تتكاثر وتفرّق في الأشياء المختلفة. ذلك لأن الأمر الروحاني ليس بحيث يكون واحداً في
 ذاته، فقد يتسع للأمور الكثيرة التي لا تكون كثيرة في ما هو قبله.

٢ هذا وحسبنا ما ذكرنا من هذه الناحية. ولكن، كيف يتذكّر الأمر الروحاني ذاته؟ ألا،
 إنه ليس له تذكّر بذاته، أو بأنه هو سقراط مثلاً، الذي يشاهد، أو بأنه روح أو نفس. ولندكر هنا
 تلك الحالات التي نصبح عليها، حتى في هذه الدنيا، حيث نشاهد وتكون مشاهدتنا على أشدها
 ٥ قوة ووضوحاً. فلا يعود المشاهد إلى ذاته في عرفانه آنذاك. / أجل، إنه قابض على ذاته، لكن
 فعله موجّه إلى ما يشاهده. فيصبح آنذاك هو الأشياء التي يشاهدها عيئاً وكأنه يتقدّم إليها بذاته
 على أنه لها هيولى ويستحيل مثلاً متناسقاً مع ما يراه، ويكون، هو بذاته، بالقوة ما تكون عليه
 الأشياء التي تراها. وبعد، أو يكون العارف قائماً في ذاته بالفعل عندما لا يعرف شيئاً إداً؟ لا
 ١٠ شك، فيما لو كان العارف ذاته فارغاً خالياً من كل شيء عندما لا يعرف شيئاً. / أما إذا كان
 العارف هو ذاته الأشياء كلها، فإنه عندما يعرف ذاته إنما يعرف الأشياء كلها معاً. ومن ثم فإن
 الذي يشاهد ذاته كذلك بالفعل ويدرك ذاته مساً، يحيط بالأشياء كلها؛ كما أن عرفانه للأشياء
 كلها محيط به هو ذاته أيضاً. لكنه إذا فعل كذلك تحوّل من عرفان إلى عرفان، وهو أمر حَكَمْنَا
 ١٥ بخلافه قبل ذلك. أفيجب/ القول عن الروح إنه يبقى هو هو على ما هو في ذاته؟ أما النفس
 فنقول عنها إنها، ما دامت في أفق العالم الروحاني، يجوز فيها التغيّر، إذ إنه يجوز فيها أن تزداد
 توغلاً في هذا العالم أيضاً؟ ذلك لأنه إن كان شيء حول المركز الثابت، وَجَبَ في هذا الشيء ألا
 يبقى كذلك ثابتاً، بل أن يتحرك بالنسبة إلى المركز الثابت. ألا وإنه يجب القول بأنه ليس في
 ٢٠ الأمر قطّ تغيير، / فيما لو تحرك العارف مما ينطوي عليه في ذاته إلى ما هو عليه في ذاته، أو فيما
 لو تحرك مما هو عليه في ذاته إلى الأشياء الأخرى. فإنه هو هو الأشياء كلها والطرفان شيء

واحد. ولكن النفس، إن كانت في العالم الروحاني، هل تفعل إذا نظرت إلى ما هي عليه في ذاتها بغير ما تفعل به إذا نظرت إلى ما هو بذاته فيها؟ ألا، إنها لا يعثرها التغيير هي أيضًا، ما دامت صافية نقية في العالم الروحاني؛ فتكون هي بذاتها ما هي الأشياء في ذاتها. / وإذا أصبحت في ذلك العالم الروحاني انتهت إلى الاتحاد بالروح حتمًا، ما دامت قد وجّهت آنذاك وجهها له. لأنها، إن فَعَلَتْ، زال كل متوسط بينها وبين الروح، وأتجهت شطر الروح فانسجمت معه ثم اتحدت به من غير أن تُهلك ذاتها هي. بل يكون كلاهما واثناهما شيئًا واحدًا. ٢٥
٣٠ فلا يعثرها التغيير، ما دامت على هذه الحالة، / بل تكون في عرفان مستمر لا تتحوّل عنه يرافقه الشعور بذاتها، لأنها قد أصبحت هي والعالم الروحاني شيئًا واحدًا.

٣ ثم تخرج النفس من العالم الروحاني، وتضيق ذرعًا بالوحدة، فتتفرد بشوقها إلى ذاتها وتسعى إلى أن تصبح غير ما هي عليه، فكأنها تندلق. والظاهر هو أنها تتلقى الذكرى بعد ذلك. فإن ذكرت الأمور الروحانية، أُمسِكَت عن الهبوط، وإن ذكرت الأمور الدنيوية انحطّت إلى هاهنا، وإن ذكرت السماء بقيت هنالك. وإنها، إجمالًا/ مهما تذكر من شيء، تصبح هذا الشيء وتصير إلى ما هو عليه في ذاته. ذلك لأن التذكّر كما مرّ بنا، إنما هو عرفان أو تخيّل. وليست القوة الخيالية في حدّ ذاتها بأن تملك الشيء، بل إنها تتكيّف بتكيّف ما تراه. فإذا شاهدت الحسيّات حصل فيها من التمدّد ما شاهدت الحسيّات عليه. ذلك لأن الأشياء كلها ليست في الخيال بنوع أول بل بنوع ثانٍ، وما دامت كذلك فإنها ليست في الخيال بوجودها الكامل؛ بل إنه يصير هو الأشياء كلها شيئًا فشيئًا. فهو متوسط موضوع بين الروحانيات والحسيّات، / وهو مقيّد بهذا الوضع والحال، فيميل إلى الطرفين جميعًا. ١٠

٤ هذا وإن النفس في العالم الأعلى ترى الخير المحض بتوسّط الروح. فإنه ليس محجوبًا بحيث لا يتجه إليها، ما دام ليس من جسم يتوسطهما بحيث يحوّل بينه وبينهما. لكنه حتى فيما لو تتوسطهما الأجسام، ما أكثر ما يأتي من أمور المقام الأول، إلى أمور المقام الثالث (مقام النفس). أما إذا استسلمت النفس إلى الأمور الدنيوية، فإنها تحصل آتذ على ما/ أرادت وفقًا لتذكّرها وخيالها. ولذلك لم يكن التذكّر أفضل الأحوال، حتى ولو كان تذكّرًا بالأمور الفاضلة. فإن ما يجب في فهمنا للتذكّر هو أنه ليس في أن يصبح كائنًا نحس بأننا نتذكر، بل في أن يلبسنا الحال الذي ولّدته فينا انطباعاتنا ومشاهداتنا الماضية. ذلك لأنه قد يكون لدينا شيء عن غير تعقّب لذاتنا تبيّن/ به ما لدينا، وهو لدينا آنذاك أشد وأقوى منه فيما لو أدركناه. ١٠ وأن ندرکه فإنما ندرکه على أنه شيء يختلف عنا ما دمنا نحن نختلف عنه أيضًا؛ أما إن كنا عنه

غافلين، فإننا نكاد نصبح حينذاك ما يكون الشيء الذي لدينا عليه. وهذا الانفعال المغفّل هو الذي يؤثر بخاصة في هبوط النفس. ولكنها إذا رحلت عن المقام الأعلى حملت الذكريات معها في جنباتها من وجه ما. فإن لها هنالك أيضًا القوة/ على التذكّر إذا. لكن الأمور الروحانية تفعل أفاعيلها آنئذ فتحجب الذكرى. ذلك لأن الذكريات لم تكن حينذاك بمنزلة انطباعات كامنة في النفس، وهو قول يؤدي بنا إلى نتائج ربما لا تستسيغها العقول؛ إنما كانت قوة خلّية بينها وبين أن تتحقق بعد ذلك. فلما كُفّت الأمور الروحانية عن أفاعيلها، عادت النفس تشاهد ما كانت قد شاهدها قبل أن تصبح في عالم الروح. /

٥ ماذا إذا؟ أن تكون تلك المقدرة على التذكّر هي التي تسوق الروحانيات إلى أن تكون حقًا وفعلًا؟ ألا، إن لم تكن لنشاهد الروحانيات في حدّ ذاتها، شاهدناها بالتذكّر، أما إذا أدركتها مشاهدتنا في حدّ ذاتها، فإننا نشاهدها بالقوة التي تَمَّت لنا المشاهدة بها في عالم الروح. ذلك لأن هذه القوة تنهض لأمرها إذا حضر ما ينهضها، وهذا يعني أنها تشاهد مانحن الآن في ذكره. فهو أمر يجب ألاّ نلجأ لإكتشافه إلى التظنّي/ أو إلى القياس الذي يتلقّى أصوله من غيره. بل إنه يسعنا، كما قلنا، أن نتناول الروحانيات، حتى في حياتنا الدنيوية، بالملكة ذاتها التي تقوى على مشاهدة الأمور في الملاء الأعلى. فإنها هي التي يجب فيها أن تشاهد الحق عندما نوقظها فينا، إذا جاز لنا القول. وإنما يتم إيقاظها بحضور الحقائق. ونكون نحن آنئذ بمنزلة رجل علا مرقبًا وأخذ يسرّج/ نظره فيشاهد ما لا يشاهده غيره ممن لم يصعدوا هنالك معه. فنتيجة هذا القول هي أن التذكّر إنما يبدأ من السماء، بعد أن تكون النفس قد غادرت عالم الروح. فإذا رحلت عن هذا العالم وأصبحت ثابتة فيها، فليس بعجب إن أخذت تذكر الشيء الكثير من أمور هذا العالم السفلي التي هي من نوع ما وصفناه. / بل إنها تميّز نفوسًا كثيرات كانت قد عرفتهنّ في زماهنّ الماضي، ولا سيما أنهنّ لا يزلنّ حتّى في أجسام تشبه بأشكالها أجسامهنّ السابقة. ولكن لو افترضنا أنهنّ بدلنّ أشكالهنّ واتخذنّ لهنّ أشكالًا كروية، فهل يعرفنّ بعضهنّ بعضًا من أخلاقهنّ ونمط سيرتهنّ الخاص؟ ليس ذلك بالأمر المحال؛ فانهنّ إن خلعنّ عنهنّ/ انفعالاتهنّ، لا يمنع هذا أخلاقهنّ عن أن تبقى هي هي، فيما كانت عليه. وإن كنّ يستطعنّ النطق، ففي ذلك ضمان لتعارفهنّ أيضًا. ولكن إذا انحدرنّ من عالم الروح إلى السماء، فكيف يكون تذكرهنّ؟ ألا، إنهنّ يحركنّ الذكرى فيهنّ بالأمور ذاتها، ولكن جانب الذكرى لديهنّ أضعف من لدى اللواتي كنّ في السماء. فانهنّ مُقيلات على تذكّر أمور أخرى، فضلًا على أن زماهنّ أطول من زمان أخواتهنّ، فيجعل هذا الزمان الكثير مما لديهنّ مغمورًا/ غمرًا تامًا في غياهب النسيان. ولكن إذا انقلبنّ نحو العالم الحسي وهبطنّ إلى الصيرورة في ديانا، فما عسى

أن يكون نوع الزمان الذي يتم فيه تذكرهن؟ ألا، إنه ليس من الضروري أن يهبطن هبوطاً تاماً الى أسفل سافلين. فانهنَّ إذا تحركنَّ بوسعهنَّ أن يتقدمنَّ إلى حدٍّ يقفْنَ عنده. وليس من شيء ٣٠ يمنعهنَّ من أن يعدنَّ ويخرجنَّ مما هنَّ فيه قبل أن يتتهينَ إلى أقاصي الكون والصيرورة. /

٦ قد يصير لقائل مسأغ أن يقول عن النفوس اللواتي يتحولنَّ ويتغيرنَّ انهنَّ يتذكرنَّ إذا، ما دام الذكر هو ذكر ما مضى وفات؛ ولكن النفوس اللواتي تمَّ لهنَّ أن يبقينَّ على حال واحد، فما عسى أن يذكرنَّ؟ وهي مسألة تتناول الذكريات في نفوس الكواكب كافة، ولا سيما نفس الشمس / والقمر. وإنها لتتسع فتشمل الذكرى في نفس الكل أيضاً، بل إن فيها دعوى ٥ التنقيب عن الذكر عند المشتري. هذا وانه يجدر بالباحث في هذه الأمور أن ينظر في أفكار الكواكب واستدلالاتها ما هي، اللهمَّ إن كانت، موجودة متوافرة. وإن لم تكن الكواكب ١٠ تبحث/ عن شيء أو تردَّد في شيء (فإنها لا تحتاج إلى شيء، ولا تكتسب علم شيء لم يكن لها به علم في ما مضى) فأنتي لها الأدلة والمقاييس والتفكير؟ بل إنها لا تحتاج إلى تروٍّ أو تدبّر في ما ١٥ يتعلق بالآدميين، إليهما تلجأ لتسيير أمورنا أو أمور الدنيا بوجه عام. / فإن النظام الذي تنشره على العالم الكلي، إنما هو من نوع آخر.

٧ ماذا إذا؟ أليست تذكر أنها شاهدت الإله؟ بل إنها لتشاهده دائماً. وما دامت تفعل، فلا يسعها قط أن تقول إنها شاهدته؛ إنما هذا هو حال من يكون قد كفَّ عن النظر. ثم ماذا؟ أو لا تذكر أنها دارت حول الأرض بالأمس وفي العام الماضي؟ أو أنها كانت بالأمس حيَّة، وقبل ٥ الأمس بزمان أيضاً، بل منذ أول حياتها؟ ألا، وإنها دائماً حيَّة؛ / والدوام إنما هو الوجود على حالة واحدة. فالقول في حركة الكواكب أن لها أمساً غابراً وعاماً ماضياً، إنما هو مثل قول مَنْ إذا رأى خطوة القدمين وهي شيء واحد، حاول أن يجزئها الى أجزاء كثيرة، جزءاً بعد جزء، وأن يجعل الحركة الواحدة مجموعة حركات عديدة. كذلك القول في حركة الكواكب. إنما ١٠ هي واحدة أيضاً، ولكنَّا نقسمها نحن، فتصبح نُهرًا كثيرة يختلف بعضها عن بعضها الآخر لأن/ الليالي تفصل بينها. أما هنالك، فما دام النهار هو هو، واحداً أبداً، كيف تكون النُّهر الكثيرة؟ ومن ثم فلا مجال لما هو عام مضى أيضاً. ولكن ربَّ قائل يقول: إنَّ البعد في السماء لا يكون دائماً هو هو بعينه، بل إن هنالك أبعاداً مختلفة؛ ثم إنَّ فلك البروج في تغير متواصل، فهو مع كوكب غيره مع الآخر. فلماذا لا يقول الكوكب إذا: «لقد اجتزت هذا البرج، وها أنذا في ١٥ غيره؟» هذا وإن كانت الكواكب تشرف على أمور الآدميين، فكيف لا تلاحظ تقلباتهم، / ولا ترى أنهم الآن غيرهم بالأمس؟ فإذا كان ذلك كذلك، فلأنه كان قبل آدمي اليوم آدميون آخرون

وعلى حال آخر . ومن ثم فإن للكواكب تذكُّراً .

٨] إلّا أنّه ليس من الضروري لمن يشاهد أن يذكر كل ما قد رأى ، أو ان يستودع خياله كل ما جاءه من قبَل اللواحق العَرَضِيَّة . ثم إن بين الأمور ما يُدرك بالعرفان أو بالعلم إدراكاً لا يستهان بشدّة ظهوره . فإذا بدا وأحسنا به عيّنًا ، لم يكن من الضروري أن نحوّل انتباهنا عن علمنا به عقلاً ، وهو حاضر ، إلى المحسوس / الجزئي (إلّا إذا كنا في شيء عملي ندبره) ما دام العلم بالجزء داخلًا في العلم بالكل . وها أنذا أتناول هذه الأصول أصلًا أصلًا على الوجه الذي يلي . فأولها ليس من الضروري أن يحفظ الإنسان كل ما يراه بأَم عينه . ذلك لأنه قد يبدو لنا ما لا نجد فيه فرقًا بين غيابه أو حضوره ، أو ما لا شأن لنا فيه إجمالاً . فإن الحس يفعل آنذاك بمجرد / ما في المرئي من اختلاف ، ولا يفعل بالمرئي إلّا الحس فقط . وذلك لأن النفس لا تنسرح للمرئي في باطنها لأنها لا تراه ذا شأن يلبي حاجتها أو تنتفع به بوجه من الوجوه . ثم إذا تحوّلَت فاعليتها إلى أمور أخرى حتى انصبت على هذه الأمور انصبابًا تامًا ، لم تحفظ ذكرًا لشيء من هذه الأشياء التي مضت . / ولا غرو ما دمنا لم ندرك احساسنا بها إذ كانت حاضرة بين يدينا ونحن نحسّ بها . أما الأصل الثاني فهو أنه ليس من الضروري أن يستودع الخيال كل ما كان من قبيل القرائن العَرَضِيَّة ، ولئن اتفق الأمر ، فما من شأن الخيال أن يحرص عليه ولا أن يضبطه . بل إن انطباع شيء من هذا النوع في الخيال لا يولّد قطّ شعورًا . وبوسعك أن تفهم ما أعنيه إذا أدركت / ما أقوله في ما يلي . أقول إذًا : إن لم تكن لنقصد قطّ يومًا أن ينفرج لنا هذا الجزء ثمّ ذاك من أجزاء الهواء عندما نمضي من مكان إلى مكان ، أو فيما لو كنا نجتاز مكانًا واحدًا معيّنًا ، فإنّا لا نحفظ هذا الانفراج ، بل إنه لا يخطر عنه لنا بال في أثناء سيرنا . وكذلك القول في ٢٥ الطريق : إن لم تكن نقصد أن نقطع جزءًا معيّنًا منها ، وكان سفرنا في الهواء ، لم يكن لنا / همّ في أيّ فرسخ من فراسخ الأرض صرنا ، ولا كم فرسخًا سرنا . ثم إنّنا لو احتجنا إلى التحرك ثم لم نُقيم للزمان حسابًا ، بل أردنا التحرك فقط ، ولم نُضيف إلى الزمان عملًا من أعمالنا ، لما ذكرنا ٣٠ لأعمالنا زمانًا دون غيره . / هذا ولا يخفى على أحد أن الفكر إذا أحاط بعمل واطمأن إلى الوجه الذي منه يعالج عمله ، فلا تستأنس منه العودة إلى هذا العمل في فصوله وجزئياته . كما أنه عندما يفعل الفاعل فعلًا باقياً واحداً على ذاته دائماً ، فمن العبث أن يحفظ الفاعل دقائق فعله ٣٥ تفصيلاً . وبعد ، فإذا سارت الكواكب في حركتها ، فإنما تتحرك لتقوم بأعمالها الخاصة ، / لا لكي تقطع الأبعاد التي تجتازها . وليس غرضها مشاهدة الأشياء التي تمرّ بها ، كما أنه ليس هذا المرور بذاته أيضاً ، وهو مرور بالعرض غير متعمّد في ذاته . بل إن بال الكواكب في أمور أخرى أرفع شرفًا ، وإنما يكون ما تجتازه شيئًا باقياً هو دائماً على حاله . ثم إن الزمان ، في الأبعاد

٤. التي تقطعها، لا يدخل في الحساب؛ فلا حاجة بعد ذلك/ عندها للأماكن التي تجتازها أو للأزمان التي تقضيها، فضلاً على أن للكواكب حياتها وهي باقية دائماً على ذاتها. فلا عجب في التحرك الذي يلزمها والذي يقوم حول مركز واحد لا يتغير، إن لم يكن بمنزلة تحرك مكاني، بل إنه تحرك حيوي. إنما هو تحرك حيوان واحد في ذاته، ذي عمل موجه لذاته، ساكن بالنسبة إلى غيره، تحركه الحياة الكامنة فيه وهي حياة الأزل. / ولأجل ذلك كله إذا شَبَّها حركة الأفلاك بحلبة رقص، وكُنْتُ هذه الحلبة لحظة عن رقصها، فإنَّ الرقص كله، وقد أُنجز منذ بدايته إلى نهايته، يكون هو الرقص في كماله. في حين أنه إذا نُظِرَ إلى أجزائه جزءاً جزءاً، فإنها ناقصة كلها. أما إذا كانت الحلبة في رقص دائم، فالرقص في كمال دائم أيضاً. وإذا كان في كمال دائم، / لم يكن لكماله نهاية في مكان أو زمان. وما دام الأمر كذلك، فليس لحلبة الرقص رغبة قط، وبالتالي لن تقيس زمان رقصها أو مكانه، ولا تُبْه لها عن كلا الأمرين إذاً. هذا وإنَّ الكواكب تتمتع بحياة سعيدة، وهي تشاهد الحياة بنفوسها. وإذا كان ذلك كذلك، فإن نفوسها كذلك أيضاً، إنما تميل بالميل ذاته إلى القيام في الوحدة، ويشع فيها نور يشمل السماء كلها. مثل ذلك مثل الأوتار/ في القيثارة تتحرك بتفاعل متبادل فتُصعد أنفاسها مسبوكه في توقيع ينضج بالطبيعة. كذلك تكون السماء بأسرها في حركتها مع أجزائها: تتحرك هي نحو ما هي في ذاتها، وتتحرك أجزاؤها بحركة أخرى، ما دام لها وضع آخر، ولكن نحو الغاية عينها دائماً. وإذا كان الأمر كذلك، فإن فيه تأكيداً لصواب قولنا في حياة الأفلاك: إنها حياة واحدة ٦. متجانسة؛ ولشدّ ما أحرأها آنذاك بأن تكون حياة الأفلاك كلها.

٩ [المشتري، ماذا نقول فيه؟ إنه هو الذي يضع الأشياء كلها بخطوطها ومعالمها، وهو الذي يدبّر أمورها دائماً. هو «صاحب النفس الملكيّة والروح الملكي»، والعلم السابق بالشيء كيف يتم، حتى إذا تمَّ أشرف عليه. وهو الذي يسيّر الكواكب في نظامها المُحكَّم ويجعلها تقوم بدوراتها، وما أكثر ما فعل! فكيف لا يكون له ذكر وهو بين ذلك كله؟/ إنه يصنع الأشياء ويوفّق بعضها مع بعض ويقدّر الدورات الماضية كمّاً وكيفاً والدورات المقبلة أيضاً. وما دام على هذه الحال، فإنه لا محالة أقوى ما يكون تذكّراً وأشدّ به حيثنذ حكمة وتديباً إذا لم تنظر إليه إلّا صانعاً. فنقول: أمّا أمر التذكّر في الدورات الفلكية فإنّه في حدّ ذاته، بنطوي على مشكلة ١٠. عنيفة، / وهي كم عدد هذه الدورات، وهل يعرفه المشتري ذاته. إذا كان هذا العدد متناهياً، سلّمنا بأن للعالم الكلي بداية في الزمان؛ وإذا كان غير متناوٍ، فإن المشتري يجهل عدد أعماله كم هو. وإن كون المشتري قائماً في المعرفة الواحدة والحياة الواحدة - فإنه ليس متناهياً - يجعله يعرف ما يكون واحداً لا بمعرفة تأتيه من الخارج، بل بعمله في ذاته. وذلك لأنّ غير

١٥ المتناهي بهذا المعنى يكون دائماً معه، أو بالأحرى تابعاً له، / فيشاهده بمعرفة غير مكتسبة. فمثلاً أن المشتري يعرف أن حياته ليست متناهية، يعرف كذلك أن العمل الذي ينبعث منه الخير الكل إنما هو واحد أيضاً. ولكنه لا يعرف أن هذا العمل يؤثر في الكل.

١٠ هذا وإن الأصل الذي يضع للعالم معالمه، إنما يؤوّل على وجهين: على أنه الصانع من ناحية، وعلى أنه نفي الكل من الناحية الأخرى. وإذا ذكرنا المشتري، ذكرناه على أنه الصانع تارة، وعلى أنه المشرف على تسيير الكل طوراً. ولكن يجب في الصانع أن ننفي عنه مطلقاً كل تقدم وتأخر، فنسلم له بحية واحدة/ ثابتة على حالها لا تتبدّل ولا تخضع للزمان. أما حياة العالم، تلك التي تحمل الأصل المشرف على تسييره في جنباتها، إنما تحتاج إلى بحث خاص هي أيضاً: وهو بحث يدور حول ما إذا لم تكن هذه الحياة ذاتها قائمة في التفكير، وفي طلب الفعل الذي يجب أن يفعل. ذلك لأن ما يجب فيه أن تفعله، إنما هو أمر قد اكتشف، واكتشف مع تناسقه في ذاته. / وليس ذلك بمعنى أنه كان منسّقاً في ما مضى، إذ أن ما كان منسّقاً إنما هي الأشياء بعد أن حدثت وتّمت. في حين أن ما يحدثه الصانع إنما هو النظام، أعني عمل النفس المرتبط بالروح على أن يتوسط الطرفين الحكمة التي يكون ارتسامها النظام الثابت في النفس ذاتها. وما دامت هذه الحكمة لا تتغيّر، فلن تتغيّر النفس حتّى أيضاً إذ أنها ليست بحيث تنظر تارة إلى عالم الروح، وطوراً لا تنظر إليه، فإنها إن كُفّت عن النظر حارت في أمرها. وإن النفس واحدة، وواحد عملها أيضاً. / ذلك لأن الأصل المشرف على تدبير العالم إنما هو واحد: إنه هو السائد دائماً وليس سائداً ويوماً مسوداً. فأثى له الكثرة حتى يكون فيه تنافر أو إشكال. ثم إن هذا الأصل المدبّر الواحد إنما يريد الشيء الواحد ذاته دائماً: فلماذا تختلف مقاصده حتى يرتبك في كثرة الممكنات؟ وإن النفس مع ذلك لن ترتبك في أمرها، / حتى ولو تغيّرت بالرغم من كونها ثابتة في الوحدة. أجل إن الكل ينطوي على أنواع كثيرة وأجزاء يقابل بعضها بعضها الآخر، ولكن ذلك لا يجعلها تتحرّج في كيف تدبّر أوضاع الأمور. فإنها لا تبأشر بعملها من أواخره أو تتناوله من أجزائه لتؤلّف بينها، بل من أوائله. فإذا انطلقت من الأصل الأوّل سارت في طريق غير مسدود بحاجز إلى الأشياء كلها، فوضعت لها معالمها. وتكون النفس سيدة في العالم الكلي آنذاك، لأنها تأخذ في عمل واحد، فتلتزمه دائماً، / باقية هي على ذاتها أيضاً. أما إذا أرادت شيئاً ثم شيئاً آخر، فأثى لها هذا الشيء الآخر؟ فضلاً على أن ما يجب أن تفعله يشكّل عليه أمره آنذاك، فيفتر عملها إن أخذت تفكر في ما يناسبه أو ينافيه.

١١ ذلك لأن مثل تسيير العالم مثل معالجة الحيوان الواحد في ذاته: فإن المعالجة قد

تتناول الحيوان من الخارج من أجزائه . وقد تتناوله من الباطن ، من أصله . فالطبيب مثلاً يأخذ مرضاه من ظواهرهم ويعالجهم بأجزائهم ، فكثيراً ما تُشكّل عليه أمورهم فيتردّد ويترؤى . أما الطبيعة فإنها تنطلق من الصميم ولا تحتاج إلى ترؤى . ويجب/ في تدبير الكل وفي المدبّر ألاّ يتقيّد بسلوك الطبيب ، بل بسلوك الطبيعة . ولا سيما أن الأمور في الملائمة الأعلى أشدّ بساطة ، بقدر ما أن الأحياء كلها هنالك بمنزلة حيوان واحد ينطوي على كل أجزائه . فإن الطبائع كلها خاضعة لطبيعة واحدة : تتبع هذه الطبيعة ، متعلّقة فيها ، مرتبطة بها وكأنها نابتة منها ، / مثلما أن الطبيعة في الأغصان تابعة لطبيعة الشجرة كلها . فأين التفكير والحسبان والتذكّر حيث نجد حكمة أبداً حاضرة ، تعمل أعمالها وتفرض سيادتها وتتقيّد بنمط واحد في تدبيرها؟ وإن كانت المحدثات متنوعة مختلفة ، فلا يستلزم ذلك منا أن نعتقد في صانعها أنه يتبعها في تحولاتها . / بل مهما كثر تنوّع المحدثات ازداد صانعها بقاءً على حاله . ذلك لأنه ، حتى في الحيوان الواحد الجزئي ، تنشأ المحدثات عديدة ، ثم لا تظهر كلها في آن واحد . فإن أطوار العمر ، ثم ظهور كل جزء من أجزاء الحيوان في حينه ، مثل ظهور القرون واللحية ، ونهود الثدي ، ثم الإكتهال ، ثم ولادة الأولاد وهم غير آبائهم : / ليس كل ذلك بأن تهلك البنية المعنوية المتقدّمة ، بل أن تنشأ إلى جانبها بُنى معنوية جديدة . ولا غرو ، فالأمر راجع إلى أن البنية المعنوية تعود وتحضر هي ذاتها كلّاً في الحيوان الجديد الذي نشأ . وبعد ، فإنّه يحقّ لنا أن نسلم لنفس الكل بالحكمة الواحدة الباقية دائماً على ذاتها ، وهي كأنها حكمة العالم كله الثابتة . إنها كثيرة الوجوه ، كثيرة التنوّع ، وهي حكمة الحيوان الواحد الأعظم البسيطة أيضاً . / فلا يعتريها التغيّر بكونها ذات كثرة ، بل إنها تُبقي البنية المعنوية الواحدة والبنية المعنوية الكلية في آن واحد . ذلك لأنها لو لم تكن البنية المعنوية الكلية ، لما كانت حكمة الكل ، بل حكمة ما يليه ويتفرّع منه .

١٢ ولكن ربّ قائل يقول : إن عملاً مثل هذا ، إنما هو عمل الطبيعة . أما الحكمة ، فإنها ما دامت كامنة في العالم الكلي ، كان التفكير والتذكّر من خصائصها لا محالة . فنجيب : إن هذا القول قول رجال يخلطون بين ما هي الحكمة وبين ما ليس من الحكمة في شيء ، ويتصوّنون طلب الحكمة على أنه الحكمة بالذات . / فما عسى أن يكون التفكير سوى الرغبة في اكتشاف الحكمة وفي الدليل الصحيح الذي به ندرك روح الحق؟ إن المفكّر مثل الذي ينقر على القيثارة ليصبح بارعاً في فنّها ، ومثل الذي يروّض ذاته ليكتسب ملكة ما فيه ، وبوجه عام مثل من يتعلّم ليصبح عالمًا . ذلك لأنّ الذي يفكر إنما يطلب معرفة ما إذا حصل المرء على معرفته أصبح المرء حكيمًا ؛ ومن ثم كانت الحكمة متوافرة لمن سكن وكفّ/ عن التفكير . ويشهد لذلك حال المفكّر ذاته : إن اكتشف ما يجب اكتشافه بطل مفكراً ؛ وأنه ليُمسك عن التفكير لأنه وصل إلى

الحكمة. فإذا أدرجنا مدبر الكل في زمرة طلاب العلم، وجب علينا أن نعترف له بالتفكر
 ١٥ والتحيز والتذكر الذي نعترف به لمن يجمع بين/ ماضي وحاضر ومستقبل. أما إذا جعلناه
 في مقام العارف، وجب علينا أن نعتقده حكيمًا ثابتًا في طمأنينة أدركت حدّها. ثم إنه إن
 كان يعرف المستقبلات (وليس من المعقول أن ننفي هذا العلم عليه)، فلماذا لا يكون عارفًا
 ٢٠ كيف يتم حدوثها بعد ذلك؟ وإذا كان يعرف كيف تتم، فما هي حاجته بعدئذ للتفكير/ وللجمع
 بين الماضيات والحاضرات؟ هذا وإن معرفته للمستقبلات، إذا ما سلّم له بها، لا تأتيه مثلما
 تأتي المنجمين معرفتهم. بل إنها من نوع معرفة من يصنع وهو على يقين مما سيكون من
 صنعه. وهذا يعني أن معرفته إنما هي بالذات معرفة أسياذ الأمور كافة، هؤلاء الذين لا
 ٢٥ يخامرهم قط/ تردّد أو ارتياب. إن من كان ذا رأي ثابت، بقي ثابتًا على رأيه دائمًا. ومعرفة
 المدبر الكلي للمستقبل من نوع معرفته لحاضره، وهي معرفة ثابتة دائمًا لا يعترىها قطّ تغيير:
 فلا دخل فيها للتفكر. بل نقول: إنه لو لم يكن يعرف المستقبلات التي يصنعها، لما كان يصنعها
 ٣٠ عارفًا/ او متقيدًا بمثال ينظر اليه. فيأتي صنعه عن طريق العرض آنذاك، أعني أنه يكون وليد
 البخت والاتفاق. إن ما يتقيد به في صنعه إنما هو أمر ثابت على حاله دائمًا إذا. وإن كان ذلك
 كذلك، فإنه لا يصنع إلّا بحيث يكون صنعه شبيهًا بالأصل الذي ينطوي عليه في جنباته. هو
 يتقيد بوجه واحد في صنعه إذا، وكذلك دائمًا؛ فلا يصنع الآن متقيدًا بوجه، ثم يصنع بعد ذلك
 ٣٥ متقيدًا بوجه آخر. وإلّا فما الذي يُجنّبُه أن يخطئ في صنعه؟ وإذا كان الصنع ينطوي على أمور
 مختلفة، فإن أصل هذا الاختلاف ليس منه هو ذاته، بل من كونه خاضعًا للثبني المعنوية؛ وهذه
 الثبني إنما هي من الصانع، حتى يكون الصنع دائمًا تحت حكم البنى المعنوية المتابعة. ومن ثم
 ٤٠ فإنه ليس قطّ من الضروري أن يتيه الصانع أو يتردّد أو يرتبك، كما ظنّ بعضهم/ وذهبوا إلى أن
 تدبير الأشياء كافة إنما هو أمر شاق. فالارتباك، فيما يبدو، إنما يقع لمن يكون في عمل غريب
 عليه، وهو حال من ليس سيّدًا في عمله. أمّا من كان السيد والأوحد في أعماله، فإلى ماذا
 يحتاج إلّا إليه ذاته وإلى إرادته؟ وهذا يعني بالذات أنه لا يحتاج إلّا حكمته، لأن الإرادة عند
 ٤٥ صانع من هذا/ الطراز إنما هي الحكمة. فهو لعمري، لا يحتاج إلى شيء في صنعه، ما دامت
 الحكمة ليست شيئًا غريبًا عليه، بل ما دام هو ذاته لا يلجأ ليصنع إلى شيء مكتسب، فلا يلجأ
 إلى التفكير أو إلى التذكر وكلاهما من المكتسبات.

١٣ ولكن بماذا تتميّز هذه الحكمة التي وصفناها عمّا نسميه الطبيعة؟ يكون تميّزها بأن
 الحكمة تأتي أولًا، أما الطبيعة ففي المقام الآخر. ذلك لأن الطبيعة هي للحكمة أثرها
 وللنفس حدّها الأقصى، وهي تنطوي على البنية المعنوية في إشعاعها الأبعد. مثل ذلك مثل

٥ ما يتم في شمع كثيف إذا اجتازه طابع الخاتم/ فانتهى منه إلى حده الأقصى وظهر من الصفيحة الأخرى. فمعالم الطبع واضحة من فوق، ولكن لها أثراً ضعيفاً من تحت. ولذلك لم تكن الطبيعة لتعرف؛ إنما تصنع فقط. وما دامت تمتد بما لديها ما يليها من غير قصد منها وثية، فإن صنعها هو الإمداد الذي تكفله للجسمانيات والهيولانيات. فهي بمنزلة الجسم الحار إذا نقل حرارته إلى ما يتصل به مباشرة/ جعله على جانب أقل من الحرارة. ولذلك لم يكن للطبيعة خيال؛ والعرفان، أفضل من الخيال، الذي يقوم في الوسط بين انطباع الطبيعة والعرفان. فإن الطبيعة لا تشعر بشيء ولا تدرك؛ أما الخيال فإنه يُدرك ما يَرِدُ عليه من الخارج لأنه يتيح لصاحبه ١٥ أن يعلم ما به يفعل./ أما العرفان فإنه من ذاته يولد الإدراك، وفعله ينبثق من الأصل القائم بالفعل ذاتاً، فالروح هو صاحب العرفان إذًا. أما نفس الكل فإنها قد تلقته على الدوام، وكانت قبل ذلك بين يديه؛ تلك هي حياتها، والذي يظهر لها دائماً إنما هو إدراك نفس في حالة العرفان. أما ما يشع من النفس في الهيولى إنما هي الطبيعة وهي الحد الذي يقف عنده عالم ٢٠ الحقائق (أو أنه يقف قبل/ ذلك) ومعه تنتهي إلى أقصى حدود العالم الروحاني. فما بعد ذلك إلا آثار وأشباح. وبعد، فإن الطبيعة تؤثر في الهيولى وتتأثر بها؛ ثم إن النفس التي قبل الطبيعة ٢٥ وفي جوارها فإنها تؤثر ولا تتأثر. أما النفس العلوية فلا تأثير لها على الأجسام أو على الهيولى./

١٤ هذا وإن الأجسام التي نقول عنها إنها من عمل الطبيعة، فإما الأسطوانات، ذلك الذي يشع من النفس في الهيولى، وهي أجسام ليس أكثر؛ وإما الحيوانات والنبات. فهل تكون بحيث تنطوي على الطبيعة مستكنة فيها؟ بل إنها على مثل ما يكون الأمر في النور. إذا انسحب النور لم يحتفظ الهواء منه شيء، بل يبقى النور كأنه على حياله، والهواء على حياله أيضاً، ٥ وكأنه لم يمتزج./ أو أن أمرنا هنا مثلما يكون في النار والجسم الذي سخنته: إذا انسحبت النار بقي من الحرارة بعضها، على أنها حرارة تختلف عنها في النار، وهي في الجسم الذي أصبح حاراً حال له. فيجب في المثال الذي تمتد به الطبيعة ما جبلته، أن نفترضه من نوع غير ما تكون هي عليه. أما إذا كان إلى جانب هذا المثال شيء آخر قائماً بين المثال والطبيعة، فيجب البحث ١٠ عنه أيضاً./ ونكون بذلك قد شرحنا الفرق بين الطبيعة وبين الحكمة التي وصفناها بأنها كامنة في العالم الكلي.

١٥ وتعرضنا هنا لمشكلة أخرى تقوم في وجه كل ما سبق ذكره؛ وهذي هي: إن الأزل تابع للروح، والزمان للنفس، وقد ذكرنا أن الزمان بذاته إنما يلزم فعل النفس ومنها أصله. إن كان ٥ ذلك كذلك، فكيف يكون الزمان مقسماً وينطوي على ما مضى، ثم لا يُقسَّم النفس/ ولا يُقسَّم

فعلها؟ وإذا رجعت بعد ذلك إلى ماضيها، فكيف لا تولّد الذّكر في نفس العالم الكلي؟ فضلاً على أنه لا بدّ من القول بأن الأشياء تبقى في الأزل هي هي على ذاتها، وتتغيّر وتتقلّب في الزمان؛ وإلاّ لأصبح الأزل والزمان شيئاً واحداً حتى ولو لم نسلّم في أفعال النفس بأن التغيّر يعترىها. / أنقول بأن نفوسنا تقبل التغيّر وما سواه مثل النقص الذي يلزم الزمان ويكون فيه، في حين أن نفس العالم الكلي إنما تولّد الزمان ثم لا تكون في حيّزه؟ ولنفترض أنها ليست في حيّز الزمان، فما الذي يجعلها تولّد الزمان وليست تولّد الأبد؟ ألا، لأن ما تولّده لا يقع في الأزل، بل/ يكتنفه الزمان؛ ثم إن النفوس إجمالاً لسنّ في حيّز الزمان، بل إن فيه أحوالهنّ بقدر أنهنّ موجودات، وأن فيه أفعالهنّ أيضاً. ذلك لأن النفوس أزليات، والزمان بعدهنّ؛ ثم إن ما يكون في الزمان إنما هو أقلّ شأنًا من الزمان. فإن الذي يجب في الزمان هو أن يكتنف ما يكون في الزمان مثلما هو الأمر مما يكون في المكان أو في العدد. /

١٦ ولكن إذا جاء في النفس الكلية الشيء بعد الشيء، وإذا كانت تحدث هي ذاتها في الزمان المتقدّم من محدثاتها ثم المتأخّر بعده، فإنها تتجه إلى المستقبل إذاً. وإذا فعلت، فإنها متّجهة إلى الماضي أيضاً. إلاّ أن المتقدّم والماضي إنما يكونان في الأشياء التي تصنعها النفس، أما فيها هي ذاتها، فلا نجد شيئاً قد مضى، بل نجد/ البنى المعنوية وهي حاضرة جميعاً، كما ورد سابقاً. فإن المُحدثات ليست كلها جميعاً في آن واحد، كما أنها ليست جميعاً في مكان واحد، ولو كانت كلها جميعاً في البنى المعنوية. فالأيدي والأقدام إنما هي معاً في البنية المعنوية ولكنها في العالم الحسي منفصل بعضها عن بعض. ومع ذلك فإن في النفس الكلية انفصال بعض الأشياء عن بعضها الآخر وهو على وجه آخر، ومن ثمّ فإن فيها أيضاً تقدّم الشيء على غيره على وجه آخر أيضاً. أما انفصال بعض الأشياء عن بعضها الآخر، / فقد يؤوّل على أنه الخلاف الواقع بينها وفيها. ولكن التقدّم، فكيف يتم لو لم يكن منظّم العالم ليشرف على تسيير الأمور؛ وإذا أشرف حكم على هذا الشيء أن يكون بعد ذلك. وإلاّ فلماذا لا نجد الأشياء كلها معاً؟ ألا، إنه لو كان المنظّم شيئاً والنظام شيئاً آخر، لكان المنظّم بحيث كأنه يحكم بذلك. أما إذا كان القائم على الأمور هو هو النظام الأول، فإنه لا يحكم آنذاك بل يكتفي بأن يُحدث هذا الشيء بعد/ ذلك. لأنه إذا حكم، فإنما يحكم وهو ينظر إلى النظام، فيكون شيئاً مختلفاً عن النظام. فكيف يكون آنذاك هو النظام بذاته؟ لأن المنظّم ليس هيولى ومثلاً، بل إنه مثال فقط وقوة، والنفس إنما هي الطاقة الثانية على الفعل وتأتي بعد الروح. أما وجود الشيء بعد الشيء، إنما يقع في الجزئيات الحسيّة التي لا يسعها أن تكون كلها معاً. / وما دامت النفس على هذه الحالة، فإنما هي شيء جدير بالإحترام حقاً. وهي أشبه شيء بدائرة متماسكة مع

مركزها، نكاد لا نحسُّ ببعدها عن مركزها، وهو بعد بدون امتداد. ذلك لأن أوضاع الأمور إنما تكون على نحو ما يلي: إذا جعلنا الخير المحض بمنزلة المركز جعلنا الروح بمنزلة دائرة لا تتحرك، والنفس بمنزلة دائرة تتحرك، وإنما يحركها الشوق. / فإن الروح لا يلبث أن يدرك الخير ويحيط به؛ أما النفس فإنها ترغب في ما هو وراء الحق. ثم إن كرة العالم الكلي، ما دامت مشتملة على النفس المدفوعة بذلك الشوق، فإنها تتحرك بدافع ما كانت مفطورة على أن تشتاق إليه وترغب فيه. ولكن فطرتها هي الفطرة التي بموجبها يرغب الجسد في ما يكون خارجاً عنه. وهذا يعني أنه يمتد حول ما يرغب فيه ثم يحيط به راجعاً إلى ذاته، / أي أنه يتحرك بحركة الدائرة.

١٧ ولكن لماذا لا تكون عمليات العرفان والمعاني في نفوسنا من هذا النوع الذي شرحنا، بل نجد لدينا هنا التوالي في الزمان والبحث القائم على التفكير والتروي؟ لأنَّ زمان الأمور موزَّع بين قوى كثيرة تتحرك كلها ثم لا يتم السؤدد لواحدة من بينها؟ كلا، بل لأنَّ القوة السائدة تختلف باختلاف الحاجة واللحظة الحاضرة، فلا تحدُّد القوة بذاتها/ بل بشيء آخر دائماً، وهو غريب عليها. ومن ثم كون مرادنا في تغْيُر متواصل، يتكيَّف بتكيِّف المناسبات، ويحضر عندما تحضر الحاجة. فيعرض العارض من الخارج ثم يعرض بعده عارض آخر. ذلك لأنه، ما دامت القوى السائدة كثيرة، نشأت الخيالات الكثيرة لا محالة: فتنقل من قوة إلى قوة، وكلها غريبة مكتسبة، دائماً مستجدَّة تقيد كل فرد جزئي في حركاته وأعماله. فعندما تتحرك القوة الشهوانية، تقبل صورة الشيء المشتهى الخيالية وكأنها إحساس يؤذن بالإنفعال وينبئ عنه. فيفرض علينا هذا الإحساس أن نتبعه وأن نحصل على الشيء المشتهى. أما نحن فنتحير ونتردَّد سواء أخذنا نتبعه لنكفل لنا ما نشتهي أم قابلناه بالمقاومة. ثم إن الغضب الذي/ يدعو إلى الدفاع عن الذات يولِّد الحال عينه إذا حُرِّك، في حين أن حاجات الجسم والانفعالات تولِّد فينا الأحوال والأحكام المختلفة. وهكذا القول عن جهل ما فيه خيرنا وعن تحيُّر النفس في ما تقول بعد أن يكون قد دبَّ فيها التنازع من كل صوب وجانب. وناهيك بما سوى كل ذلك إذا تصافرت هذه العوامل كلها أو امتزج بعضها ببعض. ولكن هل يتردَّد الأصل الأرفع فينا في أحكامه؟ كلا، بل التردُّد والتقلُّب في الآراء/ إنما هما من لوازم المرَّكب. فمن الأصل الأرفع فينا يردُّ إلى المرَّكب العقل بصوابه، وهو آنذاك ضعيف يكون بين ذلك الخليط كله، بطبعه في حدِّ ذاته. ومثله مثل المرشد الفاضل في جمع كثير صاخب يقول ولا يُطاع بل يطاع سفلة الصاخبين وأصحاب الجلبة. فيجلس هو صامتاً لا حول له ولا/ قوة، وقد غلبه صياح السفلة. وبعد، فإن كان المرء أشد الناس رداءة وجدناه على حالة العامي وعلى حالة الإنسان الناتج عن كل ما

تُخلفه سياسة الدولة لدى فسادها. أما في الوسط المعتدل، فإن الإنسان يسلك سلوك دولة يسود فيها عنصر الخير ما دامت السياسة الشعبية آنذاك لا تتجنى إلى التطرف. وإذا مضينا في درجات مقام الفضل وجدنا الحياة في وضعها الارستقراطي،/ حيث يكون الإنسان قد تخلّص مما عليه العوام وانقاد للمكرّمات. أمّا في المقام الأفضل، فيقابلنا الإنسان الذي، بانعزاله إلى ذاته، أصبح فيه سيّد أموره واحداً يتشر النظام على ما سواه. فالإنسان آنذاك بمنزلة بلدة بطبقتين: العليا منها والسفلى التي تتكيّف في تنظيمها بتنظيم ما فوقها. وبعد، فهي إنّما قد ٣٥ أتممتنا/ شرحنا في نفس العالم الكلي إنها واحدة، باقية هي على ذاتها دائماً، منسجم بعضها مع بعضها الآخر وفي الأمور الأخرى إن وضعها على خلاف ذلك، وفي الأسس التي تقوم عليها أقوالنا. فحسبنا الآن ما ورد في هذه المسألة.

١٨ هذا ولنتنقل إلى السؤال عن الجسم الحيواني إذا كان له شيء يلازمه في حدّ ذاته أم يفرد بخاصة تميّزه عن غيره، بفضل الحياة التي يتمتع بها ما دامت النفس فيه حاضرة. أم أنّ ما لديه إنّما هو الطبيعة، وهذا يعني أن الطبيعة تكون هي الشيء الذي يتصل بالجسم ويتعامل معه. إلّا أنّ الجسم بحدّ ذاته، ذلك الذي تكمن فيه نفس وطبيعة، يجب فيه ألا يُنظر إليه مثلما يُنظر إلى ٥ جسم لا نفس له، أو مثلما/ يُنظر إلى الهواء إذا أشعّ النور فيه، بل إلى الهواء إذا انتشرت فيه الحرارة. والواقع هو أنّ لجسم الحيوان والنبات شيئاً كأنه ظلّ النفس. بل إن من لوازم جسم من هذا النوع أن يتأثر بألم الجسم وأن يلتذّ بلذّته. أما نحن فإنّ ألماً مثل ذلك الألم ينتهي إلينا ١٠ فنعرّفه ثم لا نفعل به؛ وكذلك القول في اللذة أيضاً. وإنما أشير بقولي/ «إلينا» إلى النفس الأخرى، ما دام الجسم، وهو على هذه الحال، ليس شيئاً غريباً بالنسبة «إلينا» بل إنه جسمنا ويهّمنا أمره لأجل ذلك، أعني من حيث أنه جسمنا. فإنّنا، بما نحن عليه في ذواتنا، لسنا هذا الجسم، كما إنّنا لسنا متزّهين عنه. وهو متعلّق فينا، مرتبط بنا. أما ما نحن عليه في ذواتنا فإنما هو الجانب الراجح فينا، وذلك الجسم مع ذلك إنّما هو من وجه آخر، جسم ما نحن عليه في ١٥ ذواتنا./ ولذلك يهّمنا أمره سواء أكان في حال اللذة أم في حال الألم، ومهما شعرنا بالضعف فينا أصبحنا أقل انقباضاً عنه، بل ازداد إكرامنا له على أنه أفضل ما نحن في ذواتنا، وجعلناه هو الإنسان، فكأنّا ننغمس فيه انغماساً. ذلك لأنه يجب في انفعالات من هذا النوع، ألا يقال عنها أنها انفعالات النفس من كل وجه؛ بل أنها تتناول الجسم وهو على ما وصفناه به، وشيئاً مشتركاً ٢٠ بين هذا الجسم وبين النفس/ ومرتبّاً منهما كليهما. فإنّ الشيء إن كان واحداً في ذاته، إنّما هو آنذاك كأنه مكتفٍ بذاته. فما عسى أن يفعل به الجسم، مثلاً، إن كان وحده، وهو لا نفس له؟ وإذا قُسّم، فليس هو الذي يُقسّم، بل الوحدة القائمة فيه. كما أن النفس، إن كانت نفساً فقط،

لا تُقسَّم؛ بل إنها ما دامت كذلك، ناجية من كل تقسيم. أما إذا أراد شيثان أن يكونا شيئاً واحداً، وكانت الوحدة التي يلجآن إليها وحدة مكتسبة وإرادة من الخارج، ثم لم يتيسر لهما تحقيقهما، نشأ الألم عن ذلك كله، في ما يبدو. هذا وإنني لا أقول: «إذا أراد جسمان . . .» لأن طبيعة الجسمين واحدة. ولكنني أقول: «إذا أرادت حقيقة أن تتصل بحقيقة من جنس آخر». فإن ما يكون في الدون آنذاك يتلقى شيئاً مما هو الأفضل، إذ أنه لا يتسع له كله، بل لأثر ما منه. فيتولد عن ذلك شيء هو واحد واثنان معاً، / إذ أنه قد استوى في الوسط بين ما كان سابقاً وما لم يستطع أن يكون عليه. وما أصعب ما يكون قد دبر لذاته حيث: فإنه داخل في اتحاد وإلا لا ثبات له، بنزع به دائماً تارة إلى جهة وطوراً إلى ما في نقيضها. وهو بذلك معلق بين العلويات والسفليات إذاً: فإذا تحرك إلى الأسفل كشف عن بؤسه وتعاسته، وإذا ارتقى إلى / على أسفَر عن صدق رغبته في الاتحاد.

١٩ هذا هو ما يوصف بأنه اللذة أو الألم إذاً: فالألم هو المعرفة بأن الجسم يبتعد عن أثر النفس في حين فقدانه لهذا الأثر، واللذة هي المعرفة التي يدرك بها الحيوان أن أثر النفس يعود إلى تناسقه في الجسم. فالإنفعال يكون في الجسم؛ أما الإدراك فإنما هو خاصة النفس التي تحس، / وهي قائمة في جوار الجسم. فإنها تدرك الإنفعال وتنقله إلى القوة التي تنتهي إليها الحواس. إن الجسم هو الذي يتألم إذاً، وأعني بذلك أنه هو الذي يتفاعل. ففي العملية الجراحية مثلاً، إذا شُرح الجسم، وقع التشريح على الحجم؛ أما الإحساس بالألم، فإنه يتناول الحجم أيضاً، ولكن ليس من حيث أنه حجم فقط، بل / من حيث أنه حجم من النوع الذي وصفناه. وكذلك القول في الحرق أيضاً. فإن النفس هي التي تحس بكل ذلك، وإنما تدركه بسبب كونها كأنها تتأخم البدن. وإنها تحس كلها بما يتفاعل به الجسم من غير أن ينالها هي من ذلك قط أنفعال. فإذا أحسَّت كلها حكمت على الإنفعال بأنه حيث تقع الضربة ويكون ١٥ الألم. فلو كانت هي ذاتها التي تنفعل، فإنها لن يسعها، وهي كلها في الجسم كله، / أن تحكم على الألم أين يكون، ولا أن تنبئ عن محلّه. بل تكون قد انفعلت كلها بالألم وأحسَّت كلها بالوجع، فلا تحكم بأنه هنا أو هناك ولا تدل عليه، بل تحكم بأنه واقع حيث تكون هي؛ وإنما هي في الجسم كله. فالواقع هو أن الإصبع هي التي تتألم، ويحس المرء بالألم لأن الإصبع إنما ٢٠ هي إصبعه؛ فيقال / في المرء أنه يتألم من إصبعه، كما يقال عنه أنه أزرق لزرقة عينيه. إن ما يتألم إذاً، إنما هو العضو المُنفعل إلا إذا ربطنا بمعنى الألم الإحساس الذي يليه، فتكون بذلك ٢٥ قد دللنا، لا محال، على أن الألم يقوم بالألم يكون الإحساس غافلاً عنه. / لكنه يجب في الإحساس ذاته ألا يقال عنه أنه ألم، بل إدراك الألم. وما دام إدراكاً فإنه ليس للإنفعال سبيل

إليه . وغاية ذلك أن يدرك الإحساس وأن يكون أمينًا في إنبائه عما يُدركه . فالمرسل إذا انفعل استسلم إلى انفعاله ، فلا يبلغ رسالته أو أنه لا يكون مرسلًا أمينًا .

٢٠ ونتيجة كل ما سبق ذكره هي أن نجعل الشهوات البدنية ذاتها منبعثة من ذلك الشيء المشترك بين النفس والبدن ، ومن تلك الطبيعة الجسمانية على نحو ما وصفناهما . فيجب ألا نسلم بأن كل جسم ، مهما يكن ، هو أصل الرغبة والشهوة ، ولا بأن طلب المرّ والحلو هو أمر عائد إلى النفس ذاتها . إنما نسلم بذلك لما هو الجسم ، / على أنه لم يرد أن يكون جسمًا فقط ، بل أن يكون جسمًا تتناوله الحركة بأكثر مما تتناول النفس ، فيضطره ما يرد عليه من الخارج أن يصبح كثير التحول . ولذلك نراه على حال يطلب المر فيه ، ثم على حال آخر فيه يطلب الحلو ؛ أو أنه يسعى إلى البرودة تارة وإلى الحرارة تارة أخرى . ولم يكن ليهتم بشيء من كل ذلك ، لو كان وحده فقط . لقد ذكرنا سابقًا أن الإدراك إنما ينشأ عن الألم / فتولد النفس الهرب إذ أنها تريد أن تُبعد الجسم عن سبب الانفعال . هذا بعد أن يكون العضو الذي ناله الانفعال أولًا قد أُنذر بالشيء ولاذ بالفرار من وجه ما ، فعمد هو ذاته إلى الانفعال . وكذلك القول أيضًا في الإحساس الذي يدرك ، وفي النفس من حيث أنها تجاور الجسم وتسمى الطبيعة ، وهي التي تمد الجسم / بمسحة من نفس . فالرغبة تنبعث من الجسم وتنتهي صافية واضحة إلى الطبيعة ، كما أن الإحساس ينتهي بالصورة الخيالية . ثم تقبل النفس عليها ، فإما أن تفسح لها مجالًا إليها ، إذ أنها هي وحدها صاحبة الأمر هنا ، أو أنها تقاومها ، وهي تفعل هادئة معتدلة ، لا يهمها الجسم الذي يبادر إلى الرغبة ، ولا الطبيعة التي تبعته في هذه الرغبة بعد ذلك . ولكن لماذا هاتان / الشهوتان ، ولماذا لا يكون المُشتهي ذلك الجسم وحده وهو على ما وصفناه؟ ألا ، إن الطبيعة شيء ، وذلك الجسم الحيواني شيء آخر . فإن الطبيعة هي التي تُحلّله إذ أنها موجودة قبل نشأة ذلك الجسم : هي التي تصنعه ، وقد جبلته وخلعت عليه هيئته وشكله . / وإن كان ذلك كذلك ، فليست هي التي تبادر إلى الشهوة . بل إن ذلك الجسم الحيواني هو الذي يفعل بما يرد عليه ، وهو الذي يتألم ، « ما دام يرغب في ما يناقض الحال الذي يكون عليها في حاضره » ، مبدلًا اللذة من المشقة ، والكفاية من الحاجة . أما الطبيعة فهي كالأم ، وكأنها تحزر مُراد الجسم المنفعل ، فتحاول أن ترشده / وتسوقه إليها . هي تسعى باحثة عن دواء لدائه إذا ، فيجعلها بحثها تتصل بشهوة ذلك المنفعل ، فتجاوزه هذه الشهوة وتنتهي في الطبيعة ذاتها . فإن الشهوة إنما تنبعث من الجسم ، سواء أنظرنا إليها في سوابقها أم حصرناها في دوافعها الغريزية الكامنة فيها . أما الطبيعة ، فشهوها تنبعث من غيرها وتأتي بوساطة غيرها ، / ثم إن النفس التي تكفل للشهوة مشتهاها أو تمنعها عنه ، إنما هي شيء آخر أيضًا .

٢١ هذا، وأن يكون الحال على ما شرحنا فيما يتعلّق بأصل الشهوة، فإنه أمر تشهد له أطوار العمر في اختلافاتها. فالشهوات البدنية غيرها عند الإنسان صبيّاً أو مراهقاً أو كهلاً، كما أنها تختلف لدى الرجل متعافياً عنها لديه مريضاً. والقوة الشهوانية، مع ذلك، باقية هي هي على ذاتها. فظاهر أن كون الآدمي بدنياً وجسماً حيوانياً هو الذي يجعله خاضعاً لكل تلك التقلّبات، ويثير فيه تلك الرغبات المختلفة. ثم إن الشهوة لا تتنبّه دائماً بكاملها مع ما نسميه الدوافع الغريزية، بالرغم من كون الشهوة البدنية ثابتة في منتهى قدرها آنذاك. فإن الشهوة لا تريد ١٠ حيثئذ أكلاً أو شرباً، وذلك قبل الترويّي والتفكير. / وهذا يعني أنها وصلت إلى حدٍّ ما هو حدُّ البدن الحيواني الذي كانت فيه. أما الطبيعة، فلم تتصل بها، ولم تولّ نحوها، ولم تردها. وذلك لأنَّ الشهوة آنذاك لم يكن بوسعها أن تؤدّي إلى الطبيعة، بمعنى أن الطبيعة قائمة على الشهوات تميّز بين ما تنفر منه وما يوافقها. وهذا وربّ معترض على قولنا الأول يدّعي بأنَّ البدن ١٥ إذا اختلفت أحواله، / كان في هذا الاختلاف الكفاية لإثارة الشهوات المختلفة في القوة الشهوانية. وإن فعل فليس قوله كافياً للدلالة على أن القوة الشهوانية، إذا اعترت الانفعالات المختلفة شيئاً غيرها (أعني الجسم)، حلّت هي محل هذا الشيء مقاماً للشهوات على اختلاف وجوها، في حين أن المشتبه لا ينتهي قطّ إليها. فليس الغذاء غذاء القوة ٢٠ الشهوانية، ولا الحرارة أو الرطوبة أو الحركة، / كما أنها ليست هي التي تنبذ فضلها أو تمتلئ بما هضمت؛ بل إن كل ذلك للبدن ومنه.

٢٢ والنبات، ما عسانا أن نقول فيه؟ هل نقول إن الذي نجده في أجسامه كأنه صدى للنفس إنما هو شيء، والذي يمدُّ بهذا الصدى هو شيء آخر؟ أو نعني بذلك أن هذا الشيء الآخر إنما هو القوة الشهوانية فينا، أمّا في النبات فإنه القوة الغذائية؟ أو نقول إن هذه القوة إنما هي مستكنة في الأرض، إن كان في الأرض نفس، فينبعث منها ما يجول في بواطن الأشجار؟ فأول ٥ ما يجدر بنا أن نبحث عنه هو السؤال عن النفس المقيمة في الأرض، ما هي؟ / هل هي مثل إشعاع ينتشر في الأرض منبعثاً من كرة العالم الكلي التي يجعلها أفلاطون، على ما يبدو، الشيء الواحد الذي كان مفقوساً؟ ولكنه يعود في محل آخر، ويقول في الأرض إنها «أول وأقدم الآلهة التي تشتمل عليها السماء». فإنه أنتدّ يسلم بأن للأرض نفساً هي أيضاً، مثلما أن للكواكب ١٠ نفوساً. ولعمري، كيف تكون إلهة إلّم تكن صاحبة نفس؟ ومن ثم / فإن المسألة تبدو على أنها يصعب الكشف عنها في حدّ ذاتها، فضلاً على أن قول أفلاطون فيها يزيد في إشكالها أو أنه لا يخفّف من هذا الإشكال. لكن أول ما يجدر بنا أن نفعل هو أن نتبيّن الوجه الذي منه تكون معالجة مسائلنا معالجة قريبة إلى الاحتمال. أمّا أن يكون للأرض نفس غذائية، فإنه أمر نستدل

١٥ عليه من النبات الذي ينبت منها. ولكن، إن/ كنا نشاهد البهائم تخرج من الأرض كثيرة العدد، فلماذا لا نقول في الأرض أنها هي أيضًا حيوان؟ ثم إنه، ما دامت حيوانًا بهذا القدر العظيم، وهي ليست من العالم الكلي، بالجزء الصغير، فلماذا لا يقال فيها أن لها روحًا، وأنها بالتالي إلهة؟ وإن قيل ذلك في كل كوكب من الكواكب، فلماذا لا يقال في الأرض أيضًا، ما دامت حيوانًا/ وجزءًا من الحيوان الكلي هي أيضًا؟ والذي يجب فيها هو ألا يُقال عنها إنها في قبضة نفس غريبة عليها تمسكها من الخارج، وإنها ليس لها نفس تُحييها من الباطن، بداعي أنه يستحيل عليها أن تكون صاحبة نفس تنفرد بها. ولعمري، لماذا يتيسر ذلك للأجسام النورانية، ثم يستحيل على الجسم الأرضي؟ فإن في الطرفين جسمًا بغير ألياف ولحم ودم ٢٥ وسوائل، ولو كانت/ الأرض شيئًا كثرت فيه المميزات تألفت من الجسمانيات كلها. وإذا نُفِيت النفس عن الأرض بسبب أنها ثقيلة في حركتها، أجبنا أن ذلك إنما يعود إلى أن الأرض من خواص اللحم، كما أنه يجب إجمالًا ألا يُقال في النفس إنها تمتد بالجسم حتى تحس، بل يجب أن يقال في الجسم/ أنه يمتد بالنفس حتى يكون ويبقى محفوظًا. إن للنفس قدرتها على التمييز، وهي إذ تنظر إلى الجسم، تنطلق من انفعالاته، فتبدي هي حكمها وتمييز. وما هي انفعالات الأرض، وعلى ماذا تقع أحكامها؟ فإن النبات، بقدر ما أنه من الأرض، ليس له قط إحساس. ٣٥ فعلى ماذا يقع إحساس الأرض إذا، وبوساطة أي شيء يتم؟/ ألا، أليس يجب أن نُقدِّم على القول بأن الإحساس يتم بدون عضو؟ ثم ما هي حاجة الأرض إلى الإحساس؟ فإنها لا تحتاج إليه لتكفل لها المعرفة، إذ أنه ربما كانت المعرفة بالحكمة والعرفان كافية لما لا يفيد شيئًا من الإحساس؟ ولكن هذا أمر ربما وجد من لم يسلم به. ذلك لأن في الإدراكات/ الحسية، إلى جانب المنفعة، معرفة لا تخلو من السحر في حد ذاتها، مثل معرفة الشمس وسائر الأفلاك، ومعرفة السماء والأرض: فإن لإدراك هذه الأمور بالحس لذته في حد ذاته. غير أنه لا بد من التنقيب عن ذلك ما في بعد. أما الآن فنعود إلى سؤالنا عن الأرض إذا كان إحساس، وما هي الحيوانات التي تنفرد بالإحساس، وكيف يكون كل ذلك. والذي لا مناص به أولًا هو أن نعود/ ٤٥ إلى الإشكالات التي عرضت، فنتبين بوجه الإجمال إذا كان الإحساس يتم بدون أداة، وإذا كان للمنفعة حتى ولو وجدنا إلى جانب المنفعة شيئًا آخر.

٢٣ يجب في الإحساس أن نتصوره على أنه إدراك للحسيات بوساطة تنبّه النفس أو الحيوان إلى الكيف الذي يلزم الجسم، وتطبع في ذاتها شكل هذا الجسم وهيئته. هذا وإن النفس إما أن تدرك الشيء وحدها من تلقاء ذاتها، أو أنها تدركه بوساطة غيرها؛ أمّا أن تدركه وحدها ومن تلقاء ذاتها، فكيف؟ فإنها، إن كانت مع ذاتها في ذاتها،/ إنما تدرك ما تنطوي عليه، وليس ذلك ٥

منها إلا عرفاناً. أما إذا أدركت شيئاً غريباً عليها، فيجب فيها أن تكون قد حصلت على الشيء أولاً، سواء أتصبح آنذاك شبيهة به أم تصل بينها وبين ما كان شبيهاً بها. ولكن التشبه أمر يستحيل عليها ما دامت باقية في ذاتها مع ذاتها: فأتى للنقطة أن تتشبه بالخط؟ بل إنه لا سبيل للتسوية بين الخط الروحاني والخط الحسي؛ وكذلك القول في التسوية بين النار الروحانية/ والإنسان الروحاني من ناحية، والنار الحسية والإنسان الحسي من الناحية الأخرى. ثم إن الطبيعة التي صنعت الآدمي لا تصير هي والآدمي الذي أحدثه شيئاً واحداً. بل إنها، إن كانت وحدها، إنما تنتهي بإدراكها إلى الروحانيات، حتى لو استطاعت أن تتصل بالحسيات، إذ أن الحسيات نقلت من هذه الطبيعة ما دامت محرومة مما تدركها به. هذا فضلاً/ على أن النفس قد تشاهد عن بُعد شيئاً مبصراً. فمهما يكن الافتراض قوياً، يأتيها من هذا المبصر مثال، بقي أن ما يظهر لها في بداية أمره كأنه شيء غير متجزئ يصبح نهائياً في ما يستوي المثال. ذلك لأن النفس لا تلبث أن ترى اللون والشكل ممتدين في الكم على حالهما في الشيء المشاهد. يجب ألا نكتفي إذا بهذين الأمرين فقط: الشيء الخارج والنفس. ولا سيما لأن النفس لا تفعل. بل لا بد من أمر ثالث يكون من شأنه أن يقبل الانفعال،/ أعني أن يتلقى الشكل. يجب في هذا الحد الثالث أن يكون بينه وبين الشيء في الخارج تفاعل، وأن يفعل بما يفعل به الشيء، وأن يكون الطرفان كلاهما من هولي واحدة. فينفع الحد الذي نحن في صده، ثم تدرك النفس وتعرف. أما الانفعال ذاته، فيجب فيه أن يتم بحيث يحتفظ بشيء من الفاعل، ثم لا يصبح، مع ذلك، هو والفاعل شيئاً واحداً. بل إنه، ما دام ذلك الحد الثالث قائماً بين الفاعل والنفس،/ كان انفعاله بمنزلة الوسط المتناسب بين المحسوس والروحاني، يجمع، من وجه ما، بين هذا وذاك. فإنه يتلقى من ناحية، ويبلغ إلى الأخرى، فيصلح لأن يشبه الطرفين كليهما. ذلك لأنه، ما دام أداة النوع من المعرفة، يجب فيه ألا يكون هو والعارف، أو هو والمعروف، شيئاً واحداً. بل إنه يصلح/ لأن يتشبه بالطرفين كليهما: يتشبه بالشيء الخارج بوساطة الانفعال، ويتشبه بالنفس العارفة لأن انفعاله يتحول إلى مثال يستوي فيها. فالقول الصحيح إذاً هو أن الإحساس إنما يتم بوساطة الأدوات الجسمانية. وهذا ناتج عن أن النفس لا تدرك قط محسوساً، إذا كانت خارج البدن مطلقاً./ أما الأداة فيجب فيها أن تكون إما البدن بأسره، وإما جزءاً ما من البدن يخصص لعمل ما معين: مثل ذلك ما يتم في اللمس وفي البصر. فإنا نرى الأدوات الصناعية تقوم بين صاحب الصناعة الذي يحكم وبين الشيء الذي يحكم عليه، فيطلع صاحب الصناعة على ما في محل عمله من خواص. فالمسطرة/ تجمع بين الاستقامة التي في النفس، وتلك التي تكون في الخشبة: تتوسط الطرفين وتتيح لصاحب الصناعة أن ييدي حكمه في مادة صناعته. لهذا وإثناً لئلا نرجع إلى مقام آخر البحث عما إذا كان يجب في الشيء المحكوم عليه أن يكون متصلاً

بالأداة، أو كان الأمر يتم بوساطة متوسط بين الأداة والمحسوس وهو بعيد عنها. مثل هذا مثل
٤٥ ما يتم في النار إذا كانت بعيدة عن الجسم فيتأثر بها ثم لا ينال ما يتوسطهما/ انفعال قط. أو مثل
ما يتم في الإبصار إذا توسط البصر واللون فراغ ما، فيستطيع البصر أن يشاهد اللون بقوة الأداة
لدى حضورها. أما الآن فقد اتضح أن الإحساس إنما يلزم النفس وهي في البدن، ويتم
بوساطة البدن.

٢٤ أما المسألة عن الإحساس إذا كان لأجل المنفعة فقط، فيجب معالجتها على النحو
التالي. إن كان الإحساس لا يتم للنفس ما دامت منفردة وحدها، بل يتم مع الجسم، فإنه إنما
يوجد من أجل الجسم إذا. والواقع هو أن الإحساس ينبعث من البدن، وقد أمدت النفس به
بسبب اتحادها مع البدن. فلا غرو إن كان الإحساس نتيجة لهذا الاتحاد حتمًا (ذلك لأن ما
٥ يفعل/ الجسم به، إذا عظم تأثيره بادر الانفعال فانهى إلى النفس)، أم كنا قد جهّزنا به حتى
ندفع شرّ العوامل عتًا قبل أن تقوى وتشتد فتهلكنا أو قبل أن تصبح في جوارنا. فإن كان ذلك
كذلك، فإن الإحساس إنما وجد للمنفعة. وإذا استُخدم للمعرفة، فعند من ليس له من المعرفة
١٠ نصيب خلّاق لنكد طالبعه،/ فيلجأ إلى الإحساس ليتذكّر إذ أنه كان قد نسي. ولا يحدث ذلك
لمن ليس في الحاجة أو في حالة النسيان.

وإن كان الأمر كما شرحنا، فإن مسألتنا لا تنحصر حول الأرض فقط، بل إنها لتشمل
الكواكب كلها، ولا سيما السماء والعالم الكلي بأسرها. ذلك لأن الكلام الذي سبق يتيح لنا
١٥ القول بأن الإحساس يتم للأجزاء المرتبط بعضها ببعض خاضعة للانفعال./ ولكن ما عسى أن
يكون الإحساس الذي يتم للكل، وهو لا علاقة له لذاته، ممتنع من كل صوب وجانب على
كل انفعال يرد عليه من ذاته إلى ذاته؟ فضلًا على أنه إذا وجب في أداة الحس أن تكون خاصة من
يُحسّ شيئًا يختلف عن المحسوس الذي يدرك بها، ثم كان العالم الكلي هو كل شيء، فلا
٢٠ يقال فيه أن لديه أداة يُحسّ بها ومحسوسًا يدركه بإحساسه./ بل الوجه في أن نسلم بأن له
إحساسًا باطنًا يدرك به ذاته، مثلما نحسّ نحن بذواتنا في بواطننا. أمّا أن تثبت له إحساسًا بشيء
يختلف عنه دائمًا، فهذا قول لا يجوز. فإنا إذا أدركنا نحن في بدننا حالًا غريبًا على الأحوال
٢٥ التي ألف أن يتقلب فيها دائمًا،/ إنما ندرك هذا الحال من حيث أنه طرأ علينا من الخارج. ولكن
مثلما أن الإدراك فينا ليس إدراك الأمور الخارجية فقط، إن نحن بالجزء الواحد ندرك الأجزاء
الأخرى، فما الذي يمنع الكل من أن يشاهد بالفلك الثابت فلك الكواكب السيارة أو من أن
يرى بهذا الفلك الأرض وما فيها؟ ثم إذا كانت هذه الأمور خاضعة لسائر الانفعالات، فما هو
٣٠ المانع من أن يكون لها إحساس من وجه آخر أرضًا،/ ولا سيما الإحساس بالبصر؟ أفلا يصبح

الإبصار آنذاك كأنه في حد ذاته إنه ليس خاصة الفلك الثابت، بل كأنه خاصة بصر يُطلع نفس العالم الكلي على ما يشاهده؟ ذلك لأنه، لو لم يكن هذا الفلك خاضعًا لسائر الإنفعالات فما له لا يبصر مثلما تبصر العين، وهو مثال نوراني منقوس؟ ولكن العالم الكلي «لا يحتاج إلى عيون»، فيما يقول أفلاطون. وإن كان «لا يحتاج إلى عيون»، إذ لم يبقَ أي شيء مشهود خارجًا عنه، / فإنَّ فيه على الأقل ما يشاهد، ثم ما كان قطّ مانع ليمنعه أن يشاهد هو ذاته بذاته. أما إن كان «لا يحتاج إلى عيون» لأن مشاهدته لذاته بذاته ضرب من ضروب العيب، فإنَّنا نذهب إلى أنَّ العالم الكلي لم ينسَق بما هو عليه لأجل الإبصار قبل كل شيء آخر، بل إنَّ الإبصار فيه إنما هو ناتج حتمًا عما هو عليه في ذاته. ولعمري، لماذا لا يتمَّ الإبصار لجسم ٣٥ شفاف من هذا الطراز؟ ٤٠

٢٥ [] إلَّا أنَّ وجود ما ندرك به لا يكفي حتى نشاهد، أو حتى نحس بوجه الإجمال. بل يجب في النفس أن تكون بحيث تميل إلى المحسوسات. ولكن النفس دائمًا في حال التوجُّه إلى الروحانيات. فإنَّ الإحساس لن يتم لها، حتى ولو كان بوسعها أن تُجسَّ، لأنها متَّجهة نحو الأمور الفاضلة. / فقد يحدث لنا، نحن أيضًا، أن نغفل عن سائر مشاهداتنا وإحساساتنا، عندما نكون مستغرقين القلوب في الروحانيات، وما دمنّا على هذه الحال. وقصارى الكلام، أنَّنا، مهما انصرفنا إلى شيء أغفلنا الأشياء الأخرى. ثم إنَّ قصد المشاهد أن يدرك بجزء من أجزائه الأخرى، فكأنه آنذاك ينظر بذاته إلى ذاته، إنما هو، عندنا أيضًا، لغو وعيب؛ وهو عمل عابث، إلَّا إذا انصرف إليه صاحبه وله فيه غاية. / أما مشاهدة الآخر في مظهره على أنه جميل، فإنه عمل من كان سريع الانفعال ناقصًا في ذاته. هذا ولربما رأى بعضهم في إحساسات الشم والسمع وذوق العصير عوارض ووساوس تشتت النفس. أما الشمس والكواكب الأخرى فإنها قد يحدث لها عرضًا أن تشاهد وتسمع. فإذا كانت، بوساطة هذين الحسَّين، تميل بوجهها إلى الأسافل حقًا لتعطف علينا، فإنَّ هذا القول ليس قولًا ينبو العقل عنه. / ولكن إذا فعلت وعطفت، فإنها تتذكر أيضًا، إذ أنه ليس من المعقول أن ننسى ما قامت به من برٍّ وإحسان. وكيف تقوم بأعمال البرِّ والإحسان إن لم تكن تتذكَّر؟ ١٠ ١٥

٢٦ [] هذا وإنَّ للكواكب علمًا بصلواتنا عن طريق ما كأنه اتصال ونوع من التماسك يقومان على تناسق بعض الأمور ببعضها الآخر؛ وعن هذه الطريق تُستجاب وتُقتضى حاجاتنا. وإنَّنا لنجد كل شيء منسَّقًا بحكم هذا التماسك، حتى في صناعات السحرة. ولا غرو، فإنَّ هذه الأمور كلها، سحر وصلوات، إنما هي خاضعة لتفاعل مشترك بين قوى متتابعة مرتبطة بعضها ببعضها الآخر.

٥ وإن كان ذلك كذلك، فلماذا لا نسلّم للأرض بأنها تُحسّ؟ ولكن من أي نوع يكون إحساسها؟ ولماذا لا نسلّم لها باللمس أولاً؟ ثم لماذا لا نقول أنها تُحسّ بجزء من أجزائها الأخرى، على أنه يُسلّم بالإحساس من جزء إلى جزء حتى ينتهي إلى الجزء الراجح؟ ولماذا لا نقول أخيراً، «إنها بكاملها تترك النار والعناصر الجسمانية الأخرى؟ ذلك لأنه إذا كان جسمها يصعب تحرّكه إن كانت صغيرة، بل تُحسّ بالحركات إذا عظم قدرها. / ولماذا؟ ألا، لأنه ما دامت الأرض شيئاً منفوساً، فإنها لا تفوتها الحركات إذا عظم قدرها. ولا يمنع مانع من أن تكون الغاية من إحساسها أن تسوّي أوضاع الآدميين، بقدر ما تعود أوضاعهم إليها. وأنها لتفعل عن طريق ما يكون بمزلة التفاعل المشترك: فتستمع إلى المصلّين وتقبل أدعيتهم، / على غير ما نفعل نحن. وإذا وردت عليها الإحساسات الأخرى أصبحت قابلة للانفعال في حق ذاتها أيضاً. والانفعال الذي يرد عليه لصالح الأمور الأخرى، مثل الإحساس بالروائح وبما يثير الذوق عند غيرها؟ إلا أن الغاية قد تكون مما يفوح بروائح العصير هي العناية بعالم الحيوان، وحفظ جسمانية الأرض ذاتها متماسكة البنيان جاهزة للعمل دائماً. هذا ويجب ألا نطالب للأرض بكل ما لدينا من أدوات للحس. / فإن هذه الأدوات لا تيسّر حتى للحيوانات كلها. ليست الأذان في كل الحيوان مثلاً، ومع ذلك فإن غيابها عن المحروم منها لا يمنعه عن أن يدرك الضجة. والبصر كيف يتمّ وهو لا يكون بغير نور؟ ذلك لأنه يجب في الأرض ألا نطالب لها بعيون. لكن ما دمنا قد سلّمنا بوجود قوة غذائية في الأرض، وجب أن نسلّم أيضاً بأحد أمرين: أو أن القوة الغذائية هي كامنة في الروح الحيواني بالذات، فتكون للأرض أصلاً وعلى هذا الوجه أبداً، أو أن القوة الغذائية هي الروح الحيواني بالذات. / فلماذا يجب، عند ذلك، أن ننفي عن هذه الأمور كونها شيئاً شفافاً. لا بل إننا نقول: إن كانت القوة الغذائية روحاً حيوانياً، فإنها شفافة لا محالة. وما دام النور يُشيع فيها منبعثاً من دائرة السماء، فإنها شفافة حقاً وفعلاً. ومن ثم فإنه ليس من المستبعد ولا من المستحيل أن تكون النفس الكامنة في الأرض نفساً ترى وتشاهد. بل يجب في مفهومنا للنفس ألا يكون مفهوم نفس صاحبها جسم خسيس. وبالتالي فإن النفس أمر ربّاني. / ذلك لأن ما يصحّ على هذه النفس بوجه الإطلاق هو أنها فاضلة دائماً.

٢٧ ويرد الآن السؤال عما إذا كانت الأرض تمتدّ النبات بالقوة المولّدة، سواء أكانت تعطيه هذه القوة بالذات أو كانت هذه القوة باقية في الأرض وأثرها في النبات قوته المولّدة. فإن النبات، ولو كان على هذه الحال، إنما يصبح مثل البدن المنفوس، إذ أنه، إن كان حاصلاً على ذلك الأثر، قد تلقى في ذاته القوة المولّدة ذاتها أيضاً. فإذا استقرّت فيه أمدتّ جسمه بخير ما لديه وبما يتميز به عن النبات/ المقطوع الذي لا يكون نباتاً بعد ذلك بل خشباً فقط. ولكن جسم

الأرض ذاتها بماذا تمدّه النفس؟ يجب ألا نعتقد في الجسم الأرضي إن اقتلع من الأرض أنه يكون هو ذاته إذا بقي متماسكاً معها. والحجارة تدلّ على ذلك: فإنها تنمو وتزداد ما دامت متصلة بالأرض، / فإذا فُصلت عنها بقيت بالقدر الذي كانت عليه عندما اقتلعت. يجب أن نعتقد في كل جزء إذاً أنه ينطوي على أثر، وأنه تجري فيه القوّة النباتية كلها، وهي ليست آنذاك قوة هذا الجزء أو ذاك، بل قوة الأرض كلها. ثم تليها قوة الإحساس في ذاتها وهي ليست آنذاك مختلطة مع الجسم بل مشرفة عليه إشراف الحوذي على جياذ عربته. وتأتي النفس الأخرى / مع الروح الأرضي أخيراً، ويسمّيها الناس «هستيا» و«ذايمطر»، معتمدين في ذلك كله على ما بلّغهم الهاتف الإلهي من وراء الغيب وعلى الطبيعة المُثَبِّتة عن أسرار الأمور.

٢٨ هذا وحسبنا ما ذكرنا عن مسألتنا. فيجب الآن أن نعود إلى ما كتنا فيه ونبحث في القوة الغضبية. لقد جعلنا الجسم، وهو على حال خاص، وقد أصبح من وجه منفوساً، مقاماً للشهوات في أول إنبعاثها وللألم واللذة، من حيث أن كل ذلك هو انفعال وليس إحساساً. ٥
وها نحن أولاً نُقبل الآن على البحث فيما إذا كان الأمر هنا كما هو هنالك، أعني عمّا إذا كان يسعنا أن نجعل الغضب في أول انبعاثه أو في مراحله كلها / غضب الجسم، وهو كما وصفنا، أو غضب جزء من أجزاء الجسم كالقلب مثلاً وهو على حال خاص أو كالكبد وهو في جسم لم يمت. وإن كان ذلك كذلك، وكان ما يعطي الأثر النفساني شيئاً آخر، فإننا نبحث عمّا إذا كانت القوة الغضبية هي الأثر النفساني، أو كان الغضب شيئاً جسيماً قائماً في وحدته لا يردّ إلى القوة الغضبية أو إلى قوة الإحساس. أما في الحالة الأولى، فإن القوّة النباتية تمتد إلى الجسم كله. / ١٠
ومن ثم يصبح الأثر الذي تمدّ الجسم به منتشراً في الجسم كله، فيكون الألم واللذة في الجسم كله أيضاً. وكذلك القول في الشهوة عندما تنبعث طالبة إشباعها. أجل، لم نقل شيئاً في شهوة التناسل، ولكننا نفترضها ثابتة في الأعضاء المعيّنة لهذا النوع من الشهوات. كما أنّنا نرى أن محل انبعاث الشهوة إنّما هو من الجسم في منطقة الكبد، / لأنها فيها يتمّ خاصة عمل القوة الغذائية، التي تكفل الأثر النفساني للكبد وللجسم. وإنما نجعل الشهوة في هذا المحل، لأنها منه ينبعث عملها. بقي السؤال عن الغضب ما هو وأية نفس يكون، وعما إن كان ينبعث منه أثر إلى منطقة القلب، أو إن كان ثمة شيء آخر يكفل الحركة التي تنتهي في المركّب، / أو إن لم يكن قطّ أثر في ما نحن في صدد، بل إن الغضب ذاته هو الذي يحدث استشاط الغيظ. يجب أولاً أن نبحث عن الغضب ما هو إذاً. إنّنا لا نحتاج مما يفعل جسمنا به فقط، بل ممّا يفعل به أحد غيرنا من ذويها أيضاً، وإجمالاً ممّا يأتي به المرء وليس باللائق. وهذا أمر ظاهر معروف. ٢٥
فإن في الغيظ لا محالة إحساساً / وإدراكاً لأمر ما. ولذلك قد نتساءل فيما إن يكن الغيظ لا

ينبعث من القوة الغذائية، بل إن له انطلاقة من محل آخر. لكن بادرة الغيظ تابعة للأحوال

٣٠ الجسمانية: إن أصحاب الدم الحار والمزّة اللاهبة/ سريعة، والغضب، في حين أنه يكاد لا يظهر عند من لا مزّة لهم ويعرفون بفتور الهمة. فضلاً على أن البهائم لا تتور إذا ثار عند غيرها

ثائر، بل عندما تتصوره ضرراً عليها. وإن كان ذلك كذلك، فإننا نعود ونميل بالأحرى إلى أن نردّ

٣٥ الغضب إلى الجسم وإلى ما يمسك الحيوان في بنيانه العضوي. / ثم إن المرء ذاته هو أسرع إلى الغضب مريضاً منه صحيح البدن، وصائماً منه مُفطراً. فإن كان الأمر كذلك، فإنه يدلّ على أن الغضب في ذاته وفي إبان انبعاثه إنما هو غضب الجسم كما وصفناه. كما أنه يدلّ أيضاً على أن

المزّة أو الدم هما اللذان يحدثان تلك الحركات الخاصة، وكأنهما يجعلانها نفسانية. فإذا

٤٠ أصاب ذلك الجسم وهو في حاله الخاصة انفعال، / هاج الدم والمزّة على الفور، ثم يتنبّه الإحساس ويليه التخيّل فتنهض النفس وتجمع بينه وبين حال الجسم آنذاك، مُجهّز على الذي أحدث الأذى. ثم إن هنالك الغضب الذي يأتي من فوق: إذا بدا ظلم ما لا علاقة له بالبدن، وجدت النفس الدافع الذي تكلمنا عنه على حال الأهبة، إذ أنه مفطور على ردّ كل مقاوم يعدو،

٥٠ فاتخذته لها حليفاً. / إن الغضب غضبان إذا: الغضب الغريزي الأصم الذي يهيّج فيستثير العقل بوساطة التخيّل، والغضب الذي ينبعث من العقل وينتهي إلى الغليان الغريزي. وكلاهما ينبع

٥٠ من القوة الغذائية والمولّدة التي تعدّ الجسم جهازاً كأنه يدرك اللذة والأذى، / وهي التي تكون قد جعلته آنذاك ذا مزّة ومراً. فإذا انتهى أثر النفس في مثل هذا الجسم إلى حالة مثل هذه

الحالة، تهيج بحيث يمتعض ويغضب، فيصبح على سوء الحال هو أولاً. وإن غدا كذلك حاول أن يجعل الأشياء الأخرى على سوء الحال أيضاً، إذا جاز لنا القول، وأن يصيرها شبيهة به هو

٥٥ ذاته. / ويدل على أن أثر النفس الذي نحن في صدد، هو في حقيقته من جنس أثر النفس الآخر، أي الشهوة، كون الذين ضعفت رغبتهم في اللذات الجسمانية وأصبحوا، إجمالاً، يبالون بالجسد أقل انقياداً للغضب، وذلك بمناعة غريزية لا دخل للعقل فيها. هذا ويجب ألا

نعجب من أن الشجر لا يغضب بالرغم من حصوله على القوة الغذائية: فإنه لا نصيب له من دم

٦٠ أو مزّة. / وإذا توافرا بدون إحساس، لم يحدثا إلا غلياناً فقط وشيئاً كأنه الهيجان؛ ثم إن عرض الإحساس، نهضت الغريزة في وجه العادي لتدفع ضرره. هذا وقد يقسّم بعضهم جانب النفس

٦٥ الغريزي الأصم إلى القوة الشهوانية/ وإلى القوة الغضبية، على أن تكون القوة الغضبية أثر القوة الشهوانية في الدم أو في المزّة أو في المركّب من الجسم وأثر النفس. فإن فعلوا لم يكن

تقسيمهم صحيحاً لأنه يؤدي إلى التمييز بين متقدّم ومتأخّر. ولكنه لا يمنع من أن يكون كلاهما

٧٠ متأخراً، فيغدو التقسيم تقسيماً إلى شيئين مشتقين معاً من أصل واحد. / والواقع هو أن التقسيم هنا إنما يتناول دافعين غريزين من حيث أنهما كذلك، ولا يقع على الذات التي انبعثت منها. فإن

هذه الذات ليست في حقيقتها دافعاً غريزياً، بل ربما كانت القوة الفاعلة التي، إذا فعلت فعلها حقاً، جعلته خاصتها، فكفلت بذلك للدافع الغريزي اكتماله. هذا فضلاً على أن القول في أثر النفس الذي تحوّل غضباً أن محله/ القلب، ليس قولاً يتنافى مع المعقول. فإنّ بذلك لسنا نعيّن للنفس محلها، بل نعيّن للدم محله إيان انبعائه وهي حينئذ دم ذلك الجسم الخاص على ما ورد وصفه.

٢٩ وكيف لا يحتفظ الجسم بشيء من الحياة إذا خرجت «النفس الأخرى» منه، مادام يشبه شيئاً انتشرت فيه الحرارة، لا شيئاً أشعّ فيه النور؟ بل إنه يبقى لديه من الحياة القدر القليل ثم لا يلبث أن يذبل، كما هو الأمر في الأجسام الساخنة إذا ابتعدت عن النار. ويشهد لذلك الشعر الذي ينبت في الجثة/ الهامدة، والأظفار التي تستمر في نمائها آنذاك؛ ثم إن من البهائم ما إذا قُطِعَ إِرْبًا إِرْبًا تحرّكت منه إِرْبَه. وربما يُحْدِثُ ذلك ما لا يزال كامناً في الجثة من الحياة. ومع ذلك، إن لم يكن ما تبقى من الحياة ينسحب مع «النفس الأخرى»، فإنه ليس في هذا دليل على أن الطرفين هما شيء واحد. فإن الشمس إذا انسحبت، لا ينسحب معها النور الذي ينبعث منها مباشرة فينتجها أينما تتجه ويبقى مرتبطاً بها فقط. / إنما ينسحب أيضاً ما ينعكس من هذا النور على الأمور الخارجة عنه والذي نشاهده منتشراً على الأشياء المضاءة. وهما نوران يختلف أحدهما عن الآخر. ولكن هل يكون قد انسحب آنذاك أو يكون الفناء قد اعتراه؟ هذه مسألة يجب الكشف عنها بالنسبة إلى النور الذي نحن في صدد، وبالنسبة إلى الحياة الثابتة في البدن، والتي وصفناها بأنها خاصته. / إنه لا يبقى شيء من النور بعد انسحابه من الأشياء التي كان قد أشعّ فيها إذا: هذا أمر لا شك فيه. ولكن موضوع بحثنا هو فيما إذا كان هذا النور المنسحب يعود فينصب في فاعله ومعينه، أو إنه ينعدم ولا شيء منه بعد ذلك. ولكن كيف ينعدم انعداماً مطلقاً بعد أن كان شيئاً حقاً؟ فنقول بوجه الاجمال إن للأجسام التي ينبعث منها النور ذاتها، ما نسميه لونها. / فإذا اعتري الأجسام الفساد تغيرت وانعدم لونها، ثم لا يسأل أحد بعد ذلك عن لون النار أين يكون إذا فسد النار، كما أنه لا يسأل أيّان شكلها أيضاً. فأنّى لنا أن نقول ذلك؟ ألا، إن الهيئة هي وضع ما يكون الشيء عليها مثل ضمّ الكتف وبسطها. أما اللون فليس كذلك أمره، بل إنه مثل أمر الحلاوة. فما يكون المانع عن أن يفسد الجسم الحلو ثم لا تنعدم حلاوته، أو عن أن يفسد الجسم الطيب الرائحة ولا تنعدم رائحته الطيبة؟ ما الذي يمنع هذه الأوصاف من أن تكون قد انتقلت إلى جسم آخر، ثم لا تدرك فيه بالحس، لأن هذا الجسم الذي تلقّاها ليس بحيث تلتقي الحواس بأوصافه. وكذلك القول في النور/ الذي ينبعث من الأجسام التي يعتريها الفساد: فإنه يبقى ولو لم تبق مناعته الناتجة عن تماسك بعض عناصره مع

بعض وهي على أشدها آنذاك . إلا إذا قال قائل أن المشاهدة إنما تكون بحكم الاتفاق الوضعي ، وأن ما نسميه وصفاً إنما هو أمر لا أصل له في حقيقة الواقع . ولكن هذا يؤدي بنا إلى القول في ٣٥ الأوصاف أنها لا تفسد ولا تنشأ عندما يتم ببيان الجسد . / كما أننا نذهب حينئذ إلى أن البنى المعنوية الكامنة في البذور ليست هي التي تُحدث الألوان ، كما يكون الأمر في الطيور المختلفة أنواعها . بل إن هذه الألوان كانت حاضرة جاهزة ، فجمعت البنى المعنوية بعضها إلى بعض ، أو أنها أحدثت منها جانباً وأخذت الجانب الآخر من الألوان المنتشرة في الهواء وهو طافح بأشياء من نوعها . على أن الواقع هو أنها ليست في الهواء من نوع ما تبدو عليه مع ٤٠ الجسم عندما تحلُّ فيه . / فلندع الآن هذا الإشكال الذي اعترضنا هنا . نقول إذاً : إن بقيت الأجسام واستمرَّ النور مرتبطاً بها ، غير مفصول عنها ، فما هو المانع الذي يمنع النور ، إذا تحركت الأجسام في المكان ، من أن يتحرك معها ؟ إنني أعني «النور» الذي يتصل بالجسم مباشرة ، مع النور الذي يرتبط به إذا وُجد نور من هذا النوع . أجل ما هو المانع عن ذلك ، حتى ٤٥ ولو كنا لا نرى النور منسحباً ، ما دمنا لا نراه مقبلاً أيضاً ؟ / أما النفس ، فإنها تبحث في مقامات أخرى عما إذا كانت فروعها تابعة لأصولها ، ومتأخراتها لمتقدماتها دائماً ، أو إن كان كل جزء من أجزائها قائماً في ذاته ، لا صلة بينه وبين ما يتقدمه ، بوسعه أن يبقى مع ذاته في ذاته . كما أننا سنبحث عما إذا كان ثمة وجه ثالث للنظر أيضاً وهو ألا يكون قطُّ جزء من أجزاء النفس منفصلاً عنها ، بل تكون النفوس كلهنَّ ، على كثرتهنَّ ، نفساً واحدة ، وبأي معنى . / ولكن ما عسى أن يكون حقاً ذلك الذي حلَّ في الجسم وأصبح خاصته ، ونقول عنه أنه أثر النفس ؟ ألا ، إن كان هو النفس ، تبع النفس الناطقة لا محالة ، ما دام لا ينفصل عنها . أما إذا كان للجسم بمثابة حياته ، اعترضنا هنا الإشكال عينه الذي اعترضنا في البحث حول انعكاس النور وارتسامه . هذا فضلاً على أنه لا بدَّ من البحث عن الحياة أيضاً ، فيما إذا كان يجوز فيها أن توجد بدون نفس ، إلا إذا ٥٥ بادرنا إلى القول بأن النفس إنما تفعل فعلها في غيرها عن طريق المجاورة .

٣٠ لقد أثبتنا سابقاً أن ليس للكواكب من التدكُّر منفعة . ولكنَّا سلَّمنا لها بالإحساس ، وقلنا إنها تسمع وترى . كما أننا قلنا إنها تسمع أدعيتنا أيضاً ، ليس فقط تلك التي نتوجه بها إلى الشمس بل تلك التي يتوجه بها بعض الناس إلى الكواكب . فضلاً على أن الاعتقاد الثابت هو أنها تؤدي للناس مساعدات جلَّى . وهي تفعل ذلك على وجه من اليسر يحملها على أن ٥ تؤازرهم ، / ليس في الحسنة فقط ، بل في الكثير من السيئات أيضاً . لا بدَّ من البحث في هذه الأمور التي تعترضنا هنا إذاً أمراً بعد أمر . فإنها تنطوي في حدِّ ذاتها على الإشكالات العظيمة المشهورة عند من يصعب عندهم أن يشارك الآلهة في اجتراح المعاصي أو ارتكابها . / ١٠

ونخصّ بالذكر من بينها موبقات العشق والوصال الفاحش . فلأجل ذلك نُجري بحثنا هنا ، ونخصّ بخاصة في ما أقبلنا عليه في مستهل مقالنا ، وهو مسألة الذاكرة عند الآلهة . إنهم يُلبّون دعاءنا إذا توجّهنا به إليهم ، ولكنهم لا يقضون حاجتنا على الفور بل يرجئونها إلى حين كثيراً ما يطول أجله . / وإن فعلوا فلأنهم يذكرون أن ما يطلب الناس منهم لا محالة . إلّا أنّا في كلامنا السابق لم نعترف لهم بذلك ، بالرغم من كون الذاكرة أمراً لا بدّ منه في أعمال البرّ والإحسان نحو الناس ، مثل تلك التي تقوم بها «دافطير» و«هستيا» وهما روح الأرض . إلّا إذا قلنا عن الأرض أنها وحدها التي تنسّق الأمور البشرية على حالها الحسنی . / علينا أن نحاول الكشف عن أمرين إذاً : الأمر الأول هو أنه كيف نجعل وظيفة التذكّر في الآلهة ، وهو أمر يهمنا نحن ، ولا علاقة له بما يبدو ولغيرنا من الذين لا يرون مانعاً من أن ينسبوا للكواكب ذاكرة . والأمر الثاني هو شرح هذه الظواهر الغريبة كيف تتم . فإن عمل الفلسفة إنما هو البحث في ما قد يتيسّر به الردّ على الطعن / بالآلهة التي في السماء . بل إن الأمر يتعلّق بالعالم الكلي ذاته إذ إن هذا الطعن يتعدّى إليه أيضاً ، إنّ ثبت قول من يزعمون أن الإنسان تنتهي به جسارته إلى أن يستولي بسحره على السماء كلها . هذا وإن بحثنا سيدور حول مسألة الجرنّ أيضاً في أنهم كيف / يؤدّون خدمات من نوع التي ذكرناها ، إلّا إذا وجدنا لهذه المسألة حلاً في حلولنا للمسائل السابقة .

٣١ يجب في أفعال العالم الكلي وانفعالاته أن ندركها كلها بجملتها دفعة واحدة : تلك التي توصف بأنها طبيعية ، وتلك التي تكون من إخراج الصناعة . ثم إنّ الطبيعة يجب القول فيها أنّ منها ما ينبعث من الكل إلى الأجزاء ومن الأجزاء إلى الكل أو من الأجزاء إلى الأجزاء . أما ما كان من إخراج الصناعة ، / فما إن يكون ما إذا باشرت الصناعة فيه وهي على حال ، إنتهت في الشيء المصنوع وهي على الحال ذاتها ؛ وإما أن يكون ما يسخر القوى الطبيعية ليحدث أفعالا أو انفعالات في مسالك الطبيعة . هذا وإنني أعني بأفعال العالم الكلي وانفعالاته كل ما تفعل الحركة الكلّية على ذاتها وعلى أجزائها . فإنها إذا اندفعت في تحركها ، حدّدت أوضاعها وأوضاع / أجزائها ، ما تنطوي عليه في دورتها وما تمدّد به الأشياء الموجودة على الأرض . أما انفعالات بعض الأجزاء ببعض فإنّه أمر واضح لكل ذي عقل : لدينا أحوال الشمس وأفعالها بالنسبة إلى الكواكب الأخرى وإلى ما على الأرض ، وإلى ما في العناصر الأخرى . ثم أنّا نجد إلى جانب أفعال الشمس أفعال الكواكب الأخرى ، وأفعال ما على الأرض وما في العناصر الأخرى . وكل أمر من هذه الأمور الجزئية يحتاج إلى بحث خاص . / أما الصناعات ، فإن التي تُخرج بفعلها البيتّ والمصنوعات الأخرى ، فإنما تنتهي في عمل من هذا النوع . ثم إن الطب والحراثة وما على شاكلها ، إنما هي صناعات تُسخر لتؤدي إلى الأمور الطبيعية مساعدة

تجعلها على ما تستلزمه الطبيعة. أما الخطابة والموسيقى وكل فن آخر له تأثيره في النفس،
 ٢٠ فإنها فنون تُحدث تغييرات في أحوال الإنسان فتسوقه إلى الخير أو الشر،/ وفيها يجب البحث
 عن عددها كم هو، وعن مدى طاقتها وتأثيرها. هذا وإنه ينبغي علينا أخيرًا، إن أمكن الأمر، أن
 نميز بين كل هذه الصناعات فنهم اهتمامًا خاصًا بما فيه نفع لحاجاتنا الحاضرة، وأن نتبين
 السبب في ذلك على قدر المستطاع. هذا وإنه ليس في الأمر شك أن للحركة الدورية أفعالها:
 ٢٥ فإنها تنظم أوضاعها المختلفة أولًا وأوضاع الكواكب التي تحملها في جنباتها،/ كما أنها تؤثر
 حتمًا على الأرضيات، ليس على الأجسام فقط، بل على أمور النفس أيضًا. فضلًا على أن لكل
 جزء من الأجزاء السماوية عمله على الأرضيات، ولا سيما على السفليات منها. وكل ذلك
 واضح من وجوه عديدة. أما إذا كان للأرضيات تأثير على السماويات، فهذا بحث نرجئه إلى
 ٣٠ مقام آخر، فإننا الآن نعلم إلى ما يسلم به الجميع أو أكثر الناس،/ ونفترضه صحيحًا بقدر ما
 يظهر كذلك بالعقل. الأمر الذي يقضي علينا أن نحاول شرح الوجه الذي تلجأ الكواكب إليه
 لتفعل أفعالها، فتقبل على البحث في هذه الأفاعيل عند أول انبعاثها. يجب ألا نقول في
 الشمس أنها تفعل بمعنى أنها تحدث الحرارة والبرودة فقط، وما على شاكلها من تلك
 الأوصاف المعروفة بأوليآت الأوصاف في العناصر أو من تلك التي تخرج من مزيجها. كما
 ٣٥ أنه يجب النفي عن الفعل أنه يصير كلاً بالتسخين لدى الشمس، وبالتبريد لدى كوكب آخر/
 (وما عسى أن يكون مقام البرودة في جسم سماوي من نار؟)، وبرطوبة النار لدى كوكب ثالث.
 فإن قلنا بمثل هذا القول استحالة علينا فهم الاختلاف الواقع بين أفاعيل هذه الأمور. فضلًا على
 أنه يستحيل علينا أيضًا أنذاك أن نرد إلى شيء منها الكثير من المحدثات. ذلك لأنه إذا ردَّ
 ٤٠ بعضهم إلى الكواكب الاختلافات في الأخلاق بمعنى أنها تتكيف بتكيف الأمزجة/ في
 الأجسام، وأن هذه الأمزجة تكون على الحال الذي يجعلها فيه رجحان البرودة أو الحرارة،
 فإننا لا نسلم بقوله. ولعمري، كيف نعلل حينئذ الحسد أو الغيرة أو الاحتيال بتلك الأوصاف؟
 وإذا فعلنا، فما عسى أن نقول على الأقل في الحظوظ شرها وخيرها، وفي الغنى والفقر، وفي
 ٤٥ كرامة المحتد أو في اكتشاف الكنوز أيضًا؟/ وما أكثر ما يستطيع المرء أن يذكره مما يسوقه
 بعيدًا عن الأوصاف الجسمية وهي خارجة من العناصر الأولى مناسبة في النفس أو في جسم
 الحيوان؟ هذا وإنه يجب ألا ننسب إلى إرادة في الكواكب وإلى قصد في الكل، أو إلى نظر
 ٥٠ فيهما عن هذه الأمور، ما يطرأ على كل جزء من الجزئيات التي تقع تحتها. فما أبعد قولاً/ عن
 العقل قولنا بأن هذه الأمور هي التي تُدير أحوال الناس بحيث يصبح بعضهم لصًا أو تجارًا في
 الرق، أو ناقبًا على غيره حائطه، أو هاتكًا حرمة القديسات، أو جبانًا أخيرًا متخثًا في فعله
 وانفعاله يرتكب الفواحش التي يندى لها الجبين خجلًا. ليس ذلك مما يليق بالآلهة! بل إنه لا

٥٥ يلقى بترؤي السيرة العادية المتعارف عليها بين الناس . وربما لم يكن أحد/ ليفعل مثل هذه الأفاعيل أو ليهوى إلى أن يديرها له وهي لا تعود عليه بالنفع مهما يكن مقداره قليلاً .

٣٢] إننا لن نضيف إلى علل جسمانية ولا إلى إرادة في الكواكب أمراً من الأمور التي تطرأ من الخارج علينا أو على الحيوانات الأخرى ، وبالإجمال من تلك التي تنتهي إلى الأرض منبعثة من السماء . وإن كان ذلك كذلك ، فما هي العلة التي تبقى لدينا ونستسيغها عقلاً؟ إن أول ما ينبغي علينا أن نسلم به هو أن العالم الكلي إنما هو واحد حي محيط بجميع الحيوان ، / له نفس واحدة تمتدُّ إلى أجزائه كلها بقدر ما يكون كل فرد جزئي جزءاً من هذا العالم . والفرد الجزئي إنما يكون جزءاً من أجزاء العالم الحسي بتمام المعنى من حيث أنه بدن . لكن القدر الذي يصيبه من نفس العالم الكلي هو الذي يحدّد القدر والوجه الذي يكون عليهما جزءاً من هذا العالم . فما كان له نصيب من نفس الكل وحدها ، غدا بأسره جزءاً من أجزاء الكل ؛ / أما ما أصاب أيضاً شيئاً من نفس أخرى ، فإنه لم يكن بذلك جزءاً من أجزاء الكل بمعنى الجزئية التامة . غير أنه لا يكون آتئذ أقل تأثيراً بأجزاء الكل الأخرى ، وإنما يكون ذلك بقدر الشيء الذي أصابه هو من الكل وبقدر ما ينطوي هو عليه ويأخذه من هذا الكل . ومن ثم فإن هذا الكل الواحد القائم على خياله إنما هو على حال التفاعل المتبادل . وهو بمنزلة الحيوان الواحد ، البعيد فيه قريب ، مثلما يكون الأمر في الحي الواحد بين أجزائه : الظفر والقرن ثم الإصبع / وعضو آخر من الأعضاء التي لا تجاورها . فينفع الجزء بجزء لا يجاوره ، ثم يبقى ما بينهما على حاله ولا يناله قطُّ انفعال . ذلك لأن الأمور المتجانسة لا يقوم بينها تجاور ، بل يفصل بعضها عن بعضها الآخر أمور مختلفة تتوسطها ، ثم يتم تفاعلها المتبادل بوساطة تجانسها . والأمر الذي لا شك فيه بعد ذلك هو أن الفعل الذي ينبعث من الجزء غير المجاور ، إنما ينتهي إلى الجزء البعيد ويؤثر فيه . / وما دام الحي واحداً مكتملاً في وحدته ، فإن شيئاً فيه لن يكون على بعد مكاني بحيث لا يناله تأثير الفطرة التي جبلت ذلك الحي الواحد على التفاعل المتبادل بين أجزائه . فإن ما يجمع التجانس بينه وبين الفاعل ، لا يكون انفعال الفاعل عليه انفعالاً غريباً . أما إذا كان الفاعل من غير جنس المفعول ، فإن المفعول يتلقّى انفعالاً غريباً ، ولا يكون تلقّيه إياه عن رضى . / هذا وإنه يجب ألا نعجب للضرر إذا حصل من فعل فعله الجزء على غيره ، بالرغم من كون الحيوان واحداً . فإننا نحن أيضاً عندما نفعل أفعالنا ، يحصل عندنا أذى من جزء على غيره ، كما هو الأمر ، فيما يبدو ، من الجورة والغضب إذ أنهما يضغطان على سواهما ويلسعانه . وكذلك في العالم الكلي أيضاً حيث نجد أشياء على قياس الغضب والجورة ، وأشياء أخرى على قياس سواهما في الحيوان . / كما أننا نجد في الشجر أغصاناً تقاوم غيرها ، حتى لتجفّفها . هذا وإن العالم الكلي ليس حيواناً

فإنما في الوحدة فقط، بل يبدو على أنه ذا كثرة أيضًا. ومن ثم فإن الفرد الجزئي إنما يُحفظ بتماسك الكل بقدر ما يكون واحدًا في ذاته. ولكن الجزئيات كثيرة، وبقدر ما إنها كذلك، فإنما يكثر تلاقي بعضها ببعضها الآخر؛ فيؤدي بعضها بعضًا لما بينها من الاختلاف. كل منها يسعى إلى حاجته بغير غيره،/ لا بل يجعله غذاء له لكونهما متجانسين ومتخالفين في آن واحد. فما دام كل جزئي يطلب ما فُطر عليه، فإنه يأخذ لذاته ما يجد أنه عند غيره. أما القدر ٣٥ الذي يجد عند غيره غريبًا عليه، فإنه يتلفه حبًا لذاته. ثم إن الفرد الجزئي يفعل أفعاله،/ فينفع بها ما كان بوسعه أن يفيد منها شيئًا، ويقضي على الأمور التي لا تقوى على مقاومة فعله في اندفاعه، أو أنه يؤذيها. مثل ذلك مثل ما يُسوى بالنار إذا أتت عليه، أو مثل الحيوان الصغير يحرقه الكلب في جريه أو يطوه بأقدامه. فإن كون هذه الأمور كلها وفسادها وتحولها للخير ٤٠ وللشر،/ أقول: إن كل ذلك هو الذي يجعل حياة هذا الحيوان الواحد حياة لا نقص فيها تسترسل مع الفطرة. ولا غرو إن لم يكن بوسع الجزئيات أن تبدو وكأنها هي وحدها. وما دامت هي أجزاء، فإنها ليست هي غايتها لذاتها، ولا توجه نظرها إليها هي ذاتها، بل لذلك الواحد الذي تصدر عنه جزءًا له. ثم إنها يختلف بعضها عن بعضها الآخر، فلا يتيسر لها أن تحيط كلها ٥٠ بما هو من شأنه/ أن يكون لديها دائمًا في حياة واحدة. وما كان الشيء ليبقى على حال واحدة دائمًا ما دام البقاء للكل وحده، وهو بقاء قائم على التحرك الدائم.

٣٣ ما دامت الحركة الدورية لا تتم بحكم الاتفاق والمصادفة، بل تسير بحكم العقل الذي يوجه الحيوان، وجب في الفاعل والمنفعل أن يقع بينهما توافق ونظام يشق بعض الأجزاء مع بعضها الآخر. فيكون آتيل لكل هيئة من هيئات الحركة الدورية، وهيئات ما هو تحتها،/ وضع يوافقه. فكان هذه الأمور كلها، في حليتها المختلفة العناصر تخرج برقص منسجم واحد. فإنا نرى، حتى في حفلات الرقص التي نحضرها، أن مظاهر الرقص في مرحلة تتغير حركاته بتغير ١٠ الألحان في الأدوات التي ترافقه بعزفها، من ناي وغناء وسواهما مما يتعلق بأمرنا. / وما عسانا أن نقول في كل ذلك وهو بَيِّن واضح؟ لكن أعضاء الرقص يستحيل عليها حتما أن تبقى على حالة واحدة عند كل هيئة يأخذ الرقص شكلها. فإذا انقادت أعضاء البدن للرقص أخذت تميل وتنعطف: فمن عضو ينعكف، ومن آخر يمتد، ثم يستسلم هذا للعمل وذاك لنوع من الراحة ١٥ تقتضيها جملة الرقص في مختلف هيئاته. / هذا وإن إرادة الراقص أثناء ذلك، إنما هي متجهة إلى شيء آخر؛ أما أعضاؤه، فإنها تنفعل بالرقص طوعًا، وهي في خدمته، ساعية إلى إخراجه كاملاً. ولا غرو إن استطاع الخبير أن يحكم آنذاك لدى كل هيئة من هيئات الرقص، على كل ٢٠ عضو من أعضاء الجسم أنه يرتفع،/ أو ينعطف أو يتوارى أو ينحدر. ولم يُرد الراقص أن يفعل

كل ذلك عبثاً، بل دخل الرقص بجسمه كله، فلا غرو أن يتخذ العضو المعين للقيام بالرقص
 ٢٥ الوضع الذي يقتضيه الموقف. / على هذا الوجه ينبغي أن نصف فعل الأمور التي تفعل في
 السماء أفعالها أو تدل على الأشياء. أو نقول بكلام أدق وأوضح: إن العالم الكلي إنما يحقق
 حياته كلها بأن يحرك فيه أجزائه العظيمة وبأن يبذل على الدوام في هيئاتها. أما الأجزاء في
 ٣٠ هيئاتها، فإن التناسب القائم بينها مع بعضها وبينها مع الكل، ثم الاختلاف/ في أوضاعها،
 نقول في كل ذلك: إنه إنما يجعل الأمور الأخرى تليه تابعة له مثلما يكون الأمر في الحيوان
 الواحد المتحرك. فإن أحوالها تتكيف آنذاك بتكيف تلك العلاقات والأوضاع والهيئات،
 وتتحوّل بتحوّلها. هذا على أن الأجزاء، إذا تحوّلت من هيئة إلى هيئة، لا تكون هي
 ٣٥ الفاعلة، بل الفاعل إنما هو ذلك الذي يُحدث تلك التحوّلات،/ كما أنه إذا أحدثها، لا
 يكون فاعلاً بمعنى أنه يفعل شيئاً يختلف عنه (إذ أن فعله لا يقع على غيره)، بل إنه هو
 المحدثات كلها. أعني: الهيئات في السماء، وتوابع هذه الهيئات في دنيانا. وكلها له أحوال
 لا محالة، هو الحيوان الكلي الذي يتحرك بحركته الخاصة، وهو بقيامه الخاص قائم بذاته
 ٤٠ فطرة وجبلة متماسك بتماسكه الخاص أيضاً، فيفعل ويفعل على ذاته بحكم حتمي لا مردّ له/
 ولا تبديل فيه.

٣٤ أما نحن، فإننا نخضع من ذواتنا للانفعال القدر الذي نكون به جزءاً من الجسم الكلي،
 مع الاعتقاد أنّنا، كلاً، لسنا من الكل إلا بشيء منا فقط، فيكون انفعالنا به انفعالاً معتدلاً. ونحن
 آنذاك بمثابة الأجبر الحكيم يخصّص بشيء من ذاته خدمة سيده، ويبقى هو الشيء الآخر،
 ٥ فصله أو امر سيده/ بقدر واعتدال لأنه ليس عبداً من الرقّ وليس هو كلاً لغيره. أما الاختلاف
 في هيئات الكواكب، ما دامت الكواكب لا تجري كلها بالسرعة ذاتها، فانه أمر كان من شأنه
 أن يقع حتماً وأن يغدو على ما هو الآن في حاله. هذا وإن الحركة الدورية إنما تتمّ بنظام
 ١٠ محكم، وتتمّ معها الاختلافات في هيئات الحيوان الكلي. / ثم تحدث حوادث دنيانا عن
 طريق التفاعل المتبادل بينها وبين أمور السماء. فلا غرو إن مال العقل إلى البحث عن هذه
 الحوادث: هل يجب القول فيها إنها تابعة لتلك الأمور متوافقة معها، أو إن في هيئات
 الكواكب قوة على إحداث ما يجري في الأرض، وهل هذه القوة هي قوة الهيئات في حدّ
 ذاتها، أو هي قوة الهيئات من حيث أنها هيئات الكواكب. ذلك لأن الهيئة الواحدة في الكوكب
 ١٥ الواحد إذا شملت كوكباً آخرًا وكواكب أخرى،/ لا تأتي بالدلالة ذاتها أو بالفعل ذاته. فضلاً
 على أن كل شيء في حدّ ذاته إنما يبدو بفطرة تجعله مختلفاً عن غيره. أو ليس القول الصواب هو
 أن التأثير الذي تحدّثه بروح معيّنة من الكواكب إنما هو أن يكون لها، وهي تلك الهيئة، وضع

خاص محدود، فإذا صارت هي ذاتها هيئة جملة أخرى من الكواكب اختلف تأثيرها وعملها؟
 ٢٠ ولكن إن كان ذلك كذلك، أدى بنا الحال إلى ألا نحكم لهيئات بالعمل والتأثير، / بل للكواكب التي تدخل في تشكيلها. أو لا نحكم بذلك للطرفين معاً؟ إن أقل ما يقال في الأمر هو أنه إذا وقعت الكواكب ذاتها في هيئات مختلفة اختلف عملها وتأثيرها. على أن هذا يصح على الكوكب الواحد أيضاً، إذا انتقل من مكان الى مكان آخر. ولكن ما عسى أن يكون هذا التأثير والعمل؟ أيكون حدثاً أم أمانة؟ إلا أن الهيئة تقترن مع كواكبها فيكون تأثير الطرفين معاً حدثاً وأمانة غالب الأحيان، / وقد يكون أمانة فقط. فنتيجة شرحنا إذاً هي أن للهيات قوى، كما أن للكواكب التي تتشكل الهيات منها قوى أيضاً. ولا غرو، فإن في يدي الرقص وفي أعضائه الأخرى نوعاً من القوة، ولكن في هيئات الرقص قوة أيضاً وهي عظيمة. ثم إن لدينا قوة ثالثة وهي القوة الكامنة في توابع الرقص ولواحقه، / وفي أجزاء تلك الأعضاء، ذاتها التي تُسهم في الرقص مع ما تتألف منه تلك الأعضاء. مثل ذلك مثل اليد إذا تقبضت أصابعها تقبضت معها، بتفاعل متبادل، الأعصاب والألياف.

٣٥ [] والآن كيف تكون هذه القوى في حدود ذواتها؟ يجب أن نعود إلى المسألة ونزيدها كشفًا وإيضاحًا. ما الفرق بين مثلث ومثلث آخر في الكواكب؟ ما الذي يميز هذا الكوكب عن ذلك، وبأي قدر، وإلى أي حد يكون هذا النوع من العمل عمله؟ لقد ذكرنا أننا لا نضيف الفعل إلى أجسام الكواكب ولا إلى إرادة منها. أما أجسامها/ فلأن المحدثات ليست عمل شيء جسماني فقط؛ وأما الإرادة، فلأنه ليس من المعقول أن يصنع الآلهة ما لا يجده العقل مستساعًا. هذا ولنعد إلى ما سبق لنا قولاً: إننا نذهب إلى أن العالم الكلي حيوان واحد، وأنه يجب فيه حتمًا، ما دام كذلك، أن يكون في ذاته على تفاعل من ذاته. وإنما حياته ١٠ مسترسلة بحكم العقل/ ما دام استرسالها كلاً على توافق دائم مع ما هو عليه في ذاته. فضلاً على أن المصادفة والاتفاق لا مقام لهما في هذه الحياة. بل إنها تسير مقيّدة بتناسق واحد ونظام واحد، فتتشكل الكواكب في هيئاتها خاضعة للعقل وأحكامه. كما أنه يخضع للأعداد في أحكامها كل فرد جزئي، وكل ما كان مشتركاً في حلبة الرقص الذي يقوم عليها ذلك ١٥ الحيوان الكلي. وإن كان ذلك كذلك، وجب علينا حتمًا أن نسلّم بأن لفاعلية الكل معنيين: / الهيات التي تتشكل فيه، وأجزاؤه التي تتشكل الهيات منها، وما يتبع هذه الأجزاء وهي في ما تبدو عليه. على هذا الوجه من الحياة يحيا العالم الكلي، ولتحقيق هذه الغاية تسهم قواه، وهي في الحال الذي انشأها عليه الفاعل الذي يفعل كما في البنى المعنوية. أما الهيات في الحيوان ٢٠ الكلي، فإنما هي بمثابة علاقات معنوية أو أبعاد، / ثم توقيع مع تماسك يصلان بعض أجزائه

بعضها الآخر وضلاً يحكم العقل به . أما ما تشتمل عليه هذه الأبعاد والهيئات ، فإنما هي أعضاء الحيوان الكلّي الأخرى . هذا وإنّ لحيواننا قوى أخرى لا حكم لإرادته عليها ، وهي منه بمثابة الأجزاء ، إذ أن عمل الإرادة يبقى خارجاً عنها ولا ينالها ، فلا تأثير له ، وهو كذلك ، على تحقيق ٢٥ حياة الكل في فطرته وذاته . ذلك لأنه ليس للحيوان الواحد إلّا إرادة واحدة . / أما قواه الأخرى المتوجّهة إليه إنما هي كثيرة . ثم إن كل الارادات الكامنة فيه ، إنما هي متوجّهة إلى شيء واحد ، وهو الشيء ذاته الذي توجّه له إرادة هذا الكل وجهها . فإن الشهوة ، إنما هي من خواص الأمور المستكنة فيه ، وهي شهوة شيء لشيء آخر : ذلك لأن أحد الأجزاء يحاول القبض على غيره لحرماته من هذا الجزء الآخر ذاته . هذا وإن الجزء إذا غضب ، غضب على سواه / إن بادر ٣٠ إلى أذى ؛ وإذا نما فيما يأخذه من غيره ؛ وإذا أولد ، فنتيجة ولادته جزء آخر من الأجزاء . أجل إن الكل هو الذي يُحدث كل ذلك في الجزئيات ، ولكنه هو ذاته إنما يسعى إلى طلب الخير المحض ، لا بل إنه لهذا الخير يوجّه وجهه . وهو الذي تسعى إليه الإرادة المستقيمة التي ٣٥ تحلّق فوق الانفعال فتسهم مع الإرادة الكلّية على تحقيق الغاية الواحدة . كذلك هو حال / من يخدم عبداً عند غيره : فإنه ينظر ، في الكثير من أعماله ، إلى الأوامر التي تأتيه من سيده . أما العبد الصالح ، فرغبته موجّهة إلى ما يسعى سيده إليه بالذات . وإذا كانت الشمس والكواكب الأخرى تفعل ما به تتأثر الأرضيات ، فانه ينبغي أن نعتقد في الشمس - لكي نحصر كلامنا في ٤٠ شيء واحد - / أنها تنظر إلى الملاء الأعلى . ومع ذلك ، فإن لها فعلاً تؤثر به : كما أن هذا التأثير يظهر بتسخين ما على الأرض وفيها ، فإنه يتناول ما قد يقع بعد هذا التسخين أيضاً . وإنما يتم للشمس ذلك أنها تجود من النفس بقدر ما لديها ، على أن النفس هنا هي النفس الغذائية . وكذلك القول في كل كوكب آخر أيضاً ، يمدّ ، غير مريد ، بقوة من لدنه تنبعث منه وكأنها ٤٥ إشعاعه . / وهلمّ جرّاً إلى الكواكب كلها . فانها قد أصبحت ، وهي على هذه الحال ، شيئاً واحداً ذا هيئة واحدة جمعت بين أجزائه ، فيأتي بوضع ، ثم بوضع آخر إذا تغيّرت هيئته . إن للهيئات قواها إذاً ، ما دام التأثير يختلف باختلافها . كما أن ثمة تأثيراً ينبعث عمّا تشكّل الهيئات منه ، إذ أنه يحدّث عن هذا الجزء شيء وعن ذلك شيء آخر . وبوسعنا أيضاً أن نتيّن عمّا يجري على ٥٠ الأرض أن للهيئات في حدّ ذاتها قوى . ولعمري ، لماذا تثير بعض الهيئات الخوف عند من يشاهدها ولما يحصل منها قطّ للمخائف أذى ، في حين أن غيرها لا يحدث عند الناظر قطّ خوفاً؟ ثم لماذا يخاف بعضهم من بعضها ، وغيرهم من غيرها؟ ألا ، لأن بعضها إنما يؤثر على هذا ٥٥ الرجل ، وبعضها الآخر على ذلك ولا حيلة لها / إلّا أن تؤثر في ما فُطِرَ على أن يتأثر بها . فمن جزء في هيئة يلتفت النظر ، ومن آخر يفعله الناظر ذاته . وإذا قال قائل : إن الحُسن هو الذي يحرك ، فلماذا تحرك هيئة رجلاً ، ثم تحرك هيئة أخرى رجلاً آخر ، إن لم تكن القوة على إحداث

٦٠ ذلك هي قوة الاختلاف في الهيئة؟ ثم لماذا نثبت للألوان/ قوة وتأثيرًا، وننفي ذلك عن الهيئات؟ هذا وإنه ليس من المعقول إجمالاً أن يكون شيء من بين الأشياء، ثم ينفي عنه ما يكون قوّته بالذات. فالشيء شيء من حيث أنه يفعل أو ينفعل. وبين الأشياء ما نسلّم له بالفعل ٦٥ ضرورة، في حين أنّا لغيره نثبت الفعل والإنفعال معًا. ولسنا غافلين عن أنّ إلى/ جانب الهيئات قوى أخرى في الأشياء، وعن أن في دنيانا الكثير ممّا لا يعلّل بالحرارة أو البرودة. بل أن يقوم على الاختلاف في الصفات، بعد أن عمرته البُنى المعنوية بمثاله النوعي، فيشارك الطبيعة في قواها. مثل ذلك مثل الحجارة في فطرتها والنبات في نشاطه، وما أكثر ما يأتي به من المدهش ٧٠ العجيب./

٣٦ إن اختلاف العناصر إنما يبدو على أشده في العالم الكلّي، الذي ينطوي على البُنى المعنوية كلها وعلى قوى متنوعة بعدد لا نهاية له. فللعين في الإنسان قوة تنفرد بها، كما أن للعظم قوة تختلف عن التي في عظم آخر: وهذا يصحّ على العظم في اليد وعلى الذي في باهم ٥ القدم. فليس من عضو إلّا وله قوته، وهي تختلف عن قوة غيره؛/ والانسان جاهل لهذه الأمور، ما لم يطلّع بالعلم عليه. وإن كان هذا القول ليصدق على الإنسان في أجزائه، فهو بأن يصدق على العالم الكلّي أخرى، ولا سيما أن كل الذي سبق ذكره ليس إلّا أثرًا لما يشتمل عليه الكل. أجل، إن فيه من القوي تنوعًا عجيبًا لا يحاط به وصفًا. وكذلك القول عمّا في ١٠ السماء من متحرّكات. ذلك لأنّ العالم الكلّي ليس بمنزلة بيت لا نفس فيه؛/ قد يكون، نعم، عظيمًا كثير المواد، تدخل فيه متنوّعة سهلة الاحصاء، مثل الحجر والخشب إلى ما سواهما إنّ شئنا، ثم وجب فيه أن يتحوّل بكل ذلك إلى عالم ذي تناسق وأحكام. كلا! بل إن العالم الكلّي إنما هو في حال اليقظة التامة، يحيا كل جزء من أجزائه بحياة تختلف عن حياة غيره، وما كان ١٥ شيء ليخرج عن نطاقه. فلا غرو، إنّ كُتًا نجد في هذا القول حل مشكلتنا/ في كيف ينطوي حيوان منقوس على غير ذي نفس. يعني قولنا إنّ لكل شيء في العالم الكلّي حياته، وهي تختلف عن حياة غيره. أما نحن، فإنّا ننفي الحياة عن الشيء إذا تحرّك من تلقاء ذاته، ثم لم يحسن بحركته. فالواقع هو أن كل فرد جزئي إنما يحيا بحياة خفيّة، ويتألّف الحي الذي يحسن بحياته ٢٠ من أحياء لا تحسن بحياتها، نعم، ولكنها تكفل لهذا الحي الممتاز قوى/ عجيبة لها تأثيرها في حياته. ولا غرو، فإنه لا يسع الآدمي أن يتحرّك كما يفعل، لو كانت القوى الكامنة فيه والتي ينبعث منها تحرّكه قوى خيالية من النفس مطلقًا. وكذلك الأمر في العالم الكلّي أيضًا: فإنه لم يكن ليحيا كما يحيا لو لم يكن كل حي من الأحياء التي ينطوي عليها ليحيا بحياته الخاصة، مع العلم بأنه ليس لهذا الشيء الجزئي إرادة. ذلك لأن العالم الكلّي ذاته يفعل أفعاله ثم لا يحتاج

٢٥ إلى إرادة، / ما دام هو فوق كل إرادة. ولذلك نرى الأشياء الكثيرة خاضعة له مع كل قواها.

٣٧ إن شيئاً لا ينزع من الكون ما دام فيه إذاً. فلنفترض أننا من علماء الزمان المعروفين، ولنتنظر إلى النار وإلى كل ما يقال عنه أنه من الفواعل، ثم لنبحث عن فعله ما عسى أن يكون في ذاته. فإن الأمر ليشكل علينا ما لم نسلّم بأن للنار قوتها من كونها في الكل. وهذا النوع من القول يصح أيضاً على الأشياء المعروفة بالأدوات المستخدمة/ للحاجات المعاشية. لكن لا نرى الأمور العادية جديرة بالبحث ولا نشك فيها. أما القوى الأخرى التي تخرج عن المألوف، فإنا نتردد في أمرها متسائلين عن حاله كيف يكون ولا يبعث على الدهشة إلا ما كان غريباً علينا. مع أن الأمور العادية تثير عجبنا أيضاً لو وجد من يشرح لنا بالتفصيل القوى الكامنة في كل أمر منها، / قبل سابق اختبار لها مثلاً. يجب القول في كل فرد جزئي إذاً، إنه ينطوي على قوة ما، حتى ولو لم يكن من النواطق. فإنه في الكل جَبَلٌ وَسَبَكٌ في الصورة، ومن الكل المنفوس جاءه من النفس المقدار الذي كُتِبَ له. وهذا الكل هو الذي يحيط به، فكان جزءاً من أجزاء شيء ١٥ منفوس، إذ أنه ليس من شيء إلا وكان في الكل جزءاً، / على أن القوة على العمل في بعض الأجزاء أشد منها في أجزاء أخرى. وهذا قول يصح على ما يكون من الأرضيات، وبخاصة على ما يكون من السماويات ما دامت الفطرة التي تعمل بها السماويات أشد صفاء وحصافة. وما أكثر ما يحدث عن عمل هذه القوى، بدون أن يصدر المحدث عن إرادة عندما يبدو خارجاً منه، ٢٠ إذ أن هذه القوى كامنة فيما لا إرادة له. كما أن الكل عندئذ لا يعود ويفكر بوساطة / إعطاء القوة، ولو كان ما يخرج من المعطي شيئاً من نفس. فإن الحيوان يخرج من الحيوان بدون أن تكون الإرادة هي الفاعلة، وبدون أن يتعقّب الوالد ذاته فيتبين أنه أصبح ناقصاً. ذلك لأنه إما أن يكون الوالد هو الإرادة، إن كان ذا إرادة، أو أن الإرادة ليست هي الفاعلة. وإن لم يكن ٢٥ للحيوان إرادة ما، فإنه بالأب لا يكون متعقّباً لذاته/ أخرى أيضاً.

٣٨ ثم إنه ما دام هذا الحيوان الكلي قد خرج من ذاته بدون محرّك يحركه، فإنه ينشأ من حياته الأخرى. ثم إن كل ما يخرج منه إجمالاً، وكل ما يخرج منه بتأثير غيره (مثل الصلوات، سواء أكانت على حالها الفطرية أم بوساطة صناعة الرقي) أقول: يجب في كل هذه الأمور ألا تُنسب إلى السماء بل أن تعلّل بأنها لازمة من لوازم الحادث ذاته في فطرته. أما ما نرى فيه نفعاً/ ٥ للحياة أو فائدة مهما تكن، فيجب ردّه إلى البذل من قِبَل الكواكب على أنه يسير من الجزء الأكبر إلى الأصغر. على أن ما نتبيّن في تأثيره شؤماً على ولادة الأحياء، فإنه يعمل من وجهين: أولاً قد يكون الشيء الذي يسير إليه لا يستطيع أن يتلقّى التأثير وهو نافع. ولا غرو، فإن حدوث

١٠ الحادث لا يكون حدوثاً فقط، / إنما هو حدوث مُحدث معيّن في ظروف معينة. ثم أن لما يفعل ولما من شأنه أن يفعل فطرةً ما تمتاز عن غيرها. والوجه الثاني في التعليل هو أن مزيج بعض التأثيرات ببعض كثيرة أفعاله، ولو كان كل كوكب من الكواكب يؤدي بشيء فيه نفع للحياة. ونقول أيضاً: ربّ امرئ لم تجر العوامل النافعة طبعاً لصالحه، وما كان النظام السائد في الكل ليعطي دائماً كل امرئ/ ما ينبغي. فضلاً على الشر الكثير الذي نضيفه نحن إلى ما يبلغنا من الكواكب. ومع ذلك، فإنّ الأشياء كلها متضافرة لضمان الوحدة وهي، بعضها مع بعض، على توافق عجيب ويخرج بعضها من بعض، حتى المتناقضات من المتناقضات. وذلك لأنها كلها من الكل وله. وإن كان ينقص أحد المحدثات شيئاً لادراك كماله بسبب أن مثاله لم يحوله إليه ١٥ تحوّل تاماً ولم تضبط الهيولى ضبطاً وافياً، / فذلك لأن هذا المحدث حدث ولما تتوفر له كرامة المحتد، فحُرم منها وكان ساقطاً مردولاً. ونتيجة كل ذلك هي أن بعض التأثيرات يحصل من قبل العلويات، وبعضها يتأتى من الطبيعة التي عليها تستوي الأشياء، ومنها ما تضيفه الأشياء من تلقاء ذاتها. ولكن ما دامت الأشياء كلها متناسقاً بعضها مع بعض، متآزرة على تحقيق الوحدة، ٢٥ فان لها جميعاً دلائل تدلّ عليها. أجل، إن «الفضيلة/ حرة ليس لها سيد». ولكن أعمالها متشوجة مع نظام الكل ما دامت أمور هذه الدنيا مرتبطة مع الملائ الأعلى، وما دامت أشياء عالمنا الكلي تابعة للحقائق التي كان حظها من حياة الإله أوفر. وقصارى الكلام، ما دام الحي إنما يستمدّ حياته من الاشتراك مع الروحانيات.

٣٩ إن ما يحدث في العالم الكلي لا يخضع في حدوثه لأحكام البنى البذرية، بل لأحكام البنى المعنوية التي تشتمل عليها، والتي هي بُنى أمور تفوق مقاماً تلك التي تتضمنها البنى البذرية. ذلك لأنه لا يكمن في البنى البذرية محدث قطّ يتجاوز في امتداده نطاقها في حدّ ذاته. ٥ كما أنّنا لا نجد فيها شيئاً مما تأتي به الهيولى إشتراكاً مع الكل/ أو من تفاعل بعض المحدثات مع بعضها الآخر. بل الأحرى بالقول في عقل العالم الكلي هو أنه أشبه شيء بعقل الإنسان إذ يضع للدولة نظمها وأحكامها. فإن للعقل آنذاك علماً سابقاً بما يعمل أهل البلد وعماداً ينطلقون ١٠ في أعمالهم، فيعمد إلى كل ذلك ويضبطه بالنظم، / ثم يحيك بالأحكام انفعالات هؤلاء الناس وأفعالهم وما يترتب عليها من ثواب أو عقاب. فتجري أمور البلد كلها عندئذ، جرياً سهلاً كأنه ينطلق من تلقاء ذاته، نحو الانسجام والتوافق. أما دلالة بعض الأمور على بعضها الآخر، فليس غرضها الأول أن يكون بما سوف يحدث علم سابق، بل أن يسترسل الحدوث بحيث يستدلّ فيه على شيء من أشياء أخرى. ذلك لأن الكل واحد والأشياء كلها أجزاء شيء واحد، فيُعرف ١٥ الشيء من غيره، / والعلة من المعلول، والتابع من السابق، والمركّب من أحد أجزائه، لأن

الكل إذا فعل عمد إلى جزء وإلى غيره في آن واحد. وإن كان قولنا صحيحًا وجدنا فيه حل مشكلاتنا. أما مسألة الشر في العالم هل يصدر من الآلهة، فإنها تنحل بما يلي: ليست ٢٠ الإرادات هي الفاعلة، بل إن ما يصل من العالم الأعلى إنما يحدث بالاحتمالية الطبيعية، بمعنى أن الأجزاء تؤثر في الأجزاء، وهي كلها تبع الحياة الكل الواحد. ثم إن الأجزاء من تلقاء ذاتها تضيف الشيء الكثير إلى الحوادث. فضلًا على أن ما يبلغنا من الكواكب نجمًا نجمًا على انفراد ليس شراً، إنما يحدث في اختلاطها مع شيء آخر ليس منها. هذا ولا ننسى أن الحياة ٢٥ ليست حياة من أجل الجزء بل من أجل الكل /، وأن الطبيعة التي تستوي الأشياء عليها إنما تتلقى أثرًا ثم يكون انفعالها على غير ما تلقته، فلا يسعها أن تقبض على ما وصلها وتتحكم فيه.

٤٠ أما الرقى السحرية فما القول فيها؟ ألا، إنها تعلل بالتفاعل المتبادل في الكل، وبأن الأشياء فُطرت على توافق بعضها مع بعض إن كانت متشابهة وعلى تنافر بعضها من بعض إن لم يكن بينها وجه شبه، وباختلاف القوى الكثيرة المتساندة في عملها لخير الحيوان الكلي الواحد أخيرًا. ذلك لأنه كثيرًا ما يحدث الجذب وتحدث الرقية ولا محتال يلجأ إلى السحر وحيله. ثم ٥ إن السحر الحق/ الكامن في العالم الكلي إنما هو «المودة والكراهية». هنا نجد الساحر الأول وصاحب الأشربة السحرية. وإن الناس يعرفونه، فيستعمل بعضهم على بعضهم الآخر أدويته وطلاسمه. الواقع هو أنهم فُطروا على الحب، وأن عوامل الحب تجذب بعضهم إلى بعضهم الآخر بفعل صناعة تثير العشق بوساطة الرقى السحرية. / فإنهم بذلك يضمّون إلى عمل ١٠ الملامسات عمل الطبائع الفطرية التي يتقاد بعضها إلى بعض، وتنطوي على العشق الغريزي الكامن فيها. ولا غرو إن كانوا بذلك يجمعون بين النفس والنفس، مثلما يفعلون إذا وصلوا بين غرس نباتي وغيره وهما متباعدان. ثم إنهم يلجأون إلى هيئات تنطوي على قوى خاصة بها، ١٥ ويتكيفون هم ذواتهم/ بأحوال يسوقون إليها بوساطتها قوى وذلك عن طريق الهمس والإشارة فقط. وإنهم يفعلون لأنهم في كل واحدٍ عليه يقع عملهم. ولعمري، إنّا لو افترضنا رجلاً من هذا النوع مقيمًا خارج العالم الكلي، لما كان بوسعه أن يجذب سعدًا أو يدفع نحسًا برفاه وعزائمه. أما وهو كما ذكرنا، ليس في عشواء من أمره، فإنه قادر على أن يسوق الشيء ٢٠ ببصيرة حيث يجب أن يساق إلى غيره في العالم الكلي. / هذا وإن قوة الجذب مستكنة في الغناء تنطلق منه باللحن وبغمة الصوت الخاصة، كما أنها مستكنة في الهيئة التي يتكيف بها الساحر. فلكل هذا تأثيره، وهو أشبه شيء بالشجو تثيره هيئاته وأصواته. ولكن ما عسى أن نقول عن النفس؟ فإن الإرادة ليست هي التي تطرب للموسيقى، ولا العقل أيضًا، بل النفس البهيمية؛ ٢٥ وهذا الضرب من السحر لا يعجب من أحد. / هذا على أن غواة الموسيقى قد يطربون لها في

نفوسهم وعقولهم، ولو لم يكن هذا هو ما يطلبون من الموسيقار. ثم إن ما سوى ذلك من الابتهالات، فيجب ألا نعتقد فيها أن الإرادة هي التي قد استجابت لها. وكذلك الأمر في من يطربون للغناء، وفي الحية إذا رقت الآدميين؛ فإن المسحور لا يدرك بالفهم ولا يشعر آنذاك،/ ٣٠ بل يعرف، كلما انفعّل، أنه في حال الانفعال؛ أما الجانب الراجع فيه، فلا يناله انفعال. وإن صاحب الدعاء يصله أو يصل غيره شيء من الذي وجّه إليه دعاءه؛ أما الشمس، فلا علم لها قطّ بذلك، ولا غيرها من الكواكب مهما يكن.

٤١ هذا وإن حاجة الدعاء تقضي بتفاعل متبادل بين جزء وجزء، كما يكون الأمر في وتر واحد مشدود: متى حُرِّك آخره بحركة حُرِّك أوله. وكثيرًا ما يحدث أن يُحرِّك بعض الأوتار فيغدو الوتر الآخر كأنه أحس بما حدث، لما بينهما من توافق ولأنهما خاضعان كلاهما لتوقيع واحد. وإذا انتهى الأمر/ بالحركة إلى أن تنتقل من قيثارة إلى قيثارة أخرى، بقدر التوافق الذي بينهما، فإنّ في الكون توقيعًا واحدًا كذلك أيضًا، ولو كان توقيعًا قائمًا على المتناפרات. لكنه يقوم على المتجانسات أيضًا، ما دامت القُربى تجمع بين الأشياء كلها، حتى المتناפרات منها. ثم إن كل ما يؤذي الآدميين، إنما هو بمنزلة القوة والغضب، إذا انقادت للجمّة وبلغت الكبد، فلا تأتي على أنها مؤذية./ مثل ذلك مثل من أخذ نارًا من نار فأذى غيره. فإنّا هنا أمام أمرين: ١٠ أو أن فاعل الأذى هو قدوم النار، أو أن أخذ النار هو الفاعل لأنه هو الذي أعطى ما غدا (النار) كأنه ناقل شيئًا (النار الأخرى) من مكان إلى مكان. أما النار فتكون قد أتت بالأذى بقدر ما أنّ ١٥ من نُقلت إليه لم يكن بوسعها أن يتلقاها./

٤٢ ومن ثم فإن هذه الأمور لا تجعل الكواكب في حاجة إلى التذكّر (ومن أجل ذلك كان سياق البحث كله)، ولا إلى إحساسات تُنقل إليها. كما أنها ليس فيها إرادات تنعطف على أدعيتنا كما يظن بعضهم. بل إنه يصلنا منها العطاء، مع دعاء أو بدونه، بمجرد كونها أجزاء/ ٥ ولأنها أجزاء كل واحد. بل إنّنا نقول: إن في الكواكب قوى كثيرة تنبعث منها بدون إرادة، وإنما ينبعث بلا حيلة يحتالها أحد، أو صناعة يلجأ إليها، ويجري كل ذلك كما تجري الأمور في الحيوان الواحد. ثم إن الشيء يستفيد من غيره أو يتأذى به لسبب كونهما على ذلك مفطورين. ١٠ ولا ننسى صناعة الأطباء والسحرة بها يُرغم الجزء على أن يمدّ غيره بشيء من قوته./ هذا وإن الكل يوجد على أجزائه كذلك أيضًا، وإنما يفعل من تلقاء ذاته، أو مدفوعًا يجذب شيئًا منه إلى الأجزاء. فإن الكل من أجزائه كلها على السواء طبعًا، بحيث أن صاحب الدعاء ليس غريبًا عليه بحال. وإن كان صاحب الدعاء شريرًا فليس يعجب أن يجاب إلى ما دعاه. فإن الشرير يستقي

١٥ من النهر، / هو أيضًا؛ أمّا المعطي ذاته، فلا علم له بما يعطي، بل حسبه أن يعطي. هذا مع العلم بأن الشيء ينسّق ويعطى تبعًا لطبيعة الكل، فيجب ألاّ يُحكم في عمل من أخذ مما هو مُباح للجميع أن يترتب العتاب عليه حتمًا. ينبغي ألاّ نسلّم إذاً بأنّ العالم الكلي بأسره خاضع للانفعال، بل يجب في الجانب الراجح منه / أن نسلّم له بالتنزّه عن الانفعال مطلقًا؛ وإذا انفعلت أجزاؤه، فإنما إليها ينتهي الانفعال غير أن شيئًا لن يتنافى معه في طبيعته، فيكون مع المُحدث المنفعل بريئًا من الانفعال كما أنه هو مع ذاته. أما الكواكب، فإنها لها انفعالاتها من حيث أنها أجزاء؛ ولكنها في حدّ ذاتها لا تنفعل. فإن الإرادة فيها، هي أيضًا، لا تنفعل، / كما أن أجسامها وطبائعها لا تُصَبّ قطُّ بأذى. وإذا كانت بنفوسها تعطي شيئًا من ذاتها، فإن النفس لا تنقص، وإن أجزائها باقية دائمًا على حال واحدة. وإن ضرب منها شيء، فإن ما ينسحب منها خفي لا يُحسنّ به. أما ما يقبل عليها، إن أقبل شيء عليها، فإنه خفي لا يُحسنّ به أيضًا.

٤٣ والحكيم الفاضل، كيف يكون خاضعًا للسحر وأُشربته؟ ألا، إنه لا يتأثر بالسحر في نفسه؛ فلا تنفعل نفسه الناطقة ولا تنقلب في أحكامها. بل إنه يفعل بالقدر الذي فيه من نفس الكل البهيمية. أو بالأحرى، إن هذه النفس هي التي تنفعل فيه. لكن الأشرية السحرية لا تولّد فيه عشقًا، / ما دام العشق بانقياد النفس الأخرى إلى ما تتأثر به النفس البهيمية. وكما أن النفس البهيمية تنفعل بالعزائم السحرية، فكذلك يستطيع هو أيضًا، بعزائم ونغمات سحرية تخالفها، أن يردّ عنه القوى الكامنة فيها ويحلّها حلًّا. وجلّ ما يقال عن تأثير هذه السحريات فيه، هو أنها تجلب عليه الموت أو الأمراض وما شاكلها من الأمور الجسمانية. ذلك لأنه إنما يفعل بجزء ١٥ آخر أو بالكل من حيث كونه جزءًا من أجزاء الكل؛ / أمّا هو في حد ذاته، فلا يناله قطُّ أذى. ثم أن يتأخر التأثير ولا يقع فورًا، فليس ذلك من الطبيعة بأمر بعيد عن الاحتمال. هذا وإن الجن وذواتهم، لا يسلّمون من الانفعال في جانبهم البهيمي هم أيضًا. فليس التسليم لهم بالاحساس أمرًا بعيدًا عن الاحتمال، كما أنهم يُسَحَرُونَ ويساقون بالأسباب الطبيعية، ويسمع من الداعي ١٥ من كان منهم قريبًا إلى الأرضيات؛ ومهما قربوا منها أسرعوا في الإجابة. / فإن ما كان له علاقة بغيره، كان قابلاً أن يُسَحَر به، لأن هذا الآخر يسحره ويسوقه، ولا يسلّم من آثار السحر إلّا ما ليس له علاقة إلّا بذاته. ولذلك كان للسحر تأثيره في كل عمل وفي كل حياة منصرفه إليه، لأن ٢٠ أهل العمل يميلون إلى ما يطريهم ويجذبهم. ومن ثم قول أفلاطون: «إن في أمة/ اركتوس الهمام وجوهاً تفتن بحسنها». ولعمري، لماذا يميل المرء إلى غيره؟ ألا، إنه لا يُجذب بحيل السحر، بل بحيل الطبيعة التي تغش وتوهم، والتي تجمع بين الشيء وغيره بجمع لا يتم في المكان، بل بالأدوية التي تسكبها.

٤٤] بقيت المشاهدة وحدها سالمة من السحر وتأثيره إذاً، لأنَّ المرء إذا وجَّه وجهه إلى ذاته،
 أَمِنَ السحر وحيله. فإنه توخَّد في ذاته، وأصبح هو ذاته والمشاهد واحداً، فليس عقله في
 ضلال، بل انه يعلم بما يجب عمله، فيحيا حياته الخاصة، ويفعل أفعاله. أما في حيِّز العمل،
 ٥ فلا يكون المرء مع ذاته في ذاته، ولا ينبعث الاندفاع من العقل، / بل إنَّ الأصول إلى البهيمية
 تعود، وإلى الهوى والانفعال تُرَدُّ المقدمات. فإن الاهتمام بالأولاد وللحرص على الزواج جذباً
 لا شك فيه، وإن ثمة كلَّ ما فيه إغواء للآدميين تلتدُّ بهم شهواتهم. ثم إنَّ الأعمال التي تنبعث
 ١٠ عن الغضب، إنما هي أعمال بهيمية، وكذلك أعمال الشهوة أيضاً. أما تعاطي السياسة/
 والصبوة إلى تولِّي المناصب، فإنما يدعو إليها حب الرئاسة الكامن فينا. وإذا هربنا من
 الألم فبدافع الخوف، أو سعينا وراء الكثير من المال فتلبية للشهوة. هذا وإنَّا نعمل لسدِّ
 الحاجات الطبيعية ولقضاء الضروريات المعاشية أيضاً، ولا يخفى ما في ذلك من ضغط علينا
 ١٥ من قِبَل الطبيعة يشدُّ بنا إلى الحياة. / وقد يقول قائل إنَّ الأعمال الجليلة، لا دخل للسحر فيها،
 أو أنه يجب القول في المشاهدة أنَّ السحر يقع عليها ما دامت مشاهدة للأموال الجليلة. فإن
 فعل، أجنبنا: إذا قام بالأعمال الموصوفة بأنها جليلة على أنها ضرورية، ورأى أنَّ الحسن الحق
 ٢٠ هو غير ذلك، فإنه سالم من السحر وتأثيره. ذلك لأنه عالم بأن تلك الأعمال ضرورية، / فلا
 يلتفت إلى هذه الدنيا، كما أنَّ حياته موجَّهة إلى شيء آخر. إنما يكون خاضعاً للسحر وتأثيره إذا
 اشتدَّ عليه ضغط الطبيعة البشرية وكان شديد التمسُّك بالحياة، سواء أكانت حياته أو حياة غيره.
 ذلك لأنه، في ما يبدو، لا يزال خاضعاً للسحر ما دام يرى أنَّ العقل ربما كان لا يستسيغ الخروج
 من الحياة بالانتحار، نظراً إلى تمسُّك الإنسان بها. أما إذا كان يحسب ما في الأعمال ذاتها من
 ٢٥ حسن، / وانخدع بآثار الحسن فأرادها، غدا مسحوراً باتباعه حسن السفليات. ذلك لأنَّ كل
 سعي وراء ما يشبه الحق فقط، وكل اندفاع في سبيله، إنما هو عمل مخدوع بما يجذبه إلى كل
 ذلك. وهذا هو العمل الذي يبعث عليه ما في الطبيعة من قوى سحرية. فان اتباع ما ليس بالخير
 ٣٠ على أنه الخير، / والانتقاد إلى ما هو خير بالمظاهر فقط تحت دافع الغريزة العمياء، إنما هو
 عمل رجل يساق، وهو لا يدري، إلى حيث لم يُرد. ولعمري، ما عسانا أن نقول في ذلك سوى
 أنه السحر بالذات؟ فالرجل الوحيد الذي يَسْلَم من السحر وتأثيره إذاً، هو ذلك الذي إذا جرَّته
 ملكاته الأخرى، لم يرضَ بشيء خيراً مما تدلُّ عليه أنه الخير. بل إنه يرى خيراً ذلك الذي عرفه
 ٣٥ هو ذاته فقط، وهو آنذاك ليس بمخدوع وليس بطالب، / بل هو مستغن بما ملكت يده. فلا
 يُجذب قطُّ بعد ذلك إلى صواب أو إلى جانب.

٤٥] لقد تبَيَّن من كل ما قيل إذا ما يلي: إن لكل جزء من أجزاء العالم الكلي فطرته

وأوضاعه، فيساهم، وهو على هذه الحال، في سبيل الكل وخيره، فيفعل ويفعل أفعاله . وكذلك القول في كل حيوان جزئي أيضًا: كل جزء من أجزائه يعمل، بما هو عليه فطرة و جبلة، في سبيل الكل الذي يكون منه، / ويؤدي خدماته، وتعين له الرتبة والحاجة اللتان ٥ هو أهل لهما. فيمد من ذاته ويأخذ من غيره بقدر ما تقبل فطرته، وكأنه للكل إحساسًا بالكل. ثم إذا كان كل جزء من الأجزاء حيوانًا هو أيضًا، تربت عليه، وهو حيوان، أعمال خاصة ١٠ تختلف عن أعماله وهو جزء من الأجزاء. / هذا وإنه يتبين مما سبق ذكره، الوضع الذي نكون عليه نحن أيضًا. إن لنا في العالم الكلي فعلًا نحن أيضًا، وليس فعل جسم على جسم يفعل به بدوره فقط، بل إننا نحمل معنا داخل هذا العالم طبيعتنا الأخرى بقدر ما نكون متصلين بما هو، ١٥ في الخارج، متجانس مع ما نطوي عليه نحن في ذاتنا. ذلك لأننا، بنفوسنا وأحوالهن، / نصير متصلين، لا بل إننا على حال الاتصال حقًا، بعالم الجن الذي يجاورنا وبما وراءه، فلا سبيل بعد ٢٠ ذلك إلى أن يبقى الطراز الذي نحن منه أمرًا مخفيًا. إننا لا نعطي كلنا شيئًا واحدًا إذا، كما إننا لا نستطيع أن نُشرك في خير ما من ليس للخير بقابل. فإن من أسلك برداءه في سلك الأمور، عرف على الفور ما هو في ذاته ودفع تبعًا لفطرته إلى ما كان منطويًا عليه، ثم إذا فُصل عن هذا العالم، جذبته جواذب الطبيعة إلى مكان آخر يوافق طباعه. أما رجل الخير فهو على خلاف ٢٥ ذلك في ما يصله أو يعطيه، وفي تنقله من موضع إلى موضع، / على أنهما كلاهما تبدل مواضعهما بضرب من جواذب الطبيعة كأنها من خيوط. فما أعجب العالم الكلي، وهو كذلك، في قوته ونظامه: كل شيء فيه يسير بخطى خفية متقيدًا بسنة العدل التي ليس لأحد مهرب منها. ولا يعرف الرديء منها شيئًا، فيساق، ولا يدري، إلى حيث يجب أن يحل في ٣٠ العالم الكلي. أما الرجل الفاضل فيعرف، / فينطلق إلى حيث ينبغي عليه أن ينطلق، وهو له، قبل انطلاقه، علم سابق بالمحل الذي لا بدَّ له من أن يقبل إليه ويُقيم فيه. وهو إذ يفعل، إنما يحدوه طيب الأمل بأنه سيكون في صحبة الآلهة. ذلك لأن تغيرات الأجزاء وإحساساتها إنما هي، في الحيوان الصغير، ضئيلة لا شأن لها، ويستحيل عليه أن يكون فيه أجزاء حية، إلا ما ٣٥ ينذر وجوده ولفترة وجيزة. أما الحيوان الكلي حيث تكون الأبعاد بالعظمة التي نعرف، / فإن لكل جزء فيه مجالات يجوبها، وما أكثر ما فيه من الحيوان، فلا بدَّ من أن تكون الحركات والتنقلات فيه أعظم وأوسع. فلا غرو إن كنا نشاهد الشمس والقمر والكواكب الأخرى تتنقل وتحرك معًا في نظام مُحْكَم. وليس من المستبعد أن تكون للنفوس تنقلاتهنَّ أيضًا، ما دمنَّ لا ٤٠ يقيمنَّ على خلق واحد دائمًا. / فإنهن ينسلكن قياسًا إلى انفعالاتهنَّ وأفعالهنَّ، فمنهنَّ من يكون بمنزلة الرأس، ومنهنَّ من يكون بمنزلة الأقدام. وإنما يقع كل ذلك بتوافق مع الكل، إذ أن فيه هو أيضًا اختلافات في الخير وفي الشر. أما النفس التي لم يُرد لها خير المقام هنا، ولم تقع في

٥٠ شرّ المقام أيضًا، / فإنّها تُنقل إلى مقام الطهارة، وتنال ما اختارته هي . أما العقوبات فهي بمنزلة التطبيب للأجزاء المريضة، منها ما يُلحَم بعضه ببعض بواسطة الأدوية، ومنها ما يُنزع، ومنها ما يبدّل حتى يصبح الكل صحيحًا إذا ما جُعِل كل جزء في الموضع اللازم . فإن الصحة إنما تتمّ للكل بأن يبدّل جزء من جزء، أو بأن يُنزع جزء من المحل / الذي يكون فيه مريضًا إلى حيث يغدو سالمًا من المرض .

الفصل الخامس

(٢٩)

في المشكلات المتعلقة بالنفس (القسم الثالث)

في الإبصار

١ كئنا قد أرجأنا البحث عن الإبصار فيما إذا كان يتم بدون وسط مثل الهواء أو ما سواه من الأجسام المعروفة بالأجسام الشفافة. نحن أولاً نعود إليه الآن. أما أنه يجب في الإبصار بخاصة وفي الإحساس إجمالاً أن يتم بوساطة جسم، فهو أمر قد ورد ذكره. فإن النفس بدون جسم إنما تكون/ في العالم الروحاني على وجه الإطلاق. أما الإحساس، فإنه إدراك للحسيات فقط لا للروحانيات؛ ومن ثم، فإن النفس، إذا اتصلت بالمحسوس من وجه ما بوساطة المتجانسات، وجب فيها أن تقيم بينه وبينها نوعاً من المشاركة بها تكون المعرفة أو يقع الانفعال. ولذلك لا تتم المعرفة إلا بالأعضاء الجسمانية: / فكانت هذه الأعضاء مفطورة مع النفس أو أنها مرتبطة بها، وكأن النفس تمضي بوساطتها إلى الاتحاد بوجه ما مع المحسوس، فيصبح الحال بينها وبينه، وهما كذلك، أشبه شيء بالمشاركة في الانفعال الواحد. وإن لم يكن بُد من اتصال ما لإدراك المدركات إذاً، فهل نحن في حاجة إلى البحث عما إذا كان اتصال في تلك الأمور التي تُدرك باللمس؟ أما السمع، فإننا/ نرجى القول فيه إلى مقام آخر. أما الإبصار فيجب أن نبحت هنا عما إذا كان لا بد، في النظر، من أن يقوم بين البصر واللون جسم ما يتوسطهما. أو ليس الجسم المتوسط شيئاً عارضاً، لا نفع منه للناظر إذا نظر؟ مع أنه لو كان الجسم كثيفاً، مثل الأجسام الأرضية، لُمْنع عن الإبصار؛/ ومهما لُطُف المتوسط وخف كان بصرنا أدق، مما يجعلنا نتبين في الجسم المتوسط مساعداً على الإبصار. فلنقل إن شئنا أنه لا يمنع عن الإبصار، إن لم يكن ليسهل، في حين أن بعضهم يرون في تلك الأمور التي ذكرنا موانع تحوّل بينه وبين أن يتم. ولكن ما القول إذا كان المتوسط هو أول ما يتلقّى الأثر وكأنه ينطبع به؟ إنما يدلّ على ذلك حال من، إذا كان أمامنا،/ أخذ ينظر إلى اللون؛ فإنه يبصر اللون هو أيضاً. ولو لم يقع الانفعال في المتوسط لما كان انتهى إلينا نحن أيضاً. ألا، إنه ليس من الضروري أن يفعل الوسط، إن انفعّل ما يكون مفطوراً على الانفعال؛ وإنما أعني العين. أو أنه، إن انفعّل، كان انفعاله من نوع آخر. فإن قصبة الصائد إنما هي بين يده وبين الرُعَاد، ثم

٣٠ إنها لا تنفعل بما تنفعل به يد الصائد، / ومع ذلك فإنه لو لم تكن القصبية، ولو لم يكن الخيط، لما كانت اليد لتنفعل. مع أن هذا الأمر ذاته لا يخلو من الالتباس: فإن الصائد؛ فيما يقال، يشعر بالخدر في يده ولو كان الرّعاد في الشبكة. بل قد يكون الأخرى بالقول في كلامنا هنا أنه ٣٥ يدور حول ما يعرف بالمشاركة في الانفعال. / فإن كان الشيء مفطوراً على أن ينفعل بشيء آخر عن طريق التفاعل المشترك بسبب نوع من التجانس بين الطرفين، فإن الوسط الذي لا يجانسهما لا ينفعل، أو ينفعل بانفعال من طراز آخر. وإن كان ذلك كذلك، فإن ما كان مفطوراً على أن ينفعل غداً أشدّ انفعالاً، في حال غياب الوسط، منه في حال وجود وسط من شأنه أن ينفعل هو ٤٠ أيضاً. /

٢ فإذا كان الإبصار بحيث أن نور البصر يتصل بالنور المتوسط الذي ينتهي الى المحسوس، وجب في ذلك الوسط أن يكون النور ذاته؛ ويكون هذا الوسط الذي يقتضيه افتراضنا بالذات. ولكن إذا كان الجسم الذي يحلّ اللون فيه هو الذي يُحدث تغييراً، فما الذي يمنع هذا التغيير من أن ينتقل إلى / العين مباشرة وبدون وسط؟ هذا ولو حدث، كما هو الأمر الآن، لما يكون قائماً أمام العين أن يطرأ عليه شيء من التغيير حتماً. ثم إن الذين يتصورون النظر على أنه شيء ينصب من العين لا يسعهم أن يروا حضور الوسط ناتجاً حتماً عما يذهبون إليه، إلّا إذا كانوا يخافون على الأشعة المنبعثة من أن تقع. غير أنها أشعة من نور، ١٠ والنور يجري جري الخط المستقيم. / أما الذين يعلّلون البصر بالمقاومة، فإنهم في حاجة ماسة إلى الوسط. هذا وإن أصحاب مذهب انتشار الصور الذين يذهبون إلى أن الصور تجتاز الفراغ، إنما يطلبون المجالات الواسعة حتى لا تُسدّ على الصور طريقها؛ ومن ثم فإنهم لن يجادلوا في افتراضنا ما دام غياب الوسط يجعل المانع أشد ما يكون قلة وضعفاً. وهناك الذين ١٥ يقولون في الإبصار أنه يتم / بوساطة التفاعل المتبادل فيذهبون إلى أنه يخفّ بوجود الوسط لأن الوسط يحوّل بين الإبصار وبين أن يتم ويعوقه ويضعفه. مع أن الأخرى بالقول هنا هو أن المذهب إنما يؤدي إلى أن المتجانسات تجعل التفاعل المتبادل في منتهى الضعف، إذ أنها تنفعل هي أيضاً. فإن الجسم إذا كان متماسك البنية إنما تدركه النار في غوره فيحترق، إلّا أنّ ٢٠ ما في غوره / يكون أقل تأثيراً بإدراك النار مما على سطحه. ولكن إذا كان التفاعل المتبادل بين أجزاء حيوان واحد، أضعف الانفعال بحضور الوسط؟ ألا، قد يقلّ الانفعال ويكون قدره بقدر ما أرادته الطبيعة، فیردّ الوسط عن الإفراط؛ إلّا إذا كان التأثير الذي يحدثه الانفعال / بحيث لا يتسرّب منه شيء الى الوسط. ولكن إن كان التفاعل المتبادل قائماً على وجود الأشياء كلها في حيوان واحد، وإن كنّا نحن ننفعل لأنّنا في حيوان واحد ومنه، فلماذا لا نجد تماسكاً متواصلاً

بيننا وبين الأشياء البعيدة التي ندركها بالإحساس؟ إلا أنه لا بدّ من التماسك المتواصل
 ٣٠ والوسط، لأن الحيوان الواحد يجب فيه أن يكون أنه يفعل بكل شيء. / فإن كان هذا الشيء
 يفعل بذلك، والشيء الآخر بشيء غيره يقابله، ولم يكن الانفعال هو ذاته هنا وهناك، فإننا لسنا
 في حاجة بعد ذلك إلى وسط يمتدّ إلى كل صوب وناحية. وإذا قيل أنه لا بدّ منه للإبصار حتى
 يتم، فلا بدّ على ذلك من دليل. إننا لسنا نرى كل سالك في الهواء يجعل الهواء منفعلًا، بل ربما
 ٣٥ شقّ الهواء فقط. فإذا سقط الحجر/ من علٍ مثلاً، ما عسى أن يحدث سوى أن الهواء لا يثبت
 تحت الحجر؟ وليس من المعقول أن نعلّل هذه الظاهرة بأن الهواء يدفع الحجر ليحلّ محله، ما
 دامت حركة السقوط حركة طبيعية. وإلاّ للجأنا إلى التعليل ذاته في حال ارتفاع النار، وهذا
 محال. فإن النار بحركتها السريعة إنما تسبق الهواء ولا تدعه يدفعها ليحلّ محلها. وإذا قيل أن
 ٤٠ سرعة/ الهواء في أن يدفع النار ليحلّ محلها إنما تزداد بسرعة النار في حركتها، حكمنا على
 حركة النار أنها تقع عَرَضًا وليس من شأنها هي أن تدفع النار إلى فوق. فضلاً على أن الشجر
 ينطلق من تلقاء ذاته في العلو، بدون دافع يدفعه من الخارج. ونحن أيضاً إنما نتحرّك فنشقّ
 ٤٥ الهواء ولا يدفعنا هو حتى يحلّ محلنا، بل يتبعنا فقط فيملاً الفراغ الذي تخلف عنا. / إذا كان
 الهواء يشقّ بهذه الأجسام ثم لا يتأثر بها إذاً، فما الذي يمنع من أن نسلّم للصور بأنها تصل إلى
 البصر حتى بدون أن تشقّ الهواء؟ وإذا كانت هذه الصور لا تجري في الهواء وكأنها في نهر،
 فلماذا يجب في الهواء أن يتأثر بها، ولماذا لا تصلنا الإنفعالات إلاّ بوساطته وبعد أن يكون قد
 ٥٠ انفعل هو؟ فإذا كان إحساسنا لا يتمّ إلاّ بالتأثير الذي سبق حدوثه في الهواء، / فإننا لا نرى
 المرئي الذي ننظر إليه، بل نتلقّى إحساسنا مما يجاورنا ويحيط بنا، مثلما يكون الأمر معنا
 عندما ندركن الحرارة. لا شك في أنه ليست النار البعيدة هي التي تُخْلِث فينا الحرارة، بل
 ٥٥ الهواء الحار الذي يحيط بنا. وإنما يتمّ هذا بالتّماس وليس المبصرات من التّماس في شيء. /
 ومن ثم فإن المحسوس إذا وُضع على العين لا يجعل العين تبصره بل يجب في الوسط أن يشعّ
 النور فيه لأن الهواء مظلم، وربما لم يكن في حاجة إلى نور لو لم يكن مطلقاً. فما دام الظلام
 مانعاً للإبصار وجب فيه أن يتغلّب النور عليه. وقد لا ترى العين محسوساً إذا وُضع عليها لأنه
 ٦٠ يحمل معه ظلاً، ظلّ/ الهواء وظلّه هو ذاته.

٣ كلاً! إنّ الإبصار لا يتمّ عن طريق الهواء، بعد أن يكون قد انفعل بصورة المحسوس،
 فكأنه ينقلها نقلاً. وأكبر دليل على ذلك هو النار والكواكب وصور هذه الأمور، التي نراها كلها
 ليلاً في الظلام. ولن يدعي أحد أن هذه الصور نشأت في الظلام ثم اتصلت بالعين بعد ذلك؛
 ٥ فلا وجود للظلام، ما دامت النار تنشر هي ذاتها ضياءها على صورتها. هذا وإن الظلام قد يشتدّ/

وتتوارى الكواكب والنار وتحجب عنا نورها، ثم يُرى النور المنبعث من قلاع الثغور ومن
 ١٠ المنارات التي تدل السفن على طريقها. فإذا قال قائل / معارضاً ما يدلّ الحسن عليه أن النار
 تجتاز الهواء حتى في هذه الحالات، وجب القول أيضاً بأن البصر إنما يُدرك في الهواء شيئاً
 مظلماً، لا بأنه يدرك النار ذاتها، وهي من الوضوح في ما نعرفها عليه. فإن كُتِّ نرى ما وراء
 الوسط وهو مظلم، فإثنا بأن نرى مع غياب كل وسط أخرى أيضاً. مع أننا نستطيع أن نقف
 ١٥ بانتباهنا عند ما يلي: / وهو أن الإبصار يغدو مستحيلًا بدون وسط، لا لأن الوسط غائب، بل
 لأنه، في الحيوان الكلي، قد زال التفاعل المتبادل مع الأشياء المحسوسة، وتفاعل بعض
 أجزائه مع بعضها الآخر بسبب كونه واحدًا. ذلك لأن الإحساس، فيما يبدو، لا يتم بوجه
 ما إلا لأن الحيوان - وهو الحيوان الكلي - يكون في تفاعل متبادل مع ذاته. وإلا فكيف يتلقّى
 ٢٠ الشيء تأثيراً من شيء آخر، / لا سيما إذا كان مصدر التأثير بعيداً؟ هذا ولنفترض وجود عالم أو
 حيوان غير عالما وحيواننا ثم لا يصل بشيء بين الطرفين، ونفترض إلى ذلك مُبصرًا يقف على
 ظهر سمائنا. فيجد رنا البحث عمّا إذا كان هذا المُبصر يشاهد ذلك العالم أو الحيوان عن بعد
 ٢٥ معتدل، أو أنه لا علاقة بين هذا العالم وعالمنا. ولكن هذا أمر نرجئه إلى مقام آخر. / أما الآن
 فإننا يمكننا أن نستدلّ بدليل آخر على أن الإبصار لا يتم عن طريق الانفعال الذي يطرأ على
 الوسط. ذلك لأنه لو انفعال وسط الهواء، لكان انفعاله جسمانيًا حتمًا، وهو أشبه شيء بالانطباع
 ٣٠ في الشمع. ففي كل جزء من الهواء ينطبع جزء من المرئي، / ويغدو الجزء من الهواء الذي
 يتصل بالعين لا يتلقى من المرئي إلا الجزء الذي يكون بقدر ما يتسع له إنسان العين. إلا أن
 المرئي يُرى كلاً، ويراها كل من كانوا في مجال الهواء، من الأمام ومن الجوانب، عن بُعد أو
 عن قرب أو من وراء، شرط أن لا يحجبه عنهم حاجب. ومن ثم فإن كل جزء من أجزاء الهواء
 ٣٥ ينطوي على المرئي كله وكأنه / وجه يُنظر إليه. وليس هذا الأثر أثرًا بالمعنى الجسماني، بل إنه
 نتيجة ضروريات أعظم من ذلك مقامًا، وهي ضروريات نفسانية تعود إلى ما في الحيوان الواحد
 من تفاعل متبادل.

٤ ولكن ما هو الأمر في النور المتصل بالعين وعلاقته مع النور الذي يحيط بالعين ثم يمتدّ
 بحيث ينتهي إلى المحسوس؟ إننا أولاً نحتاج إلى الهواء وسطاً، إلا إذا قيل في النور أنه لا يكون
 ٥ بدون هواء. فالهواء حيث تدّ طارئ عارض، والنور هو الوسط، وهو وسط لا يتفعل، / ولا حاجة
 للإنفعال إجمالاً هنا. ومع ذلك لا بدّ من وسط. هذا، وما دام النور ليس جسمًا، فلسنا بحاجة
 إلى شيء جسماني. ثم إن النظر لا يحتاج إلى نور غريب عليه يكون وسطاً للإبصار على وجه
 الإطلاق؛ إنما يحتاج إليه ليُبصر عن مسافة بعيدة. فلندع إلى بعد ذلك البحث عن النور إذا كان

- ١٠ ينشأ بدون هواء، ولتعد الآن إلى السؤال الأول. / إذا صار ذلك النور المتصل بالبصر شيئاً منفوساً إذاً، وتحركت النفس فيه وتمددت (كما هو الأمر معها في نور العين الباطن)، فقد تبين بوضوح أن الإبصار بالذات إنما يكون في إدراك المحسوس. فلا حاجة بعدئذ إلى النور وسطاً،
- ١٥ بل يكون الإبصار أشبه شيء بالملامسة، إذ أن قوة الإبصار تدرك المحسوس في حالة من نور، ولا يطرأ على الوسط قط انفصال. لا بل إن قوة الإبصار تتحرك هي ذاتها إلى حيث يكون المحسوس. والذي يجب البحث عنه آنذاك هو هل ينبغي على البصر أن يتقدم نحو محلّ المحسوس بسبب وجود مسافة بينهما أو بسبب وجود جسم ما في هذه المسافة. إذا كان السبب يعود إلى أن في المسافة جسماً فاصلاً مانعاً، تمّ الإبصار بإزالة هذا الفاصل
- ٢٠ المانع. / أما إذا كان السبب هو المسافة فقط، وجب القول في طبيعة المرئي أنها جامدة وأنها ليس لها في المبصرات تأثير قط؛ ولكن هذا أمر مستحيل. ذلك لأن حسّ اللمس لا يشعر بالشيء أنه قريب وأنه يلمسه فقط، بل إنه يدلّ، بانفعاله، على مميزات الشيء الملموس أيضاً. وإن يكن فاصل فيمنعه، استطاع أن يدرك الشيء حتى ولو كان بعيداً. فإنّ في حال كون
- ٢٥ الهواء وسطاً، / إنما نحس بالنار ولا ننتظر في ذلك ريشما يسخن الهواء، بل الجسم الصلب يسخن بأسرع من الهواء. ومن ثم فإن الأخرى بالقول هو أن الحرارة تجتاز الهواء لتنتشر، ولكن انتشارها لا يتم بوساطة الهواء. فإذا كان للشيء قوة على الفعل، وكان ما يقابله يتسع للانفعال - وهذا هو حال البصر من جهة ما - فلماذا يحتاج إلى وسط غريب يكون بينه وبين ما يستطيع أن
- ٣٠ يجري عليه فعله؟ / فالاحتياج إلى ذلك إنما هو احتياج إلى حاجز. ثم إذا أقبل نور الشمس علينا وجب القول في الهواء أنه لا ينفع هو أولاً بالنور ثم نفعه بانفعاله نحن بعد ذلك. إنما يقع الانفعال على الطرفين في آن واحد، وما أكثر ما يقع قبل أن يصبح النور قريباً من العين، مادام منتشرًا في كل صوب وناحية. وعليه فإننا نبصر بينما لا ينفع الهواء ما دام أنه لا وجود لمنفعه
- ٣٥ يكون وسطاً، / وما دام النور الذي يجب فيه أن تتصل العين به لم ينته بعد إليها. هذا فضلاً على أنه يصعب علينا إذا لجأنا إلى هذا الافتراض الذي شرحناه، أن نعلّل إبصارنا ليلاً للكواكب وللنار بوجه عام. أما إذا بقيت النفس مع ذاتها ومست الحاجة إلى نور يكون بمنزلة عصا تتناول
- ٤٠ بها شيئاً، وجب في الإدراك أن يكون عملاً عنيقاً. / فإن النور يقاوم ويتمتع في ذاته، وييدي اللون المحسوس، من حيث كونه لوناً، ضغطاً معاكساً بدوره. ولا غرو، فإن الملامسة بوساطة الوسط كذلك تكون. هذا فضلاً على أنه يجب في المحسوس أن يكون قد أُتيح له ذات يوم بالبصر اتصال بدون أن يقوم بين الطرفين وسط قط آنذاك. وهو أمر لا بدّ منه حتى تحدث الملامسة بوساطة الوسط معرفة بعد ذلك، تكون بمنزلة التذكّر أو بالأحرى بمنزلة
- ٤٥ الإستدلال. / وليس الإبصار كذلك بحال. هذا وربّ مقترض يفترض أخيراً ان النور الذي

يحيط بالمحسوس يجب فيه أن يفعل فينتقل بعد ذلك إلى العين الأثر الذي ولده فيه الانفعال .
فإن كان ذلك كذلك عاد افتراضنا إلى افتراض الذين يذهبون إلى أن المحسوس يخلف أثراً في
الوسط أولاً . وقد ناقشنا هذا الافتراض في غير هذا المقام .

٥ وننتهي الآن إلى مسألة السمع . هل يجب هنا ، ما دام الهواء هو الذي يتأثر بالحركة
الأولى ، أن نسلم للجسم الذي يجاورنا أنه يتأثر بالهواء الذي يحدث الصوت ثم يصل إلى
الحواس وهو كذلك ، بسبب أن الهواء يبقى على انفعال واحد حتى ينتهي إلى السمع ؟ أو يكون
الوسط طارئاً يعرض / بسبب وجوده متوسطاً ، فاذا رُفِع الوسط وحدث الصوت التقى على الفور
بنا وبحواسنا ، فكأن جسمين يصطدمان ؟ أو أنه يجب في الهواء أن يتلقى هو الصدمة الأولى ،
١٠ فيصل منها إلى الوسط تأثير يخالف تأثيرها ؟ ويبدو من ذلك ان الهواء هو الأصل / في الصوت .
فانه لا يبدل للصوت بادرة إن اصطدم جسمان إلا إذا لطم الهواء في التقائهما السريع فُدفع من
مكانه وعاد فَلَطَمَ بدوره ما يليه ، وهكذا حتى ينتهي الأمر إلى الأذنين وإلى حاسة السمع . ولكن
إن يكن الهواء هو الأصل في الصوت كما هو الأمر في الضربة التي يُضرب بها إذا تحرك ، فإلى
١٥ ماذا يردُّ الاختلاف في الألحان وفي الأصوات ؟ فإن صدَى النحاس إذا ضَرَبَ نحاساً غيرُ صداه
إذا ضرب جسمًا آخر ، كما أن الصدى يختلف باختلاف الأجسام . أما الهواء فهو واحد وواحدة
ضربته ، وليس الاختلاف في الصوت بالقوة أو بالضعف فقط . وإذا أحدثت الضربة صوتاً لأنها
وقعت على الهواء ، فيجب ألا يقال في الهواء أنه السبب من حيث أنه هواء . فإنه يكون له
٢٠ صوت / لو كان له بنية جسم صلب . فيبقى في جمود الجسم الصلب قبل أن يعود ويتنثر . ومن
ثم فإن تضارب بعض الأجسام ببعض واصطدامها يكفي ، وتكون تلك الضربة هي الصوت
الذي ينتهي إلى الإحساس . ويدل على ذلك ما يقبع في جوف الحيوان من أصوات . فإنها لا
٢٥ تحدث في الهواء ، بل إذا صدم جزء جزءاً أو زعزعه بضربة . / مثل ذلك مثل ما يتم في إحناء
العظام لدى احتكاك بعضها ببعضها الآخر ولا وجود لهواء يكون وسطاً آنذاك . هذا وحسبنا
مناقشة مشكلات السمع ما دام البحث هنا أصبح شبيهاً بما ذكرنا في كلامنا عن البصر : فإن
٣٠ الأمر في الانفعال الذي يطرأ على السمع إنما هو أمر اشتراك في الإحساس يشبه ما يجري في /
الحيوان الواحد .

٦ وإذا وُجد النور والهواء غائب ، مثلما هو الأمر في نور الشمس يشع على سطوح
الأجسام ، والوسط غائب في حال الفراغ التام ، فإن كان النور منتشرًا فيه الآن فعن طريق
العَرَض أو لأنه حاضر بكونه وسطاً ؟ وإن لم يكن نور إلا إذا انفعال الهواء مع أمور آخر كان

٥ كيان النور بالهواء قائمًا: فيكون/ النور آنذاك حالًا من أحوال الهواء ولا يوجد الحال إلا بوجود المنفعل به. نقول أولاً أن النور ليس من الهواء أصلاً، وليس من الهواء من حيث أنه هواء. فإن للأجسام كلها نورها ما دامت نارية تزدهي كما أن لبريق الحجارة ألوانه الزاهية أيضاً. ولكن هذا النور إذا انتقل من أجسام أخرى منبعثاً من الجسم الذي تزدهي فيه تلك الألوان، أيتم انتقاله والهواء غائب؟/ نقول إنه لو كان النور كيفاً فقط، وكيفاً في شيء ما دام شأن الكيف أن يحل في شيء، وجب البحث عن النور في أي جسم يكون. ولكنه إن كان فعلاً ينبعث من شيء آخر، فلماذا لا يكون حاضراً إن يكن كل جسم يليه في الوسط غائباً، ولو كان هذا الوسط شيئاً كأنه الفراغ، إن جاز لنا القول،/ حتى ليتجاوز هذا الوسط إلى ما وراءه؟ وما دام مشدوداً في استرساله بشدة الخيط المستقيم، فلماذا لا يسترسل في مضيه وهو غير محمول؟ فلو كان مفلطحاً على أن يقع، لكان سار انحداً. ذلك لأنه ليس بوسع الهواء حتى ولا بوسع الجسم المضء به أن يخرجاه من معينه وأن يرغماه على الاسترسال في مضيه: فانه ليس عرضاً بحيث يكون شأنه/ أن يحل في غيره، أو حالاً يجب فيه أن يتكيف به جسم آخر وقع في حكم الانفعال. وإلا لوجب فيه أن يبقى ولا يبرح وجهًا بعد أن يكون قد أتى. مع أنه ها هو ذا ينسحب؛ فمن شأنه أن يأتي أيضاً. ولكن إلى أين؟ ألا، إنما يحتاج إلى محل يتسع له. ولكن جسم الشمس يفقد عند ذلك فاعليته، تلك التي تنبعث منه؛ وهي النور بالذات. إن كان ذلك كذلك، فإن النور ليس نور شيء. / فإن الفاعلية إذ تنبعث من حامل ما، فليس انبعاثها بغية الحلول في حامل آخر. بل إنها تحدث انفعالاً ما في هذا الحامل الآخر إذا وُجد. هذي الحياة، وهي فاعلية النفس. فإنما هي فاعلية إن وُجد ما يفعل بها كالجسد؛ وإنما هي فاعلية أيضاً في حال غياب المنفعل. وإن كان ذلك كذلك، فأني مانع يمنع النور عن أن يكون هذا ٣٠ حاله، ما دام هو أيضاً فاعلية من وجه ما، / وشيئاً نورائياً؟ والواقع هو أن الهواء المُظلم لا يولد النور، بل إنه يمتزج بالتراب فيجعله النور مظلماً غير ظاهر حقاً. ومن قال بذلك، كان كمن يقول بأن الشيء يحلو إذا مُزج بالمر. وإن قال قائل في النور إنه تغير حَدَث في الهواء، وجب عليه القول بأنه ينبغي/ في الهواء أن يتغير هو أيضاً بهذا التغير: فإن ظلامه يكون قد تحوّل إلى ما ليس هو بالظلام بعد ذلك. والواقع هو أن الهواء يبقى كما هو على حاله، فكأنه لم يطرأ عليه انفعال قط. هذا وإن الحال إنما هو حال الشيء الذي انفعال به: فليس النور لوناً للهواء، بل إنه هو ذاته قائم مع ذاته في ذاته؛ أما الهواء، فشأنه أن يكون حاضراً مع النور. هذا وحسبنا ما ٤٠ ذكرنا في موضوعنا. / فلنتقل الآن إلى البحث في السؤال التالي.

٧ هل يفنى النور أو يعود إلى معينه؟ ربما أفدنا من الجواب على هذا السؤال ما يزيد

المسألة السابقة وضوحًا. نقول إذًا: لو كان النور مستقرًا في الباطن بحيث يصبح خاصة من أصاب شيئًا منه، استطعنا أن نقول فيه إنه يفنى. ولكنه إن كان فاعلية تتدفق كلها - (وإلا لكانت تغمر ما تنتهي إليه غمرًا وينصب منها فيه قدر يتجاوز القدر الذي تنبعث عليه من أصلها) - فإنه لن يفنى ما دام معينه باقيا. ثم إذا تحرك معين النور تحرك هو أيضًا وأصبح في محل آخر، لا بمعنى أنه يعود إلى معينه وينصب فيه أو في غيره، بل بمعنى أنه فاعلية معينة تنتقل معه حيثما ينتقل طالما لم يعترض طريقها شيء. حتى ولو كان/ بُعد الشمس عنا أضعاف ما هو عليه الآن، لكان نورها يصل إلينا ما دام لا يردّه مانع ولا يقف دون استرساله في الوسط حائل. ولكن الفاعلية الكامنة فيها والتي هي للجسم النوراني بمنزلة حياته، إنما هي أعظم من النور من حيث أنه فعل، وكأنها أصله ومعينه. أما هذا الفعل الذي يفيض عن حدود ذلك الجسم النوراني، فإنه صورة الفعل الباطن، وهو فعل متأخر لا ينفصل عن الأصل الذي يتقدمه. ذلك لأن لكل شيء من الأشياء فعلًا هو على مثاله. فإذا كان الشيء كان فعله، وإذا استمر باقيا نفذ فعله إلى كل بعيد، واختلف الفعل عن الفعل بسعة نفوذه أو ضيقه. ثم إن من هذه الأفعال ما كان ضعيفا ومغشي الجوانب، ومنها/ ما خفيت معالمه وفاتنا، كما أن من الأشياء ما يكون له أفعال أعظم أيضًا وأبعد نفوذًا. أما إذا كان الفعل بعيد النفوذ، فيجب الاعتقاد فيه أنه يكون حيث يكون صاحب الفعل والقوة، كما أنه يمتد إلى حيث يمتد نفوذه. وهذا ما نستطيع أن نتبينه من بريق العين عند الحيوان: إن في الحيوان نورًا وهذا النور يخرج من عينيه. وكذلك أيضًا عند بعض الحيوانات التي تنطوي على نار متجمعة في بواطنها، فإذا اتسع جرمها في الظلام أشع نورها في الخارج، وإذا انقبضت على ذاتها انسحب النور من الخارج. ولكنه لم يفن بل إننا أصبحنا نحن بين أمرين: أو أن النور هو في الخارج أو أنه ليس في الخارج. ماذا إذًا؟ هل عاد ودخل في الحيوان؟ ألا، إن النور ليس في الخارج لأن النار كُفّت عن أن تتجه إلى الخارج، بل إنها تحولت/ إلى الداخل. أهو تحول النور إلى الداخل أيضًا؟ كلا، بل النار فقط. وإذا انسحبت إلى الداخل حجبتها سائر الجسم بحيث لا يمتد فعلها إلى الخارج. إن النور الذي ينبعث من الأجسام إنما هو فعل الجسم النوراني موجّهًا إلى الخارج إذًا. وهذا النور الكامن في مثل تلك الأجسام المبنية كذلك أصلًا/ إنما هو ذات تكيّفت بمثال ما كان في أصله جسمًا نورانيًا. فإن امتزج هذا الجسم بالهيولى أحدث اللون. أما الفعل (أعني النور) وحده فلا يحدث اللون، بل شيئًا كأنه تلوين سطحي، إذ إنه فعل جسم آخر وكأنه مرتبط به، إذا انفصل عنه، انفصل في الآن ذاته عن فاعليته./ ومهما يكن من أمر، لا بدّ من افتراض النور شيئًا منزّهًا عن الجسمية، حتى ولو كان مصدره جسمًا. ولذلك لا يقال عنه بالمعنى الحقيقي إنه «غائب» أو «حاضر»، بل تُطلق هذه الألفاظ عليه من وجه آخر: فإن حقيقته إنما هي كونه شيئًا كالفعل. إن الصورة المرتسمة

٤٥ في المرأة يجب أن يقال فيها إنها فعل المرئي . والمرئي آنذاك إنما يوجّه فعله ،/ بدون أن ينسكب هو كله ، إلى ما يسعه أن يفعل به ؛ لكن إذا حضرت المرأة ، ظهر المرئي فيها بحيث يكون بمنزلة ارتسام للون وقد تشكّل بهيئة معينة . حتى إذا ما انسحب المرئي ، جُرّدت المرأة الشفافة مما كان لديها سابقاً عندما كان المرئي ينفذ إليها بفعله . وكذلك القول في النفس ، بقدر ٥٠ ما أنها فعل نفس أخرى متقدّمة عليها :/ فما دامت النفس المتقدّمة باقية ، بقيت النفس المتأخّرة على أنها فعل الأولى . وما القول في النفس إن لم تكن فعلاً ، بل كانت شيئاً مشتقاً من فعل ، على نحو ما ذهبنا إليه في الحياة وقد أصبحت خاصة البدن ؟ هل تكون على مثل ما يكون النور عليه وقد امتزج بالأجسام ؟ ألا ، إن اللون هنا إنما ينشأ بامتزاج العنصر الفاعل . ٥٥ وماذا يكون الأمر في الحياة الخاصة بالجسد ؟/ ألا إنه يصيب تلك الحياة من نفس تجاوره وتحيط به وهي شيء آخر . وإذا ما اعترى الجسد الفساد (إذ أن ما ليس له من النفس نصيب ، لم يكن شيئاً) ، وأصبحت النفس لا تكفي حاجته (سواء أعيننا تلك التي كانت تمدّه بالحياة أم تلك التي ربما كانت تجاوره وتحيط به) ، كيف تبقى الحياة بعد ذلك ؟ وهل يكون الفساد قد اعتراها ٦٠ أيضاً ؟ كلا ! لم يعترها الفساد / فإنها كانت ارتسام إشعاع هي أيضاً . أما الآن فحسبنا القول إنها قد انسحبت من المحل الذي كانت فيه .

٨] ولنفترض الآن جسمًا قائمًا خارج السماء وعيًا تنظر إليه من هنا بدون أن يحول بينها وبين النظر حائل ، فهل تشاهد ما ليس بينها وبينه تفاعل متبادل ، ما دام التفاعل المتبادل لا يكون إلّا في حيوان طبيعته واحدة؟ ألا ، إن التفاعل المتبادل إنما يتم إذا كان المُجسّد والمحسوس في حيوان واحد . وإذا كان ذلك كذلك ، فإن الإحساس / في الحالة التي افترضناها لن يحدث إلّا إذا كان ذلك الجسم الخارج جزءًا من الحيوان الكلي . وعند ذلك فإنه قد نُجسّد به . وإن لم يكن جزءًا ، بل كان جسمًا ذا لون وصفات أخرى ، مثل الجسم في عالمننا ، وهو مع العين متشابه في المثال ، ألا يكون محسوسًا ؟ كلا ! لن يتم الإحساس ، حتى في هذه الحالة ، إن كان افترضنا ١٠ صحيحًا ، إلّا إذا حاول بعضهم أن يُبطله / بالقول الذي ذكرناه ذاته ؛ فيدّعي أنه ليس من المعقول ألا نرى العين لونها حاضرًا وألا تقوم الحواس بأعمالها مع الحسيّات إذا حضرت أمامها . ولكنّا نقول : أتى لهذه الاستحالة الدليل عليها ؟ فإنا في العالم إنما نفعل ونفعل لأننا في حيوان واحد ١٥ ومنه . وإذا كان إلى جانب هذا سبب آخر ، فلا بدّ لنا من البحث عنه . / وإذا أدّى البحث إلى ما فيه الاقتناع ثبتت القضية ، وإلا كان لا بدّ من اللجوء إلى أدلة أخرى . أما أن يكون الحيوان على حال التفاعل المتبادل مع ذاته ، فإنه أمر واضح ؛ وحسبنا أن يكون حيوانًا لتغذو الأجزاء متفاعلاً بعضها مع بعض لأنها أجزاء حيوان واحد . هذا وربّ سائل يسأل : ولكن ما القول لو كان هذا

٢٠ التفاعل المتبادل بوساطة التماثل؟ فإن الإدراك في الحيوان والإحساس / إنما يتّمان ، لأن بينه هو ذاته وبين ما يدركه شيئاً من التماثل، إذ أن أداة الإدراك تشبه ما يُدرك بها . ومن ثم فإن الإحساس في النفس إنما هو إدراك بوساطة أدوات متماثلة مع المُدركات . وإن العالم الكلي، ما دام حيواناً ومن حيث إنه حيوان، لا يدرك ما ينطوي هو عليه، بل الأمور التي تُماثل ما ينطوي هو عليه . أجل، إن المدركات / إنّما هي مدركات لا من حيث تكون منه وفيه، بل من حيث إنها تُماثل ما ينطوي هو عليه . ثم إن هذه المدركات إنّما هي مُدركات من حيث إنها متماثلة، لأن نفس العالم هي التي جعلتها متماثلة حتى لا تكون غريبة عليها . ومن ثم إذا كان الفاعل في ذلك العالم الذي أشرنا إليه هي النفس التي تخالف نفس عالمنا مخالفة تامة، فإن ما نفترضه هنالك تماثلاً ليس شيئاً في حق نفسنا . وإن كان في ذلك استحالة، / فإن التناقض الكامن في الافتراض الذي شرحناه يدل على أنه سبب الاستحالة . فإن النفس، في هذا الافتراض، هي في الآن ذاته غير النفس، والأشياء ذاتها هي متجانسة وغير متجانسة، متماثلة وغير متماثلة معاً . إنه، لعمري، افتراض ينطوي على المتناقضات وليس افتراضاً بحال . فإنه يجعل النفس في ذلك العالم، القول الذي يؤدي إلى أن الكل ليس الكل، / والآخر ليس الآخر، والعدم ليس العدم والكامل ليس الكامل . فلا بدّ من العدول عن هذا الافتراض إذًا، فإنه ليس خليقاً أن نبحت عن نتائجه ما دام قائماً على أصول باطلة .

الفصل السادس

(٤١)

في الإحساس والذاكرة

١ ليس الإحساس في النفس انطباعاً أو ختمًا، وما دما قد أثبتنا ذلك، فإننا ننفي مطلقًا كون التذكُّر حفظًا للعلوم وللإحساسات بداعي أن الطبع باقٍ في النفس. ولا غرو، ما دام الطبع لم يكن أصلًا. فإننا هنا أمام موضوع واحد ذي وجهين: إما أن يكون الطبع واقعًا في النفس فيبقى محفوظًا إذا ما عادت النفس إليه بالتذكُّر، وإما أننا لا نسلِّم بأحد الأمرين مطلقًا، فلا نسلِّم بالآخر أيضًا. أما نحن فإننا ننفي الوجهين كليهما، وعلينا أن نبحث عن كل منهما كيف يكون ٥ إذا. / لقد أثبتنا من ناحية أن الإحساس لا يطرأ على النفس بالانطباع فيكيّفها بطبع ما، ومن ناحية أخرى لسنا نقول في التذكُّر أنه تذكُّر انطباع بقي محفوظًا. هذا وإننا إن انتبهنا إلى كيفية وقوع الإحساس وهو في أشدّ حالاته وضوحًا وبيانًا، ربما عثرنا على ما نبحت عنه فنستدلّ به بعد ذلك على الإحساس في حالاته الأخرى. / ومهما كان من أمر فإن ما لا شك فيه هو أننا إذ نتلقّى ١٠ شيئًا مهما يكن، إنما ننظر ونتوجّه ببصرنا إلى حيث يكون المرئي قائمًا في اتجاه الخط المستقيم مثًا. وهذا يعني أن الإدراك هنالك يتمّ لا محالة، وأن النفس إنما توجّه وجهها إلى الخارج، / فلا مقام، فيما أرى، لانطباع قد حلّ فيها، وليست لتتأمل من خلال ختم تلقته فيها فأصبح لديها ٢٠ بمنزلة ختم الخاتم في الشمع. / فإنها لما كانت في حاجة إلى أن تنظر إلى شيء خارج عنها لو أن مثال المرئي قد حلّ فيها مقلدًا عليها من حيث كان، أخذت تنظر إلى الانطباع الذي خلفه فيها. ثم إن النفس تشمل مع المرئي مسافته وتحكم في مشاهدتها عن أي بُعدٍ حصلت، فهل ٢٥ تتبين ما هو كذلك فيها وليس بعيدًا عنها، على أنه بعيد؟ / هذا وإن عظم المرئي كما هو عليه في الخارج، كيف يعلن عن قدره، أو كيف يعلن أنه ضخم عظيم بعظمة السماء مثلاً، ما دام الانطباع الثابت في النفس ليس بوسعه أن يكون على قدر المرئي؟ وهناك الآن الاعتراض الأعظم: إن كئلاً لا ندرك مما نشاهده إلّا انطباعه فينا، أصبح من المستحيل أن نبصر ما ٣٠ نشاهده في حدّ ذاته؛ إنما نبصر ارتسام المرئي وظلّه. / وإن كان ذلك كذلك غدت الأمور في حدود ذواتها شيئًا، وما نشاهده نحن شيئًا آخر. وكما أنه يقال إجمالاً، لا نستطيع أن

نشاهد المرئي وهو ملتصق بإنسان العين، بل يجب أن يكون بعيداً فنراه وهو على هذه الحال، فكذاك ينبغي أن يقال في النفس، وهو قول بأن يطبق عليها أخرى. ذلك لأنه إن جعلنا انطباع المرئي فيها، / فإنها لا تتبين الشيء الذي حلّ ختمه فيها على أنه شيء مرئي. فإن الإبصار يستلزم أمرين حتماً: الرائي من ناحية والمرئي من الأخرى. وإذا وجب في الرائي أن يكون مختلفاً عن الشيء المنطبع، فقد يكون هذا الشيء في كل صوب وناحية شرط ألا يُقيم حيث يكون الرائي مقيماً. فإنه يجب في الإبصار ألا يكون إبصار ما ينطوي هو عليه، بل إبصار ما لا يقيم فيه، حتى يكون إبصاراً حقاً. /

٢ وان لم يكن الإبصار كذلك، فعلى أي وجه يكون؟ إنه يعلن عما لا ينطوي عليه. فإن شأن القوة، لا أن تنفعل بشيء بل أن تكون قادرة على أن تُحلّث فعلاً في ما كان بينها وبينه تناسق. وما كانت النفس، فيما أرى، لتمييز بين المرئي والمسموع لو كان كلاهما انطباعين فيها. إنما يقع هذا التمييز / لأنه ليس أماننا انطباع أو انفعال بل فعل فطر مع علاقته بما يقابله. أما نحن فإننا نعتقد في المَلَكَة إنها لا يسعها أن تدرك معروفها ما لم تُفزع به، فنتصور إنها تنفعل بما يجاورها ويحيط بها ولا إنها تعرفه، في حين أن لها ما يجعلها معه هي الغالبة لا المغلوبة. / وعلى هذا الوجه يجب أن نتصور السمع أنه يتم. فإن الانطباع إنما هو في الهواء شيء كالاhtزاز يتحرك متماسكاً بعضه مع بعضه الآخر، وهو آنذاك كأن حروفاً يصورها صاحب الصوت. أما المَلَكَة والنفس فإنهما حينئذ بمنزلة من يقرأ الانطباعات المصورة في الهواء وهي تقترب شيئاً فشيئاً بحيث ينتهي إلى الحال الذي / فُطِرَت عليه أن تكون مرئية. أما الذوق والشم، فإن فيهما إنفعالاً. لكن ما فيهما من إحساس بهما وتمييز بينهما إنما هو إدراك للإنفعال. فالإدراك شيء والانفعال شيء آخر. أما معرفة الروحانيات فهي بأن تكون بدون انفعال ولا انطباع أخرى أيضاً. فإن الروحانيات تبدو كأنها تنبع من الباطن، وهي على خلاف ما نشاهده من الخارج. / ثم إنه بأن تكون الروحانيات أفعالاً حقاً أخرى، إذ إن المعرفة هي معرفة النفس لذاتها بذاتها، وكل روحاني إنما هو النفس قد تتحقق في ذاتها إذ تفعل فعلها. أما السؤال عن النفس إن كانت اثنتين، وإن كانت ترى ذاتها آنذاك على أنها شيء يختلف عنها هي، في حين إنها ترى الروح واحداً توحد الطرفان فيه، فهو سؤال نرجئه إلى مقام آخر.

٣ وها نحن أولاء، بعد كل الذي مرّ بيانه، ننتهي الآن إلى ما يجب في الذاكرة أن يقال عنها. وأولاً، لا عجب في النفس إن كان لها قوة مثل هذه القوة، لا تتلقى شيئاً ومع ذلك تجعل النفس تُقِيلُ على إدراك ما ليس لديها. أو بالأحرى إن في ذلك للعجب الكبير، ولو كان ينبغي

٥ ألا تقابله بالرفض. فإن النفس، في حقيقة ذاتها، عقل الأشياء كلها،/ وهي بين الروحانيات وبين ما في عالم الروح العقل الأخير، ولكنها العقل الأول بين ما في العالم المحسوس كله. ولذلك نراها مرتبطة بالعالمين: عالم تكون فيه حياتها سعيدة، جديدة عليها دائماً، وعالم تكون فيه مخدوعة لما بينه وبين العالم الأول من تماثل، فتتهوي إليه كأنها مسحورة به. وما دامت كذلك في الوسط بين العالمين، فإنها تدرّكهما كليهما جميعاً. / أما إدراكها للأمور الروحانية، فيقال عنه أنه العرفان، ويتمّ، إذا أقبلت النفس على هذه الأمور، عندما تنتهي إلى الذكرى. فإنها تعرف العالم الروحاني لأنه، من وجه ما، هي بالذات. وإنها لتعرفه لا بمعنى أنها قائمة فيه بالفعل، بل لأنه لديها من وجه ما، ولأنها تراه ولأنها هي هو على شيء من الغموض والإبهام. فعندما تصبح في حال اليقظة والتنبيه يتبدّل غموضه بالوضوح والبيان، وينتقل من الوجود بالقوة إليه بالفعل. / وكذلك القول في الحسيّات، كأنها متصلة بالنفس. ثم إن النفس تجعل العالم الحسي كأنه يشعّ بما يأتيه من لديها. فتقيمه بفعلها نصب عينها إذ أن المَلَكَة التي لديها على استعداد دائم للاتجاه إليه حتى قبل أن تصبح معه وكأنها الأمّ أتاها الوضع بأوجاعه. فإذا تركّزت هذه القوة، واشتدّ تركّزها على شيء من الأشياء التي تبدو لها وكأنها أمام شيء حاضر،/ قد يستغرق هذا الحضور زمناً طويلاً تدوم مدّته بقدر ما تشتدّ القوة في تركيزها. ولذلك يقال في الأولاد أن التذكّر عندهم إنما هو على أشده، لأنهم لا يتعدون عن الأشياء، بل تبقى نصب أنظارهم، على أن مشاهدتهم لا تتجاوز إلى الأشياء الكثيرة بل تقف عند القليل منها. أما الذين يمتدّ تفكيرهم ويتسع إدراكهم إلى الكثير، فكأنهم يجرون جرياً ولا يلبثون. / وأدنى ما يقال في الأمر هنا، هو أن الانطباعات، لو كانت هي التي تبقى، لما أضعفت كثرتها قدر التذكّر. فضلاً على أنه لو كانت الانطباعات هي التي تبقى لما كنّا في حاجة إلى التفكير حتى نتذكّر، أو إلى أن نعود ونذكر ما كنا قد نسيناه ما دامت الانطباعات حاضرة فينا. ثم إن الترويض لاستدراك ما فاتنا إنما يدلّ على أنّا نجرّبه لتقوية النفس،/ كما أنّا نروّض أيدينا وأقدامنا بالتمارين الرياضية ليسهل عليها عمل ما ليس مقيماً في الأيدي والأقدام، بل ما تصبح الأيدي والأقدام مجهزة بالتمرين المتواصل. لماذا نسمع الشيء مرة أو مرتين ولا نتذكّره، ثم نتذكّره عندما نسمعه غير مرة؟ ولماذا نسمع الشيء ولا نحفظه أولاً، ثم نعود ونذكره بعد ذلك بزمان طويل؟/ لا يُردّد ذلك إلا أنّا قد حفظنا أولاً من الانطباع بعض أجزائه. فإنه كان يجب أن نتذكّر هذه الأجزاء، في حين أن التذكّر يحدّث وكأنه يباغتنا عند آخر شيء نسمعه أو آخر تمرين نقوم به. وكل ذلك يدلّ على تنشيط في النفس للقوة التي بها نذكر على أنها تقوى للتذكّر على وجه الإطلاق أو لتذكّر هذا الشيء أو ذاك. / وهذا وإنّما لا نتذكّر الأشياء التي تروّضنا عليها فقط، بل الذين اكتسبوا الكثير من تعوّدهم على الإلقاء والتلاوة

يسلمون بذلك، وأن عليهم استدراك أمور أخرى أيضاً: فما عسانا نطلب أساساً للذاكرة بعد
٤٥ ذلك سوى قوة النفس وقد انتهت إلى أشدها؟/ إن بقاء الانطباع إنما هو دلالة على ضعف أكثر
مما هو دلالة على قوة؛ وإن ما يكون أشد قابلية للانطباع إنما هو كذلك لأنه قابل للإرتخاء. فما
دام الانطباع انفعالاً أصبح الانفعال على أشده هو هو التذكر على خير ما يمكن أن يكون. مع أن
٥٠ ما يبدو في الواقع إنما هو على خلاف ذلك: فإن الترويض على شيء مهما يكن لن/ يجعل
المروّض عرضة للإنفعال. كما إنه، في مجال الإحساس، ليس العضو الضعيف، كالعين
مثلاً، هو الذي يرى، بل العضو الذي تكون لديه القوة على الفعل وهي على أشدها.
ولذلك نرى أن الذين أدركهم الكبر إذا ضعفت حواسهم ضعفت ذاكرتهم أيضاً. إن
٥٥ الإحساس والذاكرة إنما هما نوع من النشاط إذاً./ ثم ما دام الإحساس ليس انطباعاً، فكيف
يكون التذكر حفظاً لما لم يودع في النفس مع إنه ليس أصلاً؟ ولكن إذا كانت الذاكرة قوة النفس
واستعدادها لما هو حاضر أمامها، فكيف لا نأتي على تذكر الأشياء فوراً، بل نتذكرها بعد
٦٠ ذلك؟ ألا، لأنه يجب في القوة أن تتركز وأن تتجهّز، إن جاز لنا القول./ وهذا ما نشاهده في
القوى الأخرى: إذا تجهّزت للعمل الذي تقوى عليه أنجزته؛ منها على الفور ومنها بعد أن تكون
قد تجمّعت في ذواتها. أما ما يحدث كثيراً لصاحب الذاكرة ألا يكون صاحب الذهن الحديد،
٦٥ فلأن ليس للطرفين قوة واحدة: فربما لم يكن المصارع/ عداء، ولا غرو، إن اختلفت القوة
الغلبة بين إنسان وآخر. وبعد، فإنه ليس من مانع يمنع صاحب النفس عن أن يطّلع على ما فيه
من رواسب، وصاحب النفس الميالة إلى هذا أو ذاك عن إنفعال يأخذ به ويحفظ منه. ثم إن
٧٠ النفس ليست خاضعة للكم، وهذا يدل على أنها قوة./ فضلاً على أن أمور النفس إجمالاً إنما
هي، بوجه عجيب، على غير ما تصوّرها الذين أدركوها عن غير بحث دقيق. كما أنها على غير
ما عرضت لهم بتلك اللمحات السطحية الواردة من الحسيات التي تغش بمتشابهاتها. فإنهم
٧٥ يقفون من الإحساس والتذكر كأنهم أمام حروف نُقِشت في لوح أو كُتبت على ورق./ فتنشأ
المحالات التي تلازم افتراضهم بغفلتهم عنهم، من تصوّر منهم النفس جسماً ومن تصوّرها منزّهة
عن الجسمية.

الفصل السابع

(٢)

في خلود النفس

١ ترى أليس كل واحد منا خالداً أم كلٌ منا يفنى بأسره؟ أم أن شيئاً فينا يصير إلى تفرق وفساد، ويبقى شيء آخر ويدوم، وهو ما نحن عليه في ذواتنا؟ هذا ما قد نعلمه هنا، إذا أمعنا النظر في الموضوع متقيدين بحقيقته في حد ذاتها. والواقع هو أن الإنسان ليس شيئاً بسيطاً، بل إنه شيء منفوس وذو/ جسد، سواء أكان هذا الجسد آلة بين أيدينا أم كان متصلاً بنا من وجهه ٥ آخر. فلنسلم بهذا التقسيم؛ لا بدّ حينئذ من النظر في طبيعة كل من القسمين، وفي حقيقة ذاته ما هي. أما الجسد فإنه في حد ذاته شيء مركّب ويدل العقل على أن لا حول فيه على البقاء. فإن الحسن يراه ينحلّ/ ويزول هباء ويعتريه البلى بضروبه كلها، فيعود كل جزء من أجزائه إلى ما هو ١٠ عليه في ذاته، ويُفسدُ جسد جسدًا ويحوّله إلى آخر ويهلكه. ولا سيّما عندما تكون النفس التي تبعث الألفة بين كل ذلك غائبة عن الأجرام. حتى ولو عُرِلَ كل جزء بعد أن أصبح واحداً في ذاته، لا يكون ذا وحدة ما دام/ قابلاً للانحلال إلى صورة وهيولى، تتألف منهما بسائط ١٥ الأجسام ذاتها في بنائها. هذا فضلاً على أنّ للأجسام، ما دامت أجساماً، مقاديرها، فتتجزأ وتتقطع إرباً وتكون بذلك خاضعة للفساد. ومن ثم ما دام هذا الجزء جزءاً منا فإننا لسنا بخالدين ٢٠ كلاً؛ ثم أنه/ إن كان أداة بين يدينا، يجب فيه على الأقل، ما دمنا قد أعطيناه لزمان معين، أن يغدو في طبعه زمانياً عابراً هو أيضاً. أما الأصل الأشرف في الإنسان، وهو الإنسان ذاته، فإما هو بمنزلة المثال من الهيولى، أعني من الجسد، أو بمنزلة من يسخر آلة من الآلة ذاتها. وعلى ٢٥ الوجهين كليهما، فإن الإنسان هو النفس بالذات./

٢ فما هي النفس في حقيقتها؟ لو كانت جسماً لكانت قابلة للانحلال، إذ أن كل جسم إما هو مركّب. فإذا لم يكن جسماً، بل من طبيعة أخرى، فلا بدّ من البحث عن هذه الطبيعة، إمّا من الوجه ذاته وإمّا من وجه آخر. وأول ما ينبغي البحث عنه هو الشيء الذي يجب في ذلك ٥ الجسم الذي يدعونه نفساً أن ينحلّ إليه. ذلك لأنه،/ ما دامت الحياة تلازم النفس حتماً، فإن

لذلك الجسم، أعني النفس، مع الحياة صلات مختلفة أيضًا حتمًا. فإن كان مؤلفًا من جسمين أو أكثر غدا أحد الجسمين أو أحد الأجسام ذا حياة فطرة وجبلة، فإما أن الحياة تتم لواحد ولا تتم للآخر، وإما أنهما كليهما يحرمَان منها أو أن جسمًا من كل هذه الأجسام لن يكون ذا حياة. ١٠ فإذا تم لأحدها أن يكون ذا حياة، فذلك هو النفس عينها، وما عسى أن يكون/ جسم يتمتع بالحياة من تلقاء ذاته؟ فالنار والهوار والماء والتراب لا نفوس لها من ذاتها، والذي كان منها منقوسًا، فذاك إنما ينعم بحياة مستعارة. ثم أنك لن تجد أجسامًا غير هذه. والذين يعتقدون ١٥ بوجود عناصر غير هذه العناصر الأربعة، يقولون فيها أنها أجسامًا وليست نفوسًا. بل قل/ أجسامًا لا حياة فيها. فإذا لم تكن في أحدها حياة، فمحال أن يقال في اثتلافها أنه هو الذي يولد الحياة؛ أما إذا كانت في كل واحد منها حياة، فحسبنا نفسًا واحدة منها. أما أن يولد الحياة أجسام تجمعت، وأن يخرج مما ليس روحانيًا بحال، فإن هذا لمن أشد الأمور استحالة. فضلًا ٢٠ على أنهم يذهبون هم ذواتهم إلى أن هذا الامتزاج هنا ليس أي امتزاج كان. / فلا بد من منظم ينظمه ومن علة بها يقوم؛ ومن ثم فإن لهذا المنظم ولهذه العلة مقام النفس. فلو لم تكن نفس منبئة في العالم الكلي لما كان جسم مركب حي ولا بسيط، ما دام مُحْدِث الجسم معنى أقبل ٢٥ على الهيولى؛ ولا يخرج معنى إلا من النفس. /

٣ هذا ورب قائل يقول: ليس الأمر كذلك، بل إن النفس إنما تُحْدِثُ ذرات أو أجزاء لا تنجز إذا اتصل بعضها ببعض فاتحدت وكان بينها تفاعل متجانس. فإن فَعَلَ فان قوله مردود بأن تجاور الذرات ذاته لا يجمع بينها كلها جمعًا تامًا ما دامت الوحدة والتفاعل المتبادل لا ينشآن من المنزهات عن الإنفعال، وما دامت الأجسام ليس بوسعها أن تتوحد. أما النفس فإنها في ٥ تفاعل متبادل مع ذاتها. / فضلًا على أن الجسم والكم لا يحدثان عما لا يتجزأ. ثم إنه إذا كان الجسم بسيطًا وقد ذهبوا إلى أنه، بالقدر الذي يكون عليه هيولانيًا، لا حياة له من تلقاء ذاته لأنَّ الهيولى قائمة للاكيف بل ما يكون في مقام الصورة هو الذي يأتي بالحياة، أصبَحنا من ذلك أمام أمرين: إما أن يقال في الصورة أنها هي ذات، فلا تكون النفس بعد ذلك الهيولى والصورة ١٠ كليهما، / بل أحد الاثنين، وباطل أن يكون جسمًا، إذ أن ما تصبح النفس عليه آنذاك ليس الهيولى بحال، وإلا لعدنا وحللناه على الوجه الذي سبق ذاته. وإما أن يقولوا في الصورة إنها الهيولى في حال من أحوالها وليست بذاتها، وعندئذ لا بد لهم من الدلالة على أصل هذا الحال ١٥ وهذه الحياة في الهيولى ما هو. فإن الهيولى لا تُسَبِّك هي ذاتها في الصورة، ولا/ تجعل هي ذاتها في ذاتها نفسًا. لا بد من أصل يمدُّ بالحياة إذًا، سواء أكان ليعدُّ بها الهيولى أم جسمًا من الأجسام مهما يكن، ويجب فيه أن يكون خارج كل طبيعة جسمانية ووراءها. فإنه لولا القوة

الإنسانية لما كان جسم قَطُّ، إذ أن الجسم يجري وهو في الحركة طبعًا، وسرعان ما تزول
 ٢٠ الأشياء كلها/ لو كانت كلها أجسامًا حتى ولو فُرض على أحدها إسم النفس فرضًا. فلن يكون
 ذلك الجسم سالمًا من الانفصال الذي ينال غيره من الأجسام ما دام للأجسام كلها هيولى
 واحدة. بل الأحرى بالقول فيه أنه لن ينشأ، بل تبقى الأشياء كلها في حال الهيولى ما دام
 ٢٥ الأصل الذي يعمر الهيولى بالصورة غائبًا. بل ربما لن تكون الهيولى ذاتها بعد ذلك أصلًا. / أمّا
 عالمنا هذا فانه لينحلّ لو أسندنا التأليف بين أجزائه إلى جسم ما، وأعطينا رتبة النفس وحتى
 اسمها ذاته إلى جسم كالهواء أو الروح البخاري وهما في غاية الوهن، وليس لديه ما من ذاتهما
 ما يكفل لهما الوحدة. وكيف نعهد بالعالم الكلي إلى أحد الأجسام وهي متفككة متجزئة
 ٣٠ طبعًا، / ثم لا تحوّل إلى شيء غير روحاني متقادٍ للمصادفة والاتفاق؟ أين النظام في روح
 بخاري مدين للنفس بنظامه؟ أين الحكمة وأين الروح؟ أما إذا كانت النفس، أصبحت
 الأمور كلها مسخرة لها لبنيان العالم، ولكل حيوان جزئي، فتأخذ قوة الشيء من قوة غيره
 ٣٥ ساعية إلى قيام الكل. فإذا ما احتجّت النفس وانسحبت/ من الأشياء كلها زالت الأشياء كلها،
 ولا تسأل بعد ذلك عن النظام الذي تكون فيه.

٤ إن الرواقين ذواتهم ينساقون للحق فيعترفون بأنه لا بدّ من مثال، من نفس، قبل
 الأجسام وأفضل منها. فانهم يجعلون للروح البخاري روحًا ويفترضون وجود نار روحانية.
 فكأنما ليس بوسع الجزء الأشرف بين الأمور أن يكون بدون نار وروح بخاري، فيسعى الى
 ٥ محل يقيم فيه. / في حين أن ما يجب البحث عنه هو أين ينزلون الأجسام إذ أنه ينبغي في
 الأجسام أن تحلّ في قوى النفس منازلًا. وإذا كانوا يزعمون أن الحياة والنفس ليستا شيئًا سوى
 الروح البخاري، فما هو هذا «الوضع المعين» الذي طالما يرد ذكره عندهم والذي يلجئهم إليه
 ١٠ التسليم بوجود/ حقيقة ذات فعل تختلف عن الأجسام؟ وإن لم يكن كل «روح بخاري» إذًا، إذ
 أنّا نجد أرواحًا بخارية لا أنفس لها، بل يزعمون أن النفس هي «الروح البخاري» في «وضع
 معين»، فإن لهم وجهين في القول: أما أن يقولوا في ذلك «الوضع المعين» أو تلك «الهيئة» أنه
 شيء من الأشياء، وأما ليست شيئًا بحال. فإن لم يكن شيئًا بقي الروح البخاري وحده، وليس
 ١٥ «الوضع المعين» إلّا لفظًا فقط. / ويسوقهم ذلك إلى القول بأنه ليس من شيء إلّا الهيولى، وإن
 النفس والإله والأشياء كلها إنما كل ذلك ألفاظ، ما عدا الهيولى وحدها. أما إذا كانت «الهيئة»
 هيئة الأشياء وشيئًا غير حاملها وغير الهيولى، مع كونها في الهيولى وهي غير هيولانية في حدّ
 ذاتها لأنها هي أيضًا لا تتألف من هيولى، أقول: إن كان ذلك كذلك، فإن في الأشياء بنية
 ٢٠ معنوية ليست/ جسمًا بل هي من طبيعة أخرى. هذا وإن مما يلي بيانا لا يقل وضوحًا عما سبق

على أنه من المستحيل أن تكون النفس جسمًا مهما يكن. ذلك لأن الجسم يكون حارًا أو باردًا، صلبًا أو لينًا، سائلًا أو جامدًا، أسود أو أبيض، إلى ما سوى ذلك من الصفات التي تختلف باختلاف الأجسام. ثم إذا كان الجسم حارًا فقط، أحدث/ الحرارة، أو باردًا فقط، أحدث البرودة؛ وإن كان خفيفًا خفف بقبوله وحضوره، أو ثقیلاً أثقل، أو أسود أنشأ السواد، أو أبيض ولّد البياض. فليس بوسع النار أن تبرّد ولا بوسع الجسم البارد أن يستخّن. أما النفس، فإن أقل ما يقال فيها هو أن أفعالها تختلف باختلاف الأحياء، بل إن لها في الحيّ الواحد أفعالاً متضادة. فهي تجعل الشيء جامدًا وغيره سائلًا، وبها يكون الغليظ والكثيف واللطيف الشفاف، أو الأسود والأبيض، أو الخفيف والثقيل. مع أنه كان يجب فيها أن تُحدث شيئًا واحدًا تبعًا لكيفية الجسماني، ولا سيما تبعًا للونها. فالواقع هو أن لها أفعالاً كثيرة. /

٥ ولكنها كيف تُحدث حركات مختلفة، لا حركة واحدة ما دامت حركة كل جسم واحدة؟ ولعمري، لو أنهم كانوا يعلّلون بعض الأفعال بالإرادات، وبعضها الآخر بمعانيها، لكان نعمّ التعليل تعليلهم. ولكن ليس للجسم إرادة، وليس له مقاصد. فإن أقل ما يقال في المقاصد هو أنها يختلف بعضها عن بعضها الآخر، في حين أن الجسم واحد وبسيط. / ثم إنه، وهو كذلك، لا حظّ له من المعنى إلّا القدر الذي وصله من الشيء الذي جعله حارًا أو باردًا. فأنّى للجسم أن يُحدث النمو في الزمان بحيث يُدرك هذا النماء حدّه المعيّن له؟ فإن شأنه أن ينمو هو ولا دخل له في إحداث النمو إلّا بقدر ما أنه ينزع من حجم الهوى، / فيتخذ الفاعل الذي يُحدث النمو أداة يسخرها لفعله. ذلك لأن النفس إن كان جسمًا ينمّي، فإنها تنمو هي أيضًا لا محالة، وذلك بأن ينضمّ إليها جسم مثلها إذا كان من شأنها أن تسير بخطى متساوية مع الشيء الذي تنمّي. فيكون ما يزداد عليها أو نفسًا أو جسمًا لا نفس له. وإن كان نفسًا، فمن أين/ أنت وكيف دخلت وانضمت؟ وإن كان المضاف شيئًا غير ذي نفس، فكيف يصير منقوسًا، ويصبح مع ما كان قبله متوافقًا وشيئًا واحدًا؟ وكيف يشارك النفس الأولى في آرائها؟ أو لا يكون بمنزلة نفس غريبة تجهل ما عرفته النفس الأخرى؟ ثم إن الأمر آنذاك مثلما يكون في سائر حجمنا الجسمي: / ينسحب منه شيء ويُقبل عليه آخر، ولا يبقى منه شيء على حال واحدة. فأنّى لنا التذكّر بعد ذلك، وكيف يَعْرِف بعض الأهل بعضهم الآخر، ما دام أنه ليس لكل منهم نفس واحدة؟

هذا فضلًا على أنه لو كانت النفس جسمًا، فإن الجسم بطبيعة حاله، إن تجزأ إلى أجزاء/ كثيرة لا يكون الجزء فيه هو والكل شيئًا واحدًا. فإن كانت النفس كمًّا محدودًا ثم قلّ هذا الكم، زالت من حيث كونها نفسًا مثلما هو الأمر في الكم، إذا حُذِف منه، زال ما كان

عليه سابقًا . أما إذا كانت شيئًا ذا مقدار وقُلَّ حجمها، ثم بقيت على حالها كيفًا فإنها تتغير جسمًا ٣٠ وكما، / ولكن شأنها أن تبقى على الحال الواحدة بكيفية الذي يختلف عن كمها . فما عسى أن يكون موقف الذين يقولون في النفس أنها جسم آنذاك؟ وأول ما يبدو لنا هنا إنما هو أمر كل جزء من أجزاء النفس الموجودة في الجسم الواحد . هل يقولون في كل جزء أنه نفس مثلما أن الكل نفس؟ أو يقولون القول نفسه في جزء الجزء أيضًا؟/ عند ذاك، لا يزيد المقدار على النفس ذاتها شيئًا . مع أنه لا بدَّ من هذا المزيد على الأقل ما دامت النفس كمًا . ثم إنها بكليتها في كل صوب وجانب، وليس بوسع الجسم أن يكون هو ذاته كلاً في محلات كثيرة، وأن يكون الجزء فيه هو هو الكل ذاته . أما إذا قالوا في كل جزء من الأجزاء أنه ليس نفسًا، فإن النفس أصبحت عندهم ٤٠ مؤلفة من أجزاء لا نفس لها . / على أنه لو كان لكل نفس قدر محدود، لم تكن نفسًا من قِبَل ما ينقص من هذا القدر ولا من قِبَل ما يزيد عليه . مع أنه قد يخرج من من لقاح واحد وبذر واحد ٤٥ توأمان بل أكثر، كما هو الأمر عند بعض الحيوانات، / إذ أن البذر آنذاك ينشر على محلات كثيرة، ويبقى كل جزء من الأجزاء كلاً . وإن كان ذلك كذلك، فكيف لا يجد فيه من يريد التعليم عبرة عن أن الشيء الذي يكون فيه الجزء هو هو الكل، إنما هو شيء يجاوز الوجود بالكم طبعًا، ويجب فيه أن يكون منزَّهاً عن الكم حتمًا؟ وما دام هذا الشيء كذلك، فإنه يبقى على ٥٠ حاله / إذا حُجب الكم عنه إذ لا همَّ له بالكم أو بالحجم، وهو في حدِّ ذاته، أمر يختلف عنهما جميعًا . إن النفس والبنى المعنوية إنما هي منزَّهة عن الكم إذا .

٦ هذا وإنه لو كانت النفس جسمًا لما كان الإحساس ولا العرفان ولا العلم، ولما كان ٥ للفضيلة وجود أو لحسنة من الحسنات . ويتبين ذلك مما يلي . إن ما يُحسَّ بالشيء يجب فيه أن يكون واحدًا وأن يُدرَك كل شيء بالملكة الواحدة . هذا ولو كان ما يدخل عن طريق الإحساس/ يدخل وهو كثير بوساطة حواس كثيرة، أو يرد على الإحساس وهو عدَّة صفات في شيء واحد حتى ولو غدا، بكونه واحدًا، مختلف المظاهر، كالوجه مثلاً . فلا يدرك الأنف حسَّ ثم لا يدرك العين حسَّ آخر، بل يدرك الحسَّ ذاته تلك المظاهر كلها معًا . وإذا كان يجري في النظر إحساس وفي السمع آخر، فإنَّ الذي ينتهي إليه الطرفان يجب فيه أن يكون واحدًا . وإلا كي ١٠ يُحكم على هذه الإحساسات أنها/ مختلفة ما لم تنته إلى حاكم واحد؟ ينبغي في هذا الحاكم أن يكون بمنزلة مركز إذا، وفي الإحساسات التي ترد إليه من كل صوب وجانب بمنزلة أشعة تنبعث من محيط دائرة . فيكون المدرك، وهو كذلك، واحدًا حقًا . أما إذا كان ممتدًا وكانت ١٥ الإحساسات تَرِدُ إليه كأنها تقع على خطٍّ في طرفيه، / أصبحنا بين أمرين: إما أن تتجمع الإحساسات في النقطة الواحدة ذاتها كالوسط مثلاً، وإما أن يقع على الطرف إحساس أحس

به غيره فيدرك كل طرف إحساس الطرف الآخر، فكأنما أحس أنا بشيء وتحس أنت بشيء آخر. ثم إن لنا وجهين في القول أيضًا إن كان المحسوس شيئًا واحدًا في ذاته، كالوجه مثلاً: فإما أن يتجَمَّع هذا المحسوس في نقطة واحدة/ (وهذا واضح إذ أنَّ المحسوس يتجَمَّع في إنسان العين، وإلا فكيف يشاهد الإنسان به الأشياء الضخمة؟ لا سيما إذا سارت هذه الأشياء إلى الحاسة الرئيسة حيث تصبح وكأنها معانٍ لا تتجزأ)، وتكون النقطة غير متجزئة. وإما أن يتجزأ المُدرك بتجزؤ المدرك المقدَّر بالكم فيتطابقان جزءًا بجزء، ولا يتوافر لأحد منا/ إدراك المحسوس كله. لكن المدرك واحد بأسره، فكيف يقسَّم؟ إنه لا سبيل عنا إلى التوفيق بين مساوٍ ومساوٍ لأن الحاسة الرئيسة مساوية لكل محسوس. ولعمري، بأي تقدير يكون التقسيم؟ أيقسَّم بقدر ما يكون عليه عدد العناصر التي ينطوي عليها المحسوس الداخل في الحاسة الرئيسة؟/ فعند ذلك إنما يُدرك المحسوس كل جزء من أجزاء النفس بأجزائه هو أيضًا. أو أنَّ أجزاء الأجزاء هنا تبقى بدون إحساس؟ لكنَّ هذا أمر مستحيل. أما إذا كان يدرك الشيء كلاً كل جزء من أجزاء النفس مهما يكن، فإن شأن المقدَّر بالكم أن يتجزأ إلى عدد من الأجزاء ليس له نهاية./ ومن ثم يقع على كل جزء من أجزاء النفس، عند كل محسوس يدركه عدد من الإحساسات ليس له نهاية. فكأن للمحسوس الواحد في حاستنا الرئيسة صورًا بعدد ليس له نهاية.

ما دام المُجسِّس جسمًا إذا، فإن الإحساس لا يتمُّ إلَّا بمثل ما يتمُّ ختم الخاتم إذ يخلف علامة في الشمع سواء أكانت المحسوسات تختلف علامتها في دمِّ أم/ في هواء. وإذا حلَّت العلامة مثلما تحل في الأجسام الرطبة - وهذا هو المحتمل - سالت كأنها في ماء، ولا كيان للذاكرة بعد ذلك. أما إذا بقيت الانطباعات فنحن بين أمرين: أو أنه لا مجال لغيرها ليخلف علامته ما دامت هي باقية - فلا مجال لإحساسات أخرى إذا، أو/ أنه يرد انطباعات أخرى فتزول الانطباعات الأولى، ولا مجال للتذكُّر بعد ذلك. أما إذا ثبت التذكُّر وورد إحساس وراء إحساس بدون أن يمنع المتقدِّم ما يتأخَّر عليه أن يقع، فإنه من المستحيل أن تكون النفس جسمًا.

٧ هذا وإنَّا نستطيع أن نتيين الشيء ذاته من الإحساس بالألم. إذا قيل في الرجل أنه يُحسُّ بالألم في إصبعه، فإن الألم إنما هو في الإصبع ولا شك، ولكنه لا شك أيضًا في أنهم يعترفون بأن الإحساس بالألم إنما يقع في الحاسة الرئيسة. وأن الجزء الذي يقع في الوجدع إذا إنما هو جزء/ يختلف عن الحاسة الرئيسة التي تدرك هي الروح البخاري، فتتفاعل النفس كلها بالانفعال ذاته. وكيف يجري ذلك؟ بالنقل، فيما يقولون: إن الروح البخاري الكامن في الإصبع يفعل هو أولًا، ثم ينقل انفعاله إلى ما يليه، وهذا إلى غيره حتى ينتهي الإنفعال إلى حيث تكون الحاسة

١٠ الرئيسة. فإذا/ أحس الجزء الأول بالوجع وسرى الإحساس عن طريق الانتقال، تلقى الجزء الثاني حتمًا إحساسًا مختلفًا إذا؛ وكذلك الجزء الثالث؛ فتنشأ الإحساسات الكثيرة ويمر عددها إلى ما لا نهاية له حول إحساس بالألم واحد. ثم يأتي دور الحاسة الرئيسة، فتحس بإحساسها ١٥ هي أيضًا إلى جانب الإحساسات السابقة./ والواقع هو أن كل إحساس من هذه الإحساسات ليس إحساسًا بالألم الكامن في الإصبع، بل إنه إحساس لدى ما يلي الإصبع بأن القدم يتألم، ثم إحساس ثالث بأن الألم إنما هو في جزء آخر فوق القدم. فيؤدي ذلك إلى وجود إحساسات كثيرة بالألم. أما الحاسة الرئيسة فإنها لا تحس بالألم الذي في الإصبع بل بالألم الذي فيها ٢٠ هي./ فلا تدرك إلا ذلك وتدع ما سواه على حاله، ولا يكون لها علم بأن الإصبع تتألم. إن الإحساس بشيء من نوع الألم في الإصبع عن طريق الانتقال هو أمر مستحيل إذا، كما أنه يستحيل على الجسم أن يدرك ما يفعل به غيره، ما دام الجسم حجمًا وما دام الجزء في كل حجم ٢٥ يختلف عن الجزء الآخر./ وإن كان ذلك كذلك، وجب في المحس أن تصوّره بحيث يكون دائمًا، هو ذاته مع ذاته باقيًا على حاله. وإن عملًا مثل هذا لا يتأتى إلا لشيء واحد من الأشياء يختلف عن الجسم.

٨ هذا وإن العرفان يصبح أمرًا مستحيلًا هو أيضًا لو كانت النفس جسدًا مهما يكن. ونستدل على ذلك مما يلي. وهو أن الإحساس يتم بأن تسخر النفس الجسم لإدراك الحسيات، فإن العرفان ليس إدراكًا بوساطة الجسم، وإلا لكان هو والإحساس شيئًا واحدًا./ وإن يكن العرفان إدراكًا بدون وساطة الجسم، فأخرى بالعارف مُدركًا ألا يكون جسمًا. وبعد، إذا كان الإحساس إدراكًا للحسيات، فإن العرفان إنما هو إدراك للروحانيات. وإن قابلوا ذلك بالردّ فإن ثمة عرفانًا لروحانيات وإدراكًا لمنزّهات عن ١٠ المقدار، فكيف يُعرف المقلّد بالكمّ ما ليس خاضعًا للكم؟/ أو يُعرف بقابليته للتجزؤ ما لا يتجزأ بحال؟ أو أنه يُعرف بجزء ما من أجزائه غير قابل للتجزؤ. فإن كان ذلك كذلك، فليس العارف جسمًا، إذ أنه يحتاج إلى ذاته كلًّا حتى يتصل بغيره، بل حسبه لذلك ما يكون فيه على حال الوحدة. وإذا كانوا يسلّمون بأن العرفان في أسمى درجاته، إنما هو معرفة ما يكون أشدّ ١٥ الأشياء تنزّهًا عن الجسمية/ (كما هو الأمر في الواقع)، فإن العارف بالشيء الجزئي ذاته ينبغي له هو أيضًا، عندما يعرف، أن يكون منزّهًا عن الجسمية صائرًا إلى هذه الغاية. أما إذا قالوا في العرفان أنه عرفان للمثل الكامنة في الهولي، فإن هذه المثل لا تصبح غرض العرفان إلا بعد عزلها عن الأجسام، والذي يعزل إنما هو الروح. فإن عزل الدائرة والمثلث والخط والنقطة لا ٢٠ يتم مع البدن أو الهولي بوجه عام./ ويجب في النفس ذاتها، أثناء عملها عند ذاك، أن تعزل

ذاتها عن الجسد. يجب فيها ألا تكون جسمًا إداً. ثم إن الحسن والعدل لا يخضعان للكَمَّ هما أيضًا، فيما أرى، وأنهما يُدْرَكَان بالعرفان. فإذا أقبلا على ما لا يتجزأ في النفس تلتقيهما، وأقاما ٢٥ في ذلك الذي لا يتجزأ منها. / فضلًا على أنه كيف يكون للنفس فضائل لو كانت جسمًا، مثل التعقُّف والعدل والشجاعة إلى ما سواها؟ فإن التعقُّف إنما يكون آنذاك روحًا أو دَمًا، والعدل والشجاعة أيضًا. إلا إذا كانت الشجاعة براءة الروح البخاري من الانفعال،/ وكان التعقُّف الامتزاج إذا نجح، والحسن ضربٌ من التناسق في الصورة يظهر في السمات، وإليه نعود للحكم على الجمال والحسن في الأجسام عندما نشاهدها. أجل إن من لوازم الروح الحيواني أن يكون قويًا حسنًا في سماته. ولكن العفة، ما عسى أن تكون حاجته إليها؟ أفليس يحتاج إلى ٣٥ خلاف ذلك؟ ألا يحتاج إلى أن تلذُّ له الحال بالعناق والملازمة/ حيث يكفل له شيئًا من الحرارة أو يسعى في طلب برودة معتدلة، أو أن يلتصق بالأشياء اللينة اللطيفة والناعمة. أما الجزء بالعدل والإنصاف، فما همُّ الروح البخاري به؟ ولعمري، هل تتصل النفس بمعاني الفضيلة وبالروحانيات الأخرى على أنها أزلية باقية، أم يحظى المرء بالفضيلة لحين، فتؤدي ما تنفع به/ ثم تعود وتنفى؟ ولكن من هو صانعها، ومن أين جاءت؟ وما دام الأمر كذلك، فإن هذا الصانع يتمتع بالبقاء لا محالة هو أيضًا. فلا بدَّ من وجود أزليات باقيات مثلما هو الأمر في الهندسة. وإن كانت هذه الأمور أزلية باقية، فليست جسمًا بحال، ويجب في الشيء الذي تحلُّ فيه أن ٤٥ يكون أزليًا باقيًا هو أيضًا، أعني يجب فيه ألا يكون جسمًا. فإن الجسم في حقيقته كلها لا يبقى/ بل يجري.

١٨ الواقع هو أنهم يشاهدون الأجسام تفعل أفعالها من تسخين وتبريد وتبييض وترطيب وتخفيف وتثقال. فيجعلون النفس في هذا المقام وكأنهم يحصونها في نطاق العمل. وإنهم، إذ يفعلون، إنما يجهلون أولاً أن تلك الأجسام إنما تفعل بالقوة الكامنة فيها المنزهة عن ٥ الجسمية،/ كما أنهم يجهلون أيضًا أننا لا ندعي لهذه القوى أنها من حيِّز النفس، بل المعرفة والإحساس والتفكير والشوق وتعدُّد الأشياء كلها بحكمة وأناقة، وهي أمور تتطلب ذاتًا تختلف عن ذات الأجسام. ولكنهم جعلوا قوى الأمور غير الجسمية في الجسميات، فلم يدعوا قطَّ قوة ١٠ باقية في المنزهات عن الجسمية،/ في حين أنَّ طاقة الجسم على الفعل إنما هي بالقوى غير الجسمية. وتبين هذا مما يلي: إننا لتوقع منهم أن يسلموا بأن الكيف شيء والكم شيء آخر، ثم إن لكل جسم كمًّا وليس لكل جسم كيف كما هو الأمر في الهبولى. وإن سلّموا بذلك أدى ١٥ الموقف بهم إلى أن يسلموا/ أيضًا بأن الكيف غير الجسم، ما دام شيئًا يختلف عن الكم. فكيف يكون الكيف جسمًا ما دام أنه ليس بكم وما دام كل جسم بكم؟ ثم إنه، كما قلنا، إذا جزء

الجسم كله وحجمه كله أيضًا، زال ما كان عليه كلاهما. لكن الكيف، بعد تجزؤ الجسم، يبقى
 ٢٠ كاملاً في كل جزء من الأجزاء. / إن حلاوة العسل مثلاً ليست أقل حلاوة في الكل منها في كل
 جزء؛ ومن ثم فليست الحلاوة جسماً. وكذلك القول في وجوه الكيف الأخرى. هذا فضلاً
 على أنه لو كانت القوى أجساماً لغدت القوى العظيمة بأجسام ضخمة حتماً، ولغدت القوى
 ٢٥ الضعيفة عملها ذوات أحجام صغيرة. / أما إذا كانت القوى الضعيفة تنبعث من الأحجام
 الضخمة، في حين أن القوى العظيمة الهائلة إنما هي قوى الأحجام الصغيرة، لا بل قوى
 أصغر الأشياء حجماً، فيجب في الفعل أن يُردَّ إلى شيء غير المقدار. فيردُّ إلى ما ليس
 بالمقدار إذاً. هذا وإن الهيولى، فيما يقولون، تبقى على حالها ما دامت جسماً، مع أنها
 تُحدث أشياء مختلفة عندما تتلقى الكيف في مختلف وجوهه، أفليس في ذلك بُرهان واضح
 ٣٠ على أن هذه الكيفيات/ الواردة إنما هي بُنى معنوية غير هيولانية وغير جسمانية؟ وليس لهم أن
 يقولوا بعد ذلك أن الحيي يموت إذا انسحب منه الدم أو الروح البخاري. فإن الكيان لا يقوم
 بدونهما كما أنه لا يقوم بدون أشياء كثيرة غيرهما، وليست النفس في واحد منها قط. فضلاً على
 ٣٥ أن الأمر الذي لا شك فيه هو أن الروح الحيواني لا ينفذ إلى الأشياء كلها ولا الدم أيضًا. / أما
 النفس، فبلى.

٢٨ ثم إنه لو غدت النفس، بكونها جسماً، تنفذ إلى كل شيء، ثم امتزجت بغيرها، لكان
 امتزاجها يتم على نحو ما يتم بين سائر الأجسام. وإن لم يكن امتزاج الأجسام ليدع شيئاً من
 الممتزجات باقياً على حاله، فإن النفس لا تبقى بالفعل في الأجسام هي أيضًا، بل بالقوة فقط،
 ٥ فبتل من حيث كونها نفساً. مثل ذلك مثل/ الحلو والمر إذا مُزجا زال الحلو بالامتزاج. فلسنا
 ذوي نفوس آنذاك. هذا وقد يكون امتزاج النفس، إن كانت جسماً، مع جسم آخر امتزاج الكل
 بالكل. فحيث يكون واحد الممتزجين، يكون الآخر أيضًا. فكلا الحجمين واحد، ويشغلان
 ١٠ محلاً واحداً، ولا يزداد أحدهما بالآخر إذا ورد،/ ولا يدع هذا الامتزاج شيئاً من الممتزجين إلا
 ويقطعه أرباباً. ذلك لأن هذا الامتزاج ليس بأن تكون فيه الأجزاء الضخمة جنباً إلى جنب، إذ أنه
 لا يكون بذلك إلا تلاحقاً، فيما يقولون. بل إن الجسم الوارد ينفذ إلى الجسم الآخر كله مهما
 يكن صغيراً. مع أنه من المستحيل أن يساوي الأصغر الأكبر. ولكن لنفترض أنه ينفذ إلى
 ١٥ الجسم الآخر بأسره ويجتازه كلاً بكل،/ إذا كان يجتازه نقطة نقطة ولا يدع شيئاً جسمانياً في
 الوسط إلا ويقطعه إرباً إرباً، فإن هذا التقطيع للجسم إنما ينتهي إلى نقاط آنذاك. وهذا أمر
 مستحيل. فإنه، ما دام ليس للتقطيع نهاية، إذ أن الجسم كيفما اتخذته قابل للتقسيم، فإن
 ٢٠ اللامتناهيات قد تكون أيضًا بالفعل وليس بالقوة وحدها فقط، بل بالفعل أيضًا. / إذاً ليس بوسع

الجسم أن ينفذ أيضًا إلى جسم آخر كلاً بكل. أما النفس فإنها تفعل؛ إنها إذا منزّهة عن الجسميّة.

٨^٣ وننتهي الآن إلى قولهم في الروح الحيواني ذاته أنه «طبيعة» في أول أمره تعرّض للبرد فتشددّ فترداد رقة ولطفًا، فتصبح نفسًا. وهذا قول غير معقول في حدّ ذاته، إذ أن الكثير من الحيوان يلد في الحر وهو ذو نفس لم تدركها البرودة. ولكن مهما يكن الأمر، فإنهم يذهبون إلى أن «الطبيعة» قبل النفس، وأنّ النفس إنّما تنشأ بعمل قرائن تكتنفها من الخارج. فيسوقهم ذلك إلى أن يجعلوا الأقل في المنزلّة الأولى، ثم قبل هذا الأقل شيئًا آخر أقل منه يسمّونه «الاستعداد». أما الروح فإنه يأتي في المقام الآخر وهو ينشأ من النفس لا محالة. ألا، وإنّ الروح إن كان قبل الأشياء كلها، فقد وجب أن نجعل النفس بعده، ثم الطبيعة/ ثم الأقل في المقام الآخر دائمًا حسب المنزلّة التي فطر عليها. وإنّ كان الإله في زعمهم، من حيث أنه الروح بالذات، إنّما يأتي في المقام الأخير، وهو مولود، وحاصل على العرفان بالاكتساب، جاز لنا القول ببطلان النفس والروح والاله أيضًا. وإن جاز في ما كان بالقوة أن يحدث وبصير في حال غياب ما كان بالفعل، أعني الروح، فإن ما كان بالقوة لن ينتهي إلى الوجود بالفعل. ولعمري، ما عسى/ أن يسوقه إلى هذا الوجود بالفعل إلّا شيء آخر سواء يختلف عنه وهو متقدّم عليه؟ أما إذا كان هو بذاته يسوق ذاته إلى الوجود بالفعل، وهذا محال، فإنما يفعل وهو ناظر، على الأقل، إلى شيء يسوق إليه. وليس هذا الشيء موجودًا بالقوة، بل بالفعل. ومع ذلك، فإن كان بوسع ما هو بالقوة أن يبقى على حاله هو ذاته دائمًا، استطاع هو ذاته أيضًا أن ينقل شيئًا إلى الوجود بالفعل، وهذا عمل فوق طاقة ما يكون بالقوة بمعنى أنه/ عمل يرغب فيه ذلك الذي يكون بالقوة. فالأكرم هو الأول إذا، وتختلف طبيعته عن طبيعة الأجسام وهو ثابت بالفعل دائمًا؛ ومن ثم فإنّ الروح فوق الطبيعة، والنفس أيضًا. وما دامت النفس على هذه الحال، فليست بمنزلة روح بخاري أو بمنزلة جسد. هذا، ولقد ورد عند قوم آخرين أشياء أخرى في النفس أنها ليست جسمًا. أما نحن، فحسبنا هنا ما ذكرنا.

٨^٤ هذا وإنه ما دامت النفس من طبيعة غير طبيعة الجسد، وجب البحث عنها ما هي. فهل هي مع كونها مختلفة عن الجسد، شيء من الجسد، كالتناسق الذي يشمل مثلًا؟ فلقد سمّاها الفيثاغوريون تناسقًا بمعنى آخر. ولكنكم تصوّروها هم على نحو ما يكون التناسق بين أوتار العود. فإن الأوتار هنا إذا شدّت/ طرأ عليها شيء كأنه حال تتكيّف به ويُعرف بالتناسق. والأمر، عندهم، يكون على الوجه ذاته في جسمنا ما دام قائمًا على مزيج بين أشياء غير

متجانسة. فيُحدِث هذا المزيج الخاص الحياة والنفس، وهي آنذاك حال من الأحوال يطفو
 ١٠ على وجه المزيج. هذا وقد ورد الكثير عن هذا الرأي أنه مستحيل. / فإنَّ للنفس حقَّ التقدُّم،
 والتناسق بعدها. ثم إن النفس صاحبة الأمر والنهي في الجسم، تشرف عليه، وكثيراً ما تكون
 معه في جهاد، ولو كانت تناسقاً لما كانت لتفعل ذلك. فضلاً على أن النفس ذات وليس التناسق
 قطُّ بذات. هذا ولا ننسى أن مزيج الأجسام التي يتألف منها في ذواتنا، إذا استوفى حدود معناه
 ١٥ إنما هو الصحة. / كما أن الجزء إذا مُزج على غير ما يُمزج سواء نشأت عن هذا المزيج الآخر
 نفس أخرى، فكانت النفوس كثيرة. أما الاعتراض الأهم فهو أنه لا بد، قبل النفس آنذاك، من
 نفس أخرى تُحدِث هذا التناسق مثلما يكون الأمر في أدوات الموسيقى. فإنها تستلزم موسيقاراً
 ٢٠ يجعل التوافق في أوتارها أخذاً من ذاته المعنى / الموسيقي الذي يتقيد به في توقيعه. ولا غرو،
 فإن الأوتار هنا مثل الأجسام هناك ليس بوسعها أن تستخرج التوقيع والتناسق من تلقاء ذاتها. إن
 هؤلاء الأقوام، بوجه الإجمال، إنما يُخرجون المنفوس مما هو غير ذي نفس ويُميزون الأمور
 المحكمَّ نظامها من التي تقوم مصادفةً واتفاقاً على غير نظام، وهكذا لا يصدر النظام عن
 ٢٥ النفس، بل النفس ذاتها تستمدّ كيانها من نظام قام بنفسه من تلقاء ذاته/ بدون مُحدِث
 أحدثه. ولا يجوز في حال مثل هذه أن تقع في الجزئيات ولا في العالم الكلي. فما النفس
 بتناسق إذا.

٨^٥ أما بأيّ معنى يقال في النفس أنها «الفاعلية الكاملة»، فإنه أمر إنما نقف عليه بما يلي.
 لقد قالوا في النفس إنها في المركَّب بمنزلة المثال، مثلما يكون الجسم المنفوس من الهولوى.
 فإنها ليست مثال كل جسد، وليست مثال الجسد من حيث أنه جسد، إنما هي مثال «جسم
 ٥ طبيعي أكي بوسعها أن يكون حيّاً». فإذا قوبلت/ مع الحدّ الذي شُبِّهت به، أصبحت بمنزلة الهيئة
 في تمثال من نحاس إذا قسّم الجسم تجزّأت النفس معه، وإذا قطع منه جزء قطع معه جزء من
 أجزاء النفس، فضلاً على أن النفس لن تنسحب أثناء النوم عند ذاك ما دام شأن «الفاعلية الكاملة»
 ١٠ أن تلازم الشيء الذي تحلّ فيه وألّا تغادره؛ / بل لا مجال للنوم حينئذ في حقيقة الواقع. كما أنه
 ما دامت النفس «فاعلية كاملة»، فلا نزاع بين العقل والشهوة أيضاً إذ النفس كلّاً لا تكون في
 خلاف مع ذاتها، بل يشملها الانفعال كلها معاً وهي واحدة باقية على ما هي في ذاتها. وربما لم
 ١٥ يتيسّر للانسان آنذاك إلّا الإحساس فقط؛ أما العرفان فيصبح مستحيلًا. ولذلك لجأ المشاؤون/
 إلى نفس أخرى أدخلوها في تقديرهم، أو إن شئنا فلنقل أنه الروح، الذي يجعلونه خالداً. وعليه
 كانت النفس الناطقة «فاعلية كاملة» من وجه غير هذا الوجه إذا، إذا وجب في هذا الاسم أن
 نستخدمه هنا. وكذلك القول في النفس الحاسة، ما دامت هي أيضاً، تحمل في جنباتها انطباع

٢٠ الحسّي، حتى في حال غيابه، فإنها لا تكون حاصلة عليه وهي مع الجسد/ وإلاً لغدا هذا الحسّي كامناً فيها صورة ورسماً، فيستحيل عليها أن تتلقّى شيئاً غيره آنذاك. ليست للنفس الحاسة «فاعلية كاملة»، تلازم الجسم إذًا، ولا تفارقه. وكذلك القول في النفس الشهوانية. ولست أعني شهوة الشرب والطعام، بل الرغبة في الأمور الأخرى غير الجسمانية. فإن هذه النفس ليست، هي أيضًا، «فاعلية كاملة»، تلازم الجسد. بقي النفس النباتية، / فإنها تبدو على جانب من الالتباس فيما إن كانت «فاعلية كاملة» لا تفارق الجسد على الوجه الذي شرحناه. لكن الظاهر فيها أنها ليست كذلك. فإن الأصل في كل شجرة، إنما هو كامن في جذورها. وإذا يس سائر الشجرة بقي الأصل حول الجذور، وأدّى الجذع في أغلب الحالات. ويدل هذا على ٣٠ أن النفس النباتية/ تخلّت عن سائر الأجزاء وتجمّعت في جزء واحد. ومن ثم فإنها ليست «فاعلية كاملة» تلازم الجسد كلّها هنا. هذا فضلًا على أنها، قبل أن ينمو النبات ويعلو، إنما تكون في حجم صغير. وإذا ما كانت تتقل من نبت كبير إلى آخر صغير، ثم من صغير إلى كبير، فأى مانع يمنعها من أن تفارق النبت فراقًا مطلقًا؟ ثم كيف تكون/ «فاعلية كاملة» لجسم قابل للتجزؤ إن كانت هي لا تتجزأ؟ على أن النفس ذاتها تخرج من حيوان فتصبح نفس حيوان آخر: فكيف تغدو نفس الأول نفسًا للآخر لو كانت «فاعلية كاملة» لحيوان واحد؟ ويبدو هذا الاعتراض بجلالة من التحوّلات التي تقع بين حيوان وحيوان. إن النفس لا تستمدّ كيانها من ٤٠ كونها مثالاً لشيءٍ إذًا/ بل إنها ذات، وليست لتحصل على الكيان إذ تقيم في الجسد. وما دامت النفس موجودة قبل أن تكون نفس شيء، كالحَيوان مثلاً، فإن الجسد لا يولّد النفس. وبعد، ما هي النفس في ذاتها؟ إن لم تكن بدناً ولا حالاً من أحوال البدن وإن تُك عملاً وفعلاً، يكمن فيها ٤٥ الكثير ويخرج منها الكثير/ فما عسى أن يكون نوعها في ذاتها وهي شيء يختلف عن الأجسام؟ ألا، إنها ذلك الذي نقول فيه إنه حقًا. إن الجسماني كله إنما نقول فيه أنه شيء يصير، وليس ذاتًا بحال. أجل، إنه شيء «صائر، زائل، ولن يكون حقًا». وإذا كان باقياً، فإنه كذلك بوساطة الاشتراك وبقدر ما إنه يشارك الحق في كونه باقياً.

٩ أما الحقيقة الأخرى تلك التي لها كيانها من ذاتها، إنما هي كل ما يكون حقًا فلا يصير ولا يزول. بل إنه لو زالت هذه الحقيقة لما كان شيء بعدها، وهي التي تكفل البقاء للأمور ٥ الأخرى وللعالَم الكلي ذاته الذي تحفظه النفس وتسوّيه في خطوطه ومعالمه. / فإنها هي أصل الحركة إذ تمدّ غيرها بالحركة في حين أنها تتحرّك هي من تلقاء ذاتها. ثم إنها هي التي بالحياة كل جسم منفوس في حين أنها تتلقّى الحياة من ذاتها هي، فلن تفقدها ما دامت هي التي تتلقّاها من ذاتها. ولا يجوز في الأشياء كلّها أن تكون حياتها حياة مكتسبة، وإلاً لمضى الأمر إلى غير

١٠ نهاية . بل يجب في حقيقة ما/ أن تتمتع بالحياة أصلاً، ويجب في حياتها أن تكون حياة لا يعترىها الفناء خالدة حتمًا، ما دامت هي لغيرها معين الحياة . في هذا المقام يجب أن يجعل كل أمر رباني ناعم بالسعادة، يحيا بحياة من ذاته، ويكون بكيان من ذاته، له الكيان والحياة أصلاً،
 ١٥ لا سبيل للتغيير إليه ذاتًا، / فلا يصير من حال إلى حال ولا يزول . فأني له أن يصير من حال إلى حال، وإلاّ يتحول بعد فساد؟ وإن وجب في إسم الحق أن يُتخذ على معناه الحقيقي، فالذي يجب في الحق هو ليس أن يكون حقًا تارةً وباطلاً أخرى . كما أن الأبيض، من حيث كونه لونًا،
 ٢٠ لا يكون تارةً أبيض وأخرى غير أبيض . ولو كان الأبيض هو الحق/ أيضًا لكان دائمًا هو الحق، فضلًا على كونه هو الأبيض . لكنه ليس له إلاّ كونه أبيض . أما ما يكون هو الحق من تلقاء ذاته أصلاً، إنما يبقى الحق دائمًا . فإن هذا الذي هو الحق أصلاً ودائمًا، إنما يجب فيه ألا يكون شيئًا
 ميثًا من الحجر أو الخشب، بل شيئًا متمتعًا بالحياة . كما أنه يجب فيما يبقى منه دائمًا على حاله
 ٢٥ ولا يتغير أن يتمتع بحياة صافية لا يشوبها كدر . / أما ما مُرّج منه بما يكون أحطُّ شأنًا، إنما تحول الحوائث بينه وبين انطلاقه إلى الأفضل . ولكنه لا يفقد حقيقته في ذاتها، بل يعود فيسترجع كيانه الأول ما دام مستمرًا في الارتقاء إلى ما هو من قبيله .

١٠ أما كون النفس من جنس الحقائق الربانية الأزلية، فإنما هو أمر يتبين من الدليل على أنها ليست جسمًا بحال . ثم أنها «ليس لها هيئة تتكيف بها، ولا لون، ولا ينالها اللمس قطّ» . ولكنّا
 نستطيع أن نستدلّ على انتفاء الجسميّة عنها بما يلي أيضًا . لقد ثبت لدينا أن كل أمر رباني، وأن
 ٥ ما هو الحق حقًا، إنما يتمتع بحياة صالحة/ فاضلة . فيجب علينا الآن أن نتقل إلى ما يلي ذلك، ونبادر إلى البحث عن نفسنا ذاتها، ما عسى أن تكون في حقيقتها . فلننظر إلى نفس غير التي في الجسد، وهي معرّضة للشهوات البهيمية وللاضطرابات الخاضعة للانفعالات المختلفة .
 ١٠ ولننظر إلى تلك التي عدلت عن هذه النزعات، ويقدر ما أنها تشارك الجسم في شيء . / فإنه يتبين من مثل هذه النفس أن الشر إنما هو شيء يضاف إلى النفس وأنه يرد عليها غريبًا، إذا تطهرت حلّت فيها الأحوال الشريفة والحكمة إلى ما سواها من فضائل على أنها من لوازمها
 الخاصّة . وإن كانت النفس، إذا رجعت إلى ذاتها، من هذا الطراز إذاً، فما لها لا تكون في
 ١٥ حقيقتها من نوع ما وصفناه بأنه الأمر الرباني الأزلي في حقيقته؟ ذلك لأن الحكمة والفضيلة الحقيقية إنما هي أمور ربانية لا تحلّ في شيء يفسد ويزول . بل يجب في الشيء الذي تحل فيه أن يكون ربانيًا حتمًا، ما دام يشارك الربانيات في وجودها بكونه متجانسًا معها، شبيهاً بها في
 ٢٠ الذات . فمن هنا بدا الفرق ضئيلًا بين كل من كان متًا على هذه الحال وبين العلويات، / وذلك بقدر ما يقلّ هو من حيث القدر الذي يكون منه في الجسد . ولذلك نقول أيضًا أنه لو كان كل

إنسان على هذه الحال، أو لو كانت جماعة من الناس تتمتع بنفوس من هذا النوع، لما أنكر على النفس منكر أن ما يكون منها في الإنسان هو أمر خالد. إلا أنهم يرون النفس مشوّهة عند الكثير، فلا يتصوّرونها شيئاً ربّانياً أو شيئاً خالداً. / مع أنه يجب في حقيقة الشيء إذا بحثنا عنها أن ننظر إلى هذا الشيء وهو بعد في صفوته إذ أن الزيادات التي تعلق به تحوّل دائماً بينه وبين إدراكه على ما هو في ذاته. أمعن النظر في حين أنك تميّز النفس أو بالأحرى، فليستد المرء نظره وهو يتبيّن ذاته. / فإنه ليؤمن آنذاك أنه خالد، إذ أنه يشاهد ذاته وقد صار في عالم الروح والصفاء. ذلك لأنه آنذاك يشاهد الروح وهو ينظر. لا ينظر إلى شيء حسي أو إلى أمر من هذه الأمور الفانية؛ بل إنه ينفذ مع عرفانه بالأزلي فيه إلى الأزلي ذاته، وإلى كل ما في عالم الروح، وإلى هذا العالم، بعد أن يكون قد أصبح هو ذاته روحانياً نورانياً. / لقد أُنشع في الحق الذي يأتي من الخير المحض والذي ينشر ضياء الحق على الروحانيات كلها. فما أكثر الأحوال التي يبدو له فيها آنذاك حسن ما قاله الشاعر: «السلام عليكم، إنّما أنا إله لا يموت»! أجل، يعرض له ذلك وهو يرتقي إلى عالم اللاهوت محدّقاً إلى التماثل الذي يتبيّن بينه وبين هذا العالم. / وإذا كان التطهير هو الذي يحلنا في معرفة الأمور الشريفة، فإن العلوم إنما تظهر هي أيضاً منبعثة من الباطن، وأعني بها تلك التي تكون علوماً حقاً. فالواقع هو أن النفس لا تشاهد «العقّة والعدل» لدى تطوّرها في الخارج، إن جاز لنا القول. إنما تشاهد هي ذاتها في ذاتها إذ تنفذ بالعرفان إلى ذاتها/ وإلى ما كانت عليه في أصلها وفطرتها. فكأنما تشاهد تماثيل منصوبة في باطنها، وكأن هذه التماثيل قد اعترها الصدا على مرور الزمان، فتأخذ النفس في حقها. مثل ذلك مثل الذهب لو كان شيئاً مفوساً وأخذ ينزع عنه ما علّق به من الأحوال. فإنه يجهل ذاته في أول أمره لأنه لا يشاهد ذهباً. ثم ها هو يعجب من ذاته أمراً عندما يرى ذاته معزولاً عن كل شيء. / فإنه أدرك أنه لا يحتاج إلى حسن مكتسب، وهو يزدهي بالعظمة لو ترك على حاله وخليّ بينه وبين ذاته.

١١ أي صاحب روح عسى أن يتردّد في شأن أمر من هذا المقام أنه خالد؟ فإن من توقّرت له الحياة من تلقاء ذاته، كان فقدانها لها شيئاً مستحيلاً. وكيف يفقدها ما دام أنه لم يكتسبها اكتساباً، وأنها ليست هي لديه بمنزلة الحرارة من النار؟ ولست أعني أن الحرارة من النار بمنزلة الشيء المكتسب. / بل إنها، وإن لم تكن لدى النار شيئاً مكتسباً، هي كذلك لدى الهيولى التي تقوم النار عليها، إذ أن النار تزول بوساطة الهيولى. فلا يقال في النفس أنها تصبح حيّة بمعنى أنها تكون هيولى تقوم الأشياء عليها، ثم تقبل الحياة على هذه الهيولى فتظهر النفس في قوامها. ذلك لأننا هنا بين أمرين: أو إن الحياة هي ذات، فتمتّع ذات من

١٠ هذا الطراز من تلقاء ذاتها/ هي بالحياة، ويكون هذا هو الذي تبحث عنه حقًا، أعني النفس؛ ولا بدّ لهم آنذاك من أن يسلموا بهذا الأمر إنه أمر خالد لا محالة. وإلا اضطرهم الموقف إلى أن يحلّوه على أنه شيء مركّب هو أيضًا، حتى ينتهوا إلى ما يكون فيه خالدًا يتحرك من تلقاء ذاته، ولا يجوز عليه أن يكون بينه وبين الأشياء الفانية علاقة. أو أنهم يقولون في الحياة إنها حال من الأحوال ورد على الهیولی. وحينذاك يضطرهم قولهم إلى الاعتراف بأن ذلك الذي أتى الحال/ ١٥ منه إلى الهیولی، مهما يكن، إنما هو شيء خالد ما دام لا يتّسع لغير ما يحمله إلى سواء. والواقع هو أن ثمة حقيقة قائمة في الوحدة تتمتع بالحياة فعلًا وحقًا.

١٢ هذا فضلًا على أنه إن قالوا في كل نفس أنها فانية، لوجب في الأشياء كلها أن تكون قد فئت منذ زمان بعيد. أما إن قالوا في نفس أنها خالدة وفي أخرى أنها ليست خالدة، كأن يقولوا في نفس العالم الكلي مثلًا أنها خالدة وينفوا الخلود عن نفسنا، فيجب عليهم الإدلاء بالدليل على ذلك. فإن النفسين كليهما تتحرّكان وتحركان غيرهما من تلقاء ذاتيهما، ومن تلقاء ذاتيهما ٥ تتمتعان كليهما بالحياة. كما أن كليهما تتصل بأشياء واحدة وبوساطة الملكة ذاتها،/ إذ أنه يدرك بالعرفان ما في السماء وما وراء السماء ويبحث عن كل شيء ما هو في ذاته وينتهي في ارتقائه حتى إلى أصل الأشياء الأول. ثم إن النفس تدرك الشيء الفردي ذاته بالعرفان من تلقاء ذاتها، منطلقة مما يكون كائنًا في باطنها ومما تُسرّ لها الذكرى. الأمر الذي يكفل لها كيانًا متقدّمًا على كيان البدن ويجعلها خالدة هي ذاتها ما دامت المعلومات التي بين يديها معلومات ١٠ خالدة./ هذا وإن كل ما كان قابلاً للتحليل لقيامه في الكيان بواسطة التركيب، إنما هو مفطور على أن يتحلّل على الحال ذاتها التي بمقتضاها كان مركّبًا. أما النفس، فإنها شيء قائم في الوحدة، بسيط، ثابت بذاته فعلًا في واقع الحياة؛ فلا يعتريها الفساد من وراء ذلك. ولكن ربّ ١٥ قائل يقول: قد تغنى إذا جرّئت وقُطّعت./ فنقول: لقد أثبتنا أن النفس ليست حجبًا ولا شيئًا ذا كم. فيقال: ولكنها إذا تغيّرت إنتهى بها الأمر إلى الفساد. فنقول: إن التغيّر يُفسد بأن يزيل المثال ويدع الهیولی على حالها؛ وهذا إنما يطرأ على المركّب. إذا كانت النفس لا يعتريها ٢٠ الفساد بوجه من هذه الوجود إذا، فإنها مئزّهة عن الفساد حتمًا./

١٣ وكيف أتت النفس إلى البدن ما دام الأمر الروحاني شيئًا مفارقًا؟ ذلك لأنّ الروح، بقدر ما يكون وحده مع ذاته، إنما يبقى دائمًا في العالم الأعلى، بين الروحانيات، مئزّها عن الانفعال، متمتعًا بحياة نورانية فقط؛ فإنه ليس فيه ميل ولا رغبة. أما الشيء الذي تحصل الرغبة فيه، وهو يلي ذلك الروح فورًا، فإن الرغبة تتضاعف عليه وكأنه يخطو متجاوزًا حدود

٥ ذاته / وهو يرغب آنذاك في أن يمدَّ خطوطاً ومعالم تتوافق مع الأمور التي يشاهدها في الروح بعد أن أصبحت فيه وكأنه الحامل جاءتها أوجاع المخاض، فيجهد ذاته صانعاً مبدعاً. فإذا أجهدت النفس ذاتها تمددت حول العالم المحسوس وهي لا تزال تشارك النفس الكلية في الإشراف على ما سواها في العناية بأمور العالم الكلي. / غير أنها تحاول الاستئثار بتدبير أمور جزء دون غيره من أجزاء هذا العالم، فتعزل. وإذا حلَّت في ذلك الذي تكون فيه، فإنما تحل بمعنى أنها تصبح بأسرها وكلُّ شيئاً من الجسم، بمعنى أنها تحتفظ بشيء يبقى مستقلاً عن الجسم. بل إن روحها يبقى منزهة عن الانفعال. أما هي فتكون تارة في الجسم وطوراً منفصلة عنه. لقد رحلت عن مقام / الأوليات وانتهت إلى مقام الثالث من دون حدود الروح. وهي أثناء ذلك عمل الروح الذي يبقى ثابتاً في نطاق ذاته في حين أنه، بوساطة النفس، يملأ الأشياء كلها حسناً وينسّق بين خطوطها ومعالمها. إنه لعمرى عمل خالد لا يزول، أداة بين يدي روح خالد لا يزول هو أيضاً، ما دام هو ذاته باقياً على الدوام يفعل دون كَفٍّ ولا انقطاع.

١٤ أما النفس في الأحياء الأخرى، فإن النفوس التي هبطت وانتهت إلى مستوى أجسام البهائم إنما هي خالدة هي أيضاً حتماً. وإن كانت ثمة نفس من نوع آخر، فيجب فيها ألا تأتي هي أيضاً إلا من الطبيعة الحيّة، ما دامت هذه الطبيعة علّة الحياة في الأحياء، حتى أنها علّة الحياة في النبات ذاته. / فإنّ الأنفس كلها تنبعث من أصل واحد، وتمتّع كل منها بحياتها الخاصة، منزّهة عن الجسمية هي أيضاً، كما أن كلّاً منها ذات لا تتجزأ. وإن قال قائل إن نفس الإنسان ما دامت ثلاثية الأجزاء، لا بدّ من أن تنحلّ لأنها مركّبة، قلنا: إن الأنفس الطاهرة الناجية عن ذاتها/ ما علق بها في عالم الصيرورة. أما النفوس الأخرى فستبقى مقرونة بهذا العلق حَقَباً طوالاً. بيد أن الدونيات التي تُنبذ جانباً لن تنعدم هي أيضاً، ما دام القائم بأمرها ثابتاً في الوجود. فإن شيئاً لن ينعدم ما دام له من الحق نصيب.

١٥ لقد فرغنا من ذكر ما لا بدّ من القول فيه مع الذين يطلبون قياساً وبرهاناً. أما ما ينبغي ذكره من الذين لا يصدّقون إلا بمباشرة الحس، فإنما ننتقيه من الأخبار الواردة في موضوعنا وهي كثيرة. منها ما ورد في الآلهة عن أنها تكلف بتسكين غضب النفوس التي نالها ضيم ما، / وبتكريم الأموات كأنما يُحسّون. وهكذا يفعل الناس جميعهم نحو كل فقيد رحل. هذا وإن نفوساً كثيرة انعتقت من الأجسام بعد أن حلَّت قبل ذلك في بعض الآدميين، لا تزال تعمل لهم خيراً حتى الآن. فإنها ما دامت تطلعنا على هوائف الغيب وتأتي بالخدمات من نواح شتى، فإنها تؤدّي لنا نفعاً. / فضلاً على أنها، بلسان حالها، تثبت لنا أن النفوس الأخرى لم تقنْ هي أيضاً.

الفصل الثامن

(٦)

في هبوط النفس الى الأبدان

١ ما أكثر ما أُنَبِّه إلى نفسي متجرِّداً من بدني، فأصير خارجاً عن سائر الأشياء خالياً إلى ذاتي. فأدرك من الحسن العجب العجيب، وأصبح على يقين قوي من أن المعاد المقدَّر لي إنما هو خير المعاد، وأتمتع فعلاً بالحياة وهي في أسمى درجاتها. ثم إنني إذ أنتهي إلى هذا المقام بالفعل، أصبح أنا والعالم الإلهي شيئاً واحداً، وأنا فيه مقيم، وقد استويت فوق كل أمر روحاني آخر. / ثم إنه، بعد تلك الإقامة في العالم الإلهي وهبوطي من مستوى الروح الى مستوى الفكر والروية، يشكل عليَّ أمر انحداري الآن، وكيف أصبحت النفس عندي على هيئتها في البدن ٥ على نحو ما ظهرت لي في حدِّ ذاتها، بالرغم من/ كونها في البدن. فإن هيرقليطوس الذي يدعونا إلى البحث في الموضوع يفترض وجوب التبادل بين المتناقضات، ويشير إلى «طريق صاعدة ونازلة»، وإلى شيء «يبقى ساكناً وهو يتغيَّر»، وإلى أنه «يشقُّ على المرء أن يجاهد مع ١٥ الأمور ذاتها وأن تكون حياته دائماً عوداً على بدء». فيدع بين يدينا/ مجازاً ويهمل أن يوضع كلامه. وربما كان يرى من الواجب علينا أن نبحث نحن أيضاً، كما أنه بحث هو ذاته ووجد. أما أنباذوقليس فيقول أنه «حكَّم على النفوس الآثمة أن تسقط إلى هذا العالم» وأنه «جاء، هو ٢٠ المنفي من العالم الإلهي، طائئاً للخصومة الهوجاء». فلم يكشف إلّا من القدر الذي كشف/ عنه فيثاغورس، فيما أرى. ثم جاء الذين أخذوا عنه فذهبوا كل مذهب في التأويل حول هذا القول الذي ذكرناه وحول أقوال أخرى منه كثيرة. هذا فضلاً على أن الأسلوب الشعري لم يُنَّج له أن يكون واضحاً في كلامه. بقي الآن أماننا أفلاطون الإلهي الذي كثيراً ما تناول البحث عن ٢٥ النفس وأحسن الكلام فيها، فذكر مجيئها إلى هذا العالم في غير مقال من مقالاته؛ / بحيث أن لنا أملاً بأن نعثر عنده على شيء صريح واضح. فماذا يقول هذا الفيلسوف؟ الظاهر أن الرجل لا يستقر على رأي واحد حتى نستطيع أن نتبين قصده بسهولة. ولكنه مقيم على احتقاره ٣٠ للمحسوس، ولا يزال يُعيب على النفس إتصالها بالبدن ويقول في أنها فيه مقيّدة مدفونة. / كما أنه يستعظم ما يقال في الحفلات الدينية السريّة من أن النفس إنما هي في سجن. ثم إن

الكهف عنده، مثل المغارة عند انبأذوقليس، إنما هو، فيما أرى، هذا العالم الكلي ذاته حيث
 ٣٥ يعني انفكاك النفس من قيودها وانطلاقها/ من الكهف الارتقاء إلى العالم الروحاني: فلقد ورد
 في كتاب «الفيدروس» أن فقدانها ريشها هو سبب مجيئها إلى هذا العالم؛ ثم انعتقت وصعدت
 فعادت الأدوار ودفعتها إلى دنيانا، فيما يقول. وناهيك بسائر النفوس التي تبعث بها إلى هذا
 ٤٠ الموطن أحكام وحظوظ ومصادفات وجثوم. إن أفلاطون في كل هذه المقاطع يذكر هبوط/
 النفس إلى البدن على أنه أمر مذموم إذًا. ولكنه في كتابه «التيمائوس» يثني على العالم المنظور
 ويعني به عالمنا الكلي، ويقول فيه أنه إله موفور السعادة. كما أنه يقول في النفس أنها من صانع
 فاضل صالح أمدُّ بها العالم الكلي ليكون ذا روح ما دام يجب في هذا العالم أن يكون ذا روح
 ٤٥ ويستحيل عليه، بدون نفس، أن يصبح على هذه الحال. / فإن الإله أرسل النفس من أجل العالم
 الكلي في حد ذاته أولاً، وأرسل نفساً لكل مئاً من أجلنا حتى يكون هذا العالم الكلي مكتملاً.
 ذلك لأنه ينبغي في أمور العالم الروحاني على اختلاف أنواعها، أن تكون في العالم الحسي هي
 ٥٠ هي وعلى مقدارها من حيث إنها أجناس الحيوان المختلفة. /

٢ ومن ثم، فإننا إذ نحاول أن نأخذ عن هذا الفيلسوف شيئاً يطلعنا على نفسنا ما هي،
 اضطرنا الحال إلى أن نعرض للبحث عن النفس بوجه عام، كيف فُطرت على أن تكون متصلة
 بالبدن. ثم إنه يضطرنا إلى البحث حول حقيقة العالم من أي طراز يجب فيه أن يكون، هو الذي
 ٥ تقيم فيه نفس، سواء أكانت إقامتها/ طوعاً أو كراهية أو من وجه آخر مهما يكن. ويضطرنا
 الحال أخيراً إلى البحث حول الصانع هل صنع مباشرة ومندفقاً من تلقاء ذاته، أو مثلما تُصنع
 نفوسنا بوجه ما. فإنه يجب في هذه النفوس، ما دامت تسير أمور أجسام دونها مقاماً، أن
 ١٠ تغوص في هذه الأجسام إلى بواطنها. هذا على الأقل إن كان شأن نفوسنا أن تسود أجسامها. /
 إذ أن أجزاء الجسم تشبَّت، فينبذ كل جزء محلّه في حين أن الأشياء في العالم الكلي يلزم كل
 منها المحل الذي عيّنت له الطبيعة. أما الجسم الجزئي فإنه يتطلب عناية مختلفة الوجه شاقة
 لأنه معرض دائماً للطوارئ الكثيرة الغريبة عليه ولأنه قيد الحاجة ورهنها؛ وهو في حالته
 ١٥ المرهقة لا بدّ له دائماً من معين يعينه. / أما جسم العالم الكلي فإنه طوع الإشارة مهما
 خفّت، إن جاز لنا القول، لأنه كامل، بالغ، مكتفٍ بذاته لا يعترضه شيء يتنافى مع طبعه.
 ثم إن نفس العالم الكلي إنما تكون في الحال الذي فُطرت على أن تريده لها دائماً، فلا تشتهي
 ولا تنفعل؛ ولا شيء منها ينسحب، ما دامت هي لا تقبل زيادة ولا نقصاناً. ولذلك يزيد
 ٢٠ أفلاطون على قوله في نفسنا أنها إن/ كانت متصلة بتلك النفس الكاملة أصبحت كاملة هي
 أيضاً، وأخذت تجول في السماء وتسوس العالم كله. وما دامت نفسنا نزيهة، تتحاشى أن

تدخل في الأبدان، أو أن تكون خاصة بدن ما، فإنها تغدو مثل نفس العالم الكلي وتشاركها بسهولة في سياسته. ذلك لأن النفي لا ينالها ضرر في كل حال إذا كفلت للجسم/ القوة على أن يكون وعلى أن يستوي في العافية. فإن العناية بما هو في الدون لا تحرم صاحبها دائماً من أن يبقى في مقامه الشريف الفاضل. فإن للعناية بالكل وجهين: عناية يدبّر الكل الشامل بها أموره، ويأمر ساكنًا مطمئنًا كالملك يفرض سلطته؛ وعناية يتخلّل فيها بعض الجزئيات بعضها الآخر، وهي عناية يقوم بها الصانع الجزئي ذاته بملامسة الشيء المصنوع،/ فيمتلىء الصانع بطبيعة المصنوع ويتطّبع بها. هذا وإنّا نقول في النفس الإلهية إنها تسوس السماء كلها على الوجه الأول دائماً. فإنها تشرف على العالم بأشرف جزء من أجزائها وتبعث إلى بواطنه آخر قوة من قواها. فلا يُستتكر من الإله أنه جعل نفس الكل في مقام سفلي/ ثم إن النفس لم تحرم مما يوافق طبعها، بل إنها حاصلة عليه أزلًا وسيدوم لها. بل يستحيل في هذا الحال أن يتنافى مع طبعها ما دام هو لم ينقطع عنها، وهو متوافر لها دائماً وليس لكونها عليه بداية. هذا ويقول أفلاطون أيضًا في نفوس الكواكب إنها من أجسامها مثلما أن النفس الكلية من العالم الكلي،/ إذ إنه يجعل أجسام الكواكب داخلية في دورات النفس. الأمر الذي يؤدي به إلى أن يحفظ لهذه الكواكب السعادة اللاتئة بها. ولا غرو، فإن اتصال النفس بالجسم يصبح أمرًا شاقًا لسبيين: الأول منهما هو أن هذا الاتصال يحوّل دون العرفان، والآخر هو أن يملأ النفس بالذات/ والشهوات والآلام. وليس للأمرين كليهما سبيل إلى نفس الكواكب. فإنها لا تغوص إلى باطن الجسم فيغمرها، وليست خاصة جسم معيّن؛ كما إنها ليست هي للجسم، بل إن الجسم هو الذي يكون لها. وهو جسم لا يحتاج إلى شيء ولا ينقصه شيء، فلا يخشى على النفس من أن تملك الشهوات والمخاوف عليها أمرها. / فإن النفس آنذاك لا تتوقع خطرًا قطّ من جسم مثل جسمها، ولا خوف عليها من همّ يميل بها إلى السفليات فيحوّلها عن مشاهداتها السامية المسعدة. بل إنها دائماً مع الروحانيات تعمّر العالم الكلي وتنظّمه بقوة هادئة مطمئنة.

٣] وننتهي الآن إلى الكلام على النفس البشرية. لقد قيل فيها إنها تقاسي الشر والعذاب في البدن، وإنها أصبحت فيه عرضة للغم والشهوة والمخاوف وغيرها من أنواع الشرور. فالجسم لها قيد وقبر والعالم كهف ومغارة. ومع ذلك فإنّ هذا القول لا يتنافى مع ما سبق من القول في النفس إذ إن أسباب الهبوط هنا تختلف عنها هنالك. / إنّ الروحانيات كلها، الروح الكلي وكل أمر روحاني، إنما هي قائمة في مقام الروح الذي نسميه أيضًا العالم الروحاني. ثم إن هذا العالم يحيط بقوى روحانية وأرواح جزئية تقيم فيه، إذ إن الروح ليس روحًا واحدًا فقط، بل إنه

١٠ واحد وكثير. فلا غرو إن وجب/ في النفس أن تكون واحدة وكثيرة هي أيضًا، وأن تنبعث من النفس الواحدة الأنفس الكثيرة المختلفة. على أن الأمر هنا إنما هو مثلما يكون في الجنس الواحد تخرج منه الأنواع، فمنها الشريف ومنها الخسيس. فنفس تكون أشد روحانية من غيرها، وأخرى أقل تحقيقًا للروحانية. ذلك لأن العالم الأعلى، وهو عالم الروح إنما ينطوي من ناحية على الروح الشامل الذي يحيط بالروحانيات الأخرى كلها بالقوة، فكأنه حيوان عظيم. / كما إنه ينطوي من ناحية ثانية، على الروحانيات الجزئية، كل منها يحقق بالفعل ما يتضمنه الآخر بالقوة. مثل ذلك مثل بلدة نفترضها منفوسة يسكنها ذوو أنفس؛ فإن نفس البلدة أعظم من نفوس السكان كمالًا وقوة. وإن كان لا يمنع مانع من أن تكون هي وهذه النفوس من طبيعة واحدة. أو أن حالتنا تشبه أيضًا حالة النار الكلية تخرج منها النار العظيمة والنيران الصغيرة. فإن النار في حقيقتها الكلية إنما تكون النار الكلية حقًا، / أو تكون بالأحرى تلك التي تخرج منها طبيعة هذه النار الكلية. فعمل النفس الناطقة إنما هو العرفان؛ ولكنه ليس العرفان فقط، وإلا فبماذا تختلف النفس عن الروح؟ لقد تَلَقَّتْ إلى جانب كونها روحانية شيئًا آخر، فلم تَبَقْ في صفاء الروح. مع أن لها وظيفة تنفرد بها هي أيضًا ما دام أن لكل ما يمتُّ بالروحانيات وظيفته الخاصة. / فإذا ما نظرت إلى ما كان متقدمًا عليها غدا عملها العرفان. وإذا نظرت إلى ذاتها، فإنما تنظر في الآن نفسه إلى ما هو متأخر عليها فتتظمه وتدبر أمره وتفرض عليه سيادتها. ذلك لأنه كان من المستحيل أن تقف الأشياء عند حدود ما في عالم الروح، ما دام في الإمكان أن ينشأ عالم غيره، قد يكون أخطأ منه شأنًا، ولكنه لا بد منه حتمًا ما دام ذلك العالم الذي يتقدمه/ ضروريًا هو أيضًا.

٤ هذا وإن النفوس الجزئية إنما تعتمد على رغباتها الروحانية عندما توجه وجهها إلى المقام الذي أتت منه. لكن بوسعها أن تتوجه بقواها إلى ما تحتها أيضًا. فهي مثل النور الذي لا يزال مرتبطًا بالشمس من فوقه لا يخل بإعطائه لما يكون تحته. ثم إن تلك النفوس منزّهة عن الألم ما دامت/ في عالم الروح مع النفس الكلية، كما أنها تشارك هذه النفس في سياسة العالم الكلي إن كانت هي في السماء. فالنفوس الجزئية آنذاك بمنزلة الملوك المقيمين حول السيد الأعظم، يساعدونه في تنفيذ أحكامه من غير أن ينزلوا عن مقاماتهم الملكية. فإن تلك النفوس إنما تكون معًا حينئذ وفي المقام الواحد. لكنها لا تلبث أن تتحوّل من الكل إلى الجزء/ وإلى الكيان في الذات؛ وكأن الكيان مع غيرها قد أعياها فتنسحب إلى ما تكون عليه في الذات. فإذا استمرت النفس الجزئية على هذا الحال فترة من الزمان هاربة من الكل، قائمة في حال التمايز عن غيرها، لا تنظر إلى العالم الروحاني، إن عزلت وأصبحت جزءًا. فهي هي تضعف وتتورّع

١٥ الأشغال الكثيرة همها، ولا تنظر إلّا إلى الجزء، / ويؤدّي بها انفصالها عن الكل إلى أن تقع على شيء واحد فائزة من كل ما سواه. فتقبل عليه وتلتفت إليه وهو شيء تدافعه الأشياء الأخرى كلها. أجل لقد ابتعدت عن الكل، وها هي ذي الآن يشقّ عليها تدبير ذلك الشيء الجزئي فتتصل

٢٠ بما هو خارج عنها وتعالجه وتحضر إليه، / وتتجاوز في غوصها إلى بواطنه الحدّ اللائق بها. هذا ما أدّى بها إلى أن يسمّى فقدان ريشها، وإلى تكييلها بقيود البدن. لقد سُلّبت حال البراءة الذي كانت عليه وهي منصرفة إلى تدبير العالم الأشرف، وهو حال كانت تكفلها لها النفس الكلية.

٢٥ وما كان أحسنه من حال ترتقي صعدًا وهي عليه. لقد سقطت إذًا، / وها هي الآن مكبّلة بالقيود، تلجأ إلى الإحساس في عملها لأنها حيل بينها وبين أن تقوم به منطلقة من الروح. ويقال فيها آنذاك أنها في قبر مدفونة، وفي كهف محجوبة. لكنها إذا التفتت إلى العرفان تريده، إنما تتخلّص من قيودها فتعود وترتقي إذا انطلقت من الذكرى لمشاهدة الحقائق. / فإنها، مهما كان

٣٠ حالها، لا تزال تنطوي من وجه ما على شيء من أصلها الفائق. فكأنما للنفوس الجزئية نمطًا من الحياة، إذ أنها، بحكم الضرورة، تحيا بالتناوب حياة الملائ الأعلى وحياة هذا العالم. فمن يسعها منها أن تزداد اتصالًا بالروح، تزداد لديها حياة الملائ الأعلى؛ ثم تكون حياة هذا العالم هي الراجعة لدى النفوس التي تزول بها غير ما فيه تلك الزيادة، أو بالطبع أو بالمصادفات. هذا

٣٥ ما يدلّ عليه أفلاطون تلويحًا/ إذ يميّز في كأس المزيج الأخيرة بعض ما يدخل في تكوين النفوس من بعضه الآخر، ويقسّمه إلى أجزاء. فيقول إنه لا بدّ للنفس حتى تنشأ من أن يؤلّف بين أجزائها على وجه معيّن. وإن قال في النفوس أن الآلة يذوّها ذرّة، فيجب في هذا القول أن يُفهم بمعنى أن فيلسوفنا يجعل الإله في منزلة المتكلّم أو الخطيب. ذلك لأن معالجه لموضوعه

٤٠ هي التي تحكم عليه بأن يتصوّر حادثًا ومصنوعًا كلّ ما تنطوي الأشياء عليه في فطرتها. / فيضطره البيان والتوضيح إلى أن يسوق بالتوالي ذكر أمور هي دائمًا وأزلاً معًا على حال واحد، الذي يصير منها ويتحوّل والذي يكون حقًا ولا يتغيّر.

٥ ليس خلاف في المعنى بين العبارات التالية إذًا: زرع النفوس في عالم الصيرورة، وسقوطها ليكون العالم الكلي كاملاً، العقاب، الكهف، الكراهية، والطواعية ما دامت الكراهية تتضمن الطواعية، الوجود في البدن على أنه حال سوء. كما إنه ليس من خلاف في قول انبأذوقليس في النفي الذي لا يبعد عن الإله، وفي التبيان، / وفي الخطيئة التي يترتب العقاب عليها؛ ولا في قول هرقليطس عن الاطمئنان في حال الفرار. لا وليس في الطواعية مع السقوط تناقض للكراهية بوجه عام. أجل، كل سقوط في الشر إنما يتم عن كراهية. لكن الواقع في الشر مندفعًا بحركة من تلقاء ذاته إنما يقال فيه على الأقل إنه ينال العقاب المترتب على ما

١٠ فعل . فضلاً على أن الفعل والانفعال / أمران لا بدّ منهما أولاً بحكم الطبيعة؛ ثم إن الشيء الذي يقع إنما يكون ماضياً في طريقه لسدّ حاجة شيء آخر، فينحدر الأول مما يقوم فوق الثاني . وما دام الأمر كذلك، فإن قولنا في الشيء الواقع أن الإله هو الذي يدفعه ليس قولاً فيه تناقض مع الحق أو يجعلنا في تناقض مع ذواتنا . فإننا نردّ الشيء حتى في أقاصي حدوده، إلى الأصل الذي انبثقت منه، ولو توسّط الطرفين حدودٌ كثيرة . / أما الخطيئة فخطيئتان : خطيئة هي قدسية الذات تُدَمِّ النفس عليه، وخطيئة قائمة على ارتكاب السيئات في هذا العالم . فالأولى إنما هي الحال الذي أخذ يلبس النفس بعد هبوطها . والقدر الأقل من الثانية إنما هو إنتقال النفس من بدن إلى بدن وذلك قبل الأوان، على أن يكون هذا الانتقال تنفيذ حكم يتعلّق بالاستحقاق، / وعلى أن هذه اللفظة «حكم» تدل على أن الشيء إنما يجري بأمر الهي . أما الإباحية في الشر، فإنها أهل لعقاب أعظم يُشرف عليه الجن الناقمون . فعلى هذا الوجه دخلت النفس في البدن، على الرغم من كونها أمراً بانيئاً ومن الملائ الأعلى . أجل، إنها، هي الإله المتأخّر مقاماً، جاءت إلى ههنا طوع ارادتها، / لتستخدم قوتها وتجعل النظام في ما يليها . وإن لم تلبث حتى تقفل هاربة، فإنها لا ينالها ضرر، إذ إنها تكون قد استفادت معرفة الشر، وعلمت طبيعة الرذيلة ما هي وأظهرت قواها وأثبتت إن لها فعلاً وضعاً . وهي كلها / أمور تبقى ساكنة في العالم المنزّه عن الجسمية، ويكون وجودها عبثاً لا نفع فيه ما دامت على حالها ولم تنتقل إلى حيّز التحقيق . بل إن النفس ذاتها تغفل عما لديها ما لم يظهر ويتخذ له منها مخرجاً . ولا غرو إن كان الفعل هو الذي يبرز القوة دائماً بعد أن كانت محجوبة كلها وكأنها مطموسة لا كيان لها ما دام لم يتسّ لها أن تكون حقاً . / فالواقع هو أن العجب إنما يملك علينا أمرنا أمام بواطن العالم لما نشاهده من الاختلافات في ظواهره، وهي بادية من آثاره الأنيقة في إخراجها .

٦ يجب في الواحد ألا يكون وحده . لأنه لو كان وحده لغدت الأشياء كلها مخفية معالمها ما دام أنها ليس لها فيه شكل ولا هيئة . ثم إنه لو كان قائماً وحده مع ذاته في ذاته لما وُجد شيء من الأمنياء . كما إن جملة هذه الأشياء التي نشأت عن الواحد لم تكن ما لم تليها تلك الأمور التي شقّت لها مخرجاً منه واتخذت لها مقام النفوس / مقاماً . وكذلك القول في النفوس : كان يجب فيها ألا تكون وحدها بدون أن يظهر ما حدث بوساطتها . فإن في كل طبيعة استعداداً لصنع ما يليها يتطور كأنه ينبعث من بذر ويخرج من أصل لا يتجزأ فينطلق حتى يدرك نهايته في المحسوس . أما الطرف الأول فيبقى في مقامه الخاص، / أما ما يليه فكأنه انتاج قوة تفوق كل وصف، وهي كامنة بعظمتها في الأشياء . فيجب في هذه القوة ألا تبقى جامدة وكأنها الأمنياء تنقاد للجسد فتحبسها، بل تستمرّ ماضية حتى تدرك حدّ طاقتها الأقصى وتشمل الحقائق

كلّهما بنفاذاها . وهي مدفوعة آنذاك بهذه الطاقة التي لا حصر لها والتي تمدّ من ذاتها كل شيء ،
 ١٥ ولا يسعها أن تترك شيئاً إلا وقد نال نصيبه منها . / فليس من مانع يمنع الشيء من أن يحظى
 بنصيبه من طبيعة الخير على قدر ما بوسعه أن يدرك منها . إن الهيولى إذاً ، إن كانت أزلية في
 حقيقتها ، يستحيل عليها ، ما دامت موجودة ، أن تبقى بدون أن تنال نصيبها من الذي يمدّ كل
 ٢٠ شيء بالخير على قدر ما يتسع له . / حتى ولو كان حدوثها تابعاً بحكم الضرورة لعلل متقدّمة
 عليها ، فلا ينبغي حينئذ أيضاً أن تبقى معزولة زعمًا بأن الذي هو كالمنعم عليها بالكيان يقف الآن
 عاجزاً قبل أن ينتهي إليها . إن أجمل ما في المحسوسات إنما هو بيان لخير ما في الروحانيات
 ٢٥ إذاً ، هو بيان قوتها وجودتها . / وإنّ الأشياء كلها مرتبط بعضها ببعض أبداً ودوماً ، الروحانيات
 والحسيات . أما الأولى فكيفانها من ذاتها ، وأما الأخرى فإنها تشارك الأولى وتقتبس منها
 كيانها أبداً ودوماً أيضاً ، إذ أنها تمثل بالطبيعة الروحانية على قدر استطاعتها .

٧ هذا وإن الطبيعة طبيعتان : روحانية وحسية . ثم إن الخير للنفس هو أن تكون في العالم
 الروحاني ، لكنّها لا بدّ لها من أن تشارك العالم الحسي في كيانه ما دامت صاحبة طبيعة من نوع
 طبيعتها . فيجب ألاّ تذمّ لأنها ليست من المقام الأشرف في كل جوانبها . إنها مستوية في الوسط
 ٥ بين عالم الأشياء ، / ربانية في شيء منها مقيمة في الحدّ الأقصى من عالم الروح . وما دامت
 متاخمة لطبيعة المحسوس فإنها تمدّه بشيء مما لديها . ولكنها تتلقّى منه بدورها إن أخذت
 تنظّمه ولم تحافظ على أمن ذاتها ، بل تندفع بحماسة زائدة ، فتغوص إلى بواطنه ولا تبقى كلّاً
 ١٠ مع النفس الكلية . / على أنها ، من ناحية أخرى ، قادرة على أن تعود وتطفو على وجهه ، بعد أن
 تكون قد أخذت عنه وقائع ما شاهدته ههنا وانفعلت به . فتعلم آنذاك كيف تكون الحياة في الملاء
 الأعلى ، وكأنّ ادراكها للأمور الشريفة أصبح أشدّ وضوحاً بمقارنتها مع ما يناقصها ، إن جاز لنا
 ١٥ هذا القول . فإن اختبار الشر يزيد معرفة الخير صحةً / وإشراقاً لدى الذي تكون ملكتهم أضعف
 من أن تدرك الشر قبل اختباره . هذا وإن الأمر الروحاني إذا انتشر إنما يكون انتشاره سلوكاً
 هابطاً إلى الحدّ الأقصى . فإنه لا يقوى على أن يسلك صعداً إلى ما فوقه ، بل يفعل فعله خارجاً
 ٢٠ عن ذاته حتّى ولا يسعه الوقوف في ذاته . فيسلك هبوطاً بحكم / الطبيعة وحتمتها حتى يبلغ
 مستوى النفس . ويكون له هذا آخر المطاف . ثم إنه يكلف النفس بما يجاوز هذا الحدّ إذ يعود
 فيرتقي صعداً . وكذلك الأمر في عمل النفس . فما بعدها إنما هو دنيانا ، وما فوقها إنما هو
 مشاهدة الحقائق . أما النفوس الجزئية فتتيسّر لها هذه المشاهدة شيئاً فشيئاً مع الزمان في الدرك
 ٢٥ الأسفل ، / في حين يتوافر لها الرجوع إلى الأمور الشريفة . أما النفس المعروفة بالنفس الكلية ،
 فإنها ليس لها عمل في المقام الأسفل ما دامت لا تفعل قطّ بشر . فتشاهد بالعرفان الشامل ما

٣٠ يكون تحتها وهي لا تزال مرتبطة بما فوقها دائماً. وإن شئنا فلنقل إنها يسعها أن تقوم/ بالعملين في آن واحد: تتلقى من الملائ الأعلى وتدرّ على دنيانا إذ إنه يستحيل عليها أن تتصل بالعالمين معاً، ما دامت هي نفساً.

٨ وان لم يكن لنا بدّ من أن نجسر على مخالفة غيرنا في رأيهم، ومن أن نصرّح بما يبدو لنا الأصحّ والأصدق، قلنا إنه ليس من نفس، بما في ذلك نفسنا، لتهبط بأسرها الى العالم الحسي. بل إنه يبقى منها شيء في العالم الروحاني دائماً. غير أن ما يكون منها في العالم الحسي - إذا كان هو الراجح - أو بالأحرى إذا كان مغلوّباً على أمره واعتراه الاضطراب - لا يتيح لنا أن نشعر بالأشياء التي يشاهدها جانب النفس الموجّه/ إلى الملائ الأعلى. ذلك لأن ما يُعرف بالروح لا يصل إلينا ما لم يهبط ويبلغ الاحساس فينا. فليس كل ما يقع في جزء من أجزاء النفس نعرفه، قبل أن يأتي على النفس كلها. فالشهوة مثلاً إنما هي ثابتة في القوة الشهوانية، ولنا نحن علم بذلك؛ ولكن عندما ندركه فقط بملكة الحس الباطنية/ أو بملكة التفكير أو بالطرفين كليهما. ولا غرو، إذ أن في كل نفس شيئاً من العالم الأسفل يميل إلى الجسد، وشيئاً من العالم الأعلى يميل إلى الروح. فالنفس الكلية، نفس الجسم الكلي، تدبّر وتنظّم العالم الكلي بجزئها الذي يميل إلى الجسم الكلي. وهي آنذاك مشرفة عليه لأنها، في عملها، لا تنطلق من التفكير والتروي، مثلما هو الأمر فينا، بل إنها تدبّر وتنظّم بالروح. / مثل ذلك مثل الفن: لا يفكر ولا يتروّى إذ يقبل ما يكون منه كلّاً إلى جانبه الأسفل فينظّمه دفعة واحدة. أما النفوس الجزئية، نفوس الأجزاء، فإن لها، هي أيضاً، ما تشرف به على الدنيا؛ لكنها مشغولة بالإحساس، وهي في إدراكها إنما تسعى إلى الكثير الذي ينافي فطرتها ويؤلمها ويقلقها. إنَّ ما تعتنى به إنما هو شيء جزئي ناقص، / تحيط به الأمور الغريبة عليه من كل صوب وجانب، موزّعة رغباته على أشياء كثيرة. ثم إنه يثير اللذة، واللذة تفضل النفس. مع أن للنفس الجزئية جانبها الآخر الذي يزهّد باللذات ما دامت اللذات عابرة. وسلوك النفس آنذاك خليق بما لها من مقام.

الفصل التاسع

(٨)

هل النفوس كلّها نفس واحدة؟

١ إنا نقول في كل نفس إنها واحدة لأنها حاضرة كلها في كل جزء من أجزاء البدن، وهي على هذا الوجه واحدة حقًا، فلا يكون شيء منها في هذا الجزء وآخر في ذلك الجزء من البدن. وكذلك القول في النفس الحساسة عند البهائم أيضًا، كما إن النفس في النبات تكون كلها في كل / ناحية وفي كل جزء أيضًا. وإن كان ذلك كذلك، أفقول القول ذاته في نفسي ونفسك وفي النفوس كلها فتكون نفسًا واحدة؟ ثم في العالم الكلي، هل النفس واحدة في الأشياء كلّها، لا بمعنى أنها مقسّمة حجمًا، بل بمعنى أنها هي ذاتها من أي وجه نظرت إليها؟ ولعمري، لماذا تكون النفس التي في واحدة، ثم لا تكون النفس التي في الكل واحدة؟ ليس هنالك حجم ولا بدن. أما إن كانت نفسي ونفسك من نفس الكل، / ثم كانت هذه النفس واحدة، فيجب في هذه النفوس كلها أن تكون نفسًا واحدة. ثم إن كانت نفس الكل ونفسي من نفس واحدة أيضًا، حكمنا في النفوس كلها إنها واحدة هنا أيضًا. وهذه النفس الواحدة من أي نوع تكون؟ ولكن يجب البحث أولاً عما إن كان يصحّ القول في النفوس كلها إنها واحدة مثلما أن نفس الفرد الجزئي هي واحدة. فليس من المعقول أن تكون نفسي ونفس غيري، مهما يكن، نفسًا واحدة. / ذلك لأنه ينبغي آنذاك أن يحسّ الآخر إن أحسست أنا، وأن يكون فاضلاً إن كنت أنا فاضلاً، وأن يشتهي إن اشتجيت. كما إنه يجب إجمالاً في الإنفعال الذي يجري بيني وبين هذا الآخر، وفي الإنفعال الذي يقع بيننا كليتنا من ناحية وبين العالم الكلي من أخرى، أن يكون انفعالاً من جنس واحد، بحيث أنه إن انفعلت أنا، أحسّ العالم الكلي معي بانفعالي. ثم إن كانت النفس واحدة، فما بالنا نميّز النفس الناطقة عن البهيمة، / ونفس الحيوان عن نفس النبات؟ ومع ذلك فإننا نعود ونقول إنا ما لم نذهب إلى هذا المذهب، لم يكن العالم الكلي عالمًا واحدًا، ولم نجد للنفوس أصلًا واحدًا.

٢ وأولاً إن كانت نفسي ونفس الآخر نفسًا واحدًا، فلا يعني ذلك إني في حال التركيب

وَأَنَّ الْآخِرَ فِي حَالِ التَّرْكِيبِ أَيْضًا شَيْءٌ وَاحِدٌ. فَإِنَّ الْأَمْرَ الْوَاحِدَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ فِي شَيْءٍ آخَرَ لَا يَنْفَعِلُ بِالْأَنْفَعَالِ ذَاتَهُ فِي الطَّرْفَيْنِ كِلَيْهِمَا، كَالْإِنْسَانِ مَثَلًا إِذَا تَحَرَّكَ. فَإِنْ كَانَ «الْإِنْسَانُ» فِي إِذْ أَتَحَرَّكَ، وَكَانَ فِيكَ وَلَا تَتَحَرَّكَ، فَإِنَّهُ فِي «إِنْسَانٍ» مَتَحَرَّكَ، وَإِنَّهُ فِيكَ «إِنْسَانٌ» سَاكِنٌ. / فَلَا تَسْتَبْعِدُ وَلَا تَسْتَعْرِبُ كَوْنِ النَّفْسِ وَاحِدَةً فِيَّ وَفِيكَ، إِذْ أَنَّهُ لَيْسَ ضَرُورِيًّا أَنْ أَحْسَسْتُ أَنَا بِشَيْءٍ أَنْ يَنْفَعِلَ غَيْرِي دَائِمًا ذَلِكَ الْإِنْفَعَالُ ذَاتَهُ. فِيهِ الْبَدَنُ الْوَاحِدُ، لَيْسَتْ الْيَدُ هِيَ الَّتِي تَحْسُ بِمَا تَنْفَعِلُ الْيَدُ الْآخَرَى، بَلِ النَّفْسُ الَّتِي تَغْمُرُ الْبَدَنَ كُلَّهُ. وَلَوْ كَانَ يَجِبُ فِي مَا هُوَ لَدَيَّْ أَنْ تَدْرِكُهُ أَنْتَ ١٠ أَيْضًا، وَيَكُونُ مِنَّا كِلَيْنَا شَيْءٌ وَاحِدٌ، / لَوْجِبُ فِي الْجَسَدَيْنِ أَنْ يَلْتَحِمَا؛ فَإِذَا اتَّصَلَتِ النَّفْسَانِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، أَحْسَنَّا كِلْتَاهُمَا إِحْسَاسًا وَاحِدًا. هَذَا وَيَلِيقُ بِنَا أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ الْحَيَوَانَ كُلًّا إِنَّمَا يَغْفُلُ عَنِ الْكَثِيرِ مِمَّا يَقَعُ، حَتَّى وَقَعَ فِي الْجِسْمِ الْوَاحِدِ ذَاتَهُ؛ وَإِنْ هَذَا الْغَفْلُ يَعْظُمُ قَدْرَهُ بِقَدْرِ مَا ١٥ يَكُونُ الْجِسْمُ ضَخْمًا. مِثْلُ ذَلِكَ مَا يُرَوَى فِي الْحَيْتَانِ، يَنْفَعِلُ / فِيهَا أَحَدُ أَجْزَائِهَا، ثُمَّ لَا يَنْتَهِي قَطُّ إِلَى الْكُلِّ إِحْسَاسًا بِهَذَا الْإِنْفَعَالِ نَظَرًا إِلَى ضَالَّةِ الْحَرَكَةِ آنَذَاكَ. وَمِنْ ثَمَّ، إِنْ أَنْفَعَلَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْحَيَوَانَ، فَلَيْسَ ضَرُورِيًّا أَنْ يَنْتَشِرَ الْإِحْسَاسُ الْوَاضِحُ بِالْإِنْطِبَاعِ فِي الْحَيَوَانَ كُلَّهُ بِأَسْرِهِ. أَجَلُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُسْتَبْعَدِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْفَعَالُ حَيْثُذَ أَمْرًا مُشْتَرَكًا؛ حَتَّى لِيَجِبَ فِيهِ أَلَّا يَقَابَلَ ٢٠ بِالنَّفْيِ. / أَمَا أَنْ يَصْبِحَ الْإِنْطِبَاعُ مُحْسُوسًا، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِالْأَمْرِ الضَّرُورِيِّ. هَذَا وَإِنَّهُ لَا يَسْتَبْعِدُ فِي النَّفْسِ أَنْ تَكُونَ فَاضِلَةً عِنْدِي وَشَرِيرَةً عِنْدَ غَيْرِي، مَا دَامَ لَا يَسْتَحِيلُ عَلَى الْأَمْرِ الْوَاحِدِ أَنْ يَكُونَ مَتَحَرِّكًا فِي شَيْءٍ وَسَاكِنًا فِي آخَرَ. كَمَا إِنَّا لَا نَقُولُ فِي النَّفْسِ إِنَّهَا وَاحِدَةٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلْكَثْرَةِ ٢٥ سَبِيلٌ إِلَيْهَا قَطُّ، إِذْ يَجِبُ فِي ذَلِكَ أَلَّا يَسْلَمَ بِهِ إِلَّا لِأَمْرِ رَبَّانِي. / بَلْ إِنَّا نَقُولُ فِيهَا إِنَّهَا وَاحِدَةٌ وَذَاتُ كَثْرَةٍ فِي وَاحِدٍ. وَلَا غُرُ، فَإِنَّهَا فِي نَاحِيَةٍ مِنْ «الطَّبِيعَةِ الَّتِي تَتَجَزَّأُ فِي الْأَجْسَامِ»، وَفِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى، مِنْ الطَّبِيعَةِ الَّتِي لَا تَتَجَزَّأُ قَطُّ. وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّهَا وَاحِدَةٌ أَيْضًا. أَجَلُ، إِنَّ الْإِنْفَعَالَ الَّذِي يَنْفَعِلُ بِهِ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَائِي لَا يَسِيطِرُ عَلَيَّ بِكُلِّيَّتِي حَقًّا، لَكِنْ الْإِنْفَعَالُ الَّذِي يَنَالُ مِمَّا يَكُونُ ٣٠ الرَّاجِحُ فِيَّ، فَإِنَّهُ يُوَثِّرُ فِي الْجُزْءِ الْآخَرَ مِنْ وَجْهِ مَا. / وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي الْآثَارِ الَّتِي تَنْبَعِثُ مِنْهُ الْكُلُّ نَحْوَ كُلِّ مَثَلٍ. فَإِنَّهَا آثَارٌ وَاضِحَةٌ، وَلَا سِيَمَا لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ مَعَ الْكُلِّ فِي الْإِنْفَعَالِ مُتَجَانِسِينَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَجَانِبٍ. أَمَا مَا يَنْبَعِثُ مَثَلًا فَإِنَّ إِسْهَامَهُ فِي سَبِيلِ الْكُلِّ لَا يَتَبَيَّنُ جَلِيًّا.

٣ ثم إن العقل يدلنا من نواح، تقابل ما سبق، أنَّ بيننا نحن أيضًا تفاعلًا متبادلًا. فتألم معًا مما نشاهده ونؤخذ به معًا أيضًا وتجذبنا الطبيعة إلى أن يُحِبَّ بعضنا بعضنا الآخر. ولا غرو، إن كان هذا التفاعل المتبادل هو سبب الحب. ثم إن كانت الألحان السحرية والرقي بوجه عام تسوقنا معًا وتجعلنا نشترك، عن بعد، في الانفعال الواحد، فذلك عائد، بلا ريب، إلى كون النفس واحدة. / فربَّ قول قيل همسًا ثم أتر في شيء بعيد، وكان له صوت مسموع من مسافة

يستحيل تقديرها . فمن ذلك كله يسعنا إذًا أن ندرك الوحدة التي تربط بين الأشياء كلها، وهي وحدة تقوم على أنَّ النفس واحدة . ولئن كانت النفس واحدة، فكيف يكون لدينا النفس الناطقة ١٠ والنفس البهيمية، ومن أي نوع تكون/ النفس النباتية؟ ذلك لأنه يجب في جانب النفس الذي لا يتجزأ أن يصنَّف على أنه هو النفس الناطقة؛ فإنه ليس مقسمًا في الأبدان . أما ما يتجزأ منها في الأجسام، فإنه واحد هو أيضًا . ولكنه إذا توزَّع في الأجسام أحدث الإحساس في نواحي الجسم ١٥ كلها، فينبغي أن نبيِّن فيه قوة ثانية من قوى النفس . / هذا وتكون قوتها الثالثة المقدرة على جبل الأجسام وصنعها، على أن لا ننفي الوحدة عن النفس لأنَّ قواها كثيرة . فإنَّ في البذر القوة الكثيرة، ويخرج من البذر الواحد كثرة ذات وحدة . ولكن ما بال هذه القوى لا تكون كلها في كل شيء؟ إن النفس الواحدة ذاتها التي يقال فيها أنها منتشرة في الجسم كله، لا يكون ٢٠ الإحساس فيها على نمط واحد في الحواس الجزئية كلها . / كما أن العقل ليس منتشرًا في الجسم كله، وليست القوة النباتية حيثما يكون الإحساس . ومع ذلك فإن هذه القوى سرعان ما تعود الى الوحدة عندما تنسحب من البدن . أما القوة الغذائية، إن كانت مأخوذة من الكل، فإن النفس إنما تستمدُّها من النفس الكلِّية أيضًا . ولماذا لا تنبعث إذًا هذه القوة الغذائية من نفسنا ٢٥ الجزئية أيضًا؟ ذلك لأن الشيء المُغذَّى إنما هو جزء من أجزاء الكل، وهو/ جزء يُحسن عن طريق الإنفعال . أما الإحساس، فهو الملكة التي يميِّز بها كل منَّا الأشياء بمساعدة الروح . فليست النفس في حاجة بعد ذلك إلى أن تلجأ إليه لتنشئ ما بادر الكل وأقامه في جبلته . مع الأوان هذه الجبله لو لم يجب فيها أن تكون أولًا في هذا العالم الكلي، لكانت النفس صنعتها في ذاتها .

٤ لقد سُقِّتْ هذا القول كله حتى لا يستغرب أحد ردَّ النفوس جميعًا إلى نفس واحدة . على أن البحث إنما يدور حول النفوس كلها كيف تكون نفسًا واحدة . أ بمعنى أنها كلها من نفس واحدة أم بمعنى أنها كلها نفس واحدة؟ وإن كانت من نفس واحدة، فهل تكون هذه النفس قد تجزأت أو إنها بقيت هي كلها، ثم أخرجت، مع ذلك، من ذاتها نفوسًا كثيرة؟ ولكن كيف تبقى ٥ هي ذاتها/ ثم تُخرج منها نفوسًا كثيرة؟ فلنقل إذًا - بعد أن نضرب الى الإله ليكون لنا عونًا - إنه لا بدُّ من نفس واحدة أولًا إن لم يكن بدُّ من نفوس كثيرة؛ ثم من تلك النفس الواحدة تخرج النفوس الكثيرة . إن كانت هذه النفس جسمًا، فإذا تجزأت هذا الجسم، خرجت النفوس الكثيرة ١٠ وكان لكل منها ذات تختلف عن ذات غيرها . / ثم إن كانت النفس الواحدة متجانسة الأجزاء، غدت النفوس الجزئية منه نوع واحد إذ أنها تنطوي على نوع واحد يكون هو الكل ذاته . فلا يختلف بعضها عن بعضها الآخر إلَّا بالحجم آنذاك . وإن غدا كيانه نفوسًا لقيامها على أحجام

بمعنى أن الحجم للنفس في منزلة الحامل للمحمول، فإن بعضها يختلف عن بعضها الآخر. أما إن كان النوع هو الذي يجعلها نفوساً، فإن كيائها نفوساً بسبب النوع الواحد إنما يجعلها نفساً واحدة. / وهذا يعني أن في الأجسام الكثيرة نفساً واحدة تبقى هي ذاتها، وإن قبل هذه النفس الواحدة التي تبقى هي ذاتها في أجسام كثيرة نفساً أخرى ليست في أجسام كثيرة. ثم تخرج من هذه النفس النفس الواحدة القائمة في أجسام كثيرة، فكأنها للنفس الواحدة الثابتة في مقامها الواحد صورة تنتقل وترسم في كل صوب وناحية. مثل ذلك مثل ما يحدث مع الختم الواحد، يُختم به على قطع من الشمع كثيرة، فتتلقى عند كلها انطباعاً واحداً. / ففي الحالة الأولى (أعني إن بقيت النفس كلاً على حالها) تكون النفس منزّهة عن الجسمية. هذا وإن كانت النفس حالاً من الأحوال، فلا عجب إن غدا الكيف الواحد المنبعث من شيء واحد منتشرًا بين أشياء كثيرة. ١٥ ونقول القول ذاته، ولا نستغرب قطّ فيما لو كانت النفس متكيفة بتكييف المركّب. / لكننا في حقيقة الواقع، إنما نفترض أن النفس شيء منزّه عن الجسمية وأنها ذات.

٥ فكيف تكون الذات الواحدة في ذوات كثيرة؟ إنما يكون ذلك بأن تكون الذات الواحدة في الذوات الأخرى كلها، أو بأن تبقى هذه الذات الواحدة على حالها ثم تنشأ عنها في كليهما واحدة واحدة، الذوات الأخرى. إن هذه الذات واحدة إذًا، أما الذوات الأخرى فإنها تُرَدُّ إليها على أنها واحدة تمدّ من ذاتها الكثرة ولا تمدّها. فهي قادرة في آن واحد على أن تعطي ذاتها للذوات الأخرى كلها وأن تبقى واحدة، / وبوسعها أن تشمل الأشياء كلها معًا فلا تنقطع عن شيء مطلقًا. فتكون هي ذاتها في أشياء كثيرة. ولا يستغربنّ هذا الأمر أحد. فإن العلم إنما هو كل وتكون أجزاؤها منه بحيث يبقى هو كلاً، والأجزاء مع ذلك أجزاؤه ومنه يكون اشتقاقها. ثم إن البذر إنما هو كل أيضًا ومنه تخرج الأجزاء التي فُطر هو على أن يتجزأ فيها. فيكون كل جزء هو الكل / ولا ينقص من الكل شيء، «إذ أن الهيولى هي التي تُحدث التجزؤ» فتكون الأجزاء كلها شيئاً واحداً. ولكن ربّ قائل يقول: إن الجزء في العلم ليس هو الكل. ألا، إن ما يكون حاضراً من العلم، وقد لمس العالم الحاجة إليه، هو جزء بالفعل، فيكون هنا متقدماً على غيره أمام النظر؛ ولكن الباقيات تابعة له وهي خفية كامنة بالقوة. فيكون العلم كله في ذلك الجزء. ١٥ وربما كان الكل والجزء يقالان في العلم بهذا المعنى. / أما في العلم كلاً، فتكون المعارف كلها كأنها حاضرة بالفعل معًا، ويكون كل ما تشاء أن تستخدمه جاهزاً. أما في الجزء، فلا يحضر بالفعل إلّا ما يكون جاهزاً، وهو كأنه يستمدّ قوته من مجاورته للكل. فيجب ألاّ نتصوره معزولاً عن النظريات الأخرى. وإلّا لما كان معرفة فنية أو علمية، بل أصبح كأنه قول صبيان. / فإن كان معرفة علمية، تضمّن العالم كله بالقوة. وإذا وقف العالم

عليه ساق العلوم الأخرى بسياق كأنه الاستنتاج. ولا غرو، فإن العالم بالهندسة يدلّ، في تحليله، على أنّ النظرية التي بين يديه إنما تنطوي على النظريات المتقدّمة عليها والتي بواسطتها يُجري تحليله، كما أنها تتضمن النظريات المتأخرة عنها والناجمة عنها أيضًا. / ألا وإنّا نستغرب هذه الأمور كلها للعجز المستحكم فينا، ولأنّ الجسم يجعلها مبهمة غامضة. أما في الملأ الأعلى، فهناك الوضوح والإشراق: وضوح الأشياء كلها معًا، ووضوح كل شيء منفردًا على حدة.

المجلد الخامس

التاسع الحامس

فهرسُ التاسوع الخامس

٤٢٥	في الأقانيم الثلاثة الأصلية	:	(١٠)	الفصل الأول
٤٣٦	في الإبداع وفي ترتيب الأمور المتأخرة	:	(١١)	الفصل الثاني
٤٣٦	على الأول	:		
٤٣٨	في الأقانيم العارفة وفي ما هو وراء الحق	:	(٤٩)	الفصل الثالث
٤٥٧	في كيف ينبعث عن الأول ما هو بعد الأول،	:	(٧)	الفصل الرابع
٤٥٧	وفي الواحد	:		
٤٦٠	في أن الروحانيات ليست خارجة عن الروح، وفي	:	(٣٢)	الفصل الخامس
٤٦٠	الخير المخفض	:		
٤٧٣	في أن العرفان لا يتحقق لدى ما يكون وراء الحق،	:	(٢٤)	الفصل السادس
٤٧٣	وفي العارف أولاً والعارف ثانياً وما هما	:		
٤٧٨	في هل لكل شيء جزئي مثاله	:	(١٨)	الفصل السابع
٤٨١	في الحسن الروحاني	:	(١٣)	الفصل الثامن
٤٩٥	في الروح والمثل والحق	:	(٥)	الفصل التاسع

الفصل الأوّل

(١٠)

في الأقاليم الثلاثة الأصليّة

١ ما عسى أن يكون ذلك الذي جعل النفوس ينسين الإله أباهنّ ويجهلنّ ذواتهنّ ويجهلنه معاً وهنّ اللواتي جئن من الملاء الأعلى وهنّ أجزاء منه ومنه جميعاً؟ إنّ الشرّ الذي لحق إنّما يعود أصلاً إلى جسارتهنّ ودخولهنّ في عالم الصبرورة وخطوتهنّ الأولى في الغيرية وإرادتهنّ أن تنفر كلّ منهنّ بذاتها. فملك الفرع عليهنّ أمرهنّ/ لدى استقلالهنّ بذواتهنّ بعد ما ظهرن عليه، وأخذن يتحرّكن من تلقاء ذواتهنّ مفراطات في انقيادهنّ لذلك. فجرين في جهة معاكسة وأبعدن في جريهنّ وأصبحن جاهلات كونهنّ من الملاء الأعلى. كذلك الصبيان إن نزعوا نوراً من آبائهم وأبعدوا عنهم طيلة نشأتهم يجهلون ذواتهم كما أنّهم يجهلون آباءهم. / فإنّ النفوس لا يشاهدن أباهنّ ولا يشاهدنّ ذواتهنّ، ويحتقرن ذواتهنّ لجهلهنّ بجنسهنّ، فجعلنّ الأمور الأخرى وكنّ أشدّ إعجاباً بالأشياء كلها منهنّ بهنّ. ثمّ إن وجدنّ أمام هذه الأشياء خرجن عن أطوارهنّ وأخذهنّ الاندهاش وتمسكنّ بها فيقطعنّ، بقدر ما بوسعهنّ، كلّ صلة بينهنّ وبين ما أدبرنّ عنه مُحَقِّرات. / فلا غرو إن كان سبب جهلنّ التأمّ للملاء الأعلى لإحلالهنّ للدُنُويّات واحتقارهنّ لذواتهنّ. إنّ الذي يجذّ في إثر شيء آخر مُعْجَباً به يُسَلِّم في الوقت ذاته بأنّه أخطأ من هذا الشيء مقاماً. فلن يستطيع يوماً أن يخلد في باطنه إلى الإله في حقيقته وإلى قدرته إن جعل ذاته دون ممّا يصير ويزول،/ وتصورها أخطأ شأناً وأسرع فناء ممّا يجعله ويكرّمه. ولذلك يجب أن ننتقيد بوجهين من الكلام مع هؤلاء الذين يكونون على هذه الحال، إن شئنا أن نردّهم إلى خلاف ما هم عليه وأن نسوقهم إلى الأوّلِيّات حتّى تنتهي بهم إلى الدُّرّة، أعني الواحد والأوّل.

٢٥ وما عسى أن يكون هُذان الوجهان؟ الأوّل أن يُبَيَّن حقارة/ ما تجلّه النفس الآن، وهو كلام سنعود إليه في مقام آخر ونُشِيعه بحثاً. والوجه الثاني هو أن تُنبّه النفس وتُدّكرها أيّ جنس جنسها وأيّة كرامة كرامتها. ولهذا الوجه حقّ التقدّم على الأوّل، فإذا وضح واستبان كشف عن الأوّل وبَيَّنه. فهو الذي يجب القول فيه الآن، إذ إنّّه قريب من الشيء الذي نبحت عنه، وهو قبل العمل الذي يؤدّي إلى هذا الشيء. فإنّ الذي يبحث إنّما هي/ النفس. فلا بُدّ لها من أن تعرف ذاتها،

٣٠

هي الباحثة، ما هي حتى تعرف أولاً إن كان بوسعها أن تقوم ببحث مثل هذا البحث، وإن كان لها نظر يُمكنها من أن ترى، وإن كان هذا البحث بحثاً يليق بها. ذلك لأنه إذا كان ما تبحث عنه قريباً عليها، فما هي حاجتها إلى البحث؟ أما إن كان ما تبحث عنه شيئاً يُجانبها، فالبحث عنه جدير بها، وبوسعها هي أن تكتشف هذا الشيء. / ٣٥

٢ هذا ولتخلد كل نفس إلى ذكر ما يلي: إنها هي التي صنعت الأحياء كلها إذ نفحت الحياة فيها. الأحياء التي تُغذيها الأرض وتُغذيها البحر، وتلك التي تُحلّق في الهواء، والكواكب الإلهية في السماء. بل هي النفس التي صنعت الشمس وهذه السماء العظيمة التي رتبها والتي تدفعها الآن في حركة دورية منتظمة. والنفس في كل ذلك إنما تختلف/ بطبيعتها عما تُنظمه وتُحرّكه وتُحييه. ثم إنها أشرف من هذه الأحياء لا محالة: فإنها أشياء تتقلب ويعتريها الفساد، حسبما تنسحب النفس عنها أو تمدّها بالحياة. في حين أنّ النفس باقية دائماً على حالها لأنها لا تتخلّى عن ذاتها. أما الوجه الذي تلجأ إليه لتكفل الحياة في الكلّ/ وفي الجزئيات، فلتُفكّر فيه على نحو ما يلي: لثمة النظر في النفس الكبرى، وهي نفس تختلف عنها ولكتها ليست صغيرة هي ما دامت أهلاً لمعان النظر الآن وقد انعتقت من الظلال ومن المغريات التي تعلق بغيرها، وذلك باستقرارها هادئة مطمئنة. وليسكن معها إلى ذلك، ليس الجسم الذي يكتنفها أو يضطرب فقط، بل كل ما يُحيط بها أيضاً. / فلتسكن الأرض، وليسكن البحر والهواء ولتسكن السماء الشريفة ذاتها. ولتصوّر بروحها نفساً مقبلة من الخارج على السماء الساكنة من كل صوب وجانب، وكأنّها تجري إلى هذه السماء وتنصبّ فيها وتسلّل إليها من كل ناحية وتشعّ فيها. كما تجعل أشعة الشمس السحاب القاتم يشعّ ويتلألأ بألوانه الذهبية/ عندما تنشر فيه نورها، كذلك تفعل النفس عندما تقبل على جسم السماء فتمدّها بالحياة وبالخلود وتوقظه من سباته. فإذا تحرّكت السماء آتت بحركة أزليّة تبعثها النفس بحكمة، أصبحت السماء حيواناً سعيداً. ثم إنّ هذه السماء تحظى بالكرامة بعد أن تكون النفس قد حلّت فيها، وقد كانت قبل مجيء النفس إليها/ جسماً هامداً، أرضاً وماءً، بل ظلاماً هيولاًئياً وعدماً، شيئاً يمقته الآلهة كما يقول بعضهم. فتبدو قوة النفس وحقيقتها لمن يُفكّر في الأمر حينذاك أشدّ وضوحاً وظهوراً، إذ ٣٠ إنه يرى كيف تقبض السماء كلّها وتسوقها بإرادتها. فإنّها تمتدّ بذاتها إلى امتداد السماء كلّها/ مهما تكن عظيمة، فتجعل الحياة في كلّ مسافة سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، ويكون كلّ جسم في محلّه الذي يختلف عن محلّ غيره، فهذا هنا وذاك هناك، وأجسام في أمكنة مُتقابلة وأجسام يتميز بعضها عن بعض فيفصل بذاك بعضها عن بعض. أما النفس فليست على هذه الحال: لا ٣٥ تنقطع إرباً ولا تقبل على الجسم الجزئيّ/ جزء منها فتكفل الحياة بجزء من نفس. بل إنها،

كلًا، تُحيي الأشياء كلها، فيشمل حضورها كل شيء ما دامت تُشبه والدها وأباها بكونها واحدة ومُمتدة إلى كل شيء بحضورها. فبقوة النفس تُصبح السماء واحدة بالرغم من كونها ذات كثرة، إذ إنها هنا شيء وهناك شيء آخر. وكذلك القول في العالم الكلّي الذي يُصبح إلهاً بقدرة النفس. ٤٠ كما إن النفس هي التي تجعل الشمس إلهاً/ لأنها منقوسة. والكواكب ونحن أيضاً ما دام كل منا شيئاً من الأشياء. «فإن الجئة بأن يُرمى بها خارجاً أولى من الروث». وبعد فإن الذي يكون للآلهة سبب كونهم آلهة إنما هو أقدم منهم من حيث كونه إلهاً لا محالة. ونفسنا من هذا الجنس أيضاً. فإذا أخذتها مُجرّدة عمّا علّق بها ونظرت إليها نقية صافية، وجدت أن أشرف شيء لدينا إنما هو الشيء/ الذي يُكوّن النفس فينا، وهو أشرف من كل ما يمتّ إلى الجسمانيات ٤٥ بصلّة. فإن ذلك كله إنما هو تراب. وحتى لو كان نازاً، فما عسى أن يكون المُحرّق فيها؟ وكذلك القول فيما يكون مركّباً من هذين العنصرين، حتى ولو أضفت إليهما الماء والهواء. وإن كنت تسعى وراء ذلك كله لآته منقوس، فلماذا تتخلّى عن ذاتك ماضياً في طلب غيرك؟ وإن ٥٠ كنت مُعجباً بالنفس عند غيرك،/ فكن مُعجباً بذاتك.

٣ هذا وما دامت النفس كذلك شيئاً شريفاً وإلهياً، فتوكل عليها، وهي من هذا الطراز، في سيرك إلى الإله، وارتي إليه مُعصباً بحبلها. فإنك، وأيم الحق، لن تبرح بعيداً وليس بينك وبينه أوساط كثيرة. ثم اقبض على ما هو الأرفع ربّانية في هذا الأمر الربّاني، على الجانب من النفس الذي تُجاور به الملاء الأعلى،/ أصل النفس المُتقدّم عليها. ذلك لأن النفس ليست إلّا صورة للروح، بالرغم من كونها ذلك الشيء العظيم الذي كشف عنه كلامنا. وكما أنّ الكلام القائم في النطق هو صورة للكلام القائم في النفس، كذلك النفس أيضاً إنما هي كلمة الروح، وهي فعله كله، كما أنّها الحياة التي يتدفّق بها ليكفل الكيان لغيره. مثل ذلك مثل الحرارة من النار: فحرارة مع النار وفيها، وحرارة تمدّ النار بها. لكنّه يجب/ في الفعل القائم في عالم الروح ألاّ تصوّره مُتدفّقاً إلى الخارج، بل ثابتاً في الروح من ناحية قائماً في ذاته من ناحية أخرى. وما دامت النفس مُنبعثة من الروح فإنّها روحانية، وروحها ينساب في عُضون التروّي والتفكير كما أنّ الروح هو الذي يجعلها كاملة. فكأنّه أب يُربي ابنه الذي لم يلدّه كاملاً بالنسبة إليه. ١٥ أما كيانها فمن الروح،/ أما العقل لديها فإنّه إنما يكون بالفعل حينما تُشاهد الروح. ذلك لأنّها عندما تنظر إلى الروح من باطنها، فإنّ ما تعرفه بالروح وتُحقّقه آتئذٍ، إنما هو الذي يأتي من باطنها ويكون خاصتها حقاً. في هذه الأمور وحدها يجب أن يُقال إنّها أفعال النفس، وذلك بقدر ما تكون أفعلاً عرفانية مُنبعثة عمّا هو من النفس جميعها. أما الدنّيات فإنّها من مصدر آخر، وهي أحوال تطرأ على النفس وقد انحطّت من مقامها هي أيضاً. فإنّ الروح يزيد في

٢٠ رَتَانِيَّتِهَا/ إِذَا وَيَكُونُ أَبَا لَهَا وَبَحْضُورِهِ فِيهَا، فَلَيْسَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا إِلَّا كَوْنُهُمَا مُفْتَرَقَتَيْنِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ النَّفْسَ هِيَ الْمُتَأَخَّرَةُ وَهِيَ الَّتِي تَتَلَقَّى مِنَ الرُّوحِ، وَبِمَعْنَى أَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْمَثَالُ. لَكِنَّهَا لَا تَزَالُ جَمِيلَةً كَوْنُهَا هَيُولَى الرُّوحِ إِذَا إِنِّهَا رُوحَانِيَّةُ الْمَثَالِ بَسِيطَةً. أَمَّا عَظْمَةُ الرُّوحِ، فَإِنَّمَا يَتَّضِحُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ الَّذِي سَبَقَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ النَّفْسِ، عَلَى مَا وَصَفْنَاهَا بِهِ.

٤ هَذَا فَضْلًا عَلَى أَنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَبَيَّنَ ذَلِكَ مِمَّا يَلِي. إِنَّ الْعَجَبَ لَيَأْخُذُ مِنَّا كُلَّ مَا خُذَ عِنْدَمَا نَشَاهِدُ هَذَا الْعَالَمَ الْحَسِّيَّ. فِيهِ الْعَظْمَةُ وَالْحَسَنُ وَتَرْتِيبُ الْحَرَكَةِ الْأَزَلِيَّةِ، كَمَا أَنَّ فِيهِ الْأَرْبَابَ، الظَّاهِرَةَ مِنْهَا وَالْخَفِيَّةَ، وَالْجَنِّ، وَالْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ بِأَسْرِهِمَا. وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَنُوقِفَ إِلَى مَا هُوَ مِثَالُ هَذَا الْعَالَمِ/ وَكَيَانِهِ الْأَحَقُّ، وَلِنَشَاهِدِ الرُّوحَانِيَّاتِ هُنَاكَ وَهِيَ تَتَمَتَّعُ بِالْأَزَلِ مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهَا كَمَا أَنَّهَا تَتَمَتَّعُ بِالْحَيَاةِ وَالشُّعُورِ بِذَاتِهَا عَلَى أَنَّهَا مِنْهَا أَصْلًا. وَنَاهِيكَ بِالرُّوحِ فِي صِفَتِهِ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَيْهَا، وَبِالْحِكْمَةِ الَّتِي تَفُوقُ كُلَّ وَصْفٍ، وَفِي الْحَيَاةِ فِي عَهْدَةِ الْإِلَهِ «كِرُونُوس» عَلَى أَنَّهَا الْحَيَوَانُ حَقًّا، مَا دَامَ هُوَ، إِلَهًا، التَّمَلُّيَّ وَالرُّوحَ. فَإِنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى الْخَالِدَاتِ كُلِّهَا، / ١٠ وَالرُّوحَ كُلَّهُ، وَالزَّبَوِيَّةَ كُلِّهَا، وَالنَّفْسَ كُلِّهَا، وَهُوَ مَعَ كُلِّ ذَلِكَ فِي أَطْمَئِنَّةٍ مُسْتَدِيمَةٍ. فَلَمَّاذَا يُطْلَبُ تَغْيِيرًا وَهُوَ عَلَى حَسَنِ الْحَالِ؟ وَإِلَى أَيْنَ يَنْتَقِلُ وَيَتَحَرَّكُ مَا دَامَ كُلُّ شَيْءٍ لَدَيْهِ؟ بَلْ إِنَّهُ لَا يُطْلَبُ مَزِيدًا لِأَنَّهُ فِي غَايَةِ التَّمَامِ وَالْكَامِلِ. وَلِذَلِكَ غَدَا كُلُّ مَا لَدَيْهِ كَامِلًا حَتَّى يَكُونَ هُوَ كَامِلًا ١٥ وَلَا يَكُونَ شَيْءٌ لَدَيْهِ إِلَّا وَهُوَ كَذَلِكَ. / فَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ عَارِفٌ، عَلَى أَنَّ عِرْفَانَهُ لَيْسَ طَلَبًا لِلشَّيْءِ بَلْ هُوَ حُصُولٌ عَلَيْهِ. ثُمَّ إِنَّ سَعَادَتَهُ لَيْسَتْ سَعَادَةً مُسْتَفَادَةً، بَلْ إِنَّ كُلَّ مَا فِيهِ إِنَّمَا هُوَ جَارٍ مَعَ الْأَزَلِ، وَأَعْنِي الْأَزَلُ الْحَقُّ الَّذِي يَتَشَبَّهُ بِهِ الزَّمَانُ إِذْ يُحِيطُ بِالنَّفْسِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَجَانِبٍ، فَيُخَلِّفُ أُمُورًا وَيَسْعَى وَرَاءَ أُخْرَى. ذَلِكَ لِأَنَّ فِي النَّفْسِ أَشْيَاءَ تَعْقِبُهَا أَشْيَاءُ أُخْرَى: فَيَمَثِّلُ فِيهَا ٢٠ سَقَرَاتٍ تَارَةً وَيَمَثِّلُ فِيهَا فِرْسَ تَارَةً أُخْرَى، وَيَكُونُ فِيهَا دَائِمًا شَيْءٌ مُعَيَّنٌ. أَمَّا الرُّوحُ فَإِنَّهُ الْأَشْيَاءَ كُلِّهَا. إِنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا إِذَا، وَهِيَ قَائِمَةٌ ثَابِتَةٌ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ. وَإِنَّمَا هِيَ قَائِمَةٌ فَقَطْ، وَالْقِيَامُ هُنَاكَ دَائِمٌ بِلَا زَمَانٍ مَاضٍ وَلَا آتٍ، لِأَنَّ الْآتِيَّ هُنَاكَ حَاضِرٌ وَالْمَاضِيٌّ مُوجُودٌ، وَالْأَشْيَاءُ دَائِمًا عَلَى حَالٍ وَاحِدٍ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَسْتَحِيلُ، مَا دَامَتْ بَاقِيَةً فِي ذَاتِهَا وَكَأَنَّهَا تَحِبُّ ذَاتَهَا وَهِيَ عَلَى ٢٥ هَذِهِ الْحَالَةِ. فَكُلُّ رُوحَانِيٍّ مِنَ الرُّوحَانِيَّاتِ إِنَّمَا هُوَ رُوحٌ وَحَقٌّ، وَالرُّوحَانِيَّاتِ كُلِّهَا إِنَّمَا هِيَ الرُّوحُ كُلُّهَا وَالْحَقُّ كُلُّهُ. فَإِنَّ الرُّوحَ بِعِرْفَانِهِ يَجْعَلُ الْحَقَّ قَائِمًا فِي ذَاتِهِ؛ وَإِنَّ الْحَقَّ بِعِرْفَانِ الرُّوحِ لَهُ يَكْفُلُ لِلرُّوحِ وَالْعِرْفَانِ وَالْكَيَانِ. هَذَا وَإِنَّ عِلَّةَ الْعِرْفَانِ إِنَّمَا هِيَ شَيْءٌ يَخْتَلِفُ عَنِ الْعِرْفَانِ، وَهَذَا الشَّيْءُ إِنَّمَا هُوَ عِلَّةُ الْحَقِّ، وَلِكُلِيهِمَا مَعًا عِلَّةٌ تَخْتَلِفُ عَنْهُمَا إِذَا. فَالْأَمْرَانِ قَائِمَانِ مَعًا دَائِمًا ٣٠ لَا يَفَارِقُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ. وَلَكِنَّ هَذَا الشَّيْءَ الْوَاحِدَ إِنَّمَا هُوَ اثْنَانِ مَعًا، / وَالرُّوحُ وَالْحَقُّ وَالْعَارِفُ وَالْمَعْرُوفُ: فَإِنَّهُ الرُّوحُ مِنْ حَيْثُ الْعِرْفَانِ، وَإِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مُدْرِكٌ بِالْعِرْفَانِ. ذَلِكَ لِأَنَّ

العرفان لا يتم إلا بكون العارف هو ذاته وغيره معاً. ومن ثم فإن الأصول الأوائل إنما هي الروح
 ٣٥ والحق والتخالف والبقاء على الذات، على أن يُضاف إليها الحركة/ والسكون. أما الحركة
 فلأن الروح يعرف؛ وأما السكون فلن يبقى على حاله ولا يتغير؛ وإنما التخالف إذ يكون
 الروح عارفاً ومعروفاً في آن واحد. فإذا ارتفع التخالف صار الروح واحداً محضاً في حال
 السكون، مع أنه يجب في المُدركات بالروح أن يكون بعضها مُبايناً لبعضها الآخر. فأما البقاء
 على الذات، فلأن كلاً من هذه المُدركات واحد في ذاته، مع كونها مشتركة كلها في شيء
 ٤٠ واحد، والفرقان بينها إنما هو التخالف. / ثم إن تلك المعاني تُؤلّد العدد والكمّ بكثرتها؛
 والكيف فيها، هو الطابع الخاص الذي يكون عليه كل منها. لهذا وإن الأشياء الأخرى تنبثق
 منها انبثاق الفروع من الأصول.

٥ إنه ذو كثرة إذاً هذا الإله المُشرف على النَّفس، وإن شأن النَّفس أن تحصى في عدد
 الأمور الروحانية ما دامت مُتصلة بها وتشاء هي ألا تنبثق عنها. فإذا اقتربت منه وأصبحت معه
 كأنها شيء واحد، حيت بحياة دائمة. ومن هو والد الروح إذا؟ هل إنه البسيط المُتقدم على
 تلك الكثرة، وهو علّة ذلك الكيان في ما يقوم عليه من كيان ذي كثرة، كما إنه هو الذي أحدث
 ٥ العدد؟/ ليس العدد أول الأشياء، لأن الواحد قبل الإثنين، والاثنيّة بعده، تنشأ عنه فيكون لها
 حدّاً إذ إنها هي غير محدودة من تلقاء ذاتها، ولا يكون العدد إلا عندما تُحدّد هي. وأعني العدد
 على أنه ذات إذ إن النَّفس هي أيضاً عدد. فإن هذه الأمور الأولى لا تكون بحجم أو مقدار، إنما
 ١٠ تأتي بعد ذلك تلك الأشياء/ التي يتصوّر الحسن أنها حقائق. كما أن الشيء الشّريف في البذور
 ليست الرطوبة، بل الشيء الشّريف ما لا يرى، وهو العدد والبنية المعنوية. وإن ما يُقال عنه في
 الملاء الأعلى أنه العدد والاثنيّة إنما هو البنى المعنوية والروح. لكنّ الإثنيّة تبقى مُبهمة
 غامضة المعالم لأنّها إنما يتلقاها ما هو منها بمنزلة الحامل من المحمول. أما العدد الذي
 ١٥ ينبعث منها ومن الواحد، فإنّما هو مثال. فيغدو كلّ أمر روحانيّ وكأنّه مُنسب في المُثل التي
 تنشأ فيه هو ذاته. فيكون انسباكه في المثل من قيل الواحد على وجه، ومن قبله هو ذاته على
 وجه آخر، كما هو الأمر في البصر الذي يُبصر بالفعل. ولا غرو، فإن العرفان إنما هو بصر
 باصر، والأمران كلاهما شيء واحد.

٦ فكيف يُشاهد الروح، ومن يُشاهد؟ وبوجه الإجمال، كيف أصبح قائماً في ذاته، وخرج
 من ذلك الواحد بحيث أنه يُشاهد؟ أما كون هذه الأمور واقعاً ضرورياً لا مفرّ منه، فإن النَّفس
 مُقتنعة به. لكنّها ترغب في الكشف عن المُشكلة التي كانت موضوع الجدل حتّى عند الحكماء

٥ القدامي. وهو أنه كيف يأخذ من هذا الواحد كل أمر، مهما يكن، قيامه في ذاته، / سواء أكان ذا كثرة أو ذا تكوين ثنائي أو عددًا من الأعداد. كيف لم يبق ذلك الواحد مع ذاته في ذات، بل تدفقت منه الكثرة بالقدر الذي نعرفه، وهي كثرة تبيينها في عالم الوجود من ناحية، ثم نرى، من ناحية أخرى، أنه من الحق علينا أن نردّها إلى ذلك الواحد؟ فلنأخذ في القول إذا، بعد الارتفاع بالدعاء إلى الإله ذاته؛ ولا نلجأ إلى الصّوت فقط، بل فلنشرّتب بنفوسنا إليه في تضرّعاتنا،

١٠ فنستطيع، مادمنّا على هذه الحال، / أن نكون وُحدنا معه وحده في تضرّعنا إليه. فإن ذلك الواحد قائم من ذاته في ذاته، وكأنّه داخل ذاته في هيكل. وهو باقٍ ساكنًا وراء الأشياء كلّها. فيجب في المُشاهد آنذاك أن يُلقي بصره على الأصنام الساكنة وكأنّها أصبحت الآن خارج الهيكل، أو بالأحرى على الصّتم الذي ظهر أولًا، وكأنّ ظُهوره على الوجه التالي. لا بُدّ في كلّ / مُتحرك من أن يُقابله شيء يتحرك إليه. وما دام ذلك الواحد لا يُقابله شيء يتحرك إليه، فإنّا لا نجعله يتحرك هو ذاته. فأمّا إذا جاء شيء بعد، فإنّ هذا الشيء يكون قد نشأ وهو دائم الالتفات إلى ذلك الواحد لا محالة. وهنا ينبغي أن نُسقط في سياقتنا، تصوّر الحدوث في الزّمان، مادام كلامنا حول الأمور

٢٠ الأزلّيّة، / على أنّنا ننسب إليها الحدوث بالكلام فقط لتبيين ما بينها من علّة وترتيب. فالواقع هو أنّه يجب في ما ينشأ في الملأ الأعلى ألاّ يقال عنه أنّه ينشأ من الواحد وقد تحرك. وإنّ نشأ من الواحد وقد تحرك، فإنّ ما ينشأ عن الواحد آنذاك بعد الحركة، إنّما يكون في المقام الثالث وليس في المقام الثاني. إن كان بعد الواحد شيء من المقام الثاني إذا، فإنّما يجب في هذا الشيء

٢٥ أن يقوم في ذاته، / والواحد آنذاك لا يزال ساكنًا، غير مائل إلى الشيء ولا يريده، ولا يأتي بحركة مُطلقًا. ولكن كيف يكون ذلك، وكيف نتصوّر هذا الأمر الثاني الذي يبقى كذلك حول الواحد؟ نُجيب: نتصوّره على أنّه إشعاع ينبعث من الواحد؛ أجل، إنه ينبعث من الواحد الذي يبقى ثابتًا في ذاته. مثل ذلك مثل الشّمس: فإنّ إشعاعها إنّما يكون من حولها وكأنّه يُحيط بها،

٣٠ وهو ينبعث منها دائمًا، ثم تبقى على حالها. لهذا وأنّ الأشياء كلّها، / ما دامت باقية على حالها، إنّما تفسح المجال لا محالة لشيء يخرج من القوّة الكامنة فيها، فيُحيط بها من الخارج ويبقى مُرتبطًا بها. وكأنّه، وهو كذلك، صورة للأصول التي خرج منها. من النار تنبعث حرارتها،

٣٥ والثلج لا يستأثر ببرودته في باطنه، ويدلّ على ذلك بنوع خاص ما تفوح منه الرّوائح الطّيّة. / فإنّ الرّوائح تنبعث منه وتنتشر من حوله، مادام هو ثابتًا، فيتمتع بانتشارها كلّ ما كان في الجوار. ثمّ إنّ الأشياء كلّها تنتج إذا اكتملت. فالذي يكون في حال الاكتمال دائمًا ينتج دائمًا، ويكون نتاجه أزليًّا؛ على أنّ ما ينتج إنّما يكون دونه مقامًا. وما عسانا أن نقول في ما يكون بالغًا تمامه؟ نجيب:

٤٠ لا ينتج عنه إلّا ما هو أعظم الأشياء بعده. / والشيء الأعظم بعده إنّما هو الروح الذي يأتي في المقام الثاني. فإنّ الروح يشاهد ذلك الواحد ولا يحتاج إلّا إليه. أمّا الواحد فلا يحتاج قطّ إلى

الروح. ثم إن الذي ينتج عما هو أعظم من الروح، إنما هو الروح بالذات، والروح أعظم من الأشياء كلها، لأن سائر الأشياء إنما تأتي بعده؛ وكما أن النفس هي من الروح عقله وفعله إن جاز لنا القول، فالروح كذلك من الواحد. / ولكنما عقل النفس مُغشاة جوانبه على أنه من الروح بمثابة صورته، فلا غرو إن كان ينبغي له أن يوجه وجهه للروح. وكذلك القول في الروح: يوجه وجهه هو أيضاً للواحد حتى يستوي روحاً. وهذا وإنه يشاهد الواحد غير مُفصل عنه، لأنه بعده ولا يتوسطهما شيء، كما أنه ليس بين النفس والروح وسط، / فضلاً على أن كل شيء يرغب في من ولده، ويعشقه، لا سيما إذا كان الوالد والمولود وحدهما. وإن كان الوالد هو الخير الأعظم أدى ذلك بالمولود أن ينضم إليه لا محالة بحيث أتتهما لا ينفصلان إلا بالغيرية.

٧] وهنا، لا بد لنا من أن نزيد قولنا وضحاً. إننا نقول في الروح إنه صورة للواحد إذاً. وذلك أولاً يجب في الذي ينشأ أن يكون الواحد من وجه وأن يحتفظ بالكثير منه، وأن يندو متمائلاً معه، مثلما يكون الأمر في الضوء من الشمس. ولكن الواحد ليس بالروح. فكيف يستطيع أن يلد الروح؟ ألا، / لأن المولود يلتفت إلى الوالد فيشاهده؛ وهذه المشاهدة هي الروح بالذات. ذلك لأن ما يدرك الآخر من حيث هو آخر، إنما هو إحساس أو روح. فالإحساس منزلة الخط المستقيم وهلم جراً... لكن الدائرة إنما هي بحيث تقبل التجزؤ، في حين أن الواحد لا يتحرك هكذا. وما من شك في أنه واحد هنا أيضاً، ولكنه الواحد بمعنى أنه الطاقة على صنع الأشياء كلها. فإن الأشياء التي يكون هو الطاقة على إخراجها، إنما هي التي يشاهدها العرفان وكأنه قد اشتق من تلك الطاقة. / وإلا لما كان روحاً. ثم إن للواحد من تلقاء ذاته شيئاً كأنه الشعور بقدرته على أن يحدث ذاتاً. أما الروح ذاته، فإنه على الأقل يُحدد من ناحية الكيان لذاته بواسطة الطاقة التي تنبعث من الواحد. ثم ما دامت الذات منبعثة من الواحد وهي كأنها جزء من أجزائه، فإن الروح يستمد قوته من الواحد ويبلغ كماله ذاتاً، بالواحد ولانبعائه من الواحد. / وهنا، يشاهد الروح، من تلقاء ذاته، وقد أصبح كأنه قد تجزأ عن ذاته هو غير المتجزئ. أقول: يشاهد الروح الحياة والعرفان والأشياء كلها، لأن الواحد ليس بشيء من الأشياء كلها. وإنما تخرج الأشياء كلها من الواحد، لأن الواحد لا يضبطه شكل قط؛ فإن ذلك الواحد إنما هو واحد فقط. / فضلاً على أن ما يكون الأشياء كلها إنما يصبح شيئاً من الأشياء. ولذلك ليس الواحد بشيء مما يكون في الروح، بل إن كل شيء من الأشياء إنما منه يخرج. ومن ثم فإن الأشياء ذوات، وقد تحدت وتعتبت وكان لكل منها هيئته وشكله. فإنه ينبغي للحق ألا يبقى على الغموض كأنما يحوم فيه، بل يقيد بحد يضبطه ويلزم حال السكون. فالسكون إنما هو التحديد والهيئة للروحانيات، / وبهما يصبح الأمر الروحاني شيئاً قائماً في

ذاته . من ذلك المحتد حقاً يخرج الروح الذي نحن في صده . فإنَّ الروح القائم في مُنتهى
 اللِّقاوة والصفاء ، إنَّما هو أهل لثلاً ينبع إلّا من الأصل الأوّل . فإذا نشأ هو أنتج معه وفي الآن
 نفسه الأمور كلّها والمُثل كلّها في حسننها والأرباب الروحانيّة بأسرها . فيُصبح آنذاك حافلاً
 ٣٠ بالأشياء التي أنتجها وكأَنه يعود/ ويغتمرها ليحفظها فيه ، ولا يدعها تندلق في الهَيولى وتتغذى
 من الصَّيرورة الجارية . على هذا المعنى يُؤوّل ما ورد في الشّعائر الدينيّة الباطنيّة والأساطير
 المُتعلّقة بالأرباب من أنّ «كرونوس» صاحب الحكمة في مُنتهاها ، والمُتقدّم على «زوس» ، إنَّما
 يعود إلى ذاته ويحفظ في ذاته ما ولده بحيث يصير عامراً وروحاً في التَّملي . ويُقال فيه أَنه أنتج
 ٣٥ «زوس» بعد ذلك ،/ وهو آنذ الرغد بالذات مُكتملاً . ولا غرو ، فإنَّ الروح يلد عقيماً ، وهو له
 من القوّة القَدْر الذي لديه . إلّا أَنه ليس بوسع المولود ، هنا أيضاً ، أن يكون أفضل من الوالد ،
 بل إنَّه ، ما دام دونه مقاماً ، إنَّما هو صورة له : وهو بذلك غير واضح في معالمة ./ بل إنَّ الوالد
 إنَّما هو الذي يضبط المولود في حُدوده وكأَنه يقيمه في مثاله . لهذا وإنَّ ما ينتج عن الروح إنَّما
 هو عقل ما وشيء قائم في ذاته ، وهو الملكة المُفكِّرة . فإنَّها هي التي تتحرَّك حول الروح ، على
 أنّها النور المُنتشر من الروح وأثره الذي لا يزال مُرتبطاً به . هي مُساقفة مع الروح ، من ناحية ،
 ٤٥ تكفل بذلك تملّيها وتمتّع بالروح وتأخذ منه ، فتكون هي غارقة أيضاً ./ وهي من ناحية أخرى
 مُتصلّة بما يأتي بعدها ، بل إنَّها تنتج ذلك الذي يأتي بعدها ، فيكون دون النُّفس مقاماً لا محالة .
 ولهذا موضوع لا بدّ من الخوض فيه بعد ذلك ، ما دامت الأمور الرُّبانيّة إلى هذا الحدّ تنتهي .

٨ ومن ثمَّ المقامات الثلاثة عند أفلاطون : فإنَّ الأشياء كلّها - ويعني بها الأوَّلِيَّات - إنَّما هي
 حول من يملك كلّ شيء . ثمَّ إنَّ حول الأمور الثابتة في المقام الثاني ما يكون من المقام الثاني ،
 وحول الأمور الثابتة في المقام الثالث ما يكون في المقام الثالث . ثمَّ يقول إنَّ للسَّبب أباً ، وهو
 ٥ يعني بالسَّبب الروح إذ إنَّ الروح هو الصانع عنده ، وهو الذي أنشأ النُّفس ، فيما يقول ، في
 «كأس المزيج» . وما دام الروح هو السَّبب ، فإنَّ والده ، فيما يقول أيضاً ، إنَّما هو الخير المحض
 وما يكون وراء الروح ووراء الذات . ثمَّ إنَّه ، في نواح شتّى من مؤلَّفاته ، يقول عن الحقِّ وعن
 الروح أنّهما المثال . وبالتالي فإنَّ أفلاطون كان عارفاً بأنَّ الروح إنَّما ينبعث من الخير المحض ،
 ١٠ وبأنَّ النُّفس إنَّما تنبعث من الروح . فليست أقوالنا هنا أقوالاً جديدة من استحداث دهرنا ، بل
 إنَّها واردة منذ القَدَم بغير توضيح واسترسال . كما أنّ أقوالنا اليوم ليست إلّا شرحاً وتفسيراً لأقوال
 ١٥ القُدّامي التي يدعم كونها قديمة ما ورد في مؤلَّفات أفلاطون ذاته . وكان برميندوس قبله/ قد ألّم
 بهذا المذهب في الرّأي قدر ما أَنه يجعل الحقِّ والروح شيئاً واحداً ، ويرى أنّ الحقَّ لا يكون في
 الحسِّيَّات ، فيقول «إنَّ العرفان بالروح والكيونة إنَّما هو شيء واحد حقّاً . ثمَّ إنَّه يقول في الحقِّ إنَّه

ساكن ولو أنه يُضيف إليه العرفان. كما أنه ينبغي عن الحق كل حركة جسمانية حتى يبقى كما هو
 ٢٠ على حاله، ويُشبهه بحجم كروي الشكل؛ لأنه ينطوي على الأشياء كلها/ ولأن العرفان لديه ليس
 مُتَّجِهًا إلى الخارج بل مُنحصرًا فيه هو ذاته. ولكن قول برميندوس في مؤلفاته عن هذا الأمر إنه
 واحد كان قولاً مُعرَّضًا للثَّهْمَة بالخطأ، بمعنى أن هذا الواحد إنما يبدو على أنه ذو كثرة أيضًا. أمَّا
 قول برميندوس عند أفلاطون، فهو قول أقرب إلى الصحة والصواب. فإنه يُمَيِّز بعض الأمور
 الثلاثة عن بعض: «الواحد الأول» وهو الواحد بالمعنى الأخص، ثم «الواحد الثاني» الذي
 ٢٥ يُسميه «الواحد ذا كثرة»، وأخيرًا «الواحد الثالث» أي «الواحد مع الكثرة». فكان بذلك هو
 ذاته، على وفاق مع ما نذهب إليه في الطبائع الثلاث.

٩ أمَّا انسكاغوراس فإنه حينما يقول في الروح إنه طاهر، بريء من كل مزيج، إنما يجعل
 هو أيضًا الأول أمرًا بسيطًا، والواحد أمرًا مُفَارِقًا مُنْزَهاً. إلّا أن وجوده في قَدَم الزَّمان حمله على
 إهمال الدقّة في القول. ثم إن هرقليطس كان عارفاً هو أيضًا بأن الواحد إنما هو أزليّ روحانيّ،
 لأنّ الأجسام إنما تكون في صيرورة دائمة وجزّيّ مُستَوِر. أمّا عند اميدوكليس ففي الخصام
 ٥ التَّفَرُّق، وفي المحبّة الوحدة. وهو يرى هذا الواحد بريئاً من الجسمانيّة ويُزِيلُ العناصر منزلة
 الهَيُولَى. ثم يأتي أرسطو بعد ذلك فيذهب إلى أنّ الأول مُفَارِق مُنْزَهِ وروحانيّ. ولكنّه عندما
 يقول فيه إنه «يعرف ذاته بذاته» يعود وينفي عنه كونه الأول. ثم إنه يفترض إلى جانب ذلك
 ١٠ وجود أمور روحانيّة كثيرة على قدر عدد الكُرّات في السَّماء، بحيث/ يحرك كل كُرّة أمر
 روحانيّ واحد. فيذهب في الروحانيّات إلى غير ما يذهب إليه أفلاطون. فيلجأ في ذلك إلى
 الاحتمال إذ إنه ليس بين يديه ما يثبت زعمه إثباتاً ضروريّاً. ولكنّنا ربّما نقف مُتردّدين فيما إن كان
 لهذا القول قابلاً للاحتمال. فإنّ الأقرب للاحتمال، ما دامت الكرى تسهم جمعاً في نظام
 واحد، هو أن نُوجّه هذه الكرى وجهها للشيء الواحد أعني الأول. وربّ سائل يسأل أيضًا
 ١٥ عن رأي أرسطو في الروحانيّات الكثيرة إن كانت تنبعث من شيء واحد،/ أعني من الأول، أو
 إن كانت الأصول في عالم الروحانيّات بعدد كثير. إن كانت الروحانيّات تنبعث من شيء
 واحد، فواضح أنّها تكون مثلما تكون الكُرّات في العالم الحسّيّ. تُحيط الكُرّة بكُرّة أخرى،
 ويكون حقّ التّقدّم للكُرّة الأخيرة من الخارج. وعليه فإنّ الأول في الملأ الأعلى، إنما يكشف
 ٢٠ كلّ ما سواه، ويقوم بذلك عالم روحانيّ. وكما أنّ الكُرّات هنا ليست فارغة/ بل تكون الأولى
 بينها حافلة بالكواكب، ثم تنطوي هذه الكواكب على غيرها، فكذلك الأمر في الملأ الأعلى:
 تنطوي المُحرّكات على أمور كثيرة، وهي أجدر الأمور بأن تكون حقّاً ما دامت هنالك. أمّا في
 الحالة الثانية، إن كان كلّ أمر روحانيّ أصلًا في حدّ ذاته، فإنّ الأصول إنما تكون عن طريق

المُصادَفة والاتِّفاق. فلماذا تكون معًا، ولماذا تتضافر في عرفانها على عمل واحد، وهو تَوافق
 ٢٥ بعض السَّماء الكُلِّيَّة مع بعضها الآخر؟ وكيف يكون/ عدد الأشياء الحسِّيَّة في السَّماء مُساوياً
 لعدد الروحانيَّات والمُحرَّكات؟ وكيف تكون هذه المُحرَّكات من حيث أنَّها بريئة من
 الجسمانيَّة، كثيرة وليس ثَمَّة هَيولى لفصل بعضها عن بعضها الآخر؟
 وهكذا، فإن من بين القُدماء من عدلوا عن مذهب أرسطو ومالوا ميلاً شديداً إلى الأخذ
 بمذهب فيثاغورس وتلاميذه من بعده ومن فيريقدوس، وهم على يقين من وجود تلك الحقيقة،
 ٣٠ أعني حقيقة الواحد؛ فمنهم الذين دَوَّنوا آراءهم/ في مُؤلَّفاتهم، والذين لم يُعالجوها في
 المُؤلَّفات، بل في مُحاضرات غير مكتوبة، أو أهملوها إهمالاً مُطلقاً.

١٠ إِنَّا قد أثبتنا الآن الوجه الذي يجب أن نتصوَّر الأمور عليه: وهو أنَّ الواحد إِنَّمَا هو ما
 وراء الحقِّ، على نحو ما أردنا أن ندلَّ عليه في كلامنا بقدر ما تيسَّر الدَّلالة في هذا الوضمار.
 ثم يأتي بعد الواحد الحقُّ والروح. وتلي النَّفس في حقيقتها في المقام الثالث أخيراً. وكما أنَّ
 ٥ هذه الأمور الثلاثة المذكورة قائمة في العالم،/ كذلك يجب أن نعتقد فيها أنَّها مُتوافرة لنا
 أيضًا. ولست أعني أنَّها فينا من حيث أنَّا أشياء حسِّيَّة، إذ إن هذه الأمور إِنَّمَا هي مُفارقة مُنزَّهة.
 بل إِنَّمَا فينا بمعنى أنَّا نحن خارج الحسِّيَّات، وأنَّا كذلك «خارج» الحسِّيَّات، مثلما تلك الأمور
 «خارج» السَّماء الكُلِّيَّة. وكذلك الأمر عند الإنسان في الشَّيء الذي يُسمِّيه أفلاطون «الإنسان
 ١٠ الباطن». / إنَّ نفسنا إِنَّمَا هي أمر ربَّانيّ إذا ومن طبيعة غير طبيعة الأجسام، وكذلك تكون كلُّ
 نفس في حقيقة ذاتها. لكنَّ كمالها عائد إلى أنَّ الروح بين يديها، وهو روحان: روح مفكِّر
 وروح يكفل التَّفكير. أمَّا المَلَكَة المفكِّرة في النَّفس، فإنَّها لا تحتاج قطَّ لتُفكِّر إلى أداة
 ١٥ جسمانيَّة. بل إِنَّمَا تحتفظ بفعليها صافيًا/ حتَّى يسعها أن تُفكِّر بصفاء. فلا نكون في ضلال،
 وهي كذلك على صَفائِها وبراءتها من الجسمانيَّة، إن جعلناها في المَلَأ الروحانيِّ الأعلى. ذلك
 لأنَّه يجب فيها ألاَّ نبحث لها عن مكان ننزلها فيه، بل يجب أن نجعلها مُستقلَّة عن كلِّ مكان.
 فكذلك يكون الأمر القائم في ذاته مع ذاته، المُستقل بذاته، غير الهَيولانيِّ: فهو وحده، وليس
 ٢٠ لديه شيء/ من الطَّبيعة الجسمانيَّة. ولذلك يقول أفلاطون في العالم الكُلِّيّ إنَّ الإله «مدُّ النَّفس»
 حول العالم ومن الخارج أيضًا، مُشيرًا بهذا القول إلى ما بقي من النَّفس في العالم الروحانيِّ.
 أمَّا فيما يتعلَّق بنا نحن، فإنَّه قد أشار إلى الشَّيء ذاته إذ قال إنَّ النَّفس «مقيَّمة في القِيَمَة، في
 الرُّأس». ثمَّ إنَّ الدَّعوة إلى الانفصال لا تعني انفصالاً بالمكان، إذ إنَّ ذلك الجزء من النَّفس
 ٢٥ مُنفصل عن الجسم طبعًا./ بل إنَّ هذه الدَّعوة تعني انفصالاً بمعنى العُروف عن الدُّنيويَّات حتَّى
 في تصوَّراتنا، وبمعنى هجر كلِّ ما يمتُّ إلى الجسم بِصلة. فلعلَّه يَتيسَّر لبعضهم أن يرتقي

بجانب نفسه الآخر، فيرفع معه إلى الملاء الأعلى ما يقيم منها هنا، ذلك الجسم الذي يُقْبَلُ هو
٣٠ وحده على البدن فيصنعه ويجهله ويكون معه في شغل شاغل /.

١١ [] إِنَّ النَّفْسَ الْمُفَكِّرَةَ لَا تَزَالُ مُهْتَمَّةً بِمَا هُوَ الْعَدْلُ وَالصَّلَاحُ، وَإِنَّ الْفِكْرَ لَا يَزَالُ يَبْحَثُ عَنِ
الشَّيْءِ إِنْ كَانَ يُوَافِقُ الْعَدْلَ وَالصَّلَاحَ. وما دام الأمر كذلك، فلا بُدَّ من قياس للعَدْلُ ثابت،
ينشأ فيه الْفِكْرُ فِي النَّفْسِ. وإلَّا فكيف تُفَكِّرُ؟ ثُمَّ إِنَّ النَّفْسَ تُفَكِّرُ تَارَةً فِي تِلْكَ الْأُمُورِ وَطَوْرًا لَا
تُفَكِّرُ. / فلا غرو إِنْ كَانَ ثَابِتًا فِينَا آنَ ذَاكَ، لَا الرُّوحَ الَّذِي يُدْرِكُ الْعَدْلَ بِالْفِكْرِ، بَلِ الرُّوحَ الَّذِي
يَنْطَوِي دَائِمًا عَلَى الْعَدْلِ. وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فَإِنَّ فِينَا أَصْلَ الرُّوحِ أَيْضًا وَسَبَبَهُ، كَمَا أَنَّ فِينَا
الْإِلَهَ وَهُوَ غَيْرُ مُجْزَأٍ. بَلِ إِنَّهُ بَاقٍ كَمَا هُوَ فِي ذَاتِهِ بَبَقَاءٍ فِي غَيْرِ الْمَكَانِ. مَعَ أَنَّا، مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى،
إِنَّمَا نَشَاهِدُهُ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، يَتَلَقَّاهُ كُلُّ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَلَقَّاهُ، وَكَأَنَّهُ يَتَلَقَّى ذَاتَهُ وَهِيَ غَيْرُهُ. مِثْلُ
١٠ ذَلِكَ مِثْلُ مَرَكْزٍ / الدَّائِرَةِ يَكُونُ فِي ذَاتِهِ مَعَ ذَاتِهِ، بَيِّدُ أَنْ لِكُلِّ شُعَاعٍ مِنْ أَشْعَةِ هَذِهِ الدَّائِرَةِ نَقْطَةٌ
فِيهِ، فَضْلًا عَلَى أَنْ كُلَّ خَطٍّ فِيهَا يَعُودُ إِلَيْهِ مَعَ الْخَاصَّةِ الَّتِي يَنْفَرِدُ بِهَا خَطًّا. هَذَا وَإِنَّا مُتَّصِلُونَ
بِذَلِكَ الْأَصْلِ مِنَ الْأَصُولِ الثَّابِتَةِ فِينَا، وَمَعَهُ نَكُونُ نَرْتَبِطُ بِهِ، لَا بَلِ إِنَّا فِيهِ مُقِيمُونَ مَا دُمْنَا نَعْمِلُ
١٥ مَعَهُ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى /.

١٢ [] كَيْفَ لَا نَنْتَبِهَ إِلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْعَظِيمَةِ وَهِيَ فِينَا، بَلِ كَيْفَ نَدْعُ تِلْكَ الْقُوَى كُلَّهَا مُعْطَلَةً
عَنِ الْعَمَلِ، وَنَجِدُ أَنَا سَالًا لَا يَسْخَرُونَهَا لِلْعَمَلِ مُطْلَقًا؟ فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِنَّمَا تَكُونُ
دَائِمًا مُسْتَمِرَّةً فِي أَعْمَالِهَا: الرُّوحُ، وَمَا هُوَ قَبْلَ الرُّوحِ، ذَلِكَ الَّذِي يَبْقَى دَائِمًا ثَابِتًا فِي ذَاتِهِ،
٥ وَكَذَلِكَ النَّفْسُ أَيْضًا هِيَ الدَّائِمَةُ التَّحْرُكُ. وَلَكِنْ لَا يُصْبِحُ كُلُّ مَا يَقَعُ فِي النَّفْسِ شَيْئًا/
مَحْسُوسًا، إِنَّمَا يَنْتَهِي إِلَيْنَا عِنْدَمَا يَبْلُغُ الْإِحْسَاسَ. أَمَّا الْجُزْءُ الَّذِي يَعْمَلُ ثُمَّ لَا يَنْقَلُ عَمَلُهُ إِلَى
الْحَوَاسِّ، فَإِنَّ عَمَلَهُ لَنْ يَنْفُذَ إِلَى النَّفْسِ كُلِّهَا. وَلَسْنَا نُدْرِكُهُ إِذَا لَأَنَّ مَلَكَةَ الْحَوَاسِّ إِنَّمَا هِيَ مِمَّا
نَحْنُ عَلَيْهِ فِي ذَوَاتِنَا؛ وَمَا نَحْنُ عَلَيْهِ فِي ذَوَاتِنَا لَيْسَ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ النَّفْسِ بَلِ النَّفْسُ كُلُّهَا. ثُمَّ إِنَّ
١٠ لِكُلِّ قُوَّةٍ مِنْ قُوَى النَّفْسِ حَيَاتُهَا الدَّائِمَةُ، / فَتَعْمَلُ كُلُّ قُوَّةٍ عَمَلَهَا الْخَاصَّ بِحَسَبِ الْحَالِ الَّذِي
تَكُونُ فِيهِ عَلَيْهِ. أَمَّا الشُّعُورُ بِذَلِكَ فَلَا يَتِمُّ إِلَّا إِذَا تَمَّ اشْتِرَاكُ وَإِدْرَاكِ. فَإِذَا شَتْنَا أَنْ نُؤَفِّرَ لَنَا إِدْرَاكِ
أُمُورٍ تَحْضُرُ هُكْذَا، وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نُحَوِّلَ الْمُدْرِكَ فِينَا إِلَى الْبَاطِنِ، وَأَنْ نُوقِظَ انْتِبَاهَانَا هُنَا. فَإِنَّ
١٥ الْمَرْءَ، إِنْ كَانَ يَتَوَقَّعُ صَوْتًا أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَهُ، أَغْفَلَ الْأَصْوَاتِ الْأُخْرَى، / وَأَرْهَفَ أُذُنِيهِ لِأَرْغَبِ
الْمَسْمُوعَاتِ لَدَيْهِ رِثْمًا يُقْبَلُ. كَذَلِكَ يَنْبَغِي عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَنْ نُهْجَلَ الْمَسْمُوعَاتِ الْحَسِّيَّةِ،
إِلَّا مَا تَمَسَّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، وَأَنْ نَحْرَصَ عَلَى أَنْ تَكُونَ قُوَّةُ الْإِدْرَاكِ فِي النَّفْسِ صَافِيَةً مُهَيَّأَةً
٢٠ لِلْإِسْتِمَاعِ إِلَى نَغَمَاتِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى /.

الفصل الثاني

(١١)

في الإبداع وفي ترتيب الأمور المتأخرة على الأول

١ إنَّ الواحد إنَّما هو الأشياء كلها، ثمَّ إنَّه ليس شيئًا من الأشياء. فإنَّ أصل الأشياء كلها ليس بالأشياء كلها؛ بل إنَّ هذه الأشياء كلها بما هو عليه في الملاء الأعلى. أو بالأحرى إنَّها لديه ولما تكن، بل ستكون بعد ذلك. ولكن كيف تخرج من البسيط الواحد، وهو، ما دام باقيا هو هو ذاته، لا يظهر قطُّ فيه اختلاف ولا تنويه في شيء مهما يكن؟ ألا، لم يكن فيه شيء، ولأنَّه كان كذلك انبعثت منه الأشياء كلها. فحتَّى يكون/ الحق، كان يجب فيه هو الواحد، ألا يكون الحق، بل أن يكون مُبدع الحق، فيُصبح هذا الإبداع بمنزلة الإبداع الأول. ذلك لأنَّ الواحد، ما دام كاملاً (فإنَّه لا يسعى وراء شيء، ولا يملك شيئاً، ولا يحتاج إلى شيء) فإنَّه يفيض، وهو فيضانه هو الذي يُبدع شيئاً يختلف عنه. أما الشَّيء المُبدع فإنَّه يكون قد التفت إلى الواحد وامتلأ منه، وأخذ/ ينظر إلى ذاته، فأصبح هو الروح آنذاك. لقد جعله وقوفه عند الواحد حقاً، وجعلته مُشاهدته لذاته روحاً. وما دام قد وقف عند الواحد ليشاهده، فإنَّه أصبح روحاً وحقاً في آن واحد.

ولما كان هذا الروح كأنه الواحد، فإنَّه يصنع ما يُحاكي صُنع الواحد، إذ إنَّه يفيض بقوة عظيمة (ولا غرو إنَّ كان الروح مثال الواحد)، كما أنَّ/ الواحد المُتقدِّم عليه كان قد استفاد هو أيضاً. ثمَّ إنَّ هذا الصُّنع المُنبعث من الذات إنَّما هو تحقيق النَّفس، التي تُصبح ذلك الأمر، في حين يبقى الروح على ما تكون عليه في ذاته. ذلك بأنَّ الروح صار روحاً على حين بقي الواحد المُتقدِّم في ما هو عليه بذاته. أما النَّفس فإنَّها تفعل فعلها وهي غير باقية على حالها، بل تتحرَّك فتُبدع أثراً ما. فإنَّ توجُّه وجهها إلى الملاء الأعلى الذي خرجت منه، تُصبح حافلة مُمتلئة، وإنَّ تُقبل إلى الجهة الأخرى المُغايرة تُنتج أثرها، وهو الإحساس والطَّبيعة/ الكامنة في الثَّبات. هذا على أنَّ شيئاً منها لا يكون مُفصلاً عمَّا يتقدَّمه وليس مَقطوعاً. فالذي يبدو هو النَّفس في جانبها الأسفل إنَّما تنتهي إلى عالم الثَّبات. والواقع هو أنَّها تنتهي إلى ذلك من وجه ما لأنَّ ما يكون في الثَّبات إنَّما هو منها. ولكنَّها ليست كلها في الثَّبات، بل إنَّها تُصبح في الثَّبات على قدر ما إنَّها

٢٥ تسلك سفلًا فُتحِث، / بسلو كها وبزوعها إلى ما هو دونها مقامًا، شيئًا آخر قائمًا في ذاته. أما ما يكون منها مُتقدِّمًا على ذلك، والذي لا يزال مُرتبطًا بالروح، فإنه يدع الروح مع ذاته في ذاته.

٢ إنَّ الأمور مُتسلسلة من الأوَّل إلى الآخر إذا، ينفرد كلٌّ منها بمقامه دائمًا، على أن يشغل المُحدَّث مقامًا غير مقام المُحدِّث، وهو المقام الأَخَس. ومع ذلك فإنَّ الشَّيء يتحوَّل بالذات إلى ما يكون مُشرفًا عليه، ما دام يتبع هذا المُشرف مُتقيِّدًا به. فإنَّ كانت النَّفس في الثَّبات، فإنَّ ما في الثَّبات حينئذٍ غير ما هي عليه في ذاتها، وكأنَّه جزء منها، / وهو أَجهل أَجزائها وأنقصها ٥ حكمة وأبعدها سُلوكًا وتوعُّلاً في هذه الناحية. وإنَّ كانت النَّفس في عالم البهيمية، فالذي ساقها إليه إنما هو قوَّة الإحساس الراجعة فيها آنذاك. أمَّا إنَّ انتهت النَّفس إلى عالم الإنسان، فإنَّما أن تكون حركتها ضمن حُدود العقل الناطق إجمالًا، وإمَّا أن تتبع هذه الحركة من الروح على أنَّ للنَّفس روحها الخاصَّ وأنها تريد أن تعرف أو، بوجه عام، أن تتحرَّك من تلقاء ذاتها. هذا ١٠ ولتُعَدَّ / إلى موضوعنا في بدايته. إذا قطعنا غصنًا من الأغصان النابتة في جوانب الشَّجرة أو رؤوس الأغصان ذاتها، فأين تنطلق النَّفس التي كانت كامنة فيها؟ ألا، إنها تعود إلى موضعها الأصلي الذي خرجت منه. فإنَّها لم تبتعد عنه ابتعادًا بالمكان، وهي مع أصلها شيء واحد إذا. وإذا قطعت الجذَّر أو أحرقت، فالى أين ينطلق ما كان من النَّفس في الجذَّر؟ نُجيب: إنَّه يُصبح ١٥ في النَّفس الفاتكة، إذ إنَّه لم / يَمْضِ إلى محلٍّ آخر. حتَّى ولو كان في ذاته، فإنه في غيره إن كان من شأنه أن يرتقي. وإن لم يرتق، فإنه يحلُّ في ثبات آخر، إذ إنَّه لا يحصر في محلٍّ واحد. أمَّا إن ارتقى، فالى القوَّة المُتقدِّمة عليه. ولكن أين تكون هذه القوَّة؟ نُجيب: القوَّة المُتقدِّمة عليها أيضًا. أمَّا هذه القوَّة الأخيرة ففي جوار الروح، وهو ليس جوارًا بالمكان. فإنَّ شيئًا لا يكون في المكان هنا. أمَّا الروح فهو أخرى، بوجه خاصَّ، بالأَّ يكون في مكان؛ ومن ثَمَّ، فالنَّفس أيضًا. ٢٠ وإن لم تكن النَّفس في مكان، / بل في ما هو يكون في مكان، فإنَّها من كلِّ ذلك في كلِّ مكان. فإذا سلكت من السَّفل علَّوًا ووقفت بين العالمين ولمَّا ترقَّ إلى العالم الأعلى رُقيًّا تامًّا، كانت حياتها بين الجسَّية والروحانية، واستقرَّت هي ثابتة في هذا العالم الوَسَط. ٢٥ إنَّ الأشياء كلها، إنما هي الواحد إذا، كما أنَّها ليست الواحد أيضًا. هي هذا الواحد / لأنَّها منه خرجت؛ وليست هذا الواحد، لأنَّه إنما أمَّدها بالكيان وهو باقٍ مع ذاته في ذاته. فكانَ كلُّ ذلك حياة تطول وتمتدُّ بعيدًا، يختلف كلُّ جزء عمَّا يليه. أمَّا الكلُّ فهو مُتماهيك في ذاته مع ذاته، يتمايز بعضه عن بعضه الآخر، ثم لا يفنى منه المُتقدِّم في ما يتأخَّر عليه. وما عسى أن ٣٠ يكون من أمر النَّفس الكامنة في الثَّبات؟ أفلا تُنتج شيئًا؟ بلى! إنما تُنتج ما تكون فيه هي. أمَّا كيف تُنتج، فيجب علينا البحث عنه، مُتقدِّمين بأصول أخرى.

الفصل الثالث

(٤٩)

في الأنايم العارفة وفي ما هو وراء الحق

١ هل يجب في الذي يعرف ذاته أن يكون مُختلف الأجزاء، بحيث يرى بجزء من أجزائه الأخرى فيقال فيه آتئذٍ إنه يدرك ذاته؟ لم يكن ذلك بمعنى أنه، ما دام في مُنتهى البساطة، لا يسعه أن يلتفت إلى ذاته وإلى عرفانه لذاته؟ وإن شئنا فلنقل: هل بوسع غير المُركَّب أن يعرف ذاته؟ إنَّ العرفان الحقَّ للذات لا يتوقَّر حقًّا لما يقال عنه إنه يعرف ذاته لأنَّه مُركَّب، بمعنى أنه يعرف بأحد أجزائه أجزاءه الأخرى، كما يكون الأمر في ما لو أدركنا بالإحساس صورتنا إلى ما سواها من طبائع بدننا. فإنَّ الكلَّ لا يكون مُدركًا في إدراك مثل هذا الإدراك، إذ إنه لا يصحُّ/ آنذاك على الجزء الذي يعرف الأجزاء الأخرى المُصاحبة له أن يُقال فيه إنه يعرف ذاته أيضًا. فلا يكون هو ما نبحت عنه، أعني الشَّيء الذي يعرف ذاته، بل يكون شيئًا يختلف عن الشَّيء الذي يُدركه وهو غيره. نحن بين أمرين حتمًا إذًا: أو أن نفترض أن الأمر البسيط يعرف ذاته، فيجب أن نبحت عن ذلك كيف يكون إن أمكن البحث، أو إنه يجب أن نعدِّل عن الرَّأي أنَّ شيئًا يعرف ذاته حقًّا. أمَّا العدول عن هذا الرَّأي فهو أمر في مُنتهى الاستحالة/ لأنَّه يُؤدِّي إلى نتائج كثيرة غير معقولة. فإنَّه من المُستغَرَب جدًّا ألا نُسَلِّمَ للنفس بعرفان ذاتها. لكنَّ مُنتهى الاستغراب في أن نذهب إلى أنَّ الروح في حقيقته ليس قائمًا في معرفته لذاته وعلمها بها بعد أن أصبح حاصلًا على معرفة غيره. فإنَّ ما يكون في الخارج إنَّما هو الإحساس الذي يُدركه وليس الروح،/ ولا ضير إن قلنا إنَّ الفكرة والرَّأي يُدركانه أيضًا. أمَّا إن كان للروح معرفة بذلك الذي يكون في الخارج فهو أمر يجدر البحث عنه، مع العلم بأنَّ الروح يُدرك الأمور الروحانيَّة كلها، على كلِّ حال. ولكنَّ العارف الذي يُدرك هذه الأمور هل يُدركها وحدها أم يُدرك معها ذاته أيضًا؟ أو يعرف ذاته بمعنى أنه يُدرك هذه الأمور فقط ثمَّ لا يعرف ما يكون هو في ذاته؟/ أو يعرف أنه يُدرك ما يكون منه وينفرد به، ثمَّ لا يعرف من هو العارف بالذات؟ أو أنه يعرف ذاته ويعرف ما يكون منه وينفرد به أيضًا؟ ثمَّ على أيِّ وجه يتمُّ هذا العرفان، وإلى أيِّ حدٍّ ينتهي؟ هذا ما يجب البحث عنه.

٢ يجب البحث أولاً في النفس عما إذا لم يكن بدٌّ من أن نُسلم لها بمعرفة ذاتها، وعن الأصل العارف فيها، وكيف يعرف. أما قوة الإحساس فإننا نستطيع أن نقول إنها في حد ذاتها إنما تُدرك ما يكون في الخارج فقط. وإن تناول الإحساس أحوالاً تحدث في باطن البدن، فإن إدراك هذه الأحوال إنما يكون إدراكاً لأمر خارجة عن قوة الإحساس هنا أيضاً. / فضلاً على أن قوة الإحساس تحسّ بالأحوال التي تحدث في البدن على أنها أحوال تقع تحتها.

أما الفكر فإنه يُبدي حكمه مُطلقاً من الصُّور التي تعرض له مُنبئة من الإحساس، فيجمع فيما بينها ويُفرِّق بعضها عن بعض. ثم إنه ينظر إلى الأمور التي تنبعث من الروح كأنه ١٠ ينظر إلى انطباعات، فيقابلها بالقوة ذاتها التي تُقابل بها الأمور الحسيّة. / وهو يكفل له الفهم بعد ذلك إذ يتبيّن الصُّور الجديدة التي يكون حديث العهد بها ويوفِّق بينها وبين الانطباعات القديمة الكامنة فيه. ولهذا هو ما يسعنا أن نصفه بأنه ذكريات النفس. فهل تقف القوة الروحانيّة ١٥ المُستَكِنّة في النفس عند هذا الحدّ أم تعود إلى ذاتها وتعرف ذاتها؟/ ألا، إنما هذا أمر يجب أن يردّ إلى الروح ذاته. فإذا سلّمنا لهذا الجزء من النفس بأنه يعرف ذاته - ونقول فيه آتئذٍ إنه هو الروح - وجب علينا أن نبحث عما يميّز به عن الروح الفائق؛ أما إن لم نسلّم بذلك، فإن سياق الكلام يُؤدّي بنا إلى الروح الفائق ذاته، فينبغي أن نبحث عن «العارف الذي يعرف ذاته» ما عساه ٢٠ أن يكون. ثم إن سلّمنا للقوة الروحانيّة هنا في العالم الأسفل/ بأنها تعرف ذاتها، وجب أن نبحث عما يميّز بين معرفة الذات هنا وهناك. وإن لم يكن قطّ بين الطرفين فارق، فإن تلك القوة إنما هي الروح في صفاته.

فهل نقول هذه القوة، أعني قوة التّفكير في النفس، إنها تعود هي أيضاً إلى ذاتها؟ كلا! بل إنها يتوافر لها فهم الانطباعات التي تتلقّاها من الجهتين كليهما، العليا والسفلى. ولا بدّ من ٢٥ البحث أولاً عن هذا الفهم/ كيف يتوافر لها.

٣ ها هوذا الإحساس يرى إنساناً ثم ينقل الانطباع إلى الفكر. فما عسى الفكر أن يقول؟ ألا، لا يقول شيئاً، بل إنه يدرك فقط، ثم يتوقّف. إلّا إذا تساءل بينه وبين ذاته في ما عسى أن يكون ذلك الذي يراه، وكان قد صادفه من قبل، فيقول، لاجئاً إلى الذاكرة، إن ذلك الإنسان ٥ إنما هو «سقراط». ثم إذا بسط/ الصورة يتبيّن مفضّلة، أخذ يقسّم في الأشياء التي دفعها إليه القوة الخياليّة. وإذا قال في سقراط إنه فاضل صالح، فإنه يستمدّ قوله من الأشياء التي أدركها بواسطة الإحساس؛ أما حكمه على هذه الأشياء، فإنه يستمدّه من ذاته إذ إن معيار الخير والصّلاح مُتوافر لديه. ولكن كيف يتوافر الخير والصّلاح لديه؟ ألا، إن بينه وبين الخير ١٠ تجانساً، ولقد ثبتّه/ في الشّعور بالخير إشراق الروح عليه. فإن هذا الجانب إنما هو الجانب

الظاهر من النَّفْس، فيتلقَّى الآثار التي تنبعث من الروح. ولماذا لا نقول فيه إنَّه هو الروح، فتكون النَّفْس ما هو سواء فيها، إبتداءً من قوَّة الإحساس؟ ألا، لأنَّ النَّفْس يجب فيها أن تكون حيث يكون التفكير، وكلَّ ما ذكرناه إنَّما هو أعمال القوَّة المُفكِّرة. ولعمري، لماذا لا نُسلِّم للفكر/ بعرفانه لذاته، ونكون بذلك من أمرنا في كفاية؟ ألا، لأنَّ سلَّمتنا له بالنظر في الأمور الخارجة عنه وبتوَّع اهتمامه واشتغاله. أمَّا الروح فإنَّنا نذهب إلى أنَّ الأمور التي ينفرد بها إنَّما هي حاضرة معه وأنَّه ينظر في ما لديه فقط. لهذا وقد يقول قائل: «ما هو المانع الذي يمنع الفكر عن أن ينظر إلى الأمور التي تخصُّه بقوَّة أخرى من قواه؟ وإذا فعل، فإنَّه لا يبحث عن الفكر ولا عن العقل الاستدلالي،/ بل إنَّه يدرك الروح الطاهر آنثي. فما هو المانع الذي يمنع الروح الطاهر عن أين يكون في النَّفْس؟ نقول إنَّه لا يمنع من ذلك مانع. ولكن هل يجب أن نُضيف بعد ذلك أنَّه من لوازم النَّفْس؟ كلا! لا نقول فيه إنَّه من لوازم نفسها. ومع ذلك، فإنَّنا نقول فيه إنَّه روحنا: أجل إنَّه شيء يختلف عن الفكر، وهو فوق الفكر، ومع ذلك فإنَّه روحنا،/ حتَّى ولو لم نحسبه بين أجزاء النَّفْس. أو إنَّ شئنا فلنقل إنَّه روحنا وهو ليس روحنا أيضًا: فإنَّنا نلجأ إليه تارة ولا نلجأ إليه طورًا؛ أمَّا التفكير فإنَّنا نستعمله دائمًا. فإذا لجانًا إليه كان روحنا، وإن لم نلجأ إليه لم يكن روحنا. وماذا يعني هذا اللُّجوء؟ هل يعني أنَّنا نُصبح نحن الروح، وأن كلامنا/ يُصبح بمثابة كلام الروح؟ ألا، بل إنَّه يعني أنَّ كلَّ ذلك إنَّما يكون مُنسجمًا مع الروح. ذلك لأنَّنا نحن لسنا الروح؛ ولكنَّا ننسجم مع الروح بفكرنا، وهو أوَّل ما يتلقَّى الروح مثًا. فإنَّنا نحسّ بوساطة الإحساس، وإنَّما نحن الذين نحسّ. هل يصحُّ القول ذاته علينا إذ نفكِّر وإذ ندرك بوساطة الروح؟ ألا، إنَّنا نحن الذين نفكِّر ونحن الذين نعرف بالروح ما ينطوي الفكر عليه من روحانيَّات. وكلَّ ذلك إنَّما هو نحن بالذات./ أمَّا أعمال الروح فإنَّها تأتي من فوق، كما أنَّ مُعطيات الإحساس تأتي من تحت. أمَّا ما نحن عليه في ذواتنا، فهو الجانب الراجح من النَّفْس، الذي يستوي بين القوَّتين، السُّفلى والعُليا: فالقوَّة السُّفلى هي قوَّة الإحساس، والقوَّة العُليا هي قوَّة الروح. لكنَّه يبدو في الإحساس أنَّ كونه إحساسنا إنَّما هو أمر مُسلَّم به، إذ إنَّنا نحسّ دائمًا./ أمَّا الروح، فإنَّ في أمره ألياسًا، لأنَّنا لا نلجأ إليه دائمًا ولأنَّه مُنزَّه مُفارق. وهو مُفارق بمعنى أنَّه ليس هو الذي يَميل إلينا، بل نحن الذين نوجَّه وجهنا إليه في الملا الأعلى. فالإحساس بين يدينا إنَّما هو خادم مُستمر؛ أمَّا بالنسبة إلينا فهو الروح.

٤] ولقد نُصبح ملوكًا نحن أيضًا، عندما ننسجم مع الروح. وأن ننسجم معه من وجهين: وجه أوَّل وهو أن يتمَّ هذا الانسجام بما يكون فينا بمنزلة حروف كأنَّها أحكام مُدوَّنة على صفحات صُدورنا. ووجه ثانٍ وهو أن نمسي كالحافلين بالروح، بل قادرون على أن نراه

٥ ونحسّ بحُضوره. / وعند ذاك نعرف ذواتنا لأنّا بمُشاهدتنا لهذا الأمر العظيم نعلم الأشياء الأخرى كلّها بهذا الأمر العظيم ذاته: فإنّما أن نعلم القوّة التي تعرفه، وذلك بتلك القوّة ذاتها؛ أو أنّا نصبح ذلك الأمر العظيم ذاته. وعليه، فإنّ العارف لذاته هو عارفان: العارف الذي يعرف/ الفكر التّفنسيّ في حقيقة ذاته؛ والعارف الذي يتجاوز إلى ما فوق هذا الفكر، فيعرف ذاته من حيث أنّه أصبح هو ذاته ذلك الروح بالذات. ولدى هذا العارف الأخير، لا يعود العرفان للذات، بعد ذلك، مثل عرفان الإنسان ذاته. بل إنّهُ يُصبح شيئاً آخر من كلّ وجه، فينجذب إلى المملأ الأعلى ساحباً وراءه خير ما في التّفنّس فقط. وهذا الجانب منها إنّما هو الجانب الذي يقوى وحده أن يطير طيراناً إلى العرفان، بحيث يتيسّر لمن يحلّ هنالك، أن يستبقي لديه ما شاهده، مُحفّظاً به. ولعمري، ألا يدري الفكر أنّه في الواقع فكر وأنّه يُدرك معنى الأمور الخارجة عنه، / وأنّه إذا حكم على شيء، فبرجوعه إلى أحكام كامنة فيه، يستمدّها من الروح؟ وبالتالي، فلا يدري أنّ ثمة حقيقة هي أفضل منه، لا يحتاج أن يبحث عنها إذ إنّها حاضرة لديه دائماً، وما في الأمر شك؟ وهل هذه الحقيقة شيء ليس للفكر علّم بها، وهو يعرف من أيّ نوع هي، ومن أيّ نوع تكون أعمالها؟ فإنّ الفكر هو الذي يُفصح عن أنّه من الروح وعن أنّه الثاني بعد الروح وصورة للروح. / وهو ينطوي على الأشياء كلّها كأنّها مدوّنة فيه مثلما يُدوّنونها ودوّنوها من هو قائم في المملأ الأعلى. وإن كان ذلك كذلك، أيقف الفكر عند هذا الحدّ وهو يعرف ذاته هكذا؟ أفنلجأ إلى قوّة أخرى لتُشاهد الروح الذي يعرف ذاته، أو نُدرّكه إدراكاً مُباشراً ما دام هو روحنا وما دمنا نحن منه فنعرفه ونعرف ذاتنا معه؟/ ألا، إنّ الأمر كذلك يكون لا محالة، ما دام شأننا أن نعرف ما عسى أن يكون في الروح «عرفان الذات للذات». فإنّه أصبح روحاً ذلك الإنسان، وقد تخلّى عمّا سوى ذاته ليُشاهد الروح بالروح، أو بالأحرى ليُشاهد ذاته بذاته. أجل، لقد يُشاهد ذاته من حيث أنّه روح.

٥ هل يعني ذلك أنّه يرى بجزء منه جزءاً آخر من أجزائه؟ ولكن إن كان ذلك كذلك كان فيه شيء يرى وشيء آخر يُرى، وليس هذا عرفاناً للذات بالذات. فإن قيل: ولم لا، ما دام الكلّ بحيث يتجانس بعضه مع بعض، فلا فرق بين راء ومرئيّ؟ وإنّ يَرّ الروح جزء وأنّه معه لشيء واحد يَرّ ذاته، / فلا فَرْق آنذاك بين ناظر ومَنْظور. قلنا: أوّلاً إنّ هذا التّقسيم في الروح ذاته ليس شيئاً معقولاً. فكيف يتقسّم؟ فإنّ هذا التّقسيم لا يتمّ بالمُصادفة. ثم من يكون المُقسّم؟ أيكون الجزء الذي جعل ذاته في حال المُشاهد أو الذي جعل ذاته في حال المُشاهد؟ ثم كيف يعرف ١٠ المُشاهد ذاته في المُشاهد/ وهو قد جعل ذاته في حال المُشاهد؟ فإنّ المُشاهدة لم تكن في المُشاهد. أو إنّهُ أدرك ذاته وهو كذلك، عرف ذاته مُشاهدًا لا مُشاهدًا. ويعني ذلك أنّه لا يُدرك

ذاته بكاملها ولا كلاً. فإن يرى إنَّما هو شيء مُشاهد، وليس يرى شيئاً مُشاهداً: فيكون بذلك قد
 ١٥ شاهد غيره، ولم يُشاهد ذاته؛ / أو أنه يُضيف من ذاته ذلك الذي يكون قد شاهد حتى يُصبح
 بذلك قد عرف ذاته بكاملها؛ ولكنَّه إن عرف ذاته وقد كان يُشاهد، فإنه يعرف في الآن ذاته نفسه
 والأُمور التي يُشاهدها. إن كانت المُشاهدات حاضرة في المُشاهدة إذًا، فنحن بين أمرين: إمَّا
 إن انطباعات المُشاهدات هي التي تكون حاضرة، فلا يكون الروح حاصلًا على المُشاهدات
 ذاتها؛ وإمَّا إنَّ الروح يكون حاصلًا على المُشاهدات، فلا يُشاهدها آنذاك من حيث أنه تجزأ في
 ٢٠ ذاته، / بل يُشاهدها بين يديه قبل أن يحصل لهذا التَّقسيم. فإذا كان ذلك وَجَبَ في المُشاهدة أن
 تكون هي والمُشاهد شيئًا واحدًا، وَجَبَ في العارف أن يكون هو والمَعروف شيئًا واحدًا أيضًا.
 ذلك بأنَّهما لو لم يكونا شيئًا واحدًا، لما كانت ثمة حقيقة قَطُّ، إذ إنَّ ما شأنه أن يُدرك الحقَّ
 آنذاك قد أدرك انطباعًا يختلف عن الحقِّ، وليس الانطباع وهو الحقيقة بالذات. يجب في
 ٢٥ الحقيقة ألا تكون حقيقة شيءٍ يختلف عنها، / بل يجب في ما تُخبر عنه أن يكون هو هو
 بالذات. فلقد تبَيَّنَ بذلك أنَّ الروح والأمر الروحانيَّ والحقَّ شيء واحد، وأنَّ ذلك هو الحقَّ
 الأوَّل. كما أنه اتَّضح أنَّ الروح الأوَّل هو الذي يَنطوي على الحقِّ كلِّه، أو بالأحرى أنه هو
 والحقُّ كلَّه شيء واحد.

ولكن إن كان العرفان والمَعروف شيئًا واحدًا، فكيف يُؤدِّي هذا إلى أن يعرف العارف
 ٣٠ ذاته؟ أجل، قد يكون العرفان شيئًا كأنَّه يُحيط/ بالمَعروف أو أنه يكون هو والمَعروف شيئًا
 واحدًا، ولكنَّ عرفان الروح لذاته لا يزال أمرًا غامضًا. بل لو كان العرفان هو المَعروف (فإنَّ
 المَعروف هو فَعْلٌ وليس بقوَّة، وإلا لما كان مَعروفًا. ثمَّ إنَّه ليس عديم الحياة، كما أنَّ العرفان
 والحياة لم يُضافا إليه إضافتهما إلى شيءٍ يختلف عنهما، كأنَّهما يُضافان إلى حجر أو جماد)،
 ٣٥ لَكان المَعروف هو الذات الأولى. / إن كان العرفان فَعْلًا إذًا، فإنَّ العرفان إنَّما هو الفَعْل الأوَّل
 الذي يفوق كلَّ الأفعال حُسْنًا وروْنًا، وهو عرفان قائم بذاته كما أنه الأخرى بأن يكون عرفانًا
 حقًّا. والعرفان الذي يكون من هذا الطَّرَاز، والذي هو العرفان الأوَّل أصلًا، إنَّما هو الروح
 الأوَّل. ذلك لأنَّ هذا الروح لا يكون بالقوَّة، ولا يكون هو شيئًا وعرفانه شيئًا آخر، لأنَّ قيامه في
 ٤٠ ذاته يكون عند ذاك، كما قلنا، / شيئًا بالقوَّة. إن كان هذا العرفان فَعْلًا حقًّا، وكانت ذاته فَعْلًا
 حقًّا أيضًا، كان هو وفعله مُحَقَّقًا شيئًا واحدًا. ثمَّ كان الحقَّ والمَعروف مع هذا الفَعْل شيئًا واحدًا
 أيضًا. وكان أخيرًا كلُّ ذلك معًا شيئًا واحدًا: الروح والعرفان والمَعروف. وبعد، لو كان عرفان
 الروح هو المَعروف، وكان المَعروف هو الروح ذاته، لبات الروح يعرف ذاته لا محالة. فإنَّ
 الروح يعرف بالعرفان، وكان العرفان هو الروح ذاته؛ ويعرف الروح المَعروف، وكان
 ٤٥ المَعروف هو الروح ذاته. / إنَّ الروح يعرف ذاته من الطَّرَفَيْنِ إذًا، ومن حيث كان العرفان

هو الروح ذاته، ومن حيث كان المعروف هو الروح ذاته أيضًا، أعني ذلك المعروف الذي يعرفه الروح بالعرفان الذي كان هو الروح ذاته.

٦ لقد دَلَّ سياق الكلام على أن ثمة شيئًا يعرف ذاته بالمعنى الحقيقي إذا. أما في النَّفس فإنه يعرف ذاته بمعنى آخر، وأما في الروح فإنَّ عرفانه لذاته أقرب إلى حقيقة العرفان. فإنَّ النَّفس إنما تعرف ذاتها على أنها من غيرها؛ أما الروح فإنه يعرف ذاته على أنه هو ذاته، وكما هو في ذاته، وبما هو في ذاته، فيخرج من ذاته في حقيقتها عائدًا إلى ذاته في حقيقتها. / إذا شاهد الحقائق شاهد ذاته وكان مُشاهدًا بفعل، على أن هذا الفعل هو الروح ذاته. فإنَّ الروح والعرفان شيء واحد، وهو يعرف ذاته كلًّا بكلِّ، لا جزءًا بجزء آخر. وبعد، فهل يبدو مُقنعًا ما نَمَّ عنه كلامنا؟ ألا، إنَّ ما نتج عنه وهو كذلك، إنما هو الضُّرورة، ولكته ليس فيه إقناع؛ فإنَّما الضُّرورة تكون في الروح؛ أما الإقناع فالنَّفس محلّه. / والظاهر هو أنَّنا نسعى إلى الإقناع بأشُدَّ ممَّا نسعى إلى مُشاهدة الحقِّ بالروح محضًا خالصًا. فلقد كنَّا، ما دمنا في الملاء الأعلى، ملا الروح، نجد الكفاية بما ذكرنا، وكنَّا نعرف بالروح ونردُّ الأشياء كلها إلى شيء واحد، ونشاهد، ذلك لأنَّ الروح كان هو العارف وهو الذي يُخبر عن ذاته. أما النَّفس فكانت مُخلِدة إلى الإطمئنان تُوسِّع لعمل الروح المجال. / لكنَّا، عندما أصبحنا هنا وعُدنا إلى عالم النَّفس، أخذنا نبحث عن اقتناع نُوقِّره لنا، كأنَّا نحاول أن نتيين الأصل في صورته. فلعلَّه يجب في نفوسنا أن تلقن كيف عسى الروح أن يُشاهد ذاته. أو لعلَّه يجب هذا على الأقلِّ في ذلك الأصل من النَّفس الذي هو روحانيٌّ من وجه ما، والذي نفترضه الأصل المُفكِّر، / دالِّين بهذه التَّسمية على أنه روح ما، أو على أنه يستمدُّ قُوَّته بواسطة الروح ومن لدنه أيضًا. فيليق بهذا الأصل المُفكِّر أن يعرف بالروح أنه بواسطة الروح يُدرك ما يراه ويعلم ما يحكم فيه. ولو كان هو الأشياء التي يحكم فيها لأصبح بذلك يعرف ذاته هو ذاته. ولكن ما دامت هذه الأشياء حقائق، أو بالأحرى ما دامت تأتيه من الملاء الأعلى الذي خرج منه هو ذاته، / فإنه يحدث له، عن الوجه ذاته، أن يعرف ذاته بسبب كونه عقلًا. فيُدرك ما يُجانبه، مُتوافقًا مع ما ينطوي عليه من آثار العالم الروحانيِّ. ولينتقل الآن هذا «الأصل المُفكِّر» وليرتق بهذه الصورة إلى الروح الحقِّ الذي وصفناه بأنه شيء واحد مع الأمور التي يعرفها، وهي الأمور حقًّا الموجودة حقًّا مُتقدِّمة على غيرها: فإنَّ الروح لا يسعه وهو كذلك / أن يكون خارجًا عن ذاته. فما دام الروح في ذاته مع ذاته، وكان هو ما يكون عليه في ذاته، أعني روحًا - وما كان روح قطُّ إلا ليكون روحًا - لم يكن بدُّ من أن تلازمه معرفته لذاته. وإنَّه لفي ذاته مثلما لا يسعه أن يخرج من ذاته، وليس العمل والذات له إلا بكونه روحًا فقط. فإنه ليس عقلًا عمليًا هذا الروح. / وأعني بذلك أن بعض المعرفة لما في الخارج تيسر للعقل العمليِّ

الذي ينظر إلى الخارج ولا يبقى في ذاته. ولكن ليس من الضرورة أن يكون شأن هذا العقل، ما دام عقلاً عملياً كله، أن يعرف ذاته. أما الذي لا يكون العمل لازماً له (وليس لدى الروح الصافي شوق قطً لشيء يكون قد فاته)، فإنه يعود إلى ذاته لا محالة. وهذه العودة إلى الذات تدل على أن معرفة الذات آتئذ ليس أمراً مُحتملاً فقط، بل إنها أمر ضروري أيضاً. ولعمري، ما عسى أن تكون الحياة لما هو مُستغنى عن العمل مُقيم في الروح؟

٧ هذا وقد نقول: لكنَّ الروح يُشاهد الله. فتُجيب: إنَّ من يُسلم للروح بأنه يعرف الله، اضطرَّه ذلك إلى أن يُسلم لهذا الروح بأنه يعرف ذاته أيضاً. فإنه يُدرك آنذاك ما وصله من الله، ويُدرك عطايا الله وقواه. فإذا علم الروح بذلك وعرفه، عرف به ذاته. / ذلك لأنَّ الروح إحدى عطايا الله، بل إنه عطايا الله جميعها. إن عرف الروح الله إذاً وأدرك قواه، عرف ذاته أيضاً على أنه من الله نشأ ومنه يستمدُّ قواه. أما إن عجز عن أن يرى الله بجلاء، وما دامت الرؤيا ربَّما كانت هي المرئيِّ بالذات، / فإنه على قدر ذلك ناقص من حيث مُشاهدته لذاته وعلمه بها، إذا كانت الرؤيا تعني أنها هي المرئيِّ بالذات. وبعد، ما عسانا أن نُسلم له به غير ذلك؟ نسلِّم له بالسكون. ولكنَّ السكون للروح ليس خروج الروح من ذاته؛ بل إنَّ سكون الروح إنما هو تحقيقه فعلاً، وهو سكون يُؤدِّي إلى أن يكون مُنزَّهاً عن كلِّ ما سواه. / وكذلك الأمور الأخرى أن تسكن بخلوها ما عداها، لم يبقَ لها إلا أن تحقِّق فعلاً بما هي عليه، ولا سيَّما ما لم يكن منها بالقوَّة بل كان بالفعل. إنَّ كيان الروح إنما هو تحقيقه فعلاً إذاً، وليس فعله فعلاً مُوجَّهاً إلى شيء آخر. بل إنه يبقى هو في ذاته مع ذاته. فإذا عرف ذاته حقَّ بذلك فعله في ذاته ومع ذاته. ذلك لأنَّه إن خرج من الروح شيء، / فيكون الروح يفعل لذاته في ذاته. يجب في الروح أن يكون لذاته أولاً، ثمَّ يتَّجه إلى غيره بعد ذلك، أو يخرج غيره منه ويكون به شبيهاً. مثل ذلك مثل النار: إنها نار أولاً، وقوَّة النار كامنة فيها، فتستطيع، بعد ذلك، أن تُحدث أثرها في غيرها. / نعود ونقول إنَّ الروح إنما هو فعل في ذاته. أما النَّفس، فإنَّ ما يكون منها مُتَّجهاً نحو الروح إنما يكون مُتَّجهاً نحو باطنها إن جاز لنا القول. أما ما كان منها خارج الروح، فهو مُتَّجه إلى الخارج. فإنَّها، من ناحية، تُشبه ما خرجت منه، وتختلف عنه من ناحية أخرى؛ مع أنها تُشبهه من هذه الناحية أيضاً، سواءً إن فعلت فعلاً أو أحدثت شيئاً. ذلك لأنَّها تُشاهد حتى عندما تعمل؛ / وإذا أحدثت شيئاً، فإنَّها تُحدث مُثلاً هي وُجوه من العرفان مُتوافق بعضها مع بعضها الآخر. وهكذا أصبحت الأشياء كلها آثاراً للعرفان وللروح، وهي تحدث قياساً على أصلها الأول. فيكون الأقرب منها أشدَّ تشبُّهاً به، في حين أنَّ ما يكون منها بعيداً عنه يحتفظ منه بصورة غامضة. /

هَذَا وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَوْعُ ذَلِكَ الْأَمْرِ الرُّوحَانِيِّ الَّذِي يَرَاهُ الرُّوحُ، وَكَيْفَ يَكُونُ الرُّوحُ الَّذِي يَعْرِفُ ذَاتَهُ؟ أَلَا، أَمَّا الْأَمْرُ الرُّوحَانِيُّ، فَيَجِبُ فِيهِ أَلَّا يُبْحَثَ عَنْهُ كَمَا يُبْحَثُ عَنِ اللَّوْنِ أَوِ الشَّكْلِ فِي الْأَجْسَادِ. فَقِيلَ أَنْ يَكُونَ اللَّوْنُ وَالشَّكْلُ كَانَتِ الرُّوحَانِيَّاتِ. ثُمَّ إِنَّ الْبَنِيَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ الْكَامِنَةَ فِي الْبُذُورِ الَّتِي تُحْدِثُ اللَّوْنَ وَالشَّكْلَ لَيْسَتْ اللَّوْنُ وَالشَّكْلُ هِيَ أَيْضًا. إِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا إِنَّمَا هِيَ غَيْرُ مَنْظُورَةٍ فِي جِبِلَّتِهَا؛ وَخَلِيقٌ بِالرُّوحَانِيَّاتِ أَنْ تَكُونَ غَيْرُ مُبْصِرَاتٍ هِيَ أَيْضًا. /

فَإِنَّ طَبِيعَتَهَا إِنَّمَا هِيَ طَبِيعَةُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَنْطَوِي عَلَيْهَا، كَمَا هُوَ الْأَمْرُ فِي الْبَنِيَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْكَامِنَةِ فِي الْبُذُرِ، وَفِي النَّفْسِ الَّتِي تَشْمَلُ كُلَّ ذَلِكَ مَعًا. لَكِنَّ النَّفْسَ لَا تَرَى مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ، لِأَنَّهَا لَمْ تَنْتَجِ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ، وَهِيَ فِي حَدِّ ذَاتِهَا أَثَرٌ، مِثْلُ الْبَنَى الْمَعْنَوِيَّةِ. أَمَّا الْأَمْرُ الَّذِي مِنْهُ جَاءَتْ، فَإِنَّمَا هُوَ الْأَمْرُ الْبَيِّنُ، الْحَقُّ، وَالْمَوْجُودُ أَصْلًا. وَيَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ / لِذَاتِهِ وَبِذَاتِهِ. أَمَّا الْأَثَرُ، فَلَا ثَبَاتَ لَهُ إِلَّا إِنْ كَانَ أَثَرُ شَيْءٍ يَخْتَلِفُ عَنْهُ وَفِي شَيْءٍ هُوَ غَيْرِهِ. فَإِنَّ شَأْنَ الْأَثَرِ، مَا دَامَ أَثَرًا لْغَيْرِهِ، هُوَ أَنْ يَكُونَ فِي غَيْرِهِ إِلَّا إِذَا كَانَ لَا يَزَالُ مُرْتَبِطًا بِالرُّوحِ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يُشَاهَدُ، إِذْ إِنَّهُ لَمْ يَتَوَافَرَ لَهُ مِنَ النُّورِ قَدْرَ الْكَفَايَةِ. ثُمَّ إِنَّهُ حَتَّى وَلَوْ كَانَ يُشَاهَدُ، فَلَا يُشَاهَدُ ذَاتَهُ، بَلْ يُشَاهَدُ شَيْئًا آخَرَ أَدْرَكَ كَمَالَهُ فِي غَيْرِهِ. /

لَكِنَّا لَا نَجِدُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى؛ بَلْ إِنَّ النَّفْسَ هُنَاكَ تَرَى الرُّؤْيَا وَالْمَرْمِيَّ مَعًا. فَإِنَّ الْمَرْمِيَّ إِنَّمَا هُوَ بِحَيْثُ يَكُونُ الرُّؤْيَا، وَالرُّؤْيَا بِحَيْثُ تَكُونُ الْمَرْمِيَّ. وَمِنْ عَسَى أَنْ يُخْبِرَنَا عَنْ هَذَا الْمَرْمِيِّ كَيْفَ يَكُونُ؟ نُجِيبُ: ذَلِكَ الَّذِي يُسَاعِدُهُ؛ وَالَّذِي يُشَاهِدُهُ إِنَّمَا هُوَ الرُّوحُ. فَإِنَّهُ، حَتَّى فِي هَذَا الْعَالَمِ، يَصْغُ عَلَى الْإِبْصَارِ، مَا دَامَ نَوْرًا أَوْ بِالْأُخْرَى مَا دَامَ مُتَّحِدًا بِالنُّورِ، أَنْ يُقَالَ فِيهِ إِنَّهُ يُبْصِرُ النُّورَ إِذْ إِنَّهُ يُبْصِرُ الْأَلْوَانَ. / أَمَّا فِي عَالَمِ الرُّوحِ، فَإِنَّ الْإِبْصَارَ لَا يَتِمُّ بِوَسَاطَةِ شَيْءٍ يَخْتَلِفُ عَنْهُ، بَلْ بِالْإِبْصَارِ ذَاتَهُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لِإِبْصَارًا يَقَعُ فِي الْخَارِجِ. وَالْإِبْصَارُ آنَذَاكَ إِنَّمَا يُبْصِرُ نَوْرًا بِنُورٍ، وَلَا يَكُونُ بِوَسَاطَةِ شَيْءٍ يَخْتَلِفُ عَنِ النُّورِ. فَنُورٌ يُشَاهَدُ نَوْرًا، وَالشَّيْءُ يُشَاهَدُ ذَاتَهُ. لَقَدْ أَشْعَى النُّورَ فِي النَّفْسِ، فَانْتَشَرَ فِيهَا إِذَا. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ جَعَلَهَا نَوْرَانِيَّةً. وَهَذَا يَعْنِي أَيْضًا أَنَّهُ جَعَلَهَا شَبِيهَةً بِهِ هُوَ ذَاتَهُ، النُّورُ الثَّابِتُ فِي عَالَمِ الرُّوحِ. /

فَخِذْ الْآنَ هَذَا الْأَثَرَ الَّذِي وَقَعَ فِي النَّفْسِ مِنَ النُّورِ، وَتَصَوَّرْ عَلَى شَاكِلَتِهِ نَوْرًا يَفُوقُهُ حُسْنًا وَجَلَالًا وَمَهَابَةً وَإِشْرَاقًا. عِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ قَدْ اقْتَرَبْتَ مِنَ الرُّوحِ وَمِنْ الْأَمْرِ الرُّوحَانِيِّ فِي حَقِيقَتِهِمَا. ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الرُّوحَانِيَّ قَدْ أَشْعَى نَوْرَانِيَّةً فَأَمَدَّ النَّفْسَ بِحَيَاةٍ أَشَدَّ نَوْرَانِيَّةً، وَلَكِنَّهَا حَيَاةٌ غَيْرُ الْحَيَاةِ الْمَوْلُودَةِ. بَلْ قَدْ حَوَّلَ / النَّفْسَ إِلَى خِلَافِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ وَرَدَّهَا إِلَى ذَاتِهَا، فَلَمْ يَدْعَهَا تَمْضِي شَيْئًا، بَلْ جَعَلَهَا تَبْتَهِجُ بِالْإِشْرَاقِ الثَّابِتِ فِي الرُّوحِ. كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ لَيْسَتْ الْحَيَاةُ الْحَسِّيَّةُ، إِذْ إِنَّ الْحَيَاةَ الْحَسِّيَّةَ مُتَوَجِّهَةٌ إِلَى الْخَارِجِ وَلَا تُدْرِكُ بِالْإِحْسَاسِ مَا هُوَ الْأَسْمَى. أَمَّا الَّذِي يَتَلَقَّى ذَلِكَ النُّورَ، نُورَ الْحَقَائِقِ، فَإِنَّ إِبْصَارَهُ لِلْمُبْصِرَاتِ يَقْوَى وَيَشْتَدُّ، وَلَكِنَّهُ

٣٥ إِبْصَارُ مُوجَّهٌ إِلَى مَا هُوَ فِي خِلَافِ الْعَالَمِ الْحَسِّيِّ . / وَبَعْدُ، فَإِنَّ مَا تَلَقَّتهِ النَّفْسُ آنَذَاكَ إِنَّمَا هُوَ حَيَاةٌ نَوْرَانِيَّةٌ، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ أَثَرُ لِحْيَةِ الرُّوحِ . فَإِنَّ الْحَقَّ إِنَّمَا يَكُونُ فِي عَالَمِ الرُّوحِ .

أَمَّا الْحَيَاةُ، وَمَا يَتَحَقَّقُ فِي الرُّوحِ فَعَلًا، فَإِنَّهُ النُّورُ الْأَوَّلُ . هُوَ نَوْرٌ يَشْعُ لِدَاثَةِ أَصْلًا وَإِشْعَاعِهِ مُتَّجِهٌ إِلَى ذَاتِهِ، نَوْرٌ يَنْبَعُثُ مِنْ نَوْرٍ وَيَنْسَابُ فِي نَوْرٍ وَذَلِكَ فِي آنٍ وَاحِدٍ . هَذَا هُوَ

٤٠ الرُّوحَانِيُّ الْحَقُّ : إِنَّهُ الْعَارِفُ وَالْمَعْرُوفُ؛ / يُشَاهِدُ ذَاتَهُ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ لِيُشَاهِدَ . ثُمَّ إِنَّ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ مَا يَكْفِيهِ لِلْمُشَاهَدَةِ، إِذْ إِنَّ مَا يُشَاهِدُهُ إِنَّمَا هُوَ ذَاتُهُ . أَمَّا نَحْنُ فَإِنَّا نُدْرِكُهُ بِهِ هُوَ ذَاتُهُ، بِمَعْنَى أَنَّ مَعْرِفَتَنَا لَهُ إِنَّمَا تَتِمُّ بِوَسَاطَتِهِ . وَإِلَّا، فَأَتَى لَنَا أَنْ نُنبِئَ عَنْهُ؟ إِنَّهُ بِحَيْثُ يَكُونُ إدْرَاكُهُ لِدَاثَةِ

٤٥ الإِدْرَاكِ الْأَوْضَحِ . / أَمَّا نَحْنُ فَإِنَّا نُدْرِكُ بِسَاطَتِهِ . تَرْتَقِي نَفْسُنَا إِلَيْهِ لِاجْتِنَاءِ إِلَى أَدْلَتِهَا وَهِيَ تَرَى ذَاتَهَا آنَذَاكَ عَلَى أَنَّهَا صُورَةٌ لَهُ، بِمَعْنَى أَنَّ حَيَاتَهَا ارْتِسَامًا لَهُ وَهِيَ شَيْءٌ يَشْبِهُهُ . فَإِذَا عَرَفَتِ النَّفْسُ

٥٠ أَصْبَحَتْ مِثْلَ اللَّهِ وَمِثْلَ الرُّوحِ . وَإِذَا سَأَلَهَا سَائِلٌ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ / هَذَا الرُّوحُ الْكَامِلُ الْكَلْبِيُّ الَّذِي يُدْرِكُ ذَاتَهُ أَصْلًا، بَرَزَتِ النَّفْسُ بِذَاتِهَا . فَتَبْدُو آنَذَاكَ، وَقَدْ حَلَّتْ فِي الرُّوحِ أَوْ أَفْسَحَتْ لَهُ الْمَجَالُ كَيْ يَتَحَقَّقَ فِيهَا، وَهِيَ حَافِلَةٌ بِمَا كَانَتْ مُنْطَوِيَّةً عَلَى ذِكْرِهِ فِيهَا . فَيَسْعُنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ

٥٥ نُشَاهِدَ الرُّوحَ مِنْ وَجْهِ مَا، مِنْ حَيْثُ كَوْنَ النَّفْسِ صُورَةً لَهُ، بِوَسَاطَةِ الشَّبهِ الْقَائِمِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا . / وَهُوَ شَبْهُ يَنْتَهِي إِلَى الْحَدِّ الْأَقْرَبِ الَّذِي تَسْتَطِيعُ النَّفْسُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ فِي التَّمَاثُلِ مَعَ الرُّوحِ بِذَلِكَ الْجَانِبِ مِنْ جَوَانِبِهَا .

٩ الظَّاهِرُ إِذَا هُوَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ الرُّوحَ مَا هُوَ، أَنْ يُشَاهِدَ النَّفْسَ أَوْ بِالْأُخْرَى أَنْ يُشَاهِدَ مِنْ النَّفْسِ جَانِبَهَا الْأَقْرَبَ إِلَى عَالَمِ الْآلِهَةِ . وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَتِمُّ بِمَا يَلِي، أَعْنِي إِنْ عَمَدَتْ أَوَّلًا إِلَى الْبَدَنِ وَنَزَعَتْهُ عَنِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ أَنْتَ لَا مُحَالَةَ . ثُمَّ يَجِبُ أَنْ تَنْزِعَ عَنْكَ الْبَدَنَ فِي جِبِلَّتِهِ، وَأَنْ تَسْعَى جَادًّا إِلَى عِزْلِ الْإِحْسَاسِ وَالشَّهْوَةِ / وَالْغَضَبِ وَمَا سِوَاهَا مِنَ التَّوَافِهِ الَّتِي تَمِيلُ بِنَا مِيلًا شَدِيدًا إِلَى الْأَشْيَاءِ الْفَانِيَةِ . فَإِنَّ مَا يَبْقَى مِنَ النَّفْسِ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ ذَلِكَ الَّذِي قُلْنَا فِيهِ إِنَّهُ صُورَةُ

٥ الرُّوحِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ مِنْهَا مُحْتَفِظًا بِشَيْءٍ مِنَ نَوْرِ الرُّوحِ . فَالْنَّفْسُ آنَذَاكَ بِمَنْزِلَةِ النُّورِ الْوَاقِعِ فِي جَوَارِ الْكَرَةِ الَّتِي تَسْعُ لِحْجَمِ النَّفْسِ، وَهُوَ نَوْرٌ يَشْعُ مِنَ الشَّمْسِ مُحِيطًا بِهَا مِنْ حَوْلِهَا . أَمَّا الشَّمْسُ، فَلَا يَذْهَبُ أَحَدٌ إِلَى أَنَّ نَوْرَهَا / الْمُحِيطَ بِهَا مِنْ حَوْلِهَا شَيْءٌ قَائِمٌ فِي ذَاتِهِ، فِي حِينَ أَنَّهُ

١٠ مِنْهَا يَنْتَشِرُ وَحَوْلُهَا يَسْتَقَرُّ : نَوْرٌ يَنْبَعُثُ دَائِمًا مِنْ نَوْرٍ آخَرَ مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِ، وَهَكَذَا دَوَالِيكَ حَتَّى يَنْتَهِي إِلَيْنَا عَلَى الْأَرْضِ . بَلْ إِنَّ النُّورَ كُلَّهُ الَّذِي يُحِيطُ بِالشَّمْسِ مِنْ حَوْلِهَا إِنَّمَا يُنْزَلُ فِي غَيْرِهِ، حَتَّى لَا

١٥ يُجْعَلَ مَا بَعْدَ الشَّمْسِ فِضَاءً فَارِعًا مِنْ كُلِّ جِسْمٍ . أَمَّا النَّفْسُ الْمُنْبَعِثَةُ مِنَ الرُّوحِ، / فَإِنَّهَا، مِنْ وَجْهِ مَا، نَوْرٌ يُحِيطُ بِهِ مِنْ حَوْلِهِ، وَهِيَ لَا تَزَالُ مُرْتَبِطَةً بِهِ وَلَيْسَتْ فِي غَيْرِهَا؛ بَلْ إِنَّهَا تَبْقَى مِنْ حَوْلِهِ وَلَيْسَ لَهَا مَكَانٌ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلرُّوحِ مَكَانٌ أَيْضًا . وَبَعْدُ، فَإِنَّ نَوْرَ الشَّمْسِ إِنَّمَا هُوَ مُنْسَابٌ فِي

الهواء؛ أما النَّفس، فإنَّها نقيَّة، ما دامت على تلك الحال التي وصفنا، وإنَّها ترى ذاتها قائمة في ذاتها، وكذلك تراها أيضًا كلَّ نفس سواها ومن طرازها. هذا وإنَّ النَّفس، إذا انطلقت من ذاتها، لا بدَّ لها من التَّفكير في بحثها عن الروح/ كيف يكون. أما الروح، فإنَّه يرى ذاته هو ذاته، ولا يلجأ إلى التَّفكير لبحث عن ذاته. إنَّه حاضر دائمًا إلى ذاته؛ أما نحن، فعندما نُوجِّه وجهنا إليه فقط. إنَّ حياتنا إنَّما هي حياة مُجرَّاة، وإنَّ للحياة فينا وُجوهاً شتى. أما هو فإنَّه لا يحتاج إلى حياة غير حياته أو إلى حياة مُتعدِّدة الوجوه؛ بل إنَّ الحياة التي يُمدُّ بها إنَّما يمدُّ بها غيره، ولا يكفلها له هو ذاته. / ذلك لأنَّه لا يحتاج إلى ما يكون دونه مقامًا، ولا يكفل له القليل وهو يملك الكلَّ، كما أنَّه لا يكفل له الآثار وهو يملك الأصول. أو بالأحرى إنَّه لا يملك الأصول، بل إنَّه هو ذاته هذه الأصول. فإنَّ عجز عن أن يضمن له تلك النَّفس الصِّفِيَّة النَّقيَّة العرفان فليعتصم بملكة التَّفكير فيه، وليرتق منها بعد ذلك. وإنَّ كان عاجزًا عن ذلك أيضًا، فليلجأ إلى الإحساس/ الذي يعرض علينا المثل وقد زاد تبدُّدها. وإنَّما أعني الإحساس مُتَّخذًا في حدِّ ذاته مُصطحبًا بقواه، وقد خرج من حال كونه بالقوَّة وأصبح قائمًا في عالم المثل. وإنَّ شاء بعضهم، فليستمرَّ نازلًا ولينتهِ إلى القوَّة المؤلَّدة وما تُحيِّثه. وليرتق بعد ذلك من هنا، مُنطلقًا من المثل القصوى إلى المثل القصوى في الطرف الآخر، بل الأخرى بالقول، إلى ٣٥ الأصول/ والأوَّلِيَّات.

١٠ حسبنا من ذلك الكلام كلَّه ما ذكرنا، على أن نُضيف فقط أنَّ المُحدثات ليست وحدها، وإلَّا لما كانت هكذا في المقام الآخر. فإنَّ في المملأ الأعلى الأصول، وهي الفواعل، وما دامت هي الفواعل، فإنَّها في المقام الأوَّل. يجب في الفاعل وفي ما هو الأوَّل أن يكونا معًا، وأن يكون كلاهما واحدًا. وإلَّا لعاد الأمر واقتضى أصلًا آخر. ماذا إذا؟ أو لا يعود الأمر ويقتضى حقًّا أصلًا آخر وراء ذلك الأصل؟ أو إنَّ هذا الأصل إنَّما هو الروح بالذات؟ ثم ماذا؟ ألا يُشاهد/ ذاته؟ ألا، إنَّه ليس في حاجة إلى مُشاهدة.

ولكنَّ هذا بحث نُرجِّئه إلى مقام آخر. أما الآن، فإنَّنا نعود إلى القول الذي كنَّا فيه، لأنَّ بحثنا هنا ليس يدور حول أمر تافه. يجب أن نعود ونقول في ذلك الروح إذا إنَّه لا بدَّ له من أن يُشاهد ذاته، لا بل إنَّه يسعه أن يُشاهد ذاته. وذلك لأنَّه ذو كثرة أوَّلًا، ثم إنَّه لغيره لا لذاته. / فضلًا على أنَّه قوَّة شهود لا محالة، وهو كذلك لمُشاهدة ذلك الأصل الأوَّل، وعلى أنَّه في حقيقة ذاته مُشاهدة ينبغي في الشُّهود أن تكون شُهود شيء آخر، إنَّ كان غائبًا كانت المُشاهدة عبثًا. لا بدَّ على الواحد من مزيد حتَّى يصحَّ الشُّهود إذا، كما أنَّه لا بدَّ للمُشاهدة من أن تقع مع ١٥ المُشاهد في آن واحد، وللمُشاهد الذي/ يشهد ذاته من أن يكون شيئًا ذا كثرة متوزَّعًا في الكلَّ:

فليس لما يكون واحدًا من الوجوه كلّها شيء يُركّز عليه عمله، بل إنّه يبقى وحده، مُنفردًا، فيقف ساكنًا. ذلك لأنّ الشيء الذي يعمل إنّما يُقابله دائميًا شيء آخر. فإن لم يكن الشيء الآخر، ثمّ شيء غيره، فما عسى الفاعل أن يفعل؟ أو إلى أين ينطلق؟ يجب في الفاعل إذا ٢٠ إما أن يُركّز فعله على غيره، / أو أن يكون هو ذا كثرة إن كان شأنه أن يبقى فعله مُنحصراً في ذاته. فإذا لم يكن الشيء ينطلق من ذاته إلى غيره، سكن وتوقّف؛ وإذا وقع عرفانه على شيء ساكن كلّ، فإنّه لا يعرف آنذاك. يجب في العارف إذا، إذا عرف، أن يكون قائماً في الإثنيّة: فإمّا أن يكون أحد الطّرفين في الخارج، أو أن يكون الطّرفان معاً في العارف ذاته. ثمّ إنّ العرفان ٢٥ إنّما يتمّ في الجمع والخلاف لا محالة، / فضلاً على أن تكون الأمور المعروفة في علاقتها مع الروح العارف هي ذاتها وهي غيرها في آن واحد. ونقول أيضاً: إنّ كلّ أمر معروف إنّما يحمل بدوره في جنباته جمعاً وخلافاً. ولعمري، ما عسى أن يعرف العارف إلّا ما يكون مُنطويّاً على شيء مع شيء آخر يختلف عنه؟ وإن كان كلّ أمر بنية معنويّة في حدّ ذاته، فإنّ البنى المعنويّة كثيرة. إنّ العارف يُدرك ذاته لأنّه عين مختلفة العناصر أو أنّها من ألوان مختلفة. فإذا وقع بصره ٣٠ على شيء واحد غير مُجرّأ، / كان هو فارغاً من كلّ نطق ومعنى: فما عسى أن يكون لديه ليُخبر به عن ذلك الشيء؟ أو ما عساه أن يفهم منه؟ وإن وجب في ما هو ليس مُجرّأ على وجه الإطلاق أن يُخبر هو عن ذاته، وجب فيه أولاً أن يُخبر عمّا ليس هو في ذاته. فيكون بذلك ذا كثرة حتّى يكون واحدًا. ثمّ إنّه إن قال: «إنّ هذا الشيء»، أصبحنا بين أمرين: إمّا أنّ هذا الشيء يدلّ على ٣٥ شيء آخر يختلف عن القائل، / فيكون القائل كذوباً؛ وإمّا أنّه يدلّ على طارئ عرض للقائل، فيكون القائل مُخبراً عن أشياء كثيرة في ذاته، أو عائباً بما قاله إني «أنا أنا» أو إني «أكون أكون»؛ وما عسى أن يكون الأمر فيما لو كان هو شيئين اثنين فقط، ثمّ قال: «إني أنا وهذا الشيء؟»، ألا، فإنّنا نكون أمام كثرة لا محالة، إذ إنّه بقوله يدلّ على أشياء مُختلفة، وعلى وجه الاختلاف، وعلى عدد، وهلمّ جرّاً.

٤٠ يجب في العارف أن يُدرك الشيء مختلفاً بعضه عن بعضه الآخر إذا، وفي المعروف، / ما دام واقعاً في إدراك العارف، أن يكون مختلف العناصر. أو أنّه لن يناله عرفان، بل تماسّ، وشيء كأنّه مُلامسة فقط، وهي مُلامسة لا تُحصّر بوصف أو معرفة، تمّت قبل الإدراك بالعرفان ولما ينشأ الروح أو يعرف الشيء المُلامس. ولكنّه يجب في العارف أيضاً ألاّ يبقى هو ذاته فرداً ٥٠ بسيطاً، لا سيّما وأنّه يعرف ذاته: فإنّه يتضاعف آنذاك، / حتّى ولو كان يُعلن بالصمت عن فهمه.

ثمّ إنّ هذا البسيط الفرد يحتاج إلى أن يكون كمن يشتغل ذاته بذاته: وما عساه أن يعلم بعرفانه؟ فإنّه حاضر مع ذاته ولذاته على ما هو في ذاته قبل كلّ عرفان. فضلاً على أنّ المعرفة

في حد ذاتها إنما هي شوق إلى شيء، وكأنتها اكتشاف يروي غليل الباحث. أما الذي يتميز عن غيره من الوجوه كلها، / فإنه يبقى دائماً هو ذاته نظراً إلى ذاته، ولا يبحث قط عما هو في ذاته. لكن الذي ينسبط ويتطور، فذلك هو الذي ينطوي على الكثرة.

١١ ولذلك كان هذا الروح شيئاً ذا كثرة إذا أراد أن يعرف المتعالي. فإذا أراد الروح أن يعرف ذلك المتعالي ولكن أراد أن يدركه على أنه بسيط، إنصرف عنه إذ إنه يدرك آنذاك شيئاً آخر يتكاثر فيه دائماً. إنه انطلق إلى المتعالي ولما يكن روحاً إذاً، بل في حال كونه إبصاراً لما يدرك، ثم خرج من ذلك المتعالي وهو إبصار ينطوي على أمور جعلها هو بذاته متعدّدة. / ومن ثم فإن هذا الإبصار كان إبصاراً متوجّهاً إلى أشياء كانت لديه تخيّلات مغشّية الجوانب. ففعل راجعاً وقد أخذ في ذاته أشياء أخرى صيرها هو ذاته أشياء كثيرة. ذلك لأن هذا إنما كان ينطوي على رسم لما كان شأنه أن يدركه، وإلا لما كان خُلّي بينه وبين المدرك، أن يتخلله. فتحول هذا الرسم منه واحداً في ذاته إليه ذا كثرة، ثم عرفه الإبصار فرأه وأصبح عند ذلك إبصاراً مدرّكاً حقاً. / فصار بهذا الإدراك روحاً، وهو مدرك بكونه روحاً، في حين أنه كان قبل ذلك رغبة فقط وإبصاراً لم ترسم فيه معالمة. إن هذا الذي أصبح الروح كان قد أقبل على ذلك المتعالي، فادرك وصار روحاً، وما هو ذا ثابت الحال إذ عرف: فإنه الآن روح وذات وعرفان. لم يكن المعروف الروحاني متوافراً له قبل ذلك، فما كان عرفاناً؛ / كما أن العرفان لم يكن متوافراً له، فما كان روحاً.

أما الذي هو متقدّم هذه الأمور كلها، فإنما هو أصلها، ولكنه ليس كذلك بمعنى أنه حال فيها. فإن ما ينبعث الشيء منه لا يكون حالاً في الشيء، بل يحل في الشيء ما يكون الشيء منه مؤلفاً. كل شيء إنما هو من ذلك الأصل إذاً، وليس هو شيئاً، بل إنه يختلف عن الأشياء كلها. ليس إذاً شيئاً من بين الأشياء، بل إنه قبل الأشياء كلها؛ فهو بالتالي قبل الروح، / لأن الروح، إنما ينطوي على الأشياء كلها أيضاً. ومن هنا كان ذلك الأصل قبل الروح؛ وقبل الأشياء كلها ما دام المتأخّر على الروح بمنزلة الأشياء كلها. يجب في المتقدّم ألا يكون شيئاً من الأشياء التي يتقدّم عليها. فلا تسمّه روحاً، حتى ولا خيراً محضاً. وإذا دلّ الخير المحض على شيء من الأشياء، فليس الخير المحض ذلك الأصل. / أما إذا دلّ على ما هو قبل الأشياء كلها، فلا ضير عليه من هذه التسمية. إن الروح روح لآته ذو كثرة؛ ثم إن العرفان ذاته، ولو كان مُنبعثاً من الروح، يقع مع الروح وفي الروح فيصيرُه متعدّداً. وإن كان ذلك كذلك، وجب في البسيط المطلق وفي المتقدّم على الأشياء كلها أن يكون متعالياً على الروح ووراءه. ذلك لآته إن كان شأنه أن يعرف، فهو ليس وراء الروح، بل إنه يكون روحاً. وإن كان روحاً كان الكثرة / هو أيضاً.

وما هو المانع الذي يمنعه من أن يكون ذا كثرة بمعنى أنه كذلك ما دام ذاتاً واحدة؟ فإنَّ الكثرة فيه لا تكون بالتركيب، بل بما ينطوي عليه من تحقيقات. ولكن إن لم تكن تحقيقاته ذواتاً، بل ينتقل هو من القوة إلى الفعل، فإنه ليس ذا كثرة، بل إنه ناقص ما لم يتحقق هو مع ذاته. / إما إذا كانت ذاته تحقيقاً قد تمَّ وكان، هو محققاً، ذا كثرة، فإنَّ ذاته إنما تكون بقدر ما تكون الكثرة. ولهذا أمر نعترف به للروح الذي سلَّمنا فيه بأنه يعرف ذاته؛ أما أصل الأشياء كلها فليس كذلك. يجب في الكثرة أن يتقدَّم عليها ما يكون واحداً في حدِّ ذاته، ومنه تنبعث الكثرة المتتالية، إنما الواحد هو الأول: / أجل، يقال ذلك في العدد، إذ إنَّ الأعداد قائمة على التركيب. لكن عالم الحقِّ، ما هي الضرورة التي تقتضي أن يكون فيه شيء واحد قائم في ذاته، تنبعث عنه الأشياء الكثيرة؟ ألا، إنَّ الأشياء الكثيرة إنما يكون بعضها مُتنازِعاً مع بعضها الآخر آنذاك، فيأتي شيء من جهة وآخر من أخرى، ويدخلان في تركيب يتمُّ بالاتِّفاق والمُصادقة. لكنهم يقولون في التَّحقيقات إنها تنبعث من الروح الذي هو واحد وبسيط، فيكونون بذلك قد جعلوا المُتقدِّم على التَّحقيقات شيئاً بسيطاً. / ومن ثمَّ فإنَّهم يجعلون التَّحقيقات أشياء باقية على الدَّوام وقائمة في ذواتها أيضاً. وما دامت هذه التَّحقيقات أشياء قائمة في ذواتها، فإنَّها تختلف عن ذلك الأصل الذي منه تنبعث. أما هو فيبقى على بساطته، ويكون ما ينبعث منه ذا كثرة لا يزال مُرتبطاً به. / فإذا استوت هذه التَّحقيقات قائمة في ذواتها عندما يكون قد أخذ هو في التَّحقيق مُنطلقاً من نقطة ما، كان هو ذا كثرة أيضاً. أما إذا كانت هذه التَّحقيقات هي الأولى، فإنَّها تُشكِّل أمور المقام الثاني. أما ذلك الأصل الأول، الذي هو قبل هذه التَّحقيقات، وقائم في ذاته مع ذاته، فإنَّها تدعه باقياً على ذاته. على أن يكون قد أنزل في محلِّها التَّحقيقات التي تعود إلى المقام الثاني المُؤلَّف منها في كيانه. / فإنَّ ذلك الأصل البسيط شيء والتَّحقيقات التي تنبعث منه شيء آخر، لأنه ليس هو الذي يحقِّق. وإلاَّ لما كان الروح هو الفعل الأول. فإنَّ الأمر لم يجرِ كأنَّ ذلك الأصل كان مدفوعاً بالرَّغبة في أن ينشأ الروح، ثمَّ نشأ الروح بعد ذلك، فكانت الرَّغبة هي المُتوسِّطة بينه وبين الروح الذي نشأ. حتَّى وإنَّه لا تدفعه قطُّ رغبة، إذ إنه يُصبح بذلك ناقصاً، فضلاً على أنه ليس للرَّغبة ما تدفع إليه. كما أنه لا يقال إنه حصل على شيء من شيء وفاته شيء من شيء آخر، لأنَّه ليس من حاجة لتجذبه بجاذب. بل إنَّ الواقع الذي لا شكَّ فيه، هو أنه قام شيء في ذاته بعد ذلك الأصل، فعلى أن يبقى هو على طبعه مع قيام هذا الشيء في ذاته. وحتَّى يقوم شيء آخر في ذاته، يجب في ذلك الأصل إذا أن يكون ثابتاً ساكن/ الذات من جميع الوجوه. وإلاَّ لتحرك قبل أن تكون الحركة ولعرف قبل أن يكون العرفان، وكان فعله الأول ناقصاً، ما دام لهذا الفعل مُجرَّد رغبة. ولعمري، ما عسى أن يكون غرض الرَّغبة وقد أصابت ما كان لها غاية؟

٤٠ فإذا تَقَيَّدنا بالقياس جعلنا الفعل الذي يسبح منه، إن جاز لنا القول،/ والحقائق الروحانية كلها بمنزلة النور الذي يسبح من الشمس. أما هو فيستوي في ذروة العالم الروحاني ناصراً عليه سلطاناً. ثم إنه لا يدفع الضياء الذي ظهر منه - (ولاً جعلنا نوراً آخرًا مُتَقَدِّماً على نور) - بل يشعُّ وهو باقٍ دائماً فوق عالم الروح. هذا وإن الأمور التي تنبعث منه لا تنقطع عنه،/ كما أنها ليست هي هو، ولسنا بحيث أننا ننفي عنها أنها ذات، وأنها تبصر. بل إنها ترى وتعلم ذاتها، وإنها العارف الأول. أما هو فما دام وراء الروح، فإنه فوق الإدراك أيضاً. وكما أنه لا يحتاج قطُّ إلى شيء، فإنه لا يحتاج إلى الإدراك أيضاً. بل إن الإدراك إنما يكون في ٥٠ المقام الثاني./ فإنما الإدراك إنما هو واحد مع تَقَيَّد، أما هو فإنه واحد بدون تَقَيَّد. ولو كان واحداً مع تَقَيَّد، لما كان هو الواحد ذاتاً. فإنَّ الكون «ذاتاً» قبل الكون مع «تَقَيَّد».

١٣ ولذلك فإنه يفوق الوصف حقاً. مهما قلَّت، عنيت شيئاً ما. بل إنَّ القول الحقَّ بين كلِّ ما يقال فيه هو «أنَّه فوق الأشياء كلها وفوق الروح الكريم»، لأنَّ هذا القول ليس إسماً له. ولا غرو، فإنه ليس شيئاً من الأشياء، وليس له اسم، لأنَّه ليس كمثله شيء. لكنَّا نحاول، بقدر ٥ المستطاع/ أن نستدلَّ عليه. ألا قد نعترض قائلين: «ما دام أنه لا يشعر بذاته ولا يتعقَّب ذاته، فإنه لا يعلم ذاته، أيضاً». عند ذاك يجب أن نذكر أنَّنا بهذا القول إنَّما نتوجَّه بانتباهنا إلى الرأْي المخالف. فإنَّنا نجعله ذا كثرة عندما نتصوِّره أمراً معروفاً ومعرفة،/ وإذا سلَّمنا له بالعرفان، ١٠ افترضنا أنَّه يجب فيه أن يعرف. ثمَّ إنَّه حتَّى ولو كان مصطحباً بالعرفان، فالعرفان لديه شيء لا نفع فيه. ذلك لأنَّ الظاهر في العرفان إجمالاً هو أن تتجمَّع أمور كثيرة في موضع واحد فتدرك كلاً، هذا إن كان العرفان بأن يعرف الشيء ذاته، وهو العرفان بتمام معناه حقاً. فإنَّ الواحد ١٥ الفرد هو هو في حدِّ ذاته ولا طِلاب له في شيء وآخر؛ وإذا خرج/ العرفان عن الذات كان ناقصاً ولم يكن عرفاناً حقاً. أما البسيط المُطلَق المُكتفي بذاته حقاً، فإنه لا يحتاج إلى شيء. لكنَّ المُكتفي بذاته الذي هو من المقام الثاني، فإنه يحتاج إلى ذاته، ولهذا يعني أنَّه يحتاج إلى عرفان ذاته. فيكون المُحتاج إلى ذاته، ما دام هو ذاته لذاته، قد سوَّى، بما هو عليه كلاً، المُكتفي ٢٠ بذاته،/ فأصبح آنذاك مُقتلِراً بما أخذه من عناصره كلها، بذاته مُتَّجِداً، وإلى ذاته ناظراً. ثمَّ إنَّ «الشُّعور بالذات» إنَّما هو إدراك شيء ذي كثرة، كما تدلُّ التسمية عليه؛ وكذلك العرفان الذي يتقدَّم الشُّعور بالذات: فإنَّ الروح يعود في باطنه إلى ذاته، وهذا يعني أنَّه ذو كثرة. إذا قال فقط: «أنا الحق»، قال ذلك كأنَّه اكتشف أمراً، وكان قوله صادقاً، إذ إنَّ الحقَّ إنَّما هو ذو ٢٥ كثرة./ ثمَّ إنَّه إذا ألْقَى نظره على ذاته على أنَّه شيء بسيط، وقال: «أنا الحق»، فلا يُدرك ذاته ولا يُدرك الحقَّ. ذلك لأنَّه، إنَّ كان صادقاً في خبره، لا يُخبر عن الحقَّ كأنَّه يُخبر عن حجر، بل

إنما أخبر بعبارة واحدة عن أشياء كثيرة. فإنّ هذا الكيان الذي يُخبر عنه، إنّما هو الكيان حقّاً، وليس شيئاً فيه من الحقّ أثره - ولأجل ذلك لا يدلّ على الحقّ آنذاك - كما هو الأمر في الصورة ٣٠ مع أصلها. / وإن كان كذلك، فإنّه ينطوي على أشياء كثيرة. وبعد، فماذا؟ ألا تُعرّف هذه الأشياء شيئاً فشيئاً؟ ألا، إنّ أردت أن تأخذ الشيء وحده معزولاً عن غيره، فإنّك لن تُدرّكه. بل إنّ الكيان ذاته إنّما هو في ذاته ذو كثرة. مهما يكن الشيء الذي تُخبر عنه، فإنّ الكيان مُشتمل عليه.

وإن كان ذلك كذلك، وكان الأمر الذي هو أشدّ الأمور بساطة، فإنّه لن يكون لهذا الأمر / عرفان لذاته. وإن كان له هذا العرفان، فلكونه ذا كثرة. بالتالي إنّّه لا يعرف ذاته، ولا يناله عرفان.

١٤ وكيف نستطيع أن نُخبر عنه إذا؟ ألا، إنّنا نستطيع أن نُخبر عنه، ولكنّا لا نستطيع أن نُضمّنه خبرنا، فلا إدراك لنا به ولا عرفان لنا له. ولكن كيف نخبر عنه ونحن لا نُدرّكه؟ ألا، إنّ كُنّا لا نُدرّكه بالمعرفة، أفلا نُدرّكه مُطلقاً؟ بل إنّنا نُدرّكه بحيث أنّنا نستطيع أن نُخبر عنه، / ثمّ لا نستطيع أن نُضمّنه خبرنا. فإنّنا نقول فيه ليس هو؛ أمّا هو، فلا نقوله. ومن ثمّ فإنّنا نُخبر عنه مُنطلقين ممّا يكون متأخراً عليه. فلا يمتنعنا مانع من أن نُدرّكه ولو كُنّا لا نأتي عليه بقولنا. إنّ أهل الوجد والجذب يلمّون إلماً بأنّ لديهم أعظم ممّا يطيقون، وإن كانوا لا يعلمون ما هو. / فإنّهم، ممّا يجذبهم من جاذب وما ينطقون به من قول، يتلقّون إحساساً ما بالشيء الذي يدفعهم، وهم آنذاك غير هذا الشيء. كذلك قد يكون أمرنا مع ذلك الأصل الأوّل، عندما نُدرّك الروح في صفاته. فننبئ آنذاك عن ذلك الأصل أنّه روح الروح، وهو الذي يهب الذات ١٥ وما في مقام الذات من أمور آخر. / أمّا هو فليس على ما تكون هذه الأمور. بل إنّ شيء آخر، أشرف من أن نقول فيه إنّّه «الحق»، لا بل إنّّه أفضل وأعظم من أن تُدرّكه أقوالنا، لأنّه هو ذاته أكرم من العقل ومن الروح ومن الإحساس، ما دام هو الذي أمدّنا بهذه الأمور، وهو ليس قطّ منها.

١٥ ولكن كيف يمدّنا بها؟ أبعنى أنّها كانت فيه أم بمعنى أنّها لم تكن فيه؟ ولكن كيف يمدّ بما ليس لديه؟ وإن كانت فيه، فلا يكون هو بسيطاً. وإن تكن فيه، فكيف تنبعث الكثرة منه؟ فإنّنا ربّما نُسلم للواحد بأنّه ينساب فينبعث منه شيء بسيط (مع أنّ ما نبرح نتساءل كيف يتمّ ذلك وإنّ الأصل لواحد من الوجوه جميعاً. بيد أنّنا نستطيع أن نقول إنّ الأمر في موضوع بحثنا بمثابة النور المُنبعث من الضياء)؛ ولكن كيف تنبعث منه أشياء كثيرة؟ ألا، إنّ الأشياء التي تنبعث منه،

ليس شأنها أن تكون مثله . وإن لم تكن مثله ، فإنها ليست أشرف منه . ولعمري ، ما عسى أن يكون أشرف من الواحد ، أو فَوْقه بوجه من الوجوه؟ إنَّ تلك الأشياء إنما هي دون الواحد إذاً ؛ وهذا يعني أنها نقص منه . وما عسى أن يكون ما هو أنقص من الواحد؟ ألا ، إنه ما هو ليس واحداً ؛ فهو ذو كثرة ؛ / على أنه يسعى إلى أن يكون واحداً . إنه واحد ذو كثرة إذاً . فإنَّ كلَّ ما لا يكون واحداً إنما يبقى متماسكاً بفضل الواحد ، وبفضل هذا الواحد يكون كما هو عليه في ذاته : وما لم يُصبح واحداً ، إن كان مُركَّباً من أشياء كثيرة ، فإننا لا نستطيع أن نقول فيه إنه « موجود حقاً » . وإن كنا نستطيع أن نحكم في كلِّ شيء من هذه الأشياء أنه واحد ، فذلك لأنَّ هذا الشيء إنما هو واحد ولأنه يبقى دائماً على ما هو عليه في ذاته . / أما الذي لا ينطوي على الكثرة في ذاته ، إنما هو الواحد حقاً . فليس واحداً بمُشاركته للواحد في كيانه ، بل إنه هو الواحد بالذات . كما أنه ليس واحداً بمعنى الواحد وصفاً لغيره ، بل إنه واحد بأنه هو الواحد ذاتاً . وهو الواحد الذي تبعث منه ، بوجه ما ، الأشياء الأخرى كلها ، يختلف بعضها عن بعضها الآخر بالقرب منه أو بالبعد عنه . هذا وإنَّ المُتأخِّر عليه يُعلن أنه مُتأخِّر عليه بكونه ، هو ذو الكثرة ، واحداً في كلِّ ناحية من نواحيه . ذلك لأنَّ كثرة واقعة في دفعة واحدة ، فلا يسعك أن تُميز / فيها لأنَّ كلَّ ما فيه إنما يكون معاً في آنٍ واحد . ثمَّ إنَّ كلَّ أمر من الأمور التي تبعث منه ، إنما يكون ، ما دام حاضياً بالحياة ، واحداً ذا كثرة ، لأنه لا يسعه هو أن يعلن بذاته أنه واحد وأنَّ الأشياء كلها معاً . أما الواحد الحق ، فإنه هو الذي يكشف الروح عنه أنه الواحد الذي هو الأشياء كلها ، لأنه يكشف عنه على أنه الأصل الأعظم . فإنَّ الأصل إنما هو واحد صدقاً . أما المُتأخِّر عن هذا الأصل ، فإنَّ وطأة الواحد تشتدُّ عليه بكونه كذلك ، فيكون هو كلَّ الأشياء التي تُشارك الواحد في وحدته ، ويكون كلَّ جزء من أجزائه ، هو أيضاً بدوره ، / واحداً والأشياء كلها معاً . وما عسى أن تكون هذه الأشياء كلها؟ ألا ، إنما هي الأشياء التي كان ذلك الواحد أصلها . فلا بدَّ من البحث عن هذه الأشياء كلها كيف كان ذلك الواحد أصلها؟ أبعنى أنه يجعل كلَّ شيء منها شيئاً واحداً فيحفظها كلها؟ إنما كان ذلك لأنه سواها كلُّ قائم في ذاته . وكيف ذلك؟ لأنه من قبل كان مُنطوياً عليها . ولكنا قد قلنا إنه يُصبح بذلك ذا كثرة . / نُجيب : إنه آنذاك مُنطوي عليها بمعنى أنها لا يمايز بعضها عن بعضها الآخر . إنَّ ما يكون في المقام الثاني يمايز بعضها عن بعضها الآخر ، وذلك بالعقل؟ إنَّ كلَّ أمر هنا ، إنما يكون فعلاً حقاً . أما ذلك الأصل فإنه قُوَّة الأشياء كلها . ولكن ما هو نوع هذه القُوَّة؟ فإنه ليس كما يُقال في الهَيُولَى إنها بالقُوَّة لأنها تتلقَّى ؛ فإنها مُنفعة . أما ذلك الأصل ، فإنَّ قُوَّته من نوع ما يقارن التَّحقيق فعلاً . كيف / يفعل أفعلاً ليست لديه إذاً ؟ فإنَّ ما يفعله ، لا يفعله اتِّفاقاً ومُصادفة ولا باللَّجوء إلى التَّمكُّير والتَّروِّي ، ومع ذلك فإنه يفعل ؛ لقد قيل إنه إذا انبعث شيء عن الواحد ، وجب فيه أن يكون مُختليفاً عن الواحد ، وما

دام هذا الشيء يختلف عن الواحد، فإنه ليس واحداً. بل إن الواحد إنما هو ذلك الأصل وحده. إن لم يكن واحداً فهو اثنان، وهو أيضاً ذو كثرة لا محالة إذ إننا نجد الآن خلافاً وجمعاً ثم كيفاً ٤٠، أيضاً وهلمّ جراً. / هذا وحسبنا ذلك دليلاً على أنه يجب في ما ينبعث من الواحد ألا يكون واحداً. أما أن تكون كثرة، وهي كثرة بحيث أنها تُشاهد في المتأخر الواحد، فهذا أمر يبدو الالتباس فيه. فلا بد من البحث في هذا المتأخر أيضاً، أنه يجب أن يكون لا محالة.

١٦ لقد قلنا في غير هذا المقام إنه لا بد من شيء يكون متأخراً عن الأول، وأثبتنا بوجه عام أن هذا الأول قوة، وإنما هو قوة تتسع إلى ما ليس له نهاية. كما أننا أثبتنا ما يلي أيضاً وهو أنه يجب في الأمور الأخرى كلها أن تتيقن منها أنها ليس فيها أمر واحد، وحتى بين أواخرها، إلا وهو قادر/ على أن ينتج. على أنه يجب أن نضيف إلى قولنا ما يلي أيضاً. وهو أنه ما دامت المحادثات لا يسعها أن تتوجه علواً، بل شأنها أن تمضي سفلاً، وبخاصة أن تتوزع في الكثرة، فإن أصل الجزئيات كلها الذي يبقى كما هو عليه في ذاته، إنما هو أشد من هذه الجزئيات بساطة. والذي أحدث هذا العالم الحسي ليس هو عالماً حسياً إذاً، بل إنه روح وعالم روحاني. ١٠ كذلك القول في ما كان متقدماً على هذا العالم الأخير وأحدثه إذاً: / فإنه ليس روحاً وليس عالماً روحانياً، بل إنه أشد بساطة من الروح وأشد بساطة من العالم الروحاني. إن ذا الكثرة لا يخرج من ذي الكثرة، بل إن ذا الكثرة الذي يهمننا هنا إنما يأتي فيما هو ليس ذا كثرة. وإن كان ذلك الأصل ذا كثرة، فلا يكون هو الأصل مطلقاً، بل يكون قبله أصل آخر. ولا بد بالتالي من أن نقص في الحق ما نقلصه حتى ننتهي إلى الأمر الذي هو واحد حقاً، مُنزّه عن كل كثرة وعن كل بساطة جزئية، ما دام يجب فيه أن يكون هذا البسيط حقاً. / ولكن كيف يكون ما ينشأ منه عقلاً ذا كثرة وعقلاً كلياً، والظاهر الجلي هو أنه ليس عقلاً هو في حد ذاته؟ وإن لم يكن عقلاً، فكيف يخرج عقل ممّا ليس هو عقلاً؟ بل كيف يخرج من الخير المحض ما يكون في مثال الخير؟ وما عسى أن يكون قد أصابه من الخير المحض حتى يقال عنه إنه في مثال الخير؟ إلا أنه تبسّر له أن يكون كما هو عليه في ذاته وأن يبقى مثلما هو عليه في ذاته؟ فما هي العلاقة بين هذه الحال/ والخير المحض؟ إن البقاء على الحالة الواحدة الذي نسعى وراءه إنما هو بقاء الخيرات وثباتها. أو بالأحرى إننا نسعى وراء الشيء الذي يجب فيه أن نتخلّى عنه لأنه الخير: أما إن لم يكن الخير، فالأفضل أن ندعه. أفيكون الخير في حياة تبقى دائماً على حالها، وفي الثبات مع ذلك الواحد طوعاً؟ إذا كانت الحياة مُستحبة لما ينبعث من الواحد، فإنه لن يسعى قط وراء شيء وما في الأمر شك. فيبدو بقاؤه على الحالة الواحدة قائماً على أنه يكتفي بما يكون حاضراً؛ بل إننا نقول: إذا حضرت الأمور كلها كانت الحياة بحضورها حياة مُستحبة، وتكون

الأمور حاضرة آنذاك بحيث أنها لا تختلف عن الحياة، بل تكون هي الحياة ذاتها. وإذا توقّرت له الحياة كلّها على صفاتها، وجدت النفس الكاملة كلّها والروح كلّها، وما فاته شيء من حياة ٣٠ ومن روح. فهو مكتفٍ مع ذاته في ذاته، / ولا يسعى وراء شيء. وإن لم يكن يسعى وراء شيء، فإنّ لديه في ذاته ما كان قد سعى وراءه لو لم يكن حاضراً. إنّه ينطوي في ذاته على الخير إذاً، أو على ما هو من نوع الخير وتسمّيه الحياة والروح، أو على شيء يلتحق بهما. ولكن إن كان هذا هو الخير المحض بالذات لما كان فوق هذه الأمور شيء. أما إذا كان فوق هذه الأمور شيء، ٣٥ فإنّ لما ينبعث من هذا الشيء حياة/ موجهة إليه، مُرتبطة به، مُستمدّة من قيامها في ذاتها، وهي حياة ثابتة باتّجاهها إليه. فإنّ هذا الشيء إنّما هو الأصل لما ينبعث منه. ويجب في هذا الأصل أن يكون أشرف من الحياة ومن الروح إذاً. فيتيسّر عند ذاك للحقيقة المتأخّرة عنه أن تُوجّه إليه ٤٠ الحياة الكامنة فيها، وهي الحياة تُحاكي ما ينطوي عليه ذلك الأصل ويحيها به، / كما أنّها تُوجّه إليه الروح الكامن فيها، وهو روح يُحاكي ما ينطوي عليه ذلك الأصل، مهما يكن ما هو عليه في ذاته.

١٧ ما عسى أن يكون أسمى من الحياة وهي على أشدها انقياداً إلى الحكمة وتنزّها عن الضلال والخطأ، وأشرف من الروح المُستعمل على كلّ شيء ومن الحياة الفاتحة والروح الفائق؟ إذا أجبتنا: «إنّما هو ذلك الذي أحدثها»، فكيف أحدثها؟ وإن لم يظهر شيء يكون فوق الروح، ٥ فإنّ كلامنا لا يُجاوز هذا إلى شيء آخر جديد، بل يقف عند الروح. / ولكّنه يجب أن ترتقي إلى ما فوق ذلك لأسباب كثيرة، من بينها أنّ اكتفاء الروح بذاته إذ كان من الأشياء كلّها قوامه، إنّما هو اكتفاء، من الخارج يأتيه؛ وإنّ كلّ واحد من هذه الأشياء ناقص في ذاته. وما دام كلّ شيء ينال شيئاً واحداً من الذات، وهو واحد بالاشتراك، فإنّه ليس هو الواحد بالذات. فما عسى أن ١٠ يكون ذلك الذي ينال/ الروح منه بالشركة وهو بكيان للروح وما يصحبه من الأشياء كفيلاً؟ لكنّا نقول: إن كان ذلك الأصل هو الذي يكفل لكلّ شيء كيانه، وإن كانت الكثرة في الروح، وكان الروح ذاته مكتفياً بذاته لسبب حضور الواحد، فإنّ ذلك الأصل إنّما هو الذي يُحدث الذات والاكتفاء بالذات، وما في الأمر شكّ. أمّا هو فليس بالذات، بل إنّهُ فوق الذات وفوق الاكتفاء بالذات.

١٥ هل نكتفي بما ذكرنا ونستأذن بالانسحاب؟ ألا، إنّ/ النفس لا تزال في أوجاع الوضع، لا بل قد اشتدّت الآن عليها هذه الأوجاع؛ وربّما وجب عليها أن تضع الآن وقد وثبت نحو الواحد زاخرة بأوجاعها. ومع ذلك، فقد يجب أن نعود ونهْدِي من روعها، لعلّنا نجد لأوجاعها نَفْهاً يُسكّنها. بل ربّما تمّ لنا ذلك من أقوالنا السابقة، إذا عدنا إلى إنشادها. وما

٢٠ عسى أن يحلَّ محلَّها أنشودة أخرى جديدة؟/ فإنَّ النَّفْسَ تجري بين الحقائق كلّها، ومع ذلك فإنَّها تفرُّ هاربة من الحقائق التي نال حظنا منها، إن حاولنا أن نضبط هذه الحقائق بالنُّطق والتّفكير. ولا غرو، فإنَّ الفكر، إذا حاول الإفصاح، وجب فيه أن يتلقَّى الأشياء شيئاً بعد شيء. كذلك يكون الفكر في جريه. أمّا في ما هو بسيط من الوجوه كلّها، فأنتى للفكر أن يجري؟ بل ٢٥ حسبنا حينئذٍ باللمس نوراً. / ولكنَّ اللامس عندما يلمس، لا يقوى قطُّ على القول ولا يُبالي به، بل يعود بعد ذلك إلى ما تمَّ له فيسكبه في قالب النُّطق والتّفكير. يجب التّصديق بأنَّنا قد شاهدنا، عندما تفاجأ النَّفْس بنور تتلقّاه. ذلك لأنّه - هذا النور - إنّما هو من الواحد وهو هو ذاته. ويجب ٣٠ التّصديق آنذاك بأنّه حاضر عندما يُنير مثلما كان لذاك الإله/ الآخر إذ دعاه داعٍ إلى بيته؛ فإن كانت النَّفْس خالية من النور، فهي محرومة من إلهنا أيضًا. أمّا إذا انتشر فيها النور، فإنَّ بين يديها ما كانت ساعية هي إليه. وتلك هي الغاية للنَّفْس حقًّا: أنْ تمسَّ ذلك النور مسًّا وأنْ ٣٥ تُشاهده هو بما يكون عليه ذاته هو، لا بنور غيره. بل إنّها تُشاهد ذلك الذي بوساطته تُشاهد. / فإنَّ الذي أشعَّ نوره فيها، هو الذي يجب فيه أنْ تُشاهده. فالشَّمس لا تُشاهد بنور غيرها. وكيف يتمُّ ذلك؟ دع الدُّنيا وما فيها.

الفصل الرابع

(٧)

في كيف ينبعث عن الأول ما هو بعد الأول، وفي الواحد

١ إن كان بعد الأول شيء، فهو من هذا الأول حتمًا. فإما أن يكون منه سواءً بلا توسط، وإما أن يُردَّ إليه بتوسط ما بين الطرفين، فيكون نظام الثنائي والثالث: فالثاني يُردَّ إلى الأول، والثالث إلى الثاني. ذلك لأنه لا بدَّ من أن يكون شيء قبل الأشياء كلها وهو بسيط. فيكون ٥ مُختلِفًا عما يتأخَّر عليه، / قائمًا في ذاته مع ذاته، ليس مُختلِطًا بما ينبعث عنه، وبوسعه، مع ذلك، أن يكون حاضرًا إلى غيره من وجه آخر. فهو الواحد حقًا، وليس بمعنى أنه كان شيئًا ما أولًا ثمَّ أصبح واحدًا. لهذا وإنَّ القول فيه إنه واحد إنَّما هو إفك مبين، إذ لا يناله نطق ولا علم، ١٠ بل يقال فيه إنه فوق الذات. فلو لم يكن بسيطًا بعيدًا عن كلِّ عرض / وتركيب، ولو لم يكن حقًا لما كان هو الأصل. ثمَّ إنه يفوق الأمور كلها اكتفاءً بذاته، بكونه بسيطًا وأولًا. فإن لم يكن الأول كان في حاجة إلى ما قبله؛ وما لم يكن بسيطًا، كان في حاجة إلى البسائط التي فيه حتَّى ١٥ منها ويستوي. يجب في ما هو من هذا المقام أن يكون وحده واحدًا، لأنه لو كان في مقامه شيء آخر / لأصبح الطرفان شيئًا واحدًا. فإنا لا نشير بقولنا هذا إلى جسمين أو إلى أنَّ الواحد إنَّما هو الجسم الأول، إذ إنَّ بسيطًا لن يكون جسمًا قطَّ، والجسم حادث وليس أصلًا؛ أما الأصل فغير حادث. وما دام هذا الأصل غير جسمين وواحدًا حقًا فذاك هو الأول.

٢٠ لهذا وإن كان بعد الأول شيء يختلف عنه، فليس هذا الشيء بسيطًا إذًا: / إنَّما يكون واحدًا ذا كثرة. فمن أين ينبعث؟ من الأول. ذلك لأنه لم يكن وليد الاتفاق والمصادفة، وإلا لما كان ذلك هو أصل الأشياء كلها، وكيف ينبعث من الأول إذًا؟ إن كان الأول كاملاً، وأكمل ٢٥ من الأشياء كلها، وكان هو القدرة الأولى، وجب فيه أن يكون الأقوى بين الحقائق كلها، / ووجب في الحقائق القديرة الأخرى، على قدر ما تكون قديرة، أن تقلَّده في حوله وقوَّته. فإنَّ سائر الأشياء إذا أدركت كمالها، نراها تلد ولا تطبق أن تبقى مع ذاتها في ذاتها، بل إنها تُحدث شيئًا آخر. ولا يصدق هذا القول على ما يكون صاحب إرادة، بل على الأشياء التي تنشأ بدون ٣٠ إرادة، وحتَّى على ما لا نفس له: فإنه يعطي من ذاته على قدر / استطاعته. فالنار تُسخِّن مثلًا،

والتَّلَجُّ يُبَرِّدُ والدَّوَاءُ يفعل في غيره أفعاله. وهكذا كلُّ شيء حسب ما يكون عليه في ذاته. فالأشياء كلها تقلد الأصل في قدرته تحقيقاً للدَّوام والجودة. فكيف يبقى في ذاته ما كان هو ٣٥ الأكمل وهو الجود الأوَّل، فكأنَّه يبخل بذاته؛ أو أصابه/ العجز وهو القدرة على كلِّ شيء؟ ثمَّ كيف يكون هو الأصل بعد ذلك؟ لا بدَّ من أن ينشأ منه شيء إذا، ما دام ثمة شيء ينبعث من الأمور الأخرى، وهي تستمدُّ منه قيامها في ذواتها، إذ إنَّها تستمدُّ منه هذا القيام لا محالة. فالواقع هو أنَّه يجب في أصل الأمور المُتأخِّرة أن يكون هو الفائق الإكرام. كما أنَّه يجب في ٤٠ مولوده الأوَّل أن يكون فائق الإكرام أيضاً وهو/ صاحب المقام الثاني نظراً إلى الأصل الأوَّل، وأفضل الأشياء كلها.

٢ إن كان الروح ذاته هو الأصل الموليد، وجب في الذي يليه أن يكون دون الروح؛ ولكنَّه يكون أقرب الأشياء إليه وشبيهاً به. إلَّا إنَّه ما دام الأصل الموليد فوق الروح، فالمولود إنَّما هو الروح لا محالة. وما باله لا يكون هو الروح، والجرفان فعله؟ إنَّ الجرفان يُشاهد المعروف وهو مُرَجَّه إليه/ وكانَّ المعروف يسوقه إلى كماله ويكمِّله. فهو في ذاته لا وجه له ولا حدَّ مثل الإِبصار، والمعروف هو الذي يُحدِّده. ولذلك قيل: «إنَّ المُثُل والأعداد إنَّما تنبعث من الثنائية والواحد». فالمُثُل والأعداد، ذلك هو الروح. ولذلك لم يكن الروح بسيطاً، بل إنَّ فيه أشياء كثيرة، وهو ينكشف عن تركيب فيه، ولو كان تركيباً روحانياً، كما أنَّ مُشاهدته إنَّما تتناول فعلاً ١٠ أشياء كثيرة. / ثمَّ إنَّه هو ذاته أمر معروف، ولكنَّه عارف أيضاً: فها هو ذا اثنان فعلاً. كما أنَّه يختلف عن الواحد بأنَّه أمر معروف مُتأخِّر عن الواحد.

ولكن كيف ينبعث هذا الروح من الأمر المعروف؟ إنَّ الأمر المعروف هو باقي مع ذاته في ذاته، وليس ناقصاً من المُشاهد والعارف؛ وأقول في العارف إنَّه ناقص نظراً إلى ذلك الأمر المعروف/ : فلا يكون، وهو كذلك، كأنَّه عديم الإحساس بل يكون منه كلُّ ما معه وفيه، وهو يميِّز حاله من كلِّ وجه. ثمَّ إنَّ إدراكه لذاته بما هو في منزلة الشعور بالذات، إنَّما يتمُّ في سكون دائم وعرفان يختلف عن الجرفان الذي يتمُّ في الروح. وأذا نشأ شيء بعد ذلك، وهو باقي كذلك/ على ما هو في ذاته، فإنَّ هذا الشيء إنَّما عنه شيئاً، وهو آنذاك على ما هو في ذاته بأشَدَّ ما يمكن أن يكون. إنَّ الذي ينشأ إذا ينشأ منه ما دام هو باقياً كما هو عليه في ذاته طبعاً؛ ويمضي الكون والصَّيرورة في حين بقائه هو كما هو عليه في ذاته. ثمَّ ما دام هو باقياً أمراً معروفاً، فإنَّ الذي ينشأ إنَّما يكون عرفاناً. وما دام هذا عرفاناً وهو عرفان يُدرك ما عنه نشأ - إذ ٢٥ إنَّه ليس له مُدرك آخر - فإنَّه يُصبح روحاً. / وهو آنذاك كأنَّه أمر معروف، وكأنَّه هو ذلك الأمر المعروف، جاء على صورته ومثاله. ولكن كيف نشأ مع كون ذلك الأصل باقياً في ذاته؟ إنَّ

الفعل إنّما هو فعّالان، فعل هو فعل الذات أصلاً، وفعل يخرج من الذات التي يقوم الشيء بها. أما فعل الذات فهو الشيء ذاته مُحققاً في ذاته؛ أما الفعل المُنبعث من الذات، فهو ما يجب فيه ٣٠ أن يكون التّبع في كلّ شيء حتماً، / وهو آنذاك يختلف عن هذا الشيء في ذاته. مثل ذلك مثلما أنّ في النار حرارة تحقّق ذات النار، وحرارة تنشأ عنها إذا فعلت النار فعلها المطبوعة عليه ذاتاً مع بقائها ناراً. وكذلك الأمر في الملاء الأعلى أيضاً، بل إنّهُ بالملاء الأعلى أخرى: يبقى الأوّل ٣٥ في ماهو عليه طبعاً، قائماً في كماله ومع فعله. / فيُصبح بهما الفعل المولود منه فعلاً قائماً في ذاته لأنّه ناتج عن قوّة عظيمة، لا بل عن القوّة العُظمى بين القوى. فلا غرو إن أدّت الحال بهذا الفعل إلى أن يكون حقّاً وأن يكون ذاتاً. فإنّ ذلك الأصل الأوّل كان فوق الذات، وهو قوّة ٤٠ الأشياء كلّها؛ فيكون ما ينشأ عنه هو الأشياء كلّها. وإذا/ كان هذا الثاني هو الأشياء كلّها، فإنّ ذلك الأوّل فوق الأشياء كلّها، وفوق الذات إذاً. ثمّ إن كان هذا الثاني هو الأشياء كلّها، فإنّ الواحد إنّما يكون قبل الأشياء كلّها، وليس من الأشياء كلّها سواءً، ويجب فيه بذلك أن يكون وراء الذات. وهذه الذات هي الروح ذاته. ومن ثمّ فإنّ وراء الروح شيئاً. فإنّ الحقّ ليس جنة ٤٥ هامة، لا حياة فيه ولا عرفان له؛ بل إنّ الروح والحقّ شيء واحد. / على أنّ الروح ليس روح أشياء مُتقدّمة عليه، كما أنّ الإحساس إنّما هو إحساس بمحسوس كان قبله. بل إنّ الروح هو ذاته أشيائه، ما دام لا يستمدّ من غيره مُثلها. ومن أين يستمدّها؟ بل إنّهُ قائم من أشيائه وأنّه معها ٥٠ شيء واحد بالذات. وهذا هو أمر العلم من أغراضه، إن كان علماً بما هو مُتره عن/ الهيولى.

الفصل الخامس

(٣٢)

في أنّ الروحانيّات ليست خارجة عن الروح،

وفي الخير المحض

١ إنّ الروح الذي هو روح حقاً وصدقاً، هل يذهب أحد فيه إلى أنّه كاذب وأنّه لا علم له بالحقائق؟ كلا! ولعمري، كيف يكون عديم الروحانيّة، ثمّ يبقى روحاً بعد ذلك؟ يجب فيه أن يكون إذاً دائماً على علم، وآلا يدركه النسيان يوماً. كما أنّه يجب في علمه ألا يكون علم ظلّ وتخمين، أو علماً فيه اشتباه أو علماً كأنّه يسمعه عن غيره؛ / كما أنّ علمه ليس علماً دلاليّاً. وإن كُنّا ننسب إليه علماً ما قائماً على دلالة، فلا مناص من أن نُسلّم له بعلم جلّي في ذاته من وجه ما. مع أنّ العقل يدلّ على أنّ الأمر كذلك هو في العلوم كلّها؛ وآلا فكيف نميّز بين الجلّي وغير الجلّي في ذاته؟ لكنّ الأمور التي يعترف بأنّها بيّنة في ذاتها، أتى لنا القول بأنّ بيانها في ذاتها متوافر للروح؟/ أتى يكفل لذاته اليقين من أنّ الأمور كذلك هي في حقيقة الواقع؟ إنّ ما يدركه بالحواس، وهو أشدّ ما يكون يقيناً فيما يبدو، يجعلنا نقف متردّدين؛ فلعلّ الوجود الذي يظهر معه ليس وجوداً في الأعيان والأشياء، بل وجوداً في الانفعالات فقط؛ فلا بدّ في الأمر من التّحكّم إلى الروح والتّفكير. / حتّى ولو سلّمنا بأنّ ما تكفل لنا الحواس إدراكه هو أمر موجود حقاً في الحسيّات، فإنّ ما يدرك آنذاك بواسطة الإحساس هو أثر الشّيء، ولا يدرك الإحساس الشّيء في ذاته، بل يبقى هذا الشّيء غريباً على الإحساس.

٢٠ والواقع هو أنّ الروح يدرك، وهو يدرك الروحانيّات. فلو كان يدركها على أنّها تختلف عنه، فكيف يقع الجمع بينها وبينه؟ ولكن ربّما حدث في هذا الجمع آلا يقع؛ ومن ثمّ يتأتّى للروح أن يدرك الروحانيّات آلا إذا وقع بينها وبينه، فلا يكون دائماً حاصلاً على المعرفة. وإن قيل في الواحد أنّه مقرون إلى الآخر، فما عسى هذا القران أن يكون؟ فضلاً على أنّ العرفان يكون انطباعاً آنذاك. وإن كان ذلك كذلك، كان العرفان أمراً يطرأ من الخارج ويصدع الروح صدعاً؛ / فكيف ينطبع الانطباع؟ أو بآية هيئة تشكّل الانطباعات؟ وهذا وإنّ العرفان يكون إدراكاً لما هو في الخارج آنثي، مثلما هو الأمر في الحواس. وهل يمتاز حيثنّذ عن الحواسّ إلّا بكون مدركاته أصغر من مدركاتها؟ وكيف يعرف أنّه قد أدرك حقاً؟ ثمّ كيف يميّز بين الشّيء خيراً أو حسناً أو عدلاً؟ فإنّ

الشيء في ذاته يختلف عن هاتيك الأمور، ولا ينطوي على ما يُقاس الحكم به من المعايير التي
٣٠ يطمئن إليها اليقين. / بل هذه الأصول غريبة عليه، وهذا هو حال الحقائق منه. ثم إن الأمور
الروحانية، إما أن تكون عديمة الإحساس، لاحظ لها من حياة وروح، أو إنها تكون حاصلة على
الروح. فإن كانت حاصلة على الروح، كان الطرفان هنالك وكان بذلك الحق الصراح وهو الروح
٣٥ الأول. وينحصر بحثنا، عند ذلك، في كيف يكون الوضع / الصحيح بين الروحاني المعروف
وبين الروح العارف: هل يكونان معًا في شيء واحد، وهما مع ذلك مختلفان؟ أو كيف تكون
العلاقة بينهما؟ وإن كانت تلك الأمور الروحانية عديمة الروح والحياة، فما عساها أن تكون
حقائق؟ فإنها ليست «مقدمات» أو «مسلّمات» أو «مقولات»، وهي كلّها أوصاف تُقال في أشياء
تختلف عنها وليست هي الحقائق في حدّ ذاتها. كذلك هو الأمر مثلًا في القول: «إن العدل
٤٠ حسن». / فالعدل شيء والحسن شيء آخر. وإن قيل في الروحانيات إنها أوصاف بسيطة، فالعدل
هنا والحسن هناك، قلنا: لا يكون العالم الروحاني عالمًا واحدًا آنذاك يقيم في الوحدة، بل يكون
كلّ أمر فيه متبذًا ناحيته. هذا أولًا. ثم ما هي الناحية التي يتجه إليها والأمكنة التي ينتشر عليها؟
٤٥ وكيف يأتي عليها الروح جاريًا؟ بل كيف يبقى ساكنًا؟ وكيف يبقى في ذاته على حاله؟ / وبوجه
الإجمال، ما عسى أن يكون له من انطباعة أو صورة؟ ألا إذا عرضت هذه الروحانيات للروح كأنها
بمنزلة آثار من ذهب أو من مادة أخرى صنعها نحات أو رسّام. وإن كان ذلك كذلك، كان الروح
المشاهد إحساسًا. ولماذا يكون أحد الأمور الروحانية آنذاك هو العدل، والأمر الآخر شيئًا آخر؟
٥٠ هذا وإن الأمر الأعظم هو التالي: إن سلّمنا في هذه الأمور أنها مُستقلّة عن الروح استقلالًا تامًا،
وأن الروح يُشاهدها وهو على هذه الحال، فإن إدراكه لها ينبغي بالضرورة ألا يكون إدراكًا
صحيحًا وإنّما يكون الروح في كلّ ما شاهده كذوبًا. والحق أنّ تلك الأمور ليست سوى
الصدق خارجًا؛ ثمّ إنّ الروح يُشاهدها من غير أن يكون بين يديه، ولا يتلقّى منها في إدراكه
٥٥ على ما وصفناه إلّا أشكالها. / وما لم يدرك الحقّ الخالص، ولم يكن لديه منه إلّا شكله الظاهر،
يمسي حاصلاً على زيف كاذب ليس له من الحقّ خلاق. وإذا علم الروح بأن ليس لديه إلّا مسخ
كذوب، ساقه عمله إلى الاعتراف بأنّه لا حظّ له من الحقّ الصراح. ولكنّه إن كان عن ذلك غافلاً،
٦٠ وظنّ أنّ لديه محض الحقّ وهو خلو منه، كان الكذب الذي فيه كذباً، / وازداد هو بعداً عن الحقّ
المبين. ولذلك لا ينطوي إدراك الحواسّ على الحقّ الصراح، فيما أرى، بل على الظنّ، وإنّما
كان ظنّاً لأنّه يتلقّى تلقّيًا: وإذا كان ظنّاً، كان ما يتلقّاه شيئًا وما يأخذ منه ما تلقّاه شيئًا آخر. وإن لم
٦٥ يكن إذا في الروح محض الحقّ، فلن يكون الروح على ذلك هو الحقّ خالصًا، بل لن يكون
روحًا حقًّا، وما كان ليكون من الروح في شيء. ومع ذلك فإنّ الحقّ الصراح لا يلتمس قطّ من
وجه آخر.

٢ يجب في الروحانيات ألا نطلبها خارج الروح إذا، وألا نقول فيه هو إنه ينطوي على انطباعات للحقائق. كما أنه يجب ألا نحرمه من الحق الصّراح فنجعل الروحانيات مجهولة في ذاتها، بل لا وجود لها، فضلاً على أننا بذلك نحكم على الروح بالزّوال، فلا بدّ من إبراز المعرفة والحق الصّراح، ومن الحرص على الحقائق كلّها، / ومن معرفة الشّيء ما هو. ولست أعني معرفة الشّيء كيف هو، إذ إنّنا لا ندرك عند ذلك إلا صورة منه وأثرًا، فلا نحصل على تلك الأمور ولا نتحد بها ولا نتمازج معها. وما دام ذلك كذلك، وجب أن نردّ الأشياء كلّها إلى الروح الحقّ الخالص: فيعلم الروح آنذاك ويعلم حقًا، ولن يعتريه التّسيان، ولن يتحوّل ١٠ ساعيًا. / ثم إن الحق الصّراح يستقرّ فيه، ويصبح هو مقامًا للموجودات، فيكون ذا حياة وذا عرفان. يجب في هذه الأمور كلّها أن تتوافر لتلك الحقيقة الفائقة سعادتها، وإلا، فأين يكون شرفها وكرمها؟ ولا يحتاج الروح، وهو على هذه الحالة، إلى استدلال وإلى إقناع على أنه كذلك هو: أجل، إنه كذلك هو، وهو جليّ لذاته بما هو عليه في ذاته؛ / كما أنه لا يحتاج إلى دليل، إن كان شيء مُتقدّمًا عليه، على أنه مُنبعث هو من هذا الشّيء؛ وإن كان بعد ذلك الشّيء شيء، على أنه هو هذا الشّيء الآخر (وليس من شاهد أصدق منه على ذاته)؛ وعلى أنه، في الملا الأعلى، هو ذلك كلّه وحقًا. ومن ثمّ فإنّه هو الحق الصّراح حقًا، ذلك الذي ليس بكونه متوافقًا مع غيره، بل مع ذاته هو، فلا يكشف عن شيء يختلف عنه، بل إنّ ما يخبر عنه إنّما هو ما هو عليه في ذاته، وما هو عليه في ذاته فذاك هو الذي يخبر عنه. ومن يستطيع أن يكذّبه بعد ذلك، وأتى يأخذ ما يكذّبه به؟ / إنّ التّكذيب إذا وافق في حكمه الخبر الذي جاء لنقضه أصبح هو هذا الخبر طبقًا لما يكون عليه في أصله، ويكون الطّرفان شيئًا واحدًا. فإنّك لن تجد شيئًا غير الحقّ أصدق من الحقّ.

٣ ها هي ذي تلك الحقيقة الواحدة تبرز أمامنا إذا: هي الروح، أعني الأشياء كلّها والحقّ المبين. وإن كان الأمر كذلك، فإنّ الروح إله عظيم. أو بالأحرى، ليس هو إلهًا من بين الآلهة، بل يرى أنه الإله الكلّيّ بكونه الأشياء كلّها. وهذه الحقيقة إنّما هي إله، وهي إله من المقام الثاني تكشف عن ذاتها قبل أن تُشاهد الإله الأعظم. أمّا هذا الأعظم فإنّه جالس فوقها وقد استوى عليها، ما دامت على هذه الحال، كأنّها عرشه / الذي لا يزال مُرتبطًا به. يجب في هذا الإله الأوّل، إذا أقبل، ألا يقبل وهو مُستور على جماد غير ذي نفس أو على النّفس مُباشرة، بل يتقدّمه ما يكون في منتهى الحسن والجمال. كذلك يسير أمام الملك في مواكبة أصحاب الرّتب ١٠ السّفلى أوّلًا، ثمّ يأتي أصحاب المقامات التالية على ازدياد في الجاه والمهابة، / ثمّ حاشية الملك بأفرادها المقرّبين إليه، ثمّ من يلي الملك على الفور شرقًا وجهاً. ويظهر الملك بعد

هؤلاء كلهم، فيفاجئ الناس بهيبته. فترتفع الصلوات إليه، وتتطأطأ الرؤوس من قبل هؤلاء الذين لم ينسحبوا مكتفين بمشاهدة من كان يتقدمه. إن الملك، إنما هو من مقام والذين يتقدمونه من مقام آخر. / أما الملك في الملأ الأعلى فإنه لا يحكم على غرباء، بل إن بين يديه الحكم الأعدل الفطري. وملكيته هي الملكية حقاً ما دام هو ملكاً على الحق المبين، وهو السيد، فطرة وجبة، على سليلته المتمايكة كلها ببيان إلهي. هو الملك على الملك وعلى الملوك، وهو الأجدر بأن يدعى / الأب للآلهة. ولقد سار «زوس» على غراره هنا أيضاً، إذ إنه لم يكتف بالمُشاهدة التي كانت لأبيه، بل عهد إلى تلك التي كانت لجده، وهي مُشاهدة بمنزلة فعل شأنه تحقيق الكيان قائماً في ذاته.

٤ يجب أن نرتقي إلى الواحد إذاً، إلى الواحد حقاً وليس الواحد بمعنى ما يكون غيره واحداً، وهو ذو كثرة واحد بالاشتراك مع الواحد في كيانه. يجب أن ندرك الواحد الذي ليس واحداً بالاشتراك والذي ليس واحداً بأصح منه هو ذا كثرة. ثم إن العالم الروحاني والروح إنما هما بأن يكونا أمراً واحداً أخرى من سواهما، وليس من شيء أقرب إلى الواحد من هذا الأمر، / على أنه ليس بالواحد في صفاته. كل ذلك قد ورد ذكره. ونود الآن أن نرى، ما وسعنا الأمر، ما هو الواحد محضاً؟ الواحد محضاً، والواحد الحق الذي لا يوصف به سواه؛ فإنه يجب أن نب ونباً من هنا إلى الواحد إذاً، وألاً نُضيف إليه شيئاً بعد ذلك. بل نلجأ إلى السكون المُطلق خوفاً من أن نميل عنه ولو قليلاً، ومن أن نقبل على الاثنين. / وإن لم تفعل فإنك مُدرك للاثنين، لا بمعنى أن الواحد فيها، بل بمعنى أنها المزدوج المتأخر عن الواحد. فإنه يأبى أن يُحصى مع غيره عدداً، لا مع الأحد ولا مع عدد آخر مهما يكن، وإنه لا يُحصى عدداً بحال. إنه القياس هو وليس شيئاً يقاس، كما أنه ليس مع الأمور الأخرى سواء حتى يكون معها. / وإلاً لجمع بينه وبين الأشياء التي يُحصى معها وجه مُشترك/ يكون مُتقدماً عليه، في حين أنه يجب ألا يتقدم عليه شيء. ذلك لأن العدد الجوهرى لا يقع عليه وصفاً، ولا ما هو متأخر عن هذا العدد، أعني العدد الكمّي. فإن العدد الجوهرى هو الذي يضمن الكيان على الدوام، بينما يضمن العدد الكمّي التكرّر لوجوده مع غيره؛ وإن كان هو في ذاته عدداً، فلن يكون مع سواه. / لهذا وإن الحقيقة الكامنة في أعداد الكمّ تحاكي، في علاقتها مع الواحد الذي هو أصل العدد الكمّي، الحقيقة الكامنة في الأعداد الجوهرية في علاقتها مع الواحد حقاً. فتتلقى وجودها من غير أن تُفني الواحد أو تفرقه إرباً. ذلك لأنه إذا نشأت الاثنينية، فإن الوحدة حاضرة دائماً، أعني الوحدة المُتقدمة على الاثنينية، وليست هذه الوحدة حاضرة في الاثنينية بمعنى أنها طرفا الاثنينية كلاهما أو أنها حدّ الطرفين. / ولماذا يكون أحد الطرفين دون الآخر؟ فإن لم تكن

الطرفين كليهما، فإنها تختلف عنهما، وهي، باقية، كأنها بقاء لها. وكيف يكون الطرفان مُختلفين عنها؟ ثم كيف يكون الاثنان عددًا واحدًا؟ وهل هذا الواحد هو الواحد الكامن في كل من طرفي الوحدة الجامعة؟ ألا إنه يجب أن يقال فيهما إنَّ كلًّا منهما واحد بالاشتراك مع الوحدة الأولى، ولكنَّ وحدتهما غير الوحدة التي يصيبان منها. ثم إنَّ الاثنيَّة، من حيث كونها واحدًا، إنَّما يصيب وحدتها بالاشتراك مع تلك الوحدة أيضًا، / ولكن بمعنى آخر. فليس البيت واحدًا مثلما يكون الجيش واحدًا. فإنَّ البيت إذا اتخذته من حيث أنَّه مُتَّصل بعضه ببعضه الآخر، ليس واحدًا بكونه كذلك، كما أنَّه ليس واحدًا بكونه في الكم. أو يمكن أن يقال إذا في آحاد العدد خمسة إنَّها غير آحاد العدد عشرة، ثمَّ يقال في الوحدة التي تجعل الخمسة عددًا واحدًا إنَّها بالذات، هي الوحدة التي تجعل العشر عددًا واحدًا؟ ألا، إن كانت كل سفينه نظرًا ٣٠ إلى كل سفينه أخرى، صغيرة/ كانت أو كبيرة هي ذاتها سفينه، وإن كان الأمر كذلك في مدينة مع مدينة وفي جيش مع جيش، فالواحد هو هو ذاته هنا. وإن لم يكن الواحد هو هو ذاته في المثل هنا، فليس هو هو ذاته في الأعداد هناك. لهذا وإن بقيت حول موضوعنا شبهات، فإنَّا نُرجئها إلى مقام آخر.

٥ هذا ولا بدَّ من الرجوع إلى ما كتَّأ فيه، وحيث قلنا إنَّ الأوَّل سيبقى على ما هو في ذاته ولو انبعثت منه أمور تختلف عنه. ففي الأعداد يبقى الأحد على حاله، ويُحدث الأعداد شيء يختلف عنه، فيخرج العدد على مثال الأحد دائماً. أمَّا في ما يكون قبل الحقائق، فالقول فيه إنَّ الوحدة هنالك إنَّما تبقى على حالها أخرى به أيضًا. / وإذا بقي الواحد هنا على ما هو في ذاته، فلا يُحدث الحقائق شيء غيره، إن جاءت على مثاله، بل يكفي هو ذاته لإنشاء الحقائق. ثمَّ إنَّ مثال الأوَّل - مثال الوحدة - في الأعداد هناك في مثيلنا الأوَّل، إنَّما يقع على بعض الأعداد وقوعًا أوليًا، وعلى بعضها وقوعًا ثانيًا. ولا ينال كل عدد من الأعداد المتأخِّرة على الوحدة من هذه الوحدة نيلاً سواء. وكذلك الأمر هنا في ما يأتي بعد الأصل الأوَّل: كل متأخِّر عليه إنَّما ينال منه شيئًا/ كأنه مثال يحلَّ فيه. لهذا وإنَّ الاشتراك في الأعداد، إنَّما أوجد للأعداد كمَّها؛ وإنَّ أثر الواحد إنَّما أقام ههنا شيء في ذاته، ومن ثمَّ فإنَّ الكيان إنَّما هو أثر الواحد. ولقد نكون على صواب إذا قلنا في هذه اللَّفظة «إِثْنِي» (الكيان) التي تطلق إسمًا على الذات، إنَّها مُشتَقَّة من ١٠ اللَّفظة «إِثْن» (الواحد). ذلك بأنَّ الذي يقال/ فيه إنَّه الحقُّ الأصل كان قد خرج قليلاً من الواحد، إن جاز لنا القول، ولم يرد أن يتجاوز بعيدًا بعد ذلك، بل عاد إلى ذاته واستكنَّ في قراراته فأصبح هو الذات وأضحى للأشياء كلَّها معًا. ففي النطق، مثلاً، إذا شددنا على نطقنا باللفظ خرجت لفظة «إِثْن» (الواحد) وكأنَّها تدلُّ على ما يُشتقُّ من الواحد، وأدى عضو الصَّوت

٢٠ لفظة «أن» (الحق) على الوجه المُستطاع. / وهكذا فإنّ الذي ينشأ، أعني الذات والكيان، إنّما يكون مُشتملاً على صورة ما دام أنّه يخرج جاريًا من قوّة الواحد. أمّا الثّمس الناطقة، فإنّها ترى ذلك وتتأثّر بمُشاهدته فتتكيف بما رأت وتنطق بالألفاظ «الحق» و«الكيان» و«الذات»
٢٥ و«المعین». فإنّ هذه/ الألفاظ كلّها إنّما تريد أن تدلّ على ما نشأ قائمًا في ذاته، وقد وصفه الناطق به وهو مُجهد، فتُحاكي بقدر إمكانها ولادة الحقّ.

٦ ومهما كان وصفنا لهذه الأمور، فإنّ الذات التي تنشأ إنّما هي مثال، إذ إنّ ما يخرج من الملام الأعلى لا يقال فيه إنّ شيء غير المثال. وليس مثال شيء جزئي، بل إنّ مثال الكلّ، بحيث أنّه لا يبقى مُتسع لمثال آخر بعد ذلك. فلا غرو إن كان الأصل الأوّل مُترجمًا عن كلّ مثال. وما دام مُترجمًا عن كلّ مثال فإنّه ليس ذاتًا، إذ إنّّه يجب/ في الذات أن تكون شيئًا معيّنًا، أعني شيئًا له حدّه. أمّا الواحد فلن يدرك على أنّه شيء معيّن، وإلاّ لما كان أصلًا، بل كان ذلك الشيء الذي نطق به فقط. هذا وإن كانت الأشياء كلّها في ما نشأ عن الواحد، فبأي شيء منها تدلّ على الواحد؟ لكنّه ليس هو شيئًا من هذه الأشياء، فلا يقال فيه إلّا أنّه فوقها ووراءها. غير أنّ هذه الأشياء إنّما هي الحقائق وهي الحقّ أيضًا. / إنّّه وراء الحقّ إذا. ولا يعني كونه وراء الحقّ أنّه هذا الشيء أو ذاك، إذ إنّّه لا يثبت فيه شيء، ولا يدلّ على اسمه، بل إنه يعني أنّه ليس هذا الشيء أو ذاك فقط. ثمّ إنّ هذه العبارة، حتّى ولو كان شأنها أن تدلّ عليه، فإنّها تدرك منه شيئًا. فما أسفها مُحاولين أن تُحيط بهذه الحقيقة وهي كالبحر لا ساحل له. / بل إنّ من سعى إلى ذلك، بعد ما بينه وبين القدر المحدود السير الذي يتاح له في تتبّع أثر الواحد. فإنّ من يريد أن يرى الحقيقة الروحانيّة يتخلّى عن كلّ تصوّر للمحسوس فيشاهد آنذاك ما يكون وراء الحسيّات، وكذلك الأمر في من يريد أن يشاهد ما وراء الروحانيّ أيضًا. فإذا تخلّى عن كلّ روحانيّ شاهد، لأنّه بوساطة الروحانيّ إنّما يعلم أنّ الواحد موجود؛/ ولا بدّ من التّجرد عن الروحانيّات، لإدراك الواحد كيف يكون. فضلًا على أنّ «الكيف» لديه يدلّ على أنّه «بلا كيف»: فليس من «كيف» لما لا يعرف «بشيء». لكنّا تُقاسي الأمر لنعبّر عنه، فلا ندري ما عسانا أن نقول فيه، ثمّ نخبر عمّا لا يناله وصف، ونسمّيه مُحاولين أن نصفه لذواتنا على قدر المُستطاع. / بل وربّما كان هذا «الواحد» اسمه ينطوي على نفي الكثرة عنه. ولذلك كان الفيثاغوريّون يشيرون إليه فيما بينهم رمزًا بنفي الكثرة فيسمّونه «أبولون» (المنزّه عن الكثرة). وإذا تضمّن اللفظ «الواحد» والإسم المدلول معنى إيجابيًا، أصبح الأصل الأوّل أشدّ غموضًا منه فيما لو لم يذكر له إسم قطّ. وربّما/ لجأنا إلى هذه التّسمية بالواحد، حتّى ينطلق الباحث ممّا يدلّ على البساطة في أحلى معانيها، فينفي تلك التّسمية في نهاية الأمر. أجل، لقد وضعها واضعها على أنّها خير ما

يمكن أن يتوقّر لديه، ولكنّها لا تصلح، هي أيضًا، للدلالة على تلك الحقيقة الأولى. فإنّ هذه
 ٣٥ الحقيقة لا تدرك بالسمع، ويجب فيها ألا يفهمها السمع، بل المُشاهد، اللّهمّ إذا تيسّر
 لصاحب فهم أن يفهمها. فضلًا على أنّ المُشاهد لو حاول آنذاك أن ينظر إليها على أنّها
 مثال، لما كان يدركها.

٧ فالواقع هو أنّ للظّهر، إذا تحقّق، وجهين. فلنأخذ العين مثلاً. فإنّ في مقابلها المُبصر
 وهو مثال الشّيء المحسوس، والمتوسّط الذي به ترى هذا المثال. ثمّ إنّ العين تدرك هذا
 المتوسّط، على أنّه مختلف عن المثال، وهو للمثال سبب إبطاره، لكنّه يُبصر هو ذاته في المثال
 ٥ ومعه. / ولذلك لا يتيح إدراكًا واضحًا عن ذاته، ما دام البصر مُسدّدًا إلى الشّيء الواقع الضّوء
 عليه. فإذا لم يكن شيء يُقابل العين غير الضّوء لكانت أدركته على الفور بمسوّ خاطفة، مع أنّها
 تراه، عندئذ، وهو مستويّ على غيره، إذ إنّّه لو كان وحده غير واقع على غيره لما استطاع الحسّ
 ١٠ أن يدركه. / ولا غرو، فإنّ نور الشّمس الثابت فيها، ربّما فات حواسنا لو لم يكن واقعًا في حجم
 أجمد منه. أمّا لو قلنا في الشّمس إنّها نور كلّها، لكنّا نتبيّن في ذلك دلالة على ما ندّعيه ونذهب
 إليه. ولن يكون النور على مثال المراثيات الأخرى قطّ، بل لن يكون إلاّ شيئًا مبصرًا على
 ١٥ استواء، إذ إنّ المراثيات الأخرى ليست نورًا وحسب.

ويصحّ ذلك على قوّة الظّهر في الروح أيضًا. فإنّها ترى، هي أيضًا، بوساطة نور آخر،
 الأمور التي انتشر عليها الضّيء المُنبعث من تلك الحقيقة الأولى، وإنّها لترى ما دام النور مُنتشرًا
 في تلك الأمور. أمّا إذا انعطفت نحو حقيقة الأمور المُضاءة ذاتها، أصبحت رؤياها للنور رؤيا
 ٢٠ ضعيفة. على أنّها إن مالت عن المراثيات ووجّهت وجهها إلى النور الذي بوساطته ترى،
 شاهدت عند ذاك النور وأصل النور.

لكنّه ما دام لم يجب في الروح ألاّ يُشاهد هذا النور على أنّه مُستقلّ عنه، لا بدّ من الرّجوع
 إلى العين. فقد يحدث للعين، هي أيضًا، ألا تدرك النور المُستقلّ عنها الغريب عليها. / بل إنّها
 ٢٥ تُشاهد في اللّحظة الخاطفة، قبل النور الخارجيّ، نورًا ما تنفرد به هي وهو أشدّ سطوعًا. لقد
 ينبعث منها ليلاً ويمتدّ أمامها في الظّلام تارة. وتابى هي طورًا أن تنظر إلى شيء فتغضّ من
 طرفها، فتبعث نورًا بالرّغم من ذلك. أو إنّ صاحب العين يضغط عليها فيُشاهد النور الكامن
 ٣٠ فيها. / عند ذاك لا تكون رائية وهي ترى، بل إنّها ترى عند ذاك بخاصّة. فإنّ ما تراه إنّما هو النور،
 وكلّ ما سواه إنّما كان على مثال النور وما كان نورًا. كذلك القول في الروح إذا حجب ذاته عمّا
 سواه وانسحب إلى باطنه: فيُشاهد آنذاك وهو لا يرى. والذي يُشاهده ليس نورًا يكون شيئًا في
 ٣٥ شيء آخر، بل النور ذاته، وحده مع ذاته، قائمًا في ذاته بصفائه، وقد ظهر له ظهورًا خاطفًا. /

٨ فاشكل عليه أمر هذا النور من أين ظهر، من الخارج أم من الباطن؛ ثم أخذ يقول بعد انسحاب النور: «لقد كان نورًا في الباطن؛ ومع ذلك فإنه لم يكن نورًا في الباطن». ألا، بل إنه يجب في هذا النور ألا يَبْحَثَ عنه من أين جاء. فإنه لا يأتي يومًا ولا ينسحب، بل يظهر تارة وطورًا يختفي. ولذلك ينبغي عليك ألا تجدد في طلبه، بل أن تلزم السكينة حتى يظهر، / فتستعد إلى أن تكون مُشاهدًا، مثلما العين تنتظر شروق الشمس. فإنَّ الشمس، إذا أشرقت فوق الأفق (من الأقيانوس، كما يقول الشعراء) عرضت ذاتها مشاهدة للعيان. أما هذا الأمر الذي تُحاكيه الشمس مُحَاكاة، فمن أين يأتي لِشُرْفِ علينا؟ وماذا يُجاوز حتى يظهر؟ ألا، إنه يُشْرِف على / الروح ذاته الذي يُشاهد. فيبقى الروح ساكنًا في مُشاهدته ولا ينظر إلى شيء إلا إلى الحسن في ذاته، مُوجِّهًا وجهه له ومُسْتَسْلِمًا إليه. إنه ليمسك ويستقر في ما هو عليه كأنه حافل، فيرى ذاته أولًا وقد ازداد حسنا وأخذ يشع إشعاعًا، إذ إنَّ ذلك الأصل أصبح منه قريبًا. / أما هذا الأصل، فلا يقال فيه إنه أتى، كما هو المُتَوَقَّع. بل إنه يُقْبَل على أنه غير مُقْبَل، لأنه يظهر ولا يأتي. ولا غرور، فإنه حاضر قبل الأشياء كلها، بل قبل وُصول الروح. فالمُقبِل إنما هو الروح حتمًا، وهو الذي ينسحب أيضًا، لأنه لا يدري أين يجب عليه أن يُقيم، ولا أين يُقيم ذلك الأصل إن لم تكن له إقامة في شيء قط. ولو كان بوسع / الروح ذاته ألا تكون له إقامة بوجه من الوجوه - لا بمعنى أنه يُقيم في مكان، إذ إنَّ الرُّوح هو أيضًا ليس في مكان، بل إنه مُنزَّه عن المكان تنزيهًا مُطلقًا - لكان ينظر إلى ذلك الأصل دائمًا. أو بالأحرى إنه لا ينظر إليه حينذاك، بل يُصبح معه شيئًا واحدًا لا شيئين. وهو ما دام روحًا إنما ينظر لكونه روحًا إلى الأصل الأول، إذ ينظر إليه، بغير ٢٥ الذي يكون منه وهو روح. /

عجبًا له من أصل! كيف يكون حاضرًا وهو غير مُقبِل، وكيف لا يُقيم في وجه من الوجوه ثم لا يكون وجه لا تجده فيه. أجل، لقد يملك العجب من هذا الأمر بما هو عليه في ذاته. أما لدى العارف، فإنَّ العجب يأخذ منه مأخذ مما يكون خلاف ذلك إن كان. أو بالأحرى ليس خلاف ذلك ممكنًا، حتى يملك العجب عليك أمرك. فدونك الآن شرح الواقع كيف يقع.

٩ كل شيء أحدثه غيره، إنما يكون أما في ذلك الذي أحدثه بالذات أو في شيء آخر، إن كان بعد الذي أحدث هذا الشيء شيء آخر. ذلك لأنه ما دام الشيء شيئًا أحدثه غيره ومُحتاجًا، في ابتدائه، إلى غيره، فإنه يحتاج إلى غيره دائمًا، ويكون دائمًا «في غيره». إنَّ الأواخر من الأشياء إنما فُطرت على أن تكون في الأواخر المُتقدِّمة عليها إذا، / ولهذا في ما يكون قبلها، وهكذا من آخر إلى آخر يتقدَّمه، حتى ننتهي إلى الأول الذي يكون هو الأصل حقًا. أما الأصل، ما دام لا يتقدَّمه شيء، فلا يحلُّ في غيره مهما يكن. ثم ما دام ليس له شيء يحلُّ

فيه، وما دامت الأشياء الأخر كلها في ما هو قبلها، فهو بالأشياء الأخر كلها مُحيط. لهذا على أنه
 ١٠ مُشتمِل عليها غير مبدّد فيها/ : فهو مالك غير مملوك. وما دام مالكا غير مملوك، فلم يكن وجهه
 لا يكون هو فيه، إذ إنه لو كان وجهه لا يحلّ فيه هو، لما كان مالكا. ثم إن لم يكن مملوكا،
 فليس حاضرا. ومن ثمّ فإنّه حاضر وغير حاضر: ليس حاضرا بكونه أمرا غير مُشتمِل عليه؛ ومن
 حيث أنّه مُستقلّ عن كلّ شيء آخر، لا يمنعه مانع عن أن يكون في كلّ وجه من الوجوه. ذلك
 ١٥ لأنّه لو حال بينه وبين هذا الحضور الكلّي حائل،/ أصبح هو محدّودا بشيء آخر. وبالتالي كان
 المتأخّر عنه محروما منه، وكان هو الإله إلى هذا الحدّ وصل، فما عاد قائما هو ذاته في ذاته،
 بل أصبح تابعا للأمر المتأخّر عليه. فإنّ الأمور التي تكون في شيء ما، إنّما تكون حاضرة
 حيث يكون الشيء حاضرا: أما التي ليست حاضرة في وجه من الوجوه، فليس من وجهه لا تكون
 حاضرة فيه. إن لم يكن في مكان ما، وسعه مكان آخر وما في الأمر شكّ، فأصبح هو في شيء
 ٢٠ آخر،/ ومن ثمّ كان القول فيه أنّه ليس في وجهه من الوجوه قولاً كاذبا. إذا صدق عليه أنّه ليس
 في وجهه من الوجوه إذا، وبطل عليه أنّه في وجهه من الوجوه، فإنّه لا يكون بعيدا عن شيء حتّى لا
 يكون في غيره. وإن لم يكن بعيدا عن شيء وليس هو في وجهه من الوجوه، فإنّه في كلّ وجه من
 الوجوه قائما في ذاته مع ذاته. كما أنّه لا يقال في الجزء من أجزائه أنّه هنا، وفي الجزء الآخر أنّه
 هناك، أو أنّه هو في مكان مُعيّن. ومن ثمّ فإنّه كلّ في كلّ وجه من الوجوه، إذ أنّه لم يكن شيء
 ٢٥ ليسعه كما أنّه لم يكن شيء إلاّ وسعه/ : فإنّ بين يديه كلّ شيء مهما يكن.
 إذا نظرت إلى العالم الفقيه، إذ لا يتقدّمه سواه، فإنه غير قائم في عالم آخر، كما أنّه
 ليس له من موضع يتخيّر فيه. وما عسى أن يكون موضعا له قبل أن يكون لعالم وجود؟ أما
 ٣٠ أجزاؤه فهي مرتبطة به وهي فيه. لكنّ النّفس ليست فيه، بل هو في النّفس./ فليس الجسم
 للنّفس موضعا، بل إنّ النّفس إنّما تكون في الروح، والجسم في النّفس، والروح في شيء
 آخر. أمّا هذا الآخر، فإنّه ليس من بعده آخر حتّى يكون فيه، وهو ليس في شيء آخر مهما يكن
 إذا، وبهذا المعنى، ليس هو في وجهه من الوجوه. وإن قيل: أين تكون الأمور الأخرى؟ قلنا:
 ٣٥ فيه. وبالتالي ليس هو بعيدا عن الأشياء، كما أنّه ليس فيها؛ ثمّ لم يكن شيء ليُحيط به،/ بل إنّ
 هو الذي يُحيط بالأشياء كلها. ولذلك كان هو الخير للأشياء كلها، لأنّ الأشياء كلها لأجله
 كانت وبه يرتبط كلّ منها خلافا لسواه. ولذلك أيضًا كان بعض الأشياء خيرا من بعضها الآخر،
 لأنّ بعضها أقرب إلى الحقّ من بعضها الآخر.

١٠ ولكن، بحقي عليك، إياك أن تنظر إليه بتوسّط الأشياء، ولّا كنت إنّما نظرت إلى آثاره
 لا إليه. بل فكّر في ما عسى أن يكون هذا الأمر الذي يجب فيه أن يؤخذ على ما هو في ذاته

صافيًا، لا تشوبه شائبة، تأخذ الأشياء منه كلها، ولا يُحيط بها شيء من الأشياء. ليس كمثله شيء، ومع ذلك لا بد من أن يكون على أوصافه شيء ما. من عسى أن يدرك قوته بأسرها دفعة واحدة؟ وإن استطاع، فبماذا يتميز عنه آنذاك؟ إننا ندرك جزءًا بعد جزءٍ إذا؟ كلا! بل إن أردت أن تلقي بصرك عليه، فאלقه دفعة واحدة. ولكنتك لا يسعك أن تحبّر عنه كلاً بعد ذلك! وإلا فإنك أنت روح عارف. وإذا أدركته آنذاك، لن يلبث أن يفلت منك، أو بالأحرى لن تلبث أن تفلت منه. فإن أبصرته، إني بصرك عليه إلقاءً كليًا، وإن/ عرفته، مهما كان ما تذكرت منه، فاعرف أنه الخير (ما دام أنه قوة، فهو سبب الحياة الحكيمة النورانية ومنه الحياة والروح) وأنه سبب الذات والحق، وأنه واحد (إذ إنه بسيط وأول)، وأنه للأصل، إذ إن الأشياء كلها منه تنبعث، منه تنطلق الحركة الأولى وهي ليست فيه، ومنه السكون/ لأنه ليس في حاجة إليه، إذ إنه ليس متحرّكًا ولا ساكنًا، كما أنه ليس لديه ما يكون فيه ساكنًا أو ما يكون فيه متحرّكًا. ولعمري، ما عسى أن يكون الذي يتحرّك حوله أو نحوه أو فيه؟ إنه لهو الأول. وما هو بالمحدود؛ وما عسى أن يكون حدّه؟ بيد أنه لا يقال فيه إنه غير مُتناهٍ بالمعنى الذي يقال في الكمّ. فإلى أين ينبغي أن يمتدّ، وإلى أية غاية يهدف وهو الذي لا يؤنس احتياجًا إلى شيء؟/ فإن ما ينطوي على ما ليس له نهاية، إنّما هي قوّته، إذ إنه لن يتحوّل يومًا من حال إلى حال ولن يُدرك نقصان، ما دام أنه هو الذي أوجد المنزّهات عن النقصان.

١١ إن كونه بغير نهاية إنّما هو عائد إلى أنه لا يتجاوز الواحد إلى الكثرة، وليس فيه شيء يحدّد به جزءًا من أجزائه. ذلك لأنه لا يتجزأ ولا يدخل في عدد، ما دام هو واحدًا. ليس محدودًا إذا لا نظرًا إلى غيره ولا نظرًا إلى ذاته؛ وإلا لكان أنثى اثنين. كما أنه ليس له شكل لأنه لا ينطوي قطّ على أجزاء، وليس له هيئة. لا تطلب بعين دائرة هذا الأصل إذا، وهو على ما وصفناه بأقوالنا لأنه لا يشاهد بمثل ما يظن بعضهم من الذين يذهبون إلى أن الأشياء كلها واقعة تحت الحسن، فيبطل ما أحقّ الأشياء كلها بالوجود. فإنّ ما يتصوّر أنه من الكيان على أشده، ليس من الكيان على أشده. بل إنّ لِمَا يكون بالعظم والكمّ الحفظ الأقلّ من ذلك. أما الأول فهو أصل الكيان، وهو فوق الذات وسيدّها. / ومن ثمّ فلا بدّ من الرجوع إلى ما هو على خلاف هذا المذهب. وإلا، لبقيت محرومًا من الإله، مثلما يكون الأمر في الذين يحضرون الولائم الدينية ويسترسلون في نهمهم. فإنّهم يملؤون بطونهم ممّا لا يجوز أخذه على من يتقرّب إلى الآلهة، وهم يظنون أن تلك المآكل حقًا من مُشاهدة الإله الذي يجدر الاحتفاء به، / فلا يشتركون في المُقدّسات. فإنّ كون الإله غير مرئيّ في هذه الأعياد يُؤلّد التكرار بوجوده لدى هؤلاء الذين لا يعتقدون إلّا بصدق ما تُشاهده الأجساد. وهم آنذاك بمنزلة من، إذا قضى حياته نائمًا، ألقى

٢٠ صحيحًا صادقًا ما رآه في المنام. / فإن أيقظه مُوقظ، رفض أن يُصدّق بما يراه بأَم عينيه وهي مفتوحة، فعاد إلى نومه.

١٢ ينبغي أن ننظر إلى كلّ شيء بالملكة التي يجب فيها أن ندركه بها، فندرك شيئًا بالعين وآخر بالأذن وهلمّ جرا. كما أنّه يجب أن نصدّق بأنّ الروح يرى أشياء أخرى وألّا ننصوّر العرفان أنّه السمع أو البصر، فكأنّا نكلّف الأذن بأن ترى ثمّ تنفي على الصّوت وجوده لأنّه لا يُشاهد. هذا ولندكر أيضًا أنّ الأدميين/ غافلون عمّا هم في اشتياق إليه، ويرغبون فيه منذ بداية أمرهم حتّى يومنا هذا. فإنّ الأشياء كلّها تنزع إلى ذلك الأصل وترغب فيه بحكم فطرتها، فكأنّها شاعرة بأنّها لا يتيسّر لها علم بدونه. إنّ إدراك الحسن إنّما هو أمر مُتوافر للذين أصبحوا كأنّهم في حال العِلْم واليقظة، وكذلك القول في إعجابنا به وتهيّج شوقنا إليه. / أما الخير، ما دام أنّه لم يزل فينا بدافع فطريّ، فإنّه حاضر لدينا ونحن ناثمون. فلا يثير فينا إعجابًا إذا شاهدناه لأنّه معنا دائمًا وما كنّا يومًا لتذكره. إنّنا لا نشاهده لأنّه حاضر فينا ونحن ناثمون. أما الحسن، إنّ بدا، فإنّ الشّوق إليه يؤلّد فينا أوجاعًا لأنّنا، إذا شاهدناه، تهيجت لدينا الرّغبة فيه لا محالة. / وهو شوق من المقام الثاني لهذا الشّوق، ما دام أنّه يقع فينا وقد ازددنا إلماّمًا به. ممّا يدلّ على أنّ الحسن إنّما هو من المقام الثاني هو أيضًا. أما الرّغبة التي تنبثق قبل هذا الشّوق والتي لا نحسّ بها، فإنّها تدلّ على أنّ الخير أقدم من الحسن وأنّه قبله أيضًا. هذا وإنّ الناس جميعًا، إذا أدركوا الخير ظنّوا أنّهم حسبه ما أصابوا، إذ إنّهم قد أدركوا الغاية. أما الحسن فإنّ الناس جميعًا لا يرونه مُحَقَّقًا، فضلًا على أنّهم يظنّون في الحسن أنّه حسن لذاته هو ولا لمن يراه، مثلما هو الأمر مع الحسن في دُنْيَانَا: إنّ الحسن هنا، إنّما هو حسن صاحبه فقط. وحسب الحسان من الحسن مظاهره، حتّى ولو لم يكنّ حسنا. أما الخير، فلم يرد الناس يومًا أن يكون في المظاهر. ولا غرور، فإنّنا نُجاهد بخاصّة في سبيل الوصول إلى الأوّل، فنُزاجم الحسن/ ونغار منه على كونه أمرًا مُبتدعًا مثلما أنّنا نحن أيضًا مُبتدعون. مثل ذلك مثل من إذا كان في الرّتبة الأخيرة من حاشية الملك، فأخذ يُحاول أن يصير في منزلة من يأتي فورًا بعد الملك، وهو يفعل مُدْعيًا بأنّه مع صاحب هذا المقام في خدمة الملك الواحد ذاته. فإنّه يجهل أنّهما كليهما مُرتبطان بالملك، وإن يكنّ صاحب ذلك المقام قبله. وسبب خطئه هو أنّ الرّجلين كليهما مُشتركان/ في الأخذ من الأصل الواحد الذي هو قبلهما. فضلًا على أنّ الخير في الملا الأعلى لا يحتاج إلى الحسن، في حين أنّ الحسن يحتاج إلى الخير. ثمّ إنّ الخير إنّما هو ذو فضل ومصلح وهو الألف، سرعان ما يلبي طلبنا إذا ما طلبناه. أما الحسن فإنّه يثير فينا الدّهشة ويصرعنا، ويحمل إلينا اللّذة ممزوجة بالألم. / ثمّ إنّّه يسحبنا من قرب الخير سحبًا

ونحن لا ندرى، كما يسحب الحبيب حبيبه من بيت أبيه. إنه للأحدث، والخير هو الأقدم، لا بالزمن، ولكن بالكيان الحق، وهو الذي يتمتع بالقوة الأولى. بل إنه متمتع بالقوة كلها، في حين أن ما يتأخر عليه لا يتمتع بالقوة كلها، بل بالقدر الذي يبقى منها متخلفاً على الخير مُبْعِثاً منه. ومن ثم فإنه السيد على هذه القوة، / ما دام لا يحتاج إلى ما ينشأ مُبْعِثاً عنه. بل إنه يدع ما نشأ كله وبأسره إلى سبيله، لأنه لا يحتاج قط إليه، ما دام باقياً أبداً على ذاته في ما كان عليه قبل أن ينشأ عنه ما نشأ. ثم إنه لا يبالي بالحادث فيما لو لم يحدث، كما أنه لا يضر، حاسداً، بالكيان لحادث آخر إن تسر له أن ينبعث عنه. / لكن الواقع هو أنه لا سبيل الآن لحادث أن يحدث إذ إنه ليس من حادث إلا وقد حدث ما دامت المحدثات كلها قد حدثت. إلا أنه لم يكن هو الأشياء كلها حتى يكون في حاجة إليها، بل إنه، ما دام متعالياً عليها جميعاً، كان بوسعها أن يبدعها ويدعها لشأنها بعدئذٍ قائمة في ذواتها مع ذواتها، وهو يُحَلِّق فوقها مُشْرِفاً عليها.

١٣ يجب فيه إذاً، ما دام هو الخير المحض، ولا يوصف بأنه خير، ألا ينطوي قط على شيء، حتى على شيء يوصف بالخير. وإن كان منطوياً على شيء، فإن ما ينطوي عليه يكون إما شيئاً موصوفاً بالخير وإما شيئاً غير موصوف بالخير. لكن غير الموصوف بالخير لا يكون في ما هو الخير أصلاً وأولاً، كما أنه لا يقال في الخير المحض إنه «يملك» الخير. فإن لم يكن حاصلاً لا على «غير الخير» ولا على الخير، فإنه ليس بين يديه شيء. / وإن لم يكن بين يديه شيء، فهو وحده، معزولاً عن كل ما هو سواه. وإذا لم يكن فيه شيء من الأمور الأخر، سواء أكانت موصوفة بالخير وما هي بالخير المحض، أم غير موصوفة بالخير، فإنه، إذ لم يكن لديه شيء، هو الخير المحض، لأنه منزّه عن كل شيء. وإن أضيف إليه شيء، مهما يكن، ذاتاً أو روحاً أو حسناً، بطل من حيث كونه/ الخير المحض. دع الأشياء كلها جانباً إذاً، ولا تقل فيه شيئاً، ولا تخطيء بقولك في شيء إنه بين يديه، بل دعه هو كما هو عليه في ذاته، ولا تصفه بوصف من الأوصاف التي ليست فيه. وإن فعلت، إنما كنت مثل الخطيب الذي يقول مدحاً وهو لا علم له بالقرن، فيخفض شأن مدحويه إذ ينسب إليهم/ دون ما هم أهل له، وقد أشكل عليه القول الحق في الذين خصّهم بمدحه. لنحرص، نحن أيضاً إذاً، على ألا ننسب إلى الخير المحض شيئاً مما بعده أو دونه. بل يجب فيه أن يُحَلَّ فوق هذه الأمور كلها وأن يكون سببها، لا أن يكون هو هي في ذاتها. ونعود هنا إلى القول في حقيقة الخير إنها ليست هي الأشياء كلها، / كما أنها ليست شيئاً من الأشياء. فإنها لو كانت كذلك لأصبحت، مع الأشياء كلها، خاضعة لحكم واحد. وما دامت خاضعة لحكم واحد مع الأشياء، فإنها لن تختلف عنها إلا بوصفها الخاص وبفصلها وأعراضها. ويكون الخير المحض آنذاك إثنين، لا واحداً: فهو ليس الخير بأحد طرفيه، ذلك

الذي يشترك فيه مع غيره، وهو الخير بطرفه الآخر. وهو حينئذٍ مزيج من خير ومن غير خير، فلا
٢٥ يكون هو الخير حقاً وأصلاً، / بل تكون الخير أصلاً تلك الحقيقة التي يأخذ منها بالاشتراك،
فيُصبح خيراً بعد مُجاوزة المعنى الذي يشترك فيه مع غيره. صار هو خيراً بالمشاركة إذًا؛ أمّا
الأمر الذي يأخذ عنه بالمشاركة، فإنه ليس شيئاً من الأشياء كلها. ومن ثمَّ فإنَّ الخير المحض
ليس شيئاً من الأشياء. لكنّه لو كان الخير في ذلك المُركَّب (إذ إنّ الفصل هو الذي بتوسطه كان
٣٠ المُركَّب / خيراً)، لكان قد وجب في هذا المُركَّب أن يُشتقَّ من غيره؛ مع أنّه كان أمراً بسيطاً
وخيراً فقط. ومن ثمَّ فإنَّ ما يُشتقَّ هو منه أخرى بأن يكون خيراً فقط هو أيضاً. لقد تبيّن لنا
بالتالي أنّ الخير المحض هو فوق الحقائق كلها: إنّه خير فقط، لا ينطوي على شيء في ذاته، بل
٣٥ إنّه مُنزّه عن الأشياء كلها وهو فوقها كلها وعلتها جميعاً. / فإنَّ الحسن والحق لا ينبعثان من الشرِّ
ولا ممّا يكون لا خيراً ولا شرّاً؛ ولا غرو، أن يكون الفاعل خيراً من فعله ما دام الفاعل فوق
الفعل كمّالاً.

الفصل السادس

(٢٤)

في أنّ العرفان لا يتحقّق لدى ما يكون وراء الحقّ،

وفي العارف أوّلاً والعارف ثانيًا وما هما

١] قد يعرف العارف غيره، وقد يعرف ذاته أيضًا فيكون بذلك أبعد عن الاثنيّة. في الحالة الأولى يريد العارف أن يعرف ذاته أيضًا ولكّنه عاجز عن نيل مراده. فإنّ ما يُشاهده إنّما هو حاضر بين يديه، ولكّنه شيء يختلف عنه. أمّا في الحالة الثانية، فإنّ العارف لا يكون مُنفصلاً عن ذاته مُتّجداً بذاته فيُشاهد ذاته فيُصبح ذا طرفين مع كونه واحدًا. / ثمّ إنّهُ على أصدق ما يكون عرفاناً لأنّ ما يعرفه إنّما هو بين يديه، وهو يعرف أصلًا لأنّه يجب في العارف أن يكون واحدًا وأن يكون اثنين في آن واحد. لهذا وإنّه لو لم يكن واحدًا، لأصبح العارف شيئًا والمعروف شيئًا آخر. فلم يعد العارف آنذاك عارفًا أصلًا: فإنّه، ما دام يتلقّى العرفان عن غيره، لا يكون العارف أصلًا، إذ إنّهُ لا يكون ما يعرفه بين يديه على أنّه من ذاته، فلا يكون هو هو ذاته. أو إن شئنا ١٠ فلنقل: / إن كان ما لديه على أنّه هو ذاته، فيكون هو عارفًا حقًا، أصبح الطرفان شيئًا واحدًا. ومن ثمّ فإنّه يجب في الطرفين أن يكونا شيئًا واحدًا. ثمّ إنّهُ لو كان واحدًا ولم يكن اثنين من ناحية أخرى، لما كان ما يعرفه حاضرًا بين يديه، وبالتالي لما كان هو عارفًا. يجب فيه إذاً أن يكون بسيطًا من ناحية وغير بسيط من ناحية أخرى. وربّما كان مأخذنا لهذا الأمر على ما هو ١٥ عليه في ذاته إن انطلقنا من النّفس / وارتقينا.

فإنّ التّمييز بين الطرفين يسهل علينا معها ويكون إدراك الازدواجيّة أسهل أيضًا. لتتصوّر نورًا مزدوجًا إذا، تكون النّفس منه في المقام الأدنى ويكون معروفها الروحانيّ في المقام الأعلى. ولتتصوّر بعدئذٍ النور المُشاهد مُساويًا للنور المُشاهد. فإنّ آنذاك لا يسعنا أن نُميّز بين الطرفين ونفصل بينهما فنحكم على النورين أنّهما نور واحد: فالعارف يعرف أنّهما كانا نورين، / ولكنّ المُشاهد يرى نورًا واحدًا. فتُدرك بذلك الفرق بين العارف والمُعروف. لهذا وإنّا، في مثلنا، جعلنا الاثنين واحدًا، والواقع هو أنّ أمرنا هنا إنّما يصير شيئين اثنين بعد أن كان واحدًا، لأنّه لا يعرف إلّا أن يجعل ذاته اثنين. أو بالأحرى إنّهُ يصبح اثنين لأنّه يعرف ويكون واحدًا لأنّه يعرف ذاته.

٢ إن كان أحد العارفين هو العارف أصلاً وأوَّلاً، والثاني هو العارف فرعاً وثانيّاً، أصبح ما هو وراء العارف أصلاً غير عارف. ذلك لأنّه يجب فيه أن يكون روحاً حتّى يعرف، فيجب فيه، مادام روحاً، أن يُقابله مُدرِّك روحانيّ؛ وما دام روحاً عارفاً أصلاً أن ينطوي في ذاته على معروفه الروحانيّ. لكنّه ليس من الضّروريّ في كلّ معروف روحانيّ أن ينطوي في ذاته على عارف يعرف وأن يعرف هو أيضاً. / وإلاّ لما كان معروفاً فقط؛ بل عارفاً أيضاً، ولم يعد هو الأوّل ما دام أنّه أصبح اثنين. ثمّ إنّ الروح الذي يملك المعروف الروحانيّ، لم يكن ليقوم في ذاته ما لم تكن حاضرة ذات معروف صافية روحانيّة. ولهذا المعروف إنّما هو معروف نظراً إلى الروح، ولكنّه في ذاته لا يكون حقّاً عارفاً أو معروفاً. فضلاً على أنّ المعروف إنّما هو معروف نظراً إلى غيره، / أعني إلى الروح العارف، وهو، لدى عرفانه، يقع على الفراغ إن لم يكن ليدرك المعروف الروحانيّ الذي يعرفه ويتمكّن منه. فإنّه لا يسعه أن يعرف بدون معروف يُقابله؛ نقول إذًا: يكون ما وراء الروح كاملاً إذا كان حاصلاً على الأمر المعروف. لكنّه يجب فيه أن يكون كاملاً قبل العرفان، وذلك من تلقاء ذاته في حدّ ذاته. لهذا وإنّ ما يلازمه الكمال ذاتاً، إنّما يكون قبل العرفان. إنّّه لا يحتاج إلى وجود العرفان إذًا، لأنّه مكتفٍ بذاته قبل وجود العرفان. / وهو بالتالي لا يعرف أيضاً. إنّ ثمةً أمراً لا يعرف إذًا، ثمّ أمراً يعرف أصلاً وأوَّلاً، ثمّ أمراً ثالثاً يعرف بعرفان ثانٍ فرعيّ. وبعد، فلو عرف الأمر الأوّل لَعَدَا وهو يُلازمه شيء غيره، فلا يكون الأوّل آنذاك بل الثاني. كما وأنّه لا يكون واحداً أيضاً، بل إنّّه قد أصبح ذا كثرة، أعني أنّه أصبح الأشياء التي يعرفها كلّها. وإنّه، عند ذلك، ذو كثرة حتّى ولو لم يعرف إلّا ذاته فقط. /

٣ وإن قيل إنّّه لا يمنع مانع عن أن يكون هو ذاته ذا كثرة، قلنا: لا بدّ حينذاك من حامل واحد تقع هذه الكثرة عليه. فإنّ الكثرة لا تكون ما لم يكن واحد منه تشتقّ أو فيه تقع. أو على الأقلّ ما لم يحسب هذا الواحد على أنّه الأوّل بين الأشياء الأخرى، فيجب أن يُؤخَذ في ذاته ويُعوّز عن غيره. لكنّ إن كان هذا الواحد الأوّل مصحوباً بالأشياء الأخرى، / وجب فيه أن يتركّ وشأنه غير متفكّ عن سواه ما دام واقعاً مع تلك الأشياء وإن كان مُبايئاً لها، إلّا أنّه ينبغي مع ذلك، أن نبحث عن الأمر التي تقع الأشياء الأخرى عليه وقوع المحمول على الحامل، وهو ليس، بعد ذلك، مع غيره، بل إنّّه قائم في ذاته مع ذاته. فإنّ هذا الأمر الذي يبقى على حال واحد مع كلّ ما هو سواه، إنّما يُشبه الواحد الأعظم، ولكنّه ليس هو بالذات. إلّا أنّه يجب في هذا الواحد الأعظم أن يكون قائماً وحده، إن كان شأنه أن يشاهد في الأمور الأخرى، / إلّا إذا قال فيه قائل إنّ الكيان له إنّما هو وجوده مع غيره. وعند ذلك لا يكون هو أمراً بسيطاً ولا يكون المُركّب الكثير شيئاً. فإنّ ما ليس بوسعه أن يكون بسيطاً لا يتوافر له كيان، كما أنّ المُركّب من

١٥ الكثير لن يكون ما دام البسيط غائبًا. ليس بوسع الشيء الجزئي أن يكون بسيطًا إذا، / كما أنه ليس من بسيط ما واحد ليقوم بذاته المركب من الكثير؛ ثم إن جزئيًا من الجزئيات لن يسعه أن يكفل الوجود لذاته، ولا أن يُعطي ذاته ليكون موجودًا مع غيره بسبب كونهما غير موجودين مُطلقًا. وإن كان كل ذلك كذلك، فكيف يكون المركب من هذه الأشياء كلها، وهو ناشئ من أباطيل، لا بمعنى أنها أصابت من الحق شيئًا، بل بمعنى أنها أباطيل على وجه الإطلاق؟ إذا كان شيء وهو ذو كثرة إذا، وجب/ أن يكون قبل الأشياء الكثيرة أمر هو واحد حتمًا. وإذا وجبت الكثرة على العارف، وجب في العرفان ألا يكون في ما هو مُنزَّه عن الكثرة. ولكن هذا هو الذي كان الأول؛ فيكون العرفان والروح العارف في ما يأتي مُتأخرًا عليه.

٤ وبعد، إن كان يجب في الخير المحض أن يكون بسيطًا وغير ذي حاجة، فليس يحتاج إلى العرفان. ثم إن ما لا يحتاج إليه لا يكون حاضرًا لديه - وما كان لشيء أن يحضر بين يديه - فليس للعرفان أيضًا أن يكون حاضرًا لديه.

وإن لم يكن شيء ليحضر لدى الخير المحض، لأنه ليس من شيء ليكون حاضرًا لديه، فإن الروح أمر يختلف عن الخير المحض لا محالة، بل إن الروح إنما هو على مثال الخير المحض لأنه يُدرك الخير المحض بالعرفان. /

هـ وهذا وإنه، في العدد اثنين، ما دام الأحد مع غيره، يستحيل على هذا الأحد الموجود مع غيره أن يكون هو العدد واحدًا. بل يجب في العدد واحد أن يكون واحدًا في ذاته قبل أن يكون مع غيره. وكذلك القول في الواحد الذي يكون مع غيره في الشيء: فإن هذا الواحد، ما دام حاضرًا على بساطته باعتبار ذاته، إنما يجب فيه أن يكون بسيطًا لا ينطوي في ذاته على شيء من الأشياء الأخرى التي تكون معه وهو في حال وجود الشيء مع غيره. / ولعمري، أتى للشيء أن يكون في شيء آخر ما لم يكن، قبل ذلك، الأصل الذي يُشتق منه ذلك الآخر؟ فإن البسيط لا يُشتق من غيره؛ أما ما كان ذا كثرة أو كان اثنين وجب فيه أن يكون مُرتبطًا بغيره.

ينبغي إذا أن نُشبه الأول بالنور، وما يليه بالشَّمس، والأمر الثالث بفلك القمر الذي يستمد النور/ من الشَّمس. فإن للشمس روحًا مُكتسبًا وهو الذي ينشر النور عليها ما دامت نورانية. أما الروح فإن الروحانية حقيقة في ذاتها؛ وليس نورًا خالصًا بل إنه الذات المُشعِبة بالنور في صميمها. ثم إن الذي يمدُّ الروح بالنور، ما دام هو ليس شيئًا غير النور، فإنه هو النور الصافي البسيط الذي يجعل الروح قادرًا على أن يكون ما هو عليه في ذاته. فما عسى أن تكون/ حاجته إلى شيء مهمًا يكن؟ إنه ليس هو ذلك الشيء الواحد الذي يبقى في غيره دائمًا على حاله؛ فإن كون الشيء في شيء آخر غير كونه في ذاته مع ذاته.

٥ هذا فضلاً على أن ذا الكثرة إنما يسعى إلى تحقيق ذاته ويُريد أن يجمع ذاته إلى ذاته وأن يشعر بجميع ذاته. أما الذي يكون واحدًا من الوجوه كلها، فكيف يسعى إلى ذاته؟ وما باله يحتاج إلى الشعور بذاته؟ لكن ما يستوي فوق الشعور بالذات إنما هو بالذات ذلك الذي يستوي فوق كل عرفان. فإنَّ العرفان ليس هو الأوَّل لا بالكيان ولا/ بالمقام، بل إنَّه الثاني وهو مُبتدع: ٥ كان الخير المحض موجودًا، ثمَّ حركَ إليه هذا المبدع فتحرَّك ورأى. وهذا هو العرفان: تحرُّك نحو الخير المحض رغبة فيه. فإنَّ الرُّغبة هي التي ولدت العرفان وأوجدته معها، إذ إنَّ المُشاهدة إنما هي الرُّغبة في المُشاهدة. / يجب في الخير المحض ذاته أن يعرف شيئًا إذا، ١٠ لأنه ليس من شيء ليكون الخير المحض له. وبعد، إن حدث لشيء يختلف عن الخير المحض أن يعرفه هو ذاته، فإنَّ هذا الشيء يعرف آنذاك بكونه على مثال الخير وبإنطوائه على وجه شبه بالخير. ويعني ذلك أن الخير أصبح له هو خيره ومحطَّ رغبته، فكأنَّه أدرك هو صورة عن الخير. ١٥ وما دام هذا الشيء على هذه الحالة، / فإنَّه في حال العرفان للخير المحض دائمًا. لهذا وإنَّه، في عرفانه للخير المحض، يعرف عَرَضًا ذاته أيضًا لأنَّه يعرف ذاته إذ ينظر إلى الخير المحض. وإنَّه يعرف ذاته حين يحقِّق فعلًا ما يكون عليه في ذاته، على أنَّ الأشياء كلها، إذا تحقَّقت فعلًا، إنما تتحقَّق باتِّجاهها نحو الخير المحض.

٦ وبعد، إن كان ما ذكرنا هو القول الصَّواب، فليس في الخير المحض للعرفان مجال مهما يكن. ينبغي للعارف أن يكون هو شيئًا والخير المحض شيئًا آخر. وإن قيل: إنَّ الخير المحض إنما يكون بذلك عاطلاً عن كلِّ فعل، قلنا: ما هي حاجة الفعل محققًا أن يتحقَّق فعلًا؟ فإنَّه، بوجه عام، ليس للفعل المُتحقِّق أن يتحقَّق. وإن كان الفلاسفة يسندون إلى الأفعال الأخرى/ تعلقها بما يختلف عنها، فإنَّه يجب في الفعل الأوَّل بين الأفعال كلها والذي ترتبط به الأفعال الأخرى، أن يبقى في مثلما هو عليه في ذاته، وألَّا يضاف عليه في ذاته وألَّا يضاف عليه شيء. إنَّ هذا الفعل الذي وصفناه ليس عرفانًا إذا. ولا غرور، فإنَّه ليس بين يديه شيئًا ليعرفه، ما دام هو الأوَّل. فضلاً على أنَّه ليس العرفان هو الذي يعرف، بل ما كان العرفان مُتوافقًا له. هذا ممَّا يُؤدِّي هنا أيضًا إلى وجود الإثنيَّة في العارف، / وليس ذلك الفعل مُؤلِّقًا ١٠ من اثنين بحال. لكنَّا نبيِّن الأمر على أشدِّه إنَّ أدركنا كيف يكون العارف على وجهه الأصحَّ في كلِّ شيء: إنَّه لعمرى، شيء مُزدوج. إنَّا نقول في الحقائق من حيث كونها حقائق، وفي كلِّ منها من حيث بقاؤه على حاله دائمًا، وفي الحقائق من حيث أنَّها حقائق؛ نقول في كلِّ ذلك إذا، ١٥ إنَّه في العالم الروحاني. ويدلُّ هذا أوَّلًا على أنَّ هذه الأمور تبقى بذواتها على حالها، / في حين أنَّ غيرها يجري ولا يبقى على حاله، وأعني به الأشياء الحسِّيَّة. ولكنَّه يدلُّ أيضًا وبالأحرى على

أن لهذه الأمور كمال الكيان من ذاتها في صميمها . ذلك لأنه يجب في الذات التي يقال عنها أنها الذات أصلاً ألا تكون من الكيان ظله ، بل أن يتوفر لها الكيان غزراً . ويكون الكيان غزراً عندما ينال من العرفان والحياة مثالهما / إن الحق ينطوي في آن واحد على العرفان والحياة والكيان إذا . فإن كان هو الحق ، كان هو الروح أيضاً ، وإن كان الروح ، فهو الحق ؛ فلا يفصل العرفان عن الكيان ، بل يكونان معاً دائماً . ومن ثم ، فإن العرفان ذو كثرة وليس واحداً ، وما لا يكون ذا كثرة لا يكون له عرفان حتمًا . ثم إننا ، إن تتبعنا الجزئيات جزئياً جزئياً ، قابلنا فيها عرفان الآدمي والآدمي ، عرفان الجواد / والجواد ، عرفان العدل والعدل بالذات . فإن الأشياء كلها مزدوجات : فالواحد أضحى مثنى بينما يصير الاثنان واحداً . أما الخير المحض ، فليس بين هذه الأشياء وليس بالجزء الواحد ، كما أنه ليس مؤلفاً من الاثنيتين كلها وليس أمراً مزدوجاً بحال . (وأما كيف تخرج الاثنيتية من الواحد ، فإنه بحث نعود إليه في مقام آخر) . لكنه ، ما دام فوق الذات ووراءها ، فإنه فوق العرفان ووراءه أيضاً : / وليس منه أن يجهل ذاته إذاً ، إذ إنه ليس لديه من ذاته ما يحيط به علماً . إنه الواحد . بل يجب فيه ألا يعلم الأشياء . فإنه يمدّها بما هو أشرف بها وأعظم - وكان هو الخير المحض لما سواه - بل يمدّها بخاصة ، مع كونها باقية على حالها ، بأن تُدرّكه لمساً على قدر / ما تستطيع إلى الأمر سيلاً .

الفصل السابع

(١٨)

في هل لكل شيء جزئي مثاله

١ هل للأشياء شيئاً شيئاً، أصولها المثالية؟ ألا، ما دمت أنا بوسعي أن أرتقي إلى العالم الروحاني، وما دام الأمر ذاته متوافراً لكل شيء، فإن لكل شيء أصله في الملاء الأعلى. وعلى كل حال، إن كان سقراط هو سقراط دائماً، أصبح ما يكون سقراط بالذات إنما هو نفس سقراط. على أن تكون النفس نفساً جزئية حتى في الملاء الأعلى، وذلك بالمعنى الذي يُقال في «الملاء الأعلى». لكن إن لم تكن دائمة على حالها، بل صار / سقراط في غير ما كان عليه أولاً، كأن يصبح فيثاغورس أو أحداً آخر، بطل كون سقراط لهذا في الملاء الأعلى بكون جزئي مُعَيَّن. مع أنه إن كانت نفس الآدمي الفرد حاملة في جنباتها البنى المعنوية التي يقوم بها كل الآدميين الذين اجتازتهم واحداً بعد واحد، فإن هؤلاء الآدميين إنما هم في الملاء الأعلى جميعاً. فضلاً على أننا نقول في كل نفس جزئية إنها تنطوي على البنى المعنوية الكامنة في العالم. وإن كان العالم لا ينطوي على بنية الإنسان المعنوية فقط، بل على البنية المعنوية المُستَكَنَّة في كل حيوان جزئي أيضاً، فكذلك القول في النفس. إذ إن البنى المعنوية تكون آنذاك ذوات عدد ليس له نهاية، إن لم يكن العالم عائداً إلى ذاته بحكم دورات مُعَيَّنة؛ فإذا اللانهاية تُمسي مُنضِطة مع ذلك ما دام العالم يُمدُّ بالبنى المعنوية ذاتها. وبعد، إن كانت المُبدعات أوفر عدداً من نموذجها، فلماذا يجب أن يكون لكل مُبدع من المُبدعات في الدورة الواحدة بنى معنوية / ونماذج معاً؟ حسبنا إنساناً واحداً نموذجاً للآدميين جميعاً، كما أن عدداً محدوداً من النفوس يكفي لإيجاد عدد من الآدميين ليس له نهاية. ألا، ليس بوسع البنية المعنوية الواحدة أن تكون بنية معنوية لأشياء مُختلفة. كما أن الإنسان لا يكفي نموذجاً لـ ١٥ أفراد الآدميين الذين يختلف بعضهم عن بعض، ليس بالهولي فقط، بل بالآلوف من الفروق الذاتية أيضاً. لأنهم ليسوا من نموذجهم مثلما تكون تماثيل سقراط من نموذجها، بل يجب أن يكون اختلافهم في الجيلة باختلافهم في البنى المعنوية. كل دورة تنطوي على البنى المعنوية كلها؛ ثم تعود الدورة الثانية مع الأشياء ذاتها والبنى المعنوية ذاتها. أما اللانهاية

٢٥ التي تقع عند ذاك في العالم الروحاني، فيجب ألا يخاف منها. فإنها كلها/ في نقطة غير مُجرّاة، وكأنها تنطلق فقط عندما تفعل أفعالها.

٢ لكنّ الامتزاّجات التي تقع في البنى المعنويّة، بين الذّكر والأنثى منها، إنّما هي التي تولّد الفروق. وإن كان ذلك كذلك، فلا حاجة بعده إلى بنية معنويّة لكلّ محدث. ثم إنّ كلّاً من الوالدين، الذّكر مثلاً، لا ينتج نتاجه بتأثير بنية معنويّة مختلفة بل بتأثير بنية معنويّة واحدة، هو بنيتة هو أو بنية أبيه. ألا، لا يمنعه مانع عن أن ينتج/ بتأثير بنية مختلفة، ما دام مُنطويّاً على البنية المعنويّة كلّها، على أن يكون بعضها أوفر استعداداً للعمل. وإن قيل: وما الأمر عندما يكون الأولاد مُختلفاً بعضهم عن بعضهم الآخر وهم جميعاً من أبوين واحدتين؟ قلنا: إنّ هذا راجع إلى عدم التّساوي في التّراجع. لكنّ هذا الاختلاف ليس قائماً، إذا ظهر، بأن يكون الراجع هو الذّكر تارة، أو هي الأنثى طوّراً، أو بأن يكون الطّرفان كلاهما قد أعطيا شيئاً مُساوياً. / إنّما يقوم بأن يكون الطّرفان قد أعطيا كلّ ما لديهما وهو حاضر ثابت، ولكنّ الذي يحكم في الهيولى إنّما هو شيء من الطّرفين فقط أو أحد الطّرفين فقط. والذين يُولدون من الأبوين ذاتيهما في مناطق مُختلفة، كيف يكون الاختلاف بينهم؟ أيكون الاختلاف بأنّ الاستحكام من الهيولى ليس مُتساوياً؟ إنّ هؤلاء الأولاد كلّهم، باستثناء واحد منهم، جاؤوا مُنافين للطّبيعة إذاً. أمّا إن كان الاختلاف بتنوّع الحسن، فلا يكون المثال واحداً. / ويجب في ما يقع بسبب الهيولى آنذاك أن ينسب إلى القبح، ما دامت البنية المعنويّة حاضرة كلّها، وهي جميعاً وإن كانت خفيّة، مُتوافرة بكلّ حال. ولنفترض في البنية المعنويّة أنّها مُختلفة. لماذا يجب فيها أن يكون قدرها بقدر المُحدثات في الدّورة الوحيدة، ما دامت الاختلافات في الطّواهر ثابتة بالرّغم من أنّ البنية المعنويّة التي يُمدّ بها تكون هي ذاتها دائماً؟ هذا صحيح وإنّا نُسلم به على قدر ما تكون البنية المعنويّة مُعطاة كلّها. ولكنّ السّؤال هنا إنّما هو في هل يبقى اختلاف/ إن كانت البنية المعنويّة الراجعة هي ذاتها دائماً. وبعد، أفلا يجب في البنية المعنويّة أن تكون مُختلفة، لأنّ الأشياء تقع هي ذاتها دائماً بين دورة ودورة، ولكنها لا تكون هي ذاتها دائماً في الدّورة الواحدة؟

٣ كيف يُقال في بنى التّوأمين إنّها مُختلفة إذا؟ وكذلك الأمر في الحيوانات الأخرى ولا سيّما المولّد منها؟ ألا، إنّ البنية المعنويّة واحدة حيث لا يقع اختلاف. ولكنّ إن كان ذلك كذلك، فلا يكون عدد البنية المعنويّة بعدد الأفراد. قلنا: إنّ عدد البنية المعنويّة يكون بعدد الأفراد المُختلفة، ولكنّه ليس اختلافاً/ يقوم على نقص في تحقيق المثال. ولعمري، ما هو المانع الذي يمنع من أن تكون البنية المعنويّة مُختلفة في حال الأشياء التي لا يختلف بعضها عن

بعض؟ هذا إن كان ثمة أشياء لا نجد بينها اختلافاً بوجه الإطلاق. مثل ذلك مثل ما يتم لدى صاحب الصناعة فإنه يصنع أشياء متماثلة. ولكنه مع ذلك، ينبغي عليه أن يدرك وجه التماثل بفروق ثابتة في ذهنه، إليها يلجأ ليصنع الشيء ثم غيره، وهو يضيف الفروق إلى وجه التماثل الواحد. ١٠ أما في الطبيعة، فإن الاختلاف لا يكون في الإذهان، بل في الأعيان مع بنائها المعنوية فقط. فيجب في الفروق أن تكون مقرونة بالمثل؛ على أننا لا نستطيع نحن أن نتبينها. ثم إنه لو كان الأحداث يتحقق بالكمّ كيفما اتفق، لكان كلامنا كلاماً آخر. ولكن ما دامت المحدثات موجودة بكمّ معين، فإن هذا الكمّ إنما يُحدّد بتطور البنى المعنوية كلها ١٥ وشمولها. / فإذا أدركت كلها حدّها النهائي، كان بدءٌ جديد لدورة أخرى.

ذلك بأنّ العالم ينبغي أن يكون ذا قدر محدود، وأنّ الأشياء التي تظهر في تطوّفه أمراً بعد أمر إنما هي كامنة منذ البداية في الأمر الذي يحمل البنى المعنوية في طوابعه. هل يعني ذلك، في حال الحيوانات الأخرى التي تضع صغاراً كثيرة في ولادة واحدة، أنّ البنى المعنوية ٢٠ تتعدّد بتعدّد الصغار الموضوعة؟ ألا، يجب ألا نخشى / على البذور وعلى البنى المعنوية من أن تكون بعدد ليس له نهاية، ما دامت النفوس تنطوي على الأشياء كلها. ولا غرو، فإننا نجد في الروح (ومن ثمّ في النفس أيضاً)، بما لا نهاية له، تلك الأشياء الكامنة في النفس من حيث تكون، للتهوؤ بالعمل، على استعداد متجدّد دائماً.

الفصل الثامن

(١٣)

في الحُسْن الروحاني

١ إنا نقول في مَنْ وَصَلَ إلى مُشاهدة العالَم الروحانيّ وأدرك الروح الحقّ في بهائه: إنّه قادر على أن يستوعب في ذهنه ذلك الشّيء الذي هو فوق الروح وأبوه. وما دمنا نقول ذلك ه فلنحاول أن نتبيّن وأن نكشف لدواتنا، على قدر وسعنا، كيف الحيلة/ في النّظر إلى بهاء الروح والعالَم الروحانيّ. فلنفترض، إن شئت، حجرين في قدريهما وهما مُتجاوران، الأوّل منهما لا يزال على غلاظته لم تتناوله صناعة، والثاني هندمته صناعة النّقش فحوّلتَه إلى تمثال إله أو إنسان. ثمّ أصبح، من حيث كونه تمثال إلهه، تمثال ربّة الجمال أو الفنّ؛ ومن حيث كونه ١٠ تمثال إنسان،/ لا تمثال كلّ إنسان مهما يكن، بل تمثال إنسان أخرجه الفنّ جامعاً بين وجوه الحُسْن كلّها. فيبدو الحجر الذي جعلت الصّناعة فيه حَسَن الصورة حُسناً، لا بأنّه حجر - وإلّا لكان الآخر حُسناً بكونه حجراً أيضاً - بل بالصورة التي خلعتها الصّناعة عليه. ولم تكن هذه ١٥ الصورة في حيّز الهيولى، بل كانت/ لدى الدّماغ المُفكّر قبل أن تُصبح في الحجر. لهذا على أنّها كانت في الصّانع، لا بمعنى أنّ له عينيّين ويديّين، بل لأنّ له من صناعته نصيباً. كان الحُسْن قائماً في الصّناعة إذًا، وما كان أفضله آنذاك. فإنّ الحسن الذي صار في الحجر، ليس ذلك ٢٠ الذي كان في الصّناعة، بل إنّ هذا الحُسْن حُسْن ثابت، وينبعث من الصّناعة حُسْن آخر/ هو أقلّ وأضعف. كما أنّ هذا الحُسْن لم يحصل على خُلاصته في الحجر، ولا على ما كانت الصّناعة تريده، إنّما حصل منه على قدر ما كان الحجر مُطاوِعاً للصّناعة. وإن كانت الصّناعة تجعل الشّيء بحيث يُصبح على نحو ما تكون هي عليه في ذاتها وعلى نحو ما يكون لديها - إنّها تجعل الشّيء حُسناً وهي مُتقيّدة بمعنى ما تريد أن تصنع - فإنّ ما لديها من الحُسْن لأعظم وأصدق أيضاً. إنّ لديها الحُسْن الذي هو حُسْن الصّناعة، وهو حُسْن أعظم وأبهى من الحُسْن ٢٥ الذي/ يتحقّق في الخارج. ولا غرو، إذ إنّ الحُسْن كلّما أقبل على الهيولى وتمدّد فيها، قلّ عنه حُسناً باقياً في وحدته على قدر الانبساط. ذلك لأنّ الشّيء إذا انتشر مُتبدّلاً ابتعد عن ذاته: فهذا هو حال البائس إذ لات بأساً، والحرارة إذ تتمدّد حرارة، وكلّ طاقة يواجه عام، إذ تنبسط طاقة،

٣٠ والحُسْنُ إذ يتوسَّعُ حُسْنًا. ثُمَّ إِنَّ كُلَّ فاعِلٍ أَوَّلٍ، مأخوذًا في ذاته، / إنَّما يجب فيه أن يكون أفضل من مفعوله. فليس احتجاب الموسيقى هو الذي يوجد الموسيقار، بل توافرها، كما أنَّ الموسيقى الحسَّنة إنَّما أتت من الموسيقى التي كانت قبلها. وإنَّ كُنَّا نحقِّق الصَّنَاعَةَ لأنَّها، في صُنعها، تُقلِّدُ الطَّبيعيةَ، يجب أن نذكر أَوَّلًا أنَّ الأشياءَ الطَّبيعيةَ تُحاكي هي أيضًا أشياءَ تختلف عنها. ٣٥ لهذا وينبغي علينا أن نعلم أيضًا أنَّ الصَّنَاعَةَ لا تقف عندما يُرى فتقلِّده، / بل إنَّها ترتقي إلى المعاني التي تنبعث الطَّبيعة منها. فضلًا على أنَّها كثيرًا ما تبدع من ذاتها فتُضيف إلى الأشياء ما ينقصها وذلك لأنَّ الحُسْنَ مُتَوافِرٌ لديها. فإنَّ فيدياس صنع تمثال المُشْتَرِي وهو لم ينظر قطُّ إلى محسوس، بل اتَّخذ التَّمثالَ على ما هو من شأنه أن يكون فيما لو شاء المُشْتَرِي أن يتشكَّل بصورة ٤٠ ليقع تحت أبصارنا. /

٢ ولكن دعنا الآن من الصَّناعات، ولنأتِ على ذكر ما يُقال في عملها إنَّه يُقلِّده؛ أعني الحُسْنَ الذي يكون حُسْنًا طبعًا ويوصَفُ بأنَّه كذلك. إنَّها الحيوانات الناطقة وغير الناطقة كلُّها، ولا سيَّما التي استقام صنعها إذ إنَّ جابلها وصانعها تيسِّر له الاستحكام من الهيولى فحقَّق فيها ٥ المثال الذي كان/ يشاؤه. فما عسى أن يكون الحُسْنَ في هذه الأمور كلُّها؟ ليس بالدم ولا بالمحيط. بل إنَّه إنَّما أن يكون لدينا هاهنا لون (وهو شيء يختلف عن الدم والمحيط) وهيئة، أو لا يكون لدينا إلَّا شيء قبيح أو شيء هو بمنزلة الوعاء للبساط، فكأنَّه لها الهيولى. فلعمري، ١٠ أتَّى انبعث الحُسْنَ الذي ازدهت به هيلانة فنشبت من أجلها المَعارك، / وأتَّى لبعضهنَّ محاسن الزُّهرة؟ ثُمَّ أتَّى للزُّهرة ذاتها حُسْنها، بل كيف صار بعض الناس حُسْنًا وبعض الآلهة غير الظاهرة للعيان ولا المُقبلة علينا، تلك التي لو ظهرت لحملت الحُسْنَ كلَّه في جنباتها؟ ألا يكون هو دائمًا ذاك المثال الذي يأتي المفعول من الفاعل، مثلما يُقال في الصَّناعات إنَّ مثالها ١٥ إنَّما يأتي/ الآثار المصنوعة من الصَّناعات ذاتها؟ ثُمَّ ماذا؟ إنَّ المصنوعات تكون جميلة، ويكون جميلًا المعنى القائم في الهيولى، ثُمَّ ينفي عن ذلك المعنى الذي ليس في الهيولى، بل في الصانع ذاته، وهو المعنى الأوَّل المُنزَّه عن الهيولى؟ بل إنَّه هو الذي يتحوَّل إلى الأمر الواحد في ذاته. بل إنَّا نقول إنَّه لو كان الحُسْنَ من قِبَل الحجم بقدر ما كان حجمًا، لوجب في ٢٠ المعنى الفاعل، لأنَّه ليس حجمًا، / أن يكون قبيحًا. أمَّا إذا كان المثال القائم في الحجم، صغيرًا أو كبيرًا، هو ذاته الذي يدفع بطاقته على السَّواء نفْس الناظر، مُولِّدًا فيها حالًا تلاسه، فإنَّه ينبغي في حُسْن الصورة ألا يُجعل من قِبَل الحجم الحامل جعلًا. والدَّلِيل على ذلك هو أنَّنا ٢٥ لسنأ نرى الشيء ما دام خارجًا، وإذا نفذ إلى باطننا أثر فينا. / وإنَّما يدخل فينا من طريق البصر، وبكونه مثالًا. ولأنا فأنَّى له أن يجتاز هذا المنفذ الضَّيق؟ أجل إنَّ المثال إنَّما يسحب معه الكَمَّ

آنذاك ولكّنه لا يسحبه على أنّه عَظَم في حجم ، بل على أنّه أصبح عَظَمًا بمثال . ويجب في ما يُؤثّر علينا آنذاك إمّا أن يكون قبيحًا ، وإما أن يكون حَسَنًا ، أمّ ألا يكون هذا أو ذاك . فإن كان قبيحًا لما كان ليولد ما هو على خلافه ؛ وإن كان بين الحَسَن والقبیح فلماذا يكون بأن يُولد أحد ٣٠ الأمرين دون الآخر أخرى؟/ لكنّ الطّبيعة لتي تُحدث هذا الحُسَن كلّه أخرى بأن تكون قبله حَسَنَة بل أشدّ حُسَنًا . إلّا أنّنا لم نألف نحن النّظر إلى البواطن ، فخصيت عَنّا ، وأخذنا نطلب الظّواهر ونحن جاهلون بأنّ الباطن إنّما هو الذي يُؤثّر ويحرّك . مثل ذلك مثل من إذا رأى صورته وهو لا يدري من أين كان انبعائها ، فغدا يسعى وراءها . / ويدلّ أيضًا على أنّ المطلوب هنا إنّما هو شيء آخر ، وعلى أنّ الحُسَن ليس في الكَمّ ، ما ورد من القول عن الحُسَن في العلوم وفي الأعمال وفي الثّقوس بوجه عام . فإنّك لتدرك الحُسَن الذي هو أخرى بأن يكون حُسَنًا حقًا من الحُسَن في الكَمّ إذ تتبيّن الحكمة ضد صاحبها معجبًا بها ، فلا تلتفت إلى وجهه ، وإن يكن ٤٠ قبيحًا ،/ بل تغضّ الطرف عن الظاهر وتطلب الحسن الذي في الباطن . وإن كان لا يدفعك هذا أن تقول فيه ، وهو كذلك ، أنّه شيء حَسَن ، فإنّك ، إذا نظرت إلى ذاتك في باطنك أنت أيضًا ، لن تبتهج بذاتك حُسَنًا . وما دمت على هذه الحال ، فإنّك تطلب الحُسَن عَنّا ، بل إنك تطلبه ٤٥ وأنت قبيح ولما تكن زكيًا . ولذلك لم يكن القول حول هذه الأمور قولًا يصلح للجميع . / أمّا أنت ، إذا رأيت أنّك حَسَن في ذاتك ، فتذكّر!

٣ إنّ في الطّبيعة بنية الحُسَن المعنويّة ، وهي القياس الأصل لما من الحُسَن في البدن ، على أن الحُسَن في النّفس أشدّ منه في الطّبيعة إذ إنّهُ هو أصل الحُسَن الذي في الطّبيعة . ثمّ إنّ هذه البنية المعنويّة إنّما تكون في النّفس على أشدها وضوحًا في خُطوطها ومعالمها ، وهي تزداد حُسَنًا يومًا بعد يوم . فبعد أن تزيّن النّفس ناشرة نورها الذي استمدّت من نور أعظم هو الحُسَن الأصليّ ،/ تجعلنا ندرك بالقياس ، ما دامت هي مُقيمة في النّفس ، كيف تكون البنية المعنويّة المُتقدّمة عليها . وهذه البنية لا تُقبل على شيء ، ولا تحلّ في شيء آخر ، بل إنّها تبقى في ذاتها مع ذاتها . ولذلك لم يكن ذلك الأمر بنية معنويّة ، بل هو مُبدع البنية المعنويّة الأولى وهو الحُسَن قائمًا بذاته في النّفس التي تكون آنذاك هيولى بالإضافة إليه . وإنّ هذه البنية المعنويّة الأولى إنّما هي الروح أعني الروح الباقي على الدّوام ، وليس روحًا في بعض الأحيان فقط ، إذ ١٠ إنّ كونه روحًا ليس ، بالنّسبة إليه ، أمرًا مُكتسبًا مُستفادًا . / فما عسى أن تكون الصورة التي تتصوّر عليها؟ إنّ كلّ صورة إنّما تتخذ ممّا يكون دونه رُتبه ومقامًا . بل يجب في هذه الصورة أن تتخذ من الروح ذاته بحيث أنّه لا يدرك بوساطة صورة عند ذاك بل بمثل الوساطة التي يدرك بها الذهب إذ يمثّل كلّه بقطعة منه . فإن لم يكن الذهب المُمثّل به ذهبًا نقيًا ، نقيّناه فكشفنا عنه

١٥ بالعمل أو بالقول، كأن نقول في الشيء كله إنه ليس ذهباً، / بل إن الذهب إنما هو الخفي الباطن في الحجم فقط. وكذلك الأمر هنا: ننطلق من الروح الباطن فينا بعد تركيته، وإن شئت، فمن الآلهة على ما يكون الروح فيهن. فإن الآلهة حسان كلهن حقاً، وإن حُسْنَهُنَّ لحُسْنٍ عظيم. ولكن ما عسى أن يكون الأمر الذي به أصبحوا على هذه الحالة؟ ألا، إنه الروح، ولأن الروح ٢٠ يفعل فيهم أفاعيله على أشدها/ بحيث إنه يظهر ويُشاهد. ليس حُسْنُهُمَّ بحُسْنِ أجسامهم لأن ذوي الأبدان منهم ليست أبدانهم هي التي تكفل لهم كونهم آلهة؛ بل إنهم بالروح. أجل إن الآلهة يزدهون بالحُسْنِ. ما كانوا يعقلوا تارة ويجهلوا أخرى، بل إنهم يعقلون دائماً في روحهم ٢٥ المُتَّزِعِ عن الانفعال، الهادئ المُطْمَئِنِّ، الصافي الثَّقي. / يعلمون كل شيء وهم يعرفون ليس فقط الأمور الإنسانية بل أمورهم الإلهية أيضاً وكل ما كان من شأن الروح أن يُشاهده. وهذا وإن من بين الآلهة هؤلاء الثابتون في السَّماء؛ يَصِفُو البال لهم فيُشاهدون دائماً، ولكن عن بعد ومسافة إن جاز لنا القول، كل ما هو في السَّماء العقلية، لأنهم يرتفعون برؤوسهم فوق ذروة ٣٠ سمائهم. وإن في السَّماء الروحانية الآلهة اللاتي تكون هذه السَّماء بما فيها مقاماً لهن، / مُتَّخِذَةً بأجمعها من أجلهن. على أن هذه السَّماء هي الأشياء كلها: فالأرض سماء هناك، والأحياء والنبات والادميون، وإنه لَسَمَاوِيٌّ كُلٌّ ما كان من تلك السَّماء. هذا ولا يحتقر هؤلاء الآلهة ٣٥ الأدميين ولا غير الأدميين من أهل الملاء الأعلى لأن هؤلاء وأولئك من هذا الملاء ذاته، فيجولون هنالك/ معجالاتهم في ميادينهم وهم في اطمئنان وارتياح.

٤ فما أيسر الحياة هناك! إن الحقيقة لذوي عالم الروح هي الأُمُّ والمُرْضِعة والذات والغذاء. وهم يُشاهدون الأشياء كلها، لا تلك التي تخضع للكون والفساد، بل تلك التي حظيت بالقيام في الذات، فيبصر كل منهم ذاته في ذات صاحبه. كل شيء في شفافية فلا ٥ جاسي ولا مُظْلَم؛ كل أمر نير ظاهر لصاحبه/ لا يخفي عليه منه شيء؛ ولا غرو، فإن النور مُشِفٌّ عن ذاته للنور. فكل شيء ينطوي على كل شيء وهو يرى الأشياء كلها في غيره بحيث أن الأشياء كلها في كل وجه من الوجوه. ثم إن كل شيء هو كل شيء، والشيء الجزئي كل شيء أيضاً، وإليها سانح يمضي إلى غير نهاية؛ كل شيء من هذه الأشياء عظيم، ما دام الصَّغير منها عظيمًا. فالشَّمْسُ هناك هي الكواكب كلها، وكل كوكب هو الشَّمْسُ والكواكب كلها أيضاً. ١٠ أجل، قد تبرز في الشيء ناحية ينفرد بها،/ غير أن الأشياء كلها ظاهرة فيه أيضاً. هذا وإن الحركة هي الحركة على خلاصتها إذ إن ما يدفعها لا يكدر عليها انطلاقها على أنه شيء يختلف عنها. والسُّكُونُ سكُونٌ ليس فيه اضطراب لأنه بريء مما ليس ساكناً. والحُسْنُ حُسْنٌ كله لأنه لا ١٥ يحل في ما يكون غير الحُسْنِ. ثم إن الشيء إذا سار لا يسير على أرض كأنها غريبة عليه، / بل إن

ما يستوي الشئ فيه هو الشئ ذاته. فإذا ارتفع هذا الشئ، إن جاز لنا القول، صاحبه في ارتفاعه المحل الذي غادره، وإن كان لا يصح في الشئ أن يكون شيئاً ما بينما يكون مجاله شيئاً آخر. ذلك لأنّ الحامل الذي يستوي عليه إنّما هو روح، وهو ذاته روح. مثل ذلك مثلما يكون فيما لو تصوّرنا هذه السّماء المريّئة أنّها، ما دامت نيرة، تبدو بالذات ذلك النور الذي ينبعث منها، أعني الكواكب. / لكنّ الواقع في الأشياء الحسيّة هنا هو أنّه لا يخرج من كلّ جزء جزء آخر، وليس الشئ إلّا جزءاً فقط. أمّا في الملاء الأعلى فإنّ الجزء ينبعث من الكلّ على أنّ الجزء هو الكلّ أيضاً. نعم، قد يبدو على أنّه جزء، ولكنّ ذا البصر الحديد يتيّن فيه كلّاً. مثل ذلك مثلما يتوافر لبعضهم لو كان بصره بحدّة بصر «لينكوس»، في ما ورد، فنفض به إلى الأرض في بواطنها. / هذا بمعنى أن الأسطورة تُشير هنا إلى الإبصار في الملاء الأعلى. فإنّ المُشاهدة هناك لا خسر فيها ولا ارتواء حتّى يكفّ المُشاهد عنها؛ كما أنّه لم يكن فراغ بحيث يقبل عليه من يملؤه ثمّ يكتفي بما يكون قد انتهى إليه. فضلاً على أنّه لا يختلف شيء عن شيء حتّى يكون الأوّل غير راضٍ عمّا لديه الآخر. / فإنّ الأشياء هناك لا تفاد لها. لكنّ الأمور الروحانيّة لا يشيع منها بمعنى أنّ الشّع آتئذ لا يورث نُفوراً ممّا يُولّد الشّع. ومهما ينظر الناظر، ازداد استرسالاً في التّظنّ. وهو يرى أنّه مع مريّته أمران ليس لهما نهاية فيكون إذ يسترسل مع نظره مُسترسلاً مع ذاته في فطرته. ثمّ إنّ الحياة لا تتعب صاحبها إذا كانت ظاهرة، فكيف يتعب الروحانيّون

٢٠

٢٥

٣٠

٣٥

٤٠

٤٥

٥٠

الأفاضل بحياتهم؟/ على أنّ هذه الحياة هي الحكمة، بمعنى أنّها ليست حكمة حصلت بالتّفكير، لأنّها حاضرة كلّها دائماً. ليس فيها قطّ نقصان حتّى يُحتاج فيها إلى أن تُطلب؛ بل إنّها الحكمة الأولى وليست حكمة مُشتقّة ممّا هو غيرها. فإنّ الذات القائمة في ذاتها هي الحكمة بالذات، ولا يصحّ أن يقال فيها ما يقال في الشئ أنّه كان أوّلاً ثمّ صار حكيمًا. ولذلك لم تكن فوق هذه الحكمة حكمة: فإنّ العلم بالذات يستوي هنا جالساً إلى جانب الروح فيظهر معه،/ مثلما يُقال في العدالة، عن طريق التشبيه، إنّها جالسة إلى جانب المُشترّي. إنّ تلك الأمور كلّها، في الملاء الأعلى، إنّما هي بمنزلة أصنام تُشاهد ذواتها من ذواتها بحيث أنّ المُشاهدة آنذاك هي مُشاهدة ذوي السّعادة الفائقة. أمّا عظمة هذه الحكمة وقدرتها، فإنّنا بوسعنا أن ندرّكها إذ إنّها هي والحقّ معاً وهي التي أبدعته. / فإنّ الأشياء كلّها تابعة لها وهي الحقّ بالذات لأنّه معها نشأ فكلّاهما واحد؛ والذات، في الملاء الأعلى، إنّما هي الحكمة. لكنّنا لم ننسوّ نحن إلى فهمها لأنّنا نأخذ العلوم على أنّها نظريّات وجملّة قضايا ومُقدّمات، وليس ذلك كذلك حتّى في علومنا هنا. وإن كان يُخاير بعضهم ريب في الأمر،/ فلندع هذه العلوم الآن. أمّا العِلْم في العالم الأعلى، فإنّه هو الذي أشار إليه أفلاطون إذ قال: «ليس هذا العِلْم غير ما يكون عليه إن كان في غيره». أمّا كيف يتحقّق

ذلك، فإنه أمر ترك لنا البحث عنه واكتشافه، إن كنا أهلًا لأن نوصف بالوصف الذي اشتهرنا
٥٥ به. وربما كان الخير لنا أن نأخذ بالعمل مما يلي/ :

٥ [] إن كل ما ينشأ إنما تُشَبِّهُه حكمة ما، صناعيًا كان أم طبيعيًا. والحكمة هي التي تُشْرِف
على الصُّنْع دائماً. وإن كنا نجعل الصُّنْع مُقَيَّدًا بالحكمة، فإنَّ في الصُّناعات حكمة أيضًا.
لكنَّ الصانع في الصُّنْعة إنما يعود إلى الحكمة الكامنة في الطَّبيعة التي جاء هو ذاته خاضعًا
٥ لأحكامها./ وهي حكمة ليست قائمة بنظريات مُجرَّدة، بل تبدو شيئًا واحدًا مُكتَمِل الوُجوه.
وليست بمعنى أنها تتألَّف من عناصر كثيرة مُنصهرة في شيء واحد، بل بمعنى أنها تتحلَّل إلى
كثرة خارجة من شيء واحد. فإن جعل جاعِل هذه الحكمة الطَّبيعية هي الأولى، إكتفى بها لأنَّها
تكون حيثُ لا تكون في شيء آخر. وإن قيل: إنَّ المعنى هو كامن في الطَّبيعة
١٠ وإنَّ أصل هذا المعنى إنما هو/ الطَّبيعة ذاتها، قلنا: أتى للطَّبيعة هذا المعنى، وهل أتاها من ذلك
الأصل على أنه شيء يختلف عنها. فإنَّ أتاها من ذلك الأصل على أنه هي ذاتها وقفنا عندها.
فأما إذا جاوز الأمر إلى الروح، وجب النَّظَر ههنا فيما إذا كانت الحكمة وُليدة الروح. وأن
تُجيبوا بالإيجاب، فأئني الحكمة للروح؟ وإن كانت من ضمن الروح ذاته، فالأمر مستحيل إلَّا
١٥ إذا كان الروح هو الحكمة بالذات./ إنَّ الحكمة الحقُّ إنما هي ذات إذا، والذات الحقُّ هي
حكمة. فالحكمة هي التي تكفل للذات كرامتها، ولأنَّ هذه الكرامة تأتيها من الحكمة كانت
الذات ذاتًا حقًّا. ولذلك نقول في كل ذات لا تنطوي على حكمة إنما ذات لأنها نشأت بوساطة
حكمة ما؛ لكنَّها ليست ذاتًا حقًّا لأنها لا تحمل حكمة في جنباتها. فلا ينبغي أن يظنَّ أنَّ الآلهة
٢٠ وأهل السَّعادة الفائقة/ في الملأ الأعلى لا يُشَاهِدُونَ إلَّا نظريات مُجرَّدة. بل إنَّ كل قول من
الأقوال هناك إنما هو صورة حسنة، تُحاكي تلك التي تصوِّرها قائمة في نفْس الحَكِيم الفاضل.
وهي ليست صورة مرسومة في حائط، بل صُورًا في حقائق. ولذلك كان القدماء يقولون في
٢٥ المُثُل إنَّها حقائق وذوات./

٦ [] هذا ما أدركه حُكماء المصريِّين، في ما أرى، إمَّا بعلم مُكتَسَب، وإمَّا بغريزة الفطرة.
فإنَّهم، في الأمور التي كانوا يريدون أن يعبروا عنها بحكمة، ما كانوا يلجأون إلى تصوير
الحروف الذي تبسط الأقوال والقضايا مُتتابعة، ولا الرُّسوم التي تُحاكي الصُّوت والظَّنَّ
٥ بالمُقدِّمات. بل إنَّهم كانوا يرسمون صُورًا وينقشون/ في هياكلهم لكل شيء صورته.
فيعلمون بذلك أنَّ العلم في الملأ الأعلى ليس علمًا استنتاجيًا، إذ إنَّ كل صورة هنالك إنما
هي عِلْم وحكمة. وهي شيء قائم في حُدود ذاته يُدْرِك دفعة واحدة؛ فلا فكر ولا رويَّة. ثمَّ ينشأ

١٠ بعد ذلك دفعة واحدة من هذه الحكمة الظاهرة رسم ينسب مُسترسلاً في شيء آخر. / فيكون هذا الرسم شرحاً للصورة مُوزعة في الجملة المنطقية وكشفاً للأسباب التي كانت الصورة بها في ما هي عليه، بمعنى أنّ هذا الذي نشأ، وهو على تلك الحال من الحُسْن والبهاء، جدير بإعجابنا. فإن عَلِمْنَا ذلك كُلّه، أبدينا إعجابنا لهذه الحكمة، كيف لا تتطوي هي على السبب الذي تكون به الكينونة في ما هي عليه، ثم تُؤكّد هذا السبب لكلّ ما حدث خاضعاً لأحكامها.

١٥ إنّ القيام في الحُسْن/ على ما وصفنا إذاً، وإنّ ظهور الأمور على هذه الحال ينبغي لها أن تكون بعد اكتشافها أثر بحث يسير أو دون بحث قطّ، أقول: إنّ كلّ ذلك حاضر مُتوافر قبل البحث والاستدلال. (فلنحاول استشهاده على هذا أن نُدرك ما نعينه بمثل واحد يتسع للأشياء كلّها مُنطقيّاً عليها جميعاً) - فنقول:

٧ إنّ مثل ذلك مثل هذا العالم الكُلّي، فيما لو كنّا نُسلّم به، على ما هو في حاله الحاضر، أنّه من غيره. فهل نذهب إلى أنّ صانعه أخذ يُفكّر بينه وبين ذاته أنّه يجب في الأرض أن تقع في الوسط، وفي الماء أن يكون فوق الأرض، وفي الأشياء الأخرى أن يترتّب بعضها فوق بعض حتّى تنتهي إلى السّماء؟ وهل فكّر في الأحياء كلّهم/ وفي الأشكال التي ينفرد بها كلّ منهم بالعدد الذي هي عليه الآن، وفي ما لكلّ حيّ من أعضاء باطنة وجوارح ظاهرة، ثمّ عمد إلى هذه الأمور كلّها وهي مُرتبة لديه واحداً بعد واحد، فأخرجها بفعله؟ ولكنّ تروياً مثل هذا التّروي هو أمر مُستحيل. فمن أين تكون تلك الأمور كلّها قد أقبلت عليه وهو لم يرها قطّ؟ كما أنّه لا يمكنه أن يتلقّاها من غيره ليحقّقها/ على نحو ما يفعل أصحاب الصّناعات اليوم لاجئين إلى أيديهم وأقدامهم. فإنّ الأيدي والأقدام إنّما تأتي بعد ذلك. بقي القول بأنّ الأشياء كلّها قائمة في ذلك العالم الآخر إذاً. إنّ الشّيء يُجاور صاحبه في العالم الروحانيّ وليس بينهما مُتوسط، فما هي إلّا وكأنّ رسم الروح أو ما يُحاكيه يظهر فجأة أو من تلقاء ذاته أو بوساطة النّفس وقد تطوّعت

١٥ للأمر/ - (فلا فرق في ذلك الآن) وأعني النّفس الكلّيّة أو نفْساً مهما تكن. وعلى كلّ حال، فإنّ هذه الأشياء إنّما تأتي كلّها معاً من الملأ الأعلى، وهي هناك أشدّ حُسناً وبهاءً. فإنّ الأمور في هذه الدّنيا أمور مشوبة، أمّا ما يكون في عالم الروح، فلا تشوبه شائبة. لكنّ الأشياء في هذا العالم، من أولّها إلى آخرها، هي في حيازة المُثُل: فمثل العناصر قابضة على الهيولى أولاً، ثمّ فوق هذه المُثُل مُثُل أخرى، / ثمّ غيرها بعد ذلك. فيصعب علينا اكتشاف الهيولى وهي مُخفاة تحت المُثُل الكثيرة. وما دامت هي ذاتها مثلاً ما من المقام الأدنى، أصبح كلّ شيء مثلاً، وأصبح مثلاً أيضاً كلّ ما يكون هذا العالم عليه. ولا غرو، فإنّ أصله كان مثلاً، ولقد صنعه في ظلال الصّمت، لأنّ الصانع هنا هو الكلّ: فهو الذات وهو المِثال. ولذلك كان الصّنع بدون

٢٥ تعب هو أيضًا. / ثم إنه كان صُنْعًا لكل شيء، على أنه صُنْع كَلِّه. فما قام دونه حائل، بل إنه لا يزال، حتى الآن، هو السيّد، ولو كانت الأشياء يقف بعضها حواجز بعضها الآخر، أمّا هو فلا يقف قط في وجهه شيء، وهو ثابت على أنه الكلّ. ويبدو لي أنه لو كان كلّ متًا، نحن أيضًا،

٣٠ قياسًا أصلًا وذاتًا ومثالًا في آن واحد، ولو كان المثال الصانع هنا هو ذاتنا بالذات، / لكان صُنْعنا صُنْعًا يفرض نفوذه بلا عناء. لهذا مع العلم بأنّ الآدميّ، من حيث أنه صار إلى ما هو عليه في ذاته، يصنع مثالًا مختلفًا عن ذاته، إذ إنّ كونه آدميًا حال بينه وبين أن يكون الكلّ. فإذا بطل

٣٥ كونه آدميًا، ارتقى في العلا، كما يقول أفلاطون، وأخذ يُدير/ شؤون العالم الكُلّيّ. ذلك لأنّه أصبح من الكلّ، ممّا أدى به إلى أن يصير صانعًا للكلّ. ولكن فلنعد إلى ما كان هذا الاستطراد من أجله، وهو أنّك تستطيع أن تذكر السبب الذي به كانت الأرض الوسط، ولماذا كُروية الشكل، ولماذا يجري مدار الشمس كما يجري. ولكن ليس بوسعك أن تقول في الملاء الأعلى أنه كما كان يجب فيه أن يكون عليه، كذلك رسم له حدّه. بل الواقع هو أنّ الملاء الأعلى إنّما هو في ما هو عليه، ولذلك بالذات جاءت الأشياء في دُنْيانا على الحُسْن الذي يُرام. مثل ذلك مثل

٤٠ ما لو جاءت نتيجة بُرْهان العلّة/ قبل هذا البرهان ولا من مُقدّماته. فإنّ الملاء الأعلى لا يصدر عن تابع لازم، ولا عن تروّ وتفكير، بل إنه قبل النتيجة وقبل التفكير. ذلك لأنّ هذه الأشياء كلّها إنّما تأتي في آخر المطاف، وكذلك القول في الشرح والدليل والإقناع بالحجّة. وما دام هو

٤٥ الأصل، فإنّ تلك الأشياء، تنتج عنه هكذا من تلقاء ذاتها. / ولنعم القول قول من يمنع البحث عن سبب للأصل، ولا سيّما لأنّه أصل له من الكمال ما له، كان هو والغاية شيئًا واحدًا. أجل إنه للأصل والغاية، فلا غرو، إن كان هو الكلّ جميعًا، وليس فيه قطّ نقصان.

٨] إنه لحُسْن أصلًا وأوّلًا إذًا، وإنّه لحُسْن كَلِّه وهو كلّ وجه من الوجوه، فلا يُتاح لجزء من أجزائه أن يكون حُسْنه ناقصًا. ومن عسى أن يقول فيه إنه ليس حُسْنًا. فإنّه باطل أن يقال فيه إنه ليس كَلًّا، هو الحُسْن، أو إنه مُصيب من الحُسْن شيئًا أو إنه لم يُصيب منه البتّة. وإن لم يكن هذا الأمر حُسْنًا، فأيّ أمر غيره يكون كذلك؟ لا يُريد المُتقدّم عليه أن يكون حُسْنًا. / أمّا ما يكون في أصله طالعا علينا للمُشاهدة لأنّه مثال ولأنّه مُشاهدة للروح، فذاك الذي تستحبّ مُشاهدته. ولذلك لجأ أفلاطون إلى ما يدلّ على أشدّ المؤثّرات تأثيرًا إن كان مُوجِّهاً إلينا، فجعل الصانع

١٠ راضيا على صُنْعِه بعد أن أنجزه، وهو يعني بذلك كم يستحبّ حُسْن الأصل وحُسْن المثال. / فإنّ كلّ ما صُنِع على مثال غيره، إذا أعجبنا به، عاد إعجابنا إلى ما صُنِع على مثاله. ولا عجب لمن يجهل ما يفعل به إن كان يجهله. فإنّ العُشاق والمُعجّبين بالحُسْن في هذه الدُنْيا بوجه عامّ، يجهلون أنّ ما يتأثّرون به إنّما هو ما جاء هذا الحُسْن على مثاله. والواقع هو أنّ هذا الحُسْن

١٥ حُسْنٌ بواسطة ذلك القياس الأصل. / فهو الذي يُشير إليه أفلاطون بقوله: «لقد قرَّ عينا». وكفى دليلاً على ذلك ما يعنيه في ما يلي هذا القول. فإنه يقول: «لقد قرَّ عينا وأراد أن يجعل عمله أشدَّ مُحَاكاةً لقياسه الأصلي». وهو يدل على حُسْنِ القياس الأصل ما أعظمه حُسْنًا بقوله إن الشيء الذي صار حُسْنًا قد استمدَّ حُسْنه من هذا القياس، وأن هذا القياس إنما هو صورة لذلك الأمر الأعلى. / وإن لم يكن هذا الأمر الأعلى هو الحُسْنُ الفائق المُزدهي بحُسْن لا قدر له، فما عسى أن يكون ما يفوق عالمنا المنظور حُسْنًا؟ على أنه، مع ذلك، لقد ضلَّ من تعيَّب هذا العالم، اللَّهُمَّ إلَّا بقدر ما أنه ليس ذلك الأمر الأعلى بالذات.

٩ [] لتتصوَّر بالفكر عالمنا المنظور وقد بقي كلُّ جُزءٍ من أجزائه كما هو عليه في ذاته، لا يجري مع غيره إذا جرى، على أن تكون هذه الأجزاء كلها، مع ذلك، مكفولة وحدته بقدر المُستطاع. فإذا ظهر جُزء واحد منها مهما يكن، كالكرة السَّماوية الظاهرة مثلاً، تبعثها على الفور صورة الشمس والكواكب الأخرى أيضًا. وظهرت معها الأرض/ والبحر والحيوانات كلها. ويكون الوضع آنذاك كما هو في كرة شفافة يسعنا أن نشاهد فيها الأشياء كلها فعلاً. لنفترض صورة كرة في النَّفس إذاً، ولتكن صورة تتلألًا حاملة في جنباتها الأشياء كلها، مُتحرِّكة كانت أم ساكنة أو إن شئت أيضًا، كان بعضها مُتحرِّكًا وبعضها الآخر ساكنًا. ثم إذا أمسكت بهذه/ الصورة، إعمد إلى صورة أخرى تجعلها بين يديك وقد جرَّدت الأولى من حجمها. إنزع عنها المكانية أيضًا وتخلَّ أنت عن توهم الهيولى فيك، ولا تُحاول أن تعتمد إلى كرة أخرى تكون أصغر حجمًا. ثم إدع الإله صانع الكرة التي حصلت على صورتها واطلب منه أن يحضر إليك. ١٥ فيوسع هذا الإله أن يقبل عليك حاملًا عالمه، / مُصطحبًا بما في هذا العالم من آلهة، على أنه واحد وهو الجميع. وكلُّ إله من هؤلاء الآلهة هو جميعهم إذ إن بعضهم مع بعض واحد. وهم بقواهم مُختلف بعضهم عن بعض. وإن كانوا جميعًا واحدًا بتلك القوَّة الواحدة المُتعدِّدة الوجوه، أو الأخرى بالقول هو أنَّ الواحد بينهم يكون جميعهم، وأنه لا يسلب شيئًا بوجود الآخرين جميعًا. أجل إنهم جميعًا بعضهم مع بعض ولكن كلاً منهم قائم على حياله في سكون غير مُتمدَّد، ما دام هو بريقًا من كلِّ شيء حسيّ. / (وإلَّا لكان هذا هنا، وذاك هناك، ولما كان كلُّ منهم جميعهم في ذاته)؛ فضلًا على أنه لا يشتمل على أجزاء يختلف بعضها عن بعض لدى غيره أو لديه هو، كما أنَّ كلاً منهم، من حيث كونه كلاً، ليس قوَّة تتقسَّم فتتجزأ بتعدد الأجزاء الخاضعة للقياس. أمَّا هو، أعني العالم الكلِّي، فإنه قدرة كليَّة تنتهي إلى ما ليس له حد، وما ٢٥ من نهاية/ لمدى نفوذها. ثم إن ذلك الإله من العظمة بحيث ليس لجزء من أجزائه نهاية. أين الناحية التي يُمكن أن يُقال فيها إنه ليس يشغلها؟ أجل إنَّ عالمنا السَّماوي عظيم، وعظيمة كلها

قواه المنتشرة فيه مجتمعاً بعضها إلى بعض . لكنه لكان أعظم أيضاً، وكان من العظمة بما لا
 ٣٠ يوصف لو لم يلحق به شيء يسير من القوة الجسمانية . / لا شك في أننا نصف القوة في النار أو
 في الأجسام الأخرى بأنها قوة عظيمة ؛ ولكنَّ جهلنا للقوة الحقَّ هو الذي يجعلنا نتصور النار
 والأجسام مُحَرِّقَة مَبْلِيَّة مُدْمَرَة مُسَخَّرَة لولادة الأحياء . ولكنها تُفسد لأنها تُفسد هي أيضاً، وإنَّها
 ٣٥ تُسهم في الولادة/ لأنها تولد هي أيضاً . أما القوة التي في الملائكة الأعلى، فإنَّها صاحبة الكيان
 المحض والحسن الخالص . لعمرى، أين يستوي الحسن محروماً من الكيان؟ وأين يتحقَّق
 الكيان القائم في ذاته والحسن عنه محبوب؟ فإنَّ الجِرمان من الحسن نقصان في الكيان .
 ٤٠ ولذلك كان الكيان مرغوباً لأنه هو/ والحسن شيء واحد، وكان الحسن جذاباً لأنه هو الكيان
 بالذات . وما هي الحاجة إلى البحث عن أيهما يكون السبب لوجود الآخر، ما دامت حقيقتهما
 واحدة؟ فإنَّ ذاتنا الكاذبة هنا، تحتاج إلى صورة للحسن مكتسبة حتَّى تظهر حسناء، وبوجه عام
 ٤٥ حتَّى تكون . وإنَّ لها من الكيان بقدر ما أصابت من حسن المثال، / ومهما أخذت من الحسن
 ازدادت كمالاته . فإنَّ الذات الحسنى إن تكن ذاتاً أحطى تفرُّداً .

١٠ * ولذلك نرى المُشْتَرِي يتقدَّم هو الأوَّل لمُشاهدة الحسن، بالرَّغم من كونه هو الأقدم بين
 الآلهة الذين يترأسهم . ثم يسير وراءه الآلهة الآخرون والجنَّ والثُّقوس، أعني تلك التي تقوى
 ٥ على مُشاهدة هذه الأمور . أما هو فإنَّه يظهر لهم من موضع غير مرئي، / ويرتفع عاليًا من
 فوقهم، فيشعُّ نوره على الأشياء كلها ويملؤها ضياء . ثمَّ إنَّه يهر من في الأسفل، فيتحوَّلون عنه
 بأنظارهم لعجزهم عن النَّظَر إليه، كما يعجزون عن النَّظَر إلى الشَّمْس . أما الذين يسرون وراء
 المُشْتَرِي فوراً، فإنَّهم يُطيعون مُشاهدة الحسن ويوجِّهون وجوههم إليه . وأما الآخرون فإنَّهم
 ١٠ يضطربون، ومهما ازدادوا بُعداً منه، / ازدادوا اضطراباً أيضاً . والذين يُشاهدون، وإنَّ في
 وسعهم أن يُبصروا، يوجِّهون وجوههم له وإلى ما يكون بين يديه . لكن لا يحظى كلُّ واحد
 منهم بالمُشاهدة ذاتها دائماً . فهذا يحدِّد بصره فيرى أصل العدالة وطبعها مُشعِّعين بالنور .
 وذلك تملُّك عليه أمره مُشاهدة العقَّة، وهي ليست مثل العقَّة التي نجدها لدى الآدميين إذا
 ١٥ توافرت لهم . فإنَّ عقَّة الآدميين تُحاكي/ تلك العقَّة الروحانية . أما هذه العقَّة المُحلَّقة فوق
 الأمور جميعاً شاملة ببقوذا كلِّ ما يكون في العالم الروحانيِّ امتداداً، فإنَّها تُشاهد في نهاية
 المطاف .

وإنَّما يُشاهدها من توافر لهم، قبل أن ينتهوا إليها، أن يُشاهدوا الأمور الكثيرة النَّيرة :
 الآلهة، واحداً بعد واحد وكلَّهم جميعاً، والثُّقوس التي تُشاهد الأمور كلها في الملائكة الأعلى
 والتي نشأت من هذه الأمور جميعها . مما جعل كلَّ نفس مُستَمِلَة على الأشياء كلها . فضلاً على

٢٠ أن هذه النفوس، منذ بدايتها حتى نهايتها، مُقيمة في الملاء الأعلى، / وتكون هناك بالقدر الذي طُبعت على أن تكون فيه هناك. وكثيرًا ما تكون نفوس منها، كل نفس بكاملها، في الملاء الأعلى، ما دام التقسيم لم ينلها البتة؛ تلك هي الأمور الثيرة الكثيرة التي يُشاهدها المُشترى. ونحن أيضًا، إن كان يدفعنا عشق مثل عشق المُشترى، نُشاهد الحُسن في نهاية المطاف، والحُسن آنذاك مُنتشر، كلاً فوق الأشياء كلها، فنُصيب شيئًا من الحُسن الذي في الملاء الأعلى. / فإن هذا الحُسن يُلقى من نوره على الأشياء كلها، فيحفل به كل الذين وصلوا إلى عالم الروح، فيُصبِحون، هم بذاتهم، على جانب من الحُسن وبهائه. وكثيرًا ما يحدث للناس شيء على مثال ذلك إذا ارتقوا موضعًا عاليًا تكون فيه الأرض حمراء اللون، فينتشر هذا اللون عليهم ويحاكون هم الأرض التي يطئونها. أمّا في الملاء الأعلى، فإن اللون الذي ظهر ونور كان هو الحُسن بالذات، بل بأن يكون الكلّ هو لونًا وحُسنًا في الصميم أحرى قولًا. / فإن الحُسن، إذا ظهر ونور، لا يكون شيئًا آخر. لكنّ الذين لا يُشاهدونه بكامله يتقيدون بإدراك الحُسن فقط. أما الذين تمثّد فيهم هذا الكوثر من طرف إلى طرف، وكأنّه ملاهم وأسكرهم، فلا يتيسّر لهم أن يبقوا على حال المُشاهدة آنذاك، ما دام الحُسن مُستوليًا على الثُقس كلها. / والواقع هو أنّا لسنا هنا أمام شيء مرئي من الخارج يراه الرائي من الخارج أيضًا. بل إنّ صاحب البصر الحديد يكون مُستجلاً، في ذاته، على المرئي عند ذاك؛ فالمرئي بين يديه حقًا، ولكنّه يجهل هو، غالب الأحيان أنّه قابض على المرئي، فينظر إليه كأنّه يظهر له من الخارج. ولا عرو، فإنّه ينظر إليه على أنّه شيء مرئي، فضلًا على أنّه يريد أن ينظر إليه أيضًا. ومهما نظرنا إليه على أنّه شيء مُشاهد، ألفيناه خارجًا عنّا. ولكنّ الوجه هنا هو أن ننزل إلى المرئي فينا، وأن ننظر إليه على أنّه هو ونحن شيء واحد، / وأن ننظر إليه على أنّه ما نحن عليه في ذاتنا. مثل ذلك مثل من إذا أصبح في قبضة إله استولى عليه، كفويوس مثلًا أو إحدى ربّات الشّع، أنزل في ذاته مُشاهدته للإله، إنّ كان بوسعه أن يُشاهد في ذاته إلهًا. /

١١ فلنفترض رجلًا غير قادر أن يشاهد ذاته، واستولت عليه تلك الحضرة الربوبية التي ذكرناها، فتحوّل إلى هذا المشهد ليراه. ثمّ عاد إلى ذاته ونظر إلى صورته وقد زيد في حُسنها. فتخلّى عنها مهما كانت جميلة، وأقبل على ذاته يوحدها لئلا تذهب شيئًا بل تكون هي والأشياء كلها شيئًا واحدًا مع ذلك / الإله الذي يلزم الصمت بحضرة. وليقيم مع إلهه أخيرًا على قدر ما يستطيع وما يشاء. ولنفترض الآن أنّه، بعد ذلك كله، عاد وانقلب إلى اللانبيّة. فإنّه ما دام على طهارته، لا يزال باقيا في قرب الإله، فيتيسّر له الرجوع إلى حالته السابقة إذا ارتدّ مرة أخرى وعاد إلى ذاته؛ على أنّ له بهذه العودة مغنمًا، وهو أنّه أخذ يشعر بذاته آنذاك، ما دام هو شيئًا

١٠ والإله شيئاً آخر. / ثم إذا نفذ إلى باطنه وجد الكل مائلاً بين يديه. فيتخلى آنذاك عن الشعور بالذات ويُخلفه خوفاً من أن يبقى على خلاف الحال في ذاته، ويُصبح واحداً على حالته الأولى مع الإله. ثم إذا رغب في أن يعود ويُشاهده مُختليفاً عنه، انقلب وأخرج ذاته من الحال التي كان عليها. ينبغي له آنذاك أن يُمعن النظر ويلزم رسماً من رسوم الإله فيُدركه بعقله بعد البحث عنه.

١٥ ثم إذا أدرك بذلك، وثبت / لديه عما هو يدخل فيه من أي نوع نوعه، وإنه عند ذاك داخل في ما هو السعادة على أشدها، استسلم ووقع بذاته إلى الباطن. فيُصبح عند ذاك، بعد أن كان هو الشاهد، شيئاً مُشاهداً للمُشاهد يختلف عنه، وهو يشعُ حينئذٍ بالمعاني الفكرية، بارزاً نحو ما كان عليه إذ جاء قادمًا من الملاء الأعلى. ولعمري، كيف يكون المرء في الحُسْن ما لم يُشاهده؟

٢٠ وإن شاهدته على أنك أنت شيء وهو شيء آخر، شاهدت منه الحُسْن ولما تحلّ فيه. / أما إذا صرت أنت بذاتك الحُسْن بذاته، فأنت حينئذٍ قائم في الحُسْن حقاً. فإن كان إِبصارك إِبصار شيء خارج، وجب في إِبصارك ألا يقع، أو إن وقع، فبحيث تكون أنت والمُبصر شيئاً واحداً.

٢٥ والأمر هنا مثلما هو بين عرفان الذات وتعقُّب الذات، مع العِلْم بأن في الاجتهاد البالغ في تعقُّب الذات إقصاء بالذات عن الذات. ثم إنه يجب أن نذكر ما يلي وهو أنَّ للإحساس / بالمساوئ وقعاً أشدَّ والعِلْم بها أضعف لأنَّ قوَّة الانفعال تصدّه. ثم إنَّ الأحرى بالمرض أن يُولَّد الاضطراب العنيف؛ أما الصِّحَّة فتُلازِمنا ساكنة وديعة، وهي بأن تكفل لنا العِلْم بها أخرى.

فإنها فينا قبل المرض ما دامت تُلازِمنا مُتَّحدة بنا. أما المرض فإنه غريب علينا لا يُلازِمنا، فيُوقظ بذلك انتباهنا لأنَّه يبدو جَهْرَةً وأنه شيء يختلف عما نحن عليه في ذواتنا. / أما عما يكون متاً في ذواتنا لغافلون، ونحن، عند ذاك، على أشدَّ ما يكون إدراكاً لذواتنا إذ إننا نجتمع فينا بين عِلْمنا وبين ذواتنا ونجعل الطرفين واحداً. وفي الملاء الأعلى، عندما تُمسي على مثال الروح أوضح ما نكون علماً، ندو وكأنَّا جاهلون، إذ إننا نتوقَّع آنذاك انفعال الجسِّ والجسِّ مُعلن أنه

٣٥ لم يرَ، وأن الحس لم يرَ حقاً، بل إنه لن يرى تلك الأمور يوماً. / وإذا تردَّد مُتردِّد فإنه لا يزال في الإحساس إذًا؛ أما الروح الراي فهو غير ذلك. وإن كان مُتردِّداً، فليس مُطمئناً إلى أنه ما هو عليه ذاته، إذ إنه ليس بوسعه، هو أيضاً آنذاك، أن يخرج من ذاته ليرى بأن عينه الجسمانيَّة ويُشاهد ذاته على أنه شيء حسيّ.

١٢ لكن قد ورد سابقاً كيف يكون الروح، عندما يقوم بهذا العمل، شيئاً يختلف عما هو عليه في ذاته، وكيف يكون، في الظُّروف ذاتها، كما هو عليه في ذاته. ومهما يكن من الأمر فإنَّ الروح يرى، سواء أكان يرى من حيث إنه شيء يختلف عما هو عليه في ذاته، أم كان يرى من حيث إنه باقي كما هو عليه ذاته؛ وبعد، فما هو الذي يخبرنا عنه؟ ألا، إنه يُنبئنا لأنَّه رأى إلهاً

يصنع له خُلُقًا حَسَنًا بعد أن أبدع في ذاته الأشياء كلها، وكان وضعه في ذاته وضعا بلا ألم ولا
 ٥ وجع. فإنه يلتذ بالأشياء التي تولدت منه ويفرح بما أنتج، / فيمسيك الأشياء كلها لديه وقد قرَّ
 عينا ببهائه وبهائها. كل أعقابه يمتازون بالحُسن، وأشدُّهم حُسْنًا هم الذين يُقيمون معه في
 باطنه. ولكنَّ المُشتري كان هو الوحيد بينهم الذي ظهر ابنا إلى الخارج. فبالقياس إليه، هو
 ١٠ الابن الأخير، يسعنا أن نتبين، ممَّا هو بمنزلة الصورة لأبيه، / عظمة هذا الأب وعظمة أبنائه
 الباقين معه، وهم مع المُشتري أخوة. ولم يُعلن المُشتري باطلاً عن أنَّه أتى من أبيه: فإنه يجب
 في عالمه أن يكون، وهو العالم الآخر الذي صار حُسْنًا بمعنى أنَّه على مثال الحُسن. ولا غرو،
 فإنه لا يجوز في الصورة الحسنة أن تكون، ثم لا يكون حُسن ولا تكون ذات. إنَّ الصورة
 ١٥ تُحاكي الأصل في كل وجه من وجوها: / فإنَّ العالم المُشتري حياة، وهي حياة الذات على أنَّه
 شبيه بالعالم الأول؛ ولأنَّ لنجد فيه الحُسن على أنَّه حُسن جاء من العالم الأول أيضًا. ثم إنَّ له
 بقاءه الدائم على أنَّه صورة، ولأنَّ كان العالم الأول مع صورة تارة وبدون صورة طورًا، ما
 دامت الصورة آنذاك ليست صورة مصنوعة؟ والصورة الطَّبيعية إنَّما تدوم باقية ما دام أصلها
 ٢٠ باقيًا. لذلك، وما دام العالم الروحاني باقيًا، / فقد أخطأ هؤلاء الذين قالوا بفساد عالمنا ثم بيعته
 عالمًا جديدًا: فكأنَّ الصانع أراد يومًا أن يصنعه. إنَّهم لا يُريدون أن يفهموا ما هو نوع هذا
 الصُّنْع الذي نحن في صده. كما أنَّهم يجهلون أنَّه، ما دام ذلك العالم الأول حاضرًا، فلن
 يكون العالم الآخر محجوبًا: كان هذا منذ كان ذلك، وهو لم يزل ولن يزول. هذِي عبارات كان
 ٢٥ لا بدَّ لنا من استعمالها/ لا اضطرارنا إلى الدلالة على ما نعنيه.

١٣ [] إنَّ ذلك الإله إنَّما كان مُقيَّدًا لِيَبْقَى دائمًا على ما هو في ذاته إدا. فتخلَّى لابنه عن الحكم
 في هذا العالم الكلِّي. ما كان ليلقى يالَه من مقامه أن يتخلَّى عن حكمه في الملأ الأعلى ليتولَّى
 حكمًا حديث العهد ودونه رُتبة، كأنَّه ملَّ رَغْدًا من التَّمَتُّع بالحُسن. لهذا وإنَّه بعد تنازله عن كلِّ
 ٥ ذلك الذي سبق ذكره أقام أباه في حدوده/ التي تنتهي إليه هو من فوق، ثمَّ عيَّن ما يمتدُّ من
 الطُّرف الثاني بعده انطلاقًا ممَّا كان لابنه نفوذ عليه. فأصبح هو بين العالمين: يتحدَّد عالمه
 بالخلاف الذي يتضمَّنه، قطع ما بينه وبين ما هو فوقه من جهة وبالقيد الذي يمسكه عمَّا هو بعده
 ١٠ من الجهة السفلى. فهو في الوسط بين أبيه الذي فوقه، / وابنه الذي تحته. ولكنَّ أباه أعظم من
 أن يكون على نحو ما يكون الحُسن، فصار هو حُسْنًا أصلًا وأولًا. والنَّفس حسناء هي أيضًا، إلَّا
 أنَّه هو أحسن منها لأنَّها هي أثره. وهي بذلك حسناء طبعًا، على أنَّها تكون أشدَّ حُسْنًا إذا وجَّهَتْ
 وجهها إلى عالم الروح. ونريد هنا أن نزيد كلامنا بيانًا فنقول: إنَّ كانت هذه النَّفس، نفس
 ١٥ العالم الكلِّي/ أعني الزُّهرة هي ذاتها حسناء، فما عسى أن يكون حُسن الروح؟ وإنَّ كان حُسْنها

من ذاتها هي، فما القول في عظمة حُسْنه هو؟ وإن جاءها حُسْنها من غيرها، فممن أخذت حُسْنها المُكْتَسَب، ذلك الذي فُطِر مع ما هي عليه في ذاتها؟ فإنّا، نحن أيضًا، نوصف بالحُسْن ما دمنا في حُدود ما نحن عليه في ذواتنا، ونُوصَف بالقبيح إذا استبدلنا طبيعتنا بطبيعة أخرى. / فضلًا على أن المرء حسن ما دام يعرف ذاته وهو قبيح ما دام يجهلها. إنّ الحُسْن هو في الملأ الأعلى ومن الملأ ينطلق إذا. والآن، هل في ما ذكرنا بيان يكفي لفهم «العالم الروحاني» فهمًا واضحًا، ٢٥ أم يجب في هذا العالم أن نُقبل عليه ونُعالجه من وجه آخر، أعني على النحو التالي؟/

الفصل التاسع

(٥)

في الروح والمُثل والحقّ

١ إنَّ النَّاسَ، في بداية أمرهم، يلجؤون جَمِيعًا إلى الإحساس قبل لُجؤهم إلى الروح، فلا عَزْوٌ، إن كانت الجِسِّيَّات هي أوَّل شيء يتلقَّونه. فمنهم من يقفون عند هذا الحدّ ويقضون حياتهم مُعتقدين في هذه الجِسِّيَّات إنّها علوم الأوّلين والآخريّن. فيتصوِّرون أنّ ما يقع فيهم من ألم أو لَذَّة إنّما هو الشرّ أو الخير، / ويرون أنّهم حسبهم عملاً ألا يزالوا في طلب هذا أو ردّ ذلك. ٥ ثُمَّ إنّ الذين يقدِّرون العقل من بينهم - وما أضعف تقديرهم - يُسمّون هذا العِلْم حِكْمَةً. فما أشبههم بالطُّيور الثَّقَال التي لحق بها الكثير من التُّراب فأثقلها فعجزت عن الطَّيران في الجَوّ، ١٠ ولو كانت الطَّبيعة قد كفلت لها أجنحتها. / ومنهم طبقة ثانية ارتفعوا عن الدُّنيا قليلاً إذ دفعهم الأصل الأفضل من أنفسهم على طلب اللَّذِيذ إلى طلب الأصلح. ولَكِنَّهم عجزوا عن الاستشراق إلى المَلأ الأعلى إذ لم يُقابِلهم هنالك ما يستقرُّون عليه، فهبطوا بمسمّى الفضيلة ١٥ إلى حَيِّز العمل وإثّار الدُّنيا التي عزموا من قبل على الترفُّع عنها. / وَلَكِنْ ثَمَّة طبقة ثالثة هي طبقة الرُّجال الرِّبَانِيِّين ذَوِي القُدْرَةِ الفارقة والبصر الحديد. إنّهم شاهدوا البهاء في المَلأ الأعلى بما هو لديهم كأنّه النُّظَر الثاقب، فارتقوا إلى عالم الروح وكأنّهم فوق سحب الأرض وكُدوراتها. ثُمَّ أقاموا هنالك ينظرون من علٍّ إلى دُنْيَانَا بِكُلِّ ما فيها، ولَدَّتْ لهم الإقامة في ٢٠ هذا المقام الحقّ وهو مقامهم حقًّا. / فما أشبههم بالمرء طال به التَّيهان ثُمَّ عاد إلى قومه بنعم معهم بالنُّظْم والأحكام العادلة.

٢ فما عسى أن يكون مقامًا هذا المقام؟ وكيف ننتهي إليه؟ إنّما ينتهي إليه مَنْ كان العشق من طبعه، وكانت الفلسفة نزعة الصادقة فطرة وجبلة. فإنّه، ما دام عاشقًا، في حال الوضع وأوجاعه إزاء الحُسْن وبهائه. لَكِنَّه لا طاقة له بالحُسْن في الأبدان، فيفرّ منه طالبًا حُسْن ٥ التَّقْوَس / في فضائلها وعُلومها وصالحاتها ونُظُمها الحكيمة. ثُمَّ يرتقي منها إلى أسباب الجِسْن في التَّقْوَس، ويواصل في الارتقاء إلى ما هو قبل ذلك إن كان قبل ذلك شيء. وهكذا

دواليك حتى يُدرك في آخر المطاف الأصل الأول الذي ينبعث الحُسن منه . فإذا انتهى إلى هذا
 ١٠ الحدّ كُفّت أوجاعه، ولا تكفّ قبل ذلك. / ولكن، كيف يرتقي؟ وأنتى له القُدرة على الارتقاء؟
 وما هو القول الذي به يُرشّد هذا العشق ويوجّهه؟ ألا، إنّه القول الذي يلي. إنّ الحُسن المُستشير
 على الأبدان إنّما هو حُسن طارئ على الأبدان. وإنّ وجوه الحُسن في الأبدان إنّما هي هيات
 تحلّ فيها كأنّها في هوى. وما دام الأمر كذلك، فقد يتغيّر حامل الحُسن ويصير منه حُسنًا إليه
 ١٥ قبيحًا. / ويدلّ العقل على أنّ هذا الحامل كان حُسنًا بالمشاركة إذًا. فما هو الذي جعل البدن
 حُسنًا؟ إنّ حضور الحُسن من ناحية؛ ولكنه التّفسّ أيضًا ومن ناحية أخرى. فهي التي أبرزت
 البدن في جبلته وخلعت عليه تلك الصورة. ثمّ ماذا؟ أتكون التّفسّ من تلقاء ذاتها حُسنًا؟ كلًّا
 ٢٠ فربّ نفس حكيمة حسّناء، وربّ أخرى بليدة شتّعاء. إنّ الحُسن في التّفسّ من الحكمة إذًا. /
 ومن الذي يمدّ التّفسّ بالحكمة؟ ألا، إنّ الروح لا محالة. ولكنه لا يقال فيه إنّهُ يكون روحًا تارة
 وغير روح تارة أخرى، بل أقلّ ما يقال فيه إنّهُ الروح حقًّا. إنّ هذا الروح إذا حُسن من تلقاء ذاته.
 وسواء كان يجب علينا أن نفق عند الروح على أنّه الأوّل، أم كان يجب أن نتجاوزهُ إلى ما هو
 ٢٥ وراءه، فإنّ الروح ماثل أمام الأصل الأوّل. على أنّه، نظرًا إلينا، / يُشبه أن يكون في أزوقة
 هياكل الخير، يُخبر عن كلّ ما يشتمل الخير عليه، وكأنّه هو انطباع الخير وقد أصبح الخير على
 أشدّ ما يكون في الكثرة، مع أنّه، من وجهه المُطلق، ثابت على بقائه في الوحدة.

٣ هذا ولا بدّ إذا من البحث عن حقيقة الروح، التي أطلعنا العقل عليها على أنّها حقًّا
 والذات صدقًا، مُثَبَّتِينَ أولًا، عن طريق أخرى نسلكها، أنّه يجب في حقيقة مثل هذه الحقيقة أن
 ٥ تكون فعلًا. أجل، قد يسخر الناس بالباحث عن الروح إن كان موجودًا. مع إنك تجد بعضهم/
 مُتردّدين في الأمر. ولكنّ الأخرى بالبحث هو السُّؤال عن الروح فيما إذا كان على نحو ما
 وصفناه، وإن كان أمرًا مُتَرَفِّعًا عن الحسّيات، وإن كان هو الحقائق كلّها وموضع المثل في
 حقيقتها. فإنّ مدار القول هو الآن حول الأسئلة التالية. إنّنا نرى الأمور الموصوفة بأنّها موجودة
 ١٠ أُمورًا مُرَكَّبَةً كلّها، فما بينها أمر واحد تجده بسيطًا، سواء أأحدثته الصّناعة أم أوجدته/ الطّبيعة.
 أمّا مُحدّثات الصّناعة فإنّها تشمل التّحاس أو الخشب أو الحجر، وهي لا تُدرك كمالها مع هذه
 الموادّ قبل أن تخرج كلّ صناعة مصنوعها: فصناعة تُخرج تماثلاً، وأخرى سريرًا وثالثة بيتًا،
 وذلك بأن تخلع المثل الذي ينبعث منها على المادّة التي تُقابِلها. ثمّ إنّ في الطّبيعة مُرَكَّبَاتِهَا
 ١٥ المُعَقَّدَة المعروفة بالازدواجات، / وهي تنحلّ إلى المثل الذي يقع على المزدوجات جميعها.
 فالإنسان مثلاً ينحلّ إلى نفس وجسد، والجسد إلى العناصر الأربعة. ثمّ تجد أنّ كلّ عنصر من
 هذه العناصر مُرَكَّب من الهوى ومن الصورة التي تُعَمَّرُها - إذ إنّ هوى العناصر ليس لها

٢٠ صورة من تلقاء ذاتها - فتبحث عن المثال / من أين أقبل على الهيولى . ثم تبحث بعد ذلك عن النفس إن كانت أمرًا من الأمور البسيطة أو إن كان فيها شيء بمنزلة الهيولى من ناحية يُقابله المثال من الناحية الأخرى . وأعني بالمثال هنا الروح الذي تنطوي النفس عليه ، وهو ، في آنٍ واحد ، بمنزلة الصورة في التّحاس ، ثم بمنزلة الصانع الذي يخلع الصورة على التّحاس . هذا
٢٥ وإنا نطبّق هذه الأصول على العالم الكليّ / فنرتقي إلى روح نجعله هو المُحدث حقًا والصانع . فنقول : إنّ الحامل الذي يتلقّى الصُّور يصير نازًا وماء وهواءً وترابًا . أما الصُّور فإنّها تأتي من شيء آخر ، ولهذا الشيء هو النفس . ثم إنّ النفس هي التي تمدّ العالم بصورته مع العناصر
٣٠ الأربعة . / على أنّ النفس تتلقّى بدورها من الروح بناها المعنوية ، كما أنّ النفوس ذوي الصّناعات ، يتلقّين المعاني التي يتقيدن بها في عملهنّ من الصّناعات المُختلفة . أما الروح فكأنّما هو للنفس مثالها من حيث إنّهُ هو صورتها ، وهو الأصل الذي يُضفي على النفس صورتها
٣٥ أيضًا ، مثلما أنّ صانع التمثال ينطوي في ذاته على كلّ ما يحقّقه في التمثال . / أما الشيء الذي يمدّ الروح به النفس فإنّه إلى الحقّ قريب ؛ أما ما يتلقّاه البدن ، فليس إلّا مُحاكاةً ورسماً .

٤ لماذا يجب أن تتجاوز النفس إلى ما فوقها إذا ، ولا نفترضها على أنّها هي الأوّل؟ نقول
أوّلاً إنّ الروح أمر يختلف عن النفس وهو أفضل منها ؛ وإنّما الأفضل هو الأوّل طبعًا . ولا يصحّ
على النفس أن يُقال فيها ، كما يُظنّ ، أنّها إذا اكتملت في ذاتها ولدت الروح . فأنّى لما يكون
٥ بالقوّة أن يصير بالفعل ما لم يكن السبب الذي يسوقه إلى / الكيان هو بالفعل . وإن حدث ذلك صدفةً وانفصافًا فقد يتفق للشيء ألا ينتهي إلى الوجود بالفعل أيضًا . ولذلك يجب في الأوائل أن تُفترض موجودة بالفعل ، مُكتفية بذواتها ، كاملة . أمّا ما لم يكن مُكتبلاً في ذاته ، فإنّه مُتأخّر على تلك الأوائل ، فيسوقه إلى كماله الأصل الذي جاء منه وهو له كالأب يسوق إلى الكمال
١٠ المولود الذي ولّده ناقصًا في بداية الأمر . / فيكون غير المُكتبّل في ذاته إذا هيولى بالنسبة إلى الأوّل الذي أنشأه ، ثمّ تُسبّك هذه الهيولى في قالبها فتستحيل شيئًا كاملاً في ذاته . والواقع هو أنّه إن كانت النفس شيئًا بفعل ، فوجب أن يكون شيء لا يفعل - ولآلزال الأشياء كلّها بتأثير
١٥ الزّمان - كذلك وجب أن يكون قبل النفس شيء أيضًا . / ونقول أيضًا بما أن النفس هي داخل العالم ، وبما أنه يجب أيضًا أن نسلم بوجود بعض الشيء خارج العالم ، وجب أن يكون هناك شيء ما قبل النفس . ذلك لأنّه إن كان الكون في العالم هو الكون في البدن وفي الهيولى ، فإنّ شيئًا لن يبقى على ما هو في ذاته دائماً . ومن ثمّ لا يكون الإنسان أبدئيًا ، باقياً على ما هو في ذاته تماماً ، وكذلك القول في البنى المعنوية كلّها . إنّنا ننبين من هذه الأدلّة ومن أدلّة أخرى كثيرة إذا ، أنّه يجب في الروح أن يكون قبل النفس .

٥ يجب في الروح إذا، إن قصدنا الصِّدق في التَّسمية؛ ألا نتَّخذُه بمعنى روح يكون بالقوَّة أو يتنقل من الجهل إلى كونه روحًا حقًّا - (ولأنا اضطررنا إلى استئناف البحث عن شيء آخر مُتقدِّم عليه) - بل بمعنى روح قائم بالفعل وهو دائماً روح حقًّا. فإن لم تكن الحكمة فيه شيئاً مكتسباً كانت معرفته للشيء معرفة مُنبِثَّة من ذاته، وكذلك القول في توافُّر الشيء لديه. وما دامت معرفته بذاته من ذاته، فإنَّه هو بذاته ما يعرفه. ذلك بأنَّه لو كانت ذاته شيئاً وما يعرفه شيئاً آخر، لما كانت ذاته معروفاً روحانيّاً؛ فيكون هو بالقوَّة لا بالفعل. يجب في هذين الطرفين ألا يُفصل بعضهما عن بعض إذا. لكنَّ موقفنا ممَّا يجري في بواطننا ولَّد عندنا العادة أن/ نفترق ههنا بين الأمور الروحانيَّة أيضاً. فما هو الذي يفعل، وما هو الذي يعرف حتَّى نتصوِّره شيئاً واحداً هو والأمور التي يعرفها؟ ألا، إنَّه ما دام هو الروح حقًّا، فإنَّه يعرف الحقائق ويوجدُها قائمة في ذاتها، وما في الأمر شك. إنَّه هو الحقائق بالذات إذا. ذلك لأنَّه إمَّا أن يعرفها وهي حيثما لا يكون هو، وإمَّا أن يعرفها وهي فيه هو ذاته على أنَّها ما هو عليه في ذاته. وأن تكون حيث لا يكون هو، فهذا أمر مُستحيل. وأين عساها أن تكون؟ إنَّه يعرفها وهو عارف ذاته، / ويعرفها بالتالي في ذاته. فإنَّه لا يعرفها في الجسَّيات، كما يظنُّ بعضهم. ليس الوجود الجسَّي هو الوجود الأوَّل للشيء إذ إنَّ المثال الكامن في الجسَّيات القائمة على الهيولى إمَّا هو ارتسام للحقِّ. ثم إنَّ المثال في الشيء قد أتى إلى هذا الشيء من مثال آخر، وهو صورة لهذا الآخر. فضلاً على أنَّه إن كان يجب في هذه الدُّنيا أن يكون لها صانع، فإنَّ هذا الصانع لا يعرف/ ما يشتمل عليه الحقَّ قبل أن يكون حتَّى يكون قد صنع. لا بُدَّ من وجود تلك الأمور قبل العالم الكُلِّي إذا، وهي ليست انطباعات خلَّفتها أمور تختلف عنها؛ إمَّا هي نماذج أصليَّة، وهي الأمور الأوَّليَّة والروح ذاته في حقيقته. وإن قيل إنَّ البنى المعنويَّة تكفي، فإنَّها أبدية، وما في الأمر شك. وإن كانت أبدية لا تنفعل، وجب فيها أن تكون في روح من مقامها، مُتقدِّم على الأحوال والطَّبائع والنَّفْس/ : فإنَّ هذه الثلاثة إمَّا هي القوَّة فقط. إنَّ الروح هو الحقائق بالذات حقًّا إذا، لا يعرفها بمعنى أنَّها حيث لا يكون هو. فإنَّها ليست قبله ولا بعده، وإنَّه هو الذي يضع للكيان نُظْمه، بل إنَّه هو ذاته نُظْم الكيان. وما أصدق ما قيل : «إنَّ العرفان هو الكيان بالذات»، ١٠ وإنَّ «العِلْمَ بالمنزهات هو المعلوم بالذات»، / وأيضاً «إني أبحث عمَّا أنا عليه في ذاتي» يعني أنَّه حقيقة من الحقائق. كما أنَّ القول بمذهب «التَّذكُّر» هو نَعْم القول أيضاً. فإنَّك لن تجد شيئاً خارجاً عن الحقِّ، حتَّى بالمعنى المكانيِّ، بل إنَّ الحقَّ باقٍ مع ذاته على الدَّوام، لا يطرأ عليه تحوُّل ولا يعتريه فساد. ولذلك كان هو الحقَّ حقًّا. فالحقُّ لدى الأشياء التي تصير وتزول إمَّا هو حقَّ مُستفاد/ : فليست هي الحقَّ، بل إنَّ الحقَّ ما كان بين يديها، مُستفاداً. والجسَّيات إمَّا هي ما يُقال فيها بوساطة الاشتراك، إذ إنَّ الحقَّ ما تقوم عليه يتلقَّى صورته من غيره. مثل ذلك

مثلما يتم بين الثُّحاس وصانع التَّمثال، وبين الخشب وصانع الأُسرة حيث تصير الصُّناعة إلى الثُّحاس والخشب بوساطة الارتسام، على أن تستمرَّ الصُّناعة خارج الهيولى باقية كما هي عليه ٤٠ في ذاتها، حاملة هي/ في جنباتها التَّمثال الحَقَّ والسَّرير الحَقَّ؛ وكذلك القول في الأجسام. فإنَّ عالمنا يأخذ نصيبه من الارتسامات، فيدلُّ على أنَّ هذه الارتسامات شيء وأنَّ الحَقَّ شيء آخر. أمَّا الحَقَّ فلا يتحوَّل إلى شيء، في حين أنَّ الارتسامات دائماً بين حال وحال؛ وهو يبقى ٤٥ على ما هو في ذاته، ولا يحتاج إلى مكان. فما هو بكمَّ، بل كيانه نورانيّ مكتفٍ بذاته. ولا غرو، فإنَّ الأجسام تُريد، بدافع فطريّ، أن تحفظ ذاتها مُعتبدة على غيرها. أمَّا الروح، فإنَّه، بفطرته العجيبة، يسند ما من شأنه أن يهوى، ثم لا يبحث هو عن مقام يستقرُّ فيه.

٦ فليكن الروح هو الأشياء كلّها إذا. على أنَّ الأشياء تكون فيه، لا بمعنى أنَّه مُشتمِل عليها اشتمالاً مكانيّاً، بل بمعنى أنَّه هو مُشتمِل على ما يكون عليه في ذاته وهو معها شيء واحد. فإنَّ الأشياء كلّها فيه جميعاً، ثمَّ لا يقلُّ تباين بعضها عن بعضها الآخر بشيء. ولا غرو، فإنَّ النَّفس تنطوي في آن واحد على علوم كثيرة بدون أن يختلط عِلْم بآخر. فينقلب كلّ عِلْم إلى العمل ٥ الذي هو من شأنه عندما/ تمسَّ الحاجة إليه، ثمَّ لا يسحب العلوم الأخرى معه. كلّ فكرة تفعل أفعالها وهي مُنفصلة عن الأفكار الأخرى الكامنة كلّها في النَّفس وبواطنها. كذلك القول في الروح، وهو بأن يكون الأشياء كلّها جميعاً أخرى؛ ولكنَّه ليس الأشياء كلّها جميعاً أيضاً لأنَّ كلّ شيء إنّما هو قوَّة خاصّة. فيشتمل الروح الكلّي على الأمور كلّها اشتمال الجنس على الأنواع، ١٠ والكلّ على الأجزاء./ لهذا وإنَّ القوَّة البذريّة تُؤدّي صورة عمّا نعينه. يشتمل الكلّ فيها على الخصائص كلّها غير متباينة، وكأنَّ البنى المعنويّة في مركز واحد. ومع ذلك، فإنَّ بنية العين شيء وبنية اليدين شيء آخر، ولا يدرك كونها مُختلفة إلّا بالشَّيء الجسِّي الذي يحدث بها. أمَّا ١٥ القوَّة الكامنة في البذور فإنَّ كلّ قوَّة منها/ هي مع الأجزاء التي تنطوي عليها في ذاتها، بنية معنويّة واحدة كاملة، اتَّخذت العنصر الجسمانيّ هيولى لها، كأن تتخذ ما في البذر من رطوبة هيولى. أمَّا البنية المعنويّة فهي المثل كاملاً، وهي بنية تكون شيئاً واحداً مع النَّفس الغذائيّة التي هي ارتسام لنفْس أخرى أفضل منها. ثمَّ إنّ هذه القوَّة الكامنة في البذور فقد يُسمّيها بعضهم ٢٠ «طبيعة»./ فهي تلك التي انطلقت ممّا هو قبلها في العالم الروحانيّ، كما ينطلق النور من النار، ثمَّ أشعّت في الهيولى وغمرتها بالصورة. وهي لم تدفع دفْعاً آنذاك، كما أنّها لم تلجأ إلى الأدوات المشهورة بالأُمحال، إنّما تمدّ بالبنى المعنويّة.

٧ أمّا العلوم التي تكون في النَّفس الناطقة علوماً بالجسِّيَّات (إن كان يجوز أن يُقال فيها إنّها

علوم، مع أنها بأن تُسمَّى ظُنُونًا أُخرى)، فإنَّها تقع بعد الأشياء، وهي بذلك صُورٌ للأشياء. أمَّا العلوم بالروحانيات، وهي العلوم حقًّا، فإنَّها تأتي من الروح إلى النَّفس الناطقة ولا تشتمل قَطَّ على/ محسوس. وبقدَّر ما أنَّها علوم، فإنَّها كلُّ شيء من الأشياء التي تشتمل عليها، وتتلقَّى من الباطن معروفها وعرفانها. فإنَّ الكامن في الباطن إنَّما هو الروح - (أعني هذه الأوائل بالذات) - دائم الحُضور إلى ذاته، قائمًا بالفعل غير مُدرِكٍ لمعلوماته بمعنى أنَّها لم تكن بين يديه، أو أنَّه اكتسبها، أو أنَّه قد أتى عليها واحدًا واحدًا إذا لم تكن كلَّها حاضرة معه. / فهذه أحوال تصحَّ على النَّفس. أمَّا هو فإنَّه ثابت في ذاته ما دام هو الأشياء كلَّها، ولم يكن يعرف الأشياء حتَّى يوجد لها قائمة في ذواتها، فلا يصحَّ أن يُقال في الإله إنَّه كان لأنَّ الروح عرفه، ولا في الحركة إنَّها حدثت لأنَّ الروح عرفها. ومن ثَمَّ لم يكن القول في المثال إنَّه عرفان قولًا صادقًا إن ورد بمعنى أنَّ الشَّيء يكون، أو يكون ما هو عليه في ذاته بعد إدراكه بالعرفان. / فإنَّه يجب في الأمر المعروف أن يكون قبل هذا العرفان. وإلَّا فكيف يقبل العارف على عرفان ذلك الأمر وهو لم يُدرِكه بحُكم المصادفة والاتِّفاق؟

٨ إن كان العرفان عرفان شيء باطن إذًا، فإنَّ هذا الشَّيء الباطن إنَّما هو المثال، وهو الأصل المثالي بالذات. وما عسى أن يكون هذا الأصل المثالي؟ إنَّه لروح، وهو الذات النورانية. لا فرق بين الروح وبين الأصل المثالي الواحد، بل إنَّ كلَّ أصل مثالي هو روح. ثمَّ إنَّ الروح كلُّها هو المُثل كلَّها، وكلُّ مثال هو الروح مُفردًا. مثل ذلك مثل ما أنَّ العِلْم كلُّه هو النَّظريات كلَّها، على أنَّ النَّظريَّة الواحدة هي/ جزء من أجزاء الكلِّ، لا بمعنى أنَّه مُنفصل عن هذه الأجزاء انفصالًا مكانيًّا بل بمعنى أنَّ لكلَّ نظريَّة طاقاتها في الكلِّ. إنَّ هذا الروح إنَّما هو ثابت في ذاته إذًا، وما دام هو ربُّ أمره، هادئًا مُطمئنًّا فإنَّه الرغد الدائم. إنَّما لو كنَّا نتصور الروح مُتقدِّمًا على الحقِّ، لوجب أن نقول في الروح إنَّه يُحقِّق الحقائق بعرفانه لها/ فيُخرجها مُكتَملةً ويتدعها آنذاك. ولكن ما دام أنَّه يجب في الحقِّ أن نتصوَّره قبل الروح، وجب أن نجعل الحقَّ قائمًا في الروح العارف، وأن نجعل معرفة الروح المُحقَّقة في علاقتها مع الأشياء على نحو ما تكون العلاقة بين فعل النار والنار الحاضرة. فتنطوي الحقائق آنذاك على الروح، واحدًا في ذاتها، على أنَّه تحقيقها فعلًا. ولكنَّ الحقَّ هو فعل مُحقَّق أيضًا. / فالفعل واحد لدى الطرفين إذًا، والأولى بالطرفين أن يكونا واحدًا. وبالتالي إنَّ الحقيقة واحدة: هي الحقَّ وهي الروح. وكذلك القول في الحقائق وفي الحقَّ مُحقَّقًا وفي الروح كما شرحناه: كلُّ ذلك، إنَّما هو حقيقة واحدة، تجمع أيضًا مع وجوه العرفان على ما وصفناها المثال وصورة الحقِّ وتحقيقه بالفعل. لكنَّا نتصوَّر بعضها مُتقدِّمًا على بعضها الآخر، لأنَّا نلجأ نحن إلى السَّبَر والتَّقسيم. /

فإن روحنا الذي يُجزئ هو شيء، وشيء آخر ذلك الروح الذي لا يتجزأ والذي لا يُجزئ الحق ولا أمراً من الأمور كلها.

٩ ما عسى أن تكون تلك الأمور القائمة في الروح الواحد والتي تُقسّمها نحن حينما نُدرِكها بالعرفان؟ يجب أن ننطق بها ونبرزها هي القائمة في سُكونها مثلما أنا، في العلم الواحد، نقبل ما يتضمّنه لشأهده في فضوله. الواقع هو أن هذا العالم إنّما هو حيوان مُشتغل على الحيوانات كلها. ثمّ إنه آخذ من غيره كيانه وكونه في الحال التي هو عليها، على أنّ الأصل الذي جاء منه يعود إلى الروح. وإن كان ذلك كذلك، فإنّ في الروح القياس الأصليّ الكلّي لا محالة؛ وإنّ هذا العالم الروحانيّ بالذات إنّما هو الروح الذي قال فيه أفلاطون «في ما هو الحيوان حقّاً». فإذا أقبلت من حيوان بنيته المعنويّة وقابلته في الهيولى التي شأنها أن تتلقّى البنية المعنويّة بذراً، نشأ الحيوان لا محالة؛ وكذلك القول في الحقيقة النورانيّة الكلّيّة القُدرة: إذا أقبلت ولم يحل دونها حائل، ولم يتوسّط بينها وبين الشيء الذي قد يتلقّاها متوسّط ما، بدا هذا الشيء في معالِمه حتّماً، وهي معالِم تكون من وضع تلك الحقيقة بالذات. ولكنّ العالم في معالِمه ينطوي على المثل مُوزّعاً ومُقسّماً، فالإنسان هنا والشمس هناك. أمّا العالم الروحانيّ فإنّه الأشياء كلها في كلّ واحد.

١٠ كلّ ما كان على حال المثل في العالم الجسّي، إنّما يأتي من الملاء الأعلى؛ وما ليس مثلاً فلا يكون من هذا الملاء. ولذلك لا تجد شيئاً مُنافياً للطبيعة هناك، كما أنّك لا تجد في الصناعات شيئاً يتنافى معها، ولا في البُذور شللاً. أمّا شلل الأقدام، في الولادة، فعجز في البنية المعنويّة، وإذا حدث اتفاقاً، فلضرر أصاب المثل. ففي العالم الروحانيّ نجد الكمّ والكيف المُتناسبين، والأعداد والمقادير والأحوال والأفعال والانفعالات من حيث إنّ هذه الأمور كلها مُنسجمة مع الطبيعة. وكذلك الحركة والسكون أيضاً جملة وتفصيلاً. كما أنّ الأبد حلّ محلّ الزمان هناك. أمّا المكان هناك، فإنّ يقوم الشيء في غيره قياماً نورانياً. وما دامت الأشياء كلها في الملاء الأعلى معاً جميعاً، فإنّ ما تُدرِكه منها ليس سوى ذات وإنّها لذات نورانيّة. ثمّ إن لكلّ شيء حظّه من الحياة: بقاء الشيء على ذاته وتحولّه إلى غيره، والحركة والسكون، والمُتحرك والساكِن، والذات والكيف. والأشياء كلها ذات واحدة. فإنّ الحقّ مُفرّداً إنّما هو بالفعل هناك وليس بالقوّة، فلا ينفصل الكيف عن الذات مُفرّدة.

١٥ والآن، هل تكون المُثل في عالم الروح بعدد الأشياء في عالم الحسّ؟ أو إنّها تزيد عليه؟ لكن ينبغي أن ننظر أولاً في حال الأشياء التي تكون وليدة الصناعات، إذ ليس للسرّ مثال هناك.

وإنما نجد الشرّ في دُنيانا، فهو وليد الحاجة والحرمان والثَّقْصان، وهو شأن الهيولى المشوّمة
٢٠ أو/ شأن ما يحاكيها.

١١ هل نجد في الملاء الأعلى كلّ ما أخرجته الصناعات أيضًا؟ إنّ كلّ الصناعات القائمة
على تقليد الطّبيعة من رسم ونحت ورقص وتمثيل، إنّما تجد مُقدّماتها من وجه ما في هذه
الدُّنيا. لقد تلجأ إلى المحسوس قياسًا أصليًا وتُحاكي المُثُل والحركات وأوضاع التّناظر التي
تُشاهدها فتحوّلها من هيئة إلى هيئة. وما دامت الصناعات هُذي حالها، فلا يصحّ عليها أن ترد
٥ وترتقي بها إلى عالم الروح، / إلّا من حيث إنّها في حدود بنية الأدميّ المعنويّة. فلو انطلقنا من
التّناظر الواقع بين الأحياء حيًّا حيًّا، فبحثنا عن بنية الحيوانات الكلّيّة ما هي، لكانت الملكة
الناظرة فينا جزءًا من القوّة الثابتة في الملاء الأعلى وهي التي تلمس التّناظر الكلّيّ الواقع بين
١٠ الروحانيّات وتُشاهده. ثمّ إنّ الموسيقى ما دامت تتناول كلّ التّناسب والتّوقيع / - وبكونها
واقعة على التّوقيع والتّناسب، فإنّ الروحانيّات حاصلة فيها - فإنّها من نوع تلك التي تتناول
العدد الروحانيّ هناك. أمّا الصناعات التي تُخرج المصنوعات الجسّيّة، مثل صناعة البناء
وصناعة التّجارة فإنّها، بقدر مُراعاتها لمتقضيّات التّناظر، تستمدّ أصولها من الملاء الأعلى
١٥ أيضًا ومن الأحكام الثابتة فيه. لكنّ تلك الصناعات تخلط هذه الأمور بالشّيء المحسوس، /
فليست مع ما هي عليه بكاملها هناك، إلّا إذا نظرنا إليها كامنة في بنية الإنسان المعنويّة. كما أنّا
لا نجد هناك الحرّاة أيضًا إذ إنّها تهتمّ بالتّبات المحسوس، ولا صناعة الطّبّ التي تُعالج صحّة
الجسم وتهتمّ بقوّته وعافيته. فإنّ هناك قوّة أخرى وصحّة أخرى أيضًا، وتكفل لكلّ حيّ، من
حيث إنّّه حيّ، أن يكون مُبرأ عن العجز أو الإضطراب. أمّا صناعة الخطابة والحرب
٢٠ والاقتصاد/ والسّياسة، فإنّ خلعت الحُسن على المُعاملات ووجّهت إلى الملاء الأعلى،
أخذت من هنالك شيئًا هو علم تستمدّه من العِلْم الروحانيّ. أمّا عِلْم الهندسة، فيجب فيه أن
يجعل في عالم الروح ما دام عِلْمًا بأمور روحانيّة. كما أنّه ينبغي أن يجعل فوقه أيضًا عِلْم
٢٥ الحكمة ما دام عِلْمًا غرضه هو الحقّ. فهذا ما يجدر ذكره في الصناعات وما تُخرجه. /

١٢ ولكن إن كان للإنسان الأصليّ في الملاء الأعلى، فللناطق أيضًا وللصانع. كما أنّ
الصناعات كلّها هناك ما دامت من مُولّدات الروح.

ألا إنّّه ينبغي أن يقال في المُثُل إنّ منها في الملاء الأعلى الكلّيّات، لا سقراط، بل
الإنسان. ثمّ ينبغي أن يُبحث عن الإنسان أيضًا، إن كان مثال الإنسان هناك بأوصافه الفرديّة.
٥ وأعني بالأوصاف الفرديّة أن يكون الوصف ذاته على حال في شيء، وعلى حال آخر في شيء /

آخَر. كأن يكون أحدهم أفتس وغيره أفتى. على أنه يجب في هذين الوصفين أن تتصوّرهما فصلين قائمين في مثال الإنسان مثلما أن في جنس الحيوان فُروفاً. أما الكيف الذي يكون عليه الأنف عند الأول وعند الآخر، فإنه يعود إلى الهيولى. وكذلك القول عن الفروق في الألوان: ١٠ فإن بعضها كامن في البنية المعنوية، / وبعضها الآخر وليد الهيولى واختلاف المناطق.

١٣ بقي القول فيما إذا كان للأشياء الجسّية وحدها مُثلها الأصليّة في الملاء الأعلى أو إته، مثلما أن الإنسان شيء، والإنسان مثلاً أصلياً شيء آخر، كذلك تكون النّفس شيئاً، والنّفس مثلاً أصلياً هنالك شيئاً آخر. وهكذا الأمر في الروح أيضاً. ينبغي أن نقول أولاً إنه يجب في الأشياء ألا تتصوّرهما كلّها ارتسامات لأقيسة أصليّة، كما أن النّفس ليست ارتساماً لنّفس أخرى ٥ هي مثال أصليّ. / فإن النّفس تختلف عن أختها بالمقام، وإنها، نفساً، مثال أصليّ حتّى في هذه الدّنيا، على أنه ربّما ليست كذلك بمعنى أنها في هذه الدّنيا. يجب في كلّ نفس، ما دامت نفساً حقّاً، أن تستوي مع شيء من الحكمة والعدالة، كما أن في نفوسنا ذواتها علماً صيدفاً. وليس هذا العلّم مجموعة ارتسامات وصوّر للعالم الروحانيّ، بمعنى أنه صار آنذاك في المحسوس، بل إنه هذا العالم بالذات / وقد صار في دنيانا على وجه آخر. فإن الأمور الروحانيّة لا تُحصّر في مكان مهما يكن، فلا عجب أن تُصبِح النّفس إذ تخلع بدنّها عنها هي ذلك الملاء وتلك الأمور. ذلك لأنّ العالم الجسّيّ، إنّما هو في كلّ مكان واحد؛ أما العالم الروحانيّ فلا يشتمل عليه مكان. فكلّ ما تنطوي النّفس عليه، وهي كما وصفنا، فتكون به الملاء الأعلى بالذات، إنّما هو ثابت في دنيانا، على أن النّفس وهي آنذاك الأمور الروحانيّة، تُصبِح في الملاء الأعلى. وعليه، ١٥ إن عينا بالجسّيّات الأشياء المنظورة، / فليست الروحانيّات بقدر ما في العالم الجسّيّ فقط، بل تزيد عليه أيضاً. أما إذا ذكرنا هذا العلّم بمعنى أنه يشتمل على النّفس أيضاً، وعلى ما هو في حدود النّفس، فإنّ الأشياء كلّها تكون هنا بقدر الأمور كلّها هناك.

١٤ يجب في تلك الحقيقة التي تشتمل على الأشياء كلّها في العالم الروحانيّ، أن نجعلها هي الأصل إذًا. ولكن كيف ذلك، ما دام هذا الأصل واحداً حقّاً، وما دام بسيطاً من كلّ وجه؟ ولكن كيف يكون إلى جانب الواحد شيء آخر مهما يكن، وكيف نفهم الكثرة؟ كيف تكون الأشياء كلّها؟ ولماذا كان الروح هو هذه الأشياء، وأنّى لكلّ ذلك أن يتمّ؟ لهذا شرح يجب أن ٥ نقبل عليه / مُنطليقين من أصل آخر.

أما إذا كان لما يتولّد من الفضلات ومن البهائم التي يعترّيها الفساد مثال في الملاء الأعلى، وإن كان للأوساخ وللأوحال أيضاً، فالقول الذي يجب في ذلك هو أن كلّ ما يتلقّاه

الروح من الأول إنما هو على أفضل ما يكون . فلا يكون منه ما ذكرنا ، كما أنه ليس منه شيء في الروح . ولكنَّ النَّفْس إذا انبعثت من الروح تلقت الهيولى ، / فيما تتلقى ، ذلك الشيء الساقط الرديء .

لهذا وإننا سنستأنف القول حتمًا في هذا الموضوع ونزيده بيانًا عندما نعود إلى مُشكلة ذي الكثرة كيف يخرج من الواحد .

كما أنه يجب القول أيضًا في المركب الذي يحدث عَرَضًا وبالاتِّفاق ، لا من قِبَل الروح ، بل من تلقاء ذاته ، إذا أقبل بعض الأشياء الحسِّيَّة على بعضها الآخر ، إنه لا يكون في عالم المثال . ثم إنَّ ما يتولَّد من الفضلات إنما يأتي من النَّفْس وهي عاجزة آنذاك ، / فيما يُظَنّ ، عن الإتيان بشيء آخر ؛ وإلاَّ لكانت أحدثت شيئًا طبيعيًا ، كما تفعل ذلك عندما تستطيع .

أما الصناعات فيجب القول فيها إنها كامنة في الإنسان ، مثالًا أصليًا ، بقدر ما تكون صناعات وصل الإنسان بينها وبين مُولِّدات الطَّبيعة .

لهذا ويجب القول أخيرًا إنَّ قِبَل النَّفْس الجزئية نفسًا أخرى ، هي النَّفْس الكلِّية ، وإنَّ قِبَل النَّفْس الكلِّية أيضًا ، نفسًا هي المثال الأصلي ، أعني الحياة بالذات ، / بل يجب في هذه النَّفْس ، مثالًا أصليًا ، أن يقال فيها إنها مُستَكِنَّة في الروح قِبَل أن تنشأ النَّفْس ، بل حتَّى تتحقَّق لها نشأتها .

الحمد لله

التاسع السّادس

فهرسُ التّاسُوع السّادسُ

الفصل الأول	(٤٢)	:	في الحَقِّ وأجناسه (المقال الأول)	٥٠٩
الفصل الثاني	(٤٣)	:	في الحَقِّ وأجناسه (المقال الثاني)	٥٣٧
الفصل الثالث	(٤٤)	:	في الحَقِّ وأجناسه (المقال الثالث)	٥٥٨
الفصل الرابع	(٢٢)	:	في أنّ الحَقَّ هو كلّ في كلّ وجه من الوجوه ولو	
			كان واحدًا في ذاته (المقال الأوّل)	٥٨٤
الفصل الخامس	(٢٣)	:	في أنّ الحَقَّ هو كلّ في كلّ وجه من الوجوه ولو	
			كان واحدًا في ذاته (المقال الثاني)	٦٠٠
الفصل السادس	(٣٤)	:	في الأعداد	٦١٠
الفصل السابع	(٣٨)	:	في كيف نشأت كثرة المُثُل وفي الخير المحض	٦٢٩
الفصل الثامن	(٣٩)	:	في العمل المُختار وفي إرادة الواحد (في المُراد)	٦٦٨
الفصل التاسع	(٨)	:	في الخير وفي الواحد	٦٨٩

الفصل الأول

(٤٢)

في الحق وأجناسه (المقال الأول)

١ [] لقد سبق القُدَامَى أقدم أسلافهم وبحثوا في الحقائق، ما هو عددها وما هي عليه في ذاتها. فقال بعضهم إنها أمر واحد، وبعضهم إنها ذات عدد محدود، وفريق آخر إن عددها لا نهاية له. ثم إن لكل مَن يذهبون إلى وحدة الحقائق قوله فيها، وكذلك الأمر لدى من يرون أنها ذات عدد محدود أو عدد ليس له نهاية. أما هذه الآراء فقد دَقَّقَ النَّظْرَ فيها مَن جاء بعد القُدَامَى، فيجب أن ندعها. / أما ما دَقَّقَ هؤلاء الآخرون النَّظْرَ فيه مِمَّا خلفه أسلافهم، وصنّفوه ٥ في أجناس محدود عددها، فينبغي أن نبحثه. فإنّهم لا يجعلون الحقّ واحدًا لأنّهم يرون كثرة حتّى في الروحانيّات ذاتها. كما أنّهم لا يجعلونه بعدد غير محدود لأنّ هذا أمر مستحيل فضلًا على أنّه لا يكون علم بعد ذلك. بل إنّهم يجعلونه قائمًا بعدد محدود. فقالوا فيه إنّهُ مُوزَّعٌ في طبقات هي الأجناس لأنّه لا يصحّ القول في مُقَوِّمات الأشياء إنّها عناصر. / فمنهم من جعل هذه ١٠ الأجناس عشرة، ومنهم من جعلها أقلّ عددًا، وربّما زاد بعضهم على هذا العدد. ثم إنّنا نجد اختلافًا حتّى في هذه الأجناس، فمنهم من يتصوِّرون الأجناس أصولًا، ومنهم من يَرون أنّها هي الحقائق مَحْصُورَةٌ من حيث الجنس بعددها ذلك.

١٥ هذا ولا بدّ من أن نقف أوّلًا عند المذهب الذي يصنّف الحقائق بالعدد عشرة إذا، / فننظر كيف يجب أن نتصوّر هذه الأجناس العشرة: هل يقولون فيها إنّها الحقّ ويُطلقون عليها إسمًا مُشترَكًا، أو يقولون فيها إنّها طبقات عشر بالعدد؟ يقولون في إسم الحقّ إنّهُ لا يشملها كلّها بالترادف، وهم في قولهم على صواب. لكنّ الأخرى بالبحث أوّلًا هو السّؤال عن الأجناس العشرة: ٢٠ أتنسأوى في الروحانيّات وفي الحسيّات؟ / أو إنّها كلّها في الحسيّات ثمّ يكون بعضها في الروحانيّات وبعضها الآخر لا يكون؟ إذ إنّ العكس لا يجوز. وعند ذلك يجب أن نبيّن ما هي من الأجناس العشرة تلك التي تكون في المملأ الأعلى، وهل يشمل الجنس الواحد الحقائق الروحانيّة والحقائق الحسيّة بعضها مع بعض، أو إنّ إسم الذات يقع على الطّرفين كليهما ٢٥ بالاشتراك؟ فإن كان الأمر كذلك أصبح عدد الأجناس زائدًا على العشرة. / أمّا إذا كان إسم

الجنس يقع على الطرفين بالتَّرادف، فليس من المعقول أن يدلَّ الشيء الواحد على الذات في الحقائق المُتقدِّمات وفي المُتأخَّرات عنها، إذ إنَّ جنسًا مُشترَكًا لن يكون حيثما نجد مُتقدِّمًا ومُتأخَّرًا. لكنَّهم لا يذكرون قطَّ تصنيفًا في الروحانيات إذ إنَّهم لم يقصدوا بتصنيفهم الحقائق ٣٠. كلَّها، بل أسقطوا فيه ما كان أوفرها حقًّا. /

٢ نعود ونقول، هل يجب أن نعدَّ ما لدينا أجناسًا؟ وكيف تكون الذات جنسًا واحدًا؟ فإنَّها على كلِّ حال، لا بدَّ من أن تكون هي المُنطلق. ولقد ذكرنا أنَّه يستحيل على الروحانيَّ والحسيَّ أن يشتركا في شيء واحد يكون جنس الذات. لهذا فضلًا على أنَّه يُقابلنا آنذاك شيء آخر يكون قبل الروحانيات وقبل الحسيَّات، وهو شيء آخر / ما دام يُقال في الطرفين كليهما، فلا يكون جسمًا كما أنَّه لا يكون مُنزَّهًا عن الجسميَّة. ومن ثَمَّ، فإنَّما أن يكون الجسم مُنزَّهًا عن الجسميَّة، وإما أن يكون المُنزَّه عن الجسميَّة جسمًا. لكن لا ينبغي أن يمنعنا هذا من البحث، في ذوات الأشياء الحسيَّة: ما عسى أن يكون الأمر المُشترَك بين الهيولى والمثال والمُركَّب منهما. ذلك لأنَّهم يقولون في هذه الأشياء الثلاثة إنَّ كلَّها منها ذات. والواقع هو أنَّهم لا ينسبون/ الذات إلى الثلاثة كلَّها على التَّساوي إذ يقولون في المثال إنَّه بأن يكون ذاتًا أخرى من الهيولى. وهم على صواب في قولهم. لكن ربَّما قال غيرهم في الهيولى إنَّها بأن تكون ذاتًا أخرى. ثمَّ إنَّ الذوات التي يُقال فيها إنَّها الأصول، ما عسى أن يكون الأمر المُشترَك بينها وبين الذوات الفرعيَّة؟ فإنَّ الذوات الأصليَّة إنَّما هي التي تُوهَّل الذوات الفرعيَّة إلى أن يُقال فيها إنَّها ذوات. وقُصارى الكلام، يستحيل على الذات أن يُقال فيها ما هي. / فإنَّ من ينطق باللازم الذي تنفرد به، ليس لديه منها ما هي عليه في ذاتها. وربَّما لم يكن تعريفها تعريفًا يصحُّ في كلِّ حالة من الأحوال، وأعني تعريف الشيء الذي يكون بالعدد واحدًا في ذاته لا يتغيَّر، وهو قابل للأُمور المُتخالِفة.

٣ هل يجب في الذات أن نصفها بأنَّها مقولة ما واحدة في ذاتها، فتصوِّرها مُشمَّلة على الذات الروحانيَّة، وعلى الهيولى والمثال والمُركَّب منهما؟ مثل ذلك مثلما قلنا في أُسرة «الهراكلديس» إنَّها شيء واحد، لا بمعنى أنَّ أفرادها يشتركون جميعهم في وصف واحد، بل بمعنى أنَّهم جميعهم من أصل واحد. فإنَّ الذات الروحانيَّة تكون في المقام الأوَّل، ثمَّ تليها الذوات الأخرى، وهي في المقام الثاني وأضعف ذاتيَّة. وأيُّ مانع يمنع الأشياء كلَّها من أن تكون مقولة واحدة؟ فإنَّ كلَّ ما يُقال فيه إنَّه شيء، إنَّما يأتي من الذات. يقولون: إنَّ هذه الأشياء إنَّما هي أحوال للذات، أمَّا الذوات عينها فإنَّها مُتخلِّفة عن الذات الروحانيَّة من وجه آخر. ولكنَّنا لا نستطيع، مع ذلك، أن نعتد على الذات وأن ندرك الفاصل الأساسي الذي منه

١٠ تنفَرع الذوات الأخرى. على أنَّا نقول: لنفترض/ في الأمور التي توصف بأنها ذوات من جنس واحد كلّها، وأنها تنطوي على شيء يُميّزها عن الأجناس الأخرى. فما عسى أن يكون بالذات معنى «الماهية» و«عين الشيء» و«المحلّ» الذي تُسند الأشياء إليه ولا يكون مُسندًا إلى شيء، والذي ليس في شيء آخر على أنّه في محلّ، كما أنّه، في ما هو عليه، ليس وصفًا لازمًا لغيره؟ أو لسانا نقول أيضًا في هذا الأمر أنّه ليس مثل البياض وصفًا للجسد، أو مثل الكمّ لازمًا للذات، أو مثل الزّمان من الحركة/ أو مثل الحركة من المُتحرّك؟ وإن قيل: لكنّ الذات التي في المقام الثاني إنّما تُنسب إلى غيرها، قلنا: إنّ للنسبة هنا معنى آخر، وهي بمعنى الجنس الكامن في الشيء على أنّه جزء من الشيء وماهيته. أما نسبة البياض إلى شيء آخر، فعلى معنى ٢٠ أن البياض في هذا الشيء الآخر. وعلى كلّ حال، فقد تُدكّر تلك الأمور على أنّها لوازم/ للذات بالإضافة إلى الأشياء الأخرى؛ فتُجمّع، وهي كذلك، وتُقال في الذات. وليس هذا القول قولًا في الجنس الواحد، وهو لا يدلّ من أيّ وجه كان على معنى الذات وحقيقتها. لهذا وحسبنا من موضوعنا ما ذكرنا. فلنتنقل إلى الكمّ في حقيقته.

٤ لقد يقولون في الكمّ أنّه العدد أوّلًا، ثمّ مقدار مُتّصل، ثمّ المكان والزّمان. ثمّ إنّهم يردّون إلى هذا كلّ شيء آخر يقولون فيه أنّه كمّ: فالحركة كمّ لكون الزّمان كمًّا. مع أنّه ربّما كان الأمر على خلاف ذلك، إذ إن الزّمان يستمدّ اتّصاله من الحركة. وإن قالوا في المُتّصل ٥ أنّه/ كمّ من حيث أنّه متصل، فلا يكون المُنفصل كمًّا. أمّا إذا كان المُتّصل كمًّا بالعرّض، فما هو أمر المُشترك الذي يجعل الطرفين كلًّا منهما كمًّا؟ أمّا العدد، فلنُسلّم بأنّه كمّ، ولو كان هذا ١٠ القول قولًا يكفل للعدد كونه كمًّا، ولمّا يدلّ على الحقيقة التي يُقال فيها ما هي في ذاتها. / أمّا السّطر والسّطح والجسم، فلا يُقال فيها إنّها كمّ، بل إنّها مقادير وليست كمًّا، ولو قيل فيها إنّ الكمّ يُضاف إليها عندما تُخضع للعدد، كأن يُقدّر طولها بذراعين أو ثلاثة أذرع. ثمّ إنّ الجسم الطّبيعيّ إذا قيس عددًا أصبح كمًّا من وجه ما، وكذلك القول في المكان: فهو كمّ عَرَضًا، لا من ١٥ حيث إنّهُ/ مكان. ولكنّ الذي يجب إدراكه ليس الكمّ بالعرّض، بل الكمّ بما هو عليه في ذاته. الكمّيّة مثلًا، فإنّنا لا نقول في البقرات الثلاث إنّها كمّ، بل في العدد الذي يجمع بينها: إنّ في العبارة «بقرات ثلاث» مقولتين. وكذلك في قولنا «خطّ طوله كذا» مقولتان، ومقولتان أيضًا في ٢٠ قولنا: «سطح/ أبعاده كذا». فإنّ كمّه كمّيّة ما، ولكنّ السّطح في ذاته، لماذا يكون كمًّا؟ إنّما يُقال فيه أنّه بكمّ إذا كان محدودًا بثلاثة أسطر مثلًا أو أربعة. ثمّ ماذا؟ أنقول في الأعداد وحدها إنّها كمّ؟ إذا عينا الأعداد بما هي عليه في ذواتها، قلنا فيها إنّها ذوات وذلك بالمعنى الأخصّ، ٢٥ لأنّها أمور قائمة في ذواتها. أمّا إذا عينا العدد في الأشياء/ التي تأخذ كمّها منه، والذي لا

نحصى به وحدات بل «عشرة جياد» و«عشر بقرات»، فمن المُستبعد إن كانت تلك الأعداد ذواتًا، ألا يكون هذا العدد ذاتًا هو أيضًا. كما أنه من المُستبعد أيضًا أن يقيس الأشياء التي يقع عليها ثم يكون كامناً فيها غير مُستقل عنها، كما هو الأمر في القواعد والأقيسة. / ولكن إذا كانت الأعداد أمورًا قائمة في ذواتها ثم اتَّجذت لأن يُقاس بها وهي ليست كامنة في الأشياء، فإن هذه الأشياء ليست كمًّا هي أيضًا ما دام الاشتراك في الكمِّ منفيًا عنها، فلماذا تكون الأعداد كمًّا عند ذاك؟ إنها الأقيسة، ولكن لماذا تكون الأقيسة بكمٍّ أو تكون كمًّا؟ ذلك لأنها مع غيرها من الأشياء، وما دامت خارجة/ عن كلّ مقولة تُقال في غيرها، فإنها ذلك الأمر الذي يُقال فيها، وتُصنّف في ما نعرفه بالكمِّ. إن الوحدة في الأعداد تُحدّد من الأشياء شيئًا واحدًا، وهي تتحوّل إلى شيء واحد آخر، فبدل العدد على هذه الأشياء كم هي، وتعتمد إليه النفس قياسًا للكثرة. وإذا قاست الشيء، فإنها لا تقيس ماهيته. إنما تنطق - بالعدد - واحد أو اثنين، مهما تكن الأشياء عليه من وصف ومخالفة، كما أنها/ لا تُدرك أحوال الشيء ما هي آنذاك، إن كان حارًّا أو حَسَنًا مثلاً، بل تُدرك الأشياء كم هي. إن الذي يُدرك كمًّا هو العدد وحده إذا، سواء أنظر إليه في حد ذاته أم شوهد في الأشياء التي يقع عليها، لا هذه الأشياء ذاتها. فإن الكمِّ ليس قدر الأذرة الثلاث، بل العدد ثلاثة. ولماذا يُقال في المقادير إنها كمٌّ هي أيضًا؟ ألاّتها قريبة من الكمِّ، ولأنها تبعًا لقولنا كمٌّ في ما تحلُّ فيه، لا بمدلولها الحقيقي، بل بمعنى قولنا في الشيء إنه كبير/ إن كان خلافة من العدد كبيرًا، وإنه صغير لأن نصيبه قليل؟ لكن الكبير والصغير لا يُنظر إليهما بمعنى أن كلّ منهما كمٌّ، بل بمعنى أنه مُضاف. على أنه يُقال في كلّ منهما، مع ذلك، إنه مُضاف بقدر ما يبدو أنه كمٌّ. فلا بُدَّ من زيادة البحث دقّة هنا. لسا في كلّ ذلك أمام جنس واحد: إن العدد وحده/ هو الكمِّ؛ أما الباقي فهو كمٌّ بالتفريع. لا يُقابلنا جنس واحد بالمعنى الحقيقي، ولكنّ مقولة واحدة تشمل إلى جانب الأولى فيها القريب إليها على أنه منها فرعًا. هذا وينبغي لنا أن نبحث عن الأعداد قائمة في ذواتها كيف تكون ذواتًا، أو كيف تكون كمًّا من وجه ما هي أيضًا. على أنه، مهما يكن من أمرها، لا يجمع بينها وبين أعدادنا الحسابية وجه مُشترك سوى الاسم فقط. /

٥ [] والآن، بأيّ معنى يكون اللفظ كمًّا، والزّمان، والحركة؟ فلنُعمد، إن شئت، إلى اللفظ أولًا. إن له قياسًا، وما دام لفظًا فإنه مقدّر بكمِّ. لكنّه من حيث إنه لفظ ليس كمًّا. فإنه يدلّ على شيء، كما هو الأمر في الاسم وفي الفعل. أما هيولاه فهي الهواء مثل الاسم والفعل، إذ إن اللفظ مؤلّف منهما. بل إن اللفظ نقر، / وليس كلّ نقر، بل إنه انطباع يحدث وكأنّه يعمر الهواء بصورة. أو إن شئت فلنقل إنه فعل، وهو فعل يدلّ على شيء. والأوّل أن نقول: هو أن تتصوّر

هذه الحركة وهذه الثَّقرة فعلاً، ولكنَّه فعلٌ ينعكس انفعالاً أو إنه فعلٌ من ناحية وانفعال من ناحية أخرى، أو إنه في الهواء محلُّه فعل/ فاعل وانفعال طارئ. وإن لم تكن لنحدِّد الصَّوت بالثَّقرة، بل حدِّدناه بالهواء، لأصبح لدينا مقولتان، لا مقولة واحدة: فمن الثَّقرة التي تدلُّ على شيء وهي الفعل تنتقل إلى الهواء المُنفعل المنقور الذي يدلُّ أيضاً على المقولة ذاتها. أمَّا الزَّمان، فإنَّنا نستطيع أن نتصوَّره على أنه شيء يقيس، وعندئذ لا بدُّ من إدراك القايِس ما عساه أن يكون: ١٥
فإنَّما أن يكون/ النَّفس ذاتها، وإنَّما أن يكون اللَّحظة الحاضرة. وإن تصوَّرناه على أنه الشَّيء المقيس فقد يكون كمًّا من حيث إنه مُقدَّر بمُدَّة محدودة، بسنة واحدة مثلاً. ولكنَّه من حيث إنه زمان، شيء آخر في حقيقته. ذلك لأنَّ ما يُقدَّر بمقدار هو شيء، وقدره بهذا المقدار شيء آخر. ٢٠
ليس الزَّمان كميَّة. بل إنَّ الكميَّة، مُجرَّدة عن كلِّ ما سواها، إنَّما هي الكمُّ بالذات حقًّا. ولو/ كتَّا نتصوَّر كمًّا كلِّ ما شارك الكمُّ في كيانه، لغدت الذات هي بذاتها كمًّا أيضاً. هذا على أنه يجب في التَّساوي وعدمه أن نتصوَّرها لازمين للكمِّ في حدِّ ذاته. لا يُلازمُان الأشياء التي لها من الكمِّ نصيب إلَّا بالعرَض، ولا من حيث إنَّها أشياء. فإنَّ الخطأ الذي قدره ثلاثة أذرع مثلاً هو كمٌّ، لا بمعنى أنه مَحْصِيٌّ في جنس واحد، بل بمعنى أنه يقع تحت جنس واحد ومقولة واحدة، وهو الكمُّ.

٦ على هذا الوجه ينبغي البحث في المُضاف أيضاً: أعني إن كان فيه اشتراك بالجنس أو إن كان يردُّ إلى الوحدة من وجه آخر. والجدير بالسُّؤال بخاصَّةٍ هنا هو فيما إذا كان وضع المُضاف شيئاً قائماً في ذاته، مثل اليمين والشَّمال والضعف والنَّصف؛ أو إذا كان يصحُّ، على بعض المُضافات مثل المُضاف الأخير/ الذي ورد ذكره، ولا يصحُّ قطُّ على ما ذُكر أولاً؛ أو إنه لا يصحُّ على الحاليتين كليهما. فما القول في الضَّعف والنَّصف، في التَّقريب والإفراط بوجه عام، ثم في الحال والهيئة، في الاضطجاع والجلوس والوقوف، ثم في الوالد والولد، والوالي والمولى؟ وماذا نقول أيضاً في المُتشابه والمُخالف، في المُتساوي وغير المُتساوي، في ١٠
الفاعل/ والمُنفعِل، في القياس والمُقاس؟ وكذلك الأمر في العِلْم والإحساس: فالعِلْم مُتعلِّق بالمَعْلوم، والإحساس بالمَحسوس. فإنَّ للعِلْم في علاقته مع المَعْلوم قياماً مُتحقِّقاً في الذات هو قيام في الوحدة أيضاً من وجه ما، نظرًا إلى مثال معلومه. وكذلك القول في ١٥
الإحساس وعلاقته بالمَحسوس، وفي الفاعل/ وعلاقته بالمُنفعِل إن حَقَّق معه عملاً كان واحدًا في ذاته، وفي القياس في علاقته مع الشَّيء المُقاس. أمَّا المُشابه فما عسى أن يتولَّد عنه في علاقته مع ما يُشابهه؟ الواقع هو أنه لا يُقابِلنا تولَّدُ هنا، بل حُضور، وهو حُضور الكيف ذاته في الطَّرفين كليهما، ولا نجد شيئاً ما عدا هذا الكيف في الطَّرفين. كما أنه لا يتولَّد شيء من

٢٠ المتساويات. فإنَّ الكمَّ ذاته كان/ حاضرًا في كلِّ منها قبل قيامها في وضعها. فهل هذا الوضع شيء يختلف عن حُكْمنا أنَّ نُقبِلَ على الأشياء القائمة في ذواتها ونقول: «إنَّ لهذا الشيء أو لذاك مقدارًا واحدًا وكيفًا واحدًا»، أو: «هذا الشيء أحدث ذلك وهذا الآخر مُتغَلَّبٌ على ذلك الآخر»؟ ثمَّ الجُلوس والوقوف، ما عسى أن يكونا/ إنَّ أبطلنا الجالس والواقف؟ أما الملكة، إذا قيلت في صاحبها، فهي بأن تدلَّ على التَّحصيل أخرى. أما إذا قيلت في المُحصِّل، فإنَّها كيف. وكذلك الأمر في الأحوال. فما عسانا نجد غير ما نحن عليه في ذواتنا وقد تبيَّنَّا هذه العلاقات المُتبادلة مُتجاوِرة بحدودها؟ فالأعظم مقداره المحدود، ولغيره مقداره المحدود أيضًا. / فهذا شيء وذاك شيء آخر. أما المُقارَنة بين الطرفين، فإنَّها تنبعث منَّا غير قائمة في الأشياء. أمَّا العلاقة بين اليمين والشَّمال، وبين الأمام والوراء، فربَّما كانت بأن تُحصَى في مقولة الوضع أخرى: لهذا الشيء هنا وذاك هناك. أمَّا اليمين والشَّمال، فإنَّنا نحن الذين تصوَّرناهما، وليس في الأمور شيء منهما. هذا وإنَّ المُتقدِّم والمُتأخَّر زمانان،/ ونقول فيهما أيضًا إنَّنا نحن الذين تصوَّرنَا الأوَّل مُتقدِّمًا على الآخر.

٧ إنَّ لم نقل شيئًا وكان قولنا باطلًا، فلا شيء بين يدينا من هذه العلاقات، بل لا يكون للعلاقة ذاتها معنى. أما إذا كنا صادقين في قولنا «إنَّ الزَّمان الأوَّل هو قبل الزَّمان الآخر» في مُقارنتنا لزمانين، فإنَّنا نثبت أنَّ الأوَّل شيء يختلف عمَّا نُسند الزَّمان إليه. وكذلك القول في اليمين وفي الشَّمال/ وفي المقادير أيضًا حيثما نجد العلاقة بين الأكثر والأقلَّ مُستقلَّة عنهما؟ كذلك يكون الأمر في العلاقة إذا، ولو لم ننتق بها أو نتصوَّرها. لهذا الشيء ضِعف ذلك، ولهذا مالك وذاك مملوك، وذلك قبل أن نُدرِكهما بالمعرفة. ثمَّ إنَّ المتساويات بعضها مع بعض سابقة لإقبالنا عليها،/ يُماثل بعضها بعضًا بالكيف الواحد الكامن في كلِّ منهما. وكذلك القول في كلِّ ما نقوله فيه إنَّه مُضاف: فعلاقة الأشياء بعضها مع بعض واقعة معها، وإنَّما نُشاهد نحن حُضورها. فالمعرفة مُتعلِّقة بالمعلوم، ممَّا يُقوِّي الدَّلالة على أنَّ لما ينشأ من العلاقة قيامًا في ذاته. وإنَّ كان كلُّ ذلك كذلك، فلنُكفَّ عن البحث فيما إذا كانت العلاقة شيئًا ثابتًا. / على أنَّه لا بدَّ من الانتباه إلى أنَّ هذه الأشياء التي ذكرناها، يبقى بعضها مُتعلِّقًا ببعض، ما دامت هي باقية على حالها، حتَّى ولو انفصل طرف منها عن الآخر. ثمَّ من هذه الأشياء ما لا تنشأ العلاقة بين حدوده إلَّا عند اجتماع بعض هذه الحدود ببعضه الآخر: وإنَّ ثَمَّةَ فئة ثالثة من الأشياء يزول فيها تناسُّب بعضها مع بعض حتَّى ولو بقيت على حالها. وعند ذاك تزول العلاقة زوالًا تامًّا أو تنشأ علاقة أخرى. مثل ذلك مثل ما يتمُّ في اليمين والمُجاوِرة، الأمر الذي أدَّى بوجه خاصَّ/ إلى الظَّنَّ بأنَّه ليس لكلِّ هذه العلاقات التي ذكرناها كيان.

بعد هذه الملاحظات يجب أن نبحث عن الوجه الواحد الذي يجمع بين تلك العلاقات كلها، وعمّا إذا كان بمنزلة الجنس وليس بالعرض. وإن عثرنا على هذا الوجه الواحد، وجب علينا، بعد ذلك، أن نبحث عن قيامه في ذاته كيف يكون. والوجه الذي يجب في المضاف هو ٢٥ أنه لا يقع بمجرّد ما إذا أُسند شيء إلى شيء آخر، مثل أحوال النفس أو الجسد. / كما أنه ليس في كون النفس نفساً لجسد مُعيّن أو في جسد آخر. بل المضاف هو ما لا يأتيه قيامه في ذاته إلا من العلاقة، دون شيء آخر سواها: وليس هذا القيام، بالذات، قيام الأشياء التي تحمل العلاقة، بل قيام ما يُقال فيه إنه مضاف. فإنّ الضّعف في علاقته مع النّصف مثلاً لا يكفل القيام في الذات لطول ذي ذراعين أو للرقم اثنين بوجه عام، ولا لطول ذي ذراع واحد أو للعدد ٣٠ واحد بوجه عام. / ولكن ما دام هذان المقداران حاضرين مع ما بينهما من علاقة، فإنّ لكلّ منهما، فضلاً على كون أحدهما اثنين والثاني واحدًا، أن يُقال في الأوّل إنه الضّعف وأن يكون كذلك حقاً، وفي الآخر، أعني في الواحد بالذات أنه النّصف. فإنّهما أنتجا معاً من ذاتيهما شيئاً آخر وهو كون الضّعف والنّصف، اللذين نشأ مُتعلّقاً أحدهما بالآخر، وليس لهما كيان إلا ٣٥ بالعلاقة المُتبادلة القائمة بينهما: / فكيان الضّعف من كونه أكثر من النّصف، وكيان النّصف من كونه أقلّ من الضّعف. ولا يكون أحدهما مُتقدّماً، والثاني مُتأخّراً، بل هما قائمان معاً في آنٍ واحد. وبعدّ، فماذا من الطرفين إذا قيل فيهما إنهما يقيان معاً دائماً؟ أمّا في حال ما بين الوالد والولد، وما كان من هذا القبيل، فإنّ الولد يبقى الولد بعد غياب الوالد. وكذلك في ما بين ٤٠ الأخ وأخيه: فإن نقول في المرء إنه/ يُشبه الذي مات.

٨] ولكنّا بهذه الاستطرادات قد خرجنا عن الموضوع. على أنه يجب أن ننطلق منها لنبحث في ما سبق ذكره لماذا لم يكن الأمر معه مثلما هو معها. فنسأل عن هذا التّضاف بين الأشياء ما هو المقوم المُشترك الذي ينطوي عليه. من المُستحيل أن يكون هذا المقوم جسماً. بقي أنه، إذا ٥ ثبت، أمر مُنزّه عن الجسميّة؛ فإنّما أن يكون في الأشياء أو أن يكون خارجاً عنها. ثم إذا/ كانت العلاقة هي ذاتها في كلّ حال، فإنّ اللفظ الذي يدلّ عليها وارد بالتّرادف. وإن لم تكن كذلك، بل كانت تختلف باختلاف الحالات، فاللفظ وارد بالاشتراك والتّردّد، فليس يلزم عن القول فيها إنّه علاقة أن تكون دائماً بذات واحدة. هل يجب إذاً في العلاقات أن نميّز بينها على نحو ما يلي: أعني أن تكون لبعض الأشياء علاقة لا تأثير لها، فكأنّا نُشاهدها ممدودة ويقع ١٠ قيامها في ذاتها دفعة واحدة/ بوجود طرفيها معاً في آنٍ واحد. ثم يكون لبعض الأشياء الآخر مُنبعثة علاقته ممّا لديه من قوّة ومن عمل. فتُصبح هذه العلاقة الأخيرة على نوعين: إمّا أن يكون بعض الأشياء مُتعلّقاً ببعض دائماً من وجه ما، وهو على استعداد لقيام العلاقة قبل أن تتمّ

وتتحقق في الجمع بين أطرافها؛ وإما أن يكون أحد الطرفين هو المُحدث من كل وجه، فيقوم الطرف الثاني في ذاته مُحدثًا. وإذا قام هذا المُحدث في ذاته خلع على الأولى إسمًا فقط، في حين أن الأول يكون قد كفل له القيام في الذات؟ من هذا النوع يكون ما بين الوالد والولد، كما ١٥ أن العلاقة بين الفاعل/ والمُنفعل تقتضي شيئًا كأنه فعل وحياة. أوجب تقسيم العلاقات بهذه الطريقة، وهو تقسيم يقتضي نفي ما يكون معنى واحدًا تشترك فيه العلاقات المُختلفة، فتختلف العلاقة طبعًا في أحد الوجهين المذكورين عنها في الوجه الآخر؟ أو يجب القول بأنه ليس ثمة إلا اشتراك في الإسم بين العلاقة الفعالة التي يتولد عنها الفعل والانفعال على أنهما شيء واحد،/ والعلاقة التي لا يحدث شيء عنها، بل تفترض فوق طرفيها فاعلاً يختلف عنهما؟ ٢٠ مثل ذلك مثل التساوي الذي يجعل الأشياء مُتساوية: فإن الأشياء مُتساوية بالتساوي، كما أنها، بوجه عام، مُتماثلة لما يجمع بينها من تماثل. أما العظم فعظيم بحضور العظم، وأما الصغير فصغير بحضور الصغير. وإذا كان الشيء أعظم والآخر أصغر، فلائهما مُشتركان في العظم وفي الصغير: / فالأعظم مُشترك في العظم الظاهر فيه فعلاً، والأصغر في الصغير على الوجه ذاته. ٢٥

٩ يجب في كل الأحوال التي سبقنا وذكرناها، لدى إشارتنا إلى الفاعل وإلى العِلْم مثلاً، أن نتصور العلاقة فاعلة أفاعيلها والفاعلية أيضاً مع البنية المعنوية الكامنة فيها. أما في الأحوال الأخرى فإنها مُشاركة في المثال والبنية المعنوية. ذلك لأنه، إن كان يجب في الحقائق كلها أن تكون أجساداً وجب نفي كل تلك العلاقات/ التي تُقال في المُتضايفات. أما إذا جعلنا المقام الأول للأمور المُنزَّهة عن الجسد والبنى المعنوية فقلنا في العلاقات إنها بُنى معنوية واشتراكات في المُثل، فقد وجب أن نقول في هذه العلاقات إنها أسباب. فإن الضعف في ذاته إنما هو السبب الذي يجعل الشيء ضعفاً، والنصف في ذاته الشيء الآخر نصفاً. ثم إن العلاقات تكون ١٠ حسب ما سمّاها، بعضها بالمثال الواحد ذاته، وبعضها الآخر بالمُثل المُتقابلة. / والواقع هو أن الضعف يلزم الشيء، والنصف يلزم الآخر معاً وفي آن واحد، وكذلك القول في العظم والصغير. أو أن الطرفين يكونان معاً في الشيء الواحد، فيغدو مُتشابهاً مُتخالفًا، ويكون هو ذاته مع كونه غيره. وإن قيل ماذا إذا كان هذا قبيحاً/ وذاك أفتيح، وهما مُشتركان في المثال ذاته؟ قلنا: إذا كان كلاهما في مُنتهى القُبْح، فإنهما مُتساويان بغيب المثال. أما إذا كان القُبْح أشد في الأول وأقل في الثاني، فقلّة القُبْح عند الأقل قُبْحاً لأخذه عن مثال لم يستحكم منه ٢٠ استحكاماً تاماً. ويكون هذا المثال أضعف استحكاماً أيضاً لدى الذي كان أشد قُبْحاً. / أو إن شئنا فلنقل إن المُقارنة بينهما قائمة على الحرمان، فكأنه المثال لديهما. هذا وإن الإحساس مثال ما ينبعث من طرفين، وكذلك القول في العِلْم، إذ إنه مثال ما أيضاً. أما المَلَكَة، فإنها

ليست بالنسبة إلى المملوك قُوَّة ما فاعلة، وكأنَّها تكفل له بُنيانه؛ فهي بمنزلة صنع من وجه ما. والقياس أخيراً إنّما هو قُوَّة فاعلة لدى المقياس، بالنسبة إلى الشَّيء الذي يُقاس؛ وهو بُنية معنوية من وجه ما أيضاً. إذا نظرنا إلى علاقة المُتضايقات نظرنا إلى وحدة جنسية بمعنى أنّها ٢٥ مثال، / غدت جنساً واحداً وأمرًا قائماً في ذاته بمعنى أنّها بُنية معنوية تأتية في كلّ حال من الأحوال. أمّا إذا كانت البُنى المعنوية مُتقابِلة، تنطوي على الفُروق التي ذكرناها، ربّما لم تكن أمام جنس واحد، بل اقتضى الحال أن نجتمع بينها بوجه من التَّشابه وبمقولة واحدة. ولكن، ٣٠ حتّى ولو استطعنا/ أن نجتمع كلّ هذه الفُروق في حالة واحدة، فإنّه يستحيل على المُشائين أن يضبطوا بجنس واحد كلّ ما يجعلونه تحت المقولة الواحدة. هذا وإنَّهم يحصون مع العلاقات سوابها والمُسمَّيات التي تتفرَّع منها مثل الضَّعف وخلافه والضَّعف والتَّضعيف. فكيف يُجعل ٣٥ تحت جنس واحد الشَّيء ذاته/ ومسلوبه، الضَّعف وخلافه، المُتضايغ وغير المُتضايغ؟ فكأنَّما، إذا تصوَّرتنا الحيوان جنساً، تصوَّرتنا معه وفيه غير الحيوان. أمّا الضَّعف والتَّضعيف فيبينهما مثل ما بين البياض والأبيض، وليس كلاهما بمنزلة شيء واحد.

١٠ أمّا الكيف الذي نقول في المُكَيَّف إنّهُ يتفرَّع منه، فينبغي أن نُدرِّكه أوَّلاً ما هو حتّى يحدث ما نعرفه بالمُكَيِّفات. كما أنّه ينبغي أن نتبيّن هذا الكيف إن كان هو ذاته الذي يُحدث الأنواع بمعنى مُشترَك واحد تنطوي الفُروق عليه. وإلّا، إذا وقع الكيف كثير الوجه، ما عُدنا ٥ أمام جنس واحد. فما عسى أن يكون المعنى الجامع بين المَلَكَة/ والحال والكيف المطاوع والشَّكل والصورة؟ وما القول في التَّحيف والضَّخَم والضَّعيف أيضاً؟ إن قلنا في هذا المعنى المُشترَك إنّهُ قُوَّة تنسجم مع المَلَكات والأحوال والقُوَى الطَّبيعية، وبها يستطيع الحصول عليها ١٠ أن يفعل أفعاله، نفينا الإنسجام عن سوابل هذه القُوَّة. / ثمَّ الهيئة والصورة في كلّ شيء جزئي، كيف تكونان قُوَّة؟ بل نقول إنّهُ ليس للحَقَّ قُوَّة قَطُّ، من حيث هو حقٌّ، وإنَّما يكون له ذلك عندما يُردُّ الكيف عليه. أمّا قُوَّة الذات، وهي قُوَّة على أشدَّ ما يكون، فإنَّها تُصبح من قبيل الكيف في حين أنّ لها فعلها من تلقاء ذاتها، وهي ما هي عليه في ذاتها بالقُوَى التي تنفرد ١٥ بها. لكن هل/ يكون الكيف هو القُوَى المُتخلِّفة عن الذات؟ مثل ذلك مثل قُوَّة المُصارعة، وهي ليست قُوَّة الإنسان من حيث إنّهُ إنسان، بل إنّ هذه القُوَّة هي العقل. ومن ثمَّ فليس العقل المعنويّ هنا كيفاً، بل ذلك الذي نكتسبه بالفضيلة، ويكون العقل مُطلقاً بالاشتراك في الاسم. ٢٠ وعليه يغدو الكيف قُوَّة مُتخلِّفة عن الذات تضيف إلى الذات/ كونها بالكيف. أمّا الفُروق التي تُميِّز بعض الدُّرّات عن بعضها الآخر، فإنَّها كيف بالاشتراك في الاسم، وهي بأن تكون قُوَّة فعالة وبُنى معنوية أو أجزاء بُنى معنوية أخرى؛ وليست بشيء أقلَّ دلالة على الذات، حتّى ولو

بدت وَصَفًا للذات المُكَيِّفَة . أما الكيفيَّات الحَقِيقِيَّة التي بها تكون الأشياء بالكيف ، والتي نقول
 ٢٥ فيها إنها قُوَى ، / فإنَّ المعنى الجامع بينها هو أنَّها بُنِيَّ معنويَّة من وجه ما وكأنَّ كلاً منها صورة ،
 فحسن وقبح في مجال النَّفْس وفي مجال البدن أيضًا . ولكن ، كيف تكون كَلْها قُوَى ؟ وإذا صَحَّ
 ذلك على الحسن والصَّحَة في النَّفْس والبدن ، فكيف يصحُّ على القبح والمرض والضعف
 ٣٠ والعجز بوجه عام ؟ نقول : لأنَّه يُقال في الأشياء ، وهي مع تلك الأمور كَلْها ، إنَّها بكيف . /
 ولكن ما هو المانع الذي يمنع من أن نُطلق كَلْ ما نعرفه كيفًا على طريق الاشتراك بالاسم ولا
 على أنَّه بمعنى واحد ؟ وما هو المانع الذي يمنع آنذاك من ألاَّ يكون الكيف بأربعة أصناف فقط ،
 بل أن يكون كَلْ صنف من الأصناف الأربعة بصنفتين على الأقلِّ هو أيضًا ؟ هذا وإنَّ ما يُقال في
 الأمر هنا ، هو أنَّ الكيف لا يتقسم إلى كيف بالفعل وكيف بالانفعال ، ما دام القادر على الفعل
 ٣٥ شيئًا والمُنْفَعِل شيئًا آخر . لكنَّ الشَّيْء يتَّصف بالصَّحَة / مَلَكَة وحالة ، كما يتَّصف بالمرض ،
 وكذلك القول في الضَّعف والتَّشَاط . ولكن إن كان ذلك كذلك ، فليست القُوَّة هي المعنى
 الجامع في الكيف آنذاك ، بل يجب البحث عن شيء آخر يكون هو المعنى الجامع . كما أنَّه لا
 تكون الكيفيَّات كَلْها بُنِيَّ معنويَّة . ولعمري ، كيف يغدو المرض ، وقد أصبح مَلَكَة وحالًا ، بُنِيَّة
 ٤٠ معنويَّة ؟ هل نقول في ما يقع في المُثَلِّ والقُوَى إنَّه وُجوه من الكيف ، / وفي هذه الأحوال
 الكثيرة إنَّها وجوه من الحرمان ؟ لا يضبط الكيف بجنس واحد آنثي ، بل تُرَدُّ وُجوهه إلى الواحد
 بمعنى أنَّها خاضعة لمقولة واحدة . كما هو شأن العِلْم إذ يبدو مثالًا وقُوَّة ، في حين أنَّ الجَهْل
 يكون حرمانًا وعجزًا . ولكنَّ العجزَ صورة من وجه ما ، والمرض أيضًا ، ولديهما مقدرة على
 ٤٥ الكثير وفعل مُتَعَدِّد التَّوَاحِي ولو كان فعلًا لباطل . وكذلك القول في المرض والرَّذيلة . / وإن
 قيل : إنَّهما خطأ في رماية ، فكيف يكونان قُوَّة ؟ قلنا : إنَّ لكلَّ كيف عمله الخاصَّ إذا أغضينا
 النظر عن تسديده إلى الغاية ، وهو لن يأتي بفعل ما لم يكن قادرًا عليه . هذا وإنَّ للحسن أيضًا
 قدرته على أن يفعل شيئًا . أو يصحُّ هذا على المُثَلِّ أيضًا ؟ يجب ، بوجه عام ، ألاَّ ننظر إلى القُوَّة
 ٥٠ في تحديد الكيف ، بل إلى ما يكون الشَّيْء مُعَدًّا له . / ومن ثَمَّ يكون الكيف بمنزلة هيئات
 وطبائع ، ويكون المعنى الجامع فيه كونه الصورة والمثال يقعان على الذات مُتَأَخَّرَيْن عنها .
 ولَكِنَّا نعود ونقول : كيف تتصوَّر القُوَى ؟ إنَّ للقادر على المُصَارَعَة طبعًا قدرته باستعدادٍ ما في
 ٥٥ بدنه ، وكذلك العاجز عن شيء مهما يكن ؛ والكيف إجمالًا إنَّما هو طبع ليس من قبيل الذات . /
 فإنَّ الشَّيْء الواحد إذا بدا مسْهُمًا في كيان الذات تارةً وغريبًا على الذات طورًا ، مثل الحرارة
 والبياض والألوان بوجه عام ، كان كيان الذات مُخْتَلِفًا عنها ، وكأنَّه تحقيق الذات فعلًا . أما
 ذلك الشَّيْء الواحد ، فهو من المقام الثاني ، يُسْتَقَّ من كيان الذات ، على أنَّه شيء يحلُّ في آخر ،
 صورة له وشبيهاً به . ولكن إن كان الكيف في الأشياء عمرانها بالصورة ، وطبعها التي تنفرد به

٦٠ وبُنِيَّتِهَا المعنويّة، / فما القول في ما يكون عاجزاً قبيحاً؟ يجب القول فيه إنه بُنِيَ معنويّة ناقصة، كما هو الأمر في القبح. وفي المرض، كيف تكون البُنيّة المعنويّة؟ إنّها بُنيّة معنويّة نالها التغيّر، وهي بُنيّة الصّحة. لهذا وإنّه ليس كلّ وجه من وجوه الكيف قائماً في بُنيّة معنويّة، بل حسبنا في المعنى الجامع كون الشّيء في وضع من أوضاع الاستعداد، وهو وضع يكون خارج الذات. إنّ ٦٥ ما يُقبل على الذات وبعدها، / فذاك هو الكيف في حقيقته. أمّا المُثلث فهو كيف لما يحلّ فيه، على أنّي لست أعني المُثلث في حدّ ذاته، بل من حيث إنّّه في الشّيء الذي حلّ فيه، وبقدر ما أنّه يُعمّر هذا الشّيء بصورته. ولكنّ الإنسانية تتناول الإنسان هي أيضاً فتعمّره بصورتها. كلا بل إنّها تُحقّقه في ذاته.

١١ ولكن، إذا كان الأمر في الكيف كذلك هو، فلماذا هذه الكثرة الزائدة في أنواع الكيف، ولماذا تختلف المَلَكات عن الأحوال نوعاً؟ إنّ الدّوام وعدمه لا يُشكّلان فرقاً في الكيف، بل الحالة تكفي، مهما تكن، لجعل الشّيء مُكيّفاً؛ أمّا الدّوام فزيادة من الخارج. إلّا ٥ إذا قلنا في الأحوال إنّها، هي فقط، بمنزلة صورة ناقصة، / ولسنا نُسلم بالكمال إلّا للمَلَكات. ولكن إن كانت ناقصة، فما هي بعد ذلك بكيفيّات، وإن تمّ لها أن تكون كيفيّات، فدوامها أمر زائد. ثمّ إنّ القوَى الطّبيعيّة، كيف تكون من نوع آخر؟ فإذا تصوّرنا الكيفيّات على أنّها قوَى، ١٠ لم يصحّ معنى القوّة على كلّ كيف كما ذكرنا. أمّا إذا قلنا في من كان مجبُولاً/ للمُصارعَة إنّّه على هذا الكيف بما هو عليه من استعداد، فإنّ القوّة إذا أُضيفت لا تُحدِث شيئاً، ما دامت القوّة كامنة في المَلَكَة. ثمّ لماذا يختلف، من حيث الكيف، من كان مُتصّفاً بالقوّة عمّن أصبح مُتصّفاً بالعلم؟ فليست هذه الفروق فروقاً في الكيف، ما دام هذا حاصلًا على ما لديه بالتروّض، وذاك ١٥ بالفطرة والجبلة؛ إنّما الفرق أمر وارد من الخارج. ولكن كيف يختلفان من حيث/ المُصارعَة ذاتها في نوعها؟ وكذلك الأمر فيما إذا حصل كيف من انفعال وآخر من غير انفعال، إذ إنّ لا فرق بين كيف وكيف في أصلهما؛ وأعني فرقاً في تبدّلات الكيف واختلافاته. هذا وقد يُقابلنا السّؤال هنا عن الكيفيّات لماذا تُضبط في الجنس الواحد ذاته إذا كانت خارجة من الانفعال وهي في بعضها لا تنفك عنه أصلها، وفي بعضها الآخر على غير ما يقتضيه أصلها. ثمّ إذا كان بعضها ٢٠ يتولّد من الانفعال، وبعضها الآخر يُحدِثه، / غدا الجامع بين الطّرفين الاشتراك في الاسم فقط. ثمّ إنّ الصورة الكامنة في شيء من الأشياء، ما هي؟ إذا كانت بمعنى الشّيء الجزئيّ من حيث إنّّه مثال، فليست كيفًا. أمّا إذا كانت بمعنى الوصف بالحسن أو بالقبح وقد ورد مُتأخّراً عن مثال الشّيء، فإنّ لها بُنيّة الكيف المعنويّة. أمّا الخُشونة واللّيوّنة والكثافة والشّفاف، ٢٥ فالقول فيها إنّها أكياف إنّما قول صادق. والواقع هو أنّ المِساميّة/ واللّيوّنة والشّفافيّة

والكثافة ليست يُتعد بعض الأجزاء عن بعضها الآخر أو بقرب بعضها من بعضها الآخر، كما أنَّ هذه الأكياف لا تتبع دائماً من تتأخر الأوضاع أو تماثلها. حتَّى ولو أنَّها انبعثت عن ذلك، فإنَّ شيئاً لن يمنعها من أن تكون بمنزلة أكياف. أمَّا الخفيف والثَّقیل، فإنَّ حُدودهما إذا عُرِفَت دلَّت ٣٠ على الوجه الذي يجب منه فيهما أن يُحصَيَا. لهذا على أن الخفيف إنَّما يُطلق/ عن طريق الاشتراك بالاسم أيضاً، إلَّا إذا قيل في الزائد والناقص ثقلًا. وإنَّه ينطوي على معنى الخفيف واللَّطيف، وهو معنى محصور في نوع آخر إلى جانب الأكياف الأربعة.

١٢ ولكن إذا بدا كيف أنَّه لا يُقسَم على الوجه الذي ذكرناه فعلى أيِّ وجه يكون تقسيمه؟ فينبغي البحث إذاً عما إذا كان يجب أن يُقال في بعضه إنَّه كيف البدن، وفي بعضه الآخر إنَّه كيف النَّفس. لهذا على أن يُقسَم كيف البدن بتقسيم الحواسِّ، فيُقال فيه إنَّه كيف النَّظر والسمع ٥ والذَّوق واللمس والشمُّ. وكيف النَّفس ما عسى أن يُقال فيه؟/ إنَّه يُقسَم إلى كيف الشَّهوة، وكيف الغضب وكيف العقل الناطق. أو يُقسَم بالفروق بين الأفعال التي تُقابل هذه المَلَكات وتنبعث عنها إذ إنَّ هذه المَلَكات هي في حدِّ ذاتها ملكات مُولَّدة. أو يُقسَم أيضاً وفقاً لمنفعته أو ضرره، فيجب أن نعود ونُميِّز بين منفعة ومنفعة ثمَّ بين ضرر وضرر. ونقول القول ذاته في كيف ١٠ الأبدان: تُقسَم فيه بواسطة أفعاله أو بمنفعته/ وضرره أيضاً، إذ إنَّ ذلك كلُّه فروق تُلازم كيف. فالظاهر هو أنَّ المنفعة والضَّرر هما من كيف والمُكيِّف، أو إنَّه يجب في التقسيم أن يُبحث عنه من وجه آخر. لهذا وإنَّ ما ينبغي إمعان النَّظر فيه هو أنَّه كيف يكون كيف بكيفية محصورة، في هذه الكيفية بالذات. فإنَّه ليس للطرفين جنس واحد. ثمَّ إنَّه إذا صحَّ القول في ١٥ القادر على المُصارعة إنَّه واقع في مقولة كيف، لماذا لا يصحُّ القول ذاته/ في القادر على الفعل؟ وإذا صحَّ ذلك، فإنَّ القادر على الفعل مُكيِّف أيضاً. ومن ثمَّ فإنَّه يجب في القادر على الفعل ألا يُحصَى من المُتضايقات، وكذلك في القابل للانفعال أيضاً، اللهمَّ إن كان القبول للانفعال كيفاً. على أنَّه ربَّما كان الخير في القادر على الفعل أن يُدرج في مقولتنا، ما دام يُقال فيه إنَّه كذلك هو، وما دامت القوَّة كيفاً. لكن إذا كانت القوَّة من حيث إنَّها قوَّة، من قبيل ٢٠ الذات، فليست من قبيل التَّضايقات آنذاك، كما أنَّها/ ليست كيفاً. ثمَّ ليس القادر على الفعل بمنزلة «ما يكون الأعظم» إذ إنَّ «للأعظم» من حيث إنَّه أعظم، قيامه في ذاته بالإضافة إلى «الأصغر». أمَّا «القادر على الفعل»، فإنَّ قيامه في ذاته بكونه، في أنه، على هذه الحال المُعيَّنة أو تلك. ولكِنَّه ربَّما غدا مُكيِّفاً بكونه على حال مُعيَّنة. أمَّا من حيث إنَّ قدرته تقع على غيره، فإنَّه أمر مُضاف، ما دام يُقال فيه إنَّه «قادر على الفعل». ولماذا لا يكون «القادر على المُصارعة» ٢٥ مُضافاً هو أيضاً، حتَّى والمصارعة ذاتها؟/ فإنَّ المُصارعة إنَّما تكون بالإضافة إلى شيء آخر،

وليس فيها علم قط إلا ويكون بالإضافة إلى الآخر. ورُبما وجب السؤال عن الفنون الأخرى أو معظّمها، والقول فيها بما يلي: من حيث إنها تجعل النفس في حال ما، فهي أكياف. أما من حيث إنّ لها أفعالها، فهي فواعل، وهي، بهذا المعنى، موجهة إلى شيء آخر ومضافات. ٣٠ فضلاً على/ أنها مضافات من وجه آخر أيضاً، على نحو يقال فيه عنها إنها ملكات. فهل يكون للشيء قيام في الذات آخر بمعنى كونه قادراً على الفعل بالرغم من أنّ القادر على الفعل ليس شيئاً آخر؟ نعم، وذلك بقدر ما أنّه مُكَيَّف. والواقع هو أنّه رُبما كنّا نجد قياماً ما في الذات بمعنى القدرة على الفعل لدى كلّ منفس، ولا سيما عند كلّ ذي إرادة،/ وذلك بما فيهما من ميل إلى العمل. أما في القوى التي لا نفس لها، والتي دعوانها أكيافاً، فما عسى أن تكون قدرتها على العمل؟ نُجيب: إذا ما قرن بشيء آخر، تَمَّت لهذا الآخر القدرة على الفعل وأصاب من ذاته نصيباً ممّا لديه. وإذا كان الشيء ذاته هو الذي يفعل على غيره ثمّ يفعل بغيره، فأين قدرته على الفعل؟ نقول: إنّ الأمر هنا كما هو في ما يكون طوله، في حدّ ذاته، أذرعاً ثلاثاً،/ فهو أكبر أو أصغر في مقارنته مع غيره. وإذا قال قائل إنّ الأكبر والأصغر إنّما يكونان بواسطة الاشتراك في الكبير والصّغير، قلنا: وهنا أيضاً اشتراك، وهو اشتراك في القدرة على الفعل والقبول للانفعال. لهذا وإنّه يجب السؤال هنا أيضاً عمّا إذا كان الكيف في العالم الحسّي واقعاً تحت مقولة واحدة مع الكيف في العالم الروحانيّ. وهو سؤال موجه لمن يُسلّم ٤٠ بوجود كيف روحانيّ./ حتّى ولو لم يكن مُسلماً بوجود المُثُل، فإنّه ما دام يُسلّم بوجود الروح ويقول فيه إنّهُ ملكة، ينبغي له أن يتساءل عمّا إذا كان يجمع بين الروح هنا والروح هنالك معنى جامع. لهذا وإنّه لا بُدّ من التّسليم بوجود الحكمة أيضاً. فإذا كان بينها وبين الحكمة هنا اشتراك في الإسم فقط، فإنّها لا تُحصى مع أمورنا الدنيويّة حتماً. وإذا كان الاشتراك بينهما في المعنى، غدا الكيف هو المعنى الجامع بين الطّرفين؛ إلا إذا قال قائل ٥٠ في الأمور الروحانيّة إنّها كلّها هي والعرفان أيضاً من قبيل/ الذات. ولكنّ هذا سؤال يشمل المقولات الأخرى أيضاً، وهو السؤال عمّا إذا كانت تقع في طبقتين، طبقة العالم الحسّي وطبقة العالم الروحانيّ، أو إن كانت الطبقتان تُردّان إلى جنس واحد.

١٣] أمّا المقولة «متى»، فالبحت فيها يجري على نحو ما يلي. إنّ «الأمس» و«الغد» و«السنة الماضية» وما على شاكلة من أجزاء الزّمان، لماذا لا نجعل هذه الأمور كلّها حيث نجعل الزّمان؟ فإنّ الماضي والحاضر والمستقبل، وهي أنواع في الزّمان، قد صُنّفت بالصّواب ٥ حيث كان الزّمان مُصنّفاً. ولكنّه قيل/ في الزّمان إنّهُ من قبيل الكمّ، فما هي حاجتنا إلى مقولة أخرى بعد ذلك؟ ورُبما قيل أيضاً في الماضي والمستقبل وفي «الأمس» و«السنة

الماضية»، وهما داخلان في الماضي (إذ إنه يجب في هذه التَّحْدِيدَات كُلُّهَا أن تكون خاضعة للماضي، قيل إذاً في ذلك كله إنه لا يدلُّ على الزَّمان الواقع فعلاً فقط، بل على الزَّمان متى يقع. فإذا كان «المتى» زماناً، كان ذلك كله زماناً أيضاً. هذا أولاً. / ثم إذا كان «الأمس» زماناً ماضياً غداً شيئاً مُرْغِباً ما دام الماضي شيئاً والزَّمان شيئاً آخر. فلنسا أمام مقولة واحدة بعد ذلك بل أمام مقولتين. وقد يُقال أيضاً في «المتى» إنه ما يكون في الزَّمان وليس زماناً. فإذا قيل ذلك قلنا: إذا قالوا في ما يكون في الزَّمان إنه الأمر الواقع، مثل قولنا في سقراط إنه كان في الأمس، فإن سقراط شيء/ يرد من الخارج آنذاك، ولا يكون ما يُشِيرُون إليه أمراً قائماً في الوحدة. لكنَّ كون الأمر الواقع أو كون سقراط في الزَّمان، ماذا يعني سوى الكون في جزء من أجزاء الزَّمان؟ بيد أنَّهم زُبَّما كانوا يعنون به جزءاً من أجزاء الزَّمان، ويرون أنَّهم، ما داموا يذكرونه على أنه جزء ما، لا يُشِيرُون بذلك إلى شيء هو الزَّمان فقط، بل إلى جزء من الزَّمان وقد مضى. وإذا كان ذلك كذلك، فإنَّهم يَضْمِنُون معناهم أكثر من شيء واحد. فعلى الجزء ٢٠ الذي هو، من حيث إنه جزء، شيء مُتَضَايف/ يزيدون الماضي وهو عندهم من مضمونات الزَّمان، وإن شئنا فلنقل إنه يدلُّ على ما يدلُّ عليه الفعل «كان» بالذات، أعني على نوع من أنواع الزَّمان. أما إذا ميَّزوا بين «ما كان» على أنه غير محدود وبين «الأمس» و«السَّنة الماضية» على أنَّ مدلولهما محدود، فإنَّنا نُدرج «ما كان» في وجه من الوجوه؛ هذا أولاً. ثم يكون «الأمس» «ما كان» وهو محدود، فيغدو «الأمس» زماناً محدوداً، / وهو يدلُّ على الزَّمان ما مداه؛ وإذا كان الزَّمان كماً، كان كلُّ تحديد من تلك التَّحْدِيدَات كماً محدوداً. أما إذا كانوا يعنون، عندما يذكرون «الأمس»، أنَّ هذا الحادث أو ذاك وقع في زمان مضى معيَّن، كانوا بأن يذكروا أكثر من شيء واحد أخرى أيضاً. وأخيراً إن لم يكن بُدٌّ من سياق مقولات جديدة عندما نجعل شيئاً ٣٠ في آخر، مثلما هو الأمر في ما يكون/ الزَّمان، اكتشفنا، من جعلنا الشَّيء في آخر، مقولات جديدة كثيرة. وسيكون القول في ذلك أوضح بمُعالِجَتنا مسألة «الآين» في ما يلي.

١٤ إنَّ «الآين» ففي «الليسي» مثلاً أو في «الأكاديميا». فإنَّ «الأكاديميا» و«الليسي» مكانان بالمعنى المُطلَق وجزءاً مكان، كما أنَّ «فوق» و«تحت» و«هنا» أنواع أو أجزاء للمكان، وهي لا تميِّز عن الأجزاء الأولى إلَّا بأنَّها أشدُّ وضوحاً. إنَّ «فوق» و«تحت» و«الوسط»، كلُّ هذا مكان إذاً، فالوسط هو «دِلْفِي» مثلاً. / ثم إنَّ ما يكون إلى جانب الوسط مثل «أثينا» و«الليسي» وغيرهما، هو مكان أيضاً. وإنَّ كان الأمر كذلك، فلماذا ينبغي علينا أن نبحث عن مقولة أُخْرَى تختلف عن المكان، ولا سيَّما أنَّنا، عندما نذكر هذه الأمور، ندلُّ على المكان في كلِّ حالة من تلك الأحوال؟ أما إذا كنَّا نُشير «بالآين» إلى كون شيء في شيء آخر، فإنَّنا لا نلتزم بأمر

١٠ قائم في وحدته، كما إننا لا ننطق بأمر بسيط. ثم إن قلنا في هذا المرء إنه ههنا، أحدثنا علاقة/ بين هذا المرء وبين ما يكون فيه، وهي العلاقة القائمة بين الحاوي والمحتوى عليه. فلماذا لا نكون هنا أمام مُتضايِف، ما دُنا أمام شيء نشأ من العلاقة الجامعة بين طرف وآخر؟ ثم ما هو الفرق بين الـكون «هنا» والـكون في «أثينا»؟ لكتهم يقولون في أداة الإشارة «هنا» إنها تدل على المكان، فيصحُّ الأمر على القول في «أثينا» أيضًا؛ ومن ثم فإنَّ للكون «في أثينا» علاقة ١٥ بالمكان. / هذا وإن كان القول «في أثينا» يعني «كون الشيء في أثينا»، باتت مقولة «الكون» زيادة على مقولة المكان. والذي يجب هو خلاف ذلك، كما أنه ليس «كون الكيف» هو مقولة، بل الكيف فقط. فضلًا على أنه لو كان يجب في ما يقوم في الزمان وفي المكان أن يكون شيئًا آخر ثابتًا إلى جانبيهما مُختلِفًا عنهما، فلماذا لا نقول في ما يكون وعاء/ إنه يُشكِّل مقولة أخرى؟ وكذلك الأمر في الهوى، وفي المحل، وفي الجزء القائم في الكل أو الكل القائم في الأجزاء، وفي الجنس مع أنواعه والتَّوَع مع جنسه. فيزداد لدينا بذلك عدد المقولات.

١٥ أَمَا في ما نعرفه «بالفعل» فيمكننا أن نلاحظ ما يلي. لقد قيل: ما دامت لوازم الذات تأتي بعدها، والكميَّة والعدد من هذه اللوازم، كان الكمُّ جنسًا مُعيَّنًا؛ ثم ما دامت الكيفيَّة من لوازم الذات أيضًا، كان الكيف جنسًا آخر أيضًا. فإنَّ صَحَّ هذا صَحَّ كذلك أن يقال: ما دام ٥ القيام بالفعل يلزم الذات، كان الفعل جنسًا مُختلِفًا هو أيضًا. فهل شأن/ الفعل أو القيام بالفعل الذي يُشتقُّ الفعل منه، مثلما يكون شأن الكيفيَّة التي يتفرَّع الكيف منها؟ أو إنه يجب القيام بالفعل هنا أن نتصوره واحدًا مع الفعل والفاعل؟ إنَّ الفعل أوضح إشارة إلى الفاعل؛ ولا يصحُّ هذا على القيام بالفعل، كما أنَّ الفعل يتحقَّق في القيام بفعل ما، أعني الفعل مُحقَّقًا. فالمقولة ١٠ إذا أخرى بأن تكون الفعل مُحقَّقًا، / أعني الفعل الذي قيل فيه إنه بُعدٌ من لوازم الذات، مثلما هو الأمر في الكيفيَّة. فإنه يلزم الذات مثلما تلزمها الحركة التي هي بدورها جنس من أجناس الحقائق. ولعمري، لماذا تكون الكيفيَّة التي تلزم الذات جنسًا على حياله، والكمُّ أيضًا ١٥ والمُضاف القائم بوساطة علاقة بين شيء وآخر، ثم لا تكون الحركة هي أيضًا/ جنسًا قائمًا على حياله ما دامت هي أيضًا من لوازم الذات؟

١٦ قد يُقال في الحركة إنها فعل ولما يبلغ تمام تحقيقه. فإنَّ صدق ذلك لم يمنعنا مانع من أن نجعل الفعل المُحقَّق في المُقدِّمة ونضع الحركة نوعًا داخلًا فيه من حيث إنها فعل لم يبلغ تمام تحقيقه. فيكون الفعل مقولتها والتَّقْصَان لاحقًا من لواحقها. ثم لا يُقال فيها إنها شيء ناقص، لنفي كونها فعلًا. فهي فعل من كلِّ وجه، ولكَّه فعل ينطوي على استئناف مُستمرٍّ

٥ لتحقيقه. / ولا يعني هذا الاستثنا في الحركة أنّها بلغت كونها فعلاً إذ إنّها فعل على كلّ حال. بل يعني أنّها تُحقّق شيئاً يختلف عنها وهو مُتأخّر عليها. وليست هي التي تُدرك كمال تحقيقها عند ذلك، بل الأمر الذي كانت إليه ساعية. فإنّ السّير مثلاً، إنّما كان سيراً منذ بدايته. إن كان يجب في المرء أن يقطع فرسخاً/ ولَمّا يقطعه، فليس التّقصان نقصان السّير أو الحركة بل نقصان السّير في مسافة ما. فإنّ للسّير قيامه وقدره، وكذلك الحركة، إذ إنّ أقلّ ما يُقال في المُتحرك أنّه أخذ في التّحرك، وفي من يقطع شيئاً إنّهُ أخذ في عمله وهو يقطع. ومثلما أنّ المعروف بالفعل مُحَقَّقاً لا يحتاج إلى زمان، كذلك الحركة أيضاً. إنّما تحتاج الحركة/ إلى زمان إذا كانت حركة إلى حدٍّ مُعيّن. ثمّ إن كان الفعل المُحقّق مُستقلاً عن الزّمان فالحركة أيضاً، إنّما أعني الحركة بوجه عام. أمّا إذا كان لا بدّ من أن تكون في الزّمان لأنّ التّواصل يلازمها، فإنّ البصر الذي لا يكفّ عن الإبصار يكون في تواصل مُستمرّ هو أيضاً، ولا يقع إلّا في الزّمان. ويشهد على ذلك ما يُقال عن طريق التّناسب من أنّك تستطيع دائماً أن تأخذ من/ الحركة جزءاً مهماً يكن، ثمّ لا تجد بعد ذلك بداية للزّمان الذي تقع فيه الحركة ومنه تنطلق. كما أنّك لا تجد بداية للحركة ذاتها آنذاك. بل جلّ ما تجده هو أنّ هذه الحركة قابلة للتّقسيم مهما صعدت فيها إلى الجهة التي تُقابلك منها. ومن ثمّ فإنّ الحركة ذاتها التي تُشاهدها مُنطلقة في التّحرك تكون منذ زمان ليس له نهاية، وتكون هي أيضاً مُقبلة عليك ممّا ليس له نهاية. إنّ هذا القول ناتج/ عن الفصل بين الفعل مُحَقَّقاً وبين الحركة. يقولون في الفعل مُحَقَّقاً إنّهُ لا يتمّ في الزّمان، أمّا الحركة فيقولون فيها إنّها تحتاج إلى الزّمان. ولا يعنون الحركة المُقدّرة بالكمّ فقط، بل كلّ حركة مُطلقاً ذاهبين إلى أنّها، في حقيقتها، تقتضي أن تكون مُقدّرة بالكمّ. على أنّهم يُسلّمون مع ذلك بأنّ الكمّ عَرَضٌ يطرأ عليها ولو كانت تُقدّر بنهار أو بقدر آخر/ من الزّمان مهما يكن. فمثلما لا يتحقّق الفعل في الزّمان، كذلك لا يمنع الحركة مانع من أن تبتدئ مُبرأة من الزّمان، ويقع الزّمان عليها لأنّها مُقدّرة بالكمّ. ولا غرو، فإنّهم يُسلّمون بوجود تغييرات تقع مُستقلة عن الزّمان، وكذلك في قولهم: «فكأثما تغير لا يتمّ بالدّفعة الواحدة». وإذا صَحّ لهذا على التّغير، لماذا لا يصحّ/ على الحركة أيضاً؟ هذا على أنّهم لا يعنون هنا التّغير وقد أدرك مُنتهاه؛ فإنّ التّغير إذا تحقّق وانتهى، لا حاجة إليه بعد ذلك.

١٧ زُيماً قيل في الفعل مُحَقَّقاً إنّهُ لا يحتاج في حدّ ذاته إلى أن يكون جنساً؛ وكذلك الأمر في الحركة، بل يمكن ردها إلى المُضاف. فإنّ الفعل مُحَقَّقاً إنّما هو فعل فاعل بالقوّة، وإنّ الحركة فعل مُحرك بالقوّة من حيث إنّهُ مُحرك. فإن قيل لهذا، وجب علينا أن نقول في المُضاف ٥ إنّ العلاقة هي التي تولّده ولا/ مُجرّد القول فيه إنّهُ مُتعلّق بشيء آخر. إنّ الشّيء إذا قام في ذاته،

حتى ولو كان خاصّة غيره أو كان مُتعلّقًا بغيره، فأقلّ ما يُقال فيه هو أنّه حاصل على طبيعته قبل كلّ علاقة. ولا يُنفى عن الفعل مُحقّقًا هو ذاته أن يكون وأن يُعرف في حدّ ذاته قبل كلّ علاقة. كما أنّه لا يُنفى عن الحركة وعن المَلَكَة على كونها شيء آخر. وإلّا لَغدا كلّ شيء أمرًا مُضافًا، / إذ إنّ لكلّ شيء مهما يكن علاقة بكلّ شيء مهما يكن، كما هو الأمر في النَّفس ذاتها. ولماذا لا يُردّد القيام بالفعل والفعل هما أيضًا إلى المُضَاف؟ فإنّها حركة أو فعل مُحقّق على كلّ حال. فإنّ كانوا يردّدون القيام بالفعل إلى المُضَاف ويجعلون الفعل جنسًا قائمًا في وحدته، فلماذا لا يردّدون / الحركة أيضًا إلى مقولة المُضَاف، ويجعلون التَّحريك جنسًا قائمًا في وحدته؟ ومن ثمّ فلماذا لا يُقسّمون التَّحريك من حيث أنّه أمر قائم في وحدته إلى نوعين، نوع الفعل ونوع الانفعال فيكفّون عن قولهم في الفعل أنّه جنس وفي الانفعال أنّه جنس آخر؟

١٨] والآن يجب البحث في ما يلي. أولًا: فيما إذا كانوا يقولون في الفعل مُحقّقًا وفي الحركة إنّهما داخلان في مقولة الفعل، فيتّم الفعل مُحقّقًا دُفْعَة واحدة، ويكون الأمر في الحركة مثلما نجده في القَطْع، إذ إنّ القطع واقع في الزّمان. أو إنّهم يرون كلّ ما يدخل في مقولة الفعل أنّه حركة أو مُقرّون بها. ثانيًا: فيما إذا كان كلّ قيام بالفعل مُقيّدًا بالانفعال أو إنّ منه ما يكون / مُستقلًّا مثل السَّير أو القول. ثالثًا: فيما إذا كان المُتقيّد بالانفعال حركة كلّهُ والمستقلّ عن الانفعال فعلًا مُحقّقًا، أو إنّ كلًّا من الطّرفين في الطّرف الآخر. الواقع هو أنّهم يقولون في السَّير، وهو مُطلّق من كلّ قيد، أنّه حركة، وفي العرفان، الذي لا ينطوي على شيء ينفع، إنّّه هو ذاته فعل مُحقّق. لهذا في ما أرى. أو إنّّه يجب القول / في العرفان وفي السَّير إنّهما لا يدخلان في مقولة الفعل. فبينغي أن يُقال لنا أين نجعلهما آنذاك. ربما كان العرفان مُتعلّقًا بالمعلوم، مثل المعرفة، إذ إنّ الحسّ مُتعلّق بالمحسوس. وإن كان الأمر كذلك، فما بال الإحساس لا يكون هو أيضًا مُتعلّقًا بالمحسوس؟ أجل، إنّ للحسّ / المُتعلّق بما يختلف عنه مع هذا الذي يختلف عنه علاقة لا محالة؛ لكن له أيضًا شيئًا غير العلاقة، وهو كونه فعلًا مُحقّقًا أو انفعاليًا. وإذا كان الانفعال أمرًا فضلًا على كونه انفعاليًا لشيء وناجبًا عن شيء، فإنّ الفعل مُحقّقًا شيء يختلف عن علاقته بشيء هو أيضًا. والواقع هو أنّ للسَّير ذاته كونه سيرًا لشيء، سيرًا للأقدام، وسيرًا مُحدّدًا بشيء؛ غير أنّ له كونه حركة أيضًا. / فيصعّ على العرفان إذا، فضلًا على كونه مُتعلّقًا بشيء أن يكون حركة أو فعلًا مُحقّقًا.

١٩] هذا وإنّه لا بُدّ من البحث عن بعض الأفعال المُحقّقة فيما إذا كانت لا تبدو ناقصة ما دامت خارجة عن الزّمان بحيث تصبح هي والحركات شيئًا واحدًا، مثلما هو الأمر في الحياة

وفي القيام في الحياة. فإنَّ القيام في الحياة لدى كلِّ شيءٍ إنَّما يقع في زمان مُكتَبَل حَدُّه، وإنَّ
 ٥ السَّعادة فعل مُحقَّق لا يقع في لحظة عابرة، بل تبدو السَّعادة وكأنَّها بمثابة الحركة. ومن ثمَّ/
 وجب القول في الأمرين إنَّهما حركتان، وكانت الحركة شيئًا قائمًا في وحدته وجنسًا واحدًا
 أيضًا، فتصوُّرها لازمة للذات هي أيضًا إلى جانب الكيف والكمِّ. وإن شئت فقل في الحركات
 إنَّها جسميَّة أو نفسيَّة، أو إنَّها حركات تنبعث من الشَّيء وحركات تنبعث من غيره مُتوجَّهة إليه،
 ١٠ أو حركات تخرج منه أو/ حركات تخرج من غيره. فالأولى أفعال مُتعلِّقة بأشياء أُخرى أو مُطلقة
 من كلِّ قيد، والثانية انفعالات لا يتفعل الشَّيء بها. بيد أنَّ الحركة التي تتناول الشَّيء هي
 الحركة التي تخرج من غيره. فإنَّ القطع قطع واحد، مُنبعثًا من القاطع وواقعًا على المقطوع،
 ولكنَّ للقطع وهو فعل معنى كما أنَّ له معنى آخر إذ هو انفعال. ورُبَّما لم يكن القطع واحدًا
 ١٥ مُنبعثًا من القاطع وواقعًا في المقطوع. بل إنَّ القطع فعلًا يعني في المقطوع حدوث حركة
 خلفت فعل القاطع وحركته مُنبعثة منهما مُتخلِّفة عنهما. بل رُبَّما لم يكن الفرق بالقطع انفعاليًا
 ٢٠ في حدِّ ذاته، بل بتأثير آخر يُقبل عليه، كالآلم مثلاً؛ فإنَّ في الآلم الانفعال. / ولكن ما عسى أن
 يحدث في حال غياب الآلم؟ ماذا يحدث سوى فعل الفاعل الواقع على هذا الشَّيء أو ذاك؟
 الواقع إنَّ القيام بالفعل يكون كذلك إذا ورد بهذا المعنى. فإنَّه بهذا المعنى قيام بالفعل يقع على
 وجهين: من حيث إنَّه ليس ثابتًا في غيره من وجه، ومن حيث إنَّه ثابت في غيره من الوجه
 الآخر. فلا يُقابلنا قيام بلا فعل من ناحية وتأثير بالانفعال من ناحية أُخرى بعد ذلك. بل إنَّ قيام
 ٢٥ الفاعل بفعله الواقع في غيره جعلنا نعتقد في القيام بالفعل وفي التَّأثير بالانفعال أنَّهما اثنان. /
 فالكتابة مثلاً، على وقوعها في شيء آخر، لا تستدعي إحداث الانفعال، لأنَّها لا تُحدث في
 اللوح شيئًا سوى فعل الكاتب وقد أنجزه، فلا تُحدث ألماً مثلاً. وإذا قال قائل قد كُتب على
 اللوح، فلا يعني بذلك حدوث انفعال. وفي السَّير أيضًا، فإنَّنا لا تصوِّر الأرض مُنفصلة به، ولو
 ٣٠ كانت الأرض/ هي التي يقع عليه. بيد أنَّنا عندما نمشي على جسم حيوان تصوِّر تأثيره بالانفعال
 لأنَّنا نُفكِّر بالآلم الذي يُلَازم سيرنا عَرَضًا، لا سيرنا ذاته؛ وإلَّا لَحَدَّثَ لنا هذا التَّصوُّر في سيرنا
 على الأرض. كذلك هو الأمر في كلِّ حال: فمن حيث القيام بالفعل يجب القول فيه إنَّه شيء
 واحد مع ما يُخالفه ونُسَمِّيهِ حَدُوثَ بالانفعال. أمَّا ما نقول فيه إنَّه التَّأثير بالانفعال، فإنَّه يقع بعد
 ٣٥ ذلك/ المُزدوج الواحد ولا يُخالفه. لا يختلف الحرق فاعلاً والحرق مفعولاً مثلاً، بل ينشأ من
 الطَّرفين، وهما واحد، ما يقع طارئاً على الشَّيء سواء أكان ألماً أم شيئاً آخر كالحرق مثلاً. ثمَّ
 ماذا؟ إذا فعل ذلك فاعل وقصده أن يؤلِّم، أليس يكون الفاعل شيئاً والمُنفعل آخر ولو كانا
 ٤٠ ينبعثان كلاهما من فعل مُحقَّق واحد؟ كلا! / ليس في الفعل مُحقَّقاً عمل إرادة للإيلام؛ بل
 الفعل يُحدث شيئاً آخر بوساطته يقع الآلم. فإنَّ ما يحدث في من يقع الآلم عليه هو شيء قائم

في وحدته وهو الذي يحدث أمرًا يختلف عنه، أعني التألم. ماذا إذا؟ إنَّ هذا الأمر الواحد الذي حدث، أنقول فيه إنه، قبل أن يحدث قطُّ ألمًا، ليس انفعالاً يُؤثر في ما يقع عليه، كالسمع مثلاً؟ ٤٥
كلّا! ليس السَّمع انفعالاً ولا الاحساس بوجه عام، بل التألم هو الذي يعني الكون في الانفعال وليس بين الانفعال والقيام بالفعل تقابل.

٢٠ فلفترض أنه ليس بينهما تقابل! لكنَّ الانفعال، مع ذلك، يختلف عن الفعل فلا يُحصى مع القيام بالفعل في جنس واحد. بلى! إذا كان كلاهما حركة غدا كلاهما من جنس واحد. فالاستحالة مثلاً حركة من حيث الكيف. فهل يتمُّ الفعل والقيام به على بقاء الفاعل مُنزَّهاً عن الانفعال عندما يكون التغيير مُنبعثاً منه؟ الواقع هو أنه ما دام مُنزَّهاً عن الانفعال، فإنه لم يزل فاعلاً؛ وما دام فعله واقعاً على غيره، حينما يُصارع مثلاً، فيفعل هو بدوره، فإنه ليس فاعلاً عند ذلك. لكنَّ الفاعل لا يمنع قطُّ مانع من أن يتأثر بانفعال. وإن كان التأثير بالانفعال من وراء الفاعل ذاته، مثلما يكون الأمر في القَرْك، فلماذا تُرجَّح إثبات الفعل على إثبات الانفعال؟ نقول: لأنَّ الفارق يفرق بدوره فينفع. فهل يُقال في المُحرَّك إنه إذا حرَّك بدوره، ينطوي على/ حركتين؟ وكيف تكون الحركتان؟ كلّا! بل نحن أمام حركة واحدة. ولكن كيف تكون هذه الحركة هي ذاتها قياماً بفعل وتأثيراً بانفعال؟ نقول: إنها قيام بفعل من حيث إنها مُنبعث من شيء، وتأثير بانفعال من حيث إنها واقع على شيء آخر، وهي على الحالتين كليهما واحدة. أو نقول في الانفعال إنه حركة أخرى؟ ثم كيف تُغيَّر المتأثر بالانفعال فتجعله شيئاً آخر ثم يكون الفاعل مُنزَّهاً عن الانفعال؟ وكيف/ ينفع ما يفعل في غيره؟ أو نقول في الذي يحدث الانفعال إنه كون الحركة في شيء آخر وهو ليس انفعالاً لدى الفاعل؟ ولكن إذا كان الأوَرُّ العراقي أبيض في معناه البذري ذاته، فجاء أبيض منذ ولادته، أنقول فيه إنه ينفع إذ يسير إلى اكتماله في ذاته؟ وما القول فيما إذا جاء البياض بعد ولادته؟ ثم جعل شيء شيئاً آخر ينمو، وأخذ هذا الآخر في النماء، أيكون النامي متأثراً بانفعال؟ أو إنَّ الانفعال لا يقع إلّا في الكيف؟ بل إذا كان شيء يجعل الشيء الآخر حسناً، ثم أصبح هذا الآخر حسناً، فهل يقع انفعال على ما أصبح حسناً؟ فإذا انحطَّ قدر الذي يكفل الحسن للشيء وزال، مثل القصدير، وأصبح الآخر، الثُّحاس المطليّ بالقصدير، أرفع قدراً، أفنقول في الثُّحاس/ إنه المُنفعل وفي القصدير إنه الفاعل؟ كيف يكون الانفعال لدى طالب العِلْم عندما ينتقل إليه فعل الفاعل مُحققاً؟ بل كيف يقع انفعال ما دام هذا الفعل واحداً؟ الواقع هو أنه ليس الفعل في حدِّ ذاته انفعالاً، بل المُنفعل هو الذي يتلقاه، إذ يُصيبه آنذاك تأثير انفعال. كما أنه لا يتأثر بمعنى أنه لا يقوم بفعل هو ذاته. فإن من يتعلَّم بمثابة من يُصير،/ وليس كلاهما كمن يُضفع، بل يقوم كلاهما بفعل هو الإدراك والمعرفة.

٢١ بماذا نعرف الانفعال إذا؟ الواقع أننا لا نعرفه بالفعل مُحَقَّقًا والفعل صادر من غير المُنفعل، إذا كان من يَتَلَقَّى هذا الفعل مُحَقَّقًا يَتَطَوَّر به فيجعل فعله الخاص. هل نعرفه إن لم يكن ما يُقَابِلنا فعلًا مُحَقَّقًا، بل انفعالًا فقط؟ وما عسانا نقول إذا ازداد المُنفعل حسناً وانحطَّ قدر الفعل لدى تحقُّقه؟ أو إذا كان الفاعل مُندفعًا بالشرِّ وأمر بالفحشاء؟ نقول: لا نرى مانعاً من أن يكون السوء / في جانب الفعل مُحَقَّقًا ومن أن يكون الحسن في جانب الانفعال. بماذا نُمَيِّز بين الفعل والانفعال إذا؟ أبأن ينبعث الفعل من الشَّيء ذاته فيقع على غيره في حين أنَّ الانفعال يصدر ممَّا يختلف عمَّا يحلُّ فيه؟ وما عسانا نقول آنذاك إذا انبعث من الشَّيء ذاته ما لا يقع على غيره، مثلما هو الأمر في العرفان وفي التَّصوُّر؟ وقد يضطرم المرء من تلقاء ذاته بعد تفكُّر دام أو بدافع / سَوَرَةٍ من غضب وهو لم يثره من الخارج ثائر. بل رُبُّما كان الفعل حركة مُنبِعثَةٍ من الفاعل سواء أقام في الفاعل ذاته أم وقع على شيء آخر مهما يكن. وكيف نُعرِّف الشَّهوة وكل رغبة إذا؟ إنَّ ما يُحرِّك الرُّغبة هو الشَّيء المرغوب فيه، إلَّا إذا لم تكن لنهمل الأصل الذي حرَّكها ١٥ على أنَّها نشأت بعده. وما الفرق / بينهما آنذاك وبين صفة صُفَعنا بها أو دُفَع رمتنا على الحضيض؟ ربُّما وجب في الرِّغبات أن تُمَيِّز بينها تلك التي يُقال فيها إنَّها أفعال وهي تابعة للروح، وتلك التي تكون جوانب وهي انفعالات. أمَّا الانفعال فإنَّه ليس بأن ينبعث من شيء آخر أو من الشَّيء ذاته، إذ إنَّ شيئاً قد يحدث فعلاً في ذاته. إنَّما ينفعل الشَّيء عندما يعتره تغيير ٢٠ وهو غير مُسمَّه فيه، / فلا ينتهي هذا التَّغيير إلى الشَّيء ذاته، بل يحطُّ من قدره أو لا يرفع من مقامه. فإنَّ التَّغيير إذا كان كذلك، كان هو الانفعال والتَّأثير به. ولكن إذا كان التَّسخين ابتغاه للحرارة، كان شيئاً يتناول الذات من ناحية ولا يتناولها من أخرى، فيغدو التَّأثير بالانفعال ٢٥ وانتفاؤه أمراً واحداً. وما بال التَّسخين / لا يكون على وجهين؟ أو إن شئنا فلنقل في التَّسخين إنَّه عندما يتناول الذات إنَّما يتناولها في حين كون المُنفعل شيئاً آخر. فاللُّحاس مثلاً يُصهر بالحرارة وينفعل، لكنَّ الذات هي التَّمثال، وليس هو الذي تفعل فيه الحرارة فعلها، إلَّا عن طريق ٣٠ العَرَض. وإذا ازداد اللُّحاس حسناً من وراء تسخينه / أو من حيث إنَّ التَّسخين أصابه، فلا يمنع مانع من أن يُقال فيه إنَّه انفعال. فإنَّ الانفعال على وجهين: حطُّ قدر ورفع مقام أو إنَّه لا يكون على هذا ولا على ذاك.

٢٢ إنَّ الانفعال يقع إذا بأن تكون في الشَّيء ذاته حركة هي بمعنى التَّغيير مهما يكن. أمَّا الفعل فإنَّما بأن تكون في الشَّيء حركة مُنبِعثَةٍ من ذاته، مُطلَقة من كلِّ قيد، وإمَّا بأن تكون لهذه الحركة مُنبِعثَةٍ من الشَّيء صائرة إلى غيره يطلبها ما يُقال فيه إنه يفعل. فالحركة في الطَّرفين. ٥ والفرق الذي يُمَيِّز / الفعل عن الانفعال هو أنَّ الفعل، من حيث كونه فعلاً، يبقى بالحركة مُنْزَعاً

عن الانفعال. أما الانفعال فبأن يتحوّل الشيء إلى غير ما كان عليه قبل ذلك ثم لا يُصاب
 المُنفعل بشيء في ذاته، فإنّه إذا نشأت ذات جديدة تحوّل المُنفعل إلى شيء آخر. إنّ التّحقّق
 الواحد ذاته إذا يكون فعلاً من وجه وانفعالاً من وجه آخر. إذا نظر إليه وهو في طرف، كان/
 فعلاً؛ وإذا نظر إليه في طرف آخر كان انفعالاً؛ لأنّ الأوضاع في هذا الطّرف جعلت في هيئة
 مُعيّنة، على أن تبقى الحركة هي ذاتها في الطّرفين كليهما. وإنّه ليكاد يظهر من ذلك كلّ أنّ
 الطّرفين مُتضايغان، ويكون ما في الفعل مُتعلّقاً بالانفعال بمعنى أنّ التّحقّق ذاته إذا انبعث من
 طرف كان فعلاً، وإذا انبعث من الطّرف الآخر كان انفعالاً. / فلا يُنظر إلى أحد الطّرفين من
 حيث ما يكون هو في ذاته، بل إلى الفعل مع علاقته بالانفعال والعكس بالعكس. «هذا يُحرّك
 وذلك يُحرّك»، وكلّ منهما مقولة. أو «هذا يمدّ بالحركة وذلك يتلقّاها». فالأمر إذاً أمر تلقّي
 وإمداد فهو أمر تضايّف. أو إن شئنا فلنقل: إذا كان في الشيء ذلك الذي يتلقّاه، كما يقال إنّ في
 الشيء لوناً، فلماذا لا تكون الحركة فيه أيضاً؟ ثمّ الحركة المُطلقة من كلّ قيد، كحركة السّير
 مثلاً، من توافرت لديه، قيل إنّها حركته، كما يكون العرفان عرفانه أيضاً. هذا وإنه يجب في
 العِلْم السابق أن يُبحث عنه إن كان فعلاً، وكذلك في التّوجيه بالعِلْم السابق إن كان انفعالاً. فإنّ
 العِلْم السابق يقع على الشيء ويتعلّق به على أنّه شيء آخر. فالواقع هو أنّ العِلْم السابق ليس
 فعلاً، ولو كان العِلْم مُتعلّقاً بالشيء على أنّه شيء آخر، كما أنّ التّوجيه بالعِلْم السابق ليس
 انفعالاً. / وما كان العِلْم ذاته فعلاً إذ إنّ العِلْم لا يُؤثّر في المعلوم ذاته، بل يتعلّق به. فإنّ العِلْم
 لا يكون قطّ قياماً بفعل كما أنّه يجب في التّحقّقات ألاّ يقال عنها إنّها أفعال كلّها أو إنّها تفعل
 شيئاً، إذ إنّ القيام بالفعل إنّما يكون في الفعل عَرَضاً. ماذا إذا؟ إذا خَلَفَ السائر آثاراً، ألا نقول
 ٣٠ في ما خَلَفَ إنّهُ فعل؟ ألا، إنّ هذه الآثار منه، ولكن، من حيث كونه شيئاً آخر. / أو إن شئنا
 فلنقل إنّ الفعل هنا يقع عَرَضاً، وتحقّقه أيضاً لأنّ السائر لا يقصده هو في حدّ ذاته. وبعد، فإنّا
 نقول في غير ذي الثّمس إنّهُ يفعل، فنقول في النار إنّها تحرق وفي الدواء إنه فعل مفعوله. هذا
 وحسبنا من ذلك كلّ ما ذكرنا.

٢٣] أما مقولة المُلك، فإن كان المُلك مُتعدّد المعاني، لماذا لا تُردُّ أنواع الملك كلّها إلى
 هذه المقولة؟ ومن ثمّ، فإنّا نردُّ إليها الكَمّ لأنّه يملك المقدار، والكيف لأنّه يملك اللّون،
 والوالد وما على شاكلة لأنّ الوالد يملك الولد، والولد يملك الوالد، وهكذا كلّ ما يملك
 ٥ إجمالاً. / أما إذا سلكتنا أنواع المُلك الأخرى في عداد المقولات الأخرى، وحصرنا في مقولة
 الملك الأسلحة والثّعال وكلّ ما يتعلّق بالبدن، فأول ما يُقابلنا هو السّؤال عن ذلك لماذا. ولماذا
 نجعل «ملك هذه الأشياء» مقولة واحدة تمتاز عن غيرها، ثمّ لا نجعل الحرق أو القطع والدّفن

تحت الثرى والإبادة مقولة أخرى أو مقولات أخرى؟ كان ذلك لأننا نضع هذه الأشياء كلها على
 ١٠ البدن، فإذا طرحنا القميص على سرير/ حصل لدينا مقولة أخرى أيضاً غير التي تحصل عندما
 نرتديه. أما إذا كانت مقولتنا بمعنى المُلْك والملكة، فواضح أنه يجب في الأشياء الأخرى كلها
 التي يُقال عنها إنها من قبيل الملك، أن تُردَّ هي أيضاً إلى الملكة حيث تكون إذ إن المملوك ليس
 ١٥ بذي بال. لهذا وإنه يجب في الكيف ألا نقول فيه إنه ملك، لأن الكيف سبق/ إثباته، ولا في
 الكم أيضاً لأنه في ذاته هو كم؛ ولا في الجزء أخيراً لأنه سبق إثباته ذاتاً. وإن كان ذلك كذلك،
 فلماذا نقول في الأسلحة إنها ملك ما دمنا قد أثبتنا كونها ذاتاً؟ فإن الأسلحة ذات والأحذية
 أيضاً. وبوجه عام، كيف يكون القول: «إن لهذا الشخص سلاحاً ملكه» قولاً بسيطاً، داخلًا في
 مقولة واحدة؟ فإنه قول يدل على أن هذا الشخص مُسلَّح. ثم هل يصحُّ هذا القول في الحي
 ٢٠ فقط،/ أو في الشيء إن كان تمثالاً علَّقت عليه تلك الأسلحة؟ إن «الملك» يختلف مع
 الحالتين، فيما يبدو، وإنما الاشتراك في اللفظ، ما دام الانتصاب هو ذاته ليس بمعنى واحد
 مع الحالتين كليهما. وبعد، هل من المعقول في ما يقع في هذه الحالات القليل عددها أن يكون
 له مقولة جنسية جديدة؟

٢٤ أما الوضع فإن له حالات قليلة هو أيضاً كالاضطجاع والجلوس. على أن الوضع ليس
 من الأمور التي تُقال مطلقة من كل تكييف، بل يُقال «هذا الوضع أو ذاك أو وضعه في هذه الهيئة
 أو تلك». والهيئة شيء آخر. وما دام وضع الشيء لا يعني إلا «أن هذا الشيء في مكان»، وما
 ٥ دامت الهيئة والمكان قد ورد ذكرهما،/ فما هي الحاجة إلى أن تُجمع هاتين المقولتين في مقولة
 واحدة؟ ثم إذا كان القول «قد جلس» يدل على فعل مُحَقَّق، وجب إدراجه في الأفعال؛ وإذا دلَّ
 على انفعال ففي «ما نفعل» أو «ما يفعل». أما القول «قد ارتفع» فلا يعني إلا أنه في جهة
 «فوق». فهو مثل القول «إنه في جهة تحت» أو «إنه في الوسط». وإذا كان الاضطجاع في مقولة
 ١٠ «الإضافة» لماذا لا يكون/ فيها «المُضطجع» أيضاً؟ ثم إن «اليمين» في المقولة ذاتها، و«القائم
 في اليمين» و«القائم في الشمال» أيضاً. لهذا ما نقوله في موضوع البحث هنا.

٢٥ وهناك الذين يجعلون المقولات أربع، فيوزعون الأشياء على أربعة وجوه: الجوهر
 والكيف والجدة والإضافة. ثم إنهم يجمعونها بمعنى مُشْتَرَك واحد ويتصورونها كلها في جنس
 واحد. ولأنهم يجمعون الأشياء كلها بمعنى واحد ويتصورونها واقعة تحت جنس واحد، فإنهم
 ٥ يفسحون المجال لأقوال كثيرة./ ذلك بأن هذا المعنى الجامع الذي يدعونه يبدو على أنه شيء
 غير واضح وغير معقول، كما أنه لا يصحُّ على الأمور الجسمانية ولا على المُنْزَهِة عن

الجسمانية. ثم إنهم لم يدلوا بالفروق التي يُقسم ذلك المعنى الجامع بمقتضاها. فضلاً على أن هذا المعنى الجامع إما أن يكون حقاً وإما ألا يكون. فإن كان حقاً، كان نوعاً من أنواع الحق؛ وإن لم يكن حقاً، كان الحق والباطل شيئاً واحداً. بله ما سوى ذلك/ من الاعتراضات لا يُحصى عددها. ولكن قصدنا أن نُنوع هذه الاعتراضات الآن، وأن نحصر بحثنا في التقسيم ذاته. إنهم يجعلون الأمور التي تُسند الأشياء إليها في المقام الأول، على أنهم يقدمون الهيولى على غيرها فيُسوون بين ما يرون أنه الأصل الأول وبين ما يليه. وأول ما يُؤدّي إليه ذلك هو أنهم يجعلون المُتقدّمات والمُتأخّرات في مقام واحد،/ مع أنه يستحيل علينا أن نجعل المُتقدّم والمُتأخّر في جنس واحد. ففي الأشياء التي تتضمّن مُتقدّماً ومُتأخّراً يستمدّ المُتأخّر كيانه من المُتقدّم. أما الأشياء التي تقع تحت جنس واحد، فإنّ كلّاً منها يحظى بكونه من هذا الجنس على التّساوي، ما دام يجب في هذا الجنس أن يكون هو الأمر الواحد/ الذي بوساطته يُقال في الأنواع كلّها ما هي. على أنّهم، مع ذلك، يقولون في الهيولى، فيما أظنّ، إنّ كلّ ما سواها يتلّقى كيانه منها. لهذا وإنهم يعدّون المُسند إليه واحداً، فلا يأتون على الحقائق بإحصائهم، بل يبحثون عن أصولها. وشتان ما بين القول في الأصول والقول في الحقائق. أمّا إذا قالوا في الهيولى إنّها هي الحقّ وحدها،/ وفي غيرها إنّها أحوالها، فإنّه كان ينبغي لهم ألا يسلكوا الحقّ والأشياء الأخرى في جنس واحد. ولكانوا بالقول الصّواب أخرى لو أقاموا الذات من ناحية وأحوالها من الناحية الأخرى، ثم ذهبوا يُقسّمون الأحوال بعد ذلك. ولهذا يعود إلى القول في الأمور التي تُسند الأشياء إليها إنّها قائمة من ناحية، وفي الأشياء الأخرى إنّها قائمة من الناحية الثانية. في حين أنّ ما تُسند الأشياء إليه هو واحد ولا ينطوي على تفريق إلّا على التّفريق/ الذي يكون بالتّجزؤ، فكان المُستند إليه آتليّ حجج يُجزّأ إلى أجزاء. مع أنّ المُسند إليه بالأ يُقال فيه إنّهُ يتجزّأ أخرى، ما داموا يعتقدون في الذات أنّها لا تتجزّأ.

٢٦ أمّا القول الأبعد عن المعقول على وجه الإطلاق هو أن يُجعل ما يكون بالقوّة مُتقدّماً على الأشياء كلّها وألا يُقدّم الفعل مُحققاً على القوّة. فإنّ ما يكون بالقوّة لن ينتقل يوماً إلى حال الفعل مُحققاً، ما دام له مقام الأصل في عالم الحقائق. والواقع هو أنّه لن يُحقّق ذلك من تلقاء ذاته، بل يجب فيه وجهان: إمّا أن يتقدّمه ما يكون بالفعل مُحققاً،/ فلا يعود هو أصلاً بعد ذلك، وإمّا أن يقولوا فيهما إنّهما قائمان معاً، فيُخضعون الأصول للاتّفاق والمُصادفة. وبعد إذا كانا قائمين معاً، فلماذا لا يُقدّم ما يكون فعلاً على ما يكون بالقوّة؟ ولماذا يكون لهذا الأخير أوفر حقّاً، ولا ذاك؟ وإذا كان القائم بالفعل مُحققاً هو المُتأخّر، فبأي معنى؟ فإنّ الهيولى لا تُحدِث المثال، كما أنّه لا تُحدِث الكيف، وهي من الكيف محرومة؛ فلا ينبعث الفعل مُحققاً

١٠ ممّا يكون بالقوّة، / وإلّا لَغدا لهذا الأخير مُنطويّاً على ما يكون بالفعل مُحَقَّقاً وبطل في كونه حدّاً بسيطاً. هذا وإنّ الإله عندهم يحلّ المقام الثاني بعد الهيولى إذ إنّ جسد مُرَكَّب من مثال وهيولى. فأنتى له المثال؟ إن توافر له بدون حُصول الهيولى كان الإله في الأصل مثلاً، فكان بُنية معنويّة مُنزّهة عن الجسميّة، وغدا الفاعل الأوّل مُنزّهاً هو أيضاً عن الجسمانيّة.

١٥ أمّا إذا خلا من الهيولى وكان مع ذلك / مُرَكَّباً في ذاته، على أنّه أمر جسمانيّ، فإنّهم يلجأون إلى هيولى جديدة تكون الهيولى الرّبانيّة. ثمّ كيف تكون الهيولى أصلاً وهي جسد؟ فإنّ جسداً لن يكون من غير كثرة، وإنّ كلّ جسد، فمن هيولى أوّلاً وكيف ثانياً. وإن كان لهذا الجسم على خلاف ذلك، قيل في الهيولى إنّها جسم عن طريق الاشتراك في الاسم. أمّا إذا قيل

٢٠ في الأجسام إنّ المعنى الجامع بينها هو كونها بالأبعاد الثلاثة، / فالذي يعني هو الجسم الهندسيّ آنذاك. وإذا أضافوا الصّلاية إلى الأبعاد الثلاثة، لم يكن ما يعنون بذلك شيئاً واحداً، إذ إنّ الصّلاية كيف أو من قبيل كيف. ثمّ إنّ الصّلاية من أين تأتي؟ ومن أين يكون الجسم بالأبعاد الثلاثة؟ أو إن شئنا فلننقل من هو الذي أقام الامتداد؟ فإنّ الكون بالأبعاد الثلاثة لا ينطوي على الهيولى في بُنيته المعنويّة. كما أنّ الهيولى في بُنيته المعنويّة

٢٥ لا تنطوي على الكون بالأبعاد الثلاثة. / فإذا ما نال الهيولى شيء من الكمّ بطلت في كونها أمراً بسيطاً. ثمّ أنتى للجسم وحدته؟ فإنّه ليس بوحدة في واقعه، بل كان واحداً بوساطة اشتراكه في الوحدة. كان ينبغي إذا أن يُفكروا بأنّه يستحيل عليهم أن يُقدّموا الحجم على الأشياء كلّها، فيضعوا ما ليس بحجم والواحد أوّلاً، ثمّ ينطلقوا من الواحد ليتنهوا إلى الكثرة، وممّا ليس

٣٠ بالكمّ ليتنهوا / إلى ما يكون بكمّ. فإنّ أقلّ ما يُقال في الأمر هو أنّ الكثرة لا تكون ما لم يكن الواحد، وكذلك الأمر في ما يكون بالكمّ وما يكون عنه مُنَزّهاً. وإذا كان القائم بالكمّ واحداً، فإنّ وحدته لا تأتيه من ذاته، بل من اشتراكه الواحد عَرَضاً. يجب في ما يكون أوّلاً واصلاً أن يُقدّم على ما يكون بالعَرَض إذا. وإلّا فكيف يقع العَرَض؟ ثمّ يجب في العَرَض أن يبحث عن

٣٥ الوجه الذي وقع عليه. ولو / فعلوا ربّما عثروا على الواحد الذي لا يكون واحداً بالعَرَض. لهذا على إتي أعني بالشّيء أن يكون عَرَضاً ألا يكون واحداً من تلقاء ذاته، بل باستمداده الوحدة من غيره.

٢٧ ثمّ إنّ كان ينبغي لهم إلى جانب ذلك كلّ أن يراعوا لأصل الأشياء كلّها حرمة في مقامه السامي. فلا يجعلون أصلاً ما كان من الصّورة محروماً، للانفعال قابلاً، من الحياة خالياً. وهو شيء لا روح له ولا نور ولا حدّ يضبطه. ثمّ إنّهم ينسبون الذات إلى هذا الشّيء أجل إنّهم يُلحِقون الإله بذلك كلّ ابتغاء الرّثاء. / ولكّنه إله يستمدّ كيانه من الهيولى وهو مُرَكَّب متأخّر؛

بل إنه الهيولى في حال من أحوالها . ثم إذا كانت الهيولى هي التي تُسند الأشياء إليها ، فلا بدّ من شيء آخر يُؤثّر فيها وهو خارج عنها فيُتيح لها أن تكون مُسندًا لما ينبعث منه إليها . أمّا إذا كان ذلك الإله هو ذاته في الهيولى على أنه محلّ تُسند/ الأمور إليه وقد نشأ مع الهيولى ، فإنه لا يُتيح للهيولى أن تكون للأشياء مُسندًا ، كما أنه لا يسعه أن يكون هو ذاته مُسندًا مع الهيولى . ولعمري ، ما عسى أن يكون الشيء الذي يغدو أنّ له مُسندًا ، وقد زال ما كان يجعله مُسندًا بعد فناء الأشياء كلّها في ما ادّعوه مُسندًا للأشياء؟ فإنّ المُسند إليه من باب المُضاف ، وليس مُضافًا إلى ما يكون فيه ،/ بل إلى ما يكون فيه كامنًا وهو يفعل . ثم إنّ المُسند إليه هو على هذه الحال بالنسبة إلى ما ليس بمُسند إليه . ويعني هذا أنه كذلك بالنسبة إلى شيء خارج عنه ؛ فأصبح هذا الأمر في الخارج عنه مُهملاً . أمّا إذا كانوا لا يحتاجون إلى شيء يردّ على المُسند إليه من الخارج ، وإذا كان بوسع المُسند إليه ذاته أن يكون كلّ شيء بتشكلاته المُختلفة (كما أنّ الراقص يتحوّل برقصه إلى الهيئات كلّها)/ لم يكن لدينا مُسند إليه ، بل كان المُسند إليه هو الأشياء كلّها . ولا غرو ، فإنّ الراقص ليس مُسندًا تُسند إليه الهيئات التي يتكيّف بها ، إذ إنّها كلّها أفعاله . وكذلك في ما يدعونها الهيولى : ليست هي المُسند للأشياء كلّها إذا كان ما سواها مُتفرّعًا عنها . ولعلّ الأولى أنه ليس من شيء سواها مُطلقًا ما دامت الأشياء الأخرى هي الهيولى في حال من أحوالها كما أنّ الراقص/ هو هيئاته كلّها التي بها يتكيّف . وإن لم تكن الأشياء الأخرى ، أدّى عدمها إلى القول في الهيولى إنّها لبست مُسندًا تُسند الأمور إليه ، بل إنّها ليست شيئًا من الأشياء . ولكتّما ما دامت هيولى فقط انتفى عنها حتّى كونها هيولى . ولا غرو ، فإنّ الهيولى من قبيل المُضاف ، والمُضاف مُتعلّق بغيره وهو من جنسه ، فيقال في الضّعف مثلاً إنّهُ يتعلّق بالضّيف ، ولا يُقال في الذات إنّها مُتعلّقة بالضّعف . / فكيف يتعلّق الحقّ بالباطل إلّا عن طريق العرّض؟ أمّا الشيء الذي يكون في ذاته فإنّ علاقته بالهيولى علاقة الحقّ بالحقّ . وإن كان ما من شأنه أن يقع قوّة فقط ، أعني لم يكن ذاتًا ، لم تكن الهيولى ذاتًا هي أيضًا . فينتج عن ذلك أنهم يعيرون على غيرهم جعله الذات ممّا ليس ذاتًا ، ثمّ يجعلون هم من الذات ما ليس ذاتًا . فإنّ العالم ،/ من حيث إنه عالم ، ليس ذاتًا عندهم . وإنّه لغريب ، لعمري ، أن تكون الهيولى ، وهي المُسند إليه ، ذاتًا ، ثمّ لا تكون الأجسام أشدّ ذاتيّة ؛ وأغرب أيضًا ألا يكون العالم أشدّ ذاتيّة من الأجسام ، بل لا يكون ذاتًا إلّا بقدر ما يكون جزءًا من المُسند إليه . كما أنه بعيد عن المعقول ألاّ يستمدّ الحيوان ذاته من النّفس ، بل من الهيولى فقط ، وأن تكون النّفس/ حالًا من أحوال الهيولى ومُتأخّرة عليها . فأنت للهيولى أن تكون منفوسة ، وأنتى للنّفس بوجه عام أن تكون قائمة في ذاتها؟ بل كيف تُصبح الهيولى في بعض الأحيان أجسامًا ، ثمّ تكون النّفس في جزء آخر من أجزائها؟ فإذا ورد المثال من الخارج ، لن تنشأ قطّ نفس بقبول كيف على الهيولى ، إنّما تنشأ

٤٥ أجسام لا نفس لها. أمّا/ إذا أثبتنا شيئاً يجبل هو الهيولى ويصنع النّفس، فإنّ قَبْل النّفس تحدّث تلك التي تحدّث.

٢٨ لكنا نقف عند هذا الحدّ من قولنا ما دامت الاعتراضات على هذا الافتراض كثيرة. فإنّ الردّ على هذيان بهذا الوُضوح ضرب من الهذيان أيضاً. وهو ردّ تكون غايته الدّلالة على أنّهم يُقدّمون الباطل كأنّه الحقّ في معناه الأعظم، كم أنّهم يجعلون الأوّل آخرًا والآخر أوّلًا. وسبب ذلك هو أنّهم يتّخذون الإحساس والاعتقاد/ دليلين لإثبات الأصول وغيرها. يعتقدون في الأجسام أنّها هي الحقائق، ثم يروّعهم تحوّل بعضها إلى بعضها الآخر، فيتصوّرون ما يكون باقياً تحتها أنّه هو الحقّ. فكأنّ المرء إذا تصوّر المكان ظنّ فيه أنّه بأن يكون هو الحقّ أخرى من الأجسام، لأنّ الفساد لا يعتريه. / والواقع هو أنّ المكان ثابت لديهم. ولكن يجب ألاّ نتصوّر حقّاً كلّ شيء ثبت على الدّوام، بل أن نتبيّن أوّلًا ما هي الأوصاف التي تلزم الحقّ حقّاً، والتي إذا حضرت حضر معها البقاء على الدّوام. فإنّ الظّل الذي يبقى دائماً وهو يُلازم شيئاً يتغيّر ليس أجدر من الشّيء بأن يكون حقّاً. ثم إنّ العالم المحسوس مع ما تُسنّد الأمور إليه ومع الأشياء الأخرى الكثيرة،/ إنّما يُصبح هو الكلّ الذي بكثرته يغدو بأن يكون الحقّ أجدر من الشّيء الواحد الثابت في ذلك المُسنّد إليه. وإذا كان الكلّ هو الحقّ حقّاً فكيف يكون المُسنّد إليه حقّاً وهو الباطل؟ هذا على أنّ الأشدّ غرابة في رأيهم هو أنّهم، بالرّغم من اطمئنانهم للإحساس في كلّ شيء، يجعلون حقّاً ما لا يُنال بالحوسّ. وليسوا على صواب في وصفهم الهيولى بالصّلاية، إذ إنّ الصّلاية من قبيل الكيف. / وإذا قالوا في الهيولى إنّها تُدرّك بالروح، فبالله من روح غريب هذا الروح الذي يُقدّم الهيولى عليه هو ذاته، ويعترف للهيولى بأنّها الحقّ، وهو أمر لا يعترف لذاته هو به. فما داموا يعتقدون في هذا الروح أنّه ليس حقّاً، كيف يطمثون إليه مخبراً عمّا فوقه وليس بين الطرفين قطّ تجانس؟ هذا وإنّا قد سبق لنا وقلنا القول الكافي في هذه الطّبيعة وفي ما تُسنّد الأمور إليه على/ اختلاف أنواعه.

٢٩ وبعد، فلا غرو إن كان الكيف عندهم شيئاً يختلف عن المُسنّد إليه، وهو أمر يُسلّمون به. وإلّا لما كانوا يُصنّفون الكيف في مقام آخر. على أنّه إن كان شيئاً آخر، وجب فيه أن يكون هو أيضاً من البسائط. فكان حيثيّة غير مُركّب، وليس فيه هيولى من حيث كونه كيّفاً، وكان مُنزّهاً عن الجسمانيّة وفعّالاً؛ وغدت الهيولى تحتها لتنفعل به. / أمّا إن قلنا في الكيف أنّه مُركّب، فإنّا نقول هذياناً. فإنّ هذا التّقسيم يجعل البسيط والمُركّب في طبقة واحدة ومن جنس واحد. هذا أوّلًا. ثمّ إنّ، ثانياً، يُثبت كلّاً من النوعين في الآخر. فكانا نفسُ العِلْم

١٠ ونقول إنه عِلْمُ قواعد اللُّغة من ناحية، وعِلْمُ قواعد اللُّغة مع شيء آخر من الناحية الأخرى. /
أما إذا قالوا في الكيف إنه الهيولى مُكَيِّفَة، فأوّل ما ينتج عن قولهم هو أنّ البُنَى المعنويّة تكون
هيولانيّة في نظرهم. فلا تُقبل على الهيولى بحيث يُشَيِّئ الطَّرْفان مُرَكَّبًا ما، بل تكون مُرَكَّبَة من
مثال وهيولى قبل المُرَكَّب الذي تُحدِثه. وهذا يعني أنّ تلك البُنَى المعنويّة ليست مثالاً ولا بُنَى
معنويّة، وإن قالوا في البُنَى المعنويّة إنّها ليست إلّا الهيولى في حال من أحوالها، ساقهم ذلك
١٥ إلى القول في الكيف/ إنه من قبيل الوضع ووجب تصنيفه في الجنس الرابع. ولكن إن كان لهذا
الوضع عَلاقة جديدة، فما الفرق بينه وبين غيره؟ لا شك في أنّ الوضع هنا أوفر قيامًا في
الذات، ولكن إن لم يكن في الوضع هنالك قيام في الذات أيضًا، فلماذا يحصونه على أنّه
٢٠ جنس واحد أو نوع واحد؟ فإنه يستحيل على الحقّ والباطل أن يجتمعا في صنف واحد. / ولكن
ما عسى أن يكون هذا القائم بوضع مُعيّن والواقع على الهيولى؟ إنه إما أن يكون شيئًا حقًا، وإما
أن يكون باطلاً. فإن كان شيئًا حقًا، كان شيئًا مُنَزَّهًا عن الجسميّة تنزيهاً تامًا. وإن كان باطلاً،
فالقول فيه قول باطل، وهو هيولى فقط، وما كان الكيف شيئًا. وكذلك الأمر في القائم بالوضع
المُعَيّن أيضًا إذ إنه أشدّ بُطلانًا. أما ما يقولون فيه إنه من الجنس الرابع، فهو بأن يكون أشدّ
٢٥ بُطلانًا أخرى أيضًا. ومن ثمّ كانت الهيولى هي الحقّ وحدها. ولكن من عساه أن/ يُخبرنا عن
ذلك؟ ليست الهيولى هي التي تُطلّعنّا عليه. وإن لم تكن تُطلّعنّا عليه هي، كان الروح هو الذي
أخبر، أعني الروح على أنّه الهيولى في حال من أحوالها. مع أنّ قيامها في هذه الحال من
أحوالها فضول في الكلام لا معنى له. ومهما يكن من أمر، فإنّ الهيولى هي التي تخبر عمّا نحن
فيه وتُدريكه. وإن كان ما تُخبر عنه شيئًا معقولًا، كان من الغريب أن تعرف وأن تقوم بأفعال
٣٠ النُّفس وهي لا تملك روحًا ولا نفسًا. أما إن كان قولها غير معقول، وهي تتنكر آنذاك بما لم
تكن عليه في ذاتها، ويستحيل عليها كونها به، فإلى من ينبغي ردُّ هذا الهذيان؟ إلى الهيولى، إن
كان القول قولها. ولكنّها ليست هي القائلة، بل القائل هو الذي حصل فيه منها الشّيء الكثير،
وهو منها بكامله. وإن كان جلّ ما يُقال فيه هو أنّه حاصل على نفس، فإنه يجهل نفسه ويجهل
٣٥ الملكة التي يتمتّع بها والتي تستطيع أن تقول القول الصادق في تلك الأمور كلّها. /

٣٠ أما الأشياء التي تكون في حال من الأحوال، فإنه من الغريب أن تُصنّف في المقام
الثالث أو في مقام آخر مهما يكن ما دام كلّ منها حالًا من الأحوال التي تلزم الهيولى. لكنهم
يقولون في ما يكون على حال من الأحوال إنّ بعضه يختلف عن بعضه الآخر. فكون الهيولى
على هذا الحال أو تلك شيء، وكون الأشياء في حال من الأحوال شيء آخر. ثم إنّ الكيف
٥ يُلازم الهيولى وهي على حال من/ أحوالها؛ أما الأشياء التي تكون في ذاتها على حال من

الأحوال، فإنَّها تُلازمُ الكيف. بيد أنَّه ما دام الكيف ليس إلَّا الهيولى وهي على حال من أحوالها، عاد الأمر عندهم في الأشياء التي تكون على حال من الأحوال إلى أن تردَّ إلى الهيولى، وأصبحت هذه الأشياء لازمة للهيولى. فكيف يغدو ما يكون على حال من الأحوال صنفًا واحدًا وهو ينطوي على الفروق الكثيرة في نطاق ما هو عليه في ذاته. كيف يُجعل في ١٠ صنف واحد ما يُقدَّر بثلاثة أذرع،/ وما يكون أبيض في حين أنَّ الأوَّل قائم بالكَمِّ والآخر بالكيف؟ وكيف نقول ذلك في «الآين» وفي «المتى»؟ ثمَّ بوجه عامٍّ في أيِّ معنى يُقال في التَّحديدات «الأمس» و«العام الماضي» و«في المعهد» و«المجمع» إلَّها في حال من الأحوال؟ وما هو معنى كون الزَّمان في حال من الأحوال بوجه عامٍّ؟ كلاً لا يُقال هذا القول عن الزَّمان، ولا عمَّا يكون في الزَّمان، ولا عمَّا يكون في المكان ولا عن المكان ذاته. / ولعمري، من أيِّ وجه يُقال عن الفعل إنَّه في حال من الأحوال؟ ذلك بأنَّه لا يُقال في ١٥ الفاعل إنَّه في حال من الأحوال، بل إنَّه فاعل من وجه ما. أو إنَّنا لا نقول فيه إنَّه فاعل من وجه ما إنَّه فاعل فقط. كما أنَّ المُنفعل ليس في حال من الأحوال، بل إنَّه مُنفعل من وجه ما أو إنَّه، إجمالاً، مُنفعل ما دام كذلك. رُبَّما لا يقع الكون على حال من الأحوال إلَّا على الوضع وعلى ٢٠ الملْك. بل الصَّحيح في الملْك أنَّه ليس كون الشَّيء على حال من الأحوال/ بل كون الشَّيء مالِكًا فقط. أمَّا المُضاف فإنَّه لو كانوا يجعلونه مع المقولات الأخرى في صنف واحد، لأدَّى بنا الأمر فيه إلى قول آخر. فنبحث عمَّا إذا كانوا يعترفون بضرب من القيام في الذات لمثل تلك العلاقات. والواقع هو أنَّهم كثيرًا ما ينفونه عليها. وبعد، فإنَّه من الهذيان أن تتصوَّر شيئًا واقعًا ٢٥ على الأشياء الموجودة ونصنّفه معها في طبقة واحدة فنجعله مع ما يتقدَّمه في جنس واحد./ فإنَّه لا بُدَّ من الواحد والاثنين أوَّلًا حتَّى يكون النِّصف والضعف. لهذا وإنَّ ثَمَّة الذين ذهبوا في الحقائق أو في أصولها مذاهب أخرى. فلنبحث في أقوالهم إذا سواء أجمعوا الحقائق بما لا نهاية له أم مُتناهية، جسمانيَّة منزَّهة عن الجسميَّة، أو تصوَّروها مُركَّبة من الطَّرفين. وبوسعنا أن نخوض هذا البحث، مُنفردين بكلِّ مذهب على حياله، مُتقيِّدين/ بأقوال القُدَّماء للرَّد على هذه ٣٠ المذاهب كلّها.

الفصل الثاني

(٤٣)

في الحقِّ وأجناسه (المقال الثاني)

١ لقد أمعنا النَّظْرَ في الأجناس التي تُعرَف بالأجناس العشرة. ثمَّ أتينا على ذكر هؤلاء الذين يردّون الأشياء كلّها إلى جنس واحد ويجعلون تحته طبقات أربعا كأنّها أنواع. فيلزم عن ذلك كلّهُ أن يُبدي رأينا في الموضوع ما عسى أن يكون مُحاولين أن نردّ ما يبدو لنا إلى مذهب أفلاطون. هذا وإنه لو/ كان يجب في الحقِّ أن نتصوّره واحداً، لمّا وجب أن نطرح الأسئلة التالية: هل يشمل الأشياء كلّها جنس واحد؟ هل نجد أجناساً لا تقع تحت جنس واحد؟ هل يجب الاعتراف بوجود أصول، وبأن هذه الأصول هي الأجناس ذاتها والأجناس هي الأصول ذاتها؟ هل الأصول كلّها أجناس في حين أنّ الأجناس ليست أصولاً، أم هل الصحيح على خلاف ذلك؟ هل نجد في الطرفين أنّ بعض/ الأصول أجناس وبعض الأجناس أصول؟ أو نجد في الطرف الأوّل ما يشتمل عليه الطرف الآخر في حين أنّا لا نجد في هذا الطرف إلّا شيئاً ممّا يشتمل عليه الطرف الأوّل؟ ولكنّا ما دمنا نقول في الحقِّ إنّه ليس واحداً (وقد ورد عند أفلاطون وغيره سبب ذلك)، أصبح لا بدّ من البحث الدقيق في كلّ تلك الأسئلة. / وأوّل ما نتقدّم به هو القول في أصناف الحقِّ كم هي وبأيّ معنى يردّ ذكرها. هذا وإنّا ما دُمنا نبحث في الحقِّ أو في الحقائق، فلا بدّ أوّلاً من أن نتبيّن التقسيم الذي يتناول هذه الأمور. فما عسى أن يكون ما نقول فيه إنّه الحقِّ (وهو موضوع بحثنا الآن بالذات)؟ ثمّ ما عسى أن يكون ذلك الذي يبدو لغيرنا أنّه الحقِّ؟ فنقول في هذا الأخير إنّه الكون والصّيرورة وليس الحقِّ حقّاً بحال. / على أنّه يجب في هذين الطرفين ألاّ نتصوّرهما منفصلاً بعضهما عن بعض بمعنى أنّهما من جنس واحد هو «الشيء» مُورَعاً إلى نوعين، نوع الكون والصّيرورة ونوع الحقِّ. كما أنّه ينبغي ألاّ ننظر في أفلاطون أنّه ذهب إلى ذلك. إنّ من الهذيان أن يستوي لدينا الحقِّ والباطل، فنكون بمنزلة من ٢٥ إذا رأى سقراط جعله هو وصورته في مقام واحد. وإنّ التقسيم/ هنا يعني الفصل وجعل الشيء على حياله والقول في ما يبدو أنّه الحقِّ ليس هو الحقِّ، فبدلنا على أنّ الحقِّ هو شيء آخر. ولقد أشار أفلاطون، إذ أضاف إلى الحقِّ كونه باقياً على الدوام، إلى أنّه يجب في الحقِّ أن يكون

بحيث تصدق حقيقة الحق في ما تكون عليه . لهذا هو الحق الذي تتناوله بقولنا ونبحث فيه من حيث إنه ليس شيئاً واحداً . على أننا ، بعد ذلك ، إذا رأينا في القول خيراً ، سنقول شيئاً في الكون والصيرورة ، وفي ما يكون ويصير في العالم الجسّي .

٢ وما دُمنا نقول في الحق إنه ليس شيئاً واحداً ، فهل يُحصَر بعدد أو ننفي عنه النهاية؟ وبأي معنى نقول فيه إنه ليس شيئاً واحداً؟ نقول ذلك في الحق بمعنى أنه واحد ومُتعدد في الآن ذاته ، ثم إنه شيء واحد مُتعدد الوجوه ينطوي على الكثرة تضمها الوحدة . فلا بُدّ للشيء ، وهو كذلك واحد في ذاته ، من أن يكون على نحو ما يلي : إمّا أن يقوم واحداً بالجنس فتغدو الحقائق أنواعه وبها يكون هو أشياء كثيرة تجمع الوحدة بينها . وإمّا أن يتوزّع إلى أجناس كثيرة ، فتقع الأشياء كلها في حُكم الشيء الواحد . / أو يكون ذا أجناس مُتعددة ، ثم لا يخضع جنس لصاحبه بل يُحيط كلّ جنس بالأمور التي يشتمل عليها ، سواءً أغدت هذه الأمور أجناساً أقلّ شأناً ، أو أمست أنواعاً تشتمل بدورها على أفراد . ثم تُسهم هذه الطبقات كلها في إنشاء الطبيعة الواحدة ، ومنها كلها يستوي العالم الروحاني في بُنيانه وهو العالم الذي نقول فيه إنه الحق . وإن كان ذلك ، / فإنّ هذه الطبقات ليست أجناساً فقط ، بل هي أصول الحق أيضاً . فإنها أجناس لأنّ تحتها الأجناس الأخرى التي تكون دونها رتبة ، ثم الأنواع والأفراد معها . وإنها أصول ما دام الحق ، وهو كذلك ، ينبعث منها ، وما دام الكلّ من هذه الأمور قائماً . ولو كانت الكثرة من الأمور التي إذا تضافرت كلها على عمل واحد أخرجت الكلّ ، ثم لم تنطو على شيء تحتها ، / لأمست هذه الأمور أصولاً وما كانت أجناساً . مثل ذلك مثل من إذا عمد إلى العناصر الأربعة أحدث العالم الجسّي من النار وغيرها من نوعها . فإنّ هذه العناصر أصول وليست بأجناس إلّا إذا كان الجنس مُجرّد إسم مُشترك . إنّنا نقول في بعض الأجناس إنّها أصول إذاً . أفنعني بذلك أنّنا نخلط الأجناس بعضها ببعض ، / كلّ جنس مع ما يقع تحته من أشياء فنُخرج الكلّ كاملاً بوحده ونجعل خليطاً من الأشياء كلها؟ كلا لأنّ الشيء يكون بالقوّة آنذاك لا بالفعل ، ثمّ إنه لا يكون محضاً خالصاً . بل ندع الأجناس بما هي عليه في ذاتها ، أمّا الأفراد فنخلطها . وما عسى أن يكون من أمر الأجناس في ذاتها آنذاك؟ إنّها تبقى على ما هي عليه في ذاتها وعلى صفاتها ، / ولا تنال منها الأمزجة قطّ . وكيف يكون ذلك؟ فهذا بحث نُرجئه إلى حينه .

لقد سلّمنا إذاً بوجود الأجناس وبأنها أصول للذات أيضاً ، كما أن سلّمنا ، من ناحية أخرى ، بأنّ هذه الأصول تختلف عن مُرُكّباتها . أمّا الآن فينبغي لهذه الأجناس أن تُذكر من أيّ وجه يُقال فيها إنّها أجناس ، وكيف تُميّز بعضها عن بعضها الآخر ، وما / لنا لا نجتمعها تحت حدّ واحد . وإلّا لغدا اجتماعها كأنه من قبيل الصدفة والاتّفاق ، وقد أحدثت به شيئاً ما قائماً في

الوحدة، مع أنه، أن تدخل كلها في حكم واحد، أشد قُرْبًا إلى المعقول. الواقع هو أنه لو كان يجوز في هذه الأمور كلها أن تكون أنواع الحق، ثم أن تدخل الأفراد في هذه الأنواع بدون استثناء فرد منها، لكان القول بذلك قولاً مُمكنًا. بيد أننا إن ذهبنا لهذا المذهب أبطلنا القول بالأجناس ذاتها. / فإن الأنواع لن تكون أنواعًا حينذاك، ولن تقع تحت الواحد كثرة بوجه عام، بل تكون الأشياء كلها واحدًا ما دام لا يخرج عن نطاق هذا الشيء الواحد شيء آخر أو أشياء أخرى. وكيف يكون الواحد أشياء كثيرة بحيث يُؤلّد الأنواع ما لم يكن معه شيء آخر؟ فإنه لن يكون هو في ذاته أشياء كثيرة إلا إذا جزّأناه على أنه مُقدّر بكم، لكنّ المُجزّئ حينئذٍ يكون شيئًا آخر. / أما إذا كان يتجزّأ أو يتقسّم هو في ذاته بوجه عام، فإنه يكون مُجزّأً قبل تجزّؤه. ولهذا السبب ولأسباب غيره كثيرة يجب العدول عن القول بالجنس الواحد، مع العلم بأنه يستحيل علينا حينئذٍ أن نقول في الشيء مهما يكن إنه الحق أو إنه الذات. وإذا قيل فيه إنه الحق، وقع عليه هذا القول عرضًا، مثلما لو قيل في الذات إنها بيضاء، وهو قول لا يدلّ على الأبيض ما هو عليه في ذاته.

٣ نقول في الأجناس إنها كثيرة إذا، وهي ليست كثيرة بالمصادفة والاتفاق، بل تنبعث كلها من الواحد. ولكن، حتّى ولو كانت مُنبعثة من الواحد، لم يُقلّ هذا الواحد فيها وهي على ما تكون عليه في ذاتها. فلا يمنع مانع، بعد ذلك، من أن يكون الشيء مُختلفًا عن غيره في النوع، قائمًا في ذاته جنسًا على حياله. وهل يكون هذا الواحد خارجًا عن الأجناس التي تنشأ، وهو سببها، ثم لا/ يُقال فيها على ما هي عليه في ذاتها؟ نعم، إنه خارج عنها. فإن الواحد فوق الحق بمعنى أنه لا يُحصى مع الأجناس ما دامت الأجناس قائمة بوساطته وهي مُتساوٍ بعضها مع بعض في كونها أجناسًا. وما بالنار ألا تُحصيه مع الأجناس؟ ذلك لأننا نبحت في الحقائق، لا في ما يستوي فوقها. هذا قول يصحّ على ذلك الواحد؛ ولكن ما/ عسى أن يكون الأمر الواحد الذي تُحصيه مع الأجناس؟ فربّما أخذنا العجب من أن يكون هذا الأمر الواحد مَحْصِيًا مع مُسبباته. إذا قلنا فيه إنه تحت جنس واحد هو والأشياء الأخرى، لم نقل قولاً معقولاً. ولكنّه ربّما يُحصى مع مُسبباته بمعنى أنّ الجنس وما سواه يكون مُتأخّرًا عليه. ثمّ قد تكون هذه المُتأخّرات مختلفة عنه وهو لا يقال فيها جنسًا أو شيئًا آخر مهما يكن. / فإن كان ذلك كذلك وجب في المُتأخّرات أن تكون أجناسًا مُشتملة على أمور تقع تحتها. إنك إن أحدثت السّير عندما تسير لم يقع السّير تحتك جنسًا. وإن لم يكن للسّير شيء آخر يقع قبله جنسًا، بل كان ما يعجى بعده فقط، غدا السّير جنسًا بين الحقائق. بل ربّما يجب في الواحد/ ألا نقول فيه إنه للأشياء الأخرى سببها. فتُسمى هذه الأشياء كأنها أجزاءه وعناصره، وتكون الأشياء كلها

طبيعة واحدة تنجزاً في صورنا الذهنية. أما هو فيكون بقوته العجيبة شيئاً واحداً يشمل الأشياء
 ٢٥ كلها ويظهر متعدداً ويتحول إلى أشياء كثيرة عندما يتحرك مثلاً. ثم إن الطبيعة بخصبها/ هي
 التي تجعل الواحد قائماً وهو ليس شيئاً واحداً، وننطق نحن بأجزائه، إن جاز لنا القول، فنجعل
 كل جزء منها قائماً في وحدته ونقول فيه إنه جنس من الأجناس. على أننا نجعل آنذاك أننا لم
 ندرك الكل بأسره، بل يتناوله نُطقنا بأجزائه جزءاً جزءاً، ثم نعود فنربط بعض هذه الأجزاء ببعض
 ٣٠ ما دما لا يسعنا أن نمسكها عن أن يسعى بعضها إلى بعض. / ولذلك نعود فنمدع الأمور ترجع
 إلى الكل، ونخلي بينه وبين أن يصير واحداً في ذاته أو بالأحرى أن يقوم هو واحداً في ذاته.
 ولربما أصبح أمرنا أشد وضوحاً إن أدركنا هذه الأجزاء ما هي، وعرفنا عدد الأجناس ما هو
 قدره. فنتبين بذلك على آية حال تكون. إلا أنه ما دام قولنا يجب فيه ألا يكون كلاماً مُرسلاً
 ٣٥ فقط، بل نافذاً إلى تصور ما نُعبر عنه وإلى عرفانه أيضاً، كان لا بُدَّ لنا من أن نُعالج/ موضوعنا
 على نحو ما يلي:

٤ إن أردنا أن نعرف حقيقة الجسد، وشئنا مثلاً أن ندرك ما يكون عليه في ذاته في هذا
 العالم الجسدي، أفلا نتبينه في جزء خاص من أجزائه، كالحجر مثلاً؟ فإن الحجر ما يكون منه
 بمنزلة المحل، وفيه الكم وهو مقداره، وفيه الكيف مثل اللون. أولسنا نستطيع أن نقول في
 ٥ كل/ جسم آخر إن للجسم في طبعه شيئاً كالذات والكم والكيف وكلها أمور قائم بعضها مع
 بعض، تميز ذهناً في ما بينها ثلاثة ويكون الجسد الواحد هو لهذه الأمور الثلاثة؟ ثم إننا
 لنحصي معها الحركة إذا كان الجسم مطبوعاً على الحركة في بُنيانه، وتكون هذه الأربعة
 ١٠ شيئاً/ واحداً وبها يدرك الجسم الواحد كماله من حيث كونه شيئاً واحداً. وبالمعنى ذاته
 يصح لنا أن نأخذ أمراً روحانياً ما قائماً في ذاته على أنه من الحق حقاً وأشدَّ تحققاً للوحدة،
 إذا انتقلنا بالكلام إلى الذات الروحانية وأجناس العالم الروحاني وأصوله. فنصرف النظر آنثذ
 عن الصيرورة الكامنة في الأجسام وعن الإدراك بالإحساس وعن المقادير، إذ إن بعض الأشياء
 ١٥ هنا لا يزال/ مفارقاً في ذاته مُتباعداً عن غيره. وعندها يأخذنا العجب من مثل هذا الواحد كيف
 يكون كثيراً وشيئاً واحداً في الآن ذاته. لقد سلّمنا في الأجسام بأن الجسم ذاته يكون قائماً في
 الوحدة ومُتعلداً. فإنه هو ذاته يتجزأ إلى ما لا نهاية له من الأجزاء، واللون فيه شيء في حين أن
 ٢٠ شكله شيء آخر، / وكل منهما مُنفصل عن الآخر. أما إذا نظرنا إلى النفس الواحدة في ذاتها،
 وهي لا بُدَّ لها، في منتهى البساطة على نحو ما تبدو للعقل لدى مُلاحظته الأولى لها، فكيف
 نتوقع أن نجد الكثرة فيها هي أيضاً؟ الواقع أننا حسبنا المطاف مُتبهياً لما قسّمنا الحي إلى جسم
 ٢٥ ونفس. فالجسم/ مُتعدد الصُور مُركب مُختلف الوجوه، أما النفس فكثاً واثقين من أن نجدها

بسيطة ومن أن نقف عندها في سيرنا، بمعنى أننا أدر كنا الأصل حينئذٍ. فلننظر إلى هذه النفس إذا
وقد تناولناها من الملاء الأعلى، كما كنا قد تناولنا الجسم من العالم الجسدي. كيف يكون هذا
٣٠ الشيء الواحد أشياء كثيرة، وكيف/ تكون الأشياء الكثيرة شيئاً واحداً، لا بمعنى أنه شيء مركب
من عناصر كثيرة، بل بمعنى أنه حقيقة متعددة في وحدتها. لهذا وقد قلنا إننا إن فهمنا ذلك
وأدركناه بوضوح تبين لنا في الأجناس أيضاً الحقيقة التي ينطوي الحق عليها.

٥ يجب أولاً أن نذكر أن كل جسم من الأجسام، مثل أجسام البهائم والنبات، متعدد
الوجوه والعناصر وذلك بألوانه وأشكاله ومقاديره وأنواع أجزائه، فلهذا وجه ولذلك آخر.
ولكنها تخرج كلها من شيء واحد: فإما أن تخرج من الواحد مطلقاً ومباشرة، وإما أن تأخذ
٥ من الواحد كله في كل ناحية من نواحيها، أو إنها تنبعث مما يكون أشد وحدة مما ينشأ عنه،/
بحيث تغدو هي بدورها أوفر حقاً مما يحدث منها. وذلك لأن البعد عن الوحدة متناسب البعد
عن الحق. وما دامت الأشياء تخرج من الواحد، وهو غير واحد بمعنى الواحد المطلق أو
الواحد القائم في ذاته واحداً (وإلا لما أحدث كثرة أجزائها مُنفصل بعضها عن بعض)، لم يبق
إلا أن تخرج من وحدة هي كثرة في الآن ذاته. إنما كانت النفس هي الصانع، ولهذا يعني أنها
١٠ كثرة في وحدة إذا. ثم ماذا؟ هل هذه الكثرة/ في الأجسام التي تحدث هي كثرة بُناها المعنوية؟
أو تكون الكثرة شيئاً والبني المعنوية شيئاً آخر؟ كلا! بل إن النفس ذاتها بُنية معنوية وخلاصة
البني المعنوية، والبني المعنوية إنما هي النفس وقد تحققت فعلاً إذ تفعل أفعالها مُسترسلة مع ما
تكون هي عليه في ذاتها، والنفس بما هي عليه في ذاتها إنما هي قوة البني المعنوية فاعلة
أفعالها. وبذلك، أعني بأفعاله في غيره، يتبين أن هذا الواحد هو متعدد العناصر. وإن لم
١٥ تكن فاعلة، أو نظرنا إليها/ من حيث كونها غير فاعلة وعُدنا إلى ما ليس فاعلاً منها، ألا نجد
عندها قوى كثيرة أيضاً؟ إننا كلنا مُعترفون بكيانها؛ أنقول في هذا الكيان إنه مثل كيان الحجر؟
كلا لسنا أمام أمر واحد هنا وهناك. لكن الكيان مع ذلك، في مثل الحجر، ليس هو الكيان
٢٠ بالذات للحجر، بل كون الحجر حجراً. / فكل ذلك القول في النفس حيث نجد أن الكيان للنفس
ينطوي، مع كيانها، على كونها نفساً. فهل يُمسي كيان النفس شيئاً يختلف عن البواقي التي
تُضاف إلى النفس في ذاتها فتكملها؟ أو أن يكون الحق أولاً، ثم يقع فيه وجه فصل يحدث
النفس؟ كلا! فإن النفس شيء مُعين حقاً، ولكن ليس بمعنى ما يكون الإنسان أبيض، بل بمعنى
٢٥ أنها/ ذات من وجه ما. ولهذا يعني أن ما لديها إنما يأتيها مما هي عليه في ذاتها.

٦ أوياتيها كل ما لديها من ذاتها حتى تقوم بكيانها من ناحية، وبكيانها مع طبعها الخاص

من الناحية الأخرى؟ ولكن إن قامت بكيانها مع طبعها الخاص وكان هذا الطبع الخاص من الخارج، فليس الكل الذي تقوم النفس به هو الذات، بل يكون الذات بجانب منه فقط، وتصبح الذات، لا النفس كلها، بل جزءاً من أجزائها. ثم ما عسى أن يكون للنفس كيانها/ مُجرداً من كل شيء آخر؟ ليس أكثر من كيان الحجر. على أنه يجب في هذا الكيان الذي هو كيانها أن يغدو في كونه كياناً بمنزلة الأصل والمنبع، بل إنه بأن يكون كل ما هي النفس عليه في ذاتها أخرى. فيجب فيه أن يكون حياتها إذاً، إذ إن كيان النفس هو وحياتها شيء واحد. أو تكون هذه الوحدة وحدة بُنية معنوية؟ كلا! بل إنها وحدة المُسند إليه، وهي وحدة بمعنى أنه يدخل فيها اثنان أو أكثر، بقدر الأصول التي تقوم النفس عليها. فإما أن تكون النفس ذاتاً/ وحية، وإما أن تكون حاصلة عليها. وإن كانت حاصلة عليها، فإنها، حاصلة على الحياة، لا تكون في الحياة، كما أن الحياة لا تكون في الذات. وإن لم يكن أحد الطرفين حاصلاً على الآخر، وجب أن نقول إنهما أمر واحد. إن النفس شيء واحد ومتعدد إذاً، وهو كل ما يظهر في وحدتها. إنها أمر واحد في ذاته كثير مع غيره، بمعنى أنه واحد يجعل ذاته كثيراً بدخوله في ما يكون بمثابة حركة. / فالكل واحد، ولكنه يصير متعددًا إذ يُحاول، إن جاز لنا القول، أن يُشاهد ذاته وكأنه لا يطبق أن يكون بذاته شيئاً واحداً مع ما لديه من القدرة على أن يصير كل ما هو عليه في ذاته. إن المُشاهدة هي التي جعلته يظهر شيئاً متعددًا، إذ إن غايته من المُشاهدة أن يعرف. فإذا بدا شيئاً واحداً لم يكن عارفاً، بل كان، في الواقع، هو والمعروف شيئاً واحداً. /

٧ ما هي الأشياء التي تُشاهد في النفس إذا وكم هو عددها؟ إننا نجد في النفس الذات والحياة وكلاهما أمر مُشترك يتحقق في النفوس كلها. ثم إن في الروح حياة أيضاً. فإذا شملنا بنظرنا الروح وحياته، مع ما سبق ذكره، جعلنا الحركة هي الأمر المُشترك بمعنى أنها الجنس الواحد الذي يصح على كل حياة. على أن الحياة الأولى/ ذات وحركة، فلا بد من أن تتوزع على جنسين وإن كانت شيئاً واحداً، فصلنا بالذهن ما تنطوي عليه فوجدنا أن هذا الشيء الواحد ليس قائماً في الوحدة، ولأما كان بوسعنا أن نفصله. لهذا ولندكر أن الحركة أو الحياة مُنفصلة عن الكيان انفصلاً ظاهراً في الأشياء الأخرى، إن لم يكن في الكيان الحق ذاته، ففي ظلّه الذي يُشاركه إسماً. ومثلما أن صورة الإنسان ينقصها الشيء الكثير، ولا سيما الشيء الأهم أعني الحياة، فكذلك نجد الكيان في المحسوسات: إنه لهُ ظل الكيان وهو معزول عن الكيان الأسمى الذي كان في الأصل الأول حياة. بيد أن هذا المحسوس هو الذي يُتيح لنا عزل الكيان عن الحياة، وعزل الحياة عن الكيان. / إن للحق أنواعاً كثيرة إذاً، وهو جنس واحد. أمّا الحركة فلا تُصنّف تحت الحق ولا في الحق، بل تُصاحب الحق على أنها لا تظهر فيه مثلما

يظهر الشيء في محله. فهي للحق تُحقّقه فعلاً ولا يُفصل بعضهما عن بعض إلا ذهناً. فإن
 ٢٠ الحقيقتين حقيقة واحدة إذ إنّ الحقّ حقّ بالفعل لا بالقوّة. غير أنّك إن أخذتهما مُنفصلاً/
 بعضهما عن الآخر وجدت الحركة في الحقّ والحقّ في الحركة. مثل ذلك مثلما يُقال في
 الحقّ الواحد إنّ كلّاً من الطرفين يشتمل على الآخر، مع كون بعضهما مُنفصلاً عن الآخر. على
 أنّ الذهن يقول فيهما، مع ذلك، إنّ كلّاً منهما مثال مُؤلّف من شيئين وهو مثال واحد. هذا وإنّ
 ٢٥ الحركة إن ظهرت مع الحقّ لم تُخرج الحقّ عن طبعه، بل تكون بأن تجعل الحقّ وكأنّه/ يزداد
 كمالاً أخرى. ثمّ إنّ الحقّ لا يزال باقياً على حاله طالما كان، وهو على ما وضعناه طبعاً، في
 ذلك النوع من التّحرّك. وإن كان الأمر في الحقّ على هذا الحال، ثمّ نفينا عن الحقّ السكون،
 لكنا آنذاك أشدّ حمقاً ممّا فيما لو نفينا عنه الحركة. فإن يكون السكون مع الحقّ أقرب إلى العقل
 والمعرفة من أن يسترسل مع الحركة. ذلك بأنك، في الملام الأعلى، تجد ما يبقى دائماً على ما
 ٣٠ يكون عليه في ذاته، غير مُتحوّل من حال إلى حال، مُحفِظاً ببيئته المعنويّة الواحدة. / فليكن
 السكون هو أيضاً جنساً من الأجناس، مُختلفاً عن الحركة ما دام يظهر في إزائها. أمّا أن يكون
 مُختلفاً عن الحقّ، فأمر واضح من غير وجه ولا سبباً أنّه لو كان هو والحقّ شيئاً واحداً لما كان،
 بذلك، أشدّ جدارة من الحركة. ولعمري، لماذا يكون السكون هو والحقّ شيئاً واحداً، ثمّ لا
 ٣٥ يُقال لهذا في الحركة، وهي حياة الحقّ/ من وجه ما، وهي أيضاً تُحقّق الذات والكيان في ذاته؟
 فإنّا نُميّز بين الحقّ وحركته على أنّهما شيء واحد من ناحية ومُختلفان من ناحية أخرى، ونقول
 فيهما إنّهما شيان من وجه وشيء واحد من وجه آخر. وكذلك أيضاً ومن الوجه ذاته نُميّز بين
 الحقّ وسكونه من ناحية ولا نُميّز بينهما من ناحية أخرى، بمعنى أنّا نُميّزهما بالذهن لِتقيم في
 ٤٠ الحقائق جنساً جديداً. / فإذا ذهبنا في السكون والحقّ إلى أنّهما شيء واحد من كلّ وجه، وقلنا
 في الحقّ والحركة إنّّه لا يُفرّق بينهما فارق أيضاً، أدّى بنا الحال إلى التّوحيد بين السكون
 ٤٥ والحركة بوساطة الحقّ، وخرجنا من ذلك مع القول بأنّ الحركة والسكون شيء واحد. /

٨ بل إنّّه ينبغي أن تتصوّر هذه الأمور ثلاثة ما دام الروح يعرفها أمراً أمراً. فإنّه يُثبتها حالما
 يُدركها، ما دام يُدركها؛ وإنّها ثابتة ما دامت معروفة. إنّ ما كان كيانه مصحوباً بالهيولى ليس
 له في الروح كيان. أمّا هذه الأمور الثلاثة فإنّها مُنزّهة عن الهيولى. وما كان مُنزّهاً عن الهيولى،
 ٥ إذا عُرِف بالروح، فإنّ عِرفانه بالروح إنّما هو كيانه بالذات. ألا، أنظر إلى الروح/ في صفوته،
 وإذا ما نظرت إليه مُحَدّقاً تَحَلّل عن بصرك الجسّيّ. فيها إنّك ترى الذات في معراقها ونورها في
 الروح لا يزال مُشتغلاً. ترى فيه الحقائق كيف تستوي وكيف يتمايز بعضها عن بعض على كون
 بعضها مع بعضها الآخر شيئاً واحداً. كما أنّك تُشاهد حياة ثابتة لا تزول وعرفاناً لا يعمل لتحقيق

١٠ شيء مُستقبل، بل يقع عمله على شيء تَحَقَّق، أو بالأحرى على أمر مُحَقَّق حاضِر دائماً، / وهو عِرْفَان يُدْرِك ما ينطوي عليه هو ذاته، لا ما يكون عنه خارجاً. إنَّ في المعرفة تَحَقُّقاً وَتَحَرُّكاً؛ أمَّا في معرفة الذات فالذات والحق. فإذا قام الروح في كيانه عرف، فعرف ذاته على أنه الحق وعلى أنه الحق الذي يستند إليه، إن جاز لنا القول. فالفعل الذي يُحَقِّقه الروح على ذاته ليس الروح في ذاته؛ إنَّما الحق هو الذي يقع فعل الروح عليه وهو الذي ينبعث الروح منه. والذي يُبَصِّر هو الحق، وليس الإبصار ذاته؛ على أنَّ للإبصار/ ذاته كيانه لأنَّ ما ينبعث منه وما يقع عليه هو أمر ثابت حقاً. لهذا وما دام الروح قائماً بالفعل لا بالقوَّة، فإنَّه يعود ويصل بين الطرفين ولا يفصل بعضهما عن بعض، فيجعل ذاته هو الحق المعروف والحق المعروف هو ذاته، أمَّا الحق فإنَّه ركن الأركان الذي تقوم عليه الأشياء كلّها في ثباتها، وليس هذا الثَّبات لديه شيئاً ورد عليه من الخارج؛ بل إنَّه من الحق ينبعث وفيه يستقرّ. / كما أنَّه ثبات ذلك الذي ينتهي العِرْفَان إليه، وهو ثبات ليس لديه بداية، وثبات ذلك الذي ينطلق منه العِرْفَان هو ثبات لم يكن بالدافع على العِرْفَان. فإنَّ الحركة لا تنبثق من حركة ولا تنتهي إلى حركة. لهذا فضلاً على أنَّ الفكرة في ثباتها هي الحدّ الذي ينتهي الروح إليه، كما أنَّ الروح هو هذه الفكرة في تحرُّكها. فكلُّ هذه الأمور شيء واحد، الحركة والسكون، وهي أجناس مُتداخلة كلّاً بكلّ، كلّ منها هو شيء منه ٢٥ ما يليه؛ / فالحركة سكون من وجهه والسكون حركة من وجه آخر. تلك هي الأمور الثلاثة التي تُشاهدها إذا ما أدركنا الحق في حقيقته. فإنَّنا نُدْرِك الحق بالحق الذي فينا، وكذلك نُدْرِك الأمور الأخرى بما لدينا منها: فالحركة بما لدينا من حركة، والسكون بما لدينا من سكون، ونُوفِّق بين ٣٠ الروحانيات وما لدينا منها في الحسيَّات. / على أنَّنا نخلط بين كلّ هذه المعاني وقد تبلغنا بعضها مع بعض وكأنَّها ممزوج بعضها ببعض، فلا نُميِّز بينها. ثُمَّ بُاعِد بيننا وبينها قليلاً، ونُسمِك ونُميِّز فنرى حقاً وسكوناً وتحرُّكاً. إنَّها لأمور ثلاثة، وكلّ منها أمر واحد في حدّ ذاته. أفلا نقول فيها إنَّها مُختلف بعضها عن بعض، ونُثبتها في تخالُّف بعضها عن بعض، ونُتَبِّين التَّخالف ٣٥ الواقع في الحق، ما دُمنا نجعلها ثلاثة مع كون كلّ منها واحداً على حياله؟ ثُمَّ إذا عُدْنَا/ ورددناها إلى الوحدة، وأقمناها في الوحدة، وجعلناها كلّها شيئاً واحداً، فأدخلناها في هذا الشيء الواحد الذي يبقى هو ذاته على حاله، ونظرنا إليها عند ذلك، أفلا نرى «الهُو» وقد أطلَّ علينا بكيانه؟ يجب إذًا أن نذكر إلى جانب تلك الأمور الثلاثة الأمرين الآخرين وهما بقاء الشيء هو هو على ذاته، وكونه مُخالفًا لغيره. فيُصبح عدد الأجناس التي تشمل الأمور كلّها ٤٠ خمسة. ثُمَّ إنَّ الأمرين الآخرين يُتيحان لما يليهما البقاء على الذات والمُخالفة. / فإنَّ كلّ شيء هو هو ذاته في جانب منه، وهو غيره في الجانب الآخر. فيُصنَّف كون الشيء في ذاته وكونه هو غيره بدون تحديد آخر في مقام الأجناس. ثُمَّ إنَّ هذه الأجناس هي الأجناس الأولى، لأنَّه لا

يسعك أن تقول فيها شيئاً ممّا تنطوي عليه في ما هي عليه في ذاتها. أجل، يسعك أن تقول فيها إنها الحق في وجه من وجوهه، لأنها كذلك هي؛ بيد أنها ليست الحق بمعنى أنه جنس لأنها ليست الحق في حال خاصة من أحواله. كما أنه لا يُقال الحق في الحركة أو السكون/ إذ إنهما كلاهما ليس نوعاً من أنواع الحق. فإن الشيء يكون حقاً إذا كان نوعاً من أنواع الحق وإذا كان مُشاركاً للحق في كيانه. وهذا وإن العكس صحيح أيضاً: فإن الحق لا يُشارك هذه الأجناس بمعنى أنها أجناس يكون هو نوع من أنواعها، إذ إنها ليست فوق الحق أو مُتقدّمة عليه.

٩] أمّا أن تكون هذه الأمور هي الأجناس الأولى، فإننا نُثبت من الأدلة التي ورد ذكرها، وقد نجد غيرها. ولكن كيف نتيقّن من أنها هي وحدها الأجناس، وليس من جنس سواها؟ ولماذا لا تُضيف الواحد؟ والكم؟ والكيف؟ والمُضاف وغيرها من الأمور التي أحصاها غيرنا من الفلاسفة؟ أمّا الواحد، إن عنيّا الواحد مُطلقاً الذي لا يلحق به شيء آخر، فإنه ليس نفساً ولا روحاً ولا أمراً آخر مهما يكن، ولا يُقال هو في شيء آخر. وعليه فإنه ليس جنساً. أمّا إذ عنيّا الواحد الذي يُلازم الحق، والذي نقول فيه إنّه الواحد الحق، فإنه ليس الواحد أصلاً. وإن لم يكن هذا الواحد لينطوي في ذاته على فروق، فأتى له أن يُحدث الأنواع؟ وإن لم يكن ليحدثها، فليس جنساً. فكيف/ تُجزّئه؟ إذا جزّأته جعلته مُتعدّداً وغداً، هو الواحد، شيئاً مُتعدّداً، فأبطلته في ذاته إن حاولت أن تجعله جنساً. هذا وإنك، إن جزّأته إلى أنواع أضفت إليه شيئاً لا محالة، إذ إنّه ليس في الواحد فروق مثلما أنّ للذات فروقاً. فإن الروح يعترف بأنّ في الحق فروقاً؛ أمّا في الواحد، فأتى له ذلك؟ فضلاً على أنّك، وعند كلّ فرق تزيده، تُثبت الاثنين وتُبطل الواحد إذ إنّ زيادة الأحاد على عددٍ يُبطل للكم السابق دائماً. قد يقول قائل: إنّ الواحد الذي يلزم الحق والواحد الذي يلزم الحركة والأمور الأخرى هو أمر مُشترك بين الكلّ جميعاً، ممّا يُؤدّي بالحق إلى أن يُسمي هو والواحد شيئاً واحداً. فتُجيب: إنّنا في بحثنا لم نجعل الحق جنساً للأجناس الأخرى/ لأنها ليست الحق في نوع من أنواعه الخاصة، بل إنّها حقّ من وجه آخر. وكذلك القول في الواحد: فإنه ليس أمراً مُشتركاً يشمل الأجناس كلّها، بل يكون فيها أصلاً تارة، ويكون بمعنى آخر طوّراً. أمّا إذا قيل في الواحد إنّنا لا نجعله جنساً للأجناس كلّها، بل جنساً واحداً قائماً على حياله مثل الأجناس الأخرى، فنحن بين أمرين: إمّا أن يكون الحق والواحد شيئاً واحداً فقط، فنكون قد أتينا بلفظ فقط، ما دام الحق قد تمّ تصنيفه بين الأجناس؛ وإمّا أن يكون كلّ منهما شيئاً واحداً على حياله، فنكون قد عنيّا حقيقة ما. فإذا أضفنا إلى هذه الحقيقة شيئاً أثبتنا أنها شيء واحد ما؛ وإن لم تُضيف إليها شيئاً عُذنا وأثبتنا ذلك الواحد الذي لا يُقال في شيء. أمّا إن قصدنا الواحد الذي يُلازم الحق، فلقد ذكرنا أنّه لا يعني الواحد الذي هو واحد

أصلاً. ولكن ما عسى أن يكون المانع الذي يمنعه من أن يسمي الواحد أصلاً إذا رفعنا ذلك
 ٣٠ الواحد الذي هو واحد مُطلقاً؟ فإننا نقول في المُتأخّر على الواحد إنه ثابت/ حقاً وإنه الحق
 أصلاً. ذلك بأن ما يتقدّم الحق ليس حقاً، أو إن كان، فهو ليس بالحق أصلاً، أما واحدنا هنا،
 فإن ما قبله إنما هو واحد أيضاً. ثم إن عزلناه بالذهن عن الحق، فلا يعود مُنطوياً على فروق. أما
 إذا كان الواحد في الحق: فإما أن يكون تابعاً للحق، فيكون تابعاً للأمر كلها ومُتأخراً عنها،
 ٣٥ في حين أن الجنس مُتقدّم عليها؛ وإما أن يكون مع الحق، فيكون مع الأشياء كلها/ في حين أن
 الجنس لا يصحّ فيه هذا القول. أو إنه مُتقدّم على الحق فيكون أصلاً من الأصول، وهو حيثيّ
 أصل للحق فقط. وإذا كان أصلاً للحق فهو ليس للحق جنساً؛ وإن لم يكن للحق جنسه، فإنه
 ليس جنساً للأشياء الأخرى أيضاً. وإلا لوجب في الحق أن يكون أصلاً للأشياء الأخرى كلها.
 ويبدو من ذلك كله إجمالاً أن الواحد الكامن في الحق قريب إلى الواحد وهو قائم مع الحق.
 ٤٠ وما دام الحق مُوجّهاً وجهه/ إلى ذلك الواحد، فإنه واحد، أما إذا نظرنا إليه من حيث إنه بعد
 ذلك الواحد، فإنه الأمر الذي بوسعه أن يكون مُتعدّداً أيضاً. في حين أن ذلك الواحد يبقى
 واحداً في ذاته، يأبى أن يكون جنساً ما دام على التجرؤ عَصِيّاً.

١٠ بأي معنى يُقال في الشّيء إنه شيء واحد إذا؟ بمعنى أنه شيء من الأشياء وليس بالواحد،
 وإذا كان شيئاً من الأشياء كان في حد ذاته مُتعدّداً أيضاً. أما النوع فإنّ الوحدة تُطلَق عليه
 بالاشتراك في الاسم. فإنّ في النوع كثرة ووحدة مثل وحدة جيش أو حلبة رقص. فليس
 ٥ الواحد الروحانيّ كامناً في هذه الأمور إذاً، كما أن الواحد ليس معنى مُشترَكاً، وينبغي ألا
 تتصوّره كامناً هو ذاته/ في الحق وفي الأشياء. ومن ثمّ لم يكن الواحد جنساً، إذ إن كلّ
 جنس إذا قيل حقاً في شيء، حال بين الأجناس التي تُخالِفُه وبين أن تُقال في هذا الشّيء هي
 أيضاً. أما الأشياء التي يُقال الواحد فيها حقاً، فإنّها حقاً يُقال فيها ما يُخالِف الواحد أيضاً، ما
 دام كلّ شيء منها هو الأشياء قاطبة. والواحد الذي يُقال في الشّيء على أنه جنس، لا يصحّ فيه
 ١٠ أن يكون لذلك الشّيء جنساً. فلا يُقال الواحد حقاً في الأجناس الأصليّة على أنه جنسها،/ إذ إنّ
 الواحد حقاً ليس بأن يكون واحداً أوّليّ منه بأن يكون مُتعدّداً؛ فضلاً على أن جنساً من الأجناس
 لن يكون واحداً بحيث لا يغدو مُتعدّداً من وجه آخر. كما أن هذا الواحد لا يُقال في الأجناس
 الأخرى الفرعية وهي كلّها مُتعدّدة على وجه الإطلاق. ومهما يكن من أمر، فإنّ جنساً لن يقوم
 في الوحدة، وإن كان الواحد جنساً بطلت وحدته. ليس الواحد عدداً، ولو كان جنساً لغدا
 ١٥ عدداً. كما أن الواحد إنما هو واحد بالعدد./ ولو كان واحداً بالجنس لما عاد واحداً بالمعنى
 الحقيقيّ. ثمّ إنّ الواحد ليس في الأعداد بمعنى أنه جنس يُقال فيها: يُقال فيه إنه كامن فيها، ولا

يُقال فيه إنه جنس حينذاك. وكذلك القول في الواحد إن كان في الأشياء: فلا يكون جنساً للحق، ولا للأمور الأخرى، ولا لشيء من الأشياء كلها. وكما أن البسيط أصل لغير البسيط ٢٠ بدون/ أن يكون جنساً له (وإلا لأمسى غير البسيط بسيطاً)، فكذلك لا يكون الواحد، إن كان أصلاً، جنساً لما بعده. لن يكون جنساً للحق إذاً ولا للأشياء الأخرى. وإن كان جنساً للأشياء، كان الجنس لكل منها قائماً على حياله في وحدته. فكأننا نستطيع أن نفصل في الشيء وحدته عما ٢٥ يكون عليه في ذاته. فلا يكون الواحد جنساً إلا لبعض الأشياء فقط. ومثلما/ أن الحق ليس جنساً للأشياء كلها، بل للأنواع التي تكون حقاً، فكذلك يُسمي الواحد جنساً لكل نوع من الأنواع قائم في وحدته. ولكن ما عسى أن يكون الفرق بين نوع ونوع من حيث إن كلاً منهما واحد، مثلما أننا نجد فرقاً بين نوع ونوع من حيث كونهما حقاً؟ هذا وإن كان الواحد يتجزأ ٣٠ يتجزأ الحق والذات، وإن كان الحق يتجزأ وتوزعه في الأشياء المتعددة يبدو جنساً واحداً يبقى على ذاته، فلماذا لا يكون/ الواحد جنساً هو أيضاً ما دام يظهر مُتَعَدِّداً بالقدر الذي تظهر الذات عليه، ومُتَجَزِّئاً مثلها على التساوي؟ نُجيب أولاً أنه ليس من الضروري، إذا لزم الشيء أشياء كثيرة، أن يكون جنساً للأشياء التي يلزمها أو لغيرها. ثم إن المعنى المُشترك لا يكون على وجه الإجمال جنساً على وجه الإطلاق. فأقل ما يُقال في النقطة هو أنها من الخطوط، ثم إنها ليست ٣٥ للخطوط جنساً، بل ليست جنساً بحال. كما أن الأحد في الأعداد ليس، كما قلنا، جنساً للأعداد ولا للأشياء الأخرى. فإنه يجب في المعنى المُشترك، إلى جانب كونه في أشياء كثيرة، أن يتمتع بقُصُول خاصّة أيضاً فيُحدِّث الأنواع، كما أنه ينبغي له أن يكون داخلاً في الشيء على ما هو عليه في ذاته. أما الواحد فما عسى أن تكون قُصُوله؟ أم ما عسى أن تكون الأنواع التي ٤٠ يُخَلِّفها؟ فإن كان يُحدِّث الأنواع التي يُحدِّثها/ الحق بالذات، غدا هو والحق شيئاً واحداً وأصبح أحد الطرفين اسماً فقط. فحسبنا الحق إذاً في كل ذلك.

١١ يجب الآن أن نبحث في الواحد كيف يكون في الحق، وبأي معنى يقع ما نعرفه بالتجزؤ، ولا سيما تجزؤ الأجناس. فنتساءل فيما إذا كان هذا التجزؤ هو ذاته في الحالتين كليهما أو مختلفاً عنه في كل حالة. وأولاً بأي معنى يصح على الشيء أن يُقال فيه إنه واحد وإنه كذلك فعلاً؟ ثم هل نقول الواحد في الواحد الحق بمعنى ما نقوله في الواحد ٥ الذي هو وراء الحق؟ الواقع هو أن الواحد لا يُقال في الأشياء كلها بالمعنى ذاته. / فإنه لا يُقال في الحسيّات بمثل ما يُقال في الروحانيّات (وكذلك هو الأمر في الحق أيضاً)، كما أنه لا يُقال في الحسيّات بمثل ما يُقال فيها من حيث علاقات بعضها مع بعض. لا يكون على حال واحدة في الجوقة، وفي الجيش، وفي السفينة، وفي البيت، كما أننا لا نجدّه هو ذاته في هذه

الأُمور كُلِّها وفي الكَمِّ المُتَّصِل . يَبْدُ أَنَّ الأشياءَ كُلَّها تُشَبِّه الواحد ذاته ، منها ما يأخذ عنه عن بُعد ، ومنها ما يكون نصيبه / منه أوفر ، على أن يكون حينئذٍ أَشدَّ تَحَقُّقًا للروح . فَإِنَّ لِلنَّفْسِ وَحدتها ، وَلَكِنَّ الروحَ وَالْحَقَّ بِأن يكون كُلُّ منهما واحدًا أُخرى . ونسأل الآن : عندما نُقِيلُ على الشَّيْءِ فَنُشير إلى الْحَقِّ الْمُتَحَقِّقِ فيه ، هل نعني وَحدته أيضًا ، وهل يكون لهذا الشَّيْءِ من الوَحْدَةِ بقدر ما له من الْحَقِّ؟ هَذَا أمر قد يجوز ، على أَنَّ الْحَقَّ فِي الشَّيْءِ لَا يُقَدَّرُ بِوحدته . بل رَبُّ شَيْءٍ ١٥ لَمْ يُقَلِّ حَظَّهُ من الْحَقِّ وكانت قليلة وَحدته . ليس / الجيش أو الجوقة أَقَلَّ حَقًّا من البيت ، وهما ، مع ذلك أَقَلَّ وَحدة . فَوَحْدَةُ الشَّيْءِ ، فيما يبدو ، إِنَّمَا تُحدَّدُ بِخاصَّةٍ نَظَرًا إلى الخير ، ويكون الشَّيْءُ واحدًا على قدر إصابته من الخير ، وبالخير تُقدَّرُ زيادته أو نقصانه في الوَحْدَةِ . فَإِنَّ الشَّيْءَ لَا يُريدُ فقط أن يكون ، بل يُريدُ أن يكون مع الخير . ولذلك نرى الأشياءَ غير المُوَحَّدَةِ ٢٠ تسعى على قدر استطاعتها إلى أن تتوَحَّدَ . كما أَنَّ الأُمور / الطَّبِيعِيَّةَ المُوَجَّهَةَ بطبيعتها إلى تكوين شَيْءٍ واحد يُريدُ بعضها أن يَتَّحدَ ببعض ، فلا يسعى كُلُّ منها إلى أن يُباعِدَ بينه وبين غيره ، بل إلى الدُّنُوِّ منه ليكون معه شيئًا واحدًا . وكذلك القول في النَّفْسِ : فَإِنَّها تُريدُ أن تُصير كُلَّها نفسًا واحدة ، مع احتفاظ كُلِّ نفس بما هي عليه في ذاتها . إِنَّ للواحد وجهين ، لآته هو الأَصْلُ والغاية ، / إذ إِنَّ الأشياءَ من الواحد تنطلق وإليه تسعى . وكذلك الأمر في الخير أيضًا . لا يقوم شَيْءٌ من الأشياءِ مهما يكن ، ولا يستمرُّ قائمًا في ذاته غير مُطِيق أن يكون ساعيًا إلى أن يكون واحدًا في ذاته . تلك هي حال الأُمور في الطَّبِيعَةِ . أَمَّا الصَّناعات ، فَإِنَّ كُلَّ صناعة تُصنع ٣٠ صُنْعُها مُتَّيِّدَةً بالوَحْدَةِ على قدر استطاعتها وعلى قدر / استطاعة الصَّنْعِ أن يكون واحدًا في ذاته . أَمَّا الْحَقُّ فَإِنَّهُ أوفر الكُلِّ حَظًّا من الواحد لأنه أَقرب الكُلِّ إلى الواحد . فالأُمور الأُخرى ، إِنَّمَا يُقال فيها ما تُعرف به ، كالإنسان مثلاً . إِن قُلْنَا : إنسان واحد ، ففي مُقابِلِ إنسانين . وإن قُلْنَا الواحد في الإنسان على غير هَذَا المعنى ، كان قولنا من باب الفُضُول . أَمَّا الْحَقُّ ، فَإِنَّا نقول فيه ٣٥ القول الكُلِّيُّ : / «الواحد الْحَقُّ» ، وَثُبِتَ ، بدلالتنا عليه أَنَّهُ واحد ، اتَّصَالَه المُبَاشِرُ بِالخير . فيكون الواحد في الْحَقِّ أيضًا بِمَازَلَةِ الأَصْلِ والغاية ، مثلما نجد في الأُمور الأُخرى ، وَلَكِنْ على وجه آخر ، ممَّا يُوَدِّي إلى إثبات مُتَقَدِّمٍ ومُتَأَخَّرٍ حتَّى في الوَحْدَةِ ذاتها . وما عسى أن تكون الوَحْدَةُ في الْحَقِّ؟ أَلَيْست ثابتة على سواء في أَجْزائه كُلِّها ، فَنَتَبَّه على أَنَّها الأمر المُشْتَرَكُ بين ٤٠ هَذِهِ الأجزاء؟ / نُجِيبُ أَوَّلًا أَنَّ في الخُطُوطِ أَمْرًا مُشْتَرَكًا وهو النُّقْطَةُ ، وليست النُّقْطَةُ جنسًا للخُطُوطِ . كما أَنَّ في الأعداد أَمْرًا مُشْتَرَكًا أيضًا رُبَّمَا كان ذَلِكَ الواحد ، وليس جنسًا هو أيضًا . فَإِنَّ الواحد في ذاته ليس مثل الذي في الأَحد وفي الاثنَين وغيرهما من الأعداد . ونقول ثانيًا إِنَّهُ ٤٥ لَا يَمْنَعُ مانع من أن يكون في الْحَقِّ / مُتَقَدِّمَاتٍ ومُتَأَخَّرَاتٍ ، بَسِيطَاتٍ ومُرَكَّبَاتٍ . ثُمَّ إِنَّ الواحد ، ولو كان هو ذاته على التَّساوي في أَجزاء الْحَقِّ كُلِّها ، لَا يَنْطَوِي على فُرُوقٍ في ذاته ، فلا يُحْدِثُ

أنواعًا. وإن لم يكن ليُحدث أنواعًا، لم يسعه أن يكون هو ذاته جنسًا أيضًا.

١٢ هذا وحسبنا ما ذكرنا. أمّا العدد، فَبأيّ معنى يُدرك الخير وهو غير ذي النّفس؟ الواقع هو أنّ هذا السؤال يشمل كلّ ما لا نفس له. وإذا قيل في الأعداد إنها ليست من الحقّ بحال، فإنّا نعني الحقائق هنا، ومن حيث لكلّ حقيقة وحدثها. أمّا إذا بُحث عن النّقطة بأيّ معنى تُدرك نصيبها من الخير، / وقيل فيها إنّها مُستقلّة بحالها وإنّها غير ذات نفس، فإنّما يُبحث حينئذٍ عمّا يُلتصّب في ما عدا النّقطة وهو من نوعها. أمّا إذا قيل في النّقطة إنّها في غيرها، في الدائرة مثلاً، فالخير للنّقطة هو خير الدائرة: ترغب النّقطة في الخير وتسعى إليه على قدر استطاعتها بوساطة الدائرة. ولكن كيف تكون الأجناس هذه الأشياء؟ هل بمعنى أنّها مُجزّأة بالأشياء شيئًا شيئًا؟ / كلاً بل يقع الجنس كلّاً في كلّ شيء من الأشياء التي يكون لها جنسًا. وكيف يكون الجنس واحدًا بعد ذلك؟ نقول: إنّ الوحدة بالجنس مثل الكلّيّة في المُتعدّد. أو تقع في ما له منها خلاق فقط؟ كلاً بل تكون على حالها وفي ما له من خلاق. ولكنّ هذا أمرٌ ربّما ازداد وُضوحًا في الأبحاث المُقبلة.

١٣ أمّا السؤال الآن ففي الكمّ والكيف ما بالنا لا نصتقهما بين الأجناس الأولى؟ إنّنا لا نجعل الكمّ جنسًا أوليًا مع الأجناس الأخرى لأنّ هذه الأجناس جميعها تُصاحب الحقّ دائماً. فالحركة تُلازم الحقّ لدى تحقّقه إذ إنّها حياته. والسكون داخل في الذات. أمّا كون الشيء مُغايرًا لذاته على بقائه في ما هو عليه في ذاته فهو أحرى أن يُقال أيضًا في الحقّ. / ومن ثمّ فإنّ هذه الأجناس تُرى دائماً مع الحقّ. أمّا العدد فإنّه متأخّر عليها، بل إنّهُ متأخّر عليه هو ذاته ما دام العدد المتأخّر مُنبعًا من المُتقدّم عليه في المتواليات العددية، وما دامت المتأخّرات كامنة في المُتقدّمات. فلا يسعنا، بعد ذلك، أن نُحصي العدد بين الأجناس الأولى، لا بل يجب البحث عنه فيما إذا كان جنسًا بوجه عامّ. / أمّا المقدار فَبأن يكون بعد العدد ومُركّبًا أحرى: ففيه العدد، وفي الخطّ ثنائية، وفي السطح حدود ثلاثة. وإن كان المقدار المُتصل يأخذ كمّه من العدد، ولم يكن العدد جنسًا، فكيف يكون هو في الجنس مقامه؟ على أنّ في المقادير أيضًا مُتقدّمًا ومُتأخّرًا. / هذا وإن كان الطرفان، العدد والمقدار، مُشتركيّ في أنّهما كمّ، وجب في هذا الكمّ أن يُدرك ما هو. وإذا اكتشف وجب فيه أن نجعله جنسًا متأخّرًا ولا نُحصيه بين الأجناس الأولى. وإن كان جنسًا ولم يكن من الأجناس الأولى، وجب فيه أن يُرَدّ إلى جنس من الأجناس الأولى أو إلى أحد الأجناس التي تعود إلى الأجناس الأولى. قد تبين إذًا أنّ حقيقة الكمّ تدلّ على كمّ ما وتقيس كمّ الشيء / وهي كمّ في حدّ ذاتها. يبيّن أنّا، إن كان الكمّ يُقال بالاشتراك في

العدد وفي المقدار، أصبحنا بين أمرين: إما أن يكون العدد هو الأول، فيتفرع المقدار عنه؛ وإما أن يقوم العدد، بوجه عام، من مزيج حركة وسكون، ويغدو المقدار حركة أو مُنبعثًا من حركة. ٢٥ على أن تسير الحركة إلى ما لا نهاية له، وعلى أن يُوقَف السكون/ الحركة في سيرها فيُحدث وحدة المقدار. لهذا وإنه يجب التّظر بعد ذلك في تولّد العدد والمقدار، أو بالأحرى فيما إذا كانا قائمين في ذاتهما أو كانا أمرين ذهنيين فقط. فربّما كان العدد جنسًا من الأجناس الأولى؛ أمّا المقدار فيأتي بعد ذلك لكونه مُركَّبًا. ثمّ إنّ العدد من السّواكن الثابتة، أمّا المقدار ٣٠ فإنّه في الحركة. / وإنّما نرجي ذلك كلّ إلى بحث آخر، كما ذكرنا.

١٤ فإن قيل: ما لنا لا نجعل الكيف في الأجناس الأولى؟ قلنا: إنّه أمر متأخّر يأتي بعد الذات. يجب في الذات، وهي الأولى، أن يكون الكيف من توابعها، فلا تستمدّ من بُنيانها، ٥ ولا تُدرك بواسطة كمالها. وإلاّ لأمست متأخّرة على الكيف وعلى الكمّ. ففي/ الدّوات المُركّبة التي تتألّف من عناصر كثيرة ويحدث العدد والكيف فيها فروقهما، إنّما تتبيّن كيفًا مع أمر يشترك بينهما جميعًا. أمّا في الأجناس الأولى فيجب ألاّ نجعل الفرق قائمًا بين بسائط ١٠ ومُركّبات، بل بين بسائط تكتمل الذات بها،/ على أنّي لست أعني ذاتًا مُعيّنة. فربّما لم نستغرب قطّ من الذات المُعيّنة أن تكتمل بالكيف، إذ إنّها بلغت مقامها ذاتًا قبل وقوع الكيف عليها. والكيف يأتيها من الخارج؛ أمّا هي فتكون قد بلغت من تلقاء ذاتها ما هي عليه في ذاتها. غير أنّا في محلّ آخر، حكمنا على مُتمّمات الذات أنّها كيف عن طريق ١٥ الاشتراك بالإسم فقط،/ وعلى الكيف ذاته أنّه إنّما يأتي من الخارج وبعد الذات. فإنّ ما يتمّ داخل الذات هي تحقّقاتها، ولا يكون للذات حالًا وانفعاليًا إلاّ ما كان تابعًا لها. أمّا الآن فنقول في ما يكون من الذات المُعيّنة أنّه ليس من مُتمّمات الذات بحال. إن زدنا شيئًا من الذات ٢٠ على الإنسان من حيث أنّه إنسان، لم تُؤثّر هذه الزّيادة في الإنسان/ ذاته. فإنّ الذات ثابتة مُسبقًا، قبل أن يأتيها الفصل التّوعّي، كما أنّ الحيوان ثابت، قبل أن يبلغ التّطّق مقامًا.

١٥ بأيّ معنى تكون الأجناس الأربعة قد تَمّت الذات ولمّا تُحوّلها إلى ذات مُكيّفة، بما أنّها لا تجعلها ذاتًا مُعيّنة؟ ذلك لأنّ الحقّ هو جنس أوّلّي كما ذكرنا. وواضح أنّ هذا القول لا يختلف في الحركة والسكون ولا في الغيريّة والذاتيّة. ورُبّما كان من الواضح أيضًا أنّ الحركة ٥ لا تُشَيء الكيف هي ذاتها، على أنّ ما سنقوله يجعل/ الأمر على جانب أشدّ من الوُضوح. إن كانت الحركة هي تحقّقاتها في ذاتها، وكان التّحقّق هو الحقّ والأجناس من الأولى بوجه عام، لم تُغدّ الحركة عارضًا يطرأ. ثمّ ما دامت الحركة تحقّق الحقّ مُحقّقًا، فلا يُقال فيها إنّها من

١٠ مُتَمِّمَاتِ الذَّاتِ، بَلْ إِنَّهَا هِيَ الذَّاتُ. فَلَا تَهْوِي إِلَى مَقَامِ جِنْسٍ مُتَأَخَّرٍ وَلَا إِلَى مَقَامِ / الْكِيفِ،
 بَلْ تُحْصَى مَعَ الذَّاتِ فِي مَقَامِهَا. إِنَّ الْحَقَّ لَا يَكُونُ حَقًّا ثُمَّ يُصْبِحُ مُتَحَرِّكًا، أَوْ يَكُونُ حَقًّا ثُمَّ
 يُصْبِحُ سَاكِنًا. وَلَيْسَ السُّكُونُ حَالًا مِنْ أَحْوَالِ الْحَقِّ، كَمَا أَنَّ الذَّاتِيَّةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمُتَأَخَّرَاتِ
 وَلَيْسَتْ مِنْهَا الْغَيْرِيَّةُ أَيْضًا. فَإِنَّ الْحَقَّ لَمْ يَكُنْ أَوَّلًا ثُمَّ أَصْبَحَ مُتَعَدِّدًا، بَلْ كَانَ فِي ذَاتِهِ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ
 فِي ذَاتِهِ، أَعْنِي كَانَ وَاحِدًا مُتَعَدِّدًا. وَإِنْ كَانَ مُتَعَدِّدًا أَمْسَى مُنْطَوِيًا عَلَى الْغَيْرِيَّةِ، أَوْ كَانَ وَاحِدًا
 ١٥ مُتَعَدِّدًا لَزِمَتِهِ الذَّاتِيَّةُ. / فَحَسَبَ الذَّاتِ هَذِهِ الْأَجْنَاسَ الْأَرْبَعَةَ. أَمَّا إِذَا أَوْشَكَتْ أَنْ تَتَجَاوَزَ إِلَى
 الْأَسَافِلِ، فَثَمَّةُ تَحْدِيدَاتٍ أُخَرُ لَيْسَ شَأْنُهَا أَنْ تُحْدِثَ ذَاتًا فَقَطْ، بَلْ ذَاتًا بِكَيْفٍ وَذَاتًا بِكَمٍّ. فَلَنْقُلْ
 فِي هَذِهِ التَّحْدِيدَاتِ إِنَّهَا أَجْنَاسٌ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْأَجْنَاسِ الْأُولَى.

١٦ أَمَّا الْمُضَافُ الَّذِي يَبْدُو فَرَعًا مِنْ فُرُوعِ الْحَقِّ، فَكَيْفَ نَجْعَلُهُ بَيْنَ الْأَجْنَاسِ الْأُولَى؟ إِنَّ
 الْعَلَاقَةَ هِيَ عِلَاقَةٌ بَيْنَ شَيْءٍ وَآخَرَ، لَا بَيْنَ الشَّيْءِ وَبَيْنَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ. وَالنَّسْبَةُ نَسْبَةٌ إِلَى
 شَيْءٍ آخَرَ. أَمَّا «الْأَيْنَ» وَ«الْمَتَى» فَإِنَّهُمَا عَنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ أَبْعَدَ أَيْضًا. فَإِنَّ «الْأَيْنَ» يَقْضِي وَجُودَ
 شَيْءٍ فِي آخَرٍ، فَصَارَا شَيْئَيْنِ، فِي حِينٍ أَنَّهُ يَجِبُ فِي الْجِنْسِ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا غَيْرَ ذِي تَرْكِيبٍ.
 ٥ فَضْلًا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَقِّ مَكَانٌ وَالْكَلَامُ هُنَا/ حَوْلَ الْحَقَائِقِ الثَّابِتَةِ حَقِيقَتِهَا. أَمَّا إِنْ كَانَ فِي
 عَالَمِ الْحَقِّ، فَهُوَ أَمْرٌ يَجِبُ الْبَحْثُ فِيهِ، وَرُبَّمَا كَانَ الْجَوَابُ بِالْقَيِّ هُوَ الْآخَرَى. وَإِنْ كَانَ قِيَاسًا
 وَلَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ قِيَاسٍ بَلْ قِيَاسًا لِلْحَرَكَةِ فَإِنَّهُ ثُنَائِي الْحَدِّ وَهُوَ كُلُّ مُرَكَّبٍ مُتَأَخَّرٍ عَنِ الْحَرَكَةِ، فَلَا
 ١٠ يَغْدُو مُسْتَوِيًا مَعَ الْحَرَكَةِ فِي التَّقْسِيمِ حَيْثُمَا تَكُونُ. أَمَّا الْفِعْلُ وَالْإِنْفِعَالُ، فَإِنَّهُمَا فِي الْحَرَكَةِ. /
 وَإِنْ كَانَ الْإِنْفِعَالُ يُلَازِمُ الْحَقَّ، فَالْفِعْلُ أَيْضًا، عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ مِثْلَ الْإِنْفِعَالِ ثُنَائِي الْحَدِّ، فَكِلَاهُمَا
 غَيْرُ بَسِيطٍ. ثُمَّ إِنَّ الْمُلْكَ ثُنَائِي هُوَ أَيْضًا، وَالْوَضْعُ هُوَ كَوْنُ الشَّيْءِ عَلَى حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ فِي
 شَيْءٍ آخَرَ، فَحُدُودُهُ ثَلَاثَةٌ.

١٧ هَذَا وَلِمَاذَا لَا نَجْعَلُ الْحَسَنَ وَالْخَيْرَ وَالْفَضَائِلَ فِي الْأَجْنَاسِ الْأُولَى، وَالْعِلْمَ وَالرُّوحَ
 أَيْضًا؟ إِذَا عَرَفْنَا بِالْخَيْرِ ذَلِكَ الْأَوَّلَ الَّذِي نَقُولُ فِي حَقِيقَتِهِ إِنَّهَا الْخَيْرُ الْمَحْضُ، لَا يُقَالُ فِيهَا شَيْءٌ
 بَلْ تُشِيرُ إِلَيْهَا نَحْنُ بِهَذَا الْأَسْمِ لِأَنَّا لَا يَسَعُنَا أَنْ نَدُلَّ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ آخَرَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ جِنْسًا لِشَيْءٍ
 ٥ بِحَالٍ. فَإِنَّهُ لَا يُقَالُ فِي شَيْءٍ سِوَاهُ، / وَإِلَّا غَدَا الشَّيْءُ الَّذِي يُقَالُ الْخَيْرُ فِيهِ هُوَ الْخَيْرُ الْمَقُولُ
 ذَاتَهُ. ثُمَّ إِنَّهُ قَبْلَ الذَّاتِ وَلَيْسَ فِي الذَّاتِ. أَمَّا إِذَا عَرَفْنَا بِالْخَيْرِ كَيْفًا، فَإِنَّ الْكِيفَ بِوَجْهِ عَامٍّ لَيْسَ
 جِنْسًا مِنَ الْأَجْنَاسِ الْأُولَى. مَاذَا إِذَا؟ أَلَيْسَتْ حَقِيقَةُ الْحَقِّ خَيْرًا؟ بَلَى! وَلَكِنْ بِمَعْنَى آخَرَ، لَا
 ١٠ بِمِثْلِ مَا يُقَالُ فِي الْأَوَّلِ. ثُمَّ إِنَّ خَيْرًا لَنْ يُلَازِمَ الْحَقَّ كَيْفًا لَهُ، / بَلْ يَكُونُ فِيهِ. لَكِنَّا قُلْنَا فِي
 الْأَجْنَاسِ الْآخَرَى إِنَّهَا فِي الْحَقِّ هِيَ أَيْضًا، وَلَئِنْ كَلَّأْنَا مِنْهَا كَانَ مَعْنَى مُشْتَرَكًا يُرَى فِي أَشْيَاءٍ

كثيرة، فإنه كان جنسًا. وإن كنا نُشاهد الخير في كل جزء من أجزاء الذات أو الحقّ أو في مُعظم هذه الأجزاء، فلماذا لا يكون جنسًا وهو جنس من الأجناس الأولى؟ أجل إنه في الأجزاء كلّها،
 ١٥ ولكن ليس على حال واحدة، بل/ قد يكون خيرًا من المقام الأول أو الثاني أو ما بعد ذلك. ونحن هنا بين أمرين: فإما أن ينبعث شيء من آخر أو مُتأخّر عن مُتقدّم، وإما أن تنبعث الأشياء كلّها من الواحد الذي هو وراء الحقّ، على أن تختلف في أخذها عنه باختلاف طبائعها. وإن أردنا أن نجعل الخير جنسًا، فهو جنس مُتأخّر. فإن يكون الشيء خيرًا هو أمر مُتأخّر عن الذات
 ٢٠ وعمّا يكون عليه الشيء في ذاته،/ حتّى ولو كان هذا الأمر للشيء لازماً. أما تلك الأجناس فإنّها من الحقّ في صميمه، ومن حيث إنه حقّ، وهي تمتّ إلى الذات بِصِلّة. ذلك بأنّ فوق هذه الأمور ما يقوم وراء الحقّ، مادام الحقّ والذات لا يسعهما إلّا أن يكونا مُتعدّدين، إذ لا بُدّ للحقّ من أن يكون مُنطويًا على تلك الأجناس التي أحصيناها ومن أن يكون واحدًا مُتعدّدًا. على الرغم
 ٢٥ من ذلك كلّ، فإنّا لا نتردّد في القول بأنّ الخير/ لازم للحقّ على أنّه تحقّق الحقّ طبعًا في توجّهه إلى الواحد، وبأنّ في ذلك خير الحقّ بالذات، حتّى يُصبح بذلك في مثال الخير. وإن كان ذلك كذلك أمسى الخير الذي في تحقّق الحقّ نحو الخير مُتّجّها. وخير الحقّ بهذا المعنى إنّما هو
 ٣٠ حياته، أعني حركته. ولقد استباننا لنا الحركة جنسًا من الأجناس الأولى./

١٨ أما الحسن، فإن كنا نعني به الحسن الأوّل، كان قولنا فيه قولنا في الخير الأوّل أو قولًا على غرارهِ. أما إذا قصدنا به ما يقع على المثال كأنّه بهاء، فإنّا نقول في هذا البهاء أنّه لا يكون هو هو ذاته في الأشياء كلّها وإنّ بهاء الحقّ أمر مُتأخّر على الحقّ. وإن كنا لا نعني بالحسن إلّا
 ٥ الذات فقط، فيقال فيه ما قيل في الذات. وإن/ عرفناه بالنسبة إلينا عندما نُشاهده لإحداثه فينا انفعاليًا من نوعه، فإنّ فعله إنّما هو حركة آنذاك، وهي حركة ولو كان الفعل مُوجّهًا إلى الواحد الأوّل. أما العِلْمُ فإنّه حركة هو أيضًا وحركة تندفع من تلقاء ذاتها، إذ أنّه إِبصار للحقّ وفعل في حدّ ذاته؛ لكنّه ليس بِمَلَكَةٍ. فيُصنّف مع الحركة إذًا، أو إن شئت، مع السكون، أو أيضًا مع
 ١٠ الطّرفين، على أن يكون بمثابة مزيج إذا وقع في الطّرفين./ وإن كان العِلْمُ كذلك، فإنّه، مزيجًا، أمر مُتأخّر. لهذا وإن الروح الذي يُدرك الحقّ بالعرفان، وهو مُرَكَّب من أمور كثيرة، ليس جنسًا من الأجناس الأولى. فإنّ الروح الحقّ هو مع الأشياء كلّها، لا بلّ إنه الحقائق كلّها.
 أما الحقّ وحده وبمُفرّده، إذا نظرنا إليه على أنّه جنس، كان عنصرًا من عناصر الحقّ. أما العدل
 ١٥ والعقّة والفضيلة/ بوجهٍ عام، فإنّ ذلك كله من أفعال الروح؛ فلا نجدّه بين الأجناس الأولى، بل يُشكّل أنواعًا مُتأخّرة على الجنس.

١٩ إن كانت تلك الأربعة هي الأجناس والأجناس الأولى، أفِيُحْدِثُ كُلَّ جنس منها أنواعه؟ هل يَتَجَزَّأُ الحَقُّ مثلاً هو من تلقاء ذاته مُستَقِلاً عن الأجناس الأخرى؟ فَإِنَّهُ ينبغي للجنس أن يتلقَى فصوله من الخارج، وللفصول أن تتفرَّع من الحَقِّ من حيث إِنَّهُ حَقٌّ وليس هو الفُصول. وأَتَى/ يحصل عليها؟ لا يأخذها من العدم. وإن أخذها من الحقائق، لم يُقابَلْ منها إِلَّا الأجناس الثلاثة الباقية، فيأخذ منها فُصوله لا محالة، وهي تُصاحِبُه مُضافة إليه مَقرونة به واقعة معه. فَإِنْ صَحِبَتْهُ أسهمت معه في إخراج ذلك الشَّيْءِ المُؤَلَّف من الأشياء كلها. وبعدُ، فكيف تكون الأمور إِذَا بعد هذا الشَّيْءِ المُؤَلَّف من الأشياء كلها؟ وكيف تكون الأجناس كلها/ ثُمَّ تُحْدِثُ الأنواع. بل كيف ينتج عن الحركة أنواع الحركة؟ ثُمَّ السُّكُون والأُمور الأخرى كيف تخرج منها أنواعها؟ ينبغي أن نحرص على الجنس من أن يَقْنَى في أنواعه ومن أن يُطْلَقَ عليها بمعنى أَنَّا نَتَنَبَّه فيها بذهننا فقط، بل أن يكون في أنواعه وفي ذاته أيضاً، / وأن يكون معزوجة ومُتَزَهة عن كُلِّ مزيج في الآن ذاته. فإذا أسهم في قيام الذات لا يَقْنَى هو. كُلُّ هذه أمور يجب البحث فيها. هذا وقد ذكرنا أَنَّ ما يتألف من الحقائق كلها هو الروح بما فيه الروح الجزئي. ثُمَّ افترضنا الحَقَّ والذات مُتَقَدِّمِينَ على الأشياء كلها التي تغدو منهما بمنزلة الأنواع والأجزاء وَلَمَّا يَسْتَوِ الروح في كيانه، إِذْ إِنَّا قُلْنَا في الروح/ إِنَّهُ مُتَأَخَّر. فهذه مُشْكِلَةٌ يسعنا أن نستخدمها في موضوع بحثنا، فنُنْزِلُهَا منزلة المَثَلِ لِتُلِجَ في معرفة ما نحن في صددِه.

٢٠ فلنأخذ الروح إِذَا في كونه غير مُتَّصِل بشيء من الجزئيات وغير مُحْدِث فيها تأثيراً مهما يكن، حتَّى لا يُسمَّى روحاً مُعَيَّناً، مثلما يكون الأمر في العِلْم أن يغدو مُجَزَّأً إلى أنواعه، وفي النُّوع الخاص من العِلْم قبل أن تبرز أجزاؤه. فَإِنَّ العِلْم الكُلِّي ليس شيئاً من أجزائه، وهو يَتَّسِع لها كلها. فالجزء منه بالفعل، / والأجزاء كلها بالقُوَّة. تلك هي حال العِلْم الكُلِّي. أما العلوم النوعية فَإِنَّهَا كامنة بالقُوَّة في العِلْم الكُلِّي، وتشتمل على ما يكون من نوعها، على أَنَّها العِلْم الكُلِّي بالقُوَّة. فقد يُقال فيها إِنَّها العِلْم الكُلِّي، وهي ليست جزءاً من أجزائه؛ أما العِلْم الكُلِّي فأقل ما يجب فيه هو أن يبقى في ذاته لا تشوبه شائبة. وكذلك نقول في الروح إِنَّهُ الروح الكُلِّي/ من ناحية وهو قبل الأرواح الجزئية الثابتة فعلاً، وإِنَّهُ هذه الأرواح من الناحية الأخرى. فالأرواح الجزئية حافلة بالأشياء كلها، والروح المُحَلِّق فوقها يمدّها بما لديها. إِنَّهُ لطاقتها وهو ينطوي عليها بِشُمُوله الكُلِّي، على أن تعود هذه الأرواح الجزئية وتنطوي بدورها على الروح الكُلِّي في اشتمالها على جزئيات الأمور، كما/ أَنَّ العِلْم الخاص ينطوي على العِلْم الكُلِّي. فيكون الروح الأعظم قائماً في ذاته، ويغدو كُلُّ روح من الأرواح الجزئية قائماً في ذاته بِدَوْرِهِ أيضاً، على أن يعود الروح الكُلِّي ويُحِيط بالأرواح الجزئية، كما أَنَّهُ يكون بِدَوْرِهِ كامناً

فيها. وبذلك كله يغدو كل روح من الأرواح الجزئية قائماً في ذاته وفي غيره، ويغدو الروح
 ٢٠ الكلّي هو أيضاً قائماً في ذاته وفي الأرواح الجزئية. فالأرواح الجزئية كلها كامنة/ بالقوة في
 الروح الكلّي القائم في ذاته. فيكون هو الأرواح كلها بعضها مع بعض فعلاً، ويكون كل روح
 جزئي على حiale بالقوة، ويغدو كل من الأرواح الجزئية ما يكون هو عليه في ذاته فعلاً والروح
 الكلّي بالقوة. وبقد ما يكون الروح الجزئي ما يقال فيه، يمسى فعلاً ذلك الذي يقال فيه. أما
 ٢٥ من حيث إنه ثابت في الروح الكلّي ثبوته في جنسه، فهو هذا الروح الكلّي بالقوة. / ثُمَّ إِنَّ
 الروح الكلّي بدوره، من حيث كونه جنساً، هو طاقة الأنواع كلها التي تقع تحته، وليس شيئاً
 منها بالفعل، بل كلها قائمة فيه وهي ساكنة. أما من حيث إنه بالفعل قبل أنواعه، فليس أمراً من
 الأمور الجزئية. وما دامت الأرواح الجزئية ثابتة حقاً وكان كل منها بمنزلة النوع، وجب في
 الفعل المنبعث من الروح الكلّي أن يكون سبباً لها.

٢١ وكيف يبقى هو ذاته واحداً مثلما دلّ عليه كلامنا، ثُمَّ يُحدث تلك الأمور الجزئية؟ هذا
 يعود إلى السؤال عن الأجناس الأربعة كيف تنبعث منها الأنواع التي يُقال فيها إنها تابعة لها.
 أنظر إلى هذا الروح الكبير العظيم! ليس حافلاً بالقول، بل بالمعرفة، وهو الأشياء كلها وروح
 ٥ كله، ليس روحاً جزئياً أو خاصاً. أمعن النظر فيه كيف ينطوي على الأشياء التي تخرج/ منه
 كلها. إن لديه العدد يُشاهده في ما يُشاهد، وهو واحد مُتعدّد. وهذا العدد إنما هو تعدّد قواه،
 وما أعجبها قوَى لا تني ولا تكلّ. وهي قوَى لا تشوبها شائبة، فلا غرور إن كانت في مُنتهى
 العظمة، وكأنها زاخرة. إنها للقوَى حقاً، ليس لها حدّ إليه تنتهي. ذاك هو الروح الذي لا يُحدّ
 ١٠ بِحدّ، فهو اللانهاية وهو العظم. / حتّى إذا ما شاهدت هذا العظم مع ما يكون عليه من حسن
 الذات ومع ما يُحيط به من نور وسناء، وشاهدته أثناء انتشاره في الروح، أدركت كيف أيضاً
 مُنوّراً. أما المقدار الذي يصحب الفعل المُتصل في استرساله، فإنّه يظهر هو أيضاً لعيانك ثابتاً
 ١٥ في سكونه. ويتبع عن ذلك كله شيء واحد، ثُمَّ شيان، / ثُمَّ ثلاثة، مادام المقدار مثل الكمّ كله
 بأبعاد ثلاثة. ثُمَّ إذا سار الكمّ المُشاهد وصاحبه الكيف، واجتمعا وأصبحا كاتهما شيء واحد
 ظهر الشّكل حينذاك. هذا وإن أقبلت الغيرية وفصلت الكمّ عن الكيف، نشأت الفروق بين
 ٢٠ الأشكال مُصطحبة بالكيفيات الأخر. وتأتي الذاتية/ مع الغيرية فتحديث التساوي، في حين أنّ
 الخلافة تنفيه في الكمّ والعدد والمقدار. من هذا كله تنشأ الدوائر والمربعات والأشكال
 المؤلفة من أبعاد غير متساوية، ومنه أيضاً ينشأ في العدد التماثل وعدمه، والشّفع والوتر.
 ٢٥ وما دامت حياة الروح حياة روحانية وتحققاً ليس فيه نقصان، / فلن يفوتها شيء ممّا تنبئناه نحن
 عملاً روحانياً، بل تشمل بقوّتها الأشياء كلها على أنّها كلها حقائق، وبالوجه الذي يسعها أن

تكون معه في حوزة الروح . أما كونها في الروح فمثل كونها في العرفان على ألا يكون العرفان
الكامن في التّفكّر . فلا يفوته شيء من البُنى المعنويّة، بل إنّه ذاته بمثابة بُنية معنويّة واحدة،
٣٠ عظيمة كاملة مُستجملة على البُنى المعنويّة كلّها، يجتازها منذ أوائله . / أو الأخرى بالقول فيه
دائمًا إنّه قد اجتازها، إذ إنّ الاجتياز لا يصحّ فيه حقًا . ومهما يكن الوجه الذي ننظر منه، فإنّ كلّ
ما ندركه بالتّفكير من الحقائق في الطّبيعة، نجده قائمًا في الروح بدون تّفكّر . الأمر الذي
يحملنا على الاعتقاد في الروح أنّه صنّع الحقّ وقد انتهى من التّفكّر، مثلما تكون الحال في البُنى
٣٥ المعنويّة التي تحدث في الحيوان . / فإنّ خير ما يدلّنا عليه التّفكّر وهو على أشدّه عمقًا وتبيّانًا،
نجدّه كلّ فيما يكون عليه، كما أنّ في البُنى المعنويّة قبل كلّ تّفكّر . وما عسانا أن نتوقّع من
الأُمور المُتقدّمة على الطّبيعة المُخلّقة فوق ما تنطوي عليه الطّبيعة من بُنى معنويّة؟ فإنّ الذات
٤٠ في عالم هذه الأُمور ليست إلّا الروح . والحقّ هنالك، مثل الروح، ليس أمرًا مُستحدثًا . /
فتغدو الحال على خير ما يُرام ولا عناء، ما دامت الذات مُنسجمة مع الروح، فلا يتحقّق إلّا ما
يريدّه الروح ويكون ما يتحقّق هو الروح بالذات . ولذلك كان الروح هو الحقّ والأوّل إذ إنّهما
لو انبثقا من شيء آخر لكان هذا الشيء هو الروح ذاته . وخلاصة القول هي أنّ الأشكال كلّها
ظاهرة في الروح والكيف كلّهُ أيضًا . على أنّ هذا الكيف ليس كيفًا معيّنًا، وما كان شأنه أن يقوم
٤٥ في الوحدة ما دام مُنطويًا على حقيقة غيره، / بل هو واحد ومُتعدّد إذ إنّنا نجد فيه الذاتية أيضًا .
فإنّ الحقّ واحد ومُتعدّد، وهو كذلك مُنذ البداية بحيث إنّك تجد الوحدة والتّعدّد في الأنواع
كلّها: تعدّد في المقادير وفي الأشكال وفي الأكيايف . ولا يجوز استثناء شيء من هذه القاعدة إذ
٥٠ إنّ الكلّ في الملاء الأعلى كلّ كامل وإلّا لما استوى كلّاً . / ثمّ إنّ في الحقّ، إلى جانب الأشكال
والكيف، حياة تجري أو بالأحرى تُرافق الحقّ من أيّ وجه نظرت إليه . فلا بُدّ، بعد ذلك، من
أن ينشأ الحيوان في كلّ صوبٍ وناحية؛ فتكون الأجسام بحُضور الكيف والهيولى . تنشأ الأشياء
كلّها باستمرار إذا ثمّ تبقى ويشملها الأبد في كيانها، على أن يقوم كلّ شيء على حياله بما يكون
٥٥ هو عليه في ذاته، ثمّ تعود فيتوحّد بعضها مع بعض . / هذا هو الروح: إنّّه بمنزلة شبكة تضمّ
الأشياء كلّها في شيء واحد وقد تألف بعضها مع بعض . وإن كان مُنطويًا على الحقائق كلّها،
فإنّه الحيوان الكامل، أعني الحيوان بالذات . أمّا الحقيقة التي تنبثق منه، فإنّه يعرض لها وجهه
حتّى تراه، ويُتيح لها أن يُقال فيها بالصّواب إنّها أصبحت أمرًا روحانيًّا .

٢٢ هذا هو معنى ما ورد توريّةً عند أفلاطون إذ يقول: «... إنّ الروح، وهو على هذه
الحال، إنّما يدرك المعاني في الحيوان الكامل، فيرى كيف تكون وما هو عددها». ثمّ إنّ
النّفس تأتي بعد الروح، وقد تنطوي هي أيضًا على المعاني بقدر ما تكون نفسًا، لكنّ هذه

المعاني تبدو لها على وُضوح أشدّ إذ شاهدتها في ما يكون مُتقدِّمًا عليها. وكذلك القول في
 ٥ روحنا، إذا نظر في ذاته شاهد فقط؛/ أما إذا نظر في ما كان قبله فقد شاهد أنّه يُشاهد أيضًا.
 والواقع هو أنّ ذلك الروح الذي قلنا فيه أنّه «يُشاهد» ليس مُنفصلاً عن الأمر الذي يتقدّمه ومنه
 انبثق. وما دام هو أمرًا مُتعدّدًا مُنبثقًا من أمر واحد ومُنطويًا على حقيقة الغيرية مصحوبًا بها،
 ١٠ كان في ذاته أمرًا مُتعدّدًا. بيدّ أنّه ما دام الروح الواحد وهو مُتعدّد،/ كان بالضرورة ذاتها مُحدّثًا
 للأرواح الكثيرة. على أنّه لا يسعنا أن نُدرِك فيه الأحَد عدداً وفرداً؛ إنّما نُدرِك فيه التَّوَحُّد لأنّه مُنزّه
 عن الهيولى. ولهذا ما يُورّي عنه أفلاطون بقوله إنّ «الذات تتجزّأ إلى ما لا نهاية له». فإنّنا ما دُمنا
 ١٥ مُستمرّين في التَّجزؤ من نوع إلى آخر، مُنطلقين من الجيش مثلاً،/ فاتنا الحدّ الذي لا نهاية له،
 إذ إنّ التَّجزؤ آنذاك يُحدّد بالأنواع المُتولّدة. أمّا التَّوَحُّد الأخير الذي لا يُجزّأ إلى أنواع، فهو
 الأشدّ تحقّقًا لما لا نهاية له. ولهذا هو معنى قوله: «ينبغي حينذاك أن يُخلّى بينها وبين اللانهاية،
 وأن تُترك على شأنها». بيدّ أنّنا ما دُمنا مع الأفراد في ذاتها فإنّنا لا نزال في اللانهاية؛ أمّا إذا
 ٢٠ شملناها بالوحدّة، فإنّها تعود وتخضع للعدد. إنّ الروح/ ينطوي إذاً على ما يتأخّر عليه، أعني
 النَّفْس، ممّا يُؤدّي إلى أنّ النَّفْس محصورة بعدد هي أيضًا، وذلك حتّى آخر جزء من أجزائها.
 لكنّ هذا الجزء الأخير لا ينتهي أبدًا إلى حدّ. ثمّ إنّ الروح على هذه الحال هو جزء، ولو كان
 مُنطويًا على الأشياء كلّها وكان الكلّ، وإنّ الأرواح المُتجزّئة منه أجزاء قائمة فعلاً وحقًا ما دام
 ٢٥ هو ذاته جزءاً حقّاً. أمّا النَّفْس فتكون جزءاً/ من جزء على أن تغدو تحقّقًا مُنبثقًا من الروح. إذا ما
 أجرى الروح تحقّقاته في ذاته كانت الأرواح الأخرى مُحقّقاته إذا؛ أمّا إذا دفع تحقّقه من ذاته
 إلى الخارج، فالنَّفْس تكون حينئذٍ. وإن أجرت النَّفْس تحقّقًا من حيث إنّها جنس أو نوع نشأت
 النَّفوس الأخرى أنواعاً لها. ثمّ إنّ لهذه النَّفوس ضريين من التَّحَقُّقات: إذا وجّهت النَّفْس وجهها
 إلى الملاء الأعلى كانت روحًا، وإذا وجّهت وجهها إلى العالم الأدنى كانت بقدر هبوطها قواها
 ٣٠ الأخرى./ على أنّ القوّة الأخيرة من قواها تكون قد اتّصلت بالهيولى وعمرتها بالصورة، كما
 أنّ جانبها الأدنى لا يمنع كلّ ما بقي منها من أن يكون في الملاء الأعلى. بيدّ أنّ ما يُقال فيه أنّه
 أسفلها إنّما يكون ارتسامًا لها، غير مفصول عنها، بل يكون بمنزلة ما ينعكس في المرايا
 ٣٥ والأصل المرئيّ حاضر خارج المرأة./ ولكن يجب في هذا الأصل القائم خارج المرأة أن
 نفهم الوجه الذي يكون عليه. إنّ العالم الروحانيّ يمتدّ إلى ما قبل هذا الارتسام، وإنّه، عالمًا،
 كمال كلّ ما دام مؤلّفًا من الروحانيّات كلّها. ثمّ إنّ عالمنا صورة له وهو مثله حيوان في ذاته
 بقدر ما يسعه أن يحفظ فيه صورة الحيوان. مثل ذلك مثل رسم أو انعكاس في الماء لشيء نعتقه
 ٤٠ مُتقدّمًا على الرّسم أو على الماء./ لكن الصورة المُرتسمة في الرّسم أو في الماء ليست الأصل
 الخارج في طرفه، الطّرف الذي يَعمُر بالصورة، والطّرف المعمور بها. إنّما الصورة المُرتسمة

هي هذا الطرف الأخير. وكذلك الأمر في صورة العالم الروحاني: لا تنطوي على ارتسام صانعها بل على ارتسام الأمور التي يشتمل هذا الصانع عليها. وإنّ الإنسان لَين هذه الأمور هو ٤٥ والحيوان تختلف أنواعه. أجل، إنّ الصانع حيوان هو أيضاً، / ولكنه حيوان بمعنى آخر، وكلاهما في العالم الروحاني.

الفصل الثالث

(٤٤)

في الحق وأجناسه (المقال الثالث)

١ ذلك هو رأينا في الذات إذا، ولقد ذكرنا الوجه الذي يتلاقى فيه مع مذهب أفلاطون. فينبغي لنا الآن أن نبحث في العالم الحسي هل يجب أن نُثبت فيه الأجناس التي أثبتناها في العالم الروحاني. وإن جعلنا عدد الأجناس الحسيّة زائداً على عدد الروحانيّة كنا أيضاً بين أمرين: إما أن يكون ما هنا مُختلِفاً عما هناك اختلافاً تاماً، وإما أن يكون بعضه مثل ما هناك وبعضه الآخر مُختلِفاً عنه. / على أن القول في الأجناس إنّها هي ذاتها هنا وهناك يعني كونها كذلك بالقياس والاشتراك في الاسم. وهو أمر يستبين بعد اطلاعنا على تلك الأجناس. لهذا وإنّا نشرع أولاً بما يلي: ما دام بحثنا بحثاً في المحسوسات، والمحسوس محصوراً في هذا العالم، أصبح موضوع بحثنا هو هذا العالم لا محالة. فينبغي أن نُجزئ طبيعته، / ونُميّز بين الأصول التي يتألف منها فنُصنّفها أجناساً. مثل ذلك مثلما لو جزأنا الصّوت وهو لا نهاية له إلى أجزاء محدودة. فإنّا نحصر بحدّ واحد ما نراه باقياً على ذاته بين الأجزاء الكثيرة، ثم نعود فنُثبت حدّاً ثانياً ثم حدّاً ثالثاً وهكذا دواليك حتّى ننتهي إلى عدد مُعيّن، فنُصنّف كلّ حدّ من هذه الحدود. ١٥ أما الحدّ الواقع فوق الأفراد فنُسميه نوعاً، في حين أنّنا نسمي/ جنساً الحدّ الواقع فوق الأنواع. أما الصّوت فيسعنا أن نردّ إلى الوحدة كلّ ما يظهر منه بعضه مع بعض وكلّ نوع من أنواعه، ونقول في ذلك جميعاً إنّهُ «حرف» تارة أو «صوت» تارة أخرى. أما ما نحن في صددهِ، فإنّ الأمر يستحيل علينا، كما أثبتناه سابقاً. ولذلك وجب البحث عن أجناس تكون بعدد أوفر. ثم إنّ الأجناس في هذا العالم تختلف عن التي في العالم الروحانيّ ما دام العالمان مُختلفين، لا يُطلَق عليهما اللفظ الواحد/ بالترادف بل بالاشتراك في الاسم. وإتّما هذا العالم صورة لذلك. ٢٠ هذا وإنّ عالمنا إنّما هو قائم في مزيج وتركيب، فهو جسم من ناحية ونفس من الناحية الأخرى؛ إذ إنّ الكلّ حيوان. أمّا النّفس في حقيقتها فإنّها قائمة في عالم الروح ولا تتسجم مع ما نعرفه بالذات الحسيّة في بُنيانها، فيجب عزلها عن بحثنا هنا مهما صعب الأمر علينا. / مثل ذلك كما لو أردنا أن نُرتّب أهل مدينة حسب المقامات أو الصّناعات مثلاً، فإنّا ندع الدُّخلاء من سكّانها

جانبًا. أما الأحوال التي تُصاحب الجسم أو تقع بوساطته فتطرأ على النفس، فإننا ندقق النظر فيها بعد ذلك، / فُتَيِّن الرتبة التي ينبغي أن نجعلها لها عندما نبحث في الأمور الحسية.

- ٢ هذا وينبغي أن نُعين النظر أولاً في ما يُعرَف بأنه الذات مع التسليم بأنها لا تُقال في الجسم حقاً إلا بالاشتراك في الاسم. أو إن شئنا فلنقل إن لفظة «ذات» لا تنطبق بحال على مفهوم الأمور التي تجري، بل القول الصحيح في هذه الأمور هو إنها تصوير. ثم إن الأمور الخاضعة للصيرورة يختلف بعضها عن بعض. فإن الأجسام تُردُّ إلى الوحدة، فمنها البسيط/ ومنها المركَّب؛ ثم الأعراض أو اللوازم، تُقبل عليها هي أيضاً فنفصل بعضها عن بعض. أو إننا نُميزه، في تقسيمنا، بين الهيولى والمثال الواقع عليها فتُعدُّ جنساً كلياً من الطرفين على جذّة، أو نُعدُّهما واقعين كليهما تحت جنس واحد على أن كلياً منهما ذات بالاشتراك في الإسمية أو الصيرورة. ولكن ما عسى أن يكون الوجه الجامع بين الهيولى والمثال؟ بأيّ معنى تكون الهيولى جنساً، وما هي الأمور التي تشتمل عليها جنسياً؟ فما عسى أن يكون فصلها النوعي؟ بل ما عسى أن تكون الرتبة التي ينبغي أن نجعل فيها المركَّب من الهيولى والمثال كليهما؟ إن كان المركَّب من الطرفين هو الذات الجسميّة عينها، ولم يكن كلّ منهما جسماً، فكيف تُصنّفهما مع المركَّب منهما في المقام الواحد ذاته؟ كيف تكون حُرُوف لفظة ما من مقام هذه اللفظة؟ أما إذا انطلقنا من الأجسام، غداً انطلقنا/ كأنه مُنبعث من أجزاء اللفظة، لا من حُرُوفها. ولكن لماذا لا نلجأ إلى المُقايَسة بين ما يكون في هذا العالم وما هو ثابت في عالم الروح؟ حتّى وإن لم يكن التقسيم واقعاً على الأشياء ذاتها، فإننا نقول في الهيولى إنها تحلّ محلّ الحقّ هناك، وفي المثال إنه يحلّ هنا محلّ الحركة هناك. على أن المثال بمنزلة الحياة للهيولى وتكميلها؛ أما استقرار الهيولى في ذاتهما فبمثابة السكون في الملاء الأعلى. / ولماذا لا نُسلم بوجود الذاتية والغيريّة أيضاً ما دامت الغيريّة والخلافة بأن تكون في هذا العالم أخرى؟ نُجيب أولاً أن الهيولى لا تحصل على المثال وتتلقاه بمعنى أنّه حياتها أو تحقّقها؛ بل يقع المثال عليها من الخارج على أنّه ليس منها. ثم إن المثال في عالم الروح تحقّق وحركة، إذ إن الحركة هنا/ شيء آخر وهي عَرَض. فأولّى بالمثال أن يكون استقراراً للهيولى حتّى لكأنه سُكونها، ما دام يضبطها بِحدّ مع أنّها لا حدّ لها. لهذا وإنّ الذاتية والغيريّة هناك إنّما يقعان على أمر واحد هو حقّاً ذاته وغيره، في حين أنّ الغيريّة هنا إنّما تكون في الاشتراك مع شيء آخر وبالإضافة إليه. فالذاتية والغيريّة أمر يكون في المُتأخّرات حينذاك، وليس مثلما نجده عليه في الملاء الأعلى. / وأخيراً كيف يكون للهيولى سُكون وهي تمتدُّ إلى المقادير كلّها وتتلقّى صُورها من الخارج، وليس بوسعها مع هذه الصُور أن تُولّد الأشياء الأخرى؟ يجب في هذا التقسيم إذاً أن نعدل عنه.

٣ ما عسانا نقول إذا؟ فليكن تقسيمًا أولًا على نحو ما يلي: الهَيُولَى ثم المِثَال، ثم المزيج من الطرفين، ثم ما يتعلّق بهذه الأمور كلّها. أمّا ما يتعلّق بهذه الأمور فمنه ما يُقال فيها فقط، ومنه ما يطرأ عليها عَرَضًا. وبين ما يطرأ على تلك الأمور الثلاثة عَرَضًا، منه ما يقع فيها، ومنه ما تقع هي فيه، / أو يكون تَحَقُّقُها أو حالًا لها أو تابعًا من توابعها. ثم نقول في الهَيُولَى إنّها الأمر المُشْتَرَك بين الذوات كلّها، وليست هي جنسًا لأنّها لا تنطوي على فُصول إلّا إذا كانت فُصولها في أنّها تحمل في جنباتها صورة النار تارةً وصورة الهواء طورًا. أمّا إذا اكتفينا، للقول في الهَيُولَى إنّها جنس، بكونها الأمر المُشْتَرَك بين الأشياء التي تكمن فيها، / أو بكونها في مثابة الكلّ بالإضافة إلى أجزائه، كان للجنس معنى آخر آنذاك. فضلًا على أنّ العنصر واحد هو أيضًا بهذا المعنى، فبوسعنا أن يكون جنسًا هو أيضًا. أمّا المِثَال فإنّ الوصف بأنّه مثال «مُتعلّق بالهَيُولَى» أو «في الهَيُولَى» يفصله، مثالًا، عن مُثُل أخرى، ولكنّه لا يشتمل على حقيقة المِثَال كلّها في ذاتها. وإن ذهبنا في المِثَال إلى أنّه ما يحدث الذات، / وفي البُنية المعنويّة إلى أنّها الأمر الذاتيّ في المِثَال، ذهبنا إلى ذلك ولمّا نقل في الذات على أيّ وجه ينبغي أن نفهمها. أمّا المركّب من الهَيُولَى والمِثَال فإن كان هو الذات فقط، لم يكن المِثَال ذاتًا ولا الهَيُولَى. وإن كان كلّ منهما ذاتًا مثل المُركّب، وجب البحث عن المعنى الجامع بين الثلاثة. فإن مُجرّد ما يُقال فيها يقع في مقولة الإضافة مثل كون الشّيء سببًا أو كونه عنصرًا. ثم إنّ ما يطرأ على الهَيُولَى / عَرَضًا فمنه الكمّ ومنه الكيف بمقدار ما نجدهما فيها. أمّا ما تقع فيه تلك الثلاثة فالمكان والزّمان مثلاً، وأمّا تحقّقاتها وأحوالها فمثل الحركة، وأمّا توابعها آخر الأمر فمثل المكان والزّمان أيضًا: فالأوّل يلزم المُركّب والثاني يلزم الحركة. وإذا جمعنا تلك الثلاثة في الوَحْدة وجدنا الأمر المُشْتَرَك بينها/ وهو الشّيء الحسّي الذي هو ذات بالاشتراك في الاسم. ثم تلي الأمور الأخرى: الإضافة والكمّ والكيف والكون في الزّمان وفي المكان والحركة. أو إن أدخلنا المكان والزّمان في الحُساب، أصبح الكون في الزّمان وفي المكان في الفُصول، فيكون لدينا خمسة أجناس، على أنّ الأجناس الأولى الثلاثة تُشكّل جنسًا واحدًا. ٢٠ وإن لم تكن هذه الثلاثة واحدًا، فلدينا الهَيُولَى والمِثَال والمُركّب منهما، / والإضافة والكمّ والكيف والحركة. بل يجوز ردّ الثلاثة الأخيرة هنا إلى المُضاف إذ إنّهُ أوسع منها شمولًا.

٤ فما عسى أن يكون الشّيء الواحد الذي يبقى على ذاته دائمًا في هذه الأمور الثلاثة، المِثَال والهَيُولَى والمُركّب، ثم ما الذي يجعل هذه الثلاثة هي والذات القائمة بينها شيئًا واحدًا؟ لأنّها من وجه ما، محلّ للأشياء الأخرى؛ لكنّ الظاهر في الهَيُولَى أنّها هي محلّ المِثَال وكُرسِيّه، فلا يكون المِثَال في الذات بعد ذلك. ثم إنّ المُركّب هو محلّ الأشياء الأخرى

٥ كَلِّهَا وَمَقَامَهَا، فَيُصْبِحُ الْمَثَالُ / مع الهَيُولَى محلًّا للمُرْكَبَاتِ أو للمُتَأَخَّرَاتِ عَلَى المُرْكَبِ كَلِّهَا،
 مثل الكَمِّ والكَيْفِ والحَرَكَةِ. أو لَأَنَّهَا لَا تُقَالُ فِي غَيْرِهَا؟ فَإِنَّ الْأَبْيَضَ وَالْأَسْوَدَ يُقَالَانِ فِي
 غَيْرِهِمَا، مَا دَامَ الْأَبْيَضُ يُقَالُ فِي الشَّيْءِ الَّذِي أَصْبَحَ أبيض. ثُمَّ إِنَّ الضَّعْفَ يُقَالُ فِي غَيْرِهِ؛
 ١٠ وَلَسْتُ أَعْنِي أَنَّهُ يُقَالُ فِي الضَّعْفِ، بَلْ أَعْنِي قِطْعَةَ خَشَبٍ يُقَالُ الضَّعْفُ فِيهَا. / وَالْأَبُّ يُقَالُ فِي
 غَيْرِهِ هُوَ أَيْضًا، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَبٌ، وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي الْمَعْرِفَةِ لَدَى مَنْ تَكُونُ فِيهِ الْمَعْرِفَةُ. ثُمَّ إِنَّ
 الْمَكَانَ حَدًّا لَغَيْرِهِ وَالزَّمَانَ قِيَاسَ لَغَيْرِهِ. أَمَّا النَّارُ فَلَا تُقَالُ فِي غَيْرِهَا وَلَا الْخَشَبُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ
 خَشَبٌ، وَلَا الْإِنْسَانُ وَلَا سِقْرَاطُ وَلَا الذَّاتُ الْمُرْكَبَةُ بِوَجْهِ عَامٍّ، وَلَا الْمَثَالُ الَّذِي هُوَ مِنْ قَبِيلِ
 ١٥ الذَّاتِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي غَيْرِهِ حَالًا لَهُ. / فَإِنَّهُ لَيْسَ مِثَالُ الْهَيُولَى، بَلْ جُزْءٌ فِي الْمُرْكَبِ مِنَ الْمَثَالِ
 وَالْهَيُولَى، فِي حِينَ أَنْ مِثَالُ الْإِنْسَانِ إِنَّمَا هُوَ وَالْإِنْسَانُ شَيْءٌ وَاحِدٌ. ثُمَّ إِنَّ الْهَيُولَى جُزْءٌ مِنْ كُلِّ
 هِيَ أَيْضًا فَهِيَ جُزْءٌ فِي غَيْرِهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ الْكُلُّ لَا مِنْ حَيْثُ إِنََّّ مَا يُقَالُ فِيهِ هُوَ شَيْءٌ يَخْتَلِفُ عَنْهَا
 ٢٠ حَقًّا. أَمَّا الْأَبْيَضُ فَإِنَّهُ مَا يُقَالُ فِي غَيْرِهِ. إِنََّّ مَا يَكُونُ مِنْهُ شَيْءٌ آخَرُ وَيُقَالُ فِي هَذَا الشَّيْءِ / لَيْسَ
 ذَاتًا إِذَا. فَالْأَمْرُ الَّذِي يَقُومُ ذَاتًا هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يَكُونُ فِي ذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ أَوْ، إِنْ كَانَ جُزْءًا فِي شَيْءٍ
 هُوَ عَلَى مَا وَصَفْنَا، كَانَ لِهَذَا الشَّيْءِ مُتِمِّمًا عَنْ مُتِمِّمَاتِهِ. وَمَا دَامَ الْمُرْكَبُ قَائِمًا، كَانَ كُلُّ جُزْءٍ
 مِنْ جُزْئِهِ أَوْ الْجُزْءَانِ كِلَاهُمَا مِنْ ذَاتِهِ فِي ذَاتِهِ؛ أَمَّا بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمُرْكَبِ فَإِنَّهُمَا يُقَالَانِ فِيهِ مِنْ
 وَجْهِ آخَرٍ. نَعَمْ قَدْ يُقَالُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ جُزْءًا، وَلَكِنَّهُ يُقَالُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ مِثْلَمَا
 ٢٥ هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ عَلَى أَنَّهُ ذُو حَقِيقَةٍ وَكَيْنُونَةٍ خَاصَّةٍ / وَلَا يُقَالُ فِي غَيْرِهِ. هَذَا وَإِنَّا نَقُولُ فِي الْهَيُولَى
 إِنَّهَا مُحَلٌّ، وَنَقُولُ ذَلِكَ فِي الْمَثَالِ وَفِي الْمُرْكَبِ أَيْضًا، وَكَوْنُ الثَّلَاثَةِ كُلِّ مِنْهَا هُوَ مُشْتَرَكٌ
 يَجْمَعُ بَيْنَهَا. إِلَّا أَنَّ الْهَيُولَى مُحَلٌّ لِلْمَثَالِ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَالْمَثَالُ مَعَ الْمُرْكَبِ مُحَلٌّ لِلْأَحْوَالِ مِنْ
 النَاحِيَةِ الْآخَرَى. وَإِنْ شِئْنَا فَلْنَقُلْ إِنَّ الْهَيُولَى ذَاتُهَا لَيْسَتْ مُحَلًّا لِلْمَثَالِ، لِأَنَّ الْمَثَالِ لَيْسَ إِلَّا
 ٣٠ تَكْمِيلًا لَهَا بِقَدْرِ مَا تَكُونُ هَيُولَى / وَتَكُونُ بِالْقُوَّةِ. ثُمَّ إِنَّ الْمَثَالِ يَدُورُ لَيْسَ قَائِمًا فِيهَا. فَإِنَّهُ إِذَا
 اتَّخَذَ أَمْرٌ مَعَ غَيْرِهِ فِي وَحْدَةٍ مَا، لَا يُقَالُ فِي كُلِّ مِنَ الْأَمْرَيْنِ إِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا فِي الْآخَرِ، بَلْ يَكُونُ
 الطَّرْفَانِ مَعًا مُحَلًّا لَغَيْرِهِمَا. فَالْإِنْسَانُ مِثْلًا، بِمَا فِيهِ الْإِنْسَانُ الْفَرْدُ الْمُعَيَّنُ إِنَّمَا هُوَ مُحَلٌّ
 لِلْأَحْوَالِ، وَهُوَ، مُحَلٌّ، ثَابِتٌ قَبْلَ التَّحَقُّقَاتِ وَالتَّوَابِعِ. مِنَ الذَّاتِ إِذَا تَبَعَ الْأُمُورَ الْآخَرَى،
 ٣٥ وَإِنَّمَا بِوَسَاطَةِ الذَّاتِ تَكُونُ. / فَالذَّاتُ هِيَ مَا يَقَعُ الْإِنْفِعَالُ عَلَيْهِ وَمَا تَنْبَعُثُ مِنْهُ الْأَفْعَالُ.

٥ كُلُّ هَذَا الَّذِي سَبَقَ ذَكَرَهُ يَجِبُ أَنْ يُطَبَّقَ عَلَى مَا نَعْرِفُهُ بِالذَّاتِ هُنَا. أَمَّا إِذَا سُئِلَ عَمَّا إِذَا
 كَانَ يَقَعُ عَلَى الذَّاتِ هُنَاكَ، فَزَيِّمًا تَحَقُّقًا بِالمُقَابِلَةِ وَالِاشْتِرَاكِ فِي الْأَسْمِ. فَإِنَّ الْأَوَّلَ أَوَّلَ عَلَى
 أَنَّهُ يُقَالُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا يَلِيهِ. لَيْسَ أَوَّلًا عَلَى وَجْهِ الْإِطْلَاقِ آنَذَاكَ، بَلْ يَكُونُ مِثْلَمَا تَبَدُّو،
 ٥ بِالْإِضَافَةِ إِلَى أُمُورٍ هِيَ أَوَّخَرُ، أُمُورٍ أُخْرَى كَانَتْ أَوَّائِلَ. / ثُمَّ إِنَّ لِلْمَحَلِّ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى مَعْنَى

آخر أيضًا، وقد يُشكك في وجود الانفعال هناك؛ وإن كان هناك انفعال فإنه انفعال مُختلف عن الانفعال هنا. لهذا وإن الكون «لا في محلّ» إنما يُقال في كلّ ذات إن وجبَ في «الكون في محلّ» ألا يؤوّل على أنّه كونه الأجزاء في الشّيء الذي ينطوي عليها، أو بمعنى أنّه يُشكّل مع هذا الشّيء، وحده ما. فإنّ ما يُسيهم/ مع شيء آخر لقيام ذات مُركّبة، ليس كونه في هذا الآخر مثل كون في محلّ. ومن ثمّ فليس المثال في الهيولى على أنّه في محلّ، وكذلك القول عن الإنسان في سقراط، وهو جزء من سقراط. فإنّ ما يكون «لا في محلّ» هو ذات. وإن قلنا في الذات إنّها ليست في محلّ ولا تُقال في محلّ، وجب أن تُضيف أيضًا: «على أنّ هذا المحلّ شيء يختلف عن الذات». فإنّ هذه الإضافة «على أنّ المحلّ شيء يختلف عن الذات» تُتيح لنا أن نشمل/ «الإنسان» في ما ذهبنا إليه، إذا قيل «الإنسان» في الفرد المُعيّن. فإنّي عندما أقول «الإنسان» في سقراط، لست أعني بذلك ما أعنيه بقولي «إنّ الخشب أبيض»، بل ما أعنيه بالقول في الأبيض أنّه أبيض. وإن قلت في سقراط أنّه «إنسان»، قلت في «الإنسان الفرد المُعيّن» أنّه «إنسان» وعيّنت «الإنسان» في «الإنسان» الثابت في سقراط. ولهذا يعود إلى القول بأنّ سقراط سقراط، أو إلى قول «الحيوان» في الحيوان الناطق الفرد المُعيّن. لهذا وإن قال قائل عن كون الشّيء «لا في محلّ»: أنّه ليس من خواصّ الذات، لأنّ الفصل التّوعّي ذاته ليس ممّا يقوم في محلّ،/ فإنّه يأخذ جزء الذات («ذا القَدَمين» الذي نحن في صدره) ويقول فيه أنّه ليس في محلّ. لكن إن لم يأخذ «ذا القَدَمين» وهو الذات المُكيّفة، بل «إثنيّتيّة القَدَم»، فإنّه لم يعبّر ذاتًا بل كيفًا، ويكون «ذو القَدَمين» في محلّ آنذاك. بيّد أنّ الزّمان ليس في محلّ هو أيضًا، وكذلك القول في المكان. الواقع هو أنّه إذا أُخذ الزّمان على أنّه قياس/ الحركة بمعنى الشّيء المُقيس، كان القياس في الحركة على أنّه في محلّ؛ وتكون الحركة في المُحرّك. وإن أُخذ بمعنى الشّيء القائس، كان القياس في ما يُقيس. أمّا المكان فإنّه للمُحيط حدّه، وهو فيه. وبعد، فإنّ الذات التي نحن في صدرها/ إنّما أمرها على خلاف ذلك كلّها، سواء أكنّا نتصوّر ذاتًا من هذا التّوع بقول من الأقوال التي ذكرناها أو بمعظمها أو بها كلّها، ما دامت هذه الأقوال كلّها تصحّ على الهيولى وعلى المثال وعلى المُركّب منهما.

٦ وإن قال قائل في كلّ ذلك الذي سبق أنّه ملاحظات حول الذات، وليس قولًا في الذات ما هي، فإنّه رُبّما كان طلبه عن الذات ما هي طلبًا عن شيء حسيّ. وأمر الذات ما هي، ثمّ كيانها، إنّما هو أمر لا يشاهد بالعيان. ماذا إذا؟ أليست النار ذاتًا، أو ليس الماء أيضًا ذاتًا؟ بلى! أفلا تُشاهدان كان كلّ منهما ذاتًا؟ كلًّا! لأنّ لهما هيولى؟ كلًّا! أم لأنّ لهما مثالًا؟ كلًّا أيضًا. بل ليس كلّ منهما ذاتًا لكونه مُركّبًا. ولكن بماذا يكون كلّ منهما ذاتًا؟ بأنّ لكلّ منهما

كيانه. ولكن للكم كيانه أيضاً، وكذلك القول في كيف. الواقع هو أننا نقول ذلك فيهما عن طريق الاشتراك في الاسم. فبأنّي معنى يُقال الكيان في النار والأرض وفي ما يكون من قبيلهما، وما عسى أن يكون من فرق بين أن يُقال في هذه الأشياء وأن يُقال في الأشياء الأخرى؟ إن الفرق ١٠ في أن/ يُقال الكيان والحق في الشيء قولاً مطلقاً من ناحية، وأن يُقالا في الشيء كائناً وهو أبيض من الناحية الأخرى. ماذا إذا؟ أنقول في الكيان مُضاهياً إلى الأبيض إنه الكيان بدون إضافة؟ كلا! بل إن الحق هنا هو الحق أصلاً، في حين أنه هناك حتى بالاشتراك وبالمعنى الفرعي. فإن الأبيض بإضافته إلى ما كان حقاً جعل أبيض ما كان حقاً؛ أما الحق، فإنه بإضافته ١٥ إلى الأبيض جعل منه كائناً حقاً. / فنقول على الحالتين كليهما إن الأبيض يطرأ عَرَضاً على ما يكون حقاً، وإن الحق يطرأ على الأبيض حقاً. ولسنا نقول ذلك بمعنى أننا نقول في سقراط إنه أبيض وفي الأبيض إنه سقراط. فإن سقراط باقٍ على ما هو عليه في ذاته في الحالتين كليهما، ٢٠ في حين أن الأبيض ربّما لم يكن باقياً على ما هو عليه في ذاته. ففي قولنا/ «إن الأبيض سقراط» يكون «الأبيض» مُشتملاً على سقراط؛ أما في قولنا «سقراط أبيض» فيغدو الأبيض عَرَضاً محضاً فقط. وكذلك الأمر في بحثنا. فإن القول في ما كان حقاً إنه أبيض، يعني أن الأبيض هو عَرَض في ما يكون حقاً؛ أما قولنا في الأبيض إنه كان حقاً فبدل على أن الحق يحتوي الأبيض. وبوجه ٢٥ عام إن للأبيض كيانه من كونه في جوار الحق وفي الحق، / ومن الحق كيانه. أما الحق فهو حق من تلقاء ذاته، وبأنه البياض من الأبيض، لا لأنه هو في الأبيض، بل لأن الأبيض فيه. هذا ولما لم يكن الحق في هذا العالم الجسدي حقاً من تلقاء ذاته، وجب القول فيه إنه يستمد كونه ٣٠ حقاً من الحق القائم حقاً، وكونه أبيض من البياض الحق. / على أن يأخذ هذا البياض بياضه عن طريق الاشتراك، في الملأ الأعلى، مع الحق صاحب الكيان في ذاته.

٧ أما إذا قيل في أمور هذا العالم الجسدي القائمة على الهيولى إنها تأخذ كيانه من الهيولى، فإننا نسأل عن الهيولى من أين تستمد كونها حقاً وما هي عليه من حق؟ وقد ذكرنا في حينه أن الهيولى ليست شيئاً أولياً. وإن قيل في الأشياء الأخرى إنها لا تقوم إلا على الهيولى، ٥ قلنا في ذلك القول إنه يصحّ على الأشياء الجسدية. / فإن مانعاً لا يمنع الهيولى، ولو كانت قبل هذه الأشياء، من أن تكون بعد أشياء كثيرة، ولا سيما بعد الأمور الروحانية كلها. ثم إن كيانه كيان مُظلم وهو أحطّ مقاماً من كيان الأشياء التي تقوم عليها، إذ إن هذه الأشياء بُنِيَتْ معنوية ١٠ وأوفر حظاً من الحق. أما هي فإنها خالية من كل معنى، ظلٌّ وهبوط لكل بُنْيَة معنوية. / فإن قيل إنها هي التي تَمُدُّ ما يقوم عليها كونه حقاً، كان الجواب أن الأوفر حظاً من الحق إنما هو الذي يمدُّ الأقل حظاً من الحق بكونه حقاً؛ أما الأقل حظاً فلا يمدُّ الأوفر منه حظاً بشيء. ولكن إن

كان المثال أوفر حقًا من الهيولى، لم يكن الحق أمرًا مُشترَكًا بينهما بعد ذلك، ولم تكن الذات جنسًا يشتمل على الهيولى وعلى المثال وعلى المركَّب. أجل، إنَّهما لَيَبْقِيَانِ مُشترَكَيْنِ في أمور ١٥ أخرى كثيرة، وهي تلك التي ذكرنا، / ولَكِنَّهُمَا لَا يَزَالَانِ مُخْتَلِفَيْنِ في كِيَانِهِمَا. وإذا قِيلَ الأوفر حقًا على الأقلِّ حقًا، جاء في الرتبة الأولى، وَلَكِنَّهُ يَكُونُ بعد الذات. فإن لم يكن الكيان مُتساويًا بين الهيولى والمثال والمركَّب، يَطْلُ القول في الذات إنَّها أمرٌ مُشترَكٌ بين تلك الثلاثة على أنَّها جنس لها. أمَّا ما يلي هذه الأمور الثلاثة فلعلَّاقة الذات به وجه آخر، إذ إنَّ ٢٠ فيها بالإضافة إلى أمرًا مُشترَكًا يكفله لها/ ما للثلاثة مع بعضها من كيان. فالحياة مثلاً بعضها مُظلم وبعضها أشدُّ إشراقًا؛ والصُّور بعضها خُطوط ومَعَالِم فقط، وبعضها الآخر أوفر تفصيلًا واستكمالًا. وإذا اتَّخذنا قياسًا للكيان الكيان على أقلِّه، وتركنا جانبًا المزيد من الكيان في الأمرين الآخرين، كان ذلك الجانب من الكيان هو الأمر المُشترَك. وَلَكِنَّا حَاشَا أَنْ نَفْعَلَ ٢٥ كَذَلِكَ. / فَإِنَّ كَلًّا من الأمور الثلاثة كَلٌّ في ذاته يَخْتَلِفُ عن سواه، وليس الأقلُّ هو الأمر المُشترَك بينهما. كما أنَّه ليس في الحياة وجه يجمع بينها غِذائيَّةٌ وحِسيَّةٌ وروحانيَّةٌ. وكذلك الأمر في الكيان مع ما نحن في صددِه: فَإِنَّ الكيان في الهيولى غيره في المثال وفي المركَّب منهما، فيجري من مُعيَّن واحد، وَلَكِنْ بعض مجاريه يَخْتَلِفُ عن بعضها الآخر. ذلك بأنَّ الشَّيْءَ ٣٠ لا يكون أعظمَ ثمَّ ما يليه أحقر وأقلُّ فقط إذا ما خرج من أوَّل ثانٍ ثمَّ من الثاني/ ثالث. بل قد يَتَمُّ ذلك في حال إنبعاث أمرين في آنٍ واحد من أصل واحد أيضًا. فالغُضار يخرج من النار، ومنه ما يُصِيب الكثير من النار فيُصْبِحُ أَجْرًا مثلاً، ومنه ما يُصِيب القليل فلا يستحيل أَجْرًا. هَذَا وَرُبَّمَا لم يكن الهيولى والمثال من أصل واحد إذ إنَّ بين الأمور الروحانيَّة ذاتها فروقًا أيضًا.

٨ ينبغي علينا أن نعدل عن هذا التَّقْسِيمِ للذات إلى عناصرها إذا، ولا سَيِّمًا إذا كان القول في الذات الحِسيَّة التي ينبغي أن تُدْرَكَ بالجِسِّ لا بالعقل. كما أنَّه ينبغي ألاَّ نهتمَّ بما تتألَّف منه، إذ إنَّه ليس من الذات في شيء أو إنَّه ليس من الذات الحِسيَّة على الأقلِّ. بل الأجدر بنا أن ٥ نحصر في جنس واحد ما يشترك بين الحجر والأرض والماء، / والثَّبات الناشئ من هذه كُلِّها والحيوان أيضًا، من حيث إنَّ ذلك كُلُّه مجموعة أشياء حِسيَّة. فلا تكون الهيولى مغفولة في حصرنا ولا المثال أيضًا، إذ إنَّ الذات الحِسيَّة تشتمل عليهما. ذلك بأنَّ النار هيولى ومثال، والأرض أيضًا، وما بين الأرض والنار، فضلًا على أنَّ المركَّبات هي في الواقع ذوات كثيرة تُؤخِّد بعضها مع بعض. ثمَّ إنَّ هذه الأمور كُلِّها تشترك في معنى واحد يجمع بينهما، وهو الذي يفصلها عن سواها. ذلك بأنَّ كَلًّا منها محلٌّ لشيء آخر، وهي كُلُّها ليست في محلٍّ ولا تُقال في شيء سواها. هَذَا وَإِنْ كَلَّ ما ذكرنا/ مُتَوَافِرٌ لهذه الذات. وَلَكِنْ إِنْ لم تكن الذات الحِسيَّة بدون ١٠

مقدار وبدون كيف، فكيف يتم لنا أن نعزل عنها أعضائها؟ وإذ عزلنا هذه الأعراض، من مقدار ١٥ وهيئة ولون ويُبوسة ورطوبة، فكيف بنا نتصور الذات في ما هي عليه؟ ذلك بأن هذه الذات إنما هي ذات مُكيّفة. الواقع هو أن ثمة أمراً يحدث فيه ما يُحوّل الذات من كونها ذاتاً فقط إلى كونها ذاتاً مُكيّفة. فلا تكون النار ذاتاً كلّها، بل يكون شيء منها ذاتاً؛ فكأنها ذات في جزء من أجزائها. وما عسى هذا الأمر أن يكون؟ هو الهَيُولَى. أو نقول في الذات الجسّية إنّها كومة من ٢٠ أكياف وهَيُولَى، إذا ضُمَّ بعضها/ إلى بعض في الهَيُولَى كانت ذاتاً، وإذا عُرِل بعضها عن بعض، كلّ على حياله، كانت كيفاً أو كمّاً أو أكيافاً كثيرة؟ وهل نقول في ما يحول قوّاته بين الذات وبين ٢٥ أن تقوم في ذاتها كاملة إنّه جزء من أجزائها، وفي ما يطرأ عليها وقد نشأت إنّ له رُتبته الخاصّة/ وليس مُندمجاً في المزيج الذي يحدث ما ندّعيه أنّه الذات؟ ولست أعني بذلك كلّ ما يكون مع سواه هو ذات ما دام يُسهم في إنشاء حجم قائم في الوَحدة له كمّه وكيفه، على أنّه كيف من كلّ ناحية أخرى لا يقوم فيها بهذا العمل. فإنّ الجزء هنا، ما دام وحده على حياله، لا يكون ذاتاً؛ ٣٠ إنّما الذات هي الكلّ المُؤلّف من الأجزاء جميعاً. / وينبغي ألاّ نستبعده أمراً إن جعلنا الذات الجسّية مُؤلّفة ممّا ليس بذات. فإنّ العالم الكلّي ذاته ليس ذاتاً حقّاً، بل يُحاكي الذات الحقّ. وهذه الذات ثابتة حقّاً في حدّ ذاتها بدون الأمور الأخرى التي تتعلّق بها، على أنّ هذه الأمور الأخرى تنشأ منها لأنّها كانت وما انفكت هي حقّاً. أمّا المحلّ هنا فإنّه عقيم، لا يقوى على أن ٣٥ يقوم حقّاً لأنّ/ الأشياء الأخرى لا تخرج منه. فإنّه ظلّ في حدّ ذاته ولا ترى عليه ظلاً، إلّا رُسوماً ومَظَاهِر.

٩ ذلك ما نقوله في ما يُعرف بالذات الجسّية وبالجنس الواحد. ولكن ما عسى أن تكون الأنواع التي نجعلها لها، وكيف نُقسّمها. يجب أن نفترض الكلّ جسماً. ثمّ إنّ بين الأجسام ما تكون فيه الهَيُولَى راجحة، وبينها ما يكون ذا جهاز عُضويّ. أمّا ما تكون فيه الهَيُولَى راجحة، فالنار والتُّراب والماء والهواء. وأمّا الأجسام ذات الجهاز العُضويّ، فأجسام الثّبات ٥ والحيوان،/ تختلف باختلاف أشكالها. ثمّ ينبغي التّظر في أنواع التُّراب والعناصر الأخرى. وتُقبل بعد ذلك على الأجسام ذات الجهاز العُضويّ فتُقسّمها حسب أشكالها إلى نبات وحيوان. أو نعدّ إلى كونها على وجه الأرض، أو في الأرض فنميّز ما ينطوي عليه كلّ عنصر من ١٠ الأشياء. أو نُقسّم هذه الأجسام/ إلى خفيفة وثقيلة وما يكون منها بين الثّقل والخفيف؛ فمنها ما يستقرّ ثابتاً في الوسط، ومنها ما يُحيط بالعالم من فوق ومنها ما يكون بين الطّرفين. وفي كلّ حال من هذه الأحوال تتباين الأجسام بهيئاتها التي تبدو عليها، فتكون منها أجسام الحيوانات السّماوية والأجسام التي تقوم بالعناصر الأخرى. أو إنّنا نقسّمها

١٥ بالأنواع الأربعة ثم نعود/ من وجه آخر وتؤلف بينها، فنمزج بعضها ببعض اختلافاتها بالمكان وبالأشكال وبالأمزجة، فنقول فيها مثلاً إنها نارية أو أرضية وفقاً لما يكون فيها راجحاً. أما القول في الذوات بأنها أصلية وفرعية، وفي النار بأنها هذه النار المعينة والنار بوجه عام، فإنه قول يتضمن فرقاً بمعنى آخر، / لأنه يعني فرقاً بين الجزئي والكلي، لا فرقاً في الذات. فإن في الكيف أيضاً هذا الأبيض المعين والأبيض بوجه عام، ولهذا الغراماطيق المعين والغراماطيق بوجه عام. وما عسى أن يكون النقص في الغراماطيق بوجه عام نظراً إلى هذا الغراماطيق المعين، وفي العلم إجمالاً بالنسبة إلى هذا العلم الخاص؟ فليس الغراماطيق بوجه عام شيئاً يأتي بعد الغراماطيق الخاص، بل الأخرى بالقول/ هو أن يكون الغراماطيق أولاً ثم يحلّ فيك، وهو آنذاك غراماطيق خاص لأنه فيك، ثم إنه والغراماطيق بوجه عام شيء واحد. كما أن سقراط ليس هو الذي أعطى لما لم يكن إنساناً أن يصير إنساناً، بل الإنسان بوجه عام هو الذي أتاح لسقراط أن يكون إنساناً. فالإنسان الفرد العيني إنما هو كذلك بالحظ الذي أصابه من الإنسان بوجه عام. لهذا وهل يكون سقراط إلا إنساناً/ ذا كيف، أم هل لهذا الكيف أن يزيد شيئاً على الإنسان من حيث ما هو عليه في ذاته؟ وإن قيل في الإنسان إنه المثال فقط، وإن المثال هنا في هبولى، أصبح الإنسان، من هذا الوجه، أقل إنساناً، إذ إن البنية المعنوية يقل شأنها إن حلت في الهبولى. أما إذا لم يكن الإنسان بالمثال فقط، بل كان بالمثال وهو في هبولى، فيم يقل الإنسان بوجه عام عن الإنسان في الهبولى ما دام هو بذاته البنية المعنوية لما يكون في هبولى ما؟/ هذا فضلاً على أن الأول طبعاً هو الأقرب إلى الجنس، فيغدو النوع قبل الفرد، ويُسمي الأول طبعاً هو الأول مطلقاً. وكيف يكون أقل شأنًا بعد ذلك؟ وإن قيل في الجزئي إنه الأول لأنه الأسبق إلى معرفتنا قلنا: ليس في ذلك ما يؤدّي إلى فرق في الأشياء. ونقول أخيراً إنه ٤٠ ما دام الأمر كذلك لن يكون/ مفهوم الذات مفهومًا ذا وحدة، إذ إنه لن يشمل الذات الأصلية والذات الفرعية مفهوم واحد ولن تقعا هما تحت جنس واحد.

١٠ هذا وإنه يجوز في التقسيم أن يجري على نحو ما يلي: تقسيم بالحار واليابس، ثم اليابس والبارد، ثم البارد والرطب، وبأن تجمع بين هذه المزدوجات كيفما تشاء. ثم تُخرج من هذه المزائج كلها مركبًا. فإما أن نقف عند هذا الحد، أعني حد المركب، وإما أن نمضي في التقسيم إلى ما يكون أرضيًا وإلى ما يكون فوق الأرض. وإما أن يجري التقسيم نظرًا إلى الهيئات/ وإلى فروع الحيوان، فلا نُجزئ الحيوان، بل يقع التجزؤ على أجسامه وهي منها بمنزلة الجوارح. وليس هذا التقسيم بالهيئات أمرًا بعيدًا عن المعقول، ما دام من المعقول أن يكون حسب الأكيايف، كالحرارة والبرودة وما شاكلها. وإن قال قائل: «إنما الأجسام بهذه

- ١٠ الأكياف تفعل أفعالها»، / قلنا: «إنها تفعل أفعالها أيضًا بما فيها من امتزاج وألوان وهيئات». فلنا هنا في الذات الجسدية، ومن المعقول أن ننظر إليها في فروقها بالإضافة إلى الإحساس. وليست هي الحق بوجه الإطلاق، بل إنها شيء محسوس، وهي عالمنا الكلي. ثم ذكرنا أن ما
- ١٥ تبدو عليه من قيام في الذات، إنما هو تألف بين أمور/ تتصل بالجسد، وهو الجسد الذي يكفل لها كيانه. وما دام هذا التألف ليس له نهاية، كان التقسيم بأنواع الحيوان أخرى، كأن تفصل مثلاً نوع الإنسان من حيث إنه ثابت في البدن. أجل إن كون النوع نوعاً خاصاً إنما هو في حد ذاته تكييف للبدن، لكن التقسيم بالكيف ليس أمراً مستبعداً. وإن ذكرنا أن الأجسام تنقسم إلى
- ٢٠ بسيطة/ ومركبة فجعلنا المركب إزاء البسيط، ذكرنا أيضاً أنها تنقسم إلى ما تكون الهولى فيه راجحة وإلى ما يكون ذا جهاز عضوي بدون أن تعلق على المركب أهميته. فإن المركب لا يقابل البسيط في التقسيم، بل يجب في بساطت الأجسام أن نثبتها بتقسيم أول. ثم نمزج بعضها ببعض
- ٢٥ بعد ذلك حتى إذا استندنا إلى مبدأ آخر،/ جعلنا الفرق بين المركبات وفقاً للأمكنة أو الأشكال، فنميز مثلاً بين الأجسام السماوية والأجسام الأرضية. لهذا وحسبنا ما ذكرنا في الذات المحسوسة أو الذات في عالم الكون والفساد.

- ١١ أما الكم والكمية فينبغي أن يجعلاً في العدد والمقدار، بقدر ما يكون الجزئي بكم ثابت في عدد الأشياء الهولائية أو في امتداد المحل. فلسنا نبحت هنا عن الكم المقارن، بل عن الكم الذي يجعل قطعة الخشب طولها ثلاث أذرع، وعن العدد خمسة الذي يشمل الخمسة جياذ. ولقد ذكرنا/ ذلك غير مرة، على أنه ينبغي أن نضيف هنا أن الكم هو هذان الأمران فقط.
- ٥ أما المكان والزمان فيجب ألا نتصورهما داخلين في الكم. بل ما دام الزمان قياس الحركة وجب فيه أن يلحق بالمضاف. ثم إن المكان هو المحيط بالجسد، فيقع هو أيضاً في مقولة
- ١٠ العلاقة والمضاف. والحركة أخيراً شيء متصل،/ فلا تدخل في الكم. ولكن لماذا لا يقع العظم والصغر في الكم؟ فإن عظم العظم بكمه وليس المقدار من المضافات، بل «الأعظم» و«الأصغر» إذ إنهما يتالان بالإضافة إلى الآخر، و«الضعف» على شاكلهما. فلماذا يقال في جبل إنه صغير وفي حبة الدرة البيضاء إنها كبيرة؟ نجب عن ذلك أولاً أن «الصغير» يقال هنا بدلاً
- ١٥ من «الأصغر». / وإذا عرفنا أنه يقال بالإضافة إلى ما يُجانسه، وبالمقارنة معه، أدرنا في الآن ذاته أنه يقال بدلاً من «الأصغر». ثم إن حبة الدرة الكبيرة لا يقال إنها كبيرة على وجه الإطلاق، بل هي كبيرة من حيث إنها حبة ذرة، وهذا يعني بالإضافة إلى ما يُجانسها. فبالإضافة إلى ما
- ٢٠ يُجانسها يقال فيها إنها الكبرى. وبعد،/ لماذا لا يقال في الحسن أيضاً إنه من المضافات؟ ذلك بأننا نقول في الحسن إنه قائم في ذاته وهو كيف. أما «الأحسن» فإنه من المضافات. ومع ذلك

فإن ما نقول فيه إنه حسن رُبما بدا قبيحًا بالإضافة إلى غيره. مثل ذلك مثل حُسن الإنسان
 ٢٥ بالإضافة إلى الآلهة. يقول أفلاطون: «إن أشدَّ القِرَدَةِ حُسْنًا هو قبيح إذا قورن بجنس آخر». إن/
 الحُسن حُسن في ذاته؛ أما بالإضافة إلى غيره إذا فهو أحسن أو على خلاف ذلك. ويُقال القول
 ذاته في العظيم إذا: فهو في ذاته عظيم بما له من مقدار؛ ولكنّه ليس عظيمًا بالإضافة إلى غيره.
 وإلا وجب التقي عن الشيء أنّه حسن لأنَّ غيره أحسن منه. لا ينفي عن الشيء كونه عظيمًا إذا
 ٣٠ كون غيره أعظم منه. لهذا وبُله القول في الأعظم إنه لن يكون ما دام العظيم منفيًا، وكذلك
 الأمر في «الأحسن» و«الحسن».

١٢ ينبغي أن نُسلم إذا بأن في الكمِّ مخالقات. فإنَّ الدَّهن يقبل بالمخالفة عندما نذكر
 العظيم والصغير، فيجعل الصورتين مختلفتين، وكذلك يكون الأمر عندما نذكر الكثير
 ٥ والقليل. ذلك القول بما يُقارب ذلك في الكثير وفي القليل. فإنّا نقول عن الذين يكونون/
 في الدار إن عددهم كثير بدلًا من أن نقول إنه «أكثر»، فتعني بذلك إضافة إلى شيء آخر. كما أنّا
 نقول في الحاضرين على المسرح إن عددهم «قليل» بدلًا من قولنا فيه إنه «أقل». ثمَّ إنه يجب في
 الكثير، بوجه عام، أن يدلَّ على كثرة في العدد؛ فكيف تكون الكثرة في المُضافات؟ على أن
 ١٠ «الكثير» يعني زيادة في العدد، أمّا ما يُخالفه فيعني نقصانًا. وكذلك القول في الكمِّ المتَّصل،/
 عندما يتجاوز الدَّهن فيه بعيدًا. يكون الكمُّ إذا، عندما تتقدَّم الوحدة في مُضيِّها، وعندما تتقدَّم
 النُقطة. فإذا ما توقَّفنا فجأةً كان القليل وكان الصغير. وإذا واصلنا في سيرهما ولم نكفَّ بغتةً عن
 التقدُّم، كان الكثير وكان العظيم. وما عسى أن يكون الحدُّ التَّهائي؟ بل ما عسى أن يكون
 ١٥ للحُسن من حدٍّ؟ وللحرارة؟ فإنه يُقابلنا أيضًا ما يكون أشدَّ حرارة. / لكن يُقال في ما يكون أشدَّ
 حرارة إنه من المُضافات؛ أما الحارَّ على حياله فهو كيف. ونقول إجمالًا إنه مثلما كان للحُسن
 بُنية معنويّة، كان أيضًا للعظيم لا محالة بُنية معنويّة تجعل عظيمًا ما أصاب منها من الأشياء
 ٢٠ خِلَافًا، كما هو الأمر بالذات في الحُسن وفي بُنية الحُسن المعنويّة. ومن لهذا الوجه يجب
 القول بأن في الكمِّ مخالفة. ولا يصحُّ هذا على المكان لأنه ليس من قبيل الكمِّ. / على أنه لو
 كان المكان من قبيل الكمِّ لما كان «للفوق» مخالف ما دام العالم الكُلِّي ليس له تحت. أمّا
 فوق والتحت اللذان يقرَّان في الأشياء الجزئيّة فإنهما لا يدلَّان على شيء سوى الأعلى
 والأدنى. وكذلك الأمر في الشَّمال وفي اليمين، فكلُّ ذلك إمّا هو من المُضافات. لهذا
 ٢٥ وقد يحدث عَرَضًا للمقطع اللَّفْظي وللفظ/ أن يكونا بكمٍّ وأن يخضعا للكمِّ، إذ إنَّ للصَّوت
 كمًّا. لكنَّ الصَّوت ذاته حركة من وجه ما، فيجب أن يردَّ للحركة مثل العمل.

١٣] لقد ذكرنا أنَّ القول الصَّواب في الكَمِّ المتَّصل هو أنَّه يتميَّز عن الكَمِّ المنفصل بأنَّ له حَدًّا مُشترَكًا وبأنَّ للمُنْفصل حَدًّا خاصًّا. وهذا يُؤدِّي إلى التَّمييز بين الشَّعْف والوِثْر في العدد. وإذا بقي، بعد ذلك، في هذين الطرفين فُروق، وَجِبَ إِمَّا أن تُحصَر في الأشياء المُنطوية على العدد، وإِمَّا أن تُجْعَلَ/ في الوَحَدات العددية لا في المحسوسات ذاتها. أمَّا إن فَصَلَ الذَّهن عن المحسوسات أعدادها، فلم يمنع الفكر مانع من أن يَتَبَيَّن في هذه الأعداد تلك الفروق بالذات. ولكن كيف يصحُّ ذلك على الكَمِّ المتَّصل إن كان خطًّا وسطحًا وحجمًا؟ الواقع هو أن القول في الكَمِّ المتَّصل إنَّه يُعَدُّ واحد أو يُعَدِّين أو ثَلَاثَةً/ أبعاد ليس قول من يُسَمِّيه إلى أنواع، بل قول يَحْصِيه بأبعاده. وإذا نظرنا إلى الأعداد هَكَذَا بترتيبها وَفَقًا لِلْمُتَقَدِّمِ وَلِلْمُتَأَخَّرِ، فَإِنَّا لن نجد بينها وجهًا جامعًا يقع عليها جنسًا. كما أنَّ لا نجد شيئًا مُشترَكًا بين البُعْد الأوَّل والثاني والثالث. ولكن رُبَّمَا كانت هذه الأبعاد مُتساوية بمقدار ما تكون كَمًّا،/ لا يكون بعضها أوفر كَمًّا وبعضها أَقَلُّ حتَّى ولو كانت السَّعة في بعضها كبيرة وفي بعضها الآخر ضئيلة. إنَّ بين الأعداد وجهًا جامعًا إذا، بقدر ما تكون أعدادًا كُلَّها. ورُبَّمَا لم تكن الوَحدة هي التي تُؤَلِّد الاثنين، والعدد اثنان هو الذي يُؤَلِّد الثَّلَاثَة، بل تخرج الأعداد كُلَّها من الأصل الواحد ذاته. مع أنَّه ولو لم تكن ثَلَاثَةً/ بل كانت ثابتة في كيائها وتصورها نحن مُتَوَلِّدَة، فَلَنَقْلُ إنَّ الأَقَلَّ فيها هو المُتَقَدِّم والأعظم هو المُتَأَخَّر. فضلًا على أنَّها واقعة كُلَّها تحت جنس واحد بقدر ما تكون أعدادًا. ينبغي أن تُطبَّق على الأبعاد إذا ما قيل في الأعداد، فتفصل بعضًا عن بعض الخطِّ والسَّطح والحجم وهو المعروف بالجسم: فَإِنَّ في الأبعاد فرقًا/ بالثَّوَج، ما دامت الأبعاد مقادير. ثمَّ ينبغي أن ننظر في كُلِّ من تلك الأمور الثَّلَاثَة إن كان يجب تقسيمه. أمَّا الخطُّ، فإلى مُستقيم أو مُنْحَنٍ أو لَوَلِيٍّ؛ وأمَّا السَّطح فإلى شكل مُستقيم الحدِّ أو منحنية؛ وأمَّا الحجم فإلى كُرَوِيٍّ أو ذي أضلاع مُستقيمة. ثمَّ نعود فنفعِّل مثلما يفعل عُلَمَاء الهندسة، فنقسم كُلَّ ذلك/ إلى المُثَلَّثات وذَوَات الأضلاع الأربعة، ثمَّ هذه إلى غيرها.

١٤] والخطُّ المُستقيم ما عساه أن يكون؟ ألسنا نقول فيه إنَّه مقدار؟ قد نقول في الخطِّ المُستقيم إنَّه مقدار مُكيَّف. وأيُّ مانع يمنع «المُستقيم» إذا ما أن يكون فصلًا نوعيًا للخطِّ من حيث إنَّه خطٌّ؟ فَإِنَّ «المُستقيم» لا يُقال في شيء آخر سوى الخطِّ، فضلًا على أنَّنا نستمدُّ فُصول الذات من الكيف. فقد أمسى «المُستقيم» كما مع فصله الثَّوَجِي لا مُرَكَّبًا/ بمعنى أنَّ «المُستقيم» مُؤَلَّف من الخطِّ وكونه مُستقيمًا. أو إن شئنا أن نتصوره مُرَكَّبًا فبمعنى أنَّه قائم مع فصله الثَّوَجِي الخاص. وما بالنَّ لا نجعل في الكَمِّ ما يكون مُؤَلَّفًا من خُطوط ثَلَاثَة؟ فَإِنَّ المُثَلَّث ليس خُطوطًا ثَلَاثَة فقط، بل إنَّه خُطوط ثَلَاثَة في وضع خاص. وكذلك القول في رُبَاعِيٍّ

١٠ الأضلاع. على أن الخط المستقيم/ ذاته هو بوضع خاص وهو كم في الآن ذاته. وإذا قلنا في الخط المستقيم إنه ليس كمًا فقط، فما بالنا لا نقول في المستقيم المحدود إنه ليس كمًا فقط هو أيضًا؟ ذلك بأن حد الخط هو النقطة، وليست النقطة في شيء سوى الكم. والسطح المحدود كم إذا هو أيضًا، ما دامت الخطوط هي التي تحده، وهي بأن تكون في الكم أشد من النقطة. وإن كان السطح/ المحدود في الكم، فإنه على هذه الحال سواء أكان رباعي الزوايا أو مُسدسًا أو مُتعدد الأضلاع، وتكون الأشكال كلها في الكم. أما إذا جعلنا المثلث والمربع في الكيف بدعوى أنهما كيف، فلا يمنع الشيء مانع من أن نُثبت في أكثر من مقولة. فيصبح الشكل في الكم من حيث إنه مقدار/ ومقدار مُعين، ويكون في الكيف من حيث إنه يبدو بصورة خاصة. ألا، بل إن المثلث ذاته هو تلك الصورة. فأي مانع يمنع الكثرة بعد ذلك من أن نقول فيها إنها كيف هي أيضًا؟ وإذا واصلنا القول على هذا النمط، فإن إستحالة الهندسة في نهاية الأمر إلى علم لا يكون غرضه المقادير، بل الأكيايف. لكن الأمر يبدو على خلاف ذلك/ إذ إن الهندسة اهتمام بالمقادير. فإن الفصول النوعية في المقادير لا تنفي عن المقادير كونها مقادير، كما أن الفصول النوعية في الذات لا تمنع الذات من أن تكون ذاتًا. ثم إن السطح محدود دائمًا، ويستحيل على السطح أن يكون بلا نهاية. ثم إنني، إذا أدركت الكيف في الذات، دعوته كيفًا ذاتيًا./ فما أحراني بعد ذلك، إن أدركت شكلًا، أن أدركه فضلًا في الكم نوعيًا. وبعد، فإن كنا لا نعتبر هذه الفصول فصولًا في المقادير، فما عسى أن يكون ما نجعلها له فصولًا؟ وإن كانت فصولًا في المقادير، وجب في المقادير المختلفة التي تنشأ عنها أن تُصنّف على أنها في المقدار ٣٥ أنواعه./

١٥ ولكن كيف يختص الكم بالتساوي وخلافه؟ إنما يقال في المثلثات إنها مُتشابهة. نعم! أو يقال في المقادير أيضًا مُتشابهة. ولكن القول في التشابه لا يمنع المُتشابه وغير المُتشابه من أن يكونا في الكيف. ووربما كان المُتشابه هنا في المقادير، على غير ما يكون في الكيف. ثم إنه قيل في المُتساوي وغير المُتساوي إنهما من خواص المقادير، فإن هذا القول لا يمنع المُتشابه من أن يُطلق على بعضها./ وإن قيل في المُتشابه وغير المُتشابه إن الكيف يختص بهما، وجب تأويل هذا القول، كما ذكرنا، على غير المعنى الذي يتحقق به في الكم. أما إذا قيل المُتشابه بالمعنى ذاته في الحالتين كليهما وجب البحث عن خواص في الجنسين كليهما، جنس الكيف ٥ و جنس الكم./ بل الصواب هو أن المُتشابه يُقال في الكم أيضًا بقدر ما تكون الفصول في الكم. ولكن الوجه في القول، إجمالًا، هو أنه يجب في الفصول المُتممة أن تُصنّفها مع الأمر الذي تكون له فصولًا، ولا سيما عندما يكون الفصل، من حيث إنه فصل، فصل لهذا الأمر

١٥ فقط . أمّا إذا كان الفصل يُتمم الذات في شيء ، ولا يُتممها في شيء آخر ، / وَجَبَ تصنيفه حيث يكون مُتمّمًا للذات ، وأخذه وحده في ذاته حيث لا يكون مُتمّمًا للذات . ولست أعني به مُتمّمًا للذات من حيث إنّها الذات على وجه الإطلاق ، بل من حيث إنّها هذه الذات المُعَيَّنة التي ، بِكَوْنِهَا ذاتًا مُعَيَّنة ، لا تتلقّى إضافة شيء يكون من الذات . يجب ألا يفوتنا إذا أنّ التّساوي يُقال في المُثلثات وفي المُربّعات ، وفي الأشكال كلّها/ والسّطوح والأحجام . ممّا يستلزم في المُتساوي وغير المُتساوي ، وُجوب جعلهما خاصّة للكمّ .

هَذَا وينبغي الآن أن نبحث في المُتشابه وغير المُتشابه إن كان الكيف يختصّ بهما . أمّا الكيف فقد قلنا فيه إنّهُ ، بامتزاجه مع غيره ، ممّا يكون من قبيل الهيولى والكمّ ، إنّما يُحدِث ٢٥ شيئًا في الذات الحسّيّة . وتكاد تكون هذه الذات المزعومة / خليطًا من أمور كثيرة . فليست شيئًا ، بل أن تكون كيفًا أخرى . كما أنّنا نقول في بُنية الإنسان المعنويّة إنّها شيء في حدّ ذاته . لكنّ الذي يحقّقه الإنسان في الطّبيعة الجسمانيّة إنّما هو ارتسام لهذه البُنية ، وهو أوّلُي بأن يكون ٣٠ كيفًا من وجه ما . فمثله ، كما لو قلنا ، / لدى حضور الإنسان المرنّ سقراط ، إنّ صورته هي سقراط بالذات ، مع أنّها ، في الرّسم ألوان وأصباغ . وكذلك القول في البُنية المعنويّة إذا حضرت وقام بها سقراط . إنّهُ لسقراط المحسوس ، ولكنّه حقًا تقليد بألوان وهيئات لما يستقرّ ٣٥ ثابتًا في البُنية المعنويّة . ثمّ إنّ هذه البُنية / مُتأثّرة بدورها بالتأثير ذاته نظرًا إلى بُنية الإنسان المعنويّة التي كان حطّها من الحقّ أوفر . لهذا وحسبنا في الأمر ما ذكرنا .

١٦ إنّ الكيف لازم من اللّوازم التي تلزم الذات المزعومة والتي يُدرك كلّ منها على حياله . ولا يدلّ هذا الكيف على الذات ما هي ، ولا على كمّها أو حركتها ، بل على أنّها تمتاز بطابع خاصّ وحال خاصّة ، تدلّ على ما من الحُسن أو من القُبْح في الأجسام مثلاً . فإنّ بين الحُسن في ٥ هذا العالم والحُسن / في الملاء الأعلى اشتراكًا في الاسم فقط ، كذلك القول في الكيف . كما أنّ الأسود والأبيض هنا على غير ما يكونان عليه هناك . ولكنّ الكيف الكامن في البُنى المعنويّة وفي البُنية المعنويّة المُعَيَّنة هل يكون هو والكيف الظاهر شيئًا واحدًا ، أم لا يجمع بينهما إلّا الاشتراك في الاسم فقط؟ وهل يُصنّف في الملاء الأعلى أو في هذا العالم؟ وأين نجعل القُبْح ١٠ الذي يلزم الثّقل؟ أمّا الحُسن فقد تبيّن لنا أنّه هنا غيره هناك . / يبيّن أنّه إنّ كان القُبْح في الكيف الجسّيّ ، غدت الفضيلة أيضًا كيفًا من الأكيايف الجسّيّة . بل إنّ من الفضائل ما يكون في الأكيايف الجسّيّة ، ومنها ما يكون في الأكيايف الروحانيّة . وبعد فقد يُشكّل على بعضهم أمر الصّناعات ، وهي بُنى معنويّة ، فيما إذا كانت في الأكيايف الجسّيّة . فإنّها إن استوت بُنى معنويّة في الهيولى ، كانت الثّقل هيولاهما . ولكنّ إن كانت الصّناعات مع الهيولى غدت من وجه ما ،

١٥ في العالم الجسّي أيضاً. / لناخذ العَرْفَ على القيثارة مثلاً، فإنه مُرتبط بالأوتار، وإنّ الغناء جزء، بوجه ما من هذه الصّناعة، إلّا إذا جعلنا ذلك كلّهُ تحقّقاً يَتَبَّعُ عن الصّناعة ولا جُزءاً من أجزائها. يَبْدُو أَنَّهُ يَكُونُ تحقّقاً جِسِّيّاً على كلّ حال. فإنّ الحُسن في الأجسام أمر مُنزّه عن الجسميّة؛ لكنّا نُصنّعه مع ما يتعلّق بالأجسام ويكون منها، ما دام هو أمراً مُدرَكًا بالجسّن.

٢٠ أمّا علْمُ الهندسة وعلْمُ الحساب، / فيجب أن ننظر إليهما من وجهين: وجه يجب منه فيهما أن يُصنّفَا في الكيف الجسّي، ووجه يجب منه فيهما أن يُصنّفَا بين أمور المَلَأِ الأعلى، ما دام اشتغالهما بأُمُور النُّفُسِ وهي مُوجّهة إلى العالم الروحانيّ. ويقول أفلاطون القول ذاته في الموسيقى وعلْمُ التَّجُومِ أيضاً. يجب أن نُصنّف الصّناعات إذاً في الكيف الجسّي ما دامت مُتعلّقة بالأجسام، تلجأ في تحقّقاتها إلى الأدوات الجسّيّة وإلى الجسّن. وإنّ/ كانت استعدادات في النُّفُسِ، فإنّما كانت كذلك لأنّ النُّفُسَ ماثلة إلى العالم الأسفل آنذاك. هذا ولا يمنع الفضائل العلميّة مانع من أن تُجعل من أمور هذا العالم. فهي فضائل شأنها تنظيم العمل الاجتماعي؛ لا تعزل النُّفُسَ فترتقي بها إلى المَلَأِ الأعلى، بل تسعى إلى تحقيق الحُسن

٣٠ هنا على أنّه الأصحّ، / لا على أنّه الأمر الضّروريّ. فيكون في عدد هذه الأكيايف الجسّيّة الحُسن الكامن في البَدَرِ المعنويّ إذاً؛ وأن يُضَمَّ السّواد والبياض إليها هو الأعلى. ثمّ ماذا؟ أنصنّف النُّفُسَ وهي مُنطوية على هذه البُنى المعنويّة في الذات الجسّيّة؟ كلّاً! فإنّا لم نُقل في الأمور التي نحن في صددِها إنّها أجسام، ولكنّا جعلنا البُنى المعنويّة في الكيف الجسّي، على أنّها مُرتبطة

٣٥ بالجسم وأفعاله. / ولقد وصفنا الذات الجسّيّة قائمة من كلّ ما ذكرناه، فلن نجعل فيها ذاتاً مُنزّهة عن الجسميّة. فإنّا قد أثبتنا في هذه الذات الجسّيّة أكيافاً نقول فيها إنّها مُنزّهة كلّها عن الجسميّة، لأنّ هذه الأكيايف أحوال إلى المحسوس تميل وبُنى معنويّة لِنُفُسٍ جُزئيّة ما. ذلك بأنّ

٤٠ التّأثير/ مُوزّع على شَيْئَيْن: الشَّيْءُ الذي يُؤثّر عليه والشَّيْءُ الذي يكون فيه مُستَقَرّاً. فألحقناه بالكيف، وهو مُنزّه عن الجسميّة، من حيث إنّهُ مُرتبط بالأجسام. ولسنا في حاجة بعد ذلك إلى أن نُضمَّ النُّفُسَ إلى تلك الذات الجسّيّة، لأنّا سبقنا وألحقنا بالكيف حالها المُتعلّقة بالأجسام. فإنّ تصوّر النُّفُسِ الآن مُنزّهة عن الحال والبُنية المعنويّة بعد أن رَدَدناها إلى

٤٥ أصلها الذي منه جاءت، / وأقصينا عن العالم الجسّي كلّ ذات روحانيّة مهما يكن نوعها.

١٧ إن صَحَّ هذا الذي سبق كلّهُ، وَجَبَ في الأكيايف أن تُقسّمها إلى أكيايف نفسانيّة وأكيايف جسمانيّة، بمعنى أنّ هذه الأكيايف الأخيرة هي أكيايف الجسد. وإن شئتَا أن نحصر النُّفُسَ كلّها في المَلَأِ الأعلى، جاز لنا تقسيم الأكيايف الجسّيّة وَفَقّاً لِلْحَوَاسِّ. فيكون منها ما يُدْرَكُ بالنَّظَرِ/ أو بالسمع أو باللمس أو بالدُّوق أو بالشَّمِّ. ثمّ نرى إن كان لأكيايف كلّ جِسٍّ قُروها: فلدنّا

الألوان للظن والأصوات للسمع وهكذا ذواليك في الحواس الآخر. فالصوت ينقسم، من حيث كونه صوتاً، إلى حلو وخشن وناعم. ثم تُميز بالأكيف ما تعلق بالذات من الفصول، ١٠ وتُميز في التحققات والأعمال بين الحسن والرديء، وبوجه عام على أية حال تكون. / فإن الكم قلما يقع في الفصول التي تُشكل الأنواع. وتُقيل على الكم بعد ذلك فنقسمه وفقاً للأكيف التي يفرد بها كل كم. وحينئذ نواجهنا المشكلة في كيف كيف نُقسمه إلى أنواعه بالاستناد إلى ذاته لأكيف، فصولاً نوعية، وبالانطلاق من كيف جنساً. ذلك بأن العقل يستبعد تقسيم كيف ١٥ بالاستناد إلى كيف ذاته، مثلما يستبعد القول في فصول الذات النوعية إنها ذات هي أيضاً. / وبماذا تُميز الأسود عن الأبيض إذا؟ بل بماذا تُميز الألوان عامة عن أكيف اللّوق واللّمس في مختلف وجوههما؟ وإن كنا نُميز كل ذلك بما يكون بين الحواس المدركة من فروق، لم يكن الفرق في الأشياء ذاتها آنذاك. فضلاً على أن التمييز كيف يتم مع الإدراك بالجنس الواحد ذاته؟ ٢٠ وإن قيل إن ثمة أكيفاً تجعل البصر حديداً وأخرى تجعله مرئياً، / وكذلك الأمر في اللسان، قلنا: إنه يشك في هذه الأحوال إن كانت من نوع الجودة أو الارتخاء؛ هذا أولاً، ثم إننا بذلك لم نذكر الفوارق التي يتميز بها بعض الأحوال عن بعضها الآخر. فإذا قيل إنها تتميز بطاقتها، ٢٥ فالأمر معقول، ولكن ربّما وجب أن نقول أيضاً إن الأمور التي تتميز بطاقتها هي الأمور غير المنظورة، مثل العلوم. أما تلك الأمور فلماذا نميزها بما ينتج عنها ما دامت أموراً حسية؟ ثم إذا قسمنا العلوم بطاقتها، وبوجه عام إذا أقبلنا على قوى النفس فميزناها على أنها تختلف عن ٣٠ محدثاتها، استطعنا أن ندرِكها بالذهن، إذ إننا لا ننبين ما تقع عليه فقط، بل بُناها المعنوية أيضاً. إننا نتعلم الصناعات بُناها المعنوية ونظرياتنا إذا، لكن الأكيف التي تلازم الجسم كيف ندرِكها؟ الواقع هو أنه، في الصناعات ذاتها، لا يزال السؤال قائماً عن البنى المعنوية المتميزة كيف يختلف بعضها عن بعضها الآخر. فواضح أن الأبيض يختلف عن الأسود. ولكننا نبحث ٣٥ في هذا الاختلاف بما يكون. /

١٨ إن هذه الصعوبات كلها تدل على أنه يجب البحث في سائر الأشياء عن الفصول التي تُميز بها كل شيء عن غيره. أما البحث عن فصول في فصول، فأمر مُستحيل وغير معقول. ويستحيل البحث عن فصول في الفصول مثلما يستحيل البحث عن ذات في الذات وعن كم في الكم وعن كيف في كيف؛ فلا بُد من طلبها، إن كان الأمر مُمكنًا، بما يكون خارجاً عنها، بقواها ٥ الفاعلة/ أو بما يُشاكل هذه القوى. وإن لم يكن الأمر مُمكنًا، مثلما هو في حال تمييز الأخضر الضارب إلى السواد عن الأخضر الضارب إلى البياض، على أنهم يزعمون مُمكنًا في البياض والسواد، فما عسانا نقول؟ فإن الإحساس والروح يدلان على الفصل ولكنهما لا

يُطْلَعَان عَلَى سَبَبِهِ . أَمَّا الْإِحْسَاسُ فَلَأَنَّ الْعَقْلَ لَيْسَ مِنْهُ ، بَلْ يَنْفَرِدُ بِأَنْ يَجْعَلَ الْفُصُولَ بَارِزَةً . وَأَمَّا
 ١٠ الرُّوحُ / فَبَسِيطٌ فِي إدْرَاكَاتِهِ الْخَاطِطَةُ لَا يَلْجَأُ أَبَدًا إِلَى الْأَدَلَّةِ لِيَقُولَ فِي الشَّيْءِ إِنَّهُ هَذَا أَوْ ذَاكَ .
 فَنَفِي حَرَكَاتِهِ تَبَايُنٌ يُمَيِّزُ الشَّيْءَ عَنْ غَيْرِهِ ، وَلَا يَحْتَاجُ هَذَا التَّبَايُنُ إِلَى تَبَايُنٍ آخَرَ . هَلِ الْأَكْيَافُ كُلُّهَا
 ١٥ فُصُولٌ نَوْعِيَّةٌ إِذَا أَمْ لَا ؟ إِنَّ الْبَيَاضَ وَالْأَلْوَانَ بِوَجْهِ عَامٍّ ، وَلَوْ كَانَتْ هِيَ ذَاتَهَا أَنْوَاعًا ، رُبَّمَا تَغْدُو
 فُصُولًا يَتَمَيَّزُ بِهَا بَعْضُ الْأَشْيَاءِ عَنْ بَعْضِهَا الْآخَرُ ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي أَكْيَافِ اللَّمَسِ وَالذَّوْقِ .
 وَلَكِنْ بَأَيِّ مَعْنَى نَقُولُ ذَلِكَ فِي عِلْمِ اللَّغَةِ وَفَنِّ الْمَوْسِيقَى ؟ بِمَعْنَى أَنَّ الْمَوْسِيقَى تُكَيِّفُ نَفْسًا
 بِالْمَوْسِيقَى ، وَعِلْمُ اللَّغَةِ يُكَيِّفُ بِهِ نَفْسًا أُخْرَى ، وَلَا سِيَّما إِنْ كَانَتْ النَّفْسَانِ مَفْطُورَتَيْنِ عَلَى
 الْأَمْرِ ، بِحَيْثُ إِنَّ الْكَيْفِيَّيْنِ يَتَحَوَّلَانِ إِلَى نَوْعَيْنِ مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي تُحْدِثُ الْفُصُولَ . كَمَا أَنَّهُ
 ٢٠ يَجِبُ الْبَحْثُ فِي الْفَصْلِ النَّوْعِيِّ هَلْ يَنْبَشُّ مِنَ الْجِنْسِ ذَاتَهُ أَوْ مِنَ الْجِنْسِ وَمِنْ غَيْرِهِ أَيْضًا . /
 وَإِذَا انْبَثَقَتِ الْفُصُولُ مِنَ الْجِنْسِ ذَاتَهُ ، كَانَتْ فُصُولًا لَمَّا يَشْتَقُّ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ أَيْضًا ، كَأَن تَكُونَ
 فُصُولُ الْأَكْيَافِ أَكْيَافًا مَثَلًا . فَإِنَّ الْفَضِيلَةَ وَالرَّذِيلَةَ كِلَيْتَهُمَا مَلَكَةٌ ذَاتُ كَيْفٍ ، فَتَغْدُو الْمَلَكَاتُ
 أَكْيَافًا وَتَكُونُ فُصُولُهَا النَّوْعِيَّةُ أَكْيَافًا هِيَ أَيْضًا . أَلَا إِذَا قُلْنَا فِي الْمَلَكََةِ ، خَالِيَةٌ مِنَ الْفَصْلِ ، إِنَّهَا لَا
 ٢٥ تَكُونُ كَيْفًا ، / بَلِ الْفَصْلُ هُوَ الَّذِي يُحْدِثُ الْكَيْفَ . وَلَكِنَّ الْحُلُوَّ إِنْ كَانَ نَافِعًا وَالْمُرُّ مُضِرًّا ، لَمْ
 يَكُنِ الْفَصْلُ بِالْكَيفِ ، بَلْ بِالْعَلَاقَةِ بَيْنَ طَرَفَيْنِ . وَمَا الْأَمْرُ إِنْ قُلْنَا فِي الْحُلُوِّ إِنَّهُ ثَقِيلٌ وَفِي
 الْحَايِضِ إِنَّهُ خَفِيفٌ ؟ الْوَجْهُ هُوَ أَنَّ الثَّقِيلَ لَا يُقَالُ هُنَا فِي مَا يَكُونُ الْحُلُوُّ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ ، بَلْ
 ٣٠ فِي مَا يَتَّصِفُ بِالْحَلَاوَةِ ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْحَايِضِ . فَالْنَاجِزُ عَنْ كُلِّ هَذَا الَّذِي سَبَقَ / هُوَ أَنَّ
 الْكَيْفَ لَنْ يَطْلُبَ فَصْلًا لِلْكَيفِ ، كَمَا يَصِحُّ الْأَمْرُ دَائِمًا فِي الذَّاتِ وَالذَّاتِ وَفِي الْكَمِّ وَالْكَمِّ . قَدْ
 يُقَالُ فِي الْخَمْسَةِ إِنَّهَا مُنْفَصِلَةٌ عَنِ الثَّلَاثَةِ بِالْاِثْنَيْنِ ؛ لَكِنَّ الصَّحِيحَ هُوَ أَنَّهَا تَفُوقُ الثَّلَاثَةَ بِاِثْنَيْنِ ،
 وَلَا يُقَالُ فِيهَا إِنَّهَا مُنْفَصِلَةٌ عَنِ الثَّلَاثَةِ . فَكَيْفَ تَنْفَصِلُ بِالْاِثْنَيْنِ مَعَ كَوْنِ الْاِثْنَيْنِ فِي الثَّلَاثَةِ ؟ كَمَا أَنَّ
 ٣٥ الْحَرَكَةَ لَا تَنْفَصِلُ عَنِ الْحَرَكَةِ بِحَرَكَةٍ ، وَلَنْ تَجِدَ ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الْأُخْرَى أَيْضًا . / أَمَّا الْفَضِيلَةُ
 وَالرَّذِيلَةُ فَيَجِبُ أَنْ تُقَابَلَا كُلًّا بِكُلِّ ، فَيَقَعُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ عِنْدَ ذَلِكَ . وَلَكِنَّهُ قِيلَ فِي الْفُصُولِ
 إِنَّهَا تَنْبَشُّ مِنَ الْجِنْسِ ذَاتَهُ ، أَعْنِي مِنَ الْكَيْفِ لَا مِنْ غَيْرِهِ . وَالْآنَ لِيُنْجَرْ التَّقْسِيمُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّذَّةِ
 مِنْ نَاحِيَةٍ وَإِلَى الْغَضَبِ مِنْ نَاحِيَةٍ ثَانِيَةٍ ، ثُمَّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَحْصِيلِ الْعَلَّةِ مِنْ نَاحِيَةٍ ثَالِثَةٍ وَإِلَى إِفْهَاقِهَا
 ٤٠ مِنْ نَاحِيَةٍ رَابِعَةٍ . / فَإِذَا فَعَلْنَا وَصَحَّ لَدَيْنَا تَقْسِيمُنَا ، تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ فُصُولٌ ، وَلَيْسَ
 أَكْيَافًا بِحَالٍ .

١٩ [لقد ظهر لنا ، أَنَّهُ يَجِبُ فِي الْمُكَيِّفَاتِ أَنْ تُصَنَّفَها مَعَ كَيْفِها ، بِقَدْرِ مَا إِنَّ الْكَيْفَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ .
 فَلَا نَأْخُذُها عَلَى حِيَالِها ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا مَقُولَتَانِ ، بَلْ نَرْتَقِي مِنْهَا إِلَى الْكَيْفِ الَّذِي
 أَصَابَتْ مِنْهُ مَا لَا يُقَالُ فِيهَا . فَإِنَّ غَيْرَ الْأَبْيَضِ إِنَّمَا هُوَ كَيْفٌ إِذَا دَلَّ عَلَى لَوْنٍ آخَرَ . أَمَّا إِذَا كَانَتْ

٥ نفيًا/ لأشياء أو إحصاء لهذه الأشياء، فإنه ليس إلا صوتًا أو إسمًا أو قولًا إن كان هو ذاته شيئًا. وإن كان صوتًا كان من وجه ما حركة، وإن كان إسمًا أو قولًا غداً مضافًا بقدر ما إنه، في الحالتين كليهما، يدلّ على شيء. هذا وإنّا لا نقف عند إحصاء الأشياء وفقًا للجنس فقط، بل يجب أيضًا أن نحصي المفردات والألفاظ/ التي تدلّ عليها، من حيث إنّ كلّ لفظ يدلّ على الشيء من أيّ جنس يكون. وإن فعلنا قلنا في بعض الألفاظ إنه إثبات الشيء بمجرّد الدلالة عليه، وفي بعضها الآخر إنه للتّفي. مع أنّه رُبّما كان الأوّلَى ألا ندخل التّفي في حُسابنا بعد، إذ لم نفعل ذلك في الإثبات، ما دام الطّرفان مُشمّلين على تركيب. والسّلب ما عسى أن يكون أمره؟ إذا وقع السّلب على أمور/ هي أكياف، كان السّلب كيفًا أيضًا؛ مثل ذلك مثل من قدّ أسنانه أو كان مكفوف البصر. أمّا الثّري من الثّياب فليس كيفًا ولا الارتداء بها، بل بأن يكونا في مقولة الوضع أخرى؛ فهما في علاقة وعلاقتهما مع غيرهما. كما أنّ الحال ليست كيفًا هي أيضًا في حين الانفعال بالذات، بل هي من وجه ما حركة. ولا تُصبح الحال كيفًا إلا باستمرارها بعد زوال الانفعال. فإن/ لم تستمرّ قيل في ما يقع عليه الانفعال إنه انفعال وتحرك، وهذا يعني أنّه كان في الحركة. ويجب أن نتصوّر الحركة آنذاك وحدها بصرف النّظر عن الزّمان، إذ لا يليق مطلقًا أن نقرن إليها الزّمان الحاضر؛ أمّا حُسن الحال وما يُحاكيه، فيجب رده إلى مفهوم الجنس فقط. هذا وينبغي البحث في الاحمرار/ إن كان يجب فيه أن يُردّ إلى الكيف، فلا تغدو الحُمْرة ذاتها كيفًا بعد ذلك. والقول الصّحيح هو أنّه ينبغي في الاحمرار ألا يُردّ إلى الكيف، إنه انفعال أو حركة إجمالًا. ولكن إذا كان الشيء لا يحمرّ، بل كان أحمر، فلماذا لا نكون أمام كيف آنذاك؟ والكيف لا يقوم بالزّمان، وإلاّ فما عسى أن تكون حُدوده؟ بل يقوم بالتّكيّف؛ وإن قلنا في الشيء إنه أحمر أردنا كيفًا. / ولولا ذلك لقلنا في المملكات وحدها إنها أكياف ونفينا ذلك عن الأحوال العابرة؛ فقلنا في ما يسخن أيضًا إنه ليس حارًا، وفي من يتأبه المرض إنه ليس بالمریض.

٢٠ يجب الآن أن نرى إن لم يكن لكلّ كيف كيف يُقابله. إنّ المُقابل في الفضائل والرذائل هو الوسط بين الطّرفين، فيما يبدو. أمّا في الألوان فليس هذا الحال حالّ الوسائط. فإن كان الأمر كذلك لأنّ الأوساط هي الأطراف وقد مزج بعضها ببعض، وجبّ ألاّ تُجري التّقسيم بالتّقابل بين الأطراف، بل بين الأبيض والأسود، على أن تكون/ الألوان مُركّبة منهما. لكنّا نتبيّن تقابلًا في الأوساط لأنّه يخرج منها لون واحد آخر، ولو كان بحيث يبدو خارجًا من تركيب. وهذا عائد إلى أنّ الأطراف ليست أطرافًا بتقابلها فقط؛ بل يكون التّقابل بينها على أشده. لكن يكاد هذا الفصل الأشدّ لا يُدرّك إلا إذا افترضنا تلك الأوساط موجودة؛ فإن رفعناها

١٠ في تواليها، / بماذا نُحدِّد شدَّة الانفصال؟ الواقع هو أنَّ اللَّون الأشهب أقرب من الأبيض إلى الأسود؛ ولهذا أمر يُؤدَّن النَّظر به؛ وكذلك القول في الذَّوق حيث نجد على هذا الوجه، ولكن
١٥ قد يُسلم لنا من ناحية أخرى بأنَّ الفصل المُطلق يَستوي في الألوان كلِّها، في الأبيض / مع الأصفر وفي كلِّ لون مهما يكن مع كلِّ لون آخر مهما يكن أيضًا. وما دامت هذه الألوان أكْبافًا مُختلفة، فإنَّها مُتقابلة. إنَّ التَّقابل بين الأطراف لا يكون بتوسطها أمور آخر خلالها. فلا يتدرَّج بين الصَّحَّة والمرض شيء وسط بعد إذا تقابل مُتقابلان. أجل قد يعود ذلك إلى أنَّ التَّباين هو
٢٠ على أشدِّه في ما ينشأ من الطرفين؛ ولكن كيف يُقال فيه إنَّه على أشدِّه وهو ليس بينهما حتَّى على أقلِّه؟ لا يُقال في الصَّحَّة والمرض إذا إنَّ بينهما فصلًا هو على أشدِّه، ويجب في التَّقابل أن يُحدَّد بغير الشدَّة في التَّباين. وإذا حُدِّد «بالكثير» فإن كان «الكثير» بمعنى «الأكثر» نظرًا إلى «الأقلِّ»، عادت الأطراف بدون وسط وفاتتنا. أمَّا إذا عنيَّا «الكثير» «الكثير» مُطلقًا، وافترضنا أنَّ
٢٥ كلَّ شيء يبعد / بطبعه «كثيرًا» عن غيره، لم يسعنا أن نقيس المسافة «بالأكثر». ولكن لا بُدَّ من البحث عن التَّقابل بأيَّ معنى يكون. هل بأن تكون الأشياء التي يجمع بينها تشابُه ما غير مُتقابلة
٣٠ ثمَّ تقابل تلك لا يُوحِّد بينها، من حيث النَّوع، / معنى جامع قطُّ؟ هذا ولست أعني، في الأولى، تشابُّها من قبيل الجنس، كما إنِّي لست أعني مُطلقًا تشابُّها على امتزاج تلك الأشياء، بالكثير أو القليل، مع صُور غير صُورها مثلاً. أمَّا الثانية المُتقابلة فيجب أن نذكر
أيضًا أنَّها في جنس واحد، وهو الكيف. ومن ثمَّ كانت المُتقابلات بدون وسط التي لا يجمع بينها قطُّ تشابه. فإنَّه ليس بينها آنذاك، ما يبدو كالمتشابه، ينطوي على شبه مع غيره في حين أنَّ
بعضه فقط لا ينطوي قطُّ على تشابه. وإن كان الأمر كذلك، فإنَّ الألوان التي يجمع بينها شيء
٣٥ مُشترك، / لا تكون مُتقابلة. على أنَّه لا مانع من أن يقع تَقابل بالمعنى الذي شرحنا، لا بين كلِّ لون ولون، بل بين لون ما وغيره. وكذلك القول في الأذواق. لهذا وحسبنا ما ذكرنا حلًّا
لُمُشكلتنا. أمَّا الفرق في الكثرة أو القِلَّة فالظاهر أنَّه يكون في الأشياء التي تصيب كیفها
٤٠ بالامتراك. أمَّا الصَّحَّة والعدل ففي أمرهما إشكال. / ولكن إن أخذنا كلًّا منهما في امتداده، وجب القول فيهما أيضًا إنَّهما مَلَكَّتَان. أمَّا في المَلَأ الأعلى فإن كلَّ شيء هو الكلِّ وليس فيه كثرة أو قلة.

٢١ أمَّا الحركة، فإن وجب فيها أن نفترضها جنسًا، عالجتا موضوعنا على نحو ما يلي.
نبحث أولًا في ما إذا كان لا يليق أن نردِّها إلى جنس آخر، وثانيًا إن كان لا يُقال في ما هي عليه في ذاتها شيء يكون أرفع منها، وثالثًا إن كانت لا تُولَّد أنواعًا إذا تلقت فصولًا كثيرة. فإلى أيِّ جنس نردِّها؟ ليست من الشَّيء / الذي تقع فيه ما يكون هو عليه في ذاته ولا كيفه. فإنَّها لا تُردُّ

إلى الفعل لأن في الانفعال حركات كثيرة أيضاً؛ كما أنها لا تُرَدُّ إلى الانفعال لأن الحركات كثيراً ما تكون أفعالاً. بل الفعل والانفعال هما اللذان يُرَدَّان إليها. ثم إنه لا يصح أن تُرَدَّ إلى ١٠ المضاف/ بداعي أن الحركة هي حركة شيء ما، ولا تقوم في ذاتها؛ وإلا لكان الكيف أيضاً في المضاف ما دام الكيف كيف شيء وفي شيء ما؛ وكذلك القول في الكم. فإن صحَّ في الكم والكيف أن كلًّا منهما شيء حقًّا، ولو كان كمًّا لشيء أو كيفًا لآخر، قيل في كلِّ منهما على ما يكون عليه في ذاته، إنه الكيف أو الكم. وعلى هذا الوجه نقول في الحركة، ولو كانت حركة شيء ما، إنها شيء قبل كونها حركة شيء ما. وما دام الأمر كذلك، وجب إدراكها بما تكون هي ١٥ عليه في ذاتها. ذلك لأنه يجب في المضاف إجمالاً/ ألا نفترضه الأمر الذي يكون أولاً ثم يغدو أمر شيء آخر. بل إنه وليد العلاقة، وهو على قدر ما يقال فيه إنه مضاف، ليس شيئاً بدون هذه العلاقة. فالضعف مثلاً، على قدر ما يقال فيه إنه ضعف، ينشأ ويستوي بذاته في المقارنة ٢٠ بالنسبة إلى الذراع الواحدة. وهو لا يتصور شيئاً قبل ذلك، بل يحصل على اسمه/ وعلى كيانه في مقارنة مع غيره. فما عسى أن تكون الحركة التي هي، مع كونها حركة شيء آخر، شيء قائم في ذاته بحيث يغدو حركة الشيء الآخر، مثلما يتأتى للكيف وللکم وللذات؟ ينبغي أن نعرف، قبل أن نجيب عن هذا السؤال، إن شيئاً متقدِّماً عليها غير مقول فيها على معنى أنه جنس لها. ٢٥ وإن قيل في التَّغْيِير إنه قبل الحركة قلنا أولاً في القائل/ إنه يعني الحركة هي ذاتها، أو إن كان يعني جنساً فإنما يجعل هذا الجنس مُختلِفاً عن الأجناس التي سبق ذكرها. ثم إن الظاهر من هذا القول هو أن صاحبه يجعل الحركة نوعاً ويُقيم في مُقابل الحركة شيئاً آخر، الصَّيرورة مثلاً، فيعني بالصَّيرورة تغيير ما، لا يكون حركة. ولكن لماذا ليست الصَّيرورة حركة؟ إن قلنا لأن ٣٠ الصائر لم يكن ثمَّ كان،/ والحركة لا تقع على العدم، فليست الصَّيرورة تغييراً أيضاً لا محالة. وإن قلنا لأن الصَّيرورة ليست إلا فساداً وازدياداً، لتحقق إذا فسدت أشياء وازداد غيرها، عينا بذلك ما يقع قبل الصَّيرورة. يجب في الصَّيرورة أن نتصوَّرها، بين ذلك كله، على أنها نوع من طراز آخر./ لا تقوم في الفساد بوساطة الانفعال، كما يحدث للشيء إذا سخن أو صار إلى ٣٥ اللون الأبيض. فإنَّ ذلك كله إذا نشأ نشأ ولما تقع الصَّيرورة حتماً؛ في حين أنه بالصَّيرورة يحدث الفساد بالذات. بل لا تكون الصَّيرورة إلا إذا كان حيوان أو نبات، أعني إذا كان شيء ٤٠ ليتلقَّى مثلاً. لكن يجوز القول في التَّغْيِير/ إنه بأن نتصوَّره من قبيل النوع أخرى من الحركة. فإنَّ التَّغْيِير يدلُّ على تبديل شيء بآخر في حين أن الحركة تنطوي على الانتقال بدافع من الذات، كالحركة المكانية مثلاً. وإن لم نكن لنرضى بهذا المثل، فهناك التَّعلُّم والعزف على القيثارة ٤٥ أو، بوجه عام، كلُّ حركة تنبعث من ملكة راسخة./ ومن ثمَّ فإن يكون التَّغْيِير نوعاً من أنواع الحركة أخرى، وهو حركة شأنها أن تُخرج الشيء ممَّا يكون عليه وفيه.

٢٢ ولكن لتتصور التغيير هو والحركة شيئاً واحداً بمعنى أنّ الحركة هي التي تجعل الشيء يعقبه شيء آخر. فما عسى أن يكون ما يجب أن نقول في الحركة لنقل، استرسالاً مع الطبع، إنّ الحركة هي السير من قوة إلى ما يقال فيه إنه كان من في هذه القوة. فإنّ ما يكون بالقوة، يكون كذلك لأن من شأنه أن يدرك مثلاً ما، كالتمثال بالقوة مثلاً، أو لآته قادر على أن يحقق شيئاً ما، كالسائر على القدمين مثلاً. / ألا وإنّ ما شأنه أن يصير تمثلاً إذا ما ازداد من التمثال قريباً، كان ازدياده في القرب حركة؛ وإذا كان السائر ماضياً في سيره، كان السير ذاته هو حركة. وكذلك الأمر في الرقص لدى القادر على الرقص عندما يرقص. رُبَّ حركة إذا يقبل فيها مثال جديد/ تُحدثه الحركة ذاتها؛ ورُبَّ حركة كأنها فقط مثال القوة لا تخلف شيئاً إذا انقطعت. نقول في الحركة إذا إنّها مثال مُتَبَقِّظ في مُقَابِل المثل الأخرى الساكنة من حيث إنّ بعضها يبقى على حاله وبعضها الآخر يزول، وإنّ السبب للمثل الأخرى، إذا جاء بعدها مثال. / وإذا قلنا بذلك كان قولنا قولاً معقولاً، كما أنّه معقول أيضاً قول من ذهب في الحركة التي نحن في صدها إنّها للأجسام حياتها. بل ينبغي أن يقال في هذه الحركة إنّها، بالاشتراك في الاسم، حركة النفس وحركة الروح. أما أن تكون جنساً فليس الأقلُّ بُرْهَاناً على ذلك ما نتبيّه من صعوبة ضبطها/ بحدٍّ ومن استحالة إدراكها. ولكن كيف تكون الحركة مثلاً عندما تمضي نحو الأسفل أو تكون وليدة الانفعال؟ الواقع هو أنّ الأمر في الحركة مثلما نجد في حرارة الشمس إذا انبعثت من الشمس: تُحدث الإنماء في أشياء، وتسوق أشياء أخرى إلى التقيض. فالحركة بهذا المعنى أمر مشترك، وتكون هي ذاتها في الطرفين، أما الفرق الذي يبدو/ فإنّه عائد إلى الأشياء. أو يكون الرجوع إلى الصّحة والدخول في المَرَض شيئاً واحداً؟ نعم! بقدر ما إنّهما حركة. وبماذا ينفصلان؟ أبما يقعان عليه أو بشيء آخر؟ هذا أمر نُرجّحه إلى ما بعد ذلك عندما نقبل على البحث في التغيير. أما الآن فينبغي أن نبحث عن الشيء الواحد الذي يبقى على ذاته في كلّ حركة. فهو، من هذه الناحية، جنس الحركة. / ولأ لقيلت الحركة في معاني مختلفة وكان شأنها بذلك كأنها بمنزلة الحق. هذا على أنّه لنا في ذلك حلّ للمشكلة التالية. وهي أنّه رُبّما وجب في الحركات التي تُؤدّي إلى ما يُوافق الطبع أو تُحدث فعلها في الأشياء الطبيعية، أن تكون بمنزلة المثل، كما ذكرنا. أما الحركات التي تُؤدّي إلى ما يُنافي في الطبع، فيجب أن تقوم بالقياس إلى ما تُؤدّي إليه. / فما هو المعنى الجامع بين التغيير والازدياد والصيرورة وما يُقابِل هذه الأمور كلّها، على أنّنا نُضيف إليها الانتقال المكانيّ أيضاً، ونبحث فيها من حيث إنّها حركات كلّها؟ هو أنّ الشيء لا يبقى على ما كان عليه من قبل. لا يستقرّ في سكون تام، بل يساق دائماً من حال إلى حال ما دامت الحركة حاضرة،/ فيتحوّل منه شيئاً إلى شيء آخر لآته لا يبقى على ما هو عليه في ذاته. فإذا بطل أن يصير شيئاً آخر، بطلت الحركة أيضاً. ولذلك لم تكن

الغيرية في أن يصير الشيء غيره ويبقى على ما يكون هذا الآخر عليه، بل كانت تحوّلًا من غير إلى غير دائمًا. ومن ثم كان الزمان في تغير مُستَوٍ لأنّ الحركة هي التي تُحدثه. ذلك بأنّها ٤٥ حركة مُقاسّة لا سُكون لها، وهو يعدو بعدوها وكأَنّه فارسها وهي تجري. لهذا وإنّ المعنى الجامع بين الحركات كلّها هو كونها انطلاقةً من القوّة والإمكان ومُساقةً إلى التّحقّق. فإنّ كلّ ٥٠ ما يتحرّك، مهما تكن حركته، كان قادرًا، قبل أن يتحرّك، على فعل ذلك أو الانفعال به.

٢٣ ثمّ إنّ الحركة التي تقع في الأشياء الجسيّة إنّما تنبعث من أصل غريب على هذه الأشياء. فتَهْز ما تصيبه وتُطارده وتوقظه وتدفعه بحيث إنّ لا ينام ولا يستقرّ على الحالة ذاتها، حتّى تبقى الأشياء الجسيّة في ما هو للحياة شبيهها ما دامت في هذا الاضطراب وهذا التّشتّت إن ساع هذا التعبير. ويجب ألاّ نعتقد أنّ المُتحرّكات هي الحركة ذاتها؛ فإنّ السّير ليس القدم، بل ما يتحقّق من القدم مُنبعثًا من قوّة. وما دامت هذه القوّة محجوبة لم يكن بُدّ من تركيز النّظر على الأقدام التي تُحقّق سير السائر، وليس على الأقدام فقط مثلما تبدو لو كانت ساكنة، بل على ما يُلَازِمها أيضًا. صحيح أنّه محجوب، لكنّه بمُلازِمته لغيره/ يرى عَرَضًا إذ نرى الأقدام تشغل محلًّا ثمّ آخر ولا تكفّ دائبة. فإنّا نستدلّ على التّغْيَر الذي حدث بالشيء الذي تغيّر لأنّه لم يبقَ على الكيف ذاته. وما عسى أن يكون الأمر الذي تكمن الحركة فيه عندما تُحرّك شيئًا آخر وعندما تخطو به من طور القوّة المُستَكَنّة فيه إلى حيّز التّحقّق؟ هل تكون الحركة في المُحرّك؟ وكيف/ يأخذ المُتحرّك والمُنفعل نصيبه منها آنذاك؟ أو يكون في المُحرّك؟ ما بالها إذا لا تبقى فيه بعد أن أُقبلت عليه؟ الواقع هو أنّه يجب فيها ألاّ تُفصل عن الفاعل، وألّا تكون فيه، بل تنبعث منه إلى المُتحرّك. ثمّ إنّها لا تكون في المُتحرّك مفصولة عن المُحرّك، بل تنطلق من المُحرّك ٢٠ لتُصل بالمُتحرّك حتّى كأنّها نفحة من الأوّل تُدرك الآخر. / إذا كانت القوّة المُحرّكة هي الطاقة على السّير دَفَعَت إلى الأمام، إن جاز لنا القول، وأحدثت الثّقُل الدائم من مكان إلى مكان؛ وإذا كانت الطاقة على التّسخين سخّنت، ثمّ إذا أصابت القوّة هيولى لتبني شيئًا من أشياء الطّبيعة، كان الثّموم؛ وإذا أُقبلت قوّة أخرى بتأثيرها السالب كان الثّقْصان لدى المَقْصوص ٢٥ القابل لأن يتأثّر بالسلب. لهذا وإذا/ نهضت الطّبيعة المولّدة كانت الصّيرورة، فإذا أمست الطّبيعة ذاتها عاجزة، وغلبت الطّبيعة القادرة على الإفساد، كان الفساد. وهو ليس فسادًا في ما نشأ واستوى، بل في ما يكون صائرًا إلى أن يُصبح شيئًا. وعلى الوجه ذاته تكون الثّقافة عندما تنهض القوّة على إحداث الصّحّة وتُغلب، ويكون الدّخول في المرض إذا قامت القوّة العاكسة ٣٠ فأحدثت عكس ذلك. / فالواقع هو أنّ الحركة لا تستمدّ ما تفرد به وتكون حركة مُكيّفة مُعيّنة بين ذلك كلّ، ممّا تستوي فيه فقط، بل ممّا تنطلق منه وممّا به تتحقّق.

٢٤] أما الحركة المكانية، إن قام تقابل بين الصاعدة منها والنازلة أو بين الدائرية والمستقيمة، فكيف يكون الفصل النوعي فيها؟ أين الفصل النوعي مثلاً في رمي الحجر فوق الرأس أو على القدمين؟ فإن القوة الدافعة واحدة. إلا إذا قيل في الدافعة علواً إنها غير الدافعة نزولاً، وفي الحركة نحو الأسفل إنها غير الحركة نحو الأعلى. ولا سيما إن تناول التحرك أمراً طبيعياً وكانت القوة هي الخفة من ناحية والثقل من الناحية الأخرى. لكن المعنى الواحد الجامع إنما يكون انتقال الشيء آنذاك إلى مكانه بالذات، فيكاد الفصل النوعي أن يحدد من الخارج. أما في الحركة الدائرية والمستقيمة، فأين الفصل فيها إذا كان ما يبدو وكأنه جريها قرائن مُتَبَيِّنًا هو ذاته بالاستقامة وبالدائرة؟ لقد يأتيها الفصل من شكل الخط الذي تتقيد به. إلا إذا قلنا في خط الدائرة إنه مزيج بمعنى أنه ليس حركة كلة، وأن الحركة فيه ليست خروج الشيء من ذاته. ومهما يكن من أمر، فإن الحركة المكانية تبدو حركة واحدة في ذاتها تتلقى فصولها من قرائن غريبة عليها.

٢٥] أما التآلف والانحلال، فيجب البحث فيهما الآن على أي وجه يتحققان. هل نفترضهما مختلفين عن الحركات التي ذكرناها، في الصيرورة والفساد، والازدياد والثقصان، والانتقال المكاني، والتغير؟ أو يجب فيهما أن يردا إلى هذه الحركات أو نفترضهما منها في بعض وجوههما؟ إن كان التآلف بأن يتقدم الشيء نحو الآخر وأن يتقاربا، وكان الانحلال بأن يتباعد الشيء عن صاحبه، قلنا فيهما إنهما انتقال مكاني يتحرك فيه اثنان نحو نقطة واحدة أو يبتعد فيه الواحد عن الآخر. أما إذا تصوّرناهما صهراً ودمجاً أو مزيجاً وبُنياناً، تخرج فيه أشياء من أخرى في حين تحققه/ لا بمعنى أنه كان مُحَقَّقًا قبل ذلك، فإلى أية حركة من تلك الحركات نردّهما؟ إن الانتقال هو الذي يبتدئنا أولاً، ولكن ما يعرض بعده يختلف عنه، مثلما يكون الأمر في الازدياد حيث نجد الانتقال المكاني في الطليعة ثم تليه الحركة بالكم فوراً. وكذلك الأمر في ما نحن في صدد: يكون التحرك في المكان هو المتقدم، ثم لا يتبعه التآلف حتماً أو الانحلال. بل يتحقق التآلف إذا تمّ بين المتلاقيات اندماج، ويتحقق الانحلال إذا وقع عند التلاقي انفصال. لهذا وقد يغلب في الانحلال أن يتبعه انتقال مكاني أو يقع معه،/ ما دام حال المنحلات يُصَوَّر على وجه لا يتفق مع التحرك في المكان. وكذلك الأمر في التآلف حيث تنشأ حالة جديدة وينشأ بُنيان جديد، والكل تابع للحركة المكانية مُخْتَلَفًا عنها. هل نأخذ هذين الأمرين كل على حياله بما يكون هو عليه في ذاته، فنردّ التغير إليهما؟ فإن الشيء إذا تكاثف تغير،/ على أن التكاثر إنما هو التآلف عينه. لكن الشيء إذا شتّ تغير أيضاً، والشتافاة إنما هي الانحلال بالذات. ثم إذا مزجت خمراً بما خرّجت ولديك شيء آخر يختلف عن كل منهما قبل

المزيج: فهذا هو التآلف الذي أحدث التغيير. أو الأخرى بالقول هنا هو أن التآلف والانحلال ٣٠ يتقدّمان التغيير في بعض الأحيان على أن/ يكون التغيير دائماً أمراً يختلف عن التآلف والانحلال. فإنّ التغيير في أنواعه الأخرى لا يكون على الوجه الذي سبق، كما أنّ الشّفاة والتكاثف لا يكونان دائماً تآلفاً أو انحلالاً، أو ناتجين عن هذا أو ذاك بوجه الإطلاق. وإلا لوجب التسليم بوجود الفراغ. وهذا وما عسانا أن نقول في الاسوداد وفي الابيضاض؟ إن أول ما ٣٥ يُقال في من يشك في هذين/ الأمرين هو أنّه ينبغي الألوان، وربّما نفى الأكياغ أغلبها على الأقل، بل كلّها بالأحرى. فإن قلنا في كلّ تغيير معروف بكونه تغييراً بالكيف أنّه تآلف أو انحلال، لم يكن ما ينشأ عن التغيير شيئاً، بل كان مجرد بُعد أو دُتو. وبعد، فبأي معنى يكون ٤٠ التعلّم/ أو التعلّم تآلفاً؟

٢٦ أجل ينبغي أن نبحث في هذه الأمور، كما أنّه يجب أن نعود إلى البحث عمّا نقول فيه أنّه أنواع الحركة: عما إذا لم تكن الحركة المكانية مثلاً حركة إلى الأعلى وإلى الأسفل وبالخطّ المستقيم وبالدائرة، وهي كلّها أسئلة عرضت لنا في ماسبق؛ أو كانت الحركة أيضاً حركة أمور منقوسة وأمر لا نفوس لها، إذ إنّ الحركة في الأولى ليست مثلها في الثانية. ثم نعود إلى ٥ الأمور المنقوسة فنبحث فيما إذا كانت الحركة فيها حركة بالأقدام وبالسباحة/ وبالطيران. وربّما استطعنا أن نقسّم كلّ نوع من أنواع الحركة إلى ما يلائم الطبع وما ينفّر الطبع منه. ولكنّ هذا يعني أنّ للحركات فروقاً لا تأتيها من الخارج. على أنّ الحركات هي التي تُحدث الفروق ولا تكون بدونها، فتبدو الطّبيعة هي الأصل في ذلك. ثم إنّ هناك تقسيم الحركات بالطبع ١٠ والصناعة والإرادة: فبالطبع يكون الازدياد/ والنقصان، وبالصناعة بُنيان المنازل والسفن، وبالإرادة البحث والتعلّم وسياسة الدولة وكلّ قول وعمل بوجه عام. وهذا وإنّ كلّاً من الازدياد والتغيير والصيرورة يقسّم بدوره إلى ما يلائم الطبع وما ينفّر الطبع منه، أو أنّه يقسّم إجمالاً بالنظر إلى ما يحلّ فيه.

٢٧ وما عسانا نقول في السكون الذي يُقابل الحركة أو الجمود؟ أيجب أن نفترضه جنساً واحداً على حياله أو أن نردّه إلى جنس من الأجناس التي ذكرناها؟ ربّما كان الجواب الأصحّ في أن ندع السكون للأمور الروحانية وأن نبحث عن الجمود في العالم الجسّي. وما عسى أولاً أن ٥ يكون هذا السكون الذي يجب البحث فيه؟/ إذا ما بدا أنّه هو والثبات شيء واحد، فليس من الصّواب أن يُبحث عنه في العالم الجسّي حيث لا تجد شيئاً ثابتاً، وحيث يُمسي ما يظهر ثابتاً كاللاجئ إلى حركة قد خبا نشاطها. أمّا إذا قلنا في الجمود أنّه يختلف عن السكون، لأنّ

١٠ السكون لا يلزم إلا ما ليس للحركة إليه قط سبيل ، في حين أنّ الجمود يتناول الأشياء الثابتة ، / وهي مطبوعة على التحرك عندما لا يتحرك ، كذا آنذاك أمام أمرين : فلما أن يقال في الجمود إنه التوقف عن الحركة ، يلزم الحركة ولما تكفّ بل تكاد تخبو ؛ وإما أن يكون ما يلزم الشيء ممسكاً عن التحرك . فلا بُدَّ آنذاك أولاً من البحث في العالم الحسيّ عن شيء لا يكون متحركاً .

١٥ وإن كان يستحيل على الشيء أن تتناوله الحركات كلّها ، / بل يجب فيه أن يكون خالياً من بعضها حتى يُتاح لنا القول فيه إنّ المتحرك هذا أو ذاك ، فما الذي ينبغي أن نقول ما لا يتحرك في المكان - بل كان من حيث تلك الحركة جامداً - ألا إنه غير متحرك؟ إنّ الجمود نفى للحركة إذاً ، وليس النفي في مقام الجنس بحال . على أنّه لا يكون الشيء جامداً إلا بالنسبة إلى الحركة

٢٠ المعيّنة ، / وهي الحركة المكانية مثلاً ؛ فلا يعني الجمود إلا نفي هذه الحركة فقط . وإذا قال قائل : لماذا لا نقول في الحركة إنها هي نفي السكون؟ أجبتنا : لأنّ الحركة إذا أقبلت كانت حاملة شيئاً في جنباتها . وهو شيء جديد يؤثر في المحلّ التي تقع عليه ، وكأته يدفع هذا المحلّ

٢٥ ويحدث فيه ألوف الحوادث ويُغيّره . / أما جمود الشيء فليس شيئاً يتجاوز الشيء ، بل يدلّ على أنّ هذا الشيء لا حركة له فقط . لماذا لا نقول إذاً في سكون الأمور الروحانية إنه نفي للحركة؟ ذلك بأنّه لا يقال في السكون إنه انتفاء الحركة لأنّه لا يكون هو إذا انقطعت الحركة ، بل إذا كانت الحركة هو أيضاً . / ثمّ إنه ليس السكون هنالك بأن يقال في المطبوع على الحركة إنه ساكن بقدر ما إنه لا يتحرك . بل يغدو الأمر ساكناً بقدر ما يكون السكون قد أدركه ، على أنّه يتحرك دائماً بقدر ما يكون متحركاً . ولذلك كان بالسكون ساكناً وبالحركة متحركاً . أما هنا

٣٥ فالشيء يتحرك بالحركة ويسكن إذا غابت وكان محروماً من الحركة التي تحقّق له . / لهذا وإنّه ينبغي التّظر في السكون ما عساه أن يكون في الحالة التالية ، وهي حالة المرء الذي يتعافى إذا كان ينتقل من المرض إلى الصّحة . فما عسى أن يكون نوع السكون الذي يُقابل به تلك الثّقاهة؟ إن كان هذا السكون هو الأصل الذي تنبعث منه الثّقاهة ، كان هذا السكون هو المرض ، وليس المرض سكوناً ؛ وإن كان الغاية التي تنتهي الثّقاهة إليها ، فهو الصّحة ، وليست الصّحة هي

٤٠ والسكون شيئاً واحداً . أما إذا قلنا في الصّحة أو في المرض إنّ كلّاً منهما سكون من وجه ما ، قلنا في الصّحة أو في المرض إنّ كلّاً منهما نوع من أنواع السكون . ولهذا قول هو الهذيان عينه . وإن كان السكون وصفاً يطرأ على الصّحة ، فإنّ الصّحة قبل السكون لا تكون صِحّة بحال . لهذا ولكلّ في الأمر ما يراه مناسباً .

٢٨ لقد ذكرنا أنّه يجب القول في الفعل والانفعال بأنّهما من الحركات ؛ ثمّ إنّّه ينبغي القول في الحركات بأنّ منها ما يكون مُسترسلاً ، ومنها ما يكون فعلاً ومنها ما يكون انفعالاً . كما أنّا

ذكرنا أنّ سائر ما يُقال فيه إنّهُ من الأجناس، يجب أن يُردّ إلى تلك التي أشرنا إليها. فقلنا في
 ٥ المضاف إنّهُ علاقة بين شيءٍ وآخر، وإنّ الطرفين قائمان معاً في آنٍ واحد. / أمّا إذا كان
 المضاف وليد علاقة في الذات، فليس مُضافاً من حيث إنّهُ ذات بل بقدر ما يكون جزءاً من
 أجزاء الذات. مثل أن يكون يدًا أو رأسًا أو سبيًا أو أصلًا أو عُصْرًا. لهذا ويجوز في المضاف أن
 يُقسّم كما كان يُقسّمه القدماء: فمنهُ ما يكون مُحدّثًا أو قياسًا، ومنهُ ما يكون بالزيادة أو
 ١٠ النقصان، / ومنهُ ما يكون بوجه عامّ فاصلاً بالتشابه أو باختلاف. فحسبنا ما ذكرناه في هذه
 الأجناس كلّها.

الفصل الرابع

(٢٢)

في أنّ الحقّ هو كلّه في كلّ وجه من الوجوه ولو كان واحداً في ذاته (المقال الأوّل)

١ هل نجد النّفس في كلّ ناحية من نواحي الكلّ لأنّ جسم الكلّ هو ذو كمّ محدود في حين أنّ من طبيعتها «أن تتوزّع في الأجسام»؟ أو إنّها من تلقاء ذاتها في كلّ وجه من الوجوه؟ فلا تُساق إلى حيث يسوقها الجسد، ما دام الجسد بأن يجدها قبله أخرى، على أنّها في كلّ ناحية من النواحي. فيجدها الجسد حيثما يحلّ، / وهي نفس قد استوت قبله في هذا الجزء أو ذلك من أجزاء الكلّ، وكان جسم الكلّ، من حيث إنّّه كلّ، قائماً في النّفس وهي حاضرة آنذاك. ولكن إن كانت النّفس مُمتدّة إلى كمّ محدود قبل أن يدرك الجسم كمّه المحدود، وقد ملأت الأبعاد كلّها، فكيف لا تغدو مُقدّرة بمقدار؟ أو على أيّ وجه يُمسي كيانها في الكلّ قبل / أن ينشأ، ما دام الكلّ غير قائم حقّاً؟ ثمّ كيف تصوّرها، هي التي نقول فيها إنّها لا تتجزأ ولا تخضع لمقدار، على أنّها في كلّ ناحية ونحن نعلم أنّها ليست لها مقدار؟ وإذا قلنا فيها إنّها تمتدّ مع الجسم وهي ليست جسماً، فإنّا بذلك لا نرفع الإشكال إذ إنّنا نسلّم آنذاك بخُضوعها للمقدار عَرَضاً. / ومن المعقول أن نتساءل، مع ذلك، هنا أيضاً، عن خُضوعها للمقدار كيف يتمّ. ليست النّفس على حال الكيف، كالحلاوة أو اللون مثلاً، يمتدّ بامتداد الجسم كلّّه. فإنّ هذه الأمور كلّها إنّما هي أحوال في الأجسام، فتشمل الانفعالات المُنفعل كلّّه، ولا تكون قائمة في ذاتها ما دامت شيئاً يقع / في الجسد ونُدركها نحن على أنّها كذلك. فلا غرو إن غدت مُكمّمة بكمّه حتّى ولم ينفعل بياض الجزء بانفعال بياض الجزء الآخر. أمّا البياض، فإنّه، نوعاً في الجزء، بياض للجزء الآخر بالذات، ولكن لا بالعدد. أمّا النّفس فإنّها، عدداً، هي هي في القَدَم وفي اليد، بالثّبو الذي تدلّ الإدراكات عليه. / ثمّ إن الكيف يبدو مُجزّءاً في ذاته؛ أمّا النّفس فليست مُجزّزة في ذاتها، بل يُقال فيها إنّها مُجزّزة بمعنى أنّها في كلّ ناحية من النواحي. فلنُقبل على هذه الأمور كلّها إذا، إن توافر لنا فيها شيء واضح مقبول، ولنستهلّ قولنا في النّفس كيف يسعها، وهي مُنزهة عن الجسمية، / أن تسرّب إلى أبعد ما يُمكن، سواء أكان تسرّبها سابقاً للأجسام أم تمّ فيها. وإن بدا أنّه يسعها الأمر حدوث الأجسام، فزبّما سهل علينا الاقتناع بوقوع شيء من نوعه في الأجسام أيضاً.

إن لدينا الكلّ الحقّ من كلّ ناحية، وما يُحاكي هذا الكلّ من الناحية الأخرى وهي طبيعة عالمنا المنظور. أمّا الكلّ الذي هو الكلّ حقًا فليس في شيء إذ ليس من شيء قبله. أمّا الأمور التي تلي هذا الكلّ، فإنّها في الكلّ حتمًا، إن كان شأنها أن تكون، وهي على أشدّ ما يُمكن تعلّقًا بالكلّ، / لا يسعها بدونه أن تبقى ولا أن تتحرّك. فإن كنّا نتصوّر تلك الأمور في محلّ، بل نتصوّرهما كالمُستبدّة إلى الكلّ وهي فيه مُستقرّة، ما دام الكلّ مُمتدًا إلى كلّ ناحية مُستجلاً على كلّ شيء، فلنخصّص النّظر عمّا يدلّ الاسم عليه ولندرك المعنى بذهنا. على أن نفهم بالمحلّ آنذاك، أو طرف الجسم المُحيط من حيث إنّه مُحيط، أو مسافة ما كانت قبل ذلك وهي من طبيعة الفراغ ولا تزال على هذه الحال. / لهذا وقد قلّنا ما قلّنا لسبب آخر، وهو أنّ ذلك الكلّ الأوّل والحقّ لا يحتاج إلى محلّ وليس في شيء مُطلقًا. ذلك بأنّه الكلّ ويستحيل على الكلّ أن يكون بحيث يتخلّى عن ذاته، / بل يملأ ذاته بذاته ويكون دائمًا مُساويًا لما هو عليه في ذاته. فحيث يكون الكلّ، يكون هو ذاته، إذ إنّه هو الكلّ. ونقول بوجه عامّ: إن أقام في هذا الكلّ شيء أخذ عن الكلّ وساكته واستمدّ من قوّته، لا بمعنى أنّه ينزع من الكلّ جزءًا بل بمعنى أنّه يجد الكلّ فيه هو ذاته إذ إنّه يُقبل هو على الكلّ، / ثمّ لا يخرج الكلّ ممّا هو عليه في ذاته. ولا غرور، فإنّه يستحيل على الحقّ أن يكون في الباطل، بل الباطل، هو الذي يكون في الحقّ، إذا تيسّر له أن يكون شيئًا. إنّه يحصل في الحقّ حصوله في كلّ إذا، إذ إنّ الحقّ لا يسعه أن ينفصل عن ذاته، وقلنا فيه إنّه في كلّ ناحية يدلّ على أنّه في الحقّ، أعني أنّه في ذاته. / ولا نستغربنّ من الشّيء إن غدا كونه في كلّ ناحية كونه في الحقّ وكونه في ذاته، إذ إنّ كونه في كلّ ناحية هنا يعني كونه في الوحدة. أمّا نحن فنتصوّر الحقّ قائمًا في المَحسوس فنتصوّر على هذا لوجه الكون في كلّ ناحية. ولما كنّا نعتقد في المَحسوس أنّه عظيم، غَدونا نتساءل في الحقيقة الروحانيّة كيف تتمدّد في هذا القدر العظيم. لكنّ ذلك الذي نقول فيه إنّه عظيم إنّما هو صغير، / وإنّ العظيم هو ذلك الذي نعتقده صغيرًا، إن كان على الأقلّ، مُتسرّبًا كلّهُ إلى كلّ جزء من العالم الجسّي. والأحرى بالقول هو أنّ المَحسوس يُقبل مع أجزائه كلّها على الكلّ الروحانيّ فيجد في كلّ صوب وجانب أنّ هذا الكلّ حقًا وإنّه أعظم منه. لهذا وإنّ الجسّي، في امتداده، لم يدرك مزيدًا إذ إنّه، لو فعل، لخرّج عن حدود الكلّ. / فأراد أن يدور حول الكلّ، ولا يسعه أن يشتمل عليه أو أن ينفذ إلى صميمه. فاكتمى بأن يكفل له محلًّا ورُتبه يستوي فيهما أمّا في جوار الكلّ الذي يُصبح آنذاك حاضرًا إليه وغير حاضر في آن واحد. ذلك بأنّ الأمر الروحانيّ يبقى قائمًا في ذاته مع ذاته، حتّى ولو أراد شيء أن يُقيم فيه. وحيثما يتوجّه الجسم الكلّي يجد الكلّ أمامه، / فلا يحتاج إلى مزيد في البُعد بعد ذلك. بل يدور حول ذاته بحيث يتمتّع في كلّ جزء من أجزائه بذلك الكلّ كلًّا. فلو كان هذا الكلّ في محلّ لَوَجَب في الجسم الكلّي أن يتوجّه إليه وأن يسير

٤٥ في خطٍّ مُستقيم، فيمسّ في كلّ جزءٍ من أجزاء الكلّ ويكون بعيداً منه تارة/ وقریباً أخرى. أما إن لم يكن بُعدٌ ولا قُرب، كان الكلّ، ما دام حاضراً، حاضراً كلّاً لا محالة. وهو حاضر مطلقاً في كلّ شيء من الأشياء، فلا يُقال فيها إنها بعيدة عنه أو قريبة منه، بل يُقال إنها بوسعها أن تتلقّاه.

٣ أنقول فيه إنّه هو الذي يحضر أم إنّه هو يُقيم في ذاته، ثمّ تنبثق منه قُوَى إلى كلّ صوب وجانب فيقال فيه، وهو على هذه الحال، إنّه في كلّ ناحية من النواحي؟ كذلك يُقال في الثُّقوس إنها بمنزلة أشعةٍ من نور، بمعنى أنّه يبقى هو في ذاته فتنبعث منه هي شعاعاً شعاعاً فينشأ عن كلّ شعاع/ حيوان. الواقع هو أنّه في الأمور التي يتمُّ لها قيامها في الوحدة من حيث إنّه لا يحتفظ فيها بحقيقته كلّها، إنّما يحضر، في ما يحضر فيه منها، بإحدى قُواه. لا على أنّه يحضر فيها بشيءٍ منه فقط، ما دام غير مُنفصلٍ عن قُوته التي يمدُّ بها. لكنّ الأشياء تتلقّى من الكلّ،/ وهو حاضر، على قدر ما تشعّ له. حيثما تكن قُواه كلّها، يكن هو حاضراً لا محالة، على أنّه يبقى، مع ذلك، أمراً مُفارقاً. فلو أصبح مثلاً لشيءٍ من الأشياء لبطل في كونه الكلّ وفي كونه قائماً في ذاته في كلّ وجه من الوجوه، بل غداً، عَرَضاً، لازماً من لوازم غيره. لا يكون لشيءٍ من الأشياء التي تُريده لها خاصّة، فيقترب،/ على قدر الاستطاعة، من الأشياء التي يُريد أن يقترب منها، ولا يُصبح خاصّة شيء، بل يبقى مرغوب هذا الشيء في حين أنّ شيئاً آخر لا يختصّه بدوره. فلا عَزَوْا إذاً إن كان بهذا المعنى في الأشياء كلّها، إذ إنّه لم يكن في أمر من الأمور بمعنى أنّه شيءٍ ينفرد ذلك الأمر به. ولذلك رُبّما لا يستبعد العقل أن يُقال في الثُّقوس، بهذا المعنى، أنّها تنفعل ٢٠ عَرَضاً مع البدن./ اللهم إن عنيما بقولنا أنّها تبقى هي في ذاتها، ولا تُصبح خاصّة الهويلى ولا خاصّة البدن، بل يغدو البدن وكأنّه يتلأأ بها كلّاً في كلّ جزءٍ من أجزائه. يجب ألاّ نَعْجَب من الحقّ إن لم يكن في محلّ ثمّ حضر إلى كلّ ما استقرّ في محلّ. فإنّ العَجَب ممّا يكون على خلاف ذلك. بل الأمر المُستحيل لدى المُتَعْجَب آنذاك، أن يكون للحقّ محلّه/ الخاصّ ثمّ يحضر إلى شيءٍ آخر قائم في محلّ، أو يحضر كلّاً على معنى الحضور الذي وضعناه. لكنّ العقل يدلّنا على أنّه لا بدّ للحقّ، وهو المُنزّه عن المكان، من أن يحضر كلّاً إلى ما يحضر إليه، وهو يحضر كلّاً إلى الكلّ مثلما يحضر إلى الشيء الجزئيّ، أعني أنّه يحضر كلّاً. وإلاّ لكان شيءٌ من هنا وشيءٌ من هناك، فيكون مُجزّئاً ويكون جسماً./ ولعمري، كيف نُجزّئه؟ هل نُجزّئ الحياة؟ إن كان الكلّ حياة لم يكن الجزء حياة. أو هل نُجزّئ الروح بحيث يكون روح في جزءٍ وروح آخر في جزءٍ آخر؟ ولكن لن يكون طرف من الطرفين روحاً. أو هل نُجزّئه ٣٥ من حيث إنّه الحقّ؟ ولكنّ الجزء لا يكون هو حقّاً إن كان الكلّ هو الحقّ./ وما عسانا نجيب إن

قال قائل في الجسم مُقسَّمًا إنَّ للجسم أجزاء تكون أجسامًا هي أيضًا؟ إلا أنَّ التَّقْسِيم لا يقع هنا على الجسم، بل على جسم مُكَمَّم. فإنَّما يُقال في الجزء إنَّه جسم نظرًا إلى المثال الذي يكون ٤٠ جسمًا. وليس للمثال كمٌّ محدود، بل ليس له كمٌّ قَطُّ مهما يكن. /

٤ كيف يكون لدينا الحقُّ من ناحية ثمَّ الحقائق وأرواح كثيرة ونفوس كثيرة أيضًا، إن كان الحقُّ في كلِّ صوب وجانب واحدًا على غير الوحدة في النوع، وكان الروح واحدًا والنفس واحدة ولو كنَّا نُمَيِّز نفس الكلِّ عن النفوس الأخرى؟ فإنَّ هذا كلُّه، فيما يبدو، يُخالف ما ذهبنا إليه وإن كان ينطوي على ضرورة ما، فإنَّه لا يُقيد إمتاعًا/ ما دامت النفس تستبعد في الواحد أن يكون باقيًا على ما هو عليه في ذاته في كلِّ ناحية من النواحي. بل رُبَّما كان أخرى بنا أن تُقسَّم الكلِّ بحيث لا يحدث قَطُّ نقصان في ما يقع التَّقْسِيم عليه. أو بكلام أصحَّ، أن تصوِّره مُؤَلَّدًا شيئًا من ذاته فنعني أنَّه هو على ما كان عليه في ذاته، وأنَّ ما يتولَّد عنه وكأنَّه أجزاءه هو الذي ١٠ يَحَقِّق الأشياء كلَّها. / ولكن إن بقي لهذا الحقِّ في ذاته لآته ليس من المعقول، فيما يبدو، أن يكون حاضرًا كلُّه في كلِّ ناحية من النواحي، وَجَب القول ذاته في النفس أيضًا. فإنَّ النفس لن تكون كلًّا في الجسم كلُّه الذي يُقال فيه إنَّها تُعَمَّرُه: فإنَّما أن تنقسم، أو، إن بقيت كلُّها على ١٥ حالها، فما عسى أن يكون في البدن الجزء الذي تملؤه بقوَّتها؟/ ثمَّ يعترضنا هنا الإشكال ذاته في أمر القوَّة إن كانت كلُّها في كلِّ ناحية من نواحي البدن. فضلًا على أنَّ البدن آنذاك يكون حاصلًا على النفس في إحدى نواحيه وعلى القوَّة فقط في ناحية أخرى. ولكن كيف تكون نفوس كثيرة وأرواح كثيرة، ويكون الحقُّ ثمَّ الحقائق إلى جانبه؟ حتَّى ولو كانت هذه الأمور ٢٠ مُتأخَّرات صادرات عن مُتقدِّمات، على أنَّها أعداد لا أحجام، فإنَّ الإشكال/ لا يزال قائمًا في أنَّها كيف يتحقَّق الكلُّ بها. فإنَّ حلًّا لا يكشف لنا الأمر أمام هذه الكثرة التي تتتابع على الوجه الذي ذكرنا. فضلًا على أنَّنا نُسَلِّم في الحقِّ بأنَّه كثير بالغيرية لا بالمكان. فإنَّ الحقَّ قائم بعضه من بعض كلًّا، ولو كان، وهو على هذه الحال، كثيرًا؛ ذلك لأنَّ الحقَّ إلى الحقِّ قريب، وهو ٢٥ كلُّه بعضه مع بعض. ثمَّ إنَّ في الروح كثرة بالغيرية/ لا بالمكان، وكلُّه بعضه مع بعض أيضًا. أو تكون النفوس على هذه الحال هي أيضًا؟ نعم، حتَّى النفس ذاتها. فإنَّ ما يُقال فيه إنَّه «يتجزَّأ في الأجسام» ليس مُتجزِّئًا طبعًا. لكنَّ للجسم كمًّا لدى حُضور النفس فيه على حقيقتها، أو ٣٠ بالأحرى لدى حدوث الجسم فيها. فعلى قدر ما يتجزَّأ الجسم إذا ظهرت تلك الحقيقة في كلِّ جزء من أجزائه نعتقد، وهي على هذا الوجه، في إنَّها تتجزَّأ في الأبدان. لكنَّ قيامها في وحدتها وامتناعها طبعًا على التَّجزؤ حقًّا خير دليل على أنَّها تتجزَّأ بتجزؤ الأجزاء، وعلى أنَّها كلًّا في كلِّ ناحية. إنَّ كون النفس واحدة ليس نفيًا للنفوس الكثيرة إذا، مثلما أنَّ الحقَّ لا يمنع من وجود

٣٥ الحقائق، / وليس بين الكثرة والوحدة تناقض في الملاء الأعلى . كما أننا نقول في الكثرة أننا لسنا في حاجة إليها لئلا الأجسام حياة، ولا ينبغي أن نعتقد في كثرة الأرواح أنها تحدث لأن للجسم كماً . بل إن قبل الأجسام نفساً واحدة ونفوساً كثيرة؛ فإن النفوس الكثيرة ليست في الكل بالقوة ٤٠ وإنما تكون كل نفس بالفعل قائمة، / ولا تمنع النفس الواحدة الكليّة من أن تُقيم فيها النفوس الكثيرة كما أن النفوس الكثيرة لا تنفي وجود النفس الواحدة . أجل، إنها مُتميّز بعضها عن بعض ولكن بدون مسافة تقع بينها؛ وهي حاضِر بعضها إلى بعض ولكن بدون مُغايرة تُفرّق بينها . لا تفصل بعضها عن بعض حواجز، وهي مثل العلوم الكثيرة في النفس الواحدة إذ إنّ ٤٥ النفس الواحدة تكون بحيث تُسّع في ذاتها للعلوم كلّها . / وبهذا المعنى نقول في حقيقة من هذا الطراز إنها حقيقة لا نهاية لها .

٥ فعلى هذا الوجه يجب أن نفهم عظمها، لا على أنها في حجم . فإن الحجم صغير، ينتهي به الأمر، إذا حُذِف منه، إلى ألا يكون شيئاً . أما في مجال الروح فإنك لا يسعك أن تحذف شيئاً، وإذا حُذِف فإنك لا تحدث قط نقصاناً . وإن لم يتل تلك الحقيقة نقصان، فلماذا يجب الخوف عليها من أن تقف بعيدة عن الشيء أيّاً كان؟ وكيف تبتعد وهي لا يعترها نقصان، بل هي الحقيقة الأبدية / التي ليس الجزي من شأنها؟ إذ إنه ليس لها مجال فيه تجري . فإنها تُحيط بالكل، أو بالأحرى إنها هي الكل ما دامت أعظم من أن تستوي في مقام الطبيعة ١٠ الجسمانية . وقد صدق الاعتقاد فيها أنها قل ما تمُدُّ به الكل من ذاتها، وإنما تُعطيه بقدر / ما تُسّع لها طاقته . ولكنّه ينبغي ألا نقول في هذا القليل إنه الأصغر، كما أنه ينبغي، إن جعلناه أصغر حجماً، ألا نحار في أمره بمعنى أنه يستحيل على الأصغر أن يمتد إلى ما يكون أعظم منه . بل إنه يجب في هذا «الأصغر» ألا يقال في ذلك «القليل» . وإذا لجأنا إلى القياس وجب ألا نقارن ١٥ الحجم بما لا حجم له : ففي هذه المُقارنة ما يُشبه القول في الدواء إن قيل فيه إنه أصغر / من جسم الطبيب . كما أنه ينبغي ألا نظنّ ذلك القليل أعظم في الكمّ قياساً . فإن «العظيم» و«الأعظم» لا يُقالان في النفس مثلما يُقالان في الجسد . والدليل على عظم النفس هو أنه، ٢٠ إذا عظم الحجم تسرّب إليه كلّ النفس ذاتها هي التي كانت فيه إذ كان أصغر . / وما أكثر الوجوه التي نستدلّ منها على أنّ في جعل النفس حجماً هذيان .

٦ ولماذا لا تسري إلى جسم آخر إذا؟ لأنه يجب في هذا الجسم أن يتقدّم هو إليها، إذا استطاع . وإن تقدّم تلقّاها وهي له . ثم ماذا؟ فإن هذا الجسم الآخر يحصل على تلك النفس وهو ذاته صاحب النفس التي بين جنبيه . فما عسى أن يكون الفرق بين هذه وتلك؟ ألا، إن الفرق بما

٥ يُضاف إلى كلٍّ منهما. وبعد، فكيف تكون النفس هي ذاتها في القدم وفي اليد، / ثم لا تكون نفس هذا الجزء من أجزاء الكل نفس ذلك الجزء ذاتها؟ فإن اختلفت الإحساسات وجب القول في الأحوال الطارئة إنها تختلف هي أيضًا. لكن الاختلاف يجري في ما يقع الحكم عليه، لا في الحاكم. فإن الحاكم يبقى هو ذاته في قضائه على الأحوال المختلفة، إذ إنه لا يفعل هو، بل / ١٠ تفعل طبيعة هذا الجسم أو ذاك. ومثله مثل الرجل الواحد متى إذا شعر باللذة وهي في إصبعه والألم وهو في رأسه. فلماذا لا تشعر نفس بالحكم الذي يصدر عن نفس أخرى؟ لأنه حكم وليس انفعالا. ثم إن النفس التي أبدت حكمها لا تقول إنها حكمت؛ فإنها قد حكمت، وليس بعدُ من مزيد. / لا يُخبر البصر لدينا سمعنا بما رأى، مع أن كليهما حاكم؛ بل المُخبر إنما هو العقل المُشرف عليهما، والذي يختلف عنهما. فما أكثر ما يُعَيِّر العقل حكمًا ويُدرك حالًا وقعا ٢٠ عند غيره! هذا وقد عالجت هذا الموضوع في حينه. /

٧ ولكتانعود ونقول: كيف يمتد ما يبقى على ما هو عليه في ذاته إلى الأشياء كلها؟ هذا يعود إلى السؤال في المحسوسات المتعددة كيف تكون مُتثيرة في كل صوب وجانب ثم لا يحرم قَطَّ محسوس من ذلك الشيء الواحد الباقي على ما هو عليه في ذاته. فإن ما ذكرنا يُتيح لنا القول في هذا الأمر إنه ليس من الصواب أن نُجزئه إلى أجزاء مُتعددة؛ بل الصواب أن نردّه ٥ الأجزاء إلى الواحد. فليس هذا الأمر هو الذي يتوزع إلى الأجزاء، بل الأجزاء هي التي تُوهبنا، لأنها مُنفصلة بعضها عن بعض، أنه يتجزأ هو أيضًا. مثل ذلك مثلما لو قسّمنا قابض الشيء ومُمسكه إلى أجزاء مُتساوية مع أجزاء هذا الشيء المُقبوض. فإن اليد تقبض ١٠ على / جسم بكامله وعلى خشبة تُقاس بأذرع كثيرة وعلى شيء آخر أيضًا، وتناول القوة القابضة هذه الأشياء كلها ثم لا تتجزأ، مع ذلك، إلى أجزاء تتساوى مع أجزاء ما في حوزة اليد. أجل إن القوة تشتمل، فيما يبدو، على القدر الذي تتصل به، لكن اليد تبقى محدودة بكمها، لا بكم / ١٥ الجسم الذي ترفعه وتُمسكه. وإن زدت على الجسم الذي تقبض اليد عليه شيئًا آخر، وكان بوسع اليد أن تحمله، أمسكت القوة هذا الشيء أيضًا ثم لم تتجزأ إلى عدد ما في الجسم من ٢٠ أجزاء. وما القول فيما لو أسقطنا بالذهن حجم اليد الجسماني، وأبقينا القوة ذاتها/ التي سبقت وقبضت على هذه الأشياء كلها والتي كانت في اليد قبل ذلك؟ ألا تكون هذه القوة، وهي غير مُعزاة، ثابتة في الكل مثلما تكون، هي ذاتها، ثابتة في كل جزء من أجزائه؟ ولنفترض الآن حجمًا نيرًا صغيرًا، نقطة مثلاً، جعلنا حوله جسمًا أعظم منه وهو كروي شفاف، بحيث ينتشر ٢٥ النور/ من الباطن على الجسم المحيط كله. فإن افترضنا ذلك ثم لم يكن ضياء ليأتي على الحجم الخارجي من مصدر آخر، ألسنا نقول في ذلك المصدر الباطن إنه لا يناله هو انفعال،

بل يبقى على حاله وهو مُنتشر على السطح الخارج كله؟ أولسنا نقول في النور المنظور في
 ٣٠ الحجم الصغير إنه مُستَوٍ على هذا السطح الخارج كله؟ وبعد، / فإن ذلك النور لم يكن مُنبعثًا
 من ذلك الحجم الجسماني الصغير، ولم يكن النور من حيث إنه جسم، بل من حيث إنه جسم
 ساطع بالنور، وهو كذلك بقوة أخرى ليست قوة جسمانية. فإذا أزلنا الآن حجم الجسم
 واحتفظنا بالقوة النورية، هل لنا أن نقول في النور، من بعد، أين يكون، أم لنا أن نقول إنه
 ٣٥ بالتسوية موزع على جوف / الكرة وعليها كلها من الخارج؟ لا يسعك آنذاك أن تُحدّد بالذکر أين
 كان النور كامنًا، ولا أن تقول من أين جاء أو إلى أين يتجه. بل تُقيم حائرًا وقد أخذك العجب
 فتتظر إلى النور وهو في الآن نفسه في هذه الناحية وفي غيرها من نواحي الجسم الكروي.
 ٤٠ وكذلك القول في الشمس / : يسعك أن تُخبر عن النور من أين يشع ثم ينتشر في الجو كله إذا
 نظرت إلى جسم الشمس. لكنك ترى النور مع ذلك، وهو هو ذاته في كل صوب وجانب لم ينله
 قط تجزؤ. وتدلّ على ذلك الأجسام التي تحوّل بينه وبين أن ينتهي إلى ما يقابل الجهة التي منها
 ٤٥ انبعث، ثم لم تكن تلك الأجسام لا لتقسّمه. لهذا ولو كانت الشمس قوة فقط، / لا جسم لها ثم
 أمدت بالنور، لما كانت الشمس للنور مصدرًا منه ينبعث ولما وسعك أن تقول من أين جاء. بل
 لكان النور مُنتشرًا في كل صوب وجانب وهو واحد باقي على ما هو عليه في ذاته، لا بداية له ولا
 أصل لا نبثاقه.

٨ أجل، إنه ليسعك أن تقول في النور، وهو نور جسم ما، من أين جاء، إذ يسعك أن تقول
 في الجسم أين يكون. أما المُنزّه عن الهوى، إن ثبت وجوده، فإنه لا يحتاج قط إلى جسم ما
 دام قبل كل طبيعة جسمانية، مُقيماً في ذاته مع ذاته أو يكون أولى به ألا يحتاج إلى إقامة من هذا
 ٥ النوع. / فإن الأمر الذي تغدو حقيقته من هذا الطراز، وليس له أصل منه يندفع، ولا يأتي من
 مكان أو يكون لجسم مهما يكن، كيف تقول فيه إن شيئاً منه هنا وشيئاً آخر هناك؟ فإنه يصح
 آنذاك مُطلقاً من أصل هو أصله وتابعا لشيء ما. بقي لنا القول بأنه إذا شارك شيء ذلك الأمر في
 ١٠ كيانه شاركه كلاً بوساطة ما في الكل من قوة، / ثم لا يتأثر هو قط ولا يتجزأ. إن ما كان له بدن
 طراً عليه الانفعال ولو عَرَضاً، فيقال فيه إنه يفعل ويتجزأ ما دام شيئاً تابعا للبدن، كأن يكون
 ١٥ حالاً مثلاً أو مثلاً. أما ما لا يكون لجسم بحال بل يُريد الجسم أن يكون له، / فلا يناله قط
 انفعال من انفعالات الجسم حتماً، كما أن التجزؤ يستحيل عليه. إنما يقع التجزؤ على الجسم
 وهو انفعال الجسم أصلاً ما دام جسمًا. وإن كان التقسيم بالجسميّة كانت التزاها عن التقسيم
 ٢٠ بعدم الجسميّة. فلعمري، كيف تقسم ما ليس له مقدار؟ عندما نقول في الأمر الواحد / إنه في
 أشياء كثيرة، لا تعني أنه تحوّل هو إلى أشياء كثيرة بل تُخلع عليه، باقيًا على ما هو عليه في ذاته،

أحوال الأشياء الكثيرة، إذ إنك تراه هو ذاته في أشياء كثيرة. ويجب في بقائه أمر واحد في تلك
 ٢٥ الأشياء ألا يؤوّل على أنه أصبح خاصّة شيء منها أو خاصّة مجموعتها، بل بمعنى أنه لا يزال
 منفردًا بذاته، باقيا على ما هو عليه في ذاته، لا يتخلّى عن ذاته مادام قائما هو ذاته في ذاته. كما
 أنه لا يقال فيه إنه مُقدّر بقدر العالم الكلّي المحسوس، حتّى ولو كان هذا القدر جزءا من أجزاء
 ٣٠ الكلّ مهما يكن. إنه ليس له كمّ مطلقا، فكيف يكون بالقدر المشار إليه؟ إنما يُقال في الجسم/
 إنه محدود، أما ما ليس بجسم وكانت حقيقته من نوع آخر، فيجب أن يُنزه من كلّ وجه عن
 التّحديد بالكمّ إذ إنه ليس محدّدا بالكيف أيضا. لا ولا «بالأين» إذا، فلا يكون هنا تارة وهناك
 أخرى أو نقول في «الأين» إنه يتحقّق غير مرّة. وإن كان المُتجزّئ يتجزّأ بالأمكنة لأن شيئا منه
 ٣٥ يقع هنا وآخر هناك، فالذي لا يُقال فيه إنه هنا أو هناك كيف يتّسع للتجزؤ؟ ينبغي لذلك الأمر
 أن يبقى في ذاته مع ذاته غير مُتجزّئ إذا، حتّى ولو اتّفق للأشياء الكثيرة أن ترغب فيه. وإن
 رغبت الأشياء فيه رغبت فيه كلّا لا محالة! وإن استطاعت أن تتال منه نصيبا أخذت منه نصيبها ما
 ٤٠ استطاعت من حيث كونه كل. / يجب في الأشياء التي تُصيب منه إذا أن تكون منه بحيث كأنها
 لم تُصيب قطّ خلافاً إذ إن شيئا من هذه الأشياء لا يختصّه. فعلى هذا الوجه يبقى هو كلّا في ذاته
 وكلّا مع الأشياء التي يرى فيها. ذلك لأنّه إن لم يكن كلّا بكامله، لما بات على ما هو عليه في
 ٤٥ ذاته ولما أصابت الأشياء، هي أيضا، شيئا ترغب فيه، بل من أمر آخر كانت عنه رغبة. /

٩ هذا وإن كان الجزء الواقع في الشّيء كلّا بكامله، وكان كلّ شيء قائما في ذاته مثل
 الأول، لتعدّت الأوائل كثيرة ولكان كلّ شيء أوّلا، ما دامت الأشياء الجزئية منفصلا بعضها عن
 بعضها الآخر دائما. ثمّ ما عسى أن يكون الفاصل الذي يفصل هذه الأوائل الكثيرة بعضها عن
 ٥ بعض حتّى يمنعها من أن تتوحّد كلّها بعضها مع بعض؟ لن تكون أجسامها هي المانع. / فإنه
 يستحيل على هذه الأمور أن تكون للأجسام مثلاً إن كانت هي أيضا مثل الأول الذي تنبعث منه.
 وإن غدت الأجزاء المعروفة بالأجزاء الواقعة في الأشياء الكثيرة قوَى لذلك الأول، لم يكن
 الشّيء الجزئيّ كلّا بكامله. هذا أوّلا. ثمّ كيف انتهت إلى مقامها بعد أن انفصلت عن أصلها
 ١٠ وغادرتها؟ وإن غادرتها، فإنما غادرتها لتتجه وجهها ما لا محالة. / ثمّ هذه القوَى التي أصبحت في
 عالمنا المحسوس، هل نقول فيها إنها لا تزال في ذلك الأول أو نففي عنها ذلك؟ إن لم تكن فيه
 استغرب العقل أن يدرك ذلك الأمر نقصان، وأن يُصبح عاجزا بعد تجريده من القوَى التي كانت
 لديه في ما سبق. ثمّ كيف يجوز على هذه القوَى أن تغدو قائمة على حيالها وقد نُزعت كلّ قوّة
 ١٥ منها عمّا تكون عليه في ذاتها؟ / وإن كانت فيه كما أنّها في غيره، فإمّا أن تكون كلّها في عالمنا
 المحسوس، وإمّا أن يكون في هذا العالم بعض القوَى منها. فإن كان في عالمنا بعض هذه

القوى فقط، كان بعضها الآخر في الملاء الأعلى أيضًا. وإن كانت كلها في الكل المحسوس: فَمَا أن تكون هنا غير مُجزأةً مثلًا تكون هناك ونعود إلى القول بأن الأمر الواحد هو ذاته في كل ناحية من النواحي بدون أن يتجزأ؛ / وإما أن تكون القوى هي كلاً، كل قوة على حيلها وقد تعددت، وغدت هذه القوى مُتماثلًا بعضها مع بعض. مما يؤدي، في كل حالة، إلى أن تُلْزِم القوى الذات. أو إن شئنا فلنقل ألا تكون حقاً إلا قوة فقط، وهي تلك التي تُلْزِم الذات، وتكون القوى الأخرى قوى مُجرّدة فقط. ولكن مثلما يستحيل على الذات أن تكون بدون قوة، فكذا يستحيل على القوة أن تكون بدون ذات أيضًا. فإن القوة في الملاء الأعلى هي قيام في الذات ٢٥ وذات، بل هي أعظم من ذات. / هذا ورُبَّ قائل يقول: إن القوى المُنبِعثَة من ذلك الأمر يختلف بعضها عن بعض بمعنى أن الثَّقصان يَدْرِكها وتُمسِي هي مَخْشِية الجوانب، مثلما أن النور يتضائل إذا انبثق من نور كان أشد منه ضياء. وكذلك القول في اللّوات التي تُصْطَحَب بالقوى حتى لا تكون قوة بدون ذات. وإن قيل ذلك أجبتُ أولاً أن تلك القوى التي وصفناها، ما دامت مُتماثلًا بعضها مع بعض على وجه الإطلاق، إتما يجب/ فيها أحد الأمرين: إما أن تُسَلَم بالقوة الواحدة أنها هي ذاتها في كل ناحية من النواحي؛ وإما، أن تكون، في كل ناحية تقوم فيها، كلاً هي ذاتها بعضها مع بعض غير مُجزأة حين لا تكون في كل ناحية. وهي آنذاك مثل النَّفس في الجسم الواحد بالذات. وإن تم لها ذلك، فلماذا لا يتم لها في الكل بكامله؟ أما إذا وَجِب في القوة أن تتجزأ إلى ما لا نهاية له، بطلت في كونها كلاً في ذاتها، بل أصبحت بهذا التَّقْسيم ٣٥ عجزاً لا قوة. / فضلاً على أن كونها مُختلفة باختلاف الأجزاء يحول بينها وبين أن تتعقّب ذاتها. ونُجِيب ثانياً أن مثل الشيء في ارتسامه مثل النور وقد خفّ إشرافه، يزول ويفنى إذا فصل عما ينبعث منه. وبوجه عام، إن كل ما يستمد من غيره قيامه في ذاته، ما دام ارتساماً لذلك الشيء ٤٠ الآخر، يستحيل علينا، / إذا فصلناه عن غيره، أن نكفل له قيامه في ذاته. فكذاك تزول وتفنى هي أيضاً تلك القوى المُنبِعثَة من ذلك الأمر إن فُصِلت عنه. وإن كان ذلك كذلك، فحيثما تكن تلك القوى، يكن معها ذلك الأمر الذي منه انبعثت، ونعود إلى القول بأمر واحد غير مُجزأ يكون هو ذاته بعضه مع بعض كلاً في كل ناحية من النواحي.

١٠ قد يقول قائل في الرَّسم إنه لا يرتبط بأصله ارتباطاً ضرورياً. فربَّ صورة تبقى بعد زوال أصلها الذي منه انبعثت، وتَغيب النار ثم تبقى الحرارة في الجسم المُسَخَّن. نُجِيب أولاً في ما يتعلق بالأصل وصورته، إن كان/ يعني قائلنا بالصورة تلك التي يرسمها الرَّسام، فإن هذه الصورة ليست صورة أحدتها الأصل ذاته بل الرَّسام. وهي ليست صورته ولو كان قد صنع رسمه هو ذاته. فإن الراسم آنذاك ليس جسم الرَّسام أو المثل الذي يُقْلَدُه. ثم إنه يجب ألا يُقال

١٠ في صورة من هذا النوع إنها إخراج الرّسام، / بل إنها إخراج أحدثه ما كان بين الألوان من تشكيل خاصّ آنذاك. كما أنّ الرّسم ليس إحداث صورة ارتسام بالمعنى الحقيقيّ مثلما هو الأمر مع الانعكاسات التي تتمّ في الماء أو في المرايا والأظلال. فالصورة هنا إنّما تستمدّ وجودها من أصلها المتقدّم عليها حقّاً، وهي تنشأ عنه، وما ينشأ عند ذاك يُغني إذا ما فُصل عن أصله. / على هذا الوجه يجب أن نتصوّر إنبعاث القوَى، وقد ضعفت، من تلك التي تتقدّم عليها. أمّا القول في النار ثانياً، فإنّنا نُجب عليه أنّ الحرارة يجب فيها ألاّ يُقال عنها إنها صورة النار إلّا إذا قلّنا بأنّ في الحرارة ناراً. وإن قلّنا بذلك، جعلنا الحرارة شيئاً مُنفصلاً عن النار. / ثمّ إنّ الجسم الساخن لا يلبث أن تخمد حرارته عاجلاً أم آجلاً، لدى زوال النار. لكنّ خصومنا إن ذهبوا إلى أنّ تلك القوَى لا تلبث أن تخمد هي أيضاً، انتهوا من ذلك أوّل ما انتهوا إلى القول في الواحد أنّه وحده المنزّه عن الفساد، فيفسدحون للفساد إلى النفوس والروح مجالاً. ثمّ إنهم يجعلون ما يجري خارجاً من ذات باقية على حالها وهي لا تجري. / وإن كانت الشمس، مع ذلك، ثابتة في مركز مهما يكن أمّدت بنورها الواحد ذاته الأمكنة ذاتها. فإذا قال قائل في هذا النور أنّه ليس هو ذاته، دَعَمَ بذلك القول، في جسم الشمس أنّه يجري. هذا وإنّا، في غير هذا المكان، قد ذكرنا بما فيه المزيد، أنّ ما ينبعث من ذلك الأمر لا يَعتريه الفساد وأنّ النفوس لا تفنى، لا ولا الروح أيضاً. /

١١ ولكن، ما دام هذا الأمر الروحانيّ كلّاً في كلّ ناحية من التّواحي، لماذا لا تُشاركه الأشياء كلّها في كيانه كلّاً؟ لماذا نقول فيه إنّ له مُشاركاً من المقام الأوّل، ثمّ من المقام الثاني، وهكذا ذواليك؟ الواقع هو أنّه ينبغي أن نعتقد في الشّيء الذي يحضر إلى شيء آخر أنّ حضوره مُقيّد باستعداد ما يتلقّاه. فالحقّ حاضر في الحقّ أينما طلبته إذ أنّه لا يتخلّى / عن ذاته. بيد أنّه يحضر فيه ما كان هذا الحضور بوسعه، وبالقدر الذي يتّسع له، على ألاّ يكون حضوراً بالمكان. على هذا الوجه يحضر التّشفيّف في النور؛ أمّا المُعكّر فاشترّكه في هذا الحضور على خلاف ذلك. فالمقام هنا، أوّلاً وثانياً وثالثاً، إنّما هو مقام الرّتبة والقوّة والفروق، وليس مقاماً بالمكان. / ولا يمنع الأمور المُختلفة مانع من أن يكون بعضها مع بعض، / مثل النفوس والروح والعلوم كلّها، المُهمّة منها وما دون هذه أهميّة. ثمّ إنّ الشّيء الواحد يُدرك البصر لونه، والشّمّ عطره. فكلّ حسّ محسوسه، وهذه المحسوسات كلّها بعضها مع بعض، غير مُنفصلة. أوّليس ذلك الأمر كذلك، مُختلِفاً مُتعلّداً في وجوهه؟ بلى! ولكنّه بسيط في وجوهه المُختلفة، / واحد في كثرته. إنّ واحد وذو كثرة في بُنيته المعنويّة، وإنّما الحقّ كلّ واحد في ذاته. فإنّ فيه غيره، والغيرية من لوازم الحقّ إذ إنّها ليست من لوازم الباطل. ثمّ إنّ الحقّ من لوازم الواحد ما دام لا ينفصل عنه، فحيثما يكن الحقّ يكن حاضراً معه كونه واحداً، والواحد

٢٠ بِدَوْرِهِ قَائِمٌ فِي ذَاتِهِ حَقًّا. وَرُبَّ حُضُورٍ كَانَ حُضُورَ شَيْءٍ مُفَارِقٍ. / فَإِنَّ حُضُورَ الْجِسْمِيِّ فِي
الروحانيات، بقدر ما يحضر منه فيها وفي ما يحضر منه فيها، إنما يختلف عن بعض حُضُور
بعض الروحانيات في بعضها الآخر. فالجسم حاضر في النَّفْسِ على وجهه، والعلم في النَّفْسِ
بوجه آخر، والعلم في العلم إن كان كلاهما في محل واحد على وجه ثالث. ومختلف عن هذه
٢٥ الوجوه كلها وجه حُضُور الجسم إلى جسم آخر. /

١٢ رُبَّ صَوْتٍ يُدَوِّي فِي الْجَوِّ، وَفِي الصَّوْتِ لَفْظٌ، فَتَلْقَاهُ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ وَتُدْرِكُهُ. فَإِنْ جَعَلْنَا
فِي الْوَسْطِ الْفَارِغِ أُذُنًا أُخْرَى أَقْبَلَ اللَّفْظَ وَالصَّوْتِ عَلَيْهَا هِيَ أَيْضًا. أَوْ بَأَن تَقْبِلُ الْأُذُنُ هِيَ ذَاتُهَا
٥ عَلَى اللَّفْظِ أُخْرَى. وَرُبَّ عْيُونٍ كَثِيرَةٍ تُبْصِرُ شَيْئًا وَاحِدًا وَتَمْتَلِئُ كُلُّهَا بِمُشَاهَدَتِهِ، وَلَوْ كَانَ
الْمَشْهُدُ بِمَعزِلٍ عَنْهَا كُلِّهَا. وَيَتِمُّ ذَلِكَ كُلُّهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُقَابِلُ الشَّيْءَ عَيْنَ هُنَا وَأُذُنَ هُنَاكَ. فَكَذَلِكَ
الْقَوْلُ فِي النَّفْسِ أَيْضًا، يَتَوَفَّرُ إِدْرَاكُهَا لَمَّا كَانَ بَوْسَعُهُ أَنْ يُدْرِكَهَا، ثُمَّ يَتَوَفَّرُ مِنْ أَمْرِهَا بِالذَّاتِ
لشَيْءٍ ثَانٍ وَثَالِثٍ وَهَلَمْ جَرًّا. أَمَّا الصَّوْتُ فَإِنَّهُ يَمْتَدُّ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْجَوِّ، وَهُوَ صَوْتُ
١٠ وَاحِدٍ، لَا بِمَعْنَى أَنَّهُ مُجَزَّأٌ بَلْ بِمَعْنَى أَنَّهُ كُلٌّ فِي كُلِّ مَكَانٍ. وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْبَصَرِ: / إِذَا تَأَثَّرَ
الْجَوُّ بِشَيْءٍ أَمْسَكَ بِالْصُّورَةِ وَأَمْسَكَ بِهَا غَيْرَ مُجَزَّأَةً، فَحَيْثُمَا يُجْعَلُ الْبَصَرُ، يُدْرِكُ الصُّورَةَ.
وَلَكِنْ رُبَّمَا لَا يَنْسَجِمُ هَذَا الْمَثَلُ مَعَ كُلِّ مَذْهَبٍ، إِلَّا أَنَّا نَذْكُرُهُ هُنَا لِأَنَّهُ فِيهِ هُوَ أَيْضًا أَخْذًا وَإِصَابَةً
مِنَ الْأَمْرِ الْوَاحِدِ الَّذِي يَبْقَى عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ. أَمَّا مِثْلُ الصُّورَةِ فَإِنَّهُ أَوْضَحُ، بِمَعْنَى أَنَّ
١٥ الْمِثَالَ هُنَا مُنْتَشِرٌ كُلًّا فِي الْجَوِّ كُلِّهِ. / فَالْوَاقِعُ هُوَ أَنَّهُ لَمْ نَكُنْ لِنَسْمَعِ كُلَّنَا لَوْ لَمْ يَكُنِ اللَّفْظُ الْوَاقِعُ
فِي الصَّوْتِ كُلًّا فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كُلٌّ سَمِعَ لِيَتَلَقَّى عَلَى التَّسَاوِيِ مَعَ غَيْرِهِ اللَّفْظُ كُلُّهُ.
إِنَّ الصَّوْتِ هُنَا مُنْتَشِرٌ كُلًّا فِي الْجَوِّ كُلًّا، ثُمَّ لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنْ أَجْزَائِهِ إِنَّهُ مَقْرُونٌ
٢٠ بِهَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْجَوِّ أَوْ إِنَّهُ يَتَجَزَّأُ هُوَ بِتَجْزُؤِ الْجَوِّ. وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَلَمَّاذَا تَتَرَدَّدُ فِي مَا /
إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ لَا تَمْتَدُّ إِلَى الْجِسْمِ كُلِّهِ بَدُونِ أَنْ تَتَجَزَّأَ بِتَجْزُؤِهِ؟ بَلْ تَشْمَلُ، حَيْثُ تَحْضُرُ، كُلَّ
نَاحِيَةٍ بِحُضُورِهَا، وَهِيَ مِنَ الْكُلِّ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِيهِ مُنْزَهَةٌ عَنِ التَّجْزُؤِ؟ إِذَا حَلَّتْ فِي
الْجِسْمِ الَّذِي يَحْدُثُ لَهَا أَنْ تَحُلَّ فِيهِ، كَانَ شَأْنُهَا شَأْنَ الصَّوْتِ وَقَدْ دَوَّى فِي الْجَوِّ. أَمَّا قَبْلَ
٢٥ حُلُولِهَا فِي الْأَجْسَامِ، فَإِنَّهَا كَالَّذِي يُحْدِثُ صَوْتًا أَوْ سَوْفَ يُحْدِثُ. / عَلَى أَنَّهَا، حَتَّى لَدَى
حُلُولِهَا فِي الْبَدَنِ، لَا تَكُونُ عَلَى حَالٍ تُخَالِفُ حَالِ مَنْ يُحْدِثُ الصَّوْتِ: فَهُوَ إِذْ يُحْدِثُ
الصَّوْتِ يُمَسِّكُهُ وَيَمْدُدُّ بِهِ فِي أَنْوَاعٍ وَاحِدَةٍ. أَجَلْ إِنَّ الْأَمْرَ فِي الصَّوْتِ لَيْسَ هُوَ ذَاتَهُ الْأَمْرَ
الَّذِي اتَّخَذَ الصَّوْتُ مِنْ أَجَلِهِ مَثَلًا، إِلَّا أَنَّ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ شَبَهًا مِنْ وَجْهِ مَا. أَمَّا الْأَمْرُ فِي
٣٠ النَّفْسِ فَإِنَّهُ مِنْ طَبِيعَةٍ أُخْرَى، فَيَجِبُ / أَلَّا نَفْهَمَهُ بِمَعْنَى أَنَّ شَيْئًا مِنَ النَّفْسِ يَكُونُ فِي الْأَجْسَامِ
وَأَخْرَ فِيهَا هِيَ ذَاتُهَا. بَلِ النَّفْسُ كُلُّهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي ذَاتِهَا عَلَى أَنَّهَا تَظْهَرُ فِي الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ أَيْضًا.

هَذَا وَيُقِيلُ جِسْمَ آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى النَّفْسِ لِيَتَلَقَّاهَا، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَأْخُذَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي، مَا كَانَ لَدَى غَيْرِهِ مِنْهَا. قَلِمَ تَعَدَّ النَّفْسُ إِعْدَادًا سَابِقًا بِمَعْنَى أَنَّ جُزْءًا مِنْ أَجْزَائِهَا يَكُونُ فِي مَكَانٍ مُعَيَّنٍ ثُمَّ يُقِيلُ عَلَى جِسْمٍ مُعَيَّنٍ. / بَلْ مَا يُقَالُ فِيهِ إِنَّهُ مُقِيلٌ كَانَ فِي ذَاتِهِ دَاخِلَ الْكُلِّ وَهُوَ فِي ذَاتِهِ مَا يَزَالُ وَلَوْ بَدَأَ مُقِيلًا عَلَى الْعَالَمِ الْجِسْمِيِّ. وَلَعَمْرِي، بَأَيِّ مَعْنَى يَكُونُ إِقْبَالُهُ؟ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لِتُقِيلَ، ثُمَّ ظَهَرَتْ الْآنَ وَهِيَ حَاضِرَةٌ، عَلَى أَنَّ تَكُونَ حَاضِرَةً بِمَعْنَى أَنَّهَا انْتَهَرَتْ الشَّيْءَ الَّذِي شَارَكَهَا فِي كَيْانِهَا، فَذَلِكَ كُلُّهُ عَائِدٌ لَا مُحَالَةٌ إِلَى أَنَّهَا حَاضِرَةٌ فِي هَذَا الشَّيْءِ وَهِيَ لَا تَزَالُ فِي ذَاتِهَا. فَإِذَا حَضَرَتْ إِلَى الشَّيْءِ وَهِيَ لَا تَزَالُ فِي ذَاتِهَا، / كَانَ هَذَا الشَّيْءُ هُوَ الَّذِي أَقْبَلَ نَحْوَهَا. إِنَّ هَذَا الشَّيْءَ الَّذِي لَيْسَ بِالْحَقِّ حَقٌّ أَقْبَلَ إِذَا إِلَى مَا كَانَ هُوَ الْحَقُّ حَقًّا، ثُمَّ أَصْبَحَ فِي عَالَمِ الْحَيَاةِ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ عَالَمَ الْحَيَاةِ كَانَ عَالَمًا قَائِمًا بِذَاتِهِ. وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ هَذَا الْعَالَمُ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كُلٌّ، قَائِمًا فِي ذَاتِهِ غَيْرَ مُجْزَأٍ فِي ذَاتِهِ ضَمْنَ حَجْمِهِ. بَلْ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَجْمًا، وَلَمْ يُقِيلِ الْمُقِيلُ إِلَى حَجْمٍ. / فَلَمْ يُصِيبْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ مِثْلَمَا يُصِيبُ الْجُزْءَ مِنَ الْكُلِّ. حَتَّى وَلَوْ كَانَ الْمُقِيلُ عَلَى عَالَمٍ مِنْ هَذَا النَّوْعِ شَيْئًا غَرِيبًا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُ نَصِيبَهُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ مَنْحِيثٌ كَوْنُهُ كُلٌّ. وَإِنْ قِيلَ فِي هَذَا الْعَالَمِ إِنَّهُ فِي الْأَشْيَاءِ كُلًّا، فَإِنَّهُ كُلًّا فِي كُلِّ شَيْءٍ أَيْضًا. إِنَّهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ النِّوَاحِي إِذَا، قَائِمًا فِي وَحْدَتِهِ، غَيْرَ مُجْزَأٍ عَدَدًا، كُلًّا بِكَامِلِهِ.

١٣] أَتَى لَهُ إِذَا هَذَا الْإِمْتِدَادُ الَّذِي يَشْمَلُ بِهِ السَّمَاءُ كُلَّهَا وَالْحَيَوَانُ؟ إِنَّ الْقَوْلَ الصَّوَابُ هُوَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إِمْتِدَادٌ. فَإِنَّ الْإِحْسَاسَ مِنَ الَّذِي يَشْغَلُنَا فَيَمْنَعُنَا أَنْ نُسَلِّمَ بِمَا ذَكَرْنَا، يَقُولُ فِي الْعَالَمِ إِنَّهُ مُتَشَبِّهٌ هُنَا وَهَنَّا. أَمَّا الْعَقْلُ فَيَقُولُ فِيهِ إِنَّهُ «هَنَا وَهَنَّا» لَا بِمَعْنَى أَنَّهُ يَمْتَدُّ إِلَى «هَنَا وَهَنَّا» بَلْ بِمَعْنَى أَنَّ يَكُونُ هُوَ غَيْرَ مُمْتَدِّ فِي حِينَ أَنَّهُ يَمْدُ/ مِنْ كَيْانِهِ كُلِّ مَا كَانَ بِإِمْتِدَادٍ. وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ آخِذًا مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُ لَيْسَ آخِذًا مِنْ ذَاتِهِ وَمَا فِي الْأَمْرِ شَكٌّ. وَإِلَّا لَمَا كَانَ آخِذًا بَلْ كَانَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ. يَجِبُ فِي الْجِسْمِ إِذَا، إِنْ كَانَ آخِذًا مِنْ شَيْءٍ، أَلَّا يَكُونَ آخِذًا مِنْ جِسْمٍ آخَرَ مَا دَامَ فِي ذَاتِهِ جِسْمًا. وَالْوَاقِعُ هُوَ أَنَّ جِسْمًا لَا يَأْخُذُ مِنْ جِسْمٍ آخَرَ. كَمَا أَنَّ مَقْدَارًا لَيْسَ مَقْدَارًا بِالِاشْتِرَاقِ، / إِذَا إِنَّهُ فِي ذَاتِهِ مَقْدَارٌ. وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْمَقْدَارِ الَّذِي كَانَ مَقْدَارًا إِنْ تَلَقَّى مِنَ الْمَقْدَارِ مَزِيدًا، فَإِنَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلًا لَا يُصْبِحُ مَقْدَارًا بِالِاشْتِرَاقِ. فَلَيْسَ الطُّولُ الْمَقْيَسُ بِذِرَاعَيْنِ هُوَ الَّذِي أَصْبَحَ طَوْلًا مَقْيَسًا بِثَلَاثٍ، بَلْ مَحَلُّ الطُّولِ حَصَلَ فِيهِ كَمٌّ آخَرَ، فَأَمْسَ هَذَا الْمَحَلُّ بِطَوْلِ آخَرَ. وَإِلَّا لَكَانَ أَقَلُّ مَا يُقَالُ فِي حَالَةٍ مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ هُوَ أَنَّ عَدَدَ اثْنَيْنِ أَصْبَحَ ثَلَاثَةً. فَإِنْ أَصَابَ الْمُجْزَأُ وَالْمُمْتَدُّ بِالْكَمِّ حَقًّا مَا مِنْ جِنْسٍ آخَرَ، / أَوْ إِنْ شَتْنَا فَلْنَقُلْ إِنْ أَصَابَ شَيْءٌ خَطًّا مَا مِنْ شَيْءٍ آخَرَ يُخَالِفُهُ، وَجَبَ فِي هَذَا الْآخَرِ أَلَّا يَكُونَ مُجْزَأً أَوْ مُمْتَدًّا أَوْ يَكُونُ بِكَمٍّ مِنْ وَجْهِ قَطُّ مَهْمَا يَكُنْ. يَنْبَغِي الْأَمْرَ الَّذِي يَحْضُرُ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ إِذَا أَنْ يَحْضُرَ كُلًّا وَيَتَشَبَّهُ بِغَيْرِ تَجَزُّؤٍ فِي كُلِّ

ناحية من النواحي على ألا يدلّ سلب التجزئة عنه على أنّه شيء صغير . فإنّه ، صغيراً ، لا يُصبح
 ٢٠ أقلّ تجزؤاً ، فضلاً على أنّ صغره يُبطل التّوافق بينه وبين الكلّ ذاته ، / فلا يبقى هو ذاته مع الكلّ
 إذا أخذ الكلّ في التّزايد . ثمّ إن كونه غير مُجزّأ لا يعني أنّه نُقطة . إنّ العظم ليس بنقطة واحدة ،
 بل نجد فيه نقاطاً بعدد لا نهاية له . فإن وجب في الأمر الذي يحضر أن يكون نقطة ، كان بعدد
 من النّقاط لا نهاية له وما كان مُتّصلاً في ذاته ، فأُسمى وهو لا توافُق بينه وبين ما يحضر فيه . إذا
 حصل العظم كلّاً إذا على ذلك الأمر الذي يحضر فيه كلّاً ، حصل ذلك الأمر كلّاً في كلّ نقطة
 ٢٥ من نقاط العظم . /

١٤ ولكن إن كانت النّفس هي ذاتها في كلّ مكان ، فبأيّ معنى يكون لكلّ جسم نفسه
 الخاصّة؟ ثمّ كيف تكون هذه النّفس سالحة وتلك شريرة؟ ألا ، إنّ في ذلك الأصل الكفاية
 لكلّ شيء وهو يشتمل على النفوس كلّها والأرواح كلّها أيضاً . فإنّه واحد في ذاته ، ثمّ إنّّه ليس له
 نهاية ، وهو الأشياء كلّها بعضها مع بعض على أن الشيء فيه يكون مُتميّزاً عن غيره ، لا يفصل
 عنه مع ذلك ، بالرّغم من تمايز كلّ من الطّرفين عن الآخر . ولعمري ، كيف عساه أن يكون بدون
 ٥ نهاية / إلا بمعنى أنّه يشتمل على الأشياء كلّها بعضها مع بعض ، فتكون فيه كلّ حياة وكلّ نفس
 وكلّ روح . على أنّ كلّ شيء من هذه الأشياء لا يفصل عن غيره بحدود ، ولذلك كان هو واحداً .
 لم يجب فيه أن ينطوي على حياة واحدة ، بل على حياة غير مُتناهية ، وهي مع ذلك واحدة . ثمّ
 ١٠ إنّ هذه الحياة الواحدة إنّما تكون واحدة / من حيث إنّها تنطوي في الآن ذاته على كلّ وجه من
 وجوه الحياة ، لا بمعنى أنّها مُكوّمة في كومة واحدة ، بل بمعنى أنّها مُنبثقة من أصل واحد ثمّ
 باقية في الأصل الذي منه انبثقت . أو الأخرى بالقول هو أنّها لم يكن لانبثاقها بداية ، بل إنّها
 على هذه الحال أبداً . فإنّ الملائ الأعلى ليس أمراً يصير ويتطوّر ؛ فلا يكون شيئاً يتجزّأ ؛ بل يظهر
 أنّه يتجزّأ لدى الشيء الذي يتلقاه . أمّا الملائ الأعلى فإنّه قديم ومنذ الأزل ؛ أمّا الأشياء التي تصير
 ١٥ وتتطوّر ، فإنّها تقترب منه وكأنّها تلامسه / وهي به مُرتبطة . ونحن؟ ما عسانا أن نكون؟ هل نحن
 ذلك الأمر أم نحن ما يقترب من ذلك الأمر ويصير مُتطوّراً في الزّمان؟ ألا ، وإنّا اليوم في هذا
 العالم ، عالم الكون والصّيرورة ، ولكنا كنّا ، قبل ذلك ، في الملائ الأعلى أنسا من طراز آخر
 ٢٠ وكان بعضنا آلهة . كنّا أرواحاً طاهرة وروحاً بالذات الكليّة ، وأجزاء في العالم الروحانيّ / لا
 يُفرّق بيننا فارق ولا يفصلنا عنه فاصل . بل كنّا من الكلّ وله ، كما أنّه لا يفصلنا عنه حتّى في يومنا
 هذا فاصل . بيد أنّه أقبل الآن على ذلك الإنسان الروحانيّ إنسان آخر أراد أن يكون فوجُذنا ، لأنّا
 لم نكن آنذاك على العالم الكليّ غُرباء . ثمّ أقام من حوّلنا والحقّ ذاته بما كان كلّ متاعليه إذ كنّا
 ٢٥ ذلك الإنسان الروحانيّ بالذات . / مثل ذلك مثل ما يحدث لدى ارتفاع صوت أو إخراج لفظة .

وإذ بعض هنا وبعض هناك يُرهِف الأذن فيسمع ويتلقّى، فيتحقّق سماعٌ ما ينطوي على ما يتحقّق فيه وهو حاضِر. فنكون آنذاك قد أصبحنا الطّرفين كليهما، وما عُدنا الطّرف الذي كُنا عليه فيما مضى. بل قد نكون الطّرف الذي ألحقناه بِذواتنا بعد ذلك لدى تَخاذُل/ الطّرف الأوّل أو غيابه بوجه ما من الوجوه.

١٥ ولكن كيف أقبل ذلك الذي قد أقبل وتحقّق إقباله؟ الواقع هو أنّه كان في هذا المُقبل استعداد لما تمّ له، فحصل على ما كان له مُستعدّاً. لقد نشأ بحيث يتلقّى نفساً. بيد أنّه نشأ بحيث لا يتلقّى النّفس كلّها، ولو كانت كلّها حاضرة، إذ إنّها لا تحضر لِتكون نفسه هو فقط. ٥ فإنّ جميع الحيوان والثّبات مثلاً، إنّما يتلقّى منها/ بالقدر الذي يتّسع له. مثل ذلك مثل الصّوت الذي يدلّ على معنى، ينطوي بعضه على المعنى والصّدى الصّوتي، ويكون بعضه الآخر صوّتاً وصدعاً في الهواء. إذا نشأ الحيوان إذاً، حصل من الحقّ على نفسٍ تحضر فيه وبها يرتبط بالحقّ كلّ. على أنّه يحضر فيه جسم أيضاً/ لا يكون فارغاً أو محروماً من النّفس. فإنّ هذا الجسم لم يكن قبل ذلك في غير ذي نفس، بل أصبح الآن وكأنّه ازداد قُرْباً باستعداده، فما عاد جسماً فقط بل صار جسماً حيّاً. فكأنّه بهذا القُرب أصاب من النّفس أثراً. ولست أعني بالأثر ١٥ جُزءاً من أجزائها، بل شيئاً من حرارة/ تشرّب وإشعاع يتّشر. فكانت الشّهوات واللذات فيه، وكانت الآلام وأخذت كلّها بالتفاقم. ليس الجسم شيئاً غريباً على الحيوان الذي نشأ إذاً والواقع هو أنّ النّفس قد انبعثت من العالم الإلهي فكانت مُطمئنة مُسترسلة مع الطّبع الذي هي عليه في ذاتها. ٢٠ أمّا الجسم فالضعف مُستحكم فيه والاضطراب،/ وهو شيء يجري، فلا غرو إن كان هو أوّل ما يُصاب بالصّدّامات من الخارج، فيردّد صدها في الناحية المُشتركة بين النّفس وبينه من الحيوان، ويتّشر على الكل اضطرابه. كذلك يكون الشيوخ في مجالسهم يُعالجون الأمور بروح الاطمئنان فيدخل عليهم شعب نائر يطلب خُبراً أو يشكو مصائب أخرى ٢٥ نزلت به،/ فيرمي المجلس كلّ في جَلَبَة مشوومة. إذا سكّن هذا الحشد فقام بهم حكيم خاطباً، عاد الجُمهور إلى النّظام ورزاقته وما كان الشرّ هو السائد. وإلّا تغلب الشرّ على الخير المؤدّي إلى السّكينة/ لأنّ الدّهماء الهائمة لا يسعها أن تتلقّى كلام العقل، وكان في ذلك فساد البلد والمجلس. وكذلك فساد المرء أيضاً في أن يحمل بين جيبه غوغاء اللذات والشّهوات والمخاوف وقد تمّ لها السّيادة، فاستسلم على حاله هذه إلى غوغاء مثل هذه ٣٥ الغوغاء. أمّا الذي تسلّط/ على هذه الغوغاء، وارتقى إلى ذلك المقام الذي كان عليه سابقاً، فقد توافرت له حياة ذلك الإنسان، وأعطى، وهو على هذه الحال، ما يُعطيه للبدن على أنّ البدن منه شيء غريب عليه حقّاً. هذا ورُبّ امرئٍ آخر عاش على هذه الحال طويلاً ثمّ على حال أخرى

٤٠ تارة، فَعْدًا/ من وجه ما، مزيجًا من الخير الذي كان عليه في ذاته، ومن الشرِّ الغريب عليه وقد صار إليه.

١٦ ولكن إن لم يكن شأن هذه الحقيقة أن تصير شريرة، وإن كان هذا هو وضع النَّفس في إقبالها على البدن وحضورها فيه، فما معنى الهبوط والارتقاء في أدوارهما المُحدَّدة؟ ثم ما عسى أن يكون من معنى للجزاء وللثواب وللتقمُّصات في أبدان الحيوانات الأخرى؟ إنَّ هذه لتعاليم في النَّفس أخذناها عن القُدَّامى أفاضلهم،/ ويجدر بنا أن نحاول ونُبين كيف يتفق قولنا الآن معها أو على الأقل كيف أنه لا يُخالفها. إنَّ مُشاركة ذلك الأمر في كيانه ليست بإقباله هو إلى الطَّبيعة الجسمانيَّة وانفصاله عمَّا هو عليه في ذاته، بل بأن تنشأ هذه الطَّبيعة الأخيرة فيه وتُشاركه كيانه. ممَّا يتبيَّن أنَّ ما يذكرونه على أنه «قُدوم» إنما يجب القول فيه/ إنَّه نشوء الطَّبيعة الجسمانيَّة في عالم الروح. وهو نشوُّ بمعنى الاشتراك في الحياة وفي النَّفس على ألا يكون هذا «القُدوم» قُدومًا بالمكان، بل أن يكون من نوع هذا الاشتراك الخاصِّ القائم بين النَّفس والبدن، مهما يكن وجهه. إنَّ الهبوط هو الوجود في البدن إذا، بمعنى أنَّها النَّفس تمدُّه بشيء من ذاتها بدون أن يفرد بها. / فيكون انفصالها بأن تُصبح وليس بينها وبين البدن صلة قُط. ثم إنَّ لهذا الاتِّصال الخاصِّ بين النَّفس والبدن نظامًا يرتبط بمقتضاه بعض أجزاء العالم الكلِّي ببعضه الآخر. فيكثر لدى النَّفس، لكونها في أسفل العالم الروحانيِّ، إن جاز لنا القول، إعطاءها من ذاتها لعالمنا، ما دامت تُجاوره وهي أقرب إليه بِحُكم طبيعتها الخاصَّة. / ولا غرور إن كان الشرُّ في اتِّصالها بالبدن والخير في أن يتجرَّد من علاقته. ولماذا؟ لأنَّها، ولو لم تكن نفس هذا البدن حقًّا، فإنَّما يُقال فيها إنَّها نفسه على كلِّ حال، فتُصبح، من وجه ما مهما يكن، نفسًا جزئيَّة مُنفصلة عن الكلِّ. لا تكون مُنصرفة بفعلها نحو الكلِّ عند ذاك ولو كانت لا تزال من الكلِّ وله، وتُصبح بمنزلة العالم إذا حصل العِلْم كُلُّه،/ ثم لم يتصرَّف إلَّا بشيء من نظريَّاته فقط؛ وما كان الخير له أن يتصرَّف بشيء من عِلْمه فقط، بل بالعِلْم كُلِّه الذي حصل لديه. إنَّ النَّفس إنَّما هي من الكلِّ الروحانيِّ وله إذا، تُواري في هذا الكلِّ ما كانت عليه من جزئيَّة. ثم ما هي إلَّا وكأَنَّها تب من الكلِّ إلى الجزء الذي تتحوَّل عليه بفعلها، مع أنَّه جزء من أجزائها، مثل ذلك مثل/ النار إن كان بوسعها أن تحرق كلَّ شيء ثم حُوِّلَتْ كَرْهًا إلى إحراق شيء صغير بالرَّغم من اشتغالها على قوَّة الإحراق كُلِّها. إذا قامت النَّفس على حِدَّة غَدَّت هي النَّفس الكلِّيَّة، وكانت هي آنذاك كلَّ نفس وإن لم تكن كلَّ نفس بالذات. أمَّا إذا انفردت، لا بالمعنى المكانيِّ،/ بل بمعنى أنَّها تحقَّقت في ذاتها فأصبحت شيئًا جزئيًّا، كانت جزءًا من النَّفس الكلِّيَّة لا النَّفس الكلِّيَّة ذاتها. على أنَّها لا تزال، مع ذلك، تلك النَّفس الكلِّيَّة من وجه آخر. فإن لم تكن لِتُشْرِف على

شيء تُديره غَدَتِ النَّفْسُ الكُلِّيَّةُ ، على وجه الإطلاق ، على أنها لا تزال آنذاك وكانتْها بالقُوَّة نفس جزئية . أمّا كونها في منزل الأموات فيعني كونها مُفارقة ، إن كان يدلّ على أنها في العالم غير المنظور . أمّا إن كان يعني منزل الأموات مكاناً سُفلياً ما ، فلماذا الاستغراب؟ إنّه يعني القول في النَّفْس أنها مُقيمة حيث يُقيم البدن . وإن قيل : ما الرّأي إذا انعدم البدن؟ أجبتنا : ما دام ارتسامها ٤٠ لا ينفصل عنها ، كيف / لا تكون هي حيث يكون ارتسامها؟ لكنّها إن استطاعت بالفلسفة أن تتجرّد من ارتسامها تجرّداً تامّاً ، بقيت هي هي على صفائها في العالم الروحانيّ ، ولم يُنزع قَطُّ منها شيء ، حتّى ولو هبّط ارتسامها وحده إلى المكان الأسفل . هُذا ما نقوله في الارتسام إذا نشأ على ما وصفنا . أمّ إذا أصبحت النَّفْس وكانتْها حوِّلت إشعاعها إلى ما هي عليه في ذاتها ، فإنّها ٤٥ بهذا الانعطاف لديها نحو الجانب الآخر / تكون قد تجمّعت في الكلّ واتّحدت به ، فلا تُصبح تحقّق شيء جزئيّ آنذاك على أنّه لا يكون في ذلك فناؤها . ولكنّ حَسْبُنَا من ذلك ما ذكرنا . ولنعد الآن إلى ما كنّا فيه مُستأنفين البحث عنه من بدايته .

الفصل الخامس

(٢٣)

في أنّ الحقّ هو كلّ في كلّ وجه من الوجوه

ولو كان واحداً في ذاته (المقال الثاني)

١ إنّ كون الأمر الواحد الباقي على ذاته بالعدد موجوداً كلّاً وفي آن واحد في كلّ وجه من الوجوه، إنّما هو رأي أجمع الناس عليه. فإنّهم جميعاً مدفوعون بالفطرة والحيلة إلى القول في الإله المستقرّ في كلّ منّا أنّه واحد باقٍ على ما هو عليه في ذاته. وإن لم نسألهم عن الوجه في ذلك ولم نرد إمعان النظر في ما يذهبون إليه، أثبتوا/ رأيهم على ما يبدو لهم ووقفوا عنده مطمئنين إلى أنّه اليقيني حقّاً. فيعتصمون، إن جاز لنا القول، بذلك الواحد الباقي على حاله ولا يريدون بعد ذلك أن يفصل بينهم وبين تلك الوحدة القائمة فيهم. فإنّ هذا المبدأ هو أقوى المبادئ رُسوخاً، وكأنّ نفوسنا تهمس به همساً. لا نستخلصه من استقراء الجزئيات واحداً بعد واحد، بل نراه/ مُطلّاً قبل الجزئيات كلّها، وقبل ذلك المبدأ الذي يُثبت لدى الأشياء كلّها رغبتها في الخير ويدلّ عليها. والواقع هو أنّ هذا المبدأ الأخير لا يصحّ حقّاً إلّا إذا كانت الأشياء كلّها تسعى إلى أن تتوحد، وإذا كانت أمراً واحداً حقّاً وكانت رغبتها رغبة في التّوحد. أجل إنّ هذا الواحد يشمل كلّ صوب وجانب في تمدّده، بقدر ما يسعه أن يتمدّد،/ فيبدو ذا كثرة وهو ذو كثرة حقّاً من وجه ما. لكنّ الحقيقة القديمة والرغبة في الخير الذي لا يكون إلّا لذاته إنّما تسوق حقّاً إلى التّوحد، وهذا هو الذي تسعى إليه كلّ حقيقة، أعني أنّها إنّما تسعى إلى تحقّق ما هي عليه في ذاتها. فإنّ ما لهذه الطّبيعة الواحدة من خير أن تكون لذاتها وأن تُسمي ما من شأنها أن تكون عليه في ذاتها، وهذا يعني أن تكون في ذاتها واحدة. بهذا المعنى كان القول في الخير ٢٠ إنّّه ما يختصّه الشّيء/ قولاً صواباً. ولذلك وجب في الخير ألا يُبحث عنه في الخارج. وليت شعري كيف يكون الخير واقعاً خارج الحقّ؟ بل أنّي لنا أن نعرّض عليه في الباطل؟ فإنّ الخير في الحقّ لا محالة ما دام الخير ليس هو الباطل. وإذا كان الخير هو الحقّ وثابتاً في الحقّ، كان لدى كلّ شيء في ما يكون عليه هذا الشّيء في ذاته. لسنا مُنفصلين عن الحقّ إذًا،/ بل إنّنا في الحقّ، كما أنّ الحقّ ليس مُنفصلاً عتاً. فكانت الأشياء بذلك كلّها أمراً واحداً.

٢ أما العقل فإنه يحاول أن يدقق نظره في ما ذكرناه. ولكنه ليس شيئاً متوحّداً في ذاته، بل شيئاً مُجزّئاً، فليجأ في بحثه إلى الطبيعة الجسمانيّة ومنها يستمدُّ مبادئه. فيُجزّئ تلك الذات مُعتقداً فيها أنها من قبيل الجسم هي أيضاً، وينفي عنها وحدتها ما دام لا ينطلق في البحث/ الذي نحن بصددّه من مبادئه الخاصّة التي ينفرد بها. أما نحن فينبغي علينا، إن كان البحث في الواحد الثابت حقّاً على وجه الإطلاق، أن نتقيد بالمبادئ التي تنفرد بإثباته، أعني المبادئ التي تتعلّق بالذات الحقيقيّة، ما دام الأمر أمر روحانيّات. وبعد، فإنّ لدينا شيئين: الشّيء المتنفّل المُعرّض للتّغيرات على اختلاف أنواعها/ والذي يتجزّأ حيثما يحلّ، فالإسم الذي يليق به هو إسم الصّيرورة ولا إسم الذات. ثمّ الحقّ الثابت على الدوام، غير المُتجزّئ، المُتساوي في حاله، لا ينشأ ولا يفنى، ليس له من ناحية يحلّ فيها ولا مكان ولا كرسيّ يستوي عليه، فلا يخرج من جانب ليدخل في آخر مهما يكن. إنّه باقٍ/ في ذاته مع ذاته. فمَن كان بحثه في الشّيء الأوّل إنطلق في بحثه من طبيعة ذلك الشّيء ومن المُسلّمات المُتعلّقة بها، فليجأ إلى الطّرف لِيُبيد، بأدلة ظنيّة، أحكاماً ظنيّة. أما الذي يُقبل على البحث في الأمور الروحانيّة، فإن انطلق من حقيقة الذات التي يُعالجها جَعَلَ بحثه قائماً على أُسُس صحيحة. / فلا يُصبح كأنّه أغفل هذه الذات وعدّل عنها إلى طبيعة أخرى، بل ينطلق منها ليركّز فكره عليها. إن الأصل في البحث عن الشّيء هو الكشف عن الشّيء ما هو دائماً. ويُقال في الذين يُحدّدون الشّيء تحديداً دقيقاً إنهم يُدركون من العوارض ذاتها مُعظّمها. / أما الأمور التي يغدو ما تنطوي عليه كامناً في ما تكون هي عليه في ذاتها فأشدّ حرّيةً أيضاً بأن يجب فيها التّقيّد بذلك الذي أمست عليه في ذاتها. فإليه ينبغي أن تتوجّه الوجوه وأن تُردّد الأشياء كلّها.

٣ كان ذلك الأمر إذاً هو الحقّ حقّاً، مُتساوياً في حاله، لا يخرج من ذاته ولا يخضع قطّ للصّيرورة أو يُقال فيه إنّه في مكان. وإن كان ذلك كذلك وجب في هذا الأمر أن يستمرّ على هذه الحال باقياً مع ذاته في ذاته دائماً، فلا ينفصل عن ذاته ولا يكون شيء منه هنا وشيء آخر هناك، بل لا يتسرّب منه شيء إلى الخارج. / وإلاّ لكان مُتنقلاً من محلّ إلى آخر، ولأصبح، بوجه عامّ، في غيره، فلا يُمسي قائماً في ذاته مُنزّهاً عن الانفعال. إنّما يفعل إن كان في غيره؛ وإن لم يكن في حال الانفعال، لم يكن في غيره. فإن كان لا ينفصل عن ذاته ولا يتجزّأ أو يعتريه قطّ تغيير، وكان بعضه مع بعض في الكثرة وهو واحد كلّاً قائماً مع ذاته، / تمّ له، ما دام هو ذاته مع ذاته حقّاً في كلّ ناحية من التّواحي أن يكون، وهو كذلك، مُورّعاً في الكثرة. ولهذا يعني أنّه قائم في ذاته كما أنّه ليس قائماً في ذاته. بَيّ القول فيه إذاً إنّه ليس في شيء قطّ، بل الأشياء هي التي تأخذ منه، أعني تلك التي يسمعها أن تحضر فيه وبقدر ما يسمعها أن تحضر. فقد أصبحنا مع

١٥ ذلك كله أمام أمرين لا ثالث لهما: / إما أن ننفي ما افترضناه وننفي معه المبادئ التي شرحناها. وإما، إن كان هذا أمراً مُستحيلاً وَوَجِبَ القول بمثل تلك الحقيقة والذات، أن نعود إلى ما سبقنا وأثبتناه. وهو القول بأمر واحد باقي على ذاته عدداً، غير مُجزأ بل قائم في ذاته كلاً. ليس مُفصلاً عما يختلف عنه مع أنه لا يحتاج إلى أن يندلع في غيره، / سواء أكان بأن ينبعث منه بعض أجزائه أو بأن يبقى هو كلاً على ما يكون عليه في ذاته، ثم يتفرع منه شيء يُعَادِرُه فيتشعب على الأشياء الأخرى في كل صوب وجانب. فضلاً على أنه، في هذه الحالة، يُصبح هو في ناحية وما يتفرع عنه في ناحية أخرى، فيكون حالاً في محلّ ما دام قد فصل البعد بينه وبين ما تفرع منه. / أما الأمور التي تتفرع منه فإما أن يكون كل منها كلاً، وإما أن يكون جزءاً. فإن كان جزءاً لم يبقَ على حقيقة الكل كما ذكرنا. وإن كان كل منها هو الكل، فإما أن نُجزئ هذا الكل بعدد أجزاء الشيء الذي حلّ فيه على التساوي، وإما أن نُسلم بكلّ باقي على ما هو عليه في ذاته يسعه أن يكون، وهو كذلك، في كل ناحية من التواحي. / لهذا وإنّ سياقنا في البحث هنا سيق ينطلق من موضوع البحث ذاته، أعني من الذات، فليس فيه شيء غريب عليه أو مُستمدّ من الطبيعة الأخرى.

٤ هذا ودونك الآن، إن شئت، الدليل الثاني. لا نقول في الإله إنه هنا وليس هناك. فإنّ الرأى الذي يُجمع عليه كلّ الذين لهم بالإله معرفة هو القول، ليس في هذا فقط بل في الآلهة كلها أيضاً، إنها حاضرة في كل ناحية من التواحي،. ويدلّ العقل هو أيضاً على أنه يجب في القول أن يكون بهذا المعنى. فإن كان الإله في كل ناحية، / كان التجزؤ عليه محالاً. وإلا لما عاد هو ذاته في كل ناحية من التواحي، بل عدداً مُوزّعاً مع كل جزء من أجزائه، لهذا هنا وذاك هناك، ولما بقي هو مُتوحّداً في ما كان عليه في ذاته، فيصبح آنذاك بمنزلة مقدار ما إذا قطع إرباً إرباً فزال، ما عادت أجزاؤه هي الكل الذي كان عليه في ذاته. فضلاً على أنه يُصبح أمرنا جسماً آنذاك. وإن كان ذلك كله مُستحيلاً، عاد ما كتنا نتردّد فيه وظهر، وهو أنّ الإنسان مفطور مُطلقاً على أن يجمع إلى اعتقاده في الإله، إعتقاده في هذا الإله أنه باقي بعضه مع بعض على ما هو عليه في ذاته، كلاً في كل ناحية من التواحي. وأيضاً: إن نفينا النّهاية عن تلك الحقيقة، إذ إنّنا لا نقول فيها إنها مُتناهية، فما عسانا نعني بتفينا سوى أنّها لا تخلو عنها قطّ ناحية؟ وإن لم يكن شيء ليخلو عنها، كانت هي حاضرة/ في كل شيء. وإن لم يكن بوسعها أن تحضر في ناحية خلا عنها وجه فاته حضورها، فإنّا وإن قلنا في الواحد إنّ بعده أمراً آخر، لا بدّ لنا من القول أيضاً إنّ هذا المُتأخّر إنّما هو مع الواحد، يدور حوله ويوجّه وجهه إليه. فهو نتيجة الواحد لا يزال مُتصلاً به بحيث يكون ما يُشاركه في كيانه مُشاركاً للواحد في كيانه. لهذا وإنّ الحقائق/ في

الملا الأعلى كثيرة، موزعة بين مقام أول وثاني وثالث، وكأنها ترتبط بمركز واحد لكثرة واحدة، لا يفصل بينها فاصل، بل يتصل بعضها مع بعض، مُتداخلة حاضراً بعضها إلى بعض. فحيثما تكن حقائق المقام الثالث تحضر معها حقائق المقام الثاني والأول.

٥ كثيراً ما يلجأ العقل قصد التوضيح، إلى صورة الأشعة العديدة مُنبعثَة من مركز واحد، لیسوقنا إلى أن نفهم كيف تنشأ الكثرة. على أنه ينبغي أن نذكر أن هذه الأشياء كلها التي نقول فيها إنها كثيرة إنما تنشأ معاً في آنٍ واحد. فنقول في أمر الدائرة إنه يجب في أشعتها ألا تنصورها منفصلاً بعضها عن بعض. / فإن الدائرة هي بسطح واحد. أما في الملا الأعلى حيث لا تجد بعداً ما بالسطح الواحد، بل قوى وذوات مُنزهة عن الامتداد، فيصح القول في الأشياء كلها إنها مُتوحد بعضها مع بعض يكون مراكزها في مركز واحد. فكان الأشعة انجست في أطرافها الواقعة في جهة المركز، فتوحدت كلها في هذا المركز آنذاك. / وإذا عدت الآن وأضفت الأشعة، رأيتها لا تزال مُرتبطة بمراكزها، كل شعاع بالمركز الذي منه انبعث. على أن أقل ما يقال في كل مركز آنذاك هو أنه لا يفصل عن المركز الأول الواحد، فتغدو المراكز كلها مع كون كل مركز على حاله. مما يؤدي إلى عدد من المراكز يُساوي عدد الأشعة التي تطوَّعت المراكز حُدوداً لها، / فتظهر المراكز بقدر الأشعة التي تُرسلها، على أن تكون كلها بعضها مع بعض مركزاً واحداً. لهذا ونقارن بين الروحانيات كلها وبين المراكز الكثيرة التي تَرِد إلى مركز واحد وتوحد فيه. / فإن هذه المراكز تظهر كثيرة بوساطة الأشعة، لا بمعنى أن الأشعة تُولدُها بل بمعنى أنها تدل عليها. / وإن أقمنا هذه المُقارنة فلنلجأ إلى الأشعة لِنستعين بها في بحثنا الحاضر ونقيس إليها الأشياء التي تتصل الحقيقة الروحانية بها فتبدو في حضورها حقيقة كثيرة المظاهر مُنتشرة في كل صوب وناحية.

٦ ذلك بأن الروحانيات، ولو كانت كثيرة، إنما هي أمر واحد. ثم إنها، على كونها أمراً واحداً كثيرة بطبيعتها التي ليس لها نهاية: كثرة في وحدة، ووحدة في كثرة، وكل مع كل. إن فعلها على الكل، وكذلك القول في فعلها على الجزء. يتلقى الجزء الفعل الذي يتحقق عليه أنه فعل الجزء أولاً؛ / ولكن الكل يتبع بفعله بعد ذلك. مثل ذلك مثل الإنسان في ذاته فيما لو أقبل على الإنسان الفرد المُعين فأصبح هذا الإنسان وهو لا يزال الإنسان في ذاته. أما الآدمي الواقع في الهيولى، فإنه مُنبعث من الآدمي الواحد الثابت بالمثال، وهو يُحليث عدداً كبيراً من الآدميين الذين تكون/ الآدمية فيهم جميعاً على السواء. فيكون الإنسان الواحد ذاته في عدد كبير من الناس، بمعنى أن شيئاً واحداً أصبح وكأنه مُنطبع في أشياء كثيرة. لكن لا يكون الإنسان

في ذاته، وكل شيء في ذاته، والكل كلاً، في الكثرة على هذا المعنى، بل هو الكثرة التي تكون فيه أو إنها بأن تُقيم من حوله أخرى. فإن الوجه الذي يكون البياض عليه مُستشيراً في كل ناحية من التواحي غير الوجه الذي تكون الثُقُس عليه، وهي هي ذاتها في كل جزء من أجزاء البدن. ١٥ والحق مُستشير في كل ناحية من التواحي على هذا الوجه الأخير. /

٧ ذلك بأنه ينبغي أن نردّ إلى الحق ما لدينا وما نحن عليه في ذواتنا: إليه نرتقي وإلى الأمر الأول الذي منه ينبثق. ثم إننا نُدرك بالروح هذه الأمور كلّها وليس لدينا منها ارتسامات ولا انطباعات. وإن لم نكن نعرف بالارتسام والانطباع فذلك لأننا هذه الأمور بالذات. / إن كان لنا من العلم الحقيقي نصيب إذًا، كنّا نحن تلك الأمور، لا نتلقاها فينا بل نكون نحن فيها. ثم ما دامت الأشياء الأخرى، وليس نحن فقط، تلك الأمور، كنّا جميعًا تلك الأمور، نحن والأشياء. إننا جميعًا، بعضنا مع بعض، ومع الأشياء كلّها، تلك الأمور إذًا، فأصبحنا الأشياء كلّها وأمرًا واحدًا معها. لكنّا ننظر إلى خارج الأمر الذي ربطنا به، فنجهل كوننا أمرًا واحدًا، ١٠ كأننا وجوه كثيرة تتجه إلى الخارج ورأسها/ في الباطن واحد. فلو استطعنا أن نميل بوجوهنا، سواء فعلنا من تلقاء ذواتنا أو «أسعدنا الحظّ فأمسكتنا أثينا بشعرنا»، كشاهدنا الإله وذواتنا والكل في آن واحد. أجل إننا لا نرى ذواتنا على أنّا الكل أولًا، بيد أنّا لا نملك ما نقف عنده لتبيين الحدّ ١٥ الذي إليه تنتهي بذواتنا. فنقول: عن أن نُقيم فاصلًا بيننا وبين الحقّ/ كلّ، ١ ونتمدّد بذواتنا إلى حيث يتمدّد الكلّ كلاً، ونحن في غنى عن أن نُقبل قطّ إلى ناحية، فنبقى حيث يكون الكلّ مُقيماً.

٨ وإني لأرى أنّا لو أمعنا النظر في اتّصال الهيولى بالمثل لَكُنّا نزداد اقتناعاً بما ذكرنا، ولما كنّا لِنَرِّدَهُ بعد ذلك على أنّه قول مُستحيل لِنَقِفَ عنده مُتردّدين. فإنّ من المعقول بل من الضروريّ، فيما أظنّ، ألاّ تصوّر المثل قائمة على حِدة من ناحية، ثمّ نجعل الهيولى من ٥ الناحية الأخرى يردها الإشعاع من علوّ سَحيق. / وإني لأخشى من هذا القول أن يكون قولاً عبثاً. فما عسى أن يعني «بعيد» و«على حالها» في ما نحن بصددّه هنا؟ إنّ أمر ما نُسَمِّيه الاشتراك والاتّصال لا يكون أشدّ الأمور علينا إشكالاً وعلى الفهم استعصاءً آنذاك، بل كنّا تناولنا شرحه ١٠ من أقرب ما يكون فجعلناه مفهومًا بالأمثال. لكنّا، حتّى ولو ذكرنا الإشعاع يوماً، لا نذكره بمعنى ما نذكر الإشعاع على الحسيّات في عالمها. إنّما نذكره بمعنى أنّ ليس في الهيولى إلّا ارتسامات، فتغدو المثل منها بمنزلة الأصول على أنّ الإشعاع هو دائماً بحيث يكون ما يشعّ ١٥ النور فيه شيئاً قائماً على حياله. هذا ويجب الآن أن نزيد الأمر بياناً فنقول/ فيه إنّنا تصوّره بمعنى

أنَّ المِثال مُنفصل بالمكان، ثمَّ يُرى على وجه الهيولى كأنَّه في ماء . بل تصوَّره وكأنَّ الهيولى مُتصلة بالمِثال من كلِّ صوب وجانب، وهي غير مُتصلة كُلًّا به . فتجاوَر المِثال وتأخذ منه بهذا ٢٠ التَّجاوَر ما تتَّسع له، على ألا يكون بينها وبينه وَسَط، / وعلى ألا يتخلَّل المِثال الهيولى كُلَّها أو يجتازها، بل يبقى على ما هو عليه في ذاته . إنَّ لم يكن مثال النار مثلاً في الهيولى - ومن الخير لنا أن نقصر التَّنظر على الهيولى التي تقع العناصر عليها - أقبلت النار في ذاتها غير داخلة في ٢٥ الهيولى وأمدَّت الهيولى المُحترفة بِصورة النار من طرف إلى آخر . / هذا على أن نفترض النار الهيولائية الأولى قد نشأت وهي ذات حجم عظيم . فيصحُّ القول ذاته آنذاك على ما سيوى النار من الأمور المعروفة بأنَّها العناصر . إن كانت هذه النار الواحدة الباقية على ما هي عليه في ذاتها إذًا، تُشاهد في كلِّ نار جُزئية، وهي تمدها بأثر من ذاتها غير مُنفصلة عنها انفصالًا بالمكان، ٣٠ فليس إمدادها على نحو الإشعاع الجسِّي المنظور . ذلك بأنَّ شأن/ هذه النار الجسئية أن تكون في ناحية ما إن كانت تتحقَّق في أماكن كثيرة من حيث إنَّها كلٌّ، في حين أنَّ مثالها يبقى ثابتًا على ما هو عليه في ذاته لا مكان له، وإن كانت تُولَّد هي ذاتها من ذاتها أماكن مُختلفة . وإلاَّ وَجَب في الشَّيء الواحد الذي يُصبح كثيرًا أن يُفقد من ذاته حتَّى تكون الكثرة بالمعنى الذي وَصَفنا وتكون كثرة تُصيب باستمرار من الشَّيء ذاته . ثمَّ إنَّ المِثال، ما دام غير مُبدَّد، لا يمدُّ ٣٥ بالهيولى بشيء من ذاته، / بل يسعه، وهو واحد في ذاته، أن يخلع بوحده الصورة على ما ليس واحدًا . كما أنَّه يحضر في ما ليس واحدًا كُلًّا بذاته لا بمعنى أنَّه يخلع الصوَّة بِجُزء من أجزائه على شيء، وبِجُزء آخر على شيء آخر، بل بمعنى أنَّه يخلعها، وهو كلٌّ بذاته، على كلِّ شيء ٤٠ وعلى الكلِّ أيضًا . ليس من المعقول أن نفترض مُثلاً للنار كثيرة بحيث تستمدُّ نار/ صورتها من مثال، ونار أخرى من مثال آخر، الأمر الذي يُؤدِّي إلى عدد من المُثُل ليس له نهاية . ثمَّ كيف نفصل نارًا نشأت عن نار أخرى نشأت أيضًا ما دامت النار كُلُّها مُتَّصلاً بعضها مع بعض؟ وإذا أضفنا إلى الهيولى التي نحن في صدها نارًا أخرى بحيث تعظم النار، وَجَب القول في هذا ٤٥ الجُزء من الهيولى أنَّ ما يتحقَّق فيه إنَّما هو من المِثال الواحد ذاته، / لا من مثال آخر .

٩ هذا وإذا جمعنا بالذَّهن، في شكل كُرَوِيٍّ، كلَّ العناصر التي نشأت، وَجَب ألا نقول في الكثرة إنَّها صنُع أسباب كثيرة، انفرد كلُّ سبب بِجُزء ليصنعه . إنَّما سبب الصَّنْع واحد بمعنى أنَّه يصنع كُلًّا بذاته لا بمعنى أنَّ كلَّ جُزء من أجزائه يصنع جُزءًا من الكثرة . / فإنَّ الأسباب، في هذه الحال، تعود وتكون كثيرة، ما لم نرد الصَّنْع إلى سبب واحد لا يتجزَّأ . أو بالأحرى ما لم يكن صانع الكثرة شيئًا واحدًا لا يتجزَّأ، على ألا ينصبَّ هذا الصانع في الكثرة، بل تكون الكثرة كُلُّها ١٠ مُرتبطة به . ثمَّ إنَّ الحياة التي تُعيش هذه الكثرة هي واحدة/ باقية على ذاتها، على أنَّ الكثرة

بِدَوْرها قائمة في حياة واحدة. فكل ما في الكثرة إنما يكون في حياة واحدة، وكل الثموس نفس واحدة، وهي واحدة بمعنى أن وحدتها ليس لها نهاية. ولذلك قال بعضهم فيها إنها عدد، وبعض آخر إنها بطبيعتها شيء في تمديد مستمر. وربما يتخيلون بذلك أن شيئاً/ يقوتها، بل تشمل الأشياء كلها وهي باقية على ما هي عليه في ذاتها. ولو ازداد العالم عظمًا لما عجزت قوتها عن أن تتناول الأشياء كلها، بل نقول في العالم إنه، على ازدياده عظمًا، بأن تكون فيها كلاً أخرى. ولذلك يجب في هذا الازدياد ألا يؤخذ بمعنى اللفظ ذاته، بل بمعنى أن النفس لا تدع شيئاً خالياً منها على الرغم من كونها واحدة في ذاتها. فإن وحدتها ليست/ بمعنى أنها بمنزلة ما يقاس بالكم، إذ إن القياس بالكم شأن طبيعة أخرى تتشكل بالوحدة وتظهر واحدة بوساطة المشاركة. أمّا ما يكون واحدًا حقًا فإنه واحد بمعنى أنه ليس مركبًا من أشياء كثيرة، إذا نزع منه شيء انتفى هو منه من حيث كونه كلاً واحدًا. كما أنه لا ينقسم بحدود،/ إذا قُرئت به الأمياء الأخرى قل قدره إن كانت الأشياء عظيمة أو تبدد إن أراد أن يتمدد إليها كلها، فلا يكون حاضرًا كله فيها كلها، بل يكون بكل جزء من أجزائه في جزء من أجزائها. فيقال فيه آنذاك إنه لا يدري أين هو من الأرض ما دام عاجزًا عن أن يحقق وحدة في ذاته وهو مُتبدد عن ذاته. / إن كان هذا الأمر هو الواحد حقًا، وكان يقال فيه، بموجب ذلك، إنه الواحد ذاتًا، وجب أن يظهر بحيث يكون منطويًا بالقوة على الحقيقة التي تُقابلها وهي حقيقة الكثرة. ولأنه لا يتلقى الكثرة من الخارج، بل يُحدِثها هو ومنه هو تأتي، كان هو واحدًا حقًا،/ وتم له بوحده أن تنفي النهاية عنه وأن يكون ذا كثرة. وما دام على هذه الحال فإنه يبدو كلاً في كل ناحية ذاتية معنوية منطوية أبدًا على ما هي عليه في ذاتها. ثم إن هذه الثنية المعنوية المنطوية أبدًا على ما هي عليه في ذاتها لا تنفصل أبدًا عن ذاتها بل تبقى ثابتة في ذاتها من كل ناحية من التواحي. لا يُضاف ذلك الأمر إلى غيره إذًا بمعنى أنه مُنفصل عن غيره بالمكان. / فإنه كان ولم تكن الأشياء في مكان، ولم يكن في حاجة إليها قط، إنما هي التي تحتاج إليه حتى تقوم في مقامها. وإذا استوت في مقامها، لم تُزعزع ذلك الأمر عن مقامه في ذاته، إذ إنه في تزعزع هذا المقام فناء الأشياء كلها بفناء ركنها وسندها. كما أنه في ذلك الأمر/ لم يكن من الجهل بحيث يتخلى عما هو عليه في ذاته فيتبدد، وبحيث يدفع ذاته، هو المُتمتع في ذاته، إلى دُنيا الاضطراب المدينة له بحفظها.

١٠ إنه ليبقى في ذاته لبقًا إذا ولا يحل في غيره. أمّا الأشياء الأخرى فترتبط به وكأنتها اكتشفت بعشقها له أين يُقيم. ولهذا العشق هو «إيروس» الذي يلبث على الباب لا تنام له عين. إنه يُقيم دائمًا في الخارج يرغب في الحُسْن ويكتفي، وهو على هذه الحال، بأن

٥ يُصِيبُ مِنَ الْحُسْنِ مَا يَسَعُهُ أَنْ يُصِيبَ . فَكَذَلِكَ يَكُونُ الْعِشْقُ فِي دُنْيَانَا أَيْضًا : / لَا يَتَلَقَّى الْحُسْنُ بَلْ يَقِفُ هُكَذَا إِلَى جَانِبِهِ . إِنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ يَبْقَى فِي ذَاتِهِ إِذَا . أَمَّا عُشَّاقُ الْوَحْدَةِ ، وَهُمْ كَثُرُ ، فَإِنَّهُمْ يَعْشَقُونَهَا كُلًّا وَيَحْصِلُونَهَا كُلًّا ، مَا دَامُوا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، إِذَا تَوَافَرَتْ لَهُمْ . فَإِنَّ الْكُلَّ هُوَ الَّذِي كَانَ الْمَعشُوقُ . وَكَيْفَ لَا يَكْفُلُ لِكُلِّ شَيْءٍ كِفَايَتَهُ ، مَا دَامَ هُوَ بَاقِيًا ؟ فَإِنَّ فِيهِ الْكِفَايَةَ لِأَنَّهُ بَاقٍ ،

١٠ وَلَآنَ الْحُسْنُ وَهُوَ الْكُلُّ / لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ . فَالْحِكْمَةُ مَكْفُولَةٌ كُلًّا لِكُلِّ مَنَّا ، وَهِيَ كُلُّهَا بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْهَا هُنَا وَشَيْءٌ آخَرُ هُنَاكَ . وَإِنَّا قُلْنَا فِيهَا إِنَّهَا فِي حَاجَةٍ إِلَى مَكَانٍ قُلْنَا هَذَا بِنَا . لَيْسَ الْأَمْرُ مِنَ الْحِكْمَةِ مِثْلَمَا يَكُونُ مِنَ الْبَيَاضِ إِذَا إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْجِسْمِ بِحَالٍ . بَلْ

١٥ إِنَّا إِنَّا كُنَّا نُصِيبُ مِنَ الْحِكْمَةِ حَقًّا ، وَجَبَ / فِي حِظِّهَا مِنْهَا أَنْ يَكُونَ حِظًّا مِمَّا يَبْقَى دَائِمًا كُلًّا عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ . وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ ، لَا نَتَلَقَّاهُ فِي أَجْزَائِهِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُصِيبُ أَنَا كُلًّا وَأَنْتَ كُلًّا آخَرَ ، وَالطَّرْفَانِ مُنْفَصِلٌ بَعْضُهُمَا عَنْ بَعْضٍ . إِنَّا نَجِدُ لِلذَّكَاءِ فِي الْمَجَالِسِ وَفِي كُلِّ اجْتِمَاعٍ يُعْتَقَدُ حَيْثُ يَقَعُ الْإِتِّفَاقُ بَيْنَ الْمُجْتَمِعِينَ بِمَا أُوتُوا مِنْ حِكْمَةٍ . فَإِنَّ كُلَّ فَرْدٍ يَقُوتُهُ

٢٠ الرَّأْيُ السَّدِيدُ مَا دَامَ وَحْدَهُ ، / وَلَكِنْ إِنْ كَانَ الْجَمَاعَةُ وَوَقَعَ الْإِتِّحَادُ حَقًّا ، وَافَقَ كُلٌّ مِنَ الْمُجْتَمِعِينَ عَلَى الرَّأْيِ الْوَاحِدِ فَكَانَ الرَّأْيُ السَّدِيدُ وَاكْتَشَفَ . فَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ الْمَانِعُ الَّذِي يَمْنَعُ رُوحَ هَذَا وَرُوحَ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَا رُوحًا وَاحِدًا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ؟ الْوَاقِعُ هُوَ أَنَّهُمْ جَمِيعًا بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ ، وَلَكِنَّا لَا نَرَاهُمْ نَحْنُ جَمِيعًا بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ . وَيَحْدُثُ مِثْلُ ذَلِكَ فِيمَا

٢٥ لَوْ لَمَسْنَا شَيْئًا وَاحِدًا بِأَصَابِعِنَا الْكَثِيرَةِ ، فَتَنْظُرُ أَنَّا نَلْمَسُ شَيْئًا ثُمَّ آخَرَ ، / وَهُوَ قَوْلُ يَصْحُحُ فِي مَنْ يَضْرِبُ عَلَى وَتَرِ الْقِيَارَةِ الْوَاحِدِ وَهُوَ لَا يَرَاهُ . ثُمَّ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نُمَجِّنَ النَّظَرَ فِي الْخَيْرِ كَيْفَ نُدْرِكُهُ بِثَقُوسِنَا . فَلَسْتُ أَدْرِكُ أَنَا خَيْرًا وَتُدْرِكُ أَنْتَ آخَرَ ، بَلْ كِلَانَا يُدْرِكُ الْخَيْرَ ذَاتَهُ . وَإِنَّمَا نُدْرِكُ هَذَا

٣٠ الْخَيْرَ بِالذَّاتِ لَا بِمَعْنَى أَنَّ شَيْئًا مِنْهُ يَجْرِي إِلَيَّ ، وَآخَرُ يَجْرِي إِلَيْكَ ، فَيَكُونُ هُوَ مُشْرِقًا / مِنْ عَلَيَّ حَيْثُمَا يَكُونُ ، وَيُصْبِحُ هُنَا مَا مِنْهُ يَجْرِي . ثُمَّ يَجِبُ فِي الْمُعْطَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الَّذِينَ يَتَلَقَّوْنَ عَنْهُ بِحَيْثُ يَتَلَقَّوْنَ عَطَاءَهُمْ حَقًّا فَلَا يَمُدُّ الْمُعْطَى بِعَطَائِهِ مَنْ كَانَ غَرِيبًا عَلَيْهِ ، بَلْ مَنْ كَانَ مِنْهُ حَقًّا . وَلَيْسَ الْعَطَاءُ الرُّوحَانِيَّ عَطَاءً يُقَالُ . إِنَّا نَجِدُ التَّجَانُسَ بَيْنَ عَطَاءٍ وَعَطَاءٍ حَتَّى فِي الْأَجْسَامِ الَّتِي

٣٥ تَفْصِلُهَا أَمَكَّتْهَا بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ ، / وَيُؤَدِّي الْعَطَاءُ وَمَا يُحْدِثُهُ فِي الْجِسْمِ إِلَى نَتِيجَةٍ وَاحِدَةٍ . بَلْ إِنَّ جِسْمَانِيَّةَ الْكُلِّ تَفْعَلُ وَتَتَفَعَّلُ فِي حُدُودِ مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهَا ، وَلَا يَتَسَرَّبُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَارِجِ . فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ لِيَتَسَرَّبَ مِنَ الْخَارِجِ إِلَى الْجِسْمِ ، وَهُوَ كَأَنَّهُ فِي قَرَارٍ مُسْتَوٍ مِمَّا هُوَ

٤٠ عَلَيْهِ فِي حَقِيقَتِهِ ، فَكَيْفَ يَطْرَأُ شَيْءٌ مِنَ الْخَارِجِ عَلَى مَا لَيْسَ بِأَمْتَدَادٍ؟ / إِنَّمَا نَرَى الْخَيْرَ وَنُدْرِكُهُ إِذَا لَأْنَا فِيهِ وَمَعَهُ ، وَنَحْنُ مَعَهُ بِمَا لَدَيْنَا مِنْ قُوَّةٍ رُوحَانِيَّةٍ . وَإِنَّ الْعَالَمَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِأَنْ يَكُونَ وَاحِدًا أَشَدَّ حَرِيَّةً أَيْضًا . وَإِلَّا لَأَصْبَحَ لَدَيْنَا عَالَمَانِ حَسْبَانِ مُنْقَسِمَانِ عَلَى التَّسَاوِي ، ثُمَّ لَخَدَّتِ الْكُرَّةُ الرُّوحَانِيَّةُ ، إِنْ كَانَتْ بِهَذَا الْمَعْنَى وَاحِدَةً ، مِثْلَ الْكُرَّةِ الْجَسَدِيَّةِ لَا فَرْقَ قَطُّ بَيْنَهُمَا . أَوْ إِنَّهَا

٤٥ تكون بالسُّحْر أجدر أيضًا، إذ إنَّ الحجم والامتداد في الكُرَّة الجِسِّيَّة أمر معقول لا بُدَّ منه، / في حين أنَّها هي لا تحتاج إلى شيء ثمَّ تمتدُّ آنذاك وتُخرج عمَّا هي عليه في ذاتها. ولعمري، ما عسى أن يمنعهما من أن تتوحَّدا؟ فإنَّنا لا نرى، في هذه الحالة، شيئًا يدفع آخر لِيأخذ عليه المكان كلَّه، كما أنَّنا لا نرى التَّنَسُّق تَضَيِّق على عِلْم كلِّه مع نظريَّاته، ولا على العُلُوم كلِّها. رُبَّ قائل ٥٠ اعترض على الأمر أنَّه يَسْتَحِيل في عالم الدَّوات. / أَجَل، لَكأنَّ مُسْتَحِيلًا لو كانت الدَّوات الحَقَّة أَحْجَامًا.

١١ ولكن كيف يَشْتَمَل ما ليس بامتداد على الجسم الكُلِّيِّ وهو بما نعرفه عليه من المقدار؟ بل كيف، وهو الواحد الباقي على ما هو عليه في ذاته، لا يَتَبَدَّد آنذاك؟ لهذا هي المُشْكِلَةُ التي اعترضتنا غير مرَّة، فما زلنا نُحاول بِكَلَامنا جَاهِدِينَ أن نُريح الفِكر من قَلْبِهِ. كما أنَّنا أثبتنا الأمر، ٥ غير مرَّة، أنَّه كذلك هو. / إلَّا أنَّه لا يزال في حاجة إلى ما يَزِيدُه لدى العقل قُبُولًا. لهذا وإنَّا لم نَأُل في التفسير جُهْدًا بل أرسلناه على أَشدِّه إذ عَلَّمناه هذه الحقيقة ما هي. فإنَّها ليست مثل حَجَرٍ، مثل حَجَرٍ مُكْتَبٍ ضَخْم ثابت حينما يكون ثابتًا، يَشْغَل مكانًا على قَدْرِهِ، لا يَسْعُه أن يخرج عن حُدُودِهِ، يُقَاس على قَدْرِهِ بِحِجْمِهِ / وبِقُوَّة الحَجَرِيَّة المَحْصُورَةِ فيه. بل إنَّها الحقيقة الأولى غير المُقَاسَةِ وغير المَحْدُودَةِ بِكَمٍّ يجب فيها أن تكون عليه، إذ إنَّها هي التي يُقَاس إليها ١٥ كَلٌّ ما سِوَاهَا، وهي القُوَّة كُلُّهَا لا تُحَدَّد قَطُّ بِكَمٍّ. ولذلك لا تَقَع في الزَّمان، بل هي مُسْتَقَلَّة عن كَلِّ زَمَانٍ. فإنَّ الزَّمان في تَبَدُّدٍ مُسْتَمِرٍّ يَدَافِع الِامتداد، / أمَّا الأبد فهو باقٍ في ما هو عليه في ذاته سائِدًا في الأزمنة، ذا قُوَّة أَرْلِيَّة يَشْرِفُ بِهَا على الزَّمان الذي كَأَنَّهُ يَجْري مُتَعَدِّد الأَطْوَار. مثله ٢٠ مثل خَطٍّ يَدُو سائِرًا إلى ما لا نَهاية له، مُرْتَبِطًا بِنُقْطَةٍ، يَعدُو حَوْلَهَا، فَحَيْثَمَا عَدَا عَدَتْ هَذِهِ النُّقْطَةُ مُرْتَسِمَةً / وهي لا تَعدُو، بل يَرسُم هو بِسِيرِهِ حَوْلَهَا دائِرَةً. فإنَّ بَيْنَ الزَّمان وبين ما كان في مُسْتَوَى الذَّاتِ، باقِيًا على ما هو عليه في ذاته، تَنَاسُبًا إِذَا. وإنَّ هَذَا الأمر الأخير ليس مُنْزَعًا عن النِّهاية بِأَبْدِيَّتِهِ فَقَط، بل بِقُوَّتِهِ أَيْضًا. وإنَّ كان ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَجَبَ التَّسْلِيم، في مُقَابِلِ هَذِهِ القُوَّة ٢٥ التي لا تَنَاضِي، بِطَبِيعَةِ أُخْرَى تَعدُو هي أَيْضًا، / فَتَتَبِعُ تِلْكَ القُوَّة مُرْتَبِطَةً بِهَا. فإنَّ جَرَتْ هَذِهِ الطَّبِيعَةُ بِأَطْوَارٍ مُتَسَاوِيَةٍ مع أَطْوَارِ الزَّمان، مَحْدُودَةٌ بِالْقَدْرِ الذي اِمْتَدَّتْ إِلَيْهِ. فَمَا عَسى أَنْ تَكُونَ ٣٠ هَذِهِ الطَّبِيعَةُ التي تُصِيبُ، على قَدْرِ ما يَسْعَاهَا أَنْ تُصِيبَ، من الحَقِيقَةِ الأولى الحَاضِرَةِ كُلِّهَا / ولو كانت لا تَرى كُلًّا في كُلِّ شيء لَعَجَزَ المَحَلُّ الذي تَحَلُّ فِيهِ؟ فإنَّها حَاضِرَةٌ بِمَعْنَى أَنَّهَا كُلُّهَا أَمْرٌ وَاحِدٌ يَبْقَى على ذاتِهِ، لا على نَحْوِ المُثَلَّثِ الهَيُولَانِيِّ الوَاحِدِ وَقَدْ تَحَقَّقَ في مُثَلَّثَاتٍ عَدِيدَةٍ، بل مِثْلُ المُثَلَّثِ المُنْزَعِ عن الهَيُولَى التي تَتَفَرَّعُ من المُثَلَّثَاتِ الهَيُولَانِيَّةِ. وَلِمَاذَا لا يَكُونُ المُثَلَّثُ الهَيُولَانِيُّ في كُلِّ مَكَانٍ، مَا دَامَ المُثَلَّثُ المُنْزَعُ عن الهَيُولَى في كُلِّ مَكَانٍ؟ لَأَنَّهُ لا تُصِيبُ مِنْهُ كُلُّ

٣٥ هبولى، / بل لكل هبولى مثال يَختلف عن غيره فلا تُوافق كل هبولى كل يقال. فإن الهبولى الأولى لذاتها لا تُقابل كل مثال، بل تُوافق الأجناس الأولى أولاً، ثم الأشياء الأخرى بعد ذلك، إن ذلك الأمر حاضر في كل شيء إذا.

١٢ ولكن كيف يكون حاضرًا؟ على نحو حياة مُتوحّدة في ذاتها. لا تمتد الحياة في الحيوان إلى ناحية من نواحيه فقط، ثم تعجز عن أن تتناوله كله. بل تشتمل على كل وجه من وجوهه. وإذا عُدنا وسألنا كيف يتم لها ذلك، فلنذكر أن القوة ليست شيئًا محدودًا بكم. بل إن قسمناها بالذهن إلى ما لا نهاية له، وجدناها دائمًا أنها هي القوة ذاتها ليس لها في أساسها حدٌ به تنتهي. /
 ٥ فإنها لا تنطوي في ذاتها على هبولى حتى تتضاءل بِقَدْر الحجم وتُصبح صغيرة. إن أدركت فيها معين اللانهاية وهو لا يُنضب، تلك الحقيقة التي لا يعترها قط نُصب ولا كَلَل ولا نُقصان وكأنها الحياة في تدفق مُستمر، إرم نظرك حَيْثما شئت أو حَلَق بها هي، فلن تجدها آنذاك، / بل الذي يتحدث لك هو العكس بعينه. فإنك لن تنتهي إلى حيث تلاشت رُويدًا رُويدًا. بل إن استطعت أن تُجاريها، أو إن أصبحت وأنت في الكل، فلن تكون باحثًا قط عن شيء عند ذاك. وإن عدلت، فإنك ماثل إلى شيء آخر وساقط لا محالة. أجل تكون حاضرًا ولكنك غير ناظر لأنك مُوجّه
 ١٥ وجهك إلى ما سواها. / ولكن إن كنت غير باحث عن شيء، عند ذاك، فكيف تكون مُقتنعًا بما لديك؟ إنما أنت مُقتنع بأنك قد انتهيت إلى الكل فما عُدت باقيًا في جزء من أجزائه، كما أنك لست تقول عن ذاتك أنت حيثيذ، إن قَدري كذا. لقد خلعت الكم عنك وأصبحت الكل حقًا. أجل، كنت الكل قبل ذلك، ولكن شيئًا آخر كان قد أُضيف إليك مع الكل، فأصبحت ناقصًا
 ٢٠ بهذه الإضافة. / على أنها لم تكن إضافة من قبيل الحق، وهو لا يُضاف إليه شيء، بل من قبيل الباطل. فإنك شيء بما لديك من الباطل، ولست الكل آنذاك حتى تَخلع الباطل عنك. لقد ازدادت بِخَلْعك عنك ما ليس منك، وإذا خلعتَه خَصَر الكل إليك. فإنه لم يظهر فيك ما دُمت مع
 ٢٥ غيرك، على أنه لم يحضر بمعنى أنه أقبل عليك، / بل أنت الذي ابتعدت عما لم يكن هو فيه حاضرًا. وإن ابتعدت، فلست عنه مُبتعدًا، وهو أبداً حاضر، ولم تَبْرَح قط وجهًا، بل كنت حاضرًا ثم وَجَّهت وجهك لما يُخالفه. وما أكثر ما يحدث مع سائر الآلهة من هذا القليل، إذ إنها تظهر لواحده والحاضرون حوله كثر، لأنه كان بوسعه هو وحده أن يرى. لكنه قيل في هذه
 ٣٠ الآلهة / إنها «بأزياء شتى تَتَرَي فتتوجّه إلى البلاد». أما ذلك الأمر، فإن البلاد هي التي تُوجّه وجهها له، والأرض كلها والسماء بأسرها. إنه في كل ناحية من النواحي، باقيًا في ذاته على ما
 ٣٥ هو عليه في ذاته. فمنه الحق والحقائق التي يصح فيها أنها حقائق، وحتى النفس / والحياة، ترتبط به جمعًا وهو يَجول في اللانهاية الواحدة بلا نهاية مُنزّهة عن الامتداد بالكم.

الفصل السادس

(٣٤)

في الأعداد

١ هل تكون الكثرة في التَّباعد عن الواحد، وتكون اللانهاية تَباعُداً مُطلقاً لأن الكثرة شيء لا يحصره عدد، ممّا يؤدي إلى أن تُسمي اللانهاية هي الشرُّ بالذات وإلى أن نُصبح نحن أشراراً لأنَّ كلّاً ممّا ذا كثرة؟ فإنَّ كلّ جُزئيّ يُصبح ذا كثرة إذا عجز عن أن يبقى في ذاته فاندلق وأخذ ينتشر شتيتاً. ثمَّ إن حُرِّمَ / من الوَحدة جِرمائاً مُطلقاً في هذا الاندلاق، أصبح ذا كثرة إذ إنّ الشيء لا يوجد بعض أجزائه مع بعضها الآخر. أمّا إذا صار شيئاً وهو لا يزال مُستوراً في اندلاعه، كان حقّاً بذلك المقدار. ولكن ما عسى أن يكون شراً لشيء إذا أصبح الشيء مُقدّراً؟ إلّا أنّه لو أحسّ بذلك، لكان الشرُّ في ذلك الإحساس. / فإنّه لَيُجسَّ أنذاك بأنّه بات خارجاً عمّا كان عليه في ذاته وبأنّه في الابتعاد آخِذ. إنّ شيئاً لا يسعى إلى غيره بل إلى ما يكون هو عليه في ذاته؛ أمّا السَّعي إلى الخارج فإنّه من قَبيل العَبَث أو من حُكْم الضرورة. وإنّما يكون الشيء أوفر حقّاً لا بأن يُصبح ذا كثرة أو عِظَم، بل بأن يكون هو بذاته لذاته. ويكون لذاته بانعكافه على ما هو عليه في ذاته. فإنَّ الرَّغبة في العِظَم على هذا المعنى هي رَغبة جاهل لما كان العِظَم حقّاً، أو رَغبة ساعٍ إلى حيث لا ينبغي، / بل إلى الخارج. إنّما كان سعي الشيء إلى ما هو عليه في ذاته سعيّاً إلى الباطن. والدليل على ذلك هو الشيء الذي يُصبح بمقدار. فإذا تَجَزَّأ بحيث يُمسي كلّ جُزء من الأجزاء هو لذاته، أصبح ذلك الذي يقوم في كونه الخاصّ هو كلّ جُزء من هذه الأجزاء، لا الشيء ذاته الذي كان أصلاً. وإن يكن ما هو عليه في ذاته، يجب في أجزائه كلّها أن تُوجّه إلى الوَحدة، فيكون على ما هو عليه في ذاته بأن يُمسي واحداً من وجه ما، مُنترَهاً عن العِظَم. / لقد يُصبح الشيء إذاً، بوساطة المقدار ويقدر ما يقع عليه، ممّا كان عليه في ذاته في خَسَر، ولأنَّ الوَحدة تتوافر له يتوافر له أيضاً أن يكون على ما هو عليه في ذاته. أجل، إنّ العالم الكُلّيّ عظيم وحَسَن! ولكنّه على هذه الحال لأنّه لم يُخَلّ بينه وبين أن يفرّ إلى ما ليس له نهاية، بل كان مضبوطاً بالوَحدة. ثمَّ إنّ حَسَنَ الحُسْن لا بالعِظَم، وهو يحتاج إلى الحُسْن لأنّه صار بِحجمه عظيماً. / فإذا حُرِّمَ من الحُسْن ظهر قبيحاً بقدر ما كان في حجمه عظيماً. فلا عَرَوْ

إن كان العِظَمُ للحُسْنِ هَيولاًه لأنَّ المُحتَاجَ إلى التَّنْظِيمِ هو ذوالكَثْرَةِ . أمَّا العِظَمُ فبأن يغمره الغُمُوضُ وبأن يكون قَبِيحًا أُخرى .

٢ ما عسى أن يكون معنى ما يُقال فيه إنَّه «عدد اللانهاية»؟ وأوَّلًا كيف يكون عددًا وهو ليس له نهاية؟ ليست المحسوسات غير مُتناهية حتَّى يكون العدد الذي وقع عليها غير مُتناهٍ ، ويكون الذي يُحصي مُحصيًا ما ليس له نهاية . حتَّى ولو أخذ الأشياء ضِعْفًا أو أضعافًا كثيرة ، فإنَّه يأتي عليها بإحصائه . / وإنَّه ليُحصيها كُلِّها حتَّى ولو شمل بإحصائه ما استقبل من الأمور ، أو ما استدبر ، أو ما كان منها حاضرًا بَعْضه مع بعض . أنقول في غير المُتناهي إذا إنَّه يُوجد لا بمعنى الإطلاق بل بمعنى أنَّه يجوز الأخذ منه دائميًا؟ ألا وإنَّ التَّوَلَّدَ لا يَرتدُّ إلى المَحْصِي ؛ إنَّما كان العدد مُحدَّدًا قبل ذلك وهو ثابت . أو نقول عن العالم الروحاني إنَّه مثلما تكون الحقائق فيه ١٠ كذلك يكون العدد وهو مُحدَّد بقدر الحقائق . / أمَّا نحن ، فإنَّنا مثلما نجعل الإنسان شيئًا ذا كثرة ، إذ إنَّنا كثيرًا ما ننسب إليه الحَسَنَ وغيره من الثُّعُوت ، كذلك أيضًا نُولَّدُ مع صورة الشَّيْء صورة عدد . ومثلما إنَّنا نُحوِّل «المدينة» إلى شيء ذا كثرة ، وهي كذلك في الواقع ، فعلى الوجه ١٥ ذاته نجعل الأعداد أعدادًا كثيرة . / ثمَّ إذا حسبنا الأزمنة سَحَبنا الأزمنة أعدادًا من تلك التي كانت لدينا وهي لا تزال باقية فينا .

٣ ولَكِنَّ غير المُتناهي الذي نحن في صددِه ، كيف استوى قائمًا وهو شيء له نهاية؟ فإنَّ ما يَسْتَوِي قائمًا ويكون حَقًّا يُدْرَك بالعدد . وأوَّلًا كيف تكون الكثرة شَرًّا إن كان في عالم الحقائق كثرة حَقًّا؟ ألا ، إنَّ الكثرة ، ما دامت مُتَوَحِّدة ، تمنع أن تكون كثرة بوجه الإطلاق لأنَّها كثرة ذات وَحدة . ولذلك / جاءت بعد الواحد لأنَّها تشتمل على كثرة وهي بمقدار هذا الاشتغال دون الواحد قَدْرًا . وما دامت خالية من الواحد في صميمه بكونها عن هذا الصِّمِيمِ خارجة ، فإنَّها انحطَّت مقامًا . إلَّا أنَّها ما تزال لها حرمتها بالواحدة التي تأتينا من الواحد الأوَّل ، فتوجَّهت يَكثَرَتها إلى الواحد واستوت في حالها . وَلَكِنْ ما القول في اللانهاية؟ إن كانت في عالم الحقائق غَدَت مَحْدُودَة لا مَحَالَة ؛ / وإن لم تكن مَحْدُودَة لم تقع في عالم الحقيقة ، بل رُبَّما وقعت في عالم الصَّيرُورَة بمعنى أنَّها أصبحت في الزَّمان . أو إنَّها حتَّى ولو حُدِّدت ، تكون بذلك التَّحْدِيد على الأقلِّ غير مُتناهية . فليس الحَدُّ هو الذي يُعَيِّن ، بل الشَّيْء الذي لا حَدَّ له ، (إن شيئًا آخر لا يقع بين الحدِّ وغير المُتناهي لِتَلَقِّي الحدِّ بما يكون عليه في ذاته) . أَجَلْ إنَّ ما ليس له نهاية يُفِلَّت في ذاته من صورة الحدِّ ؛ / لَكِنَّهُ يُدْرَك من الخارج فيَقْبَضُ عليه . إنَّما يُفِلَّت لا بمعنى أنَّه يَفِرُّ من مكان إلى آخر ، فإنَّه ليس له مكان . بل إذا قُبِضَ عليه ، استوى بذلك مكانه

قائماً. ولذلك وَجَبَ أَلَّا نَتَصَوَّرَ حركة مكانية، الحركة التي نعرفها بأنّها حركة اللانهاية، كما
 ٢٠ أنّها ليس لها من تلقاء ذاتها نوع آخر ممّا نعرفه بالحركة. / وعليه لم تكن اللانهاية للتحرّك،
 ولكنّها لا تبقى ساكنة أيضاً. وأين تبقى ساكنة ما دام «الأين» ينشأ بعدها؟ فالظاهر أنّ الحركة
 تُقال في غير المُتناهي بمعنى أنّه لا يبقى ساكناً. أَيْكون وَضعه وضع ظاهرة في السّماء تُحوّم في
 مكان واحد أو يكون في تذبذب بين ذهاب وإياب؟ لا لهذا ولا ذاك! فالْحُكم في الأمرين كليهما
 ٢٥ إنّما يكون نظراً إلى مكان واحد، سواءً أكان الأمر أمر تحويم بدون/ انحراف أم كان أمراً
 بانحراف. كيف عسانا إذا أن نتصوّر اللانهاية ما هي؟ بأن نُجرّدها ذهناً من المثال. وعلى أيّ
 وجه نتصوّرهما؟ ألا، إنّ بعضها على خلاف مع بعض وعلى غير خلاف في الآن نفسه. نتصوّرهما
 شيئاً كبيراً وشيئاً صغيراً، إذ إنّها تكون في الطرفين كليهما. ونتصوّرهما ثابتة ومُتحرّكة إذ إنّها
 ٣٠ تكون على الحالتين كليهما. / لكنّها تبدو بِجلاء، قبل أن تكون ذلك كلّها، على أنّها ليست هذا
 أو ذاك بصورة محدودة، وإلّا لكنت أنت الذي حدّدتها. فإن كان الشّيء غير مُتناوٍ، وكانت تلك
 المخالفة غير نهاية وتحديد، تصوّرنا الشّيء على أنّه كلّ من المُتخالفين. ثمّ إذا أُقبلت عليه عن
 كُتب ولم تُلف عليه حدّاً ما كآته شَرَك، وجدته مُفليّلاً من يدك وما ألفتة واحداً بِحال، إذ إنّك
 ٣٥ تكون قد حدّدته حيثنّذ. لكنّك إن/ أُقبلت على الشّيء بمعنى أنّه واحد، بدّا لك وهو أشياء
 كثيرة؛ وإن قُلت فيه إنّهُ أشياء كثيرة، صار قولك قولاً كاذباً. فإن لم يكن الشّيء واحداً لم تكن
 الأشياء كلّها كثيرة أيضاً. ثمّ إنّ اللانهاية في حقيقة ذاتها حركة إذا نظرت إليها بأحد التّصوّرين،
 وهي سُكون بقدر ما يقترب التّصوّر منها. فالعجز عن النّظر إليها من خلال ما تكون عليه في
 ٤٠ ذاتها، إنّما هو حركة/ تتبعد عن الروح، وهو انفلات. لكنّها لا يتمّ لها الفرار وهي محصورة في
 دائرة تُحيط بها من الخارج فلا يُتاح لها أن تفصل بعيداً في انفلاتها: وذلك هو لها سُكونها. فلا
 يجوز القول عنها إنّها تتحرّك فقط.

٤] أمّا الأعداد، فيجب البحث عنها على أيّ حال تكون في العالم الروحانيّ: هل ينبغي أن
 نتصوّرنا ناشئة بعد المُثل الأخرى أو تابعة لها دائماً؟ فالْحَقّ مثلاً، إنّما كان بحيث يبدو هو
 ٥ الأوّل، فتتصوّر الوحدة. ثمّ يخرج من الحركة والسّكون، فتكون الثلاثة. وهكذا دواليك/ في
 كلّ عدد من الأعداد الأخرى عند كلّ أمر روحانيّ جديد. أو لا تكون الحال كذلك، بل تنشأ
 وحدة واحدة مع كلّ أمر روحانيّ جديد. أو الأخرى هو أن تنشأ الوحدة مع ما يكون، ثمّ
 الاثنان مع ما يقع بعده، ما دام بين الروحانيّات ترتيب. أو تكون الأعداد بِقَدْر الكثرة في العالم
 الروحانيّ أيضاً، فإذا قُدّرت الكثرة بعشرة كانت العشرة. أو لا تكون الحال هي هذه، بل
 ١٠ يُتصوّر العدد ذاته قائماً في ذاته؛ وإن باتت الحال على هذا الوجه، / فهل يكون العدد مُتقدِّماً أم

متأخراً على غيره؟ يقول أفلاطون إنَّ الإنسان انتهى إلى تصوُّر العدد بوساطة تعاقب الواقع بين الليل والنهار، فجعل صورة العدد قائمة بما بين الأشياء من اختلافات. ورُبَّما يعني أنَّ الشَّيء المعداد هو الذي يُحْلِث العدد أوَّلًا، ثمَّ يستوي هذا الأخير في كيانِه/ إذ تُجاوِز النَّفس مرحلة إلى مرحلة وتنتقل من شيء إلى آخر. ينشأ العدد إذا لدى النَّفس إذا أحصت، أعني إذا قالت لذاتها عند عبورها بالأشياء: هذا شيء، وذلك آخر. على أنَّها تنطق بالواحد آنذاك ما دامت تتصوَّر الشَّيء الواحد ذاته ولا الشَّيء الآخر الذي يليه. لكنَّه عندما يثبت في العدد الحقُّ ذاتًا، / ويثبت العدد في ذات. يعود أفلاطون فيُثبِت للعدد قِيامًا في ذاته ولا يجعله قائمًا في النَّفس إذا أحصت. إنَّما تنبَّه النَّفس إلى صورة العدد الذَّهنية لدى التَّعَلُّبات التي تتناول المحسوس.

٥ ما عسى أن يكون العدد في حقيقته إذا؟ هل يكون تَلَازُمًا لكلِّ ذات وكأنَّه شيء يُلاحظ معها؟ فالإنسان مثلاً إنَّما هو إنسان واحد، والحقُّ حقٌّ واحد، والأمور الروحانية كلها أمراً هي العدد كله. ولكن كيف تكون الاثنين والثلاثة، وكيف تحسب الأعداد كلها عدداً واحداً، وكيف يَرُدُّ عدد من هذا النوع إلى الوحدة؟ فالوحدات كثيرة ما دام الوجه على هذه الحال، لكنَّ وحدة منها لن تتحوَّل إلى فرد واحد، ما عدا الواحد المطلق. إلَّا إذا قلَّنا في الاثنين إنَّهما الشَّيء ذاته، أو بالأحرى ما يُدرك مع الشَّيء، ويكون هذا الشَّيء مُنطَوِّبًا على قُوَّتَيْن يَشتمَل عليهما فكأنَّه مُركَّب حتَّى يُصبح شيئاً واحداً. أو إذا قلَّنا في الأعداد إنَّها على نحو ما كان الفيثاغوريون يتصوَّرونها، / في ما يبدو منهم، مُنطلقين من القياس: فيرون أنَّ «الأربعة» هي العدد وأنَّ عدداً آخر هو بمعنى آخر. ولكنَّ هذا التَّصوُّر يجعل العدد أشدَّ اقتراناً بكثرة الشَّيء الذي يظَلُّ مع ذلك واحداً، وهو واحد بقدر ما يكون ذا كثرة، كالعشرية مثلاً. إلَّا أنَّنا لا نتصوَّر العشرة على هذا الوجه، بل على أنَّنا نجتمع بعض الأشياء المُتفرِّقة إلى بعضها الآخر، فنقول فيها ١٥ إنَّها «عشرة». أجل إنَّنا نعني «العشرة» على هذا الوجه؛ / لكنَّنا نعني «العشرية» عندما ينشأ من أشياء كثيرة شيء واحد، وعلى المعنى يكون الأمر في الملاء الأعلى. ولكنَّ إنَّ عَدَا الأمر على هذه الحال، هل يكون للعدد قيام في الذات بعد ذلك، ما دمتنا نُشاهد واقفاً على الأشياء؟ قد يقول قائل: «ولكن ما عسى أن يمنع الأبيض، إن شاهدناه واقفاً على الأشياء، من أن يكون للأبيض في الأشياء قيام في الذات؟/ لقد كان للحركة، إذا شاهدناها واقعة على الحقِّ، قيام في الذات أيضاً، ما دامت حركة واقعة في الحقِّ. لكنَّ ليس الأمر في العدد مثلما هو في الحركة. فإنَّ الحركة شيء ما، ولذلك شوهدت الوحدة واقعة عليها. ذلك ما يقال. ثمَّ إنَّ قِيامًا في الذات من هذا الطَّرَاف يُقصي العدد عن أن يكون ذاتاً، بل هو بأن يجعله العدد عَرَضاً أخرى. ٢٥ على أنَّه لا يكون، / مع ذلك، عَرَضاً بوجه الإطلاق. فإنَّه يجب في العَرَض أن يكون شيئاً من

قبل أن يُقال فيه إنه عَرَضَ . حتّى ولو لم يكن لِيُزَحَّجَ عن محلّه ، ينبغي أن يكون شيئاً في حدّ ذاته ، بأن يكون له حقيقة ما ، كأن يكون الأبيض مثلاً . فيقال فيه إنه يحلّ في غيره عَرَضاً وهو في حاله يكون ذلك الشّيء عَيْناً ، الذي يُقال فيه عَرَضَ . وعليه كانت الوَحْدَة في كلّ شيء . فلا يعني ٣٠ قولنا «الإنسان واحد» الإنسان بالذات ، / بل يختلف «الواحد» عن «الإنسان» وهو معنى مشترك بين الشيء وغيره من الأشياء . وإن كان الأمر كذلك كان «الواحد» مُتَقَدِّماً على الإنسان وعلى كلّ شيء من الأشياء ، بحيث يُصيب الإنسان وغيره من الأشياء كل حظّه من الكون واحداً . ثم إن الواحد قبل الحركة أيضاً ما دامت الحركة شيئاً قائماً في الوَحْدَة ، وهو كذلك قبل الحقّ حتّى ٣٥ يُسمي الحقّ/ وقد أصاب هو ذاته كونه واحداً . ولست أعني ذلك الواحد الذي قلنا عنه إنه وراء الحقّ ، بل ذلك الواحد الذي يُقال في كلّ مثال من المُثُل . ولهذا يصحّ في «العشرية» إذا . فهي ٤٠ مُتَقَدِّمة على الشّيء الذي تُقال فيه «عشرية» ، وتكون هي «العشرية» بِحَدِّ ذاتها . / فهل ينشأ العدد ويقوم في ذاته مع الأشياء؟ ولكن إن كان ناشئاً مع الأشياء على أنّه عَرَضَ ، مثلما هو الأمر في الصّحّة من الإنسان ، وَجَبَ فيه أن يكون حقّاً في حدّ ذاته هو أيضاً . وإن نظر إلى الواحد على أنّه ٤٥ عُضْر في مُرْكَب ، وَجَبَ فيه أن يكون أولاً واحداً في ذاته ، أعني الواحد ، حتّى يكون مع غيره . هذا وإذا جمعنا بينه وبين الشّيء الآخر الذي يصحّ به شيئاً واحداً ، / جعل وَحْدَة هذا الشّيء قائمة على الباطل إذ يتحوّل الجميع إلى شَيْئَيْن . وما عسى أن يكون القول مع «العشرية»؟ وما عسى أن تكون الحاجة إلى «العشرية» لدى ذلك الأمر الذي ينبغي أن يُصبح «عشرية» بمثل تلك القوّة التي هي قوّته؟ ولكن إن كان شأن «العشرية» أن تُعَمَّر ذلك الأمر بالمثال على أنّه هيولاه ، وكان ٥٠ شأن أمرنا أن يغدو ، بِخُصُور «العشرية» ، «عشرة» و«عشرية» ، وَجَبَ أولاً في «العشرية» أن تكون هي في حدّ ذاتها ، ثمّ ألا/ تكون إلّا «عشرية» فقط .

٦ فلنفترض أنّ لدينا ، إلى جانب الأشياء ، الواحد في ذاته والعشرية في ذاتها؛ ثمّ إنّ الأمور الروحانيّة ، فضلاً على كونها في ما هي عليه في ذاتها ، من شأنها أيضاً أن يُصبح بعضها وحدات ، وبعضها الآخر اثنيّات أو عشريّات . فما عسى أن تكون هذه الأمور في حقيقتها الشاملة ، وكيف يغدو كلّ أمر منها أمراً قائماً في ذاته؟ على أنّه ينبغي أن نتصوّر بالذهن تحقّق ٥ نشأتها . يجب أولاً/ بوجه عامّ أن نفهم كيف تكون المُثُل على ما هي عليه في ذاتها . فإنّها لا تكون بمعنى أنّ العارف بالروح عَرَفَ مثلاً فضيلاً له بهذه المَعْرِفَة قيامه في ذاته . فلم تكن العدالة لأنّه عَرَفَ العدالة ما عسى أن تكون عليه في ذاتها؛ ولم تقم الحركة لأنّه عَرَفَ الحركة ما ١٠ عسى أن تكون عليه في ذاتها . وعليه كان شأن/ هذه المَعْرِفَة للشّيء أن يتأخّر عن الشّيء المعروف ذاته ، وكان شأن العرفان بالعدالة أن يتأخّر عن العدالة . لكنّ العرفان مُتَقَدِّم بِدَوْره

على ما يصله قيامه في ذاته من العرفان، ما دام القيام في الذات إنما يتم بعرفان تحقّق. ثم إن
 ١٥ كانت العدالة هي وعرفان من هذا الطراز شيئاً واحداً، فمن المُحال ألا تغدو/ العدالة إلّا ما
 يكون بمنزلة الحدّ لها. ولعمري، هل يُصبح كون العدالة أو الحركة معروفة أمراً غير إدراكهما
 في ما هما عليه في ذاتيهما؟ وهذا يعني إدراك معنى الشّيء ولما يقيم في ذاته، وهو الاستحالة
 بالذات. وقد يقول قائل إنّ العِلْم في الأمور المُنزّهة عن الهوى هو والأمر المعلوم شيء
 ٢٠ واحد. فعند ذلك ينبغي/ ألا يفهم القول بمعنى أنّ العِلْم هو الشّيء المعلوم بالذات أو أنّ العقل
 المُشاهد هو الشّيء الذي يُشاهده، بل العكس هو الصّواب: وهو أنّ الشّيء ذاته، ما دام مُنزّهاً
 عن الهوى، إنّما هو معروف وعرفان في الآن ذاته. وليس عرفاناً على أنّه معنى الشّيء واتّصال
 ٢٥ به، بل على أنّ الشّيء ذاته، ما دام في العالم الروحانيّ،/ ليس إلّا روحاً عارفاً وعِلْماً في الآن
 نفسه. فليس العِلْم هو الذي كان عاكفاً على ذاته، بل الشّيء في الملأ الأعلى هو الذي تناول
 العِلْم وقد بطل في كونه عِلْماً بشيء في هوى فحوّله من حال إلى حال؛ أعني أنّه جعله عِلْماً
 ٣٠ حقيقةً أي عِلْماً لا يُقال فيه عند ذاك إنّهُ صورة الشّيء، بل هو الشّيء ذاته. ليس العرفان/
 بالحركة هو الذي أنشأ الحركة في حدّ ذاتها إذاً، بل هي الحركة في حدّ ذاتها التي أنشأت
 العرفان بحيث إنّها أنشأت ذاتها حركة وعرفاناً. فإنّ الحركة الروحانيّة هي عرفان بذلك الأمر،
 وهو ذاته حركة لأنّه الحركة الأولى إذ إنّ حركة أخرى لا تتقدّمها. وهذه الحركة هي الحركة
 ٣٥ حقّاً لأنّها لم تكن لتقع عَرَضاً على غيرها؛ إنّما كانت تَحَقّق/ المتحرّك بالذات وبالفعل. ومن ثمّ
 فإنّها ذات أيضاً، على أن تكون مُختلفة بمعناها عن الحقّ بمعناه. ثمّ إنّ العدالة ليست عرفاناً
 بالعدالة هي أيضاً، إنّما هي من الروح بمنزلة حال من أحواله. بل هي الروح وقد تحقّقت بحيث
 تُشرق العدالة بوجهها وقد أدرك الروح حُسْنه في مُنتهاه، فلا حُسْن النّجمة في الصّباح أو في
 ٤٠ المساء ولا حُسْن شيء من الأشياء المحسوسة على وجه الإطلاق. فهي أشبه بيمثال/ نورانيّ
 وكأ أنّه استوى مُنبثقاً ممّا كان عليه في ذاته، وتجلّى في ما كان عليه في ذاته؛ فعدا أخرى بالقول
 إنّهُ قائم حقّاً في ما هو عليه في ذاته.

٧ ينبغي أن نتصوّر الأمور بوجه عامّ قائمة في حقيقة واحدة، وعلى أنّ حقيقة واحدة
 تشملها كلّها وكأنّها تُحيط بها. وذلك بمعنى ما يكون عليه كلّ شيء على حِدّة في الأشياء
 الجسّية، مثل أن الشّمس هنا وغيرها هناك، بل بمعنى أنّ تلك الأمور كلّها قائمة معاً في أمر
 واحد. فهذه هي حقيقة الروح. وبهذا المعنى تُحاكيه النّفس في عالمنا ويُحاكيه ما نعرفه
 ٥ بالطّبيعة التي بها/ وعلى غرارها تنشأ الأشياء شيئاً شيئاً، في حين أنّها تبقى هي لذاتها مع
 ذاتها. لكنّ الأمر في الملأ الأعلى يكون هو أيضاً على حياله بالرّغم من كون الأمور كلّها

بعضها مع بعض. ولقد يتبين الروح الأمور الثابتة فيه وفي الذات، لأنه مُشتمل عليها: لا ينظر إليها، ما دامت بين يديه قائمة؛ ولا يفصل بينها أمرًا عن غيره إذ إنها لا تزال فيه مُتميّزًا بعضها عن بعض دائمًا. أما الذين أخذهم العَجَب من ذلك، / فإننا نُثبت لهم من وجه الأشياء التي تأخذ ما لديها بالاشتراك: نُثبت عظمته وحُسْنه بعشق النَّفس له، ونُثبت عِشْق الأشياء الأخرى للنَّفس لما هي عليه من طبيعة فائقة ولأنها من وجه ما تُحاكي الروح. فإنه ليس من المعقول أن يكون حيوان حَسَن ثم لا يكون حيوان هو الحيوان بالذات يُدهشنا ويفوق كلّ وصف بحُسْنه. / لهذا هو الحيوان الكامل وهو مؤلَّف من الحيوانات كلّها. أو إنه يكون مُشتملاً على الحيوانات أخرى، إذ إنه، واحدًا، بقدرها كلّها. فكذلك الأمر في العالم الكُلِّي: إنه هو وحده المَنظور كلّ، ما دام مُشتملاً على كلّ ما في المنظور.

٨] إن في الأصل حيوانًا إذا، وكذلك كان هو الحيوان الأوّل، وهو روح، وهو الذات حقًا. ثم نقول فيه إنه ينطوي على الحيوانات كلّها وعلى العدد كلّ، وهو العدل بالذات والحُسْن أيضًا إلى ما سوى ذلك كلّ. فإننا نعني شيئًا آخر بقولنا إن الإنسان بالذات والعدد بالذات. / وما دامت الحال هُذي هي، وَجَب البحث عن كلّ أمر من هذه الأمور كيف يكون وما عسى أن يكون، على قدر ما نستطيع أن نكتشف شيئًا من هذا القليل. فيجب أولًا أن نخلع كلّ إحساس وأن ننظر إلى الروح بالروح. ثم ينبغي أن نذكر أنّ لدينا، نحن أيضًا، حياة وروحًا لا يقومان في الحجم، بل في قوّة لا حجم لها. فالذات الحقّ مُتجرّدة عن ذلك كلّ، وهي قوّة رُكنها ما كانت هي عليه في ذاتها. / ليست أمرًا خاويًا، إنّما هي أشدُّ الأمور حياة ونورانية لا يفوقها شيء من حيث الحياة والنورانية والذاتية، ويُصيب ذلك كلّ منها كلّ ما اتّصل بها على قدر اتّصاله؛ فالقريب عن كُتُب والبعيد عن شَطَط. فإن الرُّغبة في الحقّ/ تشتدُّ لدى ما يكون أوفر حقًا، وما يكون أوفر روحًا أيضًا، ما دامت الرُّغبة في العرفان واجبة بوجه الإطلاق. وكذلك القول في الحياة. وإن وَجَب في الحقّ أن تتصوَّره هو الأوّل، ما دام هو الأوّل حقًا (على أن يليه الروح ثم الحيوان لأنه هو الذي يبدو مُشتملاً على الأشياء كلّها). وإن وَجَب في الروح أن يكون في المقام الثاني إذ إنه الذات وقد تحقّقت، لن يقع العدد في مُقابل الحيوان. فإنه كان، قَبْل الحيوان، / أمرًا قائمًا في الوَحدة بل أمرين. كما أنّه لن يقع في مُقابل الروح إذ إنّ قَبْل الروح الذات، وهي واحدة وذات كثرة معًا.

٩] بقي النُّظر إذا فيما إذا كانت الذات هي التي أنشأت العدد بَتَجْزئها أو كان العدد الذي جَزَأ الذات. وقد نقول: عندما تكون الذات والحركة والسكون والذاتية والغيرية هي التي

٥ أنشأت العدد، أو يكون العدد هو الذي أنشأها. فلنبتدئ ببحثنا بما يلي. أيجوز في/ العدد أن يكون قائمًا في حد ذاته أم يجب أن يُشاهد «الاثان» في شيئين، وكذلك القول في الثلاثة؟ ثم ما عسى أن يكون الأمر في الواحد الكامن في الأعداد؟ فإن استطاع أن يقوم في ذاته مُستقلًا عن الأعداد، استطاع أن يكون قبل الأعداد أيضًا. أيمكن قبل الحقّ إذا؟ لندع هذا السؤال، / ولنسلم الآن بأن هذا الواحد يقع قبل العدد وبأن العدد ينشأ من الحقّ. ولكنّ الحقّ إذا كان واحدًا حقًا، وكان الأمران اثنين حقًا، كان الواحد، في ما كان عليه حقًا، مُتقدّمًا على الحقّ والعدد. فهل يقع ذلك في الذّهن والإدراك؟ نعم، في القيام في الذات أيضًا. أمّا البحث فيه فيجب أن يجري على نحو ما يلي. عندما نتصوّر إنسانًا حقًا حسنًا واحدًا، / فإننا نتصوّر «الواحد» مُتأخّرًا عن الشّيء في الحالتين كليهما. وكذلك القول في الجّواد وفي الكلب عندما نتصوّرهما. فواضح أن «الاثنين» مُتأخّرة هي أيضًا هنا. لكن لِنفترض أنّك تُنشئ إنسانًا أو جوادًا أو كلبًا، أو إنّك تُخرج ذلك كلّهُ وهو فيك كامن، على أنّك لا تُنشئه أو تُخرجه اتّفاقًا. ألسنت تقول: «ينبغي أن اعتمد شيئًا واحدًا ثمّ أجازوه إلى شيء آخر هو واحد أيضًا/ فأصنع شيئين، على أن أصنع الشّيء الآخر وأنا لا أزال في ما كنت عليه في ذاتي ومعه»؟ أجل إنّ الحقائق لم تُحصَ عندما نشأت، لكنّ الذي يجب أن تنشأ عليه قد تبيّن عندما وجب إنشاؤها. فالعدد كلّهُ إنّما كان إذا، وما كانت الحقائق. وإن كان قبل الحقائق لم يكن هو الحقائق. أو إنّهُ كان في الحقّ، لا بكونه عدد الحقّ إذ كان الحقّ لا يزال واحدًا، / بل هي طاقة العدد قامت في ذاتها وجزأت الحقّ وجعلته كأنّه يضع هو ذاته الكثرة بالأوجاع. فإنّ العدد يكون الذات للحقّ أو تحقّقه، فيكون الحيوان بالذات ويغدو الروح عددًا. أو يُصبح الحقّ عددًا ما يبرح مُتّحدًا بعبضه بعض، أم تُسمي الحقائق عددًا مُتمادًا، والروح عددًا مُتحرّكًا داخل ما كان عليه في ذاته، والحيوان عددًا مُحدّدًا بما سواه؟ وما دام الحقّ ناشئًا عن الواحد، / فمثلما كان ذلك الواحد واحدًا، على هذا الوجه ينبغي للحقّ أن يكون عددًا. ولذلك قيل في المثل إنّها وحدات وإنّها أعداد. ذلك هو العدد بالذات. أمّا العدد الآخر المعروف بالعدد المُتوحد، فإنّه لذلك العدد صورته. فالعدد بالذات/ هو الذي يُشاهد في المثل إذ يُنشئها، ولكنّه أصلًا هو الذي يكمن في الحقّ ويكون مع الحقّ مُتقدّمًا على الحقائق. فيه تجد الحقائق رُكنها ومُعِينها وجذرها وأصلها. فالواحد هو الأصل للحقّ وعليه يقوم الحقّ حقًا ولا لكان شَيْئًا. لكنّ الواحد لا يقوم على الحقّ؛ / ولا لَنَدَا الحقّ واحدًا ولَمَّا يُصيب من الواحد نصيبًا، فيكون المُصيب من «العشرية» عشرة قبل أن يُصيب من «العشرية» نصيبه.

١٠ إنّ الحقّ ثابت في الكثرة، هو عدد إذا إذ أفاق، وهو ذو كثرة وأشبّه بأن يكون للحقائق

تَوطئة وَتَمهيدًا وَمَعالم . فَكَأَنَّهُ وَحَدَات تَشْغَل مَحَلًّا لَمَّا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَسْتَوِي عَلَيْهَا . كَذَلِكَ يَقُول

٥ المرء في حياته الحاضرة : «أريد من المال ومن المنازل كذا قدرًا» . فَلِلدَّهْب وَحَدته ، / ولا يريد المرء أن يُحوَّل العدد إلى ذهب ، بل الدَّهْب إلى عدد . إِنَّ لَدَيْهِ العدد مُتَوَافِرًا وَيُحَاوِل تَطْبِيقَهُ عَلَى

١٠ اللَّهْب بِحَيْث يَتَّقَى عَلَى الدَّهْب أَنْ يَكُونَ يَقْدَرُ كَذَا دَهَبًا . فَلَوْ نَشَأَ الْحَقَائِقَ قَبْلَ العدد وشوهد العدد واقعًا عليها في حين/ يتحرك الذي يعدُّ بِتَحْرُكِ المعدودات ، لَعُدَّت المعدودات بِالْقَدْرِ

الذي كانت عليه عن طريق الاتِّفَاق ولا عن تَصْمِيم مُخَطَّط . وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي قَدْرِهَا بِالْمُصَادَفَةِ ،

١٥ كَانَ العدد سابقًا بِحُضُورِهِ وَسَبِّبًا لِقَدْرِهَا . وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ مَا نَشَأَ أَصَابَ قَدْرَهُ وَالعدد قائم حَقًّا ، فَأَصَابَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْوَحْدَةِ حَتَّى أَصْبَحَ شَيْئًا وَاحِدًا . / فَإِنَّ الشَّيْءَ شَيْءٌ حَقًّا يَأْخُذُهُ مِنَ الْحَقِّ مَا

دَامَ الْحَقُّ حَقًّا مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهِ ، كَمَا أَنَّ الشَّيْءَ وَاحِدٌ يَأْخُذُهُ مِنَ الْوَاحِدِ فِي حَدِّ ذَاتِهِ أَيْضًا . وَإِنْ عَدَا

الوَاحِدَ الْوَاقِعَ عَلَى الْأَشْيَاءِ ذَا كَثْرَةٍ فِي الْآنِ نَفْسَهُ ، كَانَ الشَّيْءُ شَيْئًا وَاحِدًا ، مَا تَكُونُ عَلَيْهِ الثَّلَاثَةُ

وَاحِدًا ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْحَقَائِقِ كُلِّهَا إِنَّهَا أَمْرٌ وَاحِدٌ . وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ الْوَاحِدَ يَكُونُ عَلَى

وَجْهِ الْوَاحِدِ الْفَرْدِ ، بَلْ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهِ الْأَلْفُ ثَابِتَةً فِي وَحْدَتِهَا أَوْ كُلِّ عِدَدٍ آخَرَ مَهْمَا

٢٠ يَكُنْ . لِنَفْتَرِضَ قَائِلًا يَقُولُ فِي أَشْيَاءٍ نَشَأَتْ إِنَّهَا بِالْأَلْفِ . / إِذَا ذَكَرَ الْمُحْصِي أَلْفًا ، فَإِنَّهُ لَا يَعْنِي أَنَّ الْأَشْيَاءَ مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهَا تَتَلَفَّظُ بِالْأَلْفِ مِثْلَمَا أَنَّهَا تَظْهَرُ أَلْوَانُهَا ، بَلْ هُوَ الْفِكْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَى

قَدْرِهَا . وَإِذَا لَمْ يَدَلِّ الْفِكْرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا قَبْلَ لِلْمُحْصِي بِتَقْدِيرِ كَثْرَتِهَا ، فَكَيْفَ تَكُونُ ذَلَالَتُهُ؟

٢٥ إِنَّهَا تَكُونُ بِكَوْنِهِ هُوَ عَالَمًا بِالْأَحْصَاءِ ، هَذَا إِنْ كَانَ بِالْعدد عَلِيمًا . / فَإِنْ تَجَهَّلَ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ الرُّوحَانِيَّةُ قَدْرَ الْكَثْرَةِ مَا هُوَ ، إِنَّمَا هَذَا أَمْرٌ غَيْرٌ مُعْقُولٍ ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ . مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ مَنْ

يَقُولُ فِي الْخَيْرَاتِ قَوْلًا . فَإِمَّا أَنْ يَعْنِي بِقَوْلِهِ الْخَيْرَاتِ فِي حَدِّ ذَاتِهَا ، وَإِمَّا أَنْ يَقُولَ الْخَيْرَ فِي هَذِهِ

الْأَشْيَاءِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيْهَا عَرَضًا . إِنْ كَانَ يَعْنِي الْأَوَّلِيَّاتِ ، كَانَ قَوْلُهُ فِي الْأُنْفُومِ الْأَوَّلِ . وَإِنْ

٣٠ عَنِيَ بِالْخَيْرِ مَا يَطْرَأُ مِنْهُ عَرَضًا/ عَلَى الْأَشْيَاءِ ، وَجَبَ الْقَوْلُ فِي الْخَيْرِ إِنَّ لَهُ حَقِيقَةً تَقَعُ عَرَضًا فِي الْأَشْيَاءِ الْآخَرَى . فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ هِيَ السَّبَبُ الَّذِي يَجْعَلُ الْخَيْرَ فِي غَيْرِهِ ، وَإِمَّا أَنْ

تَكُونَ الْخَيْرُ الْمُحْضَرُّ بِالذَّاتِ أَيْ ذَلِكَ الَّذِي كَانَ شَأْنُهُ أَنْ يُبْدِعَ الْخَيْرَ طَبْعًا . وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي مَنْ

يُثَبِّتُ العدد واقعًا عَلَى الْحَقَائِقِ ، مِثْلُ الْعَشْرِيَّةِ : فَإِمَّا أَنْ يُثَبِّتَ الْعَشْرِيَّةَ قَائِمَةً فِي ذَاتِهَا ، وَإِمَّا أَنْ

٣٥ يَعْنِي الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَطْرَأُ الْعَشْرِيَّةَ عَرَضًا عَلَيْهَا ، / فَيَضْطَرُّ إِلَى افْتِرَاضِ تِلْكَ الْعَشْرِيَّةِ الْقَائِمَةِ فِي ذَاتِهَا وَهِيَ لَيْسَتْ آنَ ذَاكَ سِوَى عَشْرِيَّةٍ فَقَطْ . فَلَا بُدَّ إِذَا ، إِنْ قِيلَتِ الْعَشْرِيَّةُ فِي الْحَقَائِقِ ، مِنْ

أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ تَكُونَ الْحَقَائِقُ ذَاتِهَا هِيَ الْعَشْرِيَّةُ ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ قَبْلَ الْحَقَائِقِ عَشْرِيَّةٌ أُخْرَى هِيَ

الْعَشْرِيَّةُ ذَاتِهَا وَلَيْسَتْ أَمْرًا آخَرَ . وَالَّذِي لَا بُدَّ مِنْ إِبْرَازِهِ بِوَجْهِ عَامٍّ هُوَ أَنَّ كُلَّ مَا يُقَالُ فِي شَيْءٍ

٤٠ آخَرَ ، / فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ وَارِدًا إِلَى هَذَا الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ تَحْقِيقًا لِلشَّيْءِ ذَاتِهِ . وَإِنْ

كَانَتِ الْمَقُولَةُ بِحَيْثُ لَا تُغَادِرُ الْمَقُولَةَ فِيهِ طَوْرًا وَتَحْضُرُ إِلَيْهِ طَوْرًا آخَرَ ، بَلْ تَكُونُ دَائِمًا ، ثُمَّ

يكون الآخر ذاتًا، غَدَتِ المَقُولَةُ هي ذاتها ذاتًا ولم تكن المقولة فيه أوفر منها ذاتية. أما أن نُسلم
 ٤٥ بأنها ذات، فإنها على كلِّ حال حقيقة من الحقائق وهي قائمة حقًا. فإن استطعنا أن/ نَتَصَوَّرَ هذا
 الشيء بدون تحقُّقه، كان تحقُّقه، مع ذلك، لا يختلف عنه بحال، بل نحن الذي نجعله، في
 تصوُّرنا، عنه مُتَأَخِّرًا. وإن لم تنفع الحيلة في أن نَتَصَوَّرَهُ بدون تحقُّقه، مثلما هو الأمر في
 الإنسان مع قيامه في الوحدة، فإننا نُصبح بين أمرين: إما ألا يكون التَّحَقُّقُ مُتَأَخِّرًا بل قائمًا مع
 ٥٠ الشيء ذاته، وإما أن يكون مُتَقَدِّمًا على هذا الشيء حتَّى يقوم الشيء ذاته به. أما نحن/ فنقول في
 الواحد أنه مُتَقَدِّم، وكذلك في العدد أيضًا.

١١ إن قال قائل في العَشْرِيَّةِ إنها وحدات هذا قَدَرها، قلنا: إن سلم بأن الوحدة قائمة حقًا،
 فلماذا يُسلم للوحدة الواحدة بالقيام حقًا وليس للعشرة؟ وما دام للوحدة الواحدة قيام في
 الذات، لماذا لا يصحُّ ذلك في الوحدات الأخرى؟ ينبغي ألا تُقَرَّن الوحدة الواحدة بِحَقِيقَةِ
 ٥ واحدة من الحقائق مهما/ تكن إذ إنَّ هذه الحال تُؤدِّي إلى نفي الوحدة على كلِّ حقيقة من
 الحقائق الأخرى. ولكن إن وَجِبَ في كلِّ حقيقة من الحقائق الأخرى أن تكون واحدة في
 ذاتها، كان للواحد معنى مُشترك. إنَّه ذو حقيقة واحدة تُقال في أشياء كثيرة، وهي التي قلنا فيها
 إنها لا بُدَّ لها من أن تكون قائمة بذاتها قبل أن تُشاهد في أشياء كثيرة. فإن شوهدت الوحدة في
 ١٠ شيء ثم في شيء آخر،/ وكانت في هذا الشيء الآخر حاضرة، لا يتمُّ القيام بالذات لوحدة
 واحدة فقط، فتكون الوحدات عندئذٍ وحدات كثيرة. وإن لم يكن إلا تلك الوحدة الأولى،
 كانت مُتَّصِلَةً، على وجه الإطلاق، إما بالحقِّ الأعظم وإما بالواحد الأعظم. فإن كانت مُتَّصِلَةً
 بالحقِّ الأعظم، باتت الوحدات الأخرى بالاشتراك في الاسم ولم تكن في مُستوى الوحدة
 ١٥ الأولى./ وإن شئنا فلننقل في العدد آنذاك إنَّه مُؤَلَّف من وحدات مُتباينة، وإنَّ التَّباين في
 الوحدات يُقاس بقدر ما تكون وحدات. وإن كانت مُتَّصِلَةً بالواحد الأعظم، فما هي حاجة
 الواحد الأعظم، حتَّى يكون واحدًا، إلى تلك الوحدة؟ وإذا استحال الأمر في الحالتين
 كليهما، أصبح لا بُدَّ من واحد يكون واحدًا فقط ثم شيئًا آخر، أو واحدًا بسيطًا مُفَارِقًا بِحَدِّ
 ٢٠ ذاته، قبل أن يُنطق بشيء أنه واحد/ أو أن يُتَصَوَّر. فإن كان في الملاء الأعلى الواحد المُستَقِلَّ
 عن الشيء الذي يُقال عنه إنَّه واحد، لماذا لم يكن واحد آخر يقوم في ذاته؟ فيُصبح كلُّ واحد
 على حياله وحدات كثيرة، ويكون الكلُّ واحدًا ذا كثرة. لهذا ولننظر الآن إلى الطَّبيعة وهي كأنَّها
 تُؤَلِّد الأمور على التَّوالي، أو كانت قد ولَّدتها ولم تقف عند كلِّ أمر ولَّدته بل كأنَّها أحدثت
 ٢٥ الأمور أمرًا بعد أمر باستمرار مُتواصل./ فإذا سارت ضمن حُدودها وأسَّرت في الكفِّ عن
 سيرها، ولَّدت الأعداد الصُّغرى. أما إذا جاوزت المزيد في تحرُّكها، لا على غيرها، لكن في

حركاتها هي ذاتها، جعلت الأعداد قائمة في ذاتها. وما دامت على هذه الحال وفقت بين
 ٣٠ الأعداد عدداً عدداً، وبين جُمْلَة الأشياء شيئاً شيئاً وكلّ حقيقة من الحقائق. / وهي آنذاك
 على بصيرة، إن لم ينسجم الشيء مع عدده كلّاً بكّل، من أنّها أمام أمرين: إمّا ألا يكون
 الشيء، وإمّا أن يخرج عن حدوده فهو شيء آخر ليس له عدد أو معنى.

١٢ رُبَّ قائل يقول في الواحد والوَحدة إنّهما ليس لهما قيام في الذات إذ إنّ «واحدًا» لا
 يكون إلّا بأن يكون شيئاً هو واحد. بل الواقع هو أنّ انفعالاً ما يقع في النّفس لدى اتّصالها بكلّ
 حقيقة من الحقائق. فنُجيب أوّلاً: وأيّ مانع يمنع، لدى ذكرنا الحقّ، من أن نقول فيه إنّ انفعال
 يقع في النّفس، ومن أن ننفي على كلّ شيء كونه حقّاً؟ وإن قيل إنّ الحقّ يُنبّه ويصدم ويُحيث
 ٥ صورة/ لدى الاتّصال به، فإنّا نرى النّفس تُنبّه وتتلقّى صورة لدى الواحد أيضاً. وبعد، فهل هذا
 الانفعال أو التصوّر في النّفس واحد أو ذو كثرة؟ إذا قلنا إنّهُ ليس واحداً، لم نأخذ الواحد من
 ١٠ الشيء ذاته إذ إنّنا نفينا عليه كون الواحد مُستقراً فيه. إنّ الواحد حاصل فينا إذًا، / وهو في النّفس
 مُستقلاً عن الشيء واحد. أجل إنّنا نستمدّ الواحد من الخارج إذ نتلقّى عرفاناً ما أو انطباعاً كأنّه
 في الشيء صورة منه تُردّنا. فالذين يذهبون إلى أنّ مفهوم الأعداد والواحد هو أحد أنواع ما
 ١٥ «يدعونه لديهم من الصّور»، إنّما يُسلمون للقيام في الذات بوجه مثل التي وصفنا، / ما دام
 يُقابل بعض تلك المفاهيم قيام في الذات. وسيكون لنا معهم، في هذا الموضوع كلام يردّ في
 حينه. لكنّهم لن يُسلموا بذلك إن ذهبوا في تحليل مفهومنا إلى أنّه متأخّر ينبعث من الأشياء
 ويُشَيء فينا حالة أو تصوّراً: كأن نقول مثلاً «هذا الأمر» أو «هذا الشيء» أو أيضاً «الجمهور»
 ٢٠ «العيد» و«الجيش» و«الكثرة». فإنّ الكثرة ليست سوى الأشياء التي نقول إنّها كثيرة، / وليس
 العيد سوى الجواهر المُحتشدة المُبتَهجة بالشّعائر الدينيّة. وكذلك القول في الواحد. عندما
 نذكره لا نتصوّره شيئاً قائماً على حياله، مُنفصلاً عن الأشياء الأخرى. وما أكثر ما جاء من هذا
 ٢٥ القَبيل، كاليمين مثلاً و«الفوق» وما يُخالِفهما. فما عسى أن يعني، / نظراً إلى القيام في الذات،
 «كون الشيء على اليمين» سوى أنّه هنا أو هناك واقفاً أو جالساً؟ وكذلك القول في الجهة
 «فوق»: فلناحية وَضَع من هذا القَبيل أو بأحرى في ذلك المكان من العالم الكلّي ونقول
 عنها إنّها «فوق»؛ وهناك جهة أخرى نقول فيها إنّها «تحت». كلّ هذه الأقوال يجب الجواب
 ٣٠ عليها بأنّ قياماً في الذات يتحقق في كلّ شيء من هذه الأشياء. / على أنّ هذا القيام لا يكون
 واحداً معها كلّها، سواء أكان من حيث علاقة بعضها ببعضها الآخر، أم كان من حيث علاقتها
 كلّها بالواحد. فلا بُدّ من أن نقف عند كلّ قول من تلك الأقوال ونُتخذ على حياله.

١٣ كيف يكون من المعقول أن ينشأ العرفان بوحدة المحل من المحل ذاته، وبوحدة الإنسان من الإنسان المحسوس، وكذلك القول في كل حيوان آخر مهما يكن أو في الحجر مثلاً؟ أليس الشيء الذي يظهر شيئاً ووحده شيئاً آخر تختلف عنه في ما تكون عليه في ذاتها؟ فإنه لا يسع الذهن آنذاك أن يطلق «الواحد» على غير الإنسان مثلاً. / ثم مثلما كان الذهن لا يتحرك عبثاً في ما يتعلق باليمين وما هو قبيلها، بل يرى وضعاً مختلفاً فيقول «هنا» كذلك ينطق بالواحد إذا رأى شيئاً. فليس أمره أمر حال واهية، وهو لا يذكر الواحد إلا بشيء عليه يرد. ولا يذكر ممّا ذكره بمعنى أنّ الشيء قائم وحده وما من شيء غيره، إنّما يعني بقوله «ما من شيء غيره» واحدًا آخر. / فضلاً على أنّ لهذا «الآخر» أو «المخالف» إنّما هو أمر يأتي بعد ذلك. فإنّ الذهن، ما لم يستند إلى الواحد، لا ينطق «بالآخر»، أو «بالمخالف»؛ وعندما يقول في الشيء أنّه وحده، إنّما يعني واحدًا هو وحده، فيكون قد نطق «بالواحد» قبل أن ينطق به «بأنّه وحده». ثم إنّ القائل، قبل أن يقول «الواحد» في غيره، هو ذاته واحد؛ والشيء الذي يتناوله بقوله هو واحد أيضاً، / قبل أن يقول أو يتصور فيه شيئاً. فإمّا أن يكون القائل واحدًا، وإمّا أن يكون أكثر من واحد أي ذا كثرة. وإن كان ذا كثرة، فقد كان حضوره وهو من قبل واحد. وبعد، فإنّ الذهن عندما يذكر كثرة، يذكر أكثر من واحد، وعندما يذكر جيشاً يتصور مسلّحين كثيراً مُنْتَظِمِينَ في وحدة. ولما لم يكن الذهن ليدع الجيش، على كونه ذا كثرة، باقياً على كثرتة جعل الوحدة فيه بوجه ما أمراً واضحاً. / فإمّا أن يمدّ بالوحدة وهي ليست متوافرة للكثرة، وإمّا أن يبيّن بجذته الوحدة البارزة من النظام فيسوق ذا الكثرة في طبعه إلى الوحدة. فإنّ الواحد في ذلك كله ليس شيئاً باطلاً، كما أنّه ليس كذلك في المنزل وهو واحد بحجارتها الكثيرة، ولو كان الواحد بأن يُقال في المنزل أخرى. وإن كان جديراً بأن يُقال إنّ واحد، / وكان ذلك أجدر أيضاً بما لا يتجزأ، فإنّما في هذا، لأنّ الواحد حقيقة مُتَحَقِّقَةٌ وقائمة في ذاتها لا مُحَالَةٌ. من المُسْتَحِيل أن يُقال «الأخرى» في ما ليس شيئاً. بل نقول الذات في كلّ جِسْمِيّ من الجِسْمِيّات، ونقولها أيضاً في الروحانيّات فنجعلها بنوع «أخص» في الروحانيّات، مُفْتَرِضِينَ / وجود «الأخرى» و«الأخص» في «ما يكون حقّاً»، ما دام الحقّ بأن يقوم في الذات، حتّى الجِسْمِيّة، «أخرى» منه بأن يكون في الأجناس الأخرى. ومثلما نقول ذلك في الحقّ، نقوله أيضاً في الواحد إذ تُشَاهِد له «أخرى» و«أخص» في الجِسْمِيّات وحتّى اختلافاً «بالأخرى» في الروحانيّات. فهو قائم حقّاً من الوجوه كلّها / على أن يُقال في قيامه الحقّ إنّّه عائد إلى الواحد الأعلى. إنّما الذات والحقّ فكلاهما أمر روحانيّ لا جِسْمِيّ ولو كان للجِسْمِيّ منهما نصيبه. وكذلك القول في الواحد أيضاً: تُشَاهِد من خلال الجِسْمِيّات وقد أصابت منه بالاشتراك، لكنّ الذهن يُدْرِكُهُ أمراً روحانيّاً وبطريقة العرفان، فيعرف أمراً من خلال أمر آخر لا يراه. لقد كان له بهذا الأمر الآخر معرفة سابقة إذّا / فإن كان

للذهن بذلك الأمر معرفة سابقة، وما دام الأمر الروحانيّ المُعَيَّن والحقّ شيئًا واحدًا، فإنّ
الذهن عندما يذكر أمرًا واحدًا مهما يكن، يذكر الواحد أيضًا. وكذلك القول في الاثنينية
والكثرة. وإذا كان تصوّر الشيء أو القول فيه أمرًا مُستحيلًا بدون الواحد أو الاثنين أو عدد
٤٥ آخر مهما يكن، كيف يجوز في ما يستحيل بدوره تصوّر الشيء أو القول فيه ألا يكون حقًا؟ فإنّ
ما غدا بطلانه مانع من تصوّر الشيء مهما يكن أو من القول فيه، يستحيل عليه القول بأنّه لم يكن
حقًا. بل إنّ ما يحتاج إليه من كلّ وجه لوجود قول أو تصوّر، ينبغي أن يكون حاضرًا بحضور
سابق للقول أو التّصوّر؛ وإنّما على هذا المعنى نعلم إليه لوجود الأمرين كليهما. وإن لم يكن
٥٠ من الواحد بُدْ لقيام كلّ ذات في ما هي عليه في ذاتها، (إذ إنّ الشيء لا يكون حقًا/ ما لم يكن
واحدًا)، كان الواحد قبل الذات ومؤلّدًا للذات. ولذلك كان واحدًا حقًا، ولم يكن حقًا ثمّ
واحدًا بعد ذلك. ففي كونه حقًا وواحدًا كونه ذا كثرة، في حين أنّ كونه واحدًا لا ينطوي على
الحقّ إلّا إذا وضعه وهو يعيل طبعًا إلى تولّده. إنّ القول «هذا الشيء» ليس قولًا عبثًا، بل يعني
٥٥ قيامًا في الذات له دلالة ويُقابل اسم الشيء ذاته. / ثمّ إنّهُ حضور ما، وهو ذات أو حقيقة أخرى
من الحقائق. فلا يدلّ «هذا الشيء» على عبث ما، وليس حالًا من أحوال الذّهن واقعا على
باطل. بل إنّ الشيء ثابت في محلّه وكأنّه لو أقبلنا على الشيء في حدّ ذاته مهما يكن وذكرنا
إسمه الذي به يفرد.

١٤ أمّا ما ورد متعلّقًا بالتضايّف، فالقول الصّواب فيه هو أنّ الواحد ليس بحيث يفقد حقيقة
إذ انفعّل غيره ولم يفعل هو بحال. بل ينبغي له، إن غدا شأنه أن يبطل في كونه واحدًا، أن
٥ يكون قد أصيب بالجرمان من الوحدة بعد تجزّئه إلى اثنين أو أكثر. وإذا أصبح العظم/
الواحد، بعد تجزّئه، عظمين ولم يبطل كونه عظمًا، فإنّما يُعلّل ذلك، لا محالة، بأنّه كان
مع المحلّ، زائدًا عليه وكامئًا فيه، ذلك الواحد الذي فقده العظم وقد أفسده التّجزؤ. وبعد،
فإنّ ما يحضر في الشيء ذاته طورًا، ويغيب عنه تارة، كيف لا نُصنّفه حيثما نجدّه في الأمور التي
١٠ تكون حقًا؟ إنّهُ يطرأ عَرَضًا على هذه الأمور، / لكِنَّه قائم في ذاته حسب ما يظهر عليه في
الجسّيّات أو يكون في الروحانيّات: يقع عَرَضًا في ما كان عنه مُتأخّرًا، ويقوم في ذاته في
الروحانيّات، في المقام الأوّل حيث يكون الواحد ثمّ الحقّ. وإن قال قائل في الواحد إنّهُ، ولو
لم يتغيّر، يبطل في كونه واحدًا إذا أقبل شيء آخر، بل يُصبح اثنين، كان قوله قولًا باطلًا. فإنّ
الواحد لا يُصبح اثنين، ولا ما يُضاف الواحد إليه، ولا هذا المُضاف إليه أيضًا، بل يبقى كلّ
١٥ منهما واحدًا/ مثلما كان عليه. أمّا «الاثنان» فنُقال في المُزدوج من الطّرفين على أن يُقال في
الواحد في كلّ من الطّرفين باقيًا على حاله. فليست «الاثنان» أو «الاثنين» في حدّ ذاتها بعلاقة.

٢٠ أجل لو كانت «الاثنان» قائمة على التلاقي بين أمرين، وكان التلاقي يعني حمل الشيء شيئين، /
 فربما أمسّت «الاثنان» و«الاثنيّة» علاقة في هذه الحال. لكنّ الواقع هو أنّ «الاثنيّة» تُشاهد في
 حال تخالف هذه الحال: إنّما تنشأ «الاثنان» بتجزؤ الشيء الواحد مهما يكن. ليست «الاثنان»
 تلاقياً أو تجزؤاً حتى تكون علاقة؛ وكذلك القول في كلّ عدد. فإن كانت العلاقة هي التي تولّد
 ٢٥ شيئاً، استحال/ على العلاقة المخالفة أن تولّد الشيء ذاته بحيث يكون هذا الشيء هو والعلاقة
 أمراً واحداً. فما عسى أن يكون السبب أصلاً؟ إنّ كون الشيء واحداً هو بحضور الوحدة،
 واثنتين بحضور الاثنيّة، مثلما أنّ كونه أبيض بحضور البياض وحسناً بحضور الحسن وعادلاً
 بأن يكون العدل حاضراً. أو أنّه ينبغي لذلك ألاّ نتصوره كائناً حقّاً، بل نُعلِّله بعلاقات تكون فيه
 ٣٠ قائمة. بهذا المعنى يكون العدل/ عن طريق علاقة مُعيّنة بأمر معيّن، ولا يكون الحسن بكوننا
 على حال نجد معها في الشيء ذاته ما بوسعه أن يجعلنا عليها، ولا يردّ معها على الشيء الذي
 يُظهر حسناً طارئاً زائداً. عندما ترى شيئاً تقول فيه أنّه واحد، فإنّه كبير أيضاً وحسن لا محالة،
 ٣٥ كما أنّه لك أن تذكر فيه آلافاً من الأوصاف. وما دام/ منطوياً على العظم والوقدار، وعلى
 الحلاوة والمرارة والأكياف الأخرى، فلماذا لا يكون منطوياً على الوحدة أيضاً؟ فإنّه لا يجوز
 في كلّ كيف، مهما يكن، أن يكون حقّاً ثمّ لا يكون الكمّ حقّاً هو أيضاً. كما أنّه لا يجوز أن
 ٤٠ يكون الكلّ المتّصل ثمّ لا يكون المتّصل، على أنّ المتّصل يعمد إلى المتّصل في قياساته. /
 مثلما يكون العظيم بحضور العظم إذاً، كذلك يكون الواحد بحضور الوحدة، والاثنان بحضور
 الاثنيّة وهلمّ جرّاً. أمّا البحث عن الاشتراك كيف نتصوره، فإنّه يتّصل بالبحث عن الاشتراك
 في المثل كلّها. لكنّ لا بُدّ من القول في العشريّة إنّها تُشاهد على وجه إن كانت في المتّصلات،
 ٤٥ وعلى وجه آخر في المتّصلات، / وعلى وجه ثالث أيضاً في القوى المتّحدة المقدّرة كثرتها
 بالعشريّة. ثمّ إنّها ترتقي إلى مقام أعلى أيضاً في الروحانيّات. وهناك نجد الأعداد وهي لا
 تُشاهد في غيرها، بل الأعداد وهي على أشدّ ما يكون حقّاً ما دامت قائمة في ذاتها، العشريّة
 ٥٠ المطلقة بالذات، لا عشريّة تضمّ بعضها إلى بعض أموراً روحانيّة عشرة. /

١٥ فلنستأنف أحاديثنا السابقة منذ بدايتها ولنقل في الحقّ الكلّي أنّه هو ذلك الذي كان
 الحقّ حقّاً، وإنّه روح وحيوان كامل، وإنّه يشتمل على الحيوانات كلّها. أمّا وحدته، فإنّ
 حيواننا المحسوس الكلّي يحاكيها على قدر استطاعته بالوحدة التي كانت له. فإنّ
 ٥ المحسوس في حقيقته مُفِلّت من الوحدة الروحانيّة، / ما دام شأنه أن يكون محسوساً. ينبغي
 لذلك الحيوان الكلّي إذاً أن يُسمي العدد الكلّي أيضاً، إذ أنّه إن لم يكن كاملاً لغداً ناقصاً بعدد
 من الأعداد. وإن لم يكن منطوياً على الحيوانات بعددها الكلّي لِمَا غداً هو حيواناً كاملاً من

الرجوه كلها. فالعدد مُتَقَدِّمٌ إِذَا عَلَى كُلِّ حَيوانٍ بما فيه الحيوان الكُلِّيُّ الكامل. ثم إنَّ الإنسان
 ١٠ يكون في العالم الروحانيّ/ على قَدَرٍ ما يكون حَقًّا، وكذلك القول في الحيوانات الأخرى؛
 والعالم الروحانيّ كامل بِقَدَرٍ ما كان حيوانًا. حتّى الإنسان الجِسْمِيّ، إنّما هو جُزءٌ من العالم
 الكُلِّيّ من حيث إنّ هذا العالم حيوان؛ وكلّ حيوان أيضًا، من حيث كونه حيوانًا، إنّما يكون في
 ذلك الحيوان الروحانيّ. لهذا وإنّا نجد في الروح أيضًا، بِقَدَرٍ ما كان روحًا، الأرواح الفرديّة
 كلّها وإنّ كلّها منها لَجُزءٌ من أجزائه، فيكون العدد مَقُولًا فيها أيضًا. وهكذا لم يكن العدد إِذَا،
 ١٥ حتّى في الروح،/ أصلًا. إنّهُ في الروح بمعنى أنّه المقدار الذي تكون به تَحَقُّقات الروح،
 وتَحَقُّقات الروح هي العَدالة والحِكمة والفضائل الأخرى والعِلْم، وكلّ ما إن اشتمل الروح
 عليه روحًا حَقًّا. وكيف يكون العِلْم فيه لا في غيره؟ لأنّ العالم هنا والمعلوم والعِلْم، إنّما يكون
 ٢٠ ذلك كلّهُ مع بعض وهو شيء واحد./ وكذلك القول في الأمور الأخرى. لذلك كان كلّ
 أمر من هذه الأمور في الروح أصلًا وليست العَدالة فيه عَرَضًا. إنّما تكون عَرَضًا في النُفُس
 وبِقَدَرٍ ما تكون النُفُس نفسًا. بل بأن يكون ذلك كلّهُ في النُفُس بالقُوّة أخرى، وهو في النُفُس
 مُحَقَّقًا، ما دامت النُفُس تُوجّه وجهها إلى الروح وتُتحد به. ثمّ يأتي الحَقّ بعد ذلك وفيه يكون
 ٢٥ العدد. مع العدد يُولّد الحَقّ الحقائق مُتَحَرِّكًا بِمُقْتَضَى العدد،/ جاعلاً الأعداد سابقة بِوجودها
 قيام الحقائق في ذواتها، مثلما أنّ وحدته تربطه هو الحَقّ بالأوّل. أمّا الأعداد فلا تعود تربط
 الأشياء الأخرى بالأوّل، إذ إنّهُ يكفي بالحَقّ أن يكون مُرْتَبِطًا به. ثمّ إنّ الحَقّ إذا أصبح عددًا ربط
 ٣٠ الحقائق به. فإنّه ينشطر، لا من حيث كونه واحدًا، بل تبقى وحدته./ وإذا انشطر فَقَدَ لِمَا كان
 عليه في حقيقته إلى القدر الذي أَرادَهُ، تَبَيَّنَ هذا القَدَرُ كم يكون ووُلد العدد الذي كان فيه
 حاضرًا. فإنّه انشطر بِقُوّة العدد ووُلد من الحقائق على قَدَرٍ ما كان العدد. فالعدد الأوّل والحَقّ
 ٣٥ إنّما هو الأصل والمُعِين لقيام الأمور كلّها في ذواتها إِذَا./ ولذلك كان كلّ جُزءٍ من الجُزئيات
 حَقًّا هنا أيضًا مع العدد. فإذا تَلَقَّى الشَّيْء عددًا غير عدده أحدث شيئًا آخر أو لم يُحدث شيئًا قَطُّ.
 على أن تكون هذه الأعداد هي الأعداد الأولى بمعنى أنّها معدودة. أمّا الأعداد الواقعة في
 الأشياء الأخرى فيحصل فيها الوُصفان كلاهما: إنّها معدودة من حيث كونها مُشْتَقَّة من الأعداد
 الأولى؛ ومن حيث إنّها تُجَانِسُ هذه الأعداد الأولى فهي تُحصي الأشياء الأخرى، فتكون
 ٤٠ أعدادًا تُعَدُّ/ وتُعَدّ. فإلى ماذا نَعتمد للقول بالعَشْرَة ما لم نَعتمد إلى ما لديها من أعداد؟

١٦ رُبُّ قائل يقول: هذه الأعداد التي نقول فيها إنّها الأولى وإنها الأعداد حَقًّا، أين
 تجعلونها وإلى أيّ جنس من جنس الحقائق تَرُدُّونها؟ فإنّ الجميع يَرَوْنَ أنّها في «الكَمِّ» ولقد
 ٥ ذكرتم «الكَمِّ» أنتم أيضًا في ما سبق إذ ذهبتم إلى أنّ المُنفصل وجوده بين الأمور مثل المُتصل./

ثم إنكم تقولون في هذه الأعداد إنها أعداد الحقائق الأولى وإن إلى جانبها أعداداً أخرى
تصفونها بأنها أعداد تعدّ. فقولوا لنا كيف ترتّبون بين ذلك كلّ، إن فيه لمشكلة عظيمة. ثم
إن الواحد الكامن في الحسيّات هل هو كمّ ما أو هو الواحد وقد وقع كذا مرّة، فكان هو أصل
١٠ الكمّ فقط/ ولا الكمّ بالذات؟ وإن كان هو الأصل، فهل يُجانس الكمّ أو يُخالفه جنساً؟ فأُضيفوا
واشروا لنا هذه المسائل كلّها. يجب علينا الجواب إذا، مُنطليقيّن ممّا يلي، مُعتمدين
١٥ الحسيّات أوّلاً في قولنا. إنك إن أدركت شيئاً مع آخر وقلت اثنين، كأن تقول كلّاً/ ورجلاً
أو رجلين أو أكثر، عشرة رجال أو عشريّة من الرجال، فليس هذا العدد ذاتاً، حتّى بمعنى ما
تكون الذات عليه في الحسيّات. إنّما هو كمّ فقط. ثم إذا قسّمته إلى وحدات وجعلت هذه
الوحدات أجزاء في تلك العشريّة أحدثت للكمّ أصله وتصرّوته. فإنّ وحدة في العشرة ليست
٢٠ وحدة في حدّ ذاتها. / أمّا إذا أخذت الإنسان بحدّ ذاته وقُلّت فيه أنّه من وجه ما عدد، فهو مثلاً
إثنيّية، حيوان وناطق، فما عدنا أمام المعنى ذاته هنا. بل إنك مُستقرّاً ومُحصياً إنّما تُحدّث
كمّاً. ولكّلك أن تعتمد المحلّ ذا الطرفين اللّذين كلّ منهما واحد، وكلّ منهما مُسهّم في قيام
٢٥ الذات ومُتوحّد في ذاته، إنّما يُشير إلى عدد/ آخر، هو العدد الذاتي. ثم إنّ هذه الاثنيّية ليست
مُتأخّرة ولا تعني كمّاً وارداً على الشّيء من الخارج فقط، بل تدلّ على ما يكون كمّاً في الذات
وعلى ما يجعل الشّيء مُتماهيّاً في حقيقته. فإنّك لا تُحدّث عدداً هنا إذ تستقرى أشياء قائمة في
٣٠ ذواتها حقّاً ولم يتّم لها هذا القيام في الذات بِكونها معدودة. / ولعمري، ما عسى أن يزداد على
الذات لدى إنسان إذا أُحصي مع آخر؟ فإنّك لا تجد قطّ وحدة، مثلما يكون الأمر في الجوقة،
بل قيام العشرة ذاتها التي تُحصى بها الرجال، إنّما يكون فيك أنت الذي تُحصي. كما أنّ قولك
لا يعني العشريّة في هؤلاء الرجال الذين تُحصيهم ما داموا لا يتنظمون في وحدة. بل إنك أنت
٣٥ الذي تُحدّث هذه العشرة إذ تُحصي وتُحدّد بالكمّ. / أمّا في الجوقة فلديك أمر ما مُستقلّ في
الأفراد، وكذلك القول في الجيش أيضاً. وكيف يكون العدد فيك؟ أمّا أمر العدد الباطن السابق
للإحصاء فإنّه أمر آخر. أمّا العدد الناشئ من ظُهوره خارجاً عنك نظرّاً إلى الذي فيك فإنّه تحقّق
لنلك الأعداد أو لِمَا يُناسبها إذ تُحصي أنت وتولّد العدد. ففي هذا التّحقّق إنّما تُحدّث أنت العدد
٤٠ قائماً، / مثلما أنّك، ماشياً، تُحدّث حركة ما قائمة. وما هو الوجه الآخر الذي يكون عليه العدد
الباطن فينا؟ إنّهُ يكون عدد ما نحن عليه في ذواتنا. يقول أفلاطون في ما نحن عليه في ذواتنا إنّ
«له من العدد ومن التّعّم نصيباً»، وهو بدّوره عدد ونعّم. ويقول قائل في ما نحن عليه في ذواتنا
٤٥ إنّهُ ليس جِسْماً ولا عظماً. / فإنّ التّفسّ عدد إذا، ما دامت هي ذاتاً. أمّا عدد الجسم فإنّه ذات
بمعنى ما يكون الجسم عليه. وأمّا عدد التّفسّ فذوات بمعنى ما تكون التّفسّ عليه. وما في
الروحانيّات من أمر هو أنّه إن كان الحيوان بذاته هنالك ذا كثرة، وكانت كثرته مثلاً، ثلثيّة،

باتت هذه الثلاثية في الحيوان شيئاً ذاتياً. أما الثلاثية التي كانت ولما تحل في الحيوان، بل كانت ثلاثية في الحق مطلقاً، فإنها تكون للذات أصلها. وإن عدت حيواناً ثم حسناً، فكل منهما واحد في ذاته،/ أما أنت فقد ولدت فيك عدداً وحقت كمّاً واثنيتية. أما إذا قلت في الفضيلة إنها أربعة أقسام، قابلتك أربعة ما حقاً، أعني أجزاء الفضيلة وهي متوحد بعضها مع بعض. وهي وحدة رباعية، أعني الشيء ذاته، توفق بينها وبين الأربعة التي فيك.

١٧ وبأي معنى يكون العدد الذي يوصف بأنه ليس له نهاية؟ إننا في أقوالنا السابقة نسلّم بأن له حدّاً. وهذا هو الصواب، إن كان عدداً حقاً، إذ إن ما ليس له نهاية يُخالف ما كان عدداً. لماذا نقول في العدد إذا «إنه ليس له نهاية»؟ هل نقول بذلك مثلما نقول في الخطّ إنه ليس له نهاية؟/ ولسنا نعني بخطّ لا نهاية له أنه كذلك حقاً، بل إنه يجوز في الخطّ الأعظم، خطّ العالم الكلّي مثلاً، أن نتصور خطّاً أعظم منه. هل يكون الأمر على هذه الحال في العدد؟ إذا عُرف كمّه ما هو، جاز فيه أن يضاعف ذهنًا بدون أن ترتبط هذه المضاعفة به. فإنّ التصوّر أو التخيل الذي لديك، كيف تستطيع أن تربطه بالاشياء؟/ أو إنّا نقول في الخطّ إنه ليس له نهاية في الروحانيات. وإلا لكان الخطّ هنالك بكمّ. فإن لم يكن خطّاً ما بكمّ، غدا شأنه ألا يكون له نهاية من حيث العدد. أو إنّا نقول في اللانهائيّ إنه بمعنى آخر آنذاك، لا بمعنى أنّه لا تُدرك نهايته. ولكن كيف يكون غير مُتناهٍ؟ ألا، إنّ معنى الخطّ في حدّ ذاته لا ينطوي على حدّ نتصوره. وما عسى أن يكون في عالم الروح خطّاً؟/ وأين يكون؟ إنه بعد العدد، إذ إنّ الوحدة تظهر فيه وهو ينطلق من نقطة مُمتدّة على بُعد واحد، على ألا يكون لهذا البُعد كمّ يقبسه. ولكن أين يكون هذا الخطّ؟ أيكون فقط في الذهن وكأنّه يُحدّده؟ بل إنه شيء، أعني شيئاً نورانيّاً. وكلّ ما كان من نوعه، إنّما يكون نورانيّاً وشيئاً عينيّاً من وجه ما. / فإنّ للسطوح وللجوامد وللأشكال كلّها موضعاً وحالاً، ولسنا نحن الذين نخترع الأشكال صوراً. ويدلّ على ذلك شكل العالم الكلّي المُتقدّم علينا، وأشكال أخرى تكون بقدر ما في الأشياء الطبيعيّة من تشكّلات طبيعيّة هي قبل الأجسام لا محالة وهي في عالم الروح غير مُشكّلة/ مع أنّها هي الأشكال الأولى. فإنّها ليست صوراً في غيرها، بل هي ذواتها حقائق ذواتها ولا تحتاج إلى أن تتمدّد. فالمتمدّد إنّما يُقال في غيره. إنّ في الحقّ إذاً شكلاً هو واحدٌ أبداً، وإنّما يتجزأ في الحيوان أو قبل الحيوان. ولا يتجزأ بمعنى أنّه يصبح بمقدار، بل بمعنى أن كل شكل يخصّص لكل شيء وفقاً لما يكون/ الحيوان عليه، وبمعنى أنه يُخلع على الأجسام السماويّة، فعلى النار السماويّة إن شئت مثلاً، يُخلع الهَرَم السماويّ. ولذلك تُريد النار الدنيويّة أن تُحاكي النار السماويّة وهي عن هذه المُحاكاة عاجزة بسبب الهَيُولى. وعلى هذه الأشياء تجري الأشياء

الأخرى، على نحو ما قيل في الدنيويات. أف تكون الأشكال في الحيوان إذا بقدر ما يكون هو
 ٣٥ حيواناً؟ كلا! بل تكون في الروح قبل ذلك. أجل إنها في الحيوان. ولو/ قام الحيوان مُستميلاً
 على الروح، لكانت الأشكال في الحيوان أوّلاً. أما إن كان الروح قبل الحيوان رتبة أصبحت
 الأشكال في الروح أوّلاً. ولكن ما دامت النفوس قائمة في الحيوان الكامل، كان للروح
 التقدّم. بيد أن أفلاطون يقول في الروح إنه «يُشاهد ذلك القدر كله في الحيوان الكامل».
 ٤٠ وإن كان يُشاهد أصبح متأخراً. إلا أنه يعني بقوله/ «يُشاهد» أن الحيوان يُقدّم في ذاته بتلك
 المشاهدة. فإن المشاهد لا يختلف عن المشاهد، بل الكل واحد في عالم الروح: فالعرفان
 يشتمل على الكثرة منزّهة، أما الحيوان فيشتمل عليها كثره حيوان.

١٨] مهما يكون الأمر، فإن للعدد في الملاء الأعلى حدّاً. إنّما نحن الذين نتصور المزيد على
 ما كان منه مُفترضاً، فيكون ما ليس له نهاية نتيجة إحصائنا بهذا المعنى. أما في عالم الروح
 فيستحيل على التصوّر أن يتجاوز ما تصوّرناه. فقد كان المزيد حاضراً ولم يُقننا، بل لم يكن
 شأنه أن يقوته قطّ عدد مهما يكن، حتّى يُضاف إليه عدد مهما يكن. لكن شأن العدد هنالك ألا
 ٥ يكون/ مُتناهياً لأنه ليس قياس به يُقاس. ولعمري، بماذا يُقاس؟ فإن العدد القائم هو العدد كله،
 واحداً حقّاً، حاضراً بعضه مع بعض، كاملاً لا يُحيط به حدّ مهما يكن، بل هو بذاته حقّاً ما كان
 عليه في ذاته. فإن حقيقة من الحقائق لا تُحدّ بِحدّ مُطلقاً، بل المحدود والمقيس هو ما يحلّ بينه
 ١٠ وبين أن يجري إلى ما ليس له نهاية،/ فيحتاج إلى قياس. أما الروحانيات فهي أقيسة كلّها،
 وهي بذلك حسنة كلّها. فإن الملاء الأعلى من حيث كونه حيواناً هو الحُسن، ذو الحياة
 الفضلى، لا تنقصه قطّ حياة، كما أن الموت لا يشوب حياته. لا موت ولا قبول للموت!
 ١٥ كما أن حياة الحيوان القائم في ذاته ليست حياة خاوية، بل هي الحياة الأولى/ الأشدّ إشراقاً
 والأكثر بصفو الحياة حظاً والتي شأنها شأن النور. من تلك الحياة الروحانية تستمدّ النفوس
 حياتهنّ هنّ أيضاً، ويصطخبنّ بها إذ يأتين إلى هذا العالم. فإن ذلك الحيوان يعرف لماذا يحيا
 وإلى ماذا تتوجّه حياته ومما تنطلق: فحياته خارجة ممّا تتوجّه إليه. تحفّ به حكمة الأمور
 ٢٠ كلّها والروح الكلّي أيضاً مُتحدّين به قائمين معه،/ يضيفان عليه ألوان الخير أشده ويزفحانه
 بالحكمة فيجعلان حسنه جلالاً فوق جلال. فإن الحياة الفاضلة لهي الكرامة وهي الحُسن حقّاً
 حتّى في هذه الدُنيا، ولو كانت تُشاهد متعكّرة؛ إنّما تشاهد هنالك في صفائها. فإنها تمدّ البصر
 ٢٥ بالإبصار والقوة،/ فيزداد حياة ويصبح ما يُبصر بعد أن تكون حياته قد اشتدت. ذلك بأنّ نظرنا
 هنا إنّما يقع غالب الأحيان على ما لا نفس له، وإذا وقع على الأحياء بادّر إليه منها ما كان عديم
 الحياة، فضلاً على أن الحياة الباطنة حياة مشوبة هي ذاتها. أما في عالم الروح فإن كلّ شيء

٣٠ حيوان ويَحيا بحياة كاملة صافية، حتَّى إنَّكَ لو تَصَوَّرْتَ شيئًا لا حياة له أشعَّ على الفور/ هو ذاته بِحَيَاتِهِ. فإذا شاهدت الذات يتخلَّل تلك الأمور، مَنيعًا على كلِّ تغيُّر، يمدُّها بالحياة وبالمعرفة وبالحكمة التي فيها، وحوَّلت نظرك إلى الأمور الدُّنيويَّة بعد ذلك سخرت من ادِّعائها بأنَّها ذات. فمن تلك الذات بقاء/ الحياة وبقاء الروح وثبات الحقائق في أزليها. إن شيئًا لا يخرج منها أو يغيِّرُها أو يزعرعها. ثم إن شيئًا لا يقع حقًّا بَعْدُهَا لِيَتَّصِلَ بها. وإن كان من شيء فيها يكون.

٤٠ وإن كان من شيء يُناقِضها فما يتأثَّر بها لأنَّ الشَّيْء يَنقِضُه لا يتأثَّر. فإن كان هَذَا التَّقْيِضُ/ هو الذات حقًّا لما استطاعت الذات أن تُنشِئَه؛ وإن كان شيئًا غير الذات، لَغَدَا شيئًا قام قبل الذات مُشْتَرَكًا بينها وبين نقيضها، وكان هَذَا الشَّيْء هو الحقَّ. ولذلك كان «برميندس» على صواب في قوله بأنَّ «الحقَّ واحد». وهو مُبرَأ من الانفعال لا بانعزاله عن غيره، بل لأنَّه الحقَّ. فإنَّه، هو وحده، يَسْتَمِدُّ من ذاته كونه حقًّا. وكيف ينتزع نازع الحقَّ ممَّا كان عليه في ذاته أو من أمر آخر، مهما يكن، من الأمور القائمة حقًّا بِقَدْرِها والتي منه تَنبثق؟/ فإنَّه يمدُّها ما دام ثابتًا، وهو ثابت على الدَّوام؛ فهي ثابتة على الدَّوام أيضًا. ثم إنَّه من عِظَمِ الحُسْن والقُوَّة بحيث يجذب الأشياء إليه، فَتَتعلَّق كُلُّها به وتبتهج بِحُصُولِها منه على أثر ممَّا هو عليه في ذاته، ثم تتلمَّس بعد ذلك عن خيرها. فإنَّ كوننا حقًّا، نظرًا إلى ما نحن عليه في ذواتنا، مُتقدِّم على الخير ذاته. وبعْد، فإنَّ هَذَا العالَمَ الجِسِّيَّ كُلَّهُ/ إنمَّا يُريد الحياة والحكمة حتَّى يكون حقًّا؛ وكلَّ نفس وكلَّ روح إنمَّا يُريد أن يكون حقًّا على ما هو عليه في ذاته. أمَّا الحقَّ فهو المُكْتَفِي بما يكون عليه في ذاته.

الفصل السابع

(٣٨)

في كيف نشأت كثرة المثل وفي الخير المحض

١ إن الإله أو أحد الآلهة إذا أرسل النفوس إلى عالم الصيرورة جعل في الوجه عينين مُنيرتين وجهز كل جسد من الحواس بالأعضاء الأخرى. لقد علم يسابق علمه أن نجاة النفس على هذا الوجه تنم، فإذا ابتدرت ببصرها أو بسمعها أو بلمسها تجنبت وطلبت آخر. فأتى كان له سابق العلم بذلك كله؟ لا يصح القول بأن أحياء أخرى نشأت أولاً ثم فسدت وزالت لجرمانها من الحواس، فأمد الإله بعد ذلك بما إذا حصل عليه الإنسان وغيره من الحيوان غدا شأنه أن يأمن شر الانفعال. هذا ورب قائل يقول: كان الإله عالماً بأن شأن الحي أن يتقلب بين حار وبارد إلى ما سيواهما من تأثيرات الأجسام. فلما كان بذلك عالماً/ أمد بالاحساس وبالأعضاء التي بواسطتها تفعل الحواس أفعالها، للحيلولة دون تطرُق الفساد إلى أجسام الحيوانات. إلا أنه إنما أن يُقال في هذه القوى إنها كانت في النفوس أولاً ثم أمد الله بالأعضاء، وإما أن يكون الإله قد أمد بالطرفين جميعاً. فإن كان قد أمد النفوس بالحواس ١٥ أيضاً، باتت غير مُحسنة قبل ذلك على كونها نفوساً؛ أما إذا توافرت لها تلك القوى/ لدى كونها نفوساً، ثم نشأت حتى تصير إلى عالم الصيرورة، غدت مَفطورة على أن تسير إلى الصيرورة. فإنها تنفر طبعاً إذا من أن تكون بعيدة عن عالم الصيرورة وفي عالم الروح. وتكون قد صُنعت حتى تحل في غيرها وفي ما ساء موضعاً. ثم يصبح شأن العناية أن تحفظ النفوس في هذا ٢٠ الموضوع: كذلك يكون الإله قد فكر ودبر، بل كذلك يكون الفكر إطلاقاً. / ولكن ما عسى أن يكون لهذا الفكر من أصول؟ إن الفكر ينبغي له، وإن صدر عن فكر آخر، أن يرتد دائماً إلى شيء أو على الأقل إلى أشياء من قبله. فأياً تكون هذه الأصول؟ ألا إنه الجسد أو الروح. ولكن يرد الفكر ولما يظهر الإحساس. فأصل الفكر هو الروح إذا. إلا أنه إن كان الروح هو المُقدّمات ٢٥ غدت النتيجة علماً، فلا يقع الروح على الإحساس بحال. / فإن ما ينبعث من الروحاني وينتهي إلى الروحاني، كيف تؤدي به حاله إلى أن ينتهي إلى تصور المحسوس؟ لم تنشأ العناية من الفكر إذا، سواء أشملت الحيوان أم شملت العالم الكلي بوجه عام. فليس في عالم الروح تفكير

مطلقاً، بل يُقال التفكير للدلالة على أن الأشياء كلها تجري كأن حكيماً يديرها مُطلقاً من التبصر
 ٣٠ في العواقب. / ويُقال التبصر لأن الحال تستوي وكأن حكيماً تبصر في العواقب. فإن الفكر
 نافع في الأمور التي تقع بعد التفكير بسبب غياب القوة السابقة للتفكير. والتبصر نافع لأن
 المتبصر تنفوته القوة التي لا يعود معها محتاجاً إلى التبصر. فالغاية من التبصر دفع أمر وطلب
 ٣٥ آخر، وكان المتبصر يخشى على الأمر أن يكون على خلاف ما يتصوره. / أما حيث لا يقع إلا
 أمر واحد، فليس من تبصر. ثم إن الفكر يُميز بين شيء وما يُخالفه، فحيث يكون أحد الشئيين
 فقط، ما عسى أن تكون الحاجة إلى التفكير؟ كيف ينطوي ما كان وحده، مُفرداً، وفي حال
 ٤٠ البساطة، على التخصيص: «هذا الأمر، حتى لا يقع ذاك؟» ذلك بأنه كان من شأن/ «هذا الأمر»
 أن يقع، إن لم يكن «ذاك» ممّا يقع، فيبدو الأول نافعاً ومُنجّياً إذا ما وقع. كان في الأمر سابق
 عِلْم وتُفكير إذا. ولقد ذكرنا في مُستهلّ حديثنا أن هذا هو الذي دفع الإله إلى أن يُعطي الحواس
 ٤٥ والقوى ولو كان هذا الإعطاء وكيفه في مُنتهى الإشكال. فإن وجب/ في كل فعل من أفعال الإله
 أن يكون كاملاً، أصبح من المُتكر، في كل شيء يصدر منه، مهما يكن، ألا نتصوره كاملاً
 كله. ينبغي لكل فعل من أفعاله، مهما يكن، أن ينطوي على الأشياء كلها. ينبغي لهذه الأشياء أن
 تُلَازِم كونه حقاً على الدوام، بل تُلَازِم كونه حقاً في المُستقبل على معنى كونه حقاً إنّما يقع في
 ٥٠ حاضر مُستور. / والحق أنه لا يقع في ذلك الأمر شيء مُتأخراً، بل ما كان فيه هناك حاضراً إنّما
 يحدث بعد ذلك في غيره. فإذا كان المُستقبل حاضراً، وجب في حضوره أن يُمسي بحيث يكون
 هو معني سابقاً لما سيقع بعد ذلك. ولهذا يعني أنه لا يحتاج إلى شيء، أي أنه لا ينقصه شيء
 قَط. كان كل شيء قائماً إذاً، وكان قائماً أزلاً بمعنى أنه كان يجوز فيه أن يقال بعد ذلك إن «هذا»
 ٥٥ بعد «ذاك». فإذا تمدّد وانبسط، / إن جاز لنا القول، استطاع أن يُبين «هذا» بعد «ذاك»، على أن
 يكون كله «هذا» ما دام بعضه مع بعض، أي أن ينطوي على العلة في ما كان هو عليه في ذاته.

٢ لذلك كان بوسعنا أيضاً، مُنطلقين من هذه الأقوال، أن نعرف حقيقة الروح معرفة لا
 يُستهان بها، وهو حقيقة تُشاهد منها بأوفر ممّا تُشاهد من غيرها، إلا أننا لا نُشاهد كُنه الروح ما
 هو قدره. إنّما نُسلم «بكونه» قائماً بدون أن نعرف «لِم»، أو إنّ سلّمنا بذلك، سلّمنا به شيئاً ثابتاً
 ٥ على حياله. فإننا نرى إنساناً أو عيّناً، إن صادف الحال، على أنه يتمثال أو أنها عين في يتمثال. /
 ولهذا يعني أن «الإنسان» في الملاء الأعلى إنّما يكون «لِم هو» الإنسان أيضاً وإن وجب في
 «الإنسان» ذاته أن يكون هناك أمراً نورانياً. وكذلك القول في العين و«لِم هي»، وإلا لما
 قامت مُطلقاً لو لم تكن «لِم هي» أيضاً. أما في عالمنا، فإن كل جزء من الأجزاء يكون على
 حياله، فيكون «لِما هو» الشيء على هذا الوجه أيضاً. ففي الملاء الأعلى إنّما تكون الأشياء كلها

١٠ في شيء واحد، فيغدو الأمر و«لِمَ هو» الأمر أمرًا واحدًا/ على أنه يحدث للشيء هنا غير مرة أن يُمسي هو و«لِمَ يكون» شيئًا واحدًا، كالكُسوف مثلاً. وما عسى المانع الذي يمنع في الحالات الأخرى، من أن يغدو الشيء «لِمَ هو» أيضًا فيُصبح لِمَ يكون الشيء هو الشيء بذاته؟ بل إنه ما من ذلك بُدٌّ. والذين يُحاولون من هذا الوجه إدراك الشيء على ما كان عليه ١٥ في ذاته هم من أمرهم على شاكلة الصواب. ذلك بأن ما كان الشيء/ عليه في ذاته إنما هو «لِمَ يكون». ولست أعني أن المثال هو لكل شيء كونه حقًا (فإن هذا صحيح أيضًا)، بل أعني أنك إذا أخذت المثال ذاته في حد ذاته وبسطته وجدت فيه «لِمَ كان». لو كان مثالاً عاطلاً عن الفعل حقًا لما اشتمل قطُّ على «لِمَ كان»، بالرغم من كونه حيًّا. لكنّه مثال حقًا وهو من الروح حقًا، ٢٠ فأنتى يستمد له «لِمَ يكون»؟ إن قلنا: / من الروح، فإنه ليس مُنفصلاً عن الروح إن كان الروح، على الأقل، هو ذاته ذاك المثال. وإن لم يكن بُدٌّ من أن ينطوي الروح على المُثل كلها كاملة، فلن يفوت هذه المُثل «لِمَ يكون» بحال. إنما نجد في الروح «لِمَ يكون» بحيث يُصبح كل ما فيه على هذه الحال أيضًا. أما الأمور التي ينطوي عليها فإنه هو ذاته كل أمر من الأمور التي ينطوي ٢٥ عليها، فلا حاجة بعد ذلك، للسؤال عن الأمر «لِمَ كان». / فإنه، في الآن نفسه، كان وقام مُنطويًا في ذاته على عِلَّة قيامه في ذاته. وما دام شيء لا يستوي مُصادفةً واتِّفاقًا، استوى وهو لم يقته «لِمَ يكون»، بحال، بل كان حاصلًا على كل أمر من أموره، فغدا في الآن ذاته مُنطويًا على كون عِلته فيه بأحسن ما يُرام. ثم إنه يمدُّ الذي يأخذ منه بأن يتوافر له «لِمَ يكون». هذا وإن ٣٠ عالمنا الكلِّي القائم/ من أمور كثيرة إنما يتشابه فيه بعض الأشياء ببعضها الآخر، ونجد في كون الأشياء كلها مع كل شيء «لِمَ يكون». ثم إن الجزء في كل شيء يُشاهد في علاقاته مع الكل، فلا ينشأ هذا ثم ذاك بعده، بل تقوم الأشياء معًا كلها وهي مُتَّصلة بعضها ببعض سببًا ٣٥ ومُسببًا. / أقول إن كانت الأشياء الدنيوية مُتَّصلة كذلك بالكل ومُتَّصلة بعضها ببعض، فبأن تكون الأمور الروحانية كلها مُتَّصلة بالكل وكل أمر بذاته أشدَّ حرّيةً أيضًا. إن كان لتلك الأمور إذا قيام بالذات مُتَّصلة بعضها ببعض ولم يكن بالاتِّفاق والمُصادفة، ووجِبَ فيها ألا يغدو بعضها مُنفصلاً عن بعض، أمست المُسببات فيها مُنطوية في ذاتها على أسبابها. فضلًا على أن كلّ منها ٤٠ يغدو بحيث يُصبح شأنه أن يكون بدون سبب، مُنطويًا على سببه. / وإن لم يكن ليكونها حقًا سبب، وكانت مُكتفية بذاتها، قائمة وحدها بدون سبب، غدت مُنطوية في ذاتها مع ذاتها على أسبابها. على أن نقول أيضًا في الملا الأعلى إنه ما دام أمر، لا يقوم فيه عبثًا، وما دامت الكثرة في كل أمر هي كل ما يشتمل الأمر عليه، غدا بوسعنا أن نُبين في كل أمر «لِمَ يكون». وبالتالي ٤٥ كان «لِمَ يكون» الأمر مع الأمر يُلازمه في الملا الأعلى على أنه ليس «لِمَ يكون» الأمر/ بل «كون» الأمر قائمًا حقًا؛ وبأن يستوي الطرفان كلاهما واحدًا أخرى. فما عسى أن يكون للأمر

فوق الروح، فيغدو كآته أمر يعرفه الروح وهو بحيث يُمسي أمرًا ناقصًا؟ وإن كان كاملاً استحال
تعيين الشئ الذي يتقصه، والقول فيه «لَمْ كان» غائبًا. لكنّه حاضر، فيسعدنا أن نقول «لماذا كان»
٥٠ حاضرًا. وهكذا نجد «لَمْ يكون» الشئ في قيام الشئ في ذاته. / فلذَى كُلّ تصوّر وتحقّق ما
يقع نراه لدهيما مع الإنسان مثلاً: إن الإنسان كلّهُ يُباير إلينا حاملاً معه لذاته ما يكون عليه في
ذاته، وما دام حالاً مُشتملاً على كلّ ما يتضمّنهُ منذ بدايته، كان منذ بدايته إنساناً مُجهّزاً كاملاً.
وبعد، فإن لم يكن كلّاً بل وَحَسْب فيه أن يُزاد عليه شيء ما، لَأَمسى أمرًا صائرًا. لكنّه أمر
٥٥ أزلّي، إنّما هو قائم كلّاً إذًا: / أما الإنسان الذي ينشأ فهو إنسان يصير.

٣ وما عسى أن يحول بينه وبين أن يكون بعد تَرَوُّ وتصميم؟ الواقع هو أنّه على مثال
الإنسان الروحانيّ، فيجب ألاّ يُحذف منه أو يُضاف إليه شيء ما. بل التّصميم والتّروّي إنّما
يُعتمدان في حال الافتراض: فإنّ أفلاطون يفترض الأشياء حادثة، وعند ذاك يصحّ التّصميم
٥ والتّروّي. لكنّه بنعته الأشياء «في صيرورة دائمة» ينفي عنها كونها موضوعاً للتّروّي. / فليس
للتّروّي في ما يدوم مجال. وإلاّ لكان ذلك صُنِع من غُفْل عن الأشياء كيف كانت. فضلاً على أنّه
لو ازدادت الأشياء حُسناً مع تواليها، لفاتها الحُسْن في أوائلها. أما وقد كانت مع حُسْنها، فلها
أن تبقى على حالها. وهي حَسَنَة ما دامت مع السّبب. فإنّ الشئ، حتّى في العالم المَحسوس،
١٠ إنّما هو حُسْن لآته هو كلّ أجزائه؛ والمثال مثال/ بكونه الأجزاء كلّها وبكونه قابضاً على
الهيولى. وهو قابض عليها ما دام لا يدع شيئاً منها خارجاً عن حوزة الصورة. وهو فاعل إن
فاته صورة من الصّور كالعين مثلاً أو جزء آخر مهما يكن. ممّا يُؤدّي إلى أن يكون إثبات السّبب
إثباتاً للأجزاء كلّها. فلماذا العَيْن؟ حتّى يكون الكلّ بكلّ أجزائه. ولماذا الحَوَاجِب؟ حتّى يكون
١٥ الكلّ بكلّ أجزائه حتّى ولو قُلّت في جزءٍ إنّهُ للوقاية، / قُلّت فيه إنّهُ للذات حافظ، وهو معنى
داخل في الوقاية، أي أنّه مُسهّم في قيام الذات. وبهذا المعنى كان الإنسان ذاتاً قبل أن يكون
ذلك الجزء، وكان السّبب أيضاً جزءاً من الذات، وهو يختلف عن الذات على كونه من الذات
مهما يكن عليه في ذاته. إنّ الأجزاء كلّها بعضها لبعض إذًا، وإنّ الذات جميعها كاملة شاملة،
٢٠ وإنّ القيام في الحُسْن/ هو مع الذات وفي السّبب. ثمّ الأمر في ذاته، و«كونه» حقّاً، و«لَمْ
كان»، كلّ ذلك إنّما هو قائم في وَحدة. لقد ثبتت بالتالي قوّة الإحساس إذًا، وهي بحيث تكون
واحدة بمثالها. وهي ثابتة بِضُرورة الروح الأزلّيّة وبكَماله الأزلّي، إذ ينطوي في ذاته، ما دام
٢٥ كاملاً، على الأسباب، فنرى نحن بعد ذلك أنّه كان يصحّ في الحال أن تُمسي مثلما هي عليه. /
فإنّ السّبب في عالم الروح أمر واحد، وقد أدرك تمامه، وما كان الإنسان هنالك روحاً فقط ثمّ
زيد فيه الحُسْن عندما دُفِع إلى عالم الصّيرورة. وإن ثبت الجِسْن وكان على ما وصفنا فما بال

٣٠ الروح لم يمل إلى العالم الجسّي؟ وما عسى أن يكون الجسّن/ إن لم يكن قُوّة بها يُدرك المَحسوس؟ وكيف لا تَسْتَقْبِح قُوّة حِسِّيّة ثابتة أزلًا في المَلَأ الأعلى مقرونة بإحساس يقع في العالم المَحسوس؟ وكيف لا تَسْتَهْجِن تلك القُوّة التي تقوم هنالك ثم تَحَقِّقُ فِعْلًا عندما تنحط النَّفْسُ في مَقامها؟

٤ وينبغي لِحَلِّ هذه المُشكلة أن نعود إلى الإنسان في المَلَأ الأعلى ونُدركه بما يكون عليه في ذاته. بل رُبّما كان من الأصَحَّ أن نَتَبَيَّنَ أَنَّ الإنسان هنا ما عسى أن يكون عليه في ذاته خوفًا من أن نبحث عن الإنسان الروحاني كَأَنَّا عن الإنسان الجسّي في غَيِّ ونحن لا نزال نجهل ما هو. ٥ بل رُبّما ظهر لبعضهم أَنَّ هذا الإنسان وذاك هما كلاهما/ الإنسان الواحد ذاته. فلننطلق في بحثنا من ههنا. هل يختلف هذا الإنسان المحسوس بِمعناه عن النَّفْس التي تُحوِّله ثُمَّ تُمدّه بِحَيَاتِهِ وَفِكْرِهِ؟ أَوْ تكون النَّفْس على هذه الحال هي الإنسان بالذات؟ أم الإنسان هو النَّفْس مُسَخَّرَةٌ لَهَا جِسْمًا مُعَيَّنًا؟ وَلَكِنْ/ إن كان الإنسان حيوانًا ناطقًا وكان الحيوان من نفس وجسد لم يكن الإنسان بهذا المعنى هو النَّفْس بالذات. بل إن كان معنى الإنسان أمرًا من نفس ناطقة وجسد، كيف يُصْبِح قائمًا أزلًا ثُمَّ لا يَتِمُّ الحُدُوث لمعنى ذلك الإنسان الذي وصفنا إلّا لدى ١٥ التَّقَاءِ نفس بجسد؟ فشان هذا المعنى إِمّا أنه يَدَلُّ على ما من شأنه أن يكون حَقًّا، لا بمعنى ما نقول فيه إِيَّاهُ الإنسان بالذات، بل هو بأن يُشَبِّه الحَدَّ أُخْرَى. مع العِلْمِ بأنَّ هذا الحَدَّ هو بحيث لا يَدَلُّ على الشَّيْءِ ما كان عليه في ذاته. كما أَنَّهُ لا يتناول المثال الواقع في الهيولى، بل يَدَلُّ على ٢٠ المُركَّب وقد قام واستوى. فإن كان ذلك كذلك أَصْبَحْنَا وَلَمَّا نَكْتَشِفِ الإنسان ما هو،/ مع أَنَّهُ كان هو الذي وافق معنا. وإن قال قائل في المعنى «أَنَّهُ يجب فيه، إن كان من هذا القبيل، أن يَغْدُو مُرَكَّبًا بِوَجْهِه ما، دالًّا على أمر في آخر»، فَإِنَّهُ لم يُبَالِ بِتَحْدِيدِ الشَّيْءِ ما يكون عليه في ذاته، مع أَنَّهُ ما من الأمر بُدٌّ. وإن كان لا بُدَّ بِخَاصَّةٍ من تَحْدِيدِ لِمَعْنَى المَثَلِ الواقعة في الهيولى ٢٥ والمصحوبة بها، وَجَبَ أَيْضًا إدراك المعنى الذي يجعل الشَّيْءَ شَيْئًا،/ كمعنى الإنسان مثلاً. وقد نخَصُّ بالذكر هنا هؤلاء الذين يدَّعون، لدى الشَّيْءِ في ذاته، أَنَّهُمْ يُحَدِّدُونَ ما كان عليه في ذاته حَقًّا، عندما يَتَوَخَّوْنَ تَحْدِيدًا صَحِيحًا. فما عسى أن يكون للإنسان كونه حَقًّا أعني: ما عسى أن تكون الحقيقة التي جعلت الإنسان حاضِرًا في واقعه، على أن تكون في الإنسان مُستقرّة، لا عنه مُستقرّة؟ هل معنى الإنسان هو أنه حيوان ناطق؟/ أم يكون الحيوان هو المُركَّب والمعنى المقصود بالذات حيثنْذ هو ما يصنع الحيوان ناطقًا؟ وما عسى أن يكون المعنى بحدِّ ذاته حَقًّا؟ وإن شئتَا فلنقل في الحيوان إِيَّاهُ يحلُّ في المعنى الذي نقصده محلّ الحياة الناطقة. فيُصْبِح الإنسان حياة ناطقة أم تكون حياة من غير نفس؟ إِنَّ النَّفْسَ إِمّا أن

٣٥ تكون هي التي تضمن الحياة الناطقة ويُسمى الإنسان تَحَقُّقًا من تَحَقُّقاتِ النَّفْسِ دون أن يكون ذاتًا؛ وإما أن نقول في النَّفْسِ / إنها هي الإنسان بالذات. ولكن غدا شأن النَّفْسِ الناطقة أن أمسى كونها الإنسان، فكيف يَظَلُّ كون النَّفْسِ إنسانًا إذا ما انتقلت إلى حيوان آخر؟

٥ ينبغي للإنسان إذا أن يكون معنى يختلف عن النَّفْسِ. وأيُّ مانع يمنع الإنسان من أن يكون مُرَكَّبًا ما، أعني نفسًا في معنى من الطَّرَازِ الذي وصفنا على أن يكون المعنى بمترلة تَحَقُّقٍ يُجَانِسُهُ، وهو تَحَقُّقٌ لا ينفصل عن مُحَقِّقِهِ بِحَالٍ؟ هُذِي هي حال البُنى المعنوية في البُذور: / إنها منفوسة وليست نفوسًا بِوَجْهِ الإطلاق. فالبنى المعنوية التي تصنع إنما هي منفوسة، ولا عَجَب في ذوات من هذا الطَّرَازِ أن تكون بُنى معنوية. لكنَّ البنى المعنوية التي تصنع الإنسان، ما هو نوع النَّفْسِ التي تعود إليها من حيث كونها تَحَقُّقاتٍ؟ إلى النَّفْسِ النَّبَاتِيَّةِ؟ كَلَّا بل إلى النَّفْسِ التي تصنع الحيوان، / إذ إنها أشدُّ ظُهورًا وهي بذلك أوفر حياة. ثم إنَّ النَّفْسِ على هذه الحال، إذا أقبلت على هوى من قبيلها، غَدَّت بِكونها في ما هي عليه في ذاتها، وكأنها الإنسان، قائمة كذلك على حالها وبدون الجسد. فإذا شكَّلت في الجسد صُورًا من طرازها، وأحدثت من الإنسان أثرًا آخر بقدر ما يكون الجسد قد تلقى / (ولهذا هو الإنسان الذي يرسم الرِّسَامُ رسمه فيُخْرِجُهُ إنسانًا أَحْسَنَ أيضًا)، توافرت لها الصورة والمعاني والعادات والأحوال والقوى. وعند هذا الحد لا تزال كلها مطموسة المَعَالِمِ لأنَّ الإنسان في هذا المقام ليس هو الإنسان الأول، كما أنها تتوافر لها حيثُ أنواع الإحساس المُختلفة. ويبدو هذا الإحساس، على اختلاف أنواعه، إحساسًا مُشْرِقًا، ولكنه على جانب من الكَدَرِ لا يُسْتَهَانُ به نظرًا إلى تلك الإحساسات المُتَقَدِّمة عليه والتي أصبح هو صورة لها. / أما الإنسان الثابت فوق ذلك الإنسان الثاني فهو إنسان نفس أقرب إلى الآلهة، تشتمل على إنسان أفضل وعلى إحساسات أشدَّ إشراقًا. ولهذا هو الإنسان الذي يعنيه أفلاطون بِتَحْدِيدِهِ، إذ يُضِيفُ قوله في النَّفْسِ إنها «تُسَخَّرُ الجسد»، فيعني أنها تُشْرِقُ على النَّفْسِ التي تستخدم الجسد مُبَاشَرَةً في حين أنها هي تفعل ذلك بِتَوَسُّطٍ. / ذلك بأنَّ الذي ينشأ حقًا، إذا صار ذا إحساس، تعقَّبَتْ هذه النَّفْسِ العُلْيَا وخلعت عليه حياة أشدَّ ظُهورًا. أو الأخرى بالقول هو أنها لم تتعقَّبْ، بل غدت كالْمُنْظَمَةِ بذاتها إليه. فإنها لا تُغَادِرُ العَالَمِ الروحانيَّ بل تبقى مُتَّصِلَةً به وهي قابضة على النَّفْسِ السُّفْلَى التي تتدلى منها، إن جاز لنا القول، فتُدْمَجُ الأولى بالأخرى / إدماج بُنْيَةٍ معنوية بِبُنْيَةٍ معنوية. فلا غَرْوَ إنَّ أصبح إنسانًا، على كونه كثيرًا، ذا تَجَلٍّ وإشراق.

٦ ولكن كيف تقع في تلك النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ قُوَّةُ الإحساس؟ ألا، إنها قُوَّةُ إحساس تُدْرِكُ ما

قد يكون جسدياً في الملاء الأعلى ينحو ما تكون عليه الجسديات هنالك . على هذا النحو الروحاني
يُجسّن الإنسان الأفضل بالتّغم الجسّي: فإنّ الإنسان صاحب القوّة الجسّيّة يتلقّى التّغم بحواسّه
٥ فيؤلّف بينه وبين آخر ما ينتهي إلينا من التّغم الروحاني. / كما أنّه يؤلّف بين النار هنا والنار
هنالك، وهي النار التي تُدرِكها تلك النّفس الشّريفة بإحساس يُلائم طبيعة النار الروحانيّة. ولو
غدّت هذه الأمور جسمانيّة في الملاء الأعلى، لكان لتلك النّفس إحساس بها وإدراك. فالإنسان
١٠ الروحاني، أعني تلك النّفس على ما وصفناها، إنّما يُدرِك هذه الأمور. / ممّا يُؤدّي بالإنسان
متأخّراً، وهو للأوّل أثره، أن ينطوي مُحاكاة على معانيها. فيكون الآدميّ القائم في الروح
منطويّاً على الآدميّ المتقدّم على الآدميين كلّهم. ثمّ إن الإنسان الأوّل يشعّ بنوره على الثاني،
وهذا على الثالث الذي يشتمل، بوجه ما، عليهما كليهما، لا بمعنى أنّه قد تحوّل إليهما، بل
١٥ بمعنى أنّه أصبح في جوارهما. فيفعل الإنسان في كلّ ممّا أفعاله على نهج الإنسان/ الأخير.
ولكن قد يأتيه فعله بشيء من الإنسان المتقدّم عليه، وقد يأتيه بشيء من الإنسان الأوّل أيضاً.
فيقدّر كلّ بما فعل وهو، مع ذلك، مُشتجّل على المقامات الثلاثة كلّها وغير مُشتجّل عليها أيضاً.
أمّا الحياة العلّيا، فإنّها عن الجسم مُنفصلة، والإنسان الأعلى أيضاً. وإذا التّحقت الحياة الثانية
بالجسد، والتّحقت به غير مُنفصلة عن الملاء الأعلى قيل فيها إنّها ثابتة حيث تكون الأوّلى
٢٠ ثابتة. / أمّا إذا أخذت النّفس جسماً بهيميّاً فقد يُدرِكنا العجّب من مذهبها هذا وهي إنسان في
معناها. لكنّها كانت الأشياء كلّها فتتشكّل تارة بشيء وطوراً بآخر. فإنّها ما دامت على طهارتها
٢٥ ولم يُدرِكها شرّ، تُريد الإنسان وهي إنسان: فإنّ هذا خير ما يُرام وهي تصنع خير ما يُرام.
لكنّها قبل ذلك تصنع الجانّ أيضاً، وهم يُجانسون بالمثل النّفس التي تصنع الإنسان، على أن
يكون الذي قبلها جيّاً أعظم، أو يكون بالأحرى ربّاً. فإنّ الجنّ يُشيء الرّبّ وهو مُرتبط به ارتباط
الإنسان بالإنسان الروحاني، لأنّ ما يرتبط الإنسان به لا يُقال فيه إنّهُ ربّ. فإنّ الإنسان يختلف
٣٠ عن الإله اختلاف/ بعض النّفوس عن بعضها ولو كانت كلّها من أصل واحد. على أنّه ينبغي لنا
أن نعني بالجانّ نوع الجانّ الخاصّ الذي يقصده أفلاطون. وإذا جاءت النّفس المُرتبطة بالتي
كانت يوماً ما إنساناً وأقبلت، بعد اختيارها الطّبيعة البهيمة، أعطت لذلك الحيوان معناه وهو
٣٥ ثابت فيها. فإنّها مُشتملة عليه، ولكن تحقّقها بالذات/ إنّما يكون حينئذٍ تحقّقاً خسيّاً.

٧ ولكن إن أدركها الشرّ وانحطّت مقاماً فجعلت الطّبيعة البهيمة، لم تكن في بداية أمرها
لأن تصنع ثوراً أو جواداً، فلم تُصبح بُنية الجواد المعنوية ولم يمسّ الجواد ذاته شيئاً مُنافياً
للطّبيعة. كلّاً تُصبح أقلّ شأنًا لكنّها لا تتنافى في الطّبيعة في وضعها، إذ إنّ شأنها بوجه ما ومنذ
٥ بدايتها أن تُسمي جواداً أو كلباً. إذا استطاعت صنعت خير ما يُرام، وإن لم تستطع أتت/

بالممكن: فأقل ما يقال فيها إن الصُّنْعَ وظيفتها. كذلك يفعل الصانع الذي يعرف أن يخرج
بصُّنْعِهِ أَشْكَالًا كثيرة: فإما أن يصنع ما كان به مُكَلَّفًا، وإما أن يخرج ما أرادت المادَّة أن تطاوعه
عليه. وما عسى أن يمنع قُوَّة النَّفْس القائمة على الكلِّ، ما دامت هي معنى ينطوي على الأشياء
١٠ كلها، من أن تضع، / قبل أن تنبعث منها القُوَّة النَّفْسِيَّة، تَصْمِيمًا يكون بِمَنْزِلَةِ مَعَالِم تُشْرِقُ فِي
الهِيُولَى. فإذا تَنَبَّعت النَّفْس الصانعة هذه الآثار ووصلتها جُزْءًا بِجُزْءٍ صنعت، وصارت، هي
١٥ النَّفْس الجُزْئِيَّة، مُتَشَكِّلَةٌ بِالْأَمْرِ الذي عليه أَقْبَلت. أَوَلَيْسَ هَذَا حَالُ مَنْ كَانَ فِي حَلْبَةٍ رَقَصَ
ليأخذ نفسه بالعمل المسرحي الذي به كُلف؟ وَلَكِنْ هَذَا أَمْرٌ إِنَّمَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ بِاسْتِرْسَالِنَا مَعَ
التَّسْلُسِ فِي النَّتَائِجِ. أَمَّا مَوْضُوعُنَا فَكَانَ فِي الْإِنْسَانِ كَيْفَ يَتَوَافَرُ لَهُ الْإِحْسَاسُ، وَفِي الْأُمُورِ
الروحانيَّة كيف لا يقع نظرها على عَالَمِ الصَّيرُورَةِ حيثنَّذ. ولقد تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ الْأُمُورَ الروحانيَّة كما
٢٠ دَلَّ الْبُرْهَانُ عَلَيْهِ لَا يَظْهَرُ عَلَى الْجِسِّيَّاتِ هُنَا، بَلْ تَرْتَبِطُ الْجِسِّيَّاتُ بِالروحانيَّاتِ وَتُحَاكِئُهَا.
كما أَنَّ الْإِنْسَانَ الْجِسِّيَّ إِنَّمَا يَسْتَمِدُّ مِنَ الْروحانيَّاتِ القُوَّةَ التي يَتَوَجَّهُ بِهَا وَجْهَهُ إِلَى عَالَمِ الْروحِ،
فتكون الْجِسِّيَّاتُ هُنَا مُقْتَرَنَةً بِالْإِنْسَانِ الْجِسِّيِّ وَيَكُونُ مَا يُجَسِّنُ بِهِ هُنَاكَ مُقْتَرِنًا بِالْإِنْسَانِ
الروحانيِّ. فَإِنَّ مَا سَمِينَاهُ جِسِّيَّاتٍ هُنَاكَ لِأَنَّهَا مُنْزَهَةٌ عَنِ الْجِسْمَانِيَّةِ عَلَى كَوْنِهَا مُدْرِكَةٌ
٢٥ بِإِدْرَاكِ آخَرٍ، / وَإِنَّ مَا سَمِينَاهُ الْإِحْسَاسَ هُنَاكَ بِكَوْنِهِ إِدْرَاكًا أَضْعَفُ مِنَ الْإِدْرَاكِ الْروحانيِّ
الْمَحْضِ، لِأَنَّهُ كَانَ إِدْرَاكَ أَجْسَامٍ، إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ، مَحْسُوسًا وَإِحْسَاسًا، أَشَدُّ بَيَانًا وَإِشْرَاقًا.
ولذلك كَانَ الْمُجَسِّنُ هُنَا، لِأَنَّهُ فِي الْمَقَامِ الْأَسْفَلِ، مُدْرِكًا لِلْسُّفُلِيَّاتِ وَهِيَ لِلْعُلُويَّاتِ صُورٌ. مِمَّا
٣٠ يُؤَدِّي بِالْإِحْسَاسِ هُنَا إِلَى أَنْ يُسَمَّى عِرْفَانًا مَغْشِيَّ الْجَوَانِبِ، / وَبِالْعِرْفَانِ هُنَاكَ إِلَى أَنْ يَكُونَ
إِحْسَاسًا سَاطِعًا بِإِشْرَاقِهِ.

٨ هذا ما نقوله في قُوَّة الْإِحْسَاسِ. لَكِنْ يُقَابِلُنَا الْآنَ السُّؤَالُ فِي الْجَوَادِ الْكُلِّيِّ وَفِي كُلِّ مِنْ
حيوانات المَلَأِ الْأَعْلَى، لِمَاذَا لَا يُرِيدُ أَنْ يُحَوَّلَ نَظَرُهُ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ الْجِسِّيَّةِ؟ وَإِنْ اكْتَشَفَ
صورة الْجَوَادِ الْعِرْفَانِيَّةِ، فَهَلْ فَعَلَ حَتَّى يَنْشَأَ هُنَا جَوَادٌ أَوْ حَيَوَانٌ آخَرُ؟ وَلَكِنْ كَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ
٥ يَتَصَوَّرَ الْجَوَادَ وَقَدْ كَانَ مُرِيدًا صُنْعَ الْجَوَادِ؟ فَالْأَمْرُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ / هُوَ أَنَّ صُورَةَ الْجَوَادِ
بِطَرِيقِ الْعِرْفَانِ كَانَتْ حَاضِرَةً، إِنْ كَانَ مُرِيدًا صُنْعَ الْجَوَادِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلصُّنْعِ تَصَوُّرٌ حَتَّى يَقَعَ، بَلْ
كَانَ الْجَوَادُ الْمُنْزَهَ عَنِ الصَّيرُورَةِ أَوَّلًا قَبْلَ الَّذِي أَصْبَحَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَحْدُثَ بَعْدَ ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ
قَبْلَ كَوْنِهِ فِي الصَّيرُورَةِ وَلَمْ يَتَصَوَّرْ عِرْفَانِيًّا حَتَّى يُصْبِحَ حَادِثًا، غَدَا الْمُشْتَمِلَ عَلَى الْجَوَادِ
١٠ الْروحانيِّ / مُشْتَمِلًا عَلَيْهِ مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهِ غَيْرِ نَازِلٍ إِلَى الْأَشْيَاءِ الدُّنْيَوِيَّةِ. كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
مُشْتَمِلًا عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ لِيَصْنَعَ شَيْئًا دُنْيَوِيًّا، بَلْ كَانَتْ الْروحانيَّاتِ ثُمَّ غَدَتْ الْجِسِّيَّاتِ تَابِعَةً
لِهَا بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ إِذْ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ تَجَاوَزَ مَا قَامَ هُنَاكَ بُدٌّ. وَمَنْ يَسْعَى أَنْ يُمَسِّكَ قُوَّةَ قَادِرَةٍ

على البقاء في ذاتها وعلى الانطلاق من ذاتها؟ ولكن لماذا تكون تلك الحيوانات في الملاء الأعلى؟ وما عسى أن يعني قيامها في الله؟/ أما الناطقة منها فأمرها معقول؛ لكن هذه الكثرة الوفرة من البهائم، فما هي حرمتها؟ بل ما أحطَّ خِسَّتْها؟ فالأمر الذي نحن في صدد، إنما ينبغي له لا مُحَالَة أن يكون ذا كثرة ما دام واقعاً بعد الذي كان واحداً بوجه الإطلاق. وإلا لما غدا أمرنا بعد الواحد المطلق، بل كان كلاهما أمراً واحداً. / وما دام بعد الواحد المطلق لم يكن لَيَقُوتَه تَوَحُّداً، بل يقع دونه. ثم ما دام الأشرف قائماً في الوحدة وَجَبَ فيه أن يقوم هو في الكثرة، إذ إنَّ التَّخَلُّفَ يقتضي فيه كثرة. فما عسى أن يمنع أمرنا من أن يقوم في الأثنيَّة؟ هو أنَّ كلاً من طرفي الأثنيَّة لا يصحُّ فيه أن يكون واحداً بوجه الإطلاق، بل يُسمي شأن كلِّ طرف أن يكون بِحَدِّينَ على الأقل، وكذلك القول في هذين الحَدِّينِ بِدَوْرِهِمَا. ثمَّ إنَّه كانت الأثنيَّة الأولى مُشْتَمِلَةً على الحركة والسكون، / وكان هو مُنْطَوِّياً على الروح وعلى الحياة، أعني الروح الكامل والحياة الكاملة. وهكذا لم يكن، أمراً واحداً في ذاته لكونه روحاً، بل كان كلاً يحمل في جوانبه الأرواح الفردية جميعاً، يُساويها بل يزيدُها قُدْرًا. ثمَّ إنَّه كان حيًّا لا يحيا بحياة نفس واحدة، بل بحياة النفوس كلها وأعظم، ما دام قادراً على صُنْعِ النفوس نفساً نفساً. / وكان الحيوان الكامل أيضاً، لا يشتمل في ذاته على الإنسان فقط، وإلا لَعَدَا الإنسان وحيداً في هذه الدُّنيا.

٩ قد يقول قائل: سلّمنا بأمر الحيوانات الشريفة. ولكن ما عسى أن يكون للخسيسة منها وللبهيمية من معنى؟ لا شك في أنَّ الخِسَّةَ بالجرمان من العقل ما دام شَرَفَ الحيوان بِكَوْنِهِ عَاقِلًا. كما أنَّه إنَّ كانت الكرامة بالنورانية فالجرمان منها هو الخِسَّة. فكيف تنصوّر بعد ذلك جرماناً من الروح أو من العقل، ثمَّ تُسَلِّمَ بقيام ذلك الأمر الذي فيه يكمن ومنه يخرج كلُّ شيء من الأشياء؟/ ينبغي، قبل القول في هذه الأمور أو الجواب على مسائلها، أن نعرف أن الإنسان هنا ليس على نحو ما يكون عليه الإنسان هناك، فنُصَبِّحُ الحيوانات في دُنْيَانَا على غير ما تكون عليه في الملاء الأعلى. بل الصَّوَابُ في معرفتها عُلُويَّةٌ هو أن تكون معرفة من الطَّرَازِ الأعظم. ثمَّ إنَّ الناطق لا يكون في الملاء الأعلى؛ فقد يكون ناطقاً في عالمنا؛ أما في عالم الروح، فالمقام مقام ما يقع قبل التَّنَطُّقِ والتَّفَكِيرِ. ولماذا/ كان الإنسان هنا هو المُفَكِّرُ دون ما سواه من الحيوان؟ ذلك بأنَّ العرفان هناك في الإنسان يختلف عنه في الحيوانات الأخرى، وهنا يكون الاختلاف في التَّفَكِيرِ. فإنَّنا نَتَبَيَّنُ، من وجه ما، حتَّى لدى الحيوانات الأخرى، أعمالاً كثيرة قائمة على التَّروِّي. فلماذا لا تكون هي أعمال الإنسان أعمال ناطق على السَّواء؟ بل لماذا لا يتساوى العقل الناطق بين إنسان وإنسان؟ ينبغي أن/ نذكُر أنَّ الحياة في وجوهها المُخْتَلِفَة التي هي بمنزلة

حركات، وأن الإدراكات العرفانية العديدة يجب فيها ألا تكون على السواء، بل أن تكون الحياة والمعرفة على درجات مختلفة. وتختلف هذه الدرجات بالبيان والإشراق، كما أن القرب من الأوليات هو الذي يجعل الحياة والمعرفة في المقام الأول أو الثاني أو الثالث. ولذلك كان بين تحقيقات العرفان/ منها الآلهة، ومنها ما كان من جنسٍ ثانٍ يشتمل على ما نُسَمِّيهِ الناطق هنا. ٢٠

ويلي المقامين بعد ذلك ما نعرفه بالأصم. أما في المملأ الأعلى فكان ما لا عقل له عقلاً وما لا روح له روحاً، إذ إن الذي يعرف الجواد هو روح، كما أن العرفان بالجواد هو روح أيضاً. حتى ٢٥

ولو كان العرفان عرفاناً فقط، فليس من المستبعد بحال أن يكون العرفان في حد ذاته،/ على كونه عرفاناً، عرفاناً بشيء لا روح له؟ لكن إذا كان العرفان هو والمعروف شيئاً واحداً، فكيف يكون العرفان عرفاناً ثم يُسمي المعروف شيئاً لا روح له؟ فإن هذا يعني أن الروح يجعل ذاته شيئاً لا روح له. بل الصواب هو أن الروح لا يجعل ذاته أمراً غير ذي روح، إنما يُصبح آنذاك روحاً مُكَيِّفاً، ذا حياة بِكَيْفٍ خاص. ومثلما لا تكفُ الحياة، مهما تكن، عن أن تكون حياة، كذلك لا ٣٠

يكفُ الروح مُكَيِّفاً/ عن أن يكون روحاً. فضلاً على أن الروح المُكَيِّف بحياة ما، مهما تكن، لأبطل كونه روح الأشياء كلها، كالإنسان مثلاً، ما دام كلُّ جزءٍ من أجزائه، أياً أخذنا، هو الأشياء جميعاً، وإن جاز فيه أن يكون بمعنى آخر. فإنه مُكَيِّفاً، قد تحقّق فعلاً؛ ولكنه بالقوّة، ٣٥

مُشتمل على الأشياء كلها. أما نحن، فإننا نُدرك في كل شيء ما تحقّق منه فعلاً،/ على أن يقع هذا التآخُر في آخر المطاف. وعليه كان الجواد في آخر مطاف الروح وهو على الكيف الذي به نُعنى، وكان الجواد بِكَيْفٍ الروح، عند هذا الحدّ، عن سيره المُستمر نحو حياة قلّ شأنها. على أن يُسمي الروح بِكَيْفٍ آخر إذا كفّ عن سيره عند حدّ تكون فيه الحياة أقلّ شأنًا أيضاً. فإن القوّة إذا انتشرت دأبت في إهمالها للمملأ الأعلى. تسير، ثم لا تزال من شيء ما في خُسْر، وهي في ٤٠

خُسْرها للشيء يُسبب النقص في الحيوان/ الذي ظهر من وراء ما تخلف عنها، لا تزال تكتشف شيئاً آخر تزيده. فإذا فات الحيوان مثلاً ما يكفي به حياته، ظهرت الأظفار والمخالب والأنياب والقرون. فحيثما ينحدر الروح، يُعدّ لِيَتَصَبَّ مُعوّلاً على ما لديه من الإكتفاء بما كان عليه في ٤٥

ذاته، فيكتشف كامناً في ذاته ما يتدارك/ به الأمر الذي قد فاته.

١٠ ولكن بأيّ معنى يُقال في الشيء الروحانيّ إنّه قاصر؟ فما عسى أن تكفل القرون من دفاع؟ ألا إنها تكفل للحيوان من حيث كونه حيواناً أن يكون مُكتَفِياً بذاته وأن يكون كاملاً. كان ينبغي له، حيواناً وروحاً وحياة، أن يقوم كاملاً. فإن فاتته شيء حاز بآخر. وإنما الفرق فيه بكونه شيئاً حلّ محلّ آخر، حتى إذا تألّف من الأشياء كلها،/ أصبح الحيوان الأكمل والروح الأكمل والحياة في حالها الأكمل، على أن يبقى كل شيء في حدّ ذاته شيئاً كاملاً. وبعد، فإن كان مؤلفاً

من أشياء كثيرة، وَجَبَ فيه أن يكون واحداً أيضاً: فإِما أن يستحيل عليه أن يكون مؤلفاً من أشياء كثيرة مع كون هذه الأشياء كلها شيئاً واحداً، وإِما أن يُصبح الأمر الواحد المُكتفَى بما كان عليه في ذاته. ينبغي أن يتألف من أشياء تختلف بأنواعها إِذاً، مثلما هو الحال في كلِّ مُركَّب، / على أن يبقى كلُّ شيء على ما يكون عليه في ذاته مثلما هو الأمر في الصُّور والمعاني. فإنَّ في الصُّور، صورة الإنسان مثلاً، فروقاً عديدة، لكنَّها فُروق تقع كلها مع ذلك، كلها في شمول الوحدة، مُرتبطاً بعضها ببعض ارتباط الأَخسِّ بالأشرف، بحيث نجد العين مع الإصبع، وإن كانت كلها أجزاء في وحدة. فالأَخسُّ بالنظر إلى الكلِّ أَخسُّ وإن يكن حُسْن في محله شريفاً. ١٠ وإِتما تشتمل البُنية المعنوية على الحيوان وعلى شيء آخر يختلف/ عن الحيوان. كما أنَّ في الفضيلة معنًى تنفرد به كلُّ فضيلة، ومعنًى آخر تشترك فيه الفضائل كلها: فالكلُّ حُسْن ما دام المعنى المُشترك قائماً على السَّواء.

١١ هُذا وقد قيل حتَّى في السَّماء، التي تبدو ذات كثرة، أَتِها لم تأنف من طبيعة الحيوانات كلها ما دام عالمنا الكلِّي مُشتملاً على الحيوانات كلها. فأئنَّ لها ذلك؟ أَيشتمل العالم الأعلى على كلِّ ما نجده هنا في الأسفل؟ نعم، كلُّ ما كان من صُنع المثل المعنوي وكان بمِثال. ولكن إن كان مُشتملاً على نار وماء كان مُشتملاً على نبات أيضاً لا مُحالة. / فأئنَّ له الثَّبات؟ وكيف تكون النار أمراً له حياة، والأرض أيضاً؟ فإِما أن تكون النار والأرض ذات حياة في الملاء الأعلى، وإِما أن تكونا بمنزلة الأموات، فلا يكون كلُّ شيء هنالك حيّاً. وبوجه عام، على أيَّ حال تكون هذه الأشياء في الملاء الأعلى؟ أَمَا الثَّبات فإِنَّه على ما يُوافق مذهبنا ما دام الثَّبات في عالمنا أيضاً بُنية معنوية قائمة في حياة. إن كانت بُنية الثَّبات المعنوية الواقعة في الهيولى، / والتي يستوي بها الثَّبات نباتاً، حياةً ما ونفساً ما تكيفت، ومعنى له وجه من الوحدة، كُنَّا بين أمرين: إِمَّا أن تكون هذه البُنية هي الثَّبات الأوَّل، وإِما ألا تكون ذلك بل يسبقها الثَّبات الأوَّل بالذات، الذي منه تُشتق. فإنَّ ذلك الثَّبات واحد في ذاته والثَّباتات الأُخرى كثيرة، تنبت من نبات واحد لا مُحالة. وإن كان الأمر على هذه الحال، عَظُمَ ذلك الثَّبات إلى الحياة/ سَبَقاً وَغَداً هو الثَّبات بالذات منه، وبقدر تأثيره يأخذ الثَّبات هنا حياة من المقام الثاني أو الثالث. والأرض، ما عسى أن يكون القول فيها؟ وما عسى أن يكون كون الأرض أرضاً؟ وما عسى أن تكون الأرض الروحانية وهي أرض ذات حياة؟ ولكن ما عسى أن تكون الأرض عليه في ذاتها هنا أوْلاً؟ أعني ما عسى أن يكون كونها أرضاً؟ لا بُدَّ من صورة ما ومن بُنية معنوية هنا أيضاً. لقد قُلْتُ/ في الثَّبات الذي نحن في صدده إنَّ بُنية المعنوية ذاتها هنا هي بُنية ذات حياة. هل تنطوي أرضنا هذه على بُنية معنوية ذات حياة؟ ألا، إن أخذنا أشدَّ الأشياء اتِّصلاً بالأرض والتي تضمُّها

الأرض حادثة مجبولة فيها، لاكتشفنا، هنا أيضًا، في الأرض طبيعتها. نُمُو الحجارة وجُبُلها، وتشكُّل الجبال ينبعث صُعدًا من بواطنها؛ إنما ينبغي لكلِّ ذلك مُطلقًا أن نتصوَّره، من وجهه ما،

٢٥ إحداث معنى ما منفوس/ يهب الصُّور ويصنع صُنعًا يخرج من الباطن. هذا هو الذي يكون للأرض مثالها الصانع، مثلما يكمن في الشَّجر ما تُسمِّيه طبيعته على أن يغدو ما نُسمِّيه أرضًا بمنزلة الخَشَب في الشَّجَر. فإذا ما شققنا الحَجَر أصبح على ما يكون عليه غُصْن قُطع من

٣٠ شجره:/ وإن لم يقع في هذه الحال بل بقي على اتِّصاله، كان على حال ما لم يقع من الثَّبات الحَيِّ. الآن وقد اكتشفنا للأرض طَبْعًا يُصنَّع كامنًا فيها وهو حياة قائمة في بُنيَّة معنويَّة، سهَّل علينا، مُتطَلِّقِينَ من هذه التَّنتيجة، إثبات الأرض الروحانيَّة. فإنَّها عظمت إلى

٣٥ الحياة سَبَقًا، وإنَّها، بُنيَّة معنويَّة، حياة الأرض، وهي الأرض في ذاتها والأرض أصلًا،/ منها اشتقَّت الأرض في عالمنا. ثم إن كانت النار بُنيَّة معنويَّة ما في هيولى، وإن كان القول ذاته يُقال في ما سواها وكان من قبيلها، ولم تكن النار لتنشأ من تلقاء ذاتها - (ولعمري، أتى يكون لها ذلك؟ فإنَّها لا تنشأ من الاحتكاك مثلما قد يُظنَّ فيها، إذ يقع الاحتكاك في العالم الكُلِّي بعد

٤٠ حضور النار وحُصولها في الأجسام التي يحتكُّ بعضها ببعض. كما أنَّها ليست الهيولى/ من القُوَّة بحيث تُحدث النار من تلقاء ذاتها) - إن كان ينبغي للصانع أن يتكيَّف بِبُنيَّة معنويَّة إذ يعمر بالصورة، فما عساه أن يكون؟ ألا، إنه نفس قادرة على أن تصنع النار، أعني أنه حياة وبنيَّة معنويَّة، وكلاهما بالذات واحد. ولذلك يقول أفلاطون إنَّ في كلِّ هذه الأمور نفسًا، وهو لا

٤٥ يعني بذلك سوى نفس تصنع هذه النار أي النار الجِسِّيَّة:/ فصانع النار، حتَّى في العالم المحسوس، إنما تكون قائمة حقًّا، صارت بأن تكون نازًا قائمة في حياتها أجدر. وبالتالي إنَّ للنار في حدِّ ذاتها حياتها أيضًا. ويصحُّ القول ذاته في الأمور الأخرى، في الماء والهواء.

٥٠ ولكن لماذا لا تكون مثل الأرض منفوسة؟ لأنَّها في/ الحيوان الكُلِّي، ولهذا أمر لا يُشكُّ فيه قطُّ، وإنَّها أيضًا في هذا الحيوان أجزاء، فلا تظهر الحياة فيها، مثلما أنَّها لا تظهر في الأرض أيضًا. بل كان الوجه، هنا أيضًا، في الاستدلال على الحياة ممَّا ينشأ في الأرض. لكنَّ حيوانًا ينشأ في النار، وهو في الماء أظهر، كما أنَّنا نجد لحيوانات هوائيَّة قيامًا في الذات. وإلا إنَّ كلَّ

٥٥ نار لا تلبث أن تنشأ/ حتَّى تنطفئ فتُفَلِّت من النَّفس الكامنة في النار الكُلِّيَّة ما دامت نازًا لا تبقى مُتجمَّعة في حجم ما حتَّى تظهر النَّفس الثابتة فيها. وكذلك القول في الماء والهواء. فلو كانت مُتجمَّدة طبعًا لأظهرت النَّفس التي فيها، لكنَّها لا تظهر هذه النَّفس لأنَّها يتوَّعها في تَميُّع مُستمرٍّ.

٦٠ والمُرَجَّح هو أنَّ أمرها مثل/ أمر ما في أبداننا من سوائل، كالدم مثلاً. فالظاهر أنَّ اللَّحم نفسًا، وكلَّ ما يتحوَّل إلى لَحْم إنما من الدَّم يأتي. بيد أنَّنا لا نتبيَّن للدَّم نفسًا إذ إنَّنا لا يبلغنا من إحساس على أنَّه لا بُدَّ من أن يكون الدَّم منفوسًا)، إذ إنَّ ضغطًا عليه لا يجري. فما دام مُستعيدًا دائمًا

٦٥ للانفصال/ عن النفس الكامنة فيه، ينبغي أن نتصوره على نحو ما تتصور تلك العناصر الثلاثة التي أتينا على ذكرها. فضلاً على أن الحيوان المؤلف من هواء مُتماسك لا يُجسّن هو أيضاً إذا طراً عليه حال. فمثلاً يعبر الهواء بنور ثابت باقي في مكانه، ما دام باقياً، كذلك يعبر الهواء بنفسه/ في حركة دائرية وهو فيها غير عابر. ونقول القول ذاته في العناصر الأخرى.

١٢ ولكن فلنعد إلى ما نحن فيه ولنعالجه بما يلي. لقد قلنا في هذا العالم الكلّي إنه، إن جاز لنا القول، على قياس أصله الروحاني. فلا بُدَّ أولاً من أن يكون الكلّ في الملاء الأعلى حيواناً، بل الحيوانات كلّها إن عدا كونه حقّاً كوناً كاملاً. فالسّماء هنالك حيوان، وهي سماء غير محرومة ممّا تُسمّيه النجوم هنا إذ/ إنّ السّماء بذلك تكون حقّاً. ثم إنّ هنالك أرضاً ليست بصحراء، بل هي بأن تكون مُنعّشة بالحياة أشدّ حرّيّة، تشتمل على حيوانات كلّها بقدر ما تُسمّيه الحيوانات الأرضيّة هنا، وبثّلة عن الثّبات الراسخ في حياته. كما أنّ هنالك بحراً روحانيّاً وماء كُليّاً يجري ويحيا ب حياة/ مُستورّة، يشتمل على حيوانات الماء كلّها. والهواء في حقيقته أيضاً إنّما هو جزء من الكلّ الروحانيّ فيه تحيا الحيوانات الهوائية على نحو ما يقتضيه الهواء في ذاته. فكيف لا تكون حيّة ما دامت قائمة في حيّ؟ فإنّها حيّة هي أيضاً! بل كيف لا تقتضي الضّرورة أن يكون هنالك كلّ حيّ؟ وعلى ما تكون كلّ منطقة من المناطق العظمى يغدو طبع الحيوان الثابت فيها/. كيفما تكيفت السّماء الروحانيّة ومهما كانت بكونها حقّاً، تكيفت الحيوانات السّماوية وغدت بكونها حقّاً هي أيضاً. ومن المُستحيل ألا تكون، وإلا لما كانت السّماء هي أيضاً. ومن سأل عن الحيوانات أنّي مجيئها، سأل عن السّماء أنّي مصدرها أيضاً، ولهذا يعني السّؤال عن الحيوان من أين يأتي./ ثم يرد السّؤال عن مصدر الحياة، أي الحياة الكليّة والنفس الكليّة والروح الكلّي، مع أنّه لا فقر ولا عجز هنالك، بل أمور كلّها بالحياة طافحة وكأنّها بالحياة جيّاشة. فهي بمنزلة سيل يجري من منبع واحد، لا بمعنى أنّه نفّح واحد/ أو حرارة واحدة، بل بمعنى ما لو قلّت في كيف واحد إنّهُ ينطوي في ذاته على الأكيا ف كلّها ويحفظها: فيه كيف الحلاوة والعطور، وفيه طعم الخمر وسرّ السّوائل كلّها، وفيه إدراك الألوان وكلّ ما يناله اللمس يلمسه. وإن نسّ لن نسى كلّ ما يسمعه السّمع من إيقاع ونغم.

١٣ الواقع هو أنّ الروح ليس شيئاً بسيطاً، مثل النفس التي منه تخرج، بل كلّ ذلك مُختلف العناصر بقدر ما إنّهُ بسيط، أعني بقدر ما إنّهُ ليس مُركّباً وبقدر ما إنّهُ أصل وتحقّق. أمّا تحقّق الأمر الأخير فإنّه بسيط على أنّه به تنتهي التّحقّقات. أمّا الأوّل ففيه التّحقّقات كلّها. ثم إنّ الروح إذا تحرّك تحرّك مُتساوي الحال، يَمْرَاحل تبقى/ على ما هي عليه في ذاتها، دائماً

مُتماثلة. على أنه لا يبقى هو ذاته أمرًا واحدًا في كلِّ جُزء من أجزائه، بل يكون هو أجزائه كلها في آنٍ واحد. هذا وإنَّ ما يكون في الجُزء ليس، بدوره، شيئًا واحدًا، بل يُصبح، إذا جُزئ، شيئًا لا نهاية له. وما عسى أن نقول في الحدِّ الذي منه ينطلق، وبوجه عام في الحدِّ الذي إليه ينتهي على أنه حدّه الأخير؟ وكلُّ ما في الوسط يكون بمثابة خطٍّ أو بمثابة جسم آخر مُتماثل في أجزائه، مُتساوٍ في أحواله؟ لكن، ما عسى / أن يكون له من شأن آنذاك؟ فإنه إن لم يشتمل على تبدُّل قَطُّ في الأحوال، وإن لم تكن غَيْرِيَّة لِثَبَّتِهِ إلى الحياة، لما كان تَحَقُّقًا يَتَحَقَّق. ولا فرق بين هذا الثَّبات على حال واحدة وبين التَّعطيل عن كلِّ تَحَقُّق. وإن كانت حركته بهذا المعنى حركة، لم يكن هو من كلِّ وجه حياة، بل من وجه واحد فقط. مع أنه ينبغي أن تحيا الأمور كلها به، وفي كلِّ وجه من الوجوه، وألا يكون شيء بدون حياة. / ينبغي له إذا أن يتحرَّك إلى كلِّ شيء، أو بالأحرى أن يكون قد تحرَّك. فإذا تحرَّك شيئًا بسيطًا، كان مُشتملًا على هذا الشَّيء البسيط فقط: فإمَّا أن يبقى على ما كان عليه في ذاته ولا يتقدَّم إلى شيء قَطُّ؛ وإمَّا، إن تقدَّم، أن يبقى بكونه شيئًا آخر. أصبح بحدِّين إذا. وإن كان الحدُّ الأخير هو والحدُّ الأول شيئًا واحدًا بقي الروح واحدًا ولم يتقدَّم؛ وإذا اختلف الحدَّان تقدَّم الروح / وخرج بوحدة ثلاثة من ذاته باقيا على ذاته ومن الآخر. وإذا نشأ الناشئ، منه باقيا على ذاته ومن الآخر، حصل في طبيعته أن يكون هو ذاته والآخر في آنٍ واحد. ولست أعني آخر ما بل الآخر بوجه عام. كما أعني بالوجه العام كون الشَّيء في ما هو عليه في ذاته. فما دام الروح كون كلِّ شيء على ما هو عليه في ذاته وكون كلِّ شيء آخر، / لن يُفِلَّت منه شيء من الأشياء الأخر. فإنَّ شأنه أن يُصبح كلِّ شيء آخر. وإن كانت الأشياء الأخر قبله من حيث إنه الآخر، وقع منها عليه انفعال؛ وإن لم تكن كان هو الذي ولَّد الأشياء كلها، أو بالأحرى كان هو الأشياء كلها. / من المُستحيل إذا أن تنشأ الأمور ما لم يكن الروح ليُحقِّقها، وهو يُحقِّقها أمرًا بعد آخر وكأنه يَجول في كلِّ مَجال، على أنه يَجول في ما هو عليه في ذاته، إذ إنه من شأن الروح الحقَّ طبعًا أن يَجول في ما يكون عليه في ذاته. ولقد طُبِع على أن يَجول بين الحقائق في حين أنَّ الحقائق تَصحبه في جَوْلانه. لكنَّه يبقى في كلِّ وجه من الوجوه على ما كان عليه في ذاته، فيكون جَوْلانه جَوْلًا ثابتًا في ذاته، وإنَّما يقع لهذا الجَوْلان في «مُروج الحقِّ» ولا يتجاوزها. فهي مُلك الروح، وكلَّها في حوزته / إذ يُوسَّع له شيئًا كأنَّ لحركته محلًّا، ولهذا المحلِّ مع ما كان له محلٌّ واحد بالذات. أمَّا تلك المُروج فإنَّها مُتعلِّدة العناصر حتَّى يستطيع الروح أن يتنقَّل فيها. وإن لم تكن مُختلفة العناصر بكاملها وعلى الدَّوام، فَيَقْدَر ما لا تختلف عناصرها يُسمي الروح ثابتًا لا يتحرَّك. وإنَّ ثَبَّت الروح غير مُتحرَّك لم يُعرف. فإن سكن لم يُعرف، وإن قام على ذلك، لم يَقم حقًّا. إنَّ الروح عِرفان إذا، / والعِرفان حركة شاملة تملأ الذات كلها؛ ثمَّ إنَّ الذات الشاملة هي عِرفان شامل يُحيط

بالحياة كلها مُتَنَوِّلاً دائماً أمراً بعد آخر. ولأنَّ شأنه أن يكون هو ذاته في ما كان عليه في ذاته وأمرًا آخر في آنٍ واحد، فإنَّ من يُجزِّئه يرى دائماً هذا الآخر بارزاً. أمَّا طريقه، فإنَّها كلها عبور للحياة وللحيوان، مثلما أنَّ الضارب في الأرض التي يجتازها يرى كلَّ شيءٍ/ أرضاً ولو كان بين الأرض والأرض اختلاف. والحياة التي يجتازها الروح في الملاء الأعلى إنما هي الحياة دائماً، لكنَّها دائماً بين حال وحال فلا تكون حياة واحدة بالذات. أمَّا الروح فإنَّه يجتاز هذه الوجوه المُخْتَلِفَة في الحياة باجتياز يبقى على حاله، لأنَّه هو لا يتغيَّر بل يتخلَّل الأشياء الأخرى مُتساوي الأحوال بِمراحل تبقى على ما كانت عليه في ذاتها. فلو لم يكن مع الأشياء الأخرى مُتساوي الحال باقية مراحله على ما هي عليه في ذاتها، لأصبح في مُطلق التَّعْطِيل/ عن العمل فلا يَتَحَقَّق قَطُّ ولا يَحَقَّق. يَبْدُ أنَّ هذه الأشياء الأخرى إنما هي الروح في ما كان عليه في ذاته، فلا غَرْوَ إن كان الروح شاملاً كُلِّها. فإنَّه إن كان في ما هو عليه في ذاته كان كُلِّها شاملاً وإلا لما كان في ما هو عليه في ذاته. وإن كان كُلُّها في ما هو عليه في ذاته، غدا كُلِّها شاملاً لأنَّه كان هو الأشياء جميعاً. ثمَّ إن لم يكن شيءٌ إلاَّ وله في أشياء كلها إسهام، فإنَّ أمراً لن يكون من أمره إلاَّ وهو أمراً آخر،/ حتَّى يُمسي لكونه أمراً آخر، مُسَهِّماً أيضاً في ذلك كله. ذلك بأنَّه لو لم يكن أمراً آخر بل كان هو على ما هو عليه في ذاته، غدا شأنه أن يُنْقِص الروح في ذاته التي ينفرد بها، ما دام لا يُسَهِّم في ما كان عليه الروح طَبْعاً.

١٤] هذا ويسعدنا أن نعلم إلى ظواهر الروح النورانية لِتَعْرِف الروح على ماذا يكون، وعلى أنَّه يتنافى مع كونه بمنزلة أمر قائم بِوَحْدَة تحوُّل بينه وبين أن يكون أمراً آخر. فما عسى أن تُريده قياساً يُؤخِّذ من المعنى البَدْرِي: أمعنى الثَّبات أم معنى الحيوان؟ فإن كان هذا المعنى شيئاً واحداً في ذاته، ولم يكن واحداً مُنطَوِّياً على اختلاف في العناصر، لم يغدُ معنى بَدْرِيّاً، وأمسى الشيء الذي حدث مُجَرَّد هِيولى. / ذلك بأنَّ المعنى البَدْرِي لم يتحوَّل إلى العناصر كلها واقِعاً على الهِيولى في كلِّ نواحيها بحيث لا يدع شيئاً باقياً على ما كان عليه في ذاته. فالوجه مثلاً ليس حجماً ذا نسق واحد بل في أنف وعَيْن، والأنف فيه ليس شيئاً ذا نسق واحد بل هو شيء مُغاير أيضاً، وهو إذ يكون شيئاً مُغايراً يختلف عن الأنف وما دام شأنه أن يُصْبِح أنْفاً. فلو كان شيئاً ذا/ نسق واحد بوجه الإطلاق لَغدا حجماً فقط. كذلك يكون في الروح ما ليس له نهاية لأنَّه الروح في ذاته واحد ذو كثرة، لا مثلما يكون الحجم واحداً، بل مثلما يكون المعنى البَدْرِي المُنطَوِّى على كثرة في ذاته. ففي بُنية الروح الواحدة التي تبدو وكأنَّها حظيرة إنما نجد حظائر باطنة وبُنى أخرى باطنة أيضاً، وقُوَى وعرفانات وتقسيمات لا يُضبط باتجاه واحد بل يتطوَّر نحو الباطن دائماً. / فكأنَّه تقسيم الحيوان الكُلِّي إلى طبائع الحيوانات المُشْتَمِل عليها: يعود فيتناول

دائمًا حيوانًا آخر حتى ينتهي إلى الحيوانات أصغرها وإلى القوى أضعفها حيث يقف عند المثال الذي لا يتجزأ. ثم إنه تقسيم لا يقع على أمور مُتشابكة ولو كانت أمورًا تضمُّها الوحدة. إنَّما هو التقسيم الذي يُقال فيه إنَّه الخلَّة في العالم الكلِّي والتي لا نجد منها في عالمنا/ إلَّا ما يحاكيها، إذ إنَّه خلَّة تنبعث من أمور مُتباعدة بعضها عن بعض. أمَّا الخلَّة الحقَّ فهي كون الأمور كلِّها أمرًا واحدًا لا يُفَرِّق بينها قط. أمَّا التَّفَرُّق، في ما يقول أفلاطون، إنَّما هو حال ما ينطوي عليه عالمنا.

١٥ من الذي يرى إذا هُذِي الحياة المُتعدِّدة الوجوه والكلِّيَّة والأولى والواحدة في ذاتها، ثم لا يسعى إلى أن يكون فيها مُحْتَوًّا كلَّ حياة غيرها؟ فالحياة الأخرى، الحياة في العالم الأسفل على مُختلف وجوهها، إنَّما هي ظلام، وهي قليلة الشَّان مُكثَّرة قليلة النَّفع غير طاهرة تُلَطِّخ بالقذورات كلَّ حياة طاهرة. وإذا نظرت إليها تحوَّل نظرك عن الحياة الطاهرة/ وما عدت تحيا الحياة التي تنطوي على كلِّ ما للحياة من وجوه، حيث لا تجد أمرًا إلَّا وكان حيًّا يحيا بحياة طاهرة لا غيب فيها. فالشُّرور إنَّما تكون في عالمنا لأنَّه من الحياة ومن الروح أثر فقط. أمَّا في الملاء الأعلى فالقياس الأصل هو الذي يقول فيه أفلاطون إنَّه «الخير بمثال»، لأنَّ الروح يحصل على الخير المحض وهو في المُثُل. إنَّه هو الخير،/ أمَّا الروح فإنَّه خير ما دامت حياته في المُشاهدة. على أنَّ مُشاهداته إنَّما تكون «الخير بمثال» هي أيضًا وقد اكتسبها عندما شاهد الخير في حقيقته. ولم تأت هذه الأمور المُشاهدة إليه بمعنى أنَّها كانت في الملاء الأعلى بل بمعنى أنَّها بين يديه. فالخير هو الأصل وهي الروح خارجة من الخير، وهو الروح الذي جعلها من الخير خارجة./ فإنَّه من المُمتنع على الروح إذ ينظر إلى الخير ألا يكون عارفاً، كما أنَّه لا يجوز في الأمور التي يُشاهدها أن تكون في الخير قائمة. وإلَّا لما كان الروح هو الذي ولَّدها. يَسْتَمَدُّ الروح من الخير إذا القُدرة على التَّوَلَّد وعلى أن يكون بمولَّداته طافحًا ما دام الخير يمدُّه بما ليس لديه مُتوافراً. لكن الخير يتحوَّل منه واحدًا في ذاته إليه كثرة في الروح./ فإنَّ الروح كان عاجزًا عن أن يتَّسع للقوَّة التي تَلْقَاهَا، فحطَّم الوحدة وأحالتها كثرة ليُطبق بذلك حملها جزءًا جزءًا. وهكذا كان ما ولَّده الروح مُنبعثًا من قوَّة الخير فكان «الخير بالمثال» والروح، مُولَّفاً من أمور هي «الخير بمثال»، إنَّما هو خَيْرٌ أيضًا، أعني أنَّه الخير وقد تعدَّدت عناصره. ولذلك يجوز فيه أن تُشَبَّه بِكُرَّة حَيَّة عناصرها مُتعدِّدة./ فقد تكون هذه الكُرَّة شيئًا بادياً مع وجوهه كلِّها يشعُّ بوجوه حَيَّة. وقد تكون النفوس الطاهرة كلِّها تبدو مُتجمَّعة في محلٍّ واحد وهي لا نقص فيها. بل هي مُنطوية على كلِّ ما كان منها مع الروح وقد استوى في ذراها بحيث يملأ ببريقه النوراني ذلك المحلَّ إشعاعًا. فإنَّ تصوُّر بعضهم تلك الكُرَّة وهي على هذه الحال، شاهدها/ من الخارج على أنَّه هو شيء وهي شيء آخر. ينبغي للمُشاهد إذا، وقد أصبح هو ذاته ذلك الروح، أن يكون

هو ذاته قد أقام ذاته مُشاهدة .

- ١٦ ينبغي ألا تَلَبَّثَ في هذا الحُسْنِ المُتَعَدِّد، بل أن تُخَلِّفَهُ وَتَثْبُ إلى ما فوقه فَتَسْتَمِرَّ في الارتقاء . ينبغي أن نَنْطَلِقَ لا من هذه السَّمَاءِ بل من سماء المَلَأِ الأَعْلَى مُعْجَبِينَ بِهَذَا المَلَأِ مَنْ عَسَى أن يكون قد وَلَدَهُ وكيف فعل . فَإِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ هُنَاكَ مِثَالَهُ ، وكان لِكُلِّ أَمْرٍ طَائِعًا بِهِ يَنْفَرِدُ ، على أَنَّ هذه الأُمُورَ كُلَّهَا تَشْتَرِكُ في معنى يَتَنَاوَلُهَا جَمِيعُهَا وهي كونها «الخير بمِثَالِ» . / إنها مُشْتَرِكَةٌ إِذَا في كونها الْحَقُّ وفي كونها الْحَيَوَانُ يُقَالُ في كُلِّ مِنْهَا ، بِحُضُورِ حَيَاةٍ مُشْتَرَكَةٍ تَمْتَدُّ إِلَيْهَا كُلَّهَا . وَرُبَّمَا كان يَجْمَعُ بَيْنَهَا وَجْوهٌ أُخَرُ أَيْضًا . وَلَكِنَّ القَدْرَ الَّذِي كانت بِهِ خَيْرٌ يَدْفَعُنَا إلى السُّؤَالِ : ما عَسَى أن يكون الأَمْرُ الَّذِي لِأَجْلِهِ كانت خَيْرٌ؟ رُبَّمَا كان الوجه الأصَحُّ في البَحْثِ ١٠ عن مثل هذه المسألة أن نَنْطَلِقَ مِمَّا يَلِي . عِنْدَمَا تَوَجَّهَ الرُّوحُ بِنَظَرِهِ إلى الخَيْرِ ، / هل كان عِرْفَانَهُ بِذَلِكَ الواحدِ عِرْفَانًا بِأَمْرٍ مُتَعَدِّدِ العِصَايِرِ؟ هل كان عِرْفَانَهُ هو الواحدِ في ذاته عِرْفَانًا تَنَاوَلَ الخَيْرَ فَجَزَأَ ما كان من الخَيْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ إلى كَثْرَةٍ لَأَنَّ عِرْفَانَهُ لَمْ يَتَّسِعْ لِلْكُلِّ في آنٍ وَاحِدٍ؟ وَلَكِنَّهُ تَوَجَّهَ بِنَظَرِهِ إلى الخَيْرِ وَلَمَّا يَكُنْ رُوحًا ، بل نَظَرَ إلى الخَيْرِ وهو على حالٍ غَيْرِ حالِ الرُّوحِ . أو الأُخْرَى ١٥ بِالْقَوْلِ فِيهِ هُوَ أَنَّهُ لَمْ يَرَقُطْ ، بل كان حَيًّا بِاتِّجَاهِهِ نَحْوَ الخَيْرِ مُرْتَبِطًا / بِهِ مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ . وَلَمَّا كانت هَذِهِ الحَرَكَةُ حَرَكَةَ حَيَاةٍ غَامِرَةٍ لِأَنَّهَا تَحْرُكُ في المَلَأِ الأَعْلَى وَمِنْ حَوْلِهِ جَعَلَتِ الرُّوحَ غَامِرًا هُوَ أَيْضًا ، فَلَمْ يَبْقُ مُجَرَّدَ حَرَكَةٍ ، بل باتَ حَرَكَةً تَغْفِيزُ رَغْدًا . ثُمَّ أَصْبَحَ الرُّوحُ هُوَ الْأَشْيَاءُ كُلَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأَدْرَكَ ذَلِكَ بَتَعَقُّبِهِ لِذَاتِهِ وَقَدْ كان رُوحًا . إِنَّمَا كان رُوحًا طَائِفًا حَتَّى يَكُونَ ما يَرَاهُ ٢٠ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وكان رُوحًا نَاطِقًا إلى الأُمُورِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، / مع النور وقد اكتسبه مِمَّنْ أَمَدَّهُ بِتِلْكَ الأُمُورِ . وَلِلذَلِكَ لَمْ يَقُلْ في الخَيْرِ إِنَّهُ «سَبَبُ الذَّاتِ» فَقَطْ ، بل إِنَّهُ سَبَبُ مُشَاهَدَتِهَا أَيْضًا . فَإِنَّ ٢٥ الشَّمْسَ هِيَ لِلْجِسْمَاتِ سَبَبُ حُدُوثِهَا وَإِدْرَاكِهَا بِالمُشَاهَدَةِ ، وَهِيَ بِوَجْهِهِ ما سَبَبَ / البَصَرَ أَيْضًا إِذْ إِنَّهَا لَيْسَتْ البَصَرُ أو المُحَدَّثَاتِ . وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ في حَقِيقَةِ الخَيْرِ أَيْضًا : فَإِنَّهَا سَبَبُ الذَّاتِ وَالرُّوحِ ، كَمَا أَنَّهَا نُورٌ يُلَاقِمُ المَرْتِيَّ والرَّائِي في المَلَأِ الأَعْلَى . وَهِيَ لَيْسَتْ بِالْحَقَائِقِ أَوْ ٣٠ بِالرُّوحِ بَلْ سَبَبُ ذَلِكَ كُلُّهُ إِذْ تَكْفُلُ العِرْفَانُ لِلْحَقَائِقِ وَلِلرُّوحِ بالنور الَّذِي مِنْ ذَاتِهَا يَنْبَعُثُ . / فَإِذَا حَفَلَ الرُّوحُ إِذَا نَشَأَ ، على أَنَّهُ قد كان بِحَفْلِهِ ، فَاكْتَمَلَ وَرَأَى في آنٍ وَاحِدٍ ، وَغَدَتْ بِدَايَةِ أَمْرِهِ في أَنَّهُ كان على هَذِهِ الحالِ قَبْلَ أَنْ يَحْفَلَ . وَعَنْ هَذِهِ البِدَايَةِ تَخْتَلِفُ تِلْكَ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ وَكَأَنَّهُ ٣٥ يَكْفُلُ الحَفْلَ مِنَ الْخَارِجِ ، مِنْهُ يَأْخُذُ الشَّيْءَ طَبَعَهُ إِنْ جَازَ لَنَا الْقَوْلُ فَيُصْبِحُ حَافِلًا . /

١٧ ولكن كيف تكون تلك الأمور في الروح ، وكيف تكون هي الروح ما دُمنا لا نجد لها هناك في من يتكفل بحفلها ، كما أننا لا نجد لها حتى في من يقوم بها حافلًا؟ فمهما كان الروح غير

حافل غداً منها خاليًا. ألا، إنه ليس من الضروري أن يكون المُعطي حاصلاً على عطائه، بل ينبغي للمُعطي في مثل هذه الأحوال أن تتصوره هو الأعظم، وأن تتصور العطاء أقل شأنًا من ٥ المُعطي. / فعلى هذا الوجه تستوي الأمور ناشئة. ذلك بأنه لا بُدَّ للكون بالفعل حقًا من أن يكون هو الأول، فتصبح المتأخرات وهي بالقوة ما تقدّمها. ثم إنه كان الأول فوق الثواني ووراءها، كما أن المُعطي كان فوق عطائه وورائه. فهو الأشرف إذا. فإن كان شيء قبل ١٠ التَّحَقُّق، كان وراء التَّحَقُّق وفوقه، فكان وراء الحياة وفوقها أيضًا. / وإن قامت الحياة في الروح، إنما غدا المُعطي هو الذي أعطى الحياة فكان أشدَّ حُسْنًا من الحياة وأرفع قَدْرًا. لقد حصلت الحياة في الروح ثم لم تَمَسَّ الحاجة في مُعطي الحياة إلى أن تتعدّد عناصره، فكانت الحياة أثرًا من آثاره وهي ليست بحياته. ففي حين كانت تُحوّل نظرنا إلى ذلك الأصل كانت الحياة غير محدّدة بِحدِّ، ولكنّها بعد أن غدت وهي في حال التَّنْظُر إليه انضبطت بِحدِّ ثم لم يكن ١٥ لذلك الأصل حدّ. / فإنّها لا يلبث نظرنا أن يقع على شيء واحد في ذاته حتّى تتحدّد بهذا الشيء ويحصل فيها حدّ ونهاية ومثال. على أن يكون المثال في المَعْمور بالصورة، أمّا ما يخلع الصورة عليه فإنّه ليس له صورة. أمّا الحدّ فإنّه يقع من الخارج كأنّه حَصْر المَقْدَار، بل كان ٢٠ هذا الحدّ حدّ تلك الكُلِّيّة وهي حياة مُتعدّدة العنصر ليس لها نهاية، / حالها حال حياة أشعث من تلك الحقيقة العظيمة وما كانت حياة شيء جزئيّ. وإلا لَغَدَّت محدودة بكونها حياة فرد لا يتجزأ. ولكنّها كانت، مع ذلك، مُحدّدة. كانت مُحدّدة إذا بكونها حياة شيء هو واحد تعدّدت عناصره. أجل، إنّ لكلّ من الأشياء الكثيرة حدّ؛ فهو، مُتعدّدًا، محدود بتعدّد الحياة؛ ولكنّه، ٢٥ واحدًا في ذاته، محدود بِحدّه. وما عسى أن يكون هذا الواحد مُحدّدًا؟ هو الروح. / فإنّ الحياة إذا حُدّدت كانت روحًا. وما عسى أن يكون الكون بالتَّعدّد؟ هو تعدّد الأرواح. إنّ الأشياء كلّها أرواح إذا: فالكلّ روح، والأمور الجزئية أرواح. أم يكون الروح الكُلّيّ المُشتَمِل على كلّ روح جزئيّ مُشتَمِلًا على هذا الجزئيّ بكونهما كليهما روحًا واحدًا؟ فإنّه يكون مُشتَمِلًا، حينئذٍ، على روح واحد. وإن كانت الأرواح الجزئية كثيرة، لم يكن من فارق بُدّ. فليت شعري، كيف ٣٠ يحصل في الروح الجزئيّ فارق؟ إنّ الفارق حصل فيه لما صار واحدًا بأسره. فإنّ الروح كلًّا لا يكون ذاتًا لهذا الروح أو ذاك. كان الروح إذا بحياته طاقة كُلّيّة، ثم كان بمُشاهدته المُخدّرة من فوق طاقة الأشياء كلّها؛ فإذا أصبح روحًا ظهرت معه هذه الأشياء كلّها: أمّا هو فيستوي فوقها، لا يتخذ له منها مقامًا بل ليجعل ذاته لها مقامًا في حين أنّه يُشاهد ما كان للأوليات مثالًا، ولم ٣٥ يكن هو بمثال. / ثمّ يُصبح الروح للنفس نورًا يشعّ فيها على نحو ما كان الخير الأول في الروح. وإذا ضبط النفس بِحدّ جعلها ناطقة وهو يمدّها ممّا لديه بأثر. فإنّ الروح من الأصل الأول أثر. وما دام الروح يتمدّد ويتعدّد، لم يكن ذلك الأصل بصورة أو بِمثال، فكان، وهو على هذه

٤٠ الحال، / للمثل صانعًا. أما لو كان هو مثالاً لَعَدَا الروح معنى. يَبْدُ أَنَّهُ كان يجب في الأول أن يستوي مُنْزَمًا عن الكثرة مُطْلَقًا، وإلَّا لَعَدَّت كثرته مُرْتَبِطَةً بِأَصْلٍ آخَرَ بِدَوْرِهِ هو الأول السابق.

١٨ ولكن بأيّ معنى يكون ما في الروح هو «الخير بمثال»؟ هل يكونه مثالاً، أو يكونه حُسْنًا، أو يكونه شيئًا آخر؟ إنَّ في كلِّ ما يُشْتَقُّ من الخير أثر الخير وطابعه، أو بالأحرى أثرًا وطابعًا من الخير مُنبِئِينَ مثلما أنَّ في ما يشتق من النار أثر النار، ومن الحلاوة أثر الحلاوة. ٥ وإنَّ الحياة في الروح/ من الخير تأتي لأنَّ الروح قائم في ذاته بِتَحَقُّقِ كان الخير أصله. ثمَّ إنَّ الروح بوساطة الخير كان، والحُسْنُ في المثل أيضًا. فلا غَرْوَ إنَّ كان ذلك كله «الخير بمثال»، والحياة والروح والمثل. ولكن ما عسى أن يكون الأمر المُشْتَرَك بين ذلك كله؟ فلا يكفي في أشياء تُشْتَقُّ من أصل واحد حتَّى تكون شيئًا واحدًا: ينبغي أن يكون الأمر المُشْتَرَك كاملاً فيها. ١٠ فَرُبَّ أشياء تنبعث/ من أصل واحد ثمَّ لا تكون شيئًا واحدًا، ورُبَّ عطاء يُعْطَى مُتساوي الحال ثمَّ يصبح مُخْتَلِفًا في الأمور التي تتلقاه. إنَّ العطاء لدى التَّحَقُّقِ الأوَّل شيء، والعطاء بهذا التَّحَقُّقِ الأوَّل شيء آخر؛ وإنَّما يختلف عن ذلك كله ما يقع بعده. ثمَّ إنَّ مانعًا لا يمنع كلَّ أمر من هذه الأمور من أن يكون «الخير بمثال»، ولا سيمًا يكونه أمرًا مُخْتَلِفًا عن غيره. وما عسى أن يكون ١٥ الأمر الذي يُقال فيه ذلك على أشدِّه؟/ إنَّما الواجب أوَّلًا أن تَبَيَّنَ ما يلي: هل الحياة خير من حيث إنَّها حياة بالذات حين يُنْظَرُ إليها مُجْرَدَةً بحدِّ ذاتها؟ أو إنَّها الحياة مُنْبِئَةٌ من الخير على أن يغدو كونها مُنْبِئَةٌ من الخير شيئًا يختلف عن كونها حياة مُعَيَّنَةٌ؟ نعود ونقول إَذَا: وما عسى أن تكون هذه الحياة المُعَيَّنَةُ؟ يُقَالُ إنَّها للخير حياته؟ يَبْدُ أَنَّهُا لم تكن للخير حياته؛ إنَّما هي حياة ٢٠ من الخير تنبثق. لكنَّ شيئًا يكمن في هذه الحياة/ مُنْبِئًا من الخير، ولهذا الشَّيْء هو الحياة حَقًّا. ويجب القول في كلِّ ما ينبثق من الخير إنَّه ليس خسيسًا، وفي الحياة، من حيث كونها حياة، إنَّها خير حَقًّا. وإنَّ كان ذلك كذلك، وَجَبَ القول في الروح الحَقُّ ذلك الأوَّل إنَّه خير هو أيضًا. ثمَّ لا مِرَاء في أنَّ كلَّ مثال خير أيضًا وأنَّه «الخير بمثال». وإنَّ شئنا فلنقل إنَّ لكلِّ مثال من الخير ٢٥ شيئًا، سواءً أكان مُشْتَرَكًا، أو بالأحرى مُخْتَلِفًا في مثال عنه في آخر. أو كان خيرًا من المقام الأوَّل تارة وخيرًا بالتَّبَعِيَّةِ ومن المقام الثاني تارة أُخْرَى. لقد أدرنا كلَّ شيء على أَنَّهُ له، في ما يكون عليه في ذاته، شيئًا من الخير، فكان بذلك خَيْرًا. فَإِنَّ الحياة لم تكن خَيْرَةً في حدِّ ذاتها، بل لآتِها قِيلَ فيها إنَّها الحياة الحَقَّةُ وإنَّها من الخير مُنْبِئَةٌ، وكذلك القول في الروح الحَقُّ ٣٠ أيضًا. / فينبغي الآن أن تَبَيَّنَ وجه ما يبقى دائماً على ما كان عليه في ذاته. بالرَّغْمِ من كون هذه الأمور أمورًا مُخْتَلِفَةً، لا يمنع مانع، عندما يُقال فيها الشَّيْء الواحد ذاته، من أن يكون هذا الشَّيْء ثابتًا في ما تقوم عليه في ذواتنا. إلَّا أَنَّهُ، مع ذلك، يُمكننا عزله ذُهْنًا، كأن نقول الحيوان

في الآدمي وفي الجواد مثلاً، والحرارة في الماء وفي النار. على أن يكون جنساً في الحالة
 ٣٥ الأولى،/ وأن يكون وصفاً في الحالة الثانية، أولياً في النار وفرعياً في الماء. وإلا لذكرنا
 الطرفين كليهما أو كليهما بالاشتراك في الاسم. فهل يكون الخير حاضراً في الأشياء على ما
 هي عليه في ذاتها؟ الواقع هو أن كل شيء من الأشياء خير، وأن الخير ليس على حال واحد
 فيها. وكيف ذلك؟ إن قيل إنه مؤزّع عليها بأجزائه، قلنا: لكن الخير لا يتجزأ. أجل إنه واحد
 ٤٠ في ذاته ولكنه أصبح في حال معينة هذا الشيء أو ذاك. / فإن التحقق الأول خير وخير أيضاً ما
 يتبعه محدداً، وما يستوي جامعاً بين الطرفين كليهما. أما التحقق الأول فإنه خير لأنه بالخير
 تم، أما المحدد بعده فلأن نظامه من الخير مُنبعث؛ وإن الجمع بين الطرفين فللسببين كليهما.
 كل ذلك ينبعث من الخير إذاً، ثم ما من شيء يُماثل شيئاً آخر مُماثلة كاملة. فيُسمي الأمر كما
 لو أطلق المرء الواحد صوتاً وسار سيراً أو أتى شيئاً آخر أيضاً، وكله مُتَقَنٌ صُنْعاً. ولكن الأمر
 ٤٥ هنا/ أمر نظام وانسجام. فما عسى أن يكون الأمر هنالك؟ قد يقول قائل إن حُسْنِ الحال هنا وارد
 من الخارج ما دامت الأشياء التي يقع النظام عليها مُختلفة. أما في الملاء الأعلى فإن الأمور
 خيرة بِحَدِّ ذاتها. ولكن ما عسى أن يكون الذي يجعلها على هذه الحال؟ ينبغي ألا نسترسل مع
 اطمئناننا إلى أنها من الخير مُنبعثة. نعم، ينبغي أن نُسلم بأنها شريفة ما دامت من الخير مُنبعثة،
 ٥٠ لكن العقل/ يرغب في أن يدرك السر في كونها خيرة.

١٩] فهل ندع الحكم في الأمر للنفس ورغبتها، مُستسلمين لتأثيرها، فنقول في الخير إنه ما
 ترغب النفس فيه ولا نبعث عن الأمر الذي لأجله ترغب؟ أو نأتي، في طلب الشيء ما هو،
 بالبراهين التي تدلّ عليه، ثم ندع للرغبة أن تُحدّد الخير ذاته؟ ما أكثر ما يبدو لنا من الاستحالات
 ٥ حيثئذ. / وأولاً يُصبح الخير هو أيضاً أحد الأمور التي يدور البحث حولها. ثم إن الأمور التي
 ترغب كثيرة، فبعضها يرغب في أشياء وبعضها في آخر. فكيف نحكم بالرغبة على الشيء أنه
 الأحسن؟ بل إننا نُدرك الأحسن ما دُمنا نجعل الحُسْن ما هو. أنحاول تحديد الخير على أنه
 ١٠ الفضيلة في كل شيء من الأشياء؟/ لو فعلنا، لانتبهنا إلى مثال ومعنى ونكون قد سلكنا صواب
 المسلك. ولكن ما عسانا نقول، لدى وصولنا إلى الروحانيات، ونحن نبحث عن هذه الأمور
 ذاتها كيف تكون حسنة؟ فقد نُدرك، في ما يبدو، في الأشياء السفلية، أمراً من نوع الفضيلة،
 ١٥ ولو لم يكن على حال الصفاء. أما هناك فلا سبيل أصلاً للمُقارنة مع الأسفل، إذ/ إن شراً لا
 يقوم، بل تكون الأمور الشريفة قائمة هي ذاتها في ذاتها، ممّا يؤدي بالمسألة إلى أن تُشكل
 علينا. لَيْتَ شعري، لما كان بحثنا عن الشيء «لَمْ يَكُن» وكانت تلك الأمور هي ذاتها خيرة،
 أليس ذلك هو الذي غدا سبب الإشكال، إذ إن «لَمْ يَكُن» الشيء هو ذاته كون الشيء حقاً؟ حتى

ولو قلنا في علة الخير إنها عبر الأمر الحَيْر، فما دام استدلالنا قاصراً على أن ينال الروحانيات بقي الإشكال على حاله. ينبغي، مع ذلك، ألا ننشئ، فلعل شيئاً بدا لنا إن سلكتنا مسلكاً آخر.

٢٠ لقد أصبحنا الآن لا نطمئن إلى الرغبات في إثباتها الشيء ما هو وكيف يكون. هل ينبغي أن نلجأ إلى التوافق والتحاليف في مثل قضايا النظام والفوضى، والتناظر والتعاكس، والصحة والسقم، والمثال وفقدان الصورة، والحق والباطل، والبقاء والفناء بوجه عام؟ ومن عساه أن يشك في أوليات هذه المزدوجات، مزدوجاً مزدوجاً، أنها ليست في مثال الخير ثابتة؟ وإن كان الأمر كذلك، وجب في محدثاتها أن تجعل «في جانب الخير» هي أيضاً. فأصبح مثال الخير مشتجلاً على الفضيلة والروح والحياة والنفس، أعني النفس العاقلة على الأقل؛ وأصبح مشتجلاً إذاً على كل ما ترغب فيه الحياة العاقلة. / قد يقول قائل: ولماذا لا تقف عند الروح فتثبت على أنه هو الخير محضاً؟ فإن النفس والحياة هما للروح أثره، فضلاً على أن النفس في الروح ترغب. فالتنفس تنزع إلى الروح عندما تحكم بأن العدل خير من الظلم، وبأن كل ضروب الفضيلة خير مما يقابلها من صنوف الشر، فيكون حكمها بتفضيلها الشيء على سواه/ إيثاراً له بمقتضى رغبتها. لكنه لو كانت النفس ترغب في الروح فقط، فربما احتجنا إلى المزيد من الاستدلال على أن الروح ليس هو الحد الأخير في رغبتها، وعلى أن الرغبة في الروح ليست شأن الأشياء كلها. أما الخير فإن الأشياء كلها ترغب فيه. على أن الأشياء التي لم يتوافر الروح لها لا تسعى إلى أن تدرك الروح كله، في حين أن التي توافر لها لا تقف عنده بل تجاوزه في سعيها إلى الخير. / إنما تدرك الروح انطلاقاً من التفكير؛ وأما الخير فإنه قبل الفكر كان. وإن كانت النفس ترغب في الحياة وفي البقاء والتحقق على الدوام، لم تكن لترغب في الروح من حيث كونه روحاً، بل من حيث كونه خيراً ومن الخير انبعائه وإلى الخير اتجاهاه ولا غزو، ما دامت الحياة على هذه الحال هي أيضاً.

٢١ ما عسى أن يكون ذلك الأصل الواحد في هذه الأمور كلها والذي يجعل كلاً منها أمراً خيراً؟ فلنجرؤ الآن على القول بما يلي: إن الروح والحياة هنالك هما «الخير بمثال»، وإنما يرغب فيهما بقدر ما إنهما «الخير بمثال». وأقول إنهما «الخير بمثال» بمعنى أن الحياة من الخير تحققه، أو إنها بأن تكون تحققاً من الخير ينبعث أخرى. / أما الروح فإنه «الخير بمثال» بمعنى أنه هذا التحقق وقد ضبط بحد. فإنهما حافلان بالضياء تسعى النفس وراءهما ما لكونها من عالم الروح إليه توجه وجهها، فتسعى إليهما لآتهما من ذويهما، لا لكونهما على الخير حالهما. وما دام كلاهما هو «الخير بمثال» كانا بذلك أمرين لا يستهان بهما. فدوو المرء، إن لم تكن على

١٠ الخير حالهم، إنما ذوقه هم، لكنه رُبما نفر منهم، بل قد يميل إلى الأبعدين/ وإلى ما كان دون ذلك كله شأنًا. إنَّ النَّفْسَ تَعشَقُ الروحَ والحياةَ عَشْقًا هو كَلَفٌ لا يكونهما على ما هما عليه في ذاتيهما، بل بأخذهما، وهما على ما كان عليه في ذاتيهما، ممَّا وراءهما شيئًا آخر يُزاد إليهما. فإنَّ الأجسامَ، ولو كان النار يُخالطها، إنما تحتاج إلى نور آخر حتَّى يظهر النور المُستَكِنَ فيها. ١٥ وكذلك القول في الأمور الروحية: / إنها تشتمل على نور عظيم، وإنما تحتاج أيضًا إلى نور آخر أشرف حتَّى تُصبح مَرِيَّة لها هي ذاتها ولغيرها.

٢٢ فعندما تُشاهد هذا النور نكون قد تحرَّكنا نحو العلويات، فكلَّف بالنور المُنتشر عليها ويهزنا طرب. مثل ذلك مثل الأجسام ههنا: لا يقع العشق عليها محلًّا لِمَوَادَّ، بل على الحُسن الذي به تتلأل. كلُّ أمر يقوم بما يكون عليه في ذاته. / إنما يُصبح مرغوبًا إذا أُقبل الخير نحوه يزدهيه وكأنما يخلع على الأشياء ظَرْفًا يشفعه لعشق لدى العاشقين. فالنَّفْسُ تُصاب في بواطنها بِكِدَّة من فوق، فضطرب وتتشتي ويهزها الحنين فتُصبح عَشْقًا. لم تكن النَّفْسُ لتتزع إلى الروح قبل ذلك على كونه/ في الحُسن قائمًا. فإنَّ حُسنه كان حُسنًا غير مُجَدِّ قبل أن يصيبه الخير بنوره، وكانت النَّفْسُ قد نالها من ذاتها صُمود واسترخاء، وتعطلت عن كلِّ عمل ووقفت بكماء صمًا إزاء الروح وهو حاضر. أمَّا الآن وقد هبط إليهما من العلوي شيء وكأنه حرارة، فها هي ذي ١٥ تَهَبُ لِتَنهَضَ، وينبت لها جناح حَقًّا؛ / وبالرَّغم من الجائيم أمامها وهو منها دَانٍ ما يَنفَكُ يستغويها، فإنها تخفُّ إلى عالم أعظم آخر فكأنها تتذكَّره. وما دام شيء يعنُّ لها، وهو فوق ما بين يديها، فإنَّ شأنها أن ترتقي دائمًا يشدُّ بها صُعدًا ذلك الذي كفل لها العشق مَدَدًا. ثم تُجاوز الروح ولكتها لا يسعها أن تُجاوز في انطلاقها إلى فوق ما كان الخير مُحضًّا لأنَّ شيئًا لا ٢٠ يكون بعد ذلك. / أجل إنَّ بقاءها في الروح يكفل لها مُشاهدة الحُسن والجلال، ولكتها تلبث ولما تُدرك ما تبحث عنه إدراكًا في تمامه. فكأنها آنذاك قرب وجه قام في حُسنه ولم يسعه أن يستميل النَّظَر لأنَّ الأناقة التي تتناول الحُسن ذاته لم تنتشر عليه ببريقها. ولذلك يجب القول ٢٥ حتَّى في الحُسن هنا إنَّه بأن يكون إشراق التَّنَاطُر/ أخرى منه بأن يكون التَّنَاطُر ذاته، وإنَّه هو الذي يعيش آنذاك. ولعُمري، لماذا يكون إشراق الحُسن على أشده في وجه من لا يزال حيًّا، ثم هو أثر على وجه من مات ولم ينله الفساد في لُحوم وجهه وخُطوطه المُتَنَاطرة؟ ولماذا تكون أشدَّ ٣٠ التَّمائيل حُسنًا أو فرها حياة ولو ظهر غيرها عليها بالتَّنَاطُر؟/ بل لماذا يغدو الحُسن في الحيِّ على قُبْحه أشدَّ منه في التَّمثال على حُسنه؟ لأنَّه بأن يكون هو المرغوب فيه أخرى، أعني لأنَّه منفوس أي لأنَّه من «الخير بمثال» أوفر حَقًّا. ولهذا يعني أنَّ نور الخير أُقبل على النَّفْس يزهاها بألوانه، فإذا زهت النَّفْس بهذه الألوان نهضت وخفت ونفضت ما لديها، وجعلت صاحبها هو ذاته خيرًا

٣٥ وأنشطته بقدر ما كان/ إلى ذلك كله يتسع.

٢٣ ما دام ذلك الذي تتبعه النفس هو الذي ينشر نوره على الروح، وهو الذي إذا وقع أثره على شيء حرّكه، فلا عجب إن توافرت له قوة من ذلك الطراز فجذب إليه وصرف عن كل شيء ليضمن الاطمئنان في جواره. فإن كانت الأمور منه كلها، كان هو أشرف من كل شيء وأصبح كل شيء دونه مقامًا. / وكيف لا يكون أشرف الحقائق هو الخير محضًا؟ وإن وجب في حقيقة الخير أن تُمسي على أشد ما يكون اكتفاء بذاتها وغنيّة من كل شيء سواها مهما يكن، فما عسى أن تكون حقيقة ما نعر عليها سوى هذه الحقيقة بالذات؟ لقد كان الخير وهو على ما كان عليه في ذاته، وما كان شيء سواه، كان هو ولما يكن الشرُّ قط. وإن قام الشرُّ بعد ذلك/ في ما لم يُصيب شيئًا من الخير حتى بوجه من الوجوه، وما كان في السفليات من شيء ليكون وراء الشرِّ، أصبح الشرُّ مع الخير على طَرَفَي نقيض، لا يتوسطهما في تناقضهما وسط. ذلك هو الخير إذا. فإما ألا يكون من الخير شيء مطلقًا، وإما إن لم يكن من الخير بُدٌّ، فذلك الخير خير سواه. / وإن قيل فيه إنه لم يك، لم يك الشرُّ أيضًا، فلم يبق في الطبيعة خلاف به يقع الاختيار، وهذا أمر مُستحيل. بل يُقال في الأشياء إنها خيرٌ بالقياس إليه. أما هو فلا يقاس إلى شيء قط. فما عساه أن يُبدع ما دام هذا المقام مقامه؟ لقد أبدع الروح والحياة، ومن الروح أخرج النفوس وغيرها بقدر ما كان لغيرها من معنى أو من روح أو من حياة نصيب. / والذي كان لهذه الأمور أصلها من عساه أن يصف قدره عظمة وخيرًا؟ ولكن ما عساه الآن أن يُبدع؟ ألا أنّه يكفل لهذه الأمور حفظها، فينفخ العارف بالروح ويجعله يعرف، وينفخ الحيّ بالحياة فيجعله يحيا أو يجعل الشيء يقوم حقًا إن لم يتسع للحياة.

٢٤ ونحن، فكيف ينالنا بصنعه؟ نُجيب: إما أن نعود إلى البحث حول النور فنقول في النور الذي يشع به الروح وتُصيب منه النفس خطأ ما هو. وإما أن نرجى الآن هذا البحث إلى ما بعد ذلك فنقبل أولًا على السؤال في ما يلي. أليكون الخير على الأقل بأنه ما يرغب فيه غيره فيكون خيرًا آنذاك ويُطلَق عليه ذاك وصفاً؟ ثم إن كان يرغب فيه شيء ما، أليكون لهذا الشيء خيرًا، أما إن كان يرغب في كل شيء قلنا فيه إنه الخير محضًا؟ ربّما استدّل بعضهم من كونه مرغوبًا فيه على أنّه خير لا محالة؛ فيجب، مع ذلك على الأقل أن تصدق مثل هذه التسمية على ذاك المرغوب فيه. ثم هل يرغب الراغبون فيه لأنهم يتلقّون منه شيئًا أو لأنهم به يبتهجون؟ وإن تلقّوا منه شيئًا، فأي شيء يكون؟ وإن كانوا به يبتهجون، فلماذا يكون ابتهاجهم به ولا يكون بغيره؟ هذا وينطوي سؤالنا على سؤال آخر: هل الخير خير بما يفرد به أو بشيء آخر؟ أيضًا:

هل يكون الخير خيراً لغيره أو يكون الخير خيراً لذاته أيضاً؟ الواقع أنّ ما كان خيراً لم يكن لذاته خيراً، بل كان لا محالة خيراً لشيء آخر. / ثمّ ما عسى أن تكون حقيقة التي يُصبح لها خيراً؟ فربّ حقيقة لا خير لها. كما أنّه ينبغي ألاّ نُهمل ما قد يقوله قائل ضاق ذرعاً، وهو: يا لهذا! ما بالك تقلب الأمور رأساً على عقب بتسمياتك الضخمة، فتقول في الحياة إنّها خيرة، وفي الروح ١٥ إنّها خير والخير وراءهما صُعداً؟ فكيف يكون الروح خيراً؟ أو ما عسى أن يكون الخير الذي يكفله له من عرف المُثل في ذواتها وشاهدها مثلاً مثلاً؟ ربّما كان مخدوعاً على أمره أدّت به لذّته بهذه المُثل إلى أن يقول فيها إنّها خيرة، وربّما كان قوله ذلك في الحياة أيضاً لأنّها لذيدة. أمّا إذا كانت حاله حال حيرمان من اللذّة، فلماذا يقول في ذلك كلّهُ أنّه خير؟ هل الخير بأنّ نكون ٢٥ حقّاً؟ فما عسانا/ أن نجني من كوننا حقّاً؟ بل ما عسى أن يكون الفرق بين كوننا حقّاً وعدمنا بوجه عامّ إلّا بأن نجعل حُبّ الذات سبباً لذلك كلّهُ؟ فإنّ المَكْرَ الفُطْرِيّ فينا والخوف من الفساد ٣٠ هما اللذان يُؤدّيان إلى الاعتقاد في تلك الأمور أنّها خيرات. /

[٢٥] إنّ أفلاطون يُلحِق اللذّة بالغاية، ولا يجعل الخير أمراً بسيطاً أو ثابتاً في الروح فقط: هذا ما دَوّنه في كتاب «الفيلسوس». وربّما فعل لأنّه كان مُتنبّهاً إلى إشكالنا. فإنّه لم يَمل قطّ إلى ٥ جعل الخير في اللذّة، ونعم ما فعل. كما أنّه لم يَرِ واجباً في الروح، مُجرّداً من اللذّة، / أن يتصوّر خيراً، لأنّه لم يَتَبَيّن فيه حيثيّة الأصل المُثير للرغبة. بل ربّما كان يذهب إلى أنّه ينبغي للخير أن يكون مُبهجاً ما دام مُستميلاً في ذاته على طبيعة مثل طبيعته. ثمّ إنّ المرغوب فيه يكفل دائماً لمن يصيبه ابتهاجاً، فأصبح انتفاء الابتهاج انتفاء للخير وصفاً، وكون الابتهاج في ١٠ الراغب/ نفيّاً له في الأصل الأوّل. ممّا يُؤدّي بالخير محضاً ألاّ يكون خيراً لذاته. ولهذا قول معقول. فإنّ أفلاطون لم يكن باحثاً عن الخير الأوّل، بل على ما كان الخير لنا. وما دام ذلك الخير خيراً من نوع آخر، فإنّه يختلف عمّا كان الخير لنا وهو خير ناقص، بل ربّما كان خيراً مُركّباً. ولذلك لم يكن «للمفارق القائم على حياله» خير قطّ، بل كان الخير بمعنى آخر ١٥ وأشرف. / ينبغي للخير المحض أن يكون محضاً. أنقول في ما تقدّم من الأشياء إنّهُ هو الخير المُتأخّر، ونقول في الارتقاء الدائب إنّهُ يُتيح للأعلى أن يكون خيراً للأدنى، ما دام ٢٠ تدرّج الارتقاء/ لم يَخْرُج عن حدّ القياس بل مضى قُدّماً من الأصغر إلى الأكبر؟ حينذاك يقف الارتقاء عند الحدّ الأقصى الذي لم يكن شيء بعده يُدرك صُعداً. فيكون هو الحدّ الأوّل وهو الخير حقّاً، وأشدّ ما يكون صِدقاً وهو لما سواه العِلّة والسبب. فالخير للهوى ٢٥ هو المثال: لو كان بوسعه أن تُدركه بالإحساس لكانت انشروحت له ورحبت به. والخير للبدن/ نفسه: فلو لم تكن لما كان هو ولما كفل له بقاء. والخير للنفس الفضيلة. وفوق ذلك أيضاً يَحُلِقُ

الروح الذي كان فوقه ما تُسمّيه الحقيقة الأولى . لهذا وإنَّ كلَّ أمر من هذه الأمور يخلق أثرًا في ما يكون له خيرًا : فأمر يخلق نظامًا وأحكامًا، وثان حياة وثالث إدراكًا وحُسن حال . أمّا الروح ٣٠ فإنَّما خيره هو الخير محضًا، ذلك الخير الذي قلنا فيه أيضًا/ إنَّه يأتي إلى الروح لأنَّ الروح تَحَقُّق من الخير ينبعث ولأنَّ الخير لا يزال حتَّى الآن يمدُّ الروح بما وصفناه بأنَّه نور . أمّا البحث عن هذا النور ما عسى أن يكون في ما هو عليه في ذاته، فهو بحث تُرجِّئه إلى حينه .

٢٦ إنَّ ما فطر على الشُّعور من تلقاء ذاته، إذا انتهى إلى الخير عرف الخير وقال في الخير إنَّه بين يديه . وما القول إن كان مخدوعًا على أمره؟ كان لا بدَّ من شيء يُحاكي الخير وتُخدَع به حيثنَّه . إن غدا الأمر على هذه الحال، غدا الخير مع ذلك قائمًا في ذاته، منه ينبعث ما به خُدَعنا، فإذا أقبل الخير عدلنا عمَّا به خُدَعنا . / ثمَّ إنَّ الرُّغبة فيه والتَّباريح التي تولِّدها لدى كلِّ شيء، تدلُّ على أنَّ لكلِّ شيء خيره . أمّا الأشياء التي لا نفس لها، فإنَّما يصلها عطاء الخير من غيرها . أمّا الثُّقوس فإنَّ الرُّغبة هي التي تُحدِّث فيه الشُّوق إلى خيره . كذلك يعتني الأحياء بالأموات وقد أصبحوا أجسادًا هامدة ويكرِّمونهم، / أمّا اعتناء الأحياء بذاتهم فمن ذاتهم يكفل . والدليل على إدراك الخير هو تحسُّن يَتَمَّ وتحسُّن يزول، والرُّغد بالخير والبقاء معه والكفَّ عن السَّعي إلى شيء آخر . ولذلك لم تكن اللَّذَّة لتكتفي بذاتها . فإنَّها لا تشبع من الشيء إذا بقي على ذاته وإنَّ الشيء الذي تقع عليه لا يكون الشيء ذاته، إنَّما تسعى دائمًا إلى غير ما كان في حوزتها . / يجب في الخير إذاً ألا يكون الحال التي تطرأ على من أصاب من الخير خطًا . فلا غَرَوْ بقي خاليًا من الخير من اعتقد في تلك الحال أنَّها الخير بالذات، وهو لا يملك من الأمر سوى الحال الواردة من الخير لدى من أصابه حقًا . لذلك لا يكتفي المرء بمجرَّد الشُّعور وهو خال ممَّا يقع عليه شعوره، كاللَّذَّة/ بالولد وهو حاضر، نشعر بها والولد غائب . كما إنِّي لست أعتقد في الدين يجعلون الخير في إشباع أبدانهم أنَّ أحدهم يجد لذته في الأكل وهو لا يأكل، أو في التَّمَتُّع الشَّهوانِي وهو لا يُساكن المرأة التي يُريدها، أو في عمل مهما يكن وهو لا يقوم بعمل .

٢٧ ولكن ما عسى أن يكون ذلك الذي إذا تحقَّق للفرد توافر ما يكفيه حاجته؟ نقول في ذلك الأمر إنَّه مثال ما : فهو للهوى مثالها، وهو للثُّقْس فضيلتها إذ الفضيلة مثال . ولكن هل يكون هذا المثال للفرد خيرًا بكونه على الأقلَّ لازمًا للفرد في ذاته، وهل تُحدِّد الرُّغبة بأنَّها رغبة في ما يكون للذات لازمًا؟ كلا! فإنَّ المُماثِل من لوازم الذات أيضًا، ورُبَّ أمر أراد/ ما يُماثِله ثمَّ ابتهج به ولمَّا يكن على الخير حاصلًا . بل إنَّنا لا نعني ما يلزم الذات عندما نقول في الشيء إنَّه

خير. ويجب في الخير أن نقول إنه يُميز بأصل يفوق ما يلزم الذات ويعلوها قدرًا، ويكون الشيء بالقياس إليه قائمًا بالقوة. فما دام الشيء بالقوة هو ذلك الأصل الذي إليه يُوجّه وجهه، كان إليه محتاجًا. ولما كان ذلك الذي يحتاج الشيء إليه، إنما يحتاج إليه لأنه أصل شريف، فإنه باقٍ هذا الأصل خيرًا/ لهذا الشيء. أما الهيولى فإنها أشدُّ الأشياء حاجة، ثم يأتي المثال الأدنى المقيم في جوارها والذي يليها في الاتجاه صُعدًا نحو الملاء الأعلى. وإن كان الشيء خيرًا لذاته، فناهيك بالأصل الذي هو كماله ومثاله وأشرف ما قام عليه في ذاته خيرًا له، على أن هذا الأصل هو بطبعه خير،/ وهو للشيء خيره لأنه يجعل الشيء خيرًا. ولكن لماذا كان للشيء خيرًا؟ ألا لأنه كان في الشيء أخصّ خواصّه؟ كلاً بل لأنه كان من الخير المحض جزءًا. ولذلك أصبح أشدُّ الناس انفرادًا بذاتهم وأكثرهم صفاء وأوفرهم خيرًا. فمن الغريب أن نبحث عما يكون خيرًا. بماذا يكون خيرًا لذاته، وكأنه لا بدّ من أن يخرج من ذاته مُتوجِّهًا إلى ذاته، وهو لا يكفي بأنه الخير على ما كان عليه في ذاته. على أنه لا بدّ من النَّظر في الأصل المُطلقة بساطته، حيث لا نجد قطّ مجالًا للتمييز بين الشيء وغيره، إن كان فيه الانفراد بالذات خيرًا لذاته. الواقع، إن كان قولنا هو القول الصّواب، إنّنا بارتقائنا، إنّما ندرك الخير وهو قائم في حقيقته./ فليست الرغبة هي التي تُبدع الخير بل كانت الرغبة لأنَّ الخير كان فأصبح لِمَن أدركوه، ويدركهم له، شيئًا لذيذاً. أما السُّؤال عن الخير، هل يُختار إن لم يكن لِيَتبعه لذّة، فهو سؤال ينبغي أن يُخصَّص له بحث مُستقلّ.

٢٨ أما الآن فيجب إعادة النَّظر في النَّتائج التي انتهى بحثنا إليها. إن كان ما يُقبل دائمًا على أنه الخير هو مثال، وكان الخير للهيولى هو المثال، فهل تُريد الهيولى، إن صَحَّ لها أن تُريد، أن تُصبح مثلاً فقط؟ ولكن إن أرادت ذلك أرادت بطلانها في حين أنّ كلّ شيءٍ إنّما يطلب ما يكون له خيره./ ألاّ أنّها ربّما لم تُرد أن تكون هيولى، بل أن تكون حقًا. أعني، إذا توافر لها ذلك، أنّها تُريد أن تُقلع عما كانت عليه من شرّ. ولكن أتى للشرّ أن يرغب في الخير؟ ألا، إنّنا لم نعزُ إلى الهيولى رغبة؛ إنّما كان من ذهننا افتراضًا أخذ الهيولى على أنّها إحساس إن وسعنا بهذا التّصور، أن نصون كونها هيولى./ فإذا أقبل المثال عليها وكأنه بالخير حلم نائم، طابت حيثنّه مقامًا. أما إن كانت الهيولى هي الشرّ، فلا مزيد على ما ذكرنا. أما إن أصبحت شيئًا آخر، الرّذيلة مثلاً، وحازت، في ما تكون عليه حقًا، بإحساس، أنبقي على القول في اتّجاهها إلى الأشرف لازماً لذاتها إنه الخير لها؟ على أنّ الرّذيلة لم تكن هي التي اختارت الأشرف، بل الأمر الذي كانت قد أفسدته./ أما إن بات كونها حقًا وكونها الشرّ كونًا واحدًا، فأثى لها، وهي كذلك، أن تُميز الخير وتختاره؟ على أنّ أقلّ ما نقول في الشرّ إن صَحَّ له الإحساس بذاته، هل

يكون راضيًا على ما هو عليه في ذاته؟ أتى للبغض أن يصحّ مرضيًا؟ فإننا لم نُحدّد الخير بما يلزم
 ٢٠ الذات. لهذا وحسبنا ما ذكرنا. إنّ الخير هو المثال إذا وعلى كلّ حال،/ ومهما ارتقينا أصبح
 المثال أصدق مثالًا. فالنفس مثالًا فوق مثال البدن، وللنفس ذاتها مثال أرفع ومثال آخر أرفع
 أيضًا. ثم إنّ الروح مثالًا فوق النفس بمثالها. ممّا يُؤدّي بالخير إلى أن يقع من الهيولى في
 نقيضها وكأنّه تطهّر منها، والانفصال عنها بقدر ما يسعه في كلّ حالة، على أن تتمّ لها المناقضة
 ٢٥ بأشدّها إذا نفّض عنه الهيولى نفّضًا تامًّا. / كأنّ الخير في طبعه الثّور من كلّ ما يمتّ إلى
 الهيولى إذا، أو هو بالأب لا يكون بينه وبينها قطّ جوار أخرى. يُقيم في ما كان التّزّه عن كلّ مثال
 طبعًا، وهو مع ذلك للمثال الأوّل أصله. ولكنّ هذا بحث سنعود إليه.

٢٩ ولكن إن لم تكن اللّذة لاتباع الخير محضًا، وكان قبل اللّذة شيء به تقع اللّذة، فلماذا لا
 يُصبح هذا الشّيء أمرًا مُستحبًّا؟ ذلك بأنّ قولنا فيه أنّه مُستحبّ هو القول بأنّه اللّذة. ولكن إذا
 حضر أيّمكن ألا يكون مُستحبًّا وهو حاضر؟ فإن باتت هذّي الحال حاله، كان الحاصل على الخير
 ٥ شاعرًا بالخير/ حاضرًا وهو لا يدري بأنّ الخير بين يديه. وما عسى أن يمنعنا من أن ندري به ثمّ لا
 نتأثّر، مع ذلك، بحصوله فينا؟ فهذّي حال يحظى بها بخاصّةٍ من ازداد عقلًا وأصبح غنيًّا عن كلّ
 حاجة. ولذلك لم يكن الأوّل ليتأثّر هو أيضًا، لا لأنّه بسيط في ذاته وحسب، بل لأنّ الكسب لا
 ١٠ يلدّ إلا إذا حاجة. وهو أمر شأنه أن ينجلي لنا انجلاء تامًّا/ بعد أن نكون قد حلّلتنا المشاكل الباقية،
 ودفعنا هذه المعاندة التي لا تزال تعترضنا. إنّها معاندة من يُشكّل عليه الأمر في صاحب الروح ما
 عساه أن يجني من خير بروحه. فهو لا يتأثّر بأقوالنا، إذا سمعها، لأنّه لم يتمّ له أن يفهمها على
 ١٥ وجهها. إنّهُ يسمع أسماء أو يُؤوّل على غير وجهه كلّ قول من أقوالنا،/ أو يطلب شيئًا جسديًا
 ويجعل الخير في الأموال وما كان على شاكلها. فالقول الذي يجب مع هذا المُعاند هو أنّ
 احتقاره لأمرنا اعتراف منه بخير يفترضه ثابتًا بين يديه. ولكنّه يشكل عليه التّوفيق بين أمورنا
 وبين الوجه الذي يتصوّر به ما قام بين يديه. فإنّه يستحيل على المرء أن ينفي عن الشّيء «كونه هذا
 ٢٠ أو ذاك»، وهو ليس له قطّ من «هذا أو ذاك» خبرة أو تصوّر. / بل رُبّما تأتي له سابق حدس في ما
 كان فوق الروح على استواء. ثمّ إذا ألقيت نظرك على الخير أو ما يُجاوره فجهلته، فانطلق ممّا
 يُحالفه ليحظى بإدراكه. أو إنك لا ترى في الجهل شرًّا، بالرغم من أنّ كلّ امرئ يرى في الإدراك
 ٢٥ خيرًا ويدّعي بأنّه مُدرك، وعليه تشهد الإحساسات/ ذاتها إذ إنّها تُريد أن تكون علومًا. وإن كان
 الروح أمرًا شريفًا بالحسّن يزهو، ولا سيّما الروح الأوّل، فما عسانا نقول في مُبدعه ووالده إن
 استطعنا أن نتصوّره؟ ومن احتقر الحقّ والحياة جحد بذاته وأحواله كلّها. وإن نَفَرَ بعضهم من
 ٣٠ الحياة وهي بالموت مشوبة،/ نَفَرَ من حياة كانت هذّي حالها، لا من الحياة في الحقّ.

٣٠] أما إن وجب في اللذة أن تكون مع الخير ثَمَازِجَه، ولم تكن الحياة كاملة في مُشاهدة الأمور الإلهية ولا سبباً أصلها، فهو سؤال تقتضي الحال أن ننظر فيه ونقبل عليه مُتَمَسِّكِينَ بالخير في حقيقته. إنَّ مَنْ يَتَصَوَّرُ الخير شيئاً ناتجاً من الروح على أنه محلٌّ ومن الانفعال الذي يقع في النَّفْس/ على أثر التَّمَكُّر، لا يجعل المُركَّب من الطَّرفين هو الغاية، أو الخير بالذات. بل يكون الروح هو الخير حيثنَّه ونُمتسي نحن مُبتهجين بالخير حاصلًا فينا. وليكن هذا القول رأيًا ٥ في الخير أولاً. ثمَّ يُقابله رأي آخر أيضًا يقوم بمزج اللذة مع الروح على أن يخرج من الطَّرفين/ شيء واحد في ذاته يُتصوَّر بأنَّه هو المحل. فنحصل على الخير بامتلاكنا أو بمُشاهدتنا روحًا هو على هذه الحال. فإنَّه يستحيل في «القائم وحده على حياله» أن يكون أو يُراد خيرًا. وكيف يمتزج الروح باللذة ويُسهمان كلاهما في تحقُّق حقيقة واحدة؟ إنَّ الأمر الذي لا شكَّ فيه هو أنَّنا ١٥ لا نَتَصَوَّر اللذة الجسمانية/ مُشبعة لهذا المزيج. وهو قول يصدق أيضًا على أفراس النَّفْس بِقَدْر ما لا تفرح النَّفْس والعقل بغشاها. إلَّا أنَّه لا بُدَّ لكلِّ تحقُّق ولكلِّ حال ووجه من وجوه الحياة من دُيول تلحق بها وكأنَّها تُصاحبها. ممَّا يُؤدِّي إلى أن يعترض الحياة التي تجري جرياً طبعياً عائق ٢٠ أو شيء ما يُخالِفها، / فيمتزج بها ويحول بينها وبين أن تَسْتَوِي على ما تكون عليه في ذاتها. على أن يُؤدِّي الأمر ذاته أيضًا من ناحية أخرى إلى استرسال الفعل صافياً لا تشوبه شائبة، وإلى الحياة قائمة في أحواله المُشرِّقة. فيتصوِّرون حالة الروح وهي كذلك على أنَّها أجدر الحالات بأن ٢٥ تستحب وتختار، ويصفونه بأنَّه ممزوج باللذة حيثنَّه إذ تفوتهم العبارة الحقيقية. / وهذا ما يفعله الشعراء في مجازاتهم، فيُصِفون الأشياء التي نستحبُّها بأسماء غير أسمائها ويذكرون: «نشوة الكوثر»، «العبد والوليمة» و«أب الآلهة وقد ابتسم»، إلى ألوف سواها من نوعها. ففي الملاء ٣٠ الأعلى على التَّعظيم حقًّا وأشدَّ ما يمكن أن يستحبَّ وأن يرغب فيه، وهو لا يصير/ ولا يقوم في الحركة، بل هي السَّبب الذي يخلع على الأمور ألوانها ويجعلها تُشْرِقُ وبالنور تسطع. ولذلك يُصَيِّف أفلاطون إلى المزيج الحقَّ الصَّراح ويجعل القياس الأصليَّ سابقاً عليه، كما أنَّه يقول في «التَّنَاطُر والحُسْن المُشرفين على المزيج إنَّهما من عالم الروح أقبلًا على كلِّ ما كان في الحُسْن ٣٥ قائماً». ولذلك كان لنا/ بالحُسْن وفي الحُسْن من الخير نصيب. أمَّا الذي ينبغي الشُّوق إليه فهو بمعنى آخر. هو بأن يرتقي كلُّ مَنَّا بذاته إلى خير ما يكون عليه في ذاته. أعني المُتَنَاطِر فينا ٤٠ والحُسْن والمثال المُتَسَجِّم تركيبه والحياة المُشرِّقة النورانية وهي نِعَم الحياة. /

٣١] لقد أطلَّ ذلك الأمر الذي كان قبل الأشياء كلَّها إذًا، فخلع الحُسْن عليها وأمدَّها بالنور. فحظي الروح بضياء التَّحَقُّق النوراني ونشر النور على الطَّبيعة. وحظت النَّفْس بالقوَّة على أن يحيا بعد أن أقبل عليها مزيد من حياة. فارتفع الروح إلى عالم الأول واستقرَّ مُطمئنًا إلى الإقامة

٥ في جواره. / والنفس أيضًا، إذا قدرت، وجَّهت وجهها إليه حالما عرفته وشاهدته فابتهجت لدى مُشاهدته، وبقدر ما كانت لهذه الرؤيا مُتسعة مَلَك الصَّعق عليها أمرها. لقد رأت وكأنَّها صُبِعت، وأحسَّت بأنَّ شيئًا فيها قد حصل وأصبح حالها من الشَّوق في تَبَاريحه. كذلك تُثير صورة الحبيب الشَّوق إلى مُشاهدة الحبيب ذاته. / فَإِنَّ العاشق هنا يَتَكَيَّف لِمُحاكاة معشوقه فيجعل جسمه على أشدِّه أناقة ويسوق نفسه إلى التَّشَبُّه، وهو لا يريد أن يكون دون الحبيب قُوَّة في التَّعَفُّف والفضائل الأخرى. وإلَّا لردَّه/ الحبيب المُتَحَلِّي بهذه الصِّفَات، فلا يسعه أن يُصَاحِبَه إلَّا إذا كانت تلك حاله. على هذا الوجه تَعشَق النفس الأصل الذي نحن في صده، وهو الذي بادر فدفعها إلى أن تعشقه. وما دامت للعشق مُهيأة، فلن ترتقب من وجوه الحُسن هُنا أن تُنبِّهها. بل العشق بين يديها، فهي، وإن تَكَّ به جَهولًا، / تودُّ دائميًا وتُريد أن تحمل إليه ناظرة من عُلِّ إلى الدُّنيويَّات. ثمَّ إنَّها إذا شاهدت وجوه الحُسن في عالَمنا الكُلِّي ترعَّت عنها لأنَّها تراها أشياء قائمة في اللَّحم والبدن، يُلطِّخها منزلها الحاضر بأوساخه، ويتوزَّع المقدار ٢٥ أجزاءها، فلا تكون الحُسن في وجوهه بحال. أمَّا الروحانيَّات، فإنَّها، في ما هي عليه، / تمتنع عن أن تهوي إلى أحوال الجسد فتتسلَّط وتزول. وعندما ترى النفس دنيويَّاتنا في مساقها تجري، لا تلبث أن تُدرك تمامًا بأنَّ يتلأَّل فوقها إنَّما من غيرها يأتي. فتخفُّ النفس إلى العالم الأعلى يدفعها الهوى دفعًا إلى أن تعثر على معشوقها، ولا تشني حتَّى تُدركه إلَّا إذا جُرِّدت من حُجَّها. / ٣٠ وعند ذاك تكون قد شاهدت الحُسن كلَّه والحقَّ الصَّراح، وتكون قد اشتدَّت لما حفلت به من مزيد من الحياة الحَقَّة، وأصبحت هي ذاتها الحقَّ حقًّا، وتمَّ لها الفهم حقًّا ما دامت في القُرْب حَالًا، وهي تحسِّن الآن بما قد طال سعيها وراءه.

٣٢ أين يُقيم ذلك الذي أقام الحُسن في قَدْره، والحياة في قَدْرها، والذي وَلَدَ الذات؟ هل ترى الحُسن الذي يتناول هذه المُثُل كلَّها على اختلافاتها؟ أجل نَعْم البقاء هنالك! لكنَّك ما دُمْتَ في الحُسن قائمًا ينبغي عليك أن تنظر في هذه الأمور أنَّى جاءت، وفي حُسْنها أنَّى انبعثت. فإنَّه ٥ يجب ألا يكون ذلك الأصل أحد هذه الأمور/ وإلَّا لكان أمرًا من بينها وكان جُزْءًا. ليس صورة مُعيَّنة إذًا، كما أنَّه ليس قُوَّة ما أو كلَّ ما تولَّد هنالك مهما كان قدره، بل ينبغي أن يستوي فوق القُوَى والصُّوَر كلَّها. إنَّما الأصل مُنزَّه عن المِثَال لا بمعنى أنَّه يحتاج إلى مِثَال، بل بمعنى أنَّه ١٠ هو ما تنبعث منه كلُّ صورة نورانيَّة. أمَّا الصائِر/ فما دام قد صار وَجَبَ فيه أن يصير شيئًا وأن يكون له صورة ينفرد بها. وأمَّا الذي لم يكن شيء يُحدِّثه، فَمَنْ عساه أن يكون ذلك الذي شأنه أن يُحدِّثه؟ ليس هذا الأعلى حقيقة من الحقائق إذًا، وهو الحقائق كلَّها؛ ليس قَطُّ حقيقة لأنَّ الحقائق كانت عنه، مُتأخِّرة، وهو الحقائق كلَّها لأنَّها منه تنبعث. وما دام قادرًا على إبداع

١٥ الأشياء كلها، فما عسى أن يكون قدره؟ إنّه بلا نهاية، وإن كان بلا نهاية كان لا قدر له. / فإنّ المقدار آخر ما في المتأخرات، وينبغي للخير، إن كان للمقدار مُبدعًا، ألا يكون له هو ذاته مقدار. ثم إنّ عظم الذات لا يُقدَّر بالكمّ، بل يأتي بعد ذلك الأصل شيء آخر يُقدَّر بالمقدار. أما عظمه هو قبالاً يكون شيء يفوقه قُدرة أو يتّسع لمُماثلته. فما عسى/ أن يكون منه ما يتساوى به الشيء وقد أقبل، ثم ليس لديه ما نجده هو ذاته في أصلنا؟ ثم إنّ بقاءه على الدوام واشتماله على الأشياء كلها لا يُشكّلان له قياسًا كما أنّهما لا يجعلانه بدون قياس، وإلا فكيف يكون للأمر الأخرى قياسها؟ لا غرّو أيضًا إن لم يكن له شكل. ولعمري، إن كان الشيء معشوقًا، ثم لم يسعك أن تتبيّن فيه شكلًا أو صورة، أصبحت منه أشدّ ما تكون له عشقًا/ وحبًا، وحلّ من العشق فيك آنذاك ما ليس له حدّ. أجل، إنّ العشق هنا لا يُضبط بِحدٍّ لأنّ المعشوق لا حدّ له هو أيضًا، إنّما لا يكون للعشق نهاية ما دام هو المعشوق. فلا غرّو إن كان حُسْنُهُ حُسْنًا بوجه آخر، وهو حُسْن لا حُسْن فوقه. وليت شعري، ما عسى أن يكون حُسْنُهُ ما دام هو ذاته ليس بشيء حقًا/ لكنّه ٢٥ هو المعشوق، فكان للحُسْن هو المُبدع. / إنّه الطاقة إذا لكل شيء حَسَن وهو للحُسْن ازدهاره ومُبدعه. يُلدع الحُسْن ويزيده حُسْنًا إذ يفيض بالحُسْن من تلقاء ذاته، فهو للحُسْن أصله وحدّه الأقصى؛ وما دام للحُسْن أصله، فإنّه يخلع الحُسْن على ما كان له أصلًا ثم لا يجعل الحُسْن في صورة، بمعنى أنّ الحُسْن المُبدع يكون بغير صورة/ مع كونه في صورة من وجه آخر. ذلك بأنّ ما تصوّره هو وحده على أنّه صورة، إنّما يكون صورة في غيره. لكنّه هو مُنزّه عن الصورة ما دام قائمًا في ذاته. إنّما المعمور بالصورة هو ما يستمدّ الحُسْن بالاشتراك وليس الحُسْن في ذاته.

٣٣ ولذلك، عندما تذكر الحُسْن، كن حريصًا على أن تتحاشى صورة بهذا المعنى، بل على ألاّ تُقيّمها تُصَب عينيك، حتّى لا تهوى من الحُسْن ذاته إلى ما يُقال فيه إنّ الحُسْن بالاشتراك المُكدر. فإنّ المثال مُنزّهًا عن الصورة حُسْن ما دام مثالًا، وذلك بقدر ما تُجرّده كلّ صورة، حتّى من الصورة الدّهنيّة مثالًا. / فلنّا بها نقول في الشيء إنّّه يختلف عن غيره، مثلما نقول في العدل إنّّه يختلف عن التّعقّف مع كون الأمرين كليهما حُسْنًا. وإذا عرفّ الروح شيئًا خاصًا قلّ قدره حتّى ولو أدرك في آن واحد كلّ ما في العالم الروحانيّ. فإن أدرك فردًا، أخذ صورة روحانيّة واحدة، وإن أدرك الأمور كلّها في آن واحد وكأنّها أمر واحد مُختلف العناصر كان لا يزال في نقصان. يجب أن يتبيّن ما يستوي فوق ذلك كلّ من أيّ طراز طرازه: / أعني الحُسْن الكلّي الذي تختلف فيه عناصرها وهي لا تختلف. فإنّ في النّفس شوقًا إليه وهي لا تدري لماذا ترغب فيه. إنّما يدلّ العقل على أنّ ذلك الأصل هو الحقّ حقًا ما دامت حقيقة الأشرف والمعشوق الأعظم في أن يكون عن المثال مُنزّهًا. ولذلك أيّا ما رددت إلى مثال ثم دلت

١٥ النَّفْسُ عَلَيْهِ بَحَثْتُ هِيَ عَمَّا كَانَ فَوْقَهُ / فَعَمَرَهُ بِالصُّورَةِ . فَالْعَقْلُ يَدَلُّ عَلَى أَنَّ الْقَائِمَ بِصُورَةِ
وَالصُّورَةِ وَالْمِثَالِ هِيَ أُمُورٌ يَقَعُ الْقِيَاسُ عَلَيْهَا كُلُّهَا . وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهَا لَيْسَتْ الْكُلُّ وَلَا تَكْتَفِي بِذَاتِهَا
وَلَيْسَتْ مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهَا حَسَنَةً ، بَلْ كُلُّ ذَلِكَ قَائِمٌ بِمَزِيَجٍ . فَلَيَقَعُ الْقِيَاسُ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ الْحَسَنَةِ ،
٢٠ عَلَى الْأَيَّامِ الْحَقِّ حَقًّا وَالْحُسْنِ الْفَائِقِ قِيَاسًا . وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَهُ ، فَإِنَّ صُورَةَ لَا تُعَمَّرُ /
وَلَيْسَ هُوَ بِمِثَالٍ . فَالْحُسْنُ أَصْلًا وَالْأَوَّلُ إِنَّمَا كَانَ عَنِ الْمِثَالِ مُنْزَعًا ، وَالْحُسْنُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى
إِنَّمَا هُوَ حَقِيقَةُ الْخَيْرِ الرُّوحَانِيِّ . وَيَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ حَالُ الْمُشَاقِّ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ مَا دَامَ الْعَاشِقُ وَاقِفًا
عِنْدَ الْمَظْهَرِ الْمَحْسُوسِ ، أَدْرَكَ الْمَظْهَرَ وَلَمَّا يَعْشَقْ . لَكِنَّهُ إِذَا انْطَلَقَ مِنَ الْمَظْهَرِ الْمَحْسُوسِ
٢٥ وَاحْدًا هُوَ ذَاتُهُ فِي ذَاتِهِ أَثَرًا غَيْرَ مَحْسُوسٍ فِي نَفْسِهِ الَّتِي لَا تَتَجَرَّأُ ، نَهَضَ الْعِشْقُ حَيْثُ نَزَلَ /
فِيَحَاوِلُ الْعَاشِقُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَعْشُوقِهِ لَكِي يَنْعَشَ هَذَا الْأَثَرُ إِذَا أَدْرَكَهُ الذُّبُولُ . فَلَوْ أَدْرَكَ بِكِيَاسَتِهِ
أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْارْتِقَاءِ إِلَى مَا يَكُونُ أَشَدَّ تَنْزَعًا عَنِ الصُّورَةِ لِأَحْسَنَ بِالشُّوقِ إِلَى الْأَشْرَفِ . ذَلِكَ
بِأَنَّهُ ، مِنْذُ الْبِدَايَةِ ، كَانَ يَشْعُرُ بِعِشْقٍ لِنُورٍ عَظِيمٍ بَنِيهِ فِيهِ ضَوْءٌ ضَبِيلٌ . فَإِنَّ أَثَرَ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الصُّورَةِ
٣٠ صُورَةٍ ، وَأَقْلَى مَا يُقَالُ فِي الْأَمْرِ هُوَ أَنَّ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الصُّورَةِ / هُوَ الَّذِي يُؤَلِّدُ الصُّورَةَ ، وَلَيْسَتْ
الصُّورَةُ هِيَ الَّتِي تُؤَلِّدُهُ ، وَهُوَ يُؤَلِّدُهَا لَدَى إِقْبَالِ الْهَيُولَى . أَمَّا الْهَيُولَى فَإِنَّهَا فِي مُنْتَهَى الْبُعْدِ لَا
مَحَالَةَ لِأَنَّهَا لَيْسَ لَدَيْهَا ، مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهَا ، شَيْءٌ مِنَ الْمِثَالِ بِمَا فِيهِ أَقْصَاءُ سُفْلًا . فَالْهَيُولَى لَيْسَتْ
هِيَ الْمَعْشُوقُ ، بَلْ مَا يُجْعَلُ مِثَالًا بَوْسَاطَةِ الْمِثَالِ ، وَالْمِثَالُ فِي الْهَيُولَى إِنَّمَا مِنَ النَّفْسِ يَنْبَعُ .
٣٥ ثُمَّ إِنَّ النَّفْسَ أَوْفَرَ مِثَالًا وَأَجْدَرُ / بِعِشْقِ الْعَاشِقِ ، وَالرُّوحُ أَوْفَرَ مِثَالًا مِنْهَا أَيْضًا وَأَشَدَّ جِدَارَةً بِأَنَّ
يَعْشَقُ . وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَجَبَ الْقَوْلُ فِي حَقِيقَةِ الْحُسْنِ الْأَوَّلَى إِنَّهَا عَنِ الْمِثَالِ مُنْزَعَةٌ .

٣٤ فلا عجب في هذا الأصل الذي يثير فينا تلك الرغبات الشديدة إن كان فوق أن تناله
صورة ولو كانت صورة روحانية . ثم إن النفس إذا ملك العشق له عليها أمرها ، خلعت كل
صورة كانت لديها ، حتى تلك الصورة الروحانية المستكنة فيها . فإنه يستحيل عليها ، إن ملكت
٥ شيئًا آخر وانهمكت به ، أن تشاهد ذلك الأصل وتطابقه . / بل ينبغي لها أن تكون خالية من كل
شئ حتى ومن كل خير ومن كل شيء آخر لكي تتلقاه وحده وهي وحدها . قد يسعد الحظ النفس
فتدرك ذلك الأصل إذ يقبل هو عليها ، أو بالأحرى يتجلى لها ، لأنه دائماً حاضر . فتكون النفس
١٠ قد عدلت بوجهها عن الأشياء التي تحيط بها ، وأعدت ذاتها بأشد ما يكون حُسْنًا وانتهت إلى
محاكاته . وهو إعدادٌ وتحلٌّ معروفان لدى من يُعالِجهما . فما هي إلا وتراه ظاهرًا فيها ، لا
يتوسطهما شيء قط ، وقد بطلا في كونهما شيئين بل أصبح كلاهما أمرًا واحدًا . فلا يسعك أن
تُمَيِّزَ بينهما ما دام هو حاضرًا . ويحاكي حالهما حال العاشق والمعشوق يُريدان أن يوحدا بين
١٥ ذاتيهما . / فلا تحسن النفس بعد ببدنها ولا تشعر أنها حاصلة فيه ، ولا تقول في ذاتها إنها شيء

مُغاير: إنَّها الإنسان أو الحيوان أو الحق، بل لا تقول في ذاتها إنَّها الكل. فإنَّ في مُشاهدة ذلك كَلَّة تعكيرًا إما تكون عليه. كما أنَّها لا همَّ لها بذاتها وليست بِمُريدة، بل مُتقدِّمة نحو ذلك ٢٠ الأصل الذي كان حاضرًا ما دامت عنه باحثة، / فما هي ذي تنظر إليه بدلًا من أن تنظر إلى ذاتها. حتى وإنَّها لا بال لها بأن تتبيَّن، هي الناطرة، ما عسى أن تكون عليه في ذاتها. فلا غَرَو إن لم تكن لِيُعدله بشيء من الأشياء، حتَّى ولو عرضوا عليها السَّماء بما فيها وهي على يقين أنَّ شيئًا لن يكون ثمَّ يفوقه فضلًا وخيرًا. فإنَّها لن تُسرِع إلى فوق ما هي عليه صُعدًا، إذ إنَّه هُبوب طلبها كلَّ ٢٥ أمر آخر، مهما سما بمقامه. / حيثنَّ يُتم لها الحُكم الصائب والمعرفة بأنَّه هو الذي كانت ترغب فيه، ويسعها أن تُثبت مُطمئنة أنَّ شيئًا أشرف ممَّا لديها لن يكون. لا مجال للضلال هناك؛ وليت شعري، أين تُصيب ما يكون أصدق من الحقِّ الصَّراح؟ إنَّ ما تقوله فيه، ذلك هو إذا؛ وهو قول يرد مُتأخَّرًا، فتنتطق به وهي صامئة وقد طاب الحال لها؛ فلا تكون كاذبة إذ تقول بأنَّ الحال قد طاب لها. / كما أنَّها لا تقول قولها على أثر دغدغة في البدن، بل بعد أن صارت ذلك الذي أصبحت على ما كان هو عليه في ذاته: حال تمَّ لها وقد كان سَعْدُ الحَظِّ رائدها. كلَّ ما لَدَّ لها في ما مضى، من سُلطان وقُدرة ومال وحُسن وعِلْم، كلَّ ذلك أصبح موضع احتقارها الآن، وهي تُجاهر بهذا الاحتقار، ولما كانت لِيُتجاهر لو لم تعثر على ما فاق كلَّ ذلك شرفًا ومقامًا. ٣٥ وما دامت مع ذلك الأصل، وليست عنه غافلة، فإنَّها لا تخاف من حال عليها يطرأ. / وإذا أدرك الفناء ما سواها من حولها، فإنَّ في هذا الفناء أُمْنِيته القُصوى، حتَّى تحلَّ في جواره هو، هي وحدها. أجل، لقد انتهى بها أمرها إلى هذا القدر السعيد من الحال والمقام.

٣٥] ثمَّ إنَّها تُجسِّن من ذاتها حيثنَّ، بأنَّها تستصغر العرفان الذي كانت تنشرح له في زمان آخر، لأنَّ العرفان كان حركة من وجه ما وهي الآن لا تُريد أن تتحرَّك. فإنَّها لا تقول شيئًا حتَّى في ذلك الذي تُشاهده، وهي، مع ذلك، لا تُشاهده إلَّا لأنَّها أصبحت روحًا وكأَنَّها تجوَّلت إلى ما كان الروح عليه في ذاته وحلَّت في مقام الروح وعالمه. / لكن إذا حلَّت في هذا العالم ٥ وجالت من حوله أصبحت الروحيَّات في حوزتها واسترسلت في عرفانها. حتَّى إذا رأت ذلك الأصل تخلَّت عن كلِّ ما لديها. مثل ذلك مثلما لو دخلنا إلى دار كثرت أمتعته وكان بذلك جميلًا، فنُشاهد أنواع الأمتعة في الداخل ويأخذنا العَجَب، قبل أن يقع نظرنا على صاحب الدار. ١٠ فإذا رأيناه وأحببناه لأنَّه ليس في حال/ تمثال أصمَّ بل هو جدير بالمُشاهدة حقًّا، تحوَّلنا عن تلك الأمتعة ونظرنا إليه وحده دون ما سواه. ثمَّ ننظر ولا نُحوِّل النَظْر فلا نعود ننظر إلى مرثي مُستقلٍّ لاستغراق مُشاهدتنا، بل يمتزج نظرنا بما نُشاهد بحيث يتحوَّل ما كان مرثيًّا في البداية إلى الرُؤية بالذات، ونُسقط مُشاهدتنا جميع الأمور الأخرى كُلَّها. ورُبَّما كانت الصورة

المجازية أحفظ للمقايسة التي نحن بصدها لو لم يكن من يقابل مُشاهد الدار إنساناً بل إلهاً ما،
 ١٥ لا يظهر للبصر بل يملأ نفس المُشاهد. إن للروح إذاً قُوّة على العرفان بها/ يرى ما ينطوي عليه هو ذاته. وله أيضاً قُوّة بها يعرف ما وراءه وفوقه بإدراك ما وتلقّى، فيرى أولاً ثمّ يحصل برؤياه على كونه روحاً وكونه أمراً واحداً في ذاته. فالقُوّة الأولى هي مُشاهدة الروح حكيمة والقُوّة الثانية هي الروح عاشقاً. وإذا فقد الرُّشد وأصبح في نشوة الكوثر، عند ذلك يُصبح عاشقاً/ وقد أمسى أمراً بسيطاً يسعد بالرَّغد. والنشوة خير له من الترفع عنها وهي من هذا الطراز. أو يرى هذا الروح الأشياء جزءاً جزءاً، فتارة جزءاً وطوراً جزءاً آخر؟ كلا! أما العقل فيعلم ويجعل الأمور حوادث تنشأ. أما الروح فالعرفان حاصل فيه دائماً ويحصل فيه أيضاً ما ٢٥ ليس بالعرفان، بل ما يكون، بمعنى آخر، نظراً في الأصل الذي نحن بصده. / فإنه إذ يرى ذلك الأصل الذي تحصل فيه أمور تولدت فيشعر بها تتولد وفيه تقوم. وإذا شاهد هذه الأمور قيل فيه إنه يدرك بالعرفان، أما ذلك الأصل فإنه يدركه بالقُوّة التي شأنها أن تصبح إدراكاً بالعرفان. أما النَّفس فكأنها تُشوّش على الروح المُستقرّ فيها أمره وتطمس معالمه لأن روحها أجدر بأن يرى هو الأوّل. ثمّ تنتهي المُشاهدة إليها ويُصبح/ الأمران أمراً واحداً. أما الخير ٣٠ فيكون مُستميلاً عليه مُندمجاً في بُنيانها، يتخللها ويُوحد بينهما. إنه يستوي فوقهما ويُنسج لهما السعادة بالشعور والمُشاهدة. فهو يرفعهما بحيث يكونان لا في مكان ولا في حال كون الشيء في آخره حيثما يكون الشيء في آخر طبعاً. فإنه هو أيضاً مُنزّه عن الجهة، / فيه كان المكان الروحانيّ ولم يكن هو في شيء آخر. ولذلك لم تكن النَّفس هي ذاتها لتتحرك حيثنّذ لأن ذلك الأصل لا يتحرك هو أيضاً. وليست بنفس إذاً لأنه ليس لذلك الأصل حياة بل هو فوق الحياة. ثمّ ليست بروح يعرف لأن ذلك الأصل لا عرفان له. فينبغي لها أن تُحاكيه. أما أن تُدركه ٤٠ بالعرفان فأمر مُستحيل لأنه ليس يدرك بالعرفان. /

٣٦ أما المسائل الأخرى فَعَنِيّة عن البيان، وقد ألمنا أيضاً بشيء من هذه المسألة الأخيرة. على أنه، مع ذلك، لا بُدّ من أن نتناولها بإيجاز فننطلق ممّا ذكرنا، ثمّ نواصل سياقتنا بوساطة الاستدلال. فإن إدراك الخير معرفة أو لمساً إنّما هو الأمر الأعظم، يقول فيه أفلاطون إنه «العِلْم الأعظم»، فلا يعني بالعِلْم النَّظَر إلى ذلك الخير أصلاً، / بل يعني عِلْماً بشيء منه يقع قبل هذا النَّظَر. أما التعلّم عن ذلك الأصل فيجري بالقياس والتّجريد الذّهنيّ، ومعرفة ما منه خرج والارتقاء إليه بالتدرّج. وأما السّير إليه فبالطّهارة، والفضيلة، وتحلية الباطن، والتّقرب من ١٠ عالم الروح والإقامة فيه والاشتراك في ولائمه. / فتُصبح النَّفس معها هي ذاتها ومع غيرها المُشاهد والشهود، وتكون ذاتاً وروحاً وحياة كاملة ولا تعود تُشاهد أصلها من الخارج. وإذا

١٥ غدت على هذه الحال تَمَّ لها القُرب، وبدا الأصل نورًا بعد ذلك، في جوارها، ناشراً نوره على العالم الروحاني كله. عند ذلك تدع النفس كلَّ علم جانباً، وقد كانت إلى هذا الحدّ تُساق أخذاً باليد وهي في الحُسن قائمة، تسترسل إلى العرفان بالروح ما دامت من الحُسن عند حدّه. لكنّها لا تلبث حتّى تُنزَع من ذاتها ويدفع بها دفعا شياً كأنّه موج الروح ذاته، وكأنّ هذا الموج يتضمّن فيرفعها إلى العلّى، فإذا بها تنفذ برؤيا إلى الضمير دفعة واحدة، وهي لا تدري بالأمر كيف حدث. إلّا أنّها هي المُشاهدة ملأت عليها بالنور عينيها وجعلتها لا ترى بهذا النور شيئاً سواه، فكان النور هو عينه المُشاهد بالذات. / فلم يكن في هذه المُشاهدة شيء يرى وشيء آخر هو نوره، لا روح عارف روحاني معروف، بل ضياء ساطع أبدع هذه الأمور وتركها لدى النفس المُشاهدة قائمة. أمّا أصلنا فليس إلّا ضياءً ساطعاً أبدع الروح ثمّ لم يفقد من ضيائه الساطع في حال إبداعه. بل يبقى هذا الضياء الساطع على ما كان عليه في ذاته، ويكون المُبدع قد نشأ بكون الأصل قائماً حقّاً. / فلو لم يكن الأصل على هذه الحال، لَمَا استوى المُبدع قائماً في ذاته.

٣٧ حتّى الذين يُسلمون له بالعرفان، لم يُسلموا له بعرفان ما كان دونه ومنه خرج. على أنّه ليس من المعقول، في ما يرى بعضهم، أن يكون لغيره جاهلاً. لكن فلندع هذا. إنّ أولئك القوم إذا لم يجدوا شيئاً أشرف من العرفان فنسبوا إليه كونه العرفان بذاته. فكأنّه يزداد بالعرفان وقاراً. / وكأنّ عرفانه من كونه على ما هو عليه في ذاته، بل من كونه مُتكفلاً هو ذاته بحرمة العرفان. ولعمري، بماذا كانت كرامته: أبالعرفان أو بما كان عليه في ذاته؟ فإن كانت بالعرفان، فليس كريماً بما كان عليه في ذاته أو كان أقلّ كرامة عند ذاك. وإن كانت بما عليه في ذاته كان قبل العرفان كاملاً ولم يكن بالعرفان مُكيبلاً. وإذا قالوا إنّهُ فعل وليس قوّة، فلا بُدّ له من العرفان، / كذا من قولهم تلقاه وجهين: فإمّا أن يعنوا أنّه ذات عارفة على الدوام، وهو بذلك تحقّق، فيذهبون إلى أنّ فيه أمرين بالذات والعرفان، ولا يرونه شيئاً بسيطاً؛ بل إنهم يُضيفون إليه ما كان عنه مُختلفاً مثلما يكون الإبصار مُحققاً من العينين ولو كانتا على الدوام ناظرتين. / وإمّا أن يعنوا أنّه مُحقّق لأنّه تحقّق وعرفان، / فلا يكون عارفاً ما دام عرفاناً مثلما أنّ الحركة، من حيث كونها حركة، لا تتحرّك. فماذا إذا؟ ألسنتم تقولون أنتم أيضاً في الأمور الروحانيّة إنّها ذات وتَحَقّق؟ يَبْدُ أنّنا نُسَلِّم بأنّ فيها كثرة واختلافاً في حين أنّ الأوّل بسيط. ثمّ إنّنا نُسَلِّم بالعرفان لما ينبعث من غيره وكأنّه يبحث عمّا هو عليه في ذاته، وعن ذاته وعن الذي أبدعه. / فينبغي على ذاته في مُشاهدته، فيستوي في أثناء عرفانه، روحاً حقّاً. أمّا ما لا ينشأ ولا يتقدّم عليه مُتقدّم بل لا يزال دائماً على ما كان عليه في ذاته، فما عسى أن يكون له من داع إلى العرفان؟ ولذلك بالصواب يقول أفلاطون فيه إنّهُ فوق الروح. فإنّ روحاً غير عارف ليس أمراً

٢٥ روحانيًا، إذ إنَّ ما كان العرفان من طبعه لا يُمسي أمرًا روحانيًا ما لم يعمل بعرفانه. / أما ما لم يكن له قُطَّ عمل، فما بالنَّا ننسب له عملًا فنقول فيه، لدى حرمانه من هذا العمل، إنه لا يعمل؟ مثل ذلك مثلما لو قلنا في أحدنا (وهو ليس بطبيب) إنه لا يُعالج الطَّبَّ. فإنَّه ليس للخير قُطَّ عمل لأنَّ عملًا لن يُجدي عليه قُطَّ نفعًا. هو مُكْتَفٍ بما كان عليه في ذاته، وينبغي ألا يكون باحثًا عن شيءٍ سواه ما دام فوق الأشياء كلها. / أجل، حسب منه، هو وغيره، أن يكون على ما هو عليه في ذاته.

٣٨ بل لا يجوز القول عنه إنه «كان حقًا»، إذ إنه لا يحتاج إلى أن «يكون حقًا». كما أن القول عنه إنه «خير» لا يجوز عليه أيضًا بل على ما كان حقًا. أما القول بأنه «كان حقًا» لا يعني قول الشيء في شيءٍ آخر، بل يعني الدلالة على ما كان عليه في ذاته. ثم لا نصفه بأنه «الخير» بمعنى أن الخير حاصل فيه، بل بمعنى أنه هو والخير على ما كان عليه في ذاته. / ولا نعني أنا على صواب إذ نقول فيه إنه «خير» أو إنه «الخير» بتحليلته بلام التعريف. لكنَّا لا يسعنا أن نُعيِّنه تعيينًا واضحًا إن نحن حذفنا تلك الأداة حذفًا. ولكيلا نجعل الأداة شيئًا والمُعَرَّف بها شيئًا آخر، لأنَّا لسنا بحاجة هنا إلى ضمير الإسناد واقعًا بينهما، نطقنا بالطرفين نطقًا واحدًا وقلنا: «الخير». -

١٠ ولكن من عساه أن يرضى بحقيقة مثل هذه لا تقوم في الإحساس والمعرفة بذاتها؟/ فما باله يجهل ذاته ولا يقول: «إني على ما أنا عليه في ذاتي»؟ - لكنه لم يكن حقًا. - ولماذا لا يقول: «إني خير أنا». - ألا، إنه يعود ويقول في ذاته إن كان حقًا. - لكنه بقوله «خير» ما عساه أتى به مزيدًا؟ فإنَّا بوسعنا أن نتصوَّر «الخير» بدون «كونه حقًا» إن لم نقله في غيره. أما ما يُدرك ذاته بالعرفان إنه «خير»، يجب فيه لا مُحالة أن/ يُدرك ذاته بالعرفان وهو ما يعنيه بقوله: «إني الخير محضًا على ما أنا عليه في ذاتي». وإلا لأدرك الخير بالعرفان، ثم لم يخطر إلى باله العرفان بأنه ذلك الخير، هو ذاته يجب في عرفانه إذا أن يكون «إني أنا الخير على ما أنا عليه في ذاتي». -

وإذا كان هذا العرفان ذاته هو الخير، لم يكن عرفانًا بأصلنا هو ذاته، بل كان بالخير عرفانًا، فلم يعد أصلنا هو الخير، بل العرفان ذاته. / أما إذا اختلف العرفان بالخير عن الخير ذاته كان الخير قبل العرفان بما هو عليه في ذاته. وإن كان الخير قبل العرفان، غدا مُكْتَفٍ بذاته، ولم يعد، ليكون هو الخير في ذاته، مُحْتَاجًا إلى العرفان بما كان عليه في ذاته. فلم يكن، بكونه الخير محضًا، ليعرف ذاته، ولكن بكونه ماذا؟ ليس معه سواه،/ بل كان له بذاته إدراك بسيط ما.

٣٩ ولكن ما دام شيء مما يُشبه البُعد أو الاختلاف ليس فيه مع ذاته، فما عسى أن يكون المُدرك لذاته غير ذاته؟ ولذلك يجعل أفلاطون الخلافة حيث يكون روح وذات، ولهذا رأي هو

عَيْن الصَّوَاب. فَإِنَّ الرُّوحَ مَا دَامَ مُدْرِكًا بِالْعِرْفَانِ، يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُدْرِكَ الشَّيْءَ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ آخَرُ
 ٥ وَعَلَى أَنَّهُ مَا كَانَ هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ. فَإِنَّهُ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَهُ هُوَ ذَاتَهُ وَبَيْنَ الْحَقِيقَةِ/ الَّتِي يَعْرِفُهَا بِمُجَرَّدِ
 كَوْنِهِ فِي ذَاتِهِ أَمْرًا يَخْتَلِفُ عَنْهَا. كَمَا أَنَّهُ لَنْ يُشَاهِدَ قَطُّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مَا دَامَتْ خِلَافِيَّةٌ غَيْرَ نَاشِئَةٍ
 لِيَكُونَ هُوَ بِهَا الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا. حَتَّى وَلَنْ تَكُونَ اثْنَيْتَةً قَطُّ. وَبَعْدَ، فَإِنْ كَانَ شَأْنُ الْخَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ،
 كَانَ شَأْنُهُ أَلَّا يَعْرِفَ ذَاتَهُ وَحَسَبَ، هَذَا إِنْ بَاتَ عَارِفًا حَقًّا. وَمَا لَمْ يَعْرِفِ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا؟ أَلَا أَنَّهُ لَمْ
 ١٠ يَكُنْ عَلَى الْأَمْرِ قَدِيرًا؟ إِنَّا بَوَّجَهُ عَامًّا نَقُولُ إِنْ كَانَ قَدْ عَرَفَ ذَاتَهُ، لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْرِ الْبَسِيطِ، / بَلْ
 وَجَبَ أَنْ يَكُونَ عِرْفَانَهُ لِدَاتِهِ عِرْفَانًا لِغَيْرِهِ، هَذَا إِنْ كَانَ يَسْعُهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِرْفَانِ لِلذَّاتِ. فَلَقَدْ
 ذَكَّرْنَا أَنَّ عِرْفَانًا لَنْ يَكُونَ مَا لَمْ يَكُنْ عِرْفَانًا يُرِيدُ مُشَاهَدَةَ الذَّاتِ عَلَى أَنَّهَا غَيْرُ الذَّاتِ. إِذَا عَرَفَ
 أَصْبَحَ ذَا كَثْرَةٍ فِي ذَاتِهِ: أَمْرًا مَعْرُوفًا، وَأَمْرًا عَارِفًا، وَمُنْتَحَرَكًا، وَإِلَى مَا سِوَاهُ مِمَّا يُقَالُ فِي
 ١٥ الرُّوحِ. فَضْلًا عَلَى أَنَّهُ يَلِيقُ بِنَا أَنْ نَذْكُرَ/ مَا قُلْنَا فِي حِينِهِ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ عِرْفَانٍ، مَا دَامَ عِرْفَانًا، إِنَّمَا
 يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مُتَعَدِّدَ الْعُنَاصِرِ. أَمَّا الْأَمْرُ الْبَسِيطُ، وَالَّذِي يَكُونُ كَلًّا مُتَسَاوِي الْحَالِ فِي ذَاتِهِ
 مِثْلَ الْحَرَكَةِ، إِنْ كَانَ حَالُهُ بِحَيْثُ يُشَبِّهُ الْإِدْرَاكَ لِمَسًّا، فَإِنَّهُ لَا يَشْتَمِلُ عَلَى نَوْرَانِيَّةٍ قَطُّ. ثُمَّ مَاذَا؟
 ٢٠ أَيْسَتَوِي جَاهِلًا لِغَيْرِهِ وَجَاهِلًا لِدَاتِهِ؟ أَلَا إِنَّهُ مُسْتَوِي ثَابِتًا فِي جَلَالِهِ. فَإِنَّ الْأُمُورَ الْأُخْرَى/ كَانَتْ عَنْهُ
 مُتَأَخَّرَةً، وَكَانَ هُوَ وَلَمْ تَكُنْ، ثُمَّ كَانَ هُوَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ. أَمَّا الْعِرْفَانُ لَدَى الْأُمُورِ، فَإِنَّهُ
 شَيْءٌ مُكْتَسَبٌ، وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالِهِ. مَا دَامَتْ هِيَ لَا تَثْبِتُ عَلَى حَالٍ. بَلْ حَتَّى وَلَوْ عَرَفَ خَيْرِنَا
 الْمَحْضِ الثَّابِتَاتِ، لَكَانَ مَعَ ذَلِكَ ذَا كَثْرَةٍ. فَإِنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَتَوَافَرَ لِلْمُتَأَخَّرَاتِ مَعَ الْعِرْفَانِ
 حُصُولَ عَلَى الذَّاتِ، ثُمَّ تَكُونَ عِرْفَانَاتِ الْخَيْرِ الْمَحْضِ صُورًا مُجَرَّدَةً فَقَطُّ لَا شَيْءَ فِيهَا عَلَيْهِ
 ٢٥ تَنْطَوِي. أَمَّا الْعَنَانِيَّةُ، فَحَسْبُنَا كَوْنُهُ هُوَ ذَاتَهُ لِلْأَشْيَاءِ كُلَّهَا أَصْلًا. / وَكَيْفَ يَكُونُ هُوَ مَعَ ذَاتِهِ، إِنْ لَمْ
 يَكُنْ لِيَعْرِفَ ذَاتَهُ؟ الْوَاقِعُ هُوَ أَنَّهُ مُسْتَوِي ثَابِتًا فِي جَلَالِهِ. لَقَدْ أَتَى أَفْلَاطُونُ عَلَى ذِكْرِ الذَّاتِ فَقَالَ
 فِيهَا إِنَّ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَعْرِفَ، وَلَمْ يَقُلْ فِيهَا إِنَّ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَسْتَوِي ثَابِتَةً فِي جَلَالِهَا. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ
 ٣٠ الذَّاتَ تُعْرِفُ، وَأَنْ مَا لَا يَعْرِفُ إِنَّمَا كَانَ هُوَ الْمُسْتَوِي ثَابِتًا فِي جَلَالِهِ. / عَلَى أَنَّ أَفْلَاطُونُ قَالَ فِي
 أَصْلَانَا إِنَّ «شَأْنَهُ أَنْ يَسْتَوِي ثَابِتًا» لِأَنَّهُ لَمْ يَسْعُهُ أَنْ يُعْبِّرَ عَنِ الْوَاقِعِ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى، وَهُوَ مُعْتَقِدٌ فِي
 الْمُتَعَالِيِّ عَنِ الْعِرْفَانِ أَنَّهُ الْأَشَدُّ جَلَالًا وَأَنَّ جَلَالَهُ لَهُ هُوَ الْجَلَالُ حَقًّا.

٤٠ هَذَا وَاسْتَوَاؤُهُ بِحَيْثُ لَا يُعْزَى إِلَيْهِ عِرْفَانٌ، أَمْرٌ يَعْرِفُهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ لِمَسُوا ذَلِكَ الْأَصْلَ
 لِمَسًّا. غَيْرَ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ نُضَيِّفَ إِلَى مَا ذَكَّرْنَا أَقْوَالَ يَطْمِئِنُّ الْقَلْبُ إِلَيْهَا، اللَّهُمَّ إِنْ أُتِيحَ لِلْكَلامِ
 أَنْ يَنْسَعِ لِلدَّلَالَةِ هُنَا. فَإِنَّ لَا بُدَّ لِلْيَقِينِ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَقْرُونًا بِالضَّرُورَةِ. يَنْبَغِي أَنْ نَعْرِفَ إِذَا مَا يَلِي
 ٥ فَتَفَقَّ عَلَيْهِ، / وَهُوَ أَنَّ كُلَّ عِرْفَانٍ يَنْبَغُ مِنْ شَيْءٍ وَيَكُونُ بِشَيْءٍ آخَرَ عِرْفَانًا. فَإِنْ اتَّحَدَ الْعِرْفَانُ
 بِمَا كَانَ مِنْهُ مُنْبَغِيًّا غَدَا عِرْفَانًا مَحَلَّهُ صَاحِبَ الْعِرْفَانِ، فَكَأَنَّهُ يَقَعُ عَلَى هَذَا الْأَخِيرِ وَيَكُونُ تَحْقِيقُهُ،

١٠ ويُكمله في كونه بالقوة ثم لا يخلف هو شيئاً، بل يكون لصاحبه بمنزلة الكمال له فقط. / أما إذا بقي العرفان مع الذات، يكفل للذات قيامها في ذاتها، استحال عليه أن يكون في ما غدا منه مُنبعثاً، إذ أنه، ما دام فيه، لم يكن ليُولد شيئاً. لَكِنَّه ما دام للإبداع طاقته، استوى قائماً في ذاته ١٥ وأبدع وكان تحقُّقه هي ذاته عينها. فهو مُتَّجِد بالذات وثابت في الذات، / وليس بين العرفان والذات خلاف. حتَّى ولو كانت هذه الحقيقة تعرف ذاتها، لن يكون الخلاف إلَّا بالذهن فقط بين المعروف والعارف، ما دام كلاهما أمراً ذا كثرة، على نحو ما دللنا عليه غير مرَّة. ولهذا هو التَّحَقُّق الأوَّل الذي أبدع للذات قيامها في ذاتها، وهي أثر لأمْر ما آخر كان من العظمة بحيث إنَّ ٢٠ أثره أصبح ذاتاً قائمة في ذاتها. / ولو كان هذا التَّحَقُّق تحقُّق الخير فقط، ولم يكن من الخير مُنبعثاً، لما كان إلَّا للخير أمره ولما غدا أمراً قائماً في ذاته. وما دام هو التَّحَقُّق الأوَّل والعرفان ٢٥ الأوَّل لم يكن ليتقدَّمه تحقُّق ولا عرفان. فإذا ارتقينا من هذه الذات وهذا العرفان لم نكن لنتنهي إلى ذات أو عرفان، بل إلى وراء الذات والعرفان وفوقهما، إلى ذلك الأمر العجيب الذي لا ينطوي في ذاته على ذات وعرفان، بل يستوي مُنفرداً في ذاته لا يحتاج قطُّ إلى ما كان منه ٣٠ مُنبعثاً. ولا يجوز وصفه بأنَّه سبق وحَقَّق فأبدع التَّحَقُّق، وإلَّا، لكان التَّحَقُّق ولما ينشأ تحقُّق. / كما أنَّه لم يُبدع العرفان بمبادرته إلى العرفان أوَّلًا، وإلَّا لكان مُدركًا العرفان ولما ينشأ. فنقول في العرفان إجمالاً إنَّه لو كان للخير عرفانه لَغدا دون الخير مقامًا، فلم يكن من الخير ذاته. ولست أقول إنَّه ليس من الخير بمعنى أنَّه يستحيل على الخير أن يُدرك بالعرفان، وهو معنى ٣٥ جائز، بل بمعنى أنَّ عرفانًا، لا يكون من الخير في ذاته، / وإلَّا لَغدا الخير وما كان دونه مقامًا أمراً واحداً. فإن كان العرفان هو الأدنى غدا شأن العرفان أن يكون مع الذات. فلو كان العرفان هو الأشرف لَغدا شأن الذات الروحانية أن تكون أحطَّ منه مقامًا. ليس العرفان في الخير ذاته ٤٠ إذًا، بل ما دام أحطَّ من الخير مقامًا، ولو كان يُصيب قَدْرُه من هذا الخير عينه، فإنَّه في كلِّ محلٍّ يختلف عن الخير ذاته. / فيدع الخير، مثلما كان بريئاً من الأمور الأخرى، بريئاً منه أيضاً هو العرفان. وما دام الخير من العرفان في براء، كان مُنزَّهاً عن كلِّ شائبة في ما هو عليه في ذاته، لا يُكذِّره العرفان بِحُضوره فيُجرِّده من صفائه ووَحدته. وإن تصوَّرناه عارفاً ومعروفاً، أو ٤٥ ذاتاً وعرفاناً لازماً للذات، وأردنا بذلك أن نتصوَّره عارفاً لذاته، / احتجنا إلى خير مُتقدِّم على الذي نحن في صدده. فإمَّا أن يكون التَّحَقُّق والعرفان كمالاً لشيء آخر هو محلُّهما، وإمَّا أن يكونا مع هذا الشيء أمراً واحداً قائماً في ذاته. وما دامت هُذي حالهما كان مُتقدِّماً عليهما كليهما أيضاً أمر به يَصُحُّ العرفان طبعاً. فإنَّ للعرفان مُدركًا يُدركه لأنَّ أمراً آخر كان عليه مُتقدِّماً. وإذا عرف العرفان ذاته فكأنَّه يُدرك ما بين يديه، وقد شاهد فيه هو ذاته ما كان ٥٠ غيره. / أمَّا الأمر الذي لا يتقدَّمه شيء سواه أو لم يتَّصل به شيء جاءه من غيره، فما عساه أن

يُدرِك بالعرفان أو كيف يعرف ذاته؟ فما عساه أن يُمسي ما كان عنه باحثًا أو كان فيه راغبًا؟ قد يكون الجواب: يتبيّن قُوّته ما أوسعها مدًى بمعنى أنّ قُوّته كانت عنه مُستقلّة بقدر ما كان هو يعرفها. يعني أن تكون قُوّته قُوّتين: / تلك التي يعرفها وتلك التي يُعرَف بها، على أنّهما مُختلِفَتان. أمّا إن كانت القُوّة واحدة، فما عسى أن يُصبح ما كان أمرنا عنه باحثًا.

٤١ [] إنّه يجوز في العرفان أن يكون عَوْنًا أُمِدَّت به الأمور التي أُوتِيَتْ من اللاهوت حَظًّا وافراً، بيّد أنّها ما تبرح دون المُنتهى، فغدا العرفان بمنزلة البصر لها بيتًا وهي عمياء. ولكن كيف يحتاج البصر، وهو نور في حدّ ذاته، إلى أن يُشاهد الحقّ؟ أمّا الذي يحتاج إلى البصر، فهو الذي يبحث عن النور بوساطة بصر يلجأ إليه ما دام هو من تلقاء ذاته ليس لديه الإِظلام. فإن كان العرفان نورًا، / ولم يكن النور ليطلب نورًا، لم يكن هذا الضياء الساطع الغنيّ عن النور ليطلب العرفان، كما أنّه لا يلحق العرفان به مزيّدًا. وما الذي يكفل له الروح أو يزيد عليه، والروح ذاته في الحاجة حتّى يقوم بعرفانه؟ إنّ الخير لا يشعر بذاته إذًا، لأنّه لا يحتاج إلى الشعور بذاته. كما أنّه لا يقوم باثنين، وبألاّ يقوم بأكثر من اثنين أخرى: أعني أنّه هو بذاته يقوم، وبالعرفان أيضًا/ إذ لم يكن هو العرفان عينه، وبالأمر الثالث كذلك إذ لا بُدّ منه فهو المعروف. أمّا ما دام الروح هو العرفان والمعروف فقد أصبح الثلاثة أمرًا واحدًا وزال بعضها في بعضه الآخر، إلّا أنّها كانت باختلاف بعضها عن بعضها الآخر متمايزة فبطلت في كونها الخير محضًا. ينبغي لك أن تتخلّى عن الأمور الأخرى كلّها إذًا لدى وصولك إلى الأمر الأعظم الذي لا يحتاج قطّ إلى نجدة: / فالْمَزِيدُ نُقْصَانٌ لَدَى مَنْ كَانَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ غَنِيًّا. لا شكّ في العرفان أنّه كان له حُسْنًا لأنّ النُفْسَ في حاجة إلى الحُصُولِ على الروح. كما أنّه كان للروح حُسْنًا أيضًا لأنّ كون الروح حقًّا هو والروح أمر واحد، وهو العرفان الذي أبدعه. ينبغي أن يكون الروح مع العرفان دائمًا إذًا، وأن يُدرِك دائمًا كُنْه ما كان عليه في ذاته، أي أنّ هذا الروح هو ذاك العرفان بالذات/ لأنّ الطّرفين أمر واحد. فلو كان الروح وحده أمرًا واحدًا لَعَدَا بذاته مُكْتَفِيًا ولما احتاج إلى ذلك الإدراك. وتعدّ، فإنّما القول «إعرف ذاتك» هو قول قصد به الذين بات ما كانوا عليه في ذواتهم شيئًا ذا كثرة. فيُكلّفون بأن يُحصوا ما كانوا عليه في ذواتهم وبأن يتبيّنوا أنّهم لا يعرفون كلّ ما كانوا عليه كمًّا وكيفًا أو شيئًا منه قطّ، كما أنّهم يجهلون الأصل الحاكم لديهم والأصل الذي به أمسوا ما كانوا عليه في ذواتهم. / أمّا الخير، فإن كان لذاته شيئًا، كان هذا الشّيء أعظم من أن ينال ذاته بإدراك أو عرفان أو شعور: بل إنّه هو ذاته ليس شيئًا لذاته. لا يُخلِي بين شيء وبين أن ينفذ إلى ذاته، فحسب ذاته ما كان عليه في ذاته. حتّى وإنّه ليس بخير لذاته، إنّما كان خيرًا لغيره. فإنّ غيره يحتاج إليه وهو في غير حاجة إلى ما قام عليه في

٣٠ ذاته . وإلا ارتكبنا وحسبنا الخير، / ما دامت تلك حاله ، قد فاته ما قام عليه في ذاته . إنه لا يُوجّه وجهه لذاته إذاً ، لأنّ مَنْ يُوجّه وجهه إلى ذاته يتوافر له شيء يكون أو يصير . فإنّه قد تخلّى عن هذه الأمور كلّها لمّا بات عنه مُتأخّراً ، ولا يجوز في لازم قَطّ من لوازم غيره أن يكون فيه حاضراً ، حتّى ولا الذات عينها . وهو مُنزّه بالتالي عن العرفان أيضاً إذا ما دام العرفان حيث ٣٥ تكون/ الذات وما دام الطّرفان كلاهما معاً دائماً ، العرفان الأوّل أي العرفان بالذات وكون العرفان حقّاً . ولذلك ، فلا عقل ، ولا إحساس ، ولا علّم قط لأنّ أمراً من هذه الأمور لا يُقال في الخير بمعنى أنه يُلازمه .

٤٢ لقد يَشْكُل عليك الأمر في مثل هذه المسائل ، وتبحث عن تلك الحقائق أين ينبغي أن تُقيمها بعد أن ساقك الاستدلال إليها . عند ذاك ، دع ما تعتقده شريعاً في المقام الثاني ، وإياك أن ٥ تلجّج بالأصل فُروعه أو بالفروع ما تأخّر عنها وكان في المقام الثالث . بل اجعل الثانیات حول/ الأوّل والثالثات حول الثانیات . فتدع بذلك كلّ أمر في منزلته رابطاً بالمُتأخّرات بالعالم العلويّ على أنّها تدور حوله وهو ثابت قائم في ذاته . ولذلك بالصّواب قيل ما نحن بصده «إنّ الأشياء ١٠ كلّها تدور حول ملك الأشياء كلّها ولأجله كانت الأشياء كلّها» . / ويعني (أفلاطون) بقوله «الأشياء كلّها» الحقائق كلّها . ويقول «لأجله» لأنّه هو للأمر سبب كونها حقّاً ، وكأنّها فيه ترغب . على أنّه أمر يختلف عن الأمور كلّها ولا يشتمل على شيء كان في هذه الأمور حاضراً . ١٥ وإلاّ لما غدا هو الأمور كلّها بعد ذلك لو اشتمل على شيء قَطّ ممّا يلزم غيره وكان عنه مُتأخّراً . / فإن كان الروح أمراً من هذه الأمور لم يكن للخير روح . وحينما يقول أفلاطون فيه إنّ سبب الأمور الجسّان كلّها ، فهو ، في ما يبدو ، يجعل الحُسْن في عالم المُثُل ، أمّا الخير فيُبوّه مقاماً فوق هذا الحُسْن كلّ . هو يجعل إذاً في المقام الثاني تلك الأمور التي يتعلّق بها ، في ما يقول ، ما كان عنه مُتأخّراً على أنّه في المقام الثالث . ثمّ يجعل حول هذه الثالثات ما يستوي بوضوح ٢٠ على أنّه/ نشأ من الثالث ، فيجعل عالمنا بالنّفس مُتعلّقاً . فإذا كانت النّفس مُتعلّقة بالروح ، والروح مُتعلّقة بالخير محضاً ، غدت الأمور كلّها ، وهي على هذه الحال ، مُتعلّقة بذلك الخير محضاً . ويتمّ هذا التّعلّق بأوساط ، منها القريب ومنها ما كان للقريب مُجاوراً ، على أن تحلّ ٢٥ الجِسِّيَّات في الحدّ الأقصى وتكون بالنّفس مُرتبطة . /

الفصل الثامن

(٣٩)

في العمل المُختار وفي إرادة الواحد (في المُراد)

١ هل يجوز أن نبحت عمّا إذا كان للأرباب عمل مُباشِر؟ أم لا يجدر البحث عن مثل هذا الأمر في الإنسان نظرًا إلى قُصوره وإلى قُواه الخاوية، فيسوغ القول في الأرباب إنهم على كل شيء قادرون، لا يُباشرون طائفة من أعمالهم فقط، بل يُباشرون جميع أعمالهم أيضًا؟ أم يجب التسليم للواحد فقط بالقُوّة/ كلها وبالعَمَل المُباشِر كله، ثم لا نُسلم في الأمور الأخرى إلّا بالقُوّة كلها لبعضها وبالعَمَل المُباشِر لبعضها الآخر، وبالطَرَفَيْن كليهما لفئة ثالثة؟ بلى، يجب البحث في هذه المسائل كلها. ولا يُدّ من الإقدام على البحث عن مثل هذا الأمر في الأوليات وفي الأَشرف الأعلى كيف يكون العمل المُباشِر لديهم، ولو أجمعنا على أنهم على كل شيء قادرون./ على أنه ينبغي تدقيق النظر في تلك القُدرة أيضًا بأي معنى تُقال منعًا من أن نصفها بأنها طاقة طورًا وتحقّق طورًا آخر، وهو تحقّق نتوّعه فقط. إلّا أنه ينبغي لنا أن نُرجئ هذه المسائل إلى حين آخر، فنُقصِر البحث أوّلًا على ما يتعلّق بنا، وهذّي عادتنا، فتساءل عمّا إذا كان لنا عمل مُباشِر./ والذي ينبغي البحث عنه أوّلًا هو المعنى الذي نقول فيه عن الشيء إنّه عملنا المُباشِر، أي على آية صورة ذهنيّة يكون الشيء إذا قيل بهذا المعنى. فبسعنا عند ذلك أن نتبيّن إن كان يجدر تطبيقها على الأرباب ولا سيّما على الإله، أم كان ينبغي ألا تُطبّق. وإن وجب تطبيقها وجب النظر في الأمور الأوليّة كيف تكون أعمالها المُباشِرة/ والأعمال التي تتعلّق بغيرها. فما عسانا نعني عندما نتصوّر عملنا، المُباشِر، وما بالنا نطلب عن هذا السؤال جوابًا؟ أمّا أنا فأرى أنّ الظروف المُعاكِسة تتقاذفنا، وتندافعنا الحتميّات وهزّات الهوى القاهرة التي تملك على النُفس أمرها. فنظنّ هذا كلّهُ مُستبَدًّا بنا/ يستعبدنا ويسوقنا إلى حيث يُسيّرنا. فتتساءل عمّا إن كنا شيئًا أو كان لنا عمل نُباشِره. ويكون عملنا المُباشِر ما لا نفعله بِحُكم المُصادفة والاتّفاق أو الضّرورة الحتميّة أو الهوى القاهر، بل بِحُكم إرادتنا وهي آنذاك لا يحول بينها وبين تحقّق مُرادها حائل./ وإن كان الأمر كذلك، غدا تصوّرنا للشيء مُتعلّقًا بنا تصوّرًا لما يكون خاضعًا لإرادتنا، فيتّم أو لا يتّم بقدر ما نكون قد أردناه. فيُصبح المُراد كلّ ما تمّ بِعِلْم

وبدون إكراه، والمُبَاشَر ما فعلنا ونحن فيه للأمر أولياؤه. ويتَّحد الأمران غالب الأحيان، ولو
 ٣٥ اختلفا في معنيهما، على أن لهما أحوالاً/ ينفصلان فيها. ففي القتل مثلاً، إن كان فاعل الفعل
 هو القاتل، لم يكن فعله فعلاً مُراداً إذا كان جاهلاً بأنَّ المقتول هو أبوه. فربُّما فات المُراد
 صاحب الفعل المُباشَر. لا ينبغي للمُراد أن يشتمل على العِلْم بِقِرائن الفعل فقط، بل على العِلْم
 ٤٠ بِأحكام الفعل مُطلقاً. / فلماذا يكون الفعل غير مُراد إن جهل القاتل أنَّ المقتول هو قريبه، ثم
 يكون مُراداً إذ يجهل أن القتل حرام. فإن قيل: كان يجب عليه أن يتعلَّمه، قلنا إنه ليس بفعل
 مُراد أن نجهل وجوب التعلُّم أو السبب الذي ردَّنا عن التعلُّم.

٢ هذا ويجب البحث فيما يلي أيضاً. هذا الفعل الذي يُردُّ إلينا على أنه فعلنا المُباشَر، إلى
 أيَّة ملكة من ملكاتنا ينبغي أن ننسبه؟ قد ننسبه إلى التُّرعة وإلى الرُّغبة مهما تكن، كالفعل الذي
 ٥ نفعله أو نُسيك عنه بدافع الغضب أو الشهوة أو التَّفكُّر المقرون بالرُّغبة في ما يُجدي علينا نفعا.
 لكنَّا إن قلنا بدافع الغضب/ والشهوة، لم يَكْ بَدَلنا من أن نُسلِّم بشيء من الفعل المُباشَر للصَّبِي
 وللبيمة وللمجنون وللذي فقد رُشدَه، أو أصبح في حوزة العقاقير السَّحْرية أو الصُّور الواقعة
 في خيالها وهو ليس وليها. وإن جاء الفعل بدافع تفكُّر مقرون بالرُّغبة، أيكون بتفكُّر ضلَّ عن
 ١٠ الصُّواب؟ بل بالتَّفكُّر السَّديد والرُّغبة المُستقيمة. / على أنه ربُّما سأل هنا سائل هل التَّفكُّر هو
 الذي حرَّك الرُّغبة أو الرُّغبة التَّفكُّر؟ فإن انبعثت الرُّغبات بدافع الطَّبيعة، انبعثت على أنَّها
 رغبات الحيوان أو المُرْكَب تبعت النُّفس ضرورة الطَّبيعة. أمَّا إذا انبعثت على أنَّها رغبة
 النُّفس وحدها أمسى الكثير من الأفعال، التي اشتهرت بأنَّها مُباشرة، خارجاً عن كونه على
 ١٥ هذه الحال. / لهذا ورُبَّ تفكُّر صافٍ سبق الهوى، ثم طرأ خيال قاهر أو مِثْل جارف فجَرَّنا إلى
 حيث كان شأنه أن يجرَّنا، فكيف يجعلنا التَّفكُّر أولياء الأمر فينا بين ذلك كلِّه؟ وبوجه عام، كيف
 نكون لأُمورنا أوليائها ونحن مُسَيِّرون؟ كلُّ ذي حاجة راغب في تليتها حتِّماً لا يكون للعمل
 ٢٠ الذي يُساق إليه وليّاً. / ونقول إجمالاً كيف ينبعث من تلقاء الذات شيء ما لدى ما يكون من
 غيره وأمسى أصله في غيره ومن هذا الأصل قام في ما كان عليه؟ فإنَّه يحيا بغيره وبما عليه كان
 مفطوراً. وما دام الأمر كذلك أُتيح لغير ذي النُّفس أيضاً أن ينال شيئاً من مُباشرة العمل: فإنَّ
 ٢٥ النار هي أيضاً تفعل بما نشأت عنه. أمَّا إذا تُسبب/ العمل المُباشَر إلى الإنسان لأنَّه يشعر بما
 يفعل إذ كان النُّفس والحيوان، فإن كان شعوره إدراكاً بالإحساس، ما عسى أن يكون إسهام
 الإحساس في العمل المُباشَر؟ لم يكن الإحساس، ما دام يُشاهد فقط، لأن يجعل أحداً لفعله
 وليّاً. وإن كان الشعور إدراكاً بالمعرفة، فإن غدت معرفة الفعل الذي يُفعل، أحاطت هي أيضاً
 ٣٠ به علماً فقط، وأمسى الأمر الذي يُؤدِّي بنا إلى العمل أمراً آخر. / أمَّا إن كان العقل أو العِلْم هو

الفاعل، فخالف الرغبة وغلبها، فقد وَجَبَ البحث عن الفعل إلى أي أصل يُرَدُّ، وبوجه عام أين عساه أن يقع مثلاً. ثم إن أحدث العقل رغبة نوعها آخر، وَجَبَ علينا أن نتبين الوجه الذي عليه يُحدثها. أما إن غدا للرغبة مُمسيكاً وكان الفعل المُباشِر بذلك قائماً، فلا يُصبح الأمر في ٣٥ مُستوى العمل، بل في مقام الروح. ولا غَرَوَ، / فكلَّ ما جاء من قبيل العمل، وإن يك فيه العقل هو المُترجِّح، إنما جاء مزيجاً لا يتسع للفعل المُباشِر خالصاً.

٣] ولذلك ينبغي للبحث أن يدور حول ذلك كله، فإنه يُقَرَّب إلينا البحث عما يتعلَّق بالأرباب، إننا نردُّ الفعل المُباشِر فينا إلى الإرادة إذاً، ثم نجعل الإرادة في العقل على أن يكون سديداً. ورُبُّما وَجَبَ أن نُضيف إلى سداد العقل سداد العِلْم أيضاً. فإنَّ المرء إذا بدا ٥ على صواب من أمره وهو فاعل، / رُبُّما لم يتم له أن يَسْتَقِلَّ بفعله مراداً بدون تردُّد ما لم يعلم لماذا كان على الصواب من أمره. بل رُبُّما انساق إلى ما ينبغي له فعله بصُدفة أو خيال خَظِر. وما دُمنا نقول عن الخيال إنه لا يتعلَّق بنا، فكيف نسلك ما فعلنا بمَقْتَضاه في العمل الذي نستقلُّ به وهو المُرَاد؟ وإنما أعني الخيال/ الذي يصحُّ فيه القول إنه الخيال عَيْنًا، ذلك الذي ينبعث من ١٠ أحوال أبداننا. فإنَّ الخُلُو من الأطعمة والأشربة يُثير فينا ما كأنه صُور، والامتلاء أيضاً. ورُبُّ عُضْو آثار صُوراً أخرى إذا ازدحم السائل البذريّ فيه، على أن يتكيَّف ذلك كله بتكيِّفات السوائل ١٥ في الجسد. / فالأفعال التي تحدث من وراء صُور مثل هذه الصُور إذا انبعثت، إنما هي أفعال لا ندخلها في حُكْم ما نستقلُّ بفعله أصلاً. ولذلك لا نُسلم بالفعل المُباشِر أو الإرادي للأردياء الذين ينطلقون عن تلك الصُور في الكثير من تصرُّفاتهم. أما الذي أعتقه قُوى الروح من الجسم ٢٠ وأحواله، فذلك الذي نعترف له بالفعل المُرَاد المُستَقِلَّ. / إنما نردُّ الفعل المُباشِر إلى خير ما فينا إذاً، إلى قُوى الروح؛ ونُسلم في المُقدِّمات التي تقوم هنا أنَّها حُرَّة مُستَقِلَّة حقًّا. كما أننا نصف الرغبات التي تنشأ من العرفان بأنَّها إرادية، ونثبت الحياة على هذا الوجه قائمة لدى ٢٥ الأرباب الذين يحيون بالروح/ وبالرغبة المُسترسِلة وهي مع الروح مُنسجِمة.

٤] على أن سائلاً رُبُّما سأل هنا عن الفعل إذا تمَّ بالرغبة كيف يكون مراداً مُستَقِلًّا، ما دامت الرغبة تسير بالفاعل إلى الخارج وتحمل فيها نُقصاناً، فإنما كان الراغب مُنْساقاً حتَّى ولو كان إلى الخير المحض يُساق. ثم لا بُدَّ من السُّؤال في الروح ذاته أيضاً، ما دام مطبوعاً على ما قام ٥ عليه في ذاته، وكان بطبعه فاعلاً/ عما إذا يوصَف بأنه ذو فعل حُرٍّ مُستَقِلٍّ وفعل مُباشِر، وهو الذي شأنه أن يفعل بِحُكْم ما كان عليه في ذاته. كما أنه يجب البحث أيضاً عن الأمور الروحية هل يصحُّ فيها القول بأنَّ لها فعلاً مُباشِراً، وهي لا عمل لها. فضلاً على أنَّ الفاعل إنما يفعل

١٠ بحُكْم ضرورة تَرُدُّ من الخارج، إذ إنَّه لا يفعل عبثًا. فكيف يكون فعل تلك الأمور فعلًا حرًّا/ مُستَقِلًّا وهي خاضعة لما قامت بطبيعتها؟ لكن إن لم تكن مُكرَّهة على أن تتبع غيرها، كيف توصَّف بأنَّها مُستعبدة؟ كيف يُقال في الشَّيء مدفوعًا إلى الخير إنَّه مُكرَّه على ذلك ثم تكون رغبته في الخير رغبة إرادية، مادام عالمًا بأنَّ من الخير له أن يُوجَّه شطر الخير وجهه؟ فإنَّ الفعل القسريُّ هو/ رَدُّ عن الخير إلى المكروه إذا ما دفعنا إلى ما لم يكن خيرًا لنا. والرَّق في أن تُنزع زمام الأمر لدى إقبالك على الخير، وفي أن يلقى هذا الزَّمام إلى آخر هو فوقك يُشرف عليك ١٥ فيرُدُّك عن خيرك ويجعلك له عبدًا. ولذلك لم يكن الرَّق ليعاب من حيث يُصبح المرء به عاجزًا/ عن الإقبال على الشَّرِّ، بل من حيث يمنعنا من الإقبال على ما كان خيرنا ليدفعنا إلى ما كان لغيرنا خيرًا. ثم إن قيل في الأمر إنَّه خاضع لما كان طبعًا عليه في ذاته فتلك المقالة تجعل الأمر أمرين: العبد والمُطاع. أمَّا الحقيقة البسيطة، القائمة لكونها تحقُّقًا واحدًا، غير مُختلف كونها بالقوَّة عن كونها بالفعل المُحقَّق، فما بالها لا تكون طليقة حرَّة في تصرُّفها؟/ فليس يعني القول فيها إنَّها تتحقَّق بما كانت عليه طبعًا، إنها في ذاتها، تختلف عنها في تحقُّقها، مادام كون الشَّيء حقًّا في عالم الروح هو التَّحقُّق عبثًا. وإن لم تكن فاعلة لغيرها أو تابعة لغيرها، فكيف لا تكون طليقة حرَّة في تصرُّفاتِها؟ بل هي طليقة حرَّة ولم يكن القول بالفعل المُباشر قولًا يُناسِبها. / إنَّما نحن هنا أمام أمر أعظم من أمر الفعل المُباشر. فإنَّ فعل تلك الحقيقة هو فعل مُباشر بمعنى أنَّه لا يتولَّاه غيرها وأنَّ غيرها لا يتولَّى تحقُّقها. كما أنَّه لا يكون غيرها لما كانت عليه في ذاتها وليًّا، ما دامت هي الأصل بالذات. حتَّى ولو كان للروح أصل آخر، فإنَّ هذا الأصل لم يكن على الروح غريبًا، بل هو في الخير كامن. وإذا تحدَّد الخير به، فبأن يُصبح المُباشر لفعله والمستقلَّ به أخرى أيضًا، إذ إنَّ الاستقلال بالفعل والمباشرة له من أجل الخير يُطلَبان. / إن كان بالخير مُتَّحَقًّا إذا، غدا بأن يكون المُباشر لفعله أجدر. فإنَّ حقيقة الروح تنطوي إذ ذاك على الخير، ترغب فيه من تلقاء ذاتها وفي ذاتها، ما دامت مُوجَّهة إلى الخير وجهها، وحالها حيثنل نعيم الحال حقًّا.

٥ هل ينحصر الفعل المُراد المُستقل والفعل المُباشر في الروح العارف الطاهر وحده، أو يكون في النَّفس أيضًا وقد غدا تحقُّقها بالروح قائمًا وعملها بالفضيلة مُسيَّرًا؟ ولئن سلَّمنا للنَّفس العاملة بأنَّها هي لفعلها مباشرة، فربُّما وجب أوَّلًا ألاَّ نُسلِّم لها بأنَّها تولَّت إنجابه، إذ لسا لإنجاح الفعل بأولياء. / أمَّا أن تتولَّى هي عملها الصالح وقضاء كلِّ ما يوحى الروح به، فقد يصحُّ فيها القول بذلك. ولكن على أيِّ معنى يكون هذا فعلًا بُاْخِرِه؟ إن قاتلنا بشجاعة مثلًا لأنَّ حربًا قد نشبت. أعني: كيف تتولَّى نحن التَّحقُّق حيثنل، ثم إن لم تقع حرب لم يكن هذا التَّحقُّق

١٠ عملاً نقوم به. / وكذلك القول في كل عمل يتحقق على هُدي الفضيلة، تضطرّ فيه الفضيلة، إذا
 سُنحت سانحة، إلى تحقيق هذا الفعل أو ذاك. ولو خُيرت الفضيلة، حتى تسترسل في
 ١٥ تحقّقاتها، بين إرادتها، أن تشب الحرب فتُقدِّم هي بياسها، / وأن ينتشر الظلم فتُحدِّد هي
 الأحكام وتُنظِّمها، وأن تَمَّ الفاقة فتُكشف هي عن سماحتها الحُرّة، وبين أن تكون الأشياء
 كلّها على حالها الحَسَن فتُخلد هي إلى السَّكينة، لاختارت الفضيلة السَّكينة على العمل ولأثرت
 ألا يحتاج أحد إلى علاج صادر عنها. كذلك الطَّبيب، مثل هيبوقراطس، يودّ لو أنّ أحداً لا
 ٢٠ يحتاج إلى صناعته. وإن/ كانت الفضيلة تتحقّق في العمل فتضطرّ إلى أن تكون عَوْنًا، فكيف
 يتمّ لها الفعل المُباشِر في صفوته؟ أتكون الأعمال ضروريّة إذا، ثم نقول في الإرادة المُتقدِّمة
 عليها وفي الفكر إنَّهما خُلُو من الإكراه؟ لكنّ ذلك إن يكن كذلك نحصر الأمر في ما يتقدّم
 ٢٥ الفعل المُحدّث ونجعل للفضيلة خارج/ العمل وخيَّره استقلالها بالعمل ومُباشرتها له. وما
 القول في الفضيلة ذاتها من حيث كونها مَلَكَة وحالاً؟ ألسنا نقول بأنّها تُقِيل على النَّفس، إذا
 ساءت النَّفس حالاً، بتنظيمها فتردّ الأحوال والرُّغبات إلى القسط والتَّوازن؟ بأيّ معنى نقول إذا
 ٣٠ بأن صلاحنا أمر نحن نُبأثيره، / وبأنّ الفضيلة لا وليّ لها؟ نقول على الأقلّ بأنّها كانت هُذي
 حالنا بإرادتنا واختيارنا. أو بأنّه إذا أقبلت الفضيلة هي ذاتها هيأت العمل الحرّ المُستقلّ الذي
 نُبأثيره فلا تدعنا عبيداً لما كُتِل له في ما مضى مُستعبدين. إن كانت الفضيلة بمترلة روح ما إذا،
 ٣٥ وملكة تجعل النَّفس كأنّها أصبحت روحاً، عُذنا إلى الفعل المُباشِر/ وقُلنا إنّه لا يقع في مجال
 العمل بل في روح غدت من العمل بريئة ساحتها.

٦ كيف رددنا هذا الفعل إلى الإرادة إذا، في ما سبق لنا حيث قلنا في «المُباشِر» إنّه ما يقع
 بإرادتنا، وأضافنا أيضاً «أو ما لم يقع». فإن كان قولنا الآن قولاً صواباً وانقضى معه ما سبق ذكره،
 ٥ وَجِب القول بأنّ كلّاً من الفضيلة والروح وليّ تصرُّفه، وإليهما/ يردّ الفعل لا مُحالة مُباشراً كان
 أو حرّاً مُستقلاً. ليس لهما وليّ: فالروح قائم في ذاته، أمّا الفضيلة، فتريد أن تكون قائمة في
 ذاتها مُشرقة على النَّفس لتجعلها خَيْرَة. وما دام هذا النُّطاق نطاقها غدت هي حُرّة، وأبرزت
 ١٠ النَّفس طليقة حُرّة. ولكن إذا وردت/ الأحوال والأعمال التي لا بدّ منها، أشرفت الإرادة عليها
 ولو لم تكن لِثريدها ناشئة. وأقلّ ما يُقال هو أنّ الإرادة، مع ذلك، تُحافظ، بين هذه الطُّروف،
 على عملها المُباشِر إذ إنّها تنسحب به، هو أيضاً، إلى ما كانت عليه في ذاتها، فليس شأنها أن
 تخضع للحوادث، كان تُقَدِّم ما كان على خطر، وإذ رأت في الأمر خيراً، تركت في خَطَره ما
 ١٥ كان خطراً. / بل أمرت بالتَّخَلِّي عن الحياة والأموال والبُتين وحتى الوطن ذاته. إنّها إنَّما تحفل
 بالحَسَن الذي فيها، لا ببقاء ما كان دونها. وهكذا لا يرد إلى العمل أو إلى الخارج ما كان حرّاً

٢٠ مُستَقِلًّا في العمل وما كُنَّا نحن نُبَاشِرُهُ،/ بل يرد إلى تَحَقُّقِ الفضيلة ذاتها في الباطن وإلى عِرْفَانِهَا ومُشَاهَدَتِهَا. ينبغي لهذه الفضيلة أن تُسَوَّى روحًا من وجه ما، فلا تُحَصَّى مع الأحوال التي أخضعها العقل وعدُّ لها. فَإِنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، في ما يقول أفلاطون، هي بمنزلة ٢٥ ما يقع في جوار البدن، فُتْسَدُّ بالعادات والرِّيَاضَةِ. / لقد استبان لنا، بذلك كله، على وجه أوضح، أَنَّ الْحَرَّ الْمُسْتَقِلَّ فِينَا هو أمر مُنَزَّه عن الهَيُولَى وإليه يُرَدُّ عملنا المُبَاشِر. وهو الإرادة وَلِيَّةٌ أَمْرُهَا قَائِمَةٌ في ذاتها حتَّى ولو اضطرَّت إلى أن تنال بأحكامها ما كان خارجًا عنا. فكلُّ ما جاء منها ولأجلها تَحَقَّقَ إِنَّمَا هو عملنا المُبَاشِر، سواء أكانت مُتَوَجِّهَةً إلى الخارج أم قائمة في ٣٠ ذاتها. وكلُّ ما تُريده/ هي وتُحَقِّقُهُ بدون أن يَعوقَهَا عائق، فذلك هو عملنا المُبَاشِر أَوَّلًا. أما الروح الثَّظَرِيّ والأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُبَاشِرُ عمله بمعنى أَنَّ عمله لا يتجاوزهُ إلى غيره، بل يكون مُتَوَجِّهًا كَلَّهُ إلى ما كان الروح عليه في ذاته. ثُمَّ إِنَّ عَمَلَ الروح هو الروح ذاته، وما دام الروح في الخير ٣٥ قائمًا فهو مُنَزَّه عن الحاجة وهو في الرَّغْدِ، وكأَنَّهُ يحيا بما تُريد إرادته. على أَنَّ الإرادة هي العِرْفَانُ، وقد وُصِفَ بأنَّه إرادة لآلِه بالروح يَتَحَقَّقُ، إِذْ إِنَّ ما نعرفه بالإرادة يُحَاكِي هَذَا «التَّحَقُّقُ بالروح». فَإِنَّ الإرادة تُريد الخير، والعِرْفَانُ يَحَدُّ ذاته إِنَّمَا في الخير كان. لقد كان الروح ٤٠ حاصلًا على ما تُريده إرادته والذي إذا أدركته أَصْبَحَتْ/ بإدراكه عِرْفَانًا. إن جعلنا في إرادة الخير فَعَلْنَا المُبَاشِرَ، فكيف لا تتوافر المُبَاشِرَةُ للأمر المُقِيم في الذي تُريده الإرادة محلًّا لها؟ أو إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَتَصَوَّرَهُ أَعْظَمَ مَقَامًا إِنْ لَمْ نُرِدْ أَنْ نَرْتَقِيَ إِلَى مَقَامِهِ بِمَا تُبَاشِرُهُ نحن عملاً.

٧] إِنَّ النَّفْسَ طَلِيقَةً إِذَا، إِذَا كَانَتْ يَتَوَسَّطُ الروح إلى الخير ساعية، لا يَعوقُهَا عَنْهُ عَائِقٌ، وكان فَعَلُهَا كَلَّهُ حَالَتِيًّا فَعَلًا مُبَاشِرًا. أمَّا الروح فهو طَلِيقٌ حُرٌّ مِنْ تَلْقَاءِ ذَاتِهِ. لَكِنَّ الْخَيْرَ فِي حَقِيقَتِهِ هو المرغوب فيه بِحَدِّ ذَاتِهِ، وبه يَتِمُّ الْعَمَلُ المُبَاشِرُ لِلْأُمُورِ الْآخَرِ، عندما يسع بعضها أن يُدْرِكَه ولا عائق، وبعضها الآخر أن يكون عليه حاصلًا. / فالخير المحض هو الذي كان مُوَلَّى ٥ لِمَا يَلِيهِ وكان عظيمًا قدره، كان في المقام الأول. فكلُّ ما سواه يَوَدُّ لو أن يَرُقَى إِلَيْهِ، ويرتبط به ويستمدُّ منه قُوَاهُ حتَّى ليسعه أن يتكفَّلَ له بِالْعَمَلِ المُبَاشِر. فكيف يسعنا أن نهبط به إلى ما تُبَاشِرُهُ ١٠ أنت وأبَاشِرُهُ أَنَا؟ إِنَّهُ لَعَمْرِي، أمر يكاد الروح/ ذاته لَا يَتَسَّعُ لَهُ وَقَدْ حُجِّلَ عَلَيْهِ، مَعَ ذَلِكَ، بِمَشَقَّةٍ. إِلَّا إِذَا سَبَقَ مِنْ لَدُنْ مُتَهَوِّرٍ، قول غريب علينا أُرِيدَ بِهِ «أَنَّهُ اتَّفَقَ لِحَقِيقَةِ الْخَيْرِ اتِّفَاقًا أَنْ تَسْتَوِيَ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي حَالِهَا. فلا حول لها على ما كانت عليه، وليست على ما كانت عليه من تَلْقَاءِ ذَاتِهَا، كما أَنَّهَا لَا تَمْلِكُ التَّصَرُّفَ الْحَرَّ الْمُسْتَقِلَّ وَمُبَاشِرَةَ الْفِعْلِ أَوْ الْإِمْسَاكَ عَنْهُ، ١٥ ما دام الذي عليه كانت مُضْطَرًّا إِلَى أَنْ يَفْعَلَ أَوْ لَا يَفْعَلَ». / هَذَا كَلَامٌ شَنِيعٌ لَا يَدْعُ لَنَا مَخْرَجًا، ينطوي على نَفْيٍ مُطْلَقٍ لِلْفِعْلِ الْإِرَادِيِّ وَلِلْفِعْلِ الْحَرِّ الْمُسْتَقِلِّ فِي حَقِيقَتِهِ، وَلِتَصَوُّورِ الْفِعْلِ الْمُبَاشِرِ

الذي لدينا . فكأنما كل ما قبل كان قولاً عبثاً وألفاظاً تدلّ على أشياء لا قوام لها . وليس يعني هذا
 ٢٠ القول نفي المباشرة لكل شيء لدى كل شيء فقط ، / بل يعني أيضاً ، لا محالة ، أنّ هذه اللفظة
 التي تدلّ على المباشر لم تُعرف ولم تُفهم . أمّا إذا اعترف خصوصاً بأنهم يعرفونها فقد سهل
 علينا الرّد عليهم . إذ إنّ تصوّرنا للفعل المباشر ينطبق على أمور لم تكن بحيث ينطبق عليها ، فيما
 ٢٥ يزعمون . فإنّ الصورة تحفل كثيراً بالذات ولا تشتمل عليها إذ من المستحيل / أن يُبدع الشيء
 ذاته أو يبعث ذاته قائمة في ذاته . بل من طبيعة الصورة الذهنية أن تستبين بين الأمور ما منها
 خاضعاً لغيرها ، وما كان مالكا التصرف الحرّ المستقلّ غير واقع تحت حكم سواء بل كان في
 تحقّقاته هو السيّد المولّى . وهو أمر لا يستوي حاضرّاً على صفوته إلّا في الحقائق الأزليّة التي به
 ٣٠ تكون أزليّة فتنتج الخير ولا عائق أو يكون هو حاصلّاً فيها . / وما دام هو فوقها فليس من المعقول
 أن تُعسي كأنها تسعى وراء خير غيره . وبعد ، فلم يكن من الصواب أن يُقال في الخير إنّهُ استوى
 صدفةً واتفاقاً . فالصدفة والاتفاق إنّما يكونان في المتأخّر وذو الكثرة . أما الأول فلا يسعنا أن
 ٣٥ نصفه بأنه قام صدفةً واتفاقاً أو أنه تولّى هو ذاته أمر إبداعه لأنه قط لم ينشأ . / أمّا القول بأنه
 يفعل على نحو ما تقتضيه الحال التي يكون عليها فقول غير معقول أيضاً ، إن كنّا نرى أنّ عمله
 إنّما يكون حرّاً عندما يُبدع ويُحقّق على خلاف حقيقته . كما أنّ التّفرد لا يسلبه الاستقلال بذاته
 إن لم يكن التّفرد بمنع يأتيه من غيره ، بل يكونه على ما قام عليه في ذاته وكأنّه راضٍ عن ذاته وما
 ٤٠ كان لشيء أن يفوقه قُدراً . / ولألا لوجب على الأقلّ أن تنفي الاستقلال بالعمل لما عدا أوفر ما
 يكون من الخير حظّاً . وإن يكن هذا غير معقول ، فإنّه لأبعد عن العقل أن ننفي عن الخير
 المحض استقلاله بذاته لأنّه هو الخير ولأنّه باقٍ ؛ وهو في ذاته قائم غير محتاج إلى أن
 ٤٥ يتحرّك نحو غيره ما دام كل شيء ما عداه إليه يتحرّك / وهو غير محتاج في أي شيء إلى
 شيء . ثمّ إن صحّ في هذه الحقيقة أنّ ما كان قيامها في ذاتها وما كأنّه تحقّقها هما أمر واحد
 - فإنهما لا يختلفان ما دُمنا ، على الأقلّ ، لا نجد هذا الاختلاف في الروح - لم يكن القول في
 تحقّقها إنّهُ يتمّ بكونها حقّاً أصحّ من القول حقّاً إنّهُ يتمّ بتحقّقها . فلا يُقال بأنّه يتحقّق على النحو
 ٥٠ الذي طُبِعَ عليه ، / أو إنّ تحقّقه وما كأنّه حياته هو وصف يقع على ما كأنّه الذي كان عليه في
 ذاته . بل لم يزل ما كأنّه الذي قام عليه في ذاته بمنزلة المتّحد والمقرون بتحقّقه ، يُبدع ذاته هو
 ذاته من الطرفين فيكون من ذاته دون ما سواه .

٨ أمّا نحن فإنّا لا نرى الاستقلال بالذات لدى الخير شيئاً عارضاً ، بل نطلق من الاستقلال
 بالذات لدى الأمور الأخرى ، وننفي المتضادات ، فنرى الاستقلال بالذات قائماً في ذاته
 مُتوجّهاً إلى ذاته . إنّنا نطبّق عليه بالتّجوّز الأوصاف السُفليّة التي نستنبطها من السُفليّات

٥ لعجزنا عن إدراكه ما يليق به وصفاً. فيسعدنا أن نقول فيه ما سلف ذكره. / على أننا، مع ذلك، لا يسعدنا أن نجد شيئاً نقوله بمدلوله الحقيقي، لا لمجرد تحديده بل لوصفه. فقد كانت الأوصاف كلها، أحسنها وأجلها، عنه متأخرة. فهو أصلها، وإن لم يكن من وجه مغاير أصلاً. ينبغي أن ننزّهه عن كلّ وصف حتّى عن مباشرة العمل لأنّها متأخرة وعن الإرادة المستقلّة. / فإنّهما أمران يعينان تحقّقاً على شيء آخر، ويعينان أنّه، وإن لم يكن بين التّحقّق ووقوعه مانع، فإنّ الأشياء التي يقع التّحقّق عليها، ولا حائل، هي أشياء تختلف عن المُحقّق. ينبغي أن ننفي عنه كلّ علاقة مع شيء مهما يكن. لقد كان ما قام عليه في ذاته ولم يكن شيء قطّ. بل إنّنا ننزّهه عن الوصف بأنّه «كان»، بحيث ننزّهه عن كلّ حال مهما تكن بالنسبة إلى الحقائق. كما أنّنا لا نقول فيه «على نحو ما طبع». / فإنّ هذا القول يعني وصفاً متأخّراً، وإن أطلق على الأمور الروحانيّة فيمعنى أنّها من غيرها انبعث، وإنما يُطلّق على الذات أوّلاً لأنّ الذات أخذت من الخير طبعها. أمّا إن دلّ «الطبع» على «طبيعة» الأمور الزمّنيّة فإنّها لا تُطلّق حتّى على الذات. ولذلك وجب الامتناع عن وصف الخير بأنّه لم ينبثق من الذات. فإنّنا قد نزّهناه عن الوصف كونه حقّاً، ويعني القول بأنّه «لم ينبثق من الذات» إن له مُبدِئاً هو غيره. كان من اللازم إذاً أن يكون على حاله. / كلّاً! يجب في القول «من اللازم له» ألا يُطلّق عليه أيضاً. فإنّه لا يلزمه شيء وليس له بشيء علاقة. إنّما يقع اللزوم في ذي الكثرة إذ تُميّز بين ما يكون حقّاً وبين ما يقع عليه بعد ذلك ويكون له لازماً. فبأيّ معنى يقع اللزوم على الأوّل؟ إنّه لم يُقبَل حتّى تسأل: «كيف أقبل؟» هل الاتّفاق هو الذي دفعه أم هو من ذاته في ذاته؟ / وأدنى ما يُقال في الأمر/ إنّ اتّفاقاً لم يكن وإنّ صدفة لم تقع. فإنّ الصدفة تقتضي شيئاً آخر منه تنبعث، دائماً تقع في عالم الصّيرورة.

٩ لكن إن تصوّرنا اللزوم أنّه هو الخير ذاته، فينبغي لنا ألا نقف عند حدّ الألفاظ والأسماء، بل أن نفهم ما نتصوّر آنذاك. وما عسانا أن نتصوّر؟ إنّنا نتصوّر ما يلي، وهو أنّه ما دام الخير ذا حقيقة مثل حقيقته وقوّة مثل قوّته، كان هو الأصل لا محالة. فإنّه إن توافرت له حقيقة أخرى لكان ما قام عليه آنذاك، ولو كان ذا حقيقة أخطّ مقاماً لحقّق تحقّقه وفقاً لما قام عليه في ذاته أيضاً. / والرّد الواجب على مثل هذا الكلام هو أنّه من المُستحيل أن يقع أصل الأشياء كلّها صدفةً واتّفاقاً. لا لأنّه يكون أخطّ مقاماً حينئذٍ، بل لأنّه لا يكون خيراً. على أن يؤخّذ الخير هنا بمعنى آخر، كأن يُقصد به خيراً من مقام أدنى مثلاً. لكنّه ينبغي أن يكون أصل الأشياء كلّها أشرف ممّا جاء عنه متأخّراً، فيكون أمراً ما قائماً بحدّ. وأعني بذلك أنّه مُنفرد لا أنّه على حاله/ يحكّم الصّيرورة. لقد كان هو وما كانت ضرورة. إنّما كانت الصّيرورة في الأمور التي جاءت متأخّرة عن الأصل، وليس هو الذي يلجأ إلى العُنف معها. لقد كان بالذات هو أصل تفرّده. إنّّه

ذاك الأمر إذاً، وليس أمراً آخر؛ بل كان على ما كان ينبغي أن يكون حقاً. لم يكن ذلك حالاً أصبح له لازماً إذاً، بل كان ينبغي له أن يكون على الحال التي قام عليها. وهذا الوجوب هو الأصل لكل وجوب آخر. وهكذا لم يكن على / ما كان عليه بمعنى أن ما قام عليه كان لازماً له. ١٥

فما اتفق له أن يستوي على ما كان عليه، بل استوي في ما كان ينبغي أن يقوم عليه. والأخرى بالقول هو أنه لم يكن على «ما كان ينبغي له أن يقوم عليه»؛ لكنه يجب على الأمور الأخرى أن تترقب هذا الملك بأي مظهر عساه أن يظهر لها. فينبغي أن يتصور على ما قام عليه هو ذاته في ذاته، ٢٠ فلا تتصور ظاهراً على الوجه الذي كان له لازماً، بل تتصوره الملك حقاً/ والأصل حقاً والخير المحض حقاً، لا على أنه أمر يُحقق وهو بالخير المحض مُقيّد؛ وإلا لبدا تابِعاً لغيره. بل إنه ما دام هو الواحد، استوي على ما قام عليه ذاتاً، فلم يكن وفق ذلك الذي قام عليه في ذاته. لا يصح القول باللزوم حتى على الحق ذاته. ذلك بأنه، إن غدا الشيء لازماً، غدا للحق لازماً، ٢٥ لكن الحق ذاته لا يكون لازماً. فلم يتفق للحق أن يستوي في الحال/ التي كان عليه حقاً، ولم يأخذ من غيره كونه على ما هو عليه حقاً، بل هي ذي طبيعة الحق أن يكون الحق حقاً. فإن كان الأمر على هذه الحال، كيف يُتصور في ما كان وراء الحق وفوقه أن يُمسي كونه على الحال التي قام عليها أمراً لازماً له. فهو الذي أبدع الحق ولم يكن كون الحق حقاً لازماً للحق، بل كان الحق حقاً، بمعنى أنه كان الذات وهي في آن واحد ما كانت هي ذاتها عليه في ذاتها وما كان الروح عليه في ذاته أيضاً. فإن غدا كون الحق حقاً لازماً للحق، استطعنا أن نقول في الروح إن كونه في ما هو عليه في ذاته هو أمر لازم ما. فكأنما غدا أماناً أمر آخر نتوقع أن يكون الروح، ٣٠ وهو شيء يختلف عما كانت حقيقة الروح في ذاته طبعاً. والواقع هو أن ما/ لا يتجاوز حد ما قام عليه في ذاته، ولا يميل عما قام عليه في ذاته، ذلك هو الذي يُقال فيه بالمعنى الحقيقي إنه مُستوفي ما كان عليه في ذاته. فما عسانا نقول في ما كان وراء الحق وفوقه إذا ارتقينا إليه ونفذنا ٣٥ بنظرنا إلى صميمه؟ أنصف الحال التي نشاهدها/ عليها بأنّها كانت له لازمة؟ كلا! لم تكن هذه الحال أو حال ما مهما تكن، لتقع عليها بمعنى أنها له لازمة. بل لم يكن «لزوم» قطّ ليقطع عليه مُطلقاً. فحسبنا القول: «على هذه الحال كان» ولم يكن على حال غيرها، بل كانت هذه هي حاله. حتى وإنّا لا نقول فيه «كذلك كان». فإنك بقولك «كذلك» تُحدّده وتجعله «هذا الشيء» أو «ذاك». ولا يسع من يشاهده أن يقول «هو كذلك»، أو «إنّه ليس كذلك»، إذ إنّه بقوله يجعله ٤٠ هو ذاته شيئاً من الأشياء التي توصف بأنّها «كذلك تكون». / كان أمراً إذاً أمراً يختلف عن كلّ ما يصح فيه القول بأنه «كذلك». إذا شاهدته في لانهايته جاز لك أن تسمي كلّ الأشياء التي تقع بحده، على أن تقول عنه إنه ليس بشي من هذه الأشياء. غير أنك إن شاهدته، ما دام الأمر أمراً لا بد منه، شاهدته قوة كُليّة شاملة مُستقلّة حقاً بما كانت عليه في ذاتها، على أن تستوي وهي

ذلك الذي تُريد أن تكون عليه في ذاتها. والأخرى بالقول هو إنها دفعت إلى عالم الحقائق ما
٤٥ تُريد أن تكون عليه في ذاتها. / لقد كانت هي أعظم من كل إرادة وقد جعلت الإرادة عنها
مُتأخِّرة. فلم ترد هي ذاتها كونها «في الحال التي قامت عليه» بحيث تُمسي إرادتها طاعة، كما
أن شيئاً آخر لم يكن يُبديعها «على الحال التي عليها قامت».

١٠ ثم إنه ينبغي أن يُسأل الذين يقولون بأنّ الخير اتفق له أن يقوم على ما كان عليه: كيف
يحكمون على كون الشيء بالاتفاق إن غداً أمراً كاذباً؟ ثم كيف ننفي عن الشيء كونه بالاتفاق؟
قد يقول أحدهم: إن قامت طبيعة ما، لم يصبح كون الشيء بالاتفاق عندئذٍ. فإذا نسب إلى
٥ المصادفة هذا الأصل الذي يَيطِل في الأمور كونها بالاتفاق على ما قامت عليه في ذاته، / فما
عسى أن ينشأ ما لا يقع من قبيل الاتفاق؟ إنما يَيطِل ذلك الأصل كون غيره، على ما قام عليه،
بالاتفاق، إذ يمدّ غيره بالمثال والحدّ والصورة. وإذا نشأت الأشياء بمقتضى العقل هكذا، فلا
يُزُد سببها إلى المصادفة، بل إلى ذلك الأصل ذاته. فالمصادفة لا تقع بين السوابق والتوابع بل
١٠ بين المتلاقيات. / كيف يُزُد إلى المصادفة أصل كل عقل ونظام وحدّ، وكيف يكون من الاتفاق
قيام هذا الأصل في ذاته؟ لا شك في أنّ المصادفة هي الغالبة في الكثير من الأشياء، ولكن إبداع
الروح والعقل والنظام خارج عن حكمها. ولعمري كيف تُبدع المصادفة العقل ونحن نجدها في
١٥ طرقيّ التقيض. / وإن لم تكن المصادفة لتُبدع الروح، لم تكن لتُبدع ما استوى قبل الروح وكان
من الروح أشرف. فليس لديها ما تنطلق منه لتُبدع، كما ليس لها قطّ مقام في الأزليات. وإذا لم
يكن شي ليُقدّم على الخير محضاً، وكان الخير محضاً هو الأوّل، وقفنا عند هذا الحدّ لا محالة،
٢٠ ولم نُقل في الخير شيئاً بعد ذلك، بل بحثنا عما جاء عنه متأخراً كيف نشأ. / أما الخير فلا يرد
هذا السؤال بشأنه لأنّه لم ينشأ هو حقّاً.

ما عسانا أن نقول فيه إذا إن لم ينشأ، وكان على الوجه الذي عليه قام وهو لا يتصرّف
بذاته كما يشاء؟ إن لم يكن مُصرِّفاً بذاته كيفما يشاء، ومُقيماً في ذاته ذاته بذاته، بل كان عامداً
إلى ذاته على الوجه الذي عليه قام، استوى بالضرورة على الوجه الذي عليه قام وليس على وجه
٢٥ آخر. / كلا! لم يَسْتَوِ في الحال التي قام عليها لأنّه لم يكن على حال أخرى، بل لأنّه هو
الأشرف ما دام على حاله. ولذا، فإن كان التحوّل إلى الأحسن لا يعرض لكل مستقلّ
بذاته، فهذا لا يعني أن التحوّل إلى الأدنى قد يقع تحت وطأة قوة غير ذاتية. فإنّ الامتناع
عن الشرّ هو امتناع من الذات ينبعث: لم يكن الامتناع بمرّد عن الشرّ، بل يكون الأمر هو ذاته
٣٠ حقّاً. ولا تدلّ الاستحالة على التحوّل / إلى الأدنى على عجز لدى المُمسِك عن هذا التحوّل،
بل على مناعة من الذات وبالذات مُنبعثة. ثم يدلّ الانحياز عن كلّ شيء آخر على حقّق بالقوّة

كان في المنحاز حاصلًا، فلم يكن مُنحازًا بالضرورة، بل كان هو للأُمور الأخرى ضرورتها ٣٥ وحُكْمها. أنقول إذاً بأنَّ الضرورة هي التي أقامت ذاتها في ذاتها؟/ كلاً! ليس الخير قائماً في ذاته أيضاً، ما دامت الأُمور الأخرى به في ذاتها قائمة وعنه مُتأخِّرة. فالذي كان وما كان في الذات قيام، كيف يتكفَّل له غيره بقيامه في ذاته، أو كيف يجعل ذاته قائماً في ذاته؟

١١ ولكن شيئاً لا يقوم في ذاته، ما عساه أن يكون؟ ألا! ينبغي الآن ننصرف صامتين تاركين الأمر على إشكاله في قضيتته، فلا بحث عن شيء بعد ذلك. ولعمري، ما عسى أن يكون الذي عنه نبحت وليس أماناً شيء إليه تنتهي، ما دام البحث حركة إلى الأصل تنتهي وفي مثل هذا الأصل تسكن مُستقرّة؟ فضلاً على أن كلَّ بحث إنِّما يُتصوَّر بحثاً عن الشيء «ما هو» وكيف كان» و«لِمَ كان» و«هل كان»؛ أمّا كون الشيء حقّاً بمعنى ما نقول في الخير إنَّه «كان حقّاً»، فإنِّما ننتيجه ممّا جاء عنه مُتأخِّراً. أمّا «لِمَ كان الشيء»، فيعني بحثاً عن أصل آخر، وما من أصلٍ لِمّا كان للكلِّ أصلاً. أمّا «كيف كان الشيء» فيقتضي البحث عمّا كان للخير لازماً، ولم يكن للخير قطُّ لازم. أمّا البحث عن الشيء «ما هو» فالأجدر به أن يدلَّ/ على أنّه ينبغي للخير ألاَّ يبحث على حقيقة فيه كان عليها مُنطويّاً. بل يجب أن تُدرِكه هو وحده بالروح إن استطعنا، وأن نعلم أنّه حرام علينا أن نُضيف إليه شيئاً. والظاهر بوجه عامّ، أنّا نتخيَّل هذه المُشكلة في الأمر الذي نحن بصدده - هذا إن تخيلناها - من خلال تصوُّرنا مجالاً أو مكاناً كأنّه لُجّة عظيمة. / ثمَّ إذا تصوُّرنا مجالنا سُقنا ذلك الأمر إلى المكان الذي نشأ أو الذي نتخيَّله. حتّى إذا أدخلناه في مثل هذا المكان أصبحنا بحيث كأنّا نبحت عنه أنّي قديم وكيف جاء إليه، فكأنّه دخيل أخذنا نطلب سبباً ٢٠ ليُحْضوره ولِمّا هو بمثابة ما كان عليه في ذاته. / فغداً وكأنّه قد رُمِيَ به هنا من الأسافل أو الأعالي. ولذلك ينبغي لنا أن نحذف سبب مُشكِلتنا فنجعل كلَّ مكان غريباً على نظرنا إلى الأمر الذي نحن في صدد. فلا نفترضه قطُّ في مكان مهما يكن، سواءً أكان ثابتاً أزلاً في هذا المكان ٢٥ وفيه مُقيماً أم كان قد جاء إليه. / بل نتصوِّره قائماً وحده حقّاً، على ما كان عليه حقّاً فيوصِّف بأنه «كان حقّاً»، لما يقتضيه اللفظ من ضرورة. أمّا المكان، فشأنه مثل شأن الأُمور الأخرى، أن يكون مُتأخِّراً، بل في أقصى المُتأخَّرات كلّها. فإذا ما تصوُّرنا هذا المُتَرِّه عن المكان على نحو ما نتصوِّره ولم نجعل من حوله ما يكون منه بمثابة دائرة، ولم يسعنا أن نُقدِّره حقَّ قدره، قلنا إنّ ٣٠ القدر لا يقع عليه عَرَضاً. / فننفي عنه الكيف أيضاً ولا نعرِّمه بصورة حتّى ولو كانت روحانيّة، كما أنّا ننفي عنه كلّ علاقة بينه وبين غيره إذ إنّّه قائم في ذاته، ولقد قام في ذاته وما كان شيء سواه. فما عسى، بعد ذلك، أن يعني قولنا بأنّه اتَّفَق له أن يستوي على ما كان عليه؟ أو كيف ٣٥ نطق بذلك كلّ في حين أن كلَّ ما سوى ذلك ممّا يعرف بأنّه يُقال سلباً. فالأصحّ هو ألاَّ نقول: /

اتَّفَقَ للخير أن يستوي على ما كان عليه، بل أن نقول: لم يَتَّفَقْ له أن يستوي على ما كان عليه، لأن شيئاً لا يقال فيه إنه اتَّفَقَ له.

- ١٢] ماذا إذا؟ ألم يكن الخير ما قام عليه في ذاته؟ ألم يكن على الأقلَّ تَصَرُّفاً هو ذاته بكونه حقاً ما قام عليه في ذاته ويكونه فوق الحقِّ حقاً؟ لقد عادت النَّفسُ إلى الارتياب في كلِّ ما قيل لها ولم تجد مخرجاً. يجب أن يُردَّ على هذا الاعتراض بما يلي: إن كلاً متاً بعيد عن الذات بجسمه، أما بنفسه (وكلَّ متاً نفس) أصدق ما يكون عليه في ذاته) فإنَّ له من الذات نصيباً وهو ذات من وجهه ما. وهذا يعني أنَّه مُركَّب من فصل وذات، فليس حقاً بذات أو ذات هي بذاتها ذات، ولذلك لم يكن بوسعها أن يصير ولياً لما قام عليه في ذاته. ذلك بأنَّ الذات شيء وما نحن عليه في ذواتنا يبدو شيئاً آخر. فلم نكن لما نحن عليه في ذواتنا أولياء، بل الذات هي التي تتولَّى أمورنا/ ما دامت هي التي تُلحِق الفصل بنا. ولكن ما دُمنا، من وجهه ما، ذلك الذي يلينا في تَصَرُّفاتنا، فأدنى ما يسعنا أن نقوله فينا هو إنَّا لما نقوم عليه في ذواتنا أولياء. إلا أنَّ أقلَّ ما يقال عمَّا استوى مُطلقاً في ما قام عليه بذاته ولم يكن هو شيئاً ثم لم يكن ما قام عليه في ذاته شيئاً آخر، إنَّ ما كان عليه في ذاته هو ذاته عيناً وهو وليُّه. فلا يتعلَّق بغيره من حيث كونه حقاً ولا من حيث كونه ذاتاً، / بل خُلِّيَ بينه وبين أن يتصرَّف بذاته ولياً لذاته لأنَّه هو الأوَّل بالنظر إلى الذات. أما الذي سبق فأبدع الذات مُستقلَّة بذاتها حرَّة، لأنَّ الجَلِيَّ فيه هو أنَّه مطبوع على إبداع الحرِّ المُستقلِّ. ويسعنا أن نقول بأنَّه مُبدع الاستقلال عنه، فلا يَشيء يكون خاضعاً؟ أيخضع بالذات لذاته؟/ إنَّما الذات به كانت حرَّة مُستقلَّة إذ هي مُتأخِّرة، ثمَّ إنَّه هو ذاته لا ذات له. أما إن كان فيه تحقُّق ما وجعلناه هو بذاته قائماً في هذا التَّحقُّق، فلا يُؤدِّي به ذلك إلى أن يكون مُختلِفاً عمَّا كان عليه في ذاته. كما أنَّه لم يُمَسَّ هو بذاته ولياً لما كان عليه في ذاته لأنَّه كان بقيام ذاته في التَّحقُّق أصلاً للتَّحقُّق، إذ لا فرق عند ذاك بينه وبين ما كان عليه في ذاته. / أما إذا لم نُسلِّم له مُطلقاً بتَّحقُّق فيه يقوم، وإنَّما تَتَّحقَّق الأمور الأخرى من حوله فيُتاح لها القيام في الذات، فأولى بنا بالآل نُسلِّم له بوليٍّ ولا مولى فيه يقومان. بل إنَّا لا نُسلِّم له بأنَّه يتصرَّف بذاته ولياً لذاته، لا لأنَّ فوقه شيئاً آخر يتصرَّف به ولياً بل لأنَّ كون الشَّيْء ولياً لذاته لم نُسلِّم له إلا للذات. أما الخير ذاته فإنَّما رفعناه أشرف من ذلك مقاماً. / وماذا يعني كونه في المقام الأشرف سوى كونه على ما قام عليه في ذاته ولياً لذاته؟ ذلك بأنَّه ما دامت الذات في مُستوى الذات مُختلفة عن تحقُّقها كان الأمر أمرين، أدنى التَّحقُّق إلى أن نتصوَّر له ولياً كان هو والذات شيئاً واحداً. ولذلك عزلنا بالذهن كون الذات وليُّه وقلنا إنَّ الذات هي لذاتها وليَّة. ولكنَّ حيثما لا يكون الشَّيْء شيئاً في واحد،/ بل يكون واحداً مُنفرداً، سواءً أكان تحقُّقاً فقط أم لم يكن تحقُّقاً بحال، فليس من

الصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ الشَّيْءَ وَلِيَ لِدَاثِهِ .

١٣ على أنه لم يكن بدّ من إطلاق هذه الأسماء، وإن تَكَ لا تصدق على ما نحن في صدد،
فلنعدّ ونتذكّر القول الصَّوَابُ في أمرنا. وهو أنّه ينبغي لنا ألاّ نتصوّر الخير، حتّى في الدّهن،
بإثنيّة. لكنّا نعتدّ الآن طريق الإقناع، فلا بدّ، مع ذلك، من أن نتجاوز ما يتقضيّه العقل في
٥ كلامنا. إن سلّمنا للخير بتحقّقات، جاءت تحقّقاته/ كأنّها تتمّ بإرادته إذ لا يُحقّق وهو غير
مريد. يَبْدُ أَنْ تحقّقاته هي بمنزلة ما قام عليه في ذاته، فكانت إرادته وحقيقته في ذاته شيئاً
واحداً. وإن كان الأمر على هذه الحال كان هو على نحو ما أراد. ولو قيل إنّه يُريد ويُحقّق على
الوجه الذي كان عليه طبعاً، لم يكن لهذا القول أولى من أن يُقال إنّه استوى بما كان عليه في ذاته
١٠ على نحو ما يُريد ويُحقّق. / إنّه إذا يتصرّف وليّاً مُطلقاً بما كان عليه في ذاته ما دام هو الذي
يتولّى كونه حقّاً. ثمّ دونك ما يلي، كلّ حقيقة من الحقائق إنما ترغب في الخير فتفصّل كونها
في ما هي عليه في ذاتها. وعندها ترى أنّها حسنت حالاً إذ أُتيح لها خلاق من الخير، فقدّرت
١٥ الحال التي اصطفيتها لذاتها على مقدار ما تُيسر لها من الخير. / وذلك مبنيّ على أنّ من الواضح
في حقيقة الخير بخدّ ذاته أنّها ما تكون هي الأشرف ما دام أشرف ما لدى غيرها هو القدر الذي
أصابه منها. ولهذا القدر هو الذات المرادة التي تتحقّق بالإرادة وهي مع الإرادة شي واحد
وبوساطة الإرادة كانت في ذاتها قائمة. ثمّ إنّه ما دام الشّيء غير حاصل على الخير كان لغيره
٢٠ مريداً؛/ فإذا حصل على الخير أنشأ يُريد ما كان عليه في ذاته، ولم يُمسِ حضوره الخير فيه أمراً
واقِعاً بالاتّفاق أو خارجاً عن إرادته. فيُصبح الشّيء ما كان هو عليه في ذاته وبه تتحدّد الذات
٢٥ وتفرد بذاتها مع ذاتها. فإن كان كلّ شي يُبدع بالخير هو ذاته ما كان عليه في ذاته، تبين بجلاء/
أنّ الخير كان هو القائم الأوّل بهذه المهمّة نظراً إليه هو ذاته، إذ إنّه هو الذي يُتيح للأُمور
الأخرى أن تكون حقّاً على ما كانت عليه في ذواتها. فإنّ إرادته أن يكون حقّاً على تلك الحال
التي ذكرنا هي مُتصلة بما يبدو كالذي كان عليه في ذاته. ويستحيل إدراكه بدون كونه مريداً أن
يستوي هو بذاته على ما كان عليه في ذاته. إنّه لما قام عليه في ذاته قرين، فيريد أن يقوم هو بذاته
٣٠ حقّاً، وهو بذاته ذلك الذي يُريد أن يكون عليه في ذاته. / إنّه مع إرادته أمر واحد فلم يكن بذلك
أقلّ وحدة، لأنّه لم يتفق له أن يستوي على ما كان عليه في ذاته ليُصبح شيئاً مُغايراً لما أراد هو أن
يستوي عليه في ذاته. وما عساه يكون قد أراد سوى ذلك الذي كان عليه في ذاته؟ لِنفرض أنّه
اختار لذاته أن يتحوّل بذاته إلى ما يُريد أن يكون عليه، وأُتيح له أن يُبدّل ما كان عليه طبعاً بشي
٣٥ آخر يستوي فيه. فإنّه لن يُريد أن يتحوّل إلى شي آخر، / ولن يجد فيه عيباً كأنّه استوى بحكم
الضرورة على ما قام عليه في ذاته. ولهذا يعني أنّه كان حقّاً هو ذاته على ما أراد، على ما لا يزال

يُريد أن يكون عليه في ذاته. إنَّما كان الخير حَقًّا في حقيقته إرادة لذاته، فلم تستغوه حقيقته ولم تُجَلَّ عليه أمره، بل اختار هو ذاته ما كان عليه في ذاته لأنَّ شيئاً آخر لم يكن حتَّى يكون هو معجوداً إليه. / لهذا ويسعدنا أن نذكر ما يلي أيضاً، وهو أنَّ أمراً من الأمور الأخرى لم يشتمل في ما قام عليه في ذاته على معنى كونه راضياً عمَّا كان عليه في ذاته. فَرُبَّ أمرٍ ضاق ذرعاً بما كان عليه في ذاته. أما الخير فإن قيامه في ذاته يشتمل على اختياره وعلى إرادته لذاته. وإلَّا لَصُعِبَ ٤٠ على غيره أن يكون راضياً عن ذاته/ ما دام الرِّضا عن الذات إنَّما يَحَقُّ بِحُضُور الخير أو بصورته. أمَّا الألفاظ فلا بُدَّ من التَّسامح فيها إن اضطرَّ الباحث في الخير أن يلجأ إليها لأجل الدِّلالة، وهي لا تُباح إن أردنا الدَّقَّة. فليُدرَك معناها في كلِّ حال مع هذا بِتقدير: «إن سَوَّغَ لنا القول».

٥٠ وإذا قام الخير في ذاته،/ وقام معه الاختيار والإرادة كلُّ في ذاته إذ إنَّه لا يكون بدونهما، وَجَبَ في ذلك كلُّه ألا يكون ذا كثرة. ألا وإنَّه لا بُدَّ أن تُحدَّ إرادته مع ما كان هو عليه في ذاته. فإنَّ إرادته انبعثت منه لا مُحالَّة، وكان كونه حَقًّا لكونه من ذاته مُنبعثاً، فاكشَفَ العقل بذلك أنَّ الخير هو الذي أبدع ذاته. فإن كانت إرادته/ منه مُنبعثَةٌ وكأنَّها فعله، وكانت هذه الإرادة فيه هي وقيامه في ذاته شيئاً واحداً، كان هو ذاته الذي أقام ذاته في ذاته. فلم يَتَقَّ له أن يستوي على ما كان عليه في ذاته، بل كان ما أراد هو ذاته أن يكون عليه في ذاته.

١٤ هذا ولا بُدَّ من أن ننظر في المسألة التالية: كلُّ ما يُقال فيه إنَّه كان حَقًّا، إمَّا أن يكون هو وكونه حَقًّا شيئاً واحداً، وإمَّا أن يختلف طرف عن الآخر. فالإنسان الفرد المُعَيَّن مثلاً هو شيء والحقَّ إنساناً هو شيء آخر. فإنَّ للإنسان الفرد نصيباً من الحقَّ إنساناً. أمَّا النَّفْسُ فإنَّها مع الحقَّ ٥ نفساً شيء واحد إن كانت النَّفْسُ أمراً بسيطاً ولم تكن لازمة لغيرها. / وكذلك القول في الإنسان بالذات وفي الحقَّ إنساناً. هذا وقد اتَّفَقَ للإنسان الفرد أن ينشأ، وهو غير الحقَّ إنساناً؛ أمَّا الحقَّ إنساناً فلم ينشأ بالمُصادفة إذ إنَّه الإنسان ذاتاً من تلقاء ذاته. فإن أقام الحقَّ إنساناً من تلقاء ذاته ولم يكن بالاتِّفاق أو العرض،/ فكيف يُقال في ما استوى فوق الإنسان بالذات وأبدعه، وفي ما منه انبعثت الحقائق كلُّها إنَّه كان مُصادفةً واتِّفاقاً، ألا وإنَّه في طبيعته أبسط من الحقَّ إنساناً ومن كونه الحقَّ حَقًّا على وجه الإطلاق؟ فقد يستحيل القول بالاتِّفاق إذا في ما يقرب من البسيط؛ فيستحيل القول به أيضاً في ما كان البسيط المُطلَق. /

ثم يليق بنا أن نذكر ما قد سبق ذكره، وهو أنَّ كلاً من الأمور التي كانت حَقًّا وضممت لها حقيقة الخير قيامها في ذاتها، (وإن يكن في العالم الجسِّي أمر من نوعها)، إنَّما باتت على هذه الحال بكونها مُنبعثَةٌ من الملاء الأعلى. / وأعني بكونها على هذه الحال أنَّها حاصلة على سبب

قيامها في الذات مقروناً بما قامت عليه في ذاتها . ويستطيع مَنْ يُشاهد حقيقة من هذه الحقائق بعد ذلك أن يذكر «لَمْ كان» كلَّ عنصر من عناصرها : لَمْ كانت العين مثلاً، أو «لَمْ كانت» هذه الأقدام أو تلك لهذا أو لذلك . ثمَّ إِنَّ السَّببَ يُولَّد في كلِّ أمر كلِّ جُزء من أجزائه فيكون/ بعض هذه الأجزاء سبباً لبعضها الآخر . «لَمْ كانت» طول الأقدام كذا؟ كان ذلك لأنَّ جُزءاً آخر كان في وضع مُعيَّن . ولأنَّ للوجه كيفه الخاصَّ، كانت للأقدام حالها الظاهرة . وإنَّ تناسق الأجزاء جميعاً بعضها مع بعض هو الذي يجعل بوجه عامَّ بعض الأجزاء سبباً لبعضها الآخر . فإذا ورد السؤال عن الجُزء «لَمْ كان»، أُجيب لأنَّه هذا هو الحقُّ إنساناً . فبات كون الشيء حقاً هو سببه ٢٥

وَعَدَا الطَّرْفَانِ شيئاً واحداً . / كلَّ هذه الأحوال إنَّما جاءت على هذا النحو من مُعين واحد لم يُعط عطاءه بحساب بل أمدَّ بالكلِّ دُفْعَةً واحدة، فأعطى الحقائق «لَمْ كانت» وكونها حقاً . كان إذاً مصدر كون الأشياء حقاً ومصدر «لَمْ كانت» الأشياء حقاً في آن واحد، إذا كان هو الذي أمدَّ الأشياء بهما كليهما . ولكن مهما كان الطَّرَاز الذي جاءت عليه هذه الأمور كان مصدرها من ٣٥

طراز أصدق أصلاً وأشدَّ حقاً وأجدر منها بأن يكون هو الخير في مقامه الأسنى . / إنَّ شيئاً مُشتملاً في ذاته على سببه إذاً لن يكون بالاتِّفاق والمُصادَفة ولا يصحَّ فيه «أن يكون بالعرض»، بل هو آخذ كلَّ ما لديه من الأصل الأوَّل . فهو الذي وَلَدَ العقل والسَّبب والذات التي كانت للأسباب سبباً، ما دامت الأشياء بعيدة عن الكون بالاتِّفاق . فلا غَرْوَ إن كان هو الأصل، ٤٠

وبمنزلة القياس الأوَّل لكلِّ ما لم يكن بينه وبين الاتِّفاق مُشاركة . / هو الأصل حقاً والأوَّل، لا يتخلَّله اتِّفاق ولا وقوع عفوي ولا عرضي : كان هو لذاته سبباً، فكان من تلقاء ذاته وبذاته . إنَّه كان أوَّلاً هو ذاته، وهو فوق القول الحقَّ فيه إنَّه هو ذاته .

١٥ ثمَّ إنَّه في آنٍ واحد هو المعشوق والعشق بالذات والعشق (لما كان عليه في ذاته)، إذ إنَّه لم يكن حُسناً إلَّا من تلقاء ذاته وفي ما كان عليه في ذاته . ذلك بأنَّه لا يتمُّ له اتِّصال بما كان عليه في ذاته ما لم يكن هو المُتَّصِل والمُتَّصَل به شيئاً واحداً بالذات . أمَّا إذا بات المُتَّصِل والمُتَّصَل به شيئاً واحداً، أو اتَّحَدَ لديه ما كأنَّه الراغب/ والمرغوب فيه على أن يكون المرغوب فيه بمنزلة ٥

القيام في الذات وكأنَّه المحلَّ، ظهرت ممَّا الرِّغبة والذات كلتاها من بعد اتِّهما أمر واحد . وإن كانت هذه الحال حاله، عُدنا إلى القول فيه إنَّه هو الذي أبدع ما كان عليه في ذاته وبات ١٠

المُتَّصِرَف ولياً بما كان عليه في ذاته، فلم يكن على ما أَرادَه غيره بل على ما أَرادَه ذاته هو ذاته . / ثمَّ إذا قُلْنَا إنَّه لا يتلقَّى فيه شيئاً وإنَّ شيئاً لا يتلقَّاه، جعلناه بذلك، وهو حينئذٍ مُبرِّءاً عن المُصادَفة . لا لأنَّنا نزلهُ ونُنزِّههُ عن كلِّ شيء وحسب، بل لأنَّه آخر أيضاً . وهو أن تنبئ يوماً في ذواتنا حقيقة ما تكون على تلك الحال، وهي في براء من كلِّ ما يلحق بنا ونحن نتعرَّض للانفعال

١٥ وللْمُصَادَفَةِ. / كل ما لدينا مما سواها إنما يكون من صنع المصادفة خاضعاً لها وكأنه به يقع: فالتصرّف بالذات والاستقلال بالعمل إنما يتحققان بهذا التّحقّق وحده، الذي يستوي نوراً هو
٢٠ «الخير بمثال»، وهو خير أعظم ممّا كان من/ قبيل الروح، لم يكن استواؤه فوق العرفان أمراً وَرَدَ عليه اكتساباً. فإذا ارتقينا إلى تلك الحقيقة وأصبحنا في حالها وحدها، وتخلّينا عمّا سواها، فما عسانا نقول فيها سوى إنّنا أصبحنا بها أعظم من أن نكون أحراراً وأعظم من أن نُسمي مُستقلّين بذواتنا؟ فمن ذا الذي يخطر إليه عندئذ أن ينسبنا بما نحن عليه في ذواتنا إلى
٢٥ الاتّفاق أو المُصادفة أو الحُدوث عرضاً؟ لقد أصبحنا الحياة/ الحَقّة بالذات أو حللنا فيها وهي التي لا تشتمل على شيء سواها بل تستوي قائمة وحدها في ذاتها؟ وكلّ أمر سواها، إذا حُصِر في ذاته، فإنّه ما يكفيه ويُغنيه عن غيره حتّى يكون حقّاً. أمّا هي، فتستوي، محصورة في ذاتها، على ما كانت عليه في ذاتها.

٣٠ إنّ القيام في الذات أصلاً لا يكون في غير ذي نفس أو في حياة لا عقل لها؛ / وإلا لكان عاجزاً عن أن يكون حقّاً ما دام آنذاك، في ذاته، قَوْضَى وعقلاً شتياً. فمهما تقدّمت نحو ما كان عقلاً خلعت عنها ما كان اتّفاقاً، إذ إنّ ما كان من قبيل العقل لم يكن بالاتّفاق. صحيح أنّ ما يُقابلنا في ارتقائنا ليس عقلاً، ولكنّه خير ممّا كان عقلاً. فإنّه بعيد عن الحُدوث بالاتّفاق على
٣٥ قدر ما كان مُستويّاً في حاله. منه ينبعث العقل في جُذوره وإليه/ تنتهي الأشياء كلّها. مثله مثل الأصل والجذم لدوحة عظيمة كفلت لها حياتها بُنية معنوية مُحكّمة. وهما أصل وجذم على حالهما باقيا في ذاتيهما قائمان يمدّان الدّوحة لكي تستوي وفقاً للُبّية المعنوية التي تلتفتها.

١٦ هذا وما دُمنا نقول في الخير أنّه يبدو قائماً في كلّ وجه من الوجوه كما أنّه لا يبدو في وجه قطّ، لم يكن بُدّ من أن ننظر في الأمر لِتَبَيّنِ الحال التي يجب أن نتصوّرها ما هي من وراء تدقيقنا في البحث حول ما نحن بصددّه. ذلك بأنّه إن لم يكن في وجه قطّ، لم يتّفق له قطّ أن يكون في وجه من الوجوه. وإن كان في كلّ وجه من الوجوه، بات في كلّ وجه من الوجوه بالقدّر الذي عليه كان. / ممّا يُؤدّي إلى أنّه هو الذي كان الوجوه كلّها والأحوال كلّها، بمعنى أنّه ليس ثابتاً في الوجه كلّها بل إنّّه هو الذي يمدّ الأمور الأخرى بأن تكون في كلّ وجه من الوجوه على حال المُجاورة. إنّّه ذو المقام الأعلى، أو بالأحرى إنّّه ليس صاحب المقام الأعلى بل كان هو ذاته الأعلى. فباتت الأشياء كلّها خاضعة له. فلا يلزمها هو عرضاً، ما دامت هي التي تلزمه، / وأولى بها ألا تدور حوله بمعنى أنّه ينظر هو إليها بل بمعنى أنّها هي التي تنظر إليه.
١٠ أمّا هو فكأنّه متوجّه إلى باطنه في ذاته وكأنّما يقرّ عيّناً بما كان عليه في ذاته، أعني بالنور في صفاته، إذ إنّّه هو بالذات ذلك الأمر الذي يقرّ به عيّناً. ولهذا يعني أنّه هو الذي جعل ذاته قائماً

١٥ في ذاته ما دام تَحَقُّقًا لم يزل، وما دام الأمر الأحبّ لديه هو روح من وجهه ما. / إنّما الروح تَحَقُّقٌ تَمَّ؛ فالخير إذا تَحَقَّقَ تَمَّ هو أيضًا. لكن لم يكن تَحَقُّقًا من غيره، فكان هو الذي حَقَّقَ ما قام عليه في ذاته. لم يَسْتَوِ إذا على ما اتَّفَقَ له أن يكون عليه قائمًا، بل على ما حَقَّقَ هو ذاته، ما كان عليه في ذاته.

٢٠ ثمّ إنه بهذا الكيان الفائق كان إذ بات بمنزلة الركن لذاته. فكأنّه ينظر إلى ذاته / نظرًا هو له بمنزلة كونه حقًا. ممّا يُؤدِّي إلى القول بأنّه يكاد أن يكون هو الذي يُبدع ذاته. لم يكن إذا على نحو ما اتَّفَقَ له أن يستوي، بل على نحو ما أراد هو أن يكون. كما أنّ هذه الإرادة لم تقع بالمُصادفة ولم يَتَّقَ لها أن تكون على ما هي عليه: ذلك بأنّها ما دامت إرادة خير ما يُمكن أن يكون، ليست إرادة تقع بالمُصادفة.

٢٥ فإنّ ما يجعل كونه قائمًا في ما هو عليه في ذاته هو هذه التَّزَعُّة إلى ذاته، / وهي نزعة كأنّها تَحَقُّقُ الذي لم يزل في ذاته. والدليل على ذلك هو القول المُخالف إذا افترض. وهو لو مال إلى شيء كان غريبًا عليه لفقد كونه في ما هو عليه في ذاته. فإنّ كونه على ما قام عليه في ذاته هو هذا التَّحَقُّقُ لما كان عليه في ذاته. وهذا التَّحَقُّقُ إنّما هو والخير ذاته شيء واحد. وهكذا كان هو الذي جعل ذاته قائمة في ذاته / على أنّ تَحَقُّقَهُ ما يزال يُلازمه. فإن لم يكن تَحَقُّقُهُ لِنَسْأَلِ بل كان دائمًا ولم يزل وكأنّه يقظته (بمعنى أنّ اليقظة لا تختلف عن المُتَيْقِظِ)، وهي يقظة لم تزل على كونها أمرًا فوق العرفان، كان هو على ما كان عليه في حال يقظة. أمّا هذه اليقظة فإنّها فوق الذات والروح والحياة الناطقة، / على أن يَصَحَّ هذا القول فيه أيضًا. فإنّه تَحَقُّقٌ يستوي فوق الروح والحكمة والحياة، وهي أمور منه انبعثت لا من غيره. به كان كونه حقًا إذا ومنه انبت. ٤٠ فلم يكن على ما اتَّفَقَ له أن يستوي، بل على ما أراد هو ذاته أن يكون. /

١٧ ودونك ما يلي أيضًا. إنّنا نقول في جُزئيات العالم الكُلِّي وفي العالم الكُلِّي أيضًا إنّ هذه الأمور كلّها قائمة على ما كان شأنها أن يقوم عليه، إذا أرادها صانعها واختار الحال التي قامت عليها. فكأنّه صنعها على هذه الحال بعد تصميم وتفكير سابق مُتَقَيِّدًا بعناية. غير أنّه لم تزل هذه الأمور على حالها وعلى هذه الحال تنشأ، / فكانت بُناها المعنويّة لم تزل قائمة في مُبدعها، ثابتة في انتظام فائق. فأصبح كلّ ما قام في عالم الروح فوق كلّ عناية وكلّ اختيار، وباتت الأمور كلّها هناك قائمة في حال نورانيّة. وعليه، فإن تصوُّرها حالًا مثل هذه الحال أنّها هي العناية، وَجَبَ أن تَتَّصِرَها بحيث تقتضي / الروح قائمًا في ثباته قبل عالمنا الجسّي إذ إنّ عالمنا الجسّي من الروح انبعث وبالروح كان. فإن بات الروح قبل الأشياء كلّها، وكان روح من هذا الطراز هو أصلًا، لم يَتَّقَ له أن يستوي في ما عليه كان، إذ إنّّه مع كونه ذا كثرة، مُتَاسِقٌ بعضه

مع بعض في ذاته وكأنه مُنتظم في الوحدة. ذلك بأن شيئاً ذا كثرة، مُنتظم بعضها مع بعض، وذا
 ١٥ وحدة تنفذ خلال الكل وتضبطه كلاً وهو بُنى معنوية، / فلن يقوم جميعاً على ما كان مُجرّد
 المُصادفة والاتفاق. بل شتان ما بين طبيعة من هذا الطراز وبين ما يُخالِفها بقدر ما بين البنية
 المعنوية والاتفاق القائم في الحُلُو من البنية المعنوية وفي القوضى. وإن كان ما قبل هذا الروح
 هو الأصل، أقام هذا الأصل لا محالة في جوار الروح الذي أبدع على ما كان عليه في بُنيته
 ٢٠ المعنوية، فقَدَّ الروح، وقد أُحْكِم في بُنيته المعنوية على مثال ذلك الأصل، آخِذاً منه، / قائماً
 على الوجه الذي يُريده أصله وغداً لهذا الأصل قُوته. كان هذا الأصل مُنزهاً عن الامتداد إذاً،
 وهو المعنى الفرد المُتطوي على الأشياء كلها؛ إنّه وحدة هي العدد ووحدة تفوق ما أبدع جلالاً
 وقوة، وليس من شيء في جلاله وحُسنه. لم يستمد من غيره كونه حقاً ولا كونه على ما هو عليه
 ٢٥ في صفته. إنّه بذاته على ما كان عليه في ذاته، / وهو مُتوجّه إلى ذاته، مُنعكف على ذاته في
 باطنه، حتّى يتم له بذلك ألا ينظر إلى الخارج أو إلى غيره، بل يتوجّه كلاً، إلى ما كان عليه في
 ذاته.

١٨ فإذا طلبته لا تطلب شيئاً خارجاً عنه، بل كلّ ما تأخّر عنه إنمّا يكون مُستقراً في باطنه. أمّا
 هو فدعه وشأنه. فإنّه، هو، كلّ ما كان خارجاً عنه، وهو الإحاطة بالأشياء كلّها وقياسها. أو إنّه
 بالأوّل من الأشياء في بواطنها. وما كان خارجاً عنه، فكأنّه يدور من حوله مُتصلاً به وبه
 ٥ يتعلّق، وهو العقل والروح. بل الأخرى بالقول هو إنّ الروح روح باتّصاله بأصلنا وعلى قدر ما
 كان به مُتصلاً ومُتعلّقاً، ما دام آخِذاً من ذلك الأصل كونه روحاً حقاً. إنّ الدائرة تتصلّ بالمركز
 وتُصورها على أنّها تستمد قُوته من المركز. وكأنّي بها في مثال المركز بقدر ما تتجّه أشعتها
 ١٠ إلى المركز وتتحد فيه، / فيجعل كلّ منها طرفه من جهة المركز بحيث يكون بمنزلة الذي تسير
 إليه وتكاد تنبعث منه، على أنّ هذا المركز أعظم ممّا كان من قبيل الأشعة وأطرافها. لا شك في
 أنّ الأطراف تقع وكأنّها المركز، ولكنّها مطموسة حُدودها، فكأنّها للمركز أثره ما دام المركز،
 ١٥ بأنّساعه للأطراف، / يتّسع أيضاً للأشعة التي تنطوي عليه، مهما كان مداها. فيظهر المركز
 بوساطة الأشعة على الوجه الذي كان عليه وكأنّه ينبسط فيها بدون أن يكون قد انبسط. كذلك
 ينبغي لنا أن نتصوّر الروح والحق. إنّما ينبثقان من الخير وكأنّهما منه يندلعان وينبسطان، على
 ٢٠ أن يبقيا مُتعلّقين/ بحقيقة الخير النورانية. فيدلّان على ما يكاد يقوم في الوحدة روحاً وهو ليس
 بروح، إذ إنّه واحد أحد. تلك هي الحال في مثلنا. ليس المركز هو الأشعة أو الدائرة، بل هو
 للدائرة وللأشعة أبوهما. فإنّه ينفخ من آثاره ويستند إلى قُوّة ثابتة فيه وبقدرة ما يُولّد الدائرة
 ٢٥ وأشعتها، ثم لا تنفصل هي عنه انفصال تاماً. / كذلك يجب أن نتصوّر الخير محضاً ما دامت

القُوَّة النورانيَّة تعدو من حوله وهو كآته في وَحدته القياس الأصلي لأثره، أعني الروح وهو كآته يتحرك بكثرة سائرًا إلى كثرة فيمسي بسبب ذلك روحًا. أما الخير فيبقى قبل الروح يُدِرِّج الروح من قُوَّته. فأين المصادفة بعد ذلك، وأين القيام في الذات عفوًا/ وأين الحدوث بالاتفاق؟ أتى لكل ذلك أن تقع صلة قط بينه وبين قُوَّة من هذا الطراز شأنها إبداع الروح وهي مُبدعة حقًا؟ فإن ما نجده في الروح نجده وهو على حاله، وهو أيضًا ثابت في ذلك الواحد بنوع أعظم بكثير مما يكون عليه في الروح. مثل ذلك مثل نور تَشَتَّت مُتَشَتِّرًا من مصدر واحد، فكان ما تَشَتَّت منه أثرًا، وكان ما انبعث عنه هو النور الحقّ. / ولم يكن الروح، وهو الأثر الشَّتيت من نوع مُختلف عن أصله، فلم يكن بالاتفاق بل كان لكل جزء من أجزائه معنى وسبب. على أن الخير للسبب سببه؛ إنَّه السبب بالمعنى الفائق إذا وكآته أوفر سبيبةً وأحقَّ حقًا. يشتمل على كلِّ الأسباب

٣٠ النورانيَّة التي شأنها أن تكون وهي منه مُنبعثة، / فلا يُمسي مُبدعًا لما يتفق له أن يقع، بل لما كان على نحو ما أَراده هو. وليست هذه الإرادة عديمة المعنى، كما أنها ليست إرادة بالمصادفة أو أتته على نحو ما اتفق لها. بل هي إرادة تَمَّت على نحو ما كان ينبغي لها أن تتمَّ إذ إنَّ شيئًا لا يقع بالمصادفة في الملاء الأعلى. ولذلك يُسمَّيه أفلاطون أيضًا «الواجب» و«المُلازم»، وهو على

٤٠ قَلَر وسعه يَوَدُّ لو يَدَلَّ على أنه ينبغي للخير أن يستوي على ما كان عليه في ذاته. / فإنَّ أَمسى هو الواجب لم يكن بالواجب عبثًا. وإن بات هو المُناسِب كان على أشدَّ ما يكون استقلالًا بأمره نظرًا إلى الأمور الأخرى، ونظرًا إلى ذاته أوَّلًا. فلم يَقم وكآته اتفق له أن يستوي على ما كان عليه في ذاته. بل إنَّه هو الذي أراد أن يكون ذلك الذي كآته استوى عليه في ذاته، ما دام

٥٠ للواجبات مُريدًا وما دام الواجب وتَحَقَّقهُ شيئًا واحدًا. / وليس واجبًا بمعنى أنه للأعراض محلها، بل بمعنى أنه هو التَّحَقُّق الأوَّل مُعلِّنا عن ذاته أنه هو ذلك الذي ينبغي له أن يستوي في ما كان عليه في ذاته. بهذا القول يجب أن نصفه ما دُمنا عاجزين عن وصفه مثلما نشاء.

١٩ فلنُدرِّكه إذا وقد جذبنا إليه بما ذكرنا، على أنه يسعنا أن نُشاهده، لا أن نصفه بالقدر الذي نُريده. فإذا شاهدنا الخير في ما كان عليه في ذاته وكفنا عن القول مُطلقًا، جعلنا الخير مُنبعثًا مما كان عليه في ذاته وهو بحيث تكون ذاته، لو توافرت له ذات، خاضعة له/ وكآتها منه مُنبعثة. كما أننا لا نَجْزُو، بعد مُشاهدته، على أن نذكره قائمًا بالاتفاق، حتَّى وإنَّنا لا يسعنا أن

١٠ نطق بشيء حينئذٍ. ولقد صُيِّقَ مَنْ جَزُو، ولم يسعه، وقد نهض، أن يُخبر عن الخير أين هو؛ والخير، مع ذلك، يُشَبَّه أن يظهر للأنفُس أمام عيانها. / فحيثما اتَّجَهِت النَّفْس بأنظارها أبصرتة إلا إذا عدلت عن الرَّبِّ وتولَّت ناحية أخرى فلم تُفَكِّر بَعْدَ قَطِّ فيه. ورُبَّما كان ينبغي لنا أن نفهم بهذا المعنى ما كان القُدَّام يُوَرِّون به لدى ذكرهم «ما وراء الذات وما فوقها». لا يعني هذا

القول أنّ الخير أبدع الذات فقط، بل إنّه ليس خاضعاً للذات ولا لما استوى عليه في ذاته
 ١٥ أيضاً. / كما أنّ الذات ليست أصلاً، بل هو الذي أبدع الذات فلم يُبدعها لما كان هو عليه
 في ذاته، بل أبدعها وتركها خارجة عن ذاته، ما دام غير محتاج إلى أن يكون حقّاً هو الذي جعل
 الأشياء تكون حقّاً. ولم يُبدع بالتالي ما كان حقّاً، يَكُونُهُ هو ما استوى عليه في ذاته.

٢٠ ماذا إذا؟ ربّ قائل يقول: ألا ينتج عن ذلك الذي سبق أنّ الخير ينشأ بعد أن كان قد نشأ؟
 فإن أبدع «ما كان هو عليه في ذاته»، أبدع ذلك ولما يكن حقّاً، ولكّنه كان حقّاً يَكُونُهُ مُتَقَدِّمًا على
 «ما كان عليه في ذاته» ما دام هو الذي أبدع. ينبغي أن يُقال لهذا القائل إنّه يجب في الخير ألا
 ٥ يُصنّف مُبدَعًا، بل مُبدِعًا بمعنى أنّ إبداعه/ إبداع «مُنْفَكّ» ليس الغاية منه تسوية شيء آخر كان
 من الخير مُنبعثًا، بل الغاية هي تحقّق الخير. وهو تحقّق لا يتمّ عملًا، بل هو الخير بالذات
 كلًّا. فلا ينطوي الخير على اثنيّة بل يقوم وحده في فردانيّته. يجب ألا نخشى على التّحقّق
 ١٠ الأوّل من جعله لا ذات له: إنّما ينبغي أن يُمسي هذا التّحقّق/ وكأنّه هو ذاته قيامه في ذاته. فإن
 افترضنا قيامًا في الذات لا تحقّق له، كان الأصل ناقصًا وأصبح النقصان شأن الأكمل في الأشياء
 أكملها. ولكن إن أضفنا التّحقّق إليه سلبيه أحديّته. إن كان التّحقّق أمرًا أكمل من الذات إذا،
 ١٥ وكان الأكمل هو الأوّل، أمسى التّحقّق هو الأوّل. فإذا حقّق كان/ هو تحقّقه حقّاً، ولم يكن
 بمعنى أنّه كان قبل أن ينشأ. ففي لحظة تحقّقه لم تكن لحظة قبل أن ينشأ، بل كان هو قائمًا كلًّا.
 ولما لم يكن التّحقّق فيه خاضعًا للذات، كان هذا التّحقّق مُنطلقًا خالص الحرّيّة واستوى هو
 على حاله بما كان عليه في ذاته. فإن كفل له غيره كونه حقّاً، بطل كونه الأوّل المُنبثق ممّا كان
 ٢٠ عليه في ذاته. / وإذا صدق القول فيه إنّه هو المُمسك لما كان عليه في ذاته، أمسى هو الذي أمّد
 ذاته بما كان عليه في ذاته. ذلك بأنّ ما استوى مُمسكًا للشيء طبعًا، كان في الأصل هو الذي
 أقام هذا الشيء في كونه حقّاً. فلو كان زمان ابتداء معه الخير في كونه حقّاً، لَحَقَّ القول في الخير
 ٢٥ إنّه أبدع ذاته. أمّا إن قام هو على ما كان عليه في ذاته وما كان أزل،/ وَجَبَ أن نتصوّر إبداعه لما
 استوى عليه في ذاته بمعنى أنّ هذا الإبداع والخير ذاته هما أمر واحد على السّواء. فكونه حقّاً
 إنّما هو إبداعه وما كأنّه ولادته الأزليّة. ممّا يُؤدّي إلى القول فيه إنّه هو المُتصرّف بما كان عليه
 في ذاته. فلو كان باثنين لأُطلق هذا القول عليه بالمعنى الحقيقي؛ ولكّنه ما دام مُنفردًا صَحَّ فيه
 القول إنّه المُتصرّف فقط إذ إنّه ليس لديه ما يتصرّف به. وكيف يكون هو مُتصرّفًا ولم يكن ما
 ٣٠ يتصرّف به؟ ألا، إنّما يُقال المُتصرّف هنا نظرًا/ لما كان قبل الخير كان، لأنّه كان الخير وما كان
 شيء قبله. وإن لم يكن شيء قبله، كان هو الأوّل. ولست أعني الأوّل بالرّتبة بل بالرّبوّيّة
 وبالقوّة وهما الاستقلال الحرّ في صفوته. وإن كان الاستقلال هنالك في صفوته، فلا مجال

هنالك إلى ما يتصرف به غيره. إنَّ الخير كُلُّه في ذاته على حال الاستقلال بالذات إذًا. ولعمري، ما عسى أن يكون منه؟ ثم لا يكون ما كان هو عليه في ذاته، ولم يكن ليُحقَّق، أو لم يكن ٣٥ تَحَقُّقه؟/ فإن كان شيء ثم لم يكن في الخير على أنه تَحَقُّقه، ما كان الخير خيرًا محضًا، ولما كان مُستَقِلًّا بذاته حُرًّا، ولما كان على كلِّ شيء قديرًا. ذلك بأنَّه لم يكن الخير لذلك الشَّيء رَبَّهُ الْمُتَصَرِّف به، فلم يكن على كلِّ شيء قادرًا. فأقلُّ ما يُقال في الأشياء التي لا يقدر عليها إنَّه لم يتولَّ هو ذاته إبداعها.

٢١ هل كان بوسعه أن يُبدع إذًا ما قام عليه في ذاته على غير ما أبدع؟ كلاً! وإلا فنينا عنه إبداع الخير أنه لا يسعه أن يُبدع شُراً. فإنَّ القُدرة لم تكن هنالك بمعنى القُدرة على إبداع الضدِّ، بل بمعنى القُدرة التي لا تأتي ولا تتزعزع، وهي على أشدّها قدرة ما دامت تلتزم الوحدة لا تزيح عنها. / فضلاً على أنَّ القُدرة على إبداع الضدِّ هي كالعجز عن الاستمرار في الأشرف فينبغي لإبداعه، الذي نحن في صدد، أن يكون إبداعاً يتحقَّق دُفْعَةً واحدة. إنَّه لَنَعْمُ الإبداع. ومَنْ عسى أن يرده وهو إبداع قام بإرادة الإله بل كان إرادته؟ أويكون هذا الإبداع بإرادة مُبدع أبدعه ١٠ ولَمَّا يكن؟ وما عسى أن ينطوي عليه من إرادة/ وهو من حيث قيامه في ذاته لا إرادة له؟ فأتى يكون له إرادة من ذات لم تَحَقَّق؟ ألا! كانت إرادته كامنة في ذاته وهي لا تختلف قَطُّ عن ذاته. أو نقول أيضاً: أي شيء كان في الخير ولم يكن كأنه الإرادة؟ كان الخير كلُّه إرادة إذًا، وكلُّ ما ١٥ فيه يريد. كما أنه لم يكن قبل الإرادة شيء قَطُّ، / فكان هو الإرادة أوَّلًا. ثم إنَّه كان مثلما أراد أن يكون على الوجه الذي أراده، وكان ما تبع الإرادة هو الذي أبدعته إرادة من هذا الطَّراز. على أنَّها لم تُبدع فيه شيئاً جديداً، إذ إنَّه كان هو ذاته ما قام عليه في ذاته. أمَّا القول عن الخير إنَّه ٢٠ مُمَسِّك لما كان عليه في ذاته، فيجب أن نفهم معناه، إن تحرُّينا الصَّواب في النُّطق، / أنَّ الخير هو الرُّكن للأشياء بقدر ما كانت الأشياء حقًّا. إنَّما تكون حقًّا بمعنى أنَّها تُشاركه في كونه وإليه تُردُّ كلُّها. أمَّا الخير فهو مُنبِئ من ذاته، فلا يحتاج إلى ما يُمسيكه أو يُشركه في كونه، بل كانت الأشياء بما كان هو عليه في ذاته. أو بالأحرى قَطُّ شيئاً أخرى لآته لا يحتاج لِيَسْتَوِي على ما كان ٢٥ عليه في ذاته، إلى شيء من الأشياء. فعندما تذكره/ أو تَتَصَوَّرَه دَع عَنكَ كُلَّ ما سواه. فإذا خلعت عنك الأشياء كلَّها وتركته هو وحده، لا تبحث عن شيء تُضيفه إليه بل عن الذي رُبَّما لم تُجِدْه منه في تصوُّرك له. وقد يسعك أن تُدرك أنت بذاتك أمراً لا يتَّسع لشيء آخر يُقال فيه أو يُتَصَوَّر. وهو أمر تعالي في استوائه، / فكان وحده الحُرُّ المُستَقِلُّ حقًّا إذ لم يكن خاضعاً حتَّى لما ٣٠ استوى عليه في ذاته، بل كان هو ذاته فقط، وهو ذاته حقًّا ما دام كلُّ شيء من الأشياء الأخرى هو ذاته وغيره أيضاً.

الفصل التاسع

(٨)

في الخير وفي الواحد

١ | إِنَّمَا كَانَتْ الْحَقَائِقُ حَقًّا الْوَاحِدَ، سِوَاهُ أَعْنَيْنَا مَا كَانَ بَيْنَهَا حَقًّا بِالْمَعْنَى الْأَوَّلَى أَمْ مَا قَامَ مِنْهَا بِمَعْنَى مَا، أَيًّا كَانَ، فِي عَالَمِ الْأَشْيَاءِ. وَلَعُمْرِي، أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ حَقًّا إِنْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدًا فِي ذَاتِهِ؟ فَاذَا جُرِّدَ الشَّيْءُ مِنْ وَحْدَتِهِ بَطَلَ كَوْنُهُ مَا يُعْرَفُ بِهِ. لَمْ يَكُنِ الْجَيْشُ حَقًّا إِلَّا بِوَحْدَتِهِ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْجَوْقَةِ أَوْ فِي الْقَطِيعِ. / حَتَّى إِنَّهُ لَا دَارَ وَلَا سَفِينَةَ إِلَّا بِالْوَحْدَةِ، مَا دَامَتْ الدَّارُ دَارًا وَاحِدَةً وَالسَّفِينَةُ وَاحِدَةً أَيْضًا. حَتَّى إِذَا جُرِّدَتَا مِنْ وَحْدَتِهِمَا بَطَلَتْ كَوْنُ الدَّارِ دَارًا وَكَوْنُ السَّفِينَةِ سَفِينَةً. فَالْمَقَادِيرُ الْمُتَّصِلَةُ لَنْ تَكُونَ حَقًّا مَا لَمْ تَضْمَنْ لَهَا الْوَحْدَةَ، وَأَدْنَى مَا يُقَالُ فِيهَا إِذَا قُطِعَتْ هِيَ إِنَّهَا بِقَدَرٍ مَا تَفْقِدُ وَحْدَتَهَا يَتَبَدَّلُ كَوْنُهَا حَقًّا. وَكَذَلِكَ هُوَ أَمْرُ / الْأَجْسَامِ فِي الثِّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ. كُلٌّ مِنْهَا وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، حَتَّى إِذَا أَفْلَتَ مِنْ وَحْدَتِهِ وَجُرِّءَ بِالتَّحْطِيطِ إِلَى كَثْرَةِ فَقْدِ الذَّاتِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا يَنْطَوِي وَلَمْ يَعِدْ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ. أَمَّا الْأَشْيَاءُ الْأُخْرَى الَّتِي أَصْبَحَ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَكُونُ كُلٌّ مِنْهَا حَقًّا بِقَدَرٍ مَا يَكُونُ وَاحِدًا فِي ذَاتِهِ. حَتَّى الصَّحَّةُ إِنَّمَا تَتَوَافَرُ عِنْدَمَا يَكُونُ الْجِسْمُ عَامِرًا بِالْوَحْدَةِ. وَالْحُسْنُ عِنْدَمَا تَضْبِطُ الْأَجْزَاءَ فِي حَوْزَةِ الْوَحْدَةِ، / وَالْفَضِيلَةُ فِي النَّفْسِ إِذَا اتَّحَدَتْ وَتَنَاسَقَتْ فِي ذَاتِهَا. وَمَا دَامَتِ النَّفْسُ هِيَ الَّتِي تَحْكُمُ ضَبْطَ الْكُلِّ بِالْوَحْدَةِ فَتَجِبَلُ وَتَعْمُرُ بِالصُّورَةِ وَتُنَسَّقُ، أَفَنَقُولُ فِيهَا إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا إِنَّهَا هِيَ الَّتِي تَمُدُّ بِالْوَحْدَةِ وَإِنَّا هِيَ الْوَاحِدُ حَقًّا؟ بَلْ نَقُولُ إِنَّهَا إِذَا أَمَدَّتْ / الْجِسْمَ بِالْأَوْصَافِ الْأُخْرَى لَمْ تَكُنْ هِيَ مَا أَمَدَّتْ بِهِ، كَانَ تَكُونُ هِيَ الصُّورَةُ وَالْمِثَالُ مَعَ أَنَّهُمَا مُخْتَلِفَانِ عَنْهَا. فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لَهَا إِنْ خَلَعَتْ الْوَحْدَةَ، أَنْ تُعَدَّ خَالِيعَةُ الْوَحْدَةِ وَهِيَ لَيْسَتْ الْوَحْدَةُ. بَلْ إِنَّهَا تَصْنَعُ الشَّيْءَ الْجُزْئِيَّ وَاحِدًا فِي ذَاتِهِ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى الْوَاحِدِ، مِثْلَمَا أَنَّهَا تَصْنَعُ الْآدَمِيَّ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى الْإِنْسَانِ بِالذَّاتِ فَتَأْخُذُ الْإِنْسَانَ بِالذَّاتِ مَعَ الْوَحْدَةِ الَّتِي تَكُونُ فِيهِ كَامِنَةً. / فَكُلُّ أَمْرٍ مَعْرُوفٍ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ بِقَدَرِ الْوَحْدَةِ الَّتِي تَنْطَوِي عَلَيْهَا وَبِقَدَرِ مَا يَكُونُ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ. فَالْأَقْلُ حَقًّا مِنَ الْحَقِّ أَقْلُ حَقًّا مِنَ الْوَحْدَةِ وَالْأَكْثَرُ حَقًّا مِنْهُ أَكْثَرُ حَقًّا مِنْهَا. فَلَا غَرْوَ إِنْ بَاتَتِ النَّفْسُ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ هِيَ الْوَحْدَةُ، أَوْفَرَ حَقًّا مِنَ الْوَحْدَةِ نَظْرًا إِلَى كَوْنِهَا أَوْفَرَ وَأَصْدَقُ حَقًّا. لَكِنَّهَا لَيْسَتْ الْوَاحِدُ فِي ذَاتِهِ. وَلَا زَيْبٌ

٣٠ أنها واحدة في ذاتها، بيد أن الواحد كان اتَّفَق لها عَرَضًا: / فإنَّهما اثنان، هي والواحد، وهو الشَّان في الجسم والواحد. فالشَّيء المُنفصل، كالجَوْقة مثلًا أبعد ما يكون عن الوَحدة، ثم إن المُتَّصِل أقرب، والنَّفْس أشدُّ قُرْبًا أيضًا لأنَّها مُشترِكة هي ذاتها في الوَحدة. هذا وإن قال قائل: ليست النَّفس نفسًا لأنَّها لم تكن بِوَحدة فأدَّى قوله بالنَّفْس إلى أن تُصبح هي والواحد أمرًا واحدًا، / قلنا إنَّ الأشياء الأخرى هي أيضًا قائمة مع كون كلٍّ منها واحدًا. ولكنَّ الواحد، مع ذلك، يختلف عنها. فليس الجسم والواحد شيئًا واحدًا؛ إنَّما يصيب الجسم حَظُّه من الوَحدة. ٤٠ ثم إنَّ هذه النَّفس الواحدة هي ذات كثرة ولو لم تكن مُؤلَّفة من أجزاء. / فالقوى فيها مُتعدِّدة كالقُوَّة على التَّفكير، والقُوَّة على الرِّغبة، والقُوَّة على الإدراك يضمُّ الواحد بعضها إلى بعض وكأنَّه يقيدها. إنَّ النَّفس بِكونها واحدة ذاتها تُصير غيرها واحدًا في ذاته إذا. لكنَّها تتلقَّى الوَحدة من غيرها هي أيضًا.

٢ هل يصحُّ في الجُزئيِّ الواحد في ذاته أن تكون ذاته ووحدته أمرًا واحدًا، في حين أنَّه يصحُّ في الحَقِّ كلًّا والذات كلًّا أن تتوحد فيه الذات مع الحَقِّ والواحد؟ ممَّا يُؤدِّي بِمَن اكتشف الحَقِّ إلى أن يكون قد اكتشف الواحد أيضًا وبالذات عينها إلى أن تكون هي الواحد. فإن كانت الذات هي الروح / مثلًا كان الروح هو الواحد أيضًا، فصار الروح هو الحَقِّ والواحد أولًا، وأشرك الأمور الأخرى في الحَقِّ، كما أنَّه يُشركهما بالقدر ذاته، في الوَحدة. ولعمري، ما الذي يسعنا أن نقول عن الواحد إلَّا أنَّه الحَقِّ ذاته؟ فما أن يكون هو والحَقِّ أمرًا واحدًا، لأنَّه لا فرق في المعنى بين «إنسان» و«إنسان واحد»؛ وما أن يُصبح الأمر وكأن لكلِّ شيء عدده. / فإن قلَّت الاثنين في أشياء قلَّت الواحد أيضًا في شيء كان وحده. إذا كان العدد شيئًا من الأشياء إذا، غدا الواحد شيئًا هو أيضًا لا مُحالة فوجب البحث عنه ما هو. أمَّا إذا كان عملًا من أعمال النَّفس عندما تُحصي الأشياء مُنتقلة من شيء إلى آخر، فلن يكون الواحد شيئًا من الأشياء. لكنَّ البحث ١٥ قد دلَّنا على أنَّه إن فقد الشيء كونه واحدًا يبطل لا مُحالة كونه شيئًا. / فلا بُدَّ من النَّظر في ما إذا كان الواحد والحَقِّ في كلِّ جُزئيِّ أمرًا واحدًا، وفي ما إذا كان الحَقِّ والواحد أمرًا واحدًا بوجه الإطلاق. ولكن إن كان الحَقِّ في كلِّ جُزئيِّ كثرة واستحال على الواحد أن يكون كثرة، غدا الطرفان بينهما على خلاف. إنَّ الإنسان هو على الأقلِّ حيوان ناطق وأجزاء أخرى كثيرة وهي أشياء كثيرة تُضبط بالوَحدة. فيكون / الإنسان شيئًا والواحد شيئًا آخر ما دام الأول يتجزأ والآخر لا يتجزأ. ثمَّ إنَّ الحَقِّ الكلِّيَّ مُنطَوِّج في ذاته على الحقائق كلها، فهو بأن يكون ذا كثرة أخرى، فيُمسي مُختلِفًا عن الواحد ولا يشتمل عليه إلَّا بمعنى أنَّه يُصيب منه بالاشتراك. هذا وإنَّ للحَقِّ ٢٥ حياته وروحه لأنَّه ليس بجُزئية هامة؛ فغدا الحَقِّ ذا كثرة. حتَّى ولو كان الحَقِّ روحًا فقط، / لغدا

بذلك ذا كثرة لا محالة . وهو أوفر كثرة أيضًا إن كان على المثل مُستجلاً . فليس الأمر المثاليّ واحداً فرداً، بل هو بالأحرى عدد سواء أكتنا نعني كلّ أمر مثاليّ أم الأمر المثاليّ الكلّي . وهو واحد بمعنى ما نقول في العالم إنّّه واحد . والواحد هو الحدّ الأوّل بوجه عامّ، أمّا الروح والمثل ٣٠ والحقّ، فليس كلّ ذلك هو الحدّ الأوّل . فكلّ مثال إنمّا خرج / مُركّباً من أمور كثيرة وهو مُتأخّر، لأنّ الأمور التي خرج المثل مُركّباً منها كانت الأولى . أمّا استحالة القول في الروح إنّّه الأوّل، فتبيّننا ممّا يلي . إنّ الروح قائم في العرفان لا محالة والروح الأشرف على الأقلّ، ذلك الذي ينظر إلى ما كان عنه خارجاً إنمّا يقوم في عرفان ما كان قبله . فإذا وجّه وجهه إلى ما كان ٣٥ عليه في ذاته / وجّه وجهه إلى ما كان أصله . ثمّ إذا كان الروح هو العارف والمعروف غداً أمراً مُزدوجاً وما كان بسيطاً فما غداً واحداً . أمّا إذا نظر إلى غيره نظر لا محالة إلى ما كان أشرف منه وقيله . أو إنّّه ينظر إلى ذاته وإلى ما كان أشرف منه فيكون بذلك أيضًا أمراً من المقام الثاني . ٤٠ والوجه الصّحيح الذي يجب أن نتصوّر الروح / عليه هو أنّه من ناحية في جانب الخير الأوّل وينظر إليه، وهو من ناحية أخرى قائم مع ذاته، يُدرك بالعرفان ما كان عليه في ذاته . وإنّ الذي كان عليه في ذاته هو الحقائق كلّها . فثنتان ما بينه وبين أن يكون الواحد إذ كان مُتعدّد العناصر . وليس شأن الواحد أن يكون هو الأشياء كلّها لأنّه بذلك لن يكون واحداً؛ كما أنّه ليس من شأنه ٤٥ أن يكون روحاً إذ يُصبح بذلك هو الأشياء كلّها / ما دام الروح هو الأشياء كلّها . وليس هو بالحقّ أيضًا لأنّ الحقّ هو الأشياء كلّها .

٣ فما عسى أن يكون الواحد وما هي الحقيقة التي ينطوي عليها؟ لا عجب في أن يكون القول عنه أمراً صعب المنال، ما دام القول حتّى في الحقّ وفي المثل أمراً ليس بالسّهّل . لكنّ المعرفة هنا مُتوافرة لنا لأنّها مُعتمدة على المثل . إلّا أنّه بقدر ما تمضي النّفس نحو المُجرّد من المثل تُصبح عاجزة عن الإدراك . ذلك بأنّها لا يضبطها حدّ عندئذ وهي كأنّها تنطبع بطابع ٥ مُتعدّد وجوهه، / فتدّعى وتخشى من ألاّ تُصيب شيئاً . فلا غرور إن أجهدنا مثل هذه الأحوال فيسرّها أن تهوي إلى الأسفل حتّى إذا طال عدولها عن تلك الأمور وصلت إلى المحسوس واطمأنت فيه كأنّه شيء ثابت . مثل ذلك مثل البصر وقد أعيتته الأشياء الصّغيرة فسرّه أن يقع على ١٠ الأشياء الكبيرة . ولكنّ / النّفس إن أرادت أن ترى هي بذاتها، وما هي لا ترى إلّا بالاتّحاد ولا تتوحد إلّا بكونها أمراً قائماً في الوحدة، فإنّها تكاد تظنّ ما تبحث عنه مُنفكلاً منها لأنّها لا تختلف في ذاتها عمّا تعرفه . ومع ذلك فإنّ مَنْ كان شأنه أن يبحث بحثاً فلسفياً ينبغي له أن يسير على هذا ١٥ المنهج . وما دام موضوع بحثنا هو الواحد، وكنا نُدقّق النظر في أصل / الأشياء كلّها، أعني الخير والأوّل، وجب ألاّ نبتعد عن جوار الأوّلّيات هابطين إلى أسافل الأشياء . بل ينبغي للباحث

إذا مضى نحو الأوليات أن يُجرّد ما كان عليه في ذاته من الجسّيات وهي أقصى الأشياء سُفلاً،
 ٢٠ ويَنعَتَق من كلّ رذيلة ما دام يسعى إلى إدراك الخير محضاً. / ثم ينبغي له أن يرتقي إلى الأصل
 فيه على ما كان عليه في ذاته، ويردّ العناصر الكثيرة التي يتألّف منها إلى أمر واحد لأنّ من شأنه
 أن يُشاهد الآن الأصل والواحد. ينبغي له إذا أن يُصبح روحاً وأن يُسلّم نفسه للروح ويُبتهّا فيه،
 حتّى، إذا تيقّظت، تتلقّى ما يُشاهد الروح. فبالروح يُشاهد الواحد، ويجب ألاّ يَلتَق بشيء من
 ٢٥ الإحساس أو يتلقّى/ ما قد يَرُد من الإحساس إليه. بل بالروح الطاهر يُشاهد ما استوى وهو على
 أشدّ ما يكون زكاة، وبالروح في صميمه. فإذا عمد المُتهَيّء لِمُشاهدة أمر من هذا الطراز إلى
 مقدار أو شكل أو حجم، وتَصوّرهُ مع تَصوّرهُ لتلك الحقيقة، لم يكن الروح هو الهادي في
 ٣٠ المُشاهدة حيثنّ. ذلك بأنّ الروح لم يفطر للنظر في مثل هذه الأشياء بل للنظر/ آنذاك إنّما هو
 عمل الإحساس والظنّ التابع للإحساس. فيجب أن نأخذ من الروح ذاته الخير عمّا كان في
 وسعه. إنّ الروح يستطيع أن يُشاهد ما قبله، أو ما منه أو عنه كان. إنّ الأمور القائمة فيه لطاهرة
 ٣٥ بسيطة، بل أشدّ زكاة وبساطة أيضاً هي الأمور التي قبله/ أو بالأحرى الأمر الذي قبله. فما عاد
 لهذا الأمر روحاً، بل كان على الروح مُتقدّماً. إنّما الروح هو شيء من بين الحقائق وليس ذلك
 الأمر شيئاً، بل هو قبل كلّ شيء. حتّى وإنّه ليس بحقّ، لأنّ للحقّ ما كان بمنزلة الصورة وهي
 صورة الحقّ في حين أنّ ذلك الأمر بريء من كلّ صورة حتّى ولو كانت صورة روحانيّة. فما
 ٤٠ دامت حقيقة الواحد هي المُبدعة للأشياء كلّها، لم تكن شيئاً من الأشياء. / ليس الواحد شيئاً
 إذاً، لا بكيف ولا بكمّ، وليس روحاً أو نفساً. لا يتحرّك كما أنّه لا يسكن؛ لا يُقيم في مكان أو
 زمان. بل هو المثال الفرد المُقيّد بما كان عليه في ذاته، أو بالأحرى المُجرّد عن المثال ما دام
 قبل كلّ مثال، قبل الحركة وقبل السكون. فإنّما تقع هذه الأوصاف في الحقّ، وهي التي تجعل
 ٤٥ الحقّ ذا كثرة. وما باله/ يتمّ ساكناً إن يك غير مُتحرّك؟ لأنّ ضرورة أحد هذين الوصفين أو
 كليهما إنّما تتناول الحقّ: فالساكن ساكن بالسكون ولا يكون هو والسكون أمراً واحداً. ممّا
 يُؤدّي بالسكون إلى أن يتفق عَرَضاً للواحد عَرَضاً فلا يبقى بسيطاً بعد ذلك. وإن دعوانه السبب
 ٥٠ فلا نعي بذلك أنّا نقول عَرَضاً ما فيه هو، بل فينا نحن لأنّنا نُصيب نحن منه شيئاً،/ في حين أنّه
 هو يبقى في ذاته ثابتاً. وإذا تحرّينا الدقّة في قولنا، لم نُقل عنه إنّّه «هذا» أو «ذاك». بل إنّنا نُريد
 حيثنّ أن نُعبّر عمّا نشعر به إذ نُصبح وكأنّا نُحيط به من الخارج، عن كُتب تارة وعن بُعد طوّراً
 بسبب المُشكلات التي تتعلّق به.

٤ والمُشكلة في هذا الأمر على أشدّ ما تكون لأنّه لا يدرك بالعلم أو بالعرفان كما هو شأن
 سائر الأمور الروحانيّة، بل بحضور هو وراء العلم وفوقه. إنّ الثّمس تشعر بِبُعد الشّقة بينها وبين

٥ كونها واحدة في ذاتها، ولا تتوحد في ذاتها تَوَحُّدًا تامًّا عندما تُدرك بالعلم شيئًا. فالعلم عقل/ والعقل ذو كثرة. فتفعل النفس على الواحد وتقع في العدد والكثرة. ينبغي للنفس إذاً أن تتجاوز العلم إلى ما فوقه وألا تخرج قطُّ من كونها واحدة؛ يجب أن تتبعت من العلم والمعلومات ومن كل شيء آخر حتى من الحُسن فلا تُشاهده. كلُّ حُسنٍ إنَّما كان عن ذلك الأمر مُتأخِّرًا ومُنْبِعِيًّا/

١٠ مثلما ينبعث من الشَّمس نور الثَّهار. ولذلك يقول أفلاطون فيه إنَّه لا يَدُلُّ عليه «بالقول أو بالكتابة». ولكنا نقول ونكتب لِنَبِعث إليه ونُحوِّل الانتباه من المعاني إلى المُشاهدة، فكأنما ندلُّ على الطَّرِيق إليه مَنْ أراد أن يُشاهد شيئًا. إنَّما عَرَضَ العلم معرفة الطَّرِيق والسَّير فيها؛/ أمَّا

١٥ المُشاهدة فهي عملٌ مَنْ يَتَّبِعُها بذاته. ولكن رُبَّما لم نُقْبَلْ على المُشاهدة ولم تُدرك النفس للبهاء الروحانيِّ معنى، فلم تُشعر وتحتفظ في ذاتها بما هو كأنَّه حال العاشق عندما يرى معشوقه الذي فيه يرتاح إذا رآه. فتتلقَّى النور حقًّا عند ذاك ونشره على نفسنا كُلِّها/ لأنَّا نكون قد ازددنا من الواحد قُرْبًا. ولكنَّ أوزارًا كانت تُثْقِلُنَا في ارتقائنا وتعوُّقنا عن المُشاهدة. فما كنَّا وحدنا مُرتَقَيْنَ، بل كنَّا نَحْمِلُ في جنباتنا ما يقع بيننا وبين الواحد حائلًا أو ارتقينًا ولمَّا كنَّا في

٢٥ الوَحْدَةِ مُتَنَسِّقَيْنَ. ليس الواحد عن شيءٍ يَبْعِدُ، وهو عن كلِّ شيءٍ بَعِيد. / فهو حاضر وهو غائب إلَّا لدى من يسعهم أن يتلقَّوه وقد تهيَّأوا بحيث أصبحوا على نسقه. فكأنهم اتَّصلوا به ولمسوه بالمحاكاة التي بينهم وبينه، وبالقُوَّة المُستقرَّة فيهم والتي تُجَانِسُ تلك التي منه انبعثت. حتَّى إذا أصبحت هُذه القُوَّة في الحال التي كانت عليها عندما انبعثت من الواحد،

٣٠ صار بوسعهم أن يُشاهدوه على نحو ما ينبغي أن يُشاهد. وما لم ننته إلى هُذا المُستوى،/ بل بقينا في الخارج بسبب ما ذكرنا أو لِحاجة إلى الشَّرح الهادي الذي يُتيح لنا اليقين ممَّا يتعلَّق بالواحد، فلتلقَّ التَّهم علينا. ولُنُحَاوِلْ بعد ذلك، أن نُقْلِعَ عن الأشياء كُلِّها ونبقى وحدنا مع ذواتنا. أمَّا إن لم نكن لِنَقْتَنِعْ بما ورد في ما سبق الكلام وتخلَّفنا عن الإرتقاء، فلنُتدبَّر بِتَفَكِيرِنا ما

٣٥ يلي./

٥ كلُّ مَنْ يرى أنَّ الحقائق مُسَيِّرةٌ بالاتِّفاق والعفويَّة وأنَّ أسبابًا جسمانيَّة تُمسِكُ بها يكون أبعد عن أن يَفْقَهَ للرَّبِّ ولصورة الواحد معنى. فلا يتوجَّه إليه كلامًا بل إلى مَنْ يُسَلِّمُ بوجود حقيقة غير الأجسام ويعود إلى النفس مُرتَقِيًّا. لكنَّه ينبغي له/ أن يفهم حقيقة النفس على وجهها الصَّحيح، ولا سيَّما أنَّها من الروح أتت وأنَّها بالفضيلة عامِرة للعقل الذي أصابته بالاشتراك والذي كان هو أيضًا من الروح مُنبِئًا. وينبغي لنا أيضًا أن نتصوَّر الأفكار قائمة وهي كأنَّها في انفصال وتحرُّك. كما أنَّ العلوم هي معانٍ في النفس/ تظهر على ما هي عليه واقعة في النفس إذ حلَّ الروح فيها وهي للعلوم سببها. حتَّى إذا رأيناه كالشيء محسوسًا لأنَّه مُدرك وهو مُشرف

١٠

١٥ النفس والذات لها (فهو العالم الروحاني ذاته)، وَجَبَ القول فيه إنه ثابت وإنه حركة ساكنة ما دام
 يشتمل على الأشياء كلها وهو أيضاً الأشياء كلها، / في كثرة لا تباين فيها مع أن فيها كذلك
 تبايناً. فإنه ليس في كثرة الروح تباين مثل الذي يقع بين المعاني التي تتصورها معنى بعد معنى،
 كما أن ما تنطوي عليه هذه الكثرة لا يختلط بعضها ببعض الآخر. كل أمر يبدو للعيان على حياله
 مثلما هو الحال في العلوم، حيث نجد المعلومات كلها كلاً لا يتجزأ، وكل معلوم، مع ذلك،
 ٢٠ منفصلاً عن المعلومات كلها. إن هذه الكثرة المتصلة بعضها ببعض، هذا العالم / الروحاني،
 هو في جوار الأول. والعقل يدل بالضرورة على أن هذا العالم ثابت حقاً ما دُمنا نُسلم بأن النفس
 ثابتة حقاً، على أنه هو فوقها. لم يكن هو الأول، مع ذلك، لأنه ليس واحداً وليس بسيطاً.
 فالبسيط هو الواحد وأصل الأشياء كلها. كان هذا الأمر إذاً ولم يكن ما هو بين الأمور أشرفها إذ
 ٢٥ إنه لا بُدَّ من أن يكون شيء قبل الروح الذي يريد أن يُمسي واحداً/ وهو ليس بواحد بل على مثال
 الواحد. ذلك بأنه الروح لا يتشتت عن ذاته، بل يُقيم حقاً مع ما كان عليه في ذاته، فلا يُجزئ
 ما قام عليه في ذاته لأنه في جوار الواحد وبعده. إلا أنه جرؤ إن جاز لنا التعبير، أن يتعد عن
 الواحد. كان الأمر العجيب المتقدم على الروح هو الواحد إذاً. إنه لم يكن حقاً، وإلا لأُطلق
 ٣٠ الواحد هنا عن سواه، / وإنه لا يليق به إسم مهما تحرر الصَّحَّة في ما نقول. ولكن لا بُدَّ له من
 تسمية. فأجمع الرأي على أن الإسم الذي يليق به هو «الواحد»، من غير أن يكون شيئاً ثم يُمسي
 ذلك الشيء واحداً. ولذلك صعبت معرفته، وكان بالأحرى معروفاً عنه تولد، أعني بالذات.
 ٣٥ فإنه هو الذي يسوق الروح إلى الذات. أما حقيقته فهي بحيث تكون المعين للأمر خيراً، /
 وهي قوة تُبدع الحقائق باقية على ما كان عليه في ذاتها، فلا تنقص ولا تُصبح في ما أبدعته،
 لأنها كانت وما كان ما أبدعته. إنما نُسَمِّيها الواحد لاضطرارنا إلى أن يدل بعضها بعضاً عليها،
 ٤٠ فلهذا بالاسم إلى تصور أمر لا يتجزأ ونحاول بذلك أن نُقيم النفس في الوحدة. / على أننا لا
 نعني بالواحد هنا وبما لا يتجزأ ما نعنيه في ذكر النقطة أو الواحد العددي. فإن الواحد بهذا
 المعنى هو أصل الكم، وليس للكم قوام قبل الذات وقبل الذي كان على الذات مُتقدِّماً. فلا
 ينبغي أن تُربل الفكر في هذين المعنيين بل نُمثل بهما لما بينهما وبين الواحد من قياس بالبساطة
 ٤٥ وبالانفلات من / الكثرة والتجزؤ.

٦ والآن بأي معنى نقول فيه إنه واحد، وكيف ينبغي أن يقع التنسيق بينه وبين الجرفان؟ ألا
 إننا نتصوره واحداً بأعظم من الوحدة التي يُردُّ إليها الواحد العددي والنقطة. فإن النفس هنا
 تتجرد عن المقدار وكثرة العدد فتنتهي إلى الصَّغر في مُنتهاه وتُسند إلى أمر ما لا يتجزأ. لكن
 ٥ هذا الأمر قائم في ما يتجزأ هو في غيره. / أمّا أمرنا فما كان في غيره أو في ما يتجزأ، كما أنه

ليس مُمتنعًا عن التجزؤ بمعنى أنه الصغر في مُنتهاه. إنه بين الأمور كلها للأعظم، لا بالمقدار بل بالقوة. ولا عَرَوْ أن يكون المُنتزَع عن المقدار عظيمًا بقوته ما دام الذي يقع بعده غير مُتجزئ،
 ١٠ وغير قائم في أجزاء بقواه لا بأحجامه. يجب أن نتصوره غير مُنتهاه إذا لا بمعنى العجز/ عن حصر مقداره أو عدده، بل بمعنى العجز عن الإحاطة بقوته. وإذا أدر كنه بعرفانك على أنه روح أو إله، فإنه الأعظم. ثم إذا وحدته في فكرك وجدته هنا أيضًا أعظم من إله يسعك أن تتصوره أشدَّ وحدة من عرفانك. إن الواحد قائم في ذاته، لم يطرأ عليه شيء عَرَضًا. / لقد يسعنا أن نتصور وحدته بأنه الاكتفاء بذاته. يجب فيه أن يستوي وهو على أشدَّ ما يكون اكتفاءً بذاته واستقلالًا بذاته، وعلى أبعد ما يكون عن التَّقصان. كلَّ ذي كثرة، غير واحد في ذاته ناقص ما دام مُؤلفًا من عناصر كثيرة. فحتاج ذاته إلى الواحد لتكون واحدة. أما الواحد فلا يحتاج إلى ما كان عليه في ذاته، لأنه كان هو ذاته. لا بُدَّ لذي الكثرة/ من الأجزاء التي بقدرها كان؛ ثم إن كلَّ جزء من الأجزاء التي ينطوي عليها مُرتبط بالأجزاء الأخرى، فيحتاج إليها ولا يقوم في ذاته؛ فيبدو ذو الكثرة ناقصًا في أجزائه وكلاً. وما دُمتنا نحتاج إلى شيء يقوم أشدَّ ما يكون اكتفاءً بذاته، وجب ٢٥ أن يستوي الواحد، وحده، لا يحتاج إلى ما كان عليه/ في ذاته ولا إلى غيره. فإنه لا يطلب شيئًا ليقوم به أو ليقوم عليه أو يستوي في حُسن الحال. لقد كان للأُمور الأخرى سببها ولم يُصِب منها ما كان عليه في ذاته؛ أما حُسن الحال، فأتى له وهو عن ذاته خارج؟ لم يَتَق له أن يكون على حُسن الحال، لأنه حُسن الحال هو ذاته. ثم إنه ليس له مكان إذ إنه لا يحتاج إلى كُرسِيٍّ/ كما لو كان عاجزًا عن أن يحمل ما قام عليه في ذاته. فالمُحتاج إلى رُكن يقوم عليه إنما هو ما لا نفس له، والحجم الذي يهوي ما لم يجد رُكنًا إليه يَستند. إنه هو الرُكن للأُمور الأخرى، به قام كلَّ أمر في ذاته ونال المحل الذي أُعِدَّ له. إنما كان ناقصًا ما قام يطلب المكان؛ أما الأصل فلا يحتاج إلى ما كان عنه مُتأخرًا؛ هو للأشياء كلها أصلها، / فكان عن الأشياء كلها غنيًا لأنَّ المُحتاج إنما كان مُحتاجًا لِرغبته في أصله. فلو غدا الواحد مُحتاجًا لَطَلَب ألا يكون واحدًا لا محالة، فأصبح مُحتاجًا إلى ما يقسده. لكنَّ كلَّ ما يُعرَف مُحتاجًا، كان إلى حُسن الحال ٤٠ مُحتاجًا، فغدا إلى ما يُنجِّيه مُحتاجًا. ممَّا يُؤدِّي إلى أنَّ خيرًا لم يَفُت الواحد. فإنه لا يُريد شيئًا بل كان هو الخير الفائق، فلم يكن خيرًا لما قام عليه في ذاته بل هو الخير لغيره إن أوسع شيء يُصِيب منه شيئًا. لا عرفان يستلزم الغيرية، ولا حركة. كان هو وما كان عرفان أو حركة. فما عسى أن يُدرك بالعرفان؟ ما كان عليه في ذاته؟ وإذا، فإنه كان قبل العرفان جاهلاً، فكان مُحتاجًا إلى العرفان حتَّى يعرف ما قام عليه في ذاته، وهو المُكتفي بما قام عليه في ذاته. / لا نقول إذًا، ٤٥ لأنه لا يُدرك ولا يُعرف ما كان عليه في ذاته، بأنه جاهل. فإنَّ الجهل يقع بوجود الجاهل وغيره معه، إذا جهل أحدهما الآخر. أما الذي كان وحده، فلا يعرف شيئًا ولا يُقابله مجهول، وما دام

واحدًا وحده، فإنه مع ما كان عليه في ذاته ولا يحتاج إلى عرفان ما قام عليه في ذاته. بل ينبغي ٥٠
 ألا يُضاف إليه كونه مع ذاته حرصًا على كونه/ واحدًا وحده، فيُنفي عنه العرفان، وكونه مع
 ذاته، وعرفانه بما قام عليه في ذاته وما سوى ذلك كله. يجب ألا يُصنّف في مقولة العارف، بل
 الأولى به أن يُسلّك في مقولة العرفان بمضمونه. والعرفان بهذا المعنى ليس هو الذي يعرف
 وإنما يعرف هو لغير سبب المعرفة، وما كان للسبب أن يكون مُسببًا وهكذا لم يكن سبب الأشياء
 ٥٥ كلها واحدًا منها. / حتى ليجب ألا يوصف بأنه الخير الذي يُمدُّ به غيره، بل هو، من وجه آخر،
 الخير الذي كان فوق كلّ خير سواه.

٧ وإن أبهَمْتُ عليك معرفته لأنه ليس شيئًا من تلك الأشياء، فقف عندها، ثم انطلق منها
 وشاهد. نعم شاهد، ولكن لا تزم بفكرك إلى الخارج. فإنه لا يُقيم في جهة وقد حَرَمَ غيره ممّا
 كان عليه في ذاته، بل هو حاضر إلى من استطاع أن يلمسه وهو غائب عما كان عن الأمر عاجزًا.
 لقد يستحيل علينا، في الأحوال الأخرى، أن نعرف شيئًا ونحن مُدرِّكون بالعرفان شيئًا آخر
 ٥ نكون إليه مُنصرفين. / بل ينبغي ألا تُضيف شيئًا إلى ما نعرفه حتى يكون هو ذاته المعروف.
 وكذلك يجب القول هنا في كوننا مع الواحد. يستحيل إدراكه بالعرفان وفي النفس انطباع أمر
 ١٠ آخر لا يزال نافذًا أثره، كما أنّ النفس لا يشغلها/ أمر ويُمسِكها ثم تنطبع بانطباع ما يُقابله. بل
 تكون على ما قيل في الهيولى وهو أنّ لا بُدَّ لها من أن تكون خالية من كلّ كيف إن كان شأنها أن
 تنطبع بالأكيف كلها. وهذا حال أولى بالنفس أن تكون عليه، فتُسمي مُتجرّدة من المِثال إن كان
 ١٥ شأنها ألا ينزل فيها حائل يحول بينها وبين/ أن تحفل وتَشعّ بالحقيقة الأولى. وإن بات الأمر
 كذلك، وجب خَلْعُ كلّ ما كان في الخارج وتوجّه الوجه إلى الباطن توجّهًا تامًّا خوفًا من المِثل
 إلى ما قام في الخارج. بل ينبغي لك أن تجهل الأشياء كلها، في حال علاقتها بنا أولًا؛ ثم من
 ٢٠ بعد في مثلها، وأن تجهل أنّك أنت في مُشاهدته قائم. / حتى إذا اتحدت به وكأنتك أتمت ما له
 عليك من واجبات قفّلت راجعًا تُخبر غيرك، إن استطعت، كيف كان الاتحاد هناك. ورُبّما جاء
 من لهذا الطراز الاتحاد الذي تمّ «لمينوس» فعرف بأنه كان «لزوس نديمًا». لقد تذكّره ذلك
 الاتحاد وعلى منواله وضع الأحكام، إذ كانت غاية الوصال الذي حفل بها من اللاهوت أن
 ٢٥ يُشرّع بعد ذلك الأحكام. / على أنّا وإن ظنّنا بالسياسة أنّها لا تليق بنا، فلنُتّق في الأبراج إن شئنا.
 وذلك هو بالذات حال من كثرت مُشاهدته. يقول أفلاطون إنّ الواحد ليس من أحد في برائيّة،
 بل هو ممّا كلّنا في جَوائِيتنا ونحن لا ندرى. فإنّا نقرُّ منه إلى الخارج، بل الأخرى بالقول هو إمّا
 ٣٠ نقرُّ من ذواتنا إلى الخارج. لا يسعنا إذّا/ أن نُدرِك ما عنه ولينا أو نطلب غيره وقد هلكنا. فالصّبيّ
 إذا خرج عن أطواره وأصابه جُنون لن يعرف أباه. أمّا من حصّل العِلْمَ بما قام عليه في ذاته،

فذلك يعرف أيضًا أتى كان مجيئه .

- ٨ إن نفسًا إذا ألفت العلم بما كانت عليه في ذاتها، علمت أيضًا بأن حركتها لا تكون مُستقيمة إلا إذا انصدمت. فإن حركتها طبعًا مثل التي في الدائرة لا تدور حول ما في الخارج بل حول مركز. فالمرکز هو ما تنبعث منه الدائرة، فتتحرك حول ما كانت منه مُنبِئة/ وترتبط به مُتجمعة في اتجاهها إليه بما قامت عليه في ذاتها. إنه هو الذي ينبغي أن تتحرك النفوس إليه، ولا يتحرك إليه دائمًا إلا نفوس الأرباب. إذا أسرع النفوس إليه أصبحت ربّانيّات. فالربّانيّ هو الذي يتعلّق بالواحد؛ أمّا الذين يقفون منه بعيدًا فهم العوامّ وهي البهائم. فهل كان مطلوبنا ما هو من النفس كأنه المركز؟/ ألا إنه يجب أن تصوّره شيئًا آخر، بمنزلة ما تتقاطر عليه المراكز كلّها لأنّه على قياس المركز في دائرتنا الجسديّة. فليست النفس دائرة بمعنى أنّها شكل هندسيّ، بل لأنّها فيها وحولها تلك «الحقيقة القديمة»، فمن هذا الأمر جاءت نفوسنا، بل هي أولى بأن تكون مُنفصلة جميعًا. أما الآن فقد أمسك البدن بجزء ممّا نحن عليه في ذواتنا. / مثل ذلك مثل امرئ كانت أقدامه في الماء وكان هو فوق الماء بسائر جسمه. إنّنا فوق الجسد بما لم يغمره الجسد بنا، فننّصل بهذا الجزء منا، وهو بمنزلة المركز لما نحن عليه في ذواتنا، بما كان للأشياء كلّها كأنه مركزها. على هذه الحال تكون مراكز الدوائر الكبرى/ مع مركز الكرة المحيطيّة. عند ذلك نرتاح آمنين. فلو كانت هذه الدوائر جسمانيّة ولم تكن دوائر نفسيّة، لبات اتّصالها بالمركز اتّصالًا مكانيًا وحيثما يقع المركز وقعت هي حوله. لكنّه ما دامت هذه النفوس أمورًا روحانيّة، وكان الواحد فوق الروح،/ يجب أن نتصوّر الاتّصال قائمًا بقوى أخرى، على نحو ما يكون الاتّصال طبعًا بين العارف والمعروف وأعظم. فإنّ العارف يحضر بكونه مُماثلًا للمعروف، وكون الطرفين أمرًا واحدًا. فيتّصلان بما بينهما من تجانس ولا فاصل يفصل. أمّا الأجسام فإنّها تمنع الأجسام من أن يشارك بعضها بعضها الآخر؛ ولكنّ الأمور المنزّهة عن الجسمانيّة/ لا تنفصل بأجسام. فلا يكون تباين بعضها عن بعض تباينًا مكانيًا، بل تباينًا بالغيريّة والخلاف؛ وإذا زالت الغيريّة حضر بعض الأمور غير المتخالفة إلى بعضها الآخر. أمّا هو فيكون حاضرًا دائمًا لأنّه ينطوي على غيريّة؛ أمّا نحن فنكون حاضرين عندما لا ننطوي على غيريّة. ثمّ إنه لا يرغب فينا لثقيم من حولنا،/ في حين أنّنا، نحن، نرغب فيه لثقيم من حوله. إنّنا لسنا دائمًا إليه ناظرين ولكنّا من حوله دائمًا مُقيمون. بل مثلنا كمثل جَوْقة تُغني وهي حول قائدها تُقيم فقد يتأتّى لها أن تلتفت إلى خارج المشهد. أمّا إذا بقيت مُوجّهة وجهها إلى قائدها فقد كان غناؤها حسنًا وكانت مُقيمة هي حقًّا من حول قائدها. / وكذلك القول في أمرنا نحن: إنّنا نحن مُقيمون من حوله، وعندما نكنّ عن الإقامة من حوله نلقى الخُفّ حتمًا ونهلك. إلّا أنّا

لا نَظَرَ إِلَيْهِ دَائِمًا؛ فَإِذَا نَظَرْنَا بَلَّغْنَا الْكَمَالَ وَارْتَحْنَا، فَمَا شَدُّ لَنَا صَوْتٌ وَكُنَّا حَوْلَهُ حَقًّا وَكَانَ
٤٥ رَقِصْنَا الْمُلْهَمَ./

٩ وفي هذه الرِّقْصَةِ تُشَاهِدُ النَّفْسَ مَعِينَ الْحَيَاةِ، وَمَعِينَ الرُّوحِ، وَأَصْلَ الْحَقِّ، وَسَبَبَ
الْخَيْرِ وَجُذُورَهَا فِي ذَاتِهَا. عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَنَلْدَعُ مِنْهُ اِنْدِلَاعًا فَتُنْقِصُهُ، إِذْ إِنَّهَا لَيْسَتْ حَجْمًا
وَلَا لَكَانَتْ مُبْدِعَاتِهِ فَاسِيدَةً. فَإِنَّهَا أَزَلِيَّةٌ لِأَنَّ أَصْلَهَا يَبْقَى مُتَسَاوِيَةً أَحْوَالَهُ،/ لَا يَتَجَزَّأُ إِلَيْهَا بَلْ
يَبْقَى عَلَى حَالِهِ كَلًّا. وَلِذَلِكَ كَانَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ بَاقِيَاتٍ كَمَا أَنَّ النُّورَ بَاقٍ مَا دَامَتِ الشَّمْسُ بَاقِيَةً.
فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ انْفِصَامٌ وَلَا انْفِصَالٌ، وَلَوْ تَسَلَّلَتْ طَبِيعَةُ الْجَسَدِ إِلَيْنَا فَأَخَذَتْ تَجَذُّبُنَا إِلَيْهَا.
١٠ إِنَّمَا نَتَنَفَّسُ وَنَحْفَظُ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ فِي ذَوَاتِنَا إِذْ إِنَّهُ يُعْطِي نَمًّا لَا يَنْسَحِبُ،/ بَلْ لَا يَزَالُ يَمْدُنَا مَا دَامَ
عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ. إِلَّا أَنَّا نَكُونُ حَقًّا مَا دُمْنَا نَمِيلُ إِلَيْهِ وَنَجِدُ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الْحَالِ لَنَا:
عَلَى أَنَّ الْبُعْدَ عَنْهُ هُوَ انْتِقَاصٌ فِي كَوْنِنَا حَقًّا. عِنْدَ ذَلِكَ تَسْتَجِبُّ النَّفْسُ مِنْ شُرُورِهَا، فَتَخْرُجُ
وَتَرْتَقِي مُسْرِعَةً إِلَى الْمَقَامِ الْبَرِّيَّةِ مِنَ الشَّرِّ سَاحَتِهِ، فَتَخْلُدُ إِلَى الْعِرْفَانِ وَتَنْجُو مِنَ الْإِنْفِعَالِ. عِنْدَ
١٥ ذَلِكَ تَكُونُ الْحَيَاةُ الْحَقَّةَ./ فَإِنَّ الْحَيَاةَ هُنَا، الْحَيَاةَ بِدُونِ رَبِّ، هِيَ أَثَرُ لِلْحَيَاةِ يُحَاكِهَا؛ أَمَّا
الْحَيَاةُ هُنَاكَ فَهِيَ تَحَقُّقُ الرُّوحِ وَهُوَ تَحَقُّقٌ بِهِ تُبْدِعُ الْحَيَاةَ الْأَرْبَابَ فِي لَمَسَةِ هَادِئَةٍ تَصْلُحُهَا
بِالْوَاحِدِ. وَإِنَّهَا أَيْضًا تُبْدِعُ الْحُسْنَ، وَتُبْدِعُ الْعَدْلَ، وَتُبْدِعُ الْفَضِيلَةَ. فَتُمَسِّي النَّفْسَ حَامِلًا
٢٠ بِكُلِّ ذَلِكَ وَإِنَّمَا جَعَلَهَا ذَاتَ حَمَلٍ رَبَّهَا./ وَذَلِكَ هُوَ الْأَصْلُ لَهَا وَالْغَايَةُ. أَمَّا الْأَصْلُ فَلَأَنَّهَا
مِنْ هُنَاكَ جَاءَتْ، وَأَمَّا الْغَايَةُ فَلَأَنَّ الْخَيْرَ مَائِلٌ هُنَاكَ، فَإِذَا مَا أَصْبَحَتْ هُنَاكَ عَادَتْ إِلَى مَا
كَانَتْ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهَا. وَهَكَذَا كَانَتْ الْإِقَامَةُ هُنَا فِي الْأَشْيَاءِ الْجَسَدِيَّةِ بِمَنْزِلَةِ «الْهَبُوطِ» لَهَا
وَالْمُنْفَى» وَ«فَقْدَانِ الْأَجْنَحَةِ». وَيدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخَيْرَ هُوَ هُنَاكَ الْعِشْقُ الَّذِي فُطِرَ مَعَ النَّفْسِ،
٢٥ وَأَدَّى إِلَى قِصَّةِ اقْتِرَانِ الْعِشْقِ (إِيروس) إِلَى النَّفْسِ (بِسِيثي)/ فِي الْأَلْوَحِ الْفَنِّيَّةِ وَالْأَسَاطِيرِ. مَا
دَامَتِ النَّفْسُ أَمْرًا لَيْسَ الْإِلَهُ، وَكَانَتْ مِنَ الْإِلَهِ مُنْبِعِثَةً، فَهِيَ تَعَشِّقُهُ لَا مَحَالَةَ. ثُمَّ مَا دَامَتْ
هُنَاكَ كَانَ عِشْقُهَا عِشْقًا رَبَّانِيًّا؛ أَمَّا هُنَا فَيَكُونُ عِشْقُ الْعَوَامِ. فَإِنَّهَا هُنَاكَ أَفْرُودَيْتِسُ الرَّبَّانِيَّةِ، أَمَّا
٣٠ هُنَا فَتُصْبِحُ أَفْرُودَيْتِسُ الْعَوَامِ وَكَأَنَّهَا بَغْيٌ./ كُلُّ نَفْسٍ هِيَ أَفْرُودَيْتِسُ. وَهَذَا مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ مَا وَرَدَ
فِي «وَلَادَةِ أَفْرُودَيْتِسِ» وَفِي «الْعِشْقِ الَّذِي مَعَهَا نَشَأَ». فَالْنَّفْسُ إِذَا تَعَشَّقَتْ الرَّبَّ إِذْ تَسْتَرْسِلُ عَلَى
٣٥ سَجِيئَتِهَا فَتُرِيدُ أَنْ تَتَّحِدَ بِهِ بِحُبِّ بَرِيءٍ كَحُبِّ الْعَذْرَاءِ لِأَبِيهَا الْوَرَعِ./ لَكِنَّهَا عِنْدَمَا جَاءَتْ إِلَى عَالَمِ
الصَّيْرُورَةِ أَصْبَحَتْ بِمَنْزِلَةِ الَّتِي خُلِعَتْ بِوَعْدِ الزَّوْاجِ وَعَدَلَتْ عِشْقَهَا بِعِشْقِ آخَرِ دُنْيَوِيٍّ، بَعْدَ
انْفِصَالِهَا عَنْ أَبِيهَا، فَسَنَعَتْ. حَتَّى إِذَا مَا عَادَتْ وَكَرِهَتْ الشَّنْعَ الدُّنْيَوِيَّ وَتَطَهَّرَتْ مِنْ
الدُّنْيَوِيَّاتِ، تَهَيَّأتْ لِلرُّجُوعِ إِلَى أَبِيهَا وَحَسَّنَتْ حَالَهَا. أَمَّا مَنْ يَجْهَلُ هَذِهِ الْحَالَةَ، فَلْيَتَصَوَّرْ
٤٠ عَلَى قِيَاسِ/ الْعِشْقِ الَّذِي تَشْعُرُ بِهِ لِلْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ كَيْفَ يَكُونُ الْعُثُورُ عَلَى الْأُمُورِ الَّتِي تُشِيرُ

عشقنا على أشده. وليذكر أيضًا أن هذه المعشوقات هي فانية ومُضرة، وأن هذا العشق عشق
 رُسوم وهو لا يلبث. ذلك بأنه لم يكن معشوقنا هو المعشوق حقًا، ولا خيرًا محضًا، كما أنه
 ٤٥ ليس ما كنا عنه نبحت. فالمعشوق الحق هو هنالك: نتحد به/ وناخذ منه حظنا ونملكه حقًا،
 ولا نضمه إلينا ضمًّا جسمانيًّا من الخارج. وقد يعلم ما أعني ذلك الذي شاهد. وهو أن للنفس
 حياةً مُستجدةً آنذاك وقد أخذت في السير نحو الواحد وأقبلت وأخذت منه حظها. فتعلم، وهي
 ٥٠ على هذه الحال، أنه قد حضر ذلك الذي يمدُّ بالحياة الحقَّة،/ فلا تحتاج إلى شيء بعد ذلك.
 بل لا بدُّ لها من أن تخلع عنها كل ما سواه، وتثبت فيه هو وحده وتتحوَّل إليه وحده وقد حُرمت
 كل ما بقي بها عالقًا. فتتحفُّ إلى الخروج من هُنا، وتبرِّم بالأغلال التي تصلنا بالطرف الآخر،
 ٥٥ حتَّى نُضمَّ الواحد إلينا بكل ما نحن عليه في ذواتنا ولا يبقى/ جزء من أجزائنا إلَّا ولا مَسنا به
 الإله. عند ذاك تصحُّ لنا مُشاهدة الواحد ومُشاهدة ما نحن عليه في ذواتنا بقدر ما تجوز
 المُشاهدة. فينهض ما نحن عليه في ذواتنا ساطعًا، بالنور الروحانيِّ حافلًا، أو هو بالأحرى
 نور طهر وخفٍّ ودقٍّ. لقد أصبحنا الإله والأولى بالقول إننا قد كنا الإله حقًا، فإننا مجذوبون
 ٦٠ حينئذٍ، ولكننا نشعر بالذبول يعترينا إذا عاد الثقل وأدركنا./

١٠ فما بال النفس لا تبقى هناك؟ ذلك بأننا خرجت من هُنا ولم يتم لها الانعتاق في كماله.
 ولكنه يأتي زمان تكون فيه المُشاهدة متواصلة فلا ينبعث من البدن بعد ذلك كدر على المُتكرِّر.
 وليس المُتكرِّر فينا هو المُشاهد، بل شيء آخر إذا تعطلَّ المُشاهد عن المُشاهدة، لا يتعطلُّ هو
 ٥ عن العِلْم/ القائم في الأدلَّة والبراهين وحديث النفس مع ذاتها. فإنَّ الشهود والمُشاهد لا
 يكونان من قبيل العقل، بل من قبيل ما كان أعظم من العقل وقبلة ومُشيرًا عليه؛ وكذلك
 الأمر في المُشاهد. وإنَّ نُشاهد، إذ نُشاهد، ما نحن عليه في ذواتنا، أنا من ذلك الطراز
 ١٠ كئًا، بل إنَّ كلاً متوحدًا مع ذاته/ وهو ذلك الطراز ويشعر بأنه هو ذاته من هذا الطراز
 لأنَّه أصبح بذاته أمرًا بسيطًا. ورُبُّما وجب ألا يوصف بأنه يرى. ولكننا نقول، لما لم يكن
 من ذكر الأمرين بُدُّ هُنا، المُشاهد والمُشاهد على أنه ليس الطرفان أمرًا واحدًا، لما في هذا
 القول من غلو. نقول إذًا: إنَّ المُشاهد عند ذاك لا يرى المُشاهد ولا يُميز، حتَّى وإنَّه لا يتصوَّر
 ١٥ أمرين. بل أصبح هو أمرًا آخر/ يظنُّ في كونه هو ذاته أو من ذاته. فعدا أمرًا من الأمور
 المُسهمة في الملا الأعلى. لقد أصبح من الواحد وهو واحد بانطباقه على الواحد كما ينطبق
 المركز على المركز. وحتَّى في الدوائر الجسَّية، حين ينطبق أحد المَركَزين على الآخر يُؤلِّفان
 مركزًا واحدًا، ولا يكونان مَركَزين إلَّا إذا انفصلا. وبهذا المعنى نقول الآن (بعد المُشاهدة) عن
 الواحد بأنه أمر آخر. ولذلك كانت المُشاهدة شيئًا يصعب علينا وُضفه. فكيف يسعنا أن نصفه

٢٠ بأنه يختلف عتًا ونحن لا نراه عندما شاهدناه، / على أنه شيء يختلف عتًا بل على أنه مع ما نحن عليه في ذواتنا أمرًا واحدًا؟

١١ وهذا ما تعينه الوصية في الأسرار الدينية بآلا تُكشَف تلك الأسرار لغير الخواص. فما دام السرُّ الديني أمرًا غير مكشوف منعت الوصية من كشفه لِغَيْرِ الذي أسعده الحظُّ فشاهدته هو بذاته. إن ذلك الذي تحوّل إلى الواحد لم يكن اثنين إذًا، بل كان هو المشاهد مع المُشاهد ٥ واحدًا على أن/ الأمر لم يكن أمر مُشاهدة بل أمر اتّحاد. فإذا تذكّر المشاهد ما جرى له لدى اتّحاده بالواحد حصلت فيه بذاته صورة عن الواحد. وهكذا كان واحدًا إذًا، لم ينطو بذاته على فرق في ذاته بالقياس إلى ما كان عليه في ذاته وإلى وظائفه الأخرى. لا ينبعث منه إليه حراك: لا غَضَبٌ لديه ولا رغبة في شيء آخر في ارتقائه. / بل لا حديث نفس ولا عرفان. لقد بطل في كونه هو ذاته كلاً. إن كان ذلك شيئًا يجب أن يُذكر. فكأنّه جذب أو ملكت المُشاهدة عليه أمره فحلَّ ساكنًا في حال التفرّد الساكنة، لا يميل بذاته قطُّ إلى ناحية، لا ولا إلى ما هو عليه في ذاته. ١٥ إنّه لساكن فكأنّه الثبات عينه. / إنّه لا همّ له بحسبان الأمور، بل هو فوق الحسّن كلّهُ يُحلّق وفوق موكب الفضائل، يطوف فكأنّه ذلك الذي دخل إلى «جَنابِ القدّس» تاركًا وراءه الثمائل في الهيكل. وهي التي تعود وتظهر له أوّلًا إذا خرج وقد تمّت له المُشاهدة من الباطن وتمّ له الاتّحاد ٢٠ هنالك، وهو ليس اتّحادًا/ بتمثال أو صورة، بل اتّحادًا بالإله ذاته، ولا كالأحوال التي تكون مُشاهدات من المقام الثاني. أو إنها ربّما لم تكن هذه مُشاهدة، بل العيان وهو من نوع آخر: هو فناء، وتبسيط وجود في الذات؛ وهو رغبة في مَسٍّ وسَكينة وتنبّه لِتَنسيق، ما دُمنا نُشاهد القائم ٢٥ من القدّس في جَنابه. فلو/ كان نظرنا على وجه آخر، لما حضر علينا شيء. إنّا كلّ هذه الأقوال أمثال يُشير بها الحكماء من بين العلّماء في التّأويل إلى ذلك الإله كيف يُشاهد. أمّا الكاهن الحكيم فإنّه يفهم الألغاز فيُحقّق المُشاهدة الحقّة في جَنابِ القدّس وقد حلّ فيه. وإن لم ٣٠ يحلّ وهو يظنّ أنّ جَنابِ القدّس أمر غير مرئيّ/ لأنّه الأصل والأرومة، فإنّه يعلم أنّ الأصل إنّما يُشاهد بالأصل وأنّ التّجانُس إنّما يتحد بما يُجانسه. فلا يُغفل أمرًا من الأمور الرُّبانيّة التي تستطيع النّفس أن تتكلّم بها لها. ثمّ إنّه، قبل المُشاهدة، ينتظر الباقي من المُشاهدة ذاتها والباقي بالقياس إليه عندما يعلو الأشياء ويرتقي فوقها الذي كان، وما كان من الأشياء ٣٥ شيء. / وإنّه ليس من طبيعة النّفس أن تنتهي إلى ما يكون العدم مُطلقًا. إذا مضت سُفلًا وصَلت إلى السُّرّ، أعني إلى العدم، لا إلى العدم المُطلق. وإذا أسرع عُلُوًّا لم تنو إلى ما كان غيرها بل إلى ما كانت هي عليه في ذاتها. ولما لم تكن آنذاك في غيرها، لم تكن في ما هو ٤٠ العدم، بل في ما قامت عليه في ذاتها. على أنّ كونها في ذاتها وحدها/ لا في المحقّ الذي وراء

الذات وفوقها . إذا شاهدنا ما نحن عليه في ذواتنا وقد تحوّلنا إلى الواحد ، عددنا ما نحن عليه في ذواتنا صورة الواحد . ثمّ إذا انطلقنا مما نحن عليه في ذواتنا وارتقينا إليه ، وإنّا لنُحن الصورة ٤؛ وإنّه لهُوَ القياس الأصليّ ، كنّا من مطافنا في النهاية . وإذا هُدينا/ من شُهودنا عُدنا لِنُنبّه الفضيلة فينا مُدركين ما نحن عليه في ذواتنا معمورًا بالنّظام . فتؤنس آنذاك ما بنا من خِفّة ، ونعود لِنُسلك طريق الفضيلة ابتغاء الوصول الى الروح وطريق الحكمة ابتغاء الوصول إلى الواحد . وتلك هي حياة الأرباب والرّبّانيتين وأهل السّعادة ؛ الانعتاق من الدُّنيويّات ، والعُزوف عنها وفرار كلّ متّا ٥٠ وحده/ إلى الواحد وحده .



